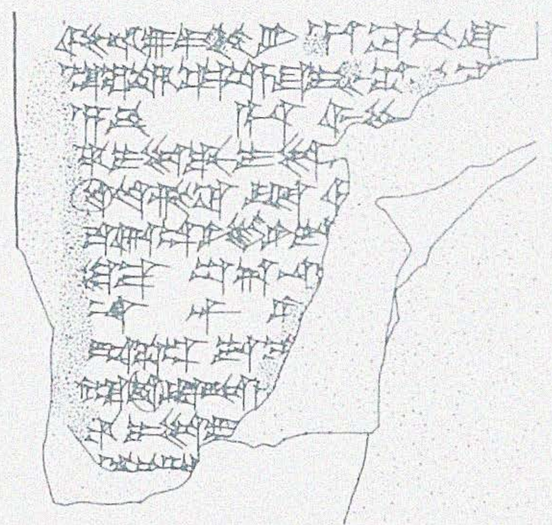
ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الأول

أعطِني ، أعطِني ماءَ القلب

أناشيد الحب السومريّة





نقله الى العربية وَعلّق عليه : قاسم الشوّاف

قدَّم له وأشرف عليه : أدونيس

علي مولا

دار الساقي

ديوان الأساطير

من أعمال قاسم الشواف

- كتاب «الكلمة الصافية» صدر عن دار الأجيال في دمشق عام ١٩٦٩.
- «الاستعادة» بصدد الصراع الصهيوني ـ العربي، صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي في دمشق (١٩٦٩) باللغة الفرنسية.
- «نحن الملك» مسرحية مُعرَّبة عن كتاب «أنا الغاضب» للكاتب المغربي محمد خيرالدين. صدرت في عام 1973 عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- كتاب «مع رحلة الفنان وليد عزت، في أساطير سومر وملحمة جلجامش» محتوياً على كامل لوحات الفنان الخاصة بهذه المواضيع. صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي بدمشق (أيلول ١٩٧٣).

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الأوّل

أعطِني، أعطِني ماءَ القلبْ

أناشيد الحب السومريّة

نقله الى العربية وَعلّق عليه : قاسم الشوّاف

قدّم له وأشرف عليه : أدونيس



دار الساقي

الطبعة الأولى ١٩٩٦

ISBN 1 85516 556 2

دار الساقي

بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان

هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٦٠٢٣١٥ (٠١)

DAR AL SAQI

London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH

Tel: 0171-221 9347, Fax: 0171-229 7492

ديوان الأساطير

الكتاب الأول

استهلال

ـ ١ ـ

بدأ في السنوات العشرين الأخيرة اهتمام خاص ومفاجىء لدى العرب، كتّاباً وباحثين وقرّاء، بالأسطورة، وبالقضايا الأدبية والفكرية التي تتولّد منها، أو تتّصل بها. فقد تُرجمت ونشرت أكثر من مرّة، ملحمة جلجامش، تمثيلاً لا حصراً. وعمل باحثون كثيرون في العراق وسورية، بخاصّةٍ على دراسة الأساطير في هذين البلدين، وعلى ترجمة نماذج عديدة منها، نقلاً عن اللغة الأصلية، أو اعتماداً على ترجماتها في اللغات الأجنبية.

ـ ٢ ـ

وهذه المحاولة التي نقوم بها، قاسم الشوّاف وأنا، ليست إلاّ استمراراً لتلك الجهود الرّياديّة، الطيبة واللاّمعة، التي تقدّمتها، غير أنها محاولة تتميّز عمّا سبقها، بطموحها وشمولها. فهي تهدف إلى تقديم الأساطير في موسوعةٍ، أو ديوانٍ يحتضنها جميعاً، في عشرة أجزاء، منذ البدايات الأولى على هذه الأرض التي ننتمي إليها، في سومر بين أحضان دجلة والفرات، وفي سورية، والجزيرة العربية، وانتهاءً بمصر وضفاف نيلها الكريم.

ـ ٣ ـ

يمثّل، إذاً، هذا الاهتمام الناشىء بالأسطورة في الوسط الثقافي العربي، ما يمكن أن نسمّيه بانقلابٍ معرفيّ ونظريّ. ولا أخوض هنا في الأسباب التي أدّت إليه، بل أقتصر على القول إنّه دليل نُضجٍ وتفتّح.

وهو، إذاً، انقلاب يشير إلى تغيّر أساسي ـ إلى نشوء نظرةٍ أخرى ترى في اللغة العربية أختاً وامتداداً للغات التي سبقتها، وترى أنها، إذ أخذت محلها، فقد احتفظت بشحنتها الثقافية الحية، إبداعاً وتأصُّلاً.

يشير، أيضاً، إلى ما هو أبعد وأعمق، لم يعد العربي، الكاتب خصوصاً، يرى نفسه سابحاً في تموّج لغته، كأن التاريخ مجرّد عربةٍ لغوية تقطر وراءها الحياة سائرة في فضاء مجرّد، في انقطاع عن القرار العميق: الأرض التي انبثقت منها هذه اللغة. أصبح، على العكس، يرى عمودية هذه اللغة، وعمقها الوجودي والتاريخي.

ـ ٤ ـ

في هذا ما يمثّل بدايةً لعودة نوع خاص من الدفء إلى اللغة الشعرية العربية، وإلى الحساسية العربية. فالأسطورة دفء للعقل وللجسد ـ مما يذكّر به الشاعر الفرنسي «باتريس دولاتور دوبان» في عبارته الجميلة: «الشعب الذي لا أساطير له يموت من البرد»، خصوصاً برد التقنية الآخذة في تدمير طفولة العالم. إن في الطاقة التخيلية التي تكتنزها الأسطورة ما يتيح التأسيس لبؤرة من العلاقات الإنسانية، يتخطّى برودة التقنية، إضافة إلى ما تولّده في الإنسان من القدرة على الاستباق والاستشراف.

وإذ يرتبط الأدب، والشعر بخاصة، بالخيالي الأسطوري، يصبح أكثر قابلية لأن يكون بناءً يشمل برؤيته الجمالية المجتمع ـ علماً وفلسفة، قيماً وعلاقات. فيعيد، على طريقته وبخصوصيته، النّظر في العالم، بحيث يكون نقداً شاملاً، انطلاقاً من تلك الرؤية. هكذا يتاح للرؤية العلمية أن تكون هي أيضاً شعرية، ويتاح للتقنية أن تتنفّس هواء الشعر، فتظلّ الحياة أكثر إنسانية، ويظل الوجود، تبعاً لذلك، أكثر بهاء، ودفئاً.

ـ ٥ ـ

آثرنا أن نحافظ، في الترجمة، على بناء الجملة الأصلي، بحيث تنقل إلى العربية كما هي، دون تعديل إلاّ في أشياء طفيفة تقتضيها بين وقت وآخر خصوصية الصياغة النحوية وخصوصية التعبير في اللغة العربية، وفقاً لتلك الصياغة.

نأمل أن يساعدنا الباحثون والقراء في هذا العمل، بنقدهم البصير، ومعرفتهم الدقيقة. ففي هذا ما يفيدنا في تهيئة الأجزاء التالية من هذا الديوان، فنتلافى أخطاءنا في هذا الجزء الذي بين أيديهم، ونعمل على أن تجيء الأجزاء التي ستليه أكثر ما يمكن قرباً إلى الصحة والدقة.

أدونيس

باريس في أول كانون الثاني ١٩٩٦

الغاية المرجوّة
والمصطلحات

هذه المجموعة، المؤلفة من كتبٍ عدّة، تقدم للقارىء العربي النصوص القديمة الأسطورية والبطولية والأدبية، التي عرفها العالم العربي القديم منذ بدء الحضارة، في كل من وادي الرافدين ووادي النيل وبلاد كنعان وغيرها من المراكز الحضارية التي كشفت عنها الحفريات الأثرية، وشغلت الباحثين ولا تزال تشغلهم منذ أكثر من مائة عام.

تهدف هذه المجموعة، إلى تزويد القارىء العربي، بمرجع نودّ أن يكون كاملاً عن حضارتنا القديمة، كما أبدعها كلمةً وحرفاً إنسان وطننا القديم وتركها لنا على الألواح الفخارية أو أوراق البردي أو جدران المعابد والمدافن أو النصب التذكارية وما كان ذلك ممكناً دون ابتداع عبقرية إنساننا القديم، منذ نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث لما قبل الميلاد، فن الكتابة والتسجيل، ومتابعة تطوير وتبسيط أداة التعبير هذه حتى بلوغ قمة الأبجدية.

وتسعى أيضاً هذه المجموعة لإخراج نصوصنا القديمة من قوالب الكتب الاختصاصية التي نشرها باللغات الأجنبية، الباحثون والاختصاصيون الأجانب والتي تُسْتَكمل يوماً بعد يوم، ويتطور تأويلها فتجدُ تفهّماً أعمق لمحتواها، بمجرد إضافة مقطع كان منسياً في أحد متاحف العالم أو حل لغز كان مستعصياً... لذا فإن هذه المجموعة تحتوي آخر ما وصلت إليه قراءات النصوص التي نحن بصددها.

تشتمل الكتب الأولى من «ديوان الأساطير» نصوص بلاد الرافدين: سومر وآكاد

وآشور. وقد مكّنتنا نظرة اجمالية لمجموعة النصوص المعنية أن نكتشف الأفكار العامة التي تسمح بإدراجها في كتبٍ يحمل كل منها عنواناً عاماً يربط بين النصوص التي يحتويها ويسوّغ مقاربتها.

والكتاب الأول من هذه المجموعة يتعلق بالخصب والإخصاب، بماء الأرض والسماء و «بماء القلب» يسكبه رجُلٌ في «رحم» امرأة فيردّدان معاً أناشيد الحب، ويحتفلان معاً بخصب الطبيعة وإخصابها.

وأناشيد الحب التي تركها لنا شعراء سومر والتي يكتشفها القارىء في هذا الكتاب الأول، سوّغت لنا مقارنة مع نشيد حب آخر لا يجهله أحد وهو نشيد الأنشاد التوراتي، مما سمح لنا من خلال الدراسة التي نقدّمها في نهاية هذا الكتاب التحدّث عن نشيد أنشاد سومري.

لن نُثقِلَ هذا الكتاب بمقدمة تاريخية عن بلاد ما بين النهرين فتفاصيلها متوافرة في كتب التاريخ القديم. ولن نقدم منذ الآن لائحة بآلهة سومر وآكاد، وسوف نسعى أن يكتشف القارىء أدوارها وأهميتها من خلال النصوص التي سردت لنا حوادث ومناسبات تدخّلها والتي تجعلنا عبر حوالى ألفي سنة نتفهم تداخلها وتطوّر مفهومها.

أما المراكز والمدن التي شهدت الأحداث التي ترويها نصوصنا، فإننا نعرّف بمواقعها وبمركزها الديني والحضاري عند ورودها في النص وفي الهوامش المخصصة لذلك. كما أننا رأينا تسهيلاً للفظ بعض الأسماء التي لم تعد مألوفة في عالمنا، سواء أكانت سومرية الأصل أم آكادية، رأينا، إثبات كتابتها بالأحرف اللاتينية، في الملاحظات الهامشية.

أما فيما يتعلق بمضمون النصوص، فقد عمدنا أن نقدم لكل نص تلخيصاً عن محتواه وعن أماكن اكتشاف اللوحات التي تحمله وتاريخ تسجيلها للمرة الأولى أو نسخها عن نص أقدم. كما علّقنا بما رأيناه ضرورياً ومناسباً لإبراز دلالاتها وتسلسل أحداثها وأضفنا تسهيلاً لمتابعة القارىء عناوين وشروحاً قصيرة تشير إلى تبدّل الموضوع والانتقال إلى أحداث جديدة.

وبالطبع فإن تلك النصوص التي حفظتها تربة وادي الرافدين لأكثر من أربعة آلاف من السنين، مكتوبةً بواسطة رموز مسمارية سومرية أو آكادية، وكشفت عنها حفريات

علماء الآثار، هذه النصوص، التي سجّلت على ألواح فخارية لم تصلنا دون تشوّهٍ في سطوحها أو دون تجزئتها وفقدان بعض أجزائها ولذلك فقد أشرنا من خلال استعراض محتوياتها إلى النقص الذي اعتراها وإلى أهمية هذا النقصّ.

كما حرصنا على المحافظة على روح الشكل في النص الأصلي، سواء في لغته المباشرة الغالبة أو في لغته الشعرية والمجازية كما وردت في مناسبات أخرى. وحافظنا طبعاً على التكرار وتوازي الجمل الذي عرفته نصوص عالمنا القديم، فالتكرار يوحي بالاستمرار واستعمل التوازي لاستكمال معنى الجملة وفتحه على مفهوم أوسع، يكتشفه القارىء بنفسه من خلال النصوص.

بقي علينا أن نشير إلى الاصطلاحات وإلى الإشارات التي يستعملها عادة علماء دراسات النصوص القديمة بقصد الأمانة واحترام النص الأصلي كما هو وتمكين التعرّف على حالة حفظه ونلخص ذلك في الفقرة التالية.

المصطلحات والإشارات
التي تسهل متابعة النصوص

* أرقام الأسطر، هي الأرقام العربية (1 ,5 ,10 ,15 ...) التي تمكن من الرجوع إلى النص في كل مقارنةٍ أو استشهاد أو اقتباس.

* أشرنا أيضاً كلما لزم الأمر إلى عدد اللوحات التي يتألّف منها النص كما نوّهنا بالانتقال من محتوى وجه اللوحة إلى محتوى ظهرها والانتقال من عمود إلى عمود آخر حين كانت النصوص موزّعة على عدة أعمدة في اللوحة الواحدة.

* . . . هذه الإشارة بين تعبيرين تدلّ على وجود كلمة أو مقطع تعذّرت قراءتهما.

* [. . .] العقفات قصيرة كانت أم طويلة، تعني فقدان كلمات أو مقاطع على اللوحة الأصلية.

* [مع نص تحتوي عليه] تشير إلى أنه أمكن استكمال النقص بسبب التكرار في اللوحة نفسها أو عن لوحة أخرى سهلت هذه الإضافة.

* نظراً لاختلاف أطوال الأسطر، فإن تتمة السطر الذي يتعدّى السطر الواحد المقرّر للنص، هذه التتمة أُوردت وكأنها عجز مكمّل لصدرِ بيت شعر عربي.

* ( ) ما وضع بين قوسين يشير إلى إضافة أو تكرار يساعد على تفهّم النص بلغته العربية.

* < > تدل هذه الإشارة على أن الناسخ نسي تعبيراً أو مقطعاً معروفاً لدينا وأمكننا إضافته.

* { } ما يوضع ضمن هاتين الإشارتين يدلّ على أن الناسخ كرّر سهواً ودون مبرّر كلمة أو مقطعاً يُعْزَلُ على هذا الأساس.

* (؟) تشير إلى قراءةٍ غير أكيدة للنص وهي تلي الاقتراح المحتمل للقراءة المعروضة.

* ! علامة التعجّب تشير إلى اللجوء إلى معنى محدّد للمقطع أو الكلمة التي سبقت هذه العلامة أو إلى تصحيحٍ للنص.

* وأخيراً فإن جميع النصوص التي يحتويها هذا الكتاب، تحمل مع عناوينها، التي هي اصطلاحية ولا أساس لها في النصوص الأصلية، تحمل إلى جانب هذه العناوين، رقماً بين قوسين (رقم) يسهّل الرجوع إليها والاستشهاد بمحتواها مثال النص ٣٥ السطر ٦ يشار إليه: (٣٥: ٦) أو الأسطر ٦ إلى ١٠ في النص نفسه يشار إليها: (٣٥: ٦ ـ ١٠).

توضيح وشكر

التوضيح

لا بدّ من التوضيح في بداية هذا الكتاب، بأن النصوص التي اشتمل عليها، وكذلك النصوص التي سوف ترد في الكتب التالية، تنتمي إلى ما يمكننا تسميته بالفكر الميتي[1] العائد لمنطقتنا. وهي ككل فكر ميتي تمكّن من قراءتين أو ترجمتين لمحتواه.

القراءة الأولى تتعرّض لظاهره، أما القراءة الثانية فإنها تكشف الرمز أو الرموز التي تتوارى في خلفية القراءة الأولى وبذلك تفتّق المعنى.

كل فكر ميتي، من شأنه التعاطي مع الرمز، وسرد قصة أعمق، عبّر عنها وجدان ولا شعور الإنسان الذي ابتدعها. ولغة الأساطير الرمزية، في شموليتها وفي مدلولاتها النفسية، يمكن بواسطتها تحليل الحوافز الداخلية العميقة للإنسان الذي ابتدعها. وهي لم تكتفِ من قبله بعرض ردود فعله أمام ما يحيط به من عناصر كونية ولكنها في الوقت نفسه أقامت عبر هذا الإنسان نظاماً فكرياً وتبنت قيماً مكّنته من رسم الطريق المؤدي لمعنى حياته كما رسمه لنفسه، إذ حين تساءل الإنسان عن معنى حياته، رسم لنفسه من ضمن إجابته اتجاهاً لها، اشتمل على القيم ـ الموجِّهة له، يتبعها ويفرضها على نفسه لكي تحافظ حياته على المعنى الذي قصده لها. أو كما اعتادت أن تقول النصوص، على المعنى الذي أرادته له الآلهة.

---

(١) الفكر الميتي أو الميثولوجي أو الأسطوري. ويمكن قبول هذا التعبير الأخير إذا ما أُبعد عن معنى الخرافة الكاذبة.

وهكذا أقام الإنسان لنفسه، مفهوم الإلّه القاضي الذي يحاكم، يجزي من يرضيه ويعاقب من يخالفه. وهكذا أيضاً اشتملت رمزية الأساطير على كل ما اهتزّ في دخائل نفس مبتدعها من المعاني الحياتية الهامة، فالتسامي والسقوط، واستحقاق الثواب ورهبة العقاب والقلق أمام المرض وأمام الموت، والبعث والخلود والسعي وراء الحياة الأبدية. . . كل ذلك مع معانٍ أخرى لم نعددها، يمكن تتبعها من خلال أساطيرنا.

وقد اعتبر الإنسان القديم، أن ما يحيط به مملوء بالمقاصد والإشارات الموجّهة إليه وطبّق ذلك على ما هو في الأعلى، السماء وما هو في الأسفل، الأرض وعلى كامل الطبيعة، التي زوّدها بنوايا وجعلها تمنحه مساعدتها أو تعاديه وفقاً لتصرفاته واستحقاقه.

وفرّق الإنسان القديم منذ بداية تأمّله في ما يحيط به بين ما هو فوق وما هو تحت، بين الأعلى والأسفل، السماء والأرض وشعر بحدوده أمام كونه اللامحدود. فالآلهة هم في الأعالي، وهم في الأعالي قبل أن تكون السماء وقبل أن تكون الأرض، هكذا تبدأ قصيدة التكوين والخلق البابلية.

الملكية، نزلت من السماء، ومن السماء أيضاً نزل الإلّه المَخَضِّرُ وأنزل معه الفأس المباركة لعمل الأرض كما أنزل الحبوب غذاء الإنسان والآلهة. وتقول نصوصنا في مناسبات أخرى بأنه خرج من الماء المحيي ليعلم البشر أسس الحضارة.

الأرض، هي إذاً الأم ـ المغذّية، يُخصِبُها الإلّه الذي أراد الخير للبشر. وحين تسكب السماء منيها في حضن الأرض المتعطشة للإخصاب[1]، فإنها تحقق بذلك اتحاد العلوي (الروحي) مع الأرضي (المادي)، وهذا الاتحاد هو أساس الحياة ومبررها. والجنس الذي امتلأ بقصصه هذا الكتاب الأول، هو من ضمن هذه الرؤية.

وكذلك، حين خلق الإنسان من صلصال الأرض، ممزوجاً بدم إلّه، ففي ذلك رمز لقبس الألوهية المقدسة في روح الإنسان.

---

(١) وبشكل يماثل النص السومري تروي الأسطورة الإغريقية أن الإلّه أورانوس (Ouranos) السماء، يخصب (Gaea) جايا الأرض بالمطر الذي هو منيّه.

لغة الرمز في الأساطير تبقى محجّبة، وللأساطير لغة ومفردات، لها مدلولاتها المشتركة بين كافة ما ابتدعته الشعوب المختلفة من أساطير، دون أن تتعارف أو تتعاصر. وفي قاموس هذه المفردات يمكننا تقديم بعض الأمثلة:

- فصراع الإلّه أو البطل ضد الشياطين والوحوش يرمز في الإنسان إلى صراعه هو، بين حوافزه الصائبة والحوافز الخاطئة، أي بين الخيّرة منها والشريرة وهي نابعة من المحاكمة الصميميّة في الإنسان نفسه.

- الجبل في قممه ومهاويه يرمز إلى إمكانية التسامي وفي الوقت نفسه إلى إمكانية السقوط. آلهة سومر يقيمون على «جبل الكون المقدس» وآلهة اليونان على «جبل الأولمپ».

- يرمز العالم السفلي إلى الرغبات المكبوتة المحمّلة بالشعور بالذنب وبعذاب الضمير المتجاوز للحدود. وملكة العالم السفلي في نصوصنا هي «ايريشكيچال»، فهي ملكة عالم اللاوعي وخفايا الشعور وعالم كبت الرغبات غير المباحة. وأتباع ايريشكيچال، وهم شياطينها[١] يلاحقون دوموزي الراعي من ضمن شعوره بالذنب وهربه ومحاولته الاختباء.

- ترمز السماء إلى الأنا المانع أو الأنا المحاكم والأرض في ثمارها المتعددة وثرواتها تصبح رمزاً لتعدد الرغبات المادية وهي في أساس الصراعات والأزمات.

- العاصفة ترمز إلى طفحان العواطف والبرق إلى الفكر المنير. فبالبرق يُعَلِّم الإلّه الأوغاريتي بعل الأرض.

- التألّق هو من صفات الآلهة، والشمس في وضوحها المتألق، ترمز إلى النظرة الثاقبة وإلى الحق والعدالة (الإلّه شمش).

- وعلى جناح نسر صعد «إيتانا» إلى السماء، فالجناح رمز للتسامي. وقد ينحرف صاحب الجناح مثل الطائر «أنزو» الذي أساء استعمال جناحيه حين سرق لوحة الأقدار بقصد الاستيلاء على السلطة واستوجب الصراع معه قطع جناحيه للتغلّب عليه.

---

(١) وهكذا تفعل تابعات هادس (Hadés) إلّه العالم السفلي الإغريقي.

يمكن متابعة تقديم أمثلة أخرى عديدة على رموز لغة الأساطير. . . ولكننا نوضح هنا أننا في تعليقاتنا عبر هذا الكتاب على النصوص المعروضة، لم نلجأ إلا في بعض الأحيان، إلى إبراز المعاني الرمزية لمحتوى الأساطير، واكتفينا كلّما اقتضى الأمر بتعليقات اجتماعية أو لغوية أو تاريخية محلية كان لا بد منها. ولا بد أيضاً من دراسات تحليلية مستقلة، تخرج عن نطاق هذه المجموعة، لبحث وعرض ما أسميناه بالقراءة الأخرى لهذه النصوص، وهو موضوع آخر. وقد رأينا ضرورة التنويه بذلك.

الشكر

وبهذه المناسبة، لا بد لي من توجيه شكري وتقديري، إلى أدونيس، صديقي منذ القدم، وهو صاحب الفكرة في إصدار هذه المجموعة التي قدّم لها وأشرف عليها، وشارك في إبداء الرأي حول توزيعها، على مجموعات الكتب التي اشتملت عليها.

ولأدونيس أيضاً، شكر آخر، لأنه وضع تحت تصرّفي كامل مكتبته، مما شجّعني وسهّل عليّ مهمتي. راجياً أن يجد القارىء العربي ضالته في هذه المجموعة الرحبة لنصوص عالمنا القديم التي أردنا لها أن تكون كاملة وشاملة.

قاسم الشوّاف

الفصل الأول
ماء الأرض وماء القلب

(١) ـ الآلهة وماء الخصب

(٢) ـ الماشية والحبوب

منيّ السماء

الأرض الفسيحة المسطّحة لبست تألّقها،
جمّلت ببهجةٍ جسدها.
الأرض العريضة، بالمعدن الثمين واللاّزورد
زيّنت جسدها
تبرّجت باليَنعِ والعقيق الأحمر البرّاق.
زيّنت السماءَ رأسها بأوراقِ الشجر
وظهرت، كأنها الأميرة.
الأرض المقدّسة العذراء تبرّجت
من أجل السماء المقدّسة.
السماء، الإلّه الرائع الجمالِ، غرس
في الأرض العريضة ركبتيه
وسكب في رحمها، بذرة الأبطال
الأشجار والمقاصب.
الأرض الطرية، البقرة الخصبة تشبّعت
بمنيّ السماء الغنيّ،
وبالفرحِ ولدت الأرض نباتات الحياة.
وبغزارةٍ حملت الأرض هذا التاج الرائع
وجعلت الخمر والعسل يسيلان.

كلمة إنليل:

إنْ هيَ مسّت السماء: فهذا هو الفيض إذْ تنسكب من الأعالي الأمطار الغزيرة. ولئن مسّتِ الأرض: فهذا هو الرخاء، فمن الأسفل تطفح الثروات. كلمتكَ هي النباتات! كلمتك هي الحَبّ كلمتك هي الفيض: حياة البلاد جَمْعاء!

(عن النص رقم (٦) المنشور في هذا الفصل)

(١) ـ الآلهة وماء الخصب

(١ ـ ١) ـ الماء حياة البلاد

كان الماء في عالمنا القديم، مِنحةَ الآلهة، لإنسانٍ مبدعٍ وحاد الذكاء.

ولئن اعتمدت حضارة وادي النيل على الطمي الذي كان يحمله نيل مصر إلى شريطه الخصيب، فإن وادي الرافدين، جعل إنسان سومر وآكاد يعتمد على شقّ الأقنية وإقامة مشروعات الري، فيتمكن بذلك من تكديس الحبوب وملء الأهراءات وتعميم الوفرة والكثرة في البلاد.

وإذا ما كان الإلّه أنكي[١] سيّد مهارة الصنع والخلق، هو الذي، في أزمنة البدء، ملأ بمنيّه مَجْرييْ دجلة والفرات[٢] فقد كان إنسان سومر يعتبرُ أن ماء السماء الذي يلقح ويخصب الأرض هو أيضاً منيّ إله السماء ولكنه كان يعرف أيضاً أن للفيض والطفح في دجلة والفرات علاقة بذوبان الثلوج على الجبال التي تغذيهما.

وفي المجال الحضاري، لا ننسى طبعاً مياه الخابور والبليخ والعاصي والليطاني والأردن، وجميعها مياه باركت هذه الأرض فأخصبتها.

وكما هو إخصاب الأرحام كذلك تصوّر إنسان سومر إخصاب الأرض كي تنبت الزروع.

---

(١) (Enki) إله المياه السفلية العذبة حاملة الأرض وهو إلّه الذكاء والخلق ومهارة الصنع.
(٢) انظر النص رقم (٥).

وفي بلاد دلمون[١] نرى الإلّه أنكي يملأ من جديد بمنيّه المجاري ويغمر منابت القصب. كما نشهد إله الشمس أوتو[٢] يُخرج المياه الحلوة من الأرض. وفي الهور يضاجع أنكي قرينته «السيدة الطاهرة»، فتلد إلهة الخضار، وبمضاجعة هذه الأخيرة ومن سوف تلدها، تأتي إلى الوجود تباعاً الإلهة سيدة النباتات ذات الألياف، ثم إلّهة النسيج[٣]...

وها هو الإلّه إنليل[٤] يقع في غرام الفتاة اليافعة ننليل[٥] ذات البهاء والظرف، التي لم يلجها أحد بعد ويتمكن من مجامعتها فتلد له، كما ورد في (النص رقم ٢) عدة أبناء، من بينهم الإلّه القمر.

وفي قصيدة تالية (النص رقم ٣) يقع إنليل في غرام أجمل فتيات المدينة، التي ستصبح «قرينته» ننليل فيما بعد، إلا أنه أمام حشمتها وعفّتها يضطر إنليل إلى طلب الزواج منها إلى أمها، وهذا ما يرويه لنا النص بأسلوب شيّق لنشهد بشكل حيّ وممتع تقاليد الخطوبة والأعراس في ذلك الزمن السحيق.

وفي نصٍ رابع، يستجيب أنكي لطلب أمه بتصوّر وخلق البشر لإراحة الآلهة من أعبائها المعيشية، فيعدّ لذلك قالباً من الصلصال. وتتدخل الإلّهات المساعدات للإشراف على الولادة أو إعارة الرحم، ثم نشهد نقاشاً ومنافسة بين أنكي وقرينته نينماخ[٦] حول عملية الخلق ونتائجها.

أما النص الخامس، فهو يعود لتمجيد أنكي في دوره المخصب لكل شيء، الأرض المبذورة والحقول والقطيع. ومن ضمن هذا التمجيد نراه كما أشرنا إلى ذلك آنفاً يملأ دجلة والفرات بماء قضيبه المنتصب وكأنه الثور المتلهّف.

ويعود النص السادس للإشادة بدور الإلّه إنليل، «الجبل ـ الكبير» وبكلمته التي تكفي لسكب الأمطار من أعالي السماء ونشر الرخاء على الأرض.

---

(١) (Dilmun) جزر البحرين والشاطىء المجاور لها من شبه الجزيرة العربية.

(٢) (Utu) إله الشمس السومري.

(٣) انظر النص رقم (١).

(٤) (Enlil) سيد مجمع الآلهة.. ومعنى اسمه: «سيد ـ الهواء».

(٥) (Ninlil) قرينة إنليل.

(٦) (Nin-Maḫ) السيدة الفائقة السمو.

(١ ـ ٢) ـ الماء حياة البلاد
النصوص (١ ـ ٦)

(١) ـ إحياء بلاد دلمون

(٢) ـ إنليل ونينليل

(٣) ـ زواج إنليل من سود

(٤) ـ أنكي ونينماخ

(٥) ـ أنكي وبلاد سومر

(٦) ـ كلمة إنليل، حياة البلاد

(١) ـ إحياء بلاد دلمون
أنكي ونينخورساج

دلمون[١] هي التسمية السومرية للمنطقة الواقعة في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة العربية والتي تشمل جزر البحرين وفيلكا والشاطىء المجاور لهما.

يتألّف النص الذي نحن بصدده من ٢٨٤ سطراً وصلنا معظمها من حفريات نفّر[٢] ووصلنا جزء آخر من أور[٣] وهناك جزء ثالث مجهول المصدر. مسرح الأحداث هو منطقة دلمون.

وقبل أن تصبح هذه المنطقة أهراءً لسومر وذلك بفضل إحيائها من قبل الإلّه أنكي[٤] وقرينته نينخورساج[٥] بمنحها ماءها العذب وتزويدها بالنباتات، بعد خلقها وتحديد دورها...

يغلب على النص شكل «ميتوس أصول» وذلك على الرغم من وجود بعض المقاطع التي عُدّت دلمون بسببها كجنة أرضية، وهذا الرأي كان قد عمّمه باحث السومريات المعروف كرامر منذ عام ١٩٥٧. إلا أن نشر النص الكامل اليوم، قد يدل على تأويل آخر، هو استصلاح وإخصاب منطقة دلمون، من قبل الإلّه أنكي ناشر الحضارة والمعرفة.

يعود النص إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، ويحتمل أن يشير إلى حوادث واقعية وعلاقات اقتصادية بين سومر ودلمون تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

---

(١) (Dilmun).

(٢) (Nippur) العاصمة الدينية القديمة لبلاد سومر، تقع على بعد حوالي ٨٠ كم إلى الجنوب الشرقي من بابل.

(٣) (Ur) المدينة القديمة التي ارتبط اسمها بإبراهيم الخليل وهي مدينة القبور الملكية المعروفة وهي مدينة الإلّه القمر السومري.

(٤) (Enki) إله المياه السفلية العذبة وهو إلّه الذكاء ومهارة الصنع والخلق.

(٥) (Ninhursag) بمعنى سيدة الجبل وهي قرينة أنكي وإلّهة ـ أم سومرية.

دلمون البلد الطاهر، كما هي سومر، بفضل أنكي

1 مقدّسةٌ هي المدينة [. . .] ولكن دلمون أيضاً (بلدٌ) مقدس!

مقدسة هي سومر [. . .] لكن دلمون أيضاً (بلد) مقدس!

دلمون بلد مقدس! دلمون (بلد) طاهر

دلمون بلد مقدس! دلمون بلد منوّر!

5 حين أقام فيه مع فريدته

حين استقر فيه أنكي مع قرينته

أصبحت المنطقة (برمتها) طاهرة ومنوّرة

عندما استقرّ في دلمون مع فريدته،

هذه المنطقة، عندما استقر فيها أنكي مع نينسيكيلا[١]

10 أصبحت هذه المنطقة منوّرة وطاهرة!

ما كانت عليه منطقة دلمون قبلاً:

في دلمون قبل ذلك، لم يكن أي غراب ينعق

ولم يكن أي حجل يغرّد

لم يكن هناك أي أسد يفترس

لم يكن هناك أي ذئبٍ لينقضّ على الحملان!

15 لم يكن الكلب البرّي، يختطف الجديان معروفاً!

لم يكن معروفاً الخنزير الوحشي ملتهم الحاصلات!

لم يكن هناك أي طير من السماء، يأتي لنقر دينارٍ

تركته أرملة على سطح بيتها!

لم تكن هناك قط حمامة محنيّة الرأس!

20 لم يكن هناك من يشكو مرض عينه ليقول:

«عيني تؤلمني!»

---

(١) (Ninsikila) لقب نينخورساج ومعناه السيدة الطاهرة وقد يستعمل كصفة لإلّهة أخرى مثال ما ورد هنا في السطر ٢٥٦ من هذا النص.

ولا أحد يشكو من ألم الرأس ليعلن:

«رأسي يوجعني!»

لم تكن هناك أية عجوز تعترف بعجزها،

لم يكن هناك أي رجل شيخ ليعلن: «أنا رجل شيخ!»

لم تكن هناك أية فتاة تستحم!

لم تكن هناك أية مياه صافية لتصبّ في المدينة!

25 لم يكن أحد يجتاز النهر صارخاً «هيّا! إرفعْ!»

ولا أي منادٍ ليقوم بدورته

لم يكن هناك أي منشدٍ جوّال ليسمع مرثاته

أو ليطلق بعض الآهات على مدخل المدينة!

الأسطر (٢٩ ـ ٥٢) غير كاملة وهي تشير على ما يظهر، إلى أن نينسيكيلا «السيدة الطاهرة»، تشكو لأنكي أن المنطقة ينقصها الماء العذب. ولم تكن فيها أية أرضٍ صالحة للزراعة. وبنتيجة ذلك يطلب أنكي إلى أوتو[١] أن يُخرجَ لتلك الأرض ماءً.

53 من مقره السماويّ

أخرج أوتو، المياه الحلوة من الأرض

من فوّهاتٍ تنبعث منها.

55 جعلها تصل إلى صهاريج (؟) متسعة

فاستهلكت المدينة منها كميات وافرة

بلد دلمون استهلكتها بكميات وافرة!

فتحولت آبار مائه الحامزة إلى آبار مياه حلوة

وجلبت حقول حصاده، كميات كبيرة من الحبوب!

60 أصبحت بعد ذلك عاصمة (دلمون) الأهراء،

الأهراء التي تموّن بالحبوب بلاد سومر كلّها!

نعم! هذا ما حدث آنذاك بفضل أوتو

---

(١) (Utu) إله الشمس السومري.

أنكي يخلق القصب والأعشاب والنباتات الأخرى

65 وحده (أنكي) الفطن وأمام نينتو[١] «أم ـ البلاد»،
أنكي الحاذق، أمام نينتو «أم ـ البلاد»
ملأ بماء قضيبه المجاري جمعاء،
وبماء منيّه الغزير، أغرق منابت القصب،
ممزّقاً بقضيبه الكساء الذي كان يستر حضن الأرض!
70 ثم أعلن (بعد ذلك): لا أحد غيري
يجتاز هذا الهوْر!»
«لا أحد غيري يجتاز الهوْر!» قال أنكي مقسماً باسم آن[٢]
ومن أجل التي اضطجعت في الهوْر
وتمددت في الهوْر
من أجل دامكال ـ نونّا[٣] خصّص أنكي منيّه
75 وسكبه في رحم نينخورساچ
وبتلقيها في رحمها المنيّ، مني أنكي،
عند ذلك ومن أجلها، عدّ اليوم الأول شهراً
واليومان عدّا شهرين
والأيام الثلاثة، ثلاثة أشهر
80 والأربعة عدّت أربعة أشهر
والخمسة عدّت خمسة أشهر
والستة، ستة أشهر
والأيام السبعة، سبعة أشهر
والثمانية، ثمانية أشهر
85 والتسعة عدّت تسعة أشهر
أشهر الحمل التسعة

---

(١) (Nin-tu) لقب نينخورساچ ومعناه سيدة الولادة وهو لقبها كإلهة ـ أم.
(٢) (An) إلّه السماء السومري.
(٣) (Damgalnunna) لقب آخر لنينخورساچ.

(بعد ذلك) كالزيت الناعم (لزوجةً)
كالزيت الناعم، كالدهان الثمين
[نينتو] «أمّ ـ البلاد»، كالزيت الناعم،
كالزيت الناعم، كالدهان الثمين
ولدت «نينسار»[١] «سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل»!
خرجت نينسار يوماً لتتنزّه على طول الهوْر
90 وكان أنكي في الهوْر،
فقال لحاجبه إيسمود[٢]
«لِمْ لا أجامع هذه الفتاة اليانعة الجميلة.
لِمْ لا أجامعَ هذه النينسار الفاتنة»؟
فأجابه إيسمود:
95 «جامع إذن هذه الفتاة اليانعة الجميلة.
جامع نينسار الفاتنة!»
«من أجل مليكي، سوف أنفخ ريحاً ملائمة
ريحاً جيدة!»
وحده أنكي وضع في القارب رجليه
ثم وضعهما على الأرض الصلبة
100 إحتوى نينسار بين ذراعيه وجامعها
سكب منيه في حضنها[٣]:
في حضنها تلقت المني، منيّ أنكي!

---

(١) (Ninsar).
(٢) (Ismud) حاجب أنكي ومساعده.
(٣) عندما لا ترغب النصوص السومرية باستعمال تسمية الفرج بصدد الجماع والاتصال الجنسي فإنها تلجأ أحياناً إلى تعبير الحضن أو الحِجر وفي أناشيد الحب السومرية كما سيرد في الفصل الثاني من هذا الكتاب نشهد تزامن الاتجاهين في الاستعمال.

عند ذلك، ومن أجلها، عدّ اليوم شهراً
والبومان شهرين
105 والثلاثة، ثلاثة أشهر،
والأربعة، أربعة أشهر
والخمسة، خمسة أشهر
والستة، ستة أشهر
والسبعة، سبعة أشهر
110 والثمانية، ثمانية أشهر
والتسعة عدّت تسعة أشهر
أشهر الحمل التسعة.
بعد ذلك، كالزيت الناعم (لزوجةً)
كالزيت الناعم كالدهان الثمين،
[نينسار]، كالزيت الناعم
كالزيت الناعم، كالدهان الثمين
ولدت نينكورا[1] («سيدة النباتات
ذات الألياف»؟)
115 خرجت نينكورا يوماً (لتتنزه) على طول الهوْر
وكان أنكي في الهوْر فقال لحاجبه إيسمود:
لِمْ لا أجامع هذه الفتاة اليانعة الجميلة
لِمْ لا أجامع هذه النينكورا الفاتنة!
120 فأجابه إيسمود:
«جامع إذن هذه الفتاة اليانعة الجميلة.
جامع نينكورا الفاتنة!»

(١) (Ninkura).

«من أجل مليكي سوف أنفخ ريحاً ملائمة
ريحاً جيدة!»
وحده أنكي وضع في القارب رجليه
125 ثم وضعهما على الأرض الصلبة.
احتوى نينكورا بين ذراعيه وجامعها
سكب منيّه في حضنها:
في حضنها تلقت المنيّ، منيّ أنكي!
عند ذلك، ومن أجلها، عدّ اليوم شهراً
130 واليومان شهرين
والثلاثة، ثلاثة أشهر
والخمسة، خمسة أشهر
والستة، ستة أشهر
135 والسبعة، سبعة أشهر
والثمانية، ثمانية أشهر
والتسعة عدّت تسعة أشهر
أشهر الحمل التسعة
بعد ذلك، كالزيت الناعم (لزوجةّ)
كالزيت الناعم كالدهان الثمين.
نينكورا كالزيت الناعم
كالزيت الناعم، كالدهان الثمين،
140 ولدت أوتّو[1] (إلٓهة النسيج)،
المرأة الجميلة.

الأسطر (١٤١ ـ ١٥٢) غير كاملة. ويتضح مما بقي منها أن نينخورساج، زوجة أنكي حذّرت أوتّو الجميلة وأوصتها بتحاشي أي لقاء مع أنكي إذا لم يقدّم لها المشمش (؟) والتفاح

(١) (Uttu) بالتاء المشدّدة.

والعنب هديةً. وهذا ما سعى إليه أنكي حين وطد علاقته مع بستانيٍّ بعد إرواء أشجاره بالمياه الحلوة.

153 مرّة أخرى عمد أنكي إلى توفير الماء
ملأ بالماء المجاري
155 ملأ بالماء الحُفر
ملأ بالماء الأرضَ المَوات.
امتلأ قلب البستاني فرحاً [. . .]
فضمّ (أنكي) بين ذراعيه قائلاً:
«من تكون إذن؟ أنت الذي رويت بستاني؟»
160 أجاب أنكي البستاني:
«أجاب [. . .]
أجلب لي المشمش (؟) مع [. . .]
أجلب لي التفاح مع [. . .]
أجلب لي عناقيد العنب الريّان (؟)»
165 قدّم له (البستاني) المشمش مع [. . .]
قدّم له التفاح مع [. . .]
جلب له عناقيد العنب الريّان تملأ حضنه

أنكي يتوجّه بعد ذلك إلى أوتّو

170 حَمل أنكي عند ذلك عصاه، تملؤه البهجة
ذهب للقاء أوتّو (في مقرها)
صرخ حين وصل أمام البيت: «إفتحي! إفتحي!»
ـ «من أنت؟» (قالت له)،
ـ «أنا البستاني أحمل إليك هديةً، المشمش (؟) التفاح والعنب»!
ابتهجت أوتّو وفتحت عندئذٍ باب بيتها
فقدم أنكي إلى المرأة الجميلة (؟)

175 قدّم لها المشمش مع [. . .]
قدم لها التفاح على [. . .]
قدم العنب الرّيان (؟)
وكانت أوتّو تضرب بكفيها على [فخذيها]
وتصفّق فرحاً!
لكن أنكي بعد أن تذوقت أوتّو (ثماره)
180 عانقها وشدها إلى صدره
تلمّس فخذيها وربَّت عليهما
قبّلها وضغط عليها بجسده
ولج المرأة الفتية وجامعها
سكب في حضنها منيّه
185 في حضنها تلقت المنيّ، منيّ أنكي
صاحت المرأة الجميلة (؟) عند ذلك:
«آه فخذاي، آه جسدي، آه قلبي!»
لكن نينخورساج استخرجت المني من بين فخذيها

الأسطر (١٨٨ ـ ١٩٥) غير كاملة وتشير إلى أن نينخورساج تمكّنت بتحويلها منيّ أنكي عن أوتّو من خلق ثمانية نباتات يتضح لنا دورها فيما بعد.

196 خرج عندئذٍ أنكي من الهوْر
وقال لإيسمود حاجبه:
«أنا لم أقرر بعد مصير تلك النباتات[1]
كيف يمكن ذلك؟ قل لي،
كيف يمكن ذلك؟»
200 فأجابه إيسمود:
«يا مليكي، هذه هي النبتة ـ المتشجّرة!»

---

(١) النباتات الثماني التي خلقتها نينخورساج.

وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!

«يا مليكي، هذه هي النبتة ـ ذات الحلاوة!»

وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!

205 «يا مليكي، هذه هي العشبة ـ السيئة ـ على الدروب!»

وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!

«يا مليكي، هذه هي النبتة ـ آنومون!»

وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه

«يا مليكي، هذه هي النبتة ـ الشائكة!»

210 وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!

«يا مليكي، هذه هي النبتة ـ ذات ـ الأزرار!»

وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!

«يا مليكي، هذه هي نبتة ـ الـ. . . !»

وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!

215 «يا مليكي، هذه هي نبتة ـ الآمخارو!»

وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!

هكذا عرف أنكي طبيعة تلك النباتات

وقرّر لكلٍ منها مصيرها.

يلي ذلك غضب نينخورساج على أنكي ومغادرتها المدينة بعد أن حوّلت عنه نظرها المحيي وأصبح أنكي مهدّداً بالموت.

وحين أقسمت باسم أنكي، (أعلنت) نينخورساج:

«لن أمنحه بعد ذلك نظرتي للحياة

ومن أجل ذلك سيموت!»

220 «لبس الأنونا[1] عند ذلك التراب حزناً

---

(١) (Anunna) أو أنوناكو وأنوناكي وهو مجموعة الآلهة التي مقرها هو العالم السفلي ويقابلها الإيجيجي (Igigi) مجموعة آلهة السماء.

لكن الثعلب الذي كان حاضراً، قال لإنليل:
ماذا ستكون مكافأتي إذا ما أعدت نينخورساچ؟
فأجابه إنليل:
إذا ما أَعدْتَ نينخورساچ
225 إلى مدينتي [...] سوف أزرع لك شجرة كيشكانو[١]
وسوف تصبح مشهوراً!»
لَمع الثعلب وبره استعداداً
و [......]
وزيّن بالكحل عينيه

الأسطر (٢٢٩ ـ ٢٤٩) تشير على الرغم من فقدان أجزاء كبيرة منها، إلى أن الثعلب قابل عدداً من الآلهة طلباً للمساعدة ويحول التشويه دون تمكيننا من التعرّف على كيفية توصل الثعلب إلى هدفه.

نينخورساچ تقوم بشفاء أنكي من آلامه لدى عودتها

250 حين أخذت نينخورساچ أنكي في حضنها
قالت:
«ما الذي يؤلمك يا أخي؟
ـ رأسي يؤلمني!
ـ سأخلق إذن من أجلك الإلّه آبا ـ أو[٢]!
ـ ما الذي يؤلمك (أيضاً يا أخي)؟
255 ـ شعري يؤلمني!
ـ سأخلق من أجلك عندئذٍ الإلّهة نينسيكيلا[٣]!
ـ ما الذي يؤلمك (بعد) يا أخي؟

---

(١) (Kishkanu) من الصعب فهم مدلول هذه المكافأة بالنسبة لثعلب وكذلك تدخل الثعلب في عملية إعادة الآلهة ـ الأم.
(٢) .(Aba. ou)
(٣) .(Ninsikila)

ـ أنفي يؤلمني!
ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّهة نينكيري ـ أوتو[١]!
260 ـ ما الذي يؤلمك (أيضاً) يا أخي؟
ـ فمي يؤلمني!
ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّهة نينكازي[٢]!
ـ ما الذي يؤلمك (أيضاً) يا أخي؟
ـ حنجرتي تؤلمني!
265 ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّهة نازي[٣]!
ما الذي يؤلمك أيضاً يا أخي؟
ـ ذراعي تؤلمني!
ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّهة آزيموآ[٤]!
ـ ما الذي يؤلمك (أيضاً) يا أخي؟
270 ـ ضلوعي تؤلمني!
ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّهة نينتي[٥]!
ـ ما الذي يؤلمك (أيضاً) يا أخي؟
ـ متناي يؤلمانني!
ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّه إنشا ـ آج[٦]
275 ـ (قال أنكي عندئذ):
بما أنكِ خلقتِ هذه الآلهة الثانوية
فإن آبا ـ أو سوف يكون ملك النباتات
ونينسيكيلا سوف تكون سيدة الماچان[٧]

---

(١) (Ninkiri-utu).
(٢) (Ninkasi).
(٣) (Nazi).
(٤) (Azimua).
(٥) (Ninti).
(٦) (En.sha.ag).
(٧) (Magan) التسمية السومرية لمنطقة الساحل الشرقي من شبه الجزيرة العربية الممتد من جنوب دلمون حتى خليج عُمان.

وسوف تتزوج نينكيري - أوتو من نينآزو[١]
وسوف (تعمل) نينكازي على تحقيق الرغبات
280 ونازي سوف تتزوج من نيندارا[٢]
وآزيموآ سوف تتزوج نينجيشزيدا[٣]؛
وستكون نينتي سيدة الأشهر
وسوف يكون إن - شا - آج سيد دلمون!»
المجد لك يا أنكي المعظّم.

---

(١) (Nin.Azu).
(٢) (Nin.Dara).
(٣) (Ningishzida).

(٢) - إنليل وننليل
زواج الإلّه إنليل

يتألف هذا النص السومري من ١٥٤ سطراً، وصلنا بشكل شبه كامل، وهو يعود إلى الفترة البابلية القديمة (حوالى ١٧٠٠ ق. م). تمّ العثور عليه في مدينة نفر[١]، وهو يصف لنا هذه المدينة في مطلعه، بنخيلها ومجاري مائها وأرصفتها وبساتينها ويقدم لنا شخصياتها: فتاها الإلّه إنليل[٢] وسيدتها نُنبار شيغونو[٣] وابنتها ننليل[٤].

وتروي هذه الأسطورة ولادة بعض الآلهة نتيجة للقاء إنليل وننليل وتخصيص مهام هؤلاء وهي تمجد إنليل في ختامها.

تقديم المدينة والأشخاص

1 هذه هي المدينة، حيث نسكن!
مدينة نفّر، حيث نسكن،
المدينة المكسوة بالنخيل، حيث نسكن!
انظر إلى مجرى مائها الصافي، «قناة السيدات» (؟)
5 انظر إلى رصيفها، «رصيف تفريغ الخمور»،
انظر إلى رصيف التحميل، «رصيف الاقتراب من الضفّة» (؟)
هي ذي فُوّهَةُ مائها العذب، «البئر المتقطّرة عسلاً»،
هو ذا مسار مائها المتلالىء، «القناة الأميرية»
انظر إلى أرض بساتينها، «خمسون ساراً[٥] أينما نظرت»!
10 هو ذا إنليل فتاها، قوي البنية وهذه هي فتاتها ننليل،
ونُنبار شيغونو، سيدتها القديمة الأولى.

---

(١) (Nippur) العاصمة الدينية القديمة في سومر.
(٢) (Enlil) سيد مجمع الآلهة ومعنى اسمه «سيد الهواء».
(٣) (Nunbarshegunu) الإلّهة - الأم في نفّر وهي والدة ننليل.
(٤) (Ninlil) قرينة إنليل وهي أم الإلّه القمر نانا (Nanna) ولقبه هنا آشيمبابار (Ashimbabar).
(٥) السار السومري ومعناه «وحدة البستان» وهو يعادل ٣٦ متراً مربعاً وكان سكان نفّر على ما يظهر يملك كل واحد منهم بستاناً بمساحة ٥٠ ساراً في ضواحي المدينة.

الأم تحذر ابنتها ننليل

في أحد الأيام، حذّرتها أمها، الأم التي ولدتها
(حذرت) فتاتها
حذّرت ننبار ـ شيغونو ابنتها ننليل قائلة:
15 «في مجرى الماء الصافي، لا تستحمي أيتها المرأة الفتية،
لا تستحمّي في مجرى الماء الصافي!
لا تتنزّهي، أي ننليل، على طول القناة الأميرية!
الإله ذو النظر البرّاق، ذو النظر البرّاق
سوف يسلّط عليك عينيه!
الجبل الكبير[1]، إنليل المهيب، ذو النظر البرّاق
سوف يسلّط عليكِ عينيه!
الراعي. . .، ذو النظر البرّاق، الذي يقرّر المصائر
سوف يسلّط عليك عينيه
20 سوف يلجك ويجامعك
سوف يُحبلك، ساكباً فيك (؟) بحيويّته كلها،
بذرته الشهوانية

إنليل يقع في غرام ننليل التي تنفر منه

حكيمة كانت كلمات ذلك التحذير،
ومع ذلك، في مجرى الماء الصافي، استحمّت ننليل،
في مجرى الماء الصافي،
وتنزّهت على طول القناة الأميرية!
25 والسيّد ذو النظر البرّاق، ذو النظر البرّاق
سلّط عليها عينيه!

---

(١) لقب إنليل.

[الجبل الكبير]، إنليل المهيب، ذو النظر البرّاق
سلّط عليها عينيه!
[الراعي]. . . الذي يقرر المصائر، ذو النظر البرّاق
سلّط عليها عينيه!
«أريد أن أضاجعك!» قال لها الإله،
لكنها رفضت.
«أريد أن أجامعك!»، أعلن لها إنليل،
لكنها رفضت،
30 «لا يزال مهبلي ضيّقاً. (قالت له)
ولا أستطيع توسيعه،
شِفراي صغيران جداً: لن أستطيع المجامعة
إنْ عرفَتْ ذلك أمي، تعاقبني،
إنْ عرفَ ذلك أبي، يَنْبذني
ورفيقاتي [يستَهْزِئْن مني (؟)!]

إنليل يحقق أربه

35 حينذاك توجّه إنليل إلى خادمه نوسكا[١]،
«أي خادمي نوسكا!»
ـ «ليأمرْ سيدي!»
«أنت يا من خطّط لي الإيكور!»[٢]
ـ «ليأمر سيدي!»
ـ هذه اليافعة ذات البهاء والظرف
40 «لم يلجها أحد بعد، لم يجامعها أحداً!»
عند ذلك زوّد الخادم سيّده بتفصيلة قارب

---

(١) (Nuska) خادم إنليل ومساعده.
(٢) معبد إنليل في نفّر: (E-Kur) بمعنى بيت الجبل.

وسلّمه ما يشبه قَلْس الربط

وجلب له ما يشبه الفُلْك الكبير

تغلغل الملك بين القصب

45 ضاجع ننليل وجامعها،

إنليل المهيب،

ضاجع ننليل وجامعها، متغلغلاً بين القصب.

لمست يده ما يُشْتهى لمسه كثيراً

وولجها وجامعها.

50 في زاوية من الضفّة (؟) اضطجع معها،

ولجها وجامعها.

بولوجها ومجامعتها،

سكب إنليل في أحشائها بذرة ابنه

سين ـ آشيمبابار[١]

معاقبة إنليل ونَفْيه

كان إنليل في أحد الأيام يجتاز الكي ـ أور[٢]،

55 بينما كان إنليل يجتاز الكي ـ أور،

أوقفه الآلهة العظام، بعددهم الكامل الخمسين

ومعهم الآلهة السبعة، الذين يقرّرون المصائر،

أوقفوا إنليل وهو في وسط الكي ـ أور

(صرخوا): «إنليل!»، أيها المغتصب، غادر المدينة!

60 ـ غادِرِ المدينةَ، أي نونّامنير[٣] المغتصب.

---

(١) (Sin-Ashimbabar) سين الإلّه القمر الأكادي أضيف إليه لقب الإلّه نانّا (Nanna) الإلّه القمر السومري أثناء النسخ عن النص الأصلي.

(٢) (Kiur) جزء من معبد الإيكور في نفّر.

(٣) (Nunnamnir) لقب إنليل.

إمتَثَل إنليل للقرار المتخذ،
إمتَثَل نونّامنير للقرار المتخذ،
وحين باشر بسلوك طريقه، كانت ننليل تتبعه.
سلك نونّامنير طريقه، لكن ننليل كانت تتبعه.
65 قال إنليل لبوّاب العالم السفلي:
«أيها البواب! يا رجل المزلاج!
أيها الرجل المتحكّم بالقِفل! يا رجل المزلاج الرهيب!
«سيدتك ننليل سوف تأتي:
إذا سألتك عنّي،
70 لا تقلْ لها قطّ من أنا»!
عندما قالت ننليل معتقدةً [أنها تتوجه] إلى البوّاب:
«أيّها البواب! يا رجل المزلاج
أيّها الرجل المتحكم بالقفل! يا رجل المزلاج الرهيب!
إلى أين ذهب إنليل سيدك؟»
75 أجابها إنليل منتحلاً دور البوّاب:
ـ «مليكي لم يحطني علماً (؟)!
إنليل لم يخبرني! [...]
(تم إهمال سطرين غير صالحين)
80 هذا كل ما قاله لي إنليل ملك العالم!»
ـ إذا كان إنليل ملكك، فأنا ملكتك
ـ «بما أنك ملكتي (أجاب)،
دعيني أَلْمس .... كِ»
ـ «أنا من حَملتُ البذرة في أحشائي
بذرة سيدك المجيدة
حملت في أحشائي بذرة سين المجيدة!»

85 عندئذٍ أجابها:
«بذرة مليكي تصعد نحو الأعلى
وبذرتي سوف تستقر في الأسفل.
في مكان بذرة مليكي،
بذرتي سوف تستقر في الأسفل!»
عندئذٍ، دخل إنليل مُتّخذاً مظهر البواب
غرفة المضاجعة،
حيث ولج ننليل وجامعها
ولدى ولوجها ومجامعتها
90 سَكَب في أحشائها بذرة
نرچال ـ مسلامْتاإيا[1]
استمر إنليل بعد ذلك في طريقه.
لكن ننليل كانت تتبعه
عاد نونّامنير للمسير. لكن ننليل كانت تتبعه.
والتقى إنليل
برجل ـ نهر ـ العالم السفلي، مفترس البشر
«يا رجل ـ نهر ـ العالم السفلي، مفترس البشر (قال له)،
95 سوف تأتي سيدتك ننليل،
إذا ما سألتك عنّي
لا تقل لها من أنا!»
وعندما (قالت ننليل) معتقدةً أنها تتوجّه
إلى رجل ـ نهر ـ العالم السفلي، مفترس البشر:
«يا رجل ـ نهر ـ العالم السفلي، مفترس البشر

---

(١) (Nergal-Meslamtaéa) وهو الإله الذي سيصبح سيد العالم السفلي فيما بعد، بزواجه من إيريشكيچال (Ereshkigal) ملكة العالم السفلي.

100 إلى أين ذهب إنليل، سيدك؟»
أجابها إنليل منتحلاً دور رجل ـ نهر ـ العالم السفلي
«مليكي لم يُحطني عِلماً (؟)!
إنليل لم يخبرني! . . .

(أهمل سطران غير مقروءين)

106 هذا كل ما قاله لي إنليل، ملك العالم!»
ـ «إذا كان إنليل ملكك فأنا ملكتك»
ـ «بما أنك ملكتي
دعيني ألمس . . . . كِ!»
ـ «أنا من حملتُ البذرة في أحشائي
بذرة سيدكَ المجيدة
110 حملت في أحشائي بذرة سيدك المجيدة!»
عندئذٍ أجابها:
«بذرة مليكي تصعد نحو الأعلى
وبذرتي سوف تستقر في الأسفل.
في مكان بذرة مليكي،
بذرتي سوف تستقر في الأسفل!»
عندئذٍ، دخل إنليل متخذاً مظهر
رجل ـ نهر ـ العالم ـ السفلي غرفة المضاجعة
حيث ولج ننليل وجامعها.
ولدى ولوجها ومجامعتها
115 سكب في أحشائها بذرة نين ـ آزو[١]

(١) (Ninazu) إله في العالم السفلي.

سيد الإيجيدّا[1]

استمر إنليل بعد ذلك في طريقه

لكن ننليل كانت تتبعه

عاد نونّامنير للمسير، لكن ننليل كانت تتبعه.

التقى إنليل بسيلوليم نوتي العالم السفلي

120 «أي سيلوليم النوتي (قال له إنليل):

ننليل سيدتك سوف تأتي

إذا سألتك عنّي

لا تقل لها من أنا!»

وعندما (قالت ننليل) معتقدة أنها تتوجّه

إلى سيلوليم (؟) النوتي:

125 ـ «سيلوليم يا أيها النوتي

إلى أين ذهب إنليل سيدك؟»

أجابها إنليل منتحلاً دور سيلوليم:

ـ «مليكي لم يخبرني

لم يحطني عِلماً؟!...

(سطران مشوهان)

132 هذا كل ما قاله لي إنليل ملك العالم!»

ـ «إذا كان إنليل ملكك، فأنا ملكتك»

ـ «بما أنكِ ملكتي

دعيني ألمس ... كِ!»

135 ـ «أنا من حملت البذرة في أحشائي

بذرة سيدك المجيدة!

---

(١) (E.gid.da) مقرّ نين ـ آزو ومعناه البيت المستطيل.

حملت في أحشائي بذرة سين المجيدة!»
عندئذٍ أجابها:
«بذرة مليكي تصعد نحو الأعلى
وبذرتي سوف تستقر في الأسفل.
في مكان بذرة مليكي
بذرتي سوف تستقر في الأسفل!»
دخل إنليل عندئذٍ، متّخذاً مظهر
سيلوليم، غرفة المضاجعة
140 حيث ولج ننليل وجامعها
ولدى ولوجها ومجامعتها
سكب في أحشائها بذرة إنبيلولو[1]،
الوكيل المسؤول عن الأقنية!

تمجيد الختام

هو أنت الإآله، هو أنت الملك!
أي إنليل، هو أنت الإآله، هو أنت الملك!
145 يا نونّامنير (هو أنت) الإآله، أنت الملك!
الإله المطلق القدرة! الإآله الأكثر سمواً!
الإله الذي يجعل الزروع تنمو
ويُنبت الشعير
سيّد السماء! الإآله الذي ينتجُ الكثرة!
سيد الأرض،
سيد الأرض، الإآله الذي ينتج الكثرة!
سيد السماء

---

(١) (Enbilulu).

150 إنليل الإله! إنليل الملك!

الإلّه ذو الأوامر التي لا مردّ لها،

ذو الأوامر التي لا تستبدل!

لأنك أكرمت ننليل الجليلة

لك الحمد، يا إنليل الممجّد.

(٣) ـ زواج إنليل من سود الجميلة

هذه القصيدة المتعلقة بغراميات إنليل، تختلف تماماً عن سابقتها، فهي تروي قصة فتاة خلاّبة أثارت إعجاب إنليل، بعد أن اجتاز بلاد سومر كلها مفتّشاً عن زوجة. ونظراً لبراءتها وعفّتها يضطر إنليل إلى توجيه رسوله إلى والدتها لطلب يدها رسمياً، محاولاً التكفير عن خطئه لأنه اعتقد حين التقى بها للمرة الأولى على باب بيت أمها أنها كانت من بنات الهوى وهي في الحقيقة ابنة العائلة الحاكمة في مدينة إيريش[1]، أمّها الإلّهة نيسابا[2] وأبوها خايا[3]. وبأسلوب شيّق تسرد لنا هذه القصيدة قصة الخطوبة وهدايا العرس ودور أخت العريس ومن ثم تقرير مصير العروس سود التي تحوز بعد زواجها على لقب ننليل المشتق من إنليل وتسند إليها مهامّ عِدّة.

نُشرت هذه القصيدة للمرة الأولى في عام ١٩٦٧ عن حوالي عشرين لوحة بابلية ـ قديمة، أو جزء من لوحة، (تعود إلى حوالي ١٩٠٠ ق. م) عثر عليها في نفّر. وعن أربع لوحات آشورية ـ حديثة احتوت على النص باللغتين السومرية والآكادية. وهو يتألّف من ١٧٥ سطراً.

حيث ترعرعت سود

1 [نيسابا السيدة][4] التي تشغل دوماً [الـ. . .]،

السيدة المدهشة الخلاّبة

[عندما سكب بعلها] النبيل، سليل [. . .]

نظير آن وإنليل

[عندما] خايا الـ [. . .] سكب في حجرها

ماءَه المقدس

---

(١) (Eresh) مدينة سومرية قديمة.

(٢) (Nisaba) اشتهرت بأنها كانت تشرف وترعى فن الكتابة ونسبت إليها أيضاً رعاية الولادة.

(٣) (Haia).

(٤) (Nisaba) والدة سود (انظر المقدمة) ومدينتها إيريش (Eresh).

وَلَدَتْ نونْبار ـ شيغونو[1] [ابنتها سود]

كما يُقتضى.

5 حملتها بين ذراعيها وأرضعتها

أفضل ما في ثدييها

إلى أن أصبحت [سود] الفتاة الفاتنة

الخلاّبة

سود تثير إعجاب إنليل

في يوم من الأيام، أمام [مدخل (؟)] البيت

(بيت أمها)،

عند بوّابة الإيزاجين[2]،

وقفت [سود] مثيرة إعجاب الجميع

كبقرةٍ كريمةِ الأصل، رائعة الجمال.

وفي ذلك الزمان، لم تكن لإنليل بعد

أية زوجة في الإيكور[3]

10 وفي الكي ـ أور[4] لم يكن اسم ننليل قد تمّ لفظه قطّ.

بعد أن اجتاز بلاد سومر كلها

حتى طرف العالِم (تفتيشاً عن زوجة)

توقف إنليل، الجبل الكبير[5] خلال سعْيه

عند مدينة إيريش[6]

---

(١) (Nunbarshegunu) لقب نيسابا والدة سود.

(٢) (Ezagin) بيت سكن سود وقد يكون المعبد في إيريش.

(٣) (Ekur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد الإلّه إنليل في مدينة نفّر.

(٤) (Kiur) وهو الجزء من المعبد بصورة عامة وبشكل خاص جزء من معبد الإيكور في نفّر حيث يسكن الإلّه.

(٥) الجبل الكبير هو لقب إنليل ومعبده الإيكور هو بيت الجبل.

(٦) (Eresh) المدينة التي كانت نيسابا إلّهتها ويعتقد أنها تقع إلى الجنوب من نفّر.

هنا، عندما ألقى (إنليل) نظرةً حوله،
اكتشف امرأة قلبه!
اقترب منها بكل سعادة، توجّه إليها،
15 متشهّياً: سوف أغمرك بالرداء الملكي،
وبعد ممارستك الشارع[1]، سوف تصبحين [زوجتي (؟)]
فُتنتُ بجمالك دون تردد
حتى لو لم تكوني ذات مقام.
وعلى الرغم من حداثتها وبراءتها، ردّت
سود على إنليل (قائلة):
بما أنني أقف ببساطة وشرف أمام باب بيتنا
لماذا تلوث سمعتي هكذا؟
ماذا تريد مني، لماذا تعرّضت لي؟
20 أيها الشاب، لقد انتهى حديثنا
أغرب عنّي.
[كثيرون غيركَ] حاولوا قبلك خداع أمّي
لكنّهم زادوها نفوراً.
إنليل توجّه إلى سود مرة ثانية
بعد أن ناداها واقترب منها:
«حسناً! عليّ أن أكلمك وأن أتناقش معك
هل تريدين أن تكوني زوجتي؟
25 قَبّليني يا حبيبتي، يا ذات العينين الفاتنتين
ثم قرّري!»
وما أن خرجت تلك الكلمات من فمه
حتى أوصدت سود البابَ في وجهه.

---

(١) الوقوف في الشارع على باب البيت أو المعبد جعل إنليل يعتقد خطأً أن سود كانت إحدى مومسات المدينة.

إنليل يبعث برسوله لوالدة سود

لدى عودته إلى مقرّه شديد التأثر،
اتّضح له الأمر، فأطلق السيد نداءه:
«أسرِعْ يا نوسكا[١]! أطلب منك أن تسرع!
إليك تعليماتي:
توجّه مسرعاً إلى إيريش، ذات الأسس القديمة،
مدينة نيسابا
30 وأمامها، كَرِّرْ دونما تأخير ما سأقوله لك:
«عازب أنا، وأعلمك عن رغبتي
في الرسالة التالية:
أريد أن أتزوج ابنتك: امنحيني
موافقتك!
أرسل إليكِ هذه الهدايا الشخصية.
وتقبّلي أيضاً، هداياي من أجل العرس.
أنا إنليل، وليد آنشار[٢] ذي الجلال الرفيع،
ملك السماء والأرض!
35 سوف أطلق على ابنتك اسم ننليل
وسوف يعرفها (هكذا) العالم بأجمعه!
أمنحها كل ثروات الغاشيشّوا[٣]
وسوف أقدّم لها الكي - أور مسكناً،
سوف تعيش معي في كي - أور
القصر المجيد،
ومعي سوف تقرّر المصائر

---

(١) (Nuska) خادم إنليل ورسوله.
(٢) (Anshar) والد إنليل أو أحد أجداده.
(٣) (Gashishua) خزائن ثروات إنليل (؟).

وسوف توزع القدرات بين الآنونا

الآلهة ـ العظام!

40 أما أنتِ، فسوف أعهد إليك بحياة

ذوي الرؤوس السوداء[1]!

عندما تصل إلى هناك يا نوسكا،

فإن الفاتنة التي اختارها قلبي

سوف تقف إلى جانب أمّها:

لا تقترب منها وأنت فارغ اليدين:

بيدِك اليسرى، قدم لها هذا الكنز!

إعمل بهمّة، وانقل لي جوابها في أسرع وقت!»

نوسكا ينفّذ الأوامر

عندما تلقّى نوسكا، رئيس الحفل،

أوامر إنليل

45 بسرعةٍ [سلك طريقه]، وصل إلى إيريش

ودخل إلى الإيزاجين، مقر نانيبغال[2]

[هنا (؟)] سَجَد أمامها وهي جالسة

على عرشها،

ثم وقف رسول إنليل،

فسألته أن يعلن رسالته

(الأسطر (٤٩ ـ ٥٩) غير صالحة أو مفقودة وهي تسرد بدون شك ما نقله نوسكا على لسان إنليل).

---

(١) تسمية شعرية تطلق على سكان سومر.

(٢) (Nanibgal) لقب نيسابا والدة سود.

60 عندما كرّر (هذه الكلمات)
توجهت نانيبغال، بكل لياقة إلى الرسول:
أيها المستشار الجدير بملكه،
الساهرُ دوماً على تنفيذ أوامره،
لا أحد مثلك يستطيع كل يوم،
تقديم آرائه للجبل الكبير!
ليس لدي ما أقوله حول طلب الملك
الذي تلقته خادمتك،
إذا ما كان كلامك صادقاً ـ
ولم تكذب قط.
65 كيف يمكنني ردّ من يمنحني نعماً
رائعة كهذه؟
رسالة بيتكم، تدخل البهجة إلى قلوبنا
وإلى أرواحنا، ونحن
نَرَى أن إيضاحات كافية قد قُدِّمت إلينا
كما أن الإهانة محتها هدايا العرس
والهدايا الشخصية!
قل له إذن: «سوف أكون حماتك!
فلتتحقق أمنيتك!»
أَجِبْ إنليل، الجبل الكبير:
«فلتتحقّق أمنيتك!»
70 «لتأتِ أختَك آرورو[1] إلى هنا: فسوف أترك

---

(١) (Aruru) أخت إنليل والإلّهة المشرفة على الولادة.

لها مكاني! سوف أعاملها ككنّتي،
وسوف تكون لها اليد الطولى على كامل بيتي!
هكذا سوف تكلّمُ سيدكَ في كي ـ أوره العظيم:
سوف تكرر كل ذلك على مسامع إنليل
في سرّية غُرفتِهِ المقدّسة!»
وبعد أن أعطت نيسابا الكريمة الأصل، في
معبدها الجليل، أوامرها إلى الرسول
75 طلبت بعد ذلك كرسيَّ شرفٍ وأجلست عليه نوسكا
وأعدّت له مأدبة مُبْهجة (شهية) [. . .]
نادت نانيبغال ابنتها وأبلغتها (قولها):
«يا صغيرتي [. . .] من النوم في البيت [. . .] المقدّس
أجنحة السَكَنِ الخاصة، أكثر ملاءمةً لك!
من الآن فصاعداً سوف يمكنك (؟) الابتعاد
عن مقرّ ـ حكمةِ ـ نيسابا».
80 نوسكا الفطِنُ والمقتدر، أنجز مهمته على أحسن وجه
إذهبي [فوراً (؟)] للقائه، واسكبي له شراباً.
[تلبيةً لرغبة أمها]،
غسلت سود يديها وقدّمت له الكأس،
عند ذلك، وبيده اليسرى، قدّم لها الرسول الكنز،
كدّسه أمامها.
85 وقَبِلت [سود] الهدايا باحتشام!
[ثم قام نوسكا] آخذاً طريق عودته إلى نفّر.

عودة الرسول إلى نفّر

[لدى وصوله (؟)] أمام إنليل، سجد وقبّل الأرض
[كرّر له] عند ذلك [حرفاً حرفاً]

ما قالته السيدة العظيمة:
90 «أيها المستشار الجدير بملكه،
الساهر دوماً على تنفيذ أوامره،
لا أحد مثلك يستطيع كل يوم
تقديم آرائه للجبل الكبير!
ماذا أقول عن طلب الملك
الذي تلقته خادمتك.
إذا ما كان كلامك لي صادقاً ـ
ولم تكذب قط! ـ
كيف يمكنني رفض من يمنحني نعماً
رائعة كهذه؟
95 رسالة بيتكم، تدخل البهجة إلى قلوبنا
وإلى أرواحنا، ونحن
نرى أن إيضاحات كافية
قد قُدِّمت إلينا
كما أن الإهانة محتها هدايا العرس
والهدايا الشخصية!
قل له إذن: «سوف أكون حماتك!
فلتتحقق أمنيتك!»
أَجِب إنليل، الجبل الكبير:
«فلتتحقق أمنيتك. . !»
«لتأتِ أختك آرورو إلى هنا: فسوف أترك لها مكاني!
100 سوف أعاملها ككنّتي
وسوف تكون لها اليد الطولى على كامل بيتي!
هكذا سوف تكلّم سيدك في كي أوره العظيم:
سوف تكرر كل ذلك على مسمع إنليل
في سِرِّية غرفته المقدّسة!»

يبتهج قلب إنليل ويعدّ للعرس

أراح هذا التقرير خاطر إنليل

وأدخل فرحاً كبيراً إلى قلبه.

فأصدر عند ذلك أوامره،

ومنذ البلد المرتفع، لكي تتوافد الحيوانات

105 من ذوات القوائم الأربع، من العنزيات إلى الحمير

التي تتكاثر بحرّية في السهوب

وترتاد الجبال، لتُختارَ كثرة:

ثيران وحشية، أيائل، فيلة، ظباء، غزلان،

دببة، خرفان وأكباش وحشية،

وِشْقّان، ثعالب، قطط بريّة، فهود

أُرويّات، جواميس ماء، قرود،

ثيران بَحَاتر ثقيلة القرون خائرة.

110 بقرات ترافقها عجولها، مواشٍ برية

ذات قرون ضافية، تجرّها أرسان ثمينة،

نعجات مع حملانها، أعْنُزٌ مع جدياتها

تنطنط وتتصارع فيما بينها،

جديان ذات عُثنونٍ طويل

تقرع الأرض بحوافرها،

حِملان [...].

خِراف جديرة (بمائدة) الملك

كل هذا أسْرَعَ إنليل بإرساله إلى إيريش.

أَجبانٌ دسمة، أجبان مُضمّخة بالأَريج النباتي،

أجبان صغيرة، [...]،

115 ألبان من كل الأنواع، [...]،

عسل أبيض، عسل مقسّى، [...] الأكثر حلاوة،
[...] عريضة وسميكة:
أرسلها إنليل إلى إيريش.
[...]، التمور، التين، الرمان الثقيل، [...]،
الكرز، الخوخ، جوز «الخلوب»[1] الفستق، تمر البلوط،
120 سِلال من تمور بلاد دلمون في أقراطٍ داكنة اللون،
الرمّان ذو الحب العريض
العناقيد المثقلة بباكورة العنب،
الثمار المستجلبة وهي على أغصانها،
فروع الأشجار المثمرة [...] الشتوية،
ثمار البستان المختلفة:
أسرع إنليل بإرسالها إلى إيريش،
أحجارٌ كريمة (؟) من «خَرَالي»[2] البلد النائي،
[...] مأخوذة من مستودعات [...]
125 الياقوت الأصفر، الذهب، الفضة، [...]،
مستخرجات البلد المرتفع:
أسرع إنليل بإرسالها جميعاً في أحمالٍ ثقيلة إلى إيريش

أخت إنليل ونوسكا رسوله يرافقان القافلة

نينماخ[3] ورسول إنليل، رافقا،
الهدايا الشخصية والثروات التي أرسلها.
عالياً في السماء، ارتفع غبار قافلتهما
وكأنه الغيم الكثيف الماطر،

(١) (Ḫalub) وردت سومرياً وفق هذا اللفظ.
(٢) (Ḫarali) البلد النائي (؟).
(٣) لقب آرورو أخت إنليل ومعناه السيدة ذات السمو.

130 وقبل أن تصل هدايا العرس التي لا حصر لها
إلى نانيبغال في إيريش،
امتلأت بها المدينة حتى الطفحان،
حتى تدفق [. . .]
الدروب الأكثر انعزالاً [. . .]
أكداس الـ [. . .]
(الأسطر (١٣٣ ـ ١٣٦) غير مقروءة وغير قابلة للاستثمار).

تمنيات نيسابا لسعادة ابنتها سود

137 عَامَل نوسكا بكل لياقة
نايبغال، حماة إنليل
التي سبق أن أهانها هذا الأخير.
ولكن دون أن تعير اهتماماً لنواياه،
توجّهت السيدة إلى ابنتها (قائلة):
«سوف تكونين إذن زوجة إنْليل المفضّلة
آمل أن يعاملك بجدارة!
140 أن يحتفظ بك بين ذراعيه، أنت الأجمل بين الفتيات،
وأن يقول لك: «حبيبتي!
دعيني آخذ جَسَدك!»
لا تنسي المداعبات (الغرامية)!
دعي زَمَنها يَطُلْ كثيراً!
تَجَامَعَا على الرابية:
أنجبا أولاداً!
ليسبقكِ الرخاء، لدى دخولك إلى بيته لتعيشي
ولترافقك البهجة!
وليرسمَ لك الشعبُ بكامِلهِ طريقكِ

ولـ [. . .] الشعب من تلقاء نفسه!

145 ليتحقق المصير الذي قدَّرتهُ لك:

أدخلي بإباء البيتَ الجليل!»

آرورو ترافق سود إلى عريسها

أمسكت آرورو بيد سود

وأدخلتها في الإيكور البراق[1]

نثرت على وجهها العطور الأكثر طيباً!

وفي غرفة العروسين، وفوق فراشٍ تزينه الزهور

معطّرٍ وكأنه غابة أرز،

جَامَعَ إنليل زوجته، وتنعّم بلذةٍ فائقة!

150 ثم من على عرش سيادته،

إنتصب واقفاً لكي يبارك زوجته.

هكذا قرر الإلّه ذو الكلمة (المقدّسة)

مصير السيدة التي اختارها قلبه،

أطلق عليها اسم نينتو:

«السيدة التي تلد»

وفي الوقت نفسه «السيدة التي تفتح فخذيها ركبتيها!»

(للولادة)

عهد [. . .]

عهد إليها كذلك بوظائف الأمومة

وكل ما يرتبط بالمولّدات

اللاتي يجب ألاّ يَراهُنّ أي رجل (أثناء عملهن)!

155 أولاها المكانة المعدّة لها وفقاً لتلك الصفة،

علوّ الشأن والحظ:

«من الآن فصاعداً (هكذا قال) سوف تصبح

---

(١) معبد إنليل في نفّر ومعناه بيت الجبل.

هذه المرأة [. . .]

هذه المرأة التي أتت من مكان آخر

سوف تكون سيدة بيتي!»

إنليل يعهد إلى سود حماية الزراعة

زوجتي الفاتنة الجمال، التي ولدتها نيسابا المقدّسة

سوف تكون أيضاً أشنان[1]:

الحَبُّ ـ الذي ـ يَنبت، حياة سومر!

عندما تظهرين بين الأثلام،

وكأنك فتاة جميلة

160 سوف يهتم بك إيشكور[2]، سيد المياه

وسوف يُسيِّل لك المياه المسحوبة من الأرض!

أول كتّانك وأولى سبلاتك،

سوف يجدّدان بداية السنة!

{أنا وأنتِ، سوف ننجب من الأولاد

العدد الذي نريد،

مع عدوٍ وحيد، عدوّ لن أتلفّظ باسمه

والذي سوف يتناقص عدد أتباعه!}[3]

ومع ذلك فإن الحصاد، العيد الكبير لإنليل

سوف نحتفل به بكل فخرٍ تحت السماء!

إنليل يعهد لسود كذلك حماية فن الكتابة

165 وبالإضافة إلى ذلك، فإن فنّ الكتابة

---

(١) (Ashnan) إلّهة الحبوب مثال (Céres) سيريس الرومانية.

(٢) (Ishkur) الإلّه المكلف بالري.

(٣) أوْرَدَ الناسخ خطأً هذا المقطع الذي لا علاقة له بالنص.

والألواح تزيّنها الإشارات،
القلم وحاملة ـ الألواح،
المحاسبة وعلم الحساب وحبل المساحة
وال [. . .]
أوتاد القيّاس، شريط القياس
وتثبيت التخوم، وتخطيط
الأقنية والسدود.
كل ذلك سوف يكون من اختصاصك! وسوف
يقابلك المزارعون بالمثل تبعاً لمكاسب حقولهم!

إنليل يطلق على سود اسم ننليل

أيتها المرأة التي يُفتخر بها،
أنت أكثر علواً من الجبال.
لك سيادة تحقيق كل ما ترغبين!
170 من الآن فصاعداً، يا سود، ولأن الملك هو إنليل
فإن ننليل سوف تكون الملكة:
إلّهة دون مجد أصبح لها اليوم اسمٌ شهيرٌ!
سوف توزع المراعي (؟)
بينما ال [. . .]، سوف يقدمون لها
القرابين المستمرة:
ولكل من يعتني بها [. . .]،
سوف تقرّر له مصيره
وفي كل مرة تقدم الهدايا إلى معبد نفّر،
175 سوف يتعالى فيه ذلك الهتاف المقدس!
المجد لإنليل وننليل!

(٤) ـ أنكي ونينماخ:
المنافسة

يشير هذا النص، الذي ليس من السهل فهم جميع معانيه ومدلولاته إلى موضوعات مهمّة، كوضع الآلهة قبل خلق البشر وما سوّغ بعد ذلك خلق البشر أو صناعة البشر لأن عملية الخلق تمّت كأنها صناعة تستعمل قالباً من الصلصال تصوّره أنكي[١] الإلّه الذكي والحكيم والفطن والماهر في التصوّر والصنع وذلك بناء على طلب أمه نامّو[٢] الأم البَدْئية، أمّ الآلهة جميعاً. ويشير النص إلى دورٍ مهمّ لكل من الإلّهة ـ الأم نامّو ونينماخ[٣] قرينة أنكي وسبع مساعدات من الإلّهات الثانويات للإشراف على الولادة أو لإعارة الرحم. ولا يفصّل النص هذا الدور مع الأسف وينتقل بعد ذلك إلى نوع من النقاش والمنافسة بين أنكي ونينماخ في تقرير مصير ووسائل معيشة خلائق غير مكتملةً أو مشوهة أو ذات عاهة ويحاول النص عرض بعض الحلول لتلك الحالات التي عرفها البشر...

يتألف النص من ١٤١ سطراً، ويمكن إعادته بالنسبة للغته ومفرداته إلى مرحلة تأليف متأخرة (بابلية قديمة: حوالى ١٩٠٠ ق. م).

حالة الكون العامة قبل خلق البشر وشكوى الآلهة

1 في تلك الأيام، عندما، كان ما في الأعلى وما في الأسفل[٤]
قد تمّ [فصلهما].
في تلك الليالي، عندما، كان الأعلى والأسفل
قد تمّ [تفريقهما]
في تلك السنة، عندما كانت مصائر (الآلهة)
قد قُرّرت،
عندما جيىء بالأنونّا إلى الوجود في العالم

(١) (Enki) إلّه المياه السفلية العذبة حاملة الأرض وإلّه الذكاء ومهارة الصنع.
(٢) (Nammu) والدة أنكي الأم البدئية.
(٣) (Nin-maḫ) قرينة أنكي ومعنى اسمها السيدة الفائقة السمو.
(٤) في السماء وعلى الأرض..

5 والإلّهات عندما تمّ الاقتران بهنّ (؟)

وأخذت كل منهن نصيبها:

من هنّ في الأعلى ومن هنّ في الأسفل،

وكان قد تمّ إخصابهن وكنّ

قد أصبحن أمّهات.

وحين كان يتوجب على الآلهة الاستحصال على طعامهم

عمدوا إلى العمل جميعهم (؟):

وآلهة المرتبة الثانية كُلّفوا بأعمال السخرة

10 فحفروا الأقنية وكدّسوا التربة

وكانوا يقومون بطحن الحبوب:

ولكنّهم كانوا يشتكون من سوء مصيرهم

بينما كان «الذكاء ـ الخارق»

صانع (؟) جميع الآلهة العظام

(بينما كان) أنكي في عميق (مقرّه) إنجور الجيّاش[١]

حيث لا يمكن لأي إلّه إلقاء نظرة عليه

كان دائم الاسترخاء على فراشه:

لا يتوقف عن النوم!

15 والآلهة تستمر في الأنين والاعتراض:

«إنه هو سبب شقائنا

هو الذي يبقى مستلقياً (على فراشه) للنوم

ولا يغادره قط!»

فكرة إيجاد من يعمل عوضاً عن آلهة السخرة

عند ذلك (نقلت) نامّو الأم البَدْئية

---

(١) (Engur) مقر أنكي في الأبسو (Apsu) وهو محيط المياه الحلوة حيث تطفو الأرض.

مولِّدة الآلهة جميعاً،
نقلت لابنها أنكي الشكاوى (قائلة):
«أنت تبقى مضّطجعاً، لتغرق
20 دون انقطاع في نومك.
لكن الآلهة، الذين ولدتُهم أنا، يتّهمون!
غَادِرْ فراشك يا بني،
ومارس مواهبَك بذكاء
لتصنعَ من يحل محل (؟) الآلهة
لكي يتوقفوا عن العمل!»

أنكي ومشروع خلق البشر

لدى استماعه كلمةَ أمهِ نامّو
غادرَ أنكي فراشه
25 وبعد أن قام [. . .]
الذكي والحكيم والفطن [. . .] والماهر
صانع كل شيء، (قام) بإعداد قالب[1]
وضعه بالقرب منه ودرسه بإمعان
وعندما توصّل أنكي الصانع بشكل طبيعي،
توصل إلى إنجاز مشروعه بدقة (؟)
توجّه عند ذلك إلى أمه نامّو:
30 أماه، المخلوق الذي فكّرتِ به
هو ذا جاهز للقيام بالعمل من أجل الآلهة!
عندما تعمدين إلى عزك كتلة
من الصلصال تَستخرجينها من ضفاف الأبسو

(١) ما يماثل النموذج الأوليّ في الصناعة.

سوف نعطي شكلاً (؟) لصلصالِ ذلك القالب (؟)

وعندما ترغبين أنتِ بنفسك

أن تصنعي له «طبيعَةً» (؟)[١]

سوف تساعدك نينماخ[٢]

وكذلك نين إيمّا وشوزيانّا ونينمادا ونينبارا

35 ونينموج ومُسارجابا ونينجونا[٣]

سوف يكنّ مساعداتٍ لك!

تقرّرين له بعد ذلك مصيره يا أماه

وتعين له نينماخ مهمة العمل من أجل الآلهة!

الأسطر (٣٨ ـ ٤٣) مبتورة وغير مفهومة. ويعتقد أنها كانت تشير إلى عملية خلق البشر التي تمّ تصورها على طراز ولادة بني البشر.

44 وسُرّ أنكي من عملهنّ

وابتَهجن بدورهن!

45 وبسرعةٍ أعدّ احتفالاً

تكريماً لأمه نامّو ولنينماخ!

إلى نامّو (؟) المكلّفة بالقالب الأوليّ (؟)

قدّم طعام الجوساج[٤] عوَضاً عن الخبز

وإلى آن، وإلى إنليل قدّم الإله نوديمّود[٥]،

قدّم جِدياناً مشوية رائعة!

وجميع الآلهة احتفلوا به (معلنين):

---

(١) الكلمة السومرية تعني حرفياً: أعضاء الجسم أو أطرافه.

(٢) (Nin-maḫ) السيدة الفائقة ـ السمو وهي قرينة أنكي.

(٣) الإلّهات: (Nin-imma) و (Suzianna) و (Ninmada) و (Ninbara) و (Ninmug) و (Musargaba) و (Ninguna) وعددهنّ سبع، هنّ الإلّهات الثانويات وكانت مُهمتهنّ الإشراف على الولادة أو إعارة الرحم.

(٤) (Gusag) بديل عن الخبز لا يعرف معناه.

(٥) (Nudimmud) لقب الإلّه أنكي.

«يا مالك مَهارة الصنع الأكثر اتساعاً
من ذا الذي يزيدك فِطنةً؟
50 أنكي، أيها الإله العظيم، من ذا الذي يستطيع
محاكاة نجاحاتك؟
كأب وكموَلِّد أنت الذي [...] العالم!»

نينماخ تتحدّى أنكي أثناء الاحتفال

وبعد أن كان أنكي ونينماخ
قد استهلكا كمية وافرة من الجعة
وملأت النشوة قلبيهما
قالت نينماخ لأنكي:
«طبيعة (؟) البشر قد تكون حسنة، وقد تكون سيّئة
55 وأظن أن بمقدوري أن أعين لهم، حسب رغبتي
مصيراً حسناً أو سيئاً!»
فأجاب أنكي نينماخ:
«نعم أنا باستطاعتي تصحيح
هذا المصير الذي تختارين سواء أكان حسناً أم سيّئاً!»
أخذت نينماخ عند ذلك الصلصال من ضفاف الأبسو
والإنسان الأول الذي شكلته به،
لم يكن يستطيع إمساك أيّ شيء بيديه المتصلبتيّ المفاصل
60 لكن أنكي، أمام هذا الإنسان غير القادر
على إمساك أي شيء بيديه المتصلبتين،
عيّن له مصيراً أن يدخل في خدمة الملك!
أما الإنسان الثاني فقد كان ضريراً
غير قادر على الرؤية.
ولكن أنكي أمام هذا الإنسان الضّرير

غير القادر على الرؤية
عيّن له فن الغناء مصيراً
65 وجعل منه المنشد الأول لأوشومجال[١]
أمام الملك!
أما الإنسان الثالث الذي صنعته [. . .]
(كان) مشلول الساقين.
ولكن أنكي أمام هذا الرجل [. . .] المشلول الساقين
عيّن له شيئاً من البهاء الخارق للطبيعة
كما لو كان ذلك لـ [. . .] من الفضة!
والرابع الذي صنعته، لم يكن بمقدوره الاحتفاظ
بمنيّه (كما ينبغي)
70 ولكن أنكي، أمام هذا الرجل الذي لم يكن
بمقدوره الاحتفاظ بمنيّه
شَفَاهُ باغْتسالٍ مع تَعْويذٍ خاص.
والخامس الذي صنعته كان امرأة
غير قادرة على الإنجاب
ولكن أنكي أمام تلك المرأة
التي لا تقدر أن تنجب
عين لها مصيراً، أن تبقى في «بيت الحريم»[٢]
75 الإنسان السادس (الذي صنعته) لم يكن له لا قضيب ذكر ولا فرج أنثى
ولكن أنكي أمام هذا الإنسان الذي
لم يكن له قضيب ذكر أو فرج أنثى

(١) (Ushumgal) التسمية السومرية للتنين وهي صفة من صفات ملك الآلهة على ما يظهر تستعمل للتفخيم.
(٢) قد يعني ذلك: الماخور أو بيت المومسات.

أطلق عليه تسمية إنليل ـ كيجال (؟) وعيّن له مصيراً
أن يبقى تحت تصرّف
من سَيُعيّنه إنليل ملكاً!
وهكذا تمكّن أنكي من «وضع القمين (؟) أرضاً (؟)»
وتصرّف بموهبة (فذّة) (؟)

80 والإله العظيم أنكي قال عندئذٍ لنينماخ:
«عيّنت مصيراً لكل من صنعت
ومنحتهم وسيلةً لمعيشتهم!
سوف أصنع بدوري (مخلوقاً):
وعليكِ أنتِ كذلك تعيين مصيرٍ له!»
قام أنكي إذن بصنع ما يشبه الرأس (؟) [. . .]
مع فمٍ (؟) في الوسط (؟)
وقال لنينماخ:

85 «المنيّ حين سُكبَ في أحشاء
امرأة جعلها حاملاً!»
وساعدت نينماخ على الولادة:
فوضعت المرأة شيئاً يُشبه الرأس (؟) [. . .]
مع فمٍ (؟) في الوسط (؟)
وأصبح بعد ذلك ما يسمى «أومول»[1]: رأس خامد،
[. . .] خامد،
نفس قصير، قفص صدر غير مكتمل (؟) وزوْر خامد
وقلب خامد وبطن خامد،

90 ويدان غير قادرتين على الإمساك بالرأس وعلى تغذية الفم،
وصلب يُحنى بصعوبة،

---

(١) بالسومرية (Umu-ul) ومعناه «يومي بعيد»، وهو المخلوق الغريب الشكل الذي صنعه أنكي.

وكتفان منهارتان، ورجلان غير قادرتين على السير حافيتين (؟)!
وتوجّه أنكي إلى نينماخ (قائلاً):
«عيّنتُ مصيراً لكل من صنعتِ
ومنحتهم وسيلة لمعيشتهم:
وأنت بدورك عيّني مصيراً لما صنعت
وامنحيه وسيلةً لمعيشته!»

نينماخ تفشل

95 استدارت نينماخ عندئذٍ نحو «الأومول» وتأملته
اقتربت منه ونادته
ولكنه لم يستطع الإجابة
قدّمت له خبزاً
ولكنه لم يستطع تناوله:
لم يكن قادراً على [. . .]
إذا كان واقفاً، لم يكن قادراً على الجلوس أو الاستلقاء،
وكان غير قادر أن يعدّ لنفسه مأوى أو غذاءً!
100 ولذلك فقد أجابت نينماخ أنكي:
«إن ما صنعته هنا ليس بالحيّ ولا الميت،
إنه غير قادر على عمل أي شيء!»
ولكن أنكي ردّ على نينماخ:
«للرجل ذي اليدين المتصلبتين، عيّنت مصيراً
ومنحته وسيلة لمعيشته!
للرجل الضرير، عيّنت مصيراً
ومنحته وسيلة لمعيشته!
105 للرجل ذي الساقين المشلولتين عيّنت مصيراً
ومنحته وسيلة لمعيشته!

للرجل الذي كان يفقد منيّه، عيّنت مصيراً

ومنحته وسيلةً لمعيشته!

للمرأة غير القادرة على الإنجاب، عيّنت مصيرها

ومنحتها وسيلة لمعيشتها!

للمخلوق بدون قضيب ذكر ولا فرج أنثى عيّنت له مصيراً

ومنحته وسيلةً لمعيشته

والآن أيتها الأخت، [عيّني إذن مصيراً

لما صنعتُ وامنحيه وسيلة ليعيش!]»

السطران (١١٠ و١١١) مفقودان.

112 نينما [خ، أجابت عندئذٍ أنكي (؟)]:

الأسطر (١١٣ ـ ١٢٢) التي كان حتماً يُتابَع النقاش من خلالها، تلقي بفقدانها غموضاً على النص مؤسفاً.

والأسطر (١٢٣ ـ ١٢٨): من الصعب تفهم كامل معناها ويُعتقد أنها تسرد شكوى نينماخ لأنكي بأنها تركت مدينتها ومعبدها بسبب الهجوم عليهما واضطرت للالتجاء إلى الإيكور[1] ولا يُفهم سبب وجود هذا المقطع هنا. إلا أن فشل نينماخ كان على ما يظهر أكيداً.

أنكي يعلن فشل نينماخ ويمجّد نفسه

129 أجاب أنكي، نينماخ عندئذٍ:

«من يشكّ (؟) بالكلمات التي خرجت من فمك؟

أبعدي فقط «الأومول» عن حضنك

(أبعدي) هذا المخلوق العاجز! (الإلَه)

[...] ألقى على ما عملتِ نظرةً راضية [...]!

من يستطيع إذن معارضته؟

خذي [...] ي وضعي يدك على فمك!»

(١) (Ekur) معبد إنليل في نفّر ومعناه: بيت الجبل.

ولنحتفل بمقدرتي ـ الخلاّقة (؟)

المتألقة بمهارة ـ الصنع

135 ليقم إذن إنكوم ونينكوم[1]

بإنشاد المدائح لي

[اعترفي (؟)] بتفوقي أي أختي،

مجدي [. . .

وليشيِّد لي الآلهة معبداً لدى إعلامهم]

بقضية «الأومول» هذه!»

140 وهكذا لم تستطع نينماخ منافسة أنكي

أي أنكي المبجّل، الاحتفال بك متعة!

---

(١) (Enkum) و (Ninkum) رجل وامرأة لهما رتبة سيد وسيدة ربما كانا منشدي الآلهة.

(٥) ـ أنكي وبلاد سومر[١]

52 عندما يقوم أنكي الموقّر، باجتياز الأرض المبذورة،
تنتج (هذه الأرض) حبوبها بكثرة!
عندما يزور نوديمّود[٢] نعاجنا الحوامل،
تلد (عندئذٍ) الحملان السمان!
عندما يأتي لزيارة بقراتنا الخصيبة،
تلد (عندئذٍ) العجول الممتلئة الجسم!
55 عندما يأتي لزيارة عنزاتنا الولودة،
تلد (عندئذٍ) جدياناً وافرة اللحم!
عندما تأتي لزيارة حقولنا وأريافنا
تجعل الحبّ يتجمّع أكواماً وأكداساً على
السهل المرتفع.
وحين تقترب منها، ولو قليلاً
فإن الأماكن الأكثر جدباً في البلاد
[تتحول إلى مراعٍ مخضوضرة!].
[. . .]
250 بعد أن حول أنكي نظره
عن جميع هذه الأماكن
وعندما وجه أنكي الموقّر نظره إلى الفرات
رفع قامته وكأنه ثور متلهف،
نصّب قضيبه ودفّق منيّه.

---

(١) نقتطف هنا الفقرات المرتبطة بماء الخصب والإخصاب، عن قصيدة طويلة سوف تنشر كاملةً في الكتاب الثالث تحت عنوان: «أنكي ينظم البلاد».
(٢) (Nu-Dim-Mud) لقب الإلّه أنكي ومعناه: الذي هو مختصّ بمهارة الصنع والخلق.

فملأ النهر بالماء المتلألىء

255 كما لو كان (النهر) بقرة في المراعي

تخور من أجل عجلها الذي بقي في الحظيرة [. . .]

ثم خَضَعَ له نهر دجلة بعد ذلك

كما يخضع لثور متلهّف

وهو منتصب القضيب يدفع «بهدية ـ العرس»:

وكثورٍ وحشي عملاق في حالة النزو،

جعل دجلة يشعر باللذة

والماء الذي سكبه هكذا، كان متلألئاً

عَذباً ومُسكراً

260 والحَبُّ الذي أنتجه هذا المكان

كان وازناً ومغذّياً!

فغمر على هذا الشكل مسكن إنليل بالثراء

وبفضل (أنكي) ابتهج إنليل

وعمّت الأفراح نفّر[1].

(١) (Nippur) مدينة الإلّه إنليل والعاصمة الدينية القديمة لبلاد سومر، تقع على بعد حوالى ٨٠ كم إلى الجنوب الشرقي من بابل.

(٦) ـ كلمة إنليل هي حياة البلاد

109 «بدون إنليل[1]، الجبل ـ الكبير
لن تقام المدن ولن تُرفَع البيوت،
ولن تُبنى الحظائر ولن تُشيّد الزرائب...

115 ولن يَحمِلَ الفيضان الغمر المبارك...

117 والبحر، لن يمنح كنوزه السخيّة!
ولن تأتي أسماك البحر لتضع بيوضها في وسط المستنقع،
ولن توزع طيور السماء أعشاشها على الأرض الفسيحة!

120 وفي السماء، لن تفتحَ الغيوم المحمّلة بالمطر، ثغراتها!
ولن يُثقل الحصادُ الوفير، الحقولَ والمروج!
ولن يُزيِّن بعد ذلك السهوبَ، العشبُ والشجيرات!
وفي البساتين، فإن «أشجار ـ الجبل» الكثيفة،
لن تحمل ثمارها!

126 ولن تلدَ البقرات في الزريبة،
وفي الحظيرة لن تضع النعجات حِملانها!
والبشرية، هذه الجموع العاجّة، لن تستمر في [...]!
ولن تسعى الحيوانات المفترسة ورباعيات القوائم
على إطعام صِغارها.

130 ولن تقبل حتى التسافد فيما بينها!»

أما كلمة إنليل التي لا مردّ لها، فيضيف الشاعر بصددها:

---

(١) (Enlil): سيد مجمع الآلهة السومري القديم معبده الرئيسي في مدينة نفّر (Nippur) ويعني اسمه «سيد ـ الهواء» وهو أحد الآلهة الرئيسيين الثلاثة آن (An) إله السماء وأنكي (Enki) سيد الأرض.

146 «إن هي مسَّت السماء: فهذا هو الفيض
إذْ تنسكبُ من الأعالي الأمطار الغزيرة!
ولئن مسّت الأرض: فهذا هو الرخاء
فمن الأسفل تطفح الثروات!
150 كلمتك هي النباتات! كلمتك هي الحَبّ!
كلمتك هي الفيض: حياة البلاد جمعاء!...»

(٢) ـ الماشية والحبوب

(٢ ـ ١) ـ على الأرض الفسيحة

بالماء يملأُ المجاري والأنهار، وعلى الأرض الفسيحة ينزلُ من أعالي السماء، خلقت الآلهة الخضار والنباتات وأعدّ البشر خلقاً لتحرير الآلهة من أعباء المعيشة اليومية، تأمين الطعام والشراب في المعابد، لكي يتفرّغوا لمهامهم في تسيير الكون وحفظ نظامه وانسجامه.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، ففي السماء تمّ خلق الإلّهتين، الشقيقتين: لاهار[١] النعجة، وأشنان[٢] الحبوب وأرسلتا على الأرض الفسيحة لتحقيق مهمّة نبيلة[٣]. ثم تدخل الإلّه إنليل فخلق أخوين هما الصيف والشتاء، وأعطى لكل منهما دوراً، فتكاثرت النعاج وتكاثرت البقرات وعمّت البهجة السهوب. امتلأت الأهوار ببيوض الأسماك وبنت العصافير أعشاشها موزعةً على الأرض الفسيحة، كما نمت الأشجار والزروع وتضاعف إلى عشر مرات الحبّ المبذور في الأثلام.

تكاثر القطيع وتكاثرت الزروع وشُيّدت البيوت في كل مكان من البلاد وأقيمت المعابد[٤] الراعي والفلاح، أصبحا بذلك دعامتي البلاد. وهذا هو نينورتا[٥] «فلاح إنليل»، يجعل الماء

---

(١) (Lahar) إلّهة المواشي.
(٢) (Ashnan) إلهة الحبوب.
(٣) انظر النص رقم (٧).
(٤) انظر النص رقم (٨).
(٥) (Ninurta) ومعنى اسمه سيد الأرض.

المنعش يسيل في المجرى والحبّ المليء ينبت في الحقول وتطفح الأثمار حلاوة في البساتين المروية[١]...

أما إنانا[٢] ملكة السماء المتألقة، حين قررت يوماً النزول على الأرض... دخلت لترتاح في ظل بستانٍ وريف ونامت إنانا الجميلة، ولكن عين البستاني، بستاني أنكي، كانت تراقبها. وفي غفلةٍ منها اغتصبها البستاني وعاد إلى الطرف الآخر من بستانه... تلك كانت أول مغامرة أرضية لإنانا تحدث دون إرادة منها... وعند ذلك: «أيّة كارثةٍ لم تثرها إنانا بسبب فرجها المهان» هذا ما يرويه لنا النص رقم (١٠) بالإضافة لما يحتويه من معلومات حول فنّ البستنة وصدّ الرياح منذ ذلك الوقت.

(١) انظر النص رقم (٩).

(٢) (Inanna) إلهة الحُبّ السومرية وهي ابنة الإلّه القمر نانا (Nanna) وأخت الإلّه الشمس (Utu) أوتو ويرمز إليها كوكب الزهرة.

(٢ ــ ٢) ــ على الأرض الفسيحة

النصوص (٧ ـــ ١٠)

(٧) ــ خلق إلَهتي الماشية والحبوب

(٨) ــ الأخَوَان: الصيف والشتاء

(٩) ــ نينورتا فلاح إنليل

(١٠) ــ قصاص بستاني أنكي
الذي اغتصب إنانا

(٧) ـ خلق إلّهتي الماشية والحبوب[١]

إنليل، سيد مجمع الآلهة وأنكي إلّه الأبسو (المياه الحلوة الباطنية) وإلّه الذكاء ومهارة الخلق. إنليل وأنكي يقومان بخلق إلهتين شقيقتين هما لاهار (النعجة) وأشْنان (الحبوب). كُلّفت لاهار بالسهر على تكاثر الماشية الصغيرة واشنان بالإشراف على نمو الحبوب وأُرسلتا إلى الأرض الفسيحة لتحقيق مهمتهما.

6 لم تكن هناك نعجة: ولم يكن يولد أي حمل!
لم تكن هناك عنزة: ولم يكن يولد أي جدي!
لم تكن هناك أية نعجة لكي تضعَ حَمَلَها
ولا عنزة من أجل جديانها الثلاثة!...
12 ولم يكن موجوداً شيش ـ الثلاثون ـ يوماً
ولا شيش ـ الأربعين ـ يوماً[٢]
ولم يكن موجوداً، «الحبّ ـ الصغير» ولا
«حَبّ ـ الجبال» ولا «الحبّ الممتاز»

عند ذلك عمد الإلهان إنليل وأنكي إلى خلق الإلهتين الشقيقتين لاهار (النعجة) وأشنان (الحبوب).

41 تمركزت لاهار في حظيرتها
وكراعيةٍ جعلت القطيع يزداد أهميةً
كما استقرت أشْنان قرب حاصلاتها
كامرأة فتية لطيفة وجذّابة!
45 وهكذا تمكّنتا من إنتاج
الوفر الآتي من السماء...
47 ومن أجل الجموع الغفيرة، حقّقتا الكثرة،

---

(١) مقتطفات، وسوف نقدّم النص الكامل من الكتاب الثاني من هذه المجموعة.
(٢) (Shesh) هكذا وردت في النص ويتعلق الأمر بنوع من الخضار.

وجلبتا إلى البلاد الحياة،

محققتين «العجائب» الخارقة

50 وكثرتا على هذا الشكل ـ احتياطات التخزين! . . .

62 وحتى إلى بيت الفقير الممتلىء بالغبار

دخلتا، جالبتين إليه الوفر!

وكلتاهما، أينما كانتا

65 تمنحان كل بيت رخاءً متزايداً:

أينما وجدتا، إنهما تُشْبعان! أينما

وُجدتا إنهما تُجزِلان في العطاء

وبذلك أبهجتا قلب كلٍ من آن[1] وإنليل

ثم يظهر بعد ذلك خلاف بينهما حول من هي الأفضل؟، ويصل ضجيج نزاعهما ومنافستهما إلى المزارع والحقول فيتدخّل في النهاية الإلّهان إنليل وأنكي، ليضعا حدّاً لهذه المنافسة بإعلان تفوق أشنان إلّهة الحبوب والزراعة.

(١) (An) إلّه السماء وهو «الإلّه البعيد» بالمعنى الميتي الذي يترك لغيره من الآلهة الاهتمام بما يرتبط بالأرض والبشر.

(٨) ـ الأخَوَان: الصيف والشتاء
إيميش وإينتين[١]

عندما قرر الإلّه إنليل توفير الأشجار والحبوب من مختلف الأنواع ونشر الرخاء والكثرة على الأرض، عند ذلك، كما تقول إحدى القصائد السومرية، عمد إلى خلق الأخوين إيميش (الصيف) وإينتين (الشتاء) محدِّداً لكل منهما دوره. ومنذ ذلك الحين كان كل منهما يقوم بمهمته:

47 «إينتين كان يجعل النعاج والماعز تلد صغارها.
كثّر البقرات والعجول ووفّر بسخاء السمن واللبن
وفي السهوب، جعل البهجة تعمّ العَنْز البرّي والأرويّات
والحمر الوحْشية!
50 ووزّع أعشاش الطيور على كامل الأرض الفسيحة
وجعل الأسماك تضع بيوضها في (هور) القصب!
وفي مزارع النخيل والكروم، ضاعف الحلاوة والخمرة!
غطّى بالخضرة البساتين، وجعل زروعها تتكاثر.
55 كما ضاعف عشر مرات الحبّ في الأثلام.
وجعل أشنان[٢] تنمو بشكل رائع كفتاةٍ
جذّابة.
أما إيميش، فقد نمّى الأشجار والزروع ووسّع
المذاود والحظائر!
وضاعف إنتاج المزارع وغطّى الأرض بالـ[...]،
كما أتى بحصادٍ غني ليُكدّسَ في العَنابر،
60 ودفع إلى بناء المساكن والتجمعات السكنية وإلى
إشادة البيوت في كل مكان،
وإلى إقامة معابد تضاهي الجبال في شموخها!...»

---

(١) Emesh و Enten.
(٢) (Ashnan) إلهة الحبوب وهنا بمعنى الحبوب.

(٩) ـ نينورتا فلاح إنليل

قبل أن يصبح نيتّورتا بطل المعارك الصعبة والانتصارات[١] كان نينورتا، ويدلّ اسمه على ذلك ومعناه «سيد ـ الأرض» كان يلقب «بفلاح إنليل» وهذا النشيد يمجّده على هذا الأساس.

وجه اللوحة

1 «أيتها البذرة الخَصِبَة! يا نطفة مُخصبةً!

يا ملكاً أعلن إنليل عن اسمه!

أيتها البذرة الخصبة! يا نطفة مُخصبة!

نينورتا الذي أعلن عن اسمه إنليل

5 يا مليكي: أريد ترديد اسمَك وتكراره!

نينورتا، أنا، خليقتُك، خَليقتك،

أريد ترديد وتكرار اسمك!

النعجة ولدت، النعجة ولدت صغيراً مختاراً:

10 أريد ترديد وتكرار اسمك...

ظهر اللوحة

... طالما كان ملكاً...

في المجرى كان يسيل ماء منعش

5 وكان حَبٌّ مليء ينبت في الحقول

كان المستنقع يَمُورُ بالأسماك...

والقصب «القديم» و «الجديد» كانا ينموان

في مزرعة القصب،

وكانت الغابة تعجّ بالعنز البري والوعول،

---

(١) انظر في الكتاب الثالث نص نينورتا يخضع شغب الحجارة.

و (المشچور)[1] كان يعلو في السهول المرتفعة
وكانت البساتين المروية تطفح حلاوة وخمراً،
وفي القصر كانت الحياة المديدة تتمطّى...».

(١) المشچور (Mashgur): نوع من الشجر ومن المحتمل أن يدل على الطّرْفاء.

(١٠) ـ قصاص بستاني أنكي
الذي اغتصب إنانّا

يزخر هذا النص بحوادث ومناسبات مهمّة وذات مغازٍ تستوقف القارىء، إذْ يحتوي على قرار إنّانا ملكة السماء النزول على الأرض بغية تحقيق مهام ترتبط بالبشر، كما نرى أنكي يتوجّه إلى غرابٍ يقوم بعمل بستاني وكأنّه رجل، طالباً منه اتّباع عَمَلية زراعية تؤدي إلى خلق شجرة النخيل، الشجرة المقدسة. وبعد ذلك يظهر بستاني بشري باسم «شوكاليتودا»[١] يهتم بأعمال البستنة، إلا أن الريح والجفاف يعارضانه، فيبتدع غرس أشجار حماية تظلّل وتصدّ الرياح. وفي ظلال هذا البستان الوريف حطت إنّانا رحَالها لترتاح وفي عذوبة جو الرطوبة التي حقّقها شوكاليتودا بستاني أنكي. نامت إنّانا، نامت إنّانا الجميلة وعين البستاني تراقبها. وفي غفلةٍ منها والنوم يمتلكها تقدم منها البستاني وجامعها ثم عاد إلى الطرف الآخر من بستانه. وحين استيقظت إنّانا في الصباح وعرفت ما حلّ بها فتشت عن مغتصبها دون جدوى، وبدأت تنتقم محدثة الأضرار في البلاد لكي يُسلّم إليها المذنب ودون جدوى أيضاً، لأن البستاني اتّبع نصح أبيه الذي قد يكون أنكي نفسه واختلط بسكان المدن الكثيري العدد. اختلط بإخوانه ذوي الرؤوس السوداء، كما يقول النص، ولم توفق إنّانا إلى كشفه وتعتبر أن أنكي يساعد المعتدي. وفي النهاية تذهب لمقابلة أنكي وتطلب منه تسليمها شوكاليتودا واعدةً أن تحمله دون أذىً إلى مقرها السماوي وهكذا يتحوّل البستاني إلى [نجم (؟)] في السماء. إلا أن ذكراه كما تعده بذلك إنّانا تبقى على الأرض في قصائد الشعراء تُردد في قصور الملوك وفي أغاني الرعاة وهم يمخضون قربة الحليب.

وصلنا هذا النص على لوحتين مستقلتين تحتوي كل واحدة، على عشرة أعمدة. وتعودان إلى الثلث الأول من الألف الثاني قبل الميلاد. ويقع النص في حوالى ثلاثمائة سطر.

إنانا تقرر النزول إلى الأرض

I السيدة ذات الصلاحيات العظيمة،
الجديرة بأن تجلس على المنصّة ـ
إنانا[٢] ذات الصلاحيّات العظيمة

---

(١) (Shukaletuda).

(٢) (Inanna) إلّهة الخصب والحب، أبوها الإلّه القمر Nanna ومدينتها أوروك (Uruk) لقبها سيدة السماء والأرض ويرمز إليها كوكب الزهرة.

الجديرة بالتربّع على المنصّة
إنانا التي تشغل معبد إيانا المحبّب
هذه المرأة ـ الفتية أرادت يوماً النزول إلى هذه الدنيا
5 إنانّا المقدّسة أرادت النزول إلى الأرض!
وذلك للتفريق بين الأشرار والأبرار، ولسبر القلوب في البلاد،
والفصل بين الحق والباطل. من أجل ذلك
قررت النزول إلى الأرض!
كم من قصة نسجت حول ذلك!
10 وكم مِن رواية كذلك ردّدت!
كانت هي السيدة الممتطية الثور السماوي المقتدر
والشهيرة بصلاحيّاتها! ـ
إنانّا الراكبة على الأسد الأ [رضي] العظيم
والشهيرة بصلاحياتها!
كم من قصة نسجت حول ذلك!
وكم من رواية كذلك ردّدت!
15 عندئذٍ، وفي ذلك اليوم غادرت الإلّهة السماء [. . .]
بغية النزول إلى الأرض
إنانّا غادرَت [السماء] بغية النزول إلى الأرض:
بغية النزول إلى الأرض.
[غادرت] الإيانا[١] في أوروك،
للنزول إلى الأرض.
[وتركت] في زابا [لام][٢] الجيجونا[٣]:
خرجت من الإيانا، [خرجت] من الچيپار[٤]،

---

(١) (Eanna) بيت السماء: معبد إلّه السماء آن في أوروك.
(٢) (Zabalam) مدينة سومرية قديمة تقع شمالي أوروك على بعد حوالى ٨٠ كم.
(٣) (Giguna) معبد إنانا في مدينة زابالام.
(٤) (Gipar) القسم المخصص للكهنة أو للآلهة في المعبد.

بغية النزول إلى الأرض

20 [لبسَتْ] إنّانا الرداء الذي لا شبيه له

رداء الآلهة!

كم من قصة نسجت حول ذلك!

وكم من رواية كذلك ردّدت!

الأسطر (٢٣ ـ ٣٧) مفقودة وحين يستأنف النص، نجد أنكي يتحدّث عن إنانا وكأنه يأمرها بلقائه قبل مباشرة جولتها.

38 «. . . على [إنانا] بعد أن تستعلم

عمّا يتعلق بالأرض الفسيحة

أن تأتي لمقابلتي شخصياً

في مقرّي الأميري (؟)!»

40 كم من قصة نسجت حول ذلك!

وكم من رواية كذلك ردّدت!

الأسطر (٤٢ ـ ٤٨) مفقودة وفي المشاهد التي تليها، نجد أنكي يتوجّه إلى غراب (؟) ويعطيه تعليمات ينتج عنها خلق شجرة النخيل أول شجرة مثمرة في أول بستان على الأرض.

الغراب وخلق شجرة النخيل

49 بعد أن نادى الإلّه [أنكي] الغراب (؟)

وجه إليه هذه الكلمات:

«لديّ كلمة أقولها لك، استمع إليّ أيها الغراب (؟)

أيها الغراب (؟) لديّ ما أبلغك إياه: استمع إليّ!

«كِحْلُ التعويذ في أريدو،

الموضوع في وعاء المرهم من اللازورد

55 والموجود في غرفة بيت الأمير[١]

(١) المقصود هنا هو أنكي متكلماً عن نفسه.

(هذا الكحل) فتّه (؟) ونعّمه (؟)
وازرع حبيباته بين المساكب
بجوار المستنقع - ذي - الكُرّاث!»
كم من قصة نسجت حول ذلك!
وكم من رواية كذلك ردّدت!

60 نفّذ الغراب أوامر سيّده
64 ففتّت (؟) ونعّم (؟)[1]
61 كِحْلَ التعويذ في أريدو
الموضوع في وعاء المرهم من اللازورد
والموجود في غرفة بيت [الأمير]
65 وزرع هذه الحبيبات بين المساكب
بجوار المستنقع - ذي الكُرّاث
[ونتج عن ذلك.. نخلة (؟)]
ومثل هذا النبات في البستان،
الشبيه بالكُرّاث
والذي يذكِّر ايراقُه (؟) بورق الكراث
لم يَشْهَدْ ذلك قبلاً أحدٌ قط!
[...]
70 وطائر كهذا الغراب (؟)
الذي أنجز عمل رجل:
قذف في الهواء جرفاتٍ من التربة
لكي يكدّسها،
وقلّب جُرفاتٍ من التربة
لكي يكوّمها،

(١) تم تعديل تسلسل الأسطر بالاعتماد على التعليمات السابقة.

لم يشهد ذلك قبلاً أحد قط!
وبعد كل ذلك، انطلق الغراب (؟) من [. . .]
وتسلق [النخلة] المورقة (؟)
75 وملأ فمه [بالتمور ذات] الحلاوة
وأخذ ينقر [. . .]

هذه النخلة وليدة مجرى الماء
الشجرة الأبدية، لم يشهدها قبلاً أحد قط!
«لسانها»[1] [. . .] سوف يمنحنا لبّاً
80 ومن لحيتها ـ ذات ـ الألياف سوف تُنسج الحصر
والرِكْزات المحيطة بها سوف تستعمل كمساطر ـ قياس.
مبارك هو وجودها في الأرض الملكية:
سعفها سترافق التنسيقات الملكية
وأقراط تمورها بين سعفها الكثيفة
سوف توضع كتقدمات.
85 في معابد أعظم الآلهة!
وطائر مثل هذا الغراب (؟)
الذي أنجز عمل رجل:
قذف في الهواء جُرفاتٍ من التربة
لكي يكدّسها
وقلّب جُرفات من التربة
لكي يكوّمها،
لم يشهد ذلك قبلاً أحد قط!
وهكذا (؟) هذا الطائر، هذا الغراب (؟)
منفذاً لأوامر سيّده

(١) لا ندري إذا ما كانت تسمية لسان النخلة تعني قلب النخيل كما نسميه اليوم.

89 جعل [النخلة] (؟) تظهر إلى الوجود

90 كم من قصّةٍ نُسجت حول ذلك!

وكم من رواية كذلك رُدِّدت!

البستاني شوكاليتودا يحمي بستانه من أضرار الرياح

في أحد الأيام، [شوكاليتودا]

ـ وذلك كان اسم (البستاني؟) ـ

[ملأت] عيناه الدموع واصفرّ وجهه حزناً:

إذْ كان قد روى جيداً [المساكب]

95 [وبجوار المربّعات] أعدّ مجاري الماء:

ولكن شيئاً لم ينبت. لماذا؟

لأن [ريحاً عنيفة] انتزعت واقتلعت كل شيء!

وكم سبّبت من أضرار هذه الريح الغاضبة!

[وفي وجه] شوكاليتودا

قذفت الريح بغبار الأرض

100 حتى التهبت [عيناه]

مما حدا بشوكاليتودا أن يعمل دونما توقف

[رفع عند ذلك نظره (نحو السماء)

وتأمّل نجوم المشرق

ورفع نظره نحو السماء

واعتبر نجوم المغرب

وأخذ حذره من الأرواح التي تحوم منعزلةً

105 ودرس إشارات [الشياطين

الذين يشردون فُرادى]

وتعلّم كيف يستعمل القدرات (وذلك)،

بالتأمل في المصائر التي قررتها الآلهة،

ثم في خمسة وعشرة مواضع من البستان،
يصعب الوصول إليها
غرس صفّاً (؟) من الأشجار الظليلة:
110 أشجار صفصاف ذات إيراقٍ كثيف
ظلالها في الصباح
وعند الظهيرة وفي المساء، لا يختفي أبداً

إنانّا تصل إلى البستان الظليل

وفي أحد الأيام، بعد أن اجتازت السيدة السماء
بعد أن اجتازت الأرض
115 بعد أن عبرت بلاد عيلام والسوبير[1]
بعد أن جَانَبَتْ الممرات الجبلية (؟) المتعرِّجة
منهكة وَصَلت الغانية إلى البستان
وتمدّدت لكي ترتاح!
وفي الطرف الآخر من البستان كان
شوكاليتودا يراقبها!
أمام شقِّها ربطت إنانا على شكل مئزر
الصلاحيات السبع
120 رتّبت الصلاحيات السبع وكأنها
ستر لشقِّها
[...] آما. أو شومجالانّا[2]، الراعي [...]
وقضيبه العظيم الذي [...]

---

(١) (Subir) أو سوبور أو سوبارتو تقع في الشمال من بلاد ما بين النهرين ضمن ما سيكون فيما بعد بلاد آشور.

(٢) (Ama. Ushumgalana) لقب دوموزي. وتفترض الأسطورة أن العلاقة بين إنانا والراعي دوموزي كانت قائمة.

[ثم نامت (؟)]!
ولكن شوكاليتودا حل رباط الستر الواقي
وولجها وجامعها
125 ثم عاد إلى الطرف الآخر من البستان!
طلع الفجر وأشرقت الشمس
وتفحّصت المرأة نفسها عن قرب،
إنانّا تفحصت نفسها عن قرب
وفهمت أنها اغْتُصبت!
وعند ذلك أية كارثة لم تثرها
بسبب فرجها المهان! -
130 وأي (شر) لم ترتكبه إنّانا المقدسة
بسبب فرجها المهان!
ملأَتْ بالدم جميع آبار (البلاد)
جَرّت الدم
إلى أحواض البساتين كلها!
إنْ ذهب خادم لجمع الحطب:
لم يكن يشرب سوى الدم
وإن ذهبت خادمة لجلب الماء،
لم تكن تعود إلا بالدم!
135 ولم تشرب الرؤوس - السوداء كلّها سوى الدم!
وهي، (إنانّا) كانت تقول: «سأكتشف المعتدي عليّ
أينما كان!»
ومع ذلك، وأينما وجد
لم تُخرج قط من أهانها من مخبئه!
كم من قصة نسجت حول ذلك!
كم من رواية كذلك ردِّدت!

شوكاليتودا يطلب مساعدة أبيه (أنكي) لتحاشي عقاب إنّانا

لأن الفتى كان قد ذهب لمقابلة أبيه

140 ذهب شوكاليتودا وقال لأبيه:

«يا أبي، كنت قد رويت جيداً المساكب

وبجوار المربّعات، أعددت مجاري الماء:

ولكن أيّ شيءٍ لم ينبت. لماذا؟

لأنّ ريحاً عنيفة انتزعت واقتلعت كل شيء:

145 وكم من أضرار سببت هذه الريح الغاضبة!

ففي وجهي، قذفت الريح بغبار الأرض

حتى ألهبت عيني،

مما حدا بي أن أعمل دونما توقف!

رفعتُ عند ذلك نظري (نحو السماء)

وتأمّلت نجوم المشرق

150 رَفَعتُ نظري نحو السماء

واعتبرت نجوم المغرب

أَخذتُ حَذَري من الأرواح التي تحوم منعزلةً

ودرست إشارات الشياطين

الذين يشردون فرادى.

تعلمت كيف تستعمل القدرات (وذلك)

بالتأمل في المصائر التي قررتها الآلهة،

155 ثم في خمسة وعشرة مواضع من البستان

غرست صفاً من الأشجار الظليلة

أشجار صفصاف ذات إيراقٍ كثيف

ظلالُها في الصباح

وعند الظهيرة وفي المساء لا تختفي أبداً!

160 وفي أحد الأيام، بعد أن اجتازت السيدة السماء

بعد أن اجتازت الأرض

إنانا، بعد أن اجتازت السماء

بعد أن اجتازت الأرض

بعد أن عَبَرت بلاد عيلام والسوبير

وجانبتِ الممرات الجبلية المتعرّجة

منهكةً وصلت الغانية إلى البستان

وتمدّدت لكي ترتاح

165 وأنا، في الطرف الآخر من البستان، كنت أراقبها

ولجتها وجامعتها

ثم عدت إلى الطرف الآخر من البستان.

وهذه هي الكارثة التي أثارتها المرأة

بسبب فرجها المهان.

وبسبب فرجها المهان،

هذا هو ما ارتكبته إنانا:

170 ملأت بالدم جميع آبار البلاد

وجرّت الدم

إلى كافة أحواض [البساتين]!

إن ذهب خادم لجمع الحطب

لم يكن [يشرب] سوى الدم

وإن ذهبت خادمة لجلب الماء

لم تكن [تعود] إلا بالدم

الرؤوس ـ السوداء كلها ـ لم تشرب سوى الدم!

175 «سأكتشفُ من اعتدى عليّ، كانت تكرر،

أينما كان!»

ولكن أنا الذي أهنتها، أينما وُجدتُ
إنها لم تخرجني قط من مكمني!»

نصيحة الأب: الاختلاط بجماهير المدن

(أجابه) أبوه عندئذٍ، أجاب الفتى
وقال لشوكاليتودا:
«يا بني ابقَ بقرب إخوتك سكان المدن
180 اختلطْ دون تردد بالرؤوس ـ السوداء، أمثالك
ولن تجدك المرأة أبداً»!
وبطواعية (عمد شوكاليتودا) إلى البقاء
بقرب اخوته سكان المدن
واختلط تماماً بالرؤوس ـ السوداء، أمثاله
ولم تستطع [المرأة] أن تجده [أبداً]!

الكارثة الثانية

185 وهذه هي الكارثة
التي أوقعتها [المرأة] [للمرة الثانية]
بسبب فرجها المهان
186 بسبب فرجها المهان
هذا هو ما ارتكبته إنانا:
187 وهي راكبة على الغيوم [. . .]،
188 حلّت وثاق الرياح ـ السيئة
وأطلقت التفاف الزوابع:
189 ارتفعت وراءها الپيليپيلي[(١)]

---

(١) (Pilipili) الرياح المثيرة للعواصف الرملية.

ودوامات الغبار،

191 بينما وقف إلى جانبها في الصحراء

سبعة في سبعة

190 [. . .] من السَحَرة مستجلبي الأذى والشرّ [. . .]

192 وهي (إنانا) تقول: «سأكتشف المعتدي عليّ

أينما كان!»

ومع ذلك، وأينما كان، لم تُخرِجْ قط

من أهانها من مخبئه!

لأن الفتى كان قد ذهب إلى أبيه.

195 ذهب شوكاليتودا وقال لأبيه:

196 «يا أبي، المرأة التي حدثتك عنها،

197 هذه هي الكارثة التي أوقعتها

للمرة الثانية

بسبب فرجها المهان ـ

198 وبسبب فرجها المهان، هذا ما أحدثته إنانا:

199 وهي راكبة على الغيوم [. . .]

حلّت وثاق الرياح السيئة

200 [وأطلقت التفاف الزوابع]:

201 ارتفعت وراءها البيليبيلي[١]

ودَوّامات الغبار

203 بينما وقف إلى جانبها في الصحراء،

سبعة في سبعة

202 [. . .] من السحرة مستجلبي الأذى والشر [. . .]

---

(١) (Pilipili) وردت آنفاً في السطر (١٨٩).

204 وهي تقول: [«سأكتشف] المعتدي عليّ
[أينما كان»]
205 ولكن أنا الذي أهنتها، أينما وُجدتُ
فإنها لم تخرجني قط من مكمني!»

الأب يكرّر توصيته

206 أجابَه أبوه عند ذلك، أجاب الفتى: تكرار
النصيحة نفسها[١]

المصيبة الثالثة

207 وهذه هي الكارثة التي أوقعتها المرأة
للمرة الثالثة
بسبب فرجها المهان ـ
208 بسبب فرجها المهان
هذا ما ارتكبته إنانّا:
209 أخذت [. . .] الوحيد
210 وسدّت طرق (؟) (البلاد) كلها،
مسبّبة بذلك [. . .] للرؤوس ـ السوداء!
وأعلنت: سأكتشف المعتدي عليّ
[أينما كان!]
ولكن، أينما وجد، فإنها لم تخرجه قط من مخبئه

الزيارة الثالثة للأب

لأن الفتى كان قد ذهب للقاء أبيه
215 شوكاليتودا، كان قد ذهب وقال لأبيه

---

(١) تحاشى الناسخ من تكرار النص حرفياً مرة أخرى، فكتب بالسومرية: «كي ـ مين» بمعنى كما تقدم أو كما ذكر آنفاً.

«[يا أبي] [هذه المرأة التي حدثتك عنها
تلك هي الكارثة التي أحدثتها
للمرة الثالثة
[بسبب فرجها المهان]
[وبسبب فرجها المهان
هذا هو ما ارتكبته [إنانا]
أخذت [. . .] الوحيد
220 وسدّت طرق (؟) (البلاد)
مسبّبةً بذلك [. . .] للرؤوس ـ السوداء:
وردّدت: سأكتشف المعتدي عليّ
أينما كان
ولكن، أنا الذي أهنتها، أينما وجدتُ
فإنها لم تخرجني من مكمني!»

النصيحة نفسها

أجاب الأب عند ذلك الفتى
225 وقال لشوكاليتودا:
«يا بنيّ، إبق بقرب إخوتك سكان المدن
اختلط جيداً بالرؤوس ـ السوداء، أمثالك
ولن تجدك المرأة أبداً»
وبطواعية عمد (شوكاليتودا) إلى البقاء
بقرب إخوته سكان المدن
230 اختلط تماماً بالرؤوس ـ السوداء، أمثاله
ولم تستطع المرأة أن تجده قط!

إنانا تحذِر أنّ المعتدي عليها التجأ إلى أنكي، فتذهب إليه طالبة تسليمه

طلع الفجر وأشرقت الشمس

والمرأة تفحّصت نفسها من جديد عن قرب
متذكّرة الإهانة التي تحمّلتها
235 ««يا لشقائي» (قالت) من ذا الذي سوف يساعدني؟
إنه حتماً عند أبي
في قصر أنكي!»
وشدّت الرحال [. . .] نحو أبسو
أنكي في أريدو.
[وبمجرد وصولها] رفعت يدها نحوه(١)
240 «أي أنكي المبجّل، أنت دوماً تعينني وتساعدني:
أَخرِج إذن هذا الرجل من الأبسو مقرك:
وسلّمه إليّ!
لا أريد إلا أخذه دون أذى
إلى الإيانا معبدي»
وأجابها أنكي: «حسناً»
وأضاف: «ليكن الأمر كذلك»
وإنانا المقدّسة، اصطحبت معها شوكاليتودا
اعتباراً من أبسو أريدو

مصير شوكاليتودا

245 وأخذت مكانها في عرض السماء
كقوس - قزح
[. . .] تقدّمت [. . .] تقدمت أيضاً [. . .] (مبتعدة)
وبدا شوكاليتودا أصغر فأصغر!

الأسطر (٢٤٨ - ٢٨٧) حالة النص سيئة إلا أنه يفهم أن إنانا تستجوب المعتدي عليها لتعرف كيف تمكّن من ذلك فيروي عليها شوكاليتودا ببساطة ما حدث ودون أي أسف من قبله، مما يغضب إنانا التي «تحكم» عليه بعقوبة لا نفهم محتواها. إلا أنها تغريه مع ذلك واعدة إياه بتخليد اسمه في القصائد والأناشيد على الأرض.

---

(١) علامة طلب العون.

288 وقالت إنانا المقدّسة إلى [شوكاليتودا]:

«أجل! وحتى بعد أن أكون قد جعلت منك [. . .][1]

لن يتمكن النسيان من اسمك قط:

290 سوف يستمر في الأناشيد ـ وستكون

عذبة تلك الأناشيد:

في قصور الملوك،

سوف ينغّم الشعراء الشبان (اسمك)

وسوف يدندنه الرعاة

وهم يمخضون قربة ـ الحليب».

الأسطر (٢٩٤ ـ ٣٠٤) مشوّهة ولا يمكن فهمها والسطر الأخير يمجد إنانا.

305 [من أجل . . .] المجد لك يا إنانا

---

(١) قد يكون عقاب شوكاليتودا، أن جَعَلتْ منه نجماً (؟).

الفصل الثاني
الزواج الإلهي وأناشيد الحبّ

(١) ـ إنانا ودوموزي
(٢) ـ ملوك سومر وأناشيد الحب

الزواج الإلهي
وأناشيد الحبّ

تحت هذا العنوان، نورد أهم ما وصلنا من النصوص السومرية المرتبطة بما سمّي بالزواج الإلّهي أو الزواج المقدس والذي قدّمت لنا عنه الفترة السومرية، أناشيد رائعة عن الحب المتبادل بين رجل وامرأة يرمزان إلى إلّهٍ وإلّهة، ثمّ بواسطة اتصالهما الجنسي اخصاب كافة البلاد، الطبيعة والحيوانات والبشر. وهذا التقليد هو سومري الأصل كما يعتقد. وعلى اعتبار أنه كان يحمل كل الخير والرخاء والكثرة للبلاد، فقد عبّرت عنه النصوص السومرية بصراحة جنسية طبيعية، لا مواربة فيها وأباحت لنفسها أجمل كلمات الحب لجسد المرأة والرجل وهما هنا إلهان تدفعهما شهوة عارمة لمثل هذا اللقاء الذي كانت قوته والرغبة التي تحرّكه، تطميناً للشعب وضماناً لمستقبل البلاد، كفايةً وتكاثراً ونموّاً.

تلك كانت أزمنة البدء حين كان الآلهة يقومون بأنفسهم بعملية الإخصاب، وحين كانت إنانا تدعو عشيقها دوموزي لحرث فرجها[١] وحين كان الإله أنكي[٢] يملأ بمنيّه مجرى الفرات، ويُخضِع دجلة حين يسكب فيه «هدية ـ العرس»[٣] وحين كان اوتو[٤] يعدّ بنفسه غطاء الكتان[٥] لفراش العرس الذي سوف يتمّ عليه لقاء أخته إنانا مع دوموزي «مفضل آن» إلّه السماء.

---

(١) انظر النص رقم (١٦).
(٢) (Enki) إلّه المعرفة ومهارة الصنع وهو إيا الأكادي.
(٣) بمعنى منيّ أنكي، انظر النص رقم (٥).
(٤) (Utu) إلّه الشمس السومري وهو أخو إنانا.
(٥) انظر النص رقم (١١).

(١) ـ إنانّا ودوموزي

(١ ـ ١) من الأسطورة إلى الطقس الديني

١ ـ إذا ما أردنا تتبع إقامة طقس الزواج الإلّهي في سومر، يمكننا القول، بأنه بدأ بدور إلّهة الخصب إنانا التي كانت مسؤولة عن أرحام البشر والحيوانات وعن خصب الأرض، في علاقتها الجنسية مع عشيقها أو قرينها بالمعنى الحرّ واتحادها مع الراعي دوموزي وتكاثر الماشية والعشب بنتيجة هذا الاتحاد.

وجاءت الزراعة فيما بعد وكان على إنانّا أن تختار بين الراعي والفلاح، وكان لا بد من التنافس فيما بينهما، ولم تكن جائزة المنافسة سوى الزواج من إنانّا لكي تمتلىء الاهراءات ولكي تمتلىء بالحليب الدسم وببواكير الماشية معابد الآلهة. وإذا ما بقي دوموزي الراعي، الرمز المسيطر الذي حَفِظته ذاكرة إنسان ما بين النهرين في سومر، في عرسه مع إنانا إلّهة الخصب، فقد كان الراعي يحضر هذا العرس المخصب ويقدّم الهدايا للعريسين وهذا ما سوف نطّلع عليه في قصيدة المنافسة بينهما[١].

٢ ـ أما غياب خصب الماشية وخضرة الأرض في فصلي الخريف والشتاء، فقد كان يعني غياب دوموزي وموته المعِدّ للخصب[٢]، كما كان الفلاح يفهم ذلك بدَوْره، في غياب الحَبّ المدفون في الأرض لينبت في الربيع مع بعث دوموزي بعد موته المُخصب في دَوْرةٍ تكررها الطبيعة كل عام. أما سجن إنانّا في العالم السفلي فقد كان من شأنه قلق الآلهة والبشر إذ يبطل عن وجه الأرض بنتيجة هذا الغياب كل نزوٍ وكل جماع وتقول النصوص إن الرجل والمرأة كانا يقضيان لياليهما في غرفتين مختلفتين للسبب نفسه.

---

(١) انظر النص رقم (١١).
(٢) انظر النص رقم (٢٥).

٣ ـ بعد نقل الحضارة من مدينة إلى أخرى وإقامة الملكية، وكان على الملك، السهر على رخاء الشعب، فقد أقيمت طقوس الزواج الإلّهي وفقاً لقاعدة «كما فعل الآلهة، يفعل البشر»، فأصبح الزواج الإلّهي المخصب من مهام الملك، من أجل تعميم الخير والكثرة على كافة البلاد. وكان إذن على الملك أن يقترن بالإلّهة إنانّا تمثلها في المعبد أو في القصر امرأة «مختارة» لتكون «الحبيبة».

وعلى لسان هذه الحبيبة، أوردت النصوص أجمل أناشيد الحب، في دعوتها للملك «الإلّه» المضاجع وفي التغنّي برجولته. ومن خلال عرض هذه الأناشيد، سوف نتطرّق إلى توازيها مع «نشيد الأنشاد» التوراتي وفق تلميحات موجزة وسوف نعود إليها بالتفصيل في فصل خاص من هذا الكتاب[١].

٤ ـ أما الملوك الذين وردت أسماؤهم في أناشيد الحب تلك، سوف نتعرّف عليهم لدى عرض النصوص التي وصلتنا بصددهم[٢]. وأقدم هؤلاء الملوك هو دوموزي الملك، إذا ما كان فعلاً ملكاً تاريخياً لمدينة أور، ومن ملوك ما قبل الطوفان وتمّ تأليهه فيما بعد. وهؤلاء الملوك، حكموا في كل من مملكتي أور[٣] وإيسين[٤] بين نهاية الألف الثالث لما قبل الميلاد وبداية الألف الثاني.

---

(١) انظر الفصل الثاني، الفقرة ٣.
(٢) الفصل الثاني، الفقرة الثانية.
(٣) (Ur) مدينة مهمة في سومر وهي مدينة الإلّه القمر نانا والد إنانّا حيث كان معبده.
(٤) (Isin) مدينة قديمة تقع في الجنوب من نفّر (Nippur) العاصمة الدينية القديمة ومدينة الإلّه إنليل.

(١ ـ ٢) ـ إنانا ودوموزي،
النصوص (١١ ـ ٢٥)

(١١) ـ إنانا تفضل الفلاح وإعداد فراش العرس

(١٢) ـ إنانا وموافقة والديها

(١٣) ـ اللقاء السرّي على ضوء القمر

(١٤) ـ المشاكسة الغرامية بين الحبيبين

(١٥) ـ نشيد آخر لإعداد فراش العرس

(١٦) ـ إنانا تقترن بدوموزي

(١٧) ـ سعادة النوم بقرب الحبيب

(١٨) ـ إذا ما دخلت إنانا الحظيرة

(١٩) ـ الإلّهة تطفىء القمر وتسحب
المزلاج لاستقبال الحبيب

(٢٠) ـ الرجل ـ العسل

(٢١) ـ حوارية ألتحق بحضن حبيبي

(٢٢) ـ إلى حديقته أدخلني دوموزي

(٢٣) ـ دوموزي يمازح شقيقته

(٢٤) ـ بعد أن أشبع الحبيب شهوته

(٢٥) ـ الحب الذي أضاع دوموزي

(١١) ـ إنانّا تفضل الفلاّح
وإلّه الشمس أوتو يُعدّ
فراش العرس لدوموزي

في هذه القصيدة الطويلة والغنية بمحتوياتها وتدرّجها، نشهد إلّه الشمس أوتو[١] شقيق الإلّهة إنانّا، يشيد بالكتّان الذي ينمو مزروعاً ويعِد بتقديمه لإنانا كغطاء لفراش العرس. وتتحاور إنانّا مع أوتو لمعرفة من سيحول الكتان إلى خيوط ثم إلى نسيج ومن سوف يصبغه وفي النهاية من الذي سوف يضاجعها على غطاء الكتان هذا؟

وإجابة أوتو، توجِّهها نحو دوموزي الراعي الذي سوف يقدم لها لَبَنه الدسم وسمنه وأجْبَانه... ولكن إنانا تفضّل الفلاح وتسوّغ اختيارها.

وهنا تنطلق المنافسة بين الراعي والفلاح ويدافع كل واحد منهما عن منتجاته ويقارن دوموزي مدافعاً عن نفسه بين ما يقدمه كل منهما وكأنه بذلك يتوصل إلى استمالة قلب إنانا، مما يجعل دوموزي يذهب لرعاية قطيعه، وهو مبتهج القلب. وهنا يعود الفلاح للظهور ولكنه في هذه المرة، يظلّ مسالماً، ويعرض على دوموزي مصالحةً في نهايةٍ جميلة. فيدعوه دوموزي لحضور عرسه مع إنانا ويعد الفلاح بحضوره محمّلاً بالهدايا.

[...]

3 ـ «أي إينّين[٢] الكتّان ـ المزروع الذي ينمو،

أي إنانا، الكتان ـ المزروع الذي ينمو

5 وتملأ بذُوره الأثلام!

أي أختي، أنتِ التي جعلتِ الأشجار الكبيرة تنمو،

أي إنّين، أنت التي جعلتِ القَصَبَ المشوق يتكاثر بسرعة،

أريد أن أعزقَ للحصول من أجلك على هذه النبتة،

وسوف أجلب لك الكتان ـ المزروع، أي أختي!

10 أي إنانا، سوف أجلب لك الكتان ـ المزروع!

---

(١) (Utu) التسمية السومرية للإلّه الشمس.

(٢) (Innin): لقب إنانا أو اسم آخر لها.

ـ أي أخي، عندما ستقدم لي الكتان ـ المزروع
من الذي سيمشّطه لي، من سيمشّطه لي؟
هذا الكتان من سيمشّطه؟
ـ سوف أجلبه لك ممشَّطاً أي إنانا!
15 يا أخي، عندما ستقدمه لي ممشطاً،
من سيغزله لي؟ من سيغزله؟
ـ سوف أجلبه لك مغزولاً، أي أختاه
أي إنانا سوف أجلبه مغزولاً!
يا أخي، عندما ستقدمه لي مغزولاً
20 من سيجدلُه لي؟ من سيَجْدلُه لي؟
هذا الكتان من سيجدله؟
ـ سوف أجلبه لك مجدولاً يا أختاه!
أي إنانا، سوف أجلبه لك مجدولاً!
يا أخي، عندما ستقدمه لي مجدولاً
25 من سيسدّيه لي، من سيسدّيه لي؟
هذا الكتّان من سيسدّيه؟
ـ سوف أجلبه لك مسدّىً، أي أختاه!
أي إنانا سوف أجلبه لك مسدّى!
يا أخي عندما سوف تقدمه لي مسدّىً
30 من سينسجه لي؟ من سينسجه لي؟
هذا الكتان من سينسجه؟
ـ سوف أجلبه لك منسوجاً يا أختاه!
أي إنانا، سوف أقدمه لك منسوجاً.
35 ومن سيصبغه لي، من سيصبغه؟
هذا الكتان من سيصبغه؟
ـ سوف أجلبه لك مصبوغاً أي أختاه،

أي إنانا سوف أجلبه لك مصبوغاً!

وهنا تعبّر إنانا عما يشغلها في المرحلة التي تلي إعداد غطاء الكتّان المسدّى والمصبوغ فتسأل:

41 أي أخي، عندما ستقدّمه لي مصبوغاً

من هو الذي سيضاجعني؟ من سيضاجعني عليه؟

ويجيبها أوتو بشكل طبيعي وبدون تردّد بأن الذي سيضاجعها هو دوموزي الذي يشير إليه بلقبه «آما ـ أوشوم چالانّا»[1] وبصفته «صديق إنليل»

ـ «الذي سيضاجعك، إنه هو!

الذي سيضاجعك ويصبح «قرينك» إنه هو!

45 إنه آما ـ أوشوم چالانّا الذي سيضاجعك

إنه صديق إنليل، الذي سيضاجعك!

سيضاجعك من وَلَدَهُ حضن كريم،

من أنجبه ملك: إنه هو الذي سيضاجعك!»

ولكن إنانا تعلن بنفسها اختيارها:

50 «كلاّ! إنه الرجل القريب إلى قلبي

الرجل القريب إلى قلبي

الذي سلب مني روحي

والذي تطفح عنابره، دون أن يضطر للعزق،

والذي في صوامعه لا يتوقف سكب الحبوب

إنه الفلاح، الذي امتلأت عنابره حَبّاً!»

هنا تنتهي هذه اللوحة ولكن من حسن الحظ، عثر على لوحة أخرى أو نص آخر يكمل الأول وأمكن الربط بينهما ولو كانا مستقلين. وهنا نرى أوتو إله الشمس يرفض أخذ اختيار إنانا بشكل جدي ويصرّ عليها مفضلاً الراعي دوموزي:

---

(١) أحد ألقاب دوموزي Ama-Ushumgalanna.

66 ـ «إقترني بالراعي، يا أختاه!
إنانا أيتها الفتاة، لـمَ ترفضينه؟
لذيذة قِشْدتُه ومنعش لبنُه
كل ما يمسّه هذا الراعي يتألّق!
70 اقترني إذن بالراعي يا إنانا:
أنت التي تتزينين بالأحجار الكريمة «أونو» و «شوبا»[1]
لـمَ ترفضينه؟
أنت حامية الملوك، لـمَ ترفضينه؟»

إنانا تصرّ على رأيها:

74 كلاّ! لن أتزوج من الراعي:
أنا لا أريد ارتداء ألبسته الخشنة
أنا لا أريد لبس صوفه الصفيق
أنا الفتاة الصبيّة، أريد الاقتران بالفلاح:
الفلاح الذي ينتج بكثرة زروعاً كهذه،
الفلاح الذي ينتج بكثرة حبوباً كهذه!
[. . .]

ومثل هذا التصريح أثار دوموزي مما جعله يدافع عن نفسه ويشيد بما لديه:

94 «ما لدَى هذا الفلاح أكثر منّي،
هذا الفلاح ما لديه أكثر مِنّي. . .
96 ما لديه أكثر منّي هذا الفلاح؟
إن قدَّم لي طحينه «الأسود»
فأنا أعطيه نعجتي السوداء!
إن قدَّم لي طحينه «الأبيض»
100 أعطيه، أنا نعجتي البيضاء
إن سكب لي جعَتَه المختارة

(١) (Unu) و (Shuba): تسميتان لحجرين كريمين لم يمكن التعرّف عليهما.

فأنا أصبّ له لَبَني (الأكثر) دسماً!
إن سكب لي جعته الفاخرة
فأنا أصب له لبني القسيم!
105 إن صبّ لي جعته اللزجة،
فأنا أصب له لبنيَ المخضوض!
إن سكب لي جعته الممدّدة
فأنا أعطيه «لبن ـ النبات»[1]!
إن قدّم لي الهاهالا[2] ذي ـ الحلاوة
110 فأنا أقدم له لبني ـ إيتيرْدَا[3]!
إن قدّم لي أفضل خبزه
فأنا أعطيه ألذّ أجباني طعماً!
إن قدّم لي عَدَسه (؟)
فأنا أعطيه أجباني الفائقة النعومة!
115 وبعد أن أكون قد أكلت كفاية وشربت كفاية،
116 يمكنني أن أترك له ما بقي لي من القشدة
يمكنني ترك ما بقي لي من اللبن!
117 أكثر منّي، ما لديه إذن أكثر منّي، هذا الفلاح؟»

من المحتمل أن يكون هذا الدفاع قد أثّر على إنانا، مما أدخل البهجة إلى قلب دوموزي معتبراً أنه ربح المنافسة وعاد لأعماله وهو مبتهج:

118 «فليبتهج! وليبتهج
على الضفة، على شاطىء النهر، بينما كان يبتهج!
بينما كان الراعي مبتهجاً على الضفة،

(١) لا يزال تعبير «لبن ـ النبات» غير مهفوم لدى علماء السومريات ولعلّه النبيذ.
(٢) (Hahala) مادة سكّرية نباتية المصدر.
(٣) (Itirda) نوع من متتوج لبني المصدر.

على شاطىء النهر!

121 كان الراعي إذن يقود أغنامه على الضفة

وبينما كان الراعي يسهر على أغنامه على الضفة،

اقترب منه الفلاح، أنكيمدو[1] الفلاّح اقترب!

اقترب من دوموزي، سيد الخنادق والسدود

125 وفي سهبه، في بريته أطلق دوموزي النزاع،

أطلق الراعي دوموزي النزاع (من جديد)، وهو في سهبه».

إلا أن الفلاح لم يكن مستعداً للعودة إلى النزاع والمنافسة بل بالعكس فإنه يهدىء من غضب دوموزي ويعرض عليه مصالحة وأخوّة.

128 «أنا وأنت، أيها الراعي، أنا وأنت،

ما الذي يدفعني للتنازع معك؟

130 دعْ أغنامك تقضم عشب الضفة،

دعْ أغنامك ترعى في حقولي المزروعة،

دعها تأكل شعيري وهو على ساقه

دعها تقضم نباتي الحَبّي عبر ريف

أوروك المنوّر!

ولترتوِ جديانك وحملانك من قناتي

السوروچال!»[2]

تلك كانت النهاية السعيدة بين الراعي والفلاح[3]، بل يذهب النص إلى ما هو أبعد من ذلك، حين يدعو دوموزي «صديقه» الفلاح لحضور عرسه:

135 «إلى زواجي أنا، الراعي

ستحْضُر كصديق، أيها الفلاح:

---

(١) (Enkimdu) اسم الفلاح المشتقّ من اسم أنكي.

(٢) (Surugal) قناة مجاورة لمدينة أوروك.

(٣) ونحن نعلم أن قصة قايين وهابيل التوراتية لم تنتهِ على هذا الشكل.

كصديق، أيها الفلاح أنكيمدو
كصديق، أيها الفلاح، وسوف تُعدّ
كصديقٍ لي!»

وأجمل من هذه الدعوة هو جواب الفلاح معدّداً هدايا العرس:

سوف أحمل إليك الطحين وأجلب لك البَيْقة
سوف أجلب لك العدس!
140 أيتها المرأة الصبيّة، كل ما ترغبين به
سوف أقدمه لك أيتها الفتاة إنانا، . . . الحبّ والبَيْقة

وهكذا تمكّن دوموزي من كسب قلب إنانا وجعلها تقبل به كعريسٍ لها.

(١٢) ـ إنانا تحصل على موافقة والديها على اختيارها

إنانًا هي ابنة نانّا الإلّه القمر السومري وأمها هي نينجال «السيدة العظيمة». وبينما كان دوموزي ينتظر بصبر في جيپار[١] معبد الايانا في أوروك تعددُ بداية القصيدة ما كانت تتزين به إنانا في تلك المناسبة. إذ إنها اختارت اللازورد لتزيين صدرها واللؤلؤ البيضوي لتزيين رأسها وردفيها وأحجار اللازورد ـ الدورو لعَقيصة شعرها ورقائق ذهبية لتصفيفة شعرها وأقراط ذهبية لأذنيها وجواهر متدلية لشحمة أذنيها وزينات أخرى متعدّدة لوجهها ولأنفها ولقطنها، وحجر من المرمر اللماع لسرّتها و. . . لفرجها؛ وقد انتعلت صندلاً. وعندما رآها دوموزي وهي في زينتها هذه التهب قلبه شوقاً لها. ولكن إنانا تبقى مهتمةً بتوجيه رسالة لأبيها تعلمه بموجبها وبتعابير جذِلة عن مشروعها للاقتران بحبيبها:

37 «سوف يوسع لي بيتي، يوسع لي بيتي

بيتي أنا الملكة، بيتي سوف يوسعه:

سوف يوسع لي الجيپار!

40 حيث سيُنصب فراشي المخصب

وسوف يُغطى بالقماش الأزرق ـ دورو[٢]

عند ذلك سوف أقود إليه رجل أخياري

سوف أقود إليه آما ـ أوشومجالانّا[٣]

وسوف يضع يده في يدي

45 وقلبه على قلبي،

كم هو عذب ومريح، النوم ويدي في يده

كم هي طلية اللذة، حين يلتصق قلبه بقلبي!»

---

(١) (gipar): القسم المخصص للكهنة أو للآلهة في معبد الإيانا (Eanna) وهو المعبد المخصص للإلّهة إنانا في أوروك ومعناه بيت السماء، بيت الإله آن.

(٢) (duru) صفة قد تعني الشفافية أو بريق اللازورد.

(٣) (Ama-Ushumgalanna) أحد ألقاب دوموزي.

وحين يأتي دوموزي لزيارة إنانّا وهي تسكن في بيت أمها محملاً بهدايا اللبن والقشدة والجعة، تتردد إنانّا في استقباله ولكن أمها نينجال تشجّعها لإدخال الزائر العريس وتقول لابنتها كما ورد ذلك في قصيدة مختلفة:

العمود الثاني

7 «هيّا! أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أب!
هيّا! أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أم!
أمه تعزّك كما تعزّك والدتك!
10 وأبوه يعزّك كما يعزّك والدك!
إفتحي له إذن بيتك يا ملكتي، افتحي له بيتك!»

عندئذٍ تستعدّ إنانّا كما يليق ذلك بملكة لاستقبال حبيبها:

12 وإنانّا، بناء على أوامر أمّها،
استحمّت ودلّكت جسدها بدهون ناعمة؛
لبَست الرداء الملكي الكريم،
15 أخذت الـ . . . من بائنتها؛
ووضعت حول عنقها (عقداً) من اللازورد،
كما أطبقت بيدها على ختمها.
وبعد ذلك، انتظرت إنّين بلهفة.
عند ذلك فتح دوموزي الباب
20 ودخل إلى البيت مثل شعاع قمر.
فتأمّل (إنانا) وهو يشعر بفرحٍ عظيم،
شدها إلى صدره، وقبلها. . .

لا ينتهي النص عند هذا الحد، إلا أن بقية اللوحة هي في حالة سيئة ويفهم منها أن دوموزي[١] يدعو أولاً إنانا لتتبعه إلى معبد إلّهه الشخصي لكي تتلقى فيه التكريم اللازم. . . وبقية النص غير مفهومة بسبب التشويه.

---

(١) قد يكون الراعي هنا هو الملك الذي يمثل دور دوموزي في هذا اللقاء بين العروسين.

(١٣) ـ اللقاء السري على ضوء القمر بين الحبيبين

منذ الفترة السومرية وحتى اليوم، لم يتغيّر شيء بالنسبة للعشاق، فمنذ ذلك الزمن كان يتم اللقاء السري بين الحبيبين، تُغطّيه أمام الأم كذبة الفتاة، ولا يسوّغ ذلك سوى صِباها وشوقها للقاء حبيبها. تبدأ هذه القصيدة بمناجاة فردية على لسان إنانا:

وجه اللوحة

1 «البارحة، بينما كنت أنا، الملكة، أمضّي الوقت،
البارحة، بينما كنت أنا إنانا، أمضّي الوقت،
أمضّي الوقت في الرقص،
وفي الغناء طول النهار حتى حلول الليل،
5 إنه التحق بي، التحق بي:
الملك، صديق آن التحق بي!
الملك أمسَك بيده يدي:
أوشوم چالانّا[١] قبلني. . .»

وبما أنها لم تكن تعلم ماذا تقول لأمّها، لذا حاولت التهرّب من قبلاته:

9 «هيا، أيها الراعي، دعني: يجب أن أعود إلى بيتنا!
دعني إذن يا صديق إنليل: يجب أن أعود إلى بيتنا!
أيّة كذبة سوف أرويها لأمي؟
أيّة كذبة سوف أرويها لأمي نينچال؟»[٢]

لكن دوموزي يجيبها بما كانت تنتظر منه:

---

(١) لقب دوموزي (Ushumgalanna).
(٢) (Ningal) بمعنى السيدة العظيمة أو الفائقة السمو.

13 «سوف ألقّنك (ما سوف تقولين) سوف ألقنك،
سوف ألقنك كيف تكذب النساء!
15 (قولي لها) «صديقتي كانت تمرح معي في الساحة
رَقَصَتْ حولي على وقع الطبلة
وغنّت لي الأناشيد الأكثر عذوبة!
وهكذا أمْضيتُ الوقت أتذوق حلاوة اللذة!»
وهكذا وبهذه الحيلة تقفين أمام أمك
20 بينما نحن سوف نستسلم لشهوتنا على
ضوء القمر!
على الفراش المقدس، الفراش الفخم سوف
أحلّ لك شعرك
وأمضي معك أجمل اللحظات بفرح عظيم!»

وعلى ظهر اللوحة يختتم الشاعر قصيدته وكأن إنانا تلقت وعداً بالزواج فتنطلق بفرحٍ لتتحدث عن الجارة التي سوف تقدم شهادة طيّبة بدوموزي أمام أمها نينچال:

ظهر اللوحة

4 «جارتنا» أتت حتى بوابة أمي
وسوف أركض إليها بلهفة!
إنها أتت حتى بوابة أمي
وسوف أركض إليها بلهفة!
سوف تتحدث إلى أمي لمصلحتك
جارتنا، وسوف ترش الأرضية (لاستقبالك؟)
10 سوف تتحدث لمصلحتك إلى أمي نينچال
جارتنا، وسوف ترش الأرضية (لاستقبالك؟)
بيتها يفوح طيباً
وكلماتها تقطّر الفرح!

«سيدي» (قالت) هو جدير بالحضن المقدس:

آما - أوشوم - ڠالانا[1] سوف يصبح صهر نانّا!

السيد دوموزي هو جدير بالحضن المقدس

آما - أوشوم - ڠالانا سوف يصبح صهر نانا[2]!...»

(١) لقب دوموزي. ورد آنفاً مختصراً (Ama-Ushumgalanna).

(٢) نانا (Nanna) الإله القمر والد إنانا كان يعبد في مدينة أور مدينة ابراهيم.

(١٤) ـ المشاكسة الغرامية بين الحبيبين

. . . .

7 «لا تباشري النزاع، أيتها المرأة الفتية
لنتحدث عن ذلك فقط، أي إنانا!
أي إنانا، لا تباشري النزاع
10 فلنتفكّر معاً في الأمر، يا ملكة القصر!
أبي جدير بالاحترام كمثل أبيكِ:
لنتحدث عن ذلك، أي إنانا!
أمي جديرة بالاحترام كمثل أمكِ:
يا ملكة القصر، فلنتفكّر في الأمر!
15 جيشتينانّا[١] أختي، هي أيضاً جديرة
بالاحترام [مثل أختك][٢]:
فلنتحدث عن ذلك، أي إنانا!
وسيرتور[٣] (أمي) لا تقل احتراماً عن نينجال[٤]:
يا ملكة القصر، فلنتفكّر في ذلك!»

وبحسّ عميق لنفسية العاشقين يضيف الشاعر:

«الكلمات التي تلفّظ بها هكذا
لم تكن سوى كلمات رغبة:

---

(١) (Geshtinanna) هو اسم أخت دوموزي وكانت مشهورة بمعرفتها بتفسير الأحلام.
(٢) ينقص هنا اسم أخت إنانا الذي نجهله.
(٣) (Sirtur) أم دوموزي.
(٤) (Nin-gal): بمعنى السيدة الفائقة السمو.

ومثل هذه المشاكسة
تدفع إلى تجاذب القلوب!»

ويتبع هذا التعليق خلوة غرامية مملوءة بالتلميحات والتشابية التي إذا ما بقيت غامضة بالنسبة لإنسان اليوم، فإنها كانت حتماً تدخل في لغة الأدب الغزلية أو الجنسية لذلك الوقت: فقد كان من المفروض على دوموزي أن «يملأ بالماء» «السطح ـ الشرفة» و «صهريج» إنانًا وأن «يحرث» حزام الأحجار الكريمة الذي كانت تتزين به إنانا مربوطاً حول جسدها. بينما كان يسحرها، لدى حبيبها، هي لحيته الفاتنة، حرفياً «لحيته اللازوردية»:

43 «من غيره (إن لم يكن هو) صُنع من أجلي؟
من غيره إذن صنع من أجلي؟
كم هي فاتنة لحيته
45 هو، الراعي، الذي خلقه آن من أجلي،
كم هي فاتنة لحيته!
إنه الملك (؟) كم هي فاتنة لحيته!
كم هي فاتنة لحيته!»

(١٥) ـ نشيد آخر يعدّ لفراش العرس
«الفراش المخصب»

يشير هذا النشيد إلى إعداد «الفراش المخصب» وإقامته في معبد الإيانا من قبل الكهنة أو الكاهنات «لابسي ـ الكتان» ثم إلى إعلان قدوم إنانا متوجهة نحو دوموزي، وقد رتبت بقربه المآكل والمشروبات ثم يدعونه للتقدم نحو «قرينته» في الكي ـ أور حيث كان يجلس فيه على عرشه الإله إنليل سيد الآلهة السومرية.

51 «في الإيانا[١]، أعد «لابسو الكتان» من أجله هيكلاً
وَوُضِعَ عليه الماء من أجل الملك. وكلّموه.
كما وُضع أيضاً خبز. وكلّموه:
خذ راحتك في القصر، قالوا له!
55 أي دوموزي، أنت الذي تتألّق في القصر وفي البلاد
إنانا الجليلة التي هي زينتك، زينتك
إنانا الجليلة، إنانا الجليلة، لباسك، لباسك
ثوبك الأسود، ثوبك الأبيض
إقتربْ منها، سيدي، بعد أن قَدمَتْ إلى هنا!
60 تقدم منها مردِّداً نشيداً يَسْلب الروح!
تقدم نحو عرشها (؟)، العرش الذي يحتلاّنه
(هي وإنليل)
تقدم نحو مكانهما، المكان حيث يوجدان:
لأنه هنا تمت إقامة، تمت إقامة،
تمت إقامة إنليل (مع إنانا) في الكيؤر!»[٢]

تلا ذلك مباركة من قبل إنانا موجّهة إلى دوموزي لدى اقترابه منها:

(١) (Eanna) بمعنى بيت آنو (هي وإنليل) وهو معبد إنّانا.
(٢) (كي ـ أور): جزء من المعبد وخاصة معبد إنليل في نقر، الإيكور (Ekur).

65 «أيها الثور الوحشي! حياة البلاد، سوف أمنح
الحياة لشعبك،
سوف أحقق كل رغباتهم!
سوف أجعلهم يحكمون بالعدل في المقر الأميري
وسوف أجعل كي تُلفظ بصددهم،
في القصر، القرارات المُنصِفة»!

وينتهي النص بطلب من دوموزي موجّه إلى إنانا:

69 «صدرَك يا اينّين هو حقل
أي إنانا، صدرك هو حقل:
حقل متسع ينتج الزروع
حقل فسيح يسكب الحبوب!
75 انشري من أجل الملك [. . .][١]
73 الشراب بوفرة، (انشري) من أجل الملك،
فيضاً من الأطعمة
74 الشراب بوفرة، من أجل الملك والأطعمة (انشري)
فيضاً من الأطعمة:
76 تقبّلي أن أحصل عليها من قبلك!»

(١) تم تعديل تسلسل الأسطر تسهيلاً للفهم.

(١٦) ـ إنانا تقترن بدوموزي وتجعل منه إلّهاً للبلاد

في هذا النشيد، وبدون تردد، يقع اختيار إنانا على دوموزي ليصبح قريناً لها. فيحققان بنتيجة اقترانهما أعجوبة إخصاب الطبيعة ونموّها بالإضافة إلى ألبان دوموزي الدسمة وأجبانه. ودوره هنا يفوق دور الراعي لأنه أيضاً، إله خصب البلاد. وعندما يتّضح النص، نستمع إلى إنانا:

العمود الأول

22 «بعد أن استعرضْتُهم جميعهم
فإن دوموزي هو الذي دعوتُه ليصبح «إله البلاد»:
دوموزي المفضل لدى إنليل
25 والذي كانت تميل إليه أمي
وكان أبي يشيد به!»

وبعد هذا الاختيار يتابع النص مشيراً إلى أن إنانا تستحم وترتدي ملابس السلطة الخاصة بها وحدها وتطلب بأن يؤتى بدوموزي إلى معبدها الذي كانت تملؤه الأناشيد والتضرعات، وذلك لكي تتذوق السعادة برفقته. وبمجرد وجوده إلى جانبها يثير فيها شهوة ورغبة عارمتين تجعلانها ترتجل بصدد فرجها، مقطعاً تشبّه فيه عضو عشيقها «بمقدمة سفينة السماء» في انتصابه أمام حقلٍ، أمام تلةٍ تحتاج إلى حراثة:

العمود الثاني

25 «أما بالنسبة لي أنا، بالنسبة لفرجي، أنا،
التّلّة المتفخة،
فرجي، أنا الصبيّة، من سيحرثه لي؟
فرجي أنا، هذه الأرض الرطبة التي هي أنا

أنا، الملكة، من الذي سيضع فيّ
ثيرانه (للحراثة)؟»

ويأتي الجواب سواء من دوموزي متحدثاً عن نفسه بصفة الغائب أم من قِبل الكورس:

29 «أي إينّين، إنه الملك، الذي سوف يحرثك
إنه الملك دوموزي الذي سوف يحرثك!»

وتجيب إنانا وهي في قمة الشهوة:

31 «احرث إذن فرجي، يا رجل قلبي!»

ثم تغسل جسدها الجميل ويضطجعان معاً.

العمود الثالث

9 «وبمجرد أن تدفّق من حضن الملك «ماء ـ القلب»[١]
فعلى جوانبه انبثقت الزروع، وعلى جوانبه نبت الحَبّ:
وبقربه زخرت بنموٍّ نباتِها السهوبُ والمروج!
بينما في بيت ـ الحياة، في القصر الملكي،
رَكنت قرينتُه إلى جانبه تملأ قلبها البهجة؛
في بيت ـ الحياة، في القصر الملكي
15 بقيت إنانا إلى جانبه مكتملة البهجة!»

وأثناء وجود إنانا بقرب دوموزي، تقدمت منه بطلب وأرفقته بعد ذلك بوعدٍ منها:

18 قدِّمْ لِيَ اللبنَ الدسم، أي «قريني»، قدم لي اللبن الدسم:
أريد شرب اللبن الطازج من يدك أي «قريني»!
20 أيها الثور الوحشي، دوموزي، قدّم لي اللبن الدسم:
أريد شرب اللبن طازجاً من يدك، أي «قريني»!
في وسط الحظيرة دفّق من أجلي لبن ماعزك:

(١) تعبير «ماء ـ القلب» هو تسمية شعرية سومرية لمنيّ دوموزي الذي يتدفق من «حضنه».

املأ مخضّتي المقدسة بـ [. . .] الجبن!
أريد أن أشرب معك اللبن الطازج، أيها
السيد دوموزي!». . .

وتتعهد إنانا بالمقابل «بحراسة مستودعه»:

23 أي «قريني»، المستودع الجميل والحظيرة المقدسة
سوف أحفظهما لَكَ، أنا إنانا!
30 سوف أسهر على بيت ـ الحياة
المكان الأكثر سطوعاً والأكثر روعة على الأرض،
القصر حيث تقرر مصائر كافة الناس،
ومنه تتم إدارة كافة البشر والكائنات الحيّة:
أنا إنانا سوف أحفظهما لك.
35 سوف أسهر على بيت ـ الحياة خاصتك
بيت ـ الحياة هذا ومستودع ـ الحياة ـ المديدة.

العمود الرابع

1 أنا إنانا سَوف أحفظهما لك!. . .
[. . .]

(١٧) ـ سعادة النوم بقرب الحبيب

في هذا النشيد القصير من نغم «بالْبال»[١]، نسمع الكورس أو مرافقات إنانا أثناء الإشادة بدوموزي الصهر، صهر نانا الإلّه القمر وصهر الأم نينچال، السيدة العظيمة:

[. . .]

3 أنت أخ لنا! أنت أخ لنا!

أنت الـ [. . .] أخ القصر

(أنت) قائد السفينة ـ ماچور[٢]

أنت سائق عربة [. . .][٣]

أنت الأب وأنت قاضي المدينة

[. . .]

10 أيها الأخ لنا: أنت صهر لأبينا،

الصهر الأكثر امتيازاً

الذي يزوّد أمّنا بكل الخيرات

وهنا تجيب إنانا مكلّمة الحبيب:

13 قدومُك يبعث الحياة!

قدومَك إلى «البيت» يحمل الكثرة

النوم بقربك، منتهى سعادتي! . . .

---

(١) (Balbal) تسمية لنغم أو لنوع من القصائد والأناشيد.

(٢) (Magur): سفينة ذات قياسات كبيرة تستعمل لنقل المواكب الدينية في النهر.

(٣) يمكن محاولة الاستكمال بعربة «الشعب» بالمقارنة مع نشيد الأنشاد (٦: ١٢).

(١٨) ـ إذا ما دخلت إنانا الحظيرة. . .

يدور هذا النشيد المؤلف من أربعة أزمنة، حول موسيقى مخضّة الحليب وتصوُّر دوموزي كعشيق، بهجَة الحظيرة لدى زيارة إنانا لها ودوره هو في نقل البهجة إلى قلب إنانا. وأخيراً ما يأتي به اتصاله بإنانا من خصب ووفرة في الحظيرة.

المقطع الأول

1 «يا لَلنغم العَذب، ـ مثل (صوت) بقرة!
يا للصدى العذب مثل (صوت) عجل!
أي إنانا، أنت التي تطوفين في الحظيرة،
ما أن تصلي إليها أيتها الصبيّة
حتى تُسْمِع المخضةُ نغمها أي إنانا!
5 مخضّة حبيبك سوف تُسمع نغمها!
مخضّة دوموزي سوف تُسمع نغمها
المخضة سوف تسمع نغمها أي إنانا!
مخضّة دوموزي سوف تُسمع نغمها

المقطع الثاني

سوف أجعل نَغَم المخضّة المهزوزة يتردّد من أجلك!
10 علّني أنقل الفرح (إلى قلب) إنانا
المخضّة النبيلة، سوف يتردّد نغمها من أجلكِ!
علّني أستطيع جعلك تفرحين يا سيدة القصر
والراعي ذو الصوت المتناغم
سوف يردّد لك لحناً ممتعاً!
15 هذا النشيد الأكثر عذوبة، أي إنانا،
سوف يجعل قلبك فرِحاً!

المقطع الثالث

أي إينّين، عندما ستدخلين الحظيرة،

سوف تكون الحظيرة يا إينّين مبتهجة أمامك!

أيتها الغانية، عندما ستدخلين الحظيرة،

20 الحظيرة يا إنانا، سوف تتهلل أمامك!

وعندما ستقتربين من المعالف (؟)

فالنعجات الوفيّات سوف تنشر

صوفها أمامك!

المقطع الرابع

لكي يتمكن آما ـ أوشوم چالانّا[١] «قرينك»

من التأوه (لذةً) على حضنك!

25 وعندما تنْشر الحظيرة النبيلة القشدة على الأرض من أجلك!

سوف أنضحُ القشدة، سوف أنضح اللبن،

وسوف أبهجُ روحَك أي إنانا.

ولئن تنشر الحظيرة النبيلة على الأرض القشدة من أجلك

فسوف أبهج روحَك يا سيدة القصر!

30 من أجل الملك الذي دعوت إلى قلبك

من أجل دوموزي «ابن إنليل»،

فلتنتج الحظيرة القشدة واللبن (بكثرة)!

ولتكن الحظيرة خصبة!

وليتمكن الراعي الأمين من تمديد حياته

35 وليمدد دوموزي الراعي الأمين أيام الكثرة!»

---

(١) لقب دوموزي أو اسم آخر له (Ama-Ushumgalanna).

(١٩) ـ الإلّهة تطلب من الحبيب الالتحاق بها ليلاً بعد أن تطفىء القمر وتسحب المزلاج من أجله

[. . .]

7 «. . . والده، مثل رسول. . .

. . . رسولي. . .!

أي صهرنا، عندما يغيب النهار

10 أي صهرنا، عندما يأتي الليل

عندما سيدخل القمر بيتنا

سوف أطفىء النجوم على مساراتها!

أي صهرنا، عندما يأتي الليل

أي صهرنا، عندما يكون قد انتهى النهار

15 وعندما سيدخل بيتنا القمر،

وعندما أطفىء القمر في الأعالي

عند ذلك، سوف أسحب المزلاج من أجلك. . .!»

يلي تشويه في حوالي ١٦ سطراً وحين يتّضح النص نشهد الإلّهة، تظهر إعجاباً شهوانياً بُهلبته الكثيفة الشعر وترجوه أن يشدّها على صدرها أو حضنها؟:

34 «ياذا الشَعْر الكثيف، يا ذا الشعر الكثيف، أنت لي!

يا حبيبي، يا ذا الشعر الكثيف، أنت لي!

يا ذا الشعر الكثيف مثل نخلة، أنت لي،

يا ذا الشعر الكثيف مثل (أغصان) طَرْفاء ملتفة!

يا صاحبي، يا ذا الشعر الكثيف، ستّةَ أضعافٍ

شُدّه على حضننا، يا حبيبي!

40 يا أسَدي ذا اللبدة الكثيفة، أربعة أضعاف

شدّها على حضننا، يا أخي، يا ذا الوجه الجميل!
يا ذا الشعرِ البراق! يا ذا الجزّة الكثيفة!
يا ذا الشعر الكثيف، الخلاّب، مثل بلاط مصقول!
يا . . . المتين، ذا الشعر الكثيف:
45 أنت في نظري تمثال ذهب حقيقي:
تحفة فنّان في معالجة الخشب
تحفة فنّان في معالجة المعدن[١]
بودي أن أضعك أمام تحدٍّ، يا حبيبي!»

نحن نجهل مضمون هذا التحدّي بسبب فقدان سبعة أسطر وينتهي النص بمباركة تطلقها العشيقة الإلّهة لمصلحة الملك:

56 «كنْ . . . سعادة!
كنْ ملكيةً مولّدةً لأيامٍ سعيدة!
كن عِيداً يجعل الوجوه مشرقةً
كنْ مَعدَنَ الشَبَه يزيّن اليد (التي تحمله)!
60 يا مفضّل إنليل، أنت لي!
فليجد فيك قلب إلّهك تغاضيه!
تعال (قربي) في الليل! ابق (مَعي) الليلَ (بكامله)!
تعالى (قربي) في النهار! إبقَ (معي) النهار (كله)!
فليمهد لك إلّهك[٢] الطريق
65 وليقم بتسويته لك حَمَلة المعازق والقفف»[٣]

---

(١) التماثيل القديمة كانت تصنع من الخشب المنحوت الملبس برقائق معدنية من ذهب أو فضة . . .
(٢) المقصود هو الإلّه الشخصي لدوموزي.
(٣) حملة القفف لنقل المواد، هم العاملون في مجالات البناء وهنا في تمهيد الطريق تسهيلاً لمرور الحبيب.

(٢٠) ـ الرجل ـ العسل

ورد تعبير الرجل ـ العسل بالسومرية في وصف الحبيب بمعنى الحبيب الفاتن والساحر والجذّاب وتعبير عسل يعني هنا حلاوة الحبيب ولو أن سومر لم تكن تعرف في ذلك الوقت عسل النحل ولكنها عرفت عسل التمور والثمار.

[. . .]

5 «أيها الرجل ـ العسل! الفاتن الذي يغمرني
بالحلاوة إلى الأبد!
أيها الإلّه الأكثر سحراً بين الآلهة.
يا حبيب ـ أمه، أنت لي!
أنت ذو اليدين الناعمتين والرجلين الجميلتي الشكل:
اغمرني بحنوّك إلى الأبد! . . .
أنت الذي بحيوية وإقدام، سحرت لي
سُرّتي، [يا حبيب ـ أمه، أنت لي]
أي . . ذو حلقات الشعر الجميلة: الخسّة[١]
التي تنمو قرب الماء!»

---

(١) وفي مناسبات أخرى يُشبّه شعر الحبيبة المعقوص نحو الأعلى بالخسّة.

(٢١) ـ حوارية ألتحقُ بحضن حبيبي

في هذه الحوارية بين الحبيبين وبين الحبيبة ومرافقاتها أو تابعاتها[1] متحدثة أمامهن عن الحبيب وعن شوقها للقائه، نشهد إنانا «الأخت» تعدّد لنا تفاصيل استعداداتها وتبرّجها قبل قدوم الحبيب، «الأخ»، ولا تخفي عن مرافقاتها فرح جسدها بهذا اللقاء. وتسهيلاً لمتابعة النص في انتقاله بين المتحاورين أضفنا في هوامشه اسم المتحدث وتوجّه الحديث:

الحبيب: ماذا عملتِ في دارك يا أختاه؟

ماذا عملت في دارك يا جميلتي؟

الحبيبة: استحممت واغتسلت

استحممت في البركة المتلألئة

5 واغتسلت في الحوض الأبيض!

وفي الحوض دلّكت جَسدي بالدهون؛

ثم اكتسيت بردائي الملكي، رداء ملكة السماء والأرض!

ولهذا السبب، إحتبست في داري!

ثم زيّنت بالكحل عينيّ؛

10 أما شَعري الأشعث فقد لمّعته على نقرتي

مشّطت خصلَ شعري غير المرتّبة:

أنا أعرف المِشبك (؟) ودبوس الشعر اللذيْن يعجبانه!

على رأسي، رطّبت شعريَ المجعّد

وجمّلت جَدائلي المشتّتة

15 لكي تغطّي نقرتي!

ولبست في معصميّ أساور من فضّة

كما ربطت حول عنقي عقداً من اللآلىء الصغيرة

---

(١) ما يوازي بنات أورشليم في نشيد الأنشاد.

واصلحت في مقدمة رقبتي موضع الجوهرة المتدلية

وبعد كل هذه الاستعدادات، تفتح الباب للحبيب الذي يدخل محملاً بالهدايا.

الحبيب: «يا أختاه، (انظري) ما جلبته مما يلائم «عين ـ قلبك»[1]

20 (وفقاً) لقلبك، لقلبك الحبيب (انظري) ما جلبت:

أتيت بالأطايب بكميات من أجلك

يا أختاه، يا نور الكواكب ويا بهجة أمها التي ولدتها:

أختي التي من أجلها أتيت بخمسة أرغفة

أختي التي من أجلها أتيت بعشرة أرغفة

25 وضعتها بترتيب جميل حول صورتك!...»

الحبيبة: (متوجهة نحو تابعاتها):

27 «عندما سيعود أخي من القصر

فليعزف الموسيقيون من أجله

وأنا سوف أسكب له الخمر

30 وبذلك سوف يبتهج قلبه

وسوف تملأ قلبه السعادة!

أحضرن، أحضرن، أحضرن القشدة كثيفة

والجعة مثمِلة!»

الحبيب: «يا أختاه (انظري) ما أتيت به لعندك:

حِملان تضاهي جمالاً، تضاهي جمالاً النعجات!

35 (انظري) أختاه، ما أتيت به لعندكِ:

جِديان تضاهي جمالاً، تضاهي جمالاً العَنزات!

(انظري) يا أختاه، ما أتيت به لعندكِ:

نعم، حملان تضاهي النعجات بظرافتها!

---

(١) التعبير السومري وفق «عين ـ قلبكِ» يعني وفقاً لما تحبين أو ما تفضلين.

(انظري) يا أختاه، ما أتيت به لعندكِ:
نعم، جديان تضاهي العَنزات بظرَافتها
انظري، يا أختاه ما أتيت به لعندك!»

وفي تلك الأثناء كانت الحبيبة على أتمّ الاستعداد للاتصال بعشيقها وأخذت تتحرق شوقاً ورغبة لهذا اللقاء فتنشد متوجهة لمرافقاتها:

الحبيبة: (39) «آه، كم هو منتفخ صدري!
40 وأية فروة كست فرجي!
لنكن سعيدات: أنا ألتحق بحضن حبيبي
سيّد الكرم والجود!
ارقصن، ارقصن (جميعكن)!
قسماً بباؤ[1] لنكن مبتهجات من أجل فرجي!
ارقصن، ارقصن (جميعكن)!
45 سوف تكون خاتمة (هذا اللقاء) جيدة،
بل ممتازة من أجله!»

وتعرّف الفقرة الأخيرة للنص بأنه نشيد «بالبال لإنانا» ويكرّر الشاعر كلازمة، السطر رقم ٣٢:

«أخْضِرنَ، أحضرن، أحضرن القشدة كثيفة
والجعّة مُثمِلة!»

---

(١) (Ba'u) المقصودة هي الإلّهة «باوا» (Bawa) إلّهة مدينة لغش ومن الصعب تفسير ذكرها في هذه المناسبة.

(٢٢) ـ إلى حديقته أدخلني، أدخلني
دوموزي

1 «أدخلني إليها! أدخلني إليها!
أدخلني أخي، إلى حديقته!
دوموزي أدخلني إلى حديقته!
أخذني معه حتى المظلّة
5 وجعلني أركن معه على زهراء مرتفعة!
على الفور اتخذت وضعي تحت شجرة تفاح،
بينما وصل أخي وهو يغنّي
وبينما كان دوموزي يتّجه نحوي:
يتّجه نحوي اعتباراً من الظُلّة السمراء لشجر السنديان
10 يتّجه نحوي تحت حرّ الظهيرة!
سكبتُ من حضني أمامه الخُضار
أنتجتُ له خُضاراً وسكبتها أمامه
أنتجت له حَبّاً وسكبت حبّاً أمامه!»

وفي نشيد آخر وصلنا في حالةٍ سيّئة، أمكن التعرّف على مقاطع من نَفَسٍ مماثل لما سبق، حيث تذكر إنانا بأن الحبيب «وضع يده على يدها» و «رجله فوق رجلها» و «ضغط بشفتيه على فمها» وبعد أن «أخذ معها لذّته»، قادها إلى حديقته حيث كانت توجد «أشجار ذات جذوع عمودية» وأخرى «منحنية».

(٢٣) ـ دوموزي يمازح شقيقته جيشتينانّا[١] أمام مشهد التسافد في قطيعه

1 «كانت تلك أيام كَثرة وليالي وفْرة،
أشْهُر رخاءٍ وسنوات سعادة!
عند ذلك، ومن أجل إدخال الفرح إلى قلوب الناس
7 قرر الراعي دوموزي في قلبه النبيل
5 التوجه نحو الحظيرة لجعل البهجة تنوِّرها،
6 وتضيء كالشمس الحظيرة المباركة»

يبدأ أولاً بإعلام إنانا «قرينته» عن قراره وعن المشروع الذي أزمع تنفيذه:

10 أريد الذهاب إلى السهوب أي «قرينتي»
لزيارة حظيرتي الجميلة
والتعرّف على حالة قطعاني النبيلة
ولكي أقدم لنعجاتي ما تأكله
وإيجاد ماء بليل لتشربه

جواب إنانا غامض وغير مفهوم... ونرى دوموزي فيما بعد، يصل إلى الحظيرة، ترافقه أخته جيشتينانّا. وبعد تناولهما الطعام، يعمد دوموزي إلى ممازحة شقيقته لتسليتها:

30 «ملأَ الحظيرة بكل ما يلزم
وعمّت الحظيرة حركة (تأمين) الكثرة!
ودوموزي وجيشتينانّا تناولا عند ذلك:
وقعة شهية،
سكبا لأنفسهما العسل والسمن

---

(١) (Geshtinanna) اسم شقيقة دوموزي.

وشربا الجعة والخمرة.

5 ثم (قرر) دوموزي، الراعي دوموزي

قرر في نفسه، تسلية شقيقته».

يلي بعد ذلك مقطع مشوّه، تنقصُ فيه كلمات أساسية لتفهم كامل معناه إلا أن مَا أمكن متابعته من محتواه، هو أفضل ما يمكن تقديمه حتى اليوم:

8 «جعل (دوموزي، النعجات) تدخل الحظيرة في رتل أحادي

عند ذلك، ركب حملٌ أُمَّه،

10 سَفَدها ونزا عليها.

فقال الراعي لشقيقته:

انظري يا شقيقتي، ماذا عمل الحمل بأمّه!

وببراءة أجابته شقيقته:

صعد عليها وها هي تثغو لذةً!

15 إذا ما ثغت لذة (قال دوموزي) بعد أن صعد عليها،

فذلك لأنّه أغرقها بمنيّه.

ثم بعد ذلك، عندما ركِبَ جدي أختَهُ سفدها ونزا عليها،

قال الراعي لشقيقته:

أنظري يا شقيقتي، ماذا عمل الجدي بأخته

وأجابت شقيقته ببراءة:

صعد عليها وها هي تثغو لذةً

إذا ما ثغت لذة (قال دوموزي) بعد أن صَعد عليها

فذلك لأنه أغرقها بمنيّه المخصب!»

[. . .]

تلي بعدَ ذلك عدة أسطر مشوّهة ومبهمة المعنى وتنتهي اللوحة بتعبير «قالت له شقيقته» . . . وهذا يعني أن النص لا يتوقف هنا وأن هناك لوحة أو لوحات مكمِّلة لم تُكتشف بعد.

(٢٤) ـ بعد أن أَشْبَعَ الحبيب شهوته
عاد إلى القصر!

وصلنا القسم الأخير فقط من هذا «النشيد البالبال» ونَسمعُ من خلاله إنانا تشكو وتأسف لعودة الحبيب إلى القصر هاجراً الفراش الناعم المضمّخ بالعطر بعد أن أشبع شهوته.

[. . .]

24 «كان حبيبي قد قدم للقائي:
فبلغ معي لذته وكنا سعيدين معاً!
كان أخي قد قادني إلى داره
وجعلني أتمدّد على فراشه الناعم المضمّخ بالعطر!
وعند ذلك تمدّد حبيبي العذب فوق «قلبي»
وبضربة لسان بعد أخرى، وبـ [. . .] بعد آخر
ولكنه بعد ذلك، ويداه على خصْريه[١]

31 بعد أن أشبع شهوته، حبيبي العَذب (قال لي):
دعيني أذهب يا أختاه، دعيني أذهب!
بلى! أي أختي الحبيبة، أنا عائد إلى القصر. . .»
[. . .]

---

(١) يعني ذلك بعد الانتهاء من عمله الجنسي واستعداده للمغادرة.

(٢٥) ـ الحب الذي أضاع دوموزي
وهل موته كان نتيجةً لحبّه؟

أحبّ دوموزي إنانّا الخصب فأنتجت له وللبلاد الماشية والحبوب والخضار وهو في هذه القصيدة التي تُعدّ لمصير دوموزي المؤسف، نراه بكل محبّةٍ يتغنّى بجمال حبيبته وبجسدها، بتعابير رقيقة لا يمكن إلا أن تذكرنا بروح «نشيد الانشاد»...

ولكن إنانا في إجابتها لدوموزي تستشعر الموت الذي ينتظره، وتعدّ نفسها مسؤولة عن ذلك، فهل الموت الذي عرفه دوموزي هو ثمن قبوله، بعلاقته مع إنانا، لحمْل الخصب إلى البلاد وتحقيق تكاثر الماشية والبشر؟ فكان بذلك أول «فادي» بالمعنى المسيحي للفداء، الذي اكتسب بعد أكثر من ألفي عام الروحانية والرمز الذي يحمله؟

والأساطير التي ترد في الكتاب الرابع من هذه المجموعة، عن مصير دوموزي وموته وعن بعثِهِ خلال نصف السنة بسبب قبول شقيقته جيشتينانّا الحلول مكانه للنصف الآخر وعن مسؤولية إنانّا لتعيينه بديلاً منها؛ هذه الأساطير تبقى هنا سؤالاً مطروحاً لا مجال لبحثه من خلال هذا العرض للنصوص القديمة ولمحتواها.

دوموزي يتغزّل بجسد حبيبته

1 «آه يا نزوتي، يا نزوتي، يا نزوتي المسيطرة!
آه يا آسرتي، يا آسرتي يا مَالِكتي!
أنتِ خمري المبهج، يا أحلى عسلي، يا «فمَ ـ
أمّها» الطلّي، يا طليتي!
نظرة عينيكِ تسحرني: تعالي يا أختي الحبيبة!
5 كلمات الاستقبال على شفتيكِ تحرّك مشاعري،
يا «فم ـ أمّها» الطلّي، يا طليتي!
قبلات فمكِ تهزّني: تعالي يا أختي الحبيبة!
و «جِعَتُكِ» المصنوعة من الحَبّ ممتع شربها،
يا «فم ـ أمّها» الطلّي، يا طليتي!

ومُنْتِشَتُكِ الـ . . . ، لذيذة الطعم: تعالي

يا أختي الحبيبة!

رشاقتك في دارك [تحرك عواطفي]،

يا «فم ـ أمّها» الطلّ، يا طليتي!

10 أي أختاه، رشاقتك [تحرك عواطفي]

تعالي يا أختي الحبيبة!

مسكنك ثابت لا يتزعزع. . . يا «فم ـ أمّها»

الطلّ، يا طليتي!»

ويعود إلى دوموزي صدى إعلانه لحبّه في اجابة إنانّا التي تحبّه هي أيضاً ولكنها تُعِدُّهُ لمصيره الحتمي القاسي. فهل كان ذلك، لأنّه أحب إلهة حبّاً أرضياً أو بشرياً (؟):

12 «يا ابن الملوك، أي [أخي، يا ذا الوجه الجميل]:

لقد أنقذتُ حياتك، لقد أنقذتُ حياتك،

ولكن ها أنت أصبحت هدفاً لمصيرٍ في منتهى القساوة!

أنقذت لك حياتك خارج أسوار المدينة، أي أخي

ولكن، ها أنت أصبحت هدفاً لمصيرٍ في منتهى القساوة!

15 أنت الذي لم يستطع العدوُّ بذاته رفع يده ضدّه؛

ها أنت أصبحت هدفاً لمصيرٍ في منتهى القساوة!

أي [. . .]

آه يا حبيب [قلبي]

أنا التي بدون شك سبّبت لك هذا المصير القاسي

يا أخي، يا ذا الوجه الجميل!

20 يا أخي، أنا بدون شك سببت لك مثل هذا المصير

القاسي، يا أخي، يا ذا الوجه الجميل

لقد وضعتُ يدك اليمنى على فرجي

وكانت يدك اليسرى تداعب شَعْري

وفمك كان ينضغط على فمي

وعلى فمك كانت شفتاي منضغطتين:

25 ولهذا السبب[١]، أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

هذا ما سيكون يا «ملتهم» (؟) النساء، يا أخي

يا ذا الوجه الجميل!

كم كان إغراؤك عذباً، يا حامل - أزهاري،

يا حامل - أزهاري!

إغراؤك كان عذباً، في الحديقة، يا حامل

- أزهاري!

إغراؤك كان عذباً في حديقة شجر الميس[٢]

يا حامل - ثماري!

30 يا دوموزي - أبزو[٣]...، كم كان إغراؤك عذباً؟

يا صورة ذهبيةً لي، يا صورة ذهبية لي

كم كان إغراؤك عذباً!

يا تمثالاً من المرمر متوّجاً باللازورد، كم كان

إغراؤك عذباً!»

التصنيف:

- هذا نشيد بالَبال لإنانّا.

---

(١) نحن هنا أمام فكرة تتعدى الموت المؤقت من أجل الخصب وبعث الطبيعة من موتها أو نومها مع عودة الربيع وبعث دوموزي... نحن هنا أمام فكرة ورثتها بشكل أوسع الميثولوجية اليونانية حين فرّقت في رمزيتها بين الغذاء أو الطعام الأرضي والغذاء الروحي. والعلاقة مع الإلّهة يجب أن تبقى في المستوى الروحي. والموت أو أي عقاب آخر كان مصيراً لهذا التجاوز.

(٢) (Mes) شجر عرف فيما بين النهرين وما أمكن التعرّف على نوعه.

(٣) (Dumuzi-Abzu) لقب عرف به دوموزي.

(٢) ـ ملوك سومر وأناشيد الحب

(٢ ـ ١) الملوك السومريون والتوسع نحو المتوسط

١ ـ «العُبَيْدِيُون»، نسبة إلى مكتشفات «تل العُبَيْد» الواقع في القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين، هم الذين تواجدوا في البلاد قبل السومريين والأكاديين، وهم الذين نشروا ثقافة ما قبل التاريخ التي عثر على آثارها في عدد كبير من الطبقات السفلية للتلال الأثرية الموزعة على كافة البلاد في ما بين النهرين. وقد تميّزت هذه الثقافة التي بدأ انتشارها منذ منتصف الألف الخامس لما قبل الميلاد، باكتشاف أدوات حجرية: معازق، و «رحى» وشفرات، وآنية فخارية، و «مناجل حصاد» وأثقال للنسيج وأوعية وتماثيل صغيرة، وبشكل خاص اكتشاف أوعية خزفية مطلية في حفريات متعددة وميّزت ما سُمّي بفترة «تل العُبَيْد». كل تلك المكتشفات لفترة ما قبل التاريخ دلّت على أن «العبيديين» استقرّوا كمزارعين وأسّسوا في مختلف أنحاء ما بين النهرين تجمّعات سكنية ونجحوا منذ تلك الفترة الموغلة في القدم في إقامة أسس اقتصادٍ ريفي وفير وثابت.

٢ ـ ويمكننا القول بأن تلك الفترة، كانت ما قبل سومرية ولم يظهر من سمّوا بالسومريين، ليس عرقياً، بل بسبب تكلمهم وكتابتهم اللغة السومرية، لم يظهر هؤلاء إلا في النصف الأخير من الألف الرابع ق. م. وفي الوقت نفسه، كانت تتسرّب إلى البلاد عبر الصحراء العربية وبادية الشام، القبائل التي اصطُلح على تعريفها «بالسامية» والتي عرفت فيما بعد بالمارتو والعموريين والأكاديين وإذ نحن نجهل أصل السومريين وبلد نشأتهم، إلا أننا نعلم من النصوص القديمة أنه كانت لهم علاقات وثيقة تعاونية أو تنافسية مع سكان إحدى المناطق الجبلية في إيران وهي مملكة آراتّا[١]. وهناك اتجاه آخر، مُقتبس عن بيروز البابلي[٢] يعتبر أن

(١) (Aratta) لا يزال موقعها الأكيد مجهولاً ويعتقد أنها كانت تقع إلى الشمال الشرقي من سوز (Suze).

(٢) (Bérose) كتب في القرن الرابع لما قبل الميلاد.

السومريين قاموا من الجنوب الشرقي لمنطقة الخليج. ومهما يكن من أمر فإن السومريين حين تمّ اختلاطهم بمن سبقهم من سكان ما بين النهرين نشأت عن هذا الامتزاج نهضة حضارية مذهلة في تقدمها وسرعة ازدهارها: سياسياً واقتصادياً وفي مختلف الصناعات والفنون والعمارة والحياة الفكرية والفكر الديني، وبخاصة انتشار لغتهم السومرية وابتداعهم منذ حوالي الألف الثالث لما قبل الميلاد نظاماً للكتابة وتنظيماً لأسس تعليمه.

٣ ـ ومنذ بداية الألف الثالث لما قبل الميلاد، بدأت الملكية في مدينة كيش[١]. واعتبرت «لائحة ملوك سومر» أن ملك كيش في تلك الفترة كان إيتانا[٢] وهو الذي «عمّم في البلاد الاستقرار» وفرض سلطته على المناطق المجاورة. وخلفه فيما بعد الملك ميسكي آچشر[٣]، وهو الذي بلغت سلطته المتوسط غرباً وجبال زغروس شرقاً.

٤ ـ وتولّى ابنه إينمركار[٤] من بعده ملكية أوروك القديمة وهو الذي شنّ حملة على مملكة آراتّا التي كانت تتعبّد إلى آلهة سومر نفسها وخاصة الإلّهة إنانا[٥]، بغية الحصول على المعادن الثمينة والأحجار الكريمة. وكانت منطقة آراتّا على ما يظهر معروفة بتفوقها في معالجة النحاس والفضة وصياغة وتشكيل القطع الفنية الرائعة واستعمال الأحجار الكريمة...

٥ ـ وخلف إينمركار على ملكية أوروك قائده ورفيق سلاحه لوچال بندا[٦] وحقّق انتصارات ألهبت قرائح شعراء ذلك الوقت. إلاّ أن مدينة (كيش) في الشمال عادت إلى احتلال الأولوية، مقلّلة من أهمية أوروك وقد أسس ملك كيش في تلك الفترة «الإيكور»[٧] وهو أهم المعابد السومرية المخصص لسيد مجمع الآلهة إنليل، في مدينة «نفّر»[٨] التي أصبحت المركز الديني والثقافي لكافة البلاد.

وانتقلت السيطرة بعد ذلك إلى مدينة أور حيث عثر على المقبرة الملكية الغنية بمحتوياتها الشهيرة ومنها القيثارة وشعار أور وزينة الأميرة شوباد[٩] ثم عادت الأولوية بعد ذلك إلى مدينة أوروك، تحت حكم چلچامش، أشهر ملوكها وهو أيضاً بموجب الملحمة المخصصة لبطولته

---

(١) (Kish) مدينة قديمة تقع إلى الشمال الشرقي من بابل وعلى مقربة منها.

(٢) (Etana) سوف يرد اسم إيتانا فيما بعد في إحدى الأساطير الهامة، من ضمن الكتاب الثاني.

(٣) (Meski-agsher) وهو الذي أسس ملكية مدينة أوروك (Uruk).

(٤) (Enmerkar) وهو الملك الثاني لملكية أوروك القديمة في الثلث الأول من الألف الثالث ق. م.

(٥) انظر في هذا الكتاب النص رقم (٢٦).

(٦) (Lugalbanda).

(٧) الإيكور (Ekur) بمعنى بيت الجبل.

(٨) (Nippur).

(٩) القراءة المقترحة اليوم هي [illegible] (Puabi) (٢٥٥٠ ـ ٢٥٠٠).

ولسعيه في مطلب الحياة الأبدية بلغ البحر المتوسط على ما يظهر.

وبعد چلچامش فإن أول «مؤسس امبراطورية» نعرف عنه أكثر من غيره هو ملك مدينة (آداب)[1]، وهو الذي سيطر وأشرف على المنطقة بكاملها من ايران إلى المتوسط ومن الخليج حتى طوروس وقد حكم بعده مباشرة الملك ميساليم[2] اعتباراً من مدينة كيش وهو الذي ترك لنا نقوشاً تشير إلى تشييده كلاً من معبدَيْ (آداب) ولغش[3] البعيدين عن كيش. وبدأت بعد ذلك السلطة السومرية تضعف بسبب النزاعات الداخلية بين المدن على السيطرة. وآخر مدينة سومرية لعبت دوراً سياسياً في تلك الفترة كانت مدينة لغش حيث استطاع أحد ملوكها إياناتوم[4] وضع يده على كافة البلاد إلا أن حكمه لم يدمْ طويلاً، إذ تقلّصت بعد ذلك مملكة لغش إلى حدودها لما قبل التوسع ولكنها تركت لنا بالمقابل أقدم مجموعة من النصوص التأريخية المعروفة. وآخر ملوك لغش كان أوروكاجينا[5] وهو أول من أدخل إصلاحات اجتماعية في مملكته، إذ وضع حدّاً للظلم واستثمار الضعفاء وخفض الضرائب ولكن تلك الإصلاحات أتت متأخرة إذْ غُلبَ على أمره من قبل مدينته أومّا[6] الواقعة على حوالي ٤٠ كم إلى الشمال من لغش، وذلك بعد حوالي عشر سنوات من الحكم من قبل لوغال زاچيزي[7] الذي فاخر في النقوش التي تركها لنا بأنه حقق انتصارات نحو الشرق ونحو الغرب وأخضع له خمسين ملكاً.

٦ ـ وفي تلك الفترة بالذات تمكّن قائد كبير هو سرجون الأكادي (٢٣٤٠ ـ ٢٢٨٤) من فرض سيطرته العسكرية والسياسية والادارية على سومر وآكاد ودام حكمه حوالى خمسين عاماً تمكّن خلالها من تأسيس امبراطوريته الممتدة على كامل منطقة الشرق الأدنى مع احتمال إخضاعه لكل من قبرص ومصر. كما بنى عاصمة جديدة لامبراطوريته هي مدينة «أكّادي» التي لم يكتشف موقعها حتى اليوم والتي يعتقد أنها تقع إلى الشمال الغربي من بابل على بعد حوالى ٤٠ كيلومتراً. وسرجون الكبير هو أيضاً تعامل مع ساحل المتوسط. وبعد موته تولى الحكم ولداه الواحد تلو الآخر وحافظا على امبراطوريته إلا أن حفيده نرم ـ سين[8] حاول إخماد ثورة في سومر، مما اضطره إلى التعرّض لمعبد الإلّه إنليل في نفّر وهدمه. ولكنه بعد ذلك بفترة وجيزة، غُلِبَ على أمره من قبل قبائل شبه بربرية هبطت من جبال ايران الغربية وهم

---

(١) (Adab) مدينة سومرية تقع على بعد حوالى ٤٥ كم من نفّر.
(٢) (Misalim) حكم خلال منتصف الألف الثالث.
(٣) (Lagash) تبعد حوالى ٢٠٠ كم عن كيش إلى الجنوب الشرقي.
(٤) (Eannatum) حوالى ٢٤٧٠ ق. م.
(٥) (Urukagina) حكم حوالى ٢٣٥٠ ق. م.
(٦) (Umma).
(٧) (Lugalzagesi) حكم حوالى ٢٣٤٠ ق. م.
(٨) (Naram-Sin) حكم خلال (٢٢٥٩ ـ ٢٢٢٣) ق. م.

القوتو[1] الذين اجتاحوا سومر وعزلوها ثم هدموا ومسحوا العاصمة «أكّادي» وانهارت بذلك امبراطورية سرجون التي لم تدم أكثر من مائة عامة.

٧ ـ وتطلّب الأمر بعد ذلك عدة أجيال لكي يتمكن السومريون من العودة إلى مسرح الأحداث بعد التخلص من سيطرة القوتو. وعادت مدينة لغش[2] لاحتلال مركز الصدارة بفضل أميرها وحاكمها چوديا[3] وقد أشارت النقوش المكتوبة التي تركها لنا إلى علاقاته التجارية مع مختلف أنحاء العالم القديم في الشرق الأدنى. إذ كان يستورد الذهب من الأناضول ومصر، والفضّة من طوروس والأرز من الأمانوس والنحاس من زغروس والأحجار القاسية من منطقة المِلوحّة[4] وخشب البناء من بلاد دلمون[5]. ومن ضمن تلك العلاقات التجارية الواسعة للحاكم چوديا عرفت قوافله هي أيضاً شواطىء المتوسط في جزءيه الكنعاني الجنوبي والدلتاوي على أقل تعديل.

٨ ـ ثم تعود بعد ذلك المنافسات فيما بين المدن السومرية على التحكم في البلاد وتتمكن أور من السيطرة من جديد على يد ملكها أور ـ نامّو[6] مؤسس ما سُمّي بملكية أور الثالثة وكان أور ـ نامّو في الوقت نفسه قائداً ومصلحاً ومشرعاً واحتلت قوانينه أهمية كبرى في مجال العدالة الأخلاقية حين نصت على معاقبة التضرر الجسدي المسبّب للغير بدفع غرامة من قبل المتسبّب عوضاً عن تطبيق شريعة «العين بالعين» الموسوية وهكذا وقبلها بألف عام تم اعتماد مبدأ أكثر انسانية يقضي بالتعويض المادي عن الضرر الحاصل.

٩ ـ وخلف أور ـ نامو ابنه الملك شولجي[7] وكان هو أيضاً قائداً متفوقاً ودبلوماسياً بارعاً واحتفظت سومر خلال حكمه بازدهارها وتفوقها. وشولجي هو أحد الملوك الذين وصلتنا عنهم أناشيد حب تحتفل بالزواج الإلّهي[8].

ولكن في تلك الفترة بدأت القبائل شبه البدوية الملقبة بالمارتو باللغة السومرية، وهم

---

(١) (Qutû) وهم الذين حسب القراءة القديمة لتسميتهم بالغوتي (Guti) أو الغوتيون.
(٢) ورد التعريف بموقعها أعلاه.
(٣) (Gudéa) حكم خلال فترة (٢١٤١ ـ ٢١٢٢) ق. م.
(٤) (Meluhha) المنطقة الواقعة على الشاطىء الشرقي للخليج العربي ـ الفارسي في الجنوب من إيران.
(٥) (Dilmun) المنطقة الواقعة على الشاطىء الغربي من الخليج العربي ـ الفارسي بجوار البحرين. راجع بصددها النص الأول من هذا الكتاب.
(٦) (Ur-Nammu) حكم خلال فترة (٢٠٩٤ ـ ٢٠١١) ق. م.
(٧) (Shulgi) حكم بين (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦) ق. م.
(٨) انظر النصين الرقمين (٢٨) و (٢٩).

العموريون الأكاديون الذين تمكّنت موجاتهم الآتية من الشمالي الغربي لما بين النهرين من أن تصبح سيدة في مدن مهمة مثل إيسين[١] ولارسا[٢] وبابل[٣] وازداد تأثيرهم وقوتهم السياسية، بحيث حمل اثنان من خلفاء الملك شولجي اسمين أكاديين على الرغم من كونهما من نسل شولجي المباشر.

أما عيلاميو الشرق فقد استفادوا من الفوضى ومن ضعف مملكة أور فحاصروها وأسروا آخر ملوكها وهو ايبّي ـ سين[٤].

وخلال قرنين ونصف القرن بعد سقوط أور قامت في البلاد صراعات جديدة بين ممالك ـ المدن بغية السيطرة، انتهت بتفوّق حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) ملك بابل وأصبح الملك الوحيد لسومر وآكاد معاً وانتهى بذلك حكم ملوك سومر الذين امتد حكمهم منذ النصف الأخير من الألف الرابع ق. م. حتى حمورابي وقد تخللت تلك الحقبة الطويلة من الزمن فترة قصيرة ذكرنا آنفاً أنها لم تدم أكثر من مائة عام (الفقرة ٦). ويمكننا القول بأن التطور الأكادي المشار إليه جعل اللغة السومرية يتراجع تَدَاولُها في الحياة اليومية إذْ حلت محلها اللهجة الأكادية كلغةٍ للكلام.

١٠ ـ ولكن اللغة السومرية، بقيت من حسن الحظّ ولفترة طويلة فيما بعد، لغة الثقافة والمعرفة والممارسة الدينية واستمرت سومرية الثقافة في شكلها ومحتواها: فحافظ المتعلمون على اللغة السومرية وحافظت المدارس على تعليمها كأساس للمعرفة، وكتراثٍ له قدسيته. وعلى هذا الأساس قام المتعلمون الأكاديون[٥] خلال القرون الأربعة الأولى من الألف الثاني بنسخ وتسجيل الأعمال الأدبية والأساطير السومرية والدينية بلغتها الأصلية السومرية وعلى هذا الأساس وصلتنا كل تلك الأعمال التي كشفت عنها الحفريات في مختلف أنحاء ما بين النهرين التي تعود لتلك الفترة. كما استمرت ازدواجية اللغة بين المثقفين مدةً طويلة، ولمدة طويلة أيضاً، وفيما بعد، حافظت المدائح الإلّهية والابتهالات الدينية والطقوس على اللغة السومرية إلى جانب اللغة الأكادية على اللوحة نفسها[٦] وسوف نورد أمثالاً على ذلك في كتاب مستقل فيما بعد.

---

(١) (Isin) إلى الجنوب من نفّر على بعد حوالى ٢٥ كم.
(٢) (Larsa) تقع إلى الجنوب الشرقي من أوروك على بعد حوالى ٣٠ كم.
(٣) بابل تقع على حوالى ٧٠ كم من بغداد.
(٤) (Ibbi-Sin) حكم خلال فترة (٢٠٢٧ ـ ٢٠٠٣) ق. م.
(٥) أو السومريون الذين تبنّوا اللغة الأكادية بالإضافة إلى لغتهم الأصلية.
(٦) مثال اللوحات التي احتوت نصوصها على سطر سومري يليه سطر أكادي وهكذا حتى نهاية النص.

١١ ـ عرضنا هذه اللمحة التاريخية السريعة حول ملوك الفترة السومرية للدلالة على أن سومر أو سومر وآكاد لم يشكّلا منطقة معزولة عن عالمها، بل كان انفتاح ما بين النهرين إلى الشرق وإلى الغرب قائماً منذ العصور القديمة سواء أكان ذلك عن طريق التوسع وبسط النفوذ، أم عن طريق التجارة. وما يهمّنا هنا هو جاذبية البحر المتوسط وشواطئه الغربية[١] بالنسبة للملوك الذين استعرضنا فترات حكمهم. وما يهمنا أيضاً هو استمرار اللغة السومرية كما أشرنا إلى ذلك أعلاه كلغة للثقافة والمعرفة في المنطقة، لمدة طويلة إلى جانب اللغة الأكادية التي احتلت فيما بعد دور اللغة الدبلوماسية[٢]. ولذلك فإن الانتاج الأدبي السومري حين عُمد إلى نسخه وتثبيته على الآجّر خلال الثلث الأول من الألف الثاني، وحين عُمد إلى ترجمة محتواه فيما بعد، نظراً لأهميته وشهرته، باللغة الأكادية أو الأوغاريتية أو الحثية، هذا الانتاج الأدبي تمّ التعرّف عليه على الأرجح على شواطئنا الكنعانية، في أوغاريت وجبيل، وصيدون وعلى الأخص في ما هو مشترك منه في المعتقدات التي تداولتها وآمنت بها المنطقة. وقد قلنا في مناسبات عديدة أن الإلّهة التي كانت تسهر على خصب الأرحام والحيوانات والأرض هي إنانا.

وإنانا[٣] هي أيضاً عشتار الأكادية[٤]، وعشتروت الكنعانية[٥] وأناشيد الزواج الإلّهي المرتبطة بها في اقترانها مع دوموزي وأناشيد الزواج الإلهي في اقتران بديلتها مع ملك سومر، هي بدون شك أعمال يمكن إرجاعها إلى الأدب المقدس. ولكنها في الوقت نفسه أناشيد حُبّ من أرقّ وأجمل ما أنتجه الأدب العالمي في تلك الفترة الموغِلة في القدم. وهي تحتوي على المادة البكر «لنشيد أنشادِ سومري» وفي ظننا أن «نشيد الأنشاد» التوراتي، لا يفقد شيئاً من قيمته الأدبية وعذوبته، فيما لو كنا تعرّفنا عليه خارج صفحات العهد القديم وفي حال عدم اضطرار مفسري العهد القديم والمفسرين من آباء الكنيسة، لابتداع تفسيرات أقل ما يقال عنها أنها اصطناعية ولا علاقة لها إلا بما افترضه مفسروها، ولا ترتبط بما يحتوي عليه النصّ، وهذا ما سوف نعود إليه فيما بعد.

ونكتفي بالقول بأن الزواج الإلّهي وأناشيده أو على أقل تعديل أناشيد الحب المرتبطة به كانت على الأرجح معروفة على الساحل الكنعاني. ومع أنه لم يعثر حتى اليوم على نصٍ يُنشد ويحتفل بالزواج الإلّهي بشكل مباشر في كل من أوغاريت أو جبيل (جوبلا) أو صيدون. . .

---

(١) الغربية نسبةً لما بين النهرين.
(٢) مراسلات تل العمارنة مثلاً العائدة للقرن الرابع عشر ق. م.
(٣) انظر النص رقم (٢٦) للتعرّف على أن إنانا كانت أيضاً إلّهة «البلاد المرتفعة» في إيران.
(٤) نحن نعلم أن الفترة الأكادية ـ البابلية التي تلت حكم حمورابي، ولمدة طويلة، عرفت الزواج الإلّهي في عيد رأس السنة «الأكيتو» وذلك احتفالاً بالربيع وتيمّناً بانتشار الخصب في البلاد.
(٥) في تسميتها «بعلة» أو «عشترة» أي عشتروت، في كافة الممالك الكنعانية بما في ذلك قبرص.

ومدينة أوغاريت هي المركز الكنعاني الوحيد الذي قدم لنا نصوصاً ميثولوجية تعود إلى القرن الرابع عشر ق. م. ولوحات أخرى تتعلق بالطقوس الدينية وبدور الملك في مرافقتها، فإن النصوص المشار إليها أكّدت لنا أهمية اهتمام الأوغاريتيين الواضح بالخصب والإخصاب. والإلّه بعل الأوغاريتي «ممتطي الغيوم»، لم يكن مسؤولاً فقط عن الأمطار التي تخصب الأرض، بل كان أيضاً يهتم بإخصاب القطيع، قطيع البقرات والعجلات، إذ نراه في أحد النصوص الأوغاريتية[١] يضاجع قرينته الملقبة «بالعجلة»، ومما يرد في النص:

«تهيّج (بعل) فأخذها من فرجها

تهيجت هي، فأخذته من قضيبه

وسيطرت على بعل الشهوة

نحو قطيع البتولة عناة»[٢]

كما نقرأ في النص نفسه أن:

«بعل، سوف يتقدم و [قضيبه] ممتلىء

سوف يتقدم هدّو[٣] واصبعه ممتلىء».

ويبتهج بعل عندما تعلمه عناة، بأن عجلاً سيولد له وهنا على ما يظهر يحتل بعل مكانة الإلّه إيل رأس آلهة أوغاريت فيما يتعلق بدور الإخصاب لأن الإله إيل الملقب «بالثور»[٤] يفقد مع تقدم السن من قدرته الجنسية وهذا ما يظهر في النص الأوغاريتي لميلاد الإلّهين سحر وشالم[٥]. ويشتمل هذا النص على تعليمات بصدد استعمال العود وتكرار أحد المقاطع سبع مراتٍ، وهو يرتبط بالإخصاب ويُعتبر طقساً للاحتفال بزواج إلّهي نشاهد فيه إيل ينجح بعد محاولة فاشلة في إخصاب امرأتين تقومان بدور إلّهتين كانتا تسحبان الماء وتصبّانه في خزان مرتفع وذلك بقصد استحثاث الخصب بواسطة مادته الأساسية أي ماء الينابيع. وبعد أن ينجح إيل في تحقيق انتصاب قضيبه[٦] يقول عنه النص:

---

(١) النص المصنف (IV-AB).
(٢) الإلّهة عناة هي أخت الإلّه بعل وهي التي على ما يظهر ترعى قطيع البقر لإخصابه.
(٣) هدّو: من هدّ الرعد لقب الإلّه بعل حين يطلق الرعد.
(٤) وبعل في دوره السابق لقب «بالثور الفتي» أو الجَدَع.
(٥) النص المصنّف تحت رمز (S.S.).
(٦) حرفياً، يستعمل النص تعبير: «يد إيل تتمدد...».

«يميل (إيل) ويقبل شفتيهما،

ها هما شفتاهما عذبتان

عذبتان كالرمان[1]

وبعد القبلة، الحمل

وبعد الاحتضان المتقد،

أتى أجل ولادتهما،

فولدتا سَحَر وشالم».

وهناك نص أوغاريتي ثالث يرتبط بالخصب والولادة وهو نشيد زواج الإلّه القمر يارخ مع الإلّهة القمرية نيكّال[2] كان على الأرجح يردّد أثناء الولادة بغية تسهيلها أو خلال احتفال بعرسٍ يُعِدّ لولادةٍ قريبة.

وأخيراً فإن البكاء على تموز من قبل النساء كما يرى ذلك حزقيال (٨: ١٤) وهو في السبي الأول، أي بعد عام ٥٩٧ ق. م.، حين يتصور «باب بيت الرب من جهة الشمال، وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز»، فالبكاء على تموز هو بكاء عشتروت في بلاد كنعان لموت حبيبها تموز كما فعلت عشتار البابلية وإنانا السومرية، ونعود هنا للترجيح أن أناشيد الزواج الإلّهي كانت معروفة على الساحل الكنعاني، ولا نعلم إذا ما كانت طقوس الزواج الإلّهي بين الملك وبديلةٍ عن الإلّهة كانت تمارس في ممالك بلاد كنعان أو في بعضها كما كانت تمارس في سومر، وهل نشيد الأنشاد هو المادة التي تسمح بمثل هذا الطرح؟

وفي كل الأحوال، فإن وجود نشيد الأنشاد التوراتي، تجدر دراسته وتحليله، في ضوء ما وصلنا من نصوص سومرية، أقل ما يقال عنها، أنها متوازية معه.

وسوف نعرض هذه النصوص في الفقرة (٢ ـ ٣) من هذا الفصل، كما سبق أن عرضنا في الفقرة الأولى منه النصوص المرتبطة باقتران دوموزي وإنانا.

١٢ ـ نعود هنا إلى موضوع الملوك السومريين، مضيفين كلمة أخيرة حول شخصية الملك السومري ودوره: فهو «الحاكم»[3] في المملكة، ولكن القرارات الهامة، كإعلان الحرب مثلاً

---

(١) تذكر هذه التعابير بنشيد الأنشاد في (٤: ٣ و١١) و (٥: ١٣) و (٧: ٩).

(٢) وهو النص المصنف تحت رمز (NK) والإلّهة نيكال هي تسمية حورية (Hurritc) للإلّهة السومرية نينجال (Ningal) أي «السيدة العظيمة».

(٣) (Ensi) آنسي باللغة السومرية.

أو خوضها، كانت تتخذ، من قبل مجلس «القدماء» الذي كان يقوم بدور مجلس أعيان، ومن قبل مجلس شعبي آخر كان يضم كافة الرجال الراشدين القادرين على العمل أو حمل السلاح، وهم بمثابة هيئة عامة في المملكة.

ولئن كان الملك السومري وهو «الرجل ـ المهم»[1]، يتلقى سلطته من الإلّه ويقوم بدور الكاهن الأول في المعبد خلال إقامة الطقوس، إلا أن القصر، أخذ يحتل أهمية أكثر فأكثر فيما يتعلق بالأحكام المدنية، إلى أن أصبح الملك في نهاية الألف الثالث لما قبل الميلاد، الحاكم الوحيد والمطلق لبلاده. ولم يكن من شأن ذلك إساءة التصرف بالسلطة، أو الاستبداد وتعميم الظلم. بل على العكس، فإن ملكاً مثال الملك شولجي[2] كان يعتبر ممثلاً للآلهة على الأرض وذلك من أجل السهر على رخاء الشعب.

وكان الشعراء وكهان المعبد يُذكّرونه دوماً بذلك في أناشيد التمجيد والمدائح، مشيرين إلى أنه اختير من قبل الآلهة لكي:

«يجعل سومر تسير على الطريق الصحيح»

و «لكي ينعم الشعب بالتمتع بظلّه»

و «لكي يقدّم للشعب بكثرة، الطعام والشراب»

والملك هو:

«الموجَّه من قبل الآلهة»

و «مُلكيته يجب أن تحقّق سعادة البشر»

وهو «الراعي الذي يتكاثر ويتضاعف السكان تحت أنظاره»

و «تعيش بسلام، البلاد بكاملها»

والملك الذي يتغنّى بمآثره الشعراء طواعية بسبب مآثره وما حقّقه من أعمال مجيدة تجلب الكثرة والرخاء لشعبه، هو ملك يحبّه شعبه وتحبّه الإلّهة إنانا ويستحق بذلك أن يكون قريناً لها في طقس زواج إلّهي مع بديلتها فيحقّق بذلك تأكيد الخصب للبلاد وترسيخ ملكيته. وكان الشعب والملك يؤمنان حتماً بقدرة إنانا على تحقيق ذلك.

---

(١) (Lugal) لوجال بالسومرية.

(٢) (Shulgi) ملك أور (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦) ق. م.

(٢ ـ ٢) ـ الملوك الذين وصلتنا عنهم نصوص تشير إلى اشتراكهم في طقوس الزواج الإلهي

من المرجح أن طقوس الزواج الإلّهي عرفتها بلاد سومر منذ فترات ملكياتها القديمة، أي منذ الثلث الأول من الألف الثالث لماقبل الميلاد، يدلّ على ذلك النص الذي وصلنا عن اينمِرْكار[١] الملك الثاني لتلك الفترة في أوروك، وكان ذلك قبل أن تعرف المنطقة حكم دوموزي الملك وحكم لوچال بندا وچلچامش[٢] إلا أن اسم دوموزي هو الذي بقي على مر القرون بعد تأليهه، بطلاً للزواج الإلّهي ورمزاً يجسّده الملوك للاقتران بالإلّهة إنانا أي ببديلتها على الأرض.

أما الملوك الذين قاموا بدور الحبيب في لقاء إنانا والذين وصلتنا عنهم نصوص سومرية تشير إلى ذلك أو بالأحرى تنشد ذلك بتعابير لا تنقصها الشاعرية وتذكّر برقة «نشيد الأنشاد» التوراتي، هؤلاء الملوك، بالإضافة إلى الملك اينمرْكار المذكور أعلاه هم مع فترات حكمهم كما يلي:

- الملك شولجي[٣] وهو الملك الثاني للملكية الثالثة في أور حكم لفترة (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦) ق.م.
- الملك شو ـ سين[٤] وهو الملك الرابع للملكية الثالثة في أور، حكم خلال الفترة: (٢٠٣٦ ـ ٢٠٢٨) ق. م.

---

(١) (Enmerkar): الملك الثاني للملكية القديمة في أوروك وقد عاصرتها ملكيات أخرى في كل من مدن كيش (Kish) وأور (Ur) ولغش (Lagash).

(٢) (Lugalbanda) و (Gilgamesh).

(٣) (Shulgi).

(٤) (Shû-Sîn).

- إيدّين ـ داچان[1] ملك مدينة إيسين[2]: (١٩٧٤ ـ ١٩٥٤) ق. م.
وهو الملك الثالث لملكية إيسين.

- إيشمي ـ داچان[3] وهو الملك الرابع لملكية إيسين حكم خلال (١٩٥٣ ـ ١٩٣٥) ق. م.

هؤلاء الملوك سوف نتعرّف عليهم عبر أناشيد الزواج الإلّهي التي تحتفل بلقاء كل منهم مع الإلّهة إنانا لكي يعمّ الخصب والرخاء في البلاد.

ويمكن إضافة اسم الملك إيانا توم[4] ملك لغش وكيش[5] وفقاً لاحتمال تضمنه نقش تركه لنا هذا الأخير بعد انتصاره على أعدائه.

---

(١) (Iddin-Dagam).

(٢) (Isin) مدينة قديمة تقع إلى الجنوب من نفّر مدينة الإلّه إنليل.

(٣) (Ishmé-Dagan).

(٤) (Eannatum) حكم خلال النصف الأول من الألف الثالث ق. م.

(٥) (Lagash) تقع شرقي أوروك و (Kish) شرقي بابل.

(٢ ـ ٣) الملوك والزواج الإلهي

النصوص (٢٦ ـ ٣٤)

(٢٦) ـ سيد أراتّا وإنانا

(٢٧) ـ الرخاء لسومر وآكاد منحة الزواج الإلّهي

(٢٨) ـ الملك شولجي وبركة إنانا

(٢٩) ـ حوارية بين شولجي وإنانا لإخصاب الحقول

(٣٠) ـ إلى شوسين الحبيب

(٣١) ـ عذب يا إلّهي هو شراب الساقية

(٣٢) ـ تصفيفة شعر الحبيبة

(٣٣) ـ مدينة إيسين تحتفل بعيد رأس السنة

(٣٤) ـ الملك إيشمي ـ داجان يقترن بإنانا

(٢٦) ـ سيد أراتّا يطلب من إينمركار الإعتراف بملكيته لكي «تنتقل إنانا إلى أراتّا» لتحقيق الزواج الإلّهي

مملكة أراتّا التي عاصرت ملكية إينمزكار في أوروك خلال الثلث الأول من الألف الثالث لما قبل الميلاد، كانت تقع في مرتفعات بلاد إيران وكان سيّدها هو أيضاً يعرف أهمية الإلّهة إنانا ويسعى لاكتساب رضاها والاقتران بها لمصلحة «البلاد المرتفعة»، هذا ما يشير إليه النص القصير الذي نثبته فيما يلي، مشيرين إلى أن إينمزكار ملك أوروك كان يَسْعى من ناحية أخرى إلى فرض سلطته على بلاد أراتّا وإخضاع سيدها بغية الحصول على الصخور والأحجار الكريمة والذهب والفضة، لبناء وتزيين معابد مدينته وتكريم إلّهته إنانا. وعن حرب الأعصاب التي وقعت في ذلك الزمان بين أراتّا وأوروك سوف ننشر في جزء آخر من هذه المجموعة[1] نصاً ضافياً نقتطف منه هنا ما يشير إلى احترام سيد أراتّا لإنانا ورغبته الدائمة في إرضائها وتخوّفه من أن تحوّل عنه نظرها:

«الملك إينمركار [. . .]
إلى إنانا المقدسة وجّه ابتهالاً:
«أي أختي إنانا، من أجل أوروك
اجعلي سُكّان أراتّا يصيغون بشكل فنّي
الذهب والفضة،
وليجلبوا اللازورد الرائع الجمال مستخرجاً من الصخر،
وليحملوا الأحجار الكريمة واللازورد الرائع الجمال».

وبناء على توجيهات إنانا يكلف إينمركار من يحمل رسالته إلى سيد أراتّا مهدّداً:

«أيها الرسول، توجّه نحو سيد أراتّا وقلْ له:
سوف أجعلُ سكانَ هذه المدينة يفرّون
كعصفورٍ يهجر شجرته.

---

(١) انظر الكتاب الرابع: إينمركار ملك أوروك وإخضاع سيد أراتّا.

[. . .]

نعم سوف أهدم هذا المكان [. . .]

إنانا حملت السلاح في وجه أراتّا

وفي الماضي أعطتها كلمتها

ولكنها الآن تنبذها [. . .]»

ولكن سيد أراتّا معتمداً على وفائه لإنانا يرفض الخضوع ويعلن:

«(بأن إنانا) ملكة السماء، هي التي قادتني إلى أراتّا

بلد القوانين الطاهرة. . .

كيف يمكن إذن لآراتّا أن تخضع لأوروك

كلا! أراتّا لن تخضع لأوروك!

إذهب وقل له ذلك!»

ولكن الرسول يجيب بذكائه، متكلماً عن ملكة السماء إنانا:

. . . إن مولاي ومليكي وهو خادمها

جعل منها «ملكة الإيانا»[1]

وسيد أراتّا سوف يخضع!

هذا ما قالته له في قصر الآجر في كلاّب[2]

. . . . .

و «بهلع واكتئاب» يتأثر سيد أراتّا بهذا التصريح، ويقبل أخيراً بالخضوع على أن يتلقى كميّة من الحبوب مقابل ذهبه وفضته وأحجاره الكريمة. . .

كل هذا يدلّ على أهمية إنانا بالنسبة للمملكتين، وأكثر من ذلك فإن الزواج من إنانا، الزواج الإلّهي الذي نحن بصدده، كان هو أيضاً مجال تنافس بين الملكين وهذا ما يعلنه النص التالي بهذا الخصوص: وسيد أراتّا هو المعلن:

---

(١) (Eanna) المعبد الرئيسي في أوروك المخصص لآن إلّه السماء.

(٢) (Kullab) أو كلاّبا هي الحيّ القديم من مدينة أوروك أو إحدى ضواحيها.

25 «فليحنِ (إينمرْكار) رأسه أمامي وليُذِلَّ نفسَه أمامي!
وعندما يحني رأسه ويحني رأسه فعلاً أمامي
(عند ذلك هذا ما سيكون من أجله ومن أجلي:)
هو، يبقى مع إنانا قرب التحصين (؟)[1]
بينما أنا أضاجعها في قصري البرّاق
في أراتّا!
هو، سوف يتمدّد بقربها على فراش عاديّ
30 بينما أنا سوف أضاجعها في الراحة الناعمة
لفراش ثمين!
هو، لن يشاهد إنانا إلا في الحلم
بينما أنا «أتحدّث» معها، مع الناصعة
البياض، عند قدميها!».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تصريح ملك أراتّا يعني أنه هو أيضاً يبجّل إنانا، التي لم تكن إلّهة خاصة لقبيلة أو لشعب واحد بل كانت إلّهة مشتركة لخصمين. وهي هي إنانا التي استمرت عبادتها عبر قرون عديدة في تسميتها الأكادية عشتار وفي تسميتها الكنعانية عشتروت أو الإغريقية أفروديت ومن بعدها ڤينوس الرومانية.

---

(١) المقصود هو التحصن أو سور «وجه البلد المرتفع» الذي حقّقه سيد أراتّا عندما كانت أنانا راضية عنه.

(٢٧) ـ الرخاء لسومر وآكاد منحة الزواج الإلّهي

قبل التغني بأدوار الملوك في تحقيق الزواج الإلّهي وبخاصة الملكين شولجي وشو ـ سين، ندرج هنا نشيداً، يشتمل على بعض التفاصيل المفيدة: حول طقس الإعداد للزواج الإلهي وقيام الإلّه جيبيل(١) إلّه النار بتطهير «الفراش المخصب»، وكذلك حول دور نينشوبور(٢) مساعدة إنانا في مرافقة الملك لمقابلة إنانا وتوسطها بين الاثنين لكي يُحقِّقَ الاقتران هدفه من أجل سومر وآكاد.

العمود الأول

ـ إعداد الفراش المخصب (الشاعر يتوجّه هنا إلى الإلّهة):

2 «معبد أريدو(٣)، مقرّ حكمها
معبد نانا(٤)، مقرّ تألّقها
الإيانا، مسكنها
5 هذه المعابد، إليكِ أُهديَتْ!
وفي معبدي الأبدي المعلّق في السماء مثل غمام
والذي حظيت تسميته بفألٍ ميمون، في الحقيقة،
من أجلكِ، وفي الحَرم الكبير، طَهّر جيبيل
فراشاً مخصباً، غطاؤه من اللازورد(٥)!
10 من أجلك أنتِ، المعدّة لأن تصبحي ملكة،
أقام الإلّهُ هيكلاً
وفي معبده المزدان بالقصب، والذي طهّره

(١) (Gibil) إلّه النار ـ السومري.
(٢) (Nishubur) مساعدة إنانا ورسولتها في أسطورة سفينة السماء.
(٣) (Eridu) مقر الإله أنكي (Enki) إلّه الأبسو أي محيط المياه الحلوة الذي يحمل قرص الأرض.
(٤) (Nanna) الاسم السومري للإلّه القمر والدة إنانا.
(٥) بمعنى: نسيج ذو لون أزرق. . .

من أجلك،
يقوم بتنفيذ طقوسك!»

بعد ذلك يتغنّى الشاعر مشيداً بالحماس والرغبة اللذين استوليا على الملك وهو متوجه نحو فراش العرس وقد أعدَّ له غطاء آخر لكي يزيد في «ليونته» سعياً لراحة «الحبيبة».

18 إنه يتوق إليه، يتوق إليه، يتوق إلى الفراش!
إنه يتوق إلى الفراش الطوباوي، يتوق إلى الفراش!
20 يتوق إلى الفراش الذي يجعله يتذوّق حلاوة الحِجْر،
يتوق إلى الفراش!
يتوق لفراش الملك، يتوق إلى الفراش.
ولجعله أكثر طراوة، لجعل هذا الفراش أكثر طراوة
لجعله أكثر طراوة!
ولجعل، هذا الفراش الطوباوي، أكثر طراوة
لجعله أكثر طراوةً!
ولجعل هذا الفراش حيث يتذوّق الحجر الطلّي، أكثر
طراوة، لجعله أكثر طراوةً!
25 ولجعل فراش الملك هذا أكثر طراوة، لجعله
أكثر طراوةً!
ولجعل فراش الملكة هذا أكثر طراوة، لجعله
أكثر طراوة!
أعدّ له الإلّه غطاءً من أجلها، أعدّ
له غطاءً من أجلها،
أعدّ له الملك غطاءً من أجلها، أعدّ
له غطاءً من أجلها...»

وبعد أن تمّ إعداد فراش العرس على هذا الشكل وحين كانت الإلّهة مستعدة للقاء عشيقها يلجأ الشاعر إلى نينشوبور مساعدة إنانا الأمينة، التي تقود دوموزي إلى أحضان الحبيبة طالبة

منها منح الملك كل ما يمكِّن من جعل حكمه راسخاً وخيِّراً.

العمود الثاني

7 «الإلّه الذي دعوته إلى قلبك

الملك «قرينك» الحبيب، فليركن طويلاً

على صدرك الجذّاب!

امنحيه حكماً سعيداً ومليئاً بالأمجاد!

10 امنحيه حكماً ثابتاً إلى الأبد، لا يتزعزع!

امنحيه عصا قيادة الشعوب، والصولجان

وعصا الرعاية...

[...]

13 من الشمال إلى الجنوب

ومن البحر العلوي إلى البحر السفلي

15 ومن منطقة السنديان (؟) إلى منطقة الأرز:

على سومر وآكاد بكاملهما، امنحيه

الصولجان وعصا الرعاية!

وليكن راعي الرؤوس ـ السوداء[١] أينما وجدوا!

وكفلاحٍ، فليخصب الأرض

20 وكراعٍ حقيقي، فليضاعف القطعان!

ولتكثر خلال حكمه، الزروع والحبوب؛

وليحصل على فيض الأسماك في الأنهار،

و (فيض) الأسماك في الأهوار، تغرّد

فيها العصافير بتنافس

25 (إمنحيه) «قصباً قديماً» في مزرعة القصب

---

(١) تسمية شعرية سومرية للبشر وبخاصة سكان ما بين النهرين.

و «قصباً جديداً» بكثافة!

وليرتفع المشجور[1] في السهول!

ولتكثر الأيايل والعَنز البري في الغابات!

ولتنتج البساتين حلاوة وخمراً

وليملأ الجرجار (؟) والخسّ مزارع الخضار!

30 ولتكن له في القصر حياة مديدة،

ظهر اللوحة/ العمود الثالث

1 ولتكن في دجلة والفرات المياه وفيرة!:

ولتنبت على ضفافهما أعشاب غزيرة،

تغطي الحقول

ولتكدس فيها سيدة ـ الزروع النبيلة[2]، الحبوب

في أكوامٍ وأتلال!...

ـ ثم تتوجه إلى الملك:

5 أما مليكتي، ملكة السماء والأرض، سيدة

السماء والأرض،

فَلْتُطِلْ بقاءها خلال أيام عديدة، على

حضنك، (أي دوموزي)!»

وبنهاية هذا الرجاء من قبل نينشوبور، يضيف الشاعر:

7 «باعتزاز توجّه الملك نحو الحِجْر المقدس،

وبفخرٍ، اقترب من حِجر إنانا المقدس

وحين وصل إليه معتزاً،

(١) (Mashgur) اسم شجرة قد تكون الأثل أو الطَّرْفاء.

(٢) المقصود هنا هي إلّهة الحبوب أشنان (Ashnan).

10 ويكل فخرٍ، حين وصل إليه،

أخذها بين ذراعيه، (أخذ بين ذراعيه

غانية آن!»

[.....]

بقية النص مشوّهة.

(٢٨) ـ الملك شولجي ينتقل من أور إلى أوروك للزواج من إنانا التي تباركه

عُرف هذا النشيد تحت عنوان «مباركة شولجي الملك» وهو يبدأ بوصف انتقال الملك من عاصمته في أور إلى مقر الإلّهة إنانّا في أوروك، على سفينته الملكية، وهو محمل بالقرابين. وعندما ترسو السفينة على رصيف كُلاّبا وهو أقدم وأشهر حيّ في أوروك، يتوجّه مع تقدماته إلى الإيانا حرم الإلّهة إنانّا.

«شولجي، الراعي الأمين، ركب سفينته
(وباشر انتقاله)،
يرافقه تألّق «أسرار»[١] الملكية
و «أسرار» السلطة (؟) على سومر وآكاد.
على رصيف كلاّبا المنير، أرسى سفينته،
5 وهو إذْ يقود بساعده ثيران ـ الجبل الوحشية الضخمة
ويجرّ بيده الخراف والماعز
وإذْ كان يحمل جدياناً مرقّطة لها عثانين
مجمّعةً على صدره،
توجّه للقاء إنانّا في معبد الإيانا[٢]».

وبمجرد وصوله إلى المكان يرتدي ألبسته الطقسية ويتزيّن برموز وطلاسم الصلاحيات و «الأسرار» التي يمتلكها، وكأنه كائن إلّهي. ثم يضع على رأسه عمرةً متوّجة؛ وعندما

---

(١) الكلمة السومرية هنا هي (مو) (Me) ويعتبرها علماء السومريات غير قابلة للترجمة إلى اللغات الأوروبية وهي تحتوي على معانٍ متعددة ترتبط بسمو وتنزيه الآلهة عن المخلوقات ومفارقتهم لهم. وتحتوي أيضاً معنى جوهر الأشياء وكنهها وهي ذات طابع خفي وسرّي وهي التي تخوّل السلطة والصلاحية للآلهة وهي التي تُلخص أو ترمز إلى القوانين والأنماط التي تحقق سير المنظومة الكونية المتناغمة. واصطلح بعض العلماء على نقلها وفق تعبير: «أسرار غيبية» أو «أسرار».

(٢) الإيانا (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو المعبد الرئيسي في أوروك المخصص لآن إلّه السماء وتشغله إنانا غانية آن.

تشاهد الإلّهة مظهره المتألق ألوهيةً، فإنها ترتجل، لشدة إعجابها به ولشوقها للقائه هذا النشيد الإباحي. المنقاد لشهوة عارمة:

15 «عندما سأستحمّ من أجل الملك، من أجل الإلّه
وعندما من أجل الراعي دوموزي، سوف أستحم
وبعد أن أزيّن ردفيّ بـ [. . .]
وعندما أدهن شفتيّ بالمرهم - العنبري (؟)
وأضع الكحل حول عيني
20 وعندما ستضغط يداه الساحرتان على قَطَني
وبعد أن يعمد الإلّه، الراعي دوموزي،
المضطجع بقربي، (أنا) إنانا المقدسة
(بعد أن يعمد) إلى دعْك ثَدْييَ اللبنيّ والطلّي،
وعندما سينقل يده إلى فرجي المقدّس
ومثل سفينته الداكنة (؟) عندما سيـ [. . .]
[. . . . . .]
25 وعندما سينقل إليه[1] الحياة مثل سفينته
المشوقة
وبعد أن يلامسني على الفراش متحبباً:
عند ذلك سوف أداعبه (بدوري) وسوف
أقرر له مصيراً سعيداً!
نعم، سوف ألاطف، شولجي، الراعي الصالح
وأقرر له مصيراً سعيداً!
وفي الوقت الذي أشيد بقَطَنِه، سوف
أقرر له مصيراً، الرعاية الشاملة!»

تتابع إنانا بعد ذلك موضّحة ومفصّلة المصير المجيد الذي تخصصه لحبيبها «الملكي»:

---

(١) المقصود هو فرج إنانا.

49 «سوف أكون دَليلك في المعارك، وحاملة ـ
سلاحك في القتال
وبطلك في مجمع الآلهة،
وسوف أكون على الطرق حاميتك!
أنت، أيها الراعي المختار من أجل المسكن المقدس،
والمواظب على تموين الإيانا،
55 أنت، الزينة الأكبر في معبد آن[1]
أنت أهلٌ لجميع (الاحتفاءات):
أنت خُلقتَ لكي تستقرَّ باعتزاز على
المنصّة المجيدة؛
أنت خُلقت لتجلس على العرش اللازوردي
أنت خُلقت لكي تثبت التاج على رأسك؛
60 أنت خُلقت لتزين جسمك باللباس الفضفاض؛
أنت خُلقتَ لكي تدّثر بالرداء الملكي؛
أنت خلقت لتحمل الهراوة والسلاح [. . .]
أنت خلقت لكي ترمي الهدف بسهم قوسك؛
أنت خلقت لكي تعلّق إلى جنْبك عصا ـ الرماية
والمقلاع؛
65 أنت خلقت لتمسك بيديك الصولجان الجليل
أنت خلقت لتنتَعِل في رجليك الصندل المقدس
أنت خُلقت لتسابق وتجعل مطيتك تعدو؛
أنت خُلقت لكي تلتصق بقوة على حضني
الجميل، مثل عجلٍ فائق الثمن:
فليعشْ طويلاً قلبُك الرحيم!

---

(١) آن (An) إله السماء. . .

70 هذا هو المصير الذي قرّره آن من أجلك:
المصير الذي لا مردّ له!
وبواسطة إنليل[١] مرسّخ الأقدار: مصيرك،
لا بديل له!
إنانّا تحبك! وأنت مفضّل (أمها) نينليل»[٢]
[....]

وفي بقية النص المشوّهة، يُفهم مما أمكن التعرف عليه، أن الشاعر يتابع وصف سفر الملك شولجي إلى معبدين سومريين آخرين، ثم عودته المجيدة إلى مدينة أور حيث يباركه فيها الإلّه نانا[٣]، الإلّه الذي كانت أور مدينته.

(١) إنليل (Enlil) الإلّه الذي ترأس مجمع الآلهة السومرية القديم ومعنى اسمه «سيد ـ الهواء» ومعبده في نفّر (Nippur).
(٢) نينليل (Ninlil) قرينة إنليل الإلّهية.
(٣) نانّا (Nanna) التسمية السومرية للإلّه القمر وهو والد إنانا، ملكة السماء التي يرمز إليها كوكب الزهرة.

(٢٩) ـ حوارية بين الملك شولجي والأخت الجميلة إنانا بقصد إخصاب الحقول والبساتين

وصلتنا هذه الحوارية بين الملك شولجي، والإلّهة إنانا في حالة سيئة وهي تبدأ بأسف إنانا وشكواها لعدم توافر النباتات: إذ لا أحد يقدم لها أقراط التمور المخصّصة لها ولأن صوامعها فرغت من الحبوب ولذلك فالملك شولجي يدعوها لزيارة حقوله:

10 «أي أختي، أريد الذهاب معك لتفقّد حقولي!
يا أختي الجميلة، أريد الذهاب معك لتفقد حقولي!
أريد الذهاب معك لتفقد حقلي الأعرض؛
أريد الذهاب معك لتفقد حقلي الأضيق:

لكي أرى حَبّي المبكّر النموّ (عندما) يُروى مبكراً
15 ولكي أرى حَبّي الآخريّ النمو (عندما) يتأخّر إرواؤه
أريد الحصول (؟) على (كافة) هذه الحبوب
أريد الحصول (؟) على (كافة) هذه الحُزمات! . . .»

وبعد ورود عدة أسطر مشوّهة، يفهم من خلالها ان الإلّهة تصدر أمراً إلى فلاحٍ لكي يحرث أراضي شولجي البائرة. وعند ذلك يدعوها الملك شولجي لزيارة بستانه:

ظهر اللوحة

. . . .

10 «أي أختي، أريد الذهاب معك لتفقد بستاني!
يا أختي الجميلة، أريد الذهاب معك لتفقد بستاني!
أي أختي، أريد الذهاب معك لرؤية بستاني
أي أختاه، أخصبي لي بستاني

أخصبي لي مزرعةَ شجر الإيلداج[1]!

15 أريد الذهاب معك لرؤية بستان الفواكه!

أي أختي أريد الذهاب معك لتفقد (بستان) التفاح

لكي أتناول بيدي [. . .] ثمار تفاحي!

أي أختي، أريد الذهاب معكِ لتفقد شجر الرمّان

وأقطف منه (؟) الحلو والمعسّل [. . .]

20 أي أختي، أريد الذهاب معك لرؤية بستاني!

يا أختي الجميلة، أريد الذهاب معك لرؤية بستاني

وكذلك زروع الحديقة [. . .]»

يتابع النص بعد ذلك على حوالَى ثمانية أسطر مشوهة ومبهمة يفهم من خلالها ما يشير إلى مزروعات وأقراط تمر.

(١) (Ildag) نوع من الشجر يعتقد أنه الصفصاف.

(٣٠) ـ إلى شو ـ سين الحبيب: اللذة التي تمَنحني هي حلوة كالعسل يا ذا الحلاوة، يا حبيبي

الملك شو ـ سين، في دور الحبيب، كانت له شهرة بين النساء المكرّسات للإلّهة إنانا. كما أن «حبيب أولئك النساء»، لم يكن يتأخر عن تقديم الهدايا إلى اللواتي يتقنّ دورهن. ولم يحلْ ذلك دون وجود عاطفة حبّ حقيقية بين العشيقين، إذْ لا تخلو الأناشيد المخصّصة للملك شو ـ سين و «أعراسه» من عنف الشهوة ورقة التعابير ومن شاعريّة تذكّر حتماً برقّة «نشيد الأنشاد»، وهذا ما سنعود إليه في نهاية هذا الاستعراض.

وبالنسبة للملك شو ـ سين، نحن نعلم أيضاً أن إحدى مكرّساته واسمها كوباتوم كانت لها حظوة كبيرة لديه.

وفي النشيد التالي المصنّف بموجب النص «كنشيد بالبال[١] لإنانا» تتوجّه الحبيبة إلى عريسها لتغنّي لذتها معه وهي واثقة على ما يظهر من حبّه لها ومن مكانتها في قلبه وخاصة من حذاقتها وقدرتها على إيقاظ «قلبه»:

1 «يا حبيبي، أيها الغالي على قلبي
اللذة التي تمنحها، حلوة كالعسل
يا أسدي، أيها الغالي على قلبي.
اللذة التي تمنحها حلوة كالعسل

5 أنت فتنتني: ها أنذا أرتجف كليةً أمامك!
رغبتي، يا حبيبي، أن تحملني إلى غرفتك!
أنت فتنتني: ها أنذا أرتجف كلية أمامك!
رغبتي، يا أسدي، أن تحملني إلى غرفتك!
دعني يا عشيقي أمنحك ملاطفاتي!

---

(١) (balbale) تعبير يشير إلى نوع من القصائد أو الأناشيد.

10 يا ذا الحلاوة يا حبيبي، أريد أن أُغمَر (؟) بعسلك!

في الحجيرة التي تطفح طلاوةً،

دعنا نتمتع بجمالك الرائع!

أي أسدي دعني أمنحك ملامساتي!

يا ذا الحلاوة، يا حبيبي، أريد أن أنغمر (؟) بعسلك!

15 أنت حققت معي متعتك يا حبيبي

أخبر إذن بذلك أمك، لتقدم لك الأطايب

وقل ذلك لأبيك: يقدّم لك الهدايا.

روحَك! أنا أعرف كيف أبهج لك روحك:

بتْ عندنا يا حبيبي حتّى مطلع الفجر!

20 قلبك! أنا أعرف كيف أمدد لك قلبك[1]:

بت عندنا، يا أسدي، حتى مطلع الفجر!

أما أنت، وبما أنك تحبّني

امنحني ملامساتك، أرجوك يا أسدي!

يا سيدي الإلّهي، ومليكي وحمايتي،

25 أي شو ـ سين، الذي يبهج قلبَ إنليل[2]، أنت لي،

إمنحني ملامساتك، أرجوك!

---

(١) نذكر هنا أن التعبير السومري الذي يشير إلى المنيّ هو: ماء ـ القلب. وقد يكون هنا العسل في السطرين ١٠ و١٤.

(٢) إنليل (Enlil) زعيم مجمع الآلهة السومري القديم ودوموزي لقب بـ «حبيب إنليل» و «مفضل إنليل».

هذه الركئَةَ الكنينة الحلوة كالعسل، ضع
يدك عليها، أتوسل إليك!
ضع يدك عليها كما تضعُها على قماش جيشبان[1]
ثم اغلق يدك عليها مثل كأس، وكأنها
على قماش جيشبان ـ شيكين[1].

(١) (Gishban) و (Gishban-Shikin) نوع من الأقمشة.

(٣١) ـ عذبٌ يا إلَهي، هو شراب الساقية وهديّة الملك شو ـ سين

الحبيبة تشبه نفسها في هذا النشيد البالبال بساقية تقدم الشراب العذب وما شرابها وعذوبته سوى فرجها وشفاهها. إلا أن هذا النشيد يقدم لنا في الوقت نفسه اسم الحبيبة الحقيقي التي قامت أمام الملك شو ـ سين بدور إنانا وهي «كوباتوم»[١]. ويشير النشيد أيضاً إلى أن الملك «الحبيب» كافأها بإهدائه لها عقداً من الذهب وخاتماً من الفضة. كما أن هذه الهدية الملكية أكّدتها الحفريات الأثرية في مدينة أوروك القديمة، مدينة إنانا، إذ عُثر على عقد من الأحجار الكريمة وقد حمل أحد أحجاره النقش التالي: «كوباتّوم لوكور[٢] شو ـ سين» وكانت على الأرجح حظوة كوباتوم كبيرة لدى الملك بحيث لقّبت في النشيد «بكوباتوم الملكة» حين أصبحت من مكرسات الملك والمقرّبات إليه أو أشهرهنّ على أقل تعديل.

وكوباتوم هي التي تبدأ النشيد بالإشادة بنبل ولادة الملك شو ـ سين حين ولدته أمه آبي ـ سيمتي[٣]:

I «وَلَدَتْ كائناً ساطعاً، انها ولدت
كائناً متألقاً:
الملكة ولدت كائناً ساطعاً:
آبي ـ سيمتي، ولدت كائناً متألقاً!»

يلي ذلك مقطع من أربعة أبيات فيه بعض التشويه ليس من السهل فهمه، ولكنه يحتوي على اسم كوباتوم كما ذكرنا آنفاً. وهذا المقطع يردّده الكورس عن الحبيبة قبل أن تستأنف هي إشادتها بسيدها وحبيبها:

5 «أي مليكتي ذات الأعضاء الساحرة!
يا آبي ـ سيمتي، مليكتي!
يا مليكتي ذات الرأس [. . .]: يا مليكتي

---

(١) (Kubatum).
(٢) التعبير السومري لوكور (Lukur) يعني المنذورة أو المكرّسة لشو ـ سين الملك.
(٣) (Abi-Simti) اسم الملكة والدة شو ـ سين.

كوباتوم!

يا صاحب السيادة ذا الشعر [. . .]! يا مليكي

شو ـ سين!

يا صاحب السيادة ذا الكلمات [. . .]!

يا ابن ـ شولجي!»

تعود كوباتوم بعد ذلك للإنشاد:

9 «لأنني أنشدت، لأنني أنشدت،

كافأني سيدي!

لأنني أنشدت الآلاري[1] كافأني سيدي:

كافأني سيدي بمنحي عقداً من الذهب

وخاتماً من الفضّة

أي سيدي هديتك تفيض [. . .]: أَدِرْ

وجهك نحوي!

أي شو ـ سين، هديتك تفيض [. . .]: أدرْ

وجهك نحوي!»

ثم يلي مقطع كثير التشويه تمجّد فيه الحبيبة شو ـ سين كملكٍ عظيم:

15 «[. . .] أيها السيد [. . .]، أيها السيد

[. . .] مثل كتلة ـ سلاح [. . .]

فلتَدرِ المدينة نحوك رأسها، مثل

«متسولٍ»، أي سيدي شو ـ سين!

ولترقد عند رجليك مثل شبلٍ، يا ابن

شولجي، الذي هو لي!»

(١) آلاري (Allari) كلمة سومرية تشير على الأرجح إلى التعبير عن الفرح والبهجة.

وتعود الحبيبة بعد ذلك إلى إثارة شهوة الملك «الإله» بقصد تحقيق القران الجسدي المقدّس معتبرة نفسها كساقية تقدم له الشراب:

19 «عذب يا «إلهي» هو شراب الساقية!
فرجها هو كالشراب، (فرجها) عذب كشراب!
فرجها وشفتاها هي عذبة كشراب!
وشرابها فائق الحلاوة، (فائق الحلاوة)
شرابها!»

وفي المقطع الأخير من هذا النشيد، تعود كوباتوم إلى تمجيد شو ـ سين «مفضل إنليل» و «إلّه بلاده» وهذا ما يثبت قصد الشاعر وهدف النشيد من أن الملك شو ـ سين قام فعلاً بتجسيد دور دوموزي بالاقتران بإنانّا.

23 «أي شو ـ سين أنت الذي منحتني نِعَمَك!
أي شو ـ سين، أنت الذي منحتني نِعَم جسدك، أنت لي، أنت دلّلتني!
25 شو ـ سين، أنت الذي منحتني نعمك! أنت لي،
شو ـ سين، أنت مفضل إنليل
أنت مليكي، وإلّه البلاد أنت!»

(٣٢) ـ تصفيفة شعر الحبيبة
استعداداً للقاء شو ـ سين

في هذا النشيد الأخير الذي وصلنا عن الملك شو ـ سين تستعدّ «الحبيبة» وهي إحدى النساء التي اختيرت للاقتران بشو ـ سين الملك «الراعي». ولهذه المناسبة تطلب من والدتها أو مرضعتها تصفيفة شعر مرفوعة نحو الأعلى مثل الخسّة، تزيد من مفاتنها كما تعتقد وبهذه المناسبة أيضاً فإن مرضعتها أحسنت ترتيب مظاهر فتنتها[١] مما جعل نظرة «الحبيب» الملهبة تلفّها:

1 «شَعْري هو خسّة تنبت بجوار الماء:
خسّة چاكول[٢] تنبت قرب الماء!
مُشِّطت تجعيداته ولُمعت (؟)
(شعري) جمعته مرضعتي عالياً
5 كما كثفته بواسطة الماء (؟)
ضاعفت فيه التقصيبات وجعلتها متقاربة
إنها أحسنت ترتيب مفاتني
فِتْنَتِي، هي (تصفيفة) شعري الشبيهة بالخسّة،
أجمل النباتات!
لفّني «أخي» بنظرته الملهبة
10 لقد اختارني شو ـ سين أنا، الـ [. . .]،
الـ [. . .] الفاتنة! . . .»

بعد نقص حوالى سبعة أسطر يستأنف النص على لسان الكورس أو مرافقات «الحبيبة».

18 «إلّهنا هو أنت، أنت إلّهنا!

---

(١) كلمة فتنة ومفاتن باللغة السومرية تعبّر عنها جملة «اليأتِ» والمقصود هو الرجل وهو نفس التعبير الذي استعمل للدلالة على حمالة صدر إنانا وطلاء وجهها قبل نزولها إلى العالم السفلي.

(٢) (Gakkul) نوع من الخسّ.

أنت سيدنا: فضّتـ[نا] ولازورد [نا]

20 أنت إلّهنا: فلاحنا الذي يجعل
الحبّ ينبت من أجلنا!»

وتختتم «الحبيبة» هذا النشيد بَالْبَال:

21 «إنه حلاوة عيوني، وخسّة قلبي،
فليشرق من أجله يوم - حياة، من
أجل شو - سين الذي هو لي!»

(٣٣) ـ عيد رأس السنة في مدينة إيسين والاحتفال بالزواج الإلّهي

الملك في هذا النشيد الذي يمتاز بالتفاصيل التي يقدّمها لنا عن مراحل الزواج الإلّهي وطقوسه، هو الملك إيدين ـ داجان (١٩٧٤ ـ ١٩٥٤) ق. م. وهو الملك الثالث لملكية إيسين التي تلت مملكة أور.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القران بين العروسين، يتمّ في القصر حيث يُنصب «الفراش» من أجل الملكة تحيط به أغصان ونجارات خشب الأرز وباقات من الأسَل. يتم بعد ذلك حَمام الإلّهة والملك جنباً إلى جنب وتنثر الطيوب على أرضية القاعة حيث تنتظر «الإلّهة». ويلتحق الملك بعد ذلك بالفراش المقدس ويتم اقترانهما بشهوة عارمة. وهذا النشيد الذي يتألّف من ٢١٣ سطراً، لم يصلنا منه مع الأسف سوى القسم الأخير الذي لا يتعدى ٤٤ سطراً:

167 في القصر، مقر الحكم ومركز مراقبة البلاد
في قاعة ـ المحكمة، حيث يجتمع ذوو الرؤوس ـ السوداء،
أمر الملك بإقامة منصّة لسيدة القصر،
170 حيث اضطجع معها العاهل الإلّهي
من أجل ضمان حياة كامل البلاد.
وللاحتفال بمناسبة اليوم الأول (من العام)،
ولكي ينفذ بحرصٍ الطقوس المقدسة
لـ «يوم ـ المضاجعة».
175 في رأس السنة، حلول (تنفيذ) تلك الطقوس،
نُصب عند ذلك فراش من أجل ملكتي.
طُهّر (الفراش) بواسطة الأسَل والأرز العاطر؛
هذا الفراش من أجل مليكتي، عندما تم إعداده،
مُدّ عليه غطاء ـ فراش،
غطاء ـ فراش مبهج كان يزيّن المضْجَع
180 عند ذلك، تمّ تحميم مليكتي جنباً إلى جنب

بجوار الملك،

تمّ تحميمها جنباً إلى جنب بجوار إيّدين ـ داچان!

وبعد أن غُسّلت إنانا المقدسة «بالصابون»

نُثِر على أرضيّة (القاعة) زيتُ الأرز ذو الأريج.

185 ثمّ تقدم الملك باعتزاز من الحِجْر المقدس:

إلتحق مظفّراً بحضن إنانا

وآما ـ أوشومچالانّا[1] ضاجعها

متلمّساً برقّة صدرها الجميل!

189 وبعد أن استقرت الملكة طويلاً على

حضن الملك

[.......]

192 تمتمت: «إيّدين داچان، نعم، سوف أمدد حياتك»

بعد ذلك، وعلى ما يظهر، يتمّ في اليوم نفسه إقامة وليمة في قاعة استقبال القصر:

193 «عندما تمّ تكديس التقدمات، وبمجرد إنجاز

تطهير المكان،

وحَرْق البخور ونثر زيت السَّرْو،

195 عندما كُدّست التقدمات الغذائية

وملئت الآنية حتى الطفح،

دخل برفقتها إلى قصره الجليل

ثم قبّل «قرينته» الحبيبة

قبّل إنانا المقدّسة.

ومثل ضوء النهار، قادها إلى العرش

على المنصّة السامية

(١) (Ama-Ushumgalanna): لقب الإله دوموزي.

200 وجلس بقربها وكأنه الملك ـ الشمس
ثم جعل الكثرة والوفر وفيض (المآكل)
تُستعرض أمامها
وأقام من أجلها عيداً رائعاً!
وأمام إنانا ردّد ذوو الرؤوس
السوداء (قائلين):
«على وقع الطبل الذي يفوق الرعد هديره،
205 والقيثارة ذات الموسيقى العذبة، التي
تسحر القصر
(وعلى نغم) الرباب المهدىء لقلب البشر
أيها المنشدون، اسمعونا أنغام البَهجة!»
ثم مدّ الملك يده إلى المآكل والمشروبات
«آما ـ أوشو. . . مچالانّا» مدّ يده إلى المآكل والمشروبات!
210 وبحضور الشعب المشبع وفراً وكثرة
كان «آما ـ أوشو. . . مچالانّا» مستمر السعادة
فلتطل أيامه على عرشه البديع!»

(٣٤) ـ الملك إيشمي ـ داچان «الراعي الأمين» يقترن بإنانا التي تزور الحظيرة

يتوازى هذا النشيد مع نشيد آخر عن دوموزي وإنانا نُشر آنفاً في نفس هذه المجموعة تحت عنوان «إذا ما دخلت إنانا الحظيرة»[1] وهو أيضاً يتألف من أربعة أزمنة ويدور في بدايته كالنشيد السابق، حول موسيقى مخضة الحليب. وبالإضافة إلى ذلك يشير الشاعر إلى أن الملك إيشمي ـ داچان صاحب «الصوت المتناغم» يغني هو أيضاً احتفالاً بإنانا عندما تزور الحظيرة، مرافقاً بذلك نغم المخضة «العذب».

1 «يا للنغم العذب ـ مثل (صوت) بقرة!
يا للصدى العذب ـ مثل (صوت) عجل!
أي إنانّا عندما تصلين إلى الحظيرة
وما أن تدخليها، أيتها الصبيّة
حتّى تُسمع المخضّة نغمها أي إنانا،
5 مخضة حبيبك سوف تُسمع نغمها
مخضة [إيشمي ـ داچان سوف تُسمع نغمها]
أي إنانا مخضة [إيشمي داچان سوف
تُسمع نغمها]!»

وهنا يشير الشاعر إلى أن الملك إيشمي ـ داچان، في دور دوموزي «الراعي الأمين» سوف يغني لها ويسمعها أيضاً صوت المخضة:

«سوف أجعل نغم المخضّة يتردد من أجلك
10 علّك تبتهجين، أي إنانا
والراعي الأمين ذو الصوت المتناغم
سوف يردد لك لحناً مدوياً!

---

(١) النص رقم ١٨.

أي إينّين، أنت التي تنشرين العذوبة
هذا ما سيفرح روحك أي إنانا!»

يلي بعد ذلك، وصف البهجة التي تنقلها إلى الحظيرة زيارة إنانا لها.

15 «أي إينّين، عندما ستدخلين الحظيرة
الحظيرة يا إنانا، سوف تتهلل أمامك
أيتها الغانية عندما ستدخلين الحظيرة
الحظيرة يا إنانا سوف تتهلل أمامك
وعندما ستقتربين من المعالف (؟)
20 فالنعجات الوفيّات سوف تنشر
صوفها أمامك!»

وينتهي النشيد بهذا الرجاء الموجّه إلى إنانّا:

«فلتطفح الحظيرة النبيلة بالقشدة من أجلك
ولتطفح الزريبة بالقشدة والحليب!
ولتستقر فيها الكثرة إلى الأبد!
وليتمكّن إيشمي - داچان في حياته المديدة
25 أن يعلن بحرارة: أنتِ هي «قرينتي»!
النعجة التي تعتني حَنونة بحملانها (هي أنتِ)!»

الفصـــل الثالـــث
حول الأصول السومرية لنشيد الأنشاد



(٣) ـ حول الأصول السومرية لنشيد الأنشاد

(٣ ـ ١) سليمان الملك ونشيد الأنشاد

١ ـ إذا كانت هناك ضرورة لأن يُنسَبَ «نشيد الأنشاد» التوراتي إلى أحد ملوك «العهد القديم»، فإن سليمان الملك، هو أحق الملوك بذلك. وباعتقادنا، أنه من الأفضل القول إن لنشيد الأنشاد صلةً بحياة سليمان الملك ولو لم يكن هو الشاعر والمؤلف. وهناك قرائن عديدة تمكن من القول، إنه ليس من المستبعد أن يكون سليمان هو «الحبيب» الذي يتغنّى به الشاعر وتتغنّى به «الحبيبة»: فهو الملك في كل من (١ : ٤ و١٢). وقد ورد اسم سليمان في (٣: ٧ و١٠) من نشيد الأنشاد.

٢ ـ وقبل أن ندخل في مجال المقارنة والتوازي والتفسير بصدد نشيد الأنشاد، نرى ضرورة التعرّف على شخصية سليمان كما ورد ذكره، والحكم عليه وفقاً لنصوص العهد القديم:

ورث سليمان (٩٧٠ ـ ٩٣٣) ق. م.، عن أبيه داود مُلكاً مستقراً نوعاً ما، بعد أن انتصر على جميع خصومه الداخليين ولم يبق أمام سليمان إلا مهمة التخلّص من أخيه البكر أدونيّا، إذْ أمر بقتله (ملوك أول، ٢ : ٢٥)[١] ثم أبعد أبياثار عن الكهنوت، كما أمر بقتل يؤاب الذي دعم حق أدونيا بالملك، وتخلّص أخيراً من مِشمعْيا لأنه خالف أوامره، وهكذا «تَثَبَّتَ الملكُ بيد سليمان»[٢]. تسلّم سليمان الحكم فتىً وبعد تقديمه

(١) المراجع التوراتية، وحتى إشعار آخر، تعتمد على تبويب توراة القدس لعام ١٩٦١ (Editions du Cerf) باللغة الفرنسية وتوراة جمعية الكتاب المقدس ـ بيروت ١٩٥٠.

(٢) ملوك أول (٢: ٤٥).

ألفَ محرقةٍ عن مرتفعات جبعون[1]، تراءى له الرب في الحلم فطلب منه سليمان أن يمنحه قلباً فهيماً ليحكم على الشعب مميزاً بين الخير والشر، وكان له ما ابتغى لأن كلامه حَسُنَ في عيني الربّ، فأعطاه «قلباً حكيماً ومُميّزاً»[2] ومن هنا اكتسب سليمان لقب الحكيم وأثبت ذلك في حكمه الشهير بين «الزانيتين» حول لمن هو منهما الرضيع الميت والرضيع الحيّ. وفي موضع آخر من سفر الملوك ترتسم شخصية سليمان الملك كما يلي:

«فاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر. وكان أحكم من جميع الناس... وكان صيته في جميع الأمم حواليه. وتكلم ثلاثة آلاف مَثَل. وكانت نشائده ألفاً وخمساً. وتكلّم عن الأشجار... وتكلم عن البهائم، وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك. وكانوا يأتون من جمع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان، من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته»[3].

وهذا يعني أن سليمان كان بالإضافة إلى حكمته شاعراً وعالِماً وحافظاً لأمثال عصره.

وهو الذي أمر ببناء المعبد، بيت يهوه في أورشليم بعد أن كان يعيش منذ الخروج تحت خيمة وذلك بالاعتماد على عمال وفنّاني حَيْرام ملك صور بعد عقد اتفاق تبادل تجاري معه، يقدم بموجبه حيرام، خشب الأرز والسرو والبنائين والسبّاكين وشاغلي المعادن الثمينة والخشب وغيرهم من العمال المهرة. كما بنى لنفسه قصراً.

٣ ـ برع سليمان أيضاً كتاجر وكوسيط تجاري، فكانت له علاقات مع مصر وأمراء الحثيين والآراميين وخاصة في ما يتعلق بتجارة الخيول التي كان يستوردها من بلاد الكاپادوس وكيليكيا.

واستعان أيضاً ببنائي سفن وبحارة حيرام ملك صور لإعداد أسطول تجاري من الطراز الكنعاني صدّر بواسطته معدني النحاس والحديد، وكانت سفنه تعود محمّلة بالذهب والفضّة والعاج والخشب الثمين والعطور مما جعل سليمان الملك يعيش حياة

---

(١) حارب أنبياء يهوه التقدمات على المرتفعات لأنها كانت عادة سكان البلاد الأصليين في التوجه إلى آلهتهم مما كان يثير غضب يهوه وغيرته وغالباً انتقامه من شعبه.
(٢) ملوك أول (٣: ٥ ـ ١٣).
(٣) ملوك أول (٤: ٣٠ ـ ٣٤).

بذخ تفوق قدرته. ولم تمنع مكاسبه التجارية من إرهاق الشعب بالضرائب وبأعمال السخرة، كما عجز عن الوفاء بديونه إلى حيرام ملك صور بنهاية أعمال بناء المعبد والقصر، التي دامت عشرين سنة، فأعطاه بالمقابل عشرين مدينة في الجليل[1] ولم يكن حيرام راضياً بذلك.

٤ ـ نصلُ هنا إلى ناحية هامة من حياة سليمان الملك، تهمّ بحثنا بالدرجة الأولى وهي علاقته بالنساء. وتبرز نصوص التوراة دون إخفاء غضبها (غضب يهوه) بأن سليمان أحبّ نساء غريبات وتعدّد التوراة بالإضافة إلى زواجه من ابنة فرعون التي بنى لها قصراً مستقلاً وكانت لها امتيازات خاصة[2]، فإنه تزوج أيضاً من العمونية «نعمة» وهي أم ابنه رحُبْعَام، وخَلَفه على مملكة يهوذا بعد الانقسام[3]. ويرد في الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول عن نساء سليمان ما يلي (١ ـ ٣):

«وأحب سليمان نساءً غريبات كثيرات مع بنت فرعون، مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات، من الأمم المجاورة الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل، لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبّة وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه».

نضع يدنا هنا على ناحية هامة من حياة سليمان وأساسية بالنسبة لهذا البحث وعلينا أن نتحقّق الآن لنعرف إلى أية درجة مال قلب سليمان إلى آلهة الغرباء ويأتي الجواب مباشرة من متابعة النص السابق (٤ ـ ٨):

«وكان في زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتروت إلَهة الصيدونيين[4] وميلكوم[5] رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه. حينئذٍ بنى سليمان هيكلاً لكيموش إلَه المؤابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم

---

(١) ملوك أول (٩: ١٠ ـ ١٢).
(٢) ملوك أول (٣: ١).
(٣) ملوك أول (١٤: ٢١) وأخبار ٢ (١٢: ١٣).
(٤) وكان لعشتروت أيضاً معبد هام في عسقلان: قضاة أول (٢: ١٣ و١٠: ٦).
(٥) إلَه العمونيين الذي استولى داود على تاجه الذهبي حين غلب العمونيين.

ولميلكوم إله العمونيين. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن».

٥ ـ هكذا يمكننا القول بأن سليمان الشاعر والعالم وهاوي النساء كان منفتحاً نحو آلهة نسائه ونحو عشتروت إلّهة الصيدونيين بشكل خاص وهذا ما يهمّ بحثنا. وسليمان الحكيم الذي وصلت شهرته إلى كافة أنحاء العالم القديم، كان منفتحاً أيضاً على التبادل الثقافي الذي رافق التبادل التجاري، وليس من المستبعد أن يكون ملماً «بثقافة عصره». ومن وصلت شهرته إلى مملكة سبأ ومن كان يستقبل الضيوف والهدايا من كافة الممالك المجاورة، كان بشكل طبيعي على اطلاع على ما أنتجه الأدب المقدس في كل من وادي النيل ووادي الرافدين والساحل الكنعاني. ومن كان مَحوطاً بهذا العدد من النساء «الغريبات» لا بد من أن يكون على معرفةٍ بطقوسهن الدينية وبمعتقداتهن وكما أوضح النص السابق فإن سليمان «التصق بهن بالمحبة وأَمَلْنَ قلبه».

والعهد القديم مليء بأمثلة عن ميل قلوب بني إسرائيل إلى آلهةٍ غير يهوه، آلهة غريبة وخاصة آلهة «البعل والعشتروت» بصيغة الجمع.

ومن المفيد الإشارة إلى أن الهياكل التي أقامها سليمان كما ورد في المقطع السابق بقيت قائمة مدة ٤٠٠ سنة بعد سليمان ولم تهدم إلا على يد الملك يوشيا[(١)] الذي أمر بأن تُخرج من هيكل الرب في أورشليم جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية[(٢)] ولكل أجناد السماء بغية إحراقها كما أقال كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا... «والذين يوقدون للبعل، للشمس والقمر والمنازل وكل أجناد السماء»[(٣)].

ونتابع إصلاحات الملك يوشيا، لنرى أنه يأمر بهدم بيوت غانيات معبد يهوه حيث كانت النساء ينسجن أغطية للإلّهة عشتروت[(٤)] وهذا يعني أن البغاء المقدس استمر في معبد يهوه حتى تلك الفترة. وأخيراً، وإلى الجنوب من جبل الزيتون، مقابل أورشليم، يأمر بهدم الهياكل «التي بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتروت رجاسة الصيدونيين

---

(١) (Josias) حكم خلال فترة ٦٤٠ ـ ٦٠٩ ق. م. وقام بإصلاحاته الدينية في عام ٦٢٢ ق. م.

(٢) السارية، ذكرت تحت اسم عشيرة في توراة القدس وهي عشيرة الأوغاريتية قرينة إيل وكانت أيضاً تلقب «بعشيرة يم» ودُمجت فيما بعد بعشتار ابنة الإلّه القمر سين البابلي وهي إلّهة الحب والخصب أي إنانا السومرية وهي أيضاً عشتروت الكنعانية.

(٣) ملوك ٢ (٢٣: ٤ ـ ٦).

(٤) الإلّهة عشيرة في توراة القدس ملوك ٢ (٢٣: ٧).

ولكيموش رجاسة المؤابيين ولِملكوم كراهة بني عمّون»[1].

٦ ـ وقبل أن ننتقل إلى تحليل نصوص نشيد الأنشاد، لا بد من ذكر مصدر أخير يحكم على تصرفات الملك سليمان وهو نص متأخر كتبه خلال الفترة السلوقية في الاسكندرية في حوالى عام ١٩٠ ق. م.، أحد حكماء يهود تلك الفترة وهو يشوع بن سيرا[2] ونقله إلى اليونانية حفيده فيما بعد. وهذا الكتاب أصبح جزءاً من التوراة اليونانية ولم تتبنه التوراة العبرية، كما لم يدخل في أسفار العهد القديم للنشرة البروتستانتية. إلا أن الكنيسة الكاثوليكية تبنته وأوردته بعد سفر الحكمة تحت عنوان سفر يشوع بن سيرا أو السفر الكنسي[3] كما أسمته توراة القدس.

ومن ضمن ما ورد في هذا السفر، هو تأملات بن سيرا حول وجهاء العهد القديم: الآباء الأولين والقضاة والأنبياء والملوك... وهذا هو حكمه على الملك سليمان:

«مَلِكَ سليمان أيام سلام وأراحه الرب من كل جهة لكي يشيد بيتاً لاسمه ويهيّء قدْساً إلى الأبدَ. ما أعظم حكمتك في حَبائك وفطنتك التي طفحتَ بها مثل النهر. فإن قريحتك عمّت الأرض، فملأتَها من أمثال الأحاجي. بلغ اسمك إلى الجزائر البعيدة، وأُحْبِبت لأجل سلامك. أُعجبت الآفاق بما لك من الأغاني والأمثال والألغاز والتفاسير. باسم الإلّه الرب الموصوف كإلّه إسرائيل جمعت الذهب كالقصدير والفضّة كالرصاص.

أملت فخذيك إلى النساء فاستولين على جسدك. جعلت عيباً في مجدك ونجّست نسلك[4] فجلبتَ الغضب على بيتك. لقد صدعتْ قلبي جهالتك»[5].

٧ ـ وبالاعتماد على ما ورد أعلاه، حول الملك سليمان وشخصيته وانفتاحه على بقية الآلهة التي لم تكن يهوه وكأن هذا الأخير كان بالنسبة لسليمان إلّهاً شخصياً

---

(١) ملوك ٢ (٢٣: ١٣).
(٢) أو ابن سيراخ كما ورد اسمه في التوراة الكاثوليكية الصادرة في بيروت لعام ١٩٥١.
(٣) Eclesiastique.
(٤) لأنه تزوج من أجنبيات، خلّفن له أبناء مثال خلفه رحَبْعام ابن العمّونية نعمة، الذي ينعته ابن سيرا «بالسخيف الرأي».
(٥) انظر سفر ابن سيرا (٤٧: ١٥ ـ ٢٢) توراة المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٥١.

بالإضافة إلى بقية الآلهة كما عرفنا ذلك في بابل وآشور. ونحن نعلم أهمية الإلّهة إنانا/ عشتار/ عشتروت، وقد اجتازت عبادتها جميع الأجيال وعمّت بلدان المنطقة بكاملها[1]، ونعلم أيضاً أن الزواج الإلّهي و «البغاء المقدس» كانا من أهم طقوسها. ويمكننا هنا أن نتساءل إذا ما كان تَبَنّي سليمان إرضاء عشتروت[2] قاده ولمصلحة تعميم الرخاء في البلاد، ودون أن ننسى حبّه للنساء، قاده إلى إقامة طقوس الزواج الإلّهي، فكان هو الملك والحبيب والعريس ولم تكن النساء ينقصن من حوله للقيام بدور إلهة الخصْب. وكما رأينا ذلك في أناشيد الحب والزواج الإلهي التي عرضناها آنفاً، فنحن نعلم أن إنانا كانت ترسخ الملوك على عروشهم بنتيجة الزواج الإلّهي وتمنحهم حياةً مديدة وقد لا يكون سليمان قد شذّ عن هذه القاعدة، مما يساعد على إلقاء ضوء آخر على «نشيد الأنشاد التوراتي» وسوف نستعرض في الفقرة التالية اتجاهات التفسير والتأويل لهذا النشيد ذي الطابع الخاص في التوراة، قبل أن ننتقل إلى توازيه مع أناشيد الحب السومرية.

---

(١) ومن قبرص إلى اليونان إلى روما استمرت عبادة عشتار.

(٢) انظر المقطع ٤ أعلاه.

(٣ ـ ٢) ـ التفسير والتأويل والتوازي
بصدد نشيد الأنشاد

١ ـ يمكننا أن نبدأ بالقول بصدد هذا النشيد التوراتي، الذي لا يتعدّى ١١٧ بيتاً احتوتها ثمانية أسفار، بأن ليس هناك اتفاق بين الباحثين، في ما يتعلق بأصوله وفترة تأليفه وبنيته ومعناه الإجمالي وما يسعى إليه. وهو على الرغم من قصره، يبقى الكتاب الأكثر غموضاً والأكثر دعوة للحيرة من بين كتب العهد القديم.

كما يمكننا القول بأن لا علاقة مباشرة له بتاريخ إسرائيل ولو أنه أتى على ذكر تخت سليمان (٣: ٧) والتاج الذي توّجته به أمّه[١] في يوم عُرسه (٣: ١١)، كما أنه لا علاقة بنشيد الأنشاد في الإضافة الأخيرة التي تذكر اسم سليمان وجُباته ومن ثم الحبر يوحنا هيركان الذي حكم خلال فترة (١٣٤ ـ ١٠٤) ق. م. والذي لقّب بسليمان[٢].

ولكن نشيد الأنشاد في شكله التوراتي الذي وصلنا يبقى غنياً في إطاره الجغرافي الكنعاني فلسطين ولبنان ولكنه في الوقت نفسه ينظر إلى دمشق ويعرف مركبات فرعون، ولافت للنظر فيه إشادته بجمال لبنان وسيول لبنان والعروس من لبنان ورائحة لبنان وفردوس لبنان. . . وأقل ما يمكن قوله بهذا الصدد أن الشاعر أو الشعراء كانوا من المقدرين لما كان عليه لبنان. ومن الملاحظ أيضاً، أن «نشيد الأنشاد» يحتوي على ألفاظ وتعابير يعتريها التباس في المعنى وتتحمل عدة تأويلات ومعظمها لم يرد في مواضع أخرى من النصوص التوراتية.

٢ ـ كثير من المؤرخين، يرون في «نشيد الأنشاد» مجموعة من أناشيد الحب «الدنيوي» أي غير الديني، تردّدها العروس بمناسبة احتفالات الزواج أو تُنشَدُ بحضور العروسين اللّذيْن كانا يُسمّيان «ملك» و «ملكة»، كما كان يتمّ ذلك في قرى سورية وفلسطين حتى نهاية القرن الماضي. ولا تزال حتى اليوم أعراس القرى في مصر تُجلِسُ العروسين جنباً إلى جنب على «عرشين» ويتم أمامهما الغناء والرقص ابتهاجاً بالمناسبة.

---

(١) سوف نعود إلى تحليل هذه الجملة والتعليق عليها فيما بعد.
(٢) وردت عنه التفاصيل التاريخية المعاصرة للفترة السلوقية في سفري المكابيين اللذين لم تعترف بهما التوراة اليهودية وأوردتهما توراة القدس.

ورأى مفسرون آخرون أن نشيد الأنشاد هو مجموعة من أناشيد الحب المتبادل بين عشيقين عبر التنهّدات والشهوة ورقة العناق والمضاجعة . . .

كما ذهب بعضهم الآخر إلى نقيض ذلك، فرأى أن نشيد الأنشاد على الرغم من احتوائه على تعابير جسدية وجنسية، فإنه أُعدّ ليعلّم بشكل أخلاقي ورفيع السعادة في الزواج . . .

٣ ـ إلا أن «نشيد الأنشاد» لا يمكن اعتباره في جزءٍ منه، كمجموعةٍ من أناشيد الحب البسيطة والعفويّة، بسبب بعض التفاصيل التي تعمّد الشاعر ذكرها والتي ترتبط ببلاط ملكي وبقصرٍ لا ينقص فيه الذهب والعاج والرخام والأحجار الكريمة إلى جانب الصور والتشابيه المرتبطة بالحقول وبشجر الوعر وبالكروم و «الظبي»، «الراعي بين السوسن»، وبقطيع الماعز وقطيع الخراف المجزوزة . . .

ويمكننا القول منذ الآن بأن نشيد الأنشاد حافظ على علاقةٍ بملكٍ وبراعٍ دون إغفال الكروم والحقول وحدائق التفاح وأكداس القمح المسيّجة بالسوسن . . .

٤ ـ وعلى هذا الأساس يمكن استشعار علاقة لنشيد الأنشاد بزواج إلّهي أو زواج مقدّس وهذا التفسير، ومنذ عام ١٩٢٢ تقدّم به الباحث «ميك»[(١)] معتبراً أن نشيد الأنشاد وهو ما بقي من طقوس إسرائيلية قديمة تحتفل بزواج الإلّه الشمس بالإلهة ـ الأم كما كان يتم ذلك منذ أزمنة قديمة في ما بين النهرين. وأن هذا الزواج الإلّهي كان يشكّل جزءاً من طقس يتعلق بالخصب ورثه الإسرائيليون عن الكنعانيين المزارعين[(٢)]، لدى تمركزهم في فلسطين. والكنعانيون هم بدورهم كانوا قد تبنّوه عن طقوس تموز وعشتار وقبلهما: دوموزي وإنانّا.

وهذا الاتجاه من قبل «ميك»، كان مصيباً في اعتماده على كل ما يشير إلى الخصب والسعي لتوافره من قبل الكنعانيين وسكان ما بين النهرين قبلهم. وكما قلنا آنفاً فإن نصوص العهد القديم مليئة بالدلائل على تلك الاهتمامات وكان الأنبياء قد حكموا بقساوة على مثل هذه الطقوس التي كان الإسرائيليون هم أيضاً يمارسونها مغضبين

---

(١) Th.J. Meek الباحث الأميركي في الآشوريات والنصوص التوراتية.

(٢) تسمية الكنعانيين هنا وفيما بعد وللتبسيط تشمل كافة سكان فلسطين دون بني إسرائيل من مؤابيين وعمونيين ويبوسيين وأدوميين والفلسطينيين وسكان الساحل اللبناني الحالي والساحل السوري (أوغاريت).

بذلك يهوه، ودون تمكّن أنبياء إسرائيل من اجتزازها بشكل كامل. وعندما أعلن الباحث «ميك» تفسيره حول نشيد الأنشاد في العشرينات لم يكن علماء الآثار في تلك الفترة، يعرفون غير قصة نزول عشتار إلى العالم السفلي، وموت تموز معتقدين أن الإلّهة عشتار نزلت إلى عالم الموت لإنقاذ عشيقها[١]، لذلك ارتكب «ميك» خطأً كبيراً حين اعتقد أن عليه أن يفتش في نشيد الأنشاد عن إلّه ميت وعن إلّهة تسعى لإنقاذه.

٥ ـ إلا أنه منذ عام ١٩٦٤ وخلال المؤتمر العالمي السادس والعشرين لعلماء اللغات الشرقية في نيودلهي، قدّم عالم السومريات «كرامر»[٢] الأناشيد السومرية الموازية لنشيد الأنشاد ونشر في عام ١٩٦٩ كتابه عن طقوس الزواج الإلّهي مشتملاً على تلك الأناشيد، مما سهّل تقديمها باللغة العربية، وبالتالي، تقديم هذه الدراسة عن توازيها مع النشيد التوراتي.

وقبل الانتقال إلى مقارنة النصوص لا بدّ لنا من التعرّض إلى كيفية بقاء نشيد الأنشاد في المجموعة التوراتية المعترف بها من قبل أحبار اليهودية، متسائلين عما إذا كانت أصول هذا النشيد كطقس لزواج مقدس مارسه بنو إسرائيل إلى جانب الكنعانيين قد ساعد على ذلك. وقد تسهل الإجابة عن هذا السؤال حين نذكّر بأن دوموزي ـ تموز لم يكن إلّهاً وكان بشرياً اختارته عشتار بقصد تحقيق الخصب وبذلك يبقى يهوه الإلّه الوحيد المعترف به من قبل بني إسرائيل بعيداً عن علاقة الزواج المقدس بعشتروت ويمكن للملك مثال سليمان القيام بهذا الدور.

ومما لا شك فيه أن طقس الزواج المقدس الكنعانيّ ـ الإسرائيلي زاد انتشاره خلال حكم سليمان. وقد أشرنا سابقاً إلى ميل قلب سليمان إلى الإلّهة عشتروت[٣] وبذلك يصبح نشيد الأنشاد نصاً بطله سليمان ونسبته لسليمان. وبعد تخليصه قدر الإمكان من مظاهر الاهتمام بالخصب، تمّ إدخاله في مجموعة الكتب المقبولة بعد أن عُقّم وأُبعدت عنه عشتروت الخصب وعلى الأخص التعابير الجسدية الصريحة أي «البذيئة بالنسبة للمنقحين»، وبقيت المعاني الجسدية الموحية بكل ما هو مرتبط بالاتصال الجنسي واضحة، تؤكدها اليوم الأناشيد السومرية الموازية. ولكن الأحبار مفسّري التوراة،

---

(١) ولكن اكتمال النصوص بعد تجميع أجزائها خلال سنين عديدة من مختلف المتاحف العالمية التي تملك هذه الأجزاء، دلّ على أن عشتار هي التي سلمت دوموزي إلى الموت كبديلٍ منها وأكدت ذلك النصوص السومرية فيما بعد.

(٢) Samuel Noah Kramer.

(٣) انظر المقطع ٤ من الفقرة (٣ ـ ١) أعلاه.

وآباء الكنيسة، وجدوا لأنفسهم منافذ عديدة فإذا بالإلّه يهوه يحل محل العريس بموجب التفسير التوراتي وحبيبته هي شعب إسرائيل. أما آباء الكنيسة فاعتبروا أن النشيد يحتفل بعرس المسيح مع عروسه وحبيبته الكنيسة. وبهذه الطريقة رأى الطرفان أن نشيد الأنشاد هو نص موحى به، نص مقدس وأخذت التفسيرات الغزيرة من قبل الطرفين تملأ هوامش الصفحات التي تحمل نص نشيد الأنشاد لكي تفرض على قرائه المعنى الرسمي مهما كان اصطناعياً. وشُرحت أبعاد كل كلمة وما يختبىء وراءها من حوادث شعب إسرائيل التي اعتبر التوراتيون أن الشاعر رمز إليها وعلى هذا المنوال أيضاً اتجه آباء الكنيسة الكاثوليكيون، للتفتيش عن رموز ترتبط بالمراحل الأولى لحياة الكنيسة وبتأويلها لما سمّته عهدها القديم.

٦ ـ ومما ساعد على ذلك في ما يتعلق، بتوراتيي العهد القديم هم بعض أنبياء التوراة وخاصة النبي هوشع والنبي حِزَقيال.

أما هوشع الذي عاصر أشعيا وعاموس ونشر رسالته خلال الفترة الأخيرة من حكم يَربْعام الثاني (٧٨٦ ـ ٧٤٦) ق. م.، هو أحد الأنبياء الصغار، وقد روى في بداية السفر المتعلق به قصة زواجه بناء على طلب الرب، بغانية زانية، أنجبت له أولاد زنى، ولكنه أحبها كما أحب الربّ شعبه الزاني إسرائيل. ومرة ثانية يقول له الربّ: «إذهب أيضاً، أَحْبِبْ امرأة حبيبةَ صاحبٍ وزانية، كمحبة الربّ لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب»[1].

وحزقيال من جهته، رافق السّبْيَ الأول إلى بابل (٥٩٧ ق. م.) وهو يروي في إصحاحين قصة شعب إسرائيل وأورشليم الزانية التي وهبت جسدها للغرباء، وهو الذي اعتنى بها منذ ولادتها بعد أن كانت مُهمَلة[2]. وفي إصحاح آخر، يروي قصة أختين هما السامرة وأورشليم اللتان زنتا في مصر في صباهما «وهناك دُغْدِغت ثديُهُما وهناك تزغزت ترائب عِذْريتهما»[2]. ويطلق الرب على السامرة اسم (أُهُولة) وعلى أورشليم اسم (أُهوليبة). ويتابع الرب قائلاً: «كانَتَا لي، وولدتا بنين وبنات... وزنت أُهولة من تحتي وعشقت محبّيها آشّور الأبطال... كلّهم فرسان شهوة راكبون الخيل. فدفعت لهم عقْرَها... وتنجّسَت بكل من عشقتهم بكل أصنامهم»[3].

---

(١) هوشع (٣: ١).
(٢) انظر حزقيال الإصحاح ١٦.
(٣) حزقيال (٢٣: ١ ـ ٨).

ولما رأت أختها أُهوليبة ذلك، أفسدت في عشقها أكثر منها وفي زناها أكثر من زنا أختها. . .

وبالطبع وفي كل مرة كانت تُرتكب خيانة تعبّديّة ضدّ يهوه بالاتجاه نحو آلهة الغرباء، كان ينذر بالعقاب والانتقام مرسلاً هو بنفسه الأعداء، وهنا يهدّد يهوه ويعد بصدد الأختين الزانيتين بأنه سيحرّض عشاقهما ضدهما. . . أي الآشوريين.

إن هذا النّوع من العلاقة بين يهوه وشعبه أو بينه وبين أورشليم مثلاً وكأنها علاقة زوجية سهلت على مفسّري التوراة قراءة نشيد الأنشاد من ضمن هذه الخلفية. ومن ضمن كل ما كان يستحوذ على عقولهم وعواطفهم بسبب السبي والتشتيت والعودة. . . وهذا ما نقدم عنه أمثلة في المقاطع التالية بالاستفادة من الهوامش التفسيرية في توراة القدس، كما نقدّم بعد ذلك أمثلة أخرى عن تفسيرات الكنيسة الكاثوليكية.

٧ ـ عن هوامش توراة القدس نشرة عام ١٩٥٨ (الجزء الخاص بنشيد الانشاد)

المرجع	مضمون النص في نشيد الأنشاد	التفسير والتعليق
(١ : ٣)	لذلك أحبّتك **العذارى**	أي الأمم
(١ : ٤)	أدخلني **الملك** إلى **حجاله**	ادخلني يهوه إلى المعبد
(١ : ٦)	بنو **أمي** غضبوا علي	أي الكلدانيون لزمن نبوخذ نصّر
(١ : ٦)	جعلوني ناطورة الكروم	إشارة إلى عبودية السبي
(١ : ٨)	إن لم تعرفي **أيتها الأجمل** بين النساء. . .	بمعنى إسرائيل هي الأمة المختارة
(١ : ٨)	وارعي جداءك عند **مساكن الرعاة**	أي على جبل صهيون مقر ملوك إسرائيل
(١ : ١١)	**نصنعُ لك سلاسلَ من ذهبٍ مع جمان من فضة**	أي الزينة بعد العودة من السبي
(١ : ١٧)	جوائز بيتنا **أرز** وروافدنا **سرو**	الأرز والسرو من المواد اللبنانية المستعملة من قبل سليمان لبناء المعبد والقصر، ويعني الشاعر اقتران يهوه وإسرائيل على جبل صهيون (!)
(٢ : ٢)	كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين النبات	تأكيد يهوه بأن إسرائيل لا تزال تتمتع بمزية الاختيار
(٢ : ٤)	ادخلني **بيت خمره**	أي فلسطين: بيت خمر يهوه
(٢ : ١٥)	امسكوا لنا **الثعالب**، الثعالب الصغار المفسدة للكروم	هم جيران السوء السامريون والعمونيون والعرب والفلسطينيون. . .

المرجع	مضمون النص في نشيد الأنشاد	التفسير والتعليق
(٣: ٦)	من هذه **الطالعة من البرية** كأعمدة من دخان	طلع من البرية أي صعد إلى أورشليم وهنا رمز إلى العودة من السبي كخروج ثانٍ.
(٣: ٧)	هوذا تخت **سليمان** حوله ستون جباراً. . .	يقول المفسر: المقصود هنا ليس سليمان التاريخي وليس يهوه بالطبع بل اسم سليمان استعمل هنا كرمز لفترة سلامٍ وسعادة مرتبطين بنهاية العالم؟
(٣: ١١)	أخرجن يا بنات صهيون وانظرن **الملك سليمان** بالتاج الذي توجته به **أمه** في يوم **عرسه**	سليمان هو هنا الملك التاريخي والعرس هنا هو عرس صوفي بين الملك والأمّة أي أمّه التي تتوجه[1]
(٤: ٧)	كلك جميل يا حبيبي، ليس فيك **عيبة**	بمعنى أن إسرائيل قد طُهّرت نهائياً بسبب السبي
(٤: ١٢)	أختي العروس **جنة مغلقة** عين **مقفلة** وينبوع **مختوم**	الجنة المقفلة أو الحديقة المسورة تعني إسرائيل الجديدة بخصبها. . والإقْفَال والخَتْم هما الحق الحَصْري للزوج على زوجته.
(٥: ١)	دخلت جنتي يا أختي العروس . . . كلوا أيها **الأحباء**	الأحباء هم الإسرائيليون

(١) هنا يضطر المعلق لنسيان يهوه لوضوح تسمية سليمان الملك ولكنه يُدخل اجتهاد زواج الملك مع الأمة.

المرجع	مضمون النص في نشيد الأنشاد	التفسير والتعليق
(٥: ١٠ ـ ١٦)	حبيبي أبيض وأحمر، معْلَمٌ بين ربوة. رأسه ذهب إبريز...	يعتقد المفسر أن وصف الحبيب المهم نوعاً ما يحتوي على إشارات مستمرة إلى معبد أورشليم وحوض شبه النحاس أي «بحر الشَبَه»
(٦: ٨)	هنّ ستون ملكة[1] وثمانون سرية وعذارى بلا عدد	يستوحي الشاعر هنا من (ملوك ١: ١١) في وصف حريم سليمان. وبما أن الحبيبة هي إسرائيل فالحريم هو إذن الأمم الغريبة من عبدة الأصنام (؟)
(٦: ٩)	... رأتها البنات فطوّبنها **الملكات**[1] والسراري فمدحنها	
(٧: ١٢)	لنبكِرَنّ إلى الكروم... هنالك **أعطيت حُبّي**	بهذا الاقتران يتحقق الوعد الجديد والنهائي بين يهوه وإسرائيل
(٧: ١٣)	**اللفاح** يفوح رائحةً وعند أبوابنا كل النفائس	نقرأ هنا تعليقاً مفيداً لبحثنا حين يعتبر الشارح أن نبات اللفاح ذا الرائحة النفاذة كان يعتقد بأنه يثير الجنس ويمنح الخصب
(٨: ٢)	وأقودك وأدخل بك بيت أمي وهي **تعلّمني**[2]	أنتَ تعلمني: في توراة القدس

(١) تسمية الملكة أو الملكات التي ترد هنا في (٦: ٨) و (٦: ٩) واطلاقها على حريم سليمان: المؤلّف من ملكات وسراري وعذارى يلفت النظر ولا يمكن إغفاله لأن الملكات هنّ هنا، على الأرجح اللواتي قمن بدور الإلّهة في الزواج المقدس وربحن لقبهن.

(٢) توراة جمعية الكتاب المقدس بيروت ١٩٥٠.

المرجع	مضمون النص في نشيد الأنشاد	التفسير والتعليق
(٨ : ٥)	تحت شجرة التفاح شوّقتك، هناك خطبَت[1] لك أمك، هناك خطبت لك والدتك	توراة القدس تضع هذا المقطع على لسان الحبيب وتستبدل شوقتك بـ أيقظتكِ وتفسر بأن يهوه يوقظ إسرائيل وشجرة التّفاح رمز لفلسطين

وبالإضافة إلى ما ورد في التعليق الأخير تضيف توراة القدس، أن أم إسرائيل هي كما ورد في حزقيال (١٦: ٣ و٤٤ و٤٥) كانت حثّية. وبمثل هذه التسمية يشير حزقيال إلى كافة الشعوب القديمة في كنعان التي اختلط بها الإسرائيليون بعد الاستيلاء الأول. وبذلك يبرر المعلّق التوراتي خيانات إسرائيل اللاحقة ليهوه، مُعيداً إياها إلى ذلك العيب في أصل أم إسرائيل.

٨ ـ أما تفاسير توراة المطبعة الكاثوليكية في نشرة بيروت لعام ١٩٥١ بصدد نشيد الأنشاد، فقد وردت على شكل تعليقات قدمها الشارح لمحتوى كل فصل أو إصحاح من النشيد. ونلخص فيما يلي أهم ما يخص موضوعنا حول حب المسيح لكنيسته واقترانه بها:

«ما ذكر من هذا الحب بين يسوع المسيح والكنيسة هو الذي أراده سليمان وأشار إليه في هذا السفر ممثلاً إياه بالحب والقران الزوجيين ولذلك ينبغي لمن أراد أن يستبطن فحوى هذا النشيد ويدرك حقيقة مضمونه، أن يتمثل تحت ألفاظ سليمان معنى الحب المقدّس... وبناء على ذلك فبعيدٌ من هذا المقام كل ما كان مطبوعاً على حبّ الأرضيات منهمكاً في الأهواء الجسدية...».

ـ في (١ : ٣) بعد أن تغتنم النفس القبلة المقدسة من فم كلمة الله، تسأله أن يجذبها إليه بقوة النعمة، قائلة اجذبني وراءك يا أيها القائل وأنا إذا ارتفعت عن الأرض جذبت إليّ الجميع (يوحنا ١٢ : ٣٣).

ـ في الفصل الثاني: الطافر على الجبال هو يسوع المسيح متخطياً الملائكة. والشتاء هو رمز إلى آلام المخلّص والربيع إشارة إلى ولادة الكنيسة. وأوان قضب الكرم إيماء إلى

(١) نفس المصدر السابق ولكن توراة القدس تستبدل: خطبت لك أمك بـ «وضعتك أمك».

الاضطهادات التي نمت بها الكنيسة بدماء الشهداء... أما الثعالب الصغار فهم أصحاب البدع الذين يفسدون في الكنيسة.

ـ في الفصل الثالث: تمثيل للكنيسة تنهض وتنطلق مفتشةً عمن تحبه... وعندما تجده تستقر معه في قدس الكنيسة التي هي أم المؤمنين بأسرهم ثم تظهر لنا شركة الأسرار المقدسة وإدراك أعمق لمعاني الوحي وسرائر الحكمة الإلّهية المُعلَنة للنفس البارة... وحيث يستمر سليمان حين يظهر بنفسه للنفس الطالبة كلّ مجده كأنه سليمان الحقيقي الذي هو الملك والمسيح والله نفسه. ويكشف لنا الكتاب هنا بشخص سليمان أسمى أسرار يسوع المسيح... وحول الرسل والمعلّمون ويمثّل لنا عظمته وهو صاعد إلى السماء...!

نكتفي بما أوردناه من الشروح التي تستمر على هذا الشكل حتى نهاية النشيد متعجّبين من قدرة المفسر على ابتداع المعاني الكنسية وإيجاد أسرارها والمسيح المحب وراء كل كلمة وكل ذلك في عرفنا صادر عن إيمانه وليس عن مضمون النص.

وكما اعتمد المفسرون اليهيويون على ما ورد في أماكن متعددة من العهد القديم لدعم وتبرير شروحهم وتأويلاتهم لمحتوى نشيد الأنشاد، كذلك اعتمد المفسرون الكاثوليكيون على بعض ما ورد في أقوال كل من يوحنا الإنجيلي وبولص الرسول واللاهوتي أوريجين[١] والقديس اومبرواز[٢] والقديس برنار[٣] والقديس توما الأكويني[٤].

٩ ـ ويتضح من المقطعين ٧ و٨ أعلاه أن الطرفين اتفقا على أن مضمون نشيد الأنشاد يحتفل بقران ويتغّنى بعلاقة حبيب وحبيبة: روحية الجوهر ـ جسدية المظهر والوصف، وبذلك يرتبط نشيد الأنشاد من جديد بأصوله السومرية/ البابلية/ الكنعانية، كرمز لعلاقة إلّهية ولزواج إلّهي أو زواج مقدس ولعملية خصبٍ وإخصَاب تصنعها إلّهة تنشر في البلاد الكثرة والرخاء وتُجلِسُ الملك على عرشٍ ثابت وهي ما بقي من صورة الإلّهة ـ الأم التي، اعتباراً من سومر، عبرت الأجيال حتى أفروديت وفينوس...، وإذا ما حارب يهوه عشتروت وطقوسها، فإنّ الإبقاء على هذا النشيد،

(١) (Origene) من لاهوتيي الاسكندرية (١٨٥ ـ ٢٥٣) ميلادية.
(٢) (Ambroise) رئيس أساقفة ميلانو (٣٤٠ ـ ٣٩٧) ميلادية.
(٣) (Saint. Bernard) (١٠٩٠ ـ ١١٥٣).
(٤) (Saint. Thomas D'aquin) (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤).

أجبر المفسرين على جعل يهوه يحل محل عشتروت في دور منح النِعَم وكانت عروسه شعب إسرائيل الذي استمر على خياناته له. كما جعلت الكنيسة الكاثوليكية المسيح بطلاً للزواج الإلّهي مع الكنيسة وعاد لنشيد الأنشاد دوره في الخصب والإخصاب ومن الطبيعي بالنسبة للكنيسة أن يتعلق الأمر بإخصاب الأرواح والنفوس التائقة إلى الخلاص. والكثرة هنا هي انتشار الكنيسة وفاعلية رسالتها.

كل ذلك يعني قراءة خاصة للنصوص أي قراءة ما وراء النصوص، وعلى الأخص إذا ما كانت هذه الأخيرة قد نُقحت وأوّلت وخلّصت من التعابير ذات المعنى المباشر وبخاصة ما يتعلق بالجنس، وهذا ما حدث على ما نعتقد لنشيد الأنشاد قبل تثبيته وقبوله والإعداد لتفسيره وتقديمه لنا كما نعرفه اليوم. ومعرفتنا بأناشيد الحب السومرية اليوم، وبأناشيد الزواج الإلّهي التي قدّمناها في الفقرتين (١ ـ ٢) و (٢ ـ ٣) من الفصل الثاني، تسمح لنا بأن نتجاوز هذا التأويل وهذه الروحنة الاصطناعية وأن نفتش عن التوازي بين النصوص السومرية وما بقي أمامنا من نشيد الأنشاد.

١٠ ـ وقبل أن ندخل في عملية بحث مظاهر التوازي، نعتقد أنه من المفيد عرض بعض تعابير اللغة الغزلية أو الجنسية التي تداولها أدب ذلك العصر سومرياً وكنعانياً ولم تكن التعابير السومرية بهذا الصدد تسيطر عليها دوماً الإباحية وصراحة التعبير بل كانت في كثير من الأحيان تلجأ إلى رمزية شعرية جميلة وتوريات واصطلاحات عبّرت بواسطتها عن الغرام والجنس والمضاجعة، ولم تخلُ التوراة اليهودية طبعاً من مثل هذه الاتجاهات. ونستعرض فيما يلي بعض هذه التعابير السومرية:

التعبير السومري	المدلول
• نظر إليها بعين ـ قلبه	أي بشهوة
• ما يوافق عين ـ قلبك	أي ما يعجبك
• سكب ماء ـ القلب	أي سكب منيّه
• ملأ بالماء صهريج إنانا	ضاجعها وسكب فيها منيه
• إنه جدير بالحضن المقدس	جدير بمضاجعة إنانا
• حرث حزام الأحجار الكريمة لإنانا	ضاجعها
• التلة المتفخة	وصف فرج إنانا

التعبير السومري	المدلول
● الأرض الرطبة	وصف فرج إنانا
● كمقدمة سفينة السماء	عضو دوموزي المنتصب
● وضع ثيرانه للحراثة في الأرض الرطبة	ولج حبيبته الجاهزة للمضاجعة
● تدفق ماء القلب من حضنه	سكب منيه
● إملأْ مخضّتي المقدسة بـ	اسكب منيّك
● تأوّه لذة على حضن الحبيبة	ـ لا ضرورة للشرح ـ
● سوف أنضح القشدة	أي أسكب المني
● سوف أبهج روحَكِ	ـ لا ضرورة للشرح ـ
● سحرتَ سرتي	سحرت فرجي
● كم هو منتفخ صدري	للتعبير عن الرغبة
● أية فروة كست فرجي	بلوغ سن الجماع؟
● أدخلني إلى حديقته	جامعني
● تمدد فوق قلبي	جامعني
● تذوق طلاوة الحجر	ـ لا ضرورة للشرح ـ
● الإلّه الذي دعته إلى قلبها	لمضاجعتها
● ركن طويلاً على صدرها	طال زمن الجماع
● وأطالت بقاءها على حضن حبيبها	أطالت زمن الجماع
● سفينته المشوقة	انتصابه
● أريد أن أُغمر بعسلك	بمنيّك
● أنا أعرف كيف أمدّد لك قلبك	التوصل إلى انتصاب عضو الحبيب؟
● الرُكنة الكَنينة الحلوة كالعسل	فرج الحبيبة
● نغم مخضة الحليب	تورية لصوت «خفق» الجماع؟

التعبير السومري	المدلول
● فرجها عذب كشراب	ـ لا ضرورة للشرح ـ
● فرجها وشفتاها عذبة كشراب	ـ لا ضرورة للشرح ـ
● الساقية	لقب الحبيبة التي تسقي الشراب من فرجها وشفتيها
● منحها نِعَم جسده	ـ لا ضرورة للشرح ـ
● الرجل ـ العسل	أي الرجل الفاتن
● لبستُ حمّالة صدري: «ليأتِ ليأتِ»	أي المغرية التي تدعو الرجل وتجذبه
● تزيّنت بحليتي «ليأتِ»	أي التي تجذب الرجل
● لفّني بنظرته المُلهبة	ـ لا ضرورة للشرح ـ
● افتحي له بيتك يا ملكتي	اقبلي مضاجعته

١١ ـ بعد تقديم هذه اللائحة الصغيرة من التعابير المتعلقة بلغة الحب واللقاء الجسدي بين الحبيبين نسعى في المقاطع التالية للتفتيش عن أمثلة للتوازي بين أناشيد الحب السومرية وبخاصة أناشيد الحب الإلّهي ونشيد الأنشاد قد تساعدنا اللائحة السابقة على تفهم أكثر جسدية وأكثر جنسيةً بالنسبة لنشيد الأنشاد الذي يحافظ، على الرغم من «تطهيرِه» أو «تعقيمه» كما أسلفنا، يُحافظ على ما يشير إلى هذا الحب الجسدي إذ لم يستطع الشارحون والمعلّقون الساهرون على الإيمان إغفاله، واضطروا كما عرضنا أعلاه إلى روحنته، ونسج التوريات بصدده.

التـــوازي

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية[1]

● **الخمر ـ الفم ـ الشفاه**

ليقبلني بقبلات فمه، لأن حبك أطيب من الخمر (١ : ٣)	آه يا آسرتي، يا مالكتي، أنت خمريَ المبهج، يا أحلى عسلي، يا فم أمها الطلي، يا طليتي. (٢٥ : ٣)
نذكر حبَك أكثر من الخمر (١ : ٤)	قبلات فمك تهزني، تعالي يا أختي الحبيبة... يا فم أمها الطلي يا طليّتي (٢٥ : ٦ و٧)
شفتاك يا عروس تقطران شهداً. تحت لسانك عسلٌ ولبن (٤ : ١١)	فرجها وشفاهها هي عذبة كشراب وشرابها فائق الحلاوة (٣١: ٢١ و٢٢)

❊ ❊ ❊

● **أحبَتك النساء**

اسمُك دهن مهراق. لذلك أحبتك العذارى (١ : ٣)	يا ملتهم النساء، يا أخي، يا ذا الوجه الجميل. كم كان إغراؤك عذباً (٢٥: ٢٦ و٢٧)

❊ ❊ ❊

(١) يمكن الرجوع إلى الأناشيد السومرية وفقاً لأرقامها وأرقام الأسطر كما وردت في (١ ـ ٢) و (٢ ـ ٣) من الفصل الثاني في هذا الكتاب.

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية

● **قادني إلى داره**

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
أدخلني الملك إلى حجاله. نبتهج ونفرح بك[1] (١: ٤)	في الحجيرة التي تطفح عسلاً دعنا نتمتع بجمالك الرائع (٣٠: ١١ و١٢) كان أخي قد قادني إلى داره، وجعلني أتمدد على فراشه الناعم المضمخ بالعطر. وعند ذلك تمدّد حبيبي العذب فوق قلبي (٢٤: ٢٦ ـ ٢٨)

* * *

● **الحبيب الراعي**

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
أخبرني يا من تحبه نفسي أين ترعى، أين تربض عند الظهيرة. لماذا أنا أهيم كشريدة عند قطعان أصحابك (١: ٧)	إقترني بالراعي يا أختاه... لذيذة قشدته ومنعش لبنه كل ما يمسّه هذا الراعي يتألق (١١: ٦٦ ـ ٧٠)
صوت حبيبي هو ذا آتٍ طافراً على الجبال، قافزاً على التلال (٢: ٨)	هو الراعي الذي خلقه «آن» من أجلي كم هي فاتنة لحيته! إنه الملك! كم هي فاتنة لحيته (١٤: ٤٥ ـ ٤٧)
حبيبي لي وأنا له الراعي بين السوسن (٢: ١٦) و (٦: ٣)	

* * *

(١) يمكن تفهم البهجة والفرح في حجال الملك أو الحبيب على ضوء ما ورد في النص السومري بالمقابل.

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
● زينة الحبيبة	
ما أجمل خديك بسموط وعنقك بقلائد. تَصْنَعُ لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضّة	لأنني أنشدت، لأنني أنشدت كافأني سيدي! . . . كافأني سيدي بمنحي عقداً من الذهب وخاتماً من الفضة
(١: ١٠ و١١)	(٣١: ٩ ـ ١١)
قد سبيت قلبي يا أختي العروس، قد سبيت قلبي بإحدى عينيكِ بقلادة واحدة من عنقك	اختارت إنانا اللازورد لتزيين صدرها واللؤلؤ البيضوي لتزيين رأسها وردفيها، وأحجار اللازورد الدورو لعقيصة شعرها، وأقراط ذهبية لأذنيها. . . وحجر من المرمر اللماع لسرّتها و. . . لفرجها.
(٤: ١٠)	(١٢: التقديم)
هم الذين من أجلهم استحممت وكحّلت عينيكِ وتحليت بالحلي وجلست على سرير فاخرٍ أمامه مائدة منضضة. . .	عندما من أجل الراعي دوموزي سوف أستحمّ وبعد أن أزين ردفيّ بـ [. . .] وعندما أدهن شفتي بالمرهم العنبري وأضع الكحل حول عينيّ. . .
حزقيال (٢٣: ٤٠ ـ ٤١)(*)	(٢٨: ٦ ١ ـ ١٩)

* * *

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
● بين ثديي يبيت	
صُرّة المرّ حبيبي لي بين ثديّ يبيت	الملك «قرينك»، الحبيب الذي دعوته إلى قلبك. فليركن طويلاً على صدرك الجذاب
(١: ١٣)	(٢٧: ٨ و٩ عمود ٢)

(*) نستعير هذه الزينة عن حزقيال في معارضته للبغاء المقدس الذي مارسته بنات أورشليم والسامرة.

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
	كم هي كليّة اللذة كم هم عذب ومريح، النوم ويدي في يده. كم هي كلية اللذة حين يلتصق قلبه بقلبي. (١٢: ٤٦ و٤٧)

* * *

● **الفراش المخصب**

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
ها أنت جميل يا حبيبي وحلو وسريرنا أخضر (١: ١٦)	نُصب عند ذلك فراش من أجل ملكتي، طُهِّر الفراش بواسطة الأسَل والأرز العاطر (٣٣: ١٧٥ و١٧٦)
	من أجلك وفي الحرم الكبير، طهّر «جيبيل» فراشاً مخصباً، غطاؤه من اللازورد (٢٧: ٨ و٩)
	(الملك) يتوق إلى الفراش الطوباوي، يتوق إلى الفراش. يتوق إلى الفراش الذي يجعله يتذوق طلاوة الحجر، يتوق إلى الفراش (٢٧: ١٨ ـ ٢٠)

* * *

● اللقاء في الحظيرة

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
ما دام الملك في حظيرته[1] أفاح نارديني رائحته صرة المرّ، حبيبي لي، بين ثديّ يبيت، طاقة فاغية حبيبي لي (١ : ١٣ ـ ١٤)	أيتها الغانية، عندما ستدخلين الحظيرة، الحظيرة يا إنانا سوف تتهلل أمامك والنعجات الوفيّات سوف تنشر صوفها أمامك لكي يتمكن «قرينك» من التأوه لذة على حضنك. وعندما تنثر الحظيرة النبيلة القشدة من أجلك، سوف أنضح القشدة من أجلك، سوف أنضح اللبن وسوف أبهج روحك أي إنانا (١٨ : ١٩ ـ ٢٧)[2]

* * *

● جنّة الحبيب ـ الحديقة ـ الحقول

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
كالتفاح بين شجر الوعر، كذلك حبيبي بين البنين تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقي (٢ : ٣ و٤)	أدخلني إليها! أدخلني إليها! أدخلني أخي إلى حديقته! دوموزي أدخلني إلى حديقته! أخذني معه حتى المظلّة وجعلني أركن معه على زهراء مرتفعة على الفور اتخذت وضعي تحت شجرة تفاح، بينما وصل أخي وهو يغنّي يتجه نحوي اعتباراً من الظلّة السمراء لشجر السنديان

(١) التعبير الوارد في توراة القدس.
(٢) انظر أيضاً (٣٤: ٩ و١٠) من هذا الكتاب.

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
تحت شجرة التفاح شوّقتك، هناك خطبت لك أمك، خطبت لك والدتك (٨: ٥)	يتجه نحوي تحت حر الظهيرة سكبت من حضني أمامه الخضار أنتجت له خضاراً وسكبتها أمامه أنتجت له حبّاً وسكبت حباً أمامه! (٢٢: ١ ـ ١٣)
قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعاليّ لأن الشتاء قد مضى والمطر ولّى وزال... التينة أخرجت فجّها وقعال الكروم تُفيحُ رائحتها (٤: ١٠ ـ ١٣)	صدركِ يا إينّين هو حقل. أي إنانا صدركِ هو حقل: حقل ينتج الزروع حقل فسيح يسكب الحبوب! (١٥: ٦٩ ـ ٧٢)
استيقظي يا ريح الشمال، وتعالي يا ريح الجنوب، هبّي على جنتي فتقطرَ أطيابها. ليأت حبيبي إلى جنته(*)، ويأكل ثمره النفيس (٤: ١٦)	وبمجرد أن تدفق من حضن الملك ماء ـ القلب فعلى جوانبه انبثقت الزروع وعلى جوانبه نبت الحب: وبقربه زخرت بنمو نباتها السهوب والمروج (١٦: ٩ ـ ١١ عمود ٣)
قد دخلت جنتي يا أختي العروس. قطفت مرّي مع طيبي. أكلت شهدي مع عسلي شربت خمري مع لبني (٥: ١)	

(*) الجنة بمعنى حديقة وبستان في الأناشيد السومرية وهي تورية للفرج وحتى اليوم تسمي المرأة المصرية عانتها الجنينة.

نزلت إلى جنة الجوز لأنظر إلى خضر الوادي لأنظر هل أقْعَلَ الكرم، هل نوّر الرمان

(٥: ١١)

أي أختي الجميلة، أريد الذهاب معك لتفقد حقولي. . . أي أختي أريد الذهاب معك لتفقد بستاني! أي أختاه أخصبي لي بستاني

تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل . . . لننظر هل أزهر الكرم هل تفتح القعال، هل نوّر الرمان هنالك أعطيك حبّي

(٧: ١٠ ـ ١٢)

أريد الذهاب معكَ لتفقد بستان التفاح لكي أتناول بيدي ثمار تفاحي! . . . أريد الذهاب معك لتفقد شجر الرمان وأقطف منه الحلو والمعسّل

(٢٩: ١٠ ـ ١٩) مقتطفات

* * *

● أسحبُ المزلاج ـ إبقَ معي الليل بكامله

حبيبي لي وأنا له الراعي بين السوسن. إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال ارجع يا حبيبي واشبه الظبي. . .

(٢: ١٦)

أي صهرنا، عندما يغيب النهار أي صهرنا عندما يأتي الليل عندما سيدخل «القمر»[١] (. . .) بيتنا سوف أطفىء النجوم على مساراتها. عندما أطفىء القمرفي الأعالي عند ذلك سوف أسحب المزلاج من أجلك[٢]

(١٩: ٩ ـ ١٦)

(١) «القمر» هنا بمعنى الحبيب.
(٢) سحبت الحبيبة المزلاج من أجل الحبيب.

إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال، أذهبُ إلى جبل المرّ وإلى تل اللبان. كلك جميلة يا حبيبتي، ليس فيك عيبة

(٤ : ٦ و٧)

يا مفضل إنليل، أنت لي تعال (قربي) في الليل! ابق معي الليل بكامله! تعال (قربي) في النهار! ابق معي النهار بكامله!

(١٩ : ٦٠ ـ ٦٣)

شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني. احلفكن يا بنات أورشليم... ألا تُيَقِّظْنَ وتُنَبِّهْنَ الحبيب حتى يشاء

(٢ : ٦ و٧) و (٨ : ٣ و٤)

سوف يضع يده في يدي وقلبه على قلبي كم هو عذب ومريح النوم ويدي في يده كم هي كلية اللذة حين يلتصق قلبه بقلبي

(١٢ : ٤٤ ـ ٤٧)

أنا نائمة وقلبي مستيقظ، صوت حبيبي قارعاً. افتحي لي يا اختي، يا حمامتي... قمت لأفتح لحبيبي ويدايَ تقطران مرّاً وأصابعي مرّ قاطر على مقبض القفل[1] فتحت لحبيبي لكن حبيبي تحول وعبر

(١٣ : ٥ ـ ٨)

إنه التحق بي، التحق بي الملك صديق آن التحق بي: الملك أمسك بيده يدي (دوموزي) قبلني...»

(٥ : ٢) و (٥ : ٥)

النوم بقربكَ منتهى سعادتي

(١٧ : ١٥)

روحك، أنا أعرف كيف أبهج روحك بت عندنا يا حبيبي حتى مطلع الفجر

(٣٠ : ١٨ و١٩)

* * *

(١) هنا لم تسحب الحبيبة المزلاج، فهل نسيت؟ أم تعذر عليها ذلك؟

● **الاحتفال بعد الزواج**

قد دخلت جنتي يا أختي العروس، قطفت مري مع طيبي. أكلت شهدي مع عسلي. شربت خمري مع لبني. كلوا أيها الأصحاب، اشربوا واسكروا أيها الأحباء[١]

(٥: ١)

. . . ثم تقدم الملك باعتزاز من الحِجر المقدس التحق مظفراً بحضن إنانا وضاجعها دوموزي متلمساً برقة صدرها الجميل وبعد أن استقرت الملكة طويلاً على حضن الملك. . . تمتمت: ايدين ـ داچان[٢] نعم سوف أمدد حياتك!

(٣٣: ١٨٥ ـ ١٩٢)

عندما تمّ تكديس التقدمات، وبمجرد إنجاز تطهير المكان، وحرق البخور ونثر زيت السرو، عندما كدست التقدمات الغذائية وملأت الأواني حتى الطفح، دخل برفقتها إلى قصره الجليل ومثل ضوء النهار، قادها إلى العرش على المنصة السامية. وجلس بقربها وكأنه الملك ـ الشمس ثم جعل الكثرة والوفر وفيض المآكل تُستعرض أمامها. وأقام من أجلها عيداً رائعاً. . . ثم مدّ الملك يده إلى المآكل والمشروبات[٣] وبحضور الشعب المشبع وفراً وكثرة. . .

(٣٣: ١٩٣ ـ ٢١٠)

* * *

(١) وصف الوليمة والاحتفال مع الأصحاب والأحباء بعد الزواج المقدس أي أكل شهد العروس. . .

(٢) اسم الملك الذي حقّق الزواج الإلّهي مع ممثلة إنانا.

(٣) إيذاناً ببدء الاحتفال ومساهمة الأصحاب والأحباء في الوليمة، وهنا هم الرؤوس ـ السوداء المدعوون إلى القصر (الرجوع إلى النص الكامل).

● **توجته أمّه يوم عرسه**

أخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان، بالتاج الذي توّجته به أمه في يوم عرسه وفي يوم فرح قلبه[1]

الإلّه الذي دعوته إلى قلبك الملك «قرينك» الحبيب، فليركن طويلاً على صدرك الجذاب! امنحيه حكماً سعيداً ومليئاً بالأمجاد! امنحيه حكماً ثابتاً إلى الأبد، لا يتزعزع! امنحه عصا قيادة الشعوب والصولجان وعصا الرعاية

(٢٧ : ٧ ـ ١١ عمود ٢)

الإلّهة إنانا تقرر هنا مصير «قرينها» الملك: «أنت خلقت لكي تستقر باعتزاز على المنصة المجيدة. أنت خلقت لتجلس على العرش اللازوردي. أنت خلقت لكي تثبت التاج على رأسك... أنت خلقت لتمسك بيدك الصولجان الجليل أنت خلقت لكي تلتصق بقوة على حضني الجميل...»

(٢٨ : ٥٧ ـ ٦٥)

من رجاء الشاعر إلى إنانا الأم: ... «وليتمكن إيشمي ـ داچان[2] في حياته المديدة أن يعلن بحرارة: أنت هي «قرينتي» النعجة التي تعتني حنونة بحملانها هي أنتِ»[3].

(٣٤ : ٢٤ ـ ٢٦)

* * *

(١) إذا كان الأمر يتعلق فعلاً بالملك سليمان التاريخي، فهذا يعني أن هذا الأخير قد ساهم فعلاً في طقوس الزواج الإلهي مع عشتروت التي كأم له وللبلاد تتوجّه في يوم عرسه.

(٢) اسم الملك «قرين» إنانا.

(٣) العروس هي أم «حنونة» كالنعجة على حملانها.

● **أمي تعلّمني**

فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي، فأمسكته، ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي...
(٣: ٤)

أم إنانا تشجعها على لقاء عريسها و«تعلمها»: «هيّا أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أب! هيّا أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أم! أمه تعزك كما تعزك والدتك! وأبوه يعزك كما يعزك والدك! افتحي له بيتك يا ملكتي، افتحي له بيتك!»

أقودك وادخل بك بيت أمي وهي تعلّمني، فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رمّاني. شماله تحت رأسي ويمينه تعانقي. أحلفكنّ...
(٨: ٢ ـ ٤)

وإنانا، بناء على أوامر أمها، استحمت ودلكت جسدها بدهون ناعمة؛...
(١٢: ٧ ـ ١٢ عمود ٢ النص الملحق)

* * *

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
● العروس ملكة والملكات مدحنها وهي مرهبة كجيش	
هنّ ستون ملكة وثمانون سُرّية وعذارى بلا عدد واحدة هي حمامتي، كاملتي. الوحيدة لأمها هي، عقيلة والدتها هي[1]، رأتها البنات فطوّبنها. الملكات والسراري فمدحنها[2] من هي المشرفة مثل الصباح جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية[3]	**ملاحظة**: لم نعثر في الأناشيد السومرية المعروضة على أثر «الحريم» ملوك سومر. ولكن اجلاس ملكة المضاجعة على العرش احتفالاً برأس السنة وارد في النص التالي: ومثل ضوء النهار، قادها إلى العرش، على المنصة السامية وجلس بقربها وكأنه الملك ـ الشمس
(٦: ٨ ـ ١٠)	(٣٣: ١٩٩ و٢٠٠)
	يا مليكتي ذات الرأس...، يا مليكتي كوباتوم[3]
	(٣١: ٦)
	سوف أكون دليلك في المعارك وحاملة سلاحك في القتال[3]
	(٢٨: ٤٩)

* * *

(١) الملكات في حريم سليمان هن على الأرجح اللواتي «اقترن» بهن في طقس زواج مقدّس.

(٢) ولكن الحبيبة هنا التي حازت إعجاب الملكات والسراري لجمالها هي مفضّلة الملك على ما يظهر وإحدى مكرساته، كما كان شأن كوباتوم في النص السومري الموازي.

(٣) مرهبة كجيش هي صفة من صفات عشتار المحاربة وإنانا أيضاً كما ورد في النص الموازي.

● الحبيب تمثال ذهب...

حبيبي أبيض وأحمر، علمٌ بين ربوة. رأسه ذهب إبريز، قصصه مسترسلة حالكة كالغراب. عيناه كالحمام على مجاري المياه، مغسولتان باللبن، جالستان في وقبيهما... يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد. بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق. ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من إبريز. طلعته كلبنان فتىً كالأرز[1]

(٥: ١٠ ـ ١٥)

أنتَ في نظري تمثال ذهب حقيقي تحفة فنان في معالجة الخشب تحفة فنان في معالجة المعدن[2]

(١٩: ٤٥ ـ ٤٧)

يا دوموزي... كم كان إغراؤك عذباً يا صورة ذهبيةً لي، يا صورة ذهبية كم كان إغراؤك عذباً! يا تمثالاً من مرمر متوّجاً باللازورد، كم كان إغراؤك عذباً!

(٢٥: ٣٠ ـ ٣٢)

* * *

(١) حار الشارحون الدينيون بصدد تفسير هذا المقطع الذي يصف الحبيب وكأنه تمثال (؟) ولكن الوصف السومري الموازي لا يكذب ذلك.

(٢) التماثيل القديمة كانت تصنع من الخشب الملبّس برقائق معدنية من ذهب أو فضة.

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
● الظبي:	
حبيبي هو شبيه بالظبي أو بغفر الأيائل (٢: ٩) إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال ارجع واشبه يا حبيبي الظبي أو غفر الأيائل على الجبال المشبّة (٢: ١٧) اهرب يا حبيبي وكن كالظبي أو كغفر الأيائل على جبال الأطياب (٨: ١٤)	**ملاحظة:** لا تشتمل الأناشيد السومرية المعروضة على تشبيه الحبيب بالظبي أو الغزال ولكن النصوص العديدة التي تروي موت دوموزي وملاحقته من قبل شياطين العالم السفلي، تشير إلى أن الإلّه الشمس أوتو يساعده في هربه حين يحوله إلى غزال. وقد تكون الفقرة الأخيرة (٨: ١٤) من نشيد الأنشاد هي من بقايا هذا المعتقد.

* * *

● **الحب والموت**

إجعلني كختم على قلبك كختم على ساعدك، لأن المحبة قوية كالموت. الغيرة قاسية كالهاوية[1] لهيبها لهيب نارٍ ولظى الرب. المياه الغزيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها.

(٨: ٦ و٧)

يا ابن الملوك، أي أخي، يا ذا الوجه الجميل... أنقذت لك حياتك خارج أسوار المدينة ولكن ها أنت أصبحت هدفاً لمصيرٍ في منتهى القساوة... آه يا حبيب قلبي أنا التي بدون شك سبّبت لك هذا المصير القاسي. يا أخي يا ذا الوجه الجميل!... كم كان إغراؤك عذباً يا حامل أزهاري إغراؤك كان عذباً في الحديقة يا حامل أزهاري!... يا حامل ثماري...

(٢٥: ١٢ ـ ٣٠)

* * *

(١) بمعنى شيول (Shéol) العبري، أي ما يعادل العالم السفلي السومري والأكادي وهو عالم الأموات. وهنا نرى نشيد الأنشاد بعد أن احتفل وتغنّى بحب العروسين الحبيبين ينتقل فجأةً إلى لهجةٍ جدية ومحزنة يرتبط فيها الحب بالموت، أي موت دوموزي/ تموز بسبب حبه لإنانا/ عشتار، وهذا ما يشير إليه النص السومري الموازي رقم (٢٥).

الفصـــل الرابـــع
نشيد الأنشاد السومري
يبحث عن شاعر

(٤) ـــ نشيد الأنشاد السومري
يبحث عن شاعر

١ ـ في هذا الفصل الأخير، سوف نقدم مقتطفات من أناشيد الحب بين إنانا ودوموزي ومن أناشيد الزواج الإلّهي التي وردت في الفقرتين الأولى والثانية من الفصل الثاني[1] والتي تصلح لأن تكون مادة لنشيد أنشاد سومري متّبعين في تسلسل عرضها ترتيباً يختلف عما ورد سابقاً، وذلك بقصد التوصّل إلى حبكة طبيعية تتغنّى بتعارف حبيبين وبلقائهما سراً أو علانية، في الحظيرة أو في الحديقة أو في القصر. الحبيبة هي إنانا الإلّهة، والحبيب هو دوموزي الراعي والملك. إنهما يتبادلان أشواقهما ويسعيان للقاء المخصب. يتحاوران فيما بينهما أو يصرّحان ويبوحان بحبهما إلى من يحيط بكل منهما: مجموعة المرافقات أو الوصيفات بالنسبة للإلّهة إنانا أو كورس المنشدين والمنشدات... وتتبدل المشاهد وتمرّ الفصول... ويتابع الملوك فيما بعد مهمة دوموزي في إخصاب إنانا التي هي البلاد فيتولّد فيها الوفر والكثرة.

كل ذلك يلائم هيكل مسرحيةٍ وروح نشيد مسرحي. ومادة نشيد الأنشاد السومري، نقدمها فيما يلي على هذا الشكل معرّفين بأشخاص المشاهد المختلفة وبأدوارهم واضعين على ألسنتهم مقتطفاتٍ مما ورد في هذا الكتاب ولن نضيف إلى هذه المقتطفات التي نقدمها بأمانة سوى بعض جمل الربط والتسلسل[2] التي لن تخفى على القارىء أو الشاعر الذي نسعى لترغيبه لكي يتحقّق لنا من ضمن هذه المجموعة الغنية التي عرضنا، نشيد أنشاد سومري، لن ننسبه بعد ألف عام إلى ملك مثل سليمان، بل نقول عنه إنه من وحي أناشيد الحب في سومر.

---

(١) الأناشيد ذات الأرقام (١ إلى ٢٥) و (٢٦ إلى ٣٤).

(٢) سوف نضع هذه الجمل بين عقفتين [ ].

٢ ـ التسلسل الذي نحاول اتباعه في سرد مشاهد هذه المادة للنشيد المقصود، هو سرد قصة بدء الرعاية والزراعة والمنافسة بين الراعي والفلاح لكسب قلب إنانا ثم رضوخ الفلاح وقبول إنانا بدوموزي حبيباً وعشيقاً وخطيباً وعريساً وقريناً، من خلال فترة الخطوبة وعلاقة الأهل وزيارة العريس لبيت العروس واللقاءات المختلفة، وتغنّي كل من الحبيبين بالحبيب الآخر عبر اعترافات وتصريحات تتراوح بين الشهوة العارمة ورقّة العواطف.

المشهد الأول

الأشخاص: **إنانا** إلّهة الحب والخصب.

المجموعة المؤلفة من تابعات الإلّهة.

المجموعة تخبر إنانا بأن الإلّهين الجليلين إنليل وأنكي خلقا إلّهة المواشي (لاهار) وإلّهة الحبوب (أشنان) وأرسلاهما إلى الأرض لتحقيق مهمتهما[1].

المجموعة: في البدء، لم تكن هناك أية نعجةٍ لكي تضع حَملها
ولا عنزة من أجل جدياتها الثلاثة
ولم يكن موجوداً «الحب الصغير» ولا «حبّ
الجبال» ولا «الحب الممتاز»
[عند ذلك عمد الإلّهان إنليل وأنكي
إلى خلق الشقيقتين لاهار (النعجة) وأشنان (الحبوب)]
تمركزت لاهار في حظيرتها، وكراعية
جعلت القطيع يزداد أهمية
كما استقرت أشنان قرب حاصلاتها
كامرأة فتية لطيفة وجذّابة
وهكذا تمكّنتا من تحقيق الوفر
الآتي من السماء...

---

(١) النص رقم (٧).

ومن أجل الجموع الغفيرة، حققتا الكثرة
وجلبتا إلى البلاد الحياة.
[وتابع دوموزوي الراعي مهمة لاهار]
فجعل النعاج والماعز تلد صغارها
وكثّر البقرات والعجول، وفر السمن واللبن بسخاء.
أقام الحظائر والزرائب وأبهج قلب الآلهة.
[وهذا هو الفلاح انكيمدو يستأنف أعمال أشنان]
نمّى الأشجار والزروع وغطّى بالخضرة البساتين،
جعل الحب في الأثلام يتضاعف عشر مرات
وكدس في العنابر حصاده الغني.
[فرضيت عنه الآلهة].

إنانا: (متوجهة إلى المجموعة):
[أنا أراقب عملهما، وأتساءل
أيهما الأقرب إلى قلبي؟ لست أدري]

المجموعة: [إجعليهما من أجلك يتنافسان
ولك أن تختاري عند ذلك].

المشهد الثاني

الأشخاص: **أوتو** الإلّه الشمس شقيق إنانا.
إنانا إلّهة الحب والخصب.
الراعي دوموزي.
الفلاح وإحدى المنشدات.

يظهر الإلّه الشمس أوتو متألقاً في السماء ويتوجّه إلى شقيقته إنانا، مشيداً بالكتان الذي ينمو مزروعاً وَيعِدُ بتقديم غطاء منه لفراش عرس إنانا. يتم هذا الحوار على مسمع من دوموزي الراعي[1].

أوتو: أي إنانا، الكتان المزروع ينمو
الكتان المزروع ينمو وتملأ بذوره الأثلام.
أي إينّين، بفضلك، الكتان المزروع ينمو
وأنا سوف أجلب لك الكتان المزروع
سوف أقدمه لك.

إنانا: أي أخي، عندما ستقدم لي الكتان المزروع
من سيمشّطه لي؟ من سيغزله؟
من سيجدله؟ من سيسدّيه؟ ومن
سينسجه؟ ومن سيصبغه؟

أوتو: أي إنانا، سوف أجلبه لك مصبوغاً.

إنانا: أي أخي، عندما ستقدمه لي مصبوغاً
من هو الذي سيضاجعني عليه؟
من سيضاجعني عليه؟

أوتو: الذي سيضاجعك، إنه هو
الذي سيضاجعك ويصبح قرينك، إنه هو!
إنه دوموزي الذي سيضاجعك
صديق إنليل، هو الذي سيضاجعك
سيضاجعك من ولده حضن كريم
من أنجبه ملك، هو الذي سيضاجعك.

---

(١) النص رقم (١١).

تلاحظ إنانا أن دوموزي ينصت إلى حوارهما فتعارض رأي أوتو مثيرة في قلب دوموزي الغيرة وروح المنافسة حين تعلن لأوتو اختيارها:

إنانا: كلا! الرجل الذي سيضاجعني
إنه الرجل القريب إلى قلبي
الذي سلب مني روحي
إنه الفلاح الذي امتلأت عنابره حَبّاً

أوتو: إقترني بالراعي يا أختاه
إقترني بالراعي أيتها الفتاة، لِمَ ترفضينه؟
لذيذة قشدته ومنعش لبنه
كل ما يمسّه هذا الراعي يتألّق
اقترني إذن بالراعي يا إنانّا

إنانا: كلاّ لن أتزوج من الراعي
أنا لا أريد ارتداء ألبسته الخشنة
أنا الفتاة الصبية، أريد الاقتران بالفلاح:
الفلاح الذي ينتج بكثرة هكذا زروعاً!
الفلاح الذي ينتج بكثرة هكذا حبوباً!

يغيب أوتو عن الأنظار وتبقى إنانا لتراقب عن بعد رد فعل دوموزي، تقف بقربها إحدى المنشدات من تابعاتها. وهذا هو دوموزي يحدث نفسه بحزنٍ عميق ويقارن:

دوموزي: ما لدى هذا الفلاح أكثر مني؟
ما لديه أكثر منيّ
ما لديه أكثر مني هذا الفلاح؟
إن قدم لي طحينه، فأنا أعطيه نعجتي،

إن سكب لي جعته المختارة

فأنا أصب له لبني الأكثر دسماً

إن قدم لي أفضل خبزه

فأنا أعطيه ألذّ أجباني طعماً

وبعد أن أكون قد أكلت كفاية وشربت كفاية

يمكنني أن أترك له ما بقي لي من القشدة واللبن.

أكثر منّي، ما لديه إذن أكثر منّي هذا الفلاح؟!

ينظر دوموزي إلى السماء ويلمح ابتسامة خفية على وجه إنانا علامةً للرضى، فيبتهج قلبه.

دوموزي: [إنها تبتسم! إنها تبتسم!

إنانا ابتسمت لي].

يخرج دوموزي فرحاً ويذهب للسهر على أغنامه. المنشدة تقترب من الفلاح وكأنها لا تراه وتنشدُ مردّدة أقوال دوموزي:

المنشدة: ما لدى هذا الفلاح أكثر مني؟

ما لديه أكثر مني هذا الفلاح

[رددوا نشيد دوموزي أيها الرعاة]

يتوقف الفلاح عن عمله في عزق الأرض ثم ينسحب.

المشهد الثالث

الأشخاص: **دوموزي، الفلاح، الكورس.**

الكورس يصف المشهد مشيراً إلى ابتهاج دوموزي.

الكورس: فليبتهج! وليبتهج!

كان الراعي مبتهجاً على الضفة على شاطىء النهر،
كان الراعي يسهر على أغنامه على شاطىء النهر،
[مردداً إنها ابتسمت لي، إنانا ابتسمت لي]

يقترب منه الفلاح ساعياً للمصالحة والأخوة ولكن دوموزي يظهر غضبه.

الفلاح: أنا وأنت أيها الراعي، أنا وأنت
ما الذي يدفعني للتنازع معك؟
دع أغنامك تقضم عشب الضفة
دع أغنامك ترعى في حقولي المزروعة
ولترتوِ جديانك وحملانك من قناتي

يهدأ غضب دوموزي ويعلن للفلاح عن رغبته الزواج من إنانا.

دوموزي: إلى زواجي، أنا الراعي، [إلى زواجي من إنانا]
ستحضر كصديق أيها الفلاح
سوف تُعدّ كصديقٍ لي
الفلاح: سوف أحمل إليك الطحين، وأجلب لك البنْقة
سوف أجلب لك العدس!
[سوف أقدم الهدايا لعروسك المرأة الصبية،
إلى الفتاة إنانا سوف أقدم الهدايا]

مشاهد مختلفة

أشخاصها:

إنانا: وهي الملكة والإلّهة والحبيبة والأخت والعروس.
دوموزي: الراعي وهو الملك والأخ.

أم العروس، مساعدة إنانا، الكورس أو المجموعة والشاعر وكهّان المعبد (لابسو الكتان).

أ ـ إنانا تصرّح بحبّها وتتصور اللقاء

هي: من غيره، إن لم يكن هو، صُنع من أجلي؟
من غيره إذن صُنع من أجلي
كم هي فاتنة لحيته
هو الراعي الذي خلقه الإلّه من أجلي
إنه الملك! كم هي فاتنة لحيته (١٤)(*)
سوف يوسع لي بيتي،
بيتي أنا الملكة سوف يوسعه
وفي مقري حيث سَيُنْصب فراشي المخصب
ويُغطّى بالقماش الأزرق
سوف أقود إليه رجل اختياري
وسوف يضع يده في يدي
وقلبه على قلبي،
كم هو عذب ومريح، النوم ويدي في يده
كم هي طلية اللذة حين يلتصق قلبه بقلبي (١٢)

هي: بعد أن استعرضتهم جميعهم
فإن دوموزي هو الذي دعوته
ليصبح إلّه البلاد
دوموزي المفضل لدى إنليل

(*) الأرقام الواردة في نهاية كل مقطع تشير إلى رقم النص الذي يحتوي عليها.

والذي كانت تميل إليه أمي

وكان أبي يشيد به! (١٦)

ب ـ فترة الخطوبة

هي: جارتنا أتت حتى بوابة أمي

وسوف أركض إليها بلهفة!

إنها أتت حتى بوابة أمي

وسوف تتحدث إلى أمي لمصلحتك

جارتنا سوف ترش الأرضية لاستقبالك

بيتها يفوح طيباً

وكلماتها تقطّر الفرح،

«سيدي» قالت هو جدير بالحضن المقدس:

دوموزي جدير بالحضن المقدس

سوف يصبح صهر نانّا (١٣).

المجموعة: أيها الأخ لنا أنت صهر لأبينا

أنت الصهر الأكثر امتيازاً

أنت قائد السفينة، أنت سائق العربة (١٧)

هي: (متابعةً أقوال المجموعة في توجهها إلى دوموزي):

قدومك يبعثُ الحياة

قدومك إلى البيت، يحمل الكثرة

النوم بقربك منتهى سعادتي (١٧)

هي: (متوجهة إلى مجموعة المرافقات):

[رددن على مسامعي، رددن أرجوكن]

فرجي، أنا الصبية من سيحرثه لي؟
فرجي أنا، هذه التلّة المتفخة
هذه الأرض الرطبة التي هي أنا
أنا الملكة، من الذي سيضع فيّ
ثيرانه للحراثة؟

المجموعة: إنه الملك الذي سوف يحرثك
الملك دوموزي الذي سوف يحرثك
الملك دوموزي هو الذي سوف يحرثك

هي: احرث إذن فرجي يا رجل قلبي (١٦)
[أحرث إذن فرجي]

هي: (حالمة):
عندما سأستحمّ من أجل الملك، من أجل الإلّه
وعندما من أجل الراعي دوموزي سأستحم.
عندما أدهن شفتي بالمرهم العنبري
وأضع الكحل حول عيني
وعندما ستضغط يداه الساحرتان على قَطَني
وبعد أن يعمد الإلّه الراعي دوموزي
المضطجع بقربي، إلى دعك ثديي اللبني والطلي
وعندما سينقل يده إلى فرجي المقدس
ومثل سفينته الداكنة، عندما [سيقسو]
وعندما مثل سفينته المشوقة،
سوف ينقل الحياة إلى فرجي
[سوف أقول له وأكرر]

أنت خلقت لكي تلتصق بقوة على حضني،

إنانا تحبك وأنت مفضّل أمها (٢٨)

ج ـ زيارة الخطيب وهداياه

المجموعة: (متحدثة عن قدوم دوموزي):

قدومك يبعث الحياة

قدومك إلى البيت يحمل الكثرة! (١٧)

الأم (متوجهة إلى إنانا):

هيّا أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أب!

هيا أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أم!

أمه تُعزّك كما تُعزّك والدتك

وأبوه يعزّك كما يعزّك والدك. . .

إفتحي له إذن بيتك يا ملكتي

إفتحي له بيتك (١٢)

المجموعة (تتابع وصف المشهد):

استحمت إنانا ودلّكت جسدها بدهون ناعمة،

لبست الرداء الملكي الكريم

وضعت حول عنقها عقداً من اللازورد

وبعد ذلك انتظرت إنانا بلهفة

عند ذلك فتح دوموزي الباب

ودخل إلى البيت مثل شعاع قمر

فتأمل (إنانا) وهو يشعر بفرح عظيم

شدّها إلى صدره وقبلها (١٢)

دوموزي: يا أختاه، انظري ما جلبته مما يلائم عين قلبك
وفقاً لقلبك، لقلبك الحبيب
انظري ما جلبت.
أتيت بالأطايب بكمياتٍ من أجلك،
يا أختاه، يا نور الكواكب ويا بهجة
أمها التي ولدتها
انظري إلى ما جلبته من أجلك.
انظري يا أختاه، ما أتيت به إليك (٢١)

د ـ اللقاءات السرية

هي (متوجهة إلى تابعاتها):
إنّه التحق بي، التحق بي:
الملك صديق آن التحق بي!
الملك أمسك بيده يدي
حبيبي الراعي قبلني (١٣)

هي (متوجهة إلى دوموزي):
هيّا، أيها الراعي دعني: يجب أن أعود إلى بيتنا
دعني يا صديق إنليل يجب أن أعود إلى بيتنا
أية كذبة سوف أرويها لأمي؟

دوموزي: قولي لها: صديقتي كانت تمرح معي في الساحة
رقصت حولي على وقع الطبلة
وغنّت لي الأناشيد العَذبة
قولي لها: هكذا قضيت الوقت

أتذوق حلاوة اللذة!
بينما نحن سوف نسترسل لشهوتنا
على ضوء القمر.
سوف أحل لك شعرك وأمضي معك
أجمل اللحظات (١٣)

هـ ـ سحب المزلاج

هي: أي صهرنا، عندما يغيب النهار
أي صهرنا، عندما يأتي الليل
عندما سيدخل «القمر» بيتنا
سوف أطفىء النجوم على مساراتها
وعندما أطفىء القمر في الأعالي
سوف أسحب المزلاج من أجلك (١٩)
يا ذا الشعر الكثيف، يا ذا الشعر الكثيف، أنت لي
يا حبيبي، يا ذا الشعر الكثيف، أنت لي
يا ذا الشعر الكثيف مثل نخلة، أنت لي
شدّه على حضننا يا حبيبي
يا أسدي ذا اللبدة الكثيفة
شدّها على حضننا، يا أخي
يا ذا الوجه الجميل!
أنت في نظري تمثال ذهب حقيقي
أنت تحفة فنان.
كنْ يا حبيبي، ملكيةً مولدة لأيام سعيدة!
كنْ عيداً يجعل الوجوه مشرقة!

يا مفضّل إنليل، أنت لي! (١٩)
تعال قربي في الليل!
ابق معي الليل بكامله!
تعال قربي في النهار!
ابقَ معي النهار كله.
فليمهد لك إلّهك الطريق (١٩)

و ـ الفراش المخصب/ فراش العرس

الشاعر: في معبد بيت السماء، أعدّ «لابسو الكتان»
من أجله هيكلاً.
وُضع عليه الماء والخبز، من أجل الملك

لابسو الكتان (يتوجّهون إلى دوموزي الملك):
خذ راحتك في القصر، أي دوموزي!
أنت الذي تتألق في القصر وفي البلاد،
إنانا الجميلة، التي هي زينتك، زينتك
إنانا الجليلة التي هي لباسك
اقترب منها سيدي، بعد أن قدمت إلى هنا!
تقدّم منها مردداً نشيداً يسلب الروح!

إنانا (متوجّهة إلى دوموزي):
أيها الثور الوحشي! حياة البلاد،
سوف أمنح الحياة لشعبك

دوموزي: صدرك يا إينّين هو حقل
أي إنانا صدرك هو حقل
حقل متسع ينتج الزروع

حقل فسيح يسكب الحبوب (١٥)

الشاعر (متوجّهاً إلى إنانا):

في المعبد الأبدي، المعلق في السماء مثل غمام،

من أجلك وفي الحرم الكبير،

أعد لك الإلّه فراشاً مُخصباً

من أجلك أنتِ المعدّة لأن تصبحي ملكة

أقام الإلّه هيكلاً (٢٧)

المجموعة: إنه يتوق إليه، يتوق إليه، يتوق إلى الفراش.

يتوق إلى الفراش الذي يجعله يتذوّق طلاوة الحِجْر

يتوق إلى الفراش.

ولجعل هذا الفراش، فراش الملكة أكثر طراوة

أعد له الملك غطاءً من أجلها (٢٧)

مساعِدة إنانا (متوجّهة إلى إنانا):

الإلّه الذي دعوته إلى قلبك

الملك قرينك الحبيب

فليركن طويلاً على صدرك الجذّاب

[امنحيه الخصب والكثرة في كل شيء]

ولتكن له في القصر حياة مديدة (٢٧)

المساعدة (متوجّهة إلى دوموزي):

أمّا مليكتي، ملكة السماء والأرض

سيدة السماء والأرض

فلتُطِل بقاءها خلال أيام عديدة،

على حضنك، أي دوموزي!

المجموعة: باعتزاز توجّه الملك نحو الحجر المقدس
وبفخرٍ اقترب من حجر إنانا المقدس
وبكل فخرٍ حين وصل إليه
أخذها بين ذراعيه
أخذ بين ذراعيه غانية آن (٢٧)

ز ـ في الحظيرة

دوموزي (متوجّهاً إلى إنانا حين تدخل الحظيرة):
يا للنغم العذب ـ مثل صوت بقرة
يا للصدى العذب، مثل صوت عجل
أي إنانا، أنت تطوفين في الحظيرة،
ما أن تصلي إليها أيتها الصبية،
حتى تُسْمِعُ المخضّة نغمها أي إنانا
سوف أجعل نغم المخضّة يتردّد من أجلك
علّني أنقل الفرح إلى قلب إنانا.
عندما ستدخلين الحظيرة،
الحظيرة يا إنانا سوف تتهلّل أمامك
والنعجات الوفيات، سوف تنشر
صوفها أمامك
لكي يتمكن دوموزي «قرينك»
من التأوّه لذّة على حضنك
وعندما تنشر الحظيرة القشدة
على الأرض من أجلك

سوف أنضح القشدة، سوف أنضح اللبن
وسوف أُبهج روحك أي إنانا! (١٨)
أي إينّين، أنت التي تنشرين العذوبة
هذا ما سيفرح روحك أي إنانا!
أنت هي قرينتي، النعجة التي تعتني
حنونةً بحملانها هي أنت! (٣٤)

إنانا: أيها الثور الوحشي، دوموزي
قدّم لي اللبن الدّسم
أريد شرب اللبن طازجاً من يدك.
في وسط الحظيرة. دَفّق من أجلي
لبن ماعزك
املأ مخضتي المقدسة
أريد أن أشرب معك اللبن الطازج
أي دوموزي (١٦)

ح ـ اليوم المنتظر

إنانا: (تحدث مرافقاتها عن استعداداتها):
استحممتُ واغتسلتُ
استحممتُ في البركة المتلألئة
واغتسلتُ في الحوض الأبيض
وفي الحوض دلّكت جسدي بالدهون
ثم اكتسيتُ بردائي الملكي
رداء ملكة السماء.

زينتُ بالكحل عينيّ، مشّطت خصل شعري.
أنا أعرف المشبك ودبوس الشعر
اللذين يعجبانه،
لبستُ في معصمي أساور الفضة
كما ربطت حول عنقي عقداً من اللآلىء (٢١)

إنانا: (تصدر التعليمات إلى تابعاتها):
عندما يعود أخي من القصر
فليعزف الموسيقيون من أجله
وأنا سوف أسكب له الخمر
وبذلك سوف يبتهج قلبه
وسوف تملأ قلبه السعادة!
أخضرن، أحضرن، القشدة
كثيفة والجعة مثملة! (٢١)

إنانا: (نحو مرافقاتها):
آه، كم هو منتفخ صدري
وأية فروة كست فرجي
لنكن سعيدات: أنا ألتحق
بحضن حبيبي، سيد الكرم والجود!
أرقصن ارقصن، جميعكن،
قسماً [بقلوب العاشقين]
لنكن مبتهجات من أجل فرجي
أرقصن أرقصن جميعكن
أخضرن، أحضرن القشدة كثيفة

واجعة مثملة! (٢١)

إنانا : (بعد اللقاء) :

أدخلني إليها! أدخلني إليها

أدخلني أخي إلى حديقته

دوموزي أدخلني إلى حديقته

المجموعة : وبمجرد أن تدفق من حضن الملك ماء ـ القلب

فعلى جوانبه انبثقت الزروع

وعلى جوانبه نبت الحَبّ.

وبقربه زخرت بنمو نباتها السهوب والمروج

بينما في بيت الحياة، في القصر الملكي

سكنت قرينته إلى جانبه

تملأ قلبها البهجة

في بيت الحياة، في القصر الملكي

بقيت إنانا إلى جانبه

مكتملة البهجة! (١٦)

ك ـ الرجل العسل وشراب الساقية

إنانا : (إلى دوموزي) :

أيها الرجل ـ العسل! الفاتن

الذي يغمرني بالحلاوة إلى الأبد

أيها الإله الأكثر سحراً بين الآلهة

يا حبيب ـ أمّه، أنت لي!

أنت ذو اليدين الناعمتين

أغمرني بحنوك إلى الأبد.
أنت الذي بحيوية وإقدام
سحرت لي سُرّتي
يا حبيب ـ أمه، أنت لي! (٢٠)

إنانا: يا حبيبي، أيها الغالي على قلبي،
اللذة التي تمنحها حلوة كالعسل
يا أسدي، أيها الغالي على قلبي
اللذة التي تمنحها حلوة كالعسل
أنت فتنتني: ها أنذا
أرتجفُ كليةً أمامك
رغبتي يا حبيبي أن تحملني إلى غرفتك
أنت فتنتني، ها أنذا أرتجف كلية أمامك
دعني يا عشيقي أمنحك ملاطفاتي!
يا ذا الحلاوة، يا حبيبي
أريد أن أُغمرَ بعسلك
في الحجيرة التي تطفح عسلاً
دعنا نتمتع بجمالك الرائع!
أي أسدي، دعني أمنحك ملامساتي
يا ذا الحلاوة يا حبيبي، أريد أن أنغمر بعسلك
أنت حققت معي متعتك يا حبيبي
أخبر إذن بذلك أمك:
لتقدم لك الأطايب.
وقل ذلك لأبيك يقدم لك الهدايا.

روحك! أنا أعرف كيف أبهج لك روحك
بث عندنا يا حبيبي حتّى مطلع الفجر!
قلبك! أنا أعرف كيف أمدد لك قلبك
بث عندنا يا أسدي حتى مطلع الفجر
هذه الركنة الكنينة الحلوة كالعسل،
ضعْ يدك عليها أتوسل إليك
ضعْ يدك عليها ثم أغلقها مثل كأس
امنحني ملامساتك، أرجوك يا أسدي! (٣٠)

الحبيبة: عذب يا إلّهي هو شراب الساقية!
فرجها هو كالشراب، فرجها عذب كشراب!
فرجها وشفتاها عذبة كشراب!
وشرابها فائق الحلاوة
فائق الحلاوة شرابها! (٣١)
أي حبيبي، أنت الذي منحتني نعمك!
أنت الذي منحتني نعمَ جسدِك،
أنت لي!
أنت مليكي وإلّه البلاد أنت (٣١)

المجموعة: إلّهنا هو أنت، أنت إلّهنا
أنت سيدنا، فضتنا ولازوردنا
أنت فلاحنا الذي يجعل الحَبَّ
ينبت من أجلنا! (٣٢)

الحبيبة: إنه حلاوة عيوني و [زينة] قلبي
فليشرق من أجله يوم ـ حياة،

من أجل حبيبي الذي هو لي! (٣٢)

المجموعة: بعد أن أُعدّ الفراش المخصب

تم تحميم مليكتي جنباً إلى جنب

بجوار الملك،

نُثر على أرضية القاعة زيت الأرز ذو الأريج

ثمّ تقدم الملك باعتزاز من الحِجْر المقدس

التحقَ مظفراً بحضن إنانا

ضاجعها دوموزي

متلمساً برقة صدرها الجميل!

وبعد أن استقرّت الملكة

طويلاً على حضن الملك

تمتمت: حبيبي، نعم

سوف أمدد حياتك! (٣٣)

المجموعة: دخل برفقتها إلى قصره الجليل

ومثل ضوء النهار، قادها إلى العرش

على المنصّة السامية.

وأقام من أجلها عيداً رائعاً

وعلى وقع الطبل ونغم القيثارة ذات الموسيقى

العذبة التي تسحر القصر،

وعلى نغم الرباب المهدِّىء لقلب البشر

[أمر الملك]:

أيها المنشدون، أسمعونا أنغام البَهْجة! (٣٣)

ل ـ الحب والضياع

الحبيب: آه يا نزوتي، يا نزوتي المسيطرة!

آه يا آسرتي، يا آسرتي، يا مالكتي!

أنتِ خمري المبهج، يا أحلى عسلي!

يا فم ـ أمها الطلي، يا طليتي!

نظرة عينيك تسحرني: تعالي يا أختي الحبيبة

كلمات الاستقبال على شفتيك

تحرّك مشاعري، يا فم ـ أمها الطلّي، يا طليّتي!

قبلات فمك تهزّني: تعالي يا أختي الحبيبة

رشاقتك في دارك تحرك عواطفي

يا فم ـ أمها الطلّي، يا طليّتي! (٢٥)

الحبيبة: يا ابن الملوك، أي أخي، يا ذا الوجه الجميل

أنقذت لك حياتك، خارج أسوار المدينة، أي أخي!

ولكن، ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة

آه يا حبيب قلبي

أنا التي بدون شك سبّبت لك هذا المصير القاسي

يا أخي يا ذا الوجه الجميل

لقد وضعت يدك اليمنى على فرجي

وكانت يدرك اليسرى تداعب شعري

وفمك كان يضغط على فمي

وعلى فمك انضغطت شفتاي:

ولهذا السبب أصبحت هدفاً لمصيرٍ

في منتهى القساوة.

هذا ما سيكون يا ملتهم النساء

يا أخي، يا ذا الوجه الجميل!

كم كان إغراؤك عذباً، يا حامل أزهاري

يا حامل أزهاري.

إغراؤك كان عذباً، يا حامل ثماري

يا دوموزي، كم كان إغراؤك عذباً! (٢٥)

المحتويات

هذا هو الكتاب الأوّل من مجموعة «ديوان الأساطير» التي تصدر تباعاً، وتتضمّن النصوص القديمة الأسطورية والبطولية الأدبيّة، منذ بدايات الحضارة،في كل من بلاد الرافدين والساحل الكنعاني ووادي النيل وغيرها من المراكز الحضارية في عالمنا، والتي كشفت عنها التنقيبات الأثريّة، وشغلت الباحثين في مختلف أنحاء العالم الغربي، ولا تزال تشغلهم، منذ أكثر من قرن.

تشمل الكتب الأربعة الأولى النّصوص السّومرية والأكاديّة والآشوريّة. ويُختصّ هذا الكتاب الأوّل بنصوص الخصب والإخصاب، أو كما يقول الشعراء السومريون «بمنيّ السماء»، يخصب الأرض و«بماء القلب»، يخصب الأرحام. وعن خصوبة البلاد وخصوبة المرأة، ينقل إلينا هذا الكتاب، أجمل أناشيد الحب والجنس مما يشكل مجموعة أمكن تسميتها «بنشيد الأنشاد السّومري». وهذا مما اقتضى تضمينَ هذا الكتاب دراسةً هي الأولى من نوعها في اللغة العربية عن أصول نشيد الأنشاد التّوراتي.

إنّه مشروعٌ يقدّم للقارىء العربي ذخيرةً ثقافيّة فريدة ـــ جماليّاً، ومعرفيّاً، وتاريخيّاً.

ISBN 1 85516 556 2



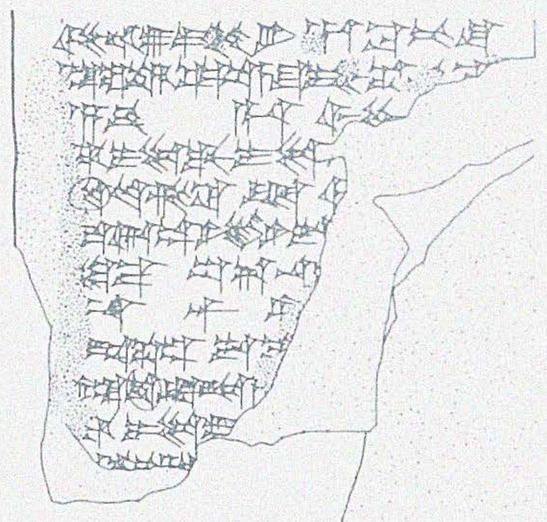
علي مولا

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثاني

الآلهة والبشر





نقله الى العربية وعلّق عليه : قاسم الشوّاف

قدّم له وأشرف عليه : أدونيس

علي مولا

دار الساقي


ديوان الأساطير

من أعمال قاسم الشواف

- كتاب «الكلمة الصافية» صدر عن دار الأجيال في دمشق عام ١٩٦٩ .
- «الاستعادة» بصدد الصراع الصهيوني ـ العربي، صدز عن مؤسسة التوجيه المعنوي في دمشق (١٩٦٩) باللغة الفرنسية.
- «نحن الملك» مسرحية مُعرَّبة عن كتاب «أنا الغاضب» للكاتب المغربي محمد خير الدين. صدرت في عام ١٩٧١ عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- كتاب «مع رحلة الفنان وليد عزت، في أساطير سومر وملحمة جلجامش» محتويا على كامل لوحات الفنان الخاصة بهذه المواضيع. صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي بدمشق (أيلول ١٩٧٣).
- الكتاب الأول من مجموعة ديوان الأساطير: «أناشيد الحب، ماء الأرض وماء القلب» في نصوص ما بين النهرين. صدر عن دار الساقي. حزيران ١٩٩٦ .

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثاني

الآلهة والبشر

نقله الى العربية وعلّق عليه : قاسم الشوّاف

قدّم له وأشرف عليه : أدونيس



دار الساقي

الطبعة الأولى ١٩٩٧

ISBN 1 85516 336 5

دار الساقي

بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان

هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٦٠٢٣١٥ (٠١)

DAR AL SAQI

London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH

Tel: 0171-221 9347, Fax: 0171-229 7492

ديوان الأساطير

الكتاب الثاني

استهلال

ـ ١ ـ

بدأ في السنوات العشرين الأخيرة اهتمام خاص ومفاجىء لدى العرب، كتّاباً وباحثين وقرّاء، بالأسطورة، وبالقضايا الأدبية والفكرية التي تتولّد منها، أو تتّصل بها. فقد تُرجمت ونشرت أكثر من مرّة، ملحمة جلجامش، تمثيلاً لا حصراً. وعمل باحثون كثيرون في العراق وسورية، بخاصّةٍ على دراسة الأساطير في هذين البلدين، وعلى ترجمة نماذج عديدة منها، نقلاً عن اللغة الأصلية، أو اعتماداً على ترجماتها في اللغات الأجنبية.

ـ ٢ ـ

وهذه المحاولة التي نقوم بها، قاسم الشوّاف وأنا، ليست إلاّ استمراراً لتلك الجهود الرّياديّة، الطليبة واللاّمعة، التي تقدّمتها، غير أنها محاولة تتميّز عمّا سبقها، بطموحها وشمولها. فهي تهدف إلى تقديم الأساطير في موسوعة، أو ديوانٍ يحتضنها جميعاً، في عشرة أجزاء، منذ البدايات الأولى على هذه الأرض التي ننتمي إليها، في سومر بين أحضان دجلة والفرات، وفي سورية، والجزيرة العربية، وانتهاءً بمصر وضفاف نيلها الكريم.

- ٣ -

يمثّل، إذاً، هذا الاهتمام الناشىء بالأسطورة في الوسط الثقافي العربي، ما يمكن أن نسمّيه بانقلابٍ معرفيّ ونظريّ. ولا أخوض هنا في الأسباب التي أدّت إليه، بل أقتصر على القول إنّه دليل نُضْجٍ وتفتّح.

وهو، إذاً، انقلاب يشير إلى تغيّر أساسي - إلى نشوء نظرةٍ أخرى ترى في اللغة العربية أختاً وامتداداً للغات التي سبقتها، وترى أنها، إذ أخذت محلها، فقد احتفظت بشحنتها الثقافية الحية، إبداعاً وتأصُّلاً.

يشير، أيضاً، إلى ما هو أبعد وأعمق، لم يعد العربي، الكاتب خصوصاً، يرى نفسه سابحاً في تموّج لغته، كأن التاريخ مجرّد عربةٍ لغوية تقطر وراءها الحياة سائرة في فضاء مجرّد، في انقطاع عن القرار العميق: الأرض التي انبثقت منها هذه اللغة. أصبح، على العكس، يرى عمودية هذه اللغة، وعمقها الوجودي والتاريخي.

- ٤ -

في هذا ما يمثّل بدايةً لعودة نوع خاص من الدفء إلى اللغة الشعرية العربية، وإلى الحساسية العربية. فالأسطورة دفء للعقل وللجسد - مما يذكّر به الشاعر الفرنسي «باتريس دولاتور دوبان» في عبارته الجميلة: «الشعب الذي لا أساطير له يموت من البرد»، خصوصاً برد التقنية الآخذة في تدمير طفولة العالم. إن في الطاقة التخييلية التي تكتنزها الأسطورة ما يتيح التأسيس لبؤرة من العلاقات الإنسانية، يتخطّى برودة التقنية، إضافة إلى ما تولّده في الإنسان من القدرة على الاستباق والاستشراف.

وإذ يرتبط الأدب، والشعر بخاصة، بالخيالي الأسطوري، يصبح أكثر قابلية لأن يكون بناءً يشمل برؤيته الجمالية المجتمع - علماً وفلسفة، قيماً وعلاقات. فيعيد، على طريقته وبخصوصيته، النّظر في العالم، بحيث يكون نقداً شاملاً، انطلاقاً من تلك الرؤية. هكذا يتاح للرؤية العلمية أن تكون هي أيضاً شعرية، ويتاح للتقنية أن تتنفّس هواء الشعر، فتظلّ الحياة أكثر إنسانية، ويظل الوجود، تبعاً لذلك، أكثر بهاء، ودفئاً.

آثرنا أن نحافظ، في الترجمة، على بناء الجملة الأصلي، بحيث تنقل إلى العربية كما هي، دون تعديل إلاّ في أشياء طفيفة تقتضيها بين وقت وآخر خصوصية الصياغة النحوية وخصوصية التعبير في اللغة العربية، وفقاً لتلك الصياغة.

نأمل أن يساعدنا الباحثون والقراء في هذا العمل، بنقدهم البصير، ومعرفتهم الدقيقة. ففي هذا ما يفيدنا في تهيئة الأجزاء التالية من هذا الديوان، فنتلافى أخطاءنا في هذا الجزء الذي بين أيديهم، ونعمل على أن تجيء الأجزاء التي ستليه أكثر ما يمكن قرباً إلى الصحة والدقة.

أدونيس

مقدّمة الكتاب الثاني

جمع الكتاب الأول، بين نصوص الخصب والإخصاب، بين ماء السماء تُخصب الأرض، و «ماء القلب» يُخصب الأرحام. وأنشد الحبّ في أجمل أغانيه، مع الراعي دوموزي وحبيبته إنانا/عشتار. كما أنشد الحبّ مع الملوك، في طقوس الزواج الإلّهي، وإذا بنا نجد أنفسنا أمام مجموعة أناشيد حبّ في تراثنا القديم، تشكّل «نشيد أنشاد» سومرياً، عرضْنا توازيه مع نشيد الأنشاد التوراتي. ذلك كان تدرج الكتاب الأول في خطوطه العريضة.

وأما هذا الكتاب الثاني، فإنّه يعود بنا إلى البدء والأصول. وينوخى من بين نصوص ما بين النهرين تقديم مجمل ما يدور حول هذا الموضوع، في أقطابه الثلاثة:

القطب الأساسي، الذي لا بدء له والذي هو في بدء كل شيء تمثله الآلهة، تليه ثنائية القطب التي انبثقت منه وهي التكوين والخلق، أي البشر وما يحيط بهم.

الآلهة والتكوين والخلق، هي إذن الموضوعات الأولى التي يستعرضها هذا الكتاب في فصله الأول.

وليست الغاية من هذا الفصل، محاولة تقديم نظرية واحدة أو نظام موحّد حول كل ذلك، بل عرض ما نوفر من النصوص القصيرة أو الطويلة التي تم اكتشافها حتى اليوم بهذا الخصوص، مع الإشارة إلى أن تدرّج هذا العرض ينقلنا بشكل طبيعي إلى ما أسميناه بنصوص «النظرة الشاملة» في ما يتعلق بسرد قصة كل من التكوين والخلق ومن

ثمّ الطوفان، وهذه النصوص جميعها، وليست الوحيدة في هذا الكتاب، هي من الموضوعات التي تأثّرت بها توراة العهد القديم وسيلمس القارىء ذلك بنفسه.

عندما نتطرق إلى عملية خلق البشر من قبل إلّه واحد أو آلهة، فإن هذه العملية تشير بشكل مباشر أو غير مباشر إلى الغاية من الخلق، وتتأسّس منذ هذا البدء، قواعد العلاقة بين الإلّه والبشر. وأبرز ما في بداية هذه العلاقة، خدمة الآلهة وتقديم القرابين وإقامة الطقوس، والتي توصلت مع الاستمرار إلى مفهوم طهارة القلب ونقاء المقاصد بالنسبة للفرد، وإزالة الظلم والدفاع عن حق «اليتيم والأرملة» بالنسبة للمجتمع. كما تولّد عن هذه العلاقة، وبشكل طبيعي، عدم الارتياح والقلق النفسي والرهبة بسبب إهمال أمور الإلّه، وفي ذلك أساس الشعور بالذنب والعقاب، عقاب الإلّه لمن يحيد عن دربه.

وبشكل طبيعي أيضاً وبالمقابل، تولّد عن اتباع الطريق المؤدّي إليه، ارتياح النفس والبهجة والطمأنينة الداخلية والشعور باستحقاق مكافأة الإلّه وثوابه. والثواب والعقاب هما ما يحاول الفصل الثاني من هذا الكتاب تجميع النصوص بصددهما.

وبالطبع، فإنّ العقاب الإجمالي الذي عرفته البشرية وعَزَتْهُ إلى غَضَبِ الإلّه، كان بالإضافة إلى الوباء والمجاعات: الطوفان.

الطوفان المجتاح والمكتسح لكل شيء والذي كاد أن يبيد جميع البشر، لولا تدخُّل الإلّه الذي أحبّ الإنسان فأنقذه وتدخّل البشري الذي أحبّ الإلّه وأخلص له، فأنقذ البشرية وأنقذ نفسه. وما تركته لنا نصوص ما بين النهرين عن الطوفان وعن تاريخ البشرية الإجمالي منذ الخليقة وحتى الطوفان، هو من بين النصوص الرئيسية في تراثنا وهنا أيضاً لم تتردد التوراة، في عملية الاقتباس.

ويتابع الكتاب فكرة الثواب والعقاب، في النصوص التي تشدّد على سهر الإلّه كمشرّع وكقاض، يراقب ويحاكم ويعاقب، وقد خَضَع الملوك لعقابه، كما خضعت الممالك التي تمّ زوالها لأنها خَرَجَتْ عن صراطه.

غَضِبَ الإلّهُ فانهارت الممالك وخُرِّبت المدن وعمّ الدمارُ البلاد، وها هو إنسان ما بين النهرين، يعود إلى الإلّه راجياً ومتضرّعاً وتائباً، وها هو يتوجه نحو مدينته

المخرّبة ومعبده المدمّر، فيبتدع المراثي والنواح عليها. وهنا أيضاً، نكتشف أن سومر، ابتدعت أدب المراثي وكانت أول من عاش مسرحاً دينياً، تمثّل فيه مجموعةُ المنشدين (الكورس) شعبَ المدينة المخرّبة، ورئيس المجموعة هو الرّاوي الذي يستثير ردّ المجموعة وكأنه قائد فرقة موسيقية. ولإلّهة المدينة «أمّ ـ المدينة» دورها في النواح على مدينتها والتفجّع بمرارة أمام معبدها المخرّب.

ولم يكن ذلك بمثابة تمثيلية «فنّية» مجّانية، بل كانت رجاءً وابتهالاً لكي يهدأ غضب الإلّه أو الآلهة الذين قرّروا الدمار، واستدراراً للرضى وأملاً بالغفران والرحمة والسماح بأن تعود المدينة إلى سابق ازدهارها. ومسرحية «البكاء على خراب سومر ومدينة نفّر» هي كذلك من النصوص الأساسية التي يشتمل عليها هذا الكتاب.

وفي التعرض للثواب والعقاب، يتوقف الفصل الثاني أيضاً عند عدالة العقاب، وكأنه يناقش عدالة «العدالة الإلّهية» متسائلاً مع «العادل المعذّب» الرجل العادل الذي أصابته جميع البلايا، على الرغم من تقواه وأدائه لمتطلّبات الإلّه، يتساءل معه هل هو عادل هذا العقاب الإلّهي، وما الذي يُسوّغه؟

هنا أيضاً، وفي هذا النص الرئيسي، ندخل مرة جديدة في التوازي مع سفر أيوب التوراتي الذي لا يزال يحمل في شكله الحالي آثار الأصل الكنعاني/ العربي الذي اقتُبس عنه.

وحول العدالة الإلّهية أيضاً، يعرض الفصل الثاني في ختامه، حواراً بابلياً، يتوصل المحاوران بنتيجته إلى حقيقة سموّ الإلّه على جميع مخلوقاته وعجز البشر عن التعرف على مقاصده ونياته، وبلغة ذلك العصر يقول لنا النص بأن «قلب الإلّه بعيد عن متناولنا، كما هي بعيدة عنّا أعماق السماء».

وفي فصل ثالث وأخير، يروي لنا هذا الكتاب قصص الصعود إلى سماء الآلهة في مغامرتي «أدابا» بسبب حكمته وقُدرة كلمته. وبكلّ تعاطف مع «إيتانا» وبتأييد لسعيه ونبل قصده نصْعدُ معه إلى السماء على جناح نسر.

باريس ١٢/ ٣/ ١٩٩٦

قاسم الشوّاف

المصطلحات والإشارات
التي تسهل متابعة النصوص

* أرقام الأسطر، هي الأرقام العربية (1، 5، 10، 15 . . .) التي تمكّن من الرجوع إلى النص في كل مقارنةٍ أو استشهاد أو اقتباس.

* أشرنا أيضاً كلّما لزم الأمر إلى عدد اللوحات التي يتألف منها النص كما نوّهنا بالانتقال من محتوى وجه اللوحة إلى محتوى ظهرها والانتقال من عمود إلى عمود آخر حين كانت النصوص موزعة على عدة أعمدة في اللوحة الواحدة.

* . . . هذه الإشارة بين تعبيرين تدل على وجود كلمة أو مقطع تعذّرت قراءتهما.

* [. . . .] العقفات قصيرة كانت أم طويلة، تعني فقدان كلمات أو مقاطع على اللوحة الأصلية.

* [مع نص تحتوي عليه] تشير إلى أنه أمكن استكمال النقص بسبب التكرار في اللوحة نفسها أو عن لوحة أخرى سهلت هذه الإضافة.

* نظراً إلى اختلاف أطوال الأسطر، فإنّ تتمّة السطر الذي يتعدّى السطر الواحد المقرر للنص، هذه التتمة أوردت وكأنّها عجز مكمّل لصدر بيت شعرٍ عربي.

* (   ) ما وضع بين قوسين يشير إلى إضافة أو تكرار يساعد على تفهم النص بلغته العربية.

* .·   ·. تدل هذه الإشارة أن الناسخ نسي تعبيراً أو مقطعاً معروفاً لدينا وأمكننا إضافته.

* {   } ما يوضع ضمن هاتين الإشارتين يدل على أن الناسخ كرر سهواً ودون مبرر كلمةً أو مقطعاً يُعْزَلُ على هذا الأساس.
* (؟) تشير إلى قراءةٍ غير أكيدة للنص وهي تلي الاقتراح المحتمل للقراءة المعروضة.
* ! علامة التعجب تشير إلى اللجوء إلى معنىً محدّد للمقطع أو الكلمة التي سبقت هذه العلامة.
* وأخيراً فإن جميع النصوص التي يحتويها هذا الكتاب، تحمل مع عناوينها، التي هي اصطلاحية ولا أساس لها في النصوص الأصلية، تحمل إلى جانب هذه العناوين، رقماً بين قوسين (رقم) يسهّل الرجوع إليها والاستشهاد بمحتواها مثال النص ٣٥ السطر ٦ يشار إليه: (٣٥: ٦) أو الأسطر ٦ إلى ١٠ في النص نفسه يشار إليها: (٣٥: ٦ ـ ١٠).

الفصل الأول

(١) ـــ البَدْء والأصول

١ ـ كيف أتى إلى الوجود، النهر والأشجار، الحبوب والماشية، الصيف والشتاء، الطيور والأسماك؟ . . . كيف وصلت إلى الأسنان «دودة» وجع الأسنان؟ وشُعيْرَة العين، كيف دخلت إليها؟ من أخصبَ الأرض فأنبتت والنعجة فولدت؟

السماء والأرض، قالت لنا نصوص ما بين النهرين، هما زوجان بدئيّان، ونحن نعلم أن الأرض تزيّنت واكتست أجمل حللها، لتلقي منيّ السماء[1]. وماذا عن النجوم وصورها؟ جميعها في أفلاكها تدور، الشمس تنير الأرض وتبدّدُ الظلام فتتوضّح المعالم وتظهرُ الأشياء على حقيقتها، وكأنّ الشمس تسْهرُ على الوضوح والعدالة. وعندما يبدّل القمر وجهه، فإنّه يُعلِّمْ كيف ينتهي شهر ويبدأ شهر اخر.

٢ ـ وعندما تساءل إنسان ما بين النهرين، ولم يكن الوحيد في هذا المضمار، عن أصول كل ما يحيط به وعن بدء ما يحيط به، قدّم أجوبةً كانت في أساس حوافزه لبناء حضارته. ووصل بعد ذلك، وبشكل طبيعي إلى طرح سؤالٍ عن وجوده هو، وها هو يحاول قراءة فصل آخر من كتاب الكون: منْ بعلل التكوين ومنْ بعلل الخلق، من كوّن ومن خلق؟

---

(١) راجع النص رقم (٣٧) من هذا الكتاب.

وتوزعت الأجوبة بين إلّهة ـ أم وآلهة عظام اثنين أو ثلاثة أو إلّهٍ واحد، إلى أن توصّل إلى الإلّه الواحد، الإلّه الواحد ذي الأسماء الخمسين.

٣ ـ وفي كتاب الكون فصل آخر، كان على إنسان ما بين النهرين، محاولة فكّ رموزه وتقديم ما يرضيه بصدده ويبدّد على الأخص قلقه. والحقيقة، أن هذا الفصل يطرح السؤال الأساسي، حول ما سبق تأليف كتاب الكون برمته. وهكذا وجد المستفسر نفسه أمام ما قبل التكوين وما قبل الخلق، أمام ما قبل البدء المرئي. ودخل خياله إلى بدْء البدْء، بدء اللامرئي، وها هو أمام «العماء»، أمام ما هو في أساس كل شيء، أمام الآلهة الذين هم وراء «الكلمة» التي بدأ بها كل شيء.

٤ ـ وهذا الفصل، عن البدء والأصول، سوف يتطرّق إلى ما وصلنا من محاولات مكتوبة أغنى بها إنسان ما بين النهرين تراثنا وتطرّق بواسطتها إلى موضوع ولادة الآلهة، وقدّم إجابات متعددة حول تفسير الأصول بالنسبة للكون المحيط بالأرض وبالنسبة للأرض ذاتها، الأرض الفسيحة التي تطفو على محيط المياه، وكذلك بالنسبة للبلاد أي بلاد ما بين النهرين: دجلتها وفراتها. كما يتعرض هذا الفصل إلى نصوص الإجابة عن سرّ خلق البشر وأسبابه، ودور الآلهة في ذلك ودور البشر الذين كُلّفوا بنشر الرخاء والكثرة على الأرض وببناء المعابد وتموينها.

٥ ـ ولا بد من الإشارة أيضاً، إلى أن إنسان ما بين النهرين ترك نصوصاً عديدة، تعرّضت بشكل غير مباشر إلى ولادة الآلهة والتكوين والخلق في مناسبات، لم تكن الغاية منها سرد هذه الأحداث المهمّة، بل التذكير بها والعودة إلى البدْء حيث كانت قوى الخلق في أقصى طاقاتها، والعودة إلى زمن البدء في «كماله»، كما اعتقد ذلك الفكر الميتي (الميثولوجي) لجميع الشعوب، والذي كان زمن الينبوع المتفجّر حيويةً وخلقاً، حيث انطلقت قوى الحياة وقوى الخصب في أثناء التكوين وكان زمن البدء محمّلاً بها. وزمن البدء وحْدَه كان يمثل الزمن «المعبِّر» أو الزمن «المكثّف» المحمّل بالطاقات[1] والعودة إليه كانت تعني العودة إلى «كماله» وقدراته.

(١) حول كمال البدء يمكن الرجوع إلى كتاب «مع الكلمة الصافية» لقاسم الشواف، الصادر عن دار الأجيال بدمشق، ١٩٦٩، (ص ٢٧ ـ ٣١).

٦ ـ وعلى هذا الأساس، اشتملت نصوص عديدة على مقاطع مختلفة تذكّر بهذا البدء في عدد من الطقوس الدينية والرقى وتعاويذ الشفاء وهذه المقاطع وحدها هي التي سنوردها من ضمن هذا الفصل.

وعاد إنسان ما بين النهرين أيضاً إلى البدء، حين أراد تفهّم الأدوار وأهميتها في الطبيعة بالنسبة مثلاً للصيف والشتاء، أو الطيور والأسماك أو الشجر والقصب... فابتدع شكلاً أدبياً كان عبارة عن مساجلة تنافسية بين الطرفين موضوع البحث، وفي كل مرة، سوف نُفيدُ من عودته إلى البدء للتعرّف على صورة مختصرة للتكوين والخلق نُدرجها أيضاً من ضمن هذا الفصل.

٧ ـ جميع هذه البدايات التي أشرنا إليها[١] ندرجها هنا قبل عرض قصة التكوين والخلق الشاملة وهي «الإينوما إيليش»[٢] للدلالة على تعدد المدارس الفكرية في بلاد ما بين النهرين، بلاد ممالك ـ المدن التي بدأت بها الحضارة، وللدلالة على العفوية وحرّية التعبير التي رافقت تلك النصوص التي امتدت على مدى قرون عديدة، قبل أن يُعمد في بابل، عاصمة جميع البلاد، إلى تدبيج قصيدة توحيد المعتقدات، وتوحيد المكوِّن والخالق، الذي تأقنمت في كُنهه جميع الآلهة، والذي هو الإله مردوك[٣] وأسماؤه الخمسون تشهد على ذلك.

٨ ـ وبناءً على ما عرضنا أعلاه، فإن هذا الفصل الأول سوف يتدرج متبعاً العناوين التالية:

(١ ـ ١) ـ ولادة الآلهة

(١ ـ ٢) ـ التكوين في نصوص متعددة

(١ ـ ٢) أ ـ المنافسات

(١ ـ ٢) ب ـ الرقى

---

(١) النصوص (٣٥) إلى (٥٤).
(٢) (Enuma-Elish) قصيدة التكوين والخلق البابلية وترد هنا في النص رقم (٥٥).
(٣) (Marduk) إله بابل.

(١ ـ ٢) ج ـ ابتهالات وصلوات

(١ ـ ٢) د ـ كتاب التنجيم

(١ ـ ٣) ـ خلق البشر

(١ ـ ٤) ـ النظرة الشاملة للتكوين والخلق

(١ ــ ١) ــ ولادة الآلهة

١ ـ السؤال الذي طرحه على نفسه إنساننا القديم فيما بين النهرين هو: كيف تمّت ولادة الآلهة؟

وتعددت الأجوبة أو محاولات الأجوبة عن هذا السؤال: فقد تمّ تصوّر إلٓهة ـ أم، ولدت جميع الألهة، آلهة السماء وألهة العالم السفلي.

إنها الإلٓهة ـ الأم مامّي[١] في قصيدة الصراع بين نينورتا[٢] والطائر أنزو[٣]، التي لقبت بسيدة جميع الألهة، وهي التي أعلنت:

«أنا هي التي ولدت جميع الإيجيجي[٤]
أنا التي خلقتهم بكاملهم،
هم ومجموعة الأنوناكي[٥]، الألهة ـ العظام،
وأنا التي منحت السيادة لإنليل[٦] أخي،
وعيّنت لآن[٧] سلطته العليا في السماء.

من النص رقم (٦٢) من هذا الكتاب لوحة أولى عمود ٤، الأسطر (٤ ـ ٨) من النص الأكادي.

---

(١) (Mammi) الإلٓهة ـ الأم البدئيه.
(٢) (Ninurta) ابن إنليل، إله الحرب.
(٣) (Anzou) الطائر الأسطوري الذي انتصر عليه نينورتا.
(٤) (Ippipi) هنا: مجموع الهة السماء.
(٥) (Anunnaki) مجموع الهة العالم السفلي.
(٦) (Enlil) سيد مجمع الألهة في سومر.
(٧) (An) إله السماء.

٢ ـ وفي النص السومري عن الأحداث نفسها، نرى أنّ أمّ الآلهة هي ماخ، أي مامّي الفائقة السمو[١]، ونينورتا هو نينجيرسو[٢]:

«أمام الإلّهين آنو[٣] وداچان[٤]
أثار آلهة الأرض مجتمعين
قضيّة سلطاتهم الإلّهية
إذن فلتعلَمْ بأنني، أنا مامّي
ولدت الإيجيجو كلّهم[٥]:
[لذلك سوف أقاتل (؟)]
ضدّ عدوّ الآلهة!
أنا هي التي مَنحتْ السيادة
لإنليل أخي وكذلك لآنو
[فمن الآن فصاعداً (؟)] هذه السيادة
التي عيّنتها لهما شخصياً
سوف أنقلها (؟) إليك [. . .]
ولكن عليك أولاً، تحويل [هذه الكارثة]
إلى نصرٍ.
أعِدِ البهجة إلى قلوب الآلهة الذين خَلقْتُهم
أدخلْ معه في معركةٍ نهائية. . .».

النص السومري لصراع نينورتا مع الطائر أنزو: اللوحة الثانية، الأسطر (٤٥ ـ ٥٤). (انظر النص الكامل تحت رقم (٦٢) من هذا الكتاب).

٣ ـ وفي أحد الابتهالات الموجهة إلى الإلّه القمر سين/ سوئين[٦] نقرأ بأن هذا الإلّه:

---

(١) (Maḫ) بمعنى السامية.
(٢) (Ningirsu) التسمية السومرية لنينورتا.
(٣) (Anu) إلّه السماء.
(٤) (Dagan) المقابل الأكادي لإنليل أُضيف بتأثيرٍ عمّوري.
(٥) (Iggigu) التسمية السومرية للإيجيجي وهم مجموعة آلهة العالم العلوي.
(٦) (Sin-Sou'en) التسمية الأكادية للإلّه القمر نانا (Nanna).

ونقرأ في نص آخر أن إلّه السماء آن[١] لقّح «كي»[٢]، الأرض ساكباً فيها ماءه المخصِب، الأمطار.

تتم ولادة الآلهة في معظم الأحيان بنتيجة اتصال جنسي، كما يحدث ذلك بين رجلٍ وامرأة. وهذا ما حصل في علاقة إنليل[٣] ونينليل[٤]. كما ورد ذلك في النص رقم (٢) من الكتاب الأول حيث نشهد إنليل بنتيجة اتصال أول يسكب في أحشائها: «بذرة ابنة سين ـ أشيمبابار»[٥] (السطر ٥٣).

ومن ثم: «بذرة نرچال ـ مسْلامتا ـ إيا»[٦] (السطر ٩٠).

وكذلك: «بذرة نين ـ آزو»[٧] (السطر ١١٦).

وأخيراً: بذرة إنبيلولو[٨] «المسؤول عن الأقنية» (السطر ١٤٢).

وجميع هؤلاء الآلهة هم أبناء الإلّه إنليل.

٤ ـ وأما الإلّه أنكي[٩] فلا يختلف عن إنليل من هذه الناحية، إذ يقول عنه النص رقم (١) من الكتاب الأول والمتعلق بإحياء بلاد دلمون، يقول عنه هذا النص:

74 «من أجل دامچال ـ نونّا[١٠] خصّص أنكي منيّه،

---

(١) (An) إله السماء.

(٢) (Ki) الأرض و (lil) الهواء.

(٣) (Enlil) سيد الهواء وهو رئيس مجمع الآلهة السومري.

(٤) (Ninlil) سيدة الهواء وهي قرينة إنليل.

(٥) (Sin-Ashimbabar) الإله القمر الأكادي وأضيف إليه لقب بابار السومري وهو لقب نانّا السومري ومعناه، ذو الشروق المنير.

(٦) (Nergal-Meslamtaéa) إله العالم السفلي.

(٧) (Nin-Azou) أحد الهة العالم السفلي.

(٨) (Enbiloulou) المكلف بالسهر على الأقنية.

(٩) (Enki) إله الخلق ومهارة الصنع السومري وهو إيا الأكادي.

(١٠) (Damgal. Nunna) لقب قرينة إيا نينخورساج.

75 وسكبه في حضن نين ـ خورساج»[١]

.... بعد ذلك ...

87 [نينتو][٢] «أم البلاد، كالزيت الناعم،

كالزيت الناعم، كالدهان الثمين،

88 ولدت نينسار[٣] «سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل»

....

100 احتوى نينسار بين ذراعيه وجامعها

101 سكب منيّه في حضنها،

102 وتلقّت في حضنها المنيّ، منيّ أنكي!

....

114 ولدت نينكورا[٤] «سيدة النبات ذات الألياف».

(انظر النص رقم (١) في الكتاب الأول)

٥ ـ وأنكي أيضاً الذي عرفته النصوص الأكادية تحت اسم إيا[٥]، كان بحكمته وحذاقته وكبير ذكائه قادراً على نزع التراب من تحت أظافره وعجنه ثمّ خلق الإلهة صَلْتو[٦] مُنافِسةً لعشتار وبعد ذلك، إزالتها من الوجود بمحض إرادته، كما ورد ذلك في قصيدة النزاع بين عشتار وصَلتو، التي ستنتشر في الكتاب الثالث.

٦ ـ ومتابعة لفكرة توالد الآلهة، مثل توالد البشر، لا بدّ من الإشارة إلى أن إضفاء الألوهية على قوى الكون الفاعلة وعلى عناصر الطبيعة تفسيراً وتعليلاً لما كان إنسان ما بين النهرين يعدّ نفسه جزءاً منه إضافةً إلى انتقال السلطة والسيادة من يد لأخرى، أو

(١) (Nin-Hursag) بمعنى السيدة الفائقة السمو وهو لقب نينتو.
(٢) (Nintu) الأم البدئية، أم الآلهة.
(٣) (Ninsar) الإلّهة الأولى التي ولدتها نينتو بالاقتران مع أنكي.
(٤) (Ninkura) الإلّهة الثانية التي ولدتها نينسار بالاقتران مع أنكي.
(٥) (Ea) المقابل الأكادي للإلّه أنكي.
(٦) (Saltu) الإلّهة التي خلقها إيا لمجابهة عشتار.

الصراع من أجلها ـ إلى أن هذا كلّه أظهر أنّ للآلهة طبيعتين ووجهين مختلفين، لشخصية مزدوجة، مادية وإلّهية.

وعلى هذا الأساس، فإن بعض النصوص، المشيرة إلى الحقائق الكونية والطبيعية وإلى أصولها، تحتوي على ما يدعم هذه النظرة، فبالتوالد، خُلق الإلّه الممثل لحيوانات الأرض حين اتحد إلّه بذئي مع الأرض ـ الأم[1]. وفي الجيل الثاني، تلد الأرض المروج والغياض، ثم يولد النهر، كما تولد في جيل لاحق سيدة الكرمة... وفي كل مرة كانت تنتقل السيادة أو الملكية، بقتل الإلّه الحاكم، السابق فالأسبق، كان يختفي حكم الإلّه أو الإلّهة السلفيْن، وتبقى بعدهما الطبيعة التي تمثلهما: تبقى الأرض أي مادة الأرض والنهر وحيوانات البراري، وتبقى المروج والغياض... وتترسّخ أسس الاهتمام بها وطقوسه.

٧ ـ ونحن نعلم أيضاً كما سيرد ذلك في قصيدة التكوين والخليقة (النص رقم ٥٥)، أن الأرض والسماء نتجتا عن القضاء على الأم ـ البدئية تيامت[2] وبناء السماء من نصفها العلوي وتدعيم الأرض بنصفها السفلي.

٨ ـ وبمجرد الاعتقاد بفكرة توالد الألهة كتوالد البشر، كان من الطبيعي محاولة سرد وتعداد أسلاف الألهة، الذين كانوا فاعلين وكانت لهم أدوارهم الكونية والطبيعية والتنظيمية. وقد تمّ لذلك تأليف النصوص المختصة بتسلسل الألهة ومحاولة العودة بهذا التعداد إلى أقصى حد تصوره عقل مفكري ما بين النهرين، أي زمن البدء. وهذا ما تمّ فعلاً، بدءاً من نهاية الألف الثالث لما قبل الميلاد حين وُضعت لائحة الألهة التي عُرفت بمطلعها «آن ـ آنوم»[3] والتي أخذت شكلها النهائي في منتصف الألف الثاني لما قبل الميلاد.

---

(١) تفاصيل هذا النص تعرض فيما بعد تحت عنوان «ولادة الالهة ومابنة دونّو»، النص رقم (٣٥) من هذا الكتاب.

(٢) (Tiamat) التي تغلب عليها الإله مردوك.

(٣) (An-Anum).

وهذه المجموعة، هي عبارة عن لائحة جدولية تعدد بالنسبة للإله ان[١] مؤسس الأسرة الإلهية الحاكمة عشرة أزواج من الأسلاف مثال «دوري - داري»[٢]، الزوج الذي يوحي أكادياً بالديمومة. وكذلك «إين - أورو - أولاّ»[٣] و «نين - أورو - أولاّ»[٤] بمعنى سيد وسيدة التجمع القديم (الأوّل). كما أن لوائح (آن - آنوم) تعدد بالنسبة للإله إنليل[٥] ٤٣ سلفاً مزدوجاً.

وهذه اللوائح، التي لا تدخل في نطاق عرضنا هذا، تحتوي على معلومات ميثولوجية مهمة بالنسبة للتكوين وولادة الآلهة.

٩ - وعن ولادة الآلهة، أخيراً، وبالإضافة إلى المقتطفات والمقاطع التي أدرجناها أعلاه نورد تحت الرقم (٣٥) النص الذي أشرنا إليه في المقطع رقم ٦ وهو: «ولادة الآلهة ومدينة دونّو».

كما نورد عن اللوحة ١٢ من ملحمة جلجامش، تحت الرقم (٣٦)، مطلعها الذي يشير إلى توزيع الأدوار بين كل من الآلهة: آن[٦] وإنليل وإيريشكيجال[٧].

---

(١) (An) إله السماء.
(٢) (Duri-Dari).
(٣) (En-Uru-Ulla).
(٤) (Nin-Uru Ulla).
(٥) (Enlil) إله الهواء وسيد مجمع الآلهة، ويمكن أن نقول عنه سيد التجمع الثاني بعد تجمع آن القديم.
(٦) (An) إله السماء وسيد التجمع الأول.
(٧) (Ereshkigal) إلهة العالم السفلي.

(٣٥) ـــ ولادة الآلهة
ومدينة دونّو(١)

١ ـ لم ينشر هذا النص إلا في عام ١٩٦٤، في المجلّد رقم ٤٦ من مجموعات النصوص المسمارية في المتحف البريطاني (اللوحتان ٣٩ و٤٠). كما خصصت لهذا النص دراسة مستقلة نشرت في مجلة قدموس البريطانية لعام ١٩٦٥ تحت عنوان: «مبحث بابلي جديد في أصل الآلهة وهيزيود»(٢).

لغة هذا النص هي الأكادية وهو منقول كما يعتقد عن نسخة تعود إلى بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد. وكان النص المشار إليه يحتوي على الأرجح حوالي ١٠٠ سطر، لم يبق منها سوى ٤٠، على وجه اللوحة التي تحمله وبقايا ٢٠ سطراً على الظهر، كما تتخلله فجوات أخرى.

٢ ـ ويروي هذا النصّ عن ولادة الآلهة أن زوج الإلَهين البدئيين هما خا ـ راب(٣) والأرض. والمعنى الأكادي لكلمة خاراب (السومرية هنا) هو المعزق أو المحراث.

ويشير النص إلى أن زوج الإلَهين البدئيين الأولين كانا يملكان محراثاً، لأنهما بضربات من محراثهما خلقا البحر وهي الابنة الأولى. وفي المرحلة الثانية من اتحادهما

---

(١) Dunnu.

(٢) (Hesiode) الشاعر اليوناني هيزيود عاش في القرن السابع ق. م وهو مؤلف قصائد «الأعمال والأيام» و «ولادة الآلهة».

(٣) (Kha-rab).

وُلد لهما ابن هو «أماكاندو»[1] إلّه الحيوانات البريّة. وفي مرحلة ثالثة أقاما مدينة دونّو، «المدينة ذات المعقلين» وأسّس فيها خاراب سلطة دونّو الأميرية منوّلياً هذه السلطة.

أما الابن «أماكاندو» فقد اتخذ أمّه الأرض قرينة له وقتل أباه خاراب ودفنه في مدينته المفضّلة دونّو، واستولى على الإمارة، كما اتخذ من أخته البحر قرينة له فولدت له «لاخار»[2] الإلّه الحامي للماشية الصغيرة وهو بدوره قتل أباه أماكاندو واتخذ أمّه البحر قرينة له، وهي بدورها ذبحت أمها الأرض في اليوم السادس عشر من شهر كيسليم (تشرين الثاني ـ كانون الأول) واستولى بذلك لاخار على السلطة ـ الأميرية ـ والملكية.

والجيل الرابع يتألف من الابن الأول لِـ (لاخار) بزواجه من أخته النهر. ويتألف الزوج الخامس، من الابن الثاني لِـ (لاخار) بزواجه من أخته (أوا ـ إيلداك)[3] التي هي المروج والغياض. وهنا تكثر المراعي وتنتشر الزرائب. ويتوقف وضوح النص الذي نحن بصدده، عند الزوج السابع، بإدخال إلّهتين هما «نين ـ جيشتينا»[4]، سيّدة الكرمة، و «خاخارنوم»[5] التي تذكر بجيشتينانا[6] أخت الإلّه دوموزي أو «بيليت ـ صيري»[7] سيدة السهوب.

٣ ـ وبدءاً من السطر ٤٠ وحتى نهاية النص، نتعرّف على أسماء آلهة آخرين مثال نينورتا[8] وإنليل[9] ونوسكو. يغلب على نصّ ولادة الآلهة ومدينة دونّو الذي نحن بصدده الطابع التأريخي، وبعيد كما يُعتقد إلى طقوس تعتمد الأشهر القمرية وهو يُسقط تاريخَ آلهة وجدوا في أزمنة البدء على الكون والطبيعة: فنلمس فيه بداية بناء المدن والاستقرار، والتحصين، والرعاية، وبداية الزراعة، وخاصة الكرمة أو الأشجار

(١) (Amakandu).
(٢) (Lakhar).
(٣) (Ua-Ildak).
(٤) (Nin-Gêshtinna).
(٥) (Khakharnum).
(٦) (Geshtianna).
(٧) (Belêt-Siri).
(٨) (Ninurta).
(٩) (Enlil).

المثمرة. ويشير النص أيضاً إلى إعلان سلطة الإمارة ثم الانتقال إلى الملكية، كما يشير إلى عادات الدفن، المدفن الواحد لكامل أجيال عائلة مالكة. ولا بد من الإشارة إلى توازي النص مع «ولادة الآلهة» لهيزيود وإلى الأساطير الحورية ـ الحثية لكوماربي[١]، أبي الآلهة الحوري[٢].

وجه اللوحة

الزوج الأول: خاراب والأرض

1 [. . .] في البدء من [. . .]

[. . .] و [. . .] سلطة الإما [رة . . .]

[. . .] المحراث [. . .]

وبضربات من محراثهما خلقا البحر

5 وولّدا باقترانهما في مرحلةٍ

[ثانية؟] أماكاندو[٣]

وفي مرحلةٍ (؟) ثا [لثة] بَنوا دونّو

(المدينة) ذات المعقلين التوأمين

وتولّى خاراب سلطة الإمارة في دونّو.

الزوج الثاني: الأرض وأماكاندو

وإذْ استدارت الأرض نحو أماكاندو، ابنها

قالت له: «تعال كي أضاجعك!»

10 فاتخذ أماكاندو عند ذلك أمه كقرينة له

وقتل خاراب، أباه،

(١) (Kumarbi).

(٢) الحوريون (Hurrites) الذين عرفهم الشمال السوري في أوغاريت، كانوا الصلة بين هذا الشمال وبلاد الحثيين.

(٣) إله الحيوانات البرية.

ودفنه في دونّو، مدينته المفضّلة،
ثم استولى على سلطة ـ الإمارة،
واتخذ (أيضاً) البحرَ أخته البكر (؟) قرينةً له.

الزوج الثالث: لاخار والبحر

15 أتى بعد ذلك لاخار(١) ابن أماكاندو
الذي قتل أماكاندو، وفي دونّو
دفنه في [قبر (؟)] أبيه
واتخذ بعد ذلك أمّه البحر كقرينةٍ له
وهي بدورها ذبحت (؟) الأرض أمّها.
20 وفي السادس عشر من شهر كيسليم(٢)
استأثر (لاخار) بالسلطة ـ الأميرية ـ والملكية.
______(٣)

الزوج الرابع: ابن لاخار الأول والنهر

ثم [. . .] ابن لاخار اتخذ، نهر
أخته كقرينةٍ له
قتل أباهُ لاخار وأمّهُ بحر
ودفنهما في [القـ] ـبر (نفسه (؟)) [. . .].
وفي الأول من شهر [. . .]
استأثر بالسلطة ـ الملكية ـ والأميرية.
______(٣)

(١) (Lakhar) إلّه الماشية الصغيرة ولو أن اسمه السومري يعني: النعجة ـ الأم.
(٢) (Kislim) شهر بين تشرين الثاني وكانون الأول.
(٣) الفواصل خطّها الناسخ على اللوحة.

الزوج الخامس: ابن لاخار الثاني وأوا ـ إيلداك

25 وابن (آخر) [. . .؟] للاخار اتخذ قرينةً له
أخته المروج ـ و ـ الغياض (أوا ـ إيلداك؟):
جعل العشب ينبت (؟) من الأرض
وملأ (بالماشية) الزرا [ئب] [(؟)]
[من . . .] و [. . .]
[. . .] من أجل حاجات الآلهة [. . .]
30 ثم قتل [. . . و] نهر، أمّه
ووضعهما [في (؟) . . .].
وفي الـ [. . .] من شهر [. . .] .
استأثر بالسلطة الأميرية والملكية.

الزوج السادس: [. . .] ونين ـ جيشتينا

[. . .] ابن (؟) [. . .] اتخذ قرينةً له
السيدة ـ كرمة (نين ـ جيشتينا) أخته
قتل [. . . أباه] والمروج ـ و ـ الغياض أمه
35 ووضعهما [في . . .]
وفي السادس عشر ـ أو العشرين من شهر [. . .]
[استأثر] بالسلطة ـ الملكية ـ والأميرية.

الزوج السابع:

[. . .] ابن خاخار نو[م]
اتخذ [. . .] أخته قرينةً له
[. . .] و، بعد الاستئثار بسلطة
أبيه الأميرية [. . .].

يلي سطران غير مقروءين يليهما كسر في أسفل وجه اللوحة يحتوي على بعض

الأسطر. وفي ظهر اللوحة، هناك نقص حوالى ٢٠ سطراً. وبقيت من النصف الأسفل، رموز بدايات حوالى ٢٠ سطراً، أمكن التعرف من خلالها على أسماء الآلهة: نينورتا في (٩ و١٦)، وإنليل في (١١ و١٤)، ونوسكو في السطر (١٢). ويشير تصنيف اللوحة في نهايتها إلى «أنّ هذا النص نُسخ وجُمع عن نسخ با [بل] واشور».

(٣٦) ـــ الآلهة: آن وإنليل وإيريشكيجال
مطلع الأصل السومري للّوحة ١٢ من ملحمة جلجامش حول العالم السفلي

نحن هنا أمام الأصل السومري للّوحة الثانية عشرة من ملحمة چلچامش تمّ تقديمه لأول مرة في عام ١٩٦٣ ويذكر مطلع هذا النص كيف أنه تمّ الفصل في أزمنة البدء بين السماء والأرض وكيف توزعت الأدوار فيما بعد بين كل من إلّه السماء آن[١] والإلّه إنليل[٢] والإلّهة إيريشكيچال[٣].

في تلك الأيام، الأيام الموغلة في القدم ـ
في تلك الليالي، الليالي البعيدة البعيدة ـ
في تلك السنين، السنين العتيقة . . .
عندما فصلت السماء عن الأرض
وفصلت الأرض عن السماء . . .
حمل آن معه السماء
وإنليل حمل معه الأرض
ومنح العالم السفلي إلى إيريشكيچال

(١) (An) إله السماء السومري.
(٢) (Enlil) إله الهواء وسيد مجمع الآلهة.
(٣) (Ereshkigal) إلّهة العالم السفلي.

(١ ـ ٢) ـ التكـــــويـــــن
في نصوص متعددة

١ ـ بعد أن أنجزت ولادة أو ولادات الآلهة، يمكننا القول، بأن هؤلاء، قاموا في مرحلة ثانية، بإنجاز أعمال تكوينية، ذكّرت بها مقاطع مختلفة من النصوص التي وصلتنا. وتعددت بذلك قصص التكوين الجزئية، كما تعددت الألهة التي نُسبتْ إليها هذه الأعمال، متراوحةً بينَ:

* الآلهة دون تحديد
* إنكي/ إيا[١]
* إنليل[٢]
* الثالوث: آنو[٣]، إنليل، إنكي

دون أن ننسى الإلّهات:

* مامّي/ ماخ[٤]
* آرورو[٥]
* بيليت ـ إيلي[٦]

---

(١) (Enki/Ea).
(٢) (Enlil).
(٣) (Anu).
(٤) (Mammi/Makh).
(٥) (Aruru).
(٦) (Bêlét-Ili) (سيدة الآلهة).

وأخيراً الإله مردوك[1]، إله بابل، الذي استأثر وحده بعملية التكوين الكاملة وسيشار إلى دوره في الخلق، في فقرةٍ لاحقة.

٢ ـ ونستعرض فيما يلي، المقاطع التي تتحدث عن التكوين بمناسبات عديدة، لم تكن غايتها في معظم الأحيان سرد قصة التكوين بحد ذاتها، بل أرادت، كما أوضحنا ذلك في تقديم هذا الفصل، أرادت العودة إلى أزمنة البدء وإلى الأصول لأسباب عديدة يعبّر عنها كل نص بمفرده.

وتتحدّث هذه النصوص القصيرة، في بداياتها، عن موضوعات مختلفة سوف نقدّمها وفق التسلسل التالي:

النصوص

(١ ـ ٢) أ ـ المنافسات .... (٣٧ ـ ٤١)

(١ ـ ٢) ب ـ الرقى .... (٤٢ و٤٣)

(١ ـ ٢) ج ـ ابتهالات وصلوات .... (٤٤ ـ ٤٩)

(١ ـ ٢) د ـ مقدمة كتاب التنجيم .... (٥٠ و٥١)

---

(١) (Marduk) إله قصيدة التكوين والخلق البابلية وسوف ترد قصّة ارتقائه وتبوئه المركز الأول بين الآلهة في النص رقم (٥٥) من هذا الكتاب.

(١ ـ ٢) أ ـ التكوين وفق مقدمات بعض المنافسات

١ ـ بين القصائد والنصوص السومرية ذات المطلع البدئي، مجموعة تتعرّض للتنافس بين كائنين لهما أدوار متكاملة أو متناقضة أو متفاوتة في سلم التقدّم في بعض الأحيان.

ومثل هذا الشكل من الإنتاج الفكري الذي لجأ إليه السومريون، يتيح المجال للتعمّق بالأدوار والمصائر، وتفهم مسوّغات وجود المخلوقات والأشياء من ضمن مساجلة، يعرض فيها كل طرفٍ مزاياه ومسوّغات وجوده، يدافع عن نفسه متعاظماً ومقلّلاً من قيمة ودور الطرف الآخر، الذي له الحقّ، هو أيضاً، في الردّ واستعمال الأسلوب نفسه. وحين تظهر الحقيقة في عمقها وتعدّد أبعادها وفي نسبيتها بنتيجة هذا السجال، يمكن أحد الطرفين كما رأينا ذلك في نص المنافسة بين الراعي والفلاح[١]، أن يقول للطرف الآخر:

«أنا وأنت أيها الراعي، أنا وأنت،
ما الذي يدفعني للتنافس معك؟ . . .»

٢ ـ لذلك فإن قصائد المنافسة، تجاوزت الشكل الأدبي المجاني، وكانت أسلوب بحث ومحاكمة عقلية. وكثيراً ما كانت تعود إلى البدء، فتروي أولاً، كيف أتى إلى الوجود المتنافسان، بنتيجة تدخّل الآلهة خلقاً وتكويناً. وكذلك كيف تمت تسميتهما،

(١) انظر الكتاب الأول، النص رقم (١١).

أي تحديد مصيرهما وفقاً لمفهوم الاسم في سومر وآكاد، وذلك قبل دخولهما المنافسة التي تسعى لشرح وإيضاح هذا المصير كي يفهمه البشر.

وبسبب عودتها إلى البدء، فإن قصائد عديدة، تفيدنا في بداياتها في سرد جزءٍ أو مرحلةٍ من مراحل الخلق والتكوين والأصول، موضوع هذا الفصل.

٣ ـ وسوف نورد تباعاً في الفقرات التالية، مقدّمات كلّ من نصوص المنافسات التالية:

- المنافسة بين الشجر والقصب — النص رقم ٣٧
- المنافسة بين الصيف والشتاء[1] — النص رقم ٣٨
- المنافسة بين حشرتين — النص رقم ٣٩
- المنافسة بين الطيور والأسماك — النص رقم ٤٠
- المنافسة بين إلّهتي الماشية والحبوب — النص رقم ٤١

٤ ـ وهناك منافسات أخرى، تحتوي هي أيضاً في مقدماتها على معلومات بدئية لا تختلف عما سنعرض ونكتفي بالإشارة إلى موضوعاتها وهي تتعلق بالمنافسة بين:

- الثور والحصان
- المعزق والمحراث
- شجرة الطرفاء وشجرة النخيل[1]
- الثعلب والذئب ثم الثعلب والكلب
- الراعي والفلاح، كما أشير إلى ذلك في الفقرة (١) أعلاه.

(١) سوف يرد في الكتاب الثالث تحت الرقم (٩٨) نص المنافسة بين هذين الطرفين من ضمن الدور التعليمي لأدب المنافسات.

(٣٧) ـ عـــرس الأرض والسمــــاء
في مقدمة المنافسة بين الشجر والقصب

المطلع الذي نعرضه هنا، يبدأ بإعلامنا، أنّ الحَدَثَ تمّ في أزمنة البدء، يوم تزيّنت الأرض كعاشقة تنتظر حبيبها، مكتسية بأبهى حللها، استعداداً لاقترانها بعريسها العالم السماوي، الذي سكب في فرجها منيّه المخصب، فولدت بنتيجة ذلك، الشجر والقصب.

ولما كان التنافس بحد ذاته لا يدخل، في مجال هذا الكتاب، إلا أننا نذكّر بأن موضوع مثل هذا التنافس بين شجرة السنديان ونبتة القصب التي تلوي وتنحني أمام العاصفة دون أن تنكسر أو تُقْتَلع... هو موضوع إحدى حكايات[1] الشاعر الفرنسي لافونتين[2] الذي يُعتقد أنه استوحاها هي وغيرها من حكاياته، عن إيزوب اليوناني[3].

1 صحن الأرض القسيح، كان متألّقاً:
وبخضوضراً كان سطحُها!
كانت الأرض الفسيحة ترتدي الفضة واللازورد.

---

(١) (Fables).

(٢) (Jean de La Fontaine) (١٦٢١ ـ ١٦٩٥).

(٣) (Esope) بين القرنين السابع والسادس ق. م. وحول ايزوب اليوناني، وذيْدَبا الهندي، ولقيان الحكيم، وكليلة ودمنة لابن المقفع، سوف يتعرّض الكتاب الثالث لعلاقة هؤلاء بحكايات الحيوانات لأهيقار الآرامي، كما سيرد ذلك في النص رقم (١٠٣) من الكتاب الثالث وفي ملحق خاص بذلك.

تبرّجت بالديوريت، بالعقيق الأحمر وبالإثمد
وببهاءٍ تزيّنت بالنباتات والأعشاب:
كم كان جليلاً مظهر الأرض!
5 لأن الأرض ذات الجلال، الأرض المقدسة
جمّلت نفسها، من أجل العالم السماوي المهيب.
وهو، هذا الإله البديع، غرس
في الأرض الفسيحة قضيبه
وسكب دفعةً واحدة في فرجها
بذرة الأبطال، الشجر والقصب،
والأرض بكاملها، مثل بقرة
وجدت نفسها مشبعة بمنيّ العالم
السماوي الغني.

(٣٨) ـ المنافسة بين الصيف والشتاء

نشهد في هذه المنافسة التي لا نورد منها سوى المقدمة ميلاد أول شتاء وأول صيف وفق البرنامج الذي تصوره الإلّه إنليل[١] لهذه الغاية. كان ذلك إعداداً للدورة المستمرة لتتالي الشتاء الرطب والمخصب والصيف المُنضِج والجّاف. وكان ذلك أيضاً في تخطيط الإلّه إنليل و تصّوره، قبل خلق البشر، لما ستكون له أهمية كبرى للإنتاج الزراعي وأعمال الريّ التي سوف يحقّقها البشر لتعميم الوفرة.

وهنا نرى إنليل، يغرس قضيبه في المنطقة الجبلية ويخصبها ساكباً فيها «هديّة العرس» فتلد هذه المنطقة التوأمين «الصيف والشتاء»، ثروة البلاد. وفي تصوّره لعملية تلقيح الجبل من قبل إنليل، كان إنسان ما بين النهرين لا يجهل أن المنطقة الجبلية هي التي تغذّي منابع دجلة والفرات في ذوبان ثلوجها وهي التي تتجمع فوقها الغيوم الممطرة التي كان إنليل «سيد ـ الهواء» يجعل أمطارها تتساقط على البلاد.

وصلنا هذا النص الذي يعود إلى بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد في اثنتي عشرة نسخة مختلفة ومتفاوتة التشويه، مكّنت من تقديم النص التالي:

---

(١) إنليل (Enlil) سيد مجمع الآلهة القديم في سومر، مدينته نفر (Nippur) ويعني اسمه السومري «سيد ـ الهواء».

برنامج إنليل لخلق الزمن الملائم وتنفيذه

1 جعل نونّامنير[1] نفسه في حالةٍ
تخوله خلق الزمن الملائم
وفي ما يتعلق بالعالم[2] الذي سيكوّنه،
أعدّ (إنليل) برنامجاً، سوف
تستفيد منه جموع البشر.
ثم مثل ثورٍ شامخ، وضع على الأرض رجله
11 إذ قرر سيد الكون
4 أن يخلق اليوم ـ الملائم ـ الفائق الخصوبة
5 والليل ـ الملائم ـ الجزيل الوفرة.
ولكي يجعل الكتّان ينمو كثيفاً وينشرَ
الشعير في كل مكان،
لكي يضمن حدوث الفيض على جميع الضفاف،
وينشر الخصب [. . . .]،
بحيث يجبسُ الصيفُ الأمطار
10 وبحيث يزوّد الشتاءُ الضفاف بالماء المخصب،
12 لذلك عمد (إنايل) إلى غرس قضيبه
في المنطقة الجبلية الرحبة،
وقدّم لقمّة الجبل «هديته»[3].
حبلت قمّةُ الجبل بالصيف والشتاء، ثروة البلاد.
والمكان الذي غرس فيه إنليل قضيبه
جعله مثل الثور، يخور لذّة!

---

(١) (Nunnamnir) لقب الإله إنايل.
(٢) المقصود هنا هي بلاد ما بين النهرين.
(٣) أي هدية العرس.

15 على الجبل، ودونما حركة، قضى نهاراً بكامله
وركب القِمة أيضاً ليلة كاملة:
وهكذا وكما يُستخرج الزيت الناعم،
جعل قمة الجبل تتمخّض بالصيف والشتاء،
وقد تركهما مثل عجلين أرْخُصَينْ،
يقضمان عشب الجبال،
حتّى أنهما ازدادا سمنة، وأصبحا قويين،
بغذاء المراعي الجبلية.
[...]

(٣٩) ـ مقدمة المنافسة بيـــن حشرتين

المتنافسان هما حشرتان يصعب التعرف عليهما، ويعتقد أنهما حشرتان منزليتان إحداهما قد تكون عنكبوتاً. وما يهمنا هنا هو دور الألهة في خلق هاتين الحشرتين. وقد وصلنا النص في نسختين، نُقل كل منهما خلال الألف الأول لما قبل الميلاد عن نص أصلي.

نشرت إحدى هاتين النسختين في اللوحة رقم ٣٤ المحفوظة في المتحف البريطاني وقد أمكن رغم التشويه تتبع البداية التي تهمنا. وهنا أيضاً نرى مجمع الألهة مهتماً بإقرار وبرمجة التكوين والخلق ضمن مجلس استشاري، ليقوم بعد ذلك من هم مكلفون بالتنفيذ من الألهة بعملية الخلق.

ونشهد هنا ذكر عملية تكوين(١) السماء والأرض وتشكيل(١) قبّة السماء الزرقاء وجعل الحيوانات والحشرات تظهر(١) إلى الوجود. ونرى بعد ذلك الإله إيا(٢) يكمل عملية الخلق هذه بإيجاد الحشرتين خمانيرّو(٣) وإيشقافيصو(٤) موضوع المنافسة:

١ عندما قام الألهة (المجتمعون) في مجلسهم

بتكوين [السماء والأرض]

---

(١) الأفعال: كون وشكل وأظهر... المرتبطة بعملية الخلق والتكوين سوف نعود إلى استعمالاتها الأكادية في مجال اخر.

(٢) إيا (Ea) إله الذكاء ومهارة الصنع.

(٣) (Hamanirou).

(٤) (Isqalisou) تسميتان توحيان بمنافسة قد تكون هزلية وساخرة بين الحشرتين.

وتشييد القبة الزرقاء، وتثبيت [التربة؟. . .]
أظهروا إلى الوجود الحيوانات [. . .]:
الحيوانات ـ الضخمة الوحشية والحيوانات البرّية
والحشرات البرية.
5 وبعد أن (حدّدوا) لتلك الحيوانات [. . .]
خصّصوا؟ المجال؟ للدواب والحشرات
المألوفة [؟]
[من بين جميع] (؟) الحشرات [المجمو]عة
الخليقة بكاملها [. . .]
[«. . .] التي [. . .] بين مجموع عائلتي
[. . .] !»
عندما سمع ذلك؟ نينشيكو[١] خلق؟
عندئذٍ؟ كائنين صغير[ين]
10 وجعلهما شهيرين بين جميع الحشرات
[؟]:
[. . .] خمانيرّ [و . . .]
و [. . .] إيشقافيصو [. . .]
[. . .] إيشقافيصو و [خمانيرّو، تجابها؟].
يلي خطّ أفقي على اللوحة يفصل المقدمة عن بداية المنافسة.

(١) (Nin-Šiku) لقب الإلّه إيا (Ea) لا يعرف معناه (سيد ـ شيكو؟).

(٤٠) ـ مقدمة المنافسة بين الطيور والأسماك

هنا أيضاً، يعود النص إلى أزمنة البدء، قبل التعرّض لموضوع المنافسة بين الطيور والأسماك، الطيور التي تملأ منابت القصب والأسماك التي تضع في الأهوار بيوضها.

الآلهة العظام، هم الذين قرروا برنامج الخلق وتنفيذه بواسطة إيا[1] إله مهارة الصنع الذي نظّم في البلاد توزيع المياه وحدّد أماكن السكن. كما نظّم منطقة الأهوار في الجنوب من البلاد وجهّزها بالأسماك والطيور وقرر مصير ودور كل منهما.

يعود هذا النص الذي وصلنا في أربع أو خمس نسخ مشوّهة، إلى الألف الثاني لما قبل الميلاد. وعالم السومريات كرامر[2] هو الذي نقل هذا النص السومري في عام ١٩٦٤ ونشره. ونقدّم هنا مقدمته البدئية التي تهمّ موضوعنا.

1 عندما [في الأزمنة الموغلة في القدم]،

تمّ إقرار مصير ملائم،

وعندما وضع [أن وإنليل[3]]

مخططهما المتعلق بالكون،

---

(١) (Ea) إله الذكاء ومهارة الصنع والمياه العذبة.

(٢) (S.N. Kramer).

(٣) (An): إله السماء. (Enlil) إله الهواء.

[نوديمّود[1] الأمير النبيل (؟)]، سيد الذكاء،
[أنكي[2] الإلّه (؟) الذي يقرر] المصائر،
تدخّل للتنفيذ

5 فجمّع مياه جميع المناطق
ووزع مواضع الأماكن القابلة للسكن!
جلب بيديه المياه المحيية
التي سوف تنتج البذور الفائقة الخصوبة
جَلَبَ معه دِجْلة والفرات
وجعل المياه ترفدهما من كل صوب؛
نظّف أقل الأقنية أهمية
وحتى أنّه حفر مجاري الريّ!
نشر أنكي المبجّل الحظائر والزرائب
مُعَيِّناً لها الرعاة والبقّارين.

10 أسّس في البلاد، المدن والقرى
وجعل فيها الرؤوس ـ السوداء[3] تتكاثر:
ولرعايتهم، منحهم مَلِكاً
نصّبه على رأسهم، كأمير لهم
وجعله يشع في كل مكان، مثل
نور لا ينطفىء.
بعد ذلك نظّم أنكي منطقة الأهوار:
جعل أصول القصب العتيقة،
ونبتات القصب الغضّة تنمو فيها؛
زوّد المستنقعات والأهوار

---

(١) و(٢) (Nudimmud): لقب الإلّه (Enki) إلّه المياه العذبة ومعناه الذي هو مختص بالخلق ومهارة الصنع.

(٣) لقب سكان ما بين النهرين.

بالأسماك والطيور

15 جاعلاً منها غذاء كل ما هو حيّ (؟)

وخصّصها [لمائدة] الآلهة المتسعة.

بعد أن قام نوديمّود، الأمير النبيل

سيد الذكاء،

بتشكيل [. . .]

وملأ منابت القصب والمستنقعات

بالأسماك والطيور

20 عيّن لكل منها مكانه

ولقّن كلاً منها دَوْرَه . . .

(٤١) ـ المنافسة بين إلَهتي الماشية والحبوب

في هذا النص البدئي الذي يمثّل مقدمة المنافسة بين إلَهتي الماشية والحبوب، نتعرف أولاً على ما كانت عليه حالة الآلهة الأنونا[١] الذين خلقهم إله السماء آن[٢] على جبل ـ الكون، الجبل ـ المقدس، وذلك قبل خلق إلَهتي الماشية والحبوب.

سبق أن أشرنا إلى خلق هاتين الإلَهتين في النص (رقم ٧) من الكتاب الأول وإلى قرار الإلَهين إنليل[٣] وأنكي[٤] بإنزالهما إلى الأرض الفسيحة من على الجبل ـ المقدّس، بعد أن نفخ الأنونا في البشر نفسَ ـ الحياة، كما يتضح ذلك من مضمون النص.

وهذه المقدمة للمنافسة التي نحن بصددها تكمّل وتوضّح النص رقم (٧) المشار إليه أعلاه وتفيدنا في التعرف على أن الإله (آن) هو الذي خلق الأنونا، وكان ذلك، قبل خلق إلَهة الحبوب «أشنان»[٥] والنعجة ـ الأم «لاهار»[٦]. كما يصف الحياة البدائية التي كان يعيشها الآلهة على الجبل ـ المقدس وهم يجهلون الزراعة وتربية الماشية. وبالتالي لا يعرفون الكساء.

وحتى أنهم بعد أن تعلّموا على الجبل المقدس، إنتاج واستهلاك حبوب المزارع

---

(١) (Anunna) مجموعة الآلهة.
(٢) (An).
(٣) (Enlil) سيد مجمع الآلهة في سومر.
(٤) (Enki) إلَه الذكاء ومهارة الخلق.
(٥) (Ashnan) الإلَهة الممثلة للحبوب تقابلها سيريس (Cerès) اليونانية.
(٦) (lahar) إلَهة المواشي ترمز إليها النعجة ـ الأم.

وشرب حليب الحظائر، لم يكن ذلك كافياً لأنهم لم يكونوا يشبعون ولا يرتوون.
ولذلك قرروا منح الحياة إلى البشر وطلبوا من أنكي وإنليل إنزال النعجة ـ الأم والحبوب إلى الأرض وهكذا عرف البشر تربية الماشية والزراعة وبتكاثرهم تكاثرت التقدمات وملأت البهجة قلوب الآلهة.

يعود النص الذي نثبت في ما يلي، إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد وبقيت سبعة أجزاء منه دون ترميم وترجمة حتى عام ١٩٨٩. ولم يتم نشره كاملاً حتى هذا اليوم.

لدى ظهور الآلهة الأنونّا لم تكن هناك حبوب ولا ماشية:

1 عندما قام أن، على جبال ـ الكون
بخلق الأنونّا،
لم يأتِ إلى الوجود في الوقت نفسه بالحبوب
(أشنان) ولم يجعلها تظهر
كما لم ينتج بعد في البلاد خيوط أوتّو[1]
5 ولم يعدّ لها نوْل الحياكة (؟)
النعجة ـ الأم هي أيضاً لم تكن موجودة بعد
ولم تكن الحملان تتكاثر؛
العنزة ـ الأم لم تكن موجودة
والجديان لم تكن هي أيضاً تتكاثر:
لم تكن هناك أية نعجة لكي تضع حمليْها؛
ولم تكن هناك أية عنزة لكي تلد جديانها!
10 ذلك أن الأنونّا، الآلهة العظام، كانوا
يجهلون الحبوب ـ السخنية والنعجة ـ الأم،

(١) (Uttu) إلهة النسيج السومرية، والخيوط هنا تشير إلى الكتان وفقاً لنص اخر.

لم يكن هناك حبٌ ولا شيغوسو[١]،
«الثلاثين يوماً
ولا الأربعين
ولا الخمسين يوماً»
15 كما لم يكن موجوداً «الحَبُّ الصغير» ولا
«حبّ الجبال» ولا «حبّ المدينة (؟)»
وبما أن «أوتّو» لم تكن أتت إلى الوجود بعد،
لم تكن هناك ألبسة للاكتساء
حتى أن المآزر لم تكن تُلْبَس!
{كما لم يكن أتى إلى الوجود أيضاً
السيد نيمجيرسي[٢] ولا السيد كالكال}[٣]]
وشاكان[٤] لم يكن بعد قد توزّع في السهوب.
20 كذلك، فإن مخلوقات[٥] تلك الأزمنة الموغلة في القدم
لم يكونوا يعرفون أكل الخبز
ولا يعرفون تغطية أجسادهم بالكساء:
كانوا يمضون ويعودون بكامل عريهم
يتغذّون بالأعشاب، كما يفعل الخرفان
25 ولا يرتادون سوى مياه المناقع.

---

(١) (Shegusu) هكذا وردت في النص ولم يفسر معناها.
(٢) (Nimgirsi).
(٣) (Kalkal) هما إلّهان ثانويان في خدمة الإلّه إنليل وليس من المفهوم سبب الإشارة إليهما هنا. ويعتقد أن وجودهما، هو تحشية في النص.
(٤) (Shakan) تسمية تشير إلى جميع القطعان الوحشية والأليفة.
(٥) التعبير السومري المستعمل، يعني «مجموع البشر» أو «البشرية» ويستغرب ذكر البشر في هذا الموقع من النص، وهم الذين سوف يُشار إلى خلقهم في السطر ٣٧. ويمكن التساؤل عمّا إذا كنا هنا أمام آلهة ثانوية بدئية خلقها آن أم أمام بشرٍ ذوي طبيعة علوية كانوا يعيشون مع الآلهة العظام على الجبل المقدس، قبل خلق البشر على الأرض. ولذلك فضلنا استعمال تعبير «مخلوقات» تلك الأزمنة...

الآلهة يخلقون النعجة ـ الأم والحبوب

عند ذلك، وفي مكان ولادتهم
في مقرّهم على الجبل المقدس،
(عند ذلك) خلق الآلهة النعجة ـ الأم والحبوب
وأدخلوها إلى قاعة طعامهم السامية!

لم يتوصل الأنونا إلى انتاج كفايتهم من الطعام فخلقوا البشر

30 وهكذا، فإن أنونّا الجبل ـ المقدس
استهلكوا بكثرة نتاج
النعجة ـ الأم وكذلك الحبوب
ولكن دون أن يشبعوا منه.
وأنونّا الجبل ـ المقدس
شربوا الحليب اللذيذ من حظيرتهم المجيدة
35 ولكنهم لم يثملوا به: ولذلك
ففي حظيرتهم المجيدة ومن أجل مصلحتهم هم،
منحوا البشر نَفَس ـ الحياة[١].

أنكي وإنليل يضعان النعجة ـ الأم والحبوب تحت تصرف البشر

عندئذ، قال أنكي لإنليل:
«أي إنليل الموقر، النعجة ـ الأم والحبوب
هي منذ الآن حاضرة على الجبل ـ المقدس،
40 دعنا ننزلها على (الأرض)!»
وهكذا، وبناء على أمر أنكي وإنليل
فإن النعجة ـ الأم والحبوب

---

(١) «وجبل الرب آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيّة» (تكوين ٢: ٧).

نَزَلت على الأرض منذ الجبل ـ المقدس!

(نستكمل هذا النص عن مصدر آخر):

أنكي وإنليل يعدّان لاهار[١] وأشنان[٢] لتنفيذ مهمتهما:

وبناء على الأمر المقدس الصادر عن أنكي وإنليل
نزلت لاهار وأشنان من الجبل ـ المقدّس.
من أجل لاهار (النعجة ـ الأم) أقام إنليل
وأنكي الحظيرة؛
وبكثرة قدّما له هدية النباتات والأعشاب.
ومن أجل أشنان أشادا بيتاً
كما قدّما لها هديّة النير والمحراث.

نتابع هنا ما ورد في النص رقم (٧) من الكتاب الأول:

41 تمركزت لاهار في حظيرتها
وكراعيةٍ جعلت القطيع يزداد أهميّةً
كما استقرت أشنان قرب حاصلاتها
كامرأة فتية لطيفة وجذّابة!
45 وهكذا تمكنتا من إنتاج
الوفر الآتي من السماء [. . . .]
47 ومن أجل الجموع الغفيرة، حققتا الكثرة،
وجلبتا إلى البلاد الحياة.
فحقّقتا العجائب الخارقة
50 وكثّرتا على هذا الشكل احتياطات التخزين!
[. . .]

---

(١) (Lahar) النعجة ـ الأم وهنا إلَهة المواشي.
(٢) (Ashnan) هنا إلَهة الحبوب.

62 حتى إلى بيت الفقير الممتلىء بالغبار
دخلتا جالبتين إليه الوفر!
وكلتاهما، أينما كانتا
65 تمنحان كل بيتٍ رخاءً متزايداً:
وأينما وجدتا، تُشبعان! أينما
وجدتا، تجزلان العطاء،
وبذلك أبهجتا قلب كلٍ من آن وإنليل.

(١ ـ ٢) ـ ب ـ التكوين في مقدمة بعـــض الرُّقيـــات

١ ـ في رقيات أو تعويذات أكادية اللغة، غايتها التخلص من ألم أو شفاء مرض، كان يعود الراقي إلى أزمنة البدء، ليروي كيف أتى إلى الوجود مسبّب هذا الألم أو هذا المرض، وذلك للتمكن من استئصاله بالعودة إلى أصله وإلى قدرة الإلّه الذي أوجده وحدّد مصيره، طالباً منه التدخل من أجل ذلك. ومساعداً على تدخّله، بتلاوة رقيته.

وسوف نورد فيما يلي مثلين يتعلق الأول بالتدخل لإزالة ألم الأسنان ويروي الثاني كيف أتت إلى الوجود حبّة الشعير لشفاء شُعيرة الجفن (شحّاذ الجفن).

٢ ـ ونشهد نوعاً من الخلق التسلسلي غير المرتبط بالاتصال الجنسي كما ورد آنفاً في النصين السومريين (٣٧) و (٣٨). ونجد هنا الإلّه يطلق عملية الخلق التي تستمر بدءاً من المخلوق الأول الذي يخلق بدوره المخلوق الثاني والثاني يخلق الثالث، وهلم جرّاً، حتى الوصول إلى مسبب المرض أو الألم المراد إزالته والتخلص منه. ولا بد هنا من الإشارة إلى أن المتدخّل ويشير إليه باللغة الأكادية تعبير «أشيفو» أو الشافي كان لا يكتفي بالرقية أو التعويذ بل كان يتدخل «طبيّاً» كما سنرى ذلك في ما بعد.

(٤٢) ـ رقية لطرد وجع الأسنان واستئصاله

شبّه سكان ما بين النهرين في سومر وأكاد، عصب الأسنان حين يبدأ الوجع، بدودة استقرت «بين السن واللثّة»، لتنخر تدريجياً السنّ المريض وتمتصّ دم اللّثة.

ولكي يتمكن «الشافي» من استئصال العصب وقبل استعماله دبّوساً للإمساك «بشفة» الدودة، فعليه تلاوة قصّة أصل الدودة بالرجوع إلى خلق السماء والأرض والأنهار والسواقي وصولاً إلى الحمأة التي خلقت بدورها الدودة. ويروي النص كيف أن الدودة جاءت لتبكي أمام الإله شمش[١] كما أسالت دموعها أمام الإلّه إيا[٢] طالبة منه أن يحدد لها ما يجب امتصاصه كغذاء. ولكنها، إذ ترفض كما قرر لها إيا أن تمص ثمرة التين الناضجة أو ثمرة المشمش، لتطالب بأن تستقرّ بين السن واللثة... وتنجح في مخالفتها على ما يظهر.

كانت دودة وجع الأسنان معروفة منذ حوالي عام ١٨٠٠ ق. م بدلالة العثور على نسختين ترويان كيفية التخلّص من هذا الوجع، كُتبتا باللغة الحورية[٣]، وهما من مكتشفات مدينة ماري[٤] التي تعود إلى الفترة البابلية القديمة. أما النص الذي نقدمه في ما يلي وهو الأكمل، فإنه يعود إلى الألف الأول ق. م.

---

(١) (Shamash) إلّه العدالة ترمز إليه الشمس.

(٢) (Ea) إله الخلق ومهارة الصنع.

(٣) اللغة الحورية (Hurrite) لا تزال صعبة الفهم ولم يستكمل حل كافة رموزها حتى اليوم.

(٤) (Mari) تل الحريري على الفرات قرب البوكمال في الأراضي السورية.

1 عندما خلق آنو[١] السماء

وخلقت السماء الأرض،

فخلقت الأرض (بدورها) الأنهار،

وخلقت الأنهار السواقي،

5 خلقت السواقي الحمأة،

الحمأةُ خلقت (بدورها) الدودة

جاءت الدودة باكيةً أمام شمش[٢]

وأمام إيا، سالت دموعها:

ـ «ماذا تعطيني لآكل (قالت)؟

10 ماذا تعطيني لأمصّ؟»

ـ «أُعطيكِ ثمرة التين الناضجة

(أجاب إيا) أو ثمرة المشمش»

ـ «أنا لا تهمني ثمرة التين الناضجة

أو ثمرة المشمش!

15 أحرى بك أن تجعلني أستقرّ

بين السن واللثة،

لكي أمتصّ دم السن

وأقضم تدريجياً

اللثة».

20 (المعالجة): أغرز (عند ذلك) الدبوس

والتقط به شفة الدودة (قائلاً):

«بما أنك تكلمتِ هكذا، أيتها الدودة

فليضربكِ إيا بعزم قبضته!».

---

(١) (Anu) إله السماء وهنا خالق السماء.

(٢) شمش (Shamash) إله العدالة.

العنوان: وَصْفة ضد وجع الأسنان

25 الطقس المرافق: اخلطْ ـ بعناية جعة؟ بيلليتو[1]

وقطع ناتشة وزيت.

(ثم) اتلُ على هذه اللّزقة ولثلاث مرات

الرقية (أعلاه) قبل وضعها على السن المصاب.

التعريف: نسخة منقولة عن لوحة قديمة...

نص آخر لرقية مختصرة

حول الموضوع نفسه وصلتنا نسخة مختصرة جداً، تنتقل مباشرة من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى الدودة. وكان على الشافي تلاوتها، كما تشير نهاية الرقية إلى تسمية مرض الفم[2] الذي يُراد شفاؤه والذي كانت الدودة مسؤولة عنه. وهذا النص هو التالي:

ألا[3] خلق آنو، آنو خلق مجموعة السماء

والسماء خلقت مجمل الأرض والأرض خلقت الدودة.

---

(١) (Billetu) نوع من الجعة.

(٢) (بؤ شانو) (bu'-Shanu).

(٣) (Alla) أو ألالا (Alala) اسم إله يعتبر جدّاً بعيداً للإله آنو.

(٤٣) ـ رقية لشفاء
شُعيرة الجفن

«شحّاذ الجفن» أو شُعيرة الجفن، هو تدمّل يظهر في الجفن على شكل حبّة الشعير. لذلك فإن الرقية التي نحن بصددها، تعود إلى أزمنة البدء لتروي كيف ظهرت إلى الوجود حبّة الشعير التي استفادت من لحظةٍ لعدم انتباه الآلهة لكي تقفز إلى العين وتستقر في الجفن. وفي رواية القصة على هذا الشكل ما يلمّح ضمناً إلى مسؤولية الآلهة بسبب غفلتهم البدئية مما يحثّهم على التدخل لشفاء هذا المرض.

لدينا، حول حبّة الشعير روايتان، تروي كل منهما على طريقتها، قصة حبة الشعير هذه، عندما أتت إلى الوجود. وقد عثر على النسخة الأولى في مكتبة آشور ـ بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م).

أما النسخة الثانية وهي أكثر تفصيلاً فإنها تعود إلى الفترة البابلية القديمة (حوالى ١٧٠٠ ق. م) وهي تتضمن تدخل الشافيات السبع، بنات آن واستعمالهن ماء البحر المقدّس لشفاء الشعيرة.

نسخة مكتبة آشور بانيبال

1 في البدء، وقبل أن يُعيّن (للعالم) شكله،
هبط على الأرض نشيد ـ العمال[1]:

(١) العمال هنا هم الآلهة الذين كانوا مكلفين بأعمال السخرة قبل خلق الإنسان.

(عند ذلك) وَلَّد المحراثُ الثلمَ، والثلمُ
ولّد البذرةَ والبذرةُ الساقَ؛ والساقُ
العقدةَ، والعقدةُ السبلةَ، والسبلةُ
حبّة الـ [شُعيرة].
كان شمش[1] يقوم بالحصاد وسين[2]
يجمع (الحزمات)
و (إذْ) كان شمش يقوم بالحصاد وسين
يجمع (الحزمات)
5 دخلت الشُعيرة إلى عين الإنسان ـ أي
شمش وسين، ساعداني لكي
تختفي الشعيرة! [تلك هي الرقية التعويذية]
العنوان: [رقية] لإزالة الشُعيرة
من داخل العين.

النسخة الثانية، الأقدم

1 (لم يكن آنذاك) كما يُروى، غير الأرض. والأرض
ولدت الوحل،
والوحلُ
ولد الساق؛
5 والساق ولدت
السبلة،
وولدت السبلة
الشُعيرة.

---

(١) (Shamash) الإلٰه الشمس.
(٢) (Sin) الإلٰه القمر.

(إلا أنه) كما يُروى، ففي حقل إنايل[١]

10 (الذي كان) مربعاً

بمساحة سبع بورات[٢] من الأرض الزراعية،

سين،

كان يقوم بأعمال الحصاد

وكان شمش يشرف على جمع (الحزمات)

15 (عند ذلك) كما يُروى، دخلت

الشعيرة

عين الإنسان -

من عسايَ أرسل،

ومن سوف أكلّف

20 (للتوسط) لدى السبعة، بنات آنو السبعة،

لكي يأخذْنَ

وعاءهن من العقيق الأحمر،

وقارورتهن من الخلقيدونية[٣]

لملئهما

25 بماء البحر

المقدّس

و (بذلك) جَعْل الشُعيرة

تغادر عين الإنسان[٤].

---

(١) (Enlil) إلّه الهواء وهنا فلاح الآلهة.

(٢) البور (Bur) بمساحة ٤٥ هكتاراً.

(٣) نوع من بلّورات السيليس، حليبي المظهر وذو لون خفيف.

(٤) يعني ذلك أن الشُعيرة كانت منذ ذلك الوقت تعالج بماء البحر وأن المعالجة كانت من اختصاص بنات آنو.

(١ ـ ٢) ج ـ التكوين وفق مقدمات بعض الابتهالات والصلوات

١ ـ في هذه المجموعة من النصوص القصيرة إشارات مختلفة إلى أعمال تكوينية بمناسبة ترديد بعض الصلوات والابتهالات التي كانت ترافق طقوس إعادة بناء معبد قد تداعى أو بمناسبة وضع أجرّة الأساس لبناء معبد أو لتأسيسه.

٢ ـ كما أن هناك نصّاً آخر يشير رغم التشويه إلى خلق السموات وتنظيم سير وحركة هذا الجزء السماوي من الكون. كما يشير ابتهال أخير، يتوجه إلى النهر الإلّهي في دوره الخلاّق، بعد أن حفر الآلهة مجراه وتابع بدوره نشر الغنى على ضفافه وكانت حكمته تعطيه، بوصفه قاضياً[١]، حق محاكمة البشر في مياهه التي تظهر الحق أو تبتلع الشر.

٣ ـ نورد هذه المجموعة من النصوص في ما يلي تحت الأرقام (٤٤ ـ ٤٨):

---

(١) النصوص الأوغاريتية هي أيضاً تلقب النهر بالقاضي.

(٤٤) ـ من مطلع صلاة لمناسبة إعادة بناء معبد

١ ـ لدى تداعي أي معبدٍ مخصّص لإله، كان ينتج عنه في اعتقاد السومريين والأكاديين هجر الإله لمعبده وبالتالي هجره للمدينة التي هو حاميها. وتداعي وانهيار المعبد، كان يستوجب النّدبَ والنواح من قبل المكلّف بمرافقة طقس الترميم أو إعادة البناء وتلاوة الصلاة الملائمة لمثل هذه المناسبة. والنّدّاب، وهو «الكالو»[١] بالأكادية هو الذي يتدخل أيضاً لدى استخراج آجرّة الأساس القديمة للمعبد المنهار ووضعها في مكان سرّي وذلك قبل تخصيص آجرّة أساس المعبد الجديد. وعند ذلك كان على «الكالو» تلاوة الصلاة التالية التي لم يصلنا منها سوى مطلعها والطقس المرافق لها.

٢ ـ وهذه الصلاة تبدأ بالتذكير بزمن البدء وبتكوين النصفين المتناظرين: السماء (الفوق) وما يقابلها مما هوَ (تحت) وهنا «الأبسو»[٢] لأن المتدخلَيْن في عملية التكوين هما إله السماء آنو[٣] والإله إيا[٤] إله الخلق ومهارة الصنع ومقرّه الأبسو.

٣ ـ ويخبرنا هذا النص، كيف أن الإله آنو خلق السماء مقراً له. وأن الإله إيا خلق

---

(١) (Kâlu) وما يقارب كلمة كالو باللغة العربية، هو تعبير أكلّ البكاء بصره، أي جعله كايلاً؛ والكلال بمعنى الإعياء؛ ومصدر الكَلّ بمعنى المصيبة. ونعتقد أن عادة «حائط المبكى» بالنسبة لمعبد أورشليم، تجد هنا مصدرها. ولا ننسى طبعاً «البكاء على الأطلال» الجاهلي، حين كان يزول «معبد» الحبيبة.

(٢) (Apsu) محيط المياه الباطنية.

(٣) (Anu) إله السماء.

(٤) (Ea).

بدوره مقره الأبسو، ومن صلصال الأبسو وقدرة إيا على الخلق، نشهدُ عملية خلق مجموعةٍ من الآلهة الثانويّين الذين سيعهد إليهم، في تكوينٍ يدور حول مركزية المعبد الأول، أي مقرّ إيا في الأبسو، وفي ما بعد في المعابد الأخرى، يعهد إليهم، بأعمالٍ ومهام مرتبطة بتجديد بناء المعابد وبتنفيذ أعمال البناء وأعمال الإنهاء والإشراف على إعداد التقدمات وإقامة الطقوس والاحتفالات في المعابد.

٤ ـ وبالطبع، فإن مواد البناء تم توفيرها عبر خلق الأبسو مصدر الصلصال لصنع الآجر، وكذلك المقاصب وغياض الشجر. كما تمّ توفير انتظام التقدمات في المعابد عبر خلق الجبال والبحار والماشية والحبوب التي تتميز بإنتاجها الغزير من أجل إمداد الآلهة. وكل ذلك تمّ في كونٍ أسطوري إلّهي، ثمّ عُمِد إلى خلق الملك لتموين معابد الأرض وخلق البشر لتعميم الرخاء والكثرة على الأرض.

٥ ـ أما عن الطقس المرافق لإعادة البناء فيمكن الاطلاع على وقائعه في الفصل الثاني من هذا الكتاب لمناسبة تقديم موضوع المراثي.

.. [. . .]

24 عندما خلق آنو السماء

25 وخلق نوديمّود[١] الأبسو، مقره،

استخرج إيا من هذا الأبسو حفنةً من الصلصال

وخلق الإله كولا[٢] للإشراف على

تجديد [المعابد]؛

(ثمّ) خلق المقاصب وغياض الشجر (لتلبية احتياج)

مهمة بنائها

29 (ثمّ) خلق الآلهة نين ـ إيلدو[٣] ونين سيموج[٤]

وآرازو[٥] لأعمال إنهاء [بنائها]؛

---

(١) (Nu-dim-mud) لقب الإله إيا ومعناه المكلف بالخلق والصنع.

(٢) (Kulla).

(٣) (Nin-Ildu).

(٤) (Nin-Simug).

(٥) (Arazu).

31 (ثمّ) خلق الآلهة جوشكين - باندا[1] ونين - أجال

ونين - زاديم[2] ونين - كوّرا[3] [لتنفيذ] الأعمال فيها؛

30 (ثم) خلق الجبال والبحار من أجل [. . .] كل [. . .]،

32 ومن أجل [. . .] إنتاجها الغزير بالتقدمات - الغذائية

33 (ثم) خلق الآلهة أشنان[4] ولاهار[5] وسيريس[6]

ونين - جيزّيدا[7] ونين - سار[8] وآ [. . .]

لإنماء الدخل المنتظم في (المعابد)؛

35 (ثمّ) خلق أومون - مو - تام - كو[9] وأومون -

مو - تام - ناج[10] للإشراف على إعداد التقد[مات]

(ثم) خلق كو - سو[11]، الحبر الأعظم المكلف من قبل

كبار الآلهة بإقامة الطقوس [والاحتفالات (في المعابد) (؟)]

(ثم) خلق الملك، لإمداد [معابد الآلهة ([؟])]،

(وأخيراً)، خلق البشر لتنفيذ [. . .]

[. . .] آنو، إنليل وإيا[12] [. . .]

. . . . .[13]

---

(١) (Gushkin-banda).

(٢) (Nin-Zadim).

(٣) (Nin-Kurra).

(٤) (Ashnan) إلٰهة المواشي.

(٥) لاهار (lahar) إلٰهة الحبوب.

(٦) (Siris).

(٧) (Nin-Gizzida).

(٨) (Nin-Sar).

(٩) (Umun-mu-tam-ku).

(١٠) (Umun-mu-tam-nag).

(١١) (Ku-Su).

(١٢) الآلهة (Anu, Enlil, Ea).

(١٣) يمكن التعرف على التعليمات المعطاة للكالو بمناسبة إقامة طقوس إعادة البناء بالرجوع إلى النص رقم (٦٩) من هذا الكتاب.

(٤٥) ـ عن صلاة لإعداد آجرّة الأساس لبناء معبد

في هذا المقتطف التكويني العائد لطقوس الإعداد لوضع آجرة ـ أساس المعبد، والتعاويذ التي ترافقها، يذكّر النص بالتدخل البدئي لثالوث الآلهة العظام: آنو، إنليل، وإيا[١] الذين «صمّموا» السماء والأرض[٢] ثم أعدّوا لأنفسهم مقرّاً مبهجاً وأحبّوا هذا المقر. وخلافاً لما ورد في النص السابق رقم (٤٤) فإن هذا المعبد الأول البدئي لم يشيّد ضمن كون أسطوري، بل في عالم البشر وكان بمثابة المركز الذي انتشرت حوله البلاد (ما بين النهرين). كما أن هناك إشارة لدور الملك في مرحلةٍ عَرِفَتْ ضمناً خلق البشر وحدّدت لهم دور «الخدمة ـ الغذائية» تجاه الآلهة.

وفي مقاطع النص التي تشير إلى طقوس إعداد ووضع آجرّة الأساس، والتي لا تدخل في مجال هذا العرض، نذكّر بأن هذه الطقوس كانت تتم بحضور الآمر ببناء المعبد، الملك أو من يمثله وتشمل إعداد تماثيل صغيرة من المفروض لها أن تمثل هذا الأخير، كانت توضع مع الأجرّة لدى القيام بعملية التعويذ المرافقة وتلاوة الصلاة الخاصة بذلك.

[...] ....

71 عندما قام آنو، إنليل وإيا «بتصميم»

السماء والأرض

---

(١) الثلاثي (Anu, Enlil, Ea).

(٢) التعبير الأكادي المستعمل والذي يترجم عادةً بـ «خططوا» أو «صمموا» هو حرفياً «أخاذو» (Ahāzu) بمعنى أخذوا على عاتقهم...

ابتدعوا طريقةً ماهرة لتأمين ـ قوت
الآلهة :
أعدّوا لأنفسهم في البلاد مقراً مبهجاً،
ودَخلَ (؟) الآلهةُ هذا المقرّ: معبدهم
الرئيسي!
(ثم) (كلّفوا (؟)) الملك (بمهمّة) (؟) (تأمين)
دخلٍ ـ مستمر يلائم اختيارهم،
(كما) فرضوا الخدمة ـ الغذائية تأميناً لطعام
الآلهة المختار.
وأحبّ الآلهة مقرّهم (هذا)
(وبذلك) وضع الآلهة يدهم على (ما أصبح)
البلد الرئيسي للبشر.

(٤٦) ـ مقدّمة تكوينية لتعويذة من أجل الشفاء

١ ـ هذا النص القصير الذي يتقدم صلاة أو تعويذة لم يصلنا مضمونها، يشير إلى دور آنو[١] في خلق السماء وإلى دور إيا[٢] في تأسيس الأرض ويعطي سين[٣] الإلّه القمر دور تقدير المصائر أو تخصيص الأدوار حتى بالنسبة للآلهة. ومن الطريف، أن يشير النص إلى أن عملية تحديد الأدوار ينفذها سين «برمي الزهر»[٤] أو النرد والتي نتج عنها إعطاء الإله «شمش»[٥] مهمة التنبؤ بالمستقبل[٦] فيما يتعلق بالمرض وبالشفاء.

٢ ـ يستعمل النص بالنسبة لعملية الخلق والتكوين من قبل الإلّهين آنو وإيا فعلين مختلفين باللغة الأكادية إذ نرى أن آنو «ولّد»[٧] السماء وأن إيا «كوّن»[٨] أو بنى الأرض وقد أشرنا إلى تعدد الأفعال المستعملة في الملاحظة رقم (١) التي اشتمل عليها النص (٣٩) وسوف نستعرضها جميعاً في ما بعد.

---

(١) (Anu).
(٢) (Ea).
(٣) (Sin).
(٤) وفق القراءة التي تبناها علماء الأكاديات.
(٥) (Shamash).
(٦) بمعنى العرافة وهنا تندمج العرافة بمعنى الطبابة.
(٧) التعبير الأكادي المستعمل هو ريخو (Rêhu) ويشمل أصل كلمة روح أي ما به حياة المخلوق.
(٨) التعبير الأكادي المستعمل هنا هو كونو (Kunnu) وهو أصل فعل كوّن والكون والتكوين.

(1) بعد أن قام آنو بخلق السماء

(و) إيا بتأسيس الأرض،

رمى سين ـ الباسل الزهر:

«أي شمش» (قال لهذا الإلّه)، أنت الذي

جميعُ (أسرار) العرافة (؟)

(5) وُضِعَتْ في يدك [. . .]

[(أعلمني إذن؟)] كيف [. . .] ما يلائم

(للشفاء؟ من) هذا المرض. . .

(٤٧) ـ التكوين عن صلاة بمناسبة بناء معبد ودور الإله مردوك

١ ـ يتعلق النص بمقدمة صلاة لم يصلنا مضمونها، كانت تتعلق ببناء معبد وكتبت باللغتين الأكادية والسومرية. ويعتقد أن النسخة الأكادية هي الأصل وأن مقابلها عبّر عنه بلغة سومرية رديئة نوعاً ما. والجديد في هذا النص التكويني هو الدور الذي أعطي للإله مردوك[١] في عملية الخلق والتكوين وعدم ورود أية إشارة لكل من آنو وإنليل والاكتفاء بذكر الإله إيا وهو أبو الإله مردوك، لمناسبة بنائه لمعبده في الأبسو وليس لمناسبة مساهمته في التكوين.

٢ ـ وعلى الرغم من العودة إلى بدءٍ يشبه ما سوف نتعرّف عليه تفصيلاً في قصيدة التكوين والخليقة «الإينوما إيليش»[٢] وبطلها الوحيد هو مردوك وخاصة في ما يتعلق بالمياه البدئية «الغمر» أو «العماء» أو «البحر البدئي» وتكوين الأرض ـ على الرغم من هذا التشابه ـ الذي شجع على الاعتقاد بأن هذا النص هو أحدث من الإينوما إيليش فإنّ هناك اعتقاداً آخر يجعل من هذا النص نسخةً معدّلة عن نص أقدم اكتُفي فيها بإقحام اسم الإله مردوك عوضاً عن المتدخلين الآخرين من الآلهة.

٣ ـ يبدأ النص بتعديد ما لم يكن قد كُوّن بعد من الأماكن المقدسة ومن مواد بناء

---

(١) (Marduk) إله بابل منذ الفترة البابلية ـ القديمة وخاصة خلال حكم حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق. م).

(٢) (Enuma-Elish) قصيدة التكوين والخليقة البابلية.

المعابد ثم يشير بعد ذلك إلى تكوين الأرض وخلق البشر والحيوانات ومجاري المياه والنباتات.

٤ ـ وحين «يصنع» مردوك البشر فإن الإلّهة آرورو[١] تنتج معه «بذرة البشرية» التي تُخلق لكي تحقق لعالمنا وَجْهَهُ النهائي. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مردوك، لا يلجأ لآرورو في عملية الخلق وفق «الإينوما إيليش»، بل على العكس فإنه يتخلص من الإلّهة ـ الأم البدئية تيامت[٢] في معركةٍ دامية قبل أن يقوم بأي عملٍ تكويني (النص رقم ٥٥/ اللوحة ٤).

«الفراغ» البدئي قبل التكوين

1 لم يكن هناك أي مقرّ مقدس، وأي معبد في مكانه
المقدس، لم يكن تمّ بناؤه بعد:
لم يكن هناك أيّة ساق قصبٍ قد خرجت من الأرض
وأية شجرةٍ لم تكن أُنتجت،
وأية آجرةٍ لم تكن وُضعت،
ولم يكن أي قالب ـ آجرّ، قد صُنِع
ولم يكن هناك أيّ مسكن قد بني؛
ولا أية مدينة.
5 لم يكن أي تجمّع سكاني قد نُظّم
ولم يكن أي قطيع قد شكّل بعدا
لم تكن نفّر[٣] موجودة ولا الإيكور[٤] مبنياً

---

(١) (Aruru) هي التسمية السومرية للإلّهة ـ الأم وهي أيضاً الإلّهة المشرفة على الولادة، يقابلها بالأكادية «بيليت ـ إيلي» (Bêlet-ili) = بعلة الآلهة أو «سيدة الآلهة».
(٢) (Tiamat).
(٣) (Nippur) مدينة الإلّه إنليل سيد الهواء والأمطار.
(٤) (Ekur) بمعنى بيت ـ الجبل وهي تسمية معبد إنليل في نفّر.

لم تكن أوروك[١] موجودة ولا الإيانا[٢] مبنياً

لم يكن الأبسو[٣] موجوداً ولا الأريدو[٤] مبنياً:

ومن أي مقرّ مقدس وأي معبدٍ

لم يكن بعد قد تمّ إعداد الموقع:

10 كل المناطق لم تكن سوى بحر!

وبينما لم يكن محتوى هذا البحر

يشكِّل بعد، غير حفرة (؟)

عند ذلك تمّت إقامة الإريدو

ومن ثمّ بُني الإيساج إيل[٥]:

الإريدو (!) الذي أقامه لوجال ـ دو ـ كوجا[٦]

في وسط الأبسو

وبعد ذلك بنيت بابل واستُكمل الإيساج إيل!

15 وإذْ وزّع مردوك، بعد ذلك، الآلهة الآنوناكي[٧]

على مجموعتين متساويتين،

قاموا بدورهم بمنح بابل (مصيراً) رائعاً

كمدينة مقدسة وكمقرٍ لسعادتهم الأبدية.

تدخل مردوك في عملية التكوين والخلق

وبعد ذلك صنع مردوك عوّامة (ودفعها)

---

(١) (Uruk) مدينة جلجامش وحاميتها الإلهة إنانا/ عشتار.

(٢) (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو معبد إله السماء ومقر إنانا/ عشتار في أوروك.

(٣) (Apsu) محيط المياه العذبة التي تطفو عليها الأرض ومقر الإله أنكي/ إيا.

(٤) (Eridu) مدينة أنكي ومعبده المُقام في الأبسو.

(٥) (Esag-il) بمعنى «البيت الشامخ الرأس» وهو معبد الإله مردوك في بابل.

(٦) (Lugal-du-ku-ga) لقب الإله إيا ومعناه «سيد ـ الجبل ـ المقدس» ولقب «الجبل المقدس» هو أحد أسماء التمجيد لإريدو وكان أيضاً يطلق على نفّر وإنليل سيد الجبل المقدس.

(٧) هنا (Anunnaki) تعني كافة الآلهة للعالمين العلوي والسفلي.

إلى سطح الماء

18 وأنتج تربةً وكدّسها على العوّامة

31 كما أقام حاجز ردمٍ على شاطىء البحر (؟)

19 ومن ثمّ، ولكي يؤمن للآلهة عَطَالةً

في ذلك المقر لسعادتهم الأبدية

20 قام بخلق البشر:

وبذرة هذه البشرية أنتجتْها معه آرورو[١].

خلق الحيوانات الوحشيّة

وكل حيوانات السهوب؛

أوجد دجلة والفرات ووضعهما في مكانهما

مقدراً لهما مصيراً خيّراً؛

25 أنتجَ القصب ـ الجاف والقصب ـ الغضّ

والمستنقع ومنابت القصب والأخياس[٢]؛

كما أوجد خضرة السهوب:

27 جميع المناطق لم تكن غير مستنقع ومقاصب

29 وأكمات وغياض!

دور البشر بعد تدخل مردوك

28 عند ذلك وُضعت البقرات وعجولها وثيرانها

والنعجات وحملانها وأكباشها

30 وكذلك الأرويّات والعَنز البري،

(وُضعت) تحت تصرف (البشر).

32 فقام [هؤلاء] بتجفيف المقصبة

---

(١) (Aruru) إلّهة ـ أم تشرف على الولادة. وهي أخت إنليل كما ورد ذلك في النص رقم (٣) من الكتاب الأول.

(٢) مفردها خَيْس بمعنى غابة صغيرة تقلّم أشجارها بين الوقت والآخر.

لكي تظهر الـ [. . .]

وأخْرجُوا قصباً وأخْرَجوا خشباً

35 كما أنتجوا [. . .] في المكان نفسه (؟)

[وبنوا بالآجر]

بعد أن صنعوا قالب ـ الآجر؛

أقاموا المساكن وبنوا المدن

[نظموا التجمعات السكانية]، وشكلوا قطعان الماشية.

[أقاموا نفّر] وبنوا الإيكور

40 [أقاموا أوروك] وبنوا الإيانا

(بقية النص مفقودة).

(٤٨) ـ السماوات الفسيحة والآلهة ـ العظام

لدينا هنا نص قصير وصلنا على لوحة مكتوبة على وجه واحد، وقد فُقدت بدايتها ونهايتها وكذلك الجزء الأيمن منها. فهل نحن أمام نص ميثولوجي؟ أم أمام جزء من صلاة؟ أم مقدمة لمنافسة؟ من المتعذر فهم المحتوى العام بسبب التشويه إلا أن ما أنقذ من النص يمكنه إفادة هذه المجموعة: إذْ يُعلمنا من جهته عن المجموعات الكوكبية وعن السماوات والشرق والغرب وعن المسارات وكذلك عن دور الإله شمش[1] والمناطق الخاصّة بالآلهة. ويعملنا النص أيضاً على أنه بعد أن أقام إيا[2] في الأبسو[3] مقره، يتشاور الآلهة فيما بينهم لوضع خطة عملهم وللموازنة بين المهمّ والأقل أهمية، ولتحقيق التوافق والتناغم في عالم السماوات... كل هذه المعلومات والتفاصيل تجعلنا نأسف لحالة النص كما وصل إلينا.

[........]

I إيا، أقام (عند ذلك) في الأبسو[4] [مقرّه (؟)]

والآلهة ـ العظام تشاوروا (بعد ذلك) [...]،

[صوّروا؟] في النجوم مَعالم مظنا [هرهم]

[...] السماوات الفسيحة [...]

---

(١) (Shamash) الإله الشمس وهنا بصفته إلهاً للعدل وإصدار الأحكام.

(٢) (Ea) إله المياه العذبة الباطنية وسيد الخلق ومهارة الصنع ومقره إريدو (Eridu).

(٣) الأبسو (Apsû) محيط المياه الباطنية التي تحمل الأرض.

(٤) (Apsu) محيط المياه العذبة التي تطفو عليها الأرض، وهي مقر الإله إيا.

5 من الشرق إلى الغرب [. . . . . .]
حققوا توازن (؟) المهم والأقل أهمية [. . .]
[عهدوا إلى شمش (؟)] القضاء والأحكام [. . .]،
وبعد أن عيّنوا للآلهة [مناطقهم الخاصة؟]،
[جعلوا كلاً منهم (؟)] في منزل طقوسه [. . .].
10 ليلاً ونهاراً [. . .]
[. . . . . . .]

(٤٩) ـ البدء في ابتهال موجّه إلى النهر الخلاّق

١ ـ النهر بمياهه المنعشة ينشر الخصب والرخاء على ضفتيه. كما أن مياهه الجارية تطهّر، إذ تحمل معها ما يجب إبعاده، وأمّا أعماقه الرهيبة فإنها تبتلع الشر كعقابٍ لمن يحمله في قلبه ولهذا السبب، كان النهر ـ القاضي حين يحتكم إليه يفصل بحكمةٍ في قضايا البشر.

٢ ـ والنهر هو الخلاّق، وليس بغريب أن يكون كذلك لأنه يستمدّ وجوده من المياه البدئية، المياه ـ الأم ومنها وُلد كل شيء. وهو الذي، كما ورد في نصوص سابقة[١]، ملأه أنكي بمنيّه، حين منحهُ «هدية العرس»، محمّلاً بالخصب مياهه المتلألئة.

٣ ـ نورد في ما يلي ما وصلنا من ابتهال موجّه إلى النهر الخلاّق يعظّمه إرضاءً له ورهبةً منه. ولكي يفصل النهر في قضايا البشر يعود النص إلى أزمنة البدء إذ منحه كل من إيا[٢] ومردوك[٣] ما هو عليه من قدرةٍ وحكمة.

---

(١) أنظر النص رقم (٥) في الكتاب الأول.

(٢) (Ea) إلّه المياه العذبة وهو أنكي السومري (Enki).

(٣) (Marduk) إلّه بابل في الفترة الحمورابية وبطل التكوين والخليقة كإلّه وحيد حل مكان جميع الآلهة.

(4) «هو أنت، أيها النهر، الذي خلقت كل شيء،
عندما حفر الآلهة، العظام (مجراك)
وضعوا على ضفافك الرخاء،
(و) في أعماقك أقام الملك إيا مقره:

(5) منحك الهياج والتألّق والرهبة
(و) جعل منك[١] طوفاناً لا يقهر!
إيا ومردوك منحاك الحكمة
لكي تفصل شخصياً في قضايا البشر...[٢]»
[...]

---

(١) حرفياً: «سمّاك»: تافظ باسمك.

(٢) في نص اخر، تعويذي يُشار إلى النهر كـ «خالق الآلهة والبشر» وهذه الصورة تعني دور النهر المزدوج وهو أنه يُنتظر منه أولاً: «أن يحمل في قلبه الرحب وأن تبتلع مياهه وتطرد بعيداً» التماثيل الصغيرة التي ترمز إلى المرض الذي يؤلم المريض، أو السوء الذي سلّطه أحد السحرة عليه.
وثانياً: فإن النهر هو الذي يقدّم الصلصال بعد القيام بطقوس خاصة لتقديس حفرة استخراجه، ومنه تصنع التماثيل الصغيرة الاستبدالية التي ترمى في النهر لتحلّ محل مرض المريض يبتلعه النهر فيعافى المريض، ومن صلصاله أيضاً تصنع تماثيل الألهة وبمادة الصلصال بالإضافة إلى تدخل الإله تمّ خلق البشر وعلى هذا الأساس يمكننا فهم تعبير «النهر خالق الألهة والبشر».

(١ ـ ٢) د ـ التكوين في مقدمة كتاب التنجيم الأكادي

١ ـ كتاب التنجيم الذي يشير إليه هذا العنوان هو عملٌ عملاق وشهير يعود إلى النصف الثاني من الألف الثاني لما قبل الميلاد وهو مؤلف من ٧٠ لوحة فخارية تحتوي ما يقارب ٧٠٠٠ رصد سماوي إضافة إلى التنبؤات والتكهنات التي ترافقها.

٢ ـ والنص الذي يهمّنا هنا هو مقدمة هذا الكتاب الضخم، التي وصلت إلينا باللغتين السومرية والأكادية، ويرجح أن الأكادية هي الأصل، إلا أن النسخة السومرية موازية لها وليست ترجمة حرفية عنها.

٣ ـ تشتمل اللوحات (١ ـ ٢٢) من كتاب التنجيم على أرصاد للقمر واعتباراً من اللوحة ٢٣ يبدأ إثبات أرصاد الشمس وبقية السيارات وكواكب أخرى وكذلك النيازك. وبنهاية اللوحة ٢٢ وقبل الانتقال إلى الأرصاد الأخرى في الكتاب، رأى «الناشر»[1]، لأسباب نجهلها، وقد تكون لمصلحة الحفاظ على نصٍّ ديني، لم يشأ استبعاده ـ رأى هذا الناشر ـ أن يثبت مقدمة ثانية يُعتقد أنها من أشور وهي باللغة الأكادية وحدها. ولا ندري إذا ما كانت في موضعها في «نشرة» سابقة أم لا، ولكنها توافق في محتواها ما وصلنا في نصين شاهدين مصدرهما نينوى.

٤ ـ وبالطبع، بما أنّه كان على كتاب التنجيم أن يهتمّ بشؤون السماء، وتتبع سير

(١) أي المسؤول عن محفوظات الأرصاد التنجيمية.

كواكبها للكشف عمّا أراده الآلهة لها تأميناً لحسن سير نظام الكون، فإن هذه المقدمة التكوينية لم تهتم بكيفية مجيئها إلى الوجود بقدر ما اهتمت بدورها والغاية من حركتها ومهمتها المرتبطة بحياة البشر وفقاً لمقررات الآلهة.

٥ ـ كانت الكواكب بالنسبة لإنسان ما بين النهرين تمثل شخصيات متأقنمة مع الآلهة[١]، ترمز إليها وتشكل مع كل منها دوراً وإرادةً، كان من مصلحة البشر التكهن بها، برصد السماء، ولضمان حسن سير حياتهم على الأرض. كما كان من مصلحة الآلهة كشفها للبشر تأميناً لخدمة معابدهم ولكي يجعلوا هذا النظام العملاق يتابع حركته ليعمل بأفضل ما يحقق مصلحة الآلهة والبشر في الوقت نفسه.

٦ ـ وسوف نورد هاتين المقدمتين في ما يلي تحت الرقمين (٥٠) و (٥١).

---

(١) من هذه الشخصيات الإلٰهية نذكر: الإله القمر سين والإله شمش وكوكب الزهرة للإلٰهة عشتار وبصورة عامة فالنجوم هي «آلهة الليل».

(٥٠) ـ التكوين في المقدمة الأولى لكتاب التنجيم

النص السومري

1 عندما آن، إنليل وأنكي[١] الآلهة ـ العظام
في مجلسهم (الذي لا) يخطىء،
ومن بين الأنظمة الرئيسية حاكمة السماء والأرض،
أقاموا هلال القمر،
من أجل إحداث النهار (و) تشكيل الشهر،
(وكذلك) لتقديم التنبؤات
(بصدد) الأرض والسماء،
فتألق الهلال في السماء، وظهرت النجوم
لامعةً في قبّة السماء.

النص الأكادي

5 وبتعبير آخر: عندما آنو، إنليل وإيا[٢]
الآلهة ـ العظام

---

(١) (An, Enlil, Enki) ثالوث التكوين السومري.
(٢) (Anu, Enlil, Ea) الثالوث الأكادي المقابل.

أقروا في مجلسهم مخططات السماء والأرض
وكلّفوا الآلهة ـ العظام
بإحداث النهار وتحديد الشهر
من أجل أرصاد البشر،
شوهد عند ذلك شروق الشمس
وتألقت «الكواكب» إلى الأبد
في وسط السماء {وعلى الأرض}[1].

(١) وردت تسمية الأرض هنا، مقحمةً خطأً من قبل الناسخ بسبب العادة الغالبة لذكر الأرض بعد السماء في أكثرية النصوص الأخرى.

(٥١) ـ التكوين، في المقدمة الثانية لكتاب التنجيم

(1) عندما آنو، إنليل، وإيا[١] الآلهة ـ العظام،
خلقوا السماء والأرض، أرادوا أن
تكون الإشارة ظاهرة (للعيان):
فثبّتوا (عندئذٍ) المنازل[٢] على أسُسها ورسموا
مواضع (الكواكب)
حدّ [دوا (؟)] مهّام النجوم[٣] ووضعوها
على مساراتها

(4) رسموا وفق صُورهم [الخاصة] النجومَ في
مجموعاتٍ كوكبيـ [ـة]
قدروا زمن ـ النهار ـ والليل، وخلقوا
الشهر والسنة؛
رسموا للقمر وللشمس مسارهما: ـ
(هكذا) اتخذوا قرارهم [بصدد
السما [ء] والأرض.

---

(١) (Anu, Enlil, Ea) ثالوث الآلهة الأكادي.
(٢) أي دائرة بروج السماء.
(٣) حرفياً «آلهة الليل».

(١ ـ ٣) خلق البشر وبداياتهم

١ ـ تكاد معظم النصوص التي روت لنا خلق البشر وبصرف النظر عن الإله أو الآلهة الذين أسهموا بهذا العمل، تكاد معظم هذه النصوص تتفق على أن الأسباب التي من أجلها خُلق البشر لم تكن «حبّاً» بالبشر بل لمصلحة الآلهة، لتأمين معيشتهم بضمان استمرار الطقوس في المعابد، بواسطة التقدمات والقرابين ـ غذاء الآلهة ـ التي كان على البشر تخصيصها للآلهة.

٢ ـ وقبل أن نتعرض لخلق البشر، فإن النصوص تعلمنا بأن «مجتمع الآلهة» تمّ تصوره وفق نظام شورى بالنسبة للقرارات المهمّة التي يتم اتخاذها في مجلس الآلهة. ولكن «مجتمع» الآلهة هذا كان «طبقياً»، ليس في ما يختص بآلهة السماء (ما هو فوق) وآلهة ما هو تحت (العالم السفلي) الذين لم يكونوا أقل مرتبة منهم، ولكن هذه الطبقية كانت مؤسّسة على العمل. فهناك آلهة أسياد هم الأنونّاكو[١] وآلهة عمّال هم المكلفون بأعمال «السخرة» وهم الإيجيجو[٢] آلهة الدرجة الثانية. يتضح ذلك من النصوص السومرية التي سوف نستعرضها في ما بعد، وكان ذلك قبل عملية خلق البشر.

٣ ـ في تصور السومري وقبل خلق البشر، كان الآلهة يقيمون في مكان أسطوري هو «الجبل المقدس» أو «جبال الكون» حيث خلقوا لأنفسهم النعجة ـ الأم و «أشنان»[٣]

---

(١) (Anunnaku) تسمية جميع كبار الالهة، جميع الالهة العظام.
(٢) (Igigu) الآلهة الذين فرضت عليهم أعمال السخرة.
(٣) تسمية إلهة الحبوب وهنا بمعنى الحبوب.

الحبوب وأدخلوا نتاجهما إلى مائدتهم على الجبل ـ المقدس ولكنهم لم يرنووا ولم يشبعوا... ولذلك منحوا البشر نَفَس الحياة[1] وأنزلوا إلى الأرض النعجة ـ الأم والحبوب وتركوا للبشر أمر تحقيق الكثرة وأخذ معيشة الآلهة على عاتقهم.

٤ ـ وعندما تمرّد الآلهة المكلفون بأعمال «السخرة» وأضربوا عن العمل وتجمهروا أمام بوابة مقر إنليل[2]، قرر الآلهة إنقاذاً للموقف، خلق البشر لكي تصبح، «سخرة الآلهة سخرتهم».

٥ ـ ولإنماء الزراعة ولإكثار الماشية في الزرائب، ولبناء المعابد... خَلَق إنليل الفأس وباركها ووضعها في أيدي البشر ليعملوا بها. وكان على البشر حفر الترع وجرّ المياه وتحقيق أعمال الري اللازمة اعتماداً على مخطط الآلهة، بمنح البلاد نهري دجلة والفرات، لكي يعمّ الرخاء فتمتلىء أهراءات المعابد وتغطي القرابين موائد الآلهة، ليتفرغوا إلى أعمالهم الرئيسية وهي تسيير شؤون الكون.

٦ ـ كان للزراعة إذن وتربية الماشية دورٌ أساسي في بلاد سومر تحقيقاً لتكاثر كل شيء حيث كانت مياه الريّ متوافرة والتربة خصيبة مما أدى حتماً إلى التمركز وبناء المدن وبناء الحضارة... وهذا ما سوف نعود إليه بالتفصيل في الكتاب الثالث.

وما يهمّنا هنا هو فقط إعطاء فكرة عن تصور حالة البشر قبل إدخال الزراعة إلى سومر وقبل نزول النعجة ـ الأم والحبوب من السماء، وكذلك أوتّو[3] وخيوطها التي نشرت النسيج، وترمز النصوص إلى كل ذلك باعتماد العناصر التالية: النعجة والشعير والكتان. ولهذه الأسباب وحين لم تكن تلك العناصر الحضارية متوافرة (راجع النصّ رقم ٤١)، تصوّرت النصوص البشر يتجولون عراة يأكلون العشب مثل الخرفان ويرتادون مياه الحفر... وهذه الصورة هي التي حملتها لنا ملحمة جلجامش[4]. فيما

---

(١) انظر النص الكامل تحت رقم (٤١) من هذا الكتاب (السطر ٣٦).

(٢) (Enlil) سيد مجمع الآلهة.

(٣) (Uttu) إلّهة النسيج السومرية ورد ذكرها في الكتاب الأول، راجع النص (رقم ١، السطر ١٤٠).

(٤) (Gilgamesh).

بعد، حين صوّرت لنا حياة أنكيدو[1] قبل أن تقوم غانية المعبد بتلطيف وحشيته حين «علّمته جسد المرأة»، ثمّ جرّته معها إلى المدينة ليصبح صديقاً لجلجامش وبعد أن قدّمت له الخبز ليأكل ودسّت جسده ومسحته بالزيت.

٧ ـ أما عن إنجاز عملية الخلق بحد ذاتها، فقد أشارت النصوص كما ورد أعلاه في النص (٤١) بشكل مختصر جداً إلى أن الألهة منحوا البشر نفس ـ الحياة ولكن عملية الخلق تتم في نصوص أخرى وكأننا في مصنع للبشر استعمل فيه قالب تم ملؤه بالصلصال المجبول بدم إله وهذا ما يفسّر تعبير نفس ـ الحياة المستعمل أعلاه وكون البشر من مادة الصلصال (التراب) ومن «روح» إله.

٨ ـ ويمكننا القول اعتماداً على بعض النصوص أن البشر حين خُلقوا، لم يكن الموت مصيرهم الحتمي وأن الموت للجسد و «العودة إلى التراب» قُرر فيما بعد وسوف نعرض في حينه ما يشير إلى ذلك.

٩ ـ وكما ورد ذلك في نصوص تكوينية متعددة تعرضت إليها الفقرة (١ ـ ٢) من هذا الكتاب وأثبتناها انفاً (النصوص ٣٧ ـ ٥١)، يمكننا الملاحظة بأن تلك النصوص، لم تتبع مدرسة مذهبية واحدة، بل صدرت عن مراكز حضارية متعددة في سومر وأكاد، وفي فترات زمنية مختلفة، ولم يتم جمعها وإخضاعها إلى مراقبة عقائدية مركزية. وهي باعتقادنا، حين كانت تنسخ عن لوحات أقدم منها، لحفظها أو للاستجابة لطلب ملك يريد إغناء مكتبته بها[2] كانت باعتقادنا، تُحترمُ نصوصها «لقدسية» محتواها ولم تكن تعدّل أو تحوّر بل كان كل تأليف جديد يتوزّع خلال فترات ازدهار النشاط الأدبي أو بالأحرى الفكر الديني على مدى ما يزيد على عشرة قرون، كان كل تأليف جديد يمثل مراحل تطور هذا الفكر الديني، ولذلك، فقد كانت النصوص المباشرة وغير المباشرة التي استعرضناها بالنسبة للتكوين، تمثل اتجاهات

(١) (Enkidu).

(٢) مثال مكتبة تغلاتبلاصر الأول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق. م) ومكتبة أشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م) وقد أتانا مجموعات لوحات نفر (Nippur) حوالي ١٧٠٠ ق. م أو إريدو (Eridu) أو أور (UR).

تفسيرية عديدة لبدء الكون تعدّد فيها دور المتدخلين وهكذا أيضاً بالنسبة لخلق البشر نشهد أحياناً تدخل إنليل[1] وحده، أو أنكي/ إيا[2] أو كليهما معاً تساعدهما الإلّهة ـ الأم آرورو[3] أو نينماخ[4]. واعتباراً من مرحلة تاريخية معينة بدأت مع ملكية حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق. م) نشهد سيطرة الإلّه مردوك[5] إلّه بابل على عالم الآلهة والبشر، فيصبح وحده بطل التكوين والخليقة،إذْ تُعاد آنذاك، وعلى أقلّ تعديل، صياغة قصّة التكوين والخليقة خلال فترة حكم نبوخذ نصّر الأول (١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق. م) أو في فترة سابقة لها[6]. وهكذا قدمت لنا بابل أول «سفر للتكوين والخليقة» بطله مردوك وعرف تحت تسمية مطلعه «الإينوما إيليش»[7] وتناقله العديد من المراكز الدينية في عالمنا القديم.

١٠ ـ ولا بد هنا من ذكر نص آخر يشكل خلقُ البشر أحد فصُوله وهو من النصوص الشمولية الضافية التي تستعرض تاريخ البشرية منذ الخلق ومسوّغاته، مروراً بتكاثر البشر والنكبات الأولى التي عرفتها البشرية حتى كارثة الطوفان وهذه المجموعة تعرف بقصيدة أَتْرَ ـ حسيس[8] أو الفائق ـ الحكمة. ونورد نصها الكامل فيما بعد تحت رقم (٥٦).

١١ ـ وقبل التعرض إلى النصين الشاملين المشار إليهما أعلاه حول خلق البشر والطوفان لا بد من استعراض بعض النصوص القصيرة والمتفرقة التي اشتملت على مقاطع تشير إلى خلق البشر، منها ما ورد في الكتاب الأول في النص رقم (٤) حيث نرى آلهة «السخرة» الذين أشرنا إليهم في المقطع ـ ٣ ـ أعلاه يعملون ولكنهم في الوقت نفسه يشتكون من سوء مصيرهم مما حدا بالإلّهة ـ الأم نامّو[9] أن توقظ ولدها

---

(١) Enlil.

(٢) (Enki/Ea).

(٣) (Aruru) إلّهة ـ أم تسهر على الولادة.

(٤) (Nin-Mah) بمعنى السيدة الفائقة السمو وهي الإلّهة ـ الأم، قرينة أنكي.

(٥) (Marduk) إلّه بابل.

(٦) يُرجع بعض العلماء تأليف قصيدة التكوين البابلية إلى فترة حكم حمورابي.

(٧) (Enuma-Elish) ومعناها «بينما في الأعالي» أنظر النص الكامل تحت رقم (٥٥).

(٨) (Atar-hasis) بمعنى الفائق الحكمة أو الفائق الفطنة وهو «نوح» السومري وسمته ملحمة جلجامش أوتا ـ نافيشتيم Uta-Napishtim.

(٩) (Nammu) الإلّهة ـ الأم البدئية التي ولدت جميع الآلهة.

أنكي الذي كان مسترخياً على فراشه ويمضي وقته في النوم، طالبةً منه أن يمارس مواهبه ليصنع من يحل محل آلهة السخرة ليتوقفوا عن العمل. والحل الذي اقترحه أنكي هو: خلق البشر. ونورد فيما يلي المقتطفات التي تشير إلى تلك العملية:

. . . .

8 حين كان يتوجب على الآلهة الاستحصال على طعامهم
عمدوا إلى العمل جميعهم (؟)
وآلهة المرتبة الثانية كُلفوا بأعمال السخرة
10 فحفروا الأقنية وكدّسوا التربة
وكانوا يقومون بطحن الحبوب:
ولكنهم كانوا يشتكون من سوء مصيرهم
بينما كان «الذكاء الخارق»، صانع (؟)
جميع الآلهة الكبار
(بينما كان) أنكي في عميق (مقرّه) إنجور الجياش[1]
حيث لا يمكن لأي إلّه إلقاء نظرة عليه،
كان دائم الاسترخاء على فراشه:
لا يتوقف عن النوم
15 والآلهة تستمر في الأنين والاعتراض:
«إنه هو سبب شقائنا
هو الذي يبقى مستلقياً (على فراشه) للنوم
ولا يغادره قطّ!»
عند ذلك، نقلت نامّو[2]، الأم البَدْئية
مولّدة الآلهة جميعاً
نقلت لابنها أنكي الشكاوى (قائلة):

. . . .

---

(١) (Engur) مقر أنكي في الأبسو وهو محيط المياه العذبة حيث تطفو الأرض.
(٢) (Nammu).

22 «غادر فراشك يا بنيّ
ومارس مواهبك بذكاء
لتصنع من يحلّ محلّ (؟) الآلهة
لكي يتوقفوا عن العمل!»
لدى استماعه كلمة أمه نامّو
غادر أنكي فراشه
25 وبعد أن قام [الذكي..]
الذكي والحكيم والفطن [...] والماهر
صانع كل شيء (قام) بإعداد قالب[1]
وضعه بالقرب منه ودرسه بإمعان
وعندما توصل أنكي بشكل طبيعي،
إلى إنجاز مشروعه بدقة (؟)
توجّه عند ذلك إلى أمّه نامّو:
30 أمّاه، المخلوق الذي فكّرتِ به
هوذا جاهز للقيام بالعمل من أجل الآلهة!
عندما تعمدين إلى عرك كتلةٍ من الصلصال
تستخرجينها من ضفاف الأبسو
سوف نعطي شكلاً (؟) لصلصال ذلك القالب (؟)
وعندما ترغبين أنت بنفسك
أن تضعي له «طبيعة» (؟)[2]
سوف تساعدك نينماخ[3]
وكذلك ....
35 و ....

---

(١) ما يماثل النموذج الأولي في الصناعة.

(٢) الكلمة السومرية تعني حرفياً: «أعضاء الجسم أو أطرافه».

(٣) (Nin-Mah) قرينة أنكي ومعنى اسمها السيدة الفائقة السمو.

سوف يكنّ مساعداتٍ[1] لك،
تقررين بعد ذلك مصيره يا أمّاه
وتعين له نينماخ مهمة العمل من أجل الآلهة.
يمكن متابعة النص الكامل في الكتاب الأول النص رقم (٤).

١٢ ـ وإذا ما عدنا إلى النص رقم (٤٧) الوارد أعلاه، نجد الإلّه مردوك، بعد أن يصنع الأرض المسطّحة، على شكل عوامة يدفعها إلى سطح الماء ويكدس فوقها التربة. . .، يعمد إلى خلق البشر ويقول النص:

19 ومن ثم، ولكي يؤمن للآلهة عَطالةً
في ذلك المقر لسعادتهم الأبدية
20 قام بخلق البشر:
وبذرة هذه البشرية أنتجتها معه آرورو[2]
خلق الحيوانات الوحشية،
وكل حيوانات السهوب،
أوجد دجلة والفرات ووضعهما في مكانهما
. . . .

١٣ ـ وقبل أن نعرض النص الكامل لقصيدة التكوين والخليقة البابلية «الإينوما ـ إيليش»[3] في نهاية هذا الفصل ـ تاركين للفصل الثاني قصة الطوفان وما سبقها من فترات ـ لا بدّ لنا من عرض النصوص التالية بسبب ارتباطها كليّاً أو جزئياً وبشكل مباشر أو غير مباشر بخلق البشر ونوردها كما يلي:

(١) أغفلنا تسمية سبع إلَهات ذكرن في النص وهن مساعدات لنينماخ مهمتهنّ الإشراف على الولادة أو إعارة الرحم.
(٢) (Aruru) إلَهة ـ أم، تشرف على الولادة وكان لها دور أخت إنليل كما ورد ذلك في النص رقم (٣) من الكتاب الأول.
(٣) (Enuma-Elish) بمعنى: بينما في الأعالي.

(٥٢) ـ النص المزدوج اللغة لخلق البشر ودم الإلّه.

(٥٣) ـ اختراع الفأس وأصل البشر.

(٥٤) ـ كيف أدخلت الحبوب إلى سومر، وحياة البشر قبل ذلك.

(٥٢) ـ خلق البشر ودم الإلّه

يُعرف هذا النص، بالنص المزدوج اللغة لخلق البشر، لأنه وصلنا باللغتين السومرية والأكادية وفق أسطر متبادلة بين اللغتين. ويرجح أن السومرية ترجمت عن الأصل الأكادي. وقد توافرت نسختان من هذا النص يعود أقدمهما إلى فترة حكم تغلات فلصّر الأول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق. م)، وهي صادرة عمّا عُدّ مكتبة هذا الملك. وهذا يعني أن تأليف النص الأصلي سابق لنهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد، ومن الممكن إرجاعه إلى تاريخ أقدم من ذلك، لأنّه يُجهلُ دورَ الإلّه مردوك[١]، وأن هذا النص كما يشير إلى ذلك ناسخه، نُقل عن لوحة أصابها بعض التشويه بين الأسطر (٣٠ ـ ٣٥) وهذا ما يعلن عنه الناسخ بنفسه.

نقدّم فيما يلي محتوى هذا النص مأخوذاً عن اللغة السومرية:

البدء وإعداد الأرض لدورها المستقبلي

1 عندما فُصلت السماء عن الأرض

بعد أن كانتا مشدودتين معاً بقوة ـ

وعندما ظهرت إلى الوجود الإلّهات ـ الأمّهات؛

وأُسّست الأرض واتخذت مكانها

(١) (Marduk) تم تبنّي سيطرته على بقية الآلهة اعتباراً من فترة حكم حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق. م).

وأعدّ الآلهة برنامج الكون،

5 و (أنهم) بغية إعداد نظام الريّ

شكّلوا مجرى دجلة والفرات،

عند ذلك (قام) آن وإنليل ونينماخ

وأنكي، الآلهة الرئيسيون[١]

وكذلك الأنونّا[٢]: الآلهة ـ العظام الآخرون،

(قاموا) باتخاذ أماكنهم على المنصة العالية

وعقدوا مجلسهم.

قرار خلق البشر

10 وبما أنهم كانوا قد أعدّوا من قبل

برنامج الكون،

وبغية إعداد نظام الري

فقد شكّلوا مجرى دجلة والفرات

«وإذ أعلن إنليل»: «والآن،

ماذا سنفعل؟

ماذا سنضع الآن؟

أيها الأنونا، الآلهة ـ العظام،

ماذا سنصنع الآن؟

15 ماذا سنخلق إذن؟»

والآلهة ـ العظام الحاضرون،

مع الأنونا مقرري المصائر

أجابوا إنليل مجمعين:

---

(١) (An) إله السماء؛ (Enlil) إله الهواء وسيد مجمع الآلهة؛ (Nin-maḫ) قرينة إنليل: السيدة الفائقة السمو؛ (Enki) إله الذكاء والخلق ومهارة الصنع.

(٢) (Anunna) بقية الآلهة أعضاء مجلس الآلهة.

«في مصنع ـ الأجساد»[١] في دور ـ آنكي[٢]
سوف نضحي بألآلين[٣] إلّهين اثنين،
20 بدمهما سوف نخلق البشر!

الهدف من عملية الخلق:

وسخرة الآلهة، سوف تكون سخرتهم:
سوف يُعيِّنون نهائياً حدود الحقول
وسوف يحملون الفؤوس والسلال،
لمصلحة بيت الآلهة ـ العظام،
المقر الذي بليق بالمنصة العالية،
سوف يضيفون مَدَرةً إلى مَدَرَة[٤]؛
25 ويعينون نهائياً حدود الحقول،
وسوف ينفِّذون نظاماً للريّ
{ويعينون حدود الحقول}[٥]
لتعميم السقاية
وبذلك يحققون إنماء جميع أنواع النباتات.
30 [...] الأمطار [...]
سوف يعينون حدود الحقول
ويكدسون حُزَم الزرع
ـ موضع كسر[٦] كسر

---

(١) بالسومرية (أوزو ـ مو ـ آ) (Uzu-mu-a) بمعنى «مصنع الأجساد» وهي إحدى قاعات معبد الإلّه إنليل في نفّر (Nippur) حيث يتم خلق البشر.
(٢) دور ـ آن ـ كي (Dur-An-Ki) بمعنى الرباط بين السماء والأرض وتسمية لمعبد إنليل في نفّر.
(٣) (Alla) و (Alala) ذكر في جدول آلهة سومر كأحد الأجداد القدامى للإلّه آن. ومن الصعب فهم استعمال المثنى من قبل الناسخ، مع ترجيح الخطأ.
(٤) الأرض المزروعة.
(٥) كرر هذا السطر سهواً من قبل الناسخ.
(٦) هذه الإشارة للكسر وضعها الناسخ معلناً بذلك عن النقص في اللوحة التي ينسخ عنها. وفي مناسبات أخرى يكتب: خفي أو غامض.

ـ موضع كسر   كسر

ـ موضع كسر   كسر

35 هكذا سوف يزرعون حقول الأنونّا

مضاعفين بذلك ثروة البلاد

ومحتفلين بأبّهة بولائم الآلهة

ساكبين الماء المنعش في المقر ـ الكبير

المقر اللائق بالمنصّة العالية!

وسوف تطلق عليهم تسمية أولّيجارّا[1]

وأنيجارا[1]

40 ومن أجل ثروة البلاد، سوف يضاعفون

الأبقار والأغنام (وبقية) الحيوانات (وكذلك)

الأسماك والطيور!

المصادقة على برنامج الخلق

«هذا هو قرار (إن ـ أول)[2] و (نين ـ أول)[2]،

الذي خرج من فمهما المقدس

ووافقت على برنامجه الواسع، آرورو/[3]

بيليت إيلي[4] الإلّهة الجليلة!

---

(١) (Ullegarra) و (Annegarra): تسميتان غريبتان مشكلتان من (چارّا) السومرية بمعنى: (ظهر إلى الوجود) و (أولّ) الأكادية بمعنى أول أو القديم وآنّي الأكادية بمعنى القريب زمنياً مثل الآني. وقد يكون النص أراد التحدّث عن البشر كأولين وكحاليين؟

(٢) (En-Ul) و (Nin-Ul) إلّهان قرينان تظهر تسميتهما للمرة الأولى بمعنى السيد والسيدة الأولين أي إلّه وإلّهة العهد العتيق. وهما جدّان بعيدان للإلّه إنليل.

(٣) (Aruru) إلّهة ـ أم، أعطتها ملحمة جلجامش دور الخالقة للبشر وهنا هي التي تصادق على برنامج الخلق.

(٤) بمعنى بعلة الآلهة أو سيدة الآلهة وهو هنا لقب آرورو.

مهنيّ بعد مهنيّ وريفيّ بعد ريفيّ،
سوف يَنْبتون من تلقاء أنفسهم مثل الحَبّ:
45 وليس بأقلّ من النجوم الأبدية في السماء
فلن يتبدّل ذلك قط!
عند ذلك سوف يُحتفل بأبهة، ليلاً ونهاراً
بأعياد الآلهة،
(وذلك) وفق البرنامج الواسع الذي وضعه
كل من آن وإنليل وأنكي ونينماخ[١]
الآلهة ـ الرئيسيون!»
وفي المكان نفسه، حيث تمّ خلق البشر
50 نُصّبت نيسابا[2] سيدة عليهم
ـ ها هنا عقيدة سرية
يجب ألاّ يتمّ التحدث بها إلا
في ما بين المؤهّلين![٣] ـ.

---

(١) (Nin-mah) قرينة إنليل ومعنى اسمها السيدة الفائقة السمو.
(٢) (Nisaba) الإلّهة الحامية للزراعة ولسنا هنا أمام النص الوحيد الذي يعطي للزراعة كامل أهميتها في بلد مثل ما بين النهرين ذي التربة الخصبة والمياه الوفيرة.
(٣) هل نحن هنا ولأول مرة أمام فكرة التفريق بالنسبة لأسرار الآلهة بين الخاصة والعامة؟

(٥٣) ـ إختراع الفأس وأصل البشر

١ ـ هذا النص السومري يعود إلى بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد، ونشهد فيه فيما يتعلق بعملية الخلق غياب دور الإلّه أنكي وتفرّد الإلّه إنليل في الاستعداد لتنفيذها بدءاً باختراع أداة حضارية مهمّة هي الفأس وبعد مباركتها فإنه يحملها إلى قاعة «مصنع ـ الأجساد» في معبده ويستعملها لاستخراج الصلصال لملء القالب (قالب خلق البشر) وهذه الفأس هي التي يسلّمها الآلهة إلى البشر فيما بعد ليعملوا بها.

٢ ـ وإنليل هو وحده الذي يقرر للبشر مصير أعمال السخرة وهو وحده الذي يبتدع أداة هذه السخرة وهي الفأس التي تطلق أعمال الزراعة والبناء وتعمر البلاد.

إنليل والتكوين

1 في الحقيقة، الإلّه (إنليل) هو الذي
أظهر إلى الوجود كل ما يتصف بالكمال!
الإلّه الذي إلى الأبد، يقرر المصائر،
قبل أن يُخرج من الأرض بذور البلاد
عمِد بعناية إلى فصل السماء عن الأرض
5 وفَصَل الأرض عن السماء!

صنع الفأس وتمجيدها

ولكي يخلق في «مصنع ـ الأجساد»[1]
الأوّلَ (من سلالة البشر)
فقد أتى بوتدٍ إلى دور ـ آن ـ كي[2] (نفّر)!
وصنع منه فأساً
ومنذ اليوم التالي
قرر نظام السخرة معيناً بذلك مصير
(البشر في المستقبل)
10 وبتعيين أدوات هذه السخرة
مجّد إنليل الفأس:
الفأس الذهبية، ذات «الرأس» المصنوع
من اللازورد
والمشدود بأربطة من الذهب والفضة النقيين،
شفرتها تشبه محراثاً من لازورد
15 ورأسها يشبه ثوراً وحيد القرن
منفرداً على كتلة ردمٍ عريضة!

خلق البشر

بعد أن تأمل بإعجاب بهذه الفأس
قرر الإلّه مصيرها
وبعد تتويجها بإكليل ـ من ـ الخضرة (؟)
حملها إلى «مصنع الأجساد»

---

(١) إحدى قاعات معبد الإلّه إنليل في نفّر (Nippur)، وردت في النص (٥٢)، السطر (١٨).
(٢) (Dur-An-Ki) بمعنى الرباط بين السماء والأرض، وردت أيضاً في النص (٥٢)، السطر (١٨).

واستعملها، ليضع في القالب (المخلوق)
الأول (من سلالة البشر).
20 منذ ذلك الوقت، وأمام (إنليل)، بدأ
تكاثر البشر على هذه الأرض!
بينما كان إنليل يسهر على ذوي
الرؤوس ـ السوداء[١].

تمجيد إنليل من قبل بقية الآلهة
ووضع الفأس بيد البشر

والأنونّا[٢] الذين هم حاشيته،
وأيديهم على أفواههم وبكل تأييد
مجدّوا عند ذلك إنليل هاتفين له
25 ووضعوا الفأس تحت تصرف ذوي الرؤوس ـ السوداء
[......]

---

(١) وهي الصفة التي تطلقها النصوص على سكان ما بين النهرين.
(٢) (Anunna) هنا، الآلهة ـ العظام أعضاء مجلس الآلهة.

(٥٤) ـ كيف أدخلت الحبوب إلى سومر وحياة البشر قبل ذلك

١ ـ يطرح هذا النص السومري تساؤلات عدّة لفهم محتواه، ومع أنه لا يتعلق مباشرة بخلق البشر، فإنّه يصف لنا حالة معيشتهم قبل إدخال الزراعة إلى سومر: إذْ كانوا كالخرفان يرعون العشب.

ويرى النصّ أن الإلّه آن[١] هو الذي أنزل الحبوب من السماء، تحت التسمية الإلّهية: أشنان[٢]. أما الإلّه إنليل[٣] حين نزل من «جبل الكون» حيث كان مقر الآلهة لم يجد مكاناً لإيداع الحبوب إلا على الجبل ذي أريج الأرز، فكدّس الحبوب على جبل الأرز وأقفل المنافذ إليه من بلاد سومر حيث كان يعيش البشر آنذاك مثل الخرفان.

٢ ـ إلا أن أخوين إلّهيّين هما «نين ـ آزو»[٤] و «نين ـ مادا»[٥] يريدان إنزال الحبوب من الجبل وكشف سر الشعير إلى بلاد سومر التي تجهله... وبسبب تردد أحدهما وتمنّعه عن مخالفة أوامر إنليل الذي أقفل الجبل، يذهبان لاستشارة إلّه الشمس أوتو[٦] السماوي، والاستشارة على ما يظهر تتم ليلاً حين كان أوتو نائماً. ويقف النص عند هذا الحدّ.

---

(١) (An) إلّه السماء.

(٢) (Ashnan) التسمية الإلّهية للحبوب وهي تشمل هنا الشعير والكتان.

(٣) (Enlil) إلّه الهواء ورئيس مجمع آلهة سومر.

(٤) (Nin-azu) ومعناه السيد الذي يعرف المياه.

(٥) (Nin-mada) ومعناه السيد الذي يعرف الأرض.

(٦) (Utu) الإلّه الشمس.

٣ ـ ويرجّح أن للنص تتمة مفقودة، وهو من مكتشفات نفّر ويعود إلى نهاية الألف الثالث ق. م.

آن يُنزل الحبوب من السماء

1 في ذلك الزمان، كان البشر لا يأكلون سوى العشب
كما يفعل الخرفان:
عند ذلك، ومنذ القِدم
أنزل آن من السماء، الحبوب
(أشنان): الشعير والكتان.

لكن إنليل منع من الوصول إليها

وبينما كان إنليل يستعد مثل عنزٍ بري
للهبوط من الجبل الشديد الانحدار(١)
(فإنه) ألقى بنظرةٍ إلى الأسفل: فهذا هو البحر الأجرد
5 نظر عندئذ نحو الأعلى:
فذلك هو الجبل ذي أريج الأرز(٢)
وَضَع إذن، الشعير في أكداس
وأودعه على ذلك الجبل ـ
جعل ثروة البلاد في أكداس
وأودعها جبل [. . .]
ثم سدّ منافذ جوانب المنطقة الجبلية
التي كانت سهلة ـ الولوج
10 بأوصدةٍ تصل بين السماء والأرض

(١) مقر الآلهة: جبل الكون.
(٢) المنطقة الجبلية المشرفة على ما بين النهرين شرقاً وفي الشمال الشرقي.

وبمزالج هي [...]
[...].

إله ثانوي يقترح على أخيه إنزال الشعير إلى بلاد سومر

في يوم من الأيام، قال نين ـ آزو[1] [...]
لأخيه نين ـ مادا[1]:
15 «لنصعد إلى الجبل حيث ينمو الشعير والكتان،
وبواسطة النهر ذي المياه الجيّاشة
التي تتدفق من الأرض،
لننزل الشعير من على الجبل
ولنجلب حتى سومر هذا الشعير ـ إينّوخا[2]
20 وبذلك نكشف سرّ الشعير إلى سومر التي تجهله!».

تردد الأخ واقتراح استشارة أوتو، إله الشمس

لكن نين ـ مادا الذي كان خاضعاً لآن[3] [أجابه]:
«بما أن أبانا لم يصدر لنا الأمر بذلك ـ
وبما أن إنليل[4] لم يكلفنا بذلك
لماذا إذن سنصعد إلى الجبل
25 وننزل منه الشعير
لنجلب حتى سومر، هذا الشعير اينّوخا
ونكشف بذلك عن سر الشعير إلى سومر
التي تجهله؟

(١) انظر الملاحظتين (٤) و (٥) في المقدمة.
(٢) (innuha) نوع من الشعير الجبلي.
(٣) آن: (An).
(٤) إنليل: (Enlil).

أولى بنا! أن نذهب [لاستشارة]

أوتو السماوي:

الذي ينام، الذي ينام ويغفو،

30 أوتو الباسل ابن نينچال[١]

الذي ينام ويغفو!»

رفعا عند ذلك أيديهما[٢]

نحو أوتو ـ ذي ـ السبعين باباً . . .

(التتمة مفقودة).

---

(١) (Nin-Gal) بمعنى السيدة العظيمة، وهي قرينة الإلّه القمر نانا (Nanna) ووالدة إينانا (Inanna) وأوتو (Utu).

(٢) بقصد الصلاة.

(١ ـ ٤) ـ النظرة الشاملة للتكوين والخلق

١ ـ عرفت بلاد ما بين النهرين في تاريخها القديم المدن ـ الممالك. ويمكننا القول: عرفت «حضارات ـ المدن» التي كانت آلهتها الحامية تمثلها وكان كل إلّه يسعى لكي تزدهر مدينته ويزداد تألقها. وفي ذلك الوقت، كانت علاقات المدن والتبادل فيما بينها، يتم بكل بساطة عن طريق زيارات الولاء والتكريم ووسط احتفالات ومآدب سلمية. ولم تكن الحروب هي التي تقرر المصائر وتفرض السيطرة. وإذا ما استعرضنا نصوص تلك الفترة التي سيأتي إثباتها بالتفصيل في الكتاب الثالث من هذه المجموعة، فإننا نشهد:

- الإلّه القمر يغادر مدينته أور[١] محملاً بالهدايا ويتوجه إلى نفّر[٢] طالباً من الإلّه إنليل[٣] الرخاء لمدينته.
- وهذا هو الإلّه أنكي[٤] يبني معبده في إريدو[٥] ويتوجه إلى نفّر لتلقي بركة إنليل.
- أما الإلّهة إنانا[٦] فهي بدورها تغادر مدينتها أوروك[٧] لتزور أنكي في إريدو ولتعود بعد ذلك بسفينتها المملوءة بأسس الحضارة لمدينتها أوروك.

---

(١) (Ur).
(٢) (Nippur).
(٣) (Enlil).
(٤) (Enki).
(٥) (Eridu).
(٦) (Inanna).
(٧) (Uruk).

- والإلّه نينورتا[1] (ابن إنليل) يزور مدينة إريدو مقدّماً ولاءه لأنكي، تيمّناً بالرخاء والكثرة في مدينته. ونينورتا أيضاً بعد انتصاره على «الجبل» يعود إلى نفّر مطالباً والده إنليل بمزيد من السلطة بسبب انتصاره. . .

٢ ـ تلك كانت الصورة المبسّطة، يوم كان الآلهة وليس الملوك هم الذين يتبادلون فيما بين مدنهم نقل أسس الحضارة ويسهرون هم بأنفسهم على مصلحة المدينة وبالتالي على مصلحة الملك وكان دور الملك تكريم الإلّه ورعاية الشعب، بتكليف من الإلّه.

٣ ـ أما هذه الصورة التي قلنا عنها بأنها صورة مبسّطة توحي بها النصوص أو تحركات الآلهة التي استعرضناها في الفقرة السابقة والتي ستكون موضوع الكتاب الثالث من هذه المجموعة، هي باعتقادنا صورة مثالية مجمّلة، نقلتها ذاكرة ما بين النهرين عمّا تداولته طِوالَ حوالي ألف عام سبق، الروايات الشفهية عن قصص المدن والآلهة وعن تلك الفترة التي لم يبق منها سوى سحرها الميثولوجي المثالي، يوم سُجّل مضمونها اعتباراً من نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني لما قبل الميلاد، على اللوحات الفخّارية التي وصلت إلينا. ويمكننا القول إنها تمثّل تاريخاً ميثولوجياً لفترة «إلّهية التدخّل»، كما يمكن وصفها.

٤ ـ أما ما يسمّيه علماء السومريات، بالفترة البطولية أو العصر البطولي الذي سبق ابتداع الكتابة بدءاً من تاريخ ٢٨٥٠ ق. م تقريباً وتطورها طِوالَ ما سمي بعصور بدايات الملكية الأولى (بين حوالى ٢٨٥٠ و٢٥٠٠ ق. م) والملكية الثانية، (بين حوالى ٢٥٠٠ و٢٣٥٠ ق. م). وفي هاتين الفترتين تتحدث النصوص، ذات الأساس التاريخي عن مدن مثل:

- أوروك[2] وملوكها: لوچال باندا وإينمركار وچلچامش[3].

---

(١) (Ninurta).

(٢) (Uruk).

(٣) (Lugalbanda) و (Enmerkar) و (Gilgamesh).

ـ وكيش[1] وملوكها: (اينميبار اجيزي) و (آكّا) و (ميسليم)[2].

ـ وآراتّا[3] في بلاد عيلام وملكها اينشوكوشيرانّا[4].

ولن نعدد ملوك الفترة الثانية لبدء الملكية وأشهر المدن التي برزت خلالها هي أور[5] وقبورها الملكية الشهيرة، ولغش[6] وأومّا[7] وأوروك[8]...

٥ ـ عن هاتين الفترتين وصلتنا إذن بعض النصوص التي تروي أحداث التنافس على المواد الأولية الذهب والفضّة والأحجار الكريمة، وحتى الصخور، الضرورية لبلاد الصلصال؛ وكذلك احتياج المناطق الجبلية إلى الحبوب التي نمت بكثرة في البلاد المنخفضة. وتروي كذلك المنافسات على السلطة للاستحصال على تلك المواد كجزية لمنتصرٍ أو كتبادلٍ جبري بين مملكتين... ونخرج هنا من العصر المثالي لتدخّل الآلهة، في «عصر ذهبي» خيالي، لندخلّ أكثر فأكثر في عالم الملوك والمطامع البشرية للامتلاك والسيطرة وبسط النفوذ بالاعتماد على الحرب والدمار، أكثر من الاعتماد على حرب الأعصاب والتهديد بغضب الإلّه أو الإلّهة التي سحبت حمايتها عن مملكة معيّنة لتمنحها إلى مملكة أخرى أحسنت تزيين معبدها مثلاً، يذكرنا ذلك بنصّ سوف نورده في الكتاب الرابع عن حرب الأعصاب التي دارت بين أوروك وآراتّا[9] وكانت إنانا، هي التي حَسَمت النزاع، بتحويل وجهها عن ملك آراتّا مما جعله يخضع لأوروك.

٦ ـ وبقدر ما كانت تزداد أهمية نفوذ المملكة وتتوسع سلطتها، بقدر ما كانت تزداد أهمية الملك الذي حققها وتزداد بالتالي أهمية إلّه المملكة الذي سمح بها وتتوسع عبادة هذا الإلّه.

---

(١) (Kish).

(٢) (Enmébaraggesi) و (Akka) و (Meslim).

(٣) (Aratta).

(٤) (Ensukushiranna).

(٥) (Ur).

(٦) (Lagash).

(٧) (Umma).

(٨) (Uruk).

(٩) (Aratta).

وقد عرفت الفترات التالية القيام الصاعق لأمبراطورية سرجون الأكادي، سرجون الكبير ابتداءً من سنة ٢٣٤٠ ق. م والتي لم تدم أكثر من قرنٍ وربع القرن إذ غُلبت على أمرها على يد قبائل الجوتو[١] وهم جبليو المناطق الغربية من إيران وهم الذين اجتاحوا سومر وأكاد ومسحوا نهائياً مدينة «أكّادي»[٢] عاصمة سرجون، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك. واستعادت بعد ذلك ملكية لغش[٣] الثانية أهميتها (حوالى ٢٢٠٠ ـ ٢١٠٠ ق.م) وكذلك شهدت بلاد سومر عودة ملكيتي أور[٤] الثالثة (حوالى ٢١١٠ ـ ٢٠٠٠ ق.م) وملكية إيسين[٥]، وقد تعرفنا من خلال الكتاب الأول على ملوك هاتين الفترتين الذين اشتركوا في طقوس الزواج الإلّهي[٦].

إلا أن مدينة جديدة، لم تكن لها أهمية، كتلك التي عرفتها المدن والعواصم التي ذكرناها في المقاطع السابقة ولم تعرف الآلهة ـ العظام مثال آلهة (نفّر) و (أريدو) و (أوروك)... بدأت تبرز وتفرض أهميتها وتعرِّف بإلّهها. تلك المدينة التي بدأت تصعد منذ بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد (حوالى ١٨٩٤ ق. م) هي مدينة بابل وإلّهها هو مردوك[٧].

٧ ـ عمدنا إلى إدراج هذا الاستعراض عن المدن ـ الممالك التي لعبت دوراً في تاريخ سومر وأكاد وعن آلهتها بغية التوصل إلى تقديم دور بابل ودور مردوك. ونحن بالطبع في مرحلة تاريخية سبقت نشوء نينوى وأشور.

ومن المفيد التذكير بأن الإلّه مردوك، كان في البداية إلّه مدينة صغيرة لم تكن لها أية أهمية خاصة في بلاد ما بين النهرين ولم يتألّق نجمها قبل مجيء سادس ملوك أسرتها المالكة إلى الحكم وهو حمورابي الشهير (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق. م) حين جعل منها

---

(١) (Qutu) أو (Gutu).

(٢) (Akkadé) لم يعثر على بقاياها حتى اليوم ويرجح أنها كانت تقع على بعد حوالى ٤٠ كم إلى الشمال الغربي من بابل.

(٣) (Lagash).

(٤) (Ur).

(٥) (Isin).

(٦) انظر الكتاب الأول: فصل (٢) فقرة (٢).

(٧) مردوك (Marduk) قدّم في مجمع الآلهة الأكادية كابن للإلّه أنكي/ إيا، وقرينته هي زراپانيت (Zarpanit)، ومعبده في بابل هو الـ إيساجيل (E. SAG. IL) بمعنى البيت ذو الرأس الشامخ.

عاصمته، وعاصمة مملكة ضمت أخيراً وبشكل مستمر كامل البلاد والتي عرفت من جديد، انطلاقاً مهمّاً في عالمي السياسة و «الثقافة» وارتفعت بابل في جميع المجالات وارتفع وارتقى معها الإلّه مردوك الذي لم يكن غير إلّه من الدرجة الثانية ولم يكن معروفاً قبل بداية الألف الثاني، ارتقى إذن مردوك وبالتدريج عمّت أهميتُه جميعَ أنحاء المملكة.

٨ ـ ولم يغفل حمورابي الإشارة إلى أهمية مردوك والتشديد عليها في مقدمة تشريعه[١] التي نورد عنها المقتطف التالي:

«آنو[٢] العظيم، ملك الآنوناكي[٣] وإنليل[٤] سيد السماء والأرض، مقرّراً مصائر البلاد، خصّا مردوك[٥] ابن أنكي[٦] بالسلطة المطلقة على جميع البشر. ورجّحاه بين الإيجيجي[٧]، عندما مَنحُوا بابل دَوْراً فائق السمو وجعلوا سلطتها تغمر العالم، وذلك حين أقاما فيها ملكية أبدية، هي مثل السماء والأرض، لا تتزعزع...»[٨].

وتلك الفترة، والفترة التي تلتها عرفت في مجال التشريع والثقافة الدينية ازدهاراً هائلاً ولتلك الفترة بالذات يعود نسخ وحفظ معظم ما وصلنا من النصوص السومرية، وتمّ ذلك خلال الربع الأول من الألف الثاني ق. م[٩].

٩ ـ وبعد فترة خمود خلال الاحتلال الكوشي، بين حوالى عامي (١٥٩٤ ـ ١١٥٦ ق. م) استعادت البلاد استقلالها واستعادت بابل نفوذها بعد نشوة انتصار نبوخذ نصّر

---

(١) سوف تنشر بكاملها في الكتاب الثالث.
(٢) (Anu).
(٣) (Anunnaki): الآلهة القادة.
(٤) (Enlil).
(٥) (Marduk).
(٦) (Enki).
(٧) (Igigi) مجموع الآلهة ـ العظام.
(٨) مقدمة تشريع حمورابي: الوجه الأول (١: ٢٦).
(٩) انظر المقطع (٩) أعلاه في الفقرة (١ ـ ٣) من هذا الفصل.

الأول (حوالى ١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق. م) على العيلاميين وعودة تمثالي مردوك وقرينته زاربانيت[1] إلى بابل.. بعد اختطافهما قبل حوالى نصف قرن من قبل الأعداء «لإضعاف بابل» ـ بعد عودة مردوك منتصراً إلى مدينته وتأمينه النصر لنبوخذ نصّر الأول على أعدائه ـ عاد مردوك ليصبح إلّه البلاد وإلّه العالم. وبين مقدمة تشريع حمورابي ومحتواها التفخيمي لقدرة مردوك وتفوقه، وبين الانتصار الذي حقّقه نبوخذ نصّر باسمه، نضجت أكثر فأكثر شمولية النظرة إلى مردوك وإلى دوره وشمولية دور المملكة وأصبح من الممكن عندئذٍ إعطاء مردوك كل الأدوار الإلّهية التي تليق به وتجعل من بابل ملكية «مثل السماء والأرض، لا تتزعزع» ـ أصبح من الممكن آنذاك تأليف أكمل وأشمل قصيدة تمجّد مردوك وهي «الإينوما إيليش» قصيدة التكوين والخلق البابلية، ليصبح مردوك بطل الانتصار في الحرب الكوسمية بين آلهة البدء وليصبح بطل التكوين وخالق البشر والإلّه الوحيد الذي يجمع في شخصه وفي «أسمائه» صفات جميع الآلهة.

١٠ ـ وفي مجال تلك النظرة الشاملة للتكوين والخلق نقدّم في ما بعد قصيدة التكوين والخلق تحت الرقم (٥٥) ونرى أنه من المفيد قبل ذلك، بالنسبة لهذا النص الكامل للتكوين والخلق، وبالنسبة لبعض النصوص التكوينية القصيرة التي تم عرضها سابقاً من ضمن الفقرة (١ ـ ٢) من الفصل الأول، أن نستعرض مجموعة الأفعال المستعملة لغوياً في سرد ورواية عمليات التكوين والخلق.

١١ ـ نشير إذن إلى الأفعال الأكادية المستعملة في عملية التكوين والخلق ونقدّم بصددها المعنى الذي تمّ تبنيه من قبل علماء هذه اللغة ونستعرض بالنسبة لكل من هذه الأفعال ما حافظت عليه اللغة العربية وفقاً للمعاني والصيغ الأكادية مشيرين في الوقت نفسه إلى مكان ورود هذه الأفعال في النصوص التي نحن بصددها مثال: (٤٧ : ٣) أي النص رقم ٤٧ والسطر ٣. أو (٥٥/١ : ٧ و١٠) أي النص ٥٥/ اللوحة الأولى، السطران ٧ و١٠. ونقدم هذا العرض وفقاً للجدول التالي:

---

(١) (Zarpanit).

التعبير الأكادي ومكانه في النص	المعنى المتبنّى من قبل علماء الأكاديات	المقابل باللغة العربية
(شوفو) (١) (٧: ٣) و (١/٥٥ : ٧ و١٠)	أظهر الشيء، جعله يُرى.	(١) تشوّف للشيء: تطلّع إليه وتشوّف من السطح: تطاول ونظر وأشرف وكذلك اشتاف إليه. وشَافَهُ العامية بمعنى نظر إليه(*)
(شوفو) (٢) (٥٠ : ٨) و (٥/٥٥ : ١٢)	جعل الشيء يَلْمع	(٢) شافَهُ يَشُوفه بمعنى جلاه وصقله، ودينار مَشُوفٌ أي مجلوّ. وتشوّف بمعنى تزين وتشوفت الجارية: تزينت ويحتوي هذا المعنى على بهجة ولمعان الزينة.
(إزوزّو) (٤٧ : ٣٠)	بمعنى انتصب وقام ليوضع تحت التصرف (هنا تصرف البشر)	أزّت القدر، أزاً وأزيزاً: اشتد غليانها أزّ النارَ: أوقدها
(أودّو) (٥١ : ٢) و (١/٥٥ : ٧٦) (٥/٥٥ : ٣)	بمعنى: عينّ، حدّد (السنة) وعينّ استعمال (قاعة) وجعل الإشارات ظاهرة للعيان	ما يقارب هذه المعاني في اللغة العربية، لا نجد سوى: ـ عدّد: أي سمّى الواحد تلو الآخر وحدّ الشيء عن الشيء الآخر أي ميّزه عنه
تعابير مستوحاة من النشاطات اليدوية:		
(خِيرو) (٤٩ : ٢)	حفَر: مجرى نهر	الـخُرّ: ما خدّه السيل من الأرض الخرور: المكان فيه أخاديد وماء
(قاراصو) (٤٤ : ٢٦) أو (كاراصو)	بمعنى التقط حفنة أو قبضة (من الصلصال ـ قرَصَ	ـ القَرْص: الأخذ بأطراف الأصابع ـ كَرَصَ واكْترَصَ الشيء: جَمَعَهُ

(*) لقب الشوّاف وهو كنية المترجم، مشتق من شوفو الأكادية.

التعبير الأكادي ومكانه في النص	المعنى المتبنّى من قبل علماء الأكاديات	المقابل باللغة العربية
(راكاسو) (٤٧ : ١٧)	ـ ربط فيما بينها عناصر (العوّامة)	ـ رَكَسَ البعير: شدَّهُ بالركاس والركاس هو الحبل.
(مُلُو وتملُو) (٤٧ : ٣١)	بمعنى كوّم (التربة)	ـ ملأ الإناء ماءً وبالماء فهو مالىء والإناء مملوء ـ تملأ من الطعام والشراب
(إصرُوا) (٥١ : ٣) (٥٥/٥ : ٣ و٥)	رسم (هيئة) صوّر	ـ الصورة: الشكل وكل ما يُصَوّر مشبَّهاً بأصل ويقال اشتقاق الصورة من صَارَه إلى كذا أي أماله إلى شَبَهٍ وهيئته.
تعابير مستوحاة من أعمال البناء		
(شُرشودو) (٥١ : ٣) (٥٥/١ : ٧٧) (٥٥/٥ : ٦)	أسّس أو أقام على أساس	ـ الشرش: ما يسري في الأرض من أصول الشجر ـ والشرش في لغة أعمال البناء هو أساس الركيزة.
(رامو) (٤٧ : ١٣)	«رفع» (بناءً) أقام (بناءً)	ـ المَرَام بمعنى المطلب ومرام النفس يتضمن العلو والرفعة ـ حافظت الأوغاريتية على معنى رفع وأقام بناءً في فعل رَمَمَ ـ واسم رام الله يعني الارتفاع
(قصارو) (٣٩ : ٢)	شيّد (بناءً)	ـ القصر: المنزل الفخم وكل بيت من حجر، وما شيّد من المنازل وعلا خلافاً للخيام وقصور الناس عن الارتقاء إليه واقتصاره على بقعة أرض ـ القصارة: الدار الواسعة المحصّنة.

التعبير الأكادي ومكانه في النص	المعنى المتبنّى من قبل علماء الأكاديات	المقابل باللغة العربية
(باشامو) (٤٣ : ١)	أعطى شكلاً (لبناء) ثبّت (تربة)	لم تحافظ اللغة العربية على علمنا بمثل هذا المعنى
(بشّومو) (٣٩: ٢) و (٥٥/٥: ١٢٢)		
(كونّو) (٤٩ : ٢) (٥٥/١: ٧١) (٥٥/٥: ٨ و٦٢)	أقام بشكل ثابت ومتين (بناءً)	حافظت اللغة العربية على معاني: كوّن الشيء تكويناً أي أحدثه والكائنات: الموجودات من كل شيء والكون: الوجود
(عِفِيشُو) (٤٥ : ٧٣) (٥٥/٥: ١٢٢)	صَنَع يدوياً وتستعمل لإقامة وإعداد بناء	ـ عَفَش الشيء، يعفشه، عفشاً بمعنى جمعه ـ العفش بالعامية ما تجمّع من الأثاث والأمتعة
(بانو) (٤٤ : ٢٤ و٢٧) (٣٩: ١)... وفي غالبية النصوص	بنى، أقام (بناءً) وتستعمل أيضاً بالنسبة للتربة	ـ لم يتبدل هذا المعنى بالنسبة للغة العربية
(فتاقو) (٤٧ : ٢ و٣٤) (٤٧: ٢٢)... (٤٤ : ٣٦ و٣٧)	أخرج، أحدث، شكّل، خلق بالنسبة للنباتات بالنسبة للحيوانات بالنسبة للبشر	ـ فَتَقَ بمعنى شقّ، ضد رتق ـ فتِقَ بمعنى أخْصَبَ ـ فَتَقَ المِسك بغيره: استخرج رائحته ـ الصبح الفتيق: المشرق ـ تفتقت (القريحة)

التعبير الأكادي ومكانه في النص	المعنى المتبنّى من قبل علماء الأكاديات	المقابل باللغة العربية
تعابير ذات علاقة بالإنجاب والولادة		
(ريحو) (٤٦ : ١) (٥٥/١ : ٨٠)	خلق، أنجب	حافظت اللغة العربية على: ـ روَّحَ قلبه: أنعشه وطيّبه ـ الروْح: الراحة والرحمة ـ الرُوح: ما به حياة الأنفس
(ألادُو) (٥٥/١ : ١١٥) (٤٣ : ١ وما بعد)	ولّد، ولد استعمل هنا بصدد توليد الرياح	لم يتبدل المعنى بالنسبة للغة العربية

(٥٥) ـ الإينوما إيليش: قصيدة التكوين والخلق البابلية[١] وارتقاء الإله مردوك

١ ـ هذه القصيدة الشموليّة التي تتألف من حوالى ١١٠٠ سطر أمكن تجميعها من حوالي ستين نسخة لأجزاء منها مختلفة، تمّ اكتشافها في أماكن عديدة وخلال فترات زمنية متباعدة. أما عن التعريف باكتشاف مثل هذه القصيدة، فقد أشير منذ عام ١٨٧٥، إلى وجود نص بابلي يحتوي على قصة التكوين والخلق[٢]. وأكمل نسخة نشرت عن الـ (إ. إ) حتى اليوم بلغتها الأكادية وبمقاطعها المسمارية، تمّت في عام ١٩٦٦. كما تمت ترجمتها منذ بداية هذا القرن إلى أكثر من لغة، وأقدم ترجمة فرنسية لها ترجع إلى عام ١٩٣٥؛ وبما أنها لم تعد صالحة اليوم، فقد أعيد النظر فيها ضمن نشرة ١٩٧٠. وأحدث ترجمة لهذه القصيدة تعود لعامي ١٩٨٥ و١٩٨٩.

٢ ـ قلنا في المقاطع السابقة إن تاريخ تأليف قصيدة الـ (إ. إ) اعتماداً على الرأي الذي يجعل منها أكثر حداثة، أي أقل قدماً، أُعيد إلى فترة حكم نبوخذ نصّر الأول (حوالى ١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق. م) وأقدم نسخ منها، وهي التي عثر عليها في أشور لم تكن سابقة لبدايات الألف الأول لما قبل الميلاد، كما أن أجزاء كثيرة منها، عثر عليها في مكتبة أشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٧٢ ق. م) في نينوى ولكن نسخاً أخرى تمّ اكتشافها في كل من كيش[٣] وسيبار[٤] وسلطان ـ تيبي[٥] وحتى بعد سقوط بابل في عام (٥٣٩

(١) خلال عرضنا لهذه القصيدة وتحاشياً لتكرار مطلعها الأكادي في كل مرة، سوف نكتفي بالإشارة إليها بالحرفين المهموزين (إ. إ) للتبسيط عوضاً عن (إينوما إيليش).

(٢) مقال ج. سميث (G. SMITH) في الديلي تلغراف بتاريخ ١٤ آذار ١٨٧٥.

(٣) (Kish).

(٤) (Sippar).

(٥) (Sultan-Tepe) على الخابور شمالي البلاد.

ق. م)، استمرت البلاد على نسخ وتداولِ هذه القصيدة، حتى النصف الأول من الألف الأول للميلاد (أي حتى عام ٥٠٠ م).

٣ ـ ومّما يلفت النظر، أن هذا النص لم يعدّل خلال الفترات الزمنية اللاحقة لتأليفه، بل كان يعاد نسخه فقط. والجدير بالذكر أيضاً، بأنه يوم أراد الأشوريون في فترة حكم سنحريب (٧٠٤ ـ ٦٨١ ق. م)، رفع إلٓههم أشور إلى ما كانت عليه مرتبة مردوك، استبدلوا اسم مردوك باسم أشور وأعادوا نشر قصيدة الـ (إ. إ)، دون أي تعديل آخر[1] ليصبح الإلٓه أشور بطل التكوين والخلق وسيد الآلهة والبشر.

٤ ـ ولا بد من الإشارة، قبل الدخول في تفاصيل محتوى الـ (إ. إ) أن هذه القصيدة تمّ تأليفها، من قبل مفكرٍ أو مفكرين بابليين، كانوا على اطلاع كامل وعميق على تراثهم السومري ـ الأكادي الذي تناقلته التقاليد الشفهية منذ أكثر من سبعة عشر قرناً والذي تمّ تسجيله على اللوحات الفخارية باللغتين السومرية والأكادية منذ أكثر من عشرة قرون، هذا التراث اتُّخذ كأساس في ذلك الوقت، وتمّ استيحاؤه بذكاء وخيالٍ لا يمكن معهما التشكيك بعبقرية مؤلف الـ (إ. إ) الذي تَصوّر خِدمةً لقضية الإلٓه مردوك وبقصد إعطائه الأولوية والأفضلية في كل شيء، تصوّر أن خطراً بَدْئياً كان «يتهدّد» جميع الآلهة، وأن مردوك هو البطل الوحيد الذي أنقذهم منه، وبكل ذكاءٍ بعد ذلك، عمد إلى الاستفادة من انتصاره، فخلق الكون وخلق البشر ووضع كل شيء في مكانه وحدد الأدوار وقرر المصائر. فأصبح إلٓهاً وسيداً لجميع الآلهة والبشر واستحق مركز الصدارة، فاعْتُرِفَ بمجده من قبل الآلهة جميعاً وأغدقت عليه جميع الألقاب والأسماء الإلٓهية الخاصة.

٥ ـ هذه القصيدة البدئية هي بمثابة الميتوس لأصول الأشياء كلّها. فهي تروي قصة ولادة الآلهة وتحديد الأدوار، أدوار الآلهة، وقصة التكوين وإطلاق عناصر الكون على مساراتها وفق نظامٍ أقرّه الإلٓه مردوك. كما تروي قصّة خلق البشر وتقرير مصيرهم ودورهم كبشر.

وليس من المستغرب، حين كان البابليون وهم يحتفلون بعيد رأس السنة

(١) أي فيما يتعلق بعمليتي التكوين والخلق.

«الأكيتو»[1]، يعودون إلى حالة الفوضى، «العماء البدئي»، ثم يسيطرون على هذا العماء، ويعيدون بناء المملكة بعد ذلك في حلّة جديدة ومتجدّدة، تحمل كل الخير والرخاء لشعبها، لم يكن من المستغرب ـ أن يُتلى في هذا العيد، أمام جماهير الشعب المحتفلة، النص الكامل لقصيدة التكوين والخلق الـ (إ. إ) تمجيداً لمردوك إلّه جميع الآلهة والبشر، وذلك في مدينته بابل التي يضاهي قدمها قدم الآلهة[2]. وليس بالمستغرب بالتالي أن يحمي مردوك مدينته ومَلِكها ويغمرها بالأمجاد، وأن يَـحْملَ لها «الزواجُ الإلّهي»، الزواج المقدس الذي يحققه الملك[3]، الخصبَ والكثرةَ لكامل المملكة.

٦ ـ تتوزع قصيدة الـ (إ. إ) على سبع لوحات، تحوي كل لوحة حوالى ١٥٠ سطراً أو بشكل أدق، فإن عدد الأسطر من اللوحة الأولى حتى السابعة هو كما يلي: $\frac{١٦٢}{١}$، $\frac{١٥٠}{٢}$، $\frac{١٣٨}{٣}$، $\frac{١٤٦}{٤}$، $\frac{١٥٥}{٥}$، $\frac{١٦٦}{٦}$ و$\frac{١٦٣}{٧}$ أي بمجموع ١٠٧٩ سطراً لكامل القصيدة. أما محتواها الإجمالي، وقبل التعرض للنصّ بحدّ ذاته، فيمكننا عرضه وتلخيصه كما يلي:

اللوحة الأولى: العماء البدئي وولادة الآلهة ـ نشوب الأزمة الأولى وتدخل الإلّه إيا ـ نشوب الأزمة الثانية والاستعداد للمجابهة.

اللوحة الثانية: الآلهة المهدّدون يفتشون عن منقذ، وتوجّه الأنظار نحو الإلّه مردوك.

اللوحة الثالثة: مردوك يُمنح جميع الصلاحيات بناء على طلبه.

اللوحة الرابعة: المعركة والنصر
ـ مردوك يكوّن وينظّم.

اللوحة الخامسة: متابعة تنظيم الكون ومبايعة مردوك
ـ مشروع بناء بابل وخلق البشر.

اللوحة السادسة: خلق البشر ثم إقامة بابل
ـ تنصيب مردوك والبدء بتعديد أسمائه.

اللوحة السابعة: متابعة تعديد ألقاب وأسماء مردوك الخمسين والتمجيد الأخير.

تلك هي بصورة مقتضبة العناوين العريضة لمحتوى اللوحات وسوف يتمّ التعليق على أهمّ تفاصيل هذا المحتوى من خلال عرض النص.

---

(١) (Akitu) الموافق أول الربيع بشكلٍ عام.
(٢) سوف يفهم ذلك من خلال نص القصيدة (اللوحة السادسة).
(٣) راجع، حول الزواج الإلّهي، الكتاب الأول، الفصل الثاني، الفقرة (٢ ـ ٣).

اللوحة الأولى

المياه البدئية (الغمر)

1 بينما في الأعالي

لم تكن السماء قد سمّيت[1] بعد،

والأرض اليابسة في الأسفل،

لم يكن أطلق عليها أي اسم،

وحدهما، أبسو[2] ـ الأول

والدهم

والأم (؟) تيامت[3]

والدتهم جميعاً،

5 كانا معاً يمزجان

مياههما:

فلا منابت القصب كانت قد تكتّلت بعد

ولا المقاصب كانت فيها مُميّزة.

---

(١) التسمية بمفهومها الأكادي هي مرادفة للوجود، وجود الشيء بتسميته.

(٢) (Apsu) هو أحد عنصري المياه البدئية وهو هنا بمثابة عنصر الذكورة.

(٣) (Tiamat) هو العنصر الثاني للمياه البدئية، عنصر الأمومة. إنهما يحملان رمز الألوهية قبل اسميهما. وهما هنا ممتزجان كمياهٍ عذبة ومياه مالحة يمثل مزيجهما وسطاً هو أساس كل شيء حيّ.

ظهور الآلهة

آنذاك، لم يكن أيّ من

الآلهة قد ظهر بعد،

ولم تكن أطلقت عليهم أسماء

ولم تكن مصائرهم قد قُرّرت بعد.

ففي وسط (أبسو ـ تيامت)، الآلهة،

شُكّلوا[١]:

10 (لحمو) و (لحامو)[٢] ظهرا[٣]،

وأُطلقَ اسمٌ على كلٍ منهما.

وقبل أن يكبرا

ويصبحا قويين[٤]

تمّ تشكيل[٥] أنشار[٦] وكيشار[٧]

وكانا يفوقانهما مرتبة[٨]

وبعد أن مددا أيامهما

وضاعفا سنيهما.

كان آنو[٩] أول مولودٍ لهما

---

(١) التعبير الأكادي المستعمل هو: الآلهة «إبّانو» وسط المياه البدئية الممتزجة.

(٢) (Lahmu) و (Lahamu) هما مخلوقان متميزان وليسا زوجين على ما يظهر.

(٣) يستعمل النص الأكادي لظهورهما تعبير «أوشتافو» بصيغة المجهول، بمعنى أمكن رؤيتهما، وحافظت اللغه العامية على هذا المعنى في «شَافَهُ» أي رآه ونظر إليه.

(٤) يبدأ النص هنا بالإعداد لفكرة إهمال مصير هذين المخلوقين قبل نموهما، وقبل الانتقال إلى الزوج الإلهي الذي ظهر بشكل مستقل عنهما.

(٥) يستعمل النص الأكادي هنا أيضاً كما في السطر التاسع أعلاه تعبير «إبّانو».

(٦) (Anshar) أي (آن ـ شار) ومعناه كل ما هو (فوق): السماء بمختلف طبقاتها وما سوف تحتوي عليه.

(٧) (Kishar) أي (كي ـ شار) ومعناه كل ما هو (تحت): الأرض والمياه الباطنية (الأبسو) والعالم السفلي ومع هذين الإلهين تبدأ فكرة ثنائية الكون في بعديه الأعلى والأسفل.

(٨) تظهر هنا فكرة ارتقاء وتطور مرتبة المخلوقات الإلهية من خلال تدرج عملية الظهور والخلق.

(٩) (Anu) وهو هنا ابن آنشار الذي سوف يبقى فيما بعد بعيداً لآنو إله السماء.

مماثلاً لوالديه
وكما عمل أنشار شبيهاً له
كذلك عَمِل آن، ولده:
آنو كما والده، أنجبَ
(إيا ـ) نوديمّود[١] شبيهاً له.
إلاّ أن نوديمّود، وهو
المنظم المستقبلي لوالديه
كان واسع الفهم والحكمة
ومتحلياً بقوة فائقة؛
وكان حقّاً أكثر قدرة
من أنشار والد أبيه
20 لم يكن له مضاهٍ قط
إذا ما قورن بالآلهة إخوته[٢].

نشوب الأزمة الأولى

هؤلاء الآلهة إخوته، حين
شَكّلوا تجمّعاً،
أثاروا قَلَقَ تيامت
وحين أحدثوا الجَلَبة (؟)
وجعلوا داخل
تيامت يضطرب،
أزعجوا بألعابهم

(١) (Ea) ولقبه (Nu. Dim. Mud) ومعناه بالسومرية: الذي هو مختص بالخلق والإنجاب (أو الصنع).

(٢) يتابع النص هنا فكرة الارتقاء والتطور بمجرد تسلسل أجيال الآلهة، وذلك إعداداً لبلوغ قمة التفوق مع مردوك عند ولادته في الفترة التالية. وتعبير «الآلهة إخوته». يُعِدُّ منذ الآن لفكرة مجمع الآلهة المستقبلي.

قلب «المسكن الإلّهي»[١].

25 لم يتمكن أبسو

من إخماد ضجيجهم

بينما بقيت تيامت

هادئة الأعصاب تجاههم:

كانت أعمالهم

مكروهة لديها

وتصرفاتهم تستحق اللوم

ولكنها كانت متساهلة معهم.

عند ذلك، عمد أبسو

مولّد الآلهة ـ العظام

30 إلى مناداة مومّو[٢]

قائلاً له:

«أي مومّو، أنت حاجبي

الذي يبهج قلبي

تعال،

ولنذهب لمقابلة تيامت!»

توجّها إذن إليها،

وهما جالسان أمام تيامت

تكلّما وناقشا

بصدد الآلهة أبنائهما.

35 فتح أبسو فمه،

---

(١) يعتبر النص حتى الآن أن الآلهة لا يزالون يعيشون في وسطهم البدئي داخل تيامت، أو داخل المياه البدئية أبسو ـ تيامت.

(٢) (Mummu) هو هنا حاجب أبسو ويُمثّل مع أبسو، الآلهة القدامى الذين أزعجتهم حيوية الآلهة الجدد الذين شكّلوا تجمعهم كما ورد في السطر ٢١

رفع صوته
وقال لتيامت:
«تصرّفاتهم
تزعجني:
أنا لا أرتاح نهاراً
وفي الليل لا أنام!
أريد إِفْنَاءَهم[١]
وإلغاء نشاطاتهم
40 لكي يُستعاد الهدوء
ولكي نتمكن نحن من النوم!»
تيامت
لدى سماعها ذلك
اشتد غضبها
وأطلقت الشتائم ضد قرينها،
علا هياجها
ووجهت اللوم بمرارة إلى أبسو
لأنه لـمّح وضمر
الشر في قلبه:
45 «لماذا تريد أن نهدم بأنفسنا
ما نحن صنعناه؟
نعم، تصرفاتهم بغيضة جداً؟
فلنتحَلَّ بالصبر والتسامح!»[٢]

(١) التعبير الحرفي: تحويلهم إلى العدم.
(٢) يتضح من خلال هذه المواجهة بين أبسو وتيامت أنهما لم يعودا ممتزجين كما في البداية وأن لكل منهما شخصيته كما يتضح أن السلطة تمثلها تيامت الأم.

آنئذٍ بادر مومّو بالكلام
ناصحاً أبسو
ومع أنه لم يكن سوى حاجب
فإنه ناقض رأي مولدته:
«أخمد إذنْ يا أبي
هذا النشاط الكثير الشغَب
50 لكي ترتاح نهاراً
وفي الليل لكي تنام!»
ابتهج أبسو لسماع ذلك
وانفرجت معالم ـ وجهه،
متمثلاً الشر الذي أعده
ضد أبنائه الآلهة:
أحاط بذراعه
عنق مومو
الذي جلس على ركبتيه
وقبّله أبسو.

تدخل الإلّه إيا

55 إلا أن كل ما أعدّه (أبسو)
خلال اجتماعهما[١]
تمّ نقله
للآلهة أبنائهما.
ولدى اطلاعهم على ذلك
اهتاج هؤلاء الآلهة

---

(١) أي اجتماع أبسو وتيامت ونية أبسو التي تلت ذلك.

ثم ركنوا إلى الهدوء
ولاذوا بالصمت.
غير أنّ الفائق الذكاء
المجرب والنافذ البصيرة،
60 إيا الذي يتفهّم كل شيء،
كشف مخططهم
وأعدّ بصدد أبسو
مشروعاً كاملاً
وحين جهّز ضدّه رقية
سحره الأقوى
تلاها أمامه،
وبواسطة شرابٍ سحري هدّأه:
فاستولى عليه النعاس
ونام بغبطةٍ ساذجة
65 أما مومّو مستشاره، فقد كان
غبياً لدرجةٍ حالت دون تدخّله (؟)
عند ذلك عمد إيا إلى نزع عصابة جبين أبسو
وجرّده من تاجه
كما صادر تألّقه الخارق ـ للطبيعة[1]
وأحاط نفسه به؛
ثم طرح (أبسو) أرضاً
وانتزع حياته
70 ثم سجن مومّو
وأحكم إغلاق باب (سجنه).

(١) يقصد بذلك تألق الآلهة وهو بهاء لا يملكه سوى الآلهة ـ العظام.

إقامة إيا مقره فوق أبسو

أقام بعد ذلك فوق أبسو[١]

مسكنه

وجرّ مومّو مُمسكاً إيّاه،

بزمامٍ ـ في ـ أنفه

وهكذا، بعد أن أبطل إيا

وأعدم حركة مُضمرَيْ الشر هذين

وحقّق هذا

النصر على خصميه

75 وبداخل مقرّه

عمد إلى الراحة بهدوء تام:

أطلق على هذا القصر تسميه أبسو[١]

وعيّن فيه قاعات ـ الاحتفال

وفيه أيضاً، أعدّ

حجرة ـ زفافه

حيث استقرّ إيا، مع دامكينا[٢]

قرينته بكل جلال.

ولادة الإلّه مردوك وإعجاب جدّه به:

ففي حَرم ـ الأقدار هذا،

في هذا الهيكل ـ لتحديد ـ المصائر

80 تمت ولادة الإلّه الأكثر ذكاءً

(١) نرى هنا أن أبسو بعد القضاء عليه من قبل إيا، يتحول أو يعود إلى مادته الأساسية التي هي المياه العذبة وفيها بنى إيا مقره ومن الآن فصاعداً يتخذ أبسو هذا المعنى في مختلف النصوص الأخرى.

(٢) (Damkina) قرينة إيا وتُذكرُ هنا للمرة الأولى إعداداً لولادة مردوك.

الحكيم بين الآلهة والسيّد:

في وسط الأبسو

تمت ولادة مردوك،

في قلب الأبسو ـ المقدس

تمت ولادة مردوك

مولّده

إيا أبوه

ومولّدته

أمّه دامكينا

85 لم يرضع قط

سوى الأثداء الإلّهية

والمرضعة التي ربّته

ملأته بحيوية فائقة.

طبيعته كانت طافحة

ونظرته ساطعة؛

كان رجلاً ـ كاملاً منذ ولادته

وبكامل قوته منذ البداية

وحين رآه آنو

والد أبيه

90 امتلأ بهجةً وأشرق وجهه

وكان قلبه عظيم الارتياح.

وعندما نظر إليه مليّاً، (قال):

«ألوهيته مختلفة،

إنه أكثر روعةً (من بقية الآلهة)

ويفوقهم في كل شيء!

تكوينه لا مثيل له

ومدهش شكله،
من الـمُحال تصوّره
لا أحد يتحمل النظر إليه.
95 عيونه أربع
وآذانه أربع
وعندما يحرك شفتيه
فإن ناراً تتوهّج
أربع آذانٍ
نبتت له
وعيونه ذات العدد المماثل
تراقب الكون!
إنه حقّاً الأسمى بين الآلهة
وذو القامة الأكثر علواً
100 ضخمةٌ هي أعضاؤه
وهو فائق السمو منذ ولادته!
إبني هو أوتو(١)
إبني هو أوتو
إبني هو شمس:
شمس الآلهة الحقيقية
يحيط به التألق الخارق للطبيعة لعشرة آلهة
إنه متوج به بشكل رائع
وخمسون إشعاعاً رهيباً
يصدر عنه!».

(١) (Utu) التسمية السومرية للإلّه الشمس وهنا استعملها المؤلف كصفة للتألق.

هدية الجد آنو لمردوك ونشوب الأزمة الثانية

105 عند ذلك شكّل آنو، وأوجَدَ
الرياحَ الأربع
التي أهداها لمردوك (قائلاً):
«لكي يلعب بها ولدي!»
وهكذا صنع مردوك الغبار
وجعل العاصفة تحمله،
وإذ سبّب الهياج
جعل تيامت تضطرب.
وباضطرابها، كانت تيامت
تهتز ثائرة ليل نهار
110 والآلهة (أبناؤها) ودونما انقطاع
كانوا يتلقون ضربات ـ الرياح (؟)
وحين ضمروا الشر
في قلوبهم
توجّهوا لأنفسهم
إلى تيامت أمهم (قائلين):
«عندما تمّ القضاء
على قرينك أبسو
لم تدافعي عنه
وبقيتِ خرساء!
115 والآن، بعد أن صَنَع آنو
الرياح ـ الأربع الرهيبة
فإن داخلك أصابه اضطراب كبير
ولم نعد نستطيع النوم!

أبسو قرينك
لم يعد فيك[1]
ولا مومّو الذي قُيّد
وهكذا بقيتِ وحدك!
[ألسـ] ـتِ إذن [أمّـ] ـنا؟
فها أنت مهتزّة وعظيمة الاضطراب!
120 ونحن الذين لا نستريح قط
أنت ألم تعودي تحبّيننا إذن؟
لقد جمدت أعيننا
ونحن (دون نوم) على أسرّتنا (؟)
خلّصينا من هذا النير المستمر،
لكي نتمكن أخيراً من النوم!
إنهضي إذن [وثوري عليهم (؟)]
انتقمي منهم
[أحيليهم إلى العدم (؟)]
وحوّليهم إلى أشباح!»[2].

تيامت تستعد للحرب

125 حاز هذا الخطاب رضى تيامت
لدى سماعها إياه و (قالت):
«بما أنكم قررتم ذلك مجتمعين
فلنصنع العواصف!»

---

(١) منذ مقابلة أبسو تيامت للاحتجاج اعتباراً من السطر ٣٥، وقبل القضاء على أبسو، بَطُلَ مفهوم المياه البدئية الممتزجة وأصبح لكل من أبسو وتيامت شخصيته المستقلة.
(٢) وفقاً للاعتقاد الذي يجعل البشر يتحولون إلى أشباح بعد الموت وقد طبق هنا على الآلهة أنفسهم.

وبما أن آلهة آخرين

[كانوا انضمّوا] إلى الداخل[1]

وكانوا هم أيضاً ضمروا [الشر]

ضد أبنائهم الآلهة![2]

وهم ملتفّون في دائرةٍ

حول تيامت

130 غاضبون ومتآمرون دون كلل،

ليلَ نهار

يحمُس للقتال بعضُهم بَعْضاً

يضربون الأرض بأرجلهم وهم مهتاجون.

عقدوا مجلساً

بقصد إعداد الحرب.

والأم ـ الهَوْر

التي شكّلت كل شيء

أعدت لنفسها أسلحةً لا تقاوم:

إذْ ولّدت تنّينات عملاقة[3]

135 ذات أسنان [حا] دّة

وأنياب لا ترحم،

ملأت أجسادها

بالسمّ عوضاً عن الدم،

(كما ولّدت) حيّات شرسة[3]

---

(١) أي داخل تيامت.

(٢) يتضح أن آلهة قدامى انضموا إلى تيامت، ونستبعد أن يكون الصراع القائم صراعاً بين الأجيال، بل كان صراعاً على السلطة (انظر اللوحة ٢: السطرين ١٣١ و١٣٢).

(٣) نلاحظ هنا أن تيامت تولّد وتخلق بمفردها دونما حاجة لأبسو، قرينها السابق، الكائنات الرهيبة والمخيفة...

ألبستها ثوب الرعب
وحمّلتها بالتألّق الخارق للطبيعة
مما جعلها مثيلة الآلهة:
«من يرها
تنهار قواه!
140 وبمجرد دفعها للانقضاض (قالت)
فإنها لا تتراجع قط!»
كما فتّقت أيضاً وحوشاً مائية
وتنّينات ـ هائلة ومسوخاً بحرية
وكذلك أسوداً ـ جبارة
وكلاب حراسة هائجة وبشراً ـ عقارب
ومسوخاً هجومية
وبشراً ـ أسماكاً وثيراناً وحشية ـ ضخمة:
جميعهم شاهرون أسلحةً لا ترحم، (وهم)
لا يعرفون الخوف في المعارك.
145 لا حدّ لما خُوِّلوه من قدرات
ومقاومتهم غير ممكنة!
هكذا حقّاً، صنعت
هؤلاء الأحد عشر
ثم بعد ذلك وفي وسط الآلهة أبنائها،
الذين عقدوا مجلسهم معها
رفعت من قدر كينغو[1]
مانحةً إياه، أعلى مرتبة بينهم:
(وهي) السير على رأس الجيش

(١) (Quingu) الشخصية التي سلمتها تيامت القيادة والسلطة.

وإدارة مجلس ـ الحرب
150 (وكذلك) إصدار الأوامر للالتحام
وقيادة المعركة
والسلطة التامة
على المحاربين:
كل ذلك سلّمته إياه
وأجلسته على كرسي ـ الشرف
(قائلة): «لقد لفظت من أجلك العبارة (السحرية)
وجعلتك على رأس مجمع الآلهة،
مَنَحتُكَ
الإمارة عليهم جميعاً!
155 كن إذن الأعظم بينهم،
وكن قريني الوحيد!
وليُشد باسمك
أمام جميع الأنونّاكي!»[١]
ثم سلمته لوحة ـ الأقدار
التي ثبتتها على صدره (معلنةً):
«لتكن أوامرك غير قابلة للرد
ولتتحقق [كلمتك]!»[٢]
هكذا تمّ إعلاء شأن كينغو
ووُضِعت بيده السلطة العليا.

(١) (Anunnaki).
(٢) تيامت، هي التي تملك لوحة الأقدار وهي التي تمنح السلطة.

160 ومن أجل الآلهة أبنائها

[قررت لهم (تيامت)] هذا المصـ[ـير]:

«بمجرد أن تفتحوا أفواهكم

تطفئون النار!

وليتمكن سمّكم المكثف

من التّغلّب على الظلم!».

اللوحة الثانية

وصول أخبار استعدادات تيامت إلى إيا وتوجهه إلى أنشار

1 وإذْ استنهضت
تيامت صنائعها
جمعت جيوشها من أجل المعركة
ضدّ ذريتها من الآلهة:
ومنذ ذلك الحين (؟) وأكثر من أبسو
أظهرت تيامت علائم الشر!
ونُقلت الأخبار إلى إيا
بأنها استنفرت ـ قواها ـ للقتال

5 وعندما تعرّف إيا
على هذه القضية
بقي في البداية [مشد] وهاً، دون حركة
وبقي صامتاً.
إلا أنه بَعـ [ـد أن] عمد إلى التفكير
وبعد هدوء غضبه
توجّه شخصياً

لمقابلة جدّه أنشار
دخل إلى حضرة أنشار
والد مولّده،
10 وكرر على مسامعه
المؤامرة التي أعدّتها تيامت:
«أي أبي، مولّدتنا تيامت
وجّهت نحونا حقدها.
عندما عقدت مجلسها
أزبدت غضباً
والآلهة جميعهم
أحاطوا بها:
وحتى الآلهة الذين صنعتَهم أنت
انحازوا إليها!
15 وهم ملتفون في دائرةٍ
حول تيامت
غاضبون ومتآمرون دون كلل،
ليلَ نهار
يحمِّس للقتال بعضُهم بعضاً
يضربون الأرض بأرجلهم وهم مهتاجون،
عقدوا مجلساً
بقصد إعداد الحرب.
والأم ـ الهوّر
التي شكّلت كل شيء
20 أعدت لنفسها أسلحةً لا تقاوم:
إذ ولّدت تنّينات عملاقة[١]

(١) نكرر هنا كما سبق ملاحظته أن تيامت تولّد وتخلق بمفردها دونما حاجة لأبسو، قرينها السابق، الكائنات الرهيبة والمخيفة...

ذات أسنان [حا] دّة
وأنياب لا ترحم،
ملأت أجسادَها
بالسّمّ عوضاً عن الدم،
(كما ولّدت) حيّات شرسة[١]
ألبستها ثوب الرعب
وحمّلتها بالتألق الخارق للطبيعة
مما جعلها مثيلة الآلهة:
25 «من يرها
تنهار قواه!
وبمجرد دفعها للانقضاض (قالت)
فإنها لا تتراجع قط!»
كما فتّقت أيضاً وحوشاً مائية
وتنّينات - هائلة ومسوخاً بحرية
وكذلك أسوداً - جبارة
وكلاب حراسة هائجة وبشراً - عقارب
ومسوخاً هجومية
وبشراً - أسماكاً - وثيراناً وحشية - ضخمة:
30 جميعهم شاهرون أسلحةً لا ترحم، (وهم)
لا يعرفون الخوف في المعارك.
لا حدّ لما خُوّلوه من قدرات
ومقاومتهم غير ممكنة!
هكذا صنعت حقاً
هؤلاء الأحد عشر
ثم بعد ذلك وفي وسط الآلهة أبنائها،
الذين عقدوا مجلسهم معها

(١) راجع الهامش على الصفحة السابقة.

رفعت من قدر كينغو[1]

مانحةً إياه، أعلى مرتبة بينهم:

35 (وهي) السير على رأس الجيش

وإدارة مجلس ـ الحرب

(وكذلك) إصدار الأوامر للالتحام

وقيادة المعركة

والسلطة التامة

على المحاربين:

كل ذلك سلّمته إياه

وأجلسته على كرسي ـ الشرف

(قائلة): «لقد لفظت من أجلك العبارة (السحرية)

وجعلتك على رأس مجمع الآلهة،

40 مَنَحتُكَ

الإمارة عليهم جميعاً!

كن إذن الأعظم بينهم،

وكن قريني الوحيد!

وليشد باسمك

أمام جميع الأنونّاكي!»[2]

ثم سلمته لوحة ـ الأقدار

التي ثبّتتْها على صدره (معلنةً):

لتكن أوامرك غير قابلة للرد

ولتتحقق [كلمتك]!»

45 هكذا تمّ إعلاء شأن كينغو

---

(١) (Quingu) الشخصية التي سلمتها تيامت القيادة والسلطة.

(٢) (Annunaki).

ووُضِعت بيده السلطة العليا
ومن أجل الآلهة أبنائها
[قررت لهم (تيامت)] هذا المصـ [ـير]:
بمجرد أن تفتحوا أفواهكم
تطفئون النارا
وليتمكن سمّكم المكثّف
من التغلّب على الظلم!».
[عندما تعرّف أنشار]
على هذه القضية الخطيرة (؟)
50 [ضرب بكفّه على فخذه (؟)]
وعضّ على شفتيه:
وكان [داخـ] ـله [غير مرتاحٍ (؟)]
وقلق خاطره
[ولكن لدى رؤيته لإيا] حفيده
تبددت مخاوفه:
«أنت شخصياً (قال له) (؟)،
كن أنت خصمها في المعركة:
ردَّ صدمة
[الهجمات التي تشنها (؟) ضدك]
[أنت الذي قيدت موّمو (؟)]
وقضيت على أبسو:
[وأمام تيامت الغا] ضبة،
أنّى لنا أن نجد نداً أفضل منك؟
[ألست أنت (؟)]
الذي تتفوه بالحكمة،
[مستشار الآ] لهة

نوديمّود؟
[. . . . .]
[. . . . .]»
60 عند ذلك فتح إيا
فمه (قائلاً):
[«يا أنتَ المفكر الـ] ـعميق
الذي يقرر المصا [ئر]،
[أنت وحدك] مالك سلطة
الخلق والإبادة! ـ
أنشار يا ذا الفكر العميق
الذي يقرر المصائر
[لك وحدك] سلطة
[الخلق والإبا] دة
65 [الأمر] الذي أصدرته لي
نحن [. . ـه] على الفور
وبمجرد (؟) أن (؟) قمتُ
[بـ . . . .]
[أنا] شخصياً، [. . . . تُ]
أبسو من أجل [. . . . .]
وحتى الآن [. . . . . . .]
[. . . . .]
[. . . أَزَلْتُ (؟)] الثائر
[أَبَدْتُ [. . . . .]
قَضيت على [. . . .]
[. . . . .]».

تكليف إيا وعزوفه

عندما [سمع] أنشار هذا الخطاب

رَضِيَ [به]

[أبدى موا] فقته (؟)

قائـ [ـلاً] لإيا

«فليبتهج [. . .]

قلبـ [ـكَ].

[تَصرُّفُ (؟)] تيامت المعيب

يجب أن [يعاقب (؟)]

75 خُضْ (؟) [إذن المعركة

[ضدّ (؟)] تيامت

[. . . . . .]

[. . . . .]

[ذهب إيا، عند ذلك، محاولاً كـ] ـشف

مخطـ [ـطات] تيا [مت].

[ولكنه . . .

[قفل] را [جعاً]

[ولم يتمكن إذن (؟) أن

يكون] منتقم الآلهة

80؟ [ثم عاد لمقابلة أنشار]

وتوجه [إليه] (قائلاً):

«. . . . .]

[. . . ـها تغلبت (؟)] عليّ

[. . . . .]

[بكينغو (؟).] قرينها

[. . . . .]

خشية (؟) [القتال]

[. . . . .]

من إذن بمقدوره أن [يتقـ] ـدم نحوها

85؟ [ويحيـ] ـلها إلى الصمت

[. . . . .] ؟

[هذا ما حدا بي (؟)]

[أن أر] جع أدرا [جي] !

[ومع ذلك يبقى آنو (؟)]

أرسِلْه [عوضاً عني (؟)]».

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

90؟ [. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

تكليف آنو بالمجابهة وعجزه

وجّه إذن [(أنشار)] هذه [الكلمات]

[إلى آنو] ابنه:

[أي آنو (؟)]، [هـ] ـذا هو

سلاح الأبطال الخارق للطبيـ [ـعة]

95؟ قدرته [عجيبة (؟)]،
وضرباته لا تقاوم!
[إذهب إذن]، شخصياً
وانتصب لمجابهة تيامت
[لكي تهـ] ـدأ نفسُها
وينفرج قلبُها.
[وإذا ما] رَفَضَتْ
سماع كلماتك،
[استعذ] برقية [. . . .]
سوف تسكّنها!»
100؟ بعد أن [سمـ] ـع (آنو)
ما وجّهه إليه أبوه أنشار،
[اتخـ] ـذ [طر] يقه نحوَها،
نحوَ (تيامت) وجَّهَ خطاه.
[ذهـ] ـب آنو:
ولكنه عندما اكتشف مخططات تيامت
[تملكه الخوف (؟) . . .]
وقفل راجعاً.
[ولدى عودته لمقابلة]
أنشار أبوه ومولّده،
105؟ [إنه . . . . . .]
ووجّه كلامه إليه:
[« . . . .]
[كانت لها الغلبة (؟)] عليّ!».

نقص في اللوحة، يقدر بحوالى عشرة أسطر، والترقيم الذي تمّ تبنّيه أدناه هو اصطلاحي محض جعل استئناف النص يبدأ اعتباراً من السطر ١٠٦.

106؟ إنها . . . يدها

ووضعتها علي!»

كان أنشار مأخوذاً

ينظر إلى الأرض.

ويهزّ رأسه

كان يوجّه إشارات لإيا.

ولما كان الإيجيجي[1] حاضرين جميعهم

مع الآنونا [كي] هذا المجلس العمومي:

110؟ كانت شفاههم مغلقة

وظلّوا صامتين.

لا أحد من الآلهة

عمد إلى التقدم . . .

ولا الخروج . . .

لمجابهة تيامت

وأبو الآلهة ـ العظام

أنشار [كان . . .

مشجعاً من قبل والده إيا، الإلّه مردوك يعرض نفسه للمجابهة

عند ذلك، نادى إيا الخفيّ

والحامي للجميع (؟)

115؟ وليّ العهد الكلي ـ القدرة،

المنتقم لآبائه،

مردوك البطل

المتعطش للقتال،

(١) (Igiggı) هم مع الأنوناكي (Anunnaki) مجموع آلهة ما فوق وما تحت.

ناداه إيا

حيث كان (في صفٍّ) خلفي[1]

شارحاً له

الخطة التي تصورها في قلبه:

«أي مردوك،

استمع إلى نصيحة والدك،

؟120 أنت يا ولدي

الذي تُفرج[2] نفسي!

تقدم نحو أنشار

مقترباً منه كثيراً و [أما] مه

[أعـ] ـلن عن نفسك، وأنت واقف:

وسوف يرتاح لرؤيتك!»

ابتهج الإله (مردوك)

لكلمات أبيه

وباقترابه

وقف مقابل أنشار.

؟125 رآه أنشار،

فامتلأ قلبه ارتياحاً.

[قـ] ـبّل (مردوك) شفتيه

وبدّد قلقه (قائلاً):

«يا [أبـ] ـتي لا تغلق شفتيك

بل اجعلهما تنفتحان:

؟130 [أريد الذ] هاب

---

(١) في مجمع الآلهة كان مردوك بالنسبة لسنّه يقف أو يجلس في الصفوف الخلفية.

(٢) التعبير الأكادي المستعمل يعني حرفياً «تمدد» نفسي.

لتحقيق كل ما ترغب!
أي ذَكرٍ قام حتى الآن
بخوض القتال من أجلك؟»
(أنشار) ـ «يا ولدي، تيامت الأنثى[١]
سوف تتقدم نحوك بأسلحتها!»
(مردوك) ـ [«أي أبي] ومولّدي
إبتهج وتهلّل:
قريباً سوف تدوس شخصياً برجليك
[رقبة] تيامت!
؟135 [أي أنشار أبي] ومولدي
ابتهج وتهلّل:
سريعاً سوف تدوس شخصياً برجليك
[رقبة] تيامت!»
(أنشار) ـ «[إذهب] إذن يا ولدي
التامّ الحكمة
اجعل [تيا] مت تهدأ
بواسطة سحرك الرفيع!
قُدْ بأقصى سرعة
[عربة الحر] ب ذات العواصف!
؟140 ولكن إذا لم ترضخ (؟) بعد [الهجوم]
عُدْ على عقبيك!»

مردوك يطالب بسلطات مطلقة

فَرِحَ الإله السيد

---

(١) تبدأ هنا بالاتضاح معالم المعركة بين الذكورة والأنوثة أي بين النظام الأبوي ونظام الأمومة الذي كان بيد تيامت.

لسماع خطاب أبيه
وبقلب تملؤه البهجة
أعلن لهذا الأخير:
«أي [سـ] ـيد الآلهة
الذي يقرر مصير الآلهة ـ العظام،
إذا كان عليّ أنا
الانتقام لكم:
145؟ والإطاحة بتيامت
لإنقاذكم
اعقدوا مجلساً
وامنحوني سلطةً فائقة!
في قاعة ـ اتخاذ ـ القرارات
اجتمعوا بكاملكم مسرعين
وأقروا في مكان ـ اجتماعكم، بكلمة واحدةٍ منكم،
أن أفوّض بتقرير المصائر:
وأن لا يُبدّل أي شيء
في ما سوف أنظّمه بنفسي
150؟ وأن يبقى كل قرار صادر عن شفتيّ
دون معارضةٍ، وغير قابل للنقص!».

اللوحة الثالثة

مجمع الآلهة يقرر

1 عند ذلك، فتح
أنشار فمه
موجِّهاً هذه الكلمات
إلى كاكا[1] حاجب[ـه]:
«كاكا يا حاجبي
الذي يُرضي قلبي،
نحو جميع لحمو ولحامو[2]
أريد إيفادك
5 أنت الذي يتقن محاكمة الأمور
والذي هو قادر على الخطابة!
إعملْ لكي تُحضِرَ أمامي
الآلهة آبائي

(١) (Kaka) اسم حاجب أنشار.
(٢) (Lahmu) و (Lahamu) يمثلان هنا مجموعة آلهة قدماء يعتبرهم أنشار كآباء له بمعنى الآلهة الأقدم منه وليسوا آباء له بشكل مباشر، يتضح ذلك من الأسطر (١٠ ـ ١٢) من اللوحة الأولى.

ولْيُؤْتَ إليّ إذن
بالآلهة بكاملهم،
لعقد مؤتمر (عام)
واتخاذ أماكنهم في الوليمة
آكلين خبزهم
وشاربين جعتهم
10 ولإقرار مصير مردوك
المنتقم لهم!
إذهب يا كاكا
وأمامهم واقفاً
كرر لهم
[كل] ما أقوله لك هنا:
«ابنكم أنشار
أوفدني
لأعرض عليكم بالتفصيل
[ما أملاه عليه] قلبه:
15 مولّدتنا تيامت
وجهت نحونا حقدها.
عندما عقدت مجلسها
أزبدت غضباً
والآلهة جميعهم
أحاطوا بها
وحتى الآلهة الذين صنعتموهم
انحازوا لجهتها.
وهم ملتفون في دائرةٍ
حول تيامت

20 غاضبون ومتآمرون دون كلل،

ليلَ نهار

يحمِّس للقتال بعضُهم بعضاً

يضربون الأرض بأرجلهم وهم مهتاجون.

عقدوا مجلساً

بقصد إعداد الحرب.

والأم - الهوَر

التي شكّلت كل شيء

أعدت لنفسها أسلحةً لا تقاوم:

إذ ولّدت تنّينات عملاقة[1]

25 ذات أسنان [حا] دّة

وأنياب لا ترحم،

ملأت أجسادَها

بالسُمّ عوضاً عن الدم،

(كما ولّدت) حيّات شرسة[2]

ألبستها ثوب الرعب

وحمّلتها بالتألق الخارق للطبيعة

مما جعلها مثيلة الآلهة:

«من يرها

تنهار قواه!

30 وبمجرد دفعها للانقضاض (قالت)

فإنها لا تتراجع قط!»

كما فتّقت أيضاً وحوشاً مائية

---

(١) نكرّر هنا كما سبق ملاحظته أن تيامت تولّد وتخلق بمفردها دونما حاجة لأبسو، قرينها السابق، الكائنات الرهيبة والمخيفة...

وتنّينات ـ هائلة ومسوخاً بحرية
وكذلك أسوداً ـ جبارة
وكلاب حراسة هائجة وبشراً ـ عقارب
ومسوخاً هجومية
وبشراً ـ أسماكاً وثيراناً وحشية ـ ضخمة:
جميعهم شاهرون أسلحةً لا ترحم، (وهم)
لا يعرفون الخوف في المعارك.
35 لا حدّ لما خُوِّلوه من قدرات
ومقاومتهم غير ممكنة!
هكذا حقّاً صنعت
هؤلاء الأحد عشر
ثم بعد ذلك وفي وسط الآلهة أبنائها،
الذين عَقدوا مجلسهم معها
رفعت من قدر كينغو[١]
مانحةً إياه، أعلى مرتبة بينهم:
(وهي) السير على رأس الجيش
وإدارة مجلس ـ الحرب
40 (وكذلك) إصدار الأوامر للالتحام
وقيادة المعركة
والسلطة التامة
على المحاربين:
كل ذلك سلّمته إياه
وأجلسته على كرسي ـ الشرف
(قائلة): لقد لفظت من أجلك العبارة (السحرية)

(١) (Quingu) الشخصية التي سلمتها تيامت القيادة والسلطة.

وجعلتك على رأس مجمع الآلهة،
مَنَحتُكَ
الإمارة عليهم جميعاً!
45 كن إذن الأعظم بينهم،
وكن قريني الوحيد!
وليشد باسمك
أمام جميع الأنونّاكي!»[1]
ثم سلمته لوحة ـ الأقدار
التي ثبتتها على صدره (معلنةً):
لتكن أوامرك غير قابلة للرد
ولتتحقق [كلمتك]!»
هكذا تمّ إعلاء شأن كينغو
ووُضِعت بيده السلطة العليا
50 ومن أجل الآلهة أبنائها
[قررت لهم (تيامت)] هذا المصـ[ـير]:
بمجرد أن تَفْتَحوا أفواهكم
تطفئون النار!
وليتمكن سمّكم المكثّف
من التَغلّب على الظلم!».
أرسلتُ آنو
ولكنه لم يتمكن من الصمود أمامها
ونوديمّود، مرعوباً
عاد على عقبيه!
55 عند ذلك تقدم مردك

(١) (Anunnaki).

حكيم الآلهة، ابنكم:
دفعته بسالته
للذهاب لمجابهة تيامت.
إلا أنّه وبشكل صريح
أعْلَنَ لي شخصياً:
«إذا كان عليّ أنا
الانتقام لكم
والإطاحة بتيامت
لإنقاذكم،
60 اعقدوا مجلساً
وامنحوني سلطة فائقة!
في قاعة ـ اتخاذ ـ القرارات
اجتمعوا بكاملكم مسرعين
وأقروا في مكان ـ اجتماعكم، بكلمة واحدة منكم،
أن أُفوّض بتقرير المصائر:
وأن لا يبدّل أي شيء
في ما سوف أُنظّمه بنفسي
وأن يبقى كل قرار صادر عن شفتيّ
دون معارضةٍ، وغير قابل للنقض!»
65 أَسرِعوا إذن بالمجيء
لكي تُصْدروا لهُ، دون تأخيرٍ، قراركم
حَتّى يتوجّه للقاء
عدوتكم الشَرسة!»
ذهب كاكا
موجهاً خطاه
نحو اللحمو واللحامو

الآلهة آبائه
سجد أمامهم
وقبّل الأرض،
70 ثم انتصب
ووقوفاً توجه إليهم (قائلاً):
«ابنكم أنشار
أوفدني
لأعرض عليكم بالتفصيل
ما أملاه عليه قلبه
مولدتنا تيامت
وجهت نحونا حقدها.
عندما عقدت مجلسها
أزبدت غضباً،
75 والآلهة جميعهم
أحاطوا بها
وحتى الآلهة الذين صنعتموهم
انحازوا إليها!
وهم ملتفون في دائرةٍ
حول تيامت
غاضبون ومتآمرون دون كلل،
ليلَ نهار
يحمِّس للقتال بعضُهم بعضاً
يضربون الأرض بأرجلهم وهم مهتاجون.
80 عقدوا مجلساً
بقصد إعداد الحرب.
والأم ـ الهوَر

التي شكّلت كل شيء
أعدت لنفسها أسلحةً لا تقاوم:
إذ ولّدت تنّينات عملاقة
ذات أسنان [حا] دّة
وأنياب لا ترحم،
ملأت أجسادَها
بالسُمّ عوضاً عن الدم،
85 (كما ولّدت) حيّات شرسة
ألبستها ثوب الرعب
وحمّلتها بالتألق الخارق للطبيعة
مما جعلها مثيلة الآلهة
«من يرها
تنهار قواه!
وبمجرد دفعها للانقضاض (قالت)
فإنها لا تتراجع قط!»
كما فتّقت أيضاً وحوشاً مائية
وتنّينات ـ هائلة ومسوخاً بحرية
90 وكذلك أسوداً ـ جبارة
وكلاب حراسة هائجة وبشراً ـ عقارب
ومسوخاً هجومية
وبشراً ـ أسماكاً وثيراناً وحشية ـ ضخمة:
جميعهم شاهرون أسلحةً لا ترحم، (وهم)
لا يعرفون الخوف في المعارك.
لا حدّ لما خُوّلوه من قدرات

ومقاومتهم غير ممكنة!
هكذا حقاً صنعت
هؤلاء الأحد عشر
95 ثم بعد ذلك وفي وسط الآلهة أبنائها،
الذين عَقدوا مجلسهم معها
رفعت من قدر كينغو[١]
مانحةً إياه، أعلى مرتبة بينهم:
(وهي) السير على رأس الجيش
وإدارة مجلس ـ الحرب
(وكذلك) إصدار الأوامر للالتحام
وقيادة المعركة
والسلطة التامة
على المحاربين:
100 كل ذلك سلّمته إياه
وأجلسته على كرسي ـ الشرف
(قائلة): لقد لفظت من أجلك العبارة (السحرية)
وجعلتك على رأس مجمع الآلهة،
مَنَحتُكَ
الإمارة عليهم جميعاً!
كن إذن الأعظم بينهم،
وكن قريني الوحيد!
وليشد باسمك
أمام جميع الأنوناكي!»[٢]
105 ثم سلمته لوحة ـ الأقدار

(١) (Quingu) الشخصية التي سلمتها تيامت القيادة والسلطة.
(٢) (Anunnaki).

التي ثبتتها على صدره (معلنةً):
لتكن أوامرك غير قابلة للرد
ولتتحقق [كلمتك] !»
هكذا تمّ إعلاء شأن كينغو
ووُضِعت بيده السلطة العليا
ومن أجل الآلهة أبنائها
[قررت لهم (تيامت)] هذا المصـ [ـير]:
بمجرد أن تفتحوا أفواهكم
تطفئون النار!
110 وليتمكن سمّكم المكثف
من التّغلب على الظلم!».
أرسلتُ آنو
ولكنه لم يتمكن من الصمود أمامها
ونوديمّود، مرعوباً
عاد على عقبيه!
عند ذلك تقدم مردوك
حكيم الآلهة، ابنكم:
دفعته بسالته
للذهاب لمجابهة تيامت.
115 إلاّ أنه وبشكل صريح
أعْلَنَ لي شخصياً:
«إذا كان عليّ أنا
الانتقام لكم
والإطاحة بتيامت
لإنقاذكم،
اعقدوا مجلساً،

وامنحوني سلطةً فائقة!
في قاعة ـ اتخاذ ـ القرارات
اجتمعوا بكاملكم مسرعين
120 وأقروا في مكان ـ اجتماعكم، بكلمة واحدة منكم،
أن أُفوّض بتقرير المصائر:
وأن لا يبدّل أي شيء
في ما سوف أُنظّمه بنفسي
وأن يبقى كل قرار صادر عن شفتيّ
دون معارضةٍ، وغير قابل للنّقض!»
أسرعوا إذن بالمجيء
لكي تُصدروا له، دون تأخير قراركم
حتى يتوجه للقاء
عدوتكم الشرسة!»
125 لدى [سما]ع لحمو ولحامو[1] ذلك،
أطلقا صراخاً عالياً
وجميع الإيجيجي
تساءلوا بمرارة متعجبين:
أي عمل عدائي ارتكبنا
لكي تتخذ ضدنا مثل هذا القرار؟
نحن نجهل من جهتنا
مؤامرة تيامت!»
ركضوا (لتوّهم) وبدون نظام
ليكونوا قُرْبَ أنشار
130 جميع الآلهة ـ العظام

(١) لحمو ولحامو هما هنا على ما يظهر على رأس مجمع الآلهة الإيجيجي.

الذين يقرون [المصائر]،
حين وصلوا أمام أنشار
ملأتهم [البهجة]
وتعانقوا فيما بينهم (للتحية)
وفي مؤتمرهم [العام (؟)]
عقدوا اجتماعهم (للتداول)
واتخذوا أماكنهم في الوليمة:
أكلوا خبزهم
وشربوا جعـ[ـتهم]:
135 وبالشراب ـ العذب ـ المثمل
ملأوا مصاصات ـ شربهم.
وهم يرتشفون هكذا شرابهم ـ المسكر،
كانوا يشعرون بارتخاء أجسادهم؛
وبدون أي همّ شاغل،
كانت نفوسهم جذلة،
138 وهكذا قرروا المصير
لمردوك المنتقم لهم

اللوحة الرابعة

مردوك يُمنح جميع الصلاحيات

1 أقاموا من أجله
المنصة ـ الملكية.
ومقابل آبائه،
استقر عليها كمليك.
«وحدك، (أعلنوا أمامه) أنت الأسمى
بين الآلهة ـ العظام
قدرك لا مثيل له
وسائدة أوامرك!
5 أي مردوك! وحدك أنت الأسمى
بين الآلهة ـ العظام
قدرك لا مثيل له،
وسائدة أوامرك!
من الآن فصاعداً
لا مردّ لقراراتك!
تَرفع وتخفض (شأن من تشاء)،

سوف يكون ذلك طوع إرادتك
والكلمة التي تخرج من فمك ستتحقق،
ولن تكون قط أوامرك مضلّلة!
10 لا أحد، بين الآلهة
سيتجاوز الحدود التي تضعها!
وبما أن أماكن ـ إقامة ـ طقوسنا
تحتاج إلى قيّم،
سوف يكون لك مكانك الخاص
في جميع هياكلنا!
أي مردوك، أنت وحدك
أنت المنتقم لنا،
نخصّك بالسيادة
على كامل الكون!
15 سوف تكون كلمتك هي النافذة
عندما تعقد مجالس مجمع (الآلهة)،
وأسلحتك بلا ريب
سوف تمزّق أعداءك!
أيها الإلّه السيد، أنقذ حياة
من لجأوا إليك.
وكل من ضمر الشر
أهرِقْ دمه!»
وبعد أن أحدثوا في وسطهم
كوكبة وحيدة[1]،

---

(١) يتعمد النص أن تكون الكوكبة وحيدة، لاختبار قدرة مردوك ولأنه هو الذي فيما بعد سوف يحدث وينظم سير «مصابيح السماء».

20 وجهوا هذه الكلمات

إلى مردوك ابنهم:

«إذا كان قدرك أيها الإلّه

يوازن حقاً قدر بقية الآلهة،

أصدر أمرك لكي يتحقق

اختفاءٌ ثمّ ظهورٌ!

بكلمة من فمك

فلتختفِ هذه الكوكبة

وبأمر آخر فلتعد

للظهور ـ كاملةً!»

25 بكلمة منه أمر (مردوك)

فاختفت الكوكبة،

ثم أصدر أمراً جديداً

فأعيد تشكيل الكوكبة!

عندما تعرّف الآلهة آباؤه

على تأثير ما يصدر عن فمه

حيّوهُ بفرحٍ (معلنين):

«مردوك وحده، هو الملك!»

وسلّموه بعد ذلك

الصولجان والعرش وعصا ـ الملكية.

30 ثم منحوه السلاح ـ الذي ـ لا يضاهى

والذي يطرح ـ الأعداء ـ أرضاً:

«إذهب إذن

واقطع عنق تيامت

ولتحمل الرياح

دَمَها إلى مكان السر!»[١]

بعد أن حددوا هكذا، للإله مصيره،

وَضعَهُ الآلهة آباؤه

على طريق

النجاح والنصر

مردوك يستعد للقتال

35 أعد (مردوك) لنفسه قوساً

وعيّنها سلاحاً له.

صَلّ عليها سهماً

وشدّ من وترها.

ولكي يشهر كتلة ـ سلاحه[٢]

قبض عليها بيمينه.

علّق على جنبه

القوس والجعبة

كما حمّل بالبروق

وجهه

40 وكسا جسده

بشعَلٍ ملتظية.

ثم صنع شبكةً

لكي يأسر فيها تيامت.

وجمع الرياح الأربع

لكي لا يفلت منها أي شيء ـ:

---

(١) مكان السر، هو المكان الذي لا يعرفه إلا صاحبه حيث يتم إخفاء دم العدو منعاً لعودته إلى الحياة وسوف يرد هذا التعبير فيما بعد بصدد جناح الطائر أنزو الذي اغتصب السلطة (انظر النص رقم (٦٢)).

(٢) عبارة عن هراوة تتألف من قبضة وكتلة متعددة الرؤوس.

ريح ـ الجنوب وريح ـ الشمال
ريح ـ الشرق وريح ـ الغرب
وعلّق هذه الشبكة إلى جانبه:
وبالهديّة من جدّه آنو[1]
45 صنع مرّةً أخرى ريحاً خبيثة
وعواصف دوّامية
وريحاً ـ رباعية القوة وريحاً ـ سباعيتها
وريحاً جائحة وريحاً لا تقاوم،
وعندما أطلق عنان هذه الرياح
السبع التي شكّلها
هبّت جميعها لمواكبته
لكي تَقْلبَ تيامت من الداخل.
ثمّ شهر الإلّه.
سلاحه ـ الأعظم «الطوفان»،
50 وركب العربة المرعبة
«الزوبعة التي لا تُقَاوَم»
مُسرِجاً، مجموعة جر رباعية،
أعدّها لها (وهي):
«القاتل» والـ «بلا رحمة»
و «العدْو السريع» و «الطيّار»
فاغرة فكوكها
ومحمّلة بالسم أسنانها
مدرّبة على الدوس
ولا تعرف التعب

(١) ورد ذكر الهدية في السطر ١٠٥ من اللوحة الأولى.

55 (المساعدون الذين اعتمدهم لمؤازرته: على يمينه،
«المرهِب ـ عند ـ الالتحام» و «القتال»
وعلى يساره: «المعركة ـ التي ـ
تطيح ـ أرضاً ـ بالطوابير»[1].
ومرتدياً فوق لباسه
دِرْعَ الرعْب
يكسو رأسَه
بريقٌ رهيب خارق ـ للطبيعة
ومتوجّهاً نحو الأمام
باشر الإلّه (مردوك) طريقه.
60 توقف حيث
كانت تيامت الهائجة.
وكانت على شفتيه
تعويذة سحر.
وقبضته مغلقة
على عشبة ـ إطفاء ـ السم.
ومع ذلك فالآلهة كانوا يحومون حوله،
كانوا يحومون حوله ـ
الآلهة آباؤه كانوا يحومون حوله
الآلهة كانوا يحومون حوله.

وصف المعركة

65 عند ذلك اقترب الإلّه
ودرس نوايا تيامت

---

(١) تقليد حافظت عليه بلاد اليونان القديمة حيث كان يرافق المحارب في عربته مساعدون ثلاثة، اثنان إلى يمينه وواحد إلى يساره.

وكينغو قرينها
محاولاً كشف خططهما.
ولكن لدى اقترابه منهما
اضطرب تفكيره
وتشتتت إرادته
وارتبكت قدرته ـ على ـ التصرّف
كذلك الآلهة حلفاؤه
وأنصاره
70 حين شهدوا (وَضْعَ) بطلهم وزعيمهم
تشوشت عقولهم
مما جعل تيامت العنيدة
توجّه إليه سحرها
ومن شفاه هذا الكائن ـ البدائي
تردّدت نحوه أكاذيبها (قائلةً):
«[...] ومع أنك (؟) لهم (؟) سيد،
فالآلهة سوف ينقلبون ضدك (؟) أنت!
هل لمصلحتك أم لمصلحتهم
قد اجتمعوا من حولك؟»
75 ولكن الإلّه (مردوك)، حين شهر
«طوفان» سلاحه، الأعظم
وجّه إنذاره هذا
إلى تيامت، التي كانت ـ تتعمّد ـ اللطافة:
«لماذا أنت تتستّرين بسيماء ـ الطيبة
في الظاهر،
بينما قلبكِ يضمر
خوض المعركة؟

بسبب أخطائك أنتِ، فرّ أبناؤكِ

واستهزأوا بآبائهم

80 وأنتِ مولّدتهم

تنبذين كل رحمة!

لقد سميتِ لنفسكِ كينغو

ليكون قريناً لكِ؛

وأجلسته دون حقٍ

على المنصة ـ السامية!

وإلى أنشار، ملك الآلهة الحقيقي

تحاولين الإساءة

وقد أثبتِّ أذيّتكِ

للآلهة آبائي!

85 فليتأهب جيشكِ وأعوانك

وليتقلّدوا أسلحتهم

وتعالي ـ للقائي

لكي نتشابك أنا وأنت!»

سمعت ذلك

تيامت

فجنّ غضبها

وفقدَتْ عقلها

وأخذت تصرخ،

هائجةً وبأقصى قدرتها:

90 ومن أسفلها إلى أعلاها، ومن كل جهةٍ

بدأت تهتزّ أطرافها

وكانت تتمتم تعويذاتها

ولا تتوقف عن استجلاب الأذى بسحرها،

بينما الآلهة المحاربون (أعوانها).
كانوا يشحذون أسلحتهم بأنفسهم.
وعندما تقاربا،
فإن تيامت ومردوك حكيم الآلهة،
تقابلا وتشابكا
وتوصّلا إلى الالتحام!
95 ولكن الإله، قام بنشر شبكته
وأحاط بها (تيامت)
ثم أفلت ضدها الريح ـ الخبيثة
التي كانت تحرس مؤخرته
وعندما فتحت تيامت
فمها لابتلاعه،
أقحم فيه الريح ـ الخبيثة
فمنعها ـ من ـ إغلاق شفتيها[1]
وعند ذلك هبّت كل الرياح الثائرة
فملأت جَوْفها
100 بحيث أصبح جسدها منتفخاً
وفمها فاغراً[1]
أطلق عند ذلك سهمه
فمزّق به جوفها.
ثم شق جسدها من منتصفه
وفتح لها بطنها

(١) مما يحول دون تلفّظها بتعويذاتها السحرية ويجرّدها من قوة تأثير الكلمة.

انتصار مردوك

هكذا انتصر مردوك على (تيامت)

مبيداً حياتها

ثم رمى بجثتها أرضاً[١]

وانتصب فوقها.

105 وعندما قام القائد

بالقضاء على تيامت

تفككت فرقها

وتشتتت أركان حربها

بينما الآلهة حُلفاؤها

ونصراؤها

خائفين ومرتجفين

كرّوا متراجعين.

وولّوا أدبارهم

لإنقاذ حياتهم،

110 ولكنهم كانوا مُطوّقين من ـ كل ـ جانب

دون إمكانية الفرار:

أحاط بهم (مردوك) عند ذلك،

وحطّم أسلحتهم.

وهم مرميون تحيط بهم الشبكة،

غير قادرين على الحركة وهم في فخّهم

محشورون جانباً

يملؤهم الأنين،

نالوا عقابهم

---

(١) بمعنى أرض المعركة وليست أرضنا التي لم تكن قد كوّنت بعد.

إذ طُرحوا في السجن.

115 أما المخلوقات الأحد عشر
التي يحيط بها الرعب،
الحاشية البغيضة،
فأفرادها الذين رافقوها جميعهم
وضع لهم أزمّةً - في - أنوفهم
وقيّد سواعدهم:
وعلى الرغم من عدوانيتهم
فقد داسهم برجليه
وأخيراً، فإن كينغو
الذي كان رُقّي من بينهم جميعاً

120 فأطاح به
وجعل منه «إلّهاً - محكوماً - بالموت»
نزع عنه لوحة - الأقدار
التي لم تكن تلائمه
وبعد أن طبع عليها ختمه
علّقها على صدره.
وبعد أن جمّد حركتهم، وأطاح
بهؤلاء الأشرار
وبعد أن جعل خصومه المتصلّفين
يَحْنون (؟) رؤوسهم

125 وبعد أن حقق بشكلٍ كامل
نصر أنشار[1] على أعدائه
وبعد أن حقق مردوك البطل
رغبة نوديمّود[2]

---

(١) (Anshar) سيد آلهة البدء وجدّ مردوك.

(٢) (Nudimmud) لقب الإلّه إيا والد مردوك.

وحين أصبحت سيطرته على

الآلهة المغلوبين وثيقة،

عاد في نهاية الأمر

إلى تيامت التي أطاح بها.

فصعد الإله عند ذلك

على القسم السفلي من تيامت،

130 وبكتلة ـ سلاحه التي لا ترحم

شدخ جمجمتها

ثم قطع

مجاري دمها

وجعل ريح ـ الشمال

تحمله إلى السر![١]

وعندما شاهد ذلك آباؤه

هللوا وابتهجوا

ومن تلقاء أنفسهم، أمروا أن تحمل إليه

التقدمات والهدايا.

مردوك يباشر التكوين وينظّم الكون

135 وبارتياح، عمد الإله

إلى التأمل في جثة تيامت

كان ينوي تقطيع (هذا) الجسم الهائل[٢]

ليصنع منه العجائب،

(١) للحيلولة دون إعادة إحيائها.

(٢) بعد القضاء على تيامت فإنها مثل أبسو (اللوحة الأولى: السطر ٧١ وما بعد)، تتحول إلى مادة السماء. وكما أشاد إيا على أبسو مقره، كذلك مردوك سوف يشيّد على تيامت، على نصفها المشكل كقبة للسماء معبد الإيشارّا.

فشطره إلى نصفين،
مثل سمكةٍ يُقصد تجفيفها،
وتناول نصفها
وقَنْطَرَهُ وجعل منه شكل سماء.
(ثمّ) بسط جلده
ووضع عليه حُرّاساً
140 عينّ لهم مهمّة
منع تدفق المياه،
اجتاز السماء بعد ذلك
ودرس أماكن قاعات ـ الاحتفالات
لكي يقيم فيها نسخة مطابقة للأبسو
مقر نوديمّود(١)
وبعد أن قاس الإلّه (مردوك) أبعاد
مخطط الأبسو
أشاد على غراره
معبد الإيشارّا(٢) الكبير
145 ومعبد الإيشارّا الكبير
الذي أشاده هكذا، هو السماء!
التي جعل آنو وإنليل وإيا(٣)
يشغلون فيها أماكنهم

---

(١) (Nudimmud) لقب الإلّه إيا ومعناه المختص بالخلق والصنع.
(٢) (E. sharra) ومعناه بيت ـ الكون.
(٣) هذه هي المرة الأولى هنا التي يذكر فيها الإلّه إنليل (Enlil) ويلتقي هنا مؤلّف أو مؤلفو الـ (إ. إ) مع ثالوث الآلهة الذين تعرّفنا إليهم في قصص التكوين السابقة (الفقرة ١ ـ ٢ من الفصل الأول) والتي يعرفها جيداً مبتدع هذه القصيدة.

اللوحة الخامسة

بعد إقامة السماء، مردوك يتابع تنظيم الكون

1 كما أعدّ فيها[1] منازل
الآلهة ـ العظام؛
ثمّ أحدث في مجموعات كوكبية
النجوم التي هي صور لهم؛
عينّ السنة
ورسم لها إطارها؛
ومن أجل الأشهر الاثني عشر
أحدَثَ لكل منها ثلاث نجوم.
5 وعندما أنهى بالنسبة لتتمة السنة
رَسْمَ مخططها على هذا الشكل،
عمد إلى تثبيت المحطة القطبية(؟)
بقصد تعيين تماسك (؟) الكواكب
ولكي يحول دون تمكين أيٍ منها من ارتكاب
خطأ أو إهمالٍ في مسارها

(١) أي السماء.

أقام بجوار المسمّاة بالقطبية (؟)
منزلَيْ إنليل وإيا.
وإذ فتح بعد ذلك من جهتي
السماء بوّابات ـ كبيرة
10 زوّدها بمتاريس قويّة
إلى اليسار وإلى اليمين.
وفي موضع كبد تيامت
أحْدَثَ المناطق ـ السماوية ـ العلوية.
ثمّ جعل نانّا (ـ القمر)[1] يظهر
وعهد إليه بالليل
الذي عيّن له الجوهرة الليلية
لتحديد الأيام:
«في كل شهر، (قال له) وبدون انقطاع
فليمضِ قرصك في مسيرته.
15 في الأول من الشهر
أضىء بنفسك فوق الأرض
ثم حافظ على قرنيك اللامعين
للإشارة إلى الأيام الستة الأولى؛
وفي اليوم السابع،
يجب أن يكون قرصك في نصفه
وفي اليوم الخامس عشر، وفي كل منتصف ـ شهر
ضع نفسك في اقتران مع شمش[2]
وعندما يتوجه شمش

(١) (Nanna) هي التسمية السومرية للإلّه القمر، الذي هو سين (Sin) بالأكادية.
(٢) (Shamash) إلّه الشمس بالأكادية و (Utu) أوتو بالسومرية.

نحوك وهو في الأفق

20 وكما هو ملائم،

إنقص وتضاءل.

وفي يوم التعتيم

اقترب من مسار شمش

لكي تتمكن من جديد في اليوم الثلاثين

أن تدخل ـ في ـ اقتران معه

وباتباعك هذا المسار

عيّن المنذِرات:

إقترنا [......]

للتعريف بالأحكام التكهنية.

25 وليعمد شمش [......]

[...] الجرائم وأعمال السلب[1]

[..........]

[..........]

عندما [..........]

[..........]

[..........]

[..........]

شمـ [ـش ......]

[..........]

30 في [..........]

[..........]

وليد (؟) [........]

---

(١) مما بقي من السطر ٢٥ يمكن فهم دور شمش في السهر على العدالة.

[..........]

[..........]

[..........]

وألاّ يكون [.....]

[..........]

وليد (؟) [......]

[..........]

35 في [..........]

[..........]

كل يوم [.....]

[..........]

منـ[ـذ (؟) .....]

[..........]

[..........]

[..........]

[..........]

[..........]

40 السنـ[ـة .....]

[..........]

في رأس السنـ[ـة]

[..........]

السنـ[ـة .....]

[..........]

وليـ[..........]

[..........]

مزلاج المثقـ[ـذ (؟) .....]

[..........]

45 عندما يكون قد عـ [يّن]

اليومَ لشمش (؟)]

[وكلّف ....]

بحراسة الليل والنها [ر]،

[قام بتجميع (؟) ...]

رُوال تيا [مت]

وبه شكّل مردوك [الغماء (؟)]

الذي كلّف به أدد (؟)[1]].

وبعد أن حوله سحا [باً]،

جعله عائماً (في السماء)[2].

50 (وكذلك) هبوب الرياح

و [سقو] ط زخّات (المطر)

ودخان الضباب،

وتراكم زبد ـ تيامت[3]،

هذا ما عيّنه (لأدد) شخصيّاً

وجعله يأخذ ذلك على عاتقه.

ثم بعد أن أعدّ رأس تيامت

كوّم فوقـ [ـه جبلاً]

وأخرج منه ينبوعاً

يرتعش (فيه) سيل (دائم).

55 وفتح في عينيها

دجلة والفرات.

---

(١) (Adad) أو حَدَد أو هدد إله الرعد والأمطار ومنه هدّت السماء أي أرعدت.

(٢) ﴿السحابُ المسخّر بين السماء والأرض﴾ (قرآن كريم: سورة البقرة).

(٣) أي الثلوج التي هي زبد ريال تيامت.

(كما) سدّ مِنْخَريْها

اللذيْن خصصهما لِـ [. . .].

وعلى ضُروعها، كدّس

الجبا [ل] البعيدة،

وحفر فيها عيوناً

لكي تسيل مياهها في شلاّلات.

وأخيراً، قام بليّ ذيلها

وتوثيقه إلى «الكتلة ـ الشامخة»[1]

60 التي [. . . . . .] من تحتها

الأبسو.

[كما أعدّ رذ] ف (؟) تيامت

لسند السماء

ثم سقّف [نصفها الآخر (؟)]

لتدعيم الأرض.

وبعد أن [أنهى] عمله على هذا الشكل

حقّق توازنه (؟) داخل تيامت؛

ثم نشر شبكته

ومدّها من كلّ جهة

65 لتشكّل بذلك [غلافاً] (؟)

للسماء والأرض

يؤمّن بشكل [تا] مّ (؟)

[. . .] ارتباطهما (؟)

ثمّ بعد ذلك خطّط لهما قواعد ـ حسن ـ السير

---

(١) أو «المرابط ـ الشامخ» والتعبير السومري ـ الأكادي، المستعمل هو (دور ـ ماخو) وقد يعني بالاعتماد على (ماخ) السومرية أي الشامخ، و (دور) السومرية أي الصلة أو الرباط، وهي البلاد المرتفعة حيث تلتقي السماء مع الأرض.

ونسّق أنظمة حركتهما:

وضع نظام السلطات ـ الموكلة إلى الآلهة

وكلّف به إيا[1]،

كما تناول [لوحة ـ الأقد] ار

التي صادرها من [كيـ] نغو

70 وحملها بغية تقديمها إلى آنو[2]

كهدية أولى ـ للتأهيل ـ به

[وفي (؟) شبـ] ـكة المعركة

التي كان قد علّقها إلى جانبه،

إستجلب أمام [آبا] ئه

[آلهة عصابة] (تيامت)[3]،

وكذلك جميع الكائنات الأحد عشر

التي هي صنيعتها والتي [. . .]:

إذْ ربطها عند رجليه

بعد أن حطّم [أسلـ] ـحتها.

75 وجعل منها صوراً[4]

وضعها على [بوابات] الأبسو:

«(قائلاً) لكي يكون في ذلك ذكرى

يجب ألا تُنـ [ـسى] قط فيما بعد!».

---

(١) (Ea) ولقبه نوديمّود في هذه القصيدة أي المختص بالخلق والإنجاب والصنع هو والد مردوك.

(٢) آنو (Anu) الإلّه الذي خُصصت له السماء وهو والد إيا.

(٣) سوف يظهر مصير هذه المجموعة فيما بعد، انظر اللوحة السادسة: السطر ١٥٢ وما بعد واللوحة السابعة: السطر ٢٧ وما بعد و٥٣.

(٤) يذكّر ذلك بنقوش الحيوانات الأسطورية المصنوعة من الصلصال المزجج والتي تزيّن جانبي بوّابة عشتار في بابل.

مبايعة مردوك الأولى

عندما شاهد الآلهة (كل) هذا، ظهرت
عليهم [تلقا] ئياً علائم الفر [ح] والابتهاج
وبينهم لحمو ولحامو وآباؤه
جميعهم.
قبّله أنشار[1]
وحيّاه بأبهة مثل ملك (؟)،
80 [آ] نو، إنليل وإيا
غمروه (بدورهم) بالهدايا،
[و (؟)] دامكينا[2] والدته
أطلقت ـ زغاريد ـ فرحٍ، أمامه:
[وبتمنيـ] ـاتها (؟) له بالسعادة
جعلت وجهه يتألّق.
وإلى الإلّه أو سمو[3] الذي حمل إلى السر[4]
هدايا أمّه الترحيبية،
عهد إليه بإدارة الأبسو
لكي يقوم بمراقبة قاعات ـ الاحتفالات.
85 وعند ذلك سجد الإيجيجي [مجتمـ] ـعين،
(سجدوا) أمامه

---

(١) (Ansuai) هو الأب الأول في سلالة مردوك ويظهر من السطر ٧٠. أن آنو هو الذي مُنِح رئاسة مجلس الآلهة حين تلقى لوحة الأقدار هديةً من مردوك.

(٢) (Damkina) قرينة إيا ووالدة مردوك.

(٣) (Usmû) إلّه ثانوي أوكل إليه مردوك حمل هدايا والدته إلى السر وإدارة الأبسو.

(٤) هدايا الأم التي تحمل إلى السر، هل تعني أن السلطة التي منحتها الأم إلى ابنها مردوك، والتي ترمز إليها الهدايا، هي المرة الأخيرة التي يتلقى فيها إلّه سلطته من إلّهة ـ أم؟ ونذكر بأن دم تيامت في (٤ : ٣٢) حُمِل إلى السرّ وكذلك كان الأمر بالنسبة لجناح الطائر أنزو في النص رقم (٦٢).

وجميع [الأ] نوناكي

قبّلوا رجْليه:

وفي مؤتمرهم، قرروا [بالإ] جماع

السجود ووجوههم إلى الأرض.

(ثم) بعد أن انتصبوا [أمامه] (؟) انحنوا

قائلين: «هوذا مليكنا!».

[وبعد أن قام الآلهة (؟)] آباؤه

بالتمتّع حتى الارتواء من تألّقه،

90 [وكان مردوك، لا يزال (؟)] محمّلاً

بغبار المعركة

[..........]

[... في (؟) الما] ء (؟):

ونعّم (؟) جسد [ه]

بدهونٍ من زيت السرو و [...][1]

[لبـ] ـس

[ردا] ءه الأميري

و [بريق] الملكية [الخا] رق للطبيعة،

وكذلك التاج الرهيب.

95 رفع كتلة ـ سلاحه[2]

وثبتها بيمينه،

وأمسـ[ـك] [بيسـ] ـاره

[..........]

[..........]

---

(١) يذكّر الاغتسال وتدليك الجسد بالزيوت باستعدادات جلجامش لدخول المدينة بعد انتصاره على الثور السماوي.

(٢) انظر أعلاه (٤ : ٣٧): لوحة رابعة، سطر ٣٧.

[..........]
وضع على [....]
[..........]
[..........]
[.....] أمام قدميه
100 كما أحكم على جنبه تثبيت
صولجان النجاح والفلاح.
وعندما [... تألّقه (؟) الخارق للطبيعة]،
[..........]
وإشعا (عه؟) الرهيب
غمر الأبسو (الذي كان بمثابة) حصيرة له (؟)
وهو [مقيم مثـ] ـل
[..........]
في قاعة العر [ش]
[..........]
105 في قدس الأقداس
[..........]
الآلهة جميعهم
[..........]
لحمو و [لحا] مو
[..........]
حين فتحوا أفواههم
أعلنـ [ـوا إلى (؟)] الإيجيجي:
«لم يكن مردوك في السابق
سوى ابننا الحبيب
110 ومن الآن فصاعداً، فهو ملككم.

أطيعوا (إذن) أوامره!»

وباستئنافهم الكلام

أعلنوا بالإجماع

«اسمه هو لوچال ـ ديمّر ـ آن ـ كي ـ آ[1].

إجعلوه أميناً عليكم!»

وبعد أن بايعوا مردوك

بالملكية على هذا الشكل

تلفّظوا أيضاً من أجله

عبارة السعادة والنجاح:

115 «بدءاً من هذا اليوم

كن القيم على أماكن ـ طقوسنا!

وسوف ننفذ

كل ما تأمرنا به!»

مردوك يعرض مشروعه لإنشاء بابل

بعد ذلك فتح مردوك فمه

وبدأ بالكلام

موجهاً هذا الخطاب

إلى الآلهة آبائه:

«فوق الأبسو

المقر الذي تشغلون؛

120 وكنسخةٍ عن الإيشارا[2]

---

(١) (Lugal Dimmer. An. Ki A) بمعنى ملك آلهة ما هو فوق وما هو تحت ويشمل هنا جميع الآلهة، الإيجيجي والأنوناكي.

(٢) (E. Sharra) ورد في (٤ : ١١٤) ومعناه بيت ـ الكون الذي حافظ على تسميته السومرية وهو نسخة عن أبسو إيا أقامه مردوك في السماء.

الذي أقمته بنفسي من أجلكم،
ولكن في مكان أكثر انخفاضاً،
قمتُ بدعم أسسه
سوف أبني لنفسي معبداً
ليكون مقرّي المختار
لأنني في وسطه
سأقيم حَرَمي،
وأعيّن فيه أجنحة سكني
وفيه سوف أمارس ملكيتي.
125 وأنتم، عندما تغادرون الأبسو
للصعود، بغية حضور المجمع
سوف تكون لكم هنا مرحلة،
تمكّنني من استقبالكم جمبعكم ـ معاً!
وكذلك عندما تغادرون السماء
نزولاً، بغية حضور [المجمع]
سوف تكون لكم هنا مرحلة
تمكنني من استقبال جميعكم ـ معاً!
وهذا المكان سوف أسميه «بابل»:
«معبد الآلهة ـ العظام»
130 وهنا، هنا
سوف نقيم أعيادنا (؟) [نحـ] ـن!»

خلق البشر

[والآلهة] آباؤه
لدى [سمـ] ـاعهم حديثه (هذا)
تقدّموا [من ولدهم مردوك]

[بهذا المـ] ـطلب (؟):

«على كل

ما صنعت يداك

من أكثر منك

يمتلك [السلطة] ؟ ـ

135 على هذه القاعدة

التي دعّمَتْها يداك.

من أكثر منك

يمتلك [السلطة] ؟

في بابل

التي تلفّظت باسمها،

في هذا المكان بالذات، وإلى الأبد

أقمْ لنا [مقرّاً (؟)]:

حيث تُقدّم لنا [فيه]

مخصصاتنا اليومية

140 و [لكي] نـُ [.....]

[..........]

ولكن ليقمْ آخر (غيرنا)

بإنجاز عملنا[1]،

وفي هذا المكان بالذات

[فليجعلنا نستفيدُ] من جهده!»

وبفرحٍ (عظيم) تقدّم

[مردوك بالإجابة التالية]،

---

(١) يتفق هذا الاتجاه مع قصة الطوفان التي سنقدّمها فيما بعد والتي تشير إلى اضطرار الآلهة أو طبقة منهم للعمل لتأمين احتياجاتهم وتمّ تحريرهم من سخرتهم بخلق البشر.

إلى الآلهة الذين [. . .]

[. . . . .]

145 والذين حَرّرهم

[بعد القضاء على تيامت.

فتح [عند ذلك فمه

ـ وكلمـ] ـته كانت مجيـ [ـدة! ـ]

و [. . . . .]

[قال] لهم:

«إنهم [. . . . . . .]

الذين سوف يُعهد إليهم بمخصّصاتكم اليومية!»

(عند ذلك) وهم سجّد أمامه

تكلم الآلهة:

150 إلى «لوچال. ديمّر ـ آن ـ كي ـ آ»[1] سيّدهم

قالوا:

لم يكن الإلّه في السابق

سوى ابننا الحبـ [ـيب] !

ومن الآن فصاعداً فهو ملكنا

الحـ [ـكيم و . . . . .] !

وهو الذي برُقـ [ـيته] المقدّ [سة]

أعاد [لنا] الحيا [ة]،

وهو الذي يملك . . .]

[التألق] الخارق للطبيعة لكتلة ـ سلاحه وصولجانه]

---

(١) لقب مردوك، انظر ملاحظة السطر ١١٢ أعلاه.

155 فليقم [إيا الخبير بوسائل الصنع]
وبالفنو [ن كلّـ] ـها[1]،
بإعداد المخططا [ت .. (؟)]:
ونحن، [سوف نـ] ـفّذها!»

---

(١) الآلهة يعتبرون هنا حسب التقليد المعروف بالنسبة لشهرة الإلّه إيا الخبير بوسائل الصنع أنه هو القادر على إنجاز مهمة خلق من يحل محلهم بإنجاز عملهم (السطر ١٤١). إلا أنه يتضح فيما بعد، (اللوحة السادسة) أن مردوك هو صاحب المشروع ومصمّم المواد الأساسية وأن إيا هو المنفّذ.

اللوحة السادسة

1 لدى سماع مردوك
ما أعلنه الآلهة
دفعه قلبه
من جديد ليخلق العجائب!
ففتح عند ذلك فمه
متوجِّهاً لإيا[1]
وأحاطه علماً بالمشروع
الذي كان أنضجه في قلبه:
5 «سوف أعمد إلى تكثيف دمٍ[2]
وتشكيل هيكل
وبذلك سوف أحدث نموذجاً ـ أولياً
سوف تطلق عليه تسمية «بشري»!
هذا النموذج ـ الأولي، هذا البشري
أريد خلقه

(١) (Ea) الإله المعروف بخبرته بجميع وسائل الصنع وبالفنون كلّها. انظر نهاية اللوحة الخامسة والملاحظة رقم (١).

(٢) الدم المكثف بمعنى الجسد (اللحم) وفق مفهوم تلك الفترة.

لكي تُفرضَ عليه سخرة الآلهة
ولكي يتوقّفوا هم عن العمل، للراحة.
ومن جديد،
أريد تحسين وجودهم،
10 ولو كانوا مقسومين إلى مجموعتين،
لكي يتم تبجيلهم بدرجة واحدة!»
وللاستجابة على هذه الرغبة
وجّه إليه إيا هذه الكلمات
مشتملةً على مشروعه[١]
من أجل إراحة الآلهة:
«ليُسلِّمَ إليّ (إذن)
أحد إخوتهم:
وهذا سوف يَهْلك
لكي يتم تشكيل البشر!
15 فليجتمع إذن،
الآلهة ـ العظام
لكي يتمّ تسليم المذنب
ولا ضَيْر بعد ذلك على الباقين!»
قام مردوك عند ذلك
بجمع الآلهة ـ العظام
وأمرهم برفقٍ
موجِّهاً إليهم تعليماته؛
وعندما فتح فمه للكلام
استمع إليه جميع الآلهة باحترام.

---

(١) المقصود هو خطّة إيا من أجل التنفيذ.

20 وجّه إذن الملك
هذه الكلمات إلى الأنوناكي:
«حتى الآن لم تتلفظوا قطّ،
وبكل تأكيد، إلا بكلمة الحق!
ولذلك، فعليكم مرةً أخرى،
ألا تقولوا سوى الحق!
من هو
الذي حَرَّض على القتال
ودفع تيامت على الثورة
ونظّم المعركة؟
25 فليسلّم إليّ،
الذي حرّض على القتال
لكي يتلقى عقابه
ولكي تتوقفوا أنتم عن العمل!»
فأجابه الإيجيجي،
الآلهة - العظام
أجابوا (لوچال - ديمّر - آن - كي - آ)[1]،
ملك الآلهة وسيدهم:
«كينغو[2] وحده
هو الذي حرّض على القتال
30 ودفع تيامت إلى الثورة
ونظّم المعركة!»
عند ذلك عُمد إلى تقييده

(١) (Lugal. Dimmer. An. Ki. A) لقب مردوك ومعناه: ملك آلهة ما هو فوق وما هو تحت - انظر السطر (١١١، لوحة ٥).
(٢) (Quingu) هو قرين تيامت بعد القضاء على أبسو وقائد المعركة.

وأُتِيَ به أمام إيا:
ومن ثمّ، ولكي يتلَقّى عقابه
تمت إسالة دمه.

وبدمه
أنتج إيا البشر[١]
فارضاً عليهم سخرات الآلهة
ومحرِّراً جميع هؤلاء.
35 بعد أن قام إيا ـ الحكيم
بإنتاج البشر
فرض عليهم
سخرات الآلهة
ـ كان ذلك إذن، عملاً رائعاً
يتجاوز الإدراك.
وإذا ما تمكن نوديمّود[٢] من تنفيذ عمله
فالفضل في ذلك يعود إلى موهبة مردوك[٣]
قام مردوك الملك (بعد ذلك)
بتوزيع الآلهة،
40 الأنونانكي بكاملهم
في السماء وعلى الأرض[٤]

(١) قصيدة الـ (إ. إ) تتبنّى هنا، ودون الدخول في التفاصيل نظرية خلق البشر المعروفة فيما بين النهرين وهي مزج الصلصال بدم إلّه.

(٢) (Nudimmud) لقب الإلّه إيا. ورد سابقاً ومعناه: المختص بالخلق ومهارة الصنع وهو هنا منفذ عملية الخلق وإنتاج البشر.

(٣) أراد الشاعر أن يؤكد هنا من جديد أن الفضل في عملية الخلق يعود لمردوك.

(٤) يتضح من النص أن الأنوناكي وُزِّعوا وفق مجموعتين: نصفهم في السماء والنصف الآخر على الأرض التي تشمل الأبسو حيث تطفو الأرض وكذلك العالم السفلي. أما الإيجيجي (السطر ٢٧ أعلاه) فهم مجموعة الآلهة الذين كانوا مكلفين بأعمال السخرة وسوف يرد ذكرهم في السطر ٦٩ كمقيمين في السماء.

وجعلهم تحت سلطة آنو
لكي ينفّذوا تعليماته
ونصّب منهم حراساً
ثلاثمائة في السماء
وعدداً مماثلاً
للسهر على تنظيم عمل الأرض.
نصّب منهم إذن مجموع ستمائة،
بين السماء والأرض.
45 وبعد أن وزّع عليهم
كامل السلطات ـ المنتدبة
وبعد أن عيّن لأنوناكي السماء والأرض
اختصاصاتهم
هؤلاء الأنوناكي بالذات،
فتحوا فمهم
وتوجّهوا شخصياً
إلى مردوك، سيدهم:
«الآن، أيّها السيد (قالوا)،
وقد قررت تحريرنا
50 ما الذي يمكننا تقديمه لك
اعترافاً بجميلك؟

إقامة مدينة بابل تكريماً لمردوك

فلنبنِ إذن! معبدك[1]
الذي تَلَفّظتْ باسمه شفتاك،

(١) المقصود هو معبد الإيساج ـ إيل(E. Sag. Il) معبد مردوك في بابل الدي حافظ على تسميته السومرية ومعناه البيت الشامخ الرأس.

وأجنحة سكنك فيه سوف تكون لنا مرحلة
نأخذ خلالها قسطنا من الراحة!
فلنُقِمْ أسس هذا المعبد
حيث تكون لنا فيه أريكة
تمكّننا من الراحة
في كل مرة نحضر فيها إليك!»
55 لدى سماع مردوك
هذا (التصريح)،
تألّقت إلى أبعد حدّ، معالم وجهه
وأصبحت كالنهار ـ الساطع :
«أقيموا إذن بابل (قال لهم)
على اعتبار أنكم ترغبون بتأمين العمل!
ولتُعدّ إذن جدرانه الآجرية
لكي ترفعوا سقفه بعد ذلك!»
حفر الأنوناكي التربة
بفؤوسهم،
60 وخلال سنة كاملة
عمدوا إلى صبّ الآجر في قوالبه،
ثمّ، بدءاً
من السنة الثانية
رفعوا رأس الإيساج ـ إيل
وهو نسخة مطابقة للأبسو[١]
وبنوا كذلك

(١) (Apsu) هو مقر الإلّه إيا الذي أقامه لنفسه بعد قضائه على أبسو قرين تيامت الأول. ونحن نعلم من النصوص السومرية أن مقر أنكي في الأبسو هو قصر الإريدو (Eridu). وسوف يرد نصّ بناء هذا المقرّ في الكتاب الثالث تحت الرقم (٨٢).

البرج العالي ـ ذا ـ الطبقات لهذا الأبسو الجديد
حيث أعدوا فيه مسكناً
لكلٍ من آنو وإنليل وإيا.
65 عند ذلك شغل بكل وقار
مكانه أمام هؤلاء
ومنذ قاعدة الإيشارا[1]
كان يمكن تأمّل قمّته.
ولدى إنجاز
بناء الإيساچ ـ إيل،
جميع الأنوناكي
أعدّوا فيه أماكن ـ عبادتهم:
ثلاثمائة إيجيجي من السماء وستمائة بما في ذلك آلهة الأبسو
اجتمعوا فيه بعددهم الكامل!
70 وفي المكان ـ الفائق ـ السمو الذي أقاموه
للإله مردوك كمقر له،
إلى وَليمته دعا
الآلهة آباءه.
«هذه هي بابل (قال لهم)
مسكنكم، ومقر لكم:
إمرحوا فيه
وتشبّعوا من بهجته!»
أخذ الآلهة ـ العظام
عندئذ أماكنهم

(١) (E. Shara) ومعناه بيت ـ الكون وهو المقر الذي أقامه مردوك كمثيل للأبسو في السماء، وكذلك سيكون (الإيساچ ـ إيل) في بابل.

75 وضعوا أقداح شرابهم
وشاركوا في المأدبة.

مبايعة مردوك الرسمية وتنصيبه النهائي

بعد أن نفّذ الآلهة
نَغمَ العيد
وفي الإيساچ - إيل المهيب
عمدوا إلى تقديم القرابين
وبعد أن تمّ تأكيد السلطات الموكلة إليهم
وكذلك جميع طقوسهم،
وبعد أن وزّع مردوك عليهم جميعاً
مراكز السماء والأرض،
80 أخذ الآلهة - العظام وعددهم
خمسون، أماكنهم
ونقلوا قراراتهم إلى آلهة تقرير - المصائر
وعددهم سبعة
عند ذلك عرض الإله (مردوك) قوسه
ووضع أمامهم هذا السلاح،
كما تأمل الآلهة، آباؤه
الشبكة التي صنعها
ولمسوا بإعجاب، كم كانت رائعة
بُنية القوس
85 وأشادوا بالأعمال المجيدة
التي حققتها!
وعندما رفع آنو[1] القوس

---

(١) (Anu) إله السماء وسيد مجمع الآلهة مع بقاء أبيه آنشار (Anshar) في مركز الشرف.

قبّلها
وأعلن أمام مجمع الآلهة:
نعم، هذا هو ولدي!»
وهذه هي الأسماء
التي أطلقها على القوس:
«الاسم الأول، سوف يكون «الخشب ـ الفَرْع»؛
والثاني هو: «المظفّر»
90 والاسم الثالث هو:
«كوكبة ـ القوس ـ المتألقة ـ في السماء»!»
ـ والتي عيّن لها موضعها
بين أخواتها الكوكبات ـ الإلّهية![1]
بعد أن عيّن آنو
مصير القوس
أقام عرشاً مَلَكياً
يفوق رفعةً عروش بقية الآلهة
وفي وسط مجمع الآلهة
أجلس آنو عليه مردوك:
95 وعمد الآلهة ـ العظام،
وبالإجماع،
إلى الإشادة بقدر مردوك
وسجدوا أمامه،
ثمّ تلفّظوا من تلقاء أنفسهم
بقسمٍ يُلعنُ الحانث به،
أقسموا بالماء والزيت

(١) المجموعات الكوكبية والسيارات كانت تعتبر صوراً ورموزاً للآلهة.

وأيديهم على رقابهم

طالبين أن

يمارس سيادته على الآلهة

100 معترفين له بالسلطة المطلقة

على آلهة السماء والأرض.

تمجيد مردوك الأول

وأضاف أنشار[١] إلى أسماء مردوك

اسم الـ «أَسَلُوحي»[٢]:

«عند التلفّظ بهذا الاسم، (قال لهم)،

فلنجعل إلى الأرض وجوهنا

وعندما يفتح (مردوك) فمه

فلتنصت إليه الآلهة باحترام

ولتكن أوامره نافذة

كما في السماء كذلك على الأرض![٣]

105 وليرفع إلى أقصى درجة قَدْر

ولدنا المنتقم لنا!

وليسد تفوقه

وليكن دون مثيل!

وليمارس رعاية

خلائقه ذوي الرؤوس ـ السوداء![٤]

---

(١) (Anshar) الجدّ الأول لمردوك.

(٢) اسم إله قديم لمدينة كوآر (Ku'ar) المجاورة لإريدو (Eridu) وهو موضع ولادة دوموزي الراعي وسوف يرد النص المشير إلى ذلك في الكتاب الرابع ـ والتفسير اللغوي لهذا اللقب أمكن إعادته إلى: أسار ـ ري ـ لو ـ حي ٢ أسارلوحي وخفّف إلى أسلوحي بمعنى مؤسس الزراعة وأعمال تحديد الأراضي.

(٣) حرفياً فيما هو فوق وما هو تحت.

(٤) لقب سكان ما بين النهرين.

من الآن فصاعداً ولكي لا ينسى قط
لِتُتلَ أخبار مآثره!
وليؤمِّن لآبائه
تقدمات - غذائية وافرة!
110 وليمارس من أجلهم، مهمّة المموِّن
وليأخذ على عاتقه أماكن - طقوسهم!
وليجعل طيب روائح تبخير المحارق يتصاعد!
وليسْهر على (فاعلية) الرقى - التعويذية!
وليحقِّق على الأرض
مثيل ما حقّقه في السماء!
وليعلِّم ذوي الرؤوس - السوْداء
وسائل تبجيله!
وليجعل الشعوب
تهتم بآلهتها وتتضرّع إليها؛
115 وبكلمة منه،
ليعاملوا باحترام إلاهاتهم!
وليقدِّموا إلى آلهتهم وإلاهاتهم
مخصصاتهم - الغذائية.
وألا يَنْسوا
تقديمها لآلهتهم (الخاصة)[1]
وليعمموا النور في بلادهم
بإشادة أماكن عبادةٍ لهم!
وإذا ما كان ذوو الرؤوس - السوداء

---

(١) كان سكان ما بين النهرين يعتقدون أن لكل فرد إلّهاً خاصاً أو شخصياً يتقرّب منه ليتوسط له أمام بقية الآلهة التي يقصدها وبقي هذا الاعتقاد في الملاك الحارس في الديانة المسيحية وفي ملائكة النصوص التوراتية وفي القرآن الكريم.

منقسمين بالنسبة لآلهتهم الخاصة،
120 أما نحن، فمهما عدّدْنا أسماءه
فليكن هو إلّهنا الأوحَد!

أسماء مردوك: المجموعة الأولى

ولنعدِّدْ إذن
أسماءَه الخمسين
لكي نظهر شخصيته المجيدة
وكذلك مجيد أعماله!
(١)[*] وقبل كل شيء: مردوك[١]، كما منذ ولادته
سمّاه أبوه آنو[٢]:
المزوَّد بالمراعي وبمآخذ المياه،
الذي يجعل الزرائب تعجّ (بما فيها)
125 والذي غَلب بسلاحه:
«الطوفان» مثيري ـ الاضطرابات
وأنقذ من الخطر المحيق
بآبائه، الآلهة!
(٢) وكذلك مار ـ أوتو[٣]: الولد ـ شمس ـ الآلهة:
لأنه يتألّق
ولأنهم مغمورون بنوره الوهاج
وهم في ذهابٍ وإيابٍ أبدي!
وعلى البشر، خلائقه،

(*) سوف نشير إلى أسماء مردوك بأرقام هندية موضوعة بين قوسين بجوار المقاطع المشتملة على هذه الأسماء.
(١) سوف يرد تحليل المحتوى اللغوي لمردوك في الاسم الثاني.
(٢) آنو جدّ مردوك هو الذي يختار اسم حفيده.
(٣) مار بالأكادية بمعنى ابن، وأوتو (Utu) السومرية الإلّه الشمس.

الكائنات الذين منحهم الروح[١]

130 فرض عليهم سخرات الآلهة

ليحرر هؤلاء من أعمالهم!

الغلّة أو المحق

العفو أو العقاب:

كل ذلك طوعاً لرغبته،

وهم[2] لا يسعهم سوى التأمل (في عظمته)!

(٣) ماروكّا[٣]: وبتعبير آخر، الإلّه

الذي خلقهم[٢] بإرادةٍ منه

من أجل سعادة الأنوناكي

وتحرير الإيجيجي!

135 (٤) ماروتوكّو[٤]: أو بتعبير آخر، سند

البلاد وسند المدينة وسكانها!

فلتواصل الشعوب من الآن

فصاعداً الاحتفال به!

(٥) مار ـ شا ـ كوش ـ أو[٥]: ينفعل ولكنه

يحتكم لنفسه، يتملكه الغضب ولكنه يتمالك نفسه

طويل الأناة

وهو يمسك بزمام نفسه!

(٦) لوچال. ديمّر. آن. كي. آ[٦]: هو الاسم،

---

(١) حرفياً: النَفَس.

(٢) المقصودون هنا، هم البشر.

(٣) (Marukka).

(٤) (Marutukku).

(٥) (Mar. Sha. Kush. U-).

(٦) (Lugal. Dimmer. An. Ki. A) ورد تفسيره في (٥ : ١١٢) ومعناه ملك آلهة ما هو فوق وما هو تحت.

هو الاسم الذي أطلقه عليه مجمعنا

140 مما يجعل كلمته أكثر ـ مهابة

من كلمة آبائه الآلهة:

لأنه، هو حقاً سيد

جميع آلهة السماء والأرض

وهو الملك الذي يرهب

حضوره، آلهة ما هو فوق وما هو تحت

(٧) نادي. لوچال. ديمر. آن. كي. آ[١]: هو الاسم

الذي أعطيناه له بصفته مدير جميع الآلهة؛

وهو الذي في السماء وعلى الأرض

أصلح أمورنا وأبعد عنا الخـ [ـطر]

145 وعيّن للإيجيجي والأنوناكي

مهامّهم

فليضْطّرب الآلهة لسماع هذا الاسم

وليرتجفوا، أينما كانوا!

(٨) أسلّوحي[٢] هو الاسم

الذي خصّه به أبوه أنشار:

لأنه حقّاً نور الآلهة

وزعيمهم المقتدر

وهو الذي، عملاً بهذا الاسم

حامي الآلهة وحامي العالم،

150 وهو الذي بنتيجة مبارزة مذهلة

أنقذ من الخطر وضعنا!

---

(١) (Nade. Lugal. Dimmer. An. K. A) بإضافة لقب مدبّر إلى الاسم السابق وهو هنا مدبّر أمور جميع الآلهة.

(٢) (Asalluhi) ورد في (٦: ١٠١) انظر التفسير المرافق.

(٩) وسمي أيضاً أسلّوحي ـ نامْتيلا[١]:
الإلّه المحيي
وهو الذي بالتوافق مع طبيعته الخاصة
أعاد جميع الآلهة المهدّدة بالضياع إلى مراكزها!
وهو الإلّه الذي برقيته المقدسة
أعاد إلى الحياة «الآلهة ـ الأموات»
ودمّر خصومهم المتعنّدين!
فلنحت [نقل] إذن ببسالته!
155 (١٠) أسلّوحي. نامرو[٢]، وفق الاسم
الذي خصّ به في المرحلة الثالثة
الإلّه الطاهر
الذي يجعل سلوكنا نقياً».
وأنشار[٣] ولحمو[٤] ولحامو[٥]،
وهم الذين أطلق كل منهم أحد الأسماء الثلاثة الأخيرة.
أعلنوا
أمام أبنائهم الآلهة:
«نحن الذين عيّن كل منا
أحد هذه الأسماء الثلاثة!
160 والآن! عليكم أنتم مثلنا
التلفظ بأسماء أخرى!»
عمّت البهجة الآلهة

---

(١) (Asalluḫi. Namtila).
(٢) (Asalluḫi Namru).
(٣) (Anshar) والد آنو وجد مردوك.
(٤) (Lahmu).
(٥) (Lahamu) الآلهة القدامى الذين ظهروا إلى الوجود قبل أنشار وكيشار في بداية الـ (إ. إ).

لدى سماعهم هذا التوجيه
وفي قاعة ـ المداولات
تبادلوا الآراء (معلنين):
«بخصوص ولدنا البطل
والمنتقم لنا
بخصوص تموّن (معابدنا)
لنقم بدورنا بالإشادة بأسمائه!»
165 وفي مجلسهم المنعقد
عيّنوا له أسماء قَدَرِه،
لكي يتم في جميع الاحتفالات
التوجّه إليه تحت اسم مختلف.

اللوحة السابعة

مجموعة الأسماء الثانية

1 (١١) أساري[١]: المانح لهبة الزراعة
ومبتدع أصول مسح الحقول
وخالق الحبوب والقنّب
ومنتج كل خضرة!
(١٢) أسار. أليم[٢]: السائد في قاعة المجلس
حيث رأيه هو الراجح!
[الذي] يحترمه الآلهة
ولا يعرف الخوف!
5 (١٣) أسار. أليم. نونّا[٣]: الموقر
نور آبائه ومولديه
الذي يوصل إلى غايتها، توجيهات
آنو وإنليل وإيا ـ الأمير (؟)

---

(١) (Asari) سومرياً (A. Sar. Ri) بمعنى (آ): أعمال المساحة و (سار): زراعة الحقول و (ري) مانح أو هبة.
(٢) (Asar. Alim).
(٣) (Asar. Alim. Nunna).

إنه القيّم عليهم
وهو الذي يعين لهم مخصّصاتهم،
وهو الذي من أجل مصلحة البلاد
يضاعف الوفر في الحقول!
(١٤) توتو[١]
المنفِّذ الحقيقي لتجديد (وجودهم)
10 أجل، إنه حرّر معابدهم
لكي يتوقفوا عن العمل؛
خلق الرقية
لكي تهدأ قلوب الآلهة
بحيث إذا ما اندفعوا بغضبٍ
يترا [جعـ] ـون!
إنه يحتل المكانة الأسمى
في مجمع الآلهة. [آبائـ] ـه
ولا أحدٌ من بينهم،
يمكن أن يماثله أبداً
15 (١٥) توتو. زي أوكِّينّا[٢]:
حياة رعاياه!
هو الذي أسس من أجل الآلهة
السماء الصافية
وأخذ على عاتقه كيانهم
وعيّن لهم مناصبهم
فلتبقَ أعماله ـ المجيدة

(١) (Tutu).
(٢) (Tutu. Zi. Ukkinna).

ولتترسّخ في [ذاكرة] الجموع!

(١٦) توتو. زي. كو[١]، سمّوه في المرحلة الثالثة:

المحافظ على الطهارة

20 الإلّه ذو النَفَس المُنعم

سيد الاستجابة والرحمة

منتج الثروة والوفرة

ومدعِّم أسس الرخاء

الذي يحوّل إلى الكثرة

كل قلّة!

وأثناء شدّتنا الرهيبة

تنفّسنا روحه ـ الخَيّرة!

فلنكرر ذلك محتفلين به

ولننشد مدائحه.

25 (١٧) وعلى البشر في المرحلة الرابعة

تمجيد توتو. آجا. كو[٢]:

سيّد الرقية المقدسة،

ومحيي المحتضرين،

وهو الذي تملّكته الرحمة

تجاه الآلهة ـ المغلوبين

فنزع عن الآلهة المعادين

القيود المفروضة عليهم

وهو الذي من أجل إراحتهم

خلق البشر!

---

(١) (Tutu. Zı. Kù).

(٢) (Tutu. Aga. Kù).

30 إنه الغفور وإليه يعود

أمر منح الحياة ـ من جديد!

فلتبقَ سيرة أعماله

تُردِّدُ باستمرار

على شفاه ذوي الرؤوس ـ السوداء

الذين خلقهم بيديه!

(١٨) وحين سمّوه للمرة الخامسة توتو. تو. كو[١]

صدر عن أفواههم سحر عجيب:

فهو الذي برقيته المقدّسة

استأصل كل شرّ!

35 (١٩) شا. زو[٢]: العارف بما في صدور الآلهة

وسابر دخائلهم!

هو الذي لا يترك قط للأشرار

فرصة الإفلات من يديه!

المحافظ على (مصالح) مجمع الآلهة،

الذي يبهج قلوبهم.

إنه حمايتهم الشاملة

الذي يحني (رؤوس) المناهضين

هو الذي يُعلي كلمة الحق

ويستأصل لغة ـ الرياء

40 والذي يميّز في كل الأحوال

بين الكذب والصدق!

(٢٠) وليُمجّد بعد ذلك كَ شا. زو. زي. سي[٣]:

---

(١) (Tutu. Tu. Ku).

(٢) (Sha. Zù).

(٣) (Sha. Zu. Zi. Si).

الذي فرض ـ الصمت على الثّوار
وطرد الذهول من نفوس
الآلهة آبائه!
(٢١) وثالثاً تحت اسم شا. زو. سوح. ريم[1]:
الذي اجتثّ بسلاحه جميع الأعداء
وكشف مؤامراتهم
وحوّلها إلى الرياح؛
45 قضى على المجرمين برمتهم:
على جميع من اتجهوا ضدّه!
فلتستمر الآلهة وبصوت واحد
بالتهليل لمنجزاته!
(٢٢) ورابعاً تحت اسم شا. زو. چو. زيم[2]:
الذي أعاد الخضوع لآبائه الآلهة،
والذي اجتث جميع الأعداء
وقضى على نسلهم
وبدّد مُنَاوِريهم
ولم يبقِ على أحد منهم!
50 فليلفظ إذن، وَلْيُكَرّر لفظ
اسمه هذا على الأرض!
(٢٣) خامساً كـ شا. زو. زاح. ريم[3]:
وليتم تناقله في المستقبل هو أيضاً
هو الذي أحال إلى العدم جميع الخصوم
والمناهضين بكاملهم!

---

(١) (Sha. Zù. Suh. Rim).
(٢) (Sha Zù. Gù. Zim).
(٣) (Sha. Zù. Zaḥ. Rim).

هو الذي لـمّ شمل جميع الآلهة الهاربين (خوفاً)
وأعادهم إلى قاعات ـ الاحتفال!
فلتدم تسميته هذه
إلى الأبد!

55 (24) سادساً، ليُحتفل به في كل مكان
كـ شا. زو. زاح. چو. ريم[١]:
وهو الذي شخصياً، ألقى بنفسه في المعركة
وأباد جميع خصومه!
(٢٥) اين ـ بي ـ لولو[٢]: هو الإلّه
الجواد ـ بطبيعته!
راعي الآلهة القدير، الذي
فرض نظام التقدمات،
هو الذي أوجد على الأرض المراعي
ومناهل المياه، وجعلها تنمو وتتكاثر

60 كما حفر (مجاري) الأنهار
ووزّع مياهها الـمُخْصِبة!
(٢٦) ولْيُسَمَّ أيضاً إين ـ بي. لولو. إي. پا. دون[٣]:
إلّه الفيض (؟) والبلاد ـ المسطّحة

62 إنه سيد ينابيع الكون
ومؤسس الأثلام!

b62 الذي أوجد الزراعة المقدسة
في قلب الصحراء

63 والذي راصف حواجز ـ التراب والأقنية

---

(١) (Sha. Zù. Zaḥ Gu. Rim).
(٢) (En. Bi. Lulu).
(٣) (En. Bi. Lulu. E. Pa. dun).

ورسم خطوط الحراثة!

(٢٧) وليحتفل به ثالثاً كـ إين. بي. لولو. جو. جال[1]:

سيد ينابيع مجاري المياه الإلّهية

65 إلّه الرخاء والكثرة

والمواسم الضافية!

الذي أوجد الثراء

وجعل المعمورة تطفح بأرزاقها،

وهو الذي منح الحِنطة

وأنتج الحبوب!

(٢٨) وأخيراً كـ إين. بي. لولو. حي. جال[2]:

الذي يكدس الوفر لجميع (؟) الناس

ويمطر على الأرض الرخاء

ويجعل الخضرة تنمو ـ كثيفـ[ـةً]!

70 (٢٩) سير. سير[3]: هو الذي كوّم

الجبال فوق تيامت

والذي (بقوة) سلاحه

حمل كغنيمة جثتها!

إنه الساهر على الأرض؛

راعي البشر الحقيقي!

وليس شَعرُه سوى

مزارع وحقول محروثة وأثلام!

هو الذي في غضبه، يجتاز

ذهاباً وإياباً تيامت المترامية الأطراف

---

(١) (En. Bi. Lulu. Gù. Gal).

(٢) (En. Bi. Lulu. ḫé. Gal).

(٣) (Sir. Sir).

75 يعبر ذهاباً وإياباً مثل جسر
مكان معركته معها!
(٣٠) سمّوه أيضاً سير. سير. مالاح[١]:
ليكن ذلك إلى الأبد،
تيامت سفينته الخاصة
وهو ملاّحها.
(٣١) جيليم[٢]: مجمّع الأكوام الضخمة
في العنابر
خالق الحبوب والماشية
الذي يؤمّن البذور للبلاد!
80 (٣٢) جيليم. ما[٣]: موثّق ـ الرباط بين الآلهة
وخالق الحق؛
الزمام الذي يكبح الأشرار
محقّقاً سيادة النظام.
(٣٣) آ. جيليم. ما[٤]: الرفيع ـ المقام
الذي يبعد الفيضان ويراقب الثلو [ج]،
والذي، بعد أن دعّم المناطق ـ العلوية،
خلق الأرض فوق الماء[٥]
(٣٤) زو. لوم[٦]: الذي عيّن للآلهة أريافهم
وقسّم فيما بينهم نِتاجها.
85 وزّع عليهم حصصاً وتقدمات

---

(١) (Sir. Sir. Malaḥ).
(٢) (Gilim).
(٣) (Gilim. Ma).
(٤) (A. Gilim. Ma).
(٥) وفقاً للاعتقاد الذي يجعل قرص الأرض يطفو فوق الماء.
(٦) (Zu. Lum).

وموّن قاعات ـ احتفالاتهم!

هو خالق الكون، وهو

الذي يشرف على سيره!

(٣٥) وكإلّه مطهِّر للسماء والأرض

سمّوه كذلك: زو. لوم. أوم. مو[١]:

الذي لا مثيل لقدرته

بين الآلهة!

(٣٦) جِيش. نومون. آب[٢]: خالق جميع الشعوب

وصانع العا [لم]:

90 هو الذي، بعد أن قضى على آلهة تيامت

خلق الشعوب بشيء منهم!

(٣٧) لوچال. آب. دو. بور[٣]: الملك الذي شتّت

أعوان تيامت وجرّدها من أسلحتها؛

وهو الذي، أسّسَ مُلكِه راسخة،

في المستقبل كما في الماضي!

(٣٨) پا. چال. چو. إينا[٤]: سيد جميع الآلهة

ذو السلطة الفائقة!

الأسمى بين الآلهة إخوته

وسيد جميعهم!

95 (٣٩) لوچال. دور. ماخ[٥]: الملك الذي يشكل

الرباط بين الآلهة، إلّه الرباط ـ العظيم[٦]

---

(١) (Zu. Lum. Um Mu).

(٢) (Gish. Numun. Ab).

(٣) (Lugal. Ab. Du. Bur).

(٤) (Pa. Gal. gù. Enna).

(٥) (Lugal. Dur. Maḫ).

(٦) المقصود، هو الرباط بين السماء والأرض ودور ـ أنكي (Dur. an Ki) هو لقب الإلّه إيا والد مردوك.

هو الأكثر ـ سمواً على العرش ـ الملكي
بين الآلهة الفائقي ـ الرفعة!
(٤٠) آ. را. نونّا[١]: مستشار إيا؛ خالق
آبائـ [ـه] الآلهة،
الذي لا يضاهيه أي إلّه
بالنسبة لِمشيته الأميرية!
(٤١) دومو. دو. كو[٢] الذي يتجدد
مسكنه الطاهر، على «الجبل ـ المقدس»!
100 إنه «ابن ـ الجبل المقدس» وبدونه
لا يتخذ إيا «ملك ـ الهيكل ـ المقدس» أي قرار!
(٤٢) لوچال ـ شو. آنّا[٣]: الملك ذو السلطة الرفيعة
بين الآلهة!
إلّه قوة آنو، وهو أيضاً
يزيد سموّاً شخصَ أنشار!
(٤٣) إر. أوچ. چا[٤]، الذي في داخل تيامت،
جعلهم جميعاً سجناء!
والذي امتلك كل معرفة
ولا حدود لذكائه.
105 (٤٤) إر. كين. غو[٥]، الذي أسر كينغو
في خضمّ المعركة
وهو الذي نظّم في الكون، توكيل ـ السلطات

---

(١) (A. Ra. Nunna).
(٢) (Dumu. Du. Ku).
(٣) (Lugal. Shu. Anna).
(٤) (Ir. Ug. Ga).
(٥) (Ir. Qin. Gu).

وأقام أسُس السيادة!
(٤٥) كين. ما[١]: حاكم جميع الآلهة
ومُسدي النصح لهم.
هوَ الذي بمجرد ذكره، يرتجف الآلهة
خشيةً وكأنهم في عاصفة!
(٤٦) وبصفته إي. سيسكور[٢]، فإنه
سوف يجلس بجلال في بيت ـ الصلوات
110 وأمامه سوف يعرض الآلهة
تقدماتهم
بينما يتلقى بدوره
جليل احترامهم!
لا أحدٌ غيره
كان بإمكانه خلق مثل تلك الروائع!
والمجموعات الأربع لذوي الرؤوس ـ السوداء،
هي خلائقه:
وباستثنائه هو، لا إلّه غيره
يعرف إدارة شؤونهم!
(٤٧) جيبيل[٣]: الذي ضمن
نتيجة الحرب،
وبنهاية الالتحام مع تيامت
عمد إلى خلق العجائب!
واسع إدراكه
هو القادر الحادّ الذكاء

---

(١) (Kin. Ma).
(٢) (E. Siskur).
(٣) (Gibil) إلّه النار وهنا يطلق اسمه على مردوك.

والآلهة جميعهم، غير قادرين

على فهم قلبه الذي لا يسبر غوره!

(٤٨) آدّو[١]، سيكون أيضاً اسمه

وهو بذلك يغطي كامل وجه السماء!

120 فليجعل هديره الخيّر

يُدوّي فوق الأرض!

وليصرِّف بالأمطار

مادة الغيوم

بحيث يقوم على هذه الأرض

بتزويد الشعوب بقوتها!

(٤٩) أشارو[٢] هو الذي وفقاً لهذا الاسم

قرر مصائر الآلهة

وأخذ شخصياً على عاتقه

كلّية شعوب العالم جمعاء!

124bis (٥٠) نيبيرو[٣]: إنه هو

الذي يشرف على الممرات سماء ـ أرض:

125 لا أحد يعبر إلى ما هو فوق أو ما هو تحت

دون التوجّه إليه!

ونيبيرو[٤] هي نجمته

التي تلمع في السماء:

محتلةً فيها القطب

والآلهة ينظرون إليه فيها بإعجاب،

---

(١) (Addu) يحتل مردوك هنا مكانة إلّه الرعد والأمطار أدد أو هدد، ومنه هدّ الرعد أي هدر.

(٢) (Asharu).

(٣) (Nebiru).

(٤) (Nebiru) نجم القطب وهو أحد نجوم مجموعة الدب الأصغر.

قائلين: «إنه دونما كللٍ يمر ويمر من جديد

في داخل تيامت،

فليكن اسمه نيبيرو

لأنه يسيطر على داخلها!

130 ووفقاً لهذه الصفة، فإنه ينظم

مسارات نجوم السماء

ويرعى، كمثل الخراف

جميع الآلهة ـ الكوكبية![1]

فليتمكن من الإطاحة بتيامت

وليَضْعَفَ نَفَسُها حتى الانطفاء:

وبنهاية الأمر

وعلى مدى استمرار الأيام

فلتعمد إلى الفرار دون أن يتم التمسك بها

وأن تختفي إلى الأبد!»

إسمان آخران يضيفهما كل من إنليل وإيا

135 (٥١) ولأنه خلق السماء

وصنع العالم السفلي

فإن أباه إنليل[2] خصّه إضافةً

باسم إين. كورا![3]

تلك هي الأسماء التي عددها

الإيجيجي طويلاً

---

(١) المقصود بالآلهة الكوكبية الآلهة التي ترمز إليها الكواكب، مثال القمر للإلّه سين والزُهرة للإلّهة عشتار... والنصوص الأكادية تلقب النجوم بآلهة الليل.

(٢) (Enlil) ومعنى اسمه السومري سيد الهواء وهو أحد آلهة الثلاثي الحاكم آنو، إنليل، أنكي/ إيا ومعبد إنليل في نفّر (Nippur) هو إيكور (E. Kur) أي بيت الجبل.

(٣) سيد الجبل (En. Kur) يسمى مردوك وهكذا يحتل مكان إنليل.

(٥٢) وعندما سمعها إيا

تهلّل قلبه (وقال):

«إن الذي عَمد آباؤه

إلى تمجيد أسمائه

140 ليكن اسمه هو كذلك، إيا[١]

مماثلاً لاسمي!

فليرفع من شأن

مجموع أنظمتي

وليطبّق شخصياً

شمولية مهامّي!»

التمجيد الختامي:

بهذه الأسماء الخمسين

فإن الآلهة ـ العظام،

عندما خصّوا (مردوك) بأسمائه الخمسين

منحوه شخصية استثنائية!

145 فليتمّ حفظ (هذه الأسماء)

وليقم بعرضها القدماء!

وليتأمل بمدلولها على السواء

كل حَكيم وعالم!

وليردّدها كل أب

ليعرِّف بها أبناءه!

وليَعمُد حامي وراعي الشعب[٢]

---

(١) (Ea) إلّه الأبسو والخلق ومهارة الصنع يتخلى لابنه مردوك عن دوره الشمولي.

(٢) المقصود هنا الملك الذي عليه نشر عظمة مردوك بحرارة على شعبه لكي يزدهر ملكه ويطول عمره.

إلى تفهم معناها،

وإذْ يُسْتثنى بذلك كل فتورٍ

تجاه مردوك، إنليل الآلهة[١]،

150 يزدهر ملكه

ويبقى هو سالماً ومعافىً.

دائمة هي كلمة (مردوك)

ولا تعديل لأوامره:

لا يمكن لأي إلّه تبديل

ما يخرج من فمه!

وإذا ما أصرّ على إلقاء

نظرةٍ عدائية،

في أثناء غضبه، فلا يستطيع

أيّ إلّهٍ أن يجابهه!

155 قلبه لا يسبر غوره

وواسع إدراكه

المذنب والجانح

يقفان أمامه![٢]

تلك هي الظاهرة التي تمّ

عرضها أمام أحد القدماء

والتي حفظها ووضعها كتابةً

لتعلَّمَ إلى الأجيال القادمة!

و [مآثر (؟)] مردوك

الذي خلق الإيجيجي

---

(١) إنليل الآلهة بمعنى سيد الآلهة أصبحت هنا صفة لمردوك.

(٢) يقوم مردوك هنا بدور إلّه العدالة شمش.

160 [فلتُتْلَ (؟)]

وليلفظ اسمه

[وليتم الترنم (؟)]

بنشيد مردوك

[الذي] بعد أن أطاح بتيامت

تلقى السلطة ـ العليا.

خلاصة حول أسماء مردوك

بعد أن عَرَضْنا النص الكامل لقصيدة التكوين والخلق الـ (إ. إ) يمكننا الآن العودة إلى أسماء مردوك واستعراضها، ليس بالرجوع إلى مقاطع اللغة السومرية التي عبرت عنها ونحن نعلم أن هذه اللغة بقيت لفترة متأخرة اللغة الرسمية للطقوس الدينية، ولكننا سنستعرض أسماء مردوك بالرجوع إلى الشروح التي قدمتها القصيدة في متن نصها ونقدّم في ما يلي مجموعة الأسماء والصفات المردوكية التي يمكن استنتاجها وتلخيصها لدى إعادة قراءة النص الكامل:

اللوحة الأولى: تكوينه لا مثيل له. مدهش شكله. لا أحد يتحمل النظر إليه. عيونه أربع وآذانه أربع[1]. نار تتوهج عندما يحرك شفتيه. عيونه تراقب الكون. يحيط به بهاء[2] عشرة آلهة. يصدر عنه خمسون إشعاعاً رهيباً.

اللوحة الثانية: الحفيّ. الحامي للجميع. التام الحكمة.

اللوحة الثالثة: حكيم الآلهة.

اللوحة الرابعة: وحدك أنت الأسمى. قدرك لا مثيل له. سائدة أوامرك. لا مردّ لقراراتك. ترفع وتخفض شأن من تشاء. المنتقم للآلهة. ملكيته على كامل الكون.

---

(١) للدلالة على أنه يرى كل شيء ويسمع كل شيء ويتضح ذلك أيضاً من تعبير «عيونه تراقب الكون».

(٢) أي التألق الخارق للطبيعة الذي لا يملكه سوى كبار الآلهة.

اللوحة الخامسة: ملك آلهة ما هو فوق وما هو تحت[1].

اللوحة السادسة: نافذةٌ أوامره، كما في السماء كذلك على الأرض. مهما تعدّدت أسماؤه، ليكن إلّهنا الأوحد. مانح المراعي ومآخذ المياه. شمس الآلهة المتألق. يغمر الآلهة بنوره الوهّاج. مانح الروح للبشر خلائقه. يُغلُّ ويمحق، يعفو ويعاقب، كل ذلك وفقاً لرغبته. لا يسع البشر سوى التأمل في عظمته. خلق البشر بإرادة منه.

سَنَدُ البلاد وسندُ المدينة وسكانها. طويل الأناة ويمسك بزمام نفسه. سيد جميع آلهة السماء والأرض. هو نور الآلهة. حامي الآلهة وحامي العالم. هو الإلّه المحيي. الإلّه الطاهر الذي يجعل سلوكنا نقياً.

اللوحة السابعة: المانح لهبة الزراعة ومنتج كل خضرة. رأيه هو الراجح. لا يعرف الخوف. هو نور آبائه.

يضاعف الوفر في الحقول. هو حياة رعاياه. أسّس من أجل الآلهة السماء الصافية. المحافظ على الطهارة. الإلّه ذو النَفَس المُنْعِم. سيّد الاستجابة والرحمة. يحوّل إلى الكثرة كل قِلّة.

أثناء شدتنا الرهيبة، تنفّسنا روحه الخيِّرة. فلننْشد مدائحه. إنه محيي المحتضرين. إنه الغفور. إليه يعود أمر منح الحياة من جديد. استأصل برقيته المقدسة كل شرّ.

العارف بما في صدور الآلهة وسابر دخائلهم. لا يترك قط للأشرار، فرصة الإفلات من يديه.

هو الذي يعلي كلمة الحق ويستأصل لغة الرياء.

ليلفظ اسمه وليكرر لفظه على الأرض. هو الجواد بطبيعته. راعي الآلهة القدير. أوجد على الأرض المراعي ومناهل المياه. حفر مجاري الأنهار ووزّع مياهها المُخصِبة. إنه سيد ينابيع الكون. إلّه الرخاء والكثرة. جعل المعمورة تطفح بأرزاقها. إنه يمطر على الأرض

(١) ملك آلهة السماء والأرض.

الرخاء ويكدس الوفر لجميع الناس.

هو الساهر على الأرض وراعي البشر الحقيقي. هو موثّق ـ الرباط بين الآلهة، وخالق الحق. إنه الزمام الذي يكبح الأشرار ويحقق سيادة النظام.

هو خالق الكون الذي يشرف على سيره. مطهِّر السماء والأرض. خالق جميع الشعوب وصانع العالم.

قضى على آلهة تيامت وخلق الشعوب بشيء منهم[1].

راسخة أسس ملكه، في المستقبل كما في الماضي.

الأسمى بين الآلهة وسيد جميعهم. حاكم جميع الآلهة ومسدي النصح لهم.

لا أحد غيره كان بإمكانه خلق مثل تلك المآثر.

باستثنائه هو، لا إلّه غيره يعرف إدارة شؤون البشر.

واسع إدراكه وهو القادر. قلبه لا يسبر غوره.

يغطّي كامل وجه السماء. هديره الخَيّر يدوّي فوق الأرض. يصرّف بالأمطار مادّة الغيوم.

إنه يقرر مصائر الآلهة ويأخذ على عاتقه كلية شعوب العالم.

دائمة هي كلمة مردوك ولا تعديل لأوامره.

ملاحظة عامة:

يمكن استكمال أسماء وصفات مردوك، من ضمن الابتهالات والصلوات الموجهة إليه أو لبقية الآلهة الذين حل محلهم، كما ظهر من سياق عرض قصيدة الـ (إ. إ) وذلك بالرجوع إلى الكتاب الرابع في فصل: التقرّب من الآلهة المشتمل على أمثلة عديدة عن الابتهالات والمدائح الموجهة إلى الآلهة.

---

(١) المقصود دم الإلّه كينغو.

الفصل الثاني

(٢) ـ الثواب والعقاب

١ ـ قبل الدخول في تفاصيل محتويات هذا الفصل، وهي ترتبط بتوزيع الثواب والعقاب، والمستحقون هنا، هم البشر، يمكننا قبل ذلك الرجوع بسرعة إلى مجتمع الآلهة بمعزل عن مجتمع البشر في علاقتهم مع الآلهة: ففي مجتمع الآلهة كما تصوره قدماء بلاد ما بين النهرين، يمكننا التعرّف على بعض القواعد الأخلاقية التي تبنّاها ذلك المجتمع، في فترةٍ لم يكن بعد، مسرح الأحداث قد شُغل من قبل البشر، بل كان الآلهة أنفسهم، هم أبطال الحوادث، يَسهرون على إدارة الكون وعلى تنظيم شؤون الأرض (بلاد ما بين النهرين وما يحيط بها)، معدّين البشر، إذا ما مرّ ذكرهم في تلك المناسبات، لدورهم المستقبلي في متابعة مهامّ الآلهة، في المعبد وفي المدينة وفي علاقتهم بالأرض المنتجة... وذلك بإشراف ملكٍ يمثّل الإلّه على الأرض.

٢ ـ بين القواعد الأخلاقية التي عرفها مجتمع الآلهة، كانت أمثلة الثواب والعقاب، ترتبط، بمكافأة البطولة، وارتقاء مرتبة الإلّه البطل، وازدياد سلطته بين الآلهة. وكذلك إقامة هياكل تعبّدية له في المعابد الرئيسية، حيث تغدق عليه القرابين. وهذا ما سوف يتّضح بالنسبة للإلّه نينورتا[١]، في صراعه مع الطائر أنزو[٢]، كما سيرد ذلك

(١) (Ninurta) بمعنى سيد الأرض وهو ابن الإلّه إنليل (Enlil) سيد مجمع الآلهة وإلّه مدينة نفّر (Nippur) وهي العاصمة الدينية القديمة لبلاد سومر.

(٢) (Anzu) طائر أسطوري إلّهي المنشأ.

هنا في النص رقم (٦٢). وكانت المكافأة أيضاً ترتبط بالولاء، ولاء مدينة لمدينة أخرى، وسوف ترد أمثلة عن ذلك في عدة نصوص من الكتاب الثالث: ففي زيارة الإلّه القمر إلى مدينة نفّر[١]، اعترافاً منه بسلطة الإلّه إنليل[٢]، كانت المكافأة تعني الرخاء والوفر، يمنحهما الإلّه إنليل لمدينة أور[٣]. ومن إريدو[٤] مدينة الإلّه أنكي[٥]، تعود الإلّهة إنانّا[٦] محمّلة بكامل أسس الحضارة تقدّمها لمدينتها أوروك[٧].

وفي الكتاب الثالث أيضاً، وبعد انتصار الإلّه نينورتا على شعب الحجارة، نراه يعود إلى مدينته نفّر ويعرض على أبيه إنليل[٣] أسلحة انتصاره وغنائمه؛ فيعترف مجمع الآلهة بتفوقه وتسمو مرتبته في معبد نفّر. ويكافىء هو بدوره مدينتَه وملكها.

٣ ـ وعن الكتاب الأول، يمكن تقديم عدة أمثلةٍ عن العقاب:

- ففي النص رقم (١)، حين غضبت الإلّهة ـ الأم نينخورساج[٨] على الإلّه أنكي بسبب تذوقه للنباتات التي خلقتها هي، وتقريره مصير تلك النباتات، حوّلت عنه نظرتها المانحة للحياة، فأصبح مهدّداً بالموت وهي التي تقوم بشفائه فيما بعد، فتخلق من أجله إلّهين وستّ إلّهات للشفاء. (راجع الأسطر ٢٠٠ ـ ٢٢٠).

- ونرى مجمع الآلهة كما ورد في النص رقم (٢)، يأمر الإلّه إنليل، مغتصب الإلّهة ننليل[٩] بمغادرة المدينة والتوجّه إلى العالم السفلي، عالم الموت، إلاّ أن ننليل تبعته (الأسطر ٦٠ وما بعد) ولكنه يتابع احتياله للاستمرار على مضاجعتها.

---

(١) (Nippur) وردت في الملاحظة رقم (١) من الصفحة السابقة.
(٢) (Enlil): ورد في الملاحظة رقم (١) من الصفحة السابقة.
(٣) (Ur) مدينة الإلّه القمر نانا (Nanna) السومري.
(٤) (Eridu) مدينة الإلّه أنكي، حيث أقام مقرّهُ في الأبسو (Apsu).
(٥) (Enki) إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع.
(٦) (Inanna) قرينة إلّه السماء آن (An). ويرمز إليها كوكب الزهرة وهي عشتار الأكادية إلّهة الخصب ومدينتها أوروك.
(٧) (Uruk) وهي المركز الديني لإلّه السماء آنو وعشتار.
(٨) (Ninḫursag) بمعنى سيدة الجبل وهي نينتو (Nin-tu) إلّهة الولادة.
(٩) (Ninlil) المقابل الأنثوي لإنليل.

• كما يسرد لنا النص رقم (١٠) من الكتاب الأول قصة اغتصاب إنّانا[1] من قبل بشريٍ (؟) مقرّبٍ من أنكي، وهو البستاني، الذي كان قصاصه، أن تمّ تحويله إلى نجم (؟)، بعد عدّة عقوبات فرضتها إنانا على البلاد بكاملها.

٤ ـ وكما سترد أيضاً في الكتاب الثالث قصة خلق الإلّهة صَلتو[2] منافسةً لعشتار وذلك بقصد الحدّ من غرور عشتار وشراستها ووضعها أمام مرآة ترى فيها نفسها على حقيقتها.

٥ ـ وفي الفصل الثالث من هذا الكتاب، يمكننا التعرّف من ضمن النص رقم (٧٤)، على تجربة الإلّه نينورتا وتلقينه درساً في التواضع من قبل الإلّه إيا. وأخيراً، وبالنسبة لإلّهٍ ثانوي، هو مارتو[3] سوف ترد قصته في الكتاب الثالث، يمكننا أن نقرأ بابتهاج، كيف استحق مارتو بسبب فوزه ببطولة ألعاب المصارعة، الزواج من الفتاة الإلّهية الجميلة ابنة حامي المدينة. وهي المكافأة التي أصرّ على نيلها، رافضاً الذهب والفضة.

٦ ـ نخرج الآن من هذه المقدمة السريعة المتعلقة بعالم الآلهة ومجتمعهم، لندخل في عالم ومجتمع البشر، متابعين عرض موضوع الثواب والعقاب، وهو الموضوع الأساسي لهذا الفصل الثاني. وأول عقاب جماعي عَرفته البشرية بالإضافة إلى الوباء والمجاعة، هو الطوفان الذي نخصّص له فقرة مستفيضة من هذا الفصل تروي لنا قصة البشر من الخليقة إلى الطوفان.

٧ ـ أما الفقرات التالية من هذا الفصل فإنها تتعرّض على التوالي إلى موضوع سهر

---

(١) (Innana) إلّهة الخصب وابنة الإلّه القمر يرمز إليها كوكب الزهرة وهي عشتار الأكادية.

(٢) (Saltu) مخلوق خاص ابتدعه الإلّه إيا (Ea) لمجابهة عشتار.

(٣) (Martu) هو إلّه ثانوي «بدوي» أو «نصف بدوي»، يمثل القبائل الرحّل التي كانت تنتقل في منطقة الفرات الأوسط وحوض البليخ والخابور. ومارتو هي التسمية السومرية لأمورو الأكادية.

الآلهة على تطبيق العدالة واحترام الطقوس ومن ثمّ، حين يكون العقاب شاملاً ومدمّراً لمدينة بكاملها، فإن البكاء على أطلال المدينة ومعبدها المدمّر، والبكاء على خراب البلاد، ولّد في عالم ما بين النهرين ومنذ الفترة السومرية، أدب المراثي الذي استمر فيما بعد في كل من الفترتين الأكدية البابلية والأشورية وتبّنته التوراة العبرية فيما بعد. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المراثي السومرية وصلنا عنها نص مهمّ، سوف نثبته فيما بعد، وهو النص رقم (٦٨) مفاخرين بكونه أقدم نص معروف لمسرح ديني سومري سبق المسرح اليوناني بأكثر من ألف عام.

وأخيراً، فإن الثواب والعقاب، تطبيقاً لعدالة الآلهة، لم يمنع إنسان ما بين النهرين من أن يتساءل مع مفكريه، إذا ما كانت العدالة الإلّهية تجزي الخير وتعاقب الشرّ، وإذا ما كان المرض والألم عقاباً على خطيئة، فما هي هذه العدالة التي تجعل الرجل الصالح يتألم؟ وفي هذه الفقرة المتعلقة ببحث العدالة الإلّهية سوف نورد قصة العادل المعذّب[١] وكذلك حواراً بابلياً فلسفياً بصددها.

٨ ـ ووفق هذه المقدمة التي رسمنا خطوطها العريضة، فإن محتوى الفصل الثاني من هذا الكتاب سوف يشتمل على الفقرات التالية:

(٢ ـ ١) ـ من الخليقة إلى الطوفان

(٢ ـ ٢) ـ الثواب والعقاب وسهر الآلهة

(٢ ـ ٣) ـ أدب المراثي والمسرح الديني السومري

(٢ ـ ٤) ـ الثواب والعقاب والعدالة الإلّهية.

(١) قصة أيوب التوراتية.

(٢ ـ ١) ـ من الخليقة إلى الطوفان

١ ـ استعرضنا من خلال الفقرتين (١ ـ ٣) و (١ ـ ٤) من الفصل الأول، النصوص العائدة لخلق البشر، والتي أظهرت غاية الإلّه أو الآلهة من عملية الخلق، والتي هي تنفيذ أعمال السخرة عوضاً عن الآلهة، وتأمين نظام الريّ وزرع حقول الآلهة لمضاعفة ثروة البلاد والاحتفال الباذخ بولائم الآلهة، كما ورد ذلك في النص (رقم ٥٢).

وفي نص آخر، نجد الإلّه إنليل، يخلق الفأس المباركة مقرراً للبشر عند خلقهم نظام السخرة، واضعاً الفأس بأيديهم ليعملوا بها (النص رقم ٥٣). وأما في نص الإينوما إيليش، فإن الإلّه مردوك يخلق البشر بناء على طلب الآلهة، لكي يقوم البشر بإنجاز أعمالهم، هم (النص رقم ٥٥/٥: ١٤١)، ولكي تُفرض عليهم سخرة الآلهة، فيتوقفوا عن العمل من أجل الراحة (٥٥/٦: ٨).

ويشير النص رقم (٥٢) إلى استعمال دم إلّه في عملية الخلق ويشير إلى ذلك أيضاً النص رقم (٥٥). وعملية جبل دم الإلّه بصلصال تربة ما بين النهرين لخلق البشر، يكرّس بالنسبة لهؤلاء وجود طبيعتين: طبيعة مادية (الجسد) وطبيعة إلّهية وهي ما يبقى بعد موت الجسد وعبّرت عنه اللغة الأكادية بكلمة (طيمو)[١] بمعنى الذكاء أو النّفْس، ومن هنا بدأت ثنائية الجسد والروح، وسوف يتضح ذلك بشكل أفضل من خلال النص الآتي رقم (٥٦) حين يتعرّض لخلق البشر، معتبراً أن دم وجسد الإلّه هو الذي يجعل أن تكون للبشر روح تبقى حية بعد موت الجسد.

---

(١) (Temu).

٢ ـ وعلى أساس هذا التصور لتكوين البشر، كان عليهم العمل على إرضاء الآلهة بمعنى الاستجابة إلى عنصرهم الإلّهي في توافقه مع أساسهم «الترابي» ودون الوقوع بالطبع في خطأ المغالاة، والاهتمام «بتُرابيتهم» فقط وإهمال ما يتوجب عليهم تجاه الآلهة، أو إصابتهم بالغرور والاعتقاد بإمكانية مضاهاة الآلهة.

ومن هذه الرمزية لمعنى الإلّه وتجاه المغالاة في الإهمال أو الغرور، يتولد الشعور بالذنب ويتّخذ الإلّه عند ذلك دور القاضي الذي يحكم أو يحاكم، يكافىء أو يعاقب.

٣ ـ والنصوص التي سوف نعرضها من ضمن الفقرة (٢ ـ ١) من هذا الفصل المشمولة بعنوان الثواب والعقاب، تروي لنا، خلال عرضٍ ضافٍ لتاريخ البشرية الإجمالي منذ ما قبل الخلق، تروي لنا عملية الخلق، ومن ثم قصّة رجلٍ حكيم كان قريباً من إلّهه، يكلّمه ويطالبه بالتدخل عند الحاجة لمصلحة البشر ولإنقاذهم من العقاب الذي وقع عليهم. وهذا الرجل تداولت قصته نصوص عدّة عُثر عليها في مواقع مختلفة فعرفته منطقتنا تحت لقب الفائق ـ الحكمة (أترَ ـ حسيس)[١] البابلي ـ القديم، أو (زي. أو. سود. را)[٢] السومري، بمعنى الذي «حياته ـ مديدة ـ الأيام» أو (أوتا ـ نافيشتي)[٣] وقد روت قصّته اللوحة الحادية عشرة من ملحمة جلجامش، أو أخيراً (نوح) التوراتي وجميعهم نجوا من الطوفان وأنقذوا البشرية والحياة على الأرض. وكانت المكافأة منحهم الحياة الأبدية[٤] باستثناء نوح.

ولقد كان الوباء والجفاف والمجاعة وأخيراً الطوفان الرهيب عقاباً للبشر. ـ وتسوّغ النصوص هذا العقاب بنتيجة التكاثر والضجيج، وسوف نعود إلى تحليل ذلك فيما بعد.

٤ ـ تبدأ إذن هذه الفقرة بعرض ما وصلنا من نصوص عن هؤلاء الفائقي ـ الحكمة من ضمن نصّ مهمّ، يسرد لنا قصة البشرية الأولى، منذ ما قبل الخليقة إلى ما بعد

---

(١) (Atar-Ḥassis) أو (Atarm-Ḥassis)، يُترك التفسير اللغوي لمناسبة عرض النصّ.
(٢) (Zi U. Sud. ra) (زِيُوسودرا) وهي التسمية السومرية.
(٣) (Uta. Napishti) وهو التعبير الأكادي الذي يعني «وجدتُ ـ حياتي».
(٤) وهو المسعى الذي شغل واستحوذ على جلجامش بعد موت رفيقه أنكيدو.

الطوفان ونعرض بعدها ما وصلنا مِن قصص الطوفان الأخرى التي نوّهنا بها أعلاه.

والنصوص المقصودة هنا، هي التالية:

النص (٥٦): الفائق الحكمة والتاريخ الإجمالي للبشرية من الخليقة إلى الطوفان

النص (٥٧): الطوفان السومري

النص (٥٨): الطوفان من رأس ـ شمرا

النص (٥٩): الطوفان في ملحمة چلچامش

النص (٦٠): طوفان التوراة (الملحق رقم ١)

النص (٦١): طوفان بيروز

(٥٦) ـ الفائـــق ـ الحكمـــة
والتاريخ الإجمالي للبشرية
من الخليقة إلى الطوفان

١ ـ تروي قصيدة الفائق ـ الحكمة، من ضمن نظرة شاملة التاريخ الإجمالي للبشرية منذ ما قبل الخلق وتنتهي بالطوفان وهو أحد الموضوعات الرئيسية في هذه القصيدة الطويلة التي هي أقدم قصّة للتكوين حاولت، بكثير من بعد النظرة، الإجابة عن سؤال ما الغاية من خلق البشر؟ والتساؤل عمّا يتوجب عليهم نحو الآلهة. كما تعرّضت لعلاقات الآلهة فيما بينهم وحاولت التعرّض من ضمن نظرة الآلهة إلى التكاثر السريع للبشر والقرار لتحديده بتقليص عمر البشر وقد نقول بفرض الموت إفرادياً، بعد أن كاد الطوفان يقضي على البشرية جمعاء وعلى كل شيء حيّ، لولا تدخّل أحد الآلهة ـ وهو إلّه الذكاء والخلق ومهارة الصنع ـ لإنقاذ الموقف بواسطة البشري «أتر ـ حسيس»[١] الفائق ـ الحكمة[٢].

وقصة الخليقة هذه وطوفان البشر الذي سبق الأزمنة التاريخية هو المسار نفسه الذي تبعته التوراة العبرية بعد أكثر من ألف عام متأثرة طبعاً بما تعرّفت عليه في كل من كنعان وبابل.

٢ ـ وصلت إلينا قصيدة «الفائق ـ الحكمة»[٣] وفقَ نسخٍ عديدة جميعها غير كاملة

---

(١) أو أترا ـ حسيس.

(٢) ومن المفيد الإشارة إلى أن هذه القصيدة عُرفت من قبل البابليين أنفسهم وفق عنوان مطلعها وهو (إينوما. إيلو. أوّيلوم) ومغناه: «حينما الإلّه مثل الإنسان».

(٣) الفائق ـ الحكمة هي الترجمة المعادلة للتسمية الأكادية «أتَرْ ـ حسيس» أو «أتْرَم ـ حسيس» والتي يمكن إعادتها عربياً إلى الحِسّ والإدراك، فالحاسة هي القوة المدركة، والحواس الخمس هي ظاهرة وباطنة، والباطنة هي الذِّكر والفكر والتَصّوّر والفهم والإرادة وفي ذلك فائق الحكمة.

وقد أمكن بالاعتماد على أجزائها المختلفة تتبع محتوى هذا النص.

وإذا كنا لا نعرف إلا تقريبياً تاريخ تأليفها إذ أمكن إعادتها إلى فترة حكم حمورابي أي الربع الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد، فإنّنا نعرف تماماً اسم ناسخ هذه القصيدة والعدد الصحيح لأبياتها وهو ١٢٤٥ بيتاً كما أوضح ذلك الناسخ بنفسه في نهاية النص الموقع من قبله.

الناسخ هو كَسَفْ ـ آيا[١] أو نور ـ آيا[٢] وفقاً لقراءتين مختلفتين لهذا الاسم وتؤدّيان إلى المعنى نفسه لأن كسَف ومعناه الفضة ومجازياً تألقها أو نورها الصادر عن آيا. وقد نفّذ نور ـ آيا عمله هذا خلال فترة حكم الملك عامي ـ صادوقا (١٦٦٤ ـ ١٦٢٢ق. م) وهو الخلف الرابع لحمورابي.

٣ ـ ونسخة نور ـ آيا هي أقدم ما وصلنا من قصيدة الفائق ـ الحكمة، إذ إنّ هذه القصيدة تمّ نشرها أي إعادة نسخها خلال فترات مختلفة تلت، دون إدخال تعديلات أساسيّة عليها واقتصر التعديل على توزيعها على اللوحات التي احتوت نصها وعلى عدد الأعمدة التي تحملها كل لوحة.

وقد وصلنا منها عدد من النسخ جميعها غير كاملة كما أوضحنا آنفاً وهي تتوزع كما يلي:

سبع نسخٍ تعود إلى الفترة البابلية القديمة أي حوالى الربع الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد.

نسختان تعودان إلى النصف الثاني من الألف الثاني (حوالى ١٣٠٠ ق. م).

أجزاء حوالى عشر نسخ تعود إلى النصف الأول من الألف الأول (حوالى ٦٥٠ ق. م) عثر عليها في مكتبة أشور بانيبال في نينوى.

نسختان تعودان لفترة أحدث سَبَقَتْ سقوط بابل (٥٣٩ ق. م).

---

(١) (Kasap-Aya)، ورد التفسير من ضمن العَرض.

(٢) (Nûr-Aya) بمعنى تألُق أو نور آيا. وآيا هي قرينة الإلَه الشمس وبقي اسمها في إيا الشمس أي نورها وحسنها.

٤ ـ ومن خلال هذه المجموعة من الأجزاء أمكن التعرّف على المحتوى العام للقصيدة واستعادة محتوى ثلثيها. ونصّ نور ـ آيا، وهو الأقدم، هو الذي سوف يتبع كأساس في عرض هذه القصيدة التي سوف تُستكمل من خلال هذا العرض بالاعتماد على أجزاء أخرى تتكامل معها مع الإشارة إلى ذلك.

كما أننا سنقدّم في نهاية هذا العرض، النص الآخر لنسخة مكتبة أشور بانيبال في نينوى ولهذا النص أهميته أيضاً.

٥ ـ ومن ناحية نشر محتوى قصيدة الفائق ـ الحكمة في الأوساط العلمية والأدبية والأوساط المتلهفة لتتبع تاريخ الديانات في منطقتنا، فلم تُعرف أهمية شمول هذا النص إلا في عام ١٩٥٦، عندما تمّت مقاربة جزءين من لوحة عائدة لمكتبة أشور بانيبال إذْ دلّت هذه المقاربة على أن النص الذي كان يتفحصه أحد العلماء الدانمركيين، هو عبارة عن تاريخ شامل للبشرية منذ خروجها من بين أيدي الآلهة في عملية الخلق وحتى نهاية الطوفان.

وبعد عشر سنوات من هذا الاكتشاف، نُشرت مجموعة النصوص المحفوظة في المتحف البريطاني حول قصّة الفائق ـ الحكمة وأكثرها كمالاً نسخة نور ـ آيا التي أشرنا إليها آنفاً والمنسوخة على ثلاث لوحات تحمل كل لوحة أربعة أعمدة.

٦ ـ أما فيما يتعلق بتسلسل الأحداث كما روتها نسخة نور ـ آيا التي نعرضها فيما يلي، فيمكننا تتبعها وفق المراحل التالية:

(٥٦ ـ أ) ـ قبل خلق البشر:
- سخرة الآلهة
- التمرد الأول
- المفاوضات
- قرار خلق البشر

(٥٦ ـ ب) ـ عملية خلق البشر:
- مسوّغات لعملية الخلق
- الصلصال ودم الإلّه
- الرحم الأولى

(٥٦ ـ ج) ـ أعمال البشر وتكاثرهم:

- توسيع البلاد
- تكاثر البشر وضجيجهم
- البلية الأولى يطلقها إنليل
- تدخل أتر ـ حسيس واستجابة الإلّه أنكي

(٥٦ ـ د) ـ التكاثر من جديد والضجيج:

- توسيع البلاد
- تكاثر جديد وضجيج
- الجفاف والمجاعة
- تدخل أتر ـ حسيس
- قبول الإلّه أدد بتكثيف الندى سراً

(٥٦ ـ هـ) ـ عودة إلى الضجيج وإحكام المراقبة:

- تدخل أتر ـ حسيس دون جدوى
- إحكام المراقبة
- تزايد الجفاف والمجاعة
- إنليل يعقد اجتماعاً مهمّاً
- مشروع الإبادة بالطوفان
- دفاع أنكي عن البشر
- القرار النهائي: الطوفان

(٥٦ ـ و) ـ الطوفان:

- أنكي ينبىء أتر ـ حسيس بواسطة حلمٍ منذر
- أتر ـ حسيس يتوجه إلى أنكي لتفسير حلمه
- تعليمات أنكي للإنقاذ وتنفيذها
- الطوفان وردود الفعل

(٥٦ـ ز) ـ بعد الطوفان:

- أتر ـ حسيس يغادر الفلك
- النقاش والقرار بصدده

□ نسخة نور ـ آيا (العهد البابلي ـ القديم)

(٥٦ ـــ أ) ـــ قبل خلق البشر/ اللوحة الأولى/ العمود الأول

الطبقية الإلّهية: الأنونّاكو القادة والإيجيجو العمال[١]

1 عندمَا كان الآلهة مثل البشر
يؤدون أعمال السخرة ويَكْدَحون:
مُرْهِقاً كان عملهم،
وكانت سخرتهم ثقيلة ولا نهاية لكدّهم.
5 لأن الأنونّاكو، كانوا يفرضون
على الإيجيجو سخرةً سباعية الوطأة!
أبو جميعهم آنو[٢]، كان ملكاً عليهم
وإنليل[٣] الباسل كان سيدهم
ونينورتا[٤] [محا] فظَهم.
10 وكان إينوجي[٥] رئيس عملهم.
وبموافقتهم جميعاً (؟)
لجأ الآلهة ـ العظام إلى القرعة بصدد مراكزهم:

---

(١) (Anunnaku) و (Igigu) هما هنا مجموعتا الآلهة الذين يفرق بينهما العمل أو إصدار الأوامر وليس كما عهدنا ذلك باعتبارهما آلهة ما هو فوق وما هو تحت أو آلهة السماء والعالم السفلي.
(٢) (Anu).
(٣) (Enlil).
(٤) (Ninurta).
(٥) (En. nugi) المشرف على عمال السخرة.

فصعد آنو إلى السماء؛
واتخذ إنليل من الأرض مقراً لحكمه (؟)
15 أما المزلاج الذي يُحكم السدّ (؟) أمام البحر
فقد سُلّم لأنكي[1] ـ الأمير (؟).
[عندما آنو] صعد إلى السماء
فإن [آلهة الأبسو][2] نزلوا إليه:
و [آنذاك فرض الأنوناكو] السماويون
20 على الإيجيجي [سخرتهم]
وكان [على هؤلاء الآلهة] حفر [مجاري المياه]
و [فتح الأقنية] التي تحيي الأرض
[كان على الإيجيجو] حفر [مجاري المياه]
و [فتح الأقنية] التي تحيي الأرض.
25 [وهكذا شقوا] مجرى دجلة
و [بعـ] ـده، [مجرى الفرات][3]

الأسطر (٢٧ ـ ٣٣) مفقودة بشكل شبه كامل ولم يبقَ منها سوى بعض الكلمات في نهايات الأسطر، تساعد على الافتراض بأن الإيجيجور تابعوا أعمالهم بعناء. وقد أمكن اعتماداً على النسخة الأشورية (K 8562) في المتحف البريطاني إضافة الأبيات الأربعة التالية التي تشير إلى إرهاق آلهة السخرة بسبب أعمالهم التي لا نهاية لها:

(a) [خلال مائة (؟) عام] عملوا ـ
[خلال خمسمائة (؟) عام] عملوا ـ
[خلال تسعمائة (؟) عام] عملوا ـ

(١) (Enki).
(٢) (Apsu) الأبسو هو محيط المياه العذبة الباطنية.
(٣) يستنتج من بداية أعمال السخرة أنها كانت تتعلق برسم معالم بلاد ما بين النهرين وإحياء أرضها بالماء وكذلك تكويم الجبال المحيطة بالبلاد (راجع السطر ٣٣).

[خلال ألف (؟) عام] عملوا!

33 [بعد أن انتهوا من تكويم (؟)] جميع الجبال،

[عمدوا إلى حساب عدد سنوات] كدْحهم

35 [وعندما أنهوا تنظيم (؟)] الأهوار في الجنوب

[عمدوا إلى حسـ] ـاب [سنوات] كدْحهم:

[ألفان وخمـ] ـسمائة سنة وأكثر

عملوا خلالها ليل، نهار

متحملين عبء هذه السـ] ـخرة!

[وبدأوا عند ذلك باللـ] ـوم والاحتجاج

التمرد الأول

40 [وبتعبيرهم عن شكواهم بسبب أعمال التنقيب (؟) (صاحوا):

«هيا بنا لمقابلة المحافظ [رئيسنا]

لكي يحررنا من سخرتنا [الثقيـ] ـلة!

[تعا] لوا كي نخرجه من مقرّه ـ

45 (كي نخرج) إنليل ـ (الباسل) سيد] الآلهة

[تعا] لوا لنخرجه من مقرّه!»

[عند ذلك...[1]] فتح فمه

[متو] جهاً نحو الآلهة إخوته:

«[...] إنّ محافظ الزمن القديم (؟)...[2]

الأسطر (٥٠ ـ ٥٦)، مفقودة ويحتمل أنها كانت تحتوي على تحريض أحد آلهة السخرة لإخوته بغية إيقاف العمل. نرى هنا أن جزءَي اللوحة (K 10082)

(١) هنا يتكلم أحد آلهة السخرة للتحريض.

(٢) من الصعب فهم المقصود بالزمن القديم هنا وقد يكون ذلك مرحلة سبقت اقتسام المناصب والقرعة المشار إليها في السطر ١٢ أعلاه قبل تسلم إنليل مهمة الإشراف على الأرض.

و (K 6325) المحفوظتين في المتحف البريطاني والعائدتين لبداية الألف الأول لما قبل الميلاد، لا يضيفان في حوالي ٧ أو ٨ أسطر شيئاً يذكر.

العمود الثاني

57 «سـ [ـيد] الآلهة البا [سل]
هيّا لنخرجه من مقره ـ
إنليل [(الباسل) سيّـ] ـد الآلهة
60 تعالوا لنخرجه من مقره!
علينا إذن إعلان الحرب:
فلننقل القتال إلى المعركة (؟)»
سمع الآلهة نداءه
فأحرقوا أدوات عملهم
65 رموا إلى النار فؤوسهم،
67/ 66 وقففهم إلى اللهب
تجمعوا، ثم ذهبوا بعد ذلك
(للتجمهر) أمام باب معبد إنليل ـ الباسل.

الخوف يستولي على إنليل

70 كان ذلك في المساء وعند منتصف السهرة،
ويدون علم الإله، هوذا قصره محاصر
كان ذلك ليلاً وعند منتصف السهرة
وبدون علم إنليل، هذا هو الإيكور[١] محاصرا!
ولكن كلكال[٢] تنبّه إلى ذلك فأوصَدَ الباب:
75 أحكم المزلاج وعمد إلى مراقبة [الباب].

---

(١) (E. Kur) تسمية مقر إنليل ومعناه بيت الجبل.
(٢) (Kalkal) بواب الإيكور.

ثم أيقظ كلكالُ [نوسكا][1]،
وبينما كانت ترتفع جَلَبة [الإيجيجو]؛
وقام نوسكا بإيقاظ [سيـ] ـده،
مخرجاً [إيا] ه من فراشه:
80 «[قصرك] محا [صر]، سيدي!
المعركة [وصلـ] ـت حتى با [بك] ! -
قصرك محاصر، أي إنليل!
ووصل القتال إلى بابك!»
استقدم إنليل أسلحةً إلى مكان وجوده
ثم فتح فمه متوجهاً إلى نوسكا، حاجبه:
«أوصد بابك يا نوسكا!
هيّىء سلاحك وضعْ نفسك بإمرتي!»
أَوْصَدَ نوسكا بابه
90 أعدَّ سلاحه ووضع نفسه بإمرة إنليل.
ثم فتح فمه
وتوجّه إلى إنليل - الباسل (قائلاً):
«وَجْهُك مخضرّ خوفاً، سيدي!
إنهم أبناؤك، فما الذي تخشاه؟ -
95 أي إنليل وجهك مخضرّ خوفاً
إنهم أبناء لك، فماذا تخشى؟
أرسل من يسعى إلى آنو؛ ولينزل إلى هنا
ويُستَقدم كذلك أنكي[2] [أما] مك!»
أرسل إذن من يسعى إلى آنو لكي ينزل
100 كما استقدم أنكي أمامه

(١) (Nuska) حاجب إنليل الخاص ومستشاره.
(٢) (Enki) ملك الأبسو وإله الذكاء والمعرفة ومهارة الصنع.

اجتماع القادة

ترأس آنو ملك [السمـ] ـاء الاجتماع
وكان أنكي ملك الأبسو [مصغياً تماماً (؟)]
وبينما كان الأنونا [كو] العظام [مجـ] ـتمعين
وقف إنليل: مفتتحاً التدا [ول]
105 فتح إنليل عند ذلك فمه
وتوجه إلى الآلهة ـ العظام (بقوله):
«إن [ثور] تهم، قاموا بها ضدي أنا
لذلك فأنا سوف أقاتل [. . .]!
يا معشر الآلهة! ما الذي رأته عيني؟
110 وصلت المعركة حتى بابي!»
فتح آنو عند ذلك فمه
وتوجه إلى إنليل الباسل:
«لأيّ سبب (؟) عَمَد الإيجيجو
إلى حصار بابك،

العمود الثالث

115 ليخرج نوسكا لكي [يستعلم (؟)]:
[كلّفه بهذه المهمة]
لدى أبنائك!»

مهمة نوسكا للتفاوض وفشله

فتح إنليل فمه
وتوجّه إلى [نوسكا حاجبه] (قائلاً):
120 «اسحب مزلاج [بابك] يا نوسكا
احمـ [ـل] سلاحك،

وأمام [جميع الآلهة] المتجمهرين
قم بالسجود، ثمّ انهض واقفاً
وكرر كلماتـ [ـنا] (هذه):
«آنو [أبوكم] هو الذي أرسلني،
125 (وكذلك) سيدكم [إنـ] ـليل ـ [الباسل]
و [محافـ] ـظكم [نيـ] ـنورتا
ورئيس عملكم [إينـ] ـوجي!
إنهم يقولون لكم: «من الذي سيقاتل؟
من سيخرج [للمعـ] ـركة؟
130 من الذي [يجرؤ] على شن الحرب؟»

الأسطر (١٣١ ـ ١٣٣) مفقودة وفيها نهاية الأوامر المعطاة إلى نوسكا.

134 [نوسكا أمام جميع] الآلهة [المتجمهرين]
كرر إذن، كلمة بكلمة [ما قاله إنليل]:
«إنه آنو أبو [كم]، هو [الذي أرسلني]
[وكذلك سيدكم] إنليل ـ [الباسل]؛
و [نيـ] ـنورتا، [محافظكم]،
و [رئيس عملكم إينـ] ـوجي
140 [إنهم يسألونكم]: من الذي سيقاتل؟
من [سيخرج للمعـ] ـركة؟
من [يجرؤ على شن] الحرب؟»

الأسطر (١٤٣ ـ ١٤٦) مشوهة مع نهاية خطاب نوسكا وكذلك أولى كلمات الناطق باسم الإيجيجو وقد يكون هو نفسه الذي حرض فيما سبق على إيقاف العمل وتستمر إجابته كما يلي:

147 «نحن بَذَلنا (كل) [جهدنا (؟)]

في هذا التنـ [ـقيب (؟)]:
والمهمـ [ـة الشاقة] [قتلتنا] !
150 ثقيلة جداً كانت سخـ [ـرتنا، ولا نهاية لكدّنا] !
ولهذا السبب (؟) [عمد الآلهة بكا] ملهم
إلى دفعنا [إلى الاحتجاج ضد إنلـ] ـيل!»
استعاد نوسكا [عندئذٍ سلاحه]
وعاد ليـ [ـنقل هذه الكلمات إلى إنليل (؟)]
155 «سيدي، [أنت] أو [فدتني] من أجل [. . .]
ذهبت [. . .]
وكرّرت كلمة بكلمة أقوالك!
[وهذه هي إجابتهم لي (؟)]
«(نحن) جميع الآلهة [وبكاملنا]
160 [قررنا (؟)] أن نقاتل
لقد بذلنا (كل) [جهدنا (؟)]
في أعمال التنقيب هذه (؟):
المـ [ـهمة] الشاقة قتلتنا!
[ثقيلة جداً] كانت [سخـ] ـرتنا ولا نهاية لكدّنا!
ولهذا السبب (؟) فالآلهة بكاملهم
165 د [فعونـ] ـا إلى الاحتجاج ضد إنليل!»

حُزْن إنليل عند تلقيه هذه الإجابة وتوجُّهه إلى آنو:

عندما سمع إنليل هذا الخطاب
سالت من (عينيه) الدموع
مما حدا به بعد ذلك
إلى التوجه نحو آنو [ـ الشجـ] ـاع (قائلاً):
170 «يا صاحب الجلالة، بيدك أنت، في السماء [. . .»]

الأسطر (١٧١ ـ ١٨٨) مفقودة على لوحة نور ـ آيا ولكن جزءاً من لوحة المتحف البريطاني رقم (+ K 7109) العائدة لبداية الألف الأول لما قبل الميلاد تفيدنا على الأرجح في متابعة النص أو على الأقل بالنسبة للمعنى.

1(b) «يا صاحب الجلالة (؟)، بيدك أنت، في السماء
حافظ (؟) على سلطتك ومارسها (؟):
بينما يجتمع الأنوناكو بحضرتك
إجعل أحد (هؤلاء) الآلهة يمثل أمامك
ولتفرض عليه العقوبة القصوى!»
5 لكن آنو فتح فمه
[وتو] جّه نحو الآلهة إخوته:
«بماذا سوف نتّهمهم؟
ثقيلة (حقاً) كانت سخرتهم، وكدّهم لا نهاية له!
[كل يو] م [. . .]
كانت [صرخات نداءاتهم بالغة الأ] همية
10 [نحن سمعـ] ـناهم يطلقون احتجاجاتهم. . .

(٥٦ ـــ ب) ـــ مشروع إيا لخلق البشر

وعلى جزءٍ آخر من لوحة عائدة هي أيضاً للمتحف البريطاني ومعاصرة تقريباً لنسخة (نور ـ آيا) وهي اللوحة (BM 78257) C توصف الأحداث بشكل مختلف نوعاً ما، وعوضاً عن آنو فإن الإلّه إيا هو الذي يدعو إلى التسامح والإنصاف ويقدم مشروعه للإنقاذ:

1(c) [فتح] إيا فمه
متوجهاً إلى الآلهة [إخو] ته:
«بماذا سوف نتهمهم
ثقيلة كانت سخرتهم و [كدهم لا نهاية له] !

5 في كل يوم [. . .]

كانت صرخات نداءاتهم بالغة الأهمـ [ـية. . .]

إلا أنه يمكن [معالجة ذلك (؟)]:

بما أن [بيليت ـ إيلي[١] الرحم] حاضرة هنا،

فلتصنع نموذجاً أو [لياً ـ لرجل]

10 وهو الذي سوف يحمل نير [الآلهة (؟)]

[هذا الرجل هو الذي سيكلف] [بعمـ] ـلهم!. . .

وهنا يمكن العودة إلى النسخة الأشورية التي اعتمدت آنفاً تحت رمز الحرف (a)، لنتعرف في الجزء (+ K 3339) على مقطع يمكننا إدخاله هنا لنعلم بموجبه أن المحرّض على التمرد هو مطلوب من قبل الآلهة ـ العظام وهذا المقطع هو كما يلي:

(a) 5 «بحضور الأنوناكي المجتمعين

وبحضور بعلة الآلهة، الرحم

«أحْضِرْ أحد (هؤلاء) الآلهة

[وليُقضَ عليه (؟)] !

حين فتح آنو فمه، توجه إلى نوسكا:

«اسحب مزلاج بابك يا نوسكا! واحمل

سلاحَك [. . . (؟)]

10 لدى وصولك حيث يجتمع الآلهة ـ العظام[٢] (!)

انحنِ [. . . ثم قف أمامهم (؟)]

وقل لهم: «[. . . .]

آنو، أبوكم هو الذي أوفدني

وسيدكم إنليل ـ الباسل

ونينورتا محافظكم

---

(١) (Bêlet-Ili) بعلة ـ الآلهة وهي الإلّهة الأم ويلقبها النص بالرحم.

(٢) المقصودون هنا هم الإيجيجو آلهة السخرة المتمردون.

وكذلك [أنّوچال[1]، سيد عملكم (؟)!]
15 من المحرك على القتال [رئيس المعركة]،
الإلّه الذي باشر [بالتحريض]
ناقلاً [النزاع] حتى مقر إنليل
بحيث إنه وصل إلى بابي؟»
لدى سماع نوسكا هذه الكلمات
حمل سلاحه [. . .]
20 وعند وصوله إلى اجتماع الآلهة ـ العظام (ا)
[إنحنى. . . ثم وقف أمامهم (؟)]
وقال لهم: «[. . .]
إنه آنو [أبوكم، الذي أوفدني]،
[وكذلك سيدكم إنـ] ـليل ـ الباسل؛
[ونينورتا محافظكم،
ورئيس عملكم (؟)] أنّوچال.
25 من المحرك على القتال، [رئيس] المعركة،
[الإلّه الذي با] شر بالتحريض
[ناقلاً النزاع حتى مقر] إنليل؟ . . .

نتابع هنا نص نسخة نور ـ آيا

188 [. . . . . . .]
«بما أن بعلة الآلهة، الرحم حاضرة هنا،
190 هي التي سوف تلد (؟) وتصنع
البشر، لتأمين سخرة الآلهة!»

---

(١) (Annugal) ما يقابل (En. nugi) في نسخة نور ـ آيا.

نادوا إذن الآلهة، وطلبوا
من قابلة الآلهة، مامّي ـ الخبيرة[١]:
«أنت التي سوف تكونين الرحم التي
سوف تصنع البشر؟
195 إصنعي إذن نموذجاً ـ أوّلياً[٢] لبشري
لكي يحمل النير عنّا،
لكي يحمل النير الذي فرضه علينا إنليل ـ
ولكي يتحمّل البشر سخرة الآلهة!»
ولكن نينتو[٣] فتحت فمها مجيبة
الآلهة ـ العظام:
200 «بواسطتي أنا وحدي، لن يتحقق ذلك،
ولكن بمشاركة أنكي،
نَعم، هذه العملية ممكنة التنفيذ!
هو وحده قادر على «تط ـ [ـهـ] ـير» كل شيء
فليقدّم لي الصلصال طاهراً وأنا
سوف أنفّذ العمل!»

أنكي يعرض تفاصيل مشروع خلق البشر

فتح أنكي عند ذلك فمه
205 وتوجّه إلى الآلهة العظام:
«في مطلع الشهر، في السابع منه أو الخامس عشر
سوف أقرّر تطهيراً بالاغتسال.

---

(١) (Mammi) هي الإلّهة ـ الأم بعلة الآلهة.
(٢) صناعة البشر، على ما يظهر تم تصورها على مرحلتين، النموذج الأول. بالأكادية لولّو (Lûllû) بمعنى دبيجة لبشري. وبعدها يتم الإنتاج عددياً.
(٣) (Nintu) هي نفسها الإلّهة الأم مامّي بتسميتها السومرية ومعناها «سيدة ـ الولادة».

وعند ذلك سوف نضحي بإلّه (وذلك)
قبل أن (؟) يتطهر الآلهة بالتغطيس[١]

210 وبجسده ودمه،
سوف تجبل نينتو الصلصال:
وهكذا سيتحد الإلّه والبشر
المجتمعيْن في الصلصال
وسوف نتمكن بعد ذلك من الراحة (؟)

215 وبفضل جسد الإلّه، وإضافةً
سوف تكون للبشر «روح»[٢]
بحيث تُثبت أنهم أحياء دوماً بعد موتهم
وهذه «الروح» سوف تكون حاضرة هنا،
لحفظهم من النسيان!»

219 (وعند ذلك) فإن الأنوناكو ـ العظام
220 مقرري المصائر
218 وافقوا جميعهم مجيبين «بنعم!»

تنفيذ عملية خلق البشر بموجب مشروع أنكي

221 في مطلع الشهر، في السابع منه أو الخامس عشر
قرر أنكي إذن، تطهيراً بالاغتسال،

---

(١) يفهم من النص أن الآلهة بعد تضحية أحدهم سوف يتطهّرون بواسطة عملية اغتسال.

(٢) أشرنا في مقدّمة هذا الفصل (المقطع ١)، إلى التعبير الأكادي المستعمل هو طيمو (Ṭemu). ويحتوي النص بحد ذاته تفسيره لتعبير (طيمو). ويمكننا القول اعتماداً على الأسطر (٢١٥ ـ ٢١٨) أن هذه الكلمة تشمل، ما ليس له في البشر أساس مادي ويبقى بعد موت الجسد. ولا نرى أفضل من هذا التفسير الذي يقدمه لنا مؤلف هذا النص للتعبير بلغة ذلك العصر عن كلمة «روح» التي اعتمدناها. مع العلم أن تعبير نَفْش (nphs) بمعنى «نَفْس» هو مستعمل في كل من الأكادية والأوغاريتية وهو يوازي (رح) = روح الأوغاريتية ويعني المبدأ الحيوي أو الدليل على الحياة أو اللاموت. ومن كلمة (طيمو) اشتقّ أيضاً تعبير إيطيمو (Etemmu) ومعناه شبح الميت.

والإلَه «وي»[١] الذي كان يمتلك روحاً
تمت تضحيته خلال (هذا) الاجتماع.
وبجسده ودمه
226 جبلت نينتو الصلصال،
< لكي يتم اتحاد الإلَه والبشر
مجتمعين في الصلصال >[٢]
227 وهكذا، مُكِّن الآلهة بعد [ذلك، من الـ] ـراحة (؟)

العمود الخامس

وبفضل جسد الإلَه
أضيفت «رو [ح]» إلى البشر
بحيث تثبت أنهم أحياء دوماً بعد موتهم
230 وهذه «الروح» [كانت] حاضرة [هنا]
لحفظهم من النسيان!
وعندما أنهى أنكي خَلْطَ هذا الصلصال
دعا الأنوناكي، الآلهة ـ العظام،
وكذلك الإيجيجو (الذين أصبحوا هم أيضاً) آلهة ـ عظاماً
وجميعهم تفلوا على الصلصال[٣]
235 بعد ذلك فتحت [ما] مّي[٤] فمها
[وتو] جهت إلى الآلهة ـ العظام (قائلة):

---

(١) (Wê) أحد آلهة الإيجيجي الذي تمت تضحيته لخلق البشر. ويرجّح أن اختيار هذا الاسم كان لابتداع التعبير المركّب: وي ـ طيمو إيطيمّو الذي يعني شبح الميت المحتوي على «روح» الإلَه (وي). وهناك أيضاً كما يعتقد، تفسير لغوي آخر على أن كلمة أ. وي. لو (awêlu/awîlu) ومعناها بشري في أكادية ذلك الوقت كانت تحتوي على اسم الإلَه وي. (Wê) وإيلو (Elu) الإلَه وهذا ما أراده أنكي.

(٢) سطران نسيهما الناسخ.

(٣) طريقة رمزية لإشراك الآلهة في عملية خلق البشر.

(٤) (Mammi) لقب نينتو أو بعلة الآلهة وهي الإلَهة الأم والخبيرة بكل ما يتعلق بالولادة.

[«العمـ] ـل الذي كلفتموني به
أنا أنجزته!
لقد ضحّيتم بهذا الإلّه وبه «روحه»
240 وقد حررتكم من سخرتكم الثقيلة.
بفرض عملكم على البشر.
وعندما تسلّمون للبشر
بضجيج تكاثرهم السريع
أكون أنا قد نَزَعْت قيودكم
وقد] حرّرتكم!»
وعندما سمع (الآلهة) هذا الخطاب
245 تسارعوا لتقبيل رجليها، (معلنين):
«حتى اليوم، قالوا لها،
كنّا نسميك مامّي:
ليكن اسمك من الآن فصاعداً
سيّدة ـ كلّ ـ الآلهة (بعلة ـ كالا ـ إيلي)[1]!»

مباشرة عملية إنتاج البشر الجماعية

دخل عند ذلك إلى قاعة ـ تقرير ـ المصائر
250 كل من الأمير ـ أنكي (؟) والخبيرة مامّي

الأسطر (٢٥١ ـ ٢٧٠) مفقودة، إلا أن جزءاً من لوحة عائداً لمكتبة أشور بانيبال (+ d K 7816) محفوظاً هو أيضاً في المتحف البريطاني، يصف عملية الإنتاج على هذا الشكل:

8 d عندما أُعدت مجموعة أرحام

(١) (Bêlet-Kala-Ili).

جَبَل إيا الصلصال تحت أنظار نينتو،

10 وكانت تكرر الرقية

التي كان يمليها عليها إيا الجالس أمامها.

وعندما أنهت تلاوة هذه الرقية

استخرجت أربع عشرة «قَرْصة»[1]

وضعت سبعاً منها إلى يمينها

15 والسبعَ الأخرى إلى يسارها

ثم أقامت بينها حاجز ـ الآجر

وهنا يمكن العودة إلى النسخة الأشورية التي اعتمدت آنفاً ورُمزَ إليها بحرف a وذلك لمتابعة النص:

10 a [. . .] من يقطع حِبَال السُرّة

للأرحام الأربع عشرة

التي جمعتها الخبيرة الحكيمة:

لكي تلد سبع أرحام منها ذكوراً

والسبع الأخرى إناثاً.

15 وبحضور الرحم الإلَهية[2] صانعة الأقدار،

تمّت مزاوجتهم

وموافقتهم ثنائياً[3].

وهكذا وضعت مامّي

قواعد (ولادة) البشر:

---

(١) عن اللغة العامية «في تقريص العجين» والأكادية «قاراصو»، راجع معنى هذا الفعل في الفقرة (١ ـ ٤)، المقطع ١٢.

(٢) الرحم الإلَهية هو لقب الإلَهة ـ الأم مامّي/ نينتو التي تسهر على الولادات.

(٣) يتّضح من النص أن البشرية بدأت بسبعة أزواج تكاثروا وتوالدوا فيما بعد وفق قواعد ولادة البشر التي وضعتها الإلَهة ـ مامّي.

«في الغرفة، حيث توجد، وهي
(لا تزال) في فراشها منتظرة المخاض
خلال سبعة أيام سوف يبقى في مكانه
حاجز ـ الآجرّ.

20 ويجب خلال ذلك تكريم سيدة ـ الآلهة
مامّي الخبيرة
وسوف تكون القابلة ـ المولّدة مبتهجة
في الغرفة حيث مُنتَظِرةُ المخاض، هي في فراشها.
وعندما تتم ولادتها
فالأم ـ الجديدة، سوف تبقى في فراشها
حسبَ رغبتها...

الأسطر (٢٧١ ـ ٢٧٨): هذه الأسطر الثمانية مأخوذة هنا عن نسخة بابلية ـ قديمة من المتحف البريطاني تحمل الرقم (BM 92608) ورمز إليها بالحرف (f) وهي كما يظهر تتطابق مع نسخة نور ـ آيا، التي نتابعها مباشرة بعد إثبات الأسطر المشار إليها.

271 (f) [...]
[...] ثديي (كل) امرأة.
[...] الذقن
[...] خدّي (كل) رجل
275 [...] وفي الخارج،
كل زوج وكل امرأة [...]
إذ إنه، بمجرّد إعداد [الأر] حام،
نينتو [كانت حا] ضرة
[تحسـ] ـب أشهر الحمل
280 إلى أن أعلن الشهر العاشر

العمود السادس

ولدى حلول هذا الشهر العاشر
فإنها سحبت «الإصبع» (؟)[١] وكشفت (؟)
عن أسفل ـ البطن (؟):
نوّرت البهجة وجهها!
ثم سَتَرتْ رأسها
285 وقامت بدور القابلة:
شدّت (إزاراً) حول قَطَنِها
ثم تَلَتْ مباركةً
ورسمت خطاً ـ من ـ الطحين
وجعلت حاجز الآجر في مكانه (قائلة):
«أنا التي صنعت هذا، صنعته بيديّ!
290 في منزل «المكرّسة»[٢]
فلتبتهج القابلة
في كل مكان تتمّ فيه ولادة المُنتظرةِ المخاض
أو تلدُ دون مساعدة أم ـ فتية،
حاجز ـ الآجر يجب أن يبقى تسعة أيام
سوف تتلقّى خلالها، نينتو ـ الرحم كل التكريم
295 ومامّي [...] المشار إليها
هي التي [...] الرحم
وهي التي تقوم بفرش الحصيرة.

---

(١) قد يكون هذا الإصبع ما يشبه، العود الصغير، يستعمل لإحكام شدّ إزار حول بطن الحامل ويسحب لكشف أسفل ـ البطن استعداداً للولادة.

(٢) «المكرّسة» هنا بمعنى «المُحضّرة» للولادة بموجب الطقوس التي كانت ترافقها.

وعندما يعدّ الفراش من أجل الولادة
فالزوج والزوجة سوف يفترقان
300 وعندما يعودان ليكونا معاً
فإن عشتار[1] سوف تبتهج في الغرفة [الزوجية (؟)]:
وسوف تدوم الأفراح، تسعة أيام
وسوف يتم التوجه إلى عشتار تحت اسم إشارا...[1]

الأسطر (٣٠٥ ـ ٣٢٦) مفقودة تماماً ودونما وجود نص موازٍ لها معروف. ويظهر من النص عند استئنافه وبعد نقص آخر سوف نشير إليه أن البشر بدأوا بتنفيذ مهامهم.

(٥٦ ــ ج) ــ أعمال البشر وتكاثرهم

العمود السابع: أعمال البشر توسع البلاد

الأسطر (٣٢٨ ـ ٣٣٣) مفقودة وما بقي اعتباراً من السطر ٣٣٤ يساعد على الاعتبار بأن البشر نظموا حياتهم ونجحوا في أعمالهم.

337 صنعوا فؤوساً جديدة ومعازق
ثم أقاموا سدوداً ضخمة من أجل الري
وذلك لسد حاجات معيشة البشر
وتأمين طعام [الآلهة].

الأسطر (٣٤٠ ـ ٣٥١) ناقصة ومن المرجح أنها كانت تحتوي تفاصيل أخرى عن نجاح أعمال البشر وازدهارها.

352 [ولم تكد تمضي مدة] اثنتي عشرة مائة من السنين[2]

(١) أضيفت هنا إلى عشتار إلّهة الحب والاتصال الجنسي، الإلّهة إشارا في دور مماثل.
(٢) «لم تكد تمضي ستمائة وستمائة عام» في نص طه باقر.

[حتى تم توسيع رقعة البلاد]
وتكاثر عدد السكان.
والبلا [د] [مثل (خوار ثو] ر ارتفع صوتها
355 بحيث أزعج [الضجيج] سيد ـ الآلهة[1]

إنليل يريد القضاء على البشر بواسطة الوباء

[عندما سمع إنليل] ضجيجهم
[توجّه إلى] الآلهة ـ العظام (قائلاً):
أنا لم أعد أستطيع النوم [وسط هذا الضـ] ـجيج!
360 [أصدروا إذن أوامركم] لكي يصيبهم الوباء

الأسطر (٣٦١ ـ ٣٦٣) مفقودة ولا بد أن تشير إلى حلول الوباء وتصف اجتياح أضراره.

تدخّل أتر ـ حسيس، الفائق ـ الحكمة وإجابة أنكي

إلا أنه كان هناك [شخص فائق ـ الحكمة]،
متعبد لأنكي وكثيـ [ـر المهارة]،
وكان قادراً على التكلم [مع إلّهه]
الذي كان يعدّه بطيبة خاطر [محاوراً له]!
الفائق ـ الحكمة [فتح إذن] فمه
وتوجّه إلى إلّهه (قائلاً):
370 إلى متى سيدوم [هذا الوباء (؟)]
هل سيُفرض علينا هذا البلاء حتى [النهاية] (؟)
فتح أنكي فمه

(١) المقصود هنا هو الإلّه إنليل سيد مجمع الآلهة.

متوجهاً إلى خادمـ[ـه]:
< «ادع القدماء للاجتماع لديك وقل لهم >[١]:
«أيها القدماء[٢] استمعوا إليّ!
375 [. . .] في القصر (؟) [. . .]
أصدروا أوامركم إلى المنادين في البلاد
لكي يعلنوا بكل وضوح:
«توقفوا عن تكريم آلهتكم!
وكفوا عن التضرّع إلى إلّهاتكم!
380 ولكن لازموا في توجّهكم نامتار[٣] وحده:
إليه وحده قدّموا قرابين الأطعمة ـ المطبوخة!
مثل هذه التقدمات سوف تحوز رضاه
وحين يجد نفسه مغموراً بكل تلك الهدايا
سوف يعمد إلى إيقاف أذاه!»
385 وبموافقته على هذه التعليمات، فإن الفائق ـ الحكمة
جمع عنده القدماء
وفتح فمه
متوجهاً إليهم
«ـ أيها القدماء! استمعوا إلي!

العمود الثامن

390 [. . .] في القصر (؟) [. . .]
أصدروا أوامركم إلى المنادين في البلاد
لكي يعلنوا بكل وضوح:

---

(١) سطر نسيه الناسخ.
(٢) أي الشيوخ.
(٣) (Namtar) الإلّه المكلف بنشر الوباء وهو أحد آلهة العالم السفلي وعرف كإلّه الطاعون.

[توقفوا عن تكريم] آلهتكم
و [كفوا عن التضر] ع إلى إلّهاتكم!
395 ولكن [لازمـ] ـوا في توجهكم [نامتار] وحده:
إليه وحده [قدّموا قرابين الأطعمة المطبوخة] !
هذه التقد [مات] سوف تحوز رضاه
وحين يجد نفسه مغموراً بكل تلك الهدايا
فسوف يوقف أذاه!»
400 وامتثالاً لهذا الإيعـ [ـاز فإن القد] ماء
شيّدوا في المدينة
مقاماً لنامتار
وأمروا [المنادين] أن يعلنوا
[بكل وضو] ح [في البلاد]:
405 توقفـ [ـوا] عن تكريم [آلهـ] ـتكم!
وكفّوا عن التضرع [لإلّهاتكم] !
ولكن لازمـ [ـوا] [نامتار] وحده:
إليه وحده [قدموا قرابين] الأطعمة ـ المطبوخة!»
فهذه التقدمات حازت [على ر] ضاه
410 وعندما وجد نفسه [مغمو] راً بكل هذه الهدايا
قام بإ [يقاف] عمله المؤذي
وعندئذ [بعد الوباء عن البشر]
وعادوا من جديد [إلى الازدهار (؟)]

السطران الأخيران (٤١٤ ـ ٤١٥) مفقودان.

اللوحة الثانية / العمود الأول

(٥٦ ـــ د) ـــ مع الازدهار عاد التكاثر وارتفع الضجيج من جديد

1 لم تكد تمضي بعد ذلك أكثر من اثنتي عشرة مائة من السنين
حتى تمّ توسيع رقعة البلاد
وتكاثر عدد السكان
ومثل (خوار) ثور ارتفع صوت البلاد
بحيث أزعج الضجيج سيد ـ الآلهة

إنليل يسلط الجفاف والمجاعة

5 عندما سمع [إنـ] ليل ضجيجهم
توجه نحو الآلهة ـ العظام (قائلاً):
«أصبح ارتفاع صَخب البشر لا يطاق:
أنا لم أعد أستطيع النوم وسط هذا الضجيج!
اقطعوا عنهم إذن الأرزاق
10 ولتتضاءل النباتات ـ الغذائية!
وليحتبسْ أدد[1] كلّياً أمطاره،
بحيث يتوقف الفيض على الأرض
عن الوصول من منبعه!
ولتهب الريح (اللاّفحة)
15 لتحمّص الأرض!
وليتجمّع السحاب
ولكن دون إهطال أية نقطة ماء!
ولتُنقص الحقول غلالها!

---

(١) (Adad) إله الجو والأمطار.

ولتحجب عنهم الإلّهة نيسابا[1] عطاء ثدييها

20 ولتنعدم بينهم الأفراح

ولتتبدّد [. . . . . ـ] ـهم كالدخان».

السطر ٢٢ وما يليه، أي بقية العمود، المقدرة بحوالي ٣٠ سطراً كلها مفقودة. ومن المرجح أنها كانت تصف حلول وأضرار الجفاف والمجاعة المقررين، ثم تدخّل الفائق ـ الحكمة من جديد متوسطاً الإلّه أنكي وتعليمات هذا الأخير لاستبعاد الضرر. ويمكن هنا استكمال نص نور ـ آيا جزئياً بواسطة كسرة اللوحة التي عثر عليها في حفريات نفر[2] والمحفوظة في متحف إستنبول تحت الرقم (+ Ni 2552) ونرمز إليها هنا بحرف (g).

الفائق ـ الحكمة ينفذ تعليمات أنكي

g ـ العمود الثاني

. . . .]

5 [«أيها القدماء! استمعوا إليّ!] !

[. . .] القصر. . (؟) [. . .]

[أصدروا أوامركم إلى المنادين في البلاد

[لكي يعلنوا بكل وضو] ح:

«توقفوا [عن تكر] يم آلهتكم!

10 وكفّوا عن التضرع إلى [إلّها] تكم!

ولكن [لازموا] في توجهاتكم أدد وحده

[إليه وحده] قدموا قرابين الأطعمة المطبوخة.

مثل هذه التقدمات سوف تحوز رضاه فيخجلُ

حين يجد نفسه مغموراً بكل تلك الهدايا،

---

(١) (Nisaba) بصفتها هنا كإلّهة للزراعة والمحاصيل وهي أيضاً إلّهة الكتابة.

(٢) (Nippur).

15 وسوف يعمد إلى إيقاف أذاه:
وفي الصباح سوف (يرسل) الرذاذ
وخفية أثناء الليل،
سوف يقطّر الندى
بحيث تعود الحقول سرّاً
إلى (توفير) غلالها.
20 أُشيد إذن في المدينة مقام لأدد
وأُمِرَ المنادون بالإعلان
بكل وضوح في البلاد:
«توقفوا عن تكريم آلهتكم!
وكفوا عن التضرع لإلّهاتكم!
25 بل لازموا [أدد] وحده،
إليه وحده [قدموا] قرابين أطعمتكم المطبوخة!»
تلك التقدمات حازت [رضـ] ـاه
وعندما وجد نفسه [مغمـ] ـوراً بكل تلك الهدايا، عَمَد
خجلاً إلى إيقاف عمله المؤذي:
30 ففي الصباح أرسل الرّذاذ
وخِفية أثناء الليل
[قطّـ] ـر الندى
[بحيث عادت الحقول سـ] ـراً
إلى توفير غلالها!

(٥٦ ــ هـ) ــ عودة إلى الضجيج وإحكام المراقبة

وبذلك غادرهم [الجفاف/ المجاعة (؟)]
35 ومن جديد [. . .] [. . . ـ] ـهم

التتمة، اعتباراً من السطر ٣٦ وحتى نهاية هذا العمود، أي حوالى ١٥ سطراً، مفقودة بكاملها. وما يلي ذلك، وحتى العمود السابع، لا يمكن التعرف على محتواه جزئياً وبشكل تقريبي، إلا بواسطة كسرة اللوحة البابلية ـ القديمة المشار إليها أعلاه وفق الحرف (g) والتي تسمَحُ بتلخيص التسلسل التالي اعتماداً على بعض الكلمات التي أمكنت قراءتها:

١ ـ بعد تخليص البشر من الجفاف والمجاعة عاد التكاثر من جديد، ومن جديد علا الضجيج والصخب.

٢ ـ مما أزعج إنليل من جديد وحرمه من النوم. وفي هذه المرة يقرر الإبقاء على عقاب الجفاف والمجاعة مضيفاً إليه مراقبةً محكمة.

٣ ـ لهذه الغاية يجعل الآلهة يتخذون قراراً أو يؤدون قسماً بالمحافظة على ذلك وعدم السماح لأية رطوبة بتغذية الأرض.

٤ ـ وكلف إنليل آنو وأدد بمراقبة السماء وأخذ هو على عاتقه مراقبة الأرض.

٥ ـ وهكذا ساءت أحوال البشر وفشلت محاولات الفائق ـ الحكمة.

العمود الثالث: يأس الفائق ـ الحكمة

[.....]

4 كانت الدموع تلازم (الفائق ـ الحكمة) كل يـ [ـوم]

وبعد إعداد، ما يسمح في كل صباح

من أداء تقدمة تبخيرية [...]

10 + 8 كان يعير [انتباهاً] لأحلامه

11 وفي مقام إلّهه [كان دوماً]،

14ـ 12 يبقى [خائر القوى (؟)] يبكي...

الأسطر (١٥ ـ ٣٥) مشوهة ويمكن أن يستنتج منها بأن الفائق ـ الحكمة، بناء على إرشادات إلّهه أنكي أو بمبادرة من قبله، كان يقوم بطقوسٍ تعويذية من المحتمل أن تكونَ لهدف جعل «النهر» يحمل معه بعيداً أسباب البلاء الذي يخضع له البشر. وكان أنكي يستمع إلى هذا الرجاء. وكان على ما يظهر يأمر كائنات (أسطورية)[١] نهرية أو

بحرية بالتدخل ولكن دون جدوى. وحين يُستأنف النص في العمود الرابع نرى الوضع يزداد سوءاً.

تزايد الجفاف

العمود الرابع

1 في الأعالي [...]
بينما الفيض على الأرض
ما عاد يـ [ـصل] من منبعه
ولم تحمل رحم الأرض:
5 فلم تعد تظهر النباتات [...]،
ولم يُشاهد أحد [...]
وجفّت الحقـ [ـول] المعشبة (؟)
وغطّى الملح] السهول!
في السنة الأولى أكلوا المخزون
10 وفي السنة الثانية أفرغوا الأهراءات
وبحلو [ل] السنة الثالثة
تبدّلت بسبب الحرمان، ملامحهم،
كأن وجوههم غطّاها طحين حبوبٍ مُنتَشَة (؟!)،
ولشدّة ما دكنوا (؟) [...]،
15 ظهر التغضّن على وجو [ههم]
كانوا جميعهم يطوفون في الـ [ـشوارع] مرهقين
وضمرت أكتافهم العريضة
وصَغُر أكثر فأكثر المكان الذي يشغلون (؟)

---

(١) يطلق النص على هذه المخلوقات اسم «لحمو» (Lahmu) الذي ورد في قصيدة التكوين والخليقة كأول مخلوقات تيامت إلى جانب «لحامو».

التتمة اعتباراً من السطر ١٨ وما يليه مشوهة في بدايتها ومفقودة فيما بعد بمقدار ثلاثين سطراً.

وما بقي من بداية العمود الخامس، لا يسمح بالتعرف على تطور الأحداث. ومع ذلك، يظهر أنّ أنكي، مستجيباً لرجاء وإلحاح خليله الفائق - الحكمة نجح بطريقة نجهل تفاصيلها من تخفيف المجاعة نوعاً ما. وهذا ما سبّب له نقد وغضب إنليل الذي يظهر لدى استئناف النص.

العمود الخامس

[........]

13 تملّكه غضب شد [يد] [على الإيجيجو] !

«[نحن جميعنا] قال، نحن الأنو [ناكو] العظام،

15 قرّرنا معاً بالإجما[ـاع] آخذين [تعهداً]:

كان على آنو [وأدد] مراقبة المناطق العليا

وأنا أراقب الأر [ض في الأسفل].

ثم [تدخّل] أنكي

[لتحرير البشر] بنزع قيو [دهم]

20 والسماح لهم مرة أخرى [بخيرات وفيرة] !»

[.......]

وفتح إنليل فمه [من جديد]

وتوجّه إلى نوسكا حاجبه:

فليؤت إليّ إلى هنا بالمتواطئين[١] (؟)

25 وليحضروا أمامي

وحين أُدخلوا أمامه

توجه إليهم [إنليل] - الباسل

---

(١) المقصودون هنا هم آنو وأدد المكلفان بالحراسة وأنكي المدافع الدائم عن البشر.

قائلاً: [نحن جمي] ـعنا الأنوناكو ـ العظام
قررنا معاً وبالإجماع، آخذين تعـ [ـهداً]
30 كان على آنو وأدد حراسة المناطق ـ الـ [ـعليا]
وكنت أنا بنفسي أحرس الأرض في [الأسفل] !
ثم تد[خّلت] أنت[١]
[لتحرير البشر، بنزع قيودهم
والسماح لهم مرة أخرى بخيرات وفيرة] !

بعد نقص كبير، يقدر بحوالى ١٥ سطراً حتى نهاية العمود الخامس و٣٥ سطراً من بداية العمود السادس ويمكن الاستنتاج لدى استئناف النص أن إنليل عقد اجتماعاً هاماً لاتخاذ قراره الخطر الذي لا مردّ له وهو الطوفان وإزالة البشر نهائياً.

إنليل يذكّر من جديد خلال الاجتماع بمخالفة التعليمات

36 [أَشقّ] ـطَ أدد من جديد أمطاره
وعادت [الخضرة] لإكساء الحقول
بينما كانت [السماء (؟)] تغطيها
الغيوم المحمّلة بالماء!
«كلا! كفّوا عن تغذية البشر!
40 توقفوا عن تزويدهم بالغلال!»

أنكي يظهر استهزاءه بمقررات إنليل الذي يكرّر اتهامه له

ولكن (أنكي) أتعبه الجلوس في زاويته (؟)
وفي وسط مجلس الآلهة، تملّكه الضحك ـ
تعب من الجلوس في زاويته (؟)
وفي وسط مجلس الآلهة تملك [أنكي] الضحك

(١) إنليل يتوجه هنا إلى أنكي.

الأسطر (٤٥ ـ ٤٨) مفقودة ويتابع النص ردّ فعل إنليل تجاه قلّة احترام أنكي.

49 [نحن جميعاً]، [الأنوناكو العـ] ـظام،
اتخذنا مجتمـ [ـعين تعهداً]
كان على آنو وأدد حراسة المناطق ـ العليا
وأنا بنفسي كنت أحرس الأرض في الأسفل
ثم تدخّلتَ أنت
لتحرر البشر نازعاً عنهم قيودهم
وسمحت لهم مرّة أخرى بخيرات وفيرة!
[. . .]

العمود السابع

الأسطر (١ ـ ٣٠) مفقودة. من هنا يتابع نص نور ـ آيا بالتوازي مع النص البابلي ـ القديم (g) الذي قدم لنا محتوى الأعمدة الأخيرة أعلاه. لا بد أن يكون إنليل قد أعلن في مجلس الآلهة عن قراره بإبادة البشر بإرسال طوفان جارف ولدى استئناف النص نشهد دفاع أنكي عن البشر الذين خلقهم هو لمصلحة الآلهة.

دفاع أنكي عن البشر متوجهاً إلى الآلهة ومعارضته لقرار إرسال الطوفان:

30 [هكذا، أنا حررتكم من سخرتكم الثقيلة]
[بفرض] عمـ [ـكم على البشر]
وقد سلّمتم آنذاك للبشر بضجيج تكاثرهم
وبالإضافة إلى ذلك فقد ضحّيتم [بإلّه]
(بغية منحهم) «الر [وح]»
والآن، خلال هذا الاجتـ [ـماع]، أتأمرون
35 [بإبادتهم (؟)] ؟
أتسمحون لأنفسكم بالانجرار إلى إقر [ار]

عودتهم إلى العـ [ـدم] ؟
لنجعله يرتبط بقسم (ا) (كنتم قررتم) بصدد
أنكي ـ الأمير (؟)ا

40 وفتح فمه أنكي
متوجهاً من جديد إلى الآ [لهة إخوته]:
لماذا تريدون توثيقي بقسم؟
هل بإمكاني رفع يدي على مخلـ [ـوقاتي] ؟
وهذا الطوفان الذي تتحدّ [ثون عنه]،

45 أنا [أجهل] معناه
أيتوجب عليّ أنا إحداثه؟
كلا! فهذه المهمة تعود [لإنليل] !
فليقرر هو بنفسه و [ليأمر]؛
وعند ذلك فإن «شولّلات» و [«خانيس»][1]

50 سوف يتقدمان الموكب المشؤوم
و [ليقتلع] نر [چال] دعائم بوابات السماء

53 وليجعل نينورتا [السدود العلوية] تطفح!

نقص جديد يقدّر بحوالى ٣٠ سطراً، بمعدل سطر واحد أو سطرين في نهاية العمود السابع والباقي من بداية العمود الثامن الذي لم يبق منه سوى القرار النهائي بإحداث الطوفان.

العمود الثامن

34 اتخذ الآلهة عند ذلك قرارهم النهائي:
قرار مؤذٍ أراده إنليل لهلاك البشر!

---

(١) (Shullat) و (Hanis) هما مساعدان لأدد إلّه الرياح والزوابع والأمطار وهما يتقدّمان أدد للإنذار بالحوادث الجوية.

(٥٦ ــ و) ــ الطوفان

اللوحة الثالثة/ العمود الأول

الفائق ـ الحكمة يتوجه إلى أنكي الذي يستجيب لرجائه بواسطة حلم يفسّره له فيما بعد بشكل غير مباشر.

1 فتح [الفائق ـ الحكمة] فمه
[وتوجّه] إلى إلّهه (أنكي):

الأسطر (٣ ـ ١٠) مفقودة. واستجابةً لابتهالات وتضرعات الفائق ـ الحكمة فإن أنكي ينبئه بواسطة حلم منذر.

الفائق ـ الحكمة يطلب تفسير الحلم

11 فتح [الفائق ـ الحكمة] فمه (مرة جديدة)
(وتوجه) إلى إلّهه
فسّر لي معنى [هذا الحلم]
لكي أتفهّم [مغزاه]
وأتعرّف على نتائجه!»
15 فتح عندئذ أنكي فمه
متوجّهاً إلى عَبده:
«تريد أن تفهم مغزى [هذا الحلم]، كما تقول
19 إذن! فاحفظ تماماً
18 الرسالة التي أبلّغك إياها:
20 أيها الحائط! استمع إليّ جيداً[١]
إحفظ كل ما أقوله أيها السياج![١]

---

(١) أنكي يكلّم الفائق الحكمة بطريقة غير مباشرة بتوجّهه إلى سياج القصب وسوف يتضح سبب ذلك فيما بعد.

إهدم بيتك لكي تبني فلكاً!
تخلّ عن ممتلكاتك
لكي تنقذ حياتك!
25 الفلك الذي عليك بناؤه
[. . .] متساوية أضلاعه
[. . . . . .]
اجعل له سقفاً، لكي، مثل الأبسو
30 لا ترى الشمس داخله!
ليكن محكم الإغلاق من كل جهاته
ولتكن تجهيزاته متينة
وتقليفها[1] سميكاً ومقاوماً
بعد ذلك سوف أمطرك
35 بوافر من الطيور وبسلال من الأسماك!»
فتح أنكي عند ذلك الساعة المائية[2] وملأها
وعيّرها لتشير إلى حلول الطوفان، بعد سبعة أيام!

الفائق ـ الحكمة يدّعي أمام شيوخ المدينة أنه يغادرها بسبب خلاف بين إلّهه أنكي والإلّه إنليل وبناء على طلب أنكي.

عندما تلقى الفائق ـ الحكمة هذه التعليمات
جمع حوله قدماء[3] المدينة
40 وفتح فمه
متوجهاً إليهم (بقوله):

---

(١) «قلفطتها» باللغة الدارجة على الساحل السوري وتعني سد فواصل ألواح بناء الفلك بواسطة القنب والقار لتأمين عدم نفاذ المياه إلى داخلها وكذلك غرز أسافين خشبية بين الفواصل.
(٢) استعملت بابل منذ ذلك الزمن الساعات المائية والشمسية.
(٣) أي شيوخ المدينة.

«إلَهي لم يعد [على وفاق] مع إلَهكم:
أنكي وإنليل غضب كل منهما على الآخر
مما يضطرني إلى مغارة [مدينتكم (؟)]
45 لأنني أتعـ[ـبد لأنكي] !
وهذا ما قرره هو:
لن تطـ[ـأ رجلي بعد ذلك]
أرض إنليل
ولكن سوف [. . .] مع الآلهة] و [. . .] !
50 و [هذا] ما قرره أنكي!

نقص خمسة أسطر من نهاية العمود الأول وتسعة أسطر من بداية العمود الثاني. ومن المحتمل أنها كانت تشتمل على تتمة تعليمات أنكي.

تنفيذ أوامر أنكي

العمود الثاني

10 الشيوخ [. . .]
النجا [رون ومعهم مقاشطهم]،
وشاغلو [القصب المزوّدون، بمطارقهم الحجرية]
[. . . الصغار أتوا] بالقار (وجلب الكبار)
الأكثر قوة [بالحاجات الأخرى]

الأسطر (١٥ ـ ٢٩) المحتوية على متابعة إعداد الفلك إما مفقودة أو كثيرة التشوه ،يليها كما يظهر تحميل الفلك.

30 كل ما كان لديه [من الذهب]،
كل ما كان لديه [من الفضّة]؛

و [الحيوانات] «الطاهرة» (؟) [. . .]
الأكثرها سمنة (؟) [. . .]،
أمسك بها وأد [خلها] إلى الفلك.
35 [أطيار] السماء ذات الأرياش
والماشية [. . .]
ودو [يبات] السهوب:
(جميعها) أد [خلها] إلى الفلك.
و [. . .] عندما [اختـ] ـفى (؟) القمر
40 دعا (معارفه) إلى وليمة [. . .]
[. . . . . .]
بعد أن أركب عائلته في الفلك.
[أكلـ] ـوا إذن بوفرة
[وشر] بوا بغزارة
45 أما هو فكان يدخل ويخرج باستمرار.
دون أن يجلس قط أو حتى يقعد القرفصاء
لشدة ما كان حزيناً وجائش النفس.

الطوفان

ثم تبدلت هيئة الجو
وأرعد أدد في السماء:
50 وبمجرد سماعه لهدّ[١] الإلّه
أُحْضِر له القار لسدّ رَوْزَنَةِ[٢] الفلك
وما أن أحكم سدّها

(١) مأخوذ عن الهادّة والهادّة بمعنى الدويّ والرعد، وأصله من اسم أدَدْ أو حَدَدْ أو هَدَدْ إلّه الرعد.
(٢) الكوة أو الفتحة في سطح الفلك المؤدية إلى الداخل.

حتى أرعد أدد (من جديد) في السماء
بينما الرياح الغاضبة عصفت دفعة واحدة
55 وقطّعت مرابط الفلك وأطلقته.

فقدان سطر واحد أو سطرين من نهاية هذا العمود والأسطر الأربعة الأولى من بداية العمود الثالث.

العمود الثالث

5 [. . .] العاصفة،
[. . . . .] المقرونة إلى [. . .]
و [مزّق أنزو[1]] السماء
بمـ [ـخا] لبه
ضربت العاصفة الأرضَ
10 وحطّمت ضجيجها [كما (تحطم) الجرّة]
و [بثورة] الطوفان
مرّ الجِرْمُ على البشر
فاتكاً مثـ [ـل الحرب] !
لم يعد الأخ يرى أخاه
ولم يكن ممكناً تمييز أحدٍ في هذه المهلكة
15 ارتفع صوت الطو [فان] مثل خوار ثور
و [مثل] صـ [ـفير] عقاب
كانت [تهدر] العاصفة،
[قاتمة] كانت الظلمات
إذ اختفى وجه الشمس.

---

(١) أنزو (Anzou) هو طائر أسطوري عُرف بمحاولة اغتصاب سلطة الإلّه إنليل وسوف يرد نص حوله في الفقرة الثانية من هذا الفصل.

[وهلك البشر (؟)] مثل الذباب
[. . . . .] (20 ـ 22)

ردود فعل الآلهة أثناء حدوث الطوفان

23 [. . .] جَرفَ الطوفان
أرهب (؟) حتى الآلهة
25 وكان أنـ [ـكي] يستشيط غيظاً
[لرؤية (؟)] أبنائه يهلكون
[أما] م عينيه!
و [نينـ] ـتو السيدة السامية
لم تتمكن شفتاها من كَتْم هَلَـ [ـعها]
30 بينما الأنوناكو، الآلهة ـ العظام
كانوا هنا قاعدين وقد أرهقهم الجوع والعطش.
وأمام هذا المنظر أجهشت الإلّهة منتحبةً
و (صاحت) مامّي ـ الخبيرة، قابلة الآلهة:
«ليت هذا النهار[١]
35 إلى الظلمات يعود!
ولكن أنا، أنا في مجمع الآلهة
ما الذي جعلني معهم
أتخذ مثل هذا القرار النهائي؟
إن إنليل تمكن بكلماته التي تماثل براعتها
40 كلمات (الشيطانة) تيرورو[٢] الشهيرة
من جعل كلماتي عديمة الفائدة!

---

(١) المقصود هو نهار اتخاذ القرار بإحداث الطوفان.
(٢) (Tiruru).

مع أنني، أنا شخصياً،
التي تلقّيت نداء واستغاثة البشر:
ودون أن أتمكّن من عمل أي شيء: فإن ذريتي
45 أصبحت مقضياً عليها كالذباب!
كيف يمكنني البقاء هنا
وصيحاتي تختنق في هذا المسكن الحزين؟
أريد الصعود إلى السماء
كي لا أبقى مقيمة
50 في هذا المقر المشؤوم (؟)
سأرقى إلى السماء حيث صَعَدَ آنو رئيسنا (؟)،
والآلهة أبناؤه الذين سمعوا نداءه،
بعد أن أقروا دون تروٍ، الطوفان
وسلّموا البشر إلى هذه [الكارثة] !»

السطر ٥٥ مفقود وكذلك الأسطر الثلاثة الأولى من العمود الرابع.

العمود الرابع

4 وهكذا (أيضاً) انتحبت نيذ [ـتو]:
5 «ماذا! أحدثوا إذن [هذا الطوفان (؟)] ؟
و (ها هم) البشر ملأوا البحر
وكاليعاسيب (ملأوا) وَجْهَ النهر.
ومثل جذوع حطبٍ، ها هم
مكدّسون على الشاطىء
ومثل جذوع (مجروفة)، ها هم
مكوّمون على الضفّة!
10 بكتهم دموعي عندما شاهدتهم،

حتّى استنفدت رثائي من أجلهم!»
بكاء نينتو هدّأ قلبها!
هكذا انتحبت نينتو
مصعّدة تأثرها
15 والآلهة معها، رثوا لحالة الأرض.
أسكرها اليأس
حتى شعرت بظمئها إلى الجعة:
وحيث كانت تجلس باكية
كانوا، هم أيضاً يجلسون، متراصّين
20 مثل غنمٍ حول حوض الإرواء،
يبست شفاههم من القلق
23 + 22 وهم يترنّحُون من شدّة الجوع.

استمرار الطوفان

طِوالَ سبعة أيام وسبع ليالٍ
25 استمرت عصفات الريح ووابل المطر
و [الطوفان]،
هنا حيث [. . .]
تمّ القضاء عليه [. . . .]

الأسطر (٢٩ ـ ٥٣) حتى نهاية العمود الرابع مفقودة فيما عدا بعض الرموز غير المقروءة.

العمود الخامس

الأسطر (١ ـ ٢٩) مفقودة هي أيضاً. ومن الممكن أنها كانت تشتمل على توقف

الطوفان واستقرار الفلك على إحدى القمم وليس من المستبعد أن يكون الفائق ـ الحكمة، كما سنشهد ذلك في نصوص أخرى، قد أطلق طيوراً للتعرف على إمكانية مغادرة الفلك.

(٥٦ ـــ ز) ـــ بعد الطوفان

الفائق ـ الحكمة يغادر الفلك

ويقدم قرابينه للآلهة:

30 [وزّع] باتجاه الرياح الأربع
[كل ما كان يحمله الفلك]،
ثم ضحّى من أجل الآلهة
مقدّماً لهم غذاءهم
[كما أعد لهم قرباناً بخورياً ذكي الرائحة (؟)]
[وحين شمّ] الآلهة رائحة القرابين الذكية
35 تجمّعوا [كالذبا] ب حول الوليمة!

انتقاد نينتو لإنليل

[ولكن بعد أن] أنهوا وليمتهم
نهضت [نينتو] ـ و
وأمام الجميع، احتجت (قائلة):
39 «ما لآنو رئيسنا وصل إلينا؟
40 وإنليل؟ أرى أنه حضر الوليمة
وهو الذي دون تروٍ، قرر الطوفان
وسلّم البشر إلى هذه المهلكة
بينما أنتم جميعكم، اتخذتم معه
مثل هذا القرار الشامل؟

45 والآن، ها هي وجوه البشر
قد اختفت في الظلمات!»
ثم قرّبت (يدها) من عقد «الذباب»[١] الكبير
الذي كان آنو [.....] وقالت:
«إن حزني هذا على مصيرهم،
كان إذنْ قدري!
50 فليخلصني آنو من غمّي
وليُنرْ لي وجهي!
أريد، حتى الصباح [...]

العمود السادس

1 في [.....] !
أن يصير [هذا] الذباب[١]
عقداً من اللازورد على جيدي
لكي أتذكر إلى الأبد، تلك الأيام [المشؤومة] !»

النقاش الأخير بصدد الطوفان

غضب إنليل بسبب مخالفة أوامره واتهام أنكي

5 ولكن عندما شاهد إنليل ـ الباسل، الفلك
تملّكه الغضب على الإيجيجو (وأعلن):
«نحن جميعاً الأنوناكو ـ العظام
قررنا معاً بالإجماع وأدّينا قسماً[٢]

---

(١) قد يكون المقصود بعقد الذباب الكبير، مجموعة ضحايا البشر الطافين على وجه الماء كالذباب وقد أرادت نينتو أن يتحولوا إلى عقد من اللازورد على جيدها لتتذكّر. ونحن نعلم أن نينتو أو عشتار كانت تحمل عقداً من اللازورد أحجاره على شكل ذباب.
(٢) المقصود القسم أو التعهد بحفظ سر الطوفان وعدم معارضة القرار بصدده.

كيف أمكن إذن لبشري

النجاة من الهلاك؟

10 وكيف سَلِمَ رجل من الدّمار؟»

ففتح آنو عند ذلك فمه

وتوجه إلى إنليل ـ الباسل (قائلاً):

«من غير أنكي

يستطيع أن يفعل ذلك؟

15 [أما أنا (؟)] فلم أفشِ سرنا (؟)!»

ولكن أنكي فتح فمه

[وتوجه] إلى الآلهة ـ العظام (بقوله):

«[نعم!] فعلتُ ذلك ضد إرادتكم جميعاً!

[أنا أ] نقذت بشرياً [...]

(20 ـ 23) [......]

فليهدأ [إنليل ...]

العقاب الذي تختار، [فعلى المذ] نب (الحقيقي)

كان عليك فرضه

وعلى كل من يخالف أوامرك!»

الأسطر (٢٧ ـ ٣٨) مفقودة وقد تكون تحتوي دفاع أنكي وتسويغه لصواب رأيه في إنقاذ البشر وبالتالي الآلهة. وبدون شك (وبعد تدخل الإلّهة الآم نينتو (؟))، فإن الآلهة يقررون منح الحياة الأبدية إلى الفائق ـ الحكمة بعد نجاته من الطوفان. كما يقومون باتخاذ إجراءات جديدة لحفظ البشرية مع تحاشي التكاثر التضخمي في المستقبل. وفي هذه الإجراءات، يفسر النص لدى استئنافه أصول[1] ما فَرض الآلهة على البشر من أجل تحقيق ذلك، وهي بالدرجة الأولى:

(١) نحن هنا أمام خاتمة تفسيرية «لميتوس أصول» للإجراءات المعدّدة وعلى الأخص الموت الذي هو نتيجة طبيعة لتكوين الإنسان منذ خلقه من جسدٍ صلصالي وروح إلّه.

ـ الموت[١] ومن ثمّ:

ـ الامرأة العاقر إلى جانب المرأة الولود

ـ ووفيات الأطفال

ـ ونظام النساء المكرسات اللواتي تُحرِّم عليهن الأمومة.

الإجراءات الجديدة

مهما كان قرارهم [. . .]

40 [أما أنا فقد أر] حت نفسي!»[٢]

ثم فتح [إنليل] فمه [متوجهاً]

إلى أنكي ـ الأمير (؟) (قائلا):

«حسنا! استدعِ نينتو ـ الرحم،

وفكِّرا معاً خلال اجتماع المجلس!»

45 فتح أنكي [فمه] عندئذٍ

[وتو] جّه إلى نينتو ـ الرحم (معلناً):

«أيتها الأم ـ الإلّهية [أنت] التي تقررين المصائر

إفرضي إذن الموت على البشر[٣]

(45 ـ 49) [. . . . . .]

العمود السابع

1 وبالإضافة إلى ذلك، الشرعة الثلاثية (الهدف)

لكي تطبّق على البشر:

---

(١) راجع الهامش (١) على الصفحة السابقة.

(٢) المتكلم هنا هو أنكي على الأرجح.

(٣) نينتو ـ الرحم، مانحة الحياة هي التي يطلب منها هنا فرض الموت على البشر. ويجعلنا هذا القرار نتساءل عمّا إذا كان البشر لدى خلقهم لا يعرفون الموت إلا بواسطة الكوارث الجماعية: الوباء والجفاف والمجاعة. . .، ويفرض عليهم هنا الموت الطبيعي الذي نعرفه.

كما توجد لديهم نساء ولودات

فلتكن أيضاً علاوة على ذلك نساء عواقر،

ولتكن فاعلة بينهم الشيطانة ـ المطفأة،

خاطفة الأطفال

من على ركبتي أمهاتهم؛

قرري لهم أيضاً (نظام) النساء المكرّسات:

(أوغبابتو)[1] و (إينتو)[1] و (إيجيصيتو)[1]

مع حرمهم الخاص

الذي يحظّر عليهن الأمومة!

الأسطر (٩ ـ ٤١) مفقودة بكاملها ولا يمكن تصور محتواها.

العمود الثامن/ خاتمة النص

الأسطر (١ ـ ٨) مفقودة بكاملها.

التوجّه الأخير وتمجيد إنليل[2]

9 وهكذا على الرغم من [الطوفان]

المقرر من قبلـ [ـنا]،

10 نجا البشر [من الكارثة]!

يا سيد الآلهـ [ـة ـ العظام]

---

(١) (Ugbabtu) و (Entu) و (Igiṣîtu) هنّ المكرّسات لخدمة المعبد واللواتي تحظّر عليهن الأمومة.

(٢) يجب ألا نستغرب أن يكون التمجيد النهائي موجهاً لإنليل وليس لأنكي الذي أنقذ البشر أكثر من مرة، وهذا يعني أن إنليل، الملقّب دوماً بالباسل مكّن، بتعنّته وعدم ترويه وعنف طباعه...، مكّن من أن تصل البشرية التي بوشر بخلقها إلى استكمال عناصر وجودها وإلى استقرارها في وضع إنسان ما بعد الطوفان لبدء التاريخ الذي هو نحنُ، ولهذا السبب أشيد بعظمة إنليل.

إنني وفق تعليما [تك] أنت
قدمت هذه المعـ [ـركة]
تمجيداً لاسمك!
15 هذا النشيـ [ـد]
بعد أن سمعه الإيجيـ [ـجو]
أشادوا بعظمتك!
19 استمع إليّ إذن
18 أنشد الطوفان العالمي!

□ نسخة مكتبة أشور بانيبال
ونسخ أخرى متفرّقة

تنبيه:

أوردنا في النص السابق العائد لنسخة نور ـ آيا عن الفائق ـ الحكمة، وهي النسخة الأقدم، مقطعين مكمّلين استَعَرْناهما من نسخة مكتبة أشور بانيبال في نينوى (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م)، وتمّت الإشارة إليهما بالحرف (a). ونذكّر هنا فيما يلي، بتتمة هذه النسخة، مشيرين إليها بالحرف نفسه، تليها مقاطع من نسخ أخرى أحدث منها محفوظة جميعها في المتحف البريطاني في لندن ما عدا واحدة منهاً، هي موجودة في متحف فيلادلفيا في الولايات المتحدة الأميركية. أما المقاطع المشار إليها فهي التالية وفق تصنيفها في المتحف العائدة إليه:

(a) + K 3339 نسخة مكتبة أشور بانيبال.

(h) BM 39099 مقطع يعود إلى ما بعد عام ٥٠٠ ق. م.

(i) BM 98977 و + B 99331 وهو جزء من لوحة كتب على وجهيها وتعود لفترة المقطع السابق نفسها.

(j) CBS 13532 كسرة صغيرة، ظهرها وحده قابل للاستثمار. وهي من النصف الثاني للألف الثاني ق. م وتعود لمتحف فيلادلفيا.

(k) DT 42 وهي كسرة لوحة، وجه واحد فقط منها مقروء. وتعود إلى النصف الأول من الألف الأول لما قبل الميلاد.

وجميع أجزاء أو كسر اللوحات هذه، تضيفُ الى نسخة نور ـ آيا المعتمدة، بعض التفاصيل المفيدة عن الفائق ـ الحكمة والطوفان. ومجمل الأجزاء المتبقيّة تحتوي على حوالي ٢٤٠ سطراً، تتوزع حسب رموزها كما يلي:

(a)/١١٦ ، (h)/٦٣ ، (i)/٣٨ ، (j)/١٠ ، (k)/١٦

ونثبت هذه النصوص المتفرّقة في الملحق رقم (١) في نهاية هذا الكتاب. ونتابع هنا سَرْد قصص الطوفان من ضمن النصوص (٥٩ ـ ٦١).

(٥٧) ـــ الطوفان السومري

وصلنا النص السومري عن الطوفان على لوحة عثر عليها في حفريات مدينة نفّر[١] القديمة منذ عام ١٨٩٥ وأول نشرة عن هذا النص تمت في عام ١٩١٤. إلا أنه عثر أيضاً على بقايا نسختين أخريين الأولى في حفريات مدينة أور[٢] والثانية مجهولة المصدر ومحفوظة في المتحف البريطاني.

ونسخة نفّر تبقى حتى اليوم وعلى الرغم من حالة حفظها، النسخة الأساسية المعتمدة للطوفان السومري.

نرى في هذا النصّ أن بطل الطوفان أطلقت عليه تسمية (زي. أو. سود. را[٣]) السومرية ومعناها «ذو ـ الحياة ـ المديدة» لأنه مُنح الحياة الأبدية من قبل الآلهة بعد إنقاذه البشرية من الهلاك، وزيوسودرا معروف سومرياً في أماكن أخرى بأنه كان ملكاً على مدينة شوروباك[٤] وهو ابن وخلف الملك أوبار ـ توتو[٥]. وزيوسودرا بالإضافة إلى ولائه لإلّهه أنكي توجه إليه لإنقاذ شعبه.

العمود الأول

الأسطر (١ ـ ٣٦) مفقودة وليس من المستبعد كما يُعتقد أنها روت بشكل مقتضب

---

(١) (Nippur) الواقعة على حوالي ٨٠ كم إلى الجنوب الشرقي من بابل.
(٢) (Ur) الواقعة على حوالي ١٦٠ كم إلى الجنوب الشرقي من نفّر.
(٣) (Zi. U. Sud. ra) زيوسودرا.
(٤) (Shuruppak) مدينة الطوفان السومري وتبعد حوالي ٥٠ كم إلى الجنوب الشرقي من نفّر.
(٥) (Ubar-Tutu) من ملوك ما قبل الطوفان.

أو ذكّرت بخلق البشر من قبل نينتو الإلّهة ـ الأم وأنكي. ثم بعد ذلك لأسباب نجهلها، كان هناك تهديد أول بصدد وجودهم أو أن تجربة أولى هددت مصيرهم. وحين يَتّضِح النص نسمع أنكي يتكلم.

أنكي يدافع عن مخلوقاته أو يساعدها للتكاثر من جديد واستعادة كل شيء

37 [. . .] أعاد إصلاح [. . .]

أنا أعارض (قرار) هلاك البشر

ومن أجل نينتو سوف أصلح حياة مخلوقاتي

40 سوف أجعلهم يقيمون بالقرب منها (من جديد)

لكي (يعيدوا) بناء مدنهم،

حيث سأسهر على حمايتهم (؟)؛

(فليعيدوا) بناء آجر المدن

كل (مدينة) في موضعها المقدّس؛

وليشيدوا (من جديد؟) الأماكن المقدّسة

كل واحد في موضعه المقدّس (؟)

سوف أقدّم لهم الماء الطاهر

بغية إطفاء النار (؟)[1]

45 سوف أعمل على أن تعود بينهم

(ممارسة) الطقوس المقدسة والسلطات السامية!

وسوف يعاد (من جديد) إرواء الأرض

و (من جديد) سوف يعم الرخاء!»

(١) قد تكون هنا إشارة إلى قدسية النار وإلّهها جيبيل (Gibıl) والتي يجب أن تطفأ بماء طاهر.

بموافقة الآلهة ـ العظام
تعمر البلاد من جديد ويتكاثر البشر

نظراً إلى أن آن وإنليل وأنكي ونينخورساج[1]
جعلوا (من جديد) ذوي الرؤوس ـ السوداء ينتشرون
فقد تكاثرت الكائنات الحية في كل مكان
50 ومن أجل إغناء الأرياف،
عادت للظهور ذوات الأربع من كل نوع

العمود الثاني

الأسطر (٥١ ـ ٨٤) مفقودة وعلى ما يظهر فإن البشر هدّد مصيرهم خطر جديد حال دون اكتمال تطور أوضاعهم وعندما يتضح النص فإن إلَهاً وهو أنكي بدون شك، يبدي استعداده لمساعدتهم وتذهب مساعدته في هذه المرة إلى ما هو أبعد، في بناء الحضارة ضمن مدن نظيفة تكون مقراً لحكومة مركزية وللملكية ظهرت آنذاك.

نهاية خطاب أنكي

85 «أنا [. . .]
سوف أشرف على أعمالهم،
ومهندسو البناء في البلاد
سوف يشيِّدونها على أسسٍ متينة!»
وهكذا، عندما أُنزلَ من السماء [الصولجان الملكي]،
والتاج الجليل والعرش الرفيع
90 أحدث أنكي (؟) من أجل ذلك
[التقاليد المقدسة والسلطات السامية (؟)]
وجعلهم يشيدون آجرّ بناء المدن

---

(١) (An) إلَه السماء و (Enlil) سيد مجمع الآلهة و (Enki) إلَه خلق البشر ومهارة الصنع و (Ninhurag) بمعنى سيدة الجبل وهو لقب (Nintu) الرحم وسيدة الولادة.

كل مدينة في موضعها المقدس.

بعد أن عيّن لكل واحدة منها اسماً

قرر لها أن تكون العواصم المتتالية[١].

الأولى هي: إريدو[٢]

وقد عهد بها لنفسه، لنوديمّود[٣] الرئيس (؟).

(والمدينة) الثانية هي باد ـ تيبيرا[٤] وعهد

بها إلى إنانا ـ الغانية[٥]

95 والثالثة هي لارَك[٦] و (سيّدها) پابيلساج[٧]

والرابعة سيپار[٨] إلى أوتو ـ الباسل[٩]

والخامسة هي شوروپاك[١٠] وعهد بها إلى سود[١١].

وهكذا، بعد أن عين لكل من هذه المدن اسماً

وقرر لها أن تكون العواصم المتتالية،

جعل الماء [...] في الأنهار

100 وأسس نظام تنظيف الأقنية و (صيانة)

سدود الري (؟)

---

(١) يعدّد لنا هذا النص المدن ـ الممالك التي عرفتها سومر قبل الطوفان.

(٢) إريدو (Eridu) تقع على بعد حوالي ١٠ كم إلى الجنوب الغربي من أور مدينة إبراهيم.

(٣) (Nu. dım. mud) لقب أنكي ومعناه: المعني بالخلق ومهارة الصنع.

(٤) (Bad. Tibira) على بعد حوالي ٦٠ كم إلى الشمال من إريدو.

(٥) (Innana) إلّهة الحب والخصب وهي فيما بعد عشتار البابلية.

(٦) (Larak) إلى الشمال من إريدو على بعد حوالي ١٣٠ كم.

(٧) (Pabil sag).

(٨) (Sippar) تبعد حوالى ٥٠ كم إلى الشمال الغربي من بابل.

(٩) (Utu) إلّه الشمس السومري وشقيق إنانا التي يرمز إليها كوكب الزهرة.

(١٠) (Shuruppak) مدينة الطوفان في النص السومري، عثر فيها على طبقة طمي مهمة.

(١١) (Sud) ورد اسمها في النص رقم (٣) من الكتاب الأول كقرينة لإنليل.

العمود الثالث

الأسطر (١٠١ ـ ١٠٤) مفقودة. ومن ضمن هذه الأسطر، ولأسباب نجهلها من المفروض أن يكون قد سلّط خطر الطوفان على البشر وحين يتضح النص نرى أنكي ونينتو يعارضان القرار المتخذ من قِبل بقية الآلهة بإهلاك البشر بواسطة الطوفان.

نينتو وأنكي يحاولان إبطال قرار الطوفان

140 عند ذلك [سكبت] نينتو [دموعاً] بحيث إن [...]
و [انتحـ] ـبت الإلّهة المقدسة على مخلوقاتها
بينما كان أنكي يفكّر،
ومع أنّ آن وإنليل (!) (كانا)
جعلا آلهة الكون يقسمون باسميهما[1]
(لحفظ السر)،

أنكي يبلغ زيوسودرا بطريقة غير مباشرة

145 إلا أنه في ذلك الوقت، زيوسودرا
الملك المتعبّد [...]
والذي كان قد أشاد [...]
كان بكل تواضع وبكلمات مختارة
[يبتهل إلى أنكي (؟)]
واقفاً [أمامه (؟)] اليوم بكامله
متذكراً وراوياً أحلامه [...]
150 ومناشداً جميع الآلهة

العمود الرابع

في المعبد (؟) [...] الإلّه من وراء سياج

---

(١) أي باسم السماء والأرض (انظر فيما بعد السطر ٢٥١).

وسمع زيوسودرا بالقرب منه
بينما كان يقف وراء الحاجز[1]
وإلى يساره [. . .]:
«أيها الحاجز أنا أكلمك! استمع إلى كلماتي!
155 [انتبه مُصْغِياً] إلى تعليماتي!
سوف [يبيد] الطوفان تجمعات السكان
ويغمر عاصمتهم
بغية إهلاك الجنس البشري
[هذا ما كان قد تقرّر]
القرار الذي وافق عليه مجمع (الآلهة) [ـ لا مردّ له] !
الأمر الذي أصدره آنو وإنليل [لا يتبدّل]:
[سوف تهدم. . .] مملكة البشر.

الأسطر (١٦١ ـ ٢٠٠) هي مفقودة أيضاً ولا بد أنها كانت تشتمل على تعليمات أنكي إلى زيوسودرا من أجل بناء الفلك وكذلك تعليمات تحميله ومن ثم حدوث الطوفان وقد حفظ لنا العمود الخامس وصفاً مقتضباً للطوفان ونهايته.

العمود الخامس

انتهاء الطوفان

200 إندفعت الريح العاصفة والزوابع،
بينما ابتلع الطوفان العاصمة.
وعندما، بعد سبعة أيامٍ وسبع ليالٍ
غمر الطوفان البلاد
205 وتقاذفت الرياح الفلك

(١) سياج القصب في النصوص الأخرى.

على وجه المياه،
عاد أوتو[1] للظهور، منيراً السماء والأرض!
عند ذلك فتح زيوسودرا كوةً في الفلك
فدخل من خلالها أوتو ـ الباسل
فأنار داخل الفلك بكامله،
وزيوسودرا الملك
210 سجد أمام أوتو
وقدم بدون حساب قرابين الثيران والخراف. . .

الأسطر (٢١٢ ـ ٢١٦) وهي الأسطر الأخيرة من العمود الخامس هي غير ممكنة القراءة بسبب التشويه.

العمود السادس

الأسطر (٢١٧ ـ ٢٥٠) مفقودة وهي على الأرجح تتضمن لوم الإلّهة ـ الأم لمحدِث الطوفان. وكذلك احتوت بشكلٍ مؤكّد على توبيخ إنليل لأنكي لأنه خالف الأوامر، لأن النصّ، لدى اتضاحه ينقل إلينا نهاية هذا الحدث.

لوم إنليل لأنكي

251 «على الرغم من أنني جعلتك تقسم باسم
السماء والأرض [. . .]
مثل ما أقسم آن وإنليل شخصياً
مع [. . . ـ] ـهم!»
وماذا (؟) فإن أنكي من جديد
أخرج من الأرض الكائنات ـ الحيّة (؟).
ومع ذلك، فزيوسودرا الملك،

---

(١) (Utu) الإلّه الشمس.

255 سجد أمام آن وإنليل

اللّذيْن عَطَفا على موقفه.

آن وإنليل يمنحان زيوسودرا الحياة الأبدية

لذلك فإنهما، منحاه حياةً

مماثلة لحياة الآلهة:

نَفَس حياة أبدي مثل ما للآلهة

ولهذا السبب، فزيوسودرا، الملك

260 الذي أنقذ الحيوانات مع الجنس البشري

جُعِلت إقامته في منطقة ما وراء البحر:

في دلمون[١] حيث تشرق الشمس

[.......]

الأسطر الأخيرة (٢٦٢ ـ ٢٦٥) مفقودة.

(١) حول بلاد دلمون (منطقة البحرين) انظر قصيدة إحياء بلاد دلمون وهي النصّ الأول من الكتاب الأول. وقد نكون هنا أمام بلد ميثي آخر لا يناله إلا من استحقوا الحياة الأبدية. ووحده چلچامش لأنه إنسان غير عادي (ثلثاه إلّه) أمكنه الوصول إلى المكان المماثل الذي أطلق عليه اسم البلاد البعيدة عند «فم الأنهار» وذلك للتعرف على سرّ الحياة الأبدية (انظر فيما بعد النص رقم (٥٩)).

(٥٨) ـــ الطوفان من رأس ـــ شمرا

الطوفان من رأس ـ شمرا (أوغاريت)[١] هو أحد النصوص المدونة باللغة الأكادية لا بأبجدية أوغاريت. ولم يصلنا منه مع الأسف سوى زاوية صغيرة من لوحة كانت تحمل أربعة أعمدة فُقدَ قسمها الأكبر.

وهذه الكسرة التي كشفت عنها حفريات تل رأس ـ شمرا تعود كتابتها إلى حوالي منتصف القرن الثالث عشر لما قبل الميلاد وقد نسخت بخطٍ معتنى به وحملت اسم ناسخها وهو نَعَمْ ـ رشف[٢] وهو اسم كنعاني محلي لناسخٍ ملم بطريقتي الكتابة الأوغاريتية والأكادية ومن المفيد التذكير بأن اللغة الأكادية في تلك الفترة كانت اللغة الرسمية الدبلوماسية، ولوحات تل العمارنة في مصر ايمنوفيس الرابع، كُتبت بواسطتها وكذلك المراسلات مع الملوك الحثيين.

وكسرة اللوحة التي نحن بصددها كتبت على وجهيها، وهي بالإضافة إلى ذلك، أصابها تشويه يجعل من الصعب تقديم محتواها بشكل مترابط. لكن أمكن مما بقي من الأسطر التي تحملها تقديم هذا الملخص عن المحتوى العام لهذه الكسرة، حيث عرف فيها منقذ البشر من الطوفان تحت الاسم البابلي نفسه لنسخة (نور ـ آيا)[٣] إذْ يحمل هنا أيضاً اسم «أترم ـ حسيسوم» ومعناه الفائق ـ الحكمة.

---

(١) (Ugarit) على الساحل السوري إلى الشمال من اللاذقية تعود أهم مكتشفاتها إلى القرن الرابع عشر ق. م. وسوف يشتمل الكتاب الخامس على نصوصها الدينية.

(٢) (Na'am-Rashaf) رشف: إله أوغاريتي يقابل نرجال البابلي وقد وصلت شهرته إلى مصر.

(٣) انظر نصها الكامل تحت الرقم (٥٦) من هذا الكتاب.

ملخص المحتوى العام

الأسطر

(1 ـ 3)	هذه الأسطر تحمل اشارة إلى: «قرار الآلهة بإحداث الطوفان الشامل».
(6)	في هذا السطر يرد اسم «أترام ـ حسيسوم»
(5 ـ 4) و (7)	يشار هنا إلى أن الفائق ـ الحكمة هو من المقربين إلى الإلّه إيا.
(9 ـ 11)	الفائق ـ الحكمة يصرّح بأنه على علم بسِرٍّ ما سيحدث، مما قرره الآلهة.
(12 ـ 14)	ذلك أن «أحداً» كرّر محتوى قرارهم متوجّهاً إلى سياج القصب.

ومن ظهر كسرة اللوحة

لم يَبْقَ سوى الإشارة الأخيرة إلى منح الحياة
الأبدية إلى الفائق الحكمة:

(4) «نعم! سوف تكون لك حياة مماثلة
لحياة الآلهة!»

(٥٩) ـــ الطوفان في ملحمة جلجامش

١ ـ قصة الطوفان العائدة للفترة الأشورية (خلال الألف الأول لما قبل الميلاد) وصلتنا في أكثر من اثنتي عشرة نسخة وأكملها هو النص الذي يشكل أكثر من نصف اللوحة الحادية عشرة من ملحمة چلچامش العائدة لمكتبة أشور بانيبال في نينوى (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م).

٢ ـ نحن نعلم أن البطل چلچامش بعد موت رفيق مغامراته وصديقه أنكيدو، وعلى الرغم من كون ثلثيه من مادة الآلهة الخالدة وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية، فإن چلچامش ينتابه القلق أمام الموت ويبدأ سعيه للكشف عن سر الحياة الأبدية.

ويصل به هذا السعي المضني إلى الجدّ البشري الذي سبق أن نجا من الطوفان وأنقذ حياة البشر فمُنح الحياة الأبدية مكافأة له. وهو هنا يحمل اسماً أكدياً موازياً للتسمية السومرية[1]، وهذا الاسم الأكادي هو أوتا ـ نافيشتي[2] ومعناه «وجدت ـ حياتي» أو وجدت نفسي.

ولدى وصول چلچامش إلى المنطقة حيث استقر بطل الطوفان والتي يتعذر على بشري عادي بلوغها، فإن أوتا ـ نافيشتي وبحكمة ـ فائقة يروي لچلچامش قصة الطوفان كما شهد شخصياً حوادثها والتي استحق بسببها الحياة الأبدية مشيراً إلى

(١) (زيوسودرا) بمعنى ذو الحياة المديدة.

(٢) (Uta-Naphishi). وترد تسمية أتر ـ حسيس مرة واحدة على الأقل في ملحمة چلچامش (انظر السطر ١٨٧ من اللوحة (١١)، المشار إليها أعلاه).

چلچامش بأن هذه المناسبة لن تتكرر مرة ثانية[١].

٣ ـ يبدأ في اللوحة الحادية عشرة من ملحمة چلچامش بدءاً من السطر الثامن سرد قصة الطوفان حين يعمد (أوتا ـ نافيشتي) محدّثاً چلچامش إلى إفشاء سر الطوفان. والمدينة التي انطلق منها، هي شروباك كما ورد ذلك في النص السومري. ولدى مثول چلچامش أمام هذا الجد البعيد، الذي كان يعيش خالداً بعيداً عن البشر، يرى أن هيئته لا تختلف عن هيئته، ويطرح عليه عندئذ سؤاله الجوهري لمعرفة كيفية حصوله على الحياة الأبدية. وفيما يلي إجابة (أوتا ـ نافيشتي):

قرار الآلهة بإحداث الطوفان

8 أجاب «أوتا ـ نافيشتي» چلچامش قائلاً له:
«يا چلچامش سأكشف لك عن سرٍ خفيّ
10 سأفضي إليك بسرٍ من أسرار الآلهة!
أنت تعرف مدينة شروباك[٢]
الواقعة [على ضفاف] الفرات،
المدينة القديمة التي كان يرتادها الآلهة.
في (هذه المدينة)، فالآلهة ـ العظام، دفعتهم قلوبهم
إلى إحداث الطوفان:
15 [المحر] ضون[٣]، كانوا آنو[٤] أبوهم؛
وإنليل ـ الباسل[٥]، سيدهم؛
ونينورتا[٦] محافظهم،

---

(١) النص الكامل لملحمة چلچامش سوف يتم نشره في الكتاب الرابع.
(٢) (Shuruppak) وهي خامس مدينة حلّت فيها ملكية الآلهة قبل الطوفان (انظر النص السومري رقم ٥٧: ٩٧).
(٣) يكرر هنا النص التنظيم التسلسلي للآلهة كما ورد في نسخة نور ـ آيا (١: ٧ ـ ١٠).
(٤) آنو (Anu) إلّه السماء.
(٥) (Enlil) إلّه الهواء وسيد مجمع الآلهة.
(٦) (Ninurta) سيد الأرض وهو ابن إنليل وسوف تتحدث نصوص أخرى عن بطولاته فيما بعد: النص رقم (٦٢).

ورئيس أعمالهم إينّوجي[١]

تعليمات إيا إلى أوتا ـ نافيشتي

وبما أن أنكي ـ الأمير (؟) كان

أقسم على حفظ السر

20 فإنه كرّر ما قرروه إلى سياج أوتا ـ نافيشتي:

«سياج! أيها السياج! حاجز! أيها الحاجز!

اسمع يا سياج! وتذكر يا حاجز!

يا ملك شروباك ابن أوبار ـ توتو[٢]

إهدم بيتك لكي تبني فلكاً،

25 تخلّ عن ثروتك لكي تنقذ حياتك

أدر ظهرك لممتلكاتك

لكي تبقى سالماً!

ولكن أَركِبْ معَك (في الفلك)

نماذج من جميع الكائنات ـ الحيّة[٣]

الفلك الذي عليك إنشاؤه

يجب أن يكون في بنيته متساوي الأضلاع:

30 عرضه وارتفاعه متماثلان،

وسوف تجعل له سقفاً مثل الأبسو!»[٤]

---

(١) (Ennugi) وهو الإلّه الذي كان يشرف على أعمال سخرة الآلهة في نسخة نور ـ آيا (النص رقم ٥٦).

(٢) (Ubar-Tutu) أحد ملوك شروباك لما قبل الطوفان وقد ورد اسمه في اللوائح الملكية.

(٣) قارن مع سفر التكوين (تك ٦: ١٩...).

(٤) (Apsu) هو مقر إيا حيث المياه الجوفية. ومعبد أنكي/ إيا في الأبسو تمّ بناؤه في مدينة إريدو وهي أولى المدن التي حلّت فيها الملكية قبل الطوفان، انظر النص رقم (٥٧. ٩٣) وقد يكون المقصود هنا هو سقف هذا القصر الذي سوف يرد وصفه في الكتاب الثالث تحت عنوان: «أنكي وبناء البيت».

تحفظ أوتا ـ نافيشتي وجواب إيا

وأنا، عندما فهمت ذلك، قلت لإلّهي إيا:
«يا إلّهي [الأمر] الذي أصدرته إلي
سو [ف أسـ] ـهر على تنفيذه!
و [لكن ما عساي] أقول لأهل مدينتي
الناس والشيوخ؟»
عند ذلك فتح إيا فمه
وتوجّه إليّ أنا، خادمه:
«[يا ر] جل قل لهم هذا:
«[علمـ] ـت أن إنليل وجه نحوي بغضه
40 أنا لن أبقى بعد الآن في مدينتكم
ولن أضع رجلي على أرض إنليل
[ولكن سوف أنـ] ـزل إلى الأبسو
لأسكن بجوار إلّهي إيا.
عند ذلك، سوف يمطر [عليكم] إنليل الوفر
الأطيار [بلا حساب] وسلال من الأسماك
45 سوف يمنحكم حصاداً وفيراً.
[وعند الفجر سوف يُهبِط عليكم]، حمّصاً[1]
وسوف يمطر عليكم حبوب الحنطة [عند الغسق!]»[3]
وعند أول بشائر النهار
كل أهل البلد، تجمّعوا [حولي]
50 [النجّارون] ومعهم مقاشـ [ـطهم]
وشاغلو القصب المز [ودون بمطا] رقهم الحجرية]،

(١) يُعتقد أن التعابير الأكادية المستعملة هنا تحتمل معاني مزدوجة يفهمها العامة وكأنها تبشر بالخير ويقصد بها أوتا ـ تافيشتي بداية الطوفان الرهيب، والكلمتان هما «كوكيّ» بمعنى حمّص أو بَرَد (؟) و «كيباتي» بمعنى حنطة أو ظلم.

[...] الرجال [...]

[...] السر.

الصغار، أتوا بالقار

55 و (جلب) الكبار الأكثر قوة الحاجات الأخرى

وبنهاية خمسة أيام، بنيت هيكل الفلك:

مساحة أرضيته إيكو[١] واحد،

وارتفاع جوانبه مائة وعشرون ذراعاً[٢]

ومحيطه الخارجي، مائة وعشرون

ذراعاً لكل ضلع[٣].

ثم عمدت بعد ذلك إلى تنظيم داخله

فجعلت فيه ستة سقوف

بغية تقسيمه إلى سبعة طوابق

(كما) قسمت حجم كل منها إلى تسع حجرات.

وغرزت في جوانبه

أسافين مانعة للماء[٤]

أعددت بعد ذلك المحاجن ووضعت المؤن في أماكنها

وسكبت في ثلاثة سارات من الأسفلت[٥]

مما يوفّر حجماً مماثلاً من القار.

جلب حملة الأخواض (الخشبية) ثلاثة سارات من الزيت

وباستثناء سار واحد استهلكه التقليف[٧]

---

(١) (Eku) الإيكو: وهي وحدة مساحة تعادل ٣٦٠٠م^{2}.

(٢) الذراع البابلي يعادل حوالى نصف متر ـ ارتفاع الفلك هو إذن ٦٠ م. ط.

(٣) أي ٦٠ م. ط. لكل ضلع. وهذا يؤدي إلى فلك مكعب الشكل أبعاده (٦٠ × ٦٠ × ٦٠).

(٤) الأسافين الخشبية التي تغرز بين فواصل الخشب لمنع نفاذ الماء وقد ترافق هذه العملية التقليف بواسطة القار (انظر نسخة نور ـ آيا، لوحة ٣، سطر ٣٣).

(٥) بالأكادية «كوفري»: الأسفلت هو مادة الزفت المتوافرة طبيعياً على حامل رملي مثل جبل البشري في منطقة الرقة السورية أو حامل كلسي، مثال جبل كفرية شمال اللاذقية. ومن المفيد مقاربة كوفري الأكادية مع كفرية، اسم الموقع الحالي حيث يستخرج أسفلت كفرية.

فقد خزّن الملاح[١] السارين الآخرين.

70 نحرت من أجل الحرفيين عدداً من الثيران

وفي كل يوم ضحيت بالأغنام:

قدمت لهؤلاء الصنّاع عصير الكرم

والجعة الممتازة والخمر والزيت، فاستهلكوها

بكثرة كماء النهر

وأقمنا أخيراً عيداً كما في يوم عيد رأس السنة[٢]

75 أما أنا، [فعند الغروب] مسحت يدي بالزيت

وفي مساء اليوم السابع، تمّ إنهاء الفلك.

ولكن وبما أن إنزاله (إلى الماء) كان صعباً

فقد جُلبت الأثقال من أعلى إلى أسفل

إلى أن غطس في الماء ثلثاه.

تحميل الفلك وانتظار البداية الرهيبة

80 وفي صباح اليوم التالي حملت إليه

كل ما أملك

كل ما أملك من الفضة

وكل ما أملك من الذهب،

وحمّلته بكل ما كان عندي من الكائنات الحيّة.

ثم جعلت أهلي وجميع أقربائي

يصعدون إلى الفلك

85 وكذلك حيوانات البريّة الصغيرة منها

والكبيرة وجميع الصنّاع[٣]

---

(١) حافظت اللغة العربية على التسمية الأكادية وهي مالاح. وسوف يرد اسم هذا الملاّح فيما بعد في السطر ٩٤.

(٢) عيد الأكيتو (Akitou) الموافق في العراق القديم مطلع الربيع.

(٣) تتضح هنا قيمة الصنّاع والحرفيين الحضارية وإنقاذهم، وجدير بالذكر أن الطوفان التوراتي أهمل هذا التفصيل الهام.

كان الإلّه شمش[1] قد حدّد لي الموعد (بقوله):
«عندما أُمطر عند الفجر حمّـ [ـصاً][2]
وعند الغسق حنطة[2]
إصعد إلى الفلك وأغلق المدخل!»

الطوفان

وبمجرد حلول الموعد المحدد:
90 عند الفجر، أمطرت السماء حمّصاً
وحبوب ـ حنطة عند الغسق
تفحّصت (عند ذلك) مظهر النهار:
الذي كان مخيفاً لناظره
صعدت إذن إلى الفلك
وأغلقت مدخله؛
وبعد غلقه عهدت بقيادة الفلك
إلى الملاح بوزور ـ أموري
95 سلمته «الهيكل العظيم»[3] ومحتوياته
وعند مطلع فجر اليوم التالي
أحاطت بأفق السماء غيمة سوداء
كان يهدر في داخلها الإلّه أدَدْ،
مسبوقاً بكل من «شلّلات» و «خانيش»[4]
الرسولين الإلّهيين، منذري الجبال والسهول

---

(١) من المفروض تحديد هذا الموعد من قبل الإلّه إيا، ويصعب تفسير ذكر شمش هنا.
(٢) المقصود هنا هو التورية المستعملة في السطرين (٤٦ و٤٧) أعلاه بالنسبة للتعبيرين «كوكيّ» و «كيباتي» (انظر الملاحظة حول هذين السطرين).
(٣) المقصود هو الفلك.
(٤) (Shullat) و (Ḫanish) الإلّهان الثانويان اللذان يسبقان أدد للإنذار باقتراب حدوث التغيرات الجوّية.

ثم نزع الإلّه نرچال[1] دعائم أعمدة السماء
وتبعه نينورتا[2] جاعلاً
السدود العلوية تطفح بمياهها
بينما كان الأنوناكي[3] يرفعون المشاعل
التي ألهب وهجها البلاد بكاملها.
105 نشر أدد[4] على السماء صمت ـ الموت
محيلاً إلى الظلمات كل نورا!
[حطـ [ـمت] . . .] الأرضَ وكأنها جرّة
وفي أول يومٍ [هبت] فيه ريح العاصفة
هبّت بقوة حتى [. . .]
110 ومرّ [الجِزْم] على [البشر] فاتكاً مثل الحرب
ولم يعد الأخ يرى أخاه
ولم يكن ممكناً تمييز أحدٍ بين الجموع
(لشدّة تساقط) مياه السماء.

خوف الآلهة أنفسهم

حتى الآلهة اعتراهم الرعب أمام هذا الطوفان:
وفي هربهم
صعدوا حتى سماء آنو[5]
115 حيث، مثل كلابٍ ربضوا
(مذعورين) حذاء جدار.
كانت الإلّهة[6] تصرخ مثل امرأة أتاها المخاض،

(١) (Nergal) إلّه العالم السفلي.
(٢) (Ninurta) ابن إنليل وسيد الأرض.
(٣) (Annunaku) هنا مجموع الآلهة.
(٤) (Adad) إلّه الزوابع والأمطار.
(٥) (Anu) إلّه السماء.
(٦) الإلّهة هنا هي الإلّهة عشتار.

سيدة ـ الآلهة[1] ذات الصوت الشجي
كانت تنتحب (مردّدة):
«آه! ليت هذا النهار ما كان ليأتي قط،
حيث إنّي في مجمع الآلهة، اتخذت
قراري باتجاه ما هو سيء!
120 ما الذي جعلني أنطق السوء
في مجمع الآلهة؟
كيف أمكنني الموافقة على هذه المهلكة
التي تحيل البشر إلى العدم؟
أنا إذن، لم أقمْ بوضع أبنائي[2]
إلا ليملأوا البحر كبيض السمك!»
وانتحب معها الأنوناكي الإلّهيون.
125 وبقي جميع الآلهة خائري القوى
يسكبون دموع اليأس،
وقد يبست شفاههم من القلق (؟).
ستة أيام وسبع ليالٍ، استمرت
عصفات الريح ووابل ـ المطر
والأعاصير والطوفان
لم تتوقف عن تدمير الأرض

نهاية الطوفان

وعند حلول اليوم السابع
توقفت جائحة العواصف والطوفان،
130 بعد أن تعاركت في كل اتجاه

---

(١) لقب عشتار أو «بعلة ـ إيلي».
(٢) البشر، أبناء عشتار الإلّهة ـ الأم وجثثهم تملأ البحر.

مثل امرأة في حالة المخاض.
وسكن البحر وهدأت حركته،
بتوقف العواصف والطوفان!
نظرت حولي: فإذا بالسكون يخيم:
فقد أُعيد جميع البشر إلى الطين[1]
وبدت الأرض في كتف النهر مستوية مثل سقف،
135 فتحت عند ذلك كوة الفلك
فسقط نور شديد على وجهي
فخررت (لتوّي) ساجداً وجلست أبكي،
وانهمرت الدموع على خدّي

الاستعداد لمغادرة الفلك

ثم وجّهت نظري نحو الأفق مفتشاً عن الشاطىء،
في الاتجاهات الاثني عشر
فعلى مسافةٍ، برزت قطعة أرض
140 كان ذلك جبل «نصير»[2] حيث استقر الفلك.
أوقف جبل نصير الفلك ولم يَسْمح له بالحركة
خلال يوم أول ويوم ثانٍ أوقف جبل
نصير الفلك ولم يسمح له بالحركة
وخلال يوم ثالث ورابع «كيمين»[3]
وخلال يوم خامس وسادس «كيمين»
145 وبحلول اليوم السابع،

---

(١) العودة إلى الطين أو الصلصال يعني الموت ويذكّر بمادة خلق البشر بإضافة دم إلّه.
(٢) حدد موقعه بعض الباحثين في منطقة السليمانية وارتفاعه حوالي ٩ آلاف قدم، ويقع على بعد ٤٥٠ كم تقريباً من شروباك. أما الطوفان التوراتي فقد اختار جبال أراراط في أرمينيا.
(٣) (Kımin) «كي مين» هو التعبير السومري المستعمل من قبل الناسخ لتحاشي تكرار جملة مماثلة لـ «ما سبق»، كما نكتب ذلك اليوم.

أمسكتُ حمامةً وأطلقتها
طارت الحمامة ثم عادت إليّ
لم تجد مكاناً لها لتحطّ فعادت إليّ.
ثم أمسكت بعد ذلك بسنونو وأطلقتها
150 طارت السنونو، ثم عادت إليّ
لم تجد مكاناً لتحط فيه فعادت إليّ
ثم أمسكت غراباً وأطلقته
طار الغراب
وبما أنه شاهد انحسار المياه
(فقد) أكل وحَامَ، ثم حطّ ولم يعد.
155 عند ذلك وزعت باتجاه الرياح الأربع
(كل ما كان يحمله الفلك)
ثمّ ضحيت من أجل الآلهة،
ووضعت التقدمة الغذائية على رأس الجبل!
تحيط بها بسبعة وسبعة[1] من أوعية
تقدمات السكائب
وإلى جانبها، في محرقة ـ العطور،
كدّستُ (بخائر) القصب وخشب الأرز والآس
فشمّ الآلهة الرائحة،
160 وحين شمّوا الرائحة الذكية
تجمّعوا مثل الذباب
حول مُقدِّم القربان.

نقاش الآلهة حول مسؤولية إحداث الطوفان

إلا أن الأميرة ـ الإلّهية (عشتار)، وبمجرّد وصولها،

---

(١) أي سبعة من كل جهة.

شهرت عقد «الذبابات»[1] العظيم
الذي صنعه لها آنو[2] أيام المداعبات
(وأعلنت):
«أيها الآلهة الحاضرون هنا: كما أنني لا أنسى قط
أحجار اللازورد هذه التي في جيدي،
165 سأظلّ أتحسّس[3] إلى الأبد هذه الأيام المشؤومة:
ولن أنساها!
فليأتِ إذن الآلهة، وليتقدموا إلى القرابين
أما إنليل فعليه ألاّ يقترب
لأنه دونما تروٍ قرر الطوفان.
وأرسل خلقي إلى الهلاك!»
170 ومع ذلك، فإن إنليل عند وصوله
شاهد الفلك فتملّكه الغضب
وامتلأ حنقاً على الإيجيجي[4] (معلناً):
«أحدهم إذن، نجا (من الطوفان)
وكان يجب ألاّ ينجو أحد من الهلاك؟»
عند ذلك فتح نينورتا[5] فمه وباشر
كلمته متوجهاً إلى إنليل ـ الباسل:
175 «من غير إيا[6] يستطيع

---

(١) عقد اللازورد الذي كانت أحجاره على شكل ذباب. وردت الإشارة إلى هذا العقد بشكل مختلف نوعاً ما في نسخة «نور ـ آيا» (انظر بداية العمود السادس).
(٢) آنو إلّه السماء وتعتبر عشتار قرينته وتلقب عادة بغانية آنو.
(٣) تمت المحافظة هنا على التعبير الأكادي «حاساسو» بمعنى: يتفكّر، يعتبر، يتعظ ومنه اسم أتر ـ حسيس: الفائق ـ الحكمة.
(٤) (Iggigi) مجموع الآلهة.
(٥) (Ninurta) الإلّه المحارب وسيد الأرض وهو ابن إنليل.
(٦) (Ea) إلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع (= أنكي السومري).

تنفيذ مثل هذا الأمر،
إيا الذي يعرف تدبير كل شيء؟»
فتح إذن إيا فمه وباشر كلمته
متوجهاً إلى إنليل ـ الباسل:
«أنت أيها البطل، أنت الأحكم بين الآلهة
كيف دونما تروٍ تمكنت
من إحداث الطوفان؟
180 كان عليك تحميل المعتدي وحده إثم اعتدائه
وتحميل المخطىء وحده، وزر خطيئته!
وعند ذلك إرحم حتى لا يهلك
وتشدّد حتى لا يمعن في الشر.
وعوضاً عن إحداثك الطوفان
لو أنك أرسلت الأسود لتقلل من عدد البشر،
وبدلاً من إحداثك الطوفان[1]
لو أنك سلطت الذئاب لتقلل من عدد البشر!
وبدلاً من الطوفان
لو أنك أرسلت القحط فأوهن البلاد!
185 وبدلاً من الطوفان
كان أحرى بك تسليط وباء
يصيب البشر [هنا] وهناك!
كلا! أنا لم أفشِ السر
الذي أقسم عليه الآلهة:
ولكنني جعلت أتر ـ حسيس[2] يرى حلماً

(١) يعدد النص اعتباراً من هذا السطر ما كان إنليل أرسله من المصائب قبل إحداث الطوفان كما ورد ذلك في نسخة نور ـ آيا تحت رقم (٥٦).

(٢) يسمى هنا أوتا ـ نافيشتي: أتر ـ حسيس وهو اسم الفائق ـ الحكمة في قصة الطوفان (النص رقم ٥٦) المشار إليها في الحاشية رقم (١).

فأدرك عند ذلك سر الآلهة.

والآن تدبر أمره وقرر له مصيره!»

منح أوتا ـ نافيشتي الحياة الأبدية

عند ذلك صعد إنليل إلى الفلك

وأمسك بيدي وأركبني معه (في السفينة)

وأركب معي قرينتي وجعلها تسجد بقربي

ثم لمس جبهتينا

وهو واقف بيننا، باركنا قائلاً:

«لم يكن «أوتا ـ نافيشتي» حتى اليوم سوى بشري:

من الآن فصاعداً سيكون هو وقرينته

مثلنا نحن الآلهة.

195 ولكنهما، سوف يسكنان بعيداً:

عند فم ـ الأنهار!»[1]

وهكذا حُمِلنا بعيداً

وسكنّا عند فم ـ الأنهار!»

(١) البلد عند «فم ـ الأنهار» أي أكادياً «في = فم، وناراتي = نهر = نهراتي = أنهار»، هو المكان الميثي الذي خصص لسكن أوتا ـ نافيشتي وزوجته بعد منحهما الحياة الأبدية. والنهر الذي كان يسقي جنة عدن في التوراة، يخرج منها ليتوزع إلى أربعة فروع وتعدد منها التوراة: دجلة والفرات ونهرين آخرين هما «فيشون» و «جيحون» لا يعرف موقعهما. و ﴿جنات عدْنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ (قرآن كريم).

(٦٠) ــ الطوفان التوراتي

يرى باحثو النصوص التوراتية، أن طوفان التوراة في شكله الذي وصل إلينا هو على ما يظهر، جمع بين نصّين يعودان إلى القرن التاسع وإلى القرن السادس لما قبل الميلاد، دون إغفال مقاربته ومقارنته مع ما عُرف في بلاد ما بين النهرين وبخاصة النص الوارد في اللوحة الحادية عشرة من ملحمة چلچامش والذي أوردناه في النص السابق.

ومن المفيد التوضيح بأن ما أسمته التوراة «السبي إلى أشور» وإلى بابل في مناسبات عدّة، كان يعني إبعاد ونفي أصحاب النفوذ والسلطة والمتعلمين من بني إسرائيل وكذلك أصحاب الحرف. وهؤلاء الذين لم يكونوا بالأميّين، هم الذين تعرّفوا على نصوص ما بين النهرين بالإضافة إلى ما كان متداولاً منها في بلاد كنعان. وقصة الطوفان البابلي وغيرها من النصوص التي ازدهر جمعها وتداولها وحفظها في فترة تأسيس المكتبات وأشهرها مكتبة أشور بانيبال في نينوى (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م)، جميع هذه النصوص، تنطبق إعادة نشرها على مراحل «السبي» الذي عرفه بنو إسرائيل في تلك الفترات وأهمّها:

- السبي الأول حوالى عام ٧٣٤ ق. م على يد تغلات فلصّر الثالث ملك أشور بعد إخضاع الجليل في الشمال.
- السبي الثاني على يد سرجون الثاني (حوالى ٧٢١ ق. م) بعد إخضاع السامرة.
- السبي الثالث وهو الأكبر تمّ في عام ٥٩٧ ق. م ورحّل عدداً كبيراً قُدّر بعشرة آلاف رجل مع عائلاتهم إلى بابل، وكان ذلك بعد دخول القدس من قبل

نبوخذ نصّر ملك بابل. وكان من بين المنفيين الملك يواكين والنبي حزقيال.

- ولم ينتهِ السبي إلا بعد سقوط بابل بيد الفرس في عام ٥٣٩ ق. م وسماح كورش للمنفيين بالعودة في عام ٥٣٨ ق. م.

نقدّم في (الملحق رقم ٢) المثبت في نهاية هذا الكتاب نص الطوفان التوراتي، عن الكتاب المقدس الصادر عن جمعيات الكتاب المقدس المتحدة لعام ١٩٥٠ في بيروت، تاركين للقارىء مهمّة المقارنة مع نصوص ما بين النهرين إذا ما أراد ذلك.

(٦١) ـــ طوفان بيرُوز

١ ـ حين غزا الإسكندر الكبير بلاد ما بين النهرين في عام ٣٣١ ق. م، كانت بابل آنذاك، وبالنسبة للإسكندر نفسه، عاصمة العالم القديم وهي المدينة التي اختارها الإسكندر لتكون عاصمة أمبراطوريته الآسيوية والتي عاد إليها بعد غزو الهند للاستقرار فيها، حيث عقد مراسمه الشهيرة للزواج الجماعي بين الإغريقيين والبابليين بقصد مزج الحضارتين وتحقيق حلم الحضارة العالمية الواحدة. ونحن نعلم أيضاً أن مصر التي غزاها قبل بابل، استقبلته كمحررٍ ومنقذ، لأنه خلّصها من الحكم الفارسي وإليه يعود تأسيس مدينة الإسكندرية.

وهكذا وبعقلية فاتح حضاري، كالإسكندر الكبير، انتشرت في المنطقة اللغة اليونانية وأصبحت إلى جانب السريانية، ووحدها فيما بعد، لغةَ الثقافة في الفترة الهلنستية التي تلت مباشرة وفاة الإسكندر في مدينة بابل عام ٣٢٣ ق. م، عن عمرٍ لا يتجاوز ٣٣ سنة وبعد ثماني سنوات فقط من دخولها، وتوزّعت بعد ذلك أمبراطورية الإسكندر بين قادة جيوشه، فكانت الفترة السلوقية في منطقة الهلال الخصيب وفترة حكم البطالسة في مصر. واضمحلّت أهمية بابل كعاصمة، بعد أن غادرها السلوقيون للاستقرار في أنطاكية وكذلك أصبحت الإسكندرية منارة لحضارة ذلك العصر.

٢ ـ لقد سقنا هذه اللمحة التاريخية المختصرة بقصد التدليل على انتشار اللغة اليونانية في منطقتنا، كلغة للثقافة والمعرفة بنتيجة فتوحات الإسكندر ولا ننسَ أنه تتلمذ هو بدوره على يد أرسطو. وهكذا تعلّم مثقفونا لغة اليونان وكتبوا بها ونقلوا إليها كنوز معرفتهم.

وأحد هؤلاء المثقفين القدماء هو بيروز[1] الذي عاش في بابل في حوالى عام ٣٠٠ ق. م أي بعد أقل من ثلاثين سنة على تعرّف بابل على الإسكندر الكبير، هذا المثقف الذي كان كاهناً لمعبد بيل[2] أي مردوك في بابل، أراد، وخاصة في مؤلفه بابيلونياكا[3] تعريف العالم الهلّنستي على نظرة بلاده حول أصول الكون والتاريخ القديم للبشرية. وهكذا أورد في مؤلفه المشار إليه أعلاه قصة الطوفان الذي عنونّاه بطوفان بيروز وكذلك أورد قصة بناء الحضارة في بلاده من قبل الحكماء السبعة وهذا ما سنعود إليه في الكتاب الثالث من هذه المجموعة.

٣ ـ ومن المؤسف فقدان مؤلفات بيروز، التي لم يصلنا منها إلا ما نقله عنه كتّابٌ يونانيون بعد قرنين من الزمن.

وبصدد قصة الطوفان، فقد وصلنا عن محتوى ما كتبه بيروز نَصّان مختصران:

أ ـ النص الأول أورده الكاتب بوليبستور[4] وهو نحوي عاش في حوالي القرن الأول لما قبل الميلاد.

ب ـ والنص الثاني وهو أقل أهمية، أورده الكاتب آبيدين[5] وهو مؤلِّف تاريخٍ عن الأشوريين والبابليين، كتبه بعد حوالي قرنين تليا حياة بيروز.

أ ـ طوفان بيروز عن بوليبستور

يروي (بيروز) أن كرونوس[6] ظهر في حلم أمام كسيسوتروس[7]، وكشف له، أنه في الخامس عشر من شهر دايسيوس[8] سوف تتم إبادة البشر بواسطة طوفان. وأمره

---

(١) (Bérose) أو بيروسّوس (Berossos).

(٢) (Bêl) أو بيلو بمعنى السيد وهو لقب الإلّه مردوك والذي أصبح فيما بعد يطلق عليه كاسم له.

(٣) (Babyloniaka) أي ما يماثل «بابليات» وهو عنوان أحد مؤلفات بيروز.

(٤) (Alexandre Polyhistor).

(٥) (Abydène).

(٦) (Kronos) ابن أورانوس (السماء) وجايا (الأرض) وهو أحد الآلهة القدماء «التيتان» (Titans) وسيّدهم وهو الذي خلعه ابنه زيوس (Zeus) وتولى زعامة (جبل) الأولمپ من بعده.

(٧) (Xisousthros) هو تحريف يوناني لاسم «زيوسودرا» بطل الطوفان السومري.

(٨) (Daisios) يقابله شهر أيار البابلي أي نيسان ـ أيار.

عند ذلك، بعد أن يقوم بحفر مخبأ، يطمر فيه كافة النصوص المكتوبة في سيّبار[1] مدينة الإلّه ـ الشمس، أن يعمد إلى بناء فلك وأن يدخل إليه مع عائلته وذويه. وعليه أن يزوّده بالمؤن والمشروبات، وأن يحمل فيه الطيور ورباعيّات القوائم. وأن يبحر حين يتم إعداد كل شيء. وإذا ما سئل إلى أين؟، فليجب: «للقاء الآلهة بغية ترجّيهم لكي يتم كل شيء بشكل ملائم بالنسبة للبشر!».

وإذْ لم يشأ مخالفة الأوامر، فقد قام ببناء فلك طوله ١٥ ستاداً[2] وعرضه ستادان[3]. وجمع فيه كل ما أُمر بجمعه وأدخل إليه زوجته وأبناءه وذويه، وحدث الطوفان؛ وبمجرد هدوئه، أطلق كسيسوتروس طيوراً. وحين لم تجد هذه الأخيرة محطاً لها وطعاماً تأكله، فإنها عادت إلى الفلك. وبعد أيام عدّة، عاد فأطلقها من جديد، فعادت إلى الفلك وقوائمها يغطيها الوحل. وأطلقها بعد ذلك مرّة ثالثة، فلم تعد. وهكذا فقد استنتج كسيسوتروس أن اليابسة ظهرت من جديد فنزع عند ذلك جزءاً من بنْيَةِ الفلك. وعندما لاحظ أن هذا الأخير استقر على جبلٍ، نزل إلى الأرض مع زوجته وابنته وملاح سفينته. وبعد أن أقام مذبحاً، وقدّم قرباناً للآلهة، ثم اختفى واختفى معه، الذين غادروا الفلك برفقته.

وعندما لم يعد أي منهم إلى الفلك، فالذين بقوا فيه فتشوا عنهم منادين بأسمائهم. ولم يظهر كسيسوتروس من جديد، ولكن صوتاً، سُمع من الأعلى، يحثّهم على التقوى، لأنه بفضل تعبّده أُخذَ للإقامة عند الآلهة وأن زوجته وابنته وملاّحه كوفئوا بشكل مماثل.

وطلب منهم الهاتف فيما بعد العودة إلى بابل، لأن ذلك كان نصيبهم، آخذين من سيبار النصوص المكتوبة لكي يتناقلها البشر.

وأضاف الهاتف أن البلد الذي هم فيه هو أرمينيا. ولدى سماعهم هذه الكلمات ضحّوا للآلهة وتوجهوا إلى بابل مشياً على الأقدام.

وحطام الفلك الذي بقي في أرمينيا، لا يزال هناك، على جبال كوردِيين[4]:

---

(١) (Sippar) إحدى ممالك ما قبل الطوفان، تقع إلى الشمال من بابل. وإنقاذ النصوص المكتوبة بطمرها هو هنا مبادرة حضارية جديدة تفوق إنقاذ الحرفيين والصنّاع في طوفان ملحمة جلجامش (السطر ٨٥).

(٢) (Stade)، الستاد = ٢٠٠ م. ط. تقريباً.

(٣) أي ٤٠٠ م.

(٤) (Kordyéens) جبال أراراط في التوراة.

يستخرج منه حتت قار تكشط لاستعمالها كتعويذات.

وعند عودتهم إلى بلاد بابل عمد رفقاء كسيسوتروس إلى استخراج النصوص المكتوبة المدفونة في سيبار. وأسسوا مدناً عديدة وأقاموا المعابد وأعادوا بناء مدينة بابل.

ب ــ طوفان (بيروز) عن (آبيدين)

. . . وحكم بعد ذلك سيسيتروس[١] الذي كشف له كرونوس[٢] مقدّماً ما سيحدث في الخامس عشر من شهر دايسيوس[٣]، من أمطار جارفة. وأمره أن يضع في مكان أمين جميع النصوص المكتوبة في مدينة سيپار[٤].

وهذا ما فعله سيسيتروس الذي أبحر لتوّه إلى بلاد أرمينيا. وبدون إمهال حدث ما أعلنه الآلهة. وفي اليوم الثالث، بعد توقف الأمطار، أطلق طيوراً ليتعرف إذا ما كانت سوف تجد أرضاً بارزة. ولكن إذْ لم تجد أمامها سوى بحر لا حدود له، وحين لم تجد موضعاً تحط فيه، عادت إلى سيسيتروس. وكذلك فعلت أطيار أخرى فيما بعد.

وحين نجح بنتيجة الإطلاق الثالث عادت إليه الطيور وأرياشها موحلة؛ وإن الآلهة رفعته من بين البشر.

أما الفلك في بلاد أرمينيا، فإنه يَسْمَحُ لسكان تلك البلاد بصنع متدليات من خشبه يستعملونها للتعْويذ.

---

(١) (Sisithros) تحريف يوناني لاسم بطل الطوفان السومري «زيوسودرا».
(٢) (Kronos) ورد شرحه في النص السابق.
(٣) (Daisios) ورد شرحه في النص السابق.
(٤) (Sippar) ورد شرحه في النص السابق.

(٢ ـــ ٢) ـــ الثواب والعقاب
وسهر الآلهة

١ ـ منذ أن أيقن الإنسان، أنه خليقة الإلّه أو الآلهة، فهم أن عليه تأدية خدمات تجاه الإلّه، لتمكينه من التفرغ للسهر على نظام الكون وحسن إدارته. وبدأت هذه الخدمات، ببناء المعبد وبالاهتمام بتموينه وتقديم القرابين، أي حرمان نفسه من باكورة إنتاجه الزراعي والحيواني تكريماً للإلّه والاستمرار في ذلك لكي يتمكن الكهنة وخادمو المعبد من القيام بأدوارهم للمحافظة على توازن علاقة الإلّه أو الآلهة بالنسبة للبشر وبالنسبة للبلاد.

٢ ـ فالآلهة هم الذين يقررون المصائر وبيدهم أقدار البشر ملوكاً وشعوباً، وبيدهم أيضاً رخاء وازدهار البلاد أو عدمهما.

وقد اعتقد قدماء بلاد سومر، أن سلطة الإلّه، كانت ترمز إليها لوحة سميت «لوحة الأقدار» تمكّن الإلّه من تسيير أمور الكون بامتلاكها وكانت الكارثة في فقدانها أو الاستيلاء عليها من قبل عدوّ أو أي طامع آخر. وكما أشرنا إلى ذلك في مقدمة هذا الفصل (المقطع ٢)، فإن أسطورة الإلّه نينورتا في صراعه مع الطائر أنزو، هي التي سوف نقدمها في بداية هذه الفقرة (النص رقم ٦٢) للدلالة على مكافأة نينورتا لشجاعته وإقدامه على إنقاذ مصير الآلهة وعقاب الطائر أنزو مختطف «لوحة الأقدار».

٣ ـ وإذا ما كان فقدان «لوحة الأقدار» أو الاستيلاء عليها قد أخلّ بسير الكون وأدخل الرعب إلى قلوب الآلهة، فقد استمر الإنسان على الاعتقاد بأن حسن سير

الكون وتناغمه يكمن في إرضاء الآلهة، وأن غضب الآلهة يعني عقاب البشر والانتقام منهم بسبب تقصيرهم في أداء واجباتهم نحو الآلهة، في علاقةٍ بدأت كما قلنا بتقدمات القرابين إرضاءً لهم. وتطورت هذه العلاقة فيما بعد، فعمد الإنسان إلى المحافظة على نقاء قلبه، إرضاءً للإلّه وإزالة «الظلّ من صدره»[1] لأن الإلّه يريد ذلك. يكافىء من يتبع فرائضه ويعاقب من يخالفها. وأصبح الإلّه في وجدان البشر قاضياً وراعياً لهم، يسهر على إقامة العدالة فيما بينهم ويقودهم إلى إنصاف الأرملة وحفظ حقوق اليتيم وإلى تطبيق العدالة التي شرّعوا لها بمعونة الإلّه وباسمه، فيستحقّون بذلك ثوابه. وفي صميم وجدانهم أيضاً استقرت رهبتهم من عقابه وانتقامه.

٤ ـ وقد اعتقد البشر أن خصب البلاد، وخصب الأرحام كانا مكافأة تمنحها الآلهة. وكان القحط والجفاف عقاباً لهم، وكذلك كان المرض.

وإذْ كان الإنسانُ يشعر بضعفه وبهشاشة جسده «الصلصالي» أمام المرض والألم، كما كان يشعر بعجزه أمام خصب الطبيعة أو قحطها وأمام الفيض والجفاف، لذلك عدّ نفسَه جاهلاً لنوايا الآلهة بالنسبة إليه شخصياً وبالنسبة للبلاد، فقد كان دائم القلق يحاول عدم مخالفة أوامر الإلّه أو الآلهة ويسهر على تنفيذها وصون حرماتها. وعلى هذا الأساس تمكن سكان ما بين النهرين القدماء في سومر وأكاد وأشور فيما بعد، من إقامة نظامٍ أخلاقي[2] واضح أساسه:

- العدالة والحرية،
- الشفقة والرحمة،
- الاستقامة والصراحة،
- الطيبة والحقيقة،
- واحترام القانون والنظام.

وكرهوا:

---

(١) تعبير مستعار عن نصّ فرعوني.

(٢) وقد نسميه أيضاً نظاماً حضارياً، كما سوف يتضح ذلك في أسطورة سفينة السماء السومرية التي سترد في الكتاب الثالث.

- الظلم والاستبداد،
- القساوة وفقدان الحس،
- الشر والكذب،
- الأعمال الشائنة وانحراف الغرائز،
- والفوضى واختلال النظام.

٥ ـ وعلى هذا الأساس، فقد كان الملوك يفاخرون بأنهم «عمّموا النظام في مدنهم وحموا الضعفاء من ظلم الأقوياء إذا ظلموا، ودافعوا عن الفقراء أمام سطوة الأغنياء، واجتزّوا الشرّ من جذوره في البلاد وأقاموا السلام».

وقد ترك لنا ملوك ما بين النهرين عدداً كبيراً من النصوص تشيد بعدالتهم وبإصلاحاتهم الاجتماعية وسوف نثبت بعض ما ورد من مآثر الملوك هذه من ضمن الكتاب السادس.

٦ ـ لقد كان الإلّه مشرّعاً وقاضياً وساهراً على صون العدالة وتطبيقها. وهكذا كان الملك ممثّلاً له، يشرّع باسمه وينفذ أوامره.

ففي الفترة السومرية القديمة وصلنا نص يعلمنا بأن الملك (أورو ـ كاجينا)[١] يعيد تطبيق قوانين الإلّه (نينجيرسو)[٢] التي تمّ خرقها قبل تولّيه الحكم. وكذلك فعل الملك السومري الشهير جوديا[٣] خلال الفترة السومرية الحديثة بالنسبة لقوانين نينجيرسو، وشقيقته نانشي[٤] التي «لم تكن تسمح بأن تهان الحقيقة والعدالة، وأن تنعدم الرحمة» وهي بدورها تحمي وتحاكم وتعرف كيف تتفحّص «دخائل البشر» (النص رقم ٦٣).

(١) (Uru-Kagina) ملك مدينة لغش (Lagash) حكم حوالي سنة ٢٣٥٥ ق. م.
(٢) (Ningirsu) الإلّه الحامي لمدينة لغش وهو نينورتا.
(٣) (Gudéa) أحد أشهر ملوك الفترة السومرية الحديثة حكم في لغش خلال فترة (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤ ق. م).
(٤) (Nanshé) إلّهة مدينة لغش وحاميتها.

٧ ـ وبعد نانشي، فها هو الإلّه مردوك، ينصّب الملوك مكافأةً منه لمن يخشاه ويتجه نحوه ويعاقب من ينساه، وهذا ما يرويه لنا النص (رقم ٦٤).

٨ ـ وآخر ما نورده في هذه الفقرة من الفصل الثاني، نص يرتبط بشكل غير مباشر بمحاولة التعرف فيما إذا كان الإنسان السومري القديم، اعتقد بوجود عصر ذهبي عاشته البشرية، ثم فقدته!

٩ ـ وعلى أساس الأفكار المعروضة أعلاه، فإن النصوص التي سنعرضها من ضمن الفقرة (٢ ـ ٢) للثواب والعقاب وسهر الآلهة هي التالية:

رقم النص	العنوان
(٦٢)	خيانة الطائر أنزو وعقابه
(٦٣)	الإلّهة نانشي تحمي وتحاكم
(٦٤)	الإلّه مردوك ينصّب الملوك ويعاقبهم.
(٦٥)	زوال عصر البشرية الذهبي ودور الإلّه أنكي

(٦٢) ـــ خيانة الطائر أنزو وعقابه

١ ـ بَعْدَ انتصار الإلّه نينورتا[1] على الجبل، المنطقة المتمردة، يعود هذا النشيد البطولي لإخضاع شعب الحجارة، كما سيرد ذلك في الكتاب الثالث، يعدّد الأعداء الذين أطاح بهم نينورتا وتغلب عليهم، ومن بين هؤلاء نجد «الأنزو»[2]. وكذلك نجد «الأنزو» من بين الأعداء المغلوبين على أمرهم في نشيد عودة نينورتا إلى نفّر[3]، بعد انتصاره على الجبل[4]، وكان الأنزو من بين غنائم الحرب التي عاد بها نينورتا إلى مدينة نفّر.

٢ ـ وفي هذا النشيد الأسطوري الذي نحن بصدده، نتعرّف على أصل الأنزو «المخلوق الإلّهي» وعلى علاقته بالآلهة وبإنليل[5] على الأخص، وعلى دوره الخياني حين كان بخدمة إنليل، وطموحه للاستيلاء على سلطة الآلهة، حين استولى في غفلة من إنليل على «لوحة ـ الأقدار»، لوحة السلطات كلها التي يمتلكها إنليل كأداة لتسيير الكون، استولى على هذه اللوحة والتجأ إلى الجبل. جمد الكون حينذاك، وتعطّل سيره، وانتاب الرعْب الآلهة، إذْ فقدوا سلطاتهم، وكان لا بد إذن من إنقاذ الموقف واستعادة لوحة الأقدار.

---

(١) (Ninurta) بمعنى سيّد الأرض وهو هنا في دوره البطولي وهو ابن الإلّه إنليل.
(٢) (Anzou) «مخلوق إلّهي» على شكل طائر غريب الشكل يتضح وصفه من ضمن النصّ.
(٣) (Nippur) مدينة إنليل والتي كان لها مركز الصدارة الدينية والسلطوية في فترة تأليف النص.
(٤) سوف يرد النص في الكتاب الثالث، تحت رقم (٧٩).
(٥) (Enlil) سيد مجمع الآلهة السومرية وحامي مدينة نفّر.

٣ ـ وبعد فشل مجلس الآلهة في تكليف كل من الإلّه أدد[١]، سيد ينابيع السماء الذي يتحكم بالمياه العلوية، والإلّه جيرّو[٢]، المتحكم بنار الصواعق، والإلّه شارا[٣] المتحكم بالرياح، بعد رفض هؤلاء الآلهة: الماء والنار والهواء لقاء أنزو، لم يبق أمام المجلس إلا أن يتوسط أم جميع الآلهة، لتكلف ابنها نينورتا المحارب المقدام بهذه المهمة. وهكذا كان، إذ يذهب نينورتا متسلحاً بالرياح السبع وبدوّامات الغبار وبسهامه المسمومة. ولكن محاولته الأولى تبوء بالفشل، بسبب قدرة أنزو «المجنح» على ردّ السهام بإعادتها إلى أصلها، وذلك لحيازته القدرة الكلية بتملكه اللوحة الشهيرة.

٤ ـ ولكن الإلّه أنكي/ إيا[٤] يعلّم نينورتا كيفية الانتصار على الطائر أنزو. ويتمكن البطل من ذلك في لقاءٍ أخير، ليتوصل بنتيجته إلى بتْر جناحي أنزو واستعادة «لوحة الأقدار».

٥ ـ هذه المقدمة العامة، لم تدخل عمداً في التفاصيل المهمّة التي تشتمل عليها النصوص، كما تعمدت تقديم إلّه الحكمة، الذي يرجعُ إليه مجلس الآلهة في كل مناسبة صعبة، أن تقدمه بتسميته السومرية والأكادية أنكي وإيا، لأن نص الصراع مع أنزو وصلنا في نسختين: الأولى سومرية وهي تسبق منتصف الألف الثاني لما قبل الميلاد حوالى (١٦٠٠ ق. م) ونسخة أكادية وصلتنا بشكل أكمل وهي على كل حال أكثر تفصيلاً، وقد تكون ترجمة لنصٍ سومري أقدم منها. وتعود النسخة الأكادية إلى نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد.

ونقدّم تباعاً فيما يلي هذين النصّين، بدءاً من النص الأكادي، ولو كان هو الأحدث لأنه يضعنا في جوٍ بَدْئي يشتمل على تفاصيل مهمّة حول تلك الأزمنة الميثيّة الموغلة في القدم التي عرفت ولادة الطائر أنزو، «أنزو المجنّح»، كما عرفنا في نص آخر ولادة

---

(١) (Adad) إلّه الأمطار المتحكم بالمياه العلوية.
(٢) (Girru) إلّه النار والمتحكم بالصواعق، نار السماء.
(٣) (Shara) الملقّب بابن عشتار بمعنى مفضّلها وهو هنا إلّه العواصف.
(٤) (Enki/Ea) الاسم المركّب السومري والأكادي لإلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع.

«الأساكو»[١] الذي أطاح به نينورتا في معركة الجبل والمنطقة المتمرّدة، عندما انتصر على «شعب الحجارة».

النص الأكادي لصراع نينورتا مع الطائر أنزو عقاباً له على خيانته

وصلنا هذا النص على لوحات ثلاث يحتوي كل منها على أربعة أعمدة، يحمل كل عمود خمسين سطراً تقريباً أي بمجموع ٦٠٠ سطرٍ. وقد وصلنا منها أكثر من النصف. واللوحة الثالثة هي الأكثر تضرراً.

يبدأ النص كما هو مألوف، بتمجيدٍ لنينورتا بطل الحوادث المراد نقلها، وينتقل بعد ذلك إلى أزمنةٍ بدئية حيث كان الجفاف يعمّ البلاد وحتى دجلة والفرات، لم تكن المياه تغذّي مجراهما والغيوم التي كانت تصل إلى أقصى الأفق، لم تكن تتشقّق لكي تسكب مياهها.

وفي مثل هذا الجو الخاصّ، نرى الآلهة الإيجيجي[٢] ينقلون للأب إنليل وكأنها بشارة خير ولادة أنزو على الجبل، أنزو الطائر ومنقاره على شكل منشار.

وقد يكون لهذا الطائر دور مهمّ بالنسبة للرياح والمياه من الصعب تحديده بالضبط بسبب فقدان حوالى ثلاثين سطراً في هذا الموضع من اللوحة الأولى ونرى بعد ذلك، الإلّه إنليل يتفحّص هذا المخلوق الغريب، ويتساءل عمّن دفعه إلى الوجود على قمّة الجبل، (جبل خيخي)[٣]، ويفسّر له الإلّه إيا هذا الوجود مشيراً إلى آلهة الأبسو[٤]، ومياه الفيض وماء الأبسو ـ العذب، والأرض الفسيحة التي ولدته ووضعته على قمّة الجبل.

ونرى هنا إيا، ينصح إنليل بوضع أنزو في خدمته.

---

(١) (Asakku) وحش المنطقة الجبلية المرعب الذي «لم يتولّ تربيته أي أب» وسوف يرد النص الكامل عنه في الكتاب الثالث.

(٢) (Igigi) مجموع آلهة السماء، وفقاً لهذا النص.

(٣) (Khikhi) يعتقد أن جبل خيخي هو جبل البشري الواقع في المنطقة الشمالية الشرقية من الأراضي السورية وهو مؤلف من رمال ممزوجة بمادة الزفت الطبيعي.

(٤) (Apsu) الأبسو هو محيط المياه العذبة الباطنية ومقر الإلّه إيا.

وهكذا يسفيد أنزو من مناسبة اغتسال إنليل بالماء ـ الصافي، وتخليه لذلك عن علائم سلطاته، التاج والرداء، وخاصة «لوحة ـ الأقدار» التي يستولي عليها الطائر أنزو ويفرّ إلى منطقته الجبلية، مسيطراً بذلك على الصلاحيات الإلّهية.

وينتج عن ذلك، أن عمّ الشلل والجمود كل شيء، وفقد قدس الأقداس بهاءه وجلاله، فاجتمع مجلس الآلهة، برئاسة الإلّه آنو[١] لإيجاد حلّ لمشكلةٍ خطيرة كهذه، فتقرّر أولاً إيفاد الإلّه أدد للسيطرة على أنزو بسلاحه، ولكن أدد يبدي تخوفه لأن أنزو حطّ على جبل صعب المنال وهو يمتلك الآن لوحة الأقدار، مما يجعل كلمته تضاهي بقوتها ما كانت عليه كلمة إنليل.

يحاول الآلهة بعد ذلك تكليف الإلّه جيرّو، ابن آنّونيت[٢] الذي يرفض للأسباب نفسها، ونشهد كذلك رفض الإلّه شارا، ابن عشتار[٣].

وتتملك الحيرة عند ذلك مجلس الآلهة، ويعمّ الاضطراب لعدم التوصل إلى الحلّ المنشود. حين يتدخل الإلّه إيا، «الأمير» الذي يسكن الأبسو، وهو الممتلىء حكمة والمتفوق ذكاءً، فيعلن أمام جميع الإيجيجي[٤] الآلهة المجتمعين، أنه سوف يعيّن لهم الإلّه الذي سوف ينتصر على أنزو. ويطالب قبل ذلك باستدعاء الإلّهة ـ الأم، سيّدة الآلهة، قديمتهم، وهي الإلّهة مامّي[٥] أم جميع الآلهة الإيجيجي والأنوناكي[٦].

ولدى قدومها، يطلب منها إيا أن تقبل بتكليف مفضّلها الإلّه نينورتا، الذي هو الوحيد، الذي يستطيع ببطولته وإقدامه، استرجاع لوحة ـ الأقدار بعد الانتصار على الطائر أنزو.

تقبل مامّي المهمة، فتستدعي نينورتا، وتطلب منه بكل جلال الدفاع عن السيادة وصون الملكية التي عينتها هي بذاتها لآن[٧] في السماء ولإنليل على الأرض، والتي تمكّن أنزو من الاستئثار بها.

---

(١) (Anu) إلّه السماء.

(٢) (Annunit) إلّهة سماوية يرتبط اسمها باسم آن إلّه السماء وهي هنا أم جيرّو «نار السماء».

(٣) (Ishtar) هنا بصفتها إلّهة محاربة وشارا إلّه العواصف هو وليدها أي سلاحها.

(٤) (Igigi) هنا مجموع آلهة السماء.

(٥) (Mammi) الإلّهة ـ الأم البدئية.

(٦) (Anunnaki) مجموع آلهة الأرض والعالم السفلي.

(٧) (An) إلّه السماء. ويتضح من هذا النص، أن الإلّهة ـ الأم مامّي هي التي عينت لآن السلطة على السماء، ولإنليل سلطته على الأرض.

كما طلبت منه، الدفاع عن شرف أبيه إنليل الذي سُلبت منه لوحة ـ الأقدار.

يستعد نينورتا للمعركة، فيلجمُ الرياح السبع «الرياح ـ الشرّيرة» والمُقْتَحِمات السبع والدوّامات السبع، حاملات الغبار. كما يُعدّ سهامه المسمومة.

إلا أنه لدى لقاء نينورتا والطائر أنزو، فإن محاولة نينورتا تُفشِلُها مَقْدَرةُ أنزو السحرية بسبب امتلاكه للقدرات الإلَهية، إذ يتمكن من رد سهام نينورتا إلى أصولها أي أن يعود السهم المصنوع من القصب إلى مقصبته وبالإضافة إلى ذلك أن يعودَ خشبُ القوس إلى دغلته وكذلك وترها إلى صلب الضأن الذي استُخرج منه. وهكذا تتعطّل المعركة ويتعذّر الانتصار على أنزو. لذلك يسارع نينورتا إلى إيفاد أدد إلى إيا لكي يروي على مسامعه ما حدث، ويطلب نصحه. ويعود أدد حاملاً معه خطّة القتال: وهي التوصل إلى جعل أنزو يخفض جناحيه تحت وطأة الرياح ومن ثم بترها بواسطة سلاح قاطع. وبفقدان جناحيه يفقد أنزو قدرته على الكلام، ويفقد بالتالي قدرته على ردّ السهام. وهكذا أكملَ عليه نينورتا وحملت الرياح جناحيّ أنزو إلى قلب الإيكور[(١)] وعادت الملكية إليه وكذلك عادت السلطات إلى إنليل وعمّت البهجة جميع الآلهة.

اللوحة الأولى/ العمود الأول

1 هأنذا! أغنّي ملكَ الشعوب
المفضّل لدى مامّي، ابن إنليل الكلي القدرة
أنا أحتفل بنينورتا
المفضل لدى مامّي، ابن إنليل الكلي القدرة
5 المولود في الإيكور، الأول بين الأنوناكي،
سند «الإي ـ نينّو»[(٢)].
أنت رويتَ الزرائب والأجَمات والمنخفضات (؟)
والأرض المحلية والمدن
أنت المدّ العالي في المعارك،

---

(١) (E. Kur) بمعنى بيت الجبل وهو مقر إنليل في نفّر، مركز الصدارة الدينية والسلطة في ذلك الوقت.

(٢) (E. Ninnu) مقر حكم الأنوناكي.

المهيِّج المحرِّك للممزقات الحربية (؟) !
رجل ـ السلاح (؟) الغاضب الذي لا يناله التعب
والذي حملُ انقضاضُه الرعب!
إستمعوا إليّ، أغنّي بأس
هذا الكلّي القدرة
10 فهو الذي قهر وانتصر بعنفٍ
على جبلِ الحجارة
وهو الذي أطاح بسلاحه بأنزو المجنّح
وأعدم في وسط البحر الثور الوحشي
البطل الشديد ـ البأس ذو الأسلحة القاتلة
الكلي القدرة والسريع الحركة،
المقاتِل والمعارِك باستمرار!
15 في ذلك الزمان، لم تكن بعد الهياكل
أقيمت للإيجيجي
ولم يكونوا سوى تابعين عاديين لمليكهم
وإذا ما كان مَجْرَيا دجلة والفرات،
قد تم حفرهما
فإنّ منبعيهما ما كانا بعد يزودان
البلاد بالماء
حتى البحار كانت جافة (؟)
20 والغيوم، وإن كانت تبلغ أطراف الأفق
فإنها لم تكن تتشقّق (؟)

مولد أنزو كما نقل إلى مسامع إنليل

22 ومرةً، قام أكثر الآلهة بسالة
أمام الأب إنليل

21 (قام) الإيجيجي أبناؤه المجتمعون من كل صوب،

بنقل هذا الخبر:

عليك ألاّ تجهل هذه البُشرى:

25 على جبل خيخي [...]

وفي رحم الجبل [...] الأنوناكي

وهكذا أتى إلى الوجود أنزو [...]

منقاره على شكل منشار [...]

وعند ذلك [...]

نقص حوالي ثلاثين سطراً، تتابع على ما يظهر وصف الطائر أنزو وتعدّد منجزاته، دون إغفال ما كان يمكن أن يكون دوره في تدارك النقص في الماء أو ما تمّ عمله من أجل ذلك. وعندما يُستأنف النص، يُعتقد أنه كانت هناك معركة لعب فيها أنزو دوراً مهمّاً، وهناك تدخل للرياح وللمياه كما هو الحال عادة في التفجّرات الكونية.

العمود الثاني

1 من جبل خيخي (؟) [...]

أحد عشر [...]

التلال [...]

[...]

5 ولدى إطلاقه صرخةً [...]

[...] ريح الجنوب

الريح العاتية [...]

و [...] كتلة المياه

والدوّامات [...]

10 تزامنت [...]

والرياح الأربع [...]

دهشة إنليل أمام أنزو

وعندما شاهد ذلك إنليل ـ دورانكي[١]
أب الآلهة
تذكر ما قيل له بصدده:
تفحّص أنزو [. . .]
15 وتساءل حولَ مشكلة:
«من هو إذن ذلك الذي أتى إلى الوجود
بهذا الكائن الخاص؟
وما السبب في أن يكون لهذا الحيوان
شكلٌ بهذه الغرابة؟

جواب الإلّه إيا لإنليل

عن (هذه) الأسئلة، أجاب [إيا] [. . .]
ووجّه الأمير (؟) هذه الكلمات إلى إنليل:
20 «إنها بدون شك مياه الفيض (؟) [. . .]
وآلهة الأبسو [. . .] الماء ـ الصافي
والأرض الواسعة الأرجاء هي التي ولدته
ووضعته على قمةٍ من الجبل!
وبعد أن تفحّص أنزو [. . .]:
25 (قال) يجب أن يكون في خدمتك بشكل دائم
وفي حَرَمك لكي
يغلق باب قدس ـ الأقداس!

(نقص جديد مماثل بأهميته للنقص السابق. يتابع إيا من خلاله حديثه لإقناع إنليل

(١) (Duranki) بمعنى رباط الكون أو حرفياً (دور ـ آن ـ كي) الذي يربط بين السماء والأرض وهو لقب الإلّه إنليل. وتطلق هذه التسمية أحياناً على مدينة نفّر.

بإدخال أنزو في خدمته ولا بد أن تكون هناك أحداث أخرى، نجهل تماماً محتواها).

العمود الثالث

1 قَبل الإلّه عندئذٍ، ما اقترحه عليه إيا:
وعيّن حدود حَرَمه [. . .]
ووزّع على جميع الآلهة مهامّهم!
واحتفظ، بناء على قراره، بأنزو قريباً منه (؟)
5 وكلّفه بحراسة المدخل،
(مدخل) قدس ـ الأقدس الذي أنهاه مجدّداً.
كان دوماً يغتسل أمامه بالماء ـ الصافي:
وهكذا كان أنزو يراقب حركات الإلّه
وتصرّفاته كلّها!
وكان دوماً يرى أمام عينيه تاجه ـ الملكي
ورداءه الإلّهي
وكذلك لوحة ـ الأقدار
التي كان إنليل يحملها دوماً.

أنزو يضمر الاستيلاء على السيادة وينفذ مأربه

10 ولكثرة ما رأى أبا الآلهة دورانكي
على هذا الشكل،
قرر أنزو أن يستلب منه السيادة ـ
لكثرة ما رأى (أنزو) أبا الآلهة دورانكي
على هذا الشكل،
قرر أن يستلب منه السيادة:
«سوف أستولي، أنا، على لوحة ـ الأقدار
الإلّهية

15 سوف أحصر بشخصي (التحكم) بمهام جميع الآلهة
وسوف يكون العرش لي وحدي
وسوف أسيطر على جميع السلطات الإلّهية!
وهكذا سوف أصدر الأوامر إلى كافة الإيّجيجي!».
بعد أن أضمر في قلبه مثل هذه الضربة المدَبّرة،
على باب قدس ـ الأقداس الذي يحرسه
انتظر فجر الصباح:
20 وبينما كان إنليل يغتسل في الماء ـ الصافي
مجرداً من ملابسه
والتاج موضوع على العرش،
اختلس أنزو لوحة ـ الأقدار
واستأثر لنفسه بالسيادة
تاركاً بذلك السلطات ـ الإلّهية شاغرةً
وهكذا وبضربة جناح، التجأ إلى جبله.

شلل الكون بسبب هذا العمل الشائن واجتماع الآلهة

25 عند ذلك انتشر الجمود مباشرة في كل مكان
وعمّ الصمت!
وإنليل أبو الآلهة
بقي مشلولاً
وتَـجَرَّد قدس ـ الأقداس من جَلالِهِ!
ومن كل صوب قدم الآلهة
لاتخاذ قرار
ترأس آنو (المجلس)، فتح فمه
وقال كلمته
30 متوجهاً إلى الآلهة أبنائه:

«من منكم سوف يذهب للإطاحة بأنزو
واكتساب شهرة كونية نتيجةً لذلك؟

أدد، المكلف الأول

ـ صَرخوا جميعاً: «إنه آمر ينابيع السماء، إبن آنو!»
فتوجّه إليه رئيس المجلس عندئذٍ،
35 «إنّه أَدَدْ، آمر ينابيع السماء، ابن آنو ـ
صرخوا جميعاً!»
توجه إليه رئيس المجلس (قائلا):
«أددْ، يا ذا القوة الفائقة! أي أَدَدْ الرهيب!
لا ترفضْ هذه المعركة!
إذهب واصعق أنزو بسلاحك
وسوف تصبح شهيراً في مجمع الآلهة ـ العظام:
40 لن يكون لك مثيل بين الآلهة إخوتِك
وسوف تخصص لك، مبنيةً وفق ما يجب
الهياكل لتكريمك
وفي العالم أجمع سوف تقيم لنفسك المحاريب:
وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور[1]!
وهكذا سوف تتمتّع أمام الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكلية!»

تهرّب أدد

45 ولكن أدد قدّم هذا الجواب،
موجهاً لأبيه آنو هذه الكلمات:
«يا أبي، إلى ذلك الجبل المتعذر البلوغ

(١) (Ekur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر.

من ذا الذي سوف يسرع خطاه؟
مَنْ بَيْنَ الآلهة أبنائك، سوف يتمكن
من الإطاحة بأنزو
وهو يمتلك لوحة ـ الأقدار؟
50 لقد استأثر لنفسه بالسيادة
تاركاً السلطات الإلَهية شاغرةً.
ثم طار لبلوغ جبله!
وصارت كلمته منذ ذلك الحين
تضاهي كلمة الإلّه إنليل ـ دورانكي!
وبكلمة واحدة منه
يتحوّل إلى العدم من يحمّله لعنته!»
فرّت قلوب الآلهة لدى سماعهم هذا الخطاب،
55 حين عَزَف (أدد) عن تنفيذ المهمة، مديراً
لها ظهره!

تكليف جيرّو

صرخ (الآلهة) عند ذلك: «(لنكلّف)
جيرّو ابن آنونيت!»
فتوجّه إليه إذن رئيس المجلس (قائلاً):
«جيرّو، يا ذا القوة الفائقة! أي جيرّو الرهيب!
لا ترفض هذه المعركة!
إذهب واصعقْ أنزو بسلاحك
60 وسوف تصبح شهيراً في مجمع الآلهة ـ العظام:
لن يكون لك مثيل بين الآلهة إخوتك!
وسوف تخصص لك مبنيةً وفق ما يجب
الهياكل لِتكريمك،

وفي العالم أجمع سوف تقيم لنفسك المحاريب:
وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور
65 وهكذا سوف تتمتع أمام الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكلية!»

تهرّب جيرّو

لكن جيرّو تقدّم بجوابه
موجهاً لأبيه آنو هذه الكلمات:
«يا أبي، إلى ذلك الجبل المتعذر البلوغ
من ذا الذي سوف يسرع خطاه؟
مَنْ، بَيْنَ أبنائك الآلهة، سوف
يتمكن من الإطاحة بأنزو
70 وهو يمتلك لوحة الأقدار؟
لقد استأثر لنفسه بالسيادة
تاركاً السلطات الإلَهية شاغرةً
ثم طار لبلوغ جبله
وصارت كلمته منذ ذلك الحين
تضاهي كلمة الإلَه إنليل دورانكي!
وبكلمة واحدةٍ منه
يتحوّل إلى العدم من يحمّله لعنته!»
75 فرّت قلوب الآلهة، لدى سماعهم هذا الخطاب،
حين عزف (جيرّو) عن تنفيذ المهمة
مديراً لها ظهره.

تكليف شارا وعزوفه

صرخ الآلهة عند ذلك: «(لنكلّف)

شارا ابن[1] عشتار!»
فتوجّه إليه رئيس المجلس (قائلاً):
«شارا، يا ذا القوة الفائقة! أي شارا الرهيب!
لا ترفض هذه المعركة
80 إذهب واصعق أنزو بسلاحك
وسوف تصبح شهيراً في مجمع الآلهة ـ العظام:
لن يكون لك مثيل بين الآلهة إخوتك!
وسوف تخصص لك، مبنية وفق ما يجب
الهياكل لتكريمك،
وفي العالم أجمع، سوف تقيم لنفسك المحاريب:
85 وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور!
وهكذا سوف تتمتع أمام الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكليّة!»
لكن شارا قدّم هذا الجواب
موجهاً لأبيه آنو هذه الكلمات:
«يا أبي، إلى ذلك الجبل المتعذر البلوغ
من ذا الذي سوف يسرع خطاه؟
90 مَنْ، بَيْن أبنائك الآلهة سوف
يتمكن من الإطاحة بأنزو
وهو يمتلك لوحة الأقدار؟
لقد استأثر لنفسه بالسيادة
تاركاً السلطات الإلّهية شاغرةً
ثم طار لبلوغ جبله
وصارت كلمته منذ ذلك الحين

(١) بمعنى المفضّل لدى عشتار.

تضاهي كلمة الإلّه إنليل ـ دورانكي

95 وبكلمة واحدةٍ منه

يتحوّل إلى العدم من يحمِّله لعنته!»

فرّت قلوب الآلهة لدى سماعهم هذا الخطاب،

حين عَزَفَ شارا عن تنفيذ المهمة

مديراً لها ظهره.

الحيرة تسيطر على الآلهة، وإيا يتدخل

خيّم الصمت على الآلهة عند ذلك

وتخلّوا عن مشروعهم

وبقي الإيجيجي في أماكنهم

مُكَدَّرين ومضطّربين

100 ولكن الفطن والماهر، ساكن الأبسو

معتمداً على تفوق حكمته، تصور شيئاً،

إيا، الذكيّ (!) بعد أن أعمل فِكره

قال لآنو، كل ما أعدّ له في قلبه:

«سأتكلم وسأزيل عن الآلهة همومهم:

105 وأمام كامل المجلس، سأعيّن

من سوف ينتصر على أنزو! ـ

سأتكلم وسأزيل أنا بنفسي

عن الآلهة همومهم:

وسأعيّن أمام كامل المجلس

من سوف ينتصر على أنزو!»

لدى سماع هذا الإعلان، أسرع الإيجيجي

للارتماء على رجليه لتقبيلها

110 وعندئذٍ، فتح الأمير (؟) فمه وبدأ بالحديث

موجهاً إلى آنو وداچان[1] هذه الكلمات:
«يجب استدعاء سيدة الآلهة وكبيرتهم،
الخبيرة ومستشارة إخوتها الآلهة،
لإعلان سموها على الجميع في المجلس،
115 وعلى جميع الآلهة المجتمعين هنا، تحيّتها بإجلال!
وعند ذلك سوف أبلغها ما أضمرته!»

دعوة الإلّهة ـ الأم

دُعيت إذن، سيدة الآلهة، كبيرتهم
الخبيرة ومستشارة إخوتها، الآلهة
وأُعْلِنَ في المجلس سموها على الجميع
120 والآلهة المجتمعون، جميعهم، حيّوها بإجلال

إيا يوجه طلبه إلى الإلّهة ـ الأم

عند ذلك، وبالحكمة التي هي في قلبه
أعلن لها إيا:
«في السابق كنت تُعرفين باسم مامّي:
ومن الآن وصاعداً، «سيّدة الآلهة جميعاً»،
سوف يكون اسمك!
ولكن، امنحينا موافقتك بالنسبة لمفضّلك
البهيّ والمقتدر
125 البطل القوي، القادر وحده على الانتصار
في المعارك والحروب!
امنحينا نينورتا مفضلك البهي والمقتدر

(١) (Dagan) منذ الفترة البابلية القديمة وبتأثير عمّوري على ما يظهر، ثم التقابل بين إنليل والإلّه داچان العموري.

البطل القوي القادر على ربح
المعارك والحروب!
الإلّه [. . .] في مجمع الآلهة(؟) !
وليمجّد بين [. . .]
130 بين جميعهم [. . .]
[. . .] مكان تعبّد [. . .]
الإلّه [. . .]
[. . .]
في [. . .] !»

قبول مامّي واستدعاء ابنها

135 ولدى سماعها هذا الخطاب الحاذق،
أعطت، الفائقة ـ السمو سيدة ـ الآلهة موافقها.
وعند سماع ذلك، أسرع الإيجيجي فرحين
للارتماء على رجليها لتقبيلها!
واستدعت إذن ابنها إلى مجلس الآلهة

العمود الرابع

1 ولدى حضوره، توجّهت
إلى مفضّلها بهذه الكلمات:
«أمام الإلّهين آنو وداچان [. . .]
أثار الآلهة مجتمعين
موضوع سلطاتهم الإلّهية!
إعلم أنني أنا هي التي ولدت جميع الإيجيجي
5 أنا التي خلقتهم بكاملهم
هم، وكذلك مجموعة الأنونّاكي ـ العظام!

[أنا التي منحت] السيادة
[لإنليل أخي (؟)]
وعيّنت لِآن سلطته العليا في السماء:
ولكن هذه الملكية التي أسستُها
تمكّنَ أنزو من تعطيلها!
10 لوحة ـ الأقدار،
التي في مجمع [الآلهة. . .]،
إنه استلبها من إنليل، ملحقاً العار بأبيك!
واستأثر لنفسه بالسلطات الإلّهية كلّها!

اللوحة الثانية/ العمود الأول

1 اقطع عليه الطريق! ضع حداً لتجاوزاته
وأعِدْ البهجة إلى قلوب الآلهة الذين خَلَقْتُهم!

مامّي تكلّف نينورتا بالتخلص من أنزو

ادخل معه في معركة نهائية:
ولترافقك على القمة، الرياح ـ السبع
5 بغية أسر الأنزو المجنح،
ففي ذلك إراحة الأرض التي كوّنْتُها
دَمّر الجبلَ، مكان إقامته:
وليسقط عليه الذعر ثقيلاً
عندما تهتاج يدك العارفة بالقتال!
أطلق (!) عليه جميع الأعاصير الدوّامية
10 اصلِ قوسَك وسمّم سهامك،
بدّل بوجه شيطانٍ، وجهك!
انشر الضباب بحيث لا يتعرف عليك:

وليلفّه غمر إشعاعك.
ارتدِ (كل) بريقك
وشُنَّ عليه هجوماً لا مثيل له
15 وفي الأعالي (؟) ليتوقّف شمش عن التألق
فيجعل بذلك نهارَه ليلاً داكناً!
ثمّ سَيْطر على حياته: إقهرْ أنزو
ولتحمل الرّياح إلى السرّ (؟) جناحيه
حتّى الإيكور، مقام أبيك إنليل!
20 اكتسح وخرب الجبل وحقوله
اقطع رقبة هذا اللعين أنزو!
عندئذ سوف تعود الملكية إلى الإيكور
وتعود السلطات الإلّهية إلى أبيك ووالدك!

وعود مامّي بمكافآت ما بعد النصر

(وهكذا) سوف تُخَصَّصُ لك، مبنية وفق ما يجب
الهياكل لتكريمك
25 وفي العالم أجمع سوف تقيم المحاريب لنفسك:
وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور!
هكذا سوف تتمتع تجاه الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكلية!»

نينورتا يقتنع ويعدّ للمعركة

لدى سماع البطل لحديث أمه
ملأت الشجاعة قلبه، وكمحاربٍ باسل
تقدم نحو الجبل:
30 فلَجَم المُتَجِمَات ـ السبع

لجم الرّياح ـ السبع ـ الشرّيرة
ولجمَ الدوّامات السبع، حاملات الغبار
معدّاً بذلك فرقة قتال رهيبة
رمى بها في المعركة.
وبانتظار المواجهة (؟)
بقيت إلى جانبه ريح الشمال يقِظَة.

المواجهة:

هوَ ذا، في قلب الجبل، حيث وَجَد الإلّه،
وأنزو نفسيهما وجهاً لوجه!
وعندما شاهده أنزو، تقدم نحوه
كازّاً أسنانه مثل وحش مفترس
فملأ الجَبلَ ببريقه الخارق للطبيعة!
ثُمّ هائجاً، زأر مثل أسد
وبقلبٍ ملؤه الغيظ صرخ (قائلاً) للبطل:
40 «لقد استأثرتُ بالسلطات الإلّهية كلّها،
وتحت تصرّفي مهامّ الآلهة!
من أنت إذنْ لتأتي بقصد محاربتي؟
تقدّم بإجابتك!»
هكذا تحداه (أنزو)
إذ وجّه إليه مثل تلك الكلمات!
[ولدى سماعها] أجاب نينورتا أنزو:
45 «إنني بناء على أوامر آنو ودورانكي
مؤسس الأرض الفسيحة
ولأوامر إيا سيد الأقدار
أتيت لمجابهتك،

أتيت لمحاربتك وسحقك!»
عندما سمع أنزو هذه الكلمات
أطلق من على جبله صيحةً وحشية!
50 فعمّت الظلمات: استتر وجه الجبل
وأظلم النورُ الإلّهي شمش.

العمود الثاني

1 وفي نفس الوقت مع (صياح) أنزو هدر
[الرعد (؟)] بقوة!
ومنذ بداية المناوشات، وعلى موقع الحلبة
انحدر الطوفان
ومن درع أنزو، كان الصدر مخضّباً بالدماء (؟)!
أمطرت الغيوم موتاً وبسرعة البرق
تساقطت منها السهام،
5 [. . . (؟)]: بلغت المعركة أوجها بينهما.
حبيب مامّي، ابن الآلهة الرائع والمقتدر
معاون آن وداچان، المفضل لدى الأمير (؟)
وتّر عندئذٍ قوسه وصلاها

قدرة أنزو السحرية، تعيد السهام إلى أصولها وكذلك القوس

ثم أطلق من بطن قوسه سهماً،
لكن السهم عاد دون إصابة أنزو
10 لأن (أنزو) أمر السهم صارخاً:
«أنت الذي تتوجه نحوي، عُدْ إلى مقصبتك:
عُدْ إلى أجمتك يا خشب القوس!
وإلى صلب الضأن أيها الوترا

وعذ إلى عصافير أصلك يا ريش جنيحات السهم!»
وهكذا فإن لوحة ـ الأقدار التي كانت بحوزته
15 سبّبت بذلك، إزالة وتر القوس
وإبعاد السهم عن جسده
تعطّل عندئذٍ القتال وتوقّفت المعركة
وسكت صليل الأسلحة على الجبل
دون أن يتمكّن نينورتا من قهر أنزو

نينورتا يلجأ إلى نصح إيا

قام (نينورتا) عند ذلك باستدعاء أَدَدْ (؟)
وأصدر إليه هذا الأمر:
«إذهب وردّد ما رأيت على مسامع إيا
وقل له (أيضاً):
20 «هذا ما فعله نينورتا، أيها الإلّه
عندما تَواجَهَ مع أنزو،
نينورتا، وقد غطّاه غبار أرض المعركة
وتّر قوسه وصلاها
ومن بطن قوسه، أطلق على أنزو سهماً
ولكن السهم عاد دون إصابته
لأن أنزو أمره صارخاً:
25 «أيها السهم الموجّه نَحْوي عُدْ إلى مقصبتك!
عُدْ إلى أجمتك يا خشب القوس!
وإلى صلب الضأن (عُدْ) أيها الوتر!
وعُدْ إلى عصافير أصلك يا ريش جنيحات السهم!
وهكذا فإن لوحة ـ الأقدار التي بحوزتهِ

العمود الثالث

1 سبّبت إزالة وتر القوس
وأبعدت السهمَ عن جسده
تعطل عندئذٍ القتال وتوقفت المعركة
وسكت على الجبل صليل الأسلحة
دون أن يتمكن نينورتا من قهر أنزو!»

إيا يعدّ لنينورتا خطة قتال

5 بعد أن سمع الأمير (؟) قضية «ابنه»
توجه إلى أدد (؟) وأصدر إليه الأمر التالي:
«امضِ وكرّر لسيدك كلماتي!
كل ما أقوله لك، أعده على مسامعه:
«لن يتوقف القتال إلا بانتصارك!
عليك إنهاك أنزو إلى أقصى حدّ
(وذلك) بتعريضه إلى عَصَفات ريح، تضّطره
إلى خفض جناحيه
10 عند ذلك وعوضاً عن سهامك
تناول سلاحاً قاطعاً
وابتُرْ جناحيه مشوهاً إياه يميناً وشمالاً
بحيث تُعَطِّلُ رؤيته لجناحيه على هذه الحال
الكلمةَ في فمه
وسوف يكتفي بالمطالبة بجناحٍ ثم بالآخر!
ثم لن تخشاه بعد ذلك
بل عليك فقط توتير قوسك ومن بطنه
15 لتنطلق السهام سريعة كالبرق
بينما جناحاه وقادمتاه، سوف

تختلج وهي مدمّاة (؟) !
سيطرْ عندئذٍ على حياته: إقهرْ أنزو
ولتحمل الرياح إلى السر (؟) جناحيه،
حتى الإيكور[1]، مقام أبيك إنليل.
20 إكتسحْ وخرّب الجبل وحقوله
إقطعْ رقبة هذا اللعين أنزو!
عندئذ سوف تعود الملكية إلى الإيكور
وترجع السلطات الإلّهية إلى أبيك ووالدك.
(وهكذا) سوف تخصصُ لك مبنيةً وفق ما يجب
الهياكل لتكريمك
25 وفي العالم أجمع سوف تقيمُ المحاريبَ لنفسك:
وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور!
بذلك سوف تتمتع تجاه الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكلية!»
قَبِلَ أدد (؟) وهو ساجد المهمة
بنقل قضية المعركة إلى سيّده.
30 وكرر عند ذلك على مسامعه، كل ما
قاله له إيا:
«لن يتوقف القتال إلا بانتصارك
عليك إنهاك أنزو إلى الحدّ الأقصى
بتعريضه إلى عَصَفات ريحٍ
تضطره إلى خفض جناحيه
عند ذلك، وعوضاً عن سهامك
تناول سلاحاً قاطعاً

---

(١) (Ekur) بمعنى بيت الجبل وهو مقر الإلّه إنليل.

35 وابترْ جناحيه مشوِّهاً إياه
يميناً وشمالاً
بحيث تعطّلُ رؤيته لجناحيه على هذه الحال
الكلمةَ في فمه:
وسوف يكتفي بالمطالبة بجناحٍ ثم بالآخر!
ثم لن تخشاه بعد ذلك
بل عليك فقط، توتير قوسك، ومن بطنه،
لتنطلق السهام سريعةً كالبرق،
بينما جناحاه وقادمتاه
سوف تختلج وهي مدمّاة (؟) !
40 سيطرْ عندئذٍ على حياته: إقهر أنزو،
ولتحمل الرياح إلى السرّ (؟) جناحيه
حتى الإيكور، مقام أبيك إنليل!

العمود الرابع

1 عندئذٍ سوف تعود الملكية إلى الإيكور
وترجع السلطات إلى أبيك ووالدك!
(هكذا) سوف تُخَصَّصُ لك مبنيةً وفق ما يجب
الهياكل لتكريمك
وفي العالم أجمع، سوف تقيم المحاريب لنفسك:
وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور!
5 بذلك، سوف تتمتع تجاه الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكلية!»

يتشجع نينورتا بعد تلقيه رسالة إيا

لدى سماع البطل نينورتا هذه الرسالة

من طرف «أبيه» إيا، الأمير (؟)
ملأت الشجاعة قلبه، وكمحاربٍ باسل
تقدم من جديد نحو الجبل
فلجم المُقْتَحِمات ـ السبع،
لجم الرياح ـ السبع ـ الشرّيرة،
10 ولجم الدوّامات ـ السبع ـ حاملات الغبار.

تنتهي هنا اللوحة الثانية. أما اللوحة الثالثة، فلم يبقَ منها مع الأسف سوى ثلاث نتفٍ عُرّفت بالأحرف (أ) و(أ) و (ب). والجزآن الأول والثاني هما على ما يظهر تكرار أحدهما للآخر ويرويان المعركة بشكل مقتضب. أما الجزء الثالث (ب) فيحتوي على رواية للمعركة أكثر تفصيلاً. ومن الصعب التأكيد فيما إذا كانت هذه الأجزاء تعود لنسختين مختلفتين أم لا. وهي غالباً في حالة سيئة ونقدّم فيما يلي ما يمكّن من متابعة حوادث المعركة بشكل إجمالي.

اللوحة الثالثة

[معدّاً بذلك فرقة قتال رهيبة
رمى بها في المعركة[1]

الجزء (أ)/ الوجه الأول

[. . .]
(3) إنتفض [نينورتا] وأعطى إشارته للمعركة:
[. . .] دخل المعركة
(5) أرسل جيوشه [. . .]
بإمرة ريح ـ الشمال [. . .]
بإمرة ريح ـ الجنوب [. . .]

(١) هذه البداية مأخوذة عن اللوحة الثانية، العمود الأول، (السطر ٣٣).

بإمرة ريح ـ الشرق [. . .]

بإمرة ريح ـ الغرب [. . .]

(10) كان يقذف شعلة بعد شعلة

وبهذه اللُّهُب، كان يفني الأعداء محرقاً،

وكانت البروق تقصف كل ما كان يفتح فمه!

[. . .] وبسرعة أصبح نينورتا

على مقربةٍ من أنزو

[. . .] الصراع [. . .]

(15) [. . .] أنزو (؟) رفع رأسه [. . .]

إلى

(18) نينورتا [؟] ارتفع إلى أعلى السماء

ثم أطلق للهجوم (؟) جيشه [. . .]

(20) وبسرعة [. . .] البطل [. . .]

وحين نشر (؟) بريقاً خارقاً للطبيعة رهيباً

كان الرعب أمام بسالته يقلب [. . .]

وكان جلاله المهيب، يغطّي المنطقة كلّها

وروعة بريقه الخارق ـ للطبيعة

هدّت الجبل بكامله.

(25) وبلمحة نظر، هزّت (؟) زوبعةٌ

أنزو (؟) [. . .]

وبعد أن هزته (؟) [. . .]

هنا يمكن اللجوء إلى الجزء (ب) للمتابعة

الجزء (ب)/ العمود الأول

1 [. . .]

[. . .] رعشةُ رَهبةٍ

[أمسك (؟)] أحدهما بالآخر
ولكن نينورتا، بواسطة عصفات ريح
أنهك أنزو إلى حدّ
أجبره على خفض جناحيه!
(5) وعوضاً عن سهامه، تناول عندئذٍ
سلاحاً قاطعاً
وبترَهُما، مشوهاً إياه يميناً وشمالاً
بحيث عطّلت رؤيته لجناحيه على هذه الحال
الكلمة في فمه!
[... الدهشة/ الألم (؟)] أرزحاه
[...] يأسه
(10) [...] سهماً
[...] السهم!
عند ذلك اكتسح بوحشية [...]
بوحشيةٍ، اكتسح [...]

نهاية العمود الأول والعمود الثاني غير مقروءةٌ وللمتابعة يجب العودة إلى الجزء (أ) مكرر.

الجزء (أَ)/ الوجه الأمامي
نينورتا ـ يرسل إشارة الانتصار وفرح الآلهة بذلك

(28) وبصرخةٍ أشعل البطل عندئذٍ
إشارةَ نار[1]
(جعلت) آلهة العالم السفلي يدخُلون [...]

---

(١) إشارة مضيئة، ذكرت أيضاً في نصوص مملكة ماري.

(30) العالم السفلي [. . .]
ساكنو الأبسو، مقر إيا [. . .]
ساكنو البحر [. . .] لمأثرته الملكية

الوجه الخلفي

[. . .] البطل جاءوا [. . .]
[. . . ـ] ـهم فارت مثل الماء
(35) وكسُحُبٍ [. . .]
أدخل [الفرح (؟) . . .] إلى من هم في الأعلى
جعل من هم في الأسفل يرفعون رؤوسهم
في الشمال [. . .]
[. . .] السكان (؟) مفتشين برغبة حارّة
(40) [. . .] جثة أنزو الكاملة
[. . .]
(45) وملأ الفرح قلبي إنليل وننليل!

لم يبق من الوجه الخلفي أعلاه إلا بعض أجزاء أسطر، تصل حتى السطر (٦٧) يليه الجزء المكسور من اللوحة. ومن غير الممكن متابعة تسلسل الأحداث من خلالها، إلا أنه أمكن هنا وهناك قراءة بعض الأسماء أو التعابير القصيرة مثل: آن وداچان واسم نينورتا، ثم «أنزو الذي تجرّد منه الحياة» (سطر ٥٥) ثم «ابتهاج الإيكور» (سطر ٥٦) و «إقامة الهياكل» تكريماً لنينورتا مما يدل على أن مكافأته تمت فعلاً.

أما العمود الثاني من الجزء (ب) والذي لم يبق منه سوى بدايات أسطر عشرين، فيشير على ما يظهر إلى تكليف أدد (؟) بمهمةٍ جديدة لدى نينورتا، لإبلاغه رضى الآلهة عنه وفرحَهم بانتصاره.

نينورتا يتلقى تقدير إنليل

(7) «سيدي [أرسلني] إليك

إنليل، أبوك كلّفني أن أقول لك:
الآلهة عرفوا [(؟) . . .]
10 (و) (؟) في قلب الجبل، أنك
أطحت بأنزو
وبذلك دخلوا في حالة من
الفرح والابتهاج [. . .]
وبحضورك [. . .]
إذهب لمقابلته و [. . .]

وفي التتمة غير المقروءة يظهر اسم نينورتا مرة واحدة وكذلك «لوحة ـ الأقدار».

ملاحظة أخيرة

هناك نص أخير جزئي، اكتشف بالقرب من مدينة الموصل في عام ١٩٦٩ ولم يترجم إلا مؤخراً (١٩٨٨)، لم يعتمد عليه هنا وهو يعود إلى ما قبيل منتصف الألف الأول (ق. م) ويوازي في محتواه النص المقدّم أعلاه إلا في ما يتعلق بالمشاهد الأخيرة التي سبقت الانتصار على أنزو:

- فالرسول في نص الموصل ليس أدد بل شارور[١] وهو سلاح نينورتا السحري.
- وحين يفقد أنزو جناحيه، فإنه يكرر إحدى جمله السحرية، الموجّهة إلى سهام نينورتا، بشكل خاطىء، مما يجعل الأمور تنقلب عليه ويشارك هو بنفسه في انتصار خصمه.
- إنليل، لا يوفد أدد إلى نينورتا لنقل تقدير الآلهة، بل يوفد إلّهاً ثانوياً، تحت اسم بيردو[٢].
- تقام لنينورتا الهياكل التي تصل حتى بلاد عيلام وسوز. . . وفي كل منها يطلق عليه لقب خاص، مما يذكر بألقاب مردوك في قصيدة التكوين والخليقة التي أتت

(١) (Sharur) يستطيع الانتقال بنفسه للاستطلاع والإبلاغ عن وضع العَدو.
(٢) (Birdu).

فيما بعد والمثبتة في هذا الكتاب.

- ينتهي هنا عرض النص الأكادي لصراع نينورتا مع الطائر أنزو. ونتابع في ما يلي، كما عرضنا آنفاً، النص السومري لهذا الصراع.

النص السومري لصراع نينورتا مع الطائر أنزو عقاباً له على خيانته

عثر على هذا النص في مدينة سوز الإيرانية. ويتألف من لوحتين تعودان إلى ما قبل منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، ويرجّح أن كتابتهما تمّت في بلاد ما بين النهرين. يتتابع مُحتوى اللوحتين وهما مُخرّبتان في بعض المواضع إلا أن التكرار والتوازي في بعض المقاطع جعل متابعة النص ممكنة.

ويتألف نص اللوحتين من حوالى ١٦٠ سطراً، ويسرد الجزء الأوسط من قصة الصراع مع أنزو: ويمكن القول كانت هناك لوحة أولى مفقودة لتقديم موضوع الصراع ولوحة رابعة مفقودة أيضاً لاختتامه.

وبصورة عامة يتبع السرد هنا ما عرفناه في النص الأكادي السابق مع الفرق بأن نينورتا يحمل هنا لقب نينجيرسو[١] أي سيّد ـ جيرسو.

يبدأ النص بما تلا حادث اختطاف لوحة ـ الأقدار من قبل أنزو ويقف قبل محاولة نينجيرسو للإقدام على هجومه الثاني الذي حقق انتصاره.

حالة الكون بعد اختطاف لوحة ـ الأقدار

اللوحة الثانية

1 وبما أنه صَادَرَ السيادة

فإنّ السلطات ـ الإلَهية شَغَرت

(١) (Ningirsu) لقب نينورتا خلال الفترة السومرية الجديدة ومدينة جيرسو هي تلّلو الحالية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من لغش.

وأصاب الشلل إنليل أبا الآلهة،
كما اختفت الجلالة وعمّ الصمت
وكان الإيجيجي بكاملهم في حالة ارتباك كبير!
5 وجُرِّد قدس ـ الأقداس من جلاله
ومن جميع الأطراف توافد آلهة الأرض
لاتخاذ القرار.

آنو يقترح أدد للإنقاذ

وحين فتح فمه آنو رئيس المجلس
توجّه إلى الآلهة أبنائه:
«يا معشر الآلهة، من منكم سوف يقضي على أنزو؟
10 ويحصل بالتالي على المجد الأعظم!»
صرخوا جميعهم: «إنه سيد ينابيع السماء
(أدد)، ابن آنو!»
توجّه إليه الرئيس عندئذٍ
[لا ترفضْ] هذه المعركة
إذهبْ واصعقْ أنزو بسلاحك،
وسوف تصبح شهيراً بين الآلهة ـ العظام
لن يماثلك أحد بين الآلهة إخوتك.
15 وسوف تتمتع أمام بقية الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكلية!»
ولكن سيّد ينابيع السماء أجاب:
«أي أبي، نحو ذلك الجبل المتعذر البلوغ
من ذا الذي سوف يسرع خطاه؟
أي إلَهٍ بين أبنائك يضاهي أنزو
إنه امتلك لوحة ـ الأقدار

وصَادَرَ من الإلّه السيادة

20 ثم طار لبلوغ جبله

وصارت كلمته منذ ذلك الحين

تضاهي كلمة الإلّهي دورانكي،

وإلى العدم يتحول [من تصيبه لعنته (؟) !]

فرّت قلوب الآلهة لدى سماعهم هذا الخطاب

وأصدر آنو (؟) أمراً بعدم المتابعة (؟)

تكليف جيرّو وشارا ورفضهما

25 صرخ (الآلهة) عند ذلك (لنكلّف)

جيرّو ابن أنّونيت!»

فتوجّه إليه الرئيس عندئذٍ

وبما أن النصّ يتابع حرفياً ما سبق على لسان آنو وفي جواب أدَدْ فإن الناسخ لم يجد ضرورة للتكرار وانتقل مباشرة إلى المرحلة الثانية، أي تكليف شارا.

«صرخ الآلهة عندئذٍ (لنكلّف) شارا

«ولد» عشتار!»

ناسخ النص، هنا أيضاً لا يكرر محتوى تكليف شارا ورفضه المماثل لما سبق.

الآلهة يطالبون بتدخل إيا

ولما عاد الهدوء

فتّش الآلهة من جديد عن حلّ!

وفي اجتماع مجدّد للإيجيجو

بعد هذه الفترة المضطربة

وضع (الآلهة) في المقدمة، الحادَّ الفِطنة

ساكنَ الأبسو،
ومن إيا (طلبوا) أن يقول ما أعدّ له
في قلبه (فقال):
«سوف أثير أنا بنفسي، انكسار أنزو:
وفي قلب المجلس، سوف أعين المنتصر!»
ولدى سماع آلهة الأرض هذا التصريح
35 تقدّموا بكل احترام وقبلوا رجليه

إيا يضع أمّ كِبار الآلهة في المقدّمة ويطلب منها استدعاء «ابنها» المفضل

أعلن إيا عندئذ في وسط المجلس
شُموّ ماخ[1] الفائق، سيدة الأقدار (قائلاً لها):
«استدعي مفضلك البهيّ والمقتدر
البطل الذي هو قادر وحده على
شنّ اقتحامات سبعة بنجاح -
نينجيرسو مفضلك البهي والمقتدر
40 البطل القادر وحده على
شنّ اقتحامات سبعة بنجاح!»

قبول الأم السامية

ولدى سماعها هذا الخطاب الحاذق،
ماخ، ذات السمو - الفائق قَبِلَتْ
ولسماع ذلك، أتى آلهة الأرض مغتبطين
لتقبيل رجليها بكل احترام.
وحين استدعت إلى مجلس الآلهة
ابنها، الحبيب إلى قلبها،

(١) (Maḫ) و (Nin-Maḫ) بمعنى السامية أو السيدة الفائقة السمو - هو لقب الإلّهة الأم مامّي.

وجّهت إليه التعليمات (التالية):

45 «أمام الإلّهين آنو وداچان

أثار آلهة الأرض مجتمعين قضية

سلطاتهم - الإلّهية.

إذن فلتعلمْ بأنني أنا مامّي.

ولدتُ جميع الإيجيجو:

[لذلك سوف أقاتل (؟)]

ضدّ عدوّ الآلهة!

أنا هي التي منحت السيادة

لإنليل أخي وكذلك لآنو!

50 [فمن الآن فصاعداً (؟)]، هذه السيادة

التي عينتها لهما شخصياً

سوف أنقلها (؟) إليك [...]

ولكن عليك أولاً، تحويل [هذه الكارثة]

إلى نصر.

أعِدْ البهجة إلى قلوب الآلهة الذين خلقتُهم!

أدْخُلْ معه في معركة نهائية

55 ولترافقك الرياح - الشرّيرة - السبع

وليوجّه الآلهة انتباههم نحو الجبل (؟)

< وبغية إراحة الأرض التي كوّنتُها >

قمْ إذن بأسرْ الأنزو المجنّح!

دمّرْ مكان إقامته:

وليسقط عليه الذعر ثقيلاً

عندما تهتاج يدك العليمة بالقتال

60 أطلق (؟) عليه جميع الأعاصير الدوّامية

سطران مفقودان.

اصلِ قوسَك، وسمّم سهامك!
ولتجعلَ صرخاتك اللاعِنة [. . .]
65 وليفقد أنزو قِواه وهو يتخبط في الظلمات
دون رؤية أي بصيص!
ودون أن يتمكن من الإفلات منك
يخفض جناحيه خلال اللقاء!
بدّل (عندئذٍ) بوجه شيطانٍ وجهَك
انشر الضباب بحيث لا يتعرف عليك!
وفي الأعالي (؟) ليتوقف شمش عن التألق
جاعلاً نَهارَه ليلاً داكناً!
ثمّ سيطر على حياته: إقهر أنزو،
70 ولتحمل الرياح إلى السرّ (؟) جناحيه
حتى الإيكور مقر (!) أبيك!»

(كرر الناسخ هنا خطأً السطر ٧٠).

نينجيرسو يستعدّ للمعركة

لدى سماع البطل لحديث أمّه
ملأت الشجاعة قلبه وكمحاربٍ باسل
تقدّم نحو الجبل!
75 التي تلجم الرياح ـ الشرّيرة ـ السبع
والدوّامَات ـ السبع ـ حاملات الغبار ـ
[مامّي] التي تلجم الرياح ـ الشرّيرة ـ السبع
[كانت تدفع بنينجيرسو (؟)] نحو المعركة.
الرياح ـ الشرّيرة ـ السبع رافقته

80 ووجّه الآلهة أنظارهم نحو الجبل (؟)

المواجهة

[عندما] ظهر (؟) [البطل]
على جبل أنزو (هذا)

اللوحة الثالثة

1 شاهده (أنزو) وتقدّم نحوه،
وهذا الكائن الإلّهي، صَرّ أسنانه
مثل وحشٍ مفترس
فملأ الجبلَ ببريقه الخارق ـ للطبيعة!
زأر أنزو مثل أسد غاضب
ـ 85 ـ وبقلبٍ ملؤه الغيظ، صرخ (قائلاً) للبطل:
5 «لقد استأثرتُ بجميع السلطات الإلّهية،
من أنتَ إذن لتأتي قاصداً محاربتي؟
تقدّم بإجابتك!»
ولدى سماع ذلك، أجاب البطل
نينجيرسو أنزو:
«إنني بناءً على أوامر إيا سَنَد دورانكي
والذي يقرر المصائر
ـ 90 ـ أتيت لمحاربتك ولسحقك:
10 [. . .] درعك!»
عندما سمع الجبلي هذه الكلمات
أطلق صيحة وحشية:
ومن درعه، كان الصدر مخضّباً بالدماء
ـ 95 ـ وبلغت المعركة بينهما أوجها!

15 [مفضّل (؟)] مامّي
معاون آن وداچان
المفضّل لدى الأمير (؟)
أطلق عليه سهماً
ولكن، دونما إصابة أنزو، عاد السهم
لأن أنزو أمر السهم صارخاً
«يا سهماً تتوجّه نحوي، عد إلى مقصبتك
وإلى أجمتك (عد) يا خشب القوس!»
ـ 100 ـ [. . .] الواحد (و) الآخر
20 [. . .] بسرعة

هناك نقص حوالى ٤٠ سطراً تحرمنا من تفاصيل فشل نينجيرسو في هذه المرحلة وتكليف رسولٍ بطلب النصح إلى إيا. ويُستأنف النص بدءاً من نهاية تعليمات إيا إلى نينجيرسو.

62 «ابتُرهما[1] له. مشوهاً (؟) إياه
يميناً وشمالاً
بحيث تُعطِّلُ رؤيته لجناحيه على هذه الحال
الكلمةَ في فمه!
ـ 145 ـ وسوف يصرخ: «جناحيّ! جناحيّ
(عند ذلك) لا تخشاه
65 ولكن، سيطر على حياته، وبعد تكبيل أنزو،
لتحمل الرياح إلى السر (؟) جناحيه!
ثم اكتسحْ وخرّب الجبلَ وحقوله!

(١) المقصود هنا هما الجناحان.

ولا تبقِ قط على حياة هذا اللعين أنزوا

ـ 150 ـ عندئذٍ سوف تعود الملكية إلى الإيكور

وترجع السلطات الإلّهية

إلى أبيك ووالدك!

70 وسوف تخصّص لك مبنيةً وفق ما يجب

الهياكل لتكريمك

وفي العالم أجمع، سوف تقيم المحاريب لنفسك

هجوم نينجيرسو الجديد

لدى سماع نينجيرسو رسالة أبيه

ملأت الشجاعة قلبه، وكمحاربٍ باسل

تقدم من جديد نحو الجبل.

ـ 155 ـ [...] من المعركة، الرياح الأربع [...]

[...] تَزلْزَلت الأرض [...]

[...] أظلم النهار واسودّت السماء

وأنزو اللعين، تحت وطأة الزوبعة

خفض جناحيه!

ـ (يشير هامش أخير إلى أن اللوحة تحتوي على «سبعة وسبعين سطراً»).

(٦٣) ـ الإلهة نانشي
تحمي وتحاكم

١ ـ منذ ملكية مدينة لغش الأولى أقدم الملك السومري أورو ـ كاجينا[١] الذي حكم حوالي ٢٣٥٥ ق. م، أقدم في حركة إصلاحية جريئة على إقامة العدالة، وأعاد للمواطنين المظلومين حريتهم وعزّل مراقبي الظلم وجباته، وأبعد المنتفعين والمرتزقة والمتعسفين، كما خلّص البلاد من المرابين واللصوص والمجرمين وتعاهد أورو ـ كاجينا مع الإلهين نينجيرسو[٢] ونانشي[٣] بأنه لن يسمح بأن يتحول الأرامل والأيتام إلى ضحايا من قبل «الرجال الأقوياء».

٢ ـ وبعده أعلن أور ـ نامّو[٤] مؤسس ملكية أور الثالثة (٢١١١ ـ ٢٠٨٤ ق. م) في مقدمة تشريعه بأنه: «سهر على ألاّ يصبح اليتيم ضحية للغني وأن لا تصبح الأرملة ضحية للرجل القوي وألا يصبح الرجل الذي يملك مثقالاً واحداً ضحية من يمتلك ستين مثقالاً».

٣ ـ تلك كانت بعض معالم المثالية الأخلاقية السومرية والأكادية التي تركتها من النصوص والتشريعات مروراً بتشريع ليبيت ـ عشتار[٥] ملك مدينة إيسين[٦] الذي

---

(١) (Uru-Kagina).
(٢) (Ningirsu).
(٣) Nanshé.
(٤) (Ur-Nammu).
(٥) (Lipit-Ishtar).
(٦) (Isin) تقع على حوالي ٢٢ كم إلى الجنوب من نفّر.

حكم حوالي (١٩٣٤ ـ ١٩٢٤ ق. م)، حتى تشريع حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق. م) وشهرته المعروفة.

٤ ـ كان ذلك كما أشرنا في مقدمة هذه الفقرة (٢ ـ ٢) إرضاءً للآلهة وإطاعة لأوامرهم وطلباً لعونهم لإقامة ملكية دائمة ولتحقيق ازدهار البلاد وتأمين الرخاء للشعب.

الملك أورو ـ كاجينا أعاد تطبيق قوانين نينجيرسو، ويقول الملك چوديا[1] أيضاً بأنه نفّذ قوانين نينجيرسو ونانشي.

وكانت الإلّهة نانشي، إلى جانب نينجيرسو/نينورتا ابن إنليل (سيد مجمع الآلهة)، تشرّع وتسهر، وكان لها دورٌ أساسيّ في تهذيب المثل الأخلاقية والسهر على تطبيق العدالة وإلى جانبها إلّهة الكتابة نيسابا[2] التي كانت هي بدورها تُملي القوانين و «تعرف أسرار الأرقام»، مثلما كانت نانشي «عليمة بتفسير الأحلام».

ونانشي إلّهة لغش عُرفت بأنها التي لا تسمح بأن تهان الحقيقة والعدالة وأن تنعدم الرحمة، ونحن نعلم اليوم بأنها لعبت دوراً مهمّاً في ترسيخ تلك المفاهيم الأخلاقية والإنسانية إذْ إن المكتشفات الأثرية في مدينة نفّر مكّنت اعتماداً على تسع عشرة لوحة أو كسرة من لوحة، تّمت مقاربتها في عام ١٩٥١، مكنت من استعادة محتوى مديح ضافٍ يمجّد الإلّهة نانشي ويضم حوالى ٢٥٠ سطراً، تتّضح من خلاله معالم القواعدَ الأخلاقية السومرية وفي الوقت نفسه أهمية نانشي. ونقدم فيما يلي المقتطف المتوافر اليوم في المصادر التي هي بين يدينا:

الإلّهة نانشي:

«هي التي تعرف اليتيم وتعرف الأرملة،
هي التي تعرف ظلم الإنسان للإنسان
إنها أم لليتيم.
نانشي تعتني بالأرملة،
تحكم (؟) للفقير (؟) بعدالة

---

(١) (Gudea) حكم في لغش (Lagash) خلال ملكيتها الثانية (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤ ق. م).
(٢) (Nisaba) أو نيدابا إلّهة الكتابة السومرية.

إنها الملكة التي تجتذب اللاجىء إلى حضنها
والتي تجد للضعيف ملاذاً».

وفي مقطع لا تزال تفاصيل محتواه غامضةً، إلا أنه يُظهر الإلّهة نانشي وهي تحاكم الجنس البشري في اليوم الأول من السنة تجلس إلى جانبها نيدابا[١] إلّهة الكتابة وقرينها هايا[٢] ومجموعة من الشهود.

ويشير المديح بعد ذلك إلى أن الذين يستحقون غضبها هم:

الذين، إذْ يسلكون طريق الخطيئة، يتجاوزون اليد العليا
[.................................]
هم الذين يخرقون الأنظمة القائمة وينقضون عهودهم؛
الذين ينظرون بعين الرضا إلى أماكن السوء...؛
الذين يستبدلون وزناً ثقيلاً بوزنٍ خفيف؛
الذين يستبدلون قياساً كبيراً بقياس أصغر
[...........................]
هم الذين إذا ما أكلوا شيئاً لا يملكونه
لا يقولون: «أنا أكلته»
وإذا ما شربوه لا يقولون: «أنا شربته»، ...
هم الذين يُعلنون: «سوف آكل ما هو محرّم»
والذين يقولون: «سوف أشرب ما هو محرم».

وفي ما يلي أيضاً ما يشير إلى حسّ نانشي الاجتماعي:

من أجل تعزية اليتيم ولكي لم تعد هناك أرملة.
ومن أجل إعداد المكان حيث ينعدم الأقوياء (المستبدّون)
ومن أجل تسليم المستبدين (لعدالة) الضعفاء، ...
من أجل ذلك تتفحص نانشي دخائل البشر.

---

(١) (Nidaba).
(٢) (Haïa).

(٦٤) ـــ الإلّه مردوك
ينصّب الملوك ثمّ يعاقبهم

يُعرف هذا النص الذي تمّ نشر محتواه منذ عام ١٩٣٩ تحت عنوان مذكرات الإيساچيل[١] التاريخية، ويعود تأليفه إلى الفترة البابلية القديمة وقد يكون ذلك خلال فترة حكم حمورابي.

وبواسطة هذا النص، عمد أحد مريدي الإلّه مردوك، وهو على الأرجح أحد كهّانه في معبد الإيساچيل في بابل، عمد إلى إعلامنا عن أهمية عدم إهمال طقوس مردوك وإطاعة أوامره، فتصور المؤلف وهو على علم واسع بتاريخ بلاده، تصور سرداً خيالياً لمرحلة تاريخية واقعية تغطّي حوالي أربعة قرون، شهدت تأسيس وزوال عدة ملكيات تأسّست قبل قيام امبراطورية سرجون الكبير الأكادية وبعد زوالها.

ونشاهد في هذا السرد الخيالي، الممالك تظهر وتزدهر ثم تضمحل بإرادة الإلّه مردوك وحده، يكافىء من يخشاه ويعاقب من ينساه، وهو غيور مثل الإلّه يهوه التوراتي يتمسك بمدينته بابل ولا يغفر لسرجون الكبير هجره لبابل واتخاذ مدينة أكادي عاصمة جديدة له.

ومع أنّه لم يصلنا من هذا النصّ سوى الجزء الأوسط وفقدان بدايته ونهايته، فقد

---

(١) (E-Sagil) هو معبد الإلّه مردوك في بابل ومعناه «البيت ذو الرأس الشامخ».

رأينا فائدة من إثباته هنا للدلالة على دور الإلّه مردوك، فيما يتعلق بالثواب والعقاب، موضوع هذا الفصل. وسوف نشير إلى الفترات التاريخية التي يغطّيها هذا النص من خلال عرضه، ولا يخلو النصّ من الرموز التي تشير إلى الصراع الداخلي بين القصر والمعبد، ودفاع مردوك عن ممتلكات المعبد ومقتنياته التي يحاول رجال الملك الاعتداء عليها:

(نقص في بداية اللوحة).

[.........................]

... خلال حكم پوزور ـ نيراه[1] ملك أكشاك[2]، تمكن صيادو الإيساچيل [...] من اصطياد سمك مخصص لوجبة طعام سيد ـ الأسماك الإلّهي[3]. إلا أن جنود الملك استولوا على هذا السمك و [طردوا (؟)] الصيادين.

وبعد انقضاء تسعة أيام، حين حصل الصيّادون على السمك (من جديد)، عرضوه [للمبادلة (؟)] في بيت كوبابا[4] (صاحبة الحانة). فقدّمت كوبابا إلى الصيادين خبزاً وأعطتهم ماءً. ولكن السمك [الذي حصلت عليه بالمبادلة (؟)] جعلته دون تمهّل يصل إلى الإيساچيل. عند ذلك وجّه إليها الإلّه العظيم مردوك نظرة رضى[5]. «هذا ما يجب عمله» قالت، ومنح مردوك لكوبابا الملكية على كامل البلاد[6].

(١) (Pouzour-Nirah) أحد الملوك السومريين لفترة الملكية الثانية حوالى (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠ ق. م)، والمعروفة بفترة الملكيات القديمة.

(٢) (Akshak) إحدى مدن الملكيات القديمة التي سبقت كيش وأوروك وأور وتقع على بعد حوالى ٥٠ كم إلى الشمال الشرقي من بابل.

(٣) المقصود هو الإلّه مردوك وليد الإلّه إيا (Ea) أمير الأبسو، محيط المياه العذبة حيث تعيش المخلوقات المائية.

(٤) (Kubaba) وهي فعلاً مؤسسة الملكية الثالثة في كيش ويعتبرها النص في الأصل صاحبة حانة (؟).

(٥) أو كما تقول التوراة العبرية: «وجدت نعمة في عيني الرب».

(٦) المقصود هنا هو ملكية كيش (Kish) الواقعة على بعد حوالى ١٠ كم إلى الشمال الشرقي من بابل.

أما أور ـ زابابا[١]، وبصدد كؤوس (؟) احتواء القرابين السائلة[٢] في الإيساچيل، فإنه أمر ساقيه سرجون[٣] (قائلاً): «إستبدلْ الكؤوس!» لكن سرجون لم يستبدلها. بل على العكس، فقد أسرع بتقوى وحملها إلى الإيساچيل. ولذلك فإن مردوك ابن بيت الأبسو[٤]، نظر إليه بعين الرضا ومنحه الملكية على مناطق العالم الأربعة[٥].

إلا أن سرجون فيما بعد، أهمل طقوس الإيساچيل [وفرض] ضريبتهُ على معابد بابل. ودون موافقة مسبقة من قبل الإلّه [العظيم] مردوك، استخرج التربة من حُفَر بابل، وإذْ بنى مدينة مقابل أكّادي أطلق عليها اسم بابل[٦].

وبسبب [الإقدام على انتهاك الحرمات] على هذا الشكل، عامله مردوك معاملة العدو، وألهب ضدّه الثورات من الشرق إلى الغرب وحرمه من الراحة (إلى الأبد).

كما أن نرم ـ سين[٧] الذي قضى على حياة سكان بابل، (فإن مردوك)، وعلى مرتين، دفع ضدّه القبائل الچوتية[٨].

ولكن الچوتيين وهم أناس ضيقو الخلق ولا يبدون أي احترام تجاه الآلهة، لم يعرفوا كيف ينفذون بشكل منتظم، تعليمات الطقوس.

و (في تلك الأثناء) قام الصياد أوتو ـ هيغال[٩] باصطياد سمكٍ من على شاطىء البحر. وهذا السمك، كان من الواجب ألا يُقدّم لأي إلّه آخر قبل تقديمه إلى الإلّه

---

(١) (Ur-Zababa) أحد ملوك حكم ملكية كيش الثالثة التي أسستها كوبابا.

(٢) أي قرابين الزيت والخمر.

(٣) هو سرجون الكبير نفسه وكونه هنا يعمل كساقٍ لدى الملك يذكّر بأسطورة ولادة سرجون السرية من أمّ كانت كبيرة كاهنات المعبد وتحرّم عليها الأمومة لذلك، وكما كان الأمر بالنسبة لقصة موسى التوراتية فقد وضعته في قفة وأودعته مياه النهر فالتقطه وربّاه أحد ساحبي الماء.

(٤) أي معبد الإلّه أنكي/إيا في إريدو (Eridu).

(٥) للدلالة على امبراطورية سرجون الكبير الواسعة الانتشار.

(٦) نقل سرجون فعلاً العاصمة من بابل وتبنى عاصمة جديدة هي أكادي عوضاً عنها مثيراً بذلك غضب مردوك.

(٧) (Naram-Sin) حفيد سرجون الكبير حكم خلال فترة حوالى (٢٢٥٩ ـ ٢٢٢٣ ق. م)، أخمد ثورة ضده في سومر، هدم معبد إنليل في نفر ثم غلب على أمره من قبل قبائل الچوتي، أو الغوتو بعدما عمّت الفوضى مملكته.

(٨) (Gouti) أو (Qoutou) قبائل نزلت من جبال زغروس لا يعرف إلا القليل عن أصلهم ولغتهم. وقد استولوا على أكاد وحكموا حوالى ١٠٠ عام.

(٩) (Outou-Hegal): مؤسس ملكية أوروك الخامسة.

العظيم مردوك. ولكن الجوتيين انتزعوا من يديه هذا السمك الذي كان تمّ شيّه ولم يكن قُدّم بعد. ولهذا السبب فإن (مردوك) وبأمر سامٍ من قبله نزع ملكية بلده من قبائل الجوتي ومنحها إلى أوتو ـ هيغال.

(ثم بعد ذلك) وإذْ إن أوتو ـ هيغال الصيّاد سلّط يد الشر على مدينته، فقد حمل النهر جثته[١].

وإلى شولجي[٢] ابن أور ـ نامّو[٣]، منح مردوك عند ذلك الملكية على جميع البلاد. ولكن هذا الأخير لم يؤدِ طقوسه بكاملها ودنّس مراسم التطهير، [فعاقبه] (مردوك) على خطيئته، [. . .، ونزع عنه الملكية].

[. . . . .]

(بقية النص مفقودة)[٤].

---

(١) لا ندري إذا كان يتعلق الأمر بغرق الملك في حادث عادي أم عاقبه النهر لدى احتكامه إليه.

(٢) (Shulgi) حكم حوالى (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦ ق. م) خلال ملكيته الثانية أو الثالثة في الفترة السومرية ـ الجديدة واشتهر اسمه في طقوس الزواج الإلٓهي كما ورد ذلك في الكتاب الأول.

(٣) (Ur-Nammu) حكم قبل شولجي حوالى (٢١١١ ـ ٢٠٨٤ ق. م).

(٤) لا يستبعد أن يتابع النص على هذا المنوال حتى الوصول إلى فترة حكم حمورابي وعودة بابل إلى مجدها المقترن بارتقاء الإلٓه مردوك.

(٦٥) ــ زوال عصر البشرية الذهبي؟
ودور الإله أنكي

١ ـ هل اعتقد السومريون، أن البشرية عرفت عصراً ذهبياً و «طوباوياً»، ثم فقدته لسبب ما: كالسقوط في «الخطيئة» أو المخالفة أو التجاوز، كما ورد في التوراة العبرية؟

ليست لنا للإجابة عن هذا التساؤل، سوى بعض القرائن والاتجاهات، التي تميل إلى إجابات عدّة سلبية وإيجابية.

ويدلّ تعدّد الإجابات على وجود «مدارس سومرية» مختلفة، في ممالك ـ المدن المتعدّدة في سومر، وذلك قبل أن يعرف الفكر، في ما بين النهرين العقيدة اليقينية الموحّدة. وقد ألفنا مثل هذه التعددية في أساطير البدء والأصول التي أوردناها في الفصل الأول من هذا الكتاب والتي انتهت بتنصيب الإلّه مردوك وحده كبطل للتكوين والخلق، حين توسّعت الرؤية وأدّت إلى نظرة شاملة ولو أتى ذلك عن طريق مطامع توحيدية لمملكة توسّعت وانتصرت وشملت البلاد بكاملها...

٢ ـ وفي صورة بعيدة جداً عن طوباوية البدء و «العصر الذهبي» يقدم لنا النص رقم (٤١) المدرج في هذا الكتاب وصفاً لحياةِ «مخلوقات» تلك الأزمنة الموغلة في القدم وعلى الرغم من الالتباس الذي أشرنا إليه من خلال عرض النص المذكور، وبخاصة الملاحظة رقم (٤)، فإن:

«مخلوقات» تلك الأزمنة الموغلة في القدم

لم يكونوا يعرفون أكل الخبز
ولا يعرفون تغطية أجسادهم بالكساء:
كانوا يمضون ويعودون بكامل عريهم
يتغذون بالأعشاب كما تفعل الخراف،
ولا يرتادون سوى مياه المناقع

النص رقم (٤١) الأسطر (٢٠ ـ ٢٥)

كانَ ذلك على «الجبل المقدّس»، حيث كان يعيش الآلهة ولم تكن بعد قد أُنزلت على الأرض، من على الجبل المقدس النعجة ـ الأم والحبوب.

٣ ـ ويمكن الرجوع أيضاً إلى النص رقم (٥٣) من هذا الكتاب لنرى الإلّه إنليل، يخلق «الفأس» ويباركها ويضعها كأداة عمل بيد ذوي الرؤوس ـ السوداء وهم البشر المكلفون بأعمال السخرة لإراحة الآلهة من أعبائهم. وهذه السخرة هي التي سوّغت أيضاً خلق البشر كما ورد ذلك في النص رقم (٥٦) الذي يسرد قصة الفائق ـ الحكمة ويستعرض تاريخ البشرية من الخليقة إلى الطوفان.

ولا ينسى النص رقم (٥٤) أن يذكر في مطلعه، قبل إدخال الحبوب إلى سومر بأنه:

«في ذلك الزمان، كان البشر لا يأكلون
سوى العشب كما تفعل الخراف»

٤ ـ أشارت الأمثلة السابقة إلى بدايات للبشرية، لا يمكننا تسميتها «بالعصر الذهبي» أو بالعصر «الطوباوي» وكأنّ البشر كانوا يعيشون في جنة أرضية فقدوها فيما بعد.

إلا أنه وبسبب تعدد المدارس المذهبية كما أشرنا إلى ذلك آنفاً، فيمكننا عبر النصوص التي وصلتنا حتى اليوم، أن نفتش عن أمثلة ولو كانت غير مباشرة لمعتقداتٍ تصف لنا بالنسبة للبشر مرحلة سبقت، كانت أفضل مما هم عليه في مرحلة حالية.

٥ ـ ومن أهم القرائن التي يمكننا تقديمها، نقتبسها عن نص الفائق ـ الحكمة

والطوفان ـ النص رقم (٥٦)، ونشير إلى أنّه بعد انتهاء الطوفان وإنقاذ البشرية من قبل الفائق ـ الحكمة بتوجيهات من الإلّه أنكي فإن النقاش بين الآلهة بعد الطوفان يقرر تطوراً هاماً في حياة البشر لتحاشي تكاثرهم «التضخّمي» في المستقبل. وأهمّ ما يفرض على البشر تحقيقاً لتلك الغاية، كما يتضح ذلك من المقطع التالي، وهو فرض الموت عليهم:

41 «ثم فتح [إنليل] فمه [متوجهاً]
إلى أنكي الأمير (؟) قائلاً:
حسناً! استدعِ نينتو الرحم
وفكّرا معاً خلال اجتماع المجلس
45 فتح أنكي [فمه] عندئذٍ
[وتو] جّه إلى نينتو ـ الرحم (معلناً):
أيتها الأم الإلّهية [أنت] التي تقررين المصائر
إفرضي إذن الموت على البشر.

النص رقم (٥٦ ـ ز)،
عمود ٦، أسطر (٤١ ـ ٤٨)

فهل هذا يعني، أن البشر لدى خلقهم، لم يكونوا يعرفون الموت إلا بواسطة الكوارث الجماعية التي يرسلها الآلهة عقاباً، كالوباء والجفاف والمجاعة والطوفان. . . ويفرض عليهم هنا الموت الطبيعي وفقاً لقرار مرحلة ما بعد الطوفان؟

٦ ـ ولكننا نعلم في الوقت نفسه أن الآلهة المجتمعين بعد الطوفان، حين قرروا منح أوتا نافيشتي الحياة الأبدية مكافأةً له على إنقاذ البشرية، عمدوا إلى إسكانه، بعيداً عن البشر «عند فم الأنهار»[١] وهو المكان الميتي[٢] الذي خُصِّص لسكن منقذ البشرية مع

(١) انظر النظ رقم (٥٩) السطر ١٩٥ والملاحظة رقم (١).
(٢) أو الأسطوري.

قرينته، وهو بمثابة جنةٍ أرضية لا تختلف عن جنة آدم التوراتية وأنهارها الأربعة.

أما الطوفان السومري (النص رقم ٥٧)، فإنه يمنح مكافأة الحياة الأبدية لزيوسودرا موضحاً أنه حين سجد أمام آنو وإنليل:

«. . . فإنهما منحاه حياةً
مماثلة لحياة الآلهة
نَفَسَ حياةٍ أبدياً مثل ما للآلهة
. . . . .
وجُعلت إقامته في منطقة ما وراء البحر:
في دلمون حيث تشرق الشمس».

النص رقم ٥٧، العمود السادس،
الأسطر (٢٥٧ ـ ٢٦١)

٧ ـ نتوقف هنا عند ذكر «دلمون» الذي حدّده نصّ الطوفان السومري مكاناً لإقامة بطل الطوفان في ما وراء البحر، حيث تشرق الشمس.

وهذه «الجنة الأرضية» في دلمون، «البلد الطاهر»، أمكننا التعرف إليها في نص سومري آخر (النص رقم ١ من الكتاب الأول)، حيث استقر فيها الإلّه أنكي[١] مع قرينته، وأصبحت المنطقة بكاملها منوّرة وطاهرة. وهذه المنطقة أيضاً، التي لم تكن فيها أية مياهٍ صافية، إلى أن جعل إلّه الشمس أوتو[٢] المياه الحلوة فيها، تتفجّر من الأرض وذلك بناء على طلب نينسيكيلا[٣] السيدة الطاهرة، قرينة أنكي.

والماء، كما حاول الكتاب الأول تفصيل ذلك، كان شرطاً أساسياً لإخصاب بلاد دلمون وولادة كل من إلّهة الخضار والنباتات ذات الألياف، ثم إلّهة النسيج أوتّو[٤]، إلى أن يبلغنا النص بأن الإلّه أنكي أحيا بالماء أشجار بستانَي دلمون وأغرى بثمارها،

(١) (Enki) إلّه المعرفة ومهارة الصنع ومقره الأبسو، محيط المياه العذبة الباطنية.
(٢) (Utu) إلّه الشمس السومري.
(٣) (Ninsikila) بمعنى السيدة الطاهرة وهو لقب قرينة أنكي.
(٤) (Uttu) إلّهة النسيج.

التفاح والمشمش والعنب، الإلّهة الجميلةَ أوتّو، وتمكّن من مضاجعتها ولكن نينخورساج[1] استخرجت المنيّ من بين فخذيها وخلقت به ثمانية نباتات مهمة بالنسبة لدورها الشفائي.

وبعد رمز إغراء أوتّو من قبل أنكي بواسطة ثمار البستان وتذوّقها لها ثمّ الاستسلام لأنكي، فإن أنكي بدوره، يتجاوز حدوده ويقرر مصير النباتات التي خلقتها الإلّهة ـ الأم ويتذوّقها الواحدة تلو الأخرى ويتعرف على طبيعتها مقرراً لكل منها مصيرها.

ولهذا السبب فإنّه يثير غضب نينخورساج التي تعلن مقسمةً:

«لن أمنحه بعد ذلك نظرتي للحياة
ومن أجل ذلك سيموت».

وهكذا فإن الآلهة تحوّل عن أنكي نظرها المحيي ويصبح مهدداً بالموت[2] وبمعرفة الألم. وتسوء حالة أنكي، حين تغادر نينخورساج المدينة وتتركه لمصيره.

٨ ـ ولكن نينخورساج تعود إلى المدينة بعد نجاح مساعي وسيط حاذق لإعادتها والذي لم يكن سوى الثعلب الذي يقول عنه النص، بأنه

«لـمّع وَبَرَهُ وزيّن بالكحل عينيه»

استعداداً لهذه المهمّة.

وبمجرد عودة الإلّهة نينخورساج، فإنها تقوم بدورها كإلّهة للشفاء وتخلق من أجل ذلك عدة إلّهات تختصّ كل منها بشفاء عضوٍ مريض[3] ويستوقفنا هنا بشكل خاص

---

(١) (Ninhursag) بمعنى سيدة الجبل وهو لقب قرينة أنكي.

(٢) المرض والموت هما هنا عقاب أنكي بسبب تجاوزه. أنظر في تكوين (٢: ١٧) التحذير: «يوم تأكل منها موتاً تموت».

(٣) تخلق نينخورساج ست إلّهات للشفاء تشتقّ أسماؤهن من تسمية العضو المصاب وهنّ على التوالي إلهات شفاء: الشعر (Sik) والأنف (Kiri) والحنجرة (Zi) والفم (Ka) والذراع (Azimu) والضلع (Ti) وإلّهة الشفاء الأخيرة هذه هي نينتي (Ninti) بمعنى سيدة الضلع.

اسم «نينتي» وهي سيدة الضلع.

٩ ـ ومما هو لافت للنظر هنا، هو أن التعبير السومري «كي» يعني في الوقت نفسه، الضلع (من عظام قفص الصدر) وكذلك «الحياة» و «إعطاء الحياة»، وبذلك يمكن إعطاء اسم نينتي معنى سيدة الضلع أو سيدة الحياة. ونتعرّف هنا دون أي التباس على أصل تسمية «حواء» التوراتية بأم جميع «الأحياء» وخلقها بواسطة ضلع من آدم، وتبقى بذلك «سيّدة الضلع».

١٠ ـ ثمّة نقطة أخيرة تستلفت النظر في هذا النصّ الأول من الكتاب الأول المشار إليه أعلاه، هو وصف الولادات وسهولتها بحيث كان يعدّ كل يوم شهراً:

«والتسعة أيام
عدّت تسعة أشهر، أشهر الحمل التسعة.
بعد ذلك كالزيت الناعم لزوجةً
كالزيت الناعم كالدهان الثمين
[نينتو][١] أم البلاد، كالزيت الناعم
كالزيت الناعم كالدهان الثمين
ولدت...

فهل يعني هذا المقطع الذي يتكرر لأكثر من مرة في النص رقم (١) أن الولادة في «جنّة» دلمون كانت تتم سهلةً وبدون ألم كانسياب الزيت الناعم؟ ولا بدّ هنا من التذكير، بأن حوّاء التوراة حين طُردت مع آدم، محمّلة بلعنة الرب:

«تكثيراً، أكثر أتعاب حبلك.
بالوجع تلدين أولاداً»[٢].

---

(١) (نينتو) (Nintu) بمعنى سيدة الولادة وهو لقب نينخورساج قرينة أنكي.

(٢) (تكوين: ٣: ١٦).

وقد يعني ذلك أنها لو لم ترتكب التجاوز المعروف كان من المفروض أن تتم ولاداتها بدون ألم!

١١ ـ وقبل عرض النص الجديد الذي أدرجنا عنوانه هنا تحت الرقم ٦٥ والذي يسوّغ لنا إمكانية اتهام الإلّه أنكي بتسبيب زوال عهدٍ لم يكن بعيداً عن الطوباوية، يمكننا ذكر قرينة نجدها في معظم ميثولوجيات الشعوب وهي المغالاة في أعمار البشر في الفترة «الطوباوية» الميتية. ولوائح ملوك سومر لما قبل الطوفان ومدد حكمهم اعتُبر أنها تراوحت بين ١٠٨٠٠ و٧٢٠٠ سنة بينما لم يتجاوز عدد ملوك سلالات ما قبل الطوفان الثمانية أو العشرة ملوك.

وهذه الميّزة لما نسميه «كمال البدء»[1] تبنّتها التوراة اليهودية بالنسبة لأعمار الآباء الأولين (البطاركة).

١٢ ـ والنقطة الأخيرة التي تسمح لنا بالاعتقاد بوجود «عصر ذهبي» أو عهد طوباوي سومري، هو العالم الذي يمجّد بأجمعه إلّهاً واحداً وبلغة واحدة في فترةٍ عرفت «كمال البدء»، وفقدته بعد ذلك بسبب تنافس إلّهين على النفوذ وهما هنا أنكي وإنليل.

أما النص الذي ينقل إلينا أخبار تلك الفترة الطوباوية التي تميّزت بالوفاق بين البشر وبالأمن والكثرة، فقد ورد من ضمن نص طويل، بطله ملك أوروك إينمركار[2] في علاقته مع مملكة أراتّا[3] الواقعة على مرتفعات إيران.

وقد أوردنا مقطعاً من هذا النص في الكتاب الأول تحت (رقم ٢٦) بمناسبة عرض دور الإلّهة إنانّا في مراسم الزواج الإلّهي وتنافس كل من الملكين إينمركار ملك أوروك وملك أراتّا على كسب ودّها. وسوف يتعرض الكتاب الرابع فيما بعد إلى استكمال هذا

---

(١) راجع كتاب «مع الكلمة الصافية» لقاسم الشواف ـ دار الأجيال بدمشق لعام ١٩٦٩، ص (٣٤/ ٣٥).

(٢) (Enmerkar) حكم في أوروك خلال الفترة الثانية لنشوء الملكية أي بين (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠ ق.م).

(٣) (Aratta) المملكة الواقعة على المرتفعات الإيرانية والمعاصرة لمملكة أوروك والتي كانت على ما يظهر تملك الذهب والفضة والأحجار الكريمة وتتقن شغلها.

النص في محتواه الأساسي وهو إخضاع مملكة أراتا من قبل إينمركار.

وما يهمنا هنا، هو تقديم المقطع المرتبط بالفترة الطوباوية للبشرية، في العالم كما رسم حدوده مفكرو سومر في ذلك الوقت، ويتألّف من بلاد: سومر(١) وشوبور(٢) وهماذي(٣) ومارتو(٤) وأوري(٥)، أي أنه يشمل المنطقة التي تحدّها مرتفعات أرمينيا في الشمال والخليج العربي في الجنوب ومرتفعات إيران في الشرق والبحر المتوسط في الغرب.

وفيما يلي محتوى المقطع المشار إليه:

1 قديماً كان زمن لم تكن فيه أفعى
ولا عقرب
لم يكن هناك ضبع ولا أسد؛
لم يكن فيه كلب وحشي ولا ذئب؛
لم يكن هناك خوف ولا رعب:
5 والرجل لم يكن له خصم
قديماً، كان زمن وفيه بلاد شوبور وهماذي،
وسومر حيث يتم التكلّم بكم عددٍ (؟) من اللغات
البلد العظيم ذو قوانين الرئاسة الإلّهية،
وأوري البلد المكتنز بكل ما يلزم
وبلاد مارتو التي كانت آمنةً تتنعّم،
10 العالم بأجمعه، والشعوب بتوافق تام (؟)
كانت تمجد إنليل بلغة واحدة(٦).

---

(١) (Sumer) المنطقة الجنوبية لما بين النهرين.
(٢) (Shubur) أو شوبارتو هي المنطقة المرتفعة إلى الشمال.
(٣) (Hamazi) المنطقة المرتفعة إلى الشرق من سومر في إيران.
(٤) (Martu) المنطقة الساحلية الغربية على المتوسط.
(٥) (Uri) المنطقة الشمالية لما بين النهرين التي عرفت فيما بعد ببلاد أكاد وأشور.
(٦) قد يكون المعنى هنا هو «بصوت واحد» أو «بقلب واحد» ولكن نصاً آخر نشير إليه في ختام هذه الفقرة يساعد على تبنّي مفهوم اللغة الواحدة كما استعارته فيما بعد التوراة في أسطورة برج بابل (تكوين ١١: ١ ـ ٩) وبلبلة الألسن.

إلا إنه عند ذلك، الأب ـ السيد، الأب ـ الأمير، الأب ـ الملك
أنكي، الأب ـ السيد، الأب ـ الأمير، الأب ـ الملك
الأب ـ السيّد غاضباً (؟) الأب ـ الأمير غاضباً (؟)
الأب ـ الملك غاضباً (؟)

وتتمة النص مشوهة وقد أمكن الافتراض، بإن الإلّه أنكي الذي كان غاضباً بسبب غيرته من سلطة إنليل المتعاظمة والتي شملت الكون بأجمعه (أي العالم المشار إليه آنفاً) قرر تخريب أمبراطورية إنليل الآمنة فأثار الأزمات والحروب بين الشعوب مما أدى إلى إنهاء «العصر الذهبي» عصر طوباوية البدء وكماله.

واعتماداً على السطرين ١٠ و١١ من النص السابق يمكن أن تنسب إلى أنكي تهمة «بلبلة الألسن» ويساعد النص التالي، على دعم هذا الرأي:

«أنكي. سيّد الكثرة، ذو الأوامر الثابتة
إلّه الحكمة الذي يتفحّص الأرض
سيد الآلهة،
إلّه إريدو، المتميّز بالحكمة،
بدّل الكلمات في أفواههم وأدخل الاختلاف
إلى لغة البشر، بعد أن كانت لغتهم واحدة»[١].

١٣ ـ ظهرت معارضة أنكي، لإرادة إنليل ولقراراته المتسرّعة، أكثر من مرة في نص الفائق ـ الحكمة وقصة البشرية من الخليقة إلى الطوفان[٢]، فأنكي هو الذي كان دوماً يوجّه البشر إلى كيفية تحاشي الوباء والمجاعة ويجعل النّدى يتساقط ليلاً وبالسرّ، لمحاربة الجفاف... وهو الذي كان بفضل حكمته وذكائه يدافع عن البشر إلى جانب الإلّهة ـ الأم نينتو ويعارض إبادتهم.

وقد ذهب أنكي إلى أبعد من ذلك حين سخر من إنليل في قلب مجمع الآلهة، عندما

---

(١) يمثل هذا النص نهاية لوحة محفوظة في متحف أوكسفورد.
(٢) النص (رقم ٥٦).

تملّكه الضحك مظهراً استهزاءه بمقرّرات إنليل، حين كان هذا الأخير يلوم الآلهة وأنكي لتساهلهم مع البشر وتزويدهم من جديد بالغلال[1].

١٤ ـ وحول الإلّهين إنليل وأنكي، نرى أنه من المفيد، وعلى ضوء النصوص العديدة التي خصّصَتْ لأدوارهما ولتدخل كل منهما، من المفيد تحقيق دراسة مقارنة بين شخصيتيهما والبحث عن مدى استحقاق كل منهما للمرتبة التي أُعْطِيَت له، ومع أننا نتوقع أن يكون أنكي هو الأكثر استحقاقاً بصورة عامّة، لا بدّ لنا من التوضيح بأن هذه الدراسة تخرج عن نطاق هذه المجموعة.

(١) انظر النص رقم (٥٦ ـ هـ) الأسطر (٣٦ ـ ٥٥).

(٢ ــ ٣) ــ أدب المراثي والمسرح الديني السومري

١ ــ نتابع مسألة الثواب والعقاب، ونتوقّف عند ردّ فعل الشعراء والمنشدين في المرحلة التي تلي العقاب، مرحلة التحسّر والبكاء، مرحلة النواح والرثاء.

بكت الإلّهة إنانا موت دوموزي الراعي وعشتار بدورها بكت تموز، وانتحبت الإلّهة ــ الأم نينتو حين شاهدت أبناءها البشر يحولهم الطوفان إلى طين. وبكى چلچامش صديقه أنكيدو. . .

يشكّل كل هذا، جزءاً من أدب المراثي التي ابتدعها شعراء سومر وأكاد وأشور. . .

وما يهمنا هنا من ضمن هذه الفقرة، هو المراثي التي ابْتُدِعت للبكاء على خراب معبد وعلى خراب مدينة بكاملها عقاباً لها وبعد هجرها من قبل الإلّه الذي كان يحميها.

٢ ــ هذه المراثي إذن، هي الشكل الأدبي الذي ابتدعه السومريون والأكاديون وتمّ تطويره باستمرار، وذلك للتعبير عن حزنهم تجاه الاجتياحات العديدة والمتكررة لمدنهم ولمعابدهم.

ويمكن إرجاع المراثي الأولى في سومر إلى فترة حكم الملك أورو ـ كاجينا[١]، إذ ترك لنا أحد النسّاخ المعاصرين له، لائحة مفصّلة عن تدمير وتدنيس معابد لغش[٢]

---

(١) (Uru-Kagina) حكم في مدينة لغش حوالى سنة ٢٣٥٥ ق. م.

(٢) (Lagash) تلّلو الحالية وتقع على حوالى ٢٠٠ كم إلى الجنوب الشرقي من بابل.

التي أحرقها وسلب محتوياتها ملك مدينة أومّا[1] عدوة لغش. وهذا التعداد، مع ما رافقه من مرارة وألم وخضوع أمام الإرادة الإلّهية يمثل الشكل البدائي لما تمّ تطويره فيما بعد وخاصة بعد تأسيس سرجون الكبير[2] لأمبراطوريته الأكادية وكذلك بعد اجتياح قبائل الجوتو[3]، مما جعل الشعراء والمنشدين يؤلفون المراثي للتفجع والبكاء على مدنهم ولكنها كانت تنتهي ببارقة ثقة وبأملٍ في مستقبلٍ يحرّر ويعيد البناء.

٣ ـ ونقدّم من ضمن مجموعة المراثي السومرية محتوى مرثية لمدينة نفّر[4] ومرثية أخرى عن خراب سومر والبكاء على أور تحتل أهمية قصوى بالنسبة لشكلها المسرحي[5] بالإضافة لأهمية محتواها. وخلال القرون التالية، تحولت المراثي إلى نموذج يتكرّر حسب الأماكن والأزمنة، وأصبحت تشكّل جزءاً من الأناشيد الدينية التي تتلى عند إقامة الطقوس. والتي كانت تردد في كافة معابد مدينة بابل. وقد استمر ذلك حتى الفترة السلوقية التي تلت وفاة الإسكندر الكبير في بابل في عام ٣٢٣ ق. م.

٤ ـ ولم تنجُ مدينة بابل من الدّمار، وقد تضمنت قصيدة إيرّا[6] وهي آخر عملٍ ملحميّ بالغ الأهمية كتب خلال الثلث الأول من الألف الأول لما قبل الميلاد ونعرف اسم مؤلفه؛ وقد تضمن هذا العمل مرثية لمدينة بابل نثبتها هنا تحت الرقم (٦٧). وسيتم من خلال الكتاب الرابع عن الحرب والدمار عرض النص الكامل لقصيدة إيرّا المشار إليها.

٥ ـ ونشير بهذه المناسبة إلى طقوس إعادة بناء معبد خَرِب، وإلى دور الكاهن ـ النّدّاب وذلك بإثبات نص قصير تحت الرقم (٦٩).

---

(١) (Umma) تقع على حوالى ٤٠ كم إلى الشمال من لغش.

(٢) (Sargon) مؤسس الأمبراطورية الأكادية (٢٣٤٠ ـ ٢٢٣٤ ق. م).

(٣) (Gutu) أو (Qutu) ورد ذكرهم في النص (رقم ٦٤) وهم قبائل نزلت من جبال زغروس. وقد استولوا على أكاد وحكموا حوالى ١٠٠ عام.

(٤) (Nippur) انظر النص (رقم ٦٦).

(٥) النص (رقم ٦٨).

(٦) (Erra) بطل القصيدة الملحمية التي عرفت باسمه وهو إلّه العالم السفلي نرجال (Nergal).

٦ ـ لم يعثر حتى اليوم على نماذج لمراثٍ حثّية أو كنعانية أو فرعونية. ومن المعتقد اليوم أن أصول المراثي التوراتية هو سومر والبكاء على حائط معبد سليمان في أورشليم، ليس إلا استعادة لما دشّنته سومر منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة.

٧ ـ وفقاً لما تقدّم، فإن النصوص التي سنعرضها من ضمن هذه الفقرة (٢ ـ ٣) عن أدب المراثي والمسرح الديني السومري، هي التالية:

رقم النص		العنوان
(٦٦)	ـ	مرثية سومرية لمدينة نفّر
(٦٧)	ـ	مرثية أكادية لمدينة بابل
(٦٨)	ـ	البكاء على خراب سومر ومدينة أور والمسرح الديني السومري
(٦٩)	ـ	الكاهن ـ النذّاب وطقوس إعادة بناء معبد مخرّب

(٦٦) ــ مرثية لمدينة نفّر

تتألف هذه المرثية السومرية من اثني عشر مقطعاً شعرياً تبكي خراب مدينة نفّر[١] ولكنها تشيد في معظمها بتحرير نفّر من قبل الملك إيشمي ـ داغان[٢] الذي حكم في إيسين[٣] بعد حوالي نصف قرن من اجتياح مدينة أور من قبل عيلاميي الجبال الشرقية وأَسْر إيبّي ـ سين[٤] آخر ملوكها.

ونقدّم فيما يلي عرضاً لمحتوى هذه المرثية كما قدّمه عالم السومريات «كرامر»، تتخلّل هذا العرض استشهادات بالنص الأصلي. كما نشير إلى أن أسلوب المرثية السومرية، سوف يتضح بشكل كامل، في ما بعد من ضمن النص رقم (٦٨).

المقطع الأول

يبدأ هذا المقطع بسردٍ يتخلله تكرار ملحّ للازمة حزينة، تطرح بصدد معبد نفّر سؤالها:

«متى سيعاد بناؤه؟»

يلي ذلك نواح على خراب وسلب مدينة نفّر حيث لم تعد تقام الاحتفالات الدينية ولا الأعياد التعبّدية في قلب المدينة حيث كان الآلهة يصدرون قراراتهم وتعليماتهم لرعاية البشر ويتمّ إعلانها على الشعب.

---

(١) (Nippur) مدينة الإلّه إنليل تقع على بعد حوالى ٨٥ كلم إلى الجنوب الشرقي من بابل.
(٢) (Ishmé-Dagan) (١٩٥٤ ـ ١٩٣٥ ق. م) حكم في إيسين.
(٣) (Isin) تقع على بعد حوالى ٢٠ كم إلى الجنوب من نفّر.
(٤) (Ibbi-Sin) حكم في مملكة أور الثالثة (٢٠٢٧ ـ ٢٠٠٣ ق. م).

المدينة حيث كان الآلهة قد اتخذوا فيها مقراً لهم وتقاسموا فيها غذاءهم المقدس.

المدينة التي كان يتنعم بظلها المنعش ذوو «الرؤوس ـ السوداء»[1].

مدينة نفّر هذه، كانت ضحية الخراب وتشتّت سكانها وكأنهم قطيع بقر تملّكه الخوف. لم تعد آلهتها تهتم بها وأماكنها المتسعة التي كانت سابقاً تزخر «بالحركة والنشاط» أصبحت اليوم مهجورة ومتروكة للخراب.

ويتساءل الشاعر بلوعة، لماذا دُمّرت معابد نفّر الكثيرة العدد؟ وكم من الوقت، سوف يبقى ذوو ـ الرؤوس ـ السوداء منهارين وخائري القوى يأكلون العشب مثل الخراف ويتألمون في أجسادهم وفي أرواحهم؟

ولماذا نرى الموسيقيين والشعراء المنشدين، يقضون أيامهم في الأنين والنواح وهم منفيّون يعتمل في قلوبهم الحزن على مدنهم المهدّمة وعلى عائلاتهم المهجورة، مّما يجعل العقل يفقد توازنه والفهمَ مضطرباً.

المقطع الثاني

في هذا المقطع، نرى المدينة تطلق بنفسها نواحها وتتفجع على سوء طالعها:

إذْ دُنّست احتفالاتها الدينية وطقوسها وتمّ تقتيل شعبها والقضاء على شبابه ونسائه، كما تتفجّع بمرارة على خراب معبدها الذي يشبه بقرة فقدت عجلها.

وليس من المستغرب، يقول الشاعر، بأن نرى المنشدين الذين اعتادوا الموسيقى الناعمة يحوّلون أغانيهم إلى وقع يهدهد. لأن إنليل[2] إلّه المدينة، حوّل عنها نظره وعن معبده الإيكور[3] الذي كان قديماً الأول في البلاد لريادة ذوي الرؤوس السوداء، والذي هو اليوم ضحية الخراب والدمار.

المقطع الثالث

يبدأ المقطع الثالث بصرخة الألم التالية:

---

(١) لقب سكان ما بين النهرين في النصوص السومرية.

(٢) (Enlil) سيد مجمع الآلهة والإلّه الحامي لمدينة نفّر موضوع المرثية.

(٣) (Ekur) معبد إنليل في نفر ومعناه بيت ـ الجبل وكان إنليل نفسه يلقب بـ «الجبل الكبير».

«المدينة... إلى متى سوف يرفض
إلّهها - الحامي، العودة إليها وإصدار
قراره بأن تكفّ (آلامها) (؟)»

ويتابع الشاعر لوعتهُ متسائلاً بقلق:

لماذا نسي (الإلّه) جدرانه الآجرية، وترك حمامه الهادل يهجرُ أبراجه؟ لماذا أدار ظهره للبيوت ذات الموسيقى العذبة[1]؟ لماذا هجر ورمى بأنظمة وعناصر الـ «مو»[2] وكأنها لم تكن مقدسة؟ وطقوسه الطاهرة وكأنها لم تكن لتهدىء (؟) كل البلاد؟ لماذا بدا (الإلّه) غير مكترث بمصير المدينة، فتركها تنهار، كأن لم تكن لها أية أهمية؟ لماذا طرد البهجة عن جدرانها الآجرّية وملأ بالحزن قلبها ليل نهار؟ لأنه عامل المدينة بعداءٍ مستحكم، ولأن الإلّه أدار يده ضدّها وكأنها ريح سيئة. وهذه هي بيوتها تنهار وتتزعزع أسسها وتقتلع بالفؤوس أجزاؤها ويقضى على نسائها وأطفالها. وإذْ سلبت ثرواتها فقد فقدت اتزانها واضطرب تصرفها وإذْ سلبت أغذيتها ومشروباتها تحولت المدينة إلى أنقاض.

ويختتم الشاعر هذا المقطع مشيراً إلى أن المعبد الكبير الإيكور عومل معاملة مُرّة العداء، ولذلك فهي تضاعف من لوعتها وبكائها، بينما شعراؤها ذوو الأناشيد العذبة يرددون صدى آلامها. منع عنها إنليل عنصر الـ «مو» الخاص به ولم يعد «يُمسك بذراعها»[3] ولم تعد تتأثر مشاعِرُه لحالتها.

---

(١) يقصد الشاعر المعابد.
(٢) الـ «Me» وهو تعبير سومري لا يمكن تأدية معناه بكلمة واحدة وتفسيره هو اعتقاد المفكرين والفلاسفة السومريين بأن الآلهة يسيّرون الكون اعتماداً على نظم وعناصر إدارةٍ مقدسة وهي التي تُبنى الحضارة على أساسها، وتشتمل على الخير والشرّ والطيّب والسيّىء. وفي قصيدة سفينة السماء التي سترد في الكتاب الثالث تعداد لهذه العناصر.
(٣) أي «لم يعد يقدم لها العون».

المقطع الرابع

وفي هذا المقطع فقط، تظهر أول بارقة أمل لإنقاذ نفّر وترميمها، من خلال مناجاة فردية معلنة أن حملها، كان ثقيلاً لدرجة كبيرة، وأنّ إصرارَ شعرائها ومنشديها على متابعة مراثيهم ونواحهم على مصيرها المفجع وحالتها القلقة والألم الذي تملّك قلبها بسبب خراب معابدها ومنطقتها بكاملها، مما جَعل الإلّه إنليل، أبا جميع «ذوي الرؤوس السوداء» يعمد بنهاية الأمر إلى النظر إليها بعين الرحمة وإصدار أمره بإعادة بنائها.

المقطع الخامس

وبتفصيلٍ أهم يستأنف هذا المقطع موضوع الأمل بتحرير وإنقاذ نفّر. وبتوجّهه إلى المدينة يعلن لها الشاعر بابتهاج البشارة الجديدة وهي أن إنليل تلقّى دموعها ونحيبها، ثم يسائلها راجياً أن تواصل ابتهالاتها لكي يقدم لها إنليل المساعدة والحماية. وينتهي هذا المقطع «بالوعد» المفرح بأن إنليل سوف يوجّه نحو المدينة تسامحه ورحمته وأنه سوف يحوّل آلامها إلى أفراح وسوف يمنحها، وهي مرفوعة الجبهة حقّ الابتهاج وسوف لن يسمح بعد ذلك بأي عداءٍ ضدها.

المقطع السادس

يتابع الشاعر في هذا المقطع توجهه إلى المدينة ولا يصف خلاص المدينة كأمل بل كحقيقة موضحاً: أن إلّهها ـ الحالي أشفق عليها وباركها ووضع حداً لآلامها قائلاً: «كفى»، فأعاد لها راحة البال وجعل من الإلّه القادر نينورتا[(١)] ابن انليل، حارساً للمدينة، كما كلّف راعِيَهُ الحبيب إيشمي ـ داغان[(٢)] بإعادة بناء الإيكور[(٣)] المهيب وترميم جميع أبنيته التابعة.

وكذلك إقامة شعائره المقدسة من جديد التي ألغاها الأعداء وإعادة عناصر الـ «مو»[(٤)] المشتتة الخاصة بها.

---

(١) (Ninurta) ابن الإلّه إنليل والمنتصر على الطائر أنزو كما ورد في النص (رقم ٦٢).

(٢) (Ishmé-Dagan) (١٩٥٤ ـ ١٩٣٥ ق. م) حكم في مدينة إيسين وهو محرر نفّر.

(٣) (Ekur) بمعنى بيت ـ الجبل وهو معبد إنليل في نفّر.

(٤) (Me) انظر الملاحظة رقم ٢ في المقطع الثالث من هذه المرثية.

المقطع السابع

وفي هذا المقطع أيضاً، يتابع الشاعر تطمين نفّر مؤكداً تبشيرها بأن إنليل منحها عفوه. هذا الإلّه العظيم، كما يعلن لها الشاعر، طرد الأسى من المدينة واستبدله بتنعم دائم وأمر بترميمها. وبالإضافة إلى ذلك، يتابع الشاعر، فإن الأم ـ العظيمة ننليل[1] وجهت التماساً إلى قرينها إنليل راجية منه إعادة بناء معبده.

وبعد أن تمّ التشاور بين القطبين الإلّهيين، حول إنليل معبده المهدّم إلى معبدٍ لا شبيه له، وكفّ الدموع وجعل الفرحة تسود؛ كما أمر بأن تتم قرابين إراقة الخمر والزيت في جو من الابتهاج معلناً:

«كفى! إلى متى (سوف يستمر كل هذا)؟
وليكف سكب الدموع!»

ثم بارك المعبد واعداً إياه بحكمٍ مديد. ويتابع الشاعر قوله بأن إنليل بارك أيضاً هيكل الـ «ﭽا ـ شو ـ آ»[2].

ثم قام إنليل وننليل بعد ذلك بإعداد منصّتيهما في الإيكور واستجلبا إليه الأغذية والمشروبات القوية التخمير وتشاورا لإعادة إسكان ذوي ـ الرؤوس ـ السوداء في بيوتهم بشكلٍ ثابت. فجعل إنليل الشعب المشتّت يعود إلى نفّر:

«الأبناء الذين اضطرت أمهاتهم إلى
انتزاعهم من بيوتهن»،
والذين هاموا على وجوههم إلى أن
يجدوا مكاناً تستقر فيه رؤوسهم»

المقطع الثامن

تحرير نفّر، وكذلك تحرير كل سومر وأكاد، من قبل إيشمي ـ داغان، هو الموضوع

---

(١) (Ninlil) قرينة إنليل.
(٢) (Ga-Shu-A) هيكل في معبد الإيكور في نفّر.

الذي يتابعه المقطع الثامن والذي يعرض تفاصيل إعادة بناء المدن الكبيرة: مثل إريدو[١]، مركز الحكمة؛ وأور[١] المدينة المبنية على هوْر الشاطىء وأوروك ـ كلاّب[٢] التي هي من صنع الآلهة؛ ومدينة زابالام[٣] التي كانت قواها قد انطفأت كما انطفأت قوى غانية آن[٤] وأومّا[٥]، المدينة المحتلة من قبل التيدنو[٦] البرابرة؛ وكيش[٧] المدينة الأكثر شهرة في سومر وأكاد وماردو[٨] المدينة المباركة حيث تطفح المياه العذبة والحبوب النامية؛ وأخيراً إيسين[٩] عاصمة إيشمي ـ داغان، مدينة الآلهة التي من أجلها إنليل وأنكي ونينماخ[١٠] قرّروا حكماً مديداً، المدينة التي سُلِّمت إلى نينورتا[١١]، البطل الفائق القدرة والتي أصدروا فيها قرارهم بأن (نين ـ إيسينا)[١٢] «ابنة آن النبيلة»، «مفسّرة أحلام ـ البلاد» سوف تزور معبدها الجليل لتتمتع بطراوته المنعشة وأن ابنها دامو[١٣] سوف يخضع المناطق الغربية.

المقطع التاسع

يصف الشاعر في هذا المقطع أيام الرخاء والتنعّم التي خصّ بها إنليل نفّر ومجمل بلاد سومر وأكاد؛ إنه الزمن الذي:

«يمكّن نفّر من رفع جبهتها عالياً؛
ويزدهر فيه الإيكور[١٤] وتتوسع بلاد سومر وأكاد؛

---

(١) (Eridu) مقر الإلّه أنكي/ إيا وهي من المدن التي سبقت الطوفان وتقع على بعد حوالى ١٠ كم إلى الجنوب الغربي من أور (Ur) وهي مدينة الإلّه القمر سين (Sin).

(٢) (Uruk-Kullab) مركز عبادة الإلّه آن (An) وعشتار ومدينة جلجامش.

(٣) (Zabalam) مدينة عشتار تقع على بعد حوالى ٦٠ كم من نفّر.

(٤) (An) إلّه السماء وغانيته هو لقب عشتار.

(٥) (Umma) المملكة المعادية للغش (Lagash) خلال حكم أوروكاجينا حوالى ٢٣٥٥ ق. م.

(٦) (Tidnu) يعتقد أنهم قبائل آتية من منطقة الفرات الأعلى المجاورة للخابور (؟).

(٧) (Kish) على بعد حوالى ١٠ كم إلى الشمال الشرقي من بابل.

(٨) (Mardu).

(٩) (Isin).

(١٠) (Nin-mah) بمعنى السيدة أو الإلّهة الفائقة السمو.

(١١) (Ninurta) ابن الإلّه إنليل وهو الإلّه البطل والمحارب و «فلاح الآلهة».

(١٢) (Nin-Issina) الإلّهة الحامية لمدينة إيسين.

(١٣) (Damu) الإلّه الحامي لمدينة إيسين وهو ابن نين ـ إيسينا.

(١٤) (Ekur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر.

وتشيّد البيوت وتسيّج الحقول؛
وزمن تتدفّق فيه النطفات لتولد الكائنات الحيّة
وتبنى خلاله الحظائر والزرائب
وتتحوّل المحنة إلى ازدهار
وفي البلاد، تسود العدالة
وتلد النعجة حملها والعنزة جديها
ويتكاثر الحملان والجديان»

المقطع العاشر

تعاد الإشارة من جديد في هذا المقطع إلى خلاص المدينة الإلّهي وإعادة بنائها. ويحتفل الشاعر هنا بمدينة نفّر ومعبد الإيكور دونما التوجه نحو كامل البلاد، ويبتهج بشكل خاص لعودة تقدمات الغذاء إلى موائد الآلهة والتي لحظها الملك التقيّ إيشمي - داغان، بوفرة في الإيكور الذي أصبح من جديد طاهراً ومقدّساً.

المقطع الحادي عشر

يصف هذا المقطع الأيام المثالية التي أعدها إنليل لشعبه وللبشرية:

«اليوم الذي يبطل فيه إلى الأبد استغلال الإنسان
للإنسان ويهاب الابنُ أباه،
يوم يسودُ التواضعُ الأرضَ كلّها
ويكرّم الغني الفقير،
يوم يَخْضَعُ الأخ الأصغر إلى أخيه البكر،
يوم يبقى فيه الشاب جالساً
(للاستماع) إلى كلمات الرجل المتعلم،
يوم يبطل فيه إلى الأبد (الصراع) بين
الضعيف والقوي ويسود فيه لطف الوداعة،
اليوم الذي يمكن فيه السفر بأمان (على أية) طريق؟
بعد أن تكون قد اقتُلِعت منها نبتات السوء.
يوم يمكن فيه للرجل السفر أينما يرغب
و (حتّى) في الصحراء، حيث . . . ـه (؟) لا يتعرض لأي خطر،

يوم تختفي عن وجه الأرض جميع الآلام،
ووحده يعمّم النور
اليوم الذي بعد أن تكون قد طردت فيه الظلمات
من الأرض، تعمّ البهجة جميع المخلوقات الحيّة

المقطع الثاني عشر

يكاد هذا المقطع الأخير، أن يكون بكامله مخصصاً لوصف وقائع التعبد الذي قام به الملك إيشمي ـ داغان: بعد أن سكب الدموع أمام إنليل الرحيم، فإن العاهل التقيّ، أعاد إلى وضعها الملائم عناصر الـ «مو»[1] والتي تمّ تدنيسها، كما أعاد الاحتفالات الدينية التي كانت أُلغِيَتْ وطهّر الجيجونا[2] وجعل الوفر والكثرة والبهجة تغمرها. ثم توجّه نحو إنليل بالصلوات والابتهالات والأدعية؛ وإنليل إذْ رضي عن تقاه وورعه وتواضعه، قرّر أن يمنحه مُلكاً سعيداً يعيش الشعب خلاله بأمان. وبذلك، يختتم الشاعر، فإن شعب سومر وأكاد بكامله مـجّد عظمة إنليل «الجبل الكبير» سيد السماء والأرض.

(١) (Me) انظر الملاحظة (٢) في المقطع الثالث أعلاه.
(٢) (Giguna): المكان المخصص لإقامة الطقوس في المعبد والمقصود هنا هي المعابد.

(٦٧) ــ مرثية أكادية لمدينة بابل

هذه المرثية تضمّنها عمل فنّي ملحمي، تركه لنا كاتب بابلي اسمه كبتي ـ إيلاني ـ مردوك[١]. وقد كتبه في الثلث الأول من الألف الأول قبل الميلاد (حوالى عام ٧٦٠ ق. م). وهي تروي قصة بطل هدّام هو إيرّا[٢] وهو أحد أسماء نرچال[٣] إلّه العالم السفلي. وإيرّا هنا هو المحارب «المحبّ للحرب» من أجل الحرب ومن أجل الخراب والدمار. إنه يحب الحرب ويحرّض عليها، يخلق الهياج ويشجع على الثورة العمياء، يتخذ مظاهر مختلفة لتحقيق رغباته الهدّامة، إنه إلّه الدمار. ولذا، لم تنج بابل من شرّه وكذلك المدن الأخرى. وسيرد النص الكامل لقصيدة إيرّا إلّه الدمار في الكتاب الرابع، ونكتفي هنا باقتطاف ما يرتبط منها بخراب مدينة بابل والتحسّر عليها.

والقصيدة بحد ذاتها، ابتدعت في شكلها نمطاً جديداً لم تعرفه القصائد الأسطورية السردية التي سبقتها، لأن معظم النص يتم على شكل حوارية بين إيرّا ومعاونه إيشوم[٤] الملقب بالذبّاح.

مقتطفات من اللوحة الرابعة لقصيدة إيرّا الملحمية.

التحريض (وهنا المعاون إيشوم يخاطب إيرّا)

. . . .

---

(١) (Kabti-Ilani-Marduk).

(٢) (Erra) هنا إلّه الدمار وهو نرچال ملك العالم السفلي.

(٣) (Nergal) إلّه العالم السفلي.

(٤) (Ishum) ومعنى اسمه الذبّاح الشهير.

3 فبعد أن عدّلتَ مظاهرك ـ الإلّهية واتخذت هيئة رجل،
دخلت المدينة مجهزاً بأسلحتك

5 ولدى وجودك في بابل، وكمن يريد إخضاع مدينةٍ
لسيطرتك، تكلمت كمحرّض
والبابليون دون رئاسة لهم (غير) أعواد المقاصب
اهتاجوا من حولك

. . . .

12 وضدّ حاكمهم ممّون معابدهم، بدأوا
بترديد وقاحات كبيرة
مترسوا بأيديهم بوابات بابل
ومجاري المياه الحاملة لثرائهم
وكسُلاّب أجانب عمدوا إلى إحراق أبنية بابل المقدسة!

15 بيد أنك كنت المحرّض، أنت كنت على رأس الهياج!

. . . .

20 ولأنك غادرت المدينة وذهبت خارجاً
فقد اتخذت مظهر أسد[١] ودخلت إلى القصر
وبمجرد رؤيتك حمل الجنود أسلحتهم،
واهتاج قلب الحاكم النقوم ضد بابل
فأرسل جنوده وكأنّ الأمر يتعلق بسَحْق عدو

25 دافعاً إلى الأسوأ، قائدَ الجيش، (قائلاً له):

26 «هذه المدينة، التي أوجهك إليها، أيّها الرجل
لا تحترم فيها أيَّ إلّه ولا تَخْشَ أيَّ بشرٍ.
اعمد إلى قتل صغارها وكبارها،

---

(١) كان يعتبر ظهور الأسد في الأماكن المتمدّنة الآهلة كنذيرٍ بشرٍ عظيم وهذا ما يفسر رد فعل حاكم المدينة.

ولا تبقِ على حياة طفل (واحد) ولو كانَ رضيعاً!

30 (وبعد ذلك)، إنهبْ جميع كنوز بابل المكدّسة!»

(وهكذا) فجيش الملك المحتشد، دخل إذن المدينة،

بالسهام الملتهبة والسيوف المجردة من أغمادِها

(وحتى) بالنسبة للأشخاص المعفيين، (تحت) حماية

آنو(١) وداچان(٢) المقدسة، جعلتهم يشهرون السلاح

وسلّمت دماءهم، مثل الماء إلى مجاري المدينة،

35 شدخت لهم شرايينهم، لكي يحمل النهر محتواها!

وأمام هذا المنظر، قال مردوك، الإلّه العظيم: «يا للمصيبة»!

وانقبض صدره؛

وحزمٌ لا مردّ له، تلفّظ به فمه:

أَقْسَمَ أن لا يشرب قط بعد الآن ماء النهر،

ولاشمئزازه بسبب الدم المرهق (أقسم)

أن لا يعود قط إلى الإيساچيل!(٣)

40 «يا للمصيبة! (كان يقول)، بابل التي أعليت شأن

فروعها كسعف نخلة، جففها الهواء!

يا للمصيبة! بابل التي حشوتُها حَبّاً مثل كوز الصنوبر

دون أن أستفيد من ثمارها!

يا للمصيبة! بابل التي زرعتها كحديقة وفرة

دون التمتع بنتاجها!

يا للمصيبة! بابل التي وضعتها على رقبة آنو

مثل ختمٍ من العنبر الأصْفر!

---

(١) (Anu) إلّه السماء.

(٢) (Dagan) إلّه عمّوري أدخل إلى مجمع الآلهة منذ الفترة البابلية القديمة وهو يقابل في دوره إنليل.

(٣) معبد مردوخ في بابل (E. sagil) ومعناه البيت ذو الرأس الشامخ.

يا للمصيبة! بابل، التي توليتها، دونما تركها لأي آخر
مثل لوحةٍ ـ الأقدار!»

ويتابع النص سرد أخبار تدمير سور مدينة سيبار[١] وقاعدته. وكذلك تدمير أوروك[٢] مدينة آنو وعشتار ومدينة دير[٣]... ويتابع إيرّا القضاء على كل شيء حيّ في أكاد.

أمل أكاد بالعودة إلى استرجاع مركزها وعودة المشتّتين

وهذا ما تشير إليه اللوحة الخامسة بعد أن ينجح إيشوم معاون إيرّا في تهدئته وفي توجيه قدراته إلى إعادة البناء أو السماح به على الأقل. وبعد مديحه من قبل إيشوم، فقد استنار وجهه و «انفرجت أساريره فرحاً مثل النهار الذي يسطع» فعاد إلى معبده في مدينته واقترح عليه معاونه إصدار قراره بعودة المشتتين وإعادة إعمار أكاد وفقاً لما يلي:

(عند ذلك) وبصوت مرتفع، وبلا مواربة كلّمه إيشوم
مقترحاً عليه بصدد مشتّتي آكاد، القرار (التالي):
25 سكان هذا البلد الذين قُضي على معظمهم، ليستعِيدوا كثرتهم
وليتخذ كل (واحد منهم) صغيرهم وكبيرهم طريقه بحرية!
ولتطيح أكاد رغم إضعافها بالسوتيين[٤] الأقوياء.
وليتمكّن كل واحد سوق سبعةٍ (منهم) مثل ماشية صغيرة!
سوف تجعل من تجمعات سكنهم خراباً وتحوّل
ريفهم إلى صحراء!

---

(١) (Sippar) من بين المدن القديمة السومرية التي سبق تأسيسها الطوفان.
(٢) (Uruk) ارتبط اسمها باسم بطلها جلجامش.
(٣) (Der) مدينة مجاورة لنفّر (Nippur) تقع على حوالى ٢٥ كم إلى الشمال الشرقي منها.
(٤) السوتيون وهم قبائل السوتو (Sutu) الذين كانت منطقة تجمعهم بجوار جبل البشري في الشمال الشرقي من تدمر في منطقة الرقة.

30 والغنائم الثقيلة التي تكسبها منهم، سوف تنقلها إلى شوانا![1]
وسوف تعيد آلهة البلد سالمةً إلى مقرها!
وفي هذا (البلد نفسه) سوف تعيد إنزال شاكان[2] ونيسابا[3].
ومن أجل (هذا البلد) سوف تستخرج من الجبال
وفرتها ومن البحار نتاجها،
وإلى حقوله الخربة سوف تعيد إليها (من جديد) ثمارها!
35 وليجرّ كافة الحكام في جميع المدن
جزياتهم الثقيلة إلى قلب الشوانا!
ولترتفع (من جديد) مثل شمسٍ لهّابة
ذُرى معابده المهدومة!
ودجلة والفرات، ليعيدا إليه مياههما المخصبة!

---

(١) (Shu-Anna) بمعنى السلطة السماوية وهو حي من أحياء بابل كان يحتوي على عدد من المعابد وأصبح فيما بعد يطلق على بابل بكاملها.
(٢) (Shakan): هو إله المواشي.
(٣) (Nisaba): إلَهة زراعة الحبوب.

(٦٨) ــ البكاء على خراب سومر ومدينة أور والمسرح الديني السومري

١ ـ قلنا في مقدّمة الفقرة (٢ ـ ٣) من هذا الفصل أن مرثية مدينة أور وبلاد سومر تختلف عن المرثيات الأخرى في شكلها الخاص ومحتواها. وقد عرف مؤلف هذه المرثية، انتقاء الكلمات المعبّرة عن الحزن العميق ووضَعَ المستمعَ في جو من الكآبة وضيق الصدر تنقله رتابة النواح وتكراره. ونقول المستمع لأن هذه المرثية كانت تُنشَدُ في مناسبات اللّوعة والبكاء على ماضٍ ليس ببعيد، كانت تنعم فيه بلاد سومر ومدينة أور بازدهارها وبمجدها.

لقد استعادت البلاد اعتزازها بعد طرد قبائل الجوتو[١]، حوالى (٢١١٠ ق. م)، وفي فترة حكم الملك شولجي[٢]، كان الفخر والادّعاء بالتفوق هو الأدب المسيطر، فتمت الإشادة بالبطولات وتمجيد الآلهة وتأليف الملاحم البطولية... وكان الملك شولجي، يفاخر بأنه أسس (أكاديميات)[٣] أور ونفر... ولم يمضِ أكثر من نصف قرن على طرد الجوتو حتى عرفت البلاد كارثة جديدة، حين قام الجبليون، السوتيون[٤] والعيلاميون باجتياحهم. وبعد هدمهم لأور ونفّر ومدن أخرى ساقوا الملك إيبي - سين[٥] حفيد شولجي أسيراً، وهذا ما ترك في نفوس الشعراء أسىً عميقاً ولوعة، مما

(١) (Gutu) راجع الملاحظة (٥) في بداية مقدمة الفقرة (٢ ـ ٣).
(٢) (Shulgi) حكم حوالى (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦ ق. م).
(٣) أي مدارس الكتابة والتأليف.
(٤) هم قبائل السوتو (Sutu) وكانت منطقة تجمعهم بجوار جبل البشري الواقع في الشمال الشرقي من تدمر في منطقة الرقة.
(٥) (Ibbi-Sin) حكم في مملكة أور الثالثة حوالى (٢٠٧٧ ـ ٢٠٠٣ ق. م)، وهو حفيد الملك شولجي.

جعلهم يؤلّفون المراثي الطويلة التي كانت تبكي ولكنها في الوقت نفسه تزرع الأمل باستعادة ما كانت عليه سومر.

٢ ـ ذلك كان الجوّ الكئيب الذي صدرت عنه مرثية مدينة أور وبلاد سومر. وهي تستعرض ما حلّ بمدينة أور ومعابدها وما حلّ كذلك بجميع المدن السومرية الأخرى وهجر آلهتها وإلاهاتها لمعابدهم فيها. والمدن الأخرى التي تبكيها المسرحية راثيةً، والتي تمّ التعريف عن مواقعها في الحواشي العديدة من هذا الكتاب، هي بالإضافة إلى مدينة أور: (نفّر) و (كيش) و (إيسين) و (أوروك) و (إريدو) و (أومّا) و (لغش)[١] ويوحي هذا العدد المهم من المدن بمدى الخراب والدمار اللذَيْن عرفتهما بلاد سومر بكاملها.

٣ ـ اعتمد المؤلف لهذه المرثية، البنية المسرحية، فهي موزّعة على أحد عشر نشيداً يشترك في أدائها أشخاص المسرحية بالتناوب بين المجموعة (الكورس) ورئيس المجموعة وإلّهة مدينة أور، وأحد الكهان من مقيمي الطقوس. وفي هذا الأداء الذي كان يتمّ بجوار خرائب المعبد (؟) كانت المجموعة، تنوب عن شعب مدينة أور.

٤ ـ ولدى التعمق في الشكل المسرحي لهذه المرثية وفي لغتها، على الرغم من أن علماء السومريات والدارسين لبنية هذا العمل الأدبي، لم يقترحوا المقاربة بين هذا المثال عن «المسرح الديني» السومري و «المسرح المأساوي» الإغريقي[٢]، فإن هؤلاء الدارسين رأوا أن الكورس السومري يحتل الدور نفسه الذي شغله فيما بعد الكورس الإغريقي.

٥ ـ وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا العمل المسرحي السومري يستعمل في بعض المواقف لهجة سومرية خاصة هي الـ «إيمي ـ سال»[٣] وهذه اللهجة تعتبر أكثر ملاءمة

(١) (Nippur)، (Kish)، (Isin)، (Uruk)، (Eridu)، (Umma)، (Lagash).

(٢) التراجيديا الإغريقية القديمة الكلاسيكية.

(٣) (Emé-Sal).

لمواقف الحزن والتراتيل الانتحابية، خلافاً لما هي عليه لهجة الـ «إيمي ـ كو»[١] وهي اللغة الأساسية المستعملة في الأناشيد الثلاثة الأخيرة من المسرحية. لجأ المؤلف إلى «الإيميسال» إذن تسهيلاً للترتيل والغناء. ولم يكن الإيميسال لغة للتداول، بل كان وسيلة غنائية تلجأ إلى تعديلات اصطناعية واصطلاحية في لفظ بعض الحروف، بقصد التعبير بشكلٍ أقوى عن الحزن.

٦ ـ ومما يلفت النظر بهذا الصدد، هو أن النصوص المأساوية للمسرح الإغريقي عرفت هي أيضاً تحويراً لغوياً مشابهاً بغية التشديد على الناحية المأساوية الحزينة في المسرحية ولجأت إلى اللهجة «الدوريانية»[٢] لهذه الغاية. وهذه اللهجة كان لها في المسرحية الإغريقية دورٌ مماثل للإيميسال السومري. وهنا أيضاً ولدى استعمال اللهجة الدوريانية من قبل المجموعة (الكورس) في المسرح الإغريقي، فإن هذه اللهجة ليست الدوريانية المتداولة في لغة الكلام بل الدوريانية الكلاسيكية الأدبية، أو كما نقول الفصحى بالنسبة للغة العربية، وبالإضافة إلى ذلك وما هو في غاية الأهمية هو تبديل بعض الحروف[٣].

وما سمي بالدوريسمات[٤] في المسرح اليوناني أي استعمال اللهجة الدوريانية، التي يتمّ استعمالها بشكل خاص من قبل الكورس، وليس من قبله وحده، والتي تظهر بعد استعمال وزن خاص[٥] من قبل أحد المؤدين يتألف من مقطعين قصيرين يليهما مقطع مديد. وهنا فإن هذا الوزن الخاص المشار إليه في الحاشية الرابعة يُعِدُّ لتدخل الكورس باللهجة الدوريانية.

ولدينا مثال على ذلك في مسرحية «ميدي»[٦] لأوريبيد[٧]: فإن ميدي ومربيتها،

---

(١) (Emé-Ku) أو (Eme-gir).

(٢) (Dorien) إحدى اللهجات الأربعة القديمة التي عرفتها بلاد الإغريق وهنا نسبة إلى الدورانيين الذين اجتاحوا البلاد بين القرنين (١٢ ـ ٩ ق. م).

(٣) مثال استعمال الحرف (α) ألفا الممدود حيث تستعمل اللهجة الآتيكية (Attique) حرف (η) إيتا.

(٤) (Dorismes).

(٥) (Anapests) آنابيست.

(٦) (Medée) أو ميديا.

(٧) (Euripide) ألف هذه المأساة حوالى عام ٤٣١ ق. م.

تتحاوران باستعمال الوزن الخاص «الأناپست» بدءاً من البيت الشعري ٩٦ وحتى البيت ١٣٠ إعداداً لتدخل الكورس دوريانياً بدءاً من البيت ١٣١.

وبصورة عامة، فإن الدوريسمات في المسرح الإغريقي تستعمل من قبل الشخص الأكثر تأثراً بينما يستعمل المُحَاوِر الآخر الوزن الخاص بدون الدوريسمات.

٧ ـ ومن خلال عرض مرثية البكاء على سومر ومدينة أور، سوف نشير إلى تدخل الإيميسال كلما اقتضى ذلك.

مسرحية البكاء على خراب مدينة أور وبلاد سومر/ المحتوى:

النشيد الأول

(المؤدّون: رئيس المجموعة والمجموعة من أجل اللازمة)

رئيس المجموعة:

1 من حظيرته ولّى وغاب؛ في حرمه
تنفخ الريح.

2 الثور، من حظيرته ولّى وغاب؛
في حرمه تنفخ الريح.

3 سيد كل البلاد، ولّى وغاب؛
في حرمه تعصف الريح

4 الإلّه مو ـ أولْ ـ ليل[١] من معبده في نفّر[٢]
ولّى وغاب؛ في حرمه تنفخ الريح

(١) (Mu-ul-lil) شكل آخر للتعبير عن اسم الإلّه إنليل سيد الهواء ورئيس مجمع الآلهة.
(٢) (Nippur) مدينة إنليل.

5 الإلّهة چاشان ـ ليل[١] قرينته ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح
6 الإلّهة چاشان ـ ليل، من معبدها الكي ـ أور[٢]
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح.
7 سيّدة كيش، ولّت وغابت؛ في حرمها
تنفخ الريح.
8 الإلّهة چاشان ـ ماج[٣]، من معبدها في كيش[٤]،
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح
9 مولاة[٥] إيسين[٦] ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح
10 الإلّهة سيدة أرض إيسين، من معبدها
إي ـ چال ـ ماج[٧] ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح.
11 سيّدة أرض أوروك[٨]، ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح
12 الإلّهة چاشان ـ آنا[٩] من معبدها في أوروك
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح.

---

(١) (Gashan-Lil) شكل آخر للتعبير عن اسم الإلّهة نينليل قرينة إنليل مع فائدة الإشارة إلى التوازي بين (چاشان) و (نين) في معنى السيدة.
(٢) (Ki-ur) وهو جزء من الإيكور (E. Kur) أي بيت الجبل وهو معبد الإلّه إنليل في نفّر.
(٣) (Gashan-mag) بمعنى السيدة السامية.
(٤) (Kish).
(٥) التعبير السومري المستعمل هو مو ـ لو (mu-lu) بمعنى سيّدة سامية، وقد يكون في أصل مولى ومولاة (؟).
(٦) (Isin) ملكية إيسين ظهرت حوالى ٢٠١٧ ق. م وأشهر ملوكها إيشمي ـ داچان محرر نفّر.
(٧) (E. gal-mag) بمعنى البيت العظيم السمو.
(٨) (Uruk) مدينة إنّانا.
(٩) (Gashan-anna) لقب الإلّهة إنانّا سيدة السماء.

13 الإلّه نانّا[١]، من أرض أور[٢] ولّى وغاب؛
في حرمه تنفخ الريح.
14 الإلّه زوئين[٣] من معبد إي ـ كيشنومال[٤]
ولّى وغاب؛ في حرمه تنفخ الريح
15 قرينته الإلّهة چاشان ـ چال[٥]، ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح
16 الإلّهة چاشان ـ چال، من معبدها إي ـ نونكوچ[٦]،
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح
17 الثور، إلّه أورو ـ زيب[٧] ولّى وغاب؛
في حرمه تنفخ الريح.
18 الثور، إلّه السماء والأرض[٨] من معبده
في أورو ـ زيب ولّى وغاب؛ في حرمه
تنفخ الريح.
19 الإلّهة (؟) [......] من معبدها في لاراآچ[٩]؛
في حرمها تنفخ الريح.
20 الإلّه شارا[١٠] من الإي ـ ماچ[١١] ولّى وغاب؛

---

(١) (Nanna) الإلّه القمر.
(٢) (Ur) مدينة الإلّه القمر.
(٣) (Zuen) أو سوئين هو اسم آخر للإلّه القمر نانا والذي تبنته اللغة الأكادية في تسمية (سين).
(٤) (E. Keshnumal) معبد الإلّه القمر في أور ومعناه بيت النور.
(٥) (Gashan-Gal) لقب قرينة الإلّه القمر نانا أو زوئين.
(٦) (E. Nunkug) معبد قرينة الإلّه القمر.
(٧) هنا الإشارة (أو) في أورو تأخذ في لهجة الإيميسال لفظ (إي) و (رو) تأخذ لفظ (ري)، وإشارة (زيب) تماثل إشارة (دو)، ويصبح المعنى: الثور إلّه إريدو أي الإلّه أنكي.
(٨) وهنا أيضاً فإن الأصل السومري لإلّه السماء والأرض هو (آم. آن. كي) ويلفظ بلهجة الإيميسال (أومون ـ آن. كي).
(٩) (La. ra. ag).
(١٠) (Shara) إلّه مدينة أومّا (Umma).
(١١) (E. mag) بمعنى البيت العظيم.

في حرمه تنفخ الريح.

21 الإلّهة أو ـ شاغارا[١] من معبدها في أومّا[٢]؛
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

22 الإلّهة باؤ[٣]، من الأوروكوج[٤]، ولّت
وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

23 في الباچار[٥]، المعبد الطاهر، من غرفتها ولّت
وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

24 الإلّهة آباؤ[٦] ابنتها، ولّت وغابت
في حرمها تنفخ الريح

25 الإلّهة آباؤ، من الماچو ـ إينا[٧] ولّت
وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

26 الإلّهة لامار[٨]، من المعبد الطاهر، ولّت
وغابت في حرمها تنفخ الريح

27 الإلّهة لامار، من الإيتار ـ سيرسير[٩] ولّت
وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح.

28 أمّ لغش[١٠] ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح.

---

(١) (U-Shagarra) الإلّهة المقصودة هنا هي إشارا إلّهة أومّا.

(٢) (Umma) المدينة المنافسة لمدينة لغش (Lagash) وتقع على حوالى ٤٠ كم إلى الشمال منها.

(٣) (Ba.u) يرتبط اسمها بأصل النباتات وبعض العلماء يعتمدون قراءة با ـ با (Ba-ba) وهو اسم الإلّهة ابنة إلّه السماء آن وقرينة الإلّه نينجرسو (Ningirsu) إلّه لغش.

(٤) (Uru-Kug) وهنا أيضاً كما أشير إلى ذلك في السطرين ١٧ و١٨ تستعمل لهجة الإيميسال.

(٥) (Ba-gar) المعبد حيث كانت تقدم القرابين للإلّه نينجرسو وحيث كانت توجد غرفة (باؤ).

(٦) (Aba-u) أو (Aba-ba) حسب القراءتين كما في الحاشية (٣).

(٧) (Magu-enna) مقام الإلّهة آباؤ.

(٨) (Lamar) إلّهة حامية.

(٩) (E. tar. sir. sir) مقام الإلّهة لامار.

(١٠) (Lagash) هي تلّلو الحالية وحاميتها الإلّهة نانشي (Nanshé).

29 الإلّهة مازيزيب[١] من مقامها في لغش
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

30 مولاة نينا[٢] ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح

31 السيدة الفائقة السمو[٣] من معبدها في سيرارا[٤]
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح.

32 مولاة كينير شاب[٥] ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح.

33 الإلّهة دومو - زيد - ابزو[٦] من معبدها في
كينير شاب، ولّت وغابت؛ في حرمها
تنفخ الريح.

34 سيدة چو - آبّا[٧] ولّت وغابت؛ في حرمها
تنفخ الريح

35 الإلّهة چاشان - مار[٨]، من معبدها چو - آبّا
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح.

36 التحية الأولى (نهاية النشيد الأول)

39[٩] النشيد الجوابي

---

(١) (Ma-zézèb) إلّهة من إلّهات لغش.
(٢) (Nina) كما أن قراءة (Nanshé) ممكنة.
(٣) الإلّهة المقصودة هي نانشي.
(٤) (Sirara) من المعتقد أنه حيّ نينا/ نانشي المقدس.
(٥) (Kinirshab) تستعمل هنا لهجة الإيميسال وشاب (Shab) بمعنى القلب يعبّر عنه بالإيميسال بـ (شا/ شا/ شا - با).
(٦) (Dumu-Zid-Abau) إلّهة معروفة بسيدة (Kinir) (كينير)، أو (كينير شاب).
(٧) (Gu-Ab. ba) مقام يعتبر موقعه على الشاطىء البحري.
(٨) (Gashan-mar) بمعنى سيدة مار.
(٩) وضع هذا السطر هنا تسهيلاً للوضوح، الترجمة الحرفية هي: «نشيدها الجوابي» أي المجموعة.

المجموعة:

37 في حرمها تنفخ الريح؛ نواحها يتحسّر،

38 البقرة ذات الفم العارف، لم تعد في حظيرتها؛
الحظيرة الأميرية، لم تعد قائمة.

النشيد الثاني

رئيس المجموعة:

40 أيّتها المدينة، تفجّعاً مريراً لرثاءِ نفسك
أنشدي!

41 تفجاً مريراً حقّاً، لرثاءِ نفسِك
يا مدينة ردّدي!

المجموعة:

42 مرير حقاً، تفجّع مدينتها المهدّمة

43 مرير حقاً، تفجّع مدينتها أور المهدّمة

رئيس المجموعة:

44 تفجّعاً مريراً حقّاً، لرثاء نفسك
يا مدينة أنشدي

المجموعة:

45 مرير حقّاً، تفجع مدينتها أور المهدّمة

رئيس المجموعة:

46 تفجّعكِ المرير حقّاً، إلى متى أمام سيدكِ،
الناس بعيون دامعةٍ ينوحون رثاءً لكِ؟

47 تفجّعكِ المرير حقاً، إلى متى أمام نانّا[١]،
الناس بعيون دامعةٍ ينوحون رثاءً لكِ؟

رئيس المجموعة والمجموعة من أجل اللازمة:

48 يا جدار أور، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
49 يا معبد إي. كيشنومال[٢] تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
50 يا مقام إي. نونكوج[٣] تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
51 يا كيؤر[٤]، يا مكاناً سامياً، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
52 يا مدينة نفّر[٥] المقدسة، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدي!
53 يا جدار الإيكور[٦]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
54 يا مقام ماموشّوآ[٧]، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
55 يا مقام أوبْشوكينا[٨]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
56 يا جدار أوروكوج[٩]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
57 يا مقام إيتار سيرسير[١٠]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
58 يا مقام ماچو إينّا[١١]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
59 يا جدار إيسين[١٢]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
60 يا مقام إيچال ـ ماج[١٣]، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!

---

(١) (Nanna) الإلّه القمر ومدينته أور، ونلاحظ في السطرين ٤٨ و٥٣ التوجّه إلى الجدار.
(٢) (E. Keshnumal) معبد الإلّه القمر في أور ومعناه بيت النور.
(٣) (E. nunkug) من معابد أور وهو معبد قرينة الإلّه القمر نانا.
(٤) (Kiur) جزء من معبد الإلّه إنليل في مدينة نفّر.
(٥) (Nippur) مدينة الإلّه إنليل.
(٦) (E. Kur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر والكيؤر في (٤) جزء منه.
(٧) (Mamushua) من الأماكن المقدسة في نفّر.
(٨) (Ubshukina) من الأماكن المقدسة في نفّر.
(٩) (Urukug) هنا بلهجة الإيميسال وهو معبد الإلّهة باؤ (Ba-u) (انظر السطر ٢٢).
(١٠) (E. Tarsirsir) معبد الإلّهة لامار (Lamar) (انظر السطر ٢٧).
(١١) (Maguenna) مقام الإلّهة آباؤ (Aba.u) (انظر السطر ٢٥).
(١٢) (Isin) تقع من على بعد حوالى ٢٣ كم إلى الجنوب من نفّر (راجع ملاحظة السطر ٩).
(١٣) (E. Gal-Mag) أو (E. Mag) معبد إيسين.

61 يا جدار (مدينة) أوروك[1]، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!

62 يا جدار إريدو[2]، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!

رئيس المجموعة:

63 تفجعكِ المرير حقّاً، إلى متى أمام سيدك،
الناس بعيون دامعة ينوحون رثاءً لكِ؟

64 تفجعك المرير حقّاً، إلى متى أمام نانّا
الناس بعيون دامعة ينوحون رثاءً لكِ؟

المجموعة[3]:

65 أيتها المدينة، كان لك اسم، ولكنّه تهدّم مع خرابك

66 أيتها المدينة، كانت جدرانك قائمة
لكنك أُبِدْتِ مع بلادك

67 يا مدينتي، مثل نعجة أمينة،
تمّ تمزيقك مع حملانك

68 يا أور، مثل عنزةٍ أمينة،
تمت إبادتك مع جديانك

69 أيتها المدينة، أصبحت طقوسك
قوّة العدو وزهوه

70 وإلى قوانين العدو، حُوِّلت قوانينك.

رئيس المجموعة:

71 تفجُّعكِ المرير حقّاً، إلى متى أمام سيدك،

---

(١) (Uruk) مدينة إنّانا وإلّه السماء آن.

(٢) (Eridu) مدينة الإلّه أنكي.

(٣) يعتقد أن الأسطر (٦٥ ـ ٧٠) تمثل رثاءً تنشده المدينة بواسطة المجموعة التي تمثلها، وذلك بتوجيه من رئيس المجموعة.

الناس بعيون دامعة ينوحون رثاءً لكِ؟

72 تفجعك المرير حقّاً، إلى متى أمام نانّا،

الناس بعيون دامعة ينوحون رثاءً لك؟

73 التحية الثانية (نهاية النشيد الثاني)

76[١] «النشيد الجوابي»

المجموعة:

74 مرير حقاً، تفجّع مدينتها المقدّسة المهدّمة

75 مرير حقاً، تفجع مدينتها أور المهدّمة.

النشيد الثالث

المجموعة[٢] ثم الإلّهة چاشان ـ چال[٣]:

77 معبد الإلّه مُدَمَّر ومدينته

أَغرقَتْها الدموع

78 عند ذلك، أيها الإلّه نانا، الناس

في بلدك تمّت إبادتهم

79 وأور ضاعفت تفجّعاتها

80 الإلّهة، السيدة المقدسة، لكي

تنوح على مدينتها أور

81 الإلّهة چاشان ـ چال السامية (؟)

ولخدمة بلدها

82 نحوه، من أجل مدينتها المهدّمة، توجّهت،

ودموع ألمها كسيولٍ تنحدر

---

(١) انظر ملاحظة السطر (٣٩).

(٢) المجموعة هنا تمثل المدينة المخربة.

(٣) (Gashan-Gal) إلّهة أور بمعنى السيّدة العظيمة.

83 نحو الإلّه، من أجل معبدها المهدّم توجّهت،
ودموع ألمها كسيولٍ تنحدر

84 نحوه، من أجل مدينتها المخرّبة توجّهت،
ودموع ألمها كسيولٍ تنحدر.

85 من أجل معبدها المهدّم، اقتربت منه
وتفجّعات مريرة، ها هي تنشد،

86 السيدة، وبعد أن جُعلت أرضاً من أجل حزنها
قيثار النواح،

87 ملأ (خرابَ) المعبد رثاؤها، ومثل طفلٍ
في حالة الرعب تفجّعت.

الإلّهة چاشان ـ چال:

88 مِن تلك العاصفة الهوجاء،
يجتاحني الأنين،

89 كم كنت، أمام عويل العاصفة، مرعوبةً.

90 أنا، السيّدة، من تلك العاصفة
الهوجاء، يجتاحني الأنين

91 من تلك العاصفة الهوجاء
يجتاحني الأنين

92 في ذلك اليوم، امتدت العاصفة
الأليمة حتى وصلت إليّ

93 أنا شخصياً، أمام ذلك اليوم،
بدأت أرتجف

94 أمام عنف ذلك اليوم،
حرّمت الخروجَ على نفسي

95 أمام تلك العاصفة الساحقة،

الأيام السعيدة لحكمي، الأيام
السعيدة لحكمي، لم أعد أرى (مجراها)

96 في تلك الليلة، عنف تلك الليلة
تفجّر ضدي.

97 أنا شخصياً، أمام تلك الليلة بتّ أرتجف.

98 أمام عنف تلك الليلة
حرّمت على نفسي الخروج.

99 تستولي عليّ قوّة ذلك اليوم
المدمِّر مثل إعصار

100 أمام تلك العاصفة الساحقة، على فراش
نومي، على فراش نومي، لم يُتح
لي خداع نفسي.

101 أمام تلك العاصفة الساحقة، طمأنينة فراش
نومي، طمأنينة فراش نومي
لم تتيسّر لي.

102 في بلدي، تفجّعٌ مريرٌ كان يرتفع

103 عندئذٍ ومثل بقرة تجاه عجلها
أدّيت واجب أمومتي.

104 عن بلدي، لم يتمكّن الخوف
ولا العنف من تحويلي.

105 في مدينتي، تفجع مرير كان يرتفع

106 عندئذٍ ومثل طير في السماء
أطلقت نحوها جناحيّ.

107 نحو مدينتي، أنا التي طرت دفعة واحدة.

108 مدينتي، حتى بلوغ أسسها، كانت
حقّاً مهدّمة!

109 أور، حتى إلى مرتكزاتها، كانت مهدّمة!

110 وعندما كانت قوة العاصفة في الأعالي

تزداد عنفاً

111 رفعت حقاً ضدها صوتي: «إلى السهوبِ،

عودي أيتها العاصفة!»، قلت لها.

112 ولكن صدر[1] العاصفة لم يرضخ!

113 أنا صاحبة السمو، ولكن في (معبدي) الإينونكوج[2]،

في مقرّ سيادتي،

114 ديمومة الحكم، لم تتوفّر لي!

115 يمرّ[3] أمامي وحالة التفجّع والدموع!

116 وبسبب المعبد، مكان الغبطة، حيث

كان ذوو «الرؤوس ـ السوداء» يجتمعون،

117 بعيداً عن تلك الأعياد، تضاعف فيهم

الغضب والشقاء.

118 أمام تلك العاصفة الساحقة

على معبدي، موضع السعادة.

119 على معبدي المقدس الخَرِب

لم تعد تتوقّف العيون!

120 وبقلبٍ ممزّقٍ، المراثي المؤلمة،

121 مراثي الألم تُوجّه إليه!

122 معبدي، الذي أسّسه رجال ذوو استقامة

123 مثل كوخ قصبٍ في بستان

إنهار على جنبه

---

(١) حافظنا على التعبير الحرفي السومري عوضاً عن «جبهة» العاصفة.

(٢) (E. Nunkug) معبد قرينة الإلّه القمر في أور أي چاشان ـ چال.

(٣) المقصود هو المعبد، أي أن نظر الإلّهة يتجوّل في أنحاء المعبد المهدّم.

124 معبد إيكيشنومال، معبد مليكتي

125 معبدي المقدس، الذي تحوّل إلى بيتٍ للدموع،

126 بناؤه كان خدّاعاً وخرابه أكيداً.

127 في الحقيقة، (المصير) الذي كان من نصيبه
(هو المصير) الذي تقرّر لي.

128 مثل خيمة، ومثل عنبرٍ، أفرغت
منه حبوب الموسم

129 مثل عنبرٍ أفرغت منه حبوب الموسم
وترك بعد ذلك للأمطار.

130 أور، حيث غرفتي، وكل شيءٍ
فيها متوافر بكثرة،

131 معبدي ومدينتي المملوءان بالثروات
تم سحقهما!

132 تمّ سحقهما، بكل تأكيدٍ
وكأنهما حظيرة راعٍ!

133 ممتلكاتي التي كانت في المدينة
مكدسةً، التهمها ارتفاع المدّ!

134 التحية الثالثة (نهاية النشيد الثالث)

146 النشيد الجوابي (المجموعة)

المجموعة:

135 بدموعها، بدموعها، غرقت أور.

النشيد الرابع

الإلّهة چاشان ـ چال:

137 في ذلك اليوم، عندما أصابت

العاصفة قلب الإلّه[١]

138 المدينة، أمام سيّدها، تمّ تخريبها

139 في ذلك اليوم، عندما أحْزنت
العاصفة قلب الإلّه،

140 وعندما أُصدر الأمر بدمار مدينتي بكاملها

141 عندما أُصدر الأمر، بدمار أور بكاملها

142 وعندما أُعطي الأمر بإبادة شعبها،

143 في ذلك اليوم، أنا، من أجل
إنقاذ مدينتي، لم أتراجع.

144 عن بَلدي، أنا، لم أحوّلْ (نظري)[٢]

145 أمام آن[٣]، سكبت دموعي

146 أمام الإلّه مو أولّيل[٤] أطلقت
شخصياً تفجّعي:

147 «يجب ألاّ تهدم مدينتي» قلت لهم

148 «يجب ألاّ تهدم أور» قلت لهم

149 «يجب ألاّ يباد شعبها»

150 ولكنّ آنْ، لم يستجب لهذه الكلمات،

151 والإلّه مو أولّيل، عندما قال «حسناً
حسناً»، لم يشفِ غليل قلبي

152 وللمرة الثانية، عندما عقد اجتماع
المجلس الموسّع[٥]

---

(١) المقصود هو الإلّه القمر نانّا.

(٢) حرفياً «قدرتي».

(٣) (An) إلّه السماء.

(٤) (Mu-Ul-Lil) سيد الهواء وهو الإلّه إنليل (Enlil).

(٥) حرفياً بكامل جهته.

153 وعندما اتخذ الأنونّا[١] الإلّهيون أماكنهم
وهم الذين تصبح بواسطتهم،
كلمات (الآلهة) ارتباطاً
154 وهنت عند ذلك ساقاي
ومددت ذراعي (راجيةً)
155 وأمام (آن)، سكبت دموعي
156 وأمام الإلّه مو أولّيل، أطلقت
شخصياً تفجّعي:
157 «يجب ألاّ تهدم مدينتي» قلت لهم
158 «يجب ألاّ تهدم أور» قلت لهم
159 «يجب ألاّ يباد شعبها»
160 ولكن (آن) لم يستجب لهذه الكلمات
161 والإلّه مو أولّيل عندما قال «حسناً،
حسناً»، لم يشفِ غليل قلبي.
162 أصدروا قرارهم بتدمير المدينة،
163 بتدمير أور، أصدروا قرارهم
164 ولشعب أور قرروا الإبادة
165 وبما أنني أبلغتهم، كل ما أمكن لفمي قوله،
166 أنا، أبعدوني عن مدينتي
167 وأبعدوا مدينتي عنّي.
168 كلمة آن، لا مردّ لها
169 ولا يبدّل الإلّه مو أولّيل، الكلمة
التي خرجت من فمه
170 التحية الرابعة

(١) (Anunna) مجموع آلهة العالم السفلي وهم هنا برئاسة آن وإنليل.

172 النشيد الجوابي

المجموعة:

171 مدينتها دُمّرت، شرائعها تبلبلت.

النشيد الخامس

رئيس المجموعة والمجموعة من أجل اللازمة[١]:

173 الإلّه مو أولّيل، دعا هبوب العاصفة،
والشعب صعّد الأنين؛
174 الأمطار التي تحقق الوفرة، أبعدها عن البلاد،
والشعب صعّد الأنين؛
175 الأمطار الخيّرة، أبعدها عن سومر
والشعب صعّد الأنين؛
176 أمر بأن تتحكم العاصفة الشريرة،
والشعب صعّد الأنين؛
177 وإلى (كينغال أودا)[٢] المختص بالأعاصير
عهد بها إليه شخصياً[٣]
178 دعا هبوب العاصفة (المكلّفة) بتدمير البلاد،
والشعب صعّد الأنين.
179* دعا إليه جميع الرياح الشريرة؛
والشعب صعّد الأنين.
180 ولمساعدته، استقدم الإلّه مو أولّيل[٤] الإلّه جيبيل[٥]

(١) اللازمة التي ترددها المجموعة هي بصورة عامة عجز الأبيات.
(٢) (Kin-gal-ud-da).
(٣) حرفياً: «سلّمها إليه بيده».
(٤) (Mu-Ul-Lil) هو إلّه الهواء إنليل (Enlil) وسيد مجمع الآلهة في سومر.
(٥) (Gibil) إلّه النار والتطهير بالنار.

181 دعا إليه العاصفة السماوية الكبرى؛
والشعب صعّد الأنين
182 العاصفة الكبرى تهدر في الأعالي؛
والشعب صعّد الأنين
183 وعلى الأرض تزأر العاصفة المعدّة للدمار؛
والشعب صعّد الأنين
184 الرياح الشريرة التي تتدفّق مثل مياه شرّيرة
لا يمكن احتواء قدرتها،
185 شنّت هجومها على البلاد التي حملت
في وجهها السلاح[١] والتهمت كل شيء
186 وما كان هادئاً في قاعدة السماء، بدأ بالتدوّم؛
والشعب صعّد الأنين.
187 النيران اشتعلت في جبهة العاصفة؛
والشعب صعّد الأنين.
188 وإلى العاصفة الغاضبة، انضمّت آتية من
السهوب النيران السوداء[٢]
189 ووسط لهب الحرارة المنبئة بالأمطار
لمعت البروق
190 والنور الطاهر الذي ينشره وضح النهار
ولأنه نور خيّرٌ، تم سحبه
191 وعلى البلاد، لم يعد ينزل النور الطاهر،
واتخذ لنفسه وهجَ نجمة المساء.

---

(١) ليس غريباً أن تحمل المدينة السلاح في وجه العاصفة، فقد ورد في نص لاتيني لـ (Aulus-Gellius) وهو «الليالي الآتيكية» أن شعب الـ (Psyllos) حملوا السلاح ضد الريح (Auster) التي غلبتهم وراكمت عليهم تلالاً من الرمال.

(٢) أي المحملة بالدخان.

192 والليل، بعيداً عن كونه مانحاً لهناء

قدرته المنعشة، أصبح ضحية ريح الجنوب.

193 وعلى الكُسَر المحروقة تراكم الرمل

والشعب صعّد الأنين.

194 وعلى «ذوي الرؤوس السوداء»[1] انقضّت الرياح؛

والشعب صعّد الأنين

195 بلاد سومر، وكأنها وقعت في مصيدة؛

والشعب صعّد الأنين

196 إنها الرياح، حاصرت البلاد والتهمت كل شيء.

197 لم تنفع الدموع لإبعاد العاصفة الشريرة

198 مسحت البلاد العاصفة، البلاد ترتجف.

199 مثل طوفان، هدّمت العاصفة المدينة

200 والعاصفة التي أبادت البلاد

فرضت على المدينة شريعتها.

201 نشرت العاصفة الخراب، قدمت حاملةً شرّها

202 العاصفة مثل نار محرقة، أصابت الشعب في جنبه

203 وبأمر من الإلّه مو أولّيل، سحقت العاصفة

الممقوتة كل شيء في البلاد.

204 ومثل رداء، غطّت مدينة أور

وسجنتها وكأنها في (قماش) كتان

205 التحية الخامسة (نهاية النشيد الخامس)

207 النشيد الجوابي

المجموعة:

206 بذلت العاصفة الغاضبة عنيف قوتها

والشعب صعّد الأنين.

---

(١) لقب سكان ما بين النهرين.

النشيد السادس

رئيس المجموعة ومن أجل اللازمة، المجموعة:

208 في ذلك اليوم، المدينة اجتاحتها العاصفة
فدُمّرت هذه المدينة
209 مدينة الأب الإلّه نانا[١]، تمّ تدميرها؛
والشعب صعّد الأنين
210 في ذلك اليوم، اجتاحت العاصفة البلاد؛
والشعب صعّد الأنين.
211 شعبها تبددت ممتلكاته وأطيح به فسقط على جنبه
212 أشلاؤه على الأسوار تناثرت؛
والشعب صعّد الأنين.
213 أمام بوابته العالية، وفي شوارعه العريضة،
انتشرت الجثث
214 وعلى طول ساحاته، كما كانت تقام من أجل الأعياد
تم انتشارها بشكل مفاجيء
215 في شوارعه وفي باحاته، انتشرت الجثث،
216 وفي أماكن البلاد المخصصة للألعاب
تكدّست الجثث حيث تمّ انجرافها
217 ومثل نحاسٍ ورصاص في حالة الذوبان
كان يتفجّر دم البلاد
218 ومثل شحم معرض لحرارة الشمس
كانت الأجساد الميّتة تذوب وتختفي.
219 أولئك الرجال، الذين حطمتهم البلطة چازين[٢]

---

(١) (Nanna) الإلّه القمر، الإلّه الحامي لمدينة أور المرثية.
(٢) (Gazin).

لم يكن يغطي رؤوسهم أي ضماد.

220 ومثل شفاه غزلانٍ أَطبقت عليها الأفخاخ
كانت شفاههم يمرّغها التراب

221 هؤلاء الرجال الذين أصابتهم السهام
لم يعملْ أي ضماد لإسعافهم.

222 ومثل نساءٍ في مكان ولادتهن
كانوا في دمائهم يصرخون.

223 هؤلاء الرجال، الذين قضت عليهم الخناجر[1]
ما عادوا يمدّون أيديهم.

224 إنهم مؤكداً لم يكونوا ثملين (ولكن) أعناقهم
كانت تتدلّى جانباً.

225 الذين لم يتخلوا عن أسلحتهم، أبيدوا بالسلاح؛
والشعب صعّد الأنين.

226 طرحت العاصفة الهاربين أرضاً؛
والشعب صعّد الأنين

227 في أور، قضت المجاعة على الضعفاء
كما قضت على الأقوياء

228 الآباء والأمهات الذين قبعوا في بيوتهم
قضوا بالنار

229 الأطفال الصغار، المستقرون بأمان على ركب
أمهاتهم، مثل سمكٍ جرفتهم المياه

230 حاضنات الأطفال ذوات السواعد القوية
تلاشت سواعدهن.

231 إنهار بناء البلاد؛

---

(١) (Harpé) خنجر ذو شفرة معقوفة.

والشعب صعّد الأنين

232 مجلس البلاد، ابتلعته هاوية الأعماق؛

والشعب صعّد الأنين

233 الأمهات أَبْعَدْن الأبناء عن أنظارهن؛

والشعب صعّد الأنين

234 تحول الآباء عن أبنائهم؛

والشعب صعّد الأنين

235 في المدينة، تفرّق الأزواج عن بعضهم البعض،

تفرّق الأبناء وتشتّت الممتلكات

236 دفعت الرياح «ذوي الرؤوس السوداء» دفعتهم

وكأنهم في مكان اجتماعٍ عائلي.

237 سيدتهم، مثل عصفور أطلِق للريح جناحيه،

من مدينتها طُردت.

238 الإلّهة چاشان ـ چال[1] مثل عصفور أطلق

للريح جناحيه، طردت من مدينتها.

239 ممتلكاتهم، المكدّسة في البلاد

وُضِعت عليها يد آثمة.

240 المخازن التي تزخر بها البلاد

باتت ضحية للنيران

241 جيبيل[2]، الإلّه الذي يطهر كل شيء

بكامل طاقته أتمّ مهمته

242 على الجبل الشامخ، على الإيكيشنومال[3]

الذي لا يقهر

(١) (Gashan-Gal) بمعنى السيدة العظيمة وهو هنا لقب إلّهة أور قرينة الإلّه القمر.

(٢) (Gibil) إلّه النار، ورد سابقاً.

(٣) (E. Keshnumal) بمعنى بيت النور وهو معبد الإلّه القمر في أور.

243 وفي المعابد المقدسة، البلطات الكبيرة
چازين[1] مزّقت كل شيء.

244 رجال بلاد سو[2] والعيلاميون[3]
في عنف تخريبهم، لم يبقوا على شيء.

245 بالفأس هدّموا المعابد المقدسة؛
والشعب صعّد الأنين.

246 وإلى خرابٍ حوّلوا المدينة؛
والشعب صعّد الأنين

247 صرخت سيدتها: «آه! مدينتي!»
صرخت: «آه! معبدي!»

248 الإلّهة چاشان چال صرخت: «آه! مدينتي!»
صرخت: «آه! معبدي!»

249 وعلى الرغم من كوني سيدة البلاد،
فمدينتي وكذلك معبدي تم هدمهما.

250 أيها الإلّه نانا، أور دمّرت
وتشتّت شعبها

251 التحية السادسة (نهاية النشيد السادس)

253 النشيد الجوابي

المجموعة:

252 في حظيرتها، في حرمها، تلفظت
السيّدة بكلمات مريرة
(a) 252 المدينة دمّرتها العاصفة.

---

(١) (Gazin).
(٢) (Su) قبائل السو أو السوتو كانت منطقة تجمعهم بجوار جبل البشري.
(٣) (Elamites).

النشيد السابع

المجموعة، الإلّهة چاشان ـ چال:

المجموعة:

254 الأم، چاشان ـ چال، عن مدينتها،
مثل عدوّة أُبعدت

255 هي السيدة، أطلقت بملء صوتها
رثاءها المتفجّع على معبدها المدَمّر.

256 الأميرة، على مقامها المخرب في أور
أطلقت تفجّعها المرير

الإلّهة:

257 الإلّه آن[1] بالتأكيد لعن مدينتي
آن دمّر مدينتي

258 الإلّه مو أولّيل[2] أطاح بمعبدي
الفأس هدّمته

259 من المؤكد أن الإلّه الآتي من الأسفل ألهب (معبدي)
آه! يا مدينتي، إنّه دمّرها أيضاً

260 الإلّه مو أولّيل، آتياً من الأعلى
وجّه إليها آفاتها ومصائبها

261 بجوار المدينة، هدّم الضواحي
«آه! يا مدينتي»، أريد أن أصرخ!

262 في صدر المدينة، دُمِّر قلبها

---

(١) (An) إلّه السماء.

(٢) (Mu. ul. lil) الإلّه إنليل.

«آه! يا مدينتي»، أريد أن أصرخ!

263 معابدي في الضواحي، تم تدميرها

«آه! يا مدينتي»، أريد أن أصرخ!

264 معابدي، في قلب المدينة، دُمّرت

«آه! يا مدينتي» أريد أن أصرخ!

265 مدينتي، مثل نعجةٍ أمينة، لم تُحتضن،

راعيها الفتى غادرها

266 أور مثل نعجة أمينة لم تُحْتَضَنْ،

راعيها الفتى مضى بعيداً عنها.

267 ثيراني، لم توجّه إلى حظائرها

فحارسها، غاب عنها

268 خرفاني إلى زريبتها، لم تُقَدْ،

فراعيها غاب عنها.

269 أقنية مدينتي، ردمتها الأتربة

فحفرت فيها الثعالب أوكارها

270 لم تعد الماء الصافية، تسيل في مجاريها

فقد هجرها مراقبوها

271 في حقول مدينتي، لم تعد هناك حبوب

فالفلاّح قام بهجرها.

272 حقولي مثل أرضٍ أكتفي بعزقها

جعلت الأعشاب مول چانبيل[١] تنمو فيها.

273 في جنان بساتيني، حيث كان يطفح عسل الفواكه وخمر التمور

ترى اليوم فيها أشواك الجبل تنمو

274 سهولي المبهجة، التي كانت تنتج فيضاً من الجعة

---

(١) (Mul. Gan. bil).

تحولت إلى عَفَرٍ وكأن فرناً أحرقها.

275 ممتلكاتي وكأن رفّاً من الغربان سلبها
جاعلاً منها غنيمته، «آه! يا ممتلكاتي»
أريد أن أصرخ!

276 ممتلكاتي، الذي أتى من الأسفل، نحو الأسفل حملها حتماً
«آه! يا ممتلكاتي» أريد أن أصرخ!

277 ممتلكاتي، الذي أتى من الأعلى، نحو الأعلى حملها حتماً
«آه! يا ممتلكاتي» أريد أن أصرخ!

278 فضّتي وأحجاري الكريمة ولازوردي تمت بعثرتها
«آه! يا ممتلكاتي» أريد أن أصرخ!

279 كنزي، ابتعلته الهاوية حتماً
«آه! يا ممتلكاتي» أريد أن أصرخ!

280 فضّتي، رجال لا يعرفون قيمتها
ملأوا بها أيديهم

281 أحجاري الكريمة، رجال لا يعرفون قيمتها
أثقلوا بها أعناقهم.

282 عصافيري الصغار وجميع طيوري فرّت (خائفة)
«آه! يا مدينتي»، أريد أن أصرخ!

283 بناتي وأبنائي، مرّغهم التراب
«آه! يا أبنائي» أريد أن أصرخ!

284 يا للبؤس، بناتي في مدينة غريبة
عليهن حمل شعارات أجنبية.

285 الأبطال، لم يعد ميدانهم يتعرف عليهم
يرتدون ألبسة حُوّلت إلى أسمال.

286 يا للبؤس! مدينتي فقدت وجودها
وأنا لم أعد إلّهتها.

287 أيها الإلّه نانا، أور فقدت وجودها
وأنا لم أعد سيدتها.
288 هُدِّم معبدي، خُرِّبت مدينتي،
289 على الرغم من كوني السيدة المقدّسة
مدينتي أضحت مدينة غريبة.
290 دُمِّرت مدينتي، خُرِّب معبدي
291 على الرغم من كوني الإلّهة چاشان ـ چال،
فقد تحوّل معبدي إلى معبد غريب
292 يا للبؤس، دُمِّرت المدينة وخُرِّب المعبد
293 أيها الإلّه نانّا، أور، الملاذ، تم تدميرها
وأبيد سكانها.
294 يا للبؤس! في أي موضعٍ سوف أستريح
في أي موضع يمكنني أن أقف
295 يا للبؤس! مدينتي أصبحت مدينة غريبة
296 على الرغم من كوني الإلّهة چاشان ـ چال
تحوّل معبدي إلى معبدٍ غريب
297 لأنني أبعدت عن مقرّي، أبعدت عن سهلي (المزروع)
«آه! يا مدينتي!» أريد أن أصْرخ
298 لأنني أبعدت عن مدينتي، لأنني أبعدت عن أور
«آه! يا مدينتي!» أريد أن أصرخ.

المجموعة:

299 إنها تنتزع شعرها، كما باليد
تقتلع العشبة نومونبور[1]

---

(١) (Numunbur).

300 صدرها، [بيدها الطاهرة]، تضرب على صدرها
«آه! يا مدينتي!» هي تصرخ
301 ملأت عينيها الدموع
وبدموع مريرة هي تبكي.

الإلَهة:

302 يا للبؤس! مدينتي تحوّلت إلى مدينة غريبة.
303 على الرغم من كوني الإلَهة چاشان ـ چال
تحول معبدي إلى معبد غريب
304 يا للبؤس، فصلت عن حظيرتي
أنا بقرة كليمة!
305 أنا الإلَهة چاشان ـ چال أصبحت مثل راعٍ لا حول
ولا قوة له، عندما انهار السلاح على نعجاتي.
306 يا للبؤس! أجبرت على الخروج من المدينة
ولم أعد أعرف الراحة.
307 أنا الإلَهة چاشان ـ چال، أُجبرت على الخروج
من معبدي ولم أعد أعرف مقراً لي.
308 أنا حتماً تائهة، ولكنني أبقى مرفوعة الرأس
في مدينة غريبة
309 في معبد التنبّؤات، يسيطر الألم
والذين هم على رأسه أتوا لمقابلتي.
310 في معبد التنبّؤات، الرجال ساكنو هذا المقر
لم أستطعْ إرشادهم.

المجموعة:

311 في ذلك المكان، وبسبب مدينتها المخربة،

اقتربت منه ودموعها مثل سيلٍ تنهمر.

312 نحو الإلّه، بسبب معبدها المهدّم، توجّهت
ودموع ألمها مثل سيلٍ تنهمر

313 بسبب معبدها المهدّم، اقتربت منه
ودموع ألمها مثيل سيلٍ تنهمر

314 بسبب مدينتها المخرّبة، اقتربت منه
ودموع ألمِها، مثل سيلٍ تنحدر

الإلّهة:

315 «يا للبؤس! يا لمصير مدينتي!» أريد أن أصرخ
مرّ هو مصير مدينتي!

316 أنا السيدة، «آه! يا معبدي المهدّم» أريد
أن أصرخ، مرّ هو مصير معبدي!

317 آه! يا جدار أور! يا جداري الذي هُدّم،
جداري الذي أُطيح به!

318 يا معبدي المقدس، يا مدينتي التي تحوّلت إلى خراب!

319 في أنقاضِ معبدك المقدس والمهدّم
تمددتُ بالقرب منكِ (يا مدينتي)

320 مثل ثورٍ مذبوح
عن جدرانك لا أستطيع الانسلاخ!

321 يا للكارثة! بناؤك كان خدّاعاً
ومرير هو خرابك

322 وبينما أنا، السيّدة، حُرمت من التقدمات
في معبدي في أور

323 وثروات الإينونكوچ[١] خاصتي، ثروات

---

(١) (E. nunkug) معبد الإلّهة چاشان ـ چال في أور، أي قرينة الإلّه القمر.

معبدي الجديد هذا، لم تعد تصل إليّ

324 مدينتي التي كان (أُحسن) بناؤها

تم خرابها، ولماذا خُرِّبت

325 إنها اجتيحت وتم خرابها، ولماذا خُرِّبت:

326 القُدرة المغرقة لمياه عاصفةٍ شرّيرة، عاصفة

مريرة ومتواصلة، لم ترحمك

327 يا معبد زوئين[1] في أور، مرير هو خرابك

328 التحية السابعة (نهاية النشيد السابع)

330 النشيد الجوابي.

المجموعة:

329 آه يا معبدي! آه يا معبدي!

النشيد الثامن

المجموعة:

331 أيتها السيدة، هذا ما شعر به قلبك[2]

هذا ما آلت إليه حياتك[3]

332 أيتها الإلَهة چاشان ـ چال، هذا ما شعر به قلبك!

هذا ما آلت إليه حياتك.

333 أيتها السيدة المقدّسة، أنت التي هدّمت

مدينتها، مثل ما نحن ننشد، هكذا أنتِ أنشدتِ.

334 أيتها الإلَهة چاشان ـ چال، أنت التي دُمِّرت بلادها

هذا ما شعر به قلبك!

---

(١) (Zuen) لقب نانّا الإلَه القمر، إلَه مدينة أور.

(٢) حرفياً: هكذا هو قلبكِ.

(٣) حرفياً: هكذا أنت تحيين.

335 بعد تهديم مدينتك، مثل ما نحن ننشد
هكذا أنتِ أنشدتِ

336 بعد تخريب معبدك، هذا ما شعر به قلبك!

337 مدينتك أصبحت مدينة غريبة، ومثل ما نحن
ننشد، هكذا أنتِ أنشدتِ

338 معبدك أصبح بيتاً للدموع
هذا ما شعر به قلبك!

339 ما عدت سيدة مدينتك
التي حُوِّلت إلى أنقاض.

340 ما عدت تستقرين كساكنةٍ في معبدك المقدس
الذي هدّمته الفأس

341 ما عدت تقودين كعاهلةٍ
شعبك الذي اقتيد إلى المذبحة.

342 ما عدت تملكين دموعك[١]
وبلدك جفّف دموعه

343 بلا دموعٍ وبلا مراثٍ
أصبح في بلد غريب ساكنوه

344 شعبك وكأن الكلمات أتعبته
أبقى فمه مغلقاً

345 مدينتك التي حُوِّلت إلى خراب، مثل ما نحن
ننشد، هكذا أنتِ أنشدتِ

346 إلى مركزٍ منهار حُوّل معبدك،
هذا ما شعر به قلبك!

347 أور المعبد الذي تُرك لعصف الرياح، مثل ما نحن

---

(١) حرفياً: دموعك أصبحت غريبة عنك أي عن إرادتك.

ننشد، هكذا أنتِ أنشدتِ

348 كاهنه چودوچ[١] لم يعد يلبس شعره
النذري المستعار، هذا ما شعر به قلبك!

349 كاهنه الأكبر إين[٢]، لم يعد يسكن
حرم الـ چي - پار[٣]

350 الكاهن [...]، المكلف بالتطهير
لم يعد ينفّذ عمله من أجلك.

351 أيها الأب، أيها الإلّه نانّا[٤]، طقسك المكرّسُ
(لقربان) الطحين الطاهر، لم يعد يقام من أجلك

352 كاهنك الجليل، في الحرم المقدس (للمعبد ذي الطبقات)
لم يعد يرتدي لباس الكتان (من أجلك)

353 كاهنك المقدس «إين»[٥] الذي اختاره قلبك
الهانىء في الإيكيشنومال[٦]،

354 لم يعد قط يترك معبده، ليدخل ببهجة
إلى حرم الچيپار[٧]

355 في الـ آچو[٨]، معبدك المخصص للأعياد
لم يعد أحد يتذوّق نعيم الاحتفالات

356 لم يعد أحد، يقرع من أجلك الطبل والطبلة،
اللّذين يفرحان القلب ولا القيثار تيچي[٩]

---

(١) (Gu. dug).

(٢) (En) مرتبة كهنوتية سومرية.

(٣) (Gi. par) جناح سكن الإلّه أو الكاهن في المعبد.

(٤) (Nanna) الإلّه القمر سيد مدينة أور.

(٥) (En) ورد آنفاً راجع ملاحظة السطر ٣٤٩.

(٦) (E. Keshnumal) بمعنى بيت النور وهو معبد الإلّه نانّا في أور.

(٧) (Gipar) ورد آنفاً راجع السطر ٣٤٩.

(٨) (A. gu).

(٩) (tigi) آلة موسيقية، يعتقد البعض أنها نوع من آلات الإيقاع كالطبلة ويعتقد آخرون بأنها آلة وترية كالقيثارة ويساعد هنا النص على هذا الاعتقاد.

357 شعب «ذوي الرؤوس السوداء»[1]، ما عادوا
يغتسلون[2] من أجل أعيادك.

358 (شعبك) عندما انتُزع منه أفضل ما له، قُطِعَ
مثل خيطٍ مصيره، وتبدّل مظهره.

359 أناشيدك تحوّلت إلى أنين،
إلى متى سيتابع القلق تعاظمه؟

360 استبدلت أنغام التيجي بالمراثي،
إلى متى سيستمرّ تعاظم القلق؟

361 لم تُعَدْ ثيرانك إلى حظائرها
ولم يُعدّ من أجلك شحمها.

362 خرفانك، لم يتم إدخالها إلى زريبتها،
ولبن نعجاتك لم يُجلبْ من أجلك

363 لم تجلب لك مخصصات الدهن من الزرائب،
إلى متى سيتابع القلق تعاظمه؟

364 مخصصاتك من الحليب، لم تجلب لك من الزرائب،
إلى متى سيتابع القلق تعاظمه؟

365 السمك الذي كان الصيادون يحملونه لك، بشراسةٍ
صُودر منهم، إلى متى سيتابع القلق تعاظمه؟

366 صيادو الطيور، العصافير التي كانوا يحملونها لك
بعنفٍ تم القبض عليهم.

367 في وسط أقنيتك، حيث كانت القفات[3] تجري،
شوهدت النباتات أوسار[4] تتكاثر.

---

(١) لقب سكان ما بين النهرين.

(٢) الاغتسال هنا هو وضوء لتحقيق طهارة المحتفلين بالأعياد.

(٣) القفّة العراقية عوامة دائرية مصنوعة من الأسَل أو القصب المنسوج تطلى بالقار لتأمين عدم نفاذ الماء إليها وتستعمل في النقل المائي في الأقنية.

(٤) (U. Sar) نوع من النباتات المائية تنمو في الأقنية المهجورة الصيانة.

368 على الطرق، حيث كانت مسالك العربات سهلة
تكاثرت أشواك الجبل.
369 يا سيدتي، مدينتك، وكأنها (أمام) أمّها،
تسكب أمامك متفجّعةً سيولاً من الدموع.
370 مدينة أور مثل طفل في شارع مهدّم،
يفتش لنفسه عن مكانٍ أمامك.
371 معبدك مثل رجلٍ فقد كل شيء
يلوي أمامك بيديه
372 آجرّات معبدك، وكأنها بشر تصرخ:
«أين أنت موجودة؟»
373 يا سيدتي، في الحقيقة، أنت خرجت من
معبدك وأُخرجتِ من مدينتك
374 إلى متى عن مدينتك، مثل عدوة
ستبقين منفصلة.
375 أيتها الأم، أيتها الإلّهة چاشان ـ چال
مدينتك، مثل مدينة عدوّة تتحدى (عودتك)
376 ومع أنك سيدة تحبّ مدينتها،
هجرتِ مع ذلك مدينتكِ
377 ومع أنك الأم، الإلّهة چاشان ـ چال التي تحبّ شعبها
هجرت مع ذلك شعبك
378 أيتها الأم، أيتها الإلّهة چاشان ـ چال، مثل ثور
اذهبي إلى حظيرتك، مثل خروف اذهبي إلى زريبتك
379 مثل ثورٍ، (توجّهي) نحو حظيرة الأيام الماضية.
مثل خروف (توجهي) نحو زريبتك
380 مثل طفل صغير، (توجهي) نحو غرفتك،
أيتها المرأة الفتية (توجهي) نحو معبدك.

مرحلة الأمل بإعادة البناء والعودة:

381 ألا فليقل لك آن[١]، ملك الآلهة:

«كفى إذن فيما يختص بكِ».

382 والإلّه مو أولّيل[١] ملك كل البلاد

فليقرر، هكذا مصيرك.

383 ولتعدْ مدينتك من أجلك إلى مكانتها

ولتستعدْ سيادتها.

384 ولتعدْ أور من أجلكِ إلى مكانتها

ولتستعد سيادتها.

385 التحية الثامنة (نهاية النشيد الثامن)

387 النشيد الجوابي

المجموعة:

386 شرائعي تبلبلت

النشيد التاسع

المجموعة أو نصف المجموعة:

388 يا للبؤس! العواصف مجتمعةً أطلقت على البلاد ثورتها

389 عاصفة السماء الكبرى، العاصفة بزئيرها،

390 العاصفة المريرة التي فرضت على البلاد نظامها

391 العاصفة المهدمة للمدينة، العاصفة مخربة البيوت

392 العاصفة المجتاحة للحظائر، العاصفة المطيحة بالزرائب،

393 العاصفة التي على الطقوس المقدسة، مدّت يدها

---

(١) (An) إلّه السماء.

(٢) (Mu. u. lil) الإلّه إنليل.

394 والتي دنّست بيدها مداولات الاجتماعات المهمّة،
395 التي حرّمت على البلاد ما هو ملائم لها
396 (العاصفة) التي قيّدت «ذوي الرؤوس السوداء»!
397 التحية التاسعة (نهاية النشيد التاسع)
399 النشيد الجوابي

المجموعة:

398 العاصفة في اجتياحها كانت عاصفة مشؤومة.

النشيد العاشر

المجموعة أو نصف المجموعة:

400 العاصفة التي لا تعرف أمّاً، العاصفة التي لا تعرف أباً،
401 العاصفة التي لا تعرف زوجاً، العاصفة التي تعرف أطفالاً،
402 العاصفة التي لا تعرف أختاً، العاصفة التي لا تعرف أخاً
403 العاصفة التي لا تعرف فقيراً، العاصفة التي لا تعرف قوياً،
404 العاصفة التي ترمي بالزوجة أرضاً والتي ترمي بالطفل أرضاً
405 العاصفة التي حرمت البلاد من النور
406 العاصفة التي جعلت البؤس المرير شاملاً
تنفيذاً، للأوامر[١]
407 أيها الأب، أيها الإلّه نانّا، إجعل ألاّ تحطّ
العاصفة بعد الآن على المدينة.
408 عن شعبك، عن «ذوي الرؤوس السوداء»
لا تحوّل نظرك.
409 العاصفة كالمطر المتساقط من السماء

(١) أي أوامر الإلّه إنليل بالعقاب.

إجعلْ ألاّ تعود بعد الآن إلى هذا المكان.

410 كائنات السماء والأرض[١]، الذين

استولوا على «ذوي الرؤوس السوداء»

411 إجعل، أن ينهاروا جميعهم، في هذا اليوم

412 ولتقمْ بسجنهم ردفة باب تماثل

بوّابة الليل الكبرى

413 إجعل ألاّ تدخل هذا العاصفة بعد الآن

في سجلات حسابك

414 وهذا الحساب، فليعلق إلى مسمار[٢]

في معبد الإلّه إنليل.

415 التحية العاشرة (نهاية النشيد العاشر)

417 النشيد الجوابي

المجموعة:

416 في المستقبل، هذه العاصفة العدوّة، وما تلاها

إجعل (أيها الإلّه نانا) أن يهدأ كل ذلك.

النشيد الحادي عشر

المجموعة وأحد مقيمي الطقوس

المجموعة:

418 منذ أن ثارت العاصفة المنقضّة على البلاد

419 أيها الإلّه نانّا، البشر جميعهم

(١) وهم الآتون من الأعلى والآتون من الأسفل الذين مرّ ذكرهم في السطرين ٢٥٩ و٢٦٠.

(٢) تعبير يعني الموت، ويستعمل لتعليق جثث الموتى في العالم السفلي.

أخذوا نحوك طريقهم

420 جماهير معبدٍ، ملأته المراثي، مرّوا أمامك

وهم ينشدون لوجهك

421 «ذوو الرأوس السوداء» الذين طُردوا

يسجدون أمامك

422 دموع المدينة المخربة، سالت دون شكٍ أمامك

423 مدينتك التي أعيد اليوم بناؤها، أيها الإلّه

نانّا، فلتصبح متألقةً من أجلك،

424 ومثل نجمة طاهرة لتكن ديمومتها

ولتسلك أمام وجهك طريقها.

425 أيها الإلّه، رجال المدينة

بتقدماتهم، سوف يأتون إليك،

426 والذي يحمل القرابين، يرفع إليك هذه الصلاة:

(الرجل المكلف بالصلاة، يدخل)

مقيم الطقوس:

427 أيها الإلّه نانّا، أنت الذي تشفق على بلدك

428 أيها الإلّه السيد آشيم بابّار[1]،

عندما تنفذ كلماتي إلى قلبك

429 أيها الإلّه نانّا، رجال المدينة جميعهم،

حلّهم من خطاياهم.

المجموعة (متوجهة إلى مقيم الطقوس):

---

(١) (Ashim. babbar) صفة للإلّه نانّا بمعنى الإلّه ذو الشروق المنير.

430 أنت الذي تتلو الصلاة

لعلك تنجح في تهدئة قلبه[1]

مقيم الطقوس (متوجهاً إلى الإلّه):

431 انظر بعين الرضا، إلى الذي يقدم لك قرابين

وهدايا رجال المدينة

432 أنت الذي، نظرته الـمُبَارِكَة

تبهج جميع القلوب

433 قلوب هذا الشعْب الشرّيرة، اجعل

أن تكون جميعها طاهرة

434 قلوب (رجال) بلدك، اجعل

أن تكون خيّرة.

المجموعة:

435 أيها الإلّه نانا، مدينتك المعاد بناؤها

مدائحها تعترف بمجدك!

---

(١) عرفت بلاد ما بين النهرين صلوات خاصة لتهدئة قلب إلّه غاضب وسوف ترد أمثلة عنها في الكتاب الرابع.

(٦٩) ــ الكاهن ــ النّدّاب وطقوس إعادة بناء معبد مخرّب

١ ـ الكاهن ـ النّدّاب، هو الكاهن المعروف أكادياً تحت اسم الكاهن ـ كالو[١]، وقد أشرنا آنفاً بمناسبة عرضنا للنص رقم (٤٤) إلى مفهوم الكالو ودوره في استخراج آجرة أساس المعبد المنهار ووضع آجرّة أساس جديدة في مكانها بعد تكريسها. وقد أثبتنا بمناسبة عرضنا للنص السابق المحتوى التكويني للصلاة التي يتلوها الكالو بمناسبة إعادة البناء.

٢ ـ ونثبت هنا، ما وصلنا من الطقس المرافق لهذه العملية والتعليمات التي على الكالو اتباعها بهذا الصدد. موضحين هنا بأن كهّان الكالو، كانوا يشكلون دَرجةً خاصة من الكهّان الذين كانت مهمتهم تهدئة غضب الآلهة بواسطة الأناشيد ترافقها آلات القرْع أو النقْر وأهمها الليليسّو[٢]. ويعتقد أن الكهّان كالو، كانت لهم ثقافة دينية خاصة وكانوا يستعملون في أناشيدهم لهجة خاصة، هي الإيميسال[٣] أشرنا إليها بمناسبة عرض النص رقم (٦٨).

التعليمات:

[......]

---

(١) (Kalu) انظر الحاشية المرافقة للنص رقم (٤٤).

(٢) (Lilissou) نوع من الطبل على شكل قِدْر له جلد يقرع عليه.

(٣) (Eme-Sal) انظر الفقرة (٥) من تقديم النص رقم (٦٨).

على [المكلّف بإشادة] هذا «البيت»

15 ارتداء كساءٍ طاهر،

وعليه أن يلبس في يده سِواراً من القصدير

وأن يستعمل فأساً من الرصاص؛

ثم ينتزع [آجرّة الأساس السابقة]،

ويتلو تفجعاً على المعبد،

(و) يطلق «تحسّرات!»

بينما توضع هذه الآجرة [في مكانٍ]

محرّمٍ على من هو غير مؤهل بذلك.

20 ومن محرقة البخور، على الكاهن ـ كالو،

نشر وتصعيد روائح (التبخير، بينما) يتمّ على [الآجرة]

نثرُ عسلٍ وسمنٍ ـ دسمٍ وحليبٍ وجعةٍ من

النوع الممتاز، وخمرٍ، وزيت حلوٍ.

بعد ذلك يتلو الكاهن على الآجرة:

عندما آنو[١]، خلق السماء

25 وخلق نوديمّود[٢] الأبسو[٣] مقرّه

استخرج إيا من الأبسو حفنةً من الصلصال

وخلق الإلّه كولا[٤] للإشراف

على تجديد [المعابد]

(ثمّ) خلق المقاصب وغياض الشجر

(لتلبية احتياج) مهمة بنائها.

(يمكن متابعة النص تحت الرقم ٤٤ من هذا الكتاب في الأسطر ٢٩ ـ ٣٩).

---

(١) (Anu) إلّه السماء.

(٢) (Nudimmud) لقب إيا (Ea) ومعناه المكلف بالخلق والصنع.

(٣) (Apsu) مقر إيا أي المياه العذبة الباطنية التي تحمل قرص الأرض.

(٤) (Kulla) إلّه الآجر المشرف على تجديد المعابد.

(٢ ـــ ٤) ـــ الثواب والعقاب والعدالة الإلّهية

١ ـ قلنا في مناسبات عدّة من هذا الكتاب، إن الإلّه كان مشرعاً وقاضياً وممثلاً للعدالة، يمسك بيده مصير البشر أفراداً وجماعات، ملوكاً وشعوباً، وليس بإمكان أحدٍ سبر نواياه، يقرر ما يشاء ولا مَردّ لمشيئته، يعاقب ويكافىء. يعاقب من أغضبه ويكافىء من سار على دربه. وكبشرٍ، تساءل الإنسان إذا كان عليه أن يستمر في سيره على دربٍ يكتنفه ظلام جهله لنوايا الإلّه وأن يعيش بشكل دائم في قلقٍ، خشيةً منه لكي لا يغضب الإلّه ولو كان ذلك عن غير قصد، وهذا ما تردده صلوات عديدة[١] تسعى لتهدئة قلب إلّه غاضب.

٢ ـ كل ذلك جعل الإنسان يسلّم أمره للإلّه وينتظر منه كل إشارة تنم على رضاه، لدى تنفيذه لكل ما يقرّبه منه.

وأمثلة الثواب والعقاب التي استعرضناها آنفاً كانت تمثل بكل بساطة، منطقاً لا لبس فيه، يتحكم في العلاقة بين الإلّه والبشر.

وإذا ما كانت الصحة والأبناء والثروة، مكافأةً للرجل التقي، والمرض والعقم والفاقة عقاباً له، فإن بساطة هذا المنطق، دفعت مفكري ما بين النهرين إلى إلقاء تساؤلات عديدة على أنفسهم حول العدالة الإلّهية، في محاولة الإجابة عن سؤال، لماذا يعاقب الإلّه الرجل العادل والتقي بإرسال المرض والألم إلى جسده؟ وأية خطيئة ارتكب

(١) الصلوات والابتهالات سوف تردُ في الكتاب الرابع لدى بحث التقرّب من الآلهة.

ليستحق ذلك؟ تلك هي قصة أيوب الإيدومي/ العربي التي تبنتها التوراة العبرية[1] بعد أن أدخلت عليها التعديلات الملائمة، والتي وصلنا أساسها الأكادي العائد إلى نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد والتي نثبتها فيما يلي تحت الرقم (٧٠).

٣ ـ وخلال الفترة التاريخية نفسها، أي نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد، حاول مفكرو ما بين النهرين، من ضمن حوار فلسفي، «لاهوتي» يتخلّله الشك واليقين، حاولوا، تفهم دخائل العدالة الإلّهية وتوصلوا منذ ذلك الوقت، إلى مفهوم التسليم الذي تبنته الديانات في الإسلام للّه. ونورد نص الحوارية البابلية حول العدالة الإلّهية من خلال هذه الفقرة تحت الرقم (٧١).

(١) قصة أيوب التوراتية تعود إلى حوالى ٤٥٠ ق. م. وبلاد إيدوم، تشغل الجزء الجنوبي من فلسطين وتمتدّ من الخليل حتى خليج العقبة أو إيلات في تسميته العربية المشتقّة من «اللات» الإلّهة العربية. والإيدوميون هم الأعداء التقليديون للعبريين الذين لم يشغلوا قط هذه المنطقة، التي دخلت خلال القرن الخامس لما قبل الميلاد، بالاشتراك مع النبطيين في تحالف قوي بزعامة قبائل قيدار العربية المتمركزة في القسم الجنوبي من شرقي الأردن، وكانت لهم علاقات تجارية مع مدينة صور.

(٧٠) ــــ العادل المَعذّب، أو لأمجدنّ سيّد الحكمة

١ ـ عرف هذا النص جزئياً، منذ عام ١٨٧٥، إلا أنه في عام ١٩٥٤ فقط، أعلن رسمياً على أن محتوى كُسر لوحات فخارية عثر عليها في نفر[(١)] يتوازى مع قصة أيوب التوراتية ويسبقها بأكثر من ألف عام.

٢ ـ أمكن تجميع النص الذي نحن بصدده عن ست لوحات أو أجزاء لوحات، اثنتان منها هما محفوظتان في متحف إستنبول والأجزاء الأخرى في متحف فيلادلفيا. وشاءت الصدف أن تتكامل لوحتا متحف إستنبول مع لوحتين من لوحات متحف فيلادلفيا، مما سهل على الباحثين التعرف على تفاصيل هذا النص المهم على الرغم من بعض النقص والتشويه.

٣ ـ أطلقت على هذا النص منذ البداية تسمية مطلعه ومعناه «لأمجدنّ سيد الحكمة»، كما عرف أيضاً تحت عنوان «العادل الذي يتألم» أو «العادل المعذّب»، وهو كما ورد ذلك في قصة أيوب يثير مشكلة الألم والمرض والتساؤل عمّا إذا كان يحق للرجل العادل التقي الذي يتألم وتُلمّ به المصائب أن يلوم الإلّه على مثل هذه المعاملة غير المستحقة؟ كما يتساءل، إذا ما كان يحق للبشري الحكم على العدالة الإلّهية والشك فيها ويجيب النص بنفسه عن هذا التساؤل في تمجيده الأخير للإلّه مردوك والإلّهة قرينته.

---

(١) (Nippur) مدينة إنليل والعاصمة الدينية لسومر.

٤ ـ والرجل العادل والتقي، الذي يجتاز بنجاح تجربة الألم وتحمّل المصائب وفقدان كل شيء، ورد اسمه في النص وهو على ما يظهر كان رجلاً مهماً في بلاط أحد ملوك بابل في نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد. ويتضح ذلك أيضاً من اسمي محاورَيْه في هذه السردية وأحدهما من نفّر والثاني من بابل. وهذان الاسمان هما معروفان بواسطة لائحة وصلتنا، عرفت بلائحة «كبار مثقفي الأزمنة القديمة» تشتمل على أسماء رجال المعرفة والعلم في ذلك الوقت.

٥ ـ يشكو الرجل العادل في اللوحة الأولى من أنه فقد ثروته وممتلكاته ومركزه الاجتماعي وثقة الملك وثقة ذويه ومواطنيه وتحوّل إلى فقرٍ وازدراء لم يكن يستحقهما. ويصف في اللوحة الثانية الأمراض والآلام التي أصابته لدرجة جعلت عائلته تبكيه وتعدّ لدفنه.

وفي اللوحة الثالثة، تظهرُ بارقة أمل بشفائه مكافأة له على صبره وتقاه، فتظهر له في ثلاثة أحلام متتالية شخصيات تعمل على تطهيره وتتوسّط من أجله. كما يحمل إليه شخص رابع مرسل من قبل الإلّه مردوك الغفران والوعد باستعادة الصحة والسعادة ويتمّ ذلك فعلاً، ونشهد في النص عجائب شفاء التدخل الإلّهي وقدرة مردوك على إحياء الأموات ولم يبق على الرجل العادل إلا الشكر وتمجيد الإلّه مردوك والإشادة بعظمته وصنيعه أمام البابليين والحج إلى معبد الإيساجيل بيت مردوك في بابل والطواف عبر أبوابه ونيل البركات ومراسم التطهير في مختلف المراحل وتقديم قرابينه البخورية وتضحياته الحيوانية دون التوقف أمام كل من مردوك وقرينته عن الصلاة والابتهال والرجاء والدعاء.

٦ ـ على الرغم من كون قصة أيوب التوراتية تحتوي على تفاصيل، تعيد مسرح أحداثها إلى منطقة حدود الجزيرة العربية وبلاد إيدوم الفلسطينية التي كانت مشهورة بحكمائها ومن بينهم أيوب ومحاوريه الثلاثة، وهم أليغاز التيماني، ويَلْدَذ الشوحيّ، وصوفَر النعمانيّ والمتدخل الأخير وهو إيليهو بن بَرَخْئيل البوزي من عشيرة رام، وهذه الأسماء هي كنعانية الأصول مثال دانل وكيريت الأوغاريتيين، فإن تبنّيها من قبل التوراة اليهودية تم بعد انتهاء السبي، أي خلال القرن الخامس لما قبل الميلاد ويدل على

ذلك أيضاً التأثر الآرامي في لغتها، كما يعتقد بوجود أكثر من مؤلف واحد وراء نص هذا السفر التوراتي الذي أدْخَلَتْ عليه المدرسة اليهودية تعديلاتها الخاصّة. ونترك للقارىء مهمة التعرّف بنفسه على النص التوراتي أو إجراء بحثٍ لا يدخل في مجال هذا الكتاب.

اللوحة الأولى

1 لأمجدنّ سيد الحكمة، الإلّه [العليم]،
أنت الذي تقهر الليل وتنشر أنوار [النهار]
مردوك، سيد الحكمة، الإلّه [العليم]
الذي يقهر الليل وينشر أنوار النهار
5 وهو الذي مثل دوّار عاصفة يلفّ بِغضبِه كل شيء،
ولكن مثل نسيم الصباح نعمةُ نفسِه!
لا يقاوم احتدامه ومثل طوفان غضبه
ولكنّ قلبه يتحول دائماً وتعود إليه طيبته
وهو الذي لا قدرة للسماوات على تحمل لطمة يديه
10 ولكنّ راحته مهدّئة وهي تحيي الأموات[١]
[. . . . .][٢]
إلّهي أهملني وغاب إلى الأبد،
إلّهي تحوّلت وابتعدت [عني] !
45 و (عني) افترقَ الملهمُ الخيّر الذي كان يرافقني
وهرب ملاكي الحارس مفتشاً عن غيري!
سلبت مني حيويتي واعتم مظهر رجولتي
ذهبت صحتي الجيدة، ودفعة واحدة،
رُفعت عني كل حماية!

---

(١) بمعنى تشفي المريض المشرف على الموت.
(٢) مطلع اللوحة مشوّه، وقد أمكن إنقاذ محتوى هذا القسم الأول منه ولا يزال هناك نقص حوالى ٣٠ سطراً.

وعندما تعرّفت على إشارات مخيفة تمثّلت أمامي

50 غادرت بيتي وفي الخارج، مشيت هائماً على وجهي.

المنذرات لدى استشارتها، كانت مليئة

بالاضطراب وأيامي كلها ملتهبة.

تركت العرّاف ومفسّر الأحلام ولم أكن عند ذلك

أكثر معرفة للطريق الذي عليّ أن أسلك

والكلمات التي سمعتها في الشارع، كانت نذير

شؤم من أجلي[١]

مخيف هو حلمي، عندما أنام ليلاً.

55 والملك (نفسه)، الكائن الإلّهي[٢] وشمس شعبه

لسوء طالعي، لم أستطع تهدئة غضب قلبه.

رجال البلاط، لا يكفون عن مراكمة العداء ضدي

يجتمعون ليتبادلوا فيما بينهم أشياء لا يحسن قولها،

كأن يقول الأول: «سوف أقضي على حياته!»[٣]

60 ويصرّخ الثاني: «سوف أفقده مركزه»!

وأما الثالث (فيقول): «سوف أستولي على

ما أُسند إليه!»

«سوف أنفذ إلى بيته!» يعلن الرابع

أما الخامس: «سوف أخرّب [...] !

والسادس والسابع ضايقا ملاكي الحامي (؟)[٤]

65 عصابة السبعة[٥] جنّدت قواها

---

(١) الكلمات المسموعة صدفة في الشارع تستعمل للعرافة.

(٢) حرفياً: جسد إلّه.

(٣) حرفياً: سوف أسكب حياته أو بتعبير أصحّ أُرهق حياته.

(٤) هو الإلّه الشخصي الذي كان يعتقد أنه يرافق كل بشري ويتوسط من أجله.

(٥) هم فرقة إيرّا التخريبية، تمّ التعريف بإيرّا في النص رقم (٦٧).

ومنعدمو الشفقة مثل الشيطان ـ آلو،
إنهم يشبهون [. . .]
إنهم جسم واحد وليس لهم سوى فم واحد
موجه ضدّي، الحقد في قلوبهم ويلتهبون
مثل نار الغضب؛
والمنحة (الوحيدة) التي ينعمون بها عليّ، هي
الاستغابة والنميمة.
70 ولساني الذي كانت الثقة تميّزه تمكنوا من لجمه
أنا الذي كانت شفتاي سهلة الحديث، أصبحت
مثل أصم ـ أبكم.
ونداءاتي التي كانت مرفوعة الصوت أُجبرت على الصمت!
رأسي الذي كنت أحمله عالياً، انحنى حتى الأرض
وقلبي الممتلىء قوة، أضعفه الرعب.
75 صدري العريض، يستطيع (اليوم) طِفْلٌ[1] دَفْعَه
ذراعاي المملوءتان نشاطاً، شُلّتا الواحدة تلو الأخرى
وأنا الذي كنت أتنقّل متبختراً كسيّد، تعلّمت
أنا أسير متستراً بالجدران.
مِنَ السيد الرائع الذي كنتُهُ تحوّلت إلى عبدٍ،
أصبحت أعيش في عزلةٍ عوضاً عن عائلتي الكبيرة!
80 الأصابع تُوجه نحوي، عندما أسير في الشارع
وحين أدخل إلى القصر تتغامز الأعين بصددي!
المدينة بقساوة، تنظر إليّ كعدو،
وكأنّه خصم لي، لم يعد بلدي سوى سورة غضب
وأخي مثل غريبٍ تحوّل عنّي،

(١) حرفياً: ممتهن مبتدىء.

85 و (تحوّل) رفيقي إلى شرير وإلى شيطان!
وغضب صاحبي لا يتوقف عن اتهامي،
وزميلي، يشهر دوماً سلاحه (في وجهي)
وأعزّ أصدقائي يريد اختصار حياتي!
وعلانيةً، وفي قلب المحكمة، لعنني عبدي،
90 وأمام جمهور، روت خادمتي (عني) أشياء مشينة!
وعندما يراني أحد معارفي، فإنه يبتعد عنّي!
وتعاملني عائلتي، كأني لم أكن من لحمها!
الذي يتحدث عني بلطف، تعدّ له حفرة (قبره)
ويُرفع إلى القمة من يعلن المخازي بصددي!
95 يُعين الإلّه من يتحدث عني بأقوال لا يستحسن قولها،
ولكن الذي يتشفع لي، يستعجل الموت طريقه إليه!
وأمّا الذي يردّد المخازي بشأني، فملاكه الحارس
يحتفظ له بصحة جيدة.
ولم أجد أحداً يرافقني، ولم أرَ أحداً يشفق
على حالي.
ووُزّع كل ما كنت أملك على العوام والرعاع.
100 [. . . . .]
طردوا من حقولي الألالا[1]، نشيد (الحصّادين) المبهج
ومثل نطاق عدوٍ، أحالوا إلى الصمت مُلكي!
جعلوا شخصاً آخر يأخذ مكاني في الطقوس المقدسة.
وسمحوا لغريب إقامة طقوسي!
105 لم يعد النهار غير تحسّر، والليل شاغله النحيب
الشهر كله أنين والسنة بكاملها يملؤها الأسى!

---

(١) (Alala) هو وقع نشيد الحصّادين المبهج.

طول أيام (حياتي) أنوح مثل حمامة
[وعوضاً] عن الإنشاد أصرخ عالياً شكواي
عيناي هما دوماً [في حال] البكاء دون توقف
110 وقد أحرقتْ دموعي [المتواصلة] وجنتي!
و [يظهر] على وجهي ما ينذر به قلبي
ولم تعد [تقاطيع وجهي] تعبّر إلا عن الخوف و [الرهبة] !
[................]

اللوحة الثانية

1 الزمن المحدد[1] مرّ من هذه السنة إلى السنة التالية
وأنّى حوّلت (وجهي) فهناك مصيبة تليها مصيبة!
الشر يتفاقم حولي ولا أجد أي بارقٍ لعدالة!
صرخت متوجهاً نحو إلّهي، ولكنه صدّ عني وجهه
5 رجوت إلّهتي ولكنها لم ترفع رأسها!
العرّاف، لم يتمكن في تكهّنه من تقرير مستقبلي؛
وعلى الرغم من إراقته قربانه السائل[2]، فإنّ
مفسر أحلامي لم يتمكن من كشف سبب لحالتي:
توسلت إلى روح[3] الأموات، فلم يعلمني[4] شيئاً
كما أن المعزّم في تدخّله لم يحل عقدة
الغضب الإلّهي ضدي.
10 كم هي غريبة حالته، يقال من حولي في كل مكان!
وإذا ما نظرتُ خلفي، فلا أرى غير الاضطهاد
والاضطراب.

---

(١) أو الزمن المرتقب، المأمول أن تزول معه المصائب وسوء الطالع.
(٢) أي الزيت أو الخمر.
(٣) شرحنا مفصلاً مدلول كلمة روح بمناسبة عرض النص رقم (٥٦) من هذا الكتاب ويمكن الرجوع إلى القسم (٥٦ ـ ب) منه وإلى ملاحظة السطر ٢١٥.
(٤) حرفياً: لم يفتح لي أذني.

مثل شخصٍ لم يقدم قرابينه السائلة[1] إلى إلّهه
أو مثل شخص لم ينادِ إلّهته لتناول وقعة طعامها
ولم يحنِ وجهه أو لم يسجد علانية.
15 مثل شخصٍ توقفت في فمه الأدعية والصلوات،
أو أغفل يوم الإلّه وأهمل الأعياد الشهرية،
وبسبب إهماله نسي إقامة طقوس الآلهة،
ولم يعلّم أهله خشية الآلهة واحترامها،
أو باشر تناول طعامه قبل ذكر إلّهه،
20 أو ترك إلّهته دون أن يقدم لها قربان الطحين،
ومثل شخص، وبشكل جنوني، نسي إلّهه
أو أقسم بخفة وبلا تواضع باسم إلّهه
قائلاً هوذا أنا صاحب الأهمية!
مع أني بشكل عفوي، بالأدعية والصلوات:
كان الدعاء بالنسبة لي حكمة، وكانت
التقدمات شرعتي.
25 يوم تبجيل الإلّه كان يوم بهجتي
ويوم تطواف الإلّهة كان كسباً وفائدة لي
وكنت أجد كل فرحي في الصلاة من أجل الملك
وكانت سعادتي في الاستماع إلى الموسيقى
الموجهة إليه.
عوّدت بلدي على احترام طقوس الإلّه
30 وعلّمت أهلي على محبة اسم الإلّهة
وجعلت مديح الملك يماثل تسابيح الإلّه.
وعلّمت الشعب خشية القصر.
وكنت أعتقد حقاً أن كل ذلك كان

(١) راجع الهامش (٢) على الصفحة السابقة.

مُرضياً للإِلَه!
ولكن ما هو حسن لنا، هل يكون إذن
مسيئاً للإِلَه!
35 وهل ما تكرهه أنفسنا يمكن أن يكون
مرضياً للإِلَه!
من الذي يمكنه التعرف على إرادة الآلهة
في السماء؟
ومن يستطيع تفهم المقاصد الإِلَهية
في الأعماق السحيقة؟
أين يمكن للبشر، معرفة طرق الإِلَه؟
مثال من كان البارحة يتمتع بوافر الصحة
وهو اليوم في نزعه الأخير.
40 ومثال من كان منكمداً فجأة ثم يسترجع
ابتهاجه دفعةً واحدة.
ولزمن عطْسةٍ، ينشد لحناً مفرحاً،
وفي الخطوة التالية يتفجّع مثل نائح.
الناس في لمحة بصر، يُبدِّلون رأيهم.
إنهم كالجثث حين يجوعون،
45 ولئن أُتْخِموا يريدون مضاهاة الآلهة.
يتحدّثون عن بلوغ السماء في سعادتهم
ويشكون عند الألم بأنهم ينزلون
إلى العالم السفلي!
أسائل نفسي أمام هذه (التناقضات)
دون التعرّف على مغزاها العميق
وأنا، المرهق تعباً، فإنّ عاصفة
تلاحقني!

50 استولى عليّ مرض موهن
وهبّت نحوي ريح شريرة من أعماق الأفق.
ومن سطح العالم السفلي انتشرت نحوي
الحمّى دي ـ أو(١)
ومن (مكمنه) في الأبسو(٢) خرج الزكام السيّىء
ومن الإيكور(٣) ظهر فجأة أوتوكّو(٤)
الشيطان الذي لا يقاوم
55 ونزلت الشيطانية لاماشتو(٥) من قلب الجبل(٦)
وكأنه مع فيض [النهر] جاءت القشعريرة المُثلِجَة،
ومع الخضرة نبت السقم على الأرض:
كل هذه الأوجاع [مجتمعةً] اقتربت مني،
أصابت رأسي وشدّت على جمجمتي،
60 كمدَ [وجهي] وسالت عيناي؛
امتدت الأوجاع إلى عنقي وشلّت رقبتي
ثم أصابت صدري وضربت ثديي،
عذّبت جسدي وأوقعتني في التشنّجات،
وفي الجهة العلوية من بطني، أشعلت ناراً،
65 قَلَبَتْ أحشائي وجعلت أعضائي [تضطرب]
مما أسال رِيالي، ونقل الحمى إلى رئتيّ.
كما أصابت الحمى أعضائي، وجعلت شحمي يرتجف،
هدمت الأوجاع قامتي العالية (فانهارت) مثل جدار

---

(١) (di-ou) يُعتقد أنها حمّى الجدري.
(٢) (Apsu) محيط المياه العذبة الباطنية ومقرّ الإلّه إيا.
(٣) (E. Kur) بمعنى بيت الجبل ويشير هنا إلى العالم السفلي.
(٤) (Outoukkou).
(٥) (Lamashtou).
(٦) المقصود بالجبل العالم السفلي.

ومثل عود قصب محنّي، أناخت على منكبيّ العريضين.

70 أنا متهالك مثل عشب مطويّ وتمددت منبطحاً ووجهي إلى الأرض!

دخل الشيطان آلو[1] جسدي وارتداه مثل كساء،

كما غمرني الخَدَر وكأنه الشبكة،

تنفتح عيناي ولكنهما لا تريان،

أذناي مفتوحتان ولكنهما لا تسمعان[2]

75 تملّك الشلل كل جسدي

وسقطت الصدمة على بشرتي

واستولى التصلّب على ذراعي،

وجاء انتشار التفسّخ متلفاً ركبتي

ونسي قدماي أنهما كانا يمشيان

80 هجمت عليّ نوبة، وفجأة أنا أختنق،

الموت [هنا حاضر] وقد غطّى وجهي

لم أعد أجيب مفسِّرَ الأحلام عندما

يهتم بحالتي.

[عائلتي] تبكيني. فقدتُ وعيي

وُضِعت كِمامة على فمي

85 ومزلاج يغلقُ على شفتي:

«بابي» ممترس و «نبعي» موصد عليه.

طال عدم تقبّلي للطعام وانسدّ حلقي.

لئن أُعطيتُ حَبّاً، فكأنني أبتلع نتانةً

والجعة، المحببة للبشر صارت ممجوجة بالنسبة إليّ،

90 وبالإضافة إلى ذلك فإن مرضي طال زمنه؛

---

(١) (Alou).

(٢) انظر إرميا (٥: ٢١) في: «الذين لهم أعين ولا يبصرون، لهم آذان ولا يسمعون».

وبسبب نقص الغذاء، تبدّلت تقاطيع وجهي،
استرخى بدني وانسكب دمي؛
وارتسمت عظامي تحت جلدي الذي وحده كان يغطّيها
والتهبت عضلاتي لأنها أصيبت بمرض الأوريقتو[1].
95 طُرحت في فراشي وكأنه السجن، لم يعد (الخروج)
يمثّل سوى أنيني،
وإلى معتقلٍ تحوّل بالنسبة لي بيتي
صار جسدي غلاف شوائب، (حيث)
توقفت حركة ذراعيّ،
أصبحت أنا نفسي سلاسل كبّلت رجليّ.
مؤلمة الصدمة التي أصابتني والجرح
الذي سبّبَتْهُ خطر
100 لسعني سوط مملوء شوكاً
والمنخس الذي طعنني كان ذا رؤوسٍ حادّة
طول اليوم مضطهدٌ يعذّبني
وفي الليل لا يترك لي لحظة لأتنفّس!
الاضطراب الذي أنا فيه، عطّل حركة عضلاتي،
105 أطرافي المُقطّعة الأوصال ممدودة في جهة وأخرى،
في مزبلتي، مثل ثورٍ أمضيت لياليّ،
ومثل خروف تمرّغت في برازي،
أخافَتْ أعراضُ مرضي معزّمي
وجعلت منذرات فألي السيئة عرّافي يضطرب؛
110 لم يستطع المعزّم كشف طبيعة مرضي
ولا العراف تمكن من وضع حدّ لآلامي.

(١) (Ouriqtou).

لم يأت الإلّه لعوني ولم يأخذ بيدي
ولم تشفق عليّ إلّهتي ولم تقترب منيّ!
كان قبري مفتوحاً وزينتي (الأخيرة)
كانت منذ ذلك الوقت جاهزة.

115 وحتى قبل موتي، كان قد تم إعداد مرثاتي!
جميع أهل بلدي قالوا عنّي: «إنه
عومل بشكل غير عادل!»
ولدى سماع الخبر، فالذي كان يريد بي
شرّاً، يستنير وجهه
وعندما كان ينقل الخبر لمن كانت تريد بي
شراً كان قلبها يبتهج.
ولكنني أعرف اليوم، حيث جميع عائلتي

120 وحيث بين معارفي، فإن شمسهم[1]
سوف تشفق عليّ

اللوحة الثالثة

ثقيلة عليّ كانت يده، ولم يكن باستطاعتي تحملها
رهيبة كانت خشيتي منه [...]،
[وجهه؟] كان غاضباً، والطوفان بالذات
هو [صوته]
تصرّفه كان عنيفاً، [.....]

5 وبسبب ذلك المرض المضني، لم أعد
[أعرف] نفسي،
فقدت وعيي وكان مرضي يجعلني أهذي.

---

(١) شمس العائلة والمعارف الذين هم بجانبه هو الإلّه مردوك وهو الأمل بمنح الشفاء، ونجد مثل هذا الأمل في سفر أيوب (١٩: ٢٥).

وليل نهار وبشكل متماثل كان مستمراً أنيني،
وفي يقظتي كما في حلمي [كنت] شديد المرض.

الحلم الأول:

(عند ذلك)، دخل عليّ[1] رجل شاب ذو قامة خارقة،
10 جسمه رائع التناسب، وكان ناصعاً في ألبسته
[.....................][2]
كان مكسواً بتألّقٍ خارقٍ للطبيعة، والرعب رداؤه،
(دخل عليّ) وأخذ مكانه وقوفاً فوقي،
وعندما [رأيته]، شلّ جسدي (رهبةً).
15 قال لي «السيدة، أرسلتني لأقول لك
[.....................]

الأسطر الخمسة التالية مشوهة مما لا يمكّن من متابعة محتوى الحلم الأول بشكل ملائم إلا أنه أمكن قراءة ما يلي:

«أنا أُعلنه . . .» و «طلبت من الملك بالذات. . .»
و «بصمت إنهم . . .» و «بهدوءٍ أنصتوا
إليّ . . .»

ولا يتضح النص إلا عند سرد الحلم الثاني.

الحلم الثاني:

[.....................]

---

(١) حوفظ هنا على التعبير الحرفي بالأكادية عوضاً عن استعمال تعبير ظهر لي.
(٢) السطر ١١ متعذر القراءة كما يعتقد بأنه أدخل خطأ.

وللمرة الثانية [أتاني حلم]،
وفي الحلم الذي رأيته [تلك الليلة]،
[ظهر أمامي] كاهن مكلّف بالتطْهير[١]
وكان يمسُك بيده غصن الطَرْفاء[٢] المُطَهِّر:
25 «لال ـ أور ـ آليمّا»[٣]، المكلف بالتطهير في نفّر[٤]،
أرسلنيّ إليك لتطهيرك».
[سكب] عليّ الماء الذي كان يحمله
ثم تلا تعويذة الحياة[٥] ودلّك لي جسمي.

الحلم الثالث:

وللمرة الثالثة رأيت حلماً
30 وفي الحلم رأيت في تلك الليلة
فتاة جميلة المظهر،
ملكة الشعوب، الشبيهة بإلّهة
دخلت عليّ وجلست [قرب فراشي] (قلت لها):
«اطلبي الرحمة من أجلي، [أنا الذي لا تُحتمل آلامي]
35 ـ «لا تخشَ شيئاً[٦]»، قالت لي، [سأتشفع لك] . . .»
ثم قالت: «الرحمة لمن ألمه كألمك
أيّاً كان، والذي خلال الليل أتته هذه الرؤيا!»
وفي الحلم (ظهر أيضاً) أور ـ نيندين ـ لوجّا[٧]

---

(١) الكاهن المكلف بتطهير المكان أو الأشخاص.
(٢) غصن الطرفاء يستعمل في التطهير إذ يُرشّ بواسطته الماء المقدس.
(٣) (Lal-Our-Alimma) يحافظ النص هنا على الشكل السومري للاسم كما هي العادة في فترة الاحتلال الكوشي حوالى (١٥٥٠ ـ ١٣٠٠ ق. م)، التي عرفت نشاطاً ثقافياً كبيراً.
(٤) (Nippur) مدينة إنليل التي كانت لها الزعامة الدينية في الفترة السومرية.
(٥) أي التعويذة التي كان المريض أو الميت يدعى بواسطتها إلى الحياة.
(٦) هو التعبير الذي يستعمل عادة في بداية كل تدخل إلّهي.
(٧) (Our-Nindin-Lougga) حوفظ على الشكل السومري كما ورد في الملاحظة (١).

البابلـ [لي (؟)]،

40 شابٌ ملتحٍ وعلى رأسه (عمامة)،

إنه معزّم في المملكة ويحمل بيده لوحة؛

«مردوك بالذات، قال لي، أرسلني لأقول لك:

«إلى شوبشي - ميشري - شاكّان[1] احمل اليسر!»

45 هكذا عهد بي (مردوك) للمكلف بشفائي.

[وفي] حالة اليقظة، وجّه إليّ رسالةً منه،

إذْ أعطى أهلي إشارة واضحةً منه لمنح نعمته،

[فانتشلني عاجلاً] من السوء الذي طال أمده،

وانتهى فجأة مرضي، وكُسرت [قيودي]

50 وبعد أن [ارتاح] قلب إلّهي

وبعد أن هدأت روح مردوك الرحيم

واستمع إلى توسلاتي [وتقبل صلواتي]

[وعبّر بصددي] عن تبد [يل] موقفه إلى الرفق بي،

54 فمنحني نعمته، أنا الذي طالما برّح بي الألم...

السطران (٥٥ و٥٦) مشوهان وقد أهملا كلية، أما الأسطر (٥٧ - ٥٩) فقد أعطي بصددها وبشكل تقريبي المعنى العام.

57 [فحل عقدة الخطايا التي كنت ارتكبتها ...]

و [أبعد] العقاب الإلّهي، الذي [تحمّلته ...]

و [غفر] لي التجاوزات التي [كنت ارتكبتها ...]

60 وجعل الريح تحمل جميع هفواتي!

---

(١) (Shubshi-Meshrê-Shakkan) هو اسم الرجل العادل المريض.

وتساعد كسرة اللوحة المسجلة تحت رمز (Sl 55) للتعرف على تدخل الإلّه مردوك لشفاء الرجل العادل من أمراضه الواحد تلو الآخر.

[.....................]
وضع [بالقرب] منّي التعويذة التي تقيّد [المرض]
5 وطرد (بعد ذلك) الريح الشريرة حتى أعماق الأفق[١]
ومن على سطح العالم السفلي جعل [الحمّى دي ـ أو] تختفي،
وإلى مكمنه في الأبسو[٢]، جعل الزكام السيء ينزل؛
وأرسل إلى الإيكور[٣]، الشيطان
أوتوكّو[٤] الذي لا يقاوم.
كما طرد حتى بلوغ الجبل الشيطانة لاماشتو[٥]؛
وإلى النهر في فيضانه وإلى البحر أودى
بالقشعريرة المثلجة؛
10 ثم اقتلع مثل عشبةٍ جذور التفسّخ
وأجبر الخَدَر الشرير الذي كان يستولي على نومي
على التبدد مثل دخان يملأ السماء
«مصائبي!» و «تأوهاتي!» [......]
جعلها مثل ضباب تنهض ثم [تختفي في] الأرض؛
وألم الرأس المتواصل الذي كان
يثقـ [ـلني مثل سحاب (؟)]
15 فقد أسقطه كما ينزل ندى الليل وطرده من فوقي؛

(١) هذا السطر وما يليه، هو نص جوابي أي مكمّل لما ورد في اللوحة الثانية الأسطر (٥١ ـ ٥٥).
(٢) (Apsou) محيط المياه العذبة الباطنية.
(٣) (E. Kur) بمعنى بيت الجبل وهنا بمعنى العالم السفلي.
(٤) (Outoukkou).
(٥) (Lamashtou).

وعيناي المعميتان اللّتان انسدلت عليهما رواسب الموت
عاد إليهما وضوح الرؤية عندما أبعد الرواسب
إلى بعد ٣٦٠٠ (مسافة)[١]؛
وأذناي اللتان كانتا مسدودتين ومسطومتين
(مثل أذني) أصمّ ـ أبكم.
نزع منهما أُفهما وفتح لي سمعي،
20 وأنفي الذي كان بسبب استمرار الحمى
مُختنِق التنفس،
أسْكنَ إصابته لكي أتنفس [بارتياح]
ومن على شفتيّ اللّتين كانتا لاهبتين[٢] وأصيبتا بـ [. . .]
مسَحَ الرعبَ وحلّ عقدة التقلّص؛
وفمي الذي كان مغلقاً وغير
قادر على الحديث؛
25 نظّفه كما يُنظّف النحاس وأعاد اللمعان إلى كَمّده؛
وأسناني التي كانت محشورة ومتقلّصة مثل كتلة،
فتحها بمباعدتها و [حرّر] جذورها؛
ولساني الذي كان مشنَّجاً وغير قادر على الحركة
فقد نظّفه من دنّسه (؟) واستعاد لساني طلاقته؛
30 وحلقي[٣] الذي كان منسدّاً وكان
يختنق لانسطامه
فقد أعاده إلى حالة (جيدة) وأصبح صدره[٤]

(١) لم يشر النص المعتمد إلى التسمية الأكادية للمسافة، وقد استعملنا لها تعبير فرسخ في مناسبة أخرى، النص رقم (٧٤).
(٢) حرفياً بمعنى مسعورتين (؟).
(٣) أو قصبة تنفسي.
(٤) صدر المريض أو صدر القصبة.

يغنّى مثل ناي:
وقاعدة لساني التي كانت منتفخة وما عادت تتلقى [الهواء]
اختفى عنها مَذَرها[١] وانفرج انحصارها.
[.......................]

يتوقف هذا المقطع بعد بعض الأسطر المشوهة أمام فقدان تتمة هذا الجزء من اللوحة. وهناك بقايا لتدخل الإله مردوك يمكن تقديمها فيما يلي بشكل منعزل ودون ترقيم، مأخوذة عن كسرة لوحة ترتبط بمحتوى النص. وهنا، الرجل العادل هو المتكلم:

[................]
وعلى ضفاف النهر (القاضي)، حيث يتقرر الحكم على الناس[٢]
تمّ تدليك جبهتي وحررت من عبوديتي[٣]
واجتزت بعد تحرري الطريق كونوش ـ قادرو[٤]...
وعلى الذي ارتكب خطيئة ضد الإيساچيل
أن يتعلم من مثالي[٥]
مردوك هو الذي كمّ فم الأسد الذي كان يفترسني
مردوك الذي انتزع مقلاع من كان يطاردني
وأعاد إليه حجره.
[................]

اللوحة الرابعة

القسم الأول من هذه اللوحة إما مشوّه أو مفقود.

---

(١) طبقة تعلو اللسان في بعض الأمراض.
(٢) يذكر هذا السطر بالاحتكام إلى النهر للمقاضاة.
(٣) حرفياً: من خصلة الشعر الآبّوتّو (abboutou) التي كانت ترمز إلى حالة العبودية.
(٤) (Kounoush-Kadrou) وهو اسم طريق الطواف في بابل ومعناه الأكادي «إحنِ رأسك أيها القادر». وحافظت العربية على فعل كنش في: كنش المسواك أي ليّن رأسه.
(٥) حرفياً ليشاهدها في يدي.

[.....................]

شاهد البابليون كيف [مردوك] يعيد الحياة

30 وفي جميع المناطق، مجّد البشر عظمته:

من هو الذي قال بأنه سيرى شمسه؟

ومن الذي بمقدوره التفكير بأنه سيذهب

إلى نهاية طريقه؟

من غير مردوك، يمكنه إحياء (أحدٍ)

من حالة موته؟

وأية إلّهة غير زربانيتو[١] يمكنها منح الحياة؟

35 مردوك يمكنه من القبر إعادة الحياة،

وتعرف زربانيتو كيف تنقذ من الكارثة!

أنّى تنبسط الأرض وتمتد السماوات

وأنى تتألق الشمس وتشتعل النار،

وأنّى يجري الماء وتنفخ الريح،

40 فالذين دَبَّجتهم آرورو[٢] من الصلصال البدئي[٣]

المخلوقات الذين مُنحوا الحياة ويسعون[٤]

أيها البشر، في كل الأحوال، أنشدوا

مجد مردوك!

[.....................]

بعد نقص حوالى ثلاثين سطراً يتابع خلالها الرجل العادل، كما هو مرجّح إنشاد

(١) (Zarpanitou) قرينة الإلّه مردوك.

(٢) (Aruru) إلّهة ـ أم خلقت البشر من الصلصال.

(٣) حرفياً: قرصت قطعة صلصال.

(٤) حرفياً: تتحرك أرجلهم.

المدائح لمردوك ولقرينته زربانيت. وعندما يستأنف النص، يذكر الرجل العادل طوافه للشكر في معبد الإيساچيل(١) في بابل واستكمال استعادته للصحة والسعادة.

[.....................]
[في متابعة] السجود والرجاء، [ذهبت
إلى الإيساچيل](٢)،
[أنا الذي كنت نزلت إلى القبر، عدت إلى
بوابة ـ شمـ [ـس ـ الشروق](٣)
وعلى بوابة ـ الرخاء، [أعيدت إليّ] الوفرة
80 وعلى بوابة ـ الملاك ـ الحارس(٤) عاد [لقربي]
ملاكي الحارس
وعلى بوابة ـ الخلاص، وجدت خلاصي،
وعلى بوابة ـ الحياة مُنحت هبة الحياة.
وعلى بوابة ـ شمس ـ الشروق عُددت
[من جديد] من بين الأحياء.
وعلى بوابة ـ وضوح ـ النذير، توضحت
المنذرات بصددي
85 وعلى بوابة ـ حل ـ الخطايا، غُفِرت
لي خطاياي
وعلى بّوابة ـ المدائح، تمكن فمي من السؤال
وعلى بوابة ـ وقف ـ التحسّر، توقف تأوهي.
وعلى بوابة ـ الماء ـ الطاهر، رششت

(١) (Esagil) معبد الإلّه مردوك في بابل ومعناه: البيت ذو الرأس الشامخ.
(٢) اسم إحدى بوابات معبد الإيساچيل في بابل.
(٣) اسم إحدى بوابات معبد الإيساچيل في بابل.
(٤) هو الإلّه الشخصي الذي يرافق كل فرد ويتوسط من أجله ويتشفّع له أمام الآلهة العظام.

نفسي بالماء المقدس
وعلى بوابة ـ الخلاص، التقيت بمردوك
90 وعلى بوابة ـ منتهى ـ الكمال،
قبلت رجل زربانيتو
ولم أتوقف أمامهما عن الصلاة
والرجاء والدعاء
وضعت أمامي البخور ذا الرائحة الذكية
كدست الهدايا والقرابين والهبات،
ضحيت بثيران سمينة وذبحت خرفاناً وازنة (؟)
95 قدمت قرابين سائلة على قرابين سائلة
من الجعة الممزوجة بالعسل والخمر الصافي
وإلى ملهمِ الخير، وإلى الملاك الحارس
وإلى المساعدين الإلّهيين ضمن جدران الإيساچيل
بواسطة تقدمات [غزيرة] نوّرت مزاجهم
وبواسطة موائد طعام وفيرة
أبهجت قلوبهم!
[.....................][1]

(١) الأسطر الثلاثة الأخيرة مشوهة.

(٧١) ــــ الحوارية البابلية
حول العدالة الإلهية

١ ـ في نقاش آخر، حول العدالة الإلَهية وفي شكلٍ يختلف عن قصة العادل الذي يتألم، موضوع النص السابق، وصلنا نص بابلي مهمّ على شكل حوارية، يطرح مشكلة العدالة الإلَهية.

ومؤلف هذا الحوار الفلسفي الوجودي وشبه الديني هو ساچيل ـ كيناموبّيب[١] الذي عاش في فترة حكم نبوخذ نصّر الأول (١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق. م)، وهو من الحكماء الذين وردت أسماؤهم في لائحة «كبار مثقفي الأزمنة القديمة» التي أشرنا إليها بصدد النص السابق.

٢ ـ يتألف هذا العمل من حوالى ٣٠٠ سطر موزعة على ٢٧ مقطع شعري يحتوي كل مقطع على أحد عشر سطراً وهو من القصائد المطرزة أي أن أسطر كل مقطع شعري تبدأ بنفس المقطع اللفظي ومجموع المقاطع اللفظية السبعة والعشرين تمكن من قراءة اسم المؤلف في جملة:

«أنا ساچّيل ـ كيناموبّيب[١] الكاهن المعزّم
المخلص للآلهة وللملك»

---

(١) (Saggil-Kênamoubbib).

وهذا النص الذي تعود كتابته إلى نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد وصلتنا عنه نسخة مكتبة أشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م)، ونسخ أخرى أحدث منها.

٣ ـ في هذه القصيدة يتم تبادل الحوار والنقاش على التوالي عبر المقاطع السبعة والعشرين ما بين مثقفَيْن:

الأول: شكّاك ويائس وسيّء الحظ.

والثاني: مؤمن بالعدالة الإلّهية ومتفائل.

وفي أثناء عرض النص سوف نشير على رأس كل مقطع إلى رمز المحاور بواسطة الحرفين (ش) للشكاك و (م) للمؤمن.

٤ ـ ينتهي الحوار بالاعتراف بأن البشر، لا يمكنهم معرفة «قلب» الإلّه ومقاصده وبعيد ذلك عنهم كما هي بعيدة «أعماق السماوات». وفي الختام يعود الشكاك اليائس لطلب عون الآلهة والاستعانة برعاية الإلّهة وشفقتها.

٥ ـ ولا بد من الملاحظة بصدد هذا النص الحواري بأن التطريز والتحشية على ما نعتقد، كانا من الأسباب التي أضرت بعمق الحوار وقلّصت مداه.

المقطع الأول (ش)

1 «أيها الحكيم ـ [يا صديقي][1] دعني أقل لك [ما يحزنني].
استمع إليّ! أريد إعلامك [عن متاعبي]؛
[بما أنك] رفيقي أنا [أتوجه] إليك!
[أشفق عليّ] أنا الذي أتألم! وسوف
أنشد مدحك إلى الأبد!

(١) مطلع المقطع الأول قُدمت عنه استعادة تقريبية.

5 أين لي (أن أجدَ) رجلاً يحسن النصح مثلك؟
أين لي (أن أجد) حكيماً يضاهيك؟
أين لي (أن أجد غيرك) ناصحاً أسرُّ إليه بقلقي؟
لم أكن قد بلغت أشدي بعد، عندما انقضّ علي العذاب.
أنا آخر إخوتي، وقد حرمني القدر من الذي ولدني
10 وأمي التي ولدتني، ذهبت إلى بلاد اللاعودة
أمي وأبي تركاني دون أحد لرعايتي!

المقطع الثاني (م)

ـ يا صديقي المحترم، ما تقوله هو حقّاً محزن
ولكن، أيها العزيز جدّاً، إذا ما تركت روحك
تتغذّى بالأفكار السيئة،
تجعل عقلك رغم رجاحته، يماثل عقل القاصر،
15 وأراك بدّلت تقاطيعك المنيرة بمظهر معتم!
آباؤنا، مآلهم السير على طريق الموت؛
ومنذ الأزل اجتياز نهر العالم السفلي،
ولكن، إذا ما نظرت إلى البشر في مجموعهم،
فليست [المصادفة][1] هي التي أثْرَتْ
بِكْراً لا حيلة له:
20 والسمين ممتلك الثروات، من الذي يسّر حاله؟
وحده يبلغ النجاح، من تطلّع نحو وجه الإلّه
ووحده، عبد الإلّهة المتواضع يراكم الكثرة.

المقطع الثالث (ش)

ـ قلبك، يا صديقي، هو مياه تتفجّر، لا يشحّ نبعها،

---

(١) ليس مؤكداً معنى هذا السطر.

إنه كمجموع مياه البحر التي لا تنقص أبداً!

25 عليك إذن، سأطرح سؤالي! أصغ جيداً إلى حديثي،

أعرني للحظةٍ انتباهك، استمع إلى كلماتي:

جسمي منهار، واستمرار الهزال حرمني من ألوان سيمائي؛

أُبعد عنّي نجاحي وزالت الكثرة من يديّ

ضعفت قدرتي وانعدم وفري،

30 الانهيار (العصبي) والهموم اعتما تقاطيع وجهي.

وقمح حقولي، أضحى بعيداً عن إشباعي

والجعة القوية التي أملك، (الجعة) حياة البشر

هي قليلة جداً لكي تروي عطشي.

هل ستتأمن لي مستقبلاً حياة رغيدة؟

أودّ معرفة كيفية التوصّل إليها!

المقطع الرابع (م)

ـ إنني أزن جيداً ما أقوله[1]، [ولكن . . .]

35 بذّلت بحديث مبهم ما كان في آرائك

(سابقاً) يمتاز بالدقّة،

لقد فرضت على [عقلك] التيه وعدم الصواب

وجعلت من [حكمك] الممتاز، حكماً أعمى

إلى الأبد وباستمرار، سوف يعاد إليك

ما ترغب به،

ولكن حمايتك [السابقة] سوف [تستردها]

بواسطة الصلوات

(١) حرفياً: أنا أراقب فمي.

40 وبتقديم تضحيات القرابين، فإن إلّهتك، عندما
يسكن قلبها ستعود إليك.
[والآلهة] الذين لم يمنحوك الرخاء، سوف
تتملكهم الشفقة أمام تضرعاتك.
أدر وجهك دوماً نحو [تطبيق] العدالة
و [سيدك] الكلي ـ القدرة سيظهر نحوك طيبته
ويبعد عنك [غضبه] ويمنحك عطفه.

المقطع الخامس (ش)

45 ـ أنا أنحني أمامك أيها الصديق، لأنني فهمت حكمتك
[تابعت جيداً] ما عبّرتَ عنه
ودعني، لو سمحت أن أقول لك [شيئاً آخر]:
الحمار الأخدري، هذا الحمار الوحشي الذي
يتخم نفسه من [نتاج حصادنا]
هل يعير أذناً صاغية للكاهن الذي
يؤكد تحقيق إرادة (الآلهة) ؟
50 والأسد المفترس الذي لا يأكل إلا أجود اللحم
هل يقوم بتقديم قربان طحين،
لتهدئة غضب الإلّهة؟
والحديثُ الثّراء الذي تضاعفت حقاً ممتلكاته،
هل يزن من أجل مامي[1] الذهب الثمين؟
أتقاعست أنا، عن تقديم القرابين؟
لقد صليت إلى الإلّه
55 وبكل تقوى قدمت إلى الإلّهة قرابيني بانتظام

(١) (Mami) الإلّهة ـ الأم.

وكلماتي كانت [صادقة!]

المقطع السادس (م)

ـ أيتها النخلة، يا شجرة الثراء، أي أخي الغالي،
أنت بكل حكمة تتحلى، يا جوهرة الذهب الخالص!
أجل يمكنك أن تشاهد في السهوب
الحمار الوحشي الرائع (الجمال)
60 ولأنّه يكحت الحقول التي يدوسها
يتوجه السهم نحوه!
هل تريد أن تتأمل، عدوّ الماشية، هذا الأسد
الذي ذهب تفكيرك إليه
من أجل الأضرار التي يرتكبها، فإن الحفرة
قد أعدت له
أما الحديث الثراء ـ الذي تتراكم أرزاقه
فإلى النار وقبل دنو ساعته، فإن
الملك (غالباً) ما يحيله إلى اللهب
65 هل ترغب باتباع الطريق الذي اتخذه هؤلاء؟
أحرى بك أن تسعى إلى محاسن نعمة
الإلّه الدائمة!

المقطع السابع (ش)

ـ عقلك، هو نسيم الشمال ونَفَسه محبب إلى البشر
رأيك ممتاز، يا أفضل الشركاء!
إلا أن كلمة واحدة فقط أريد إضافتها أمامك:
70 إنه لطريق سعادة هو الذي يتبعه
مَن لا يبحثون عن الإلّه،

بينما يتحول إلى الفقر الـمُتدينون المتحمّسون للإلّهة
ويفقدون ممتلكاتهم!
منذ أيام شبابي الأولى توجّهت بنفسي
نحو إرادة الإلّه
بالتعبّد والصلاة بحرارة وورع، وفتّشت عن الآلهة
ومثل نيرٍ حملت عبوديّتي دونما فائدة:
75 ولم يمنحني الإلّهُ غير العوز عوضاً عن الغنى؛
فالأكسحُ يفوقني والمجنون يسير أمامي،
النذْل يبلغ القمة وأنا يُنتقص من قدري!

المقطع الثامن (م)

أيها الرجل الفاضل، (على الرغم) من ذكائك،
فكل ما تكرّره هنا باستمرار لا معنى له!
لقد تخليت عن الحق وهزأت بنوايا الإلّه!
80 ورغبت في داخلك أن تتوقف عن ممارسة الطقوس الإلّهية،
و [في داخلك] نسيت الأنظمة الحقيقية
لاحتفالات الإلّهة.
مقاصد الإلّه [هي بعيدة عنا] كما هي
بعيدة أعماق السموات،
لا يسعنا أن نسمع ما يخرج من فم الإلّهة.
ويبقى [البشر] عاجزين عن فهمها تماماً،
85 أفكار (الآلهة) تبقى متعذّرة على البشر]
[ومن المحال على البشر] التعريف بطرق الإلّهة
لأنّ الأرض قريبة من عقلهم [....]
[.....................]

هناك نقص في مصادر هذا النص يحرمنا من المقاطع (٩ و١٠ و١١) وما بقي من المقطع ١٢، لا يسمح بتقديم محتوى متسلسل بسبب التشويه. وفي المقطع ١٣ لدى استئناف النص فإن الشكاك (ش) هو الذي يتكلم.

المقطع الثالث عشر (ش)

«أريد هجر بيتي [.......]
أنا لا أريد احتياج أي شيء بعد
الآن [...]
135 أريد نسيان مراسم الآلهة، ودوس
طقوسها بقدميّ
أريد ذبح عجل و [تموين] الغذاء
أريد الذهاب بعيداً من هنا،
أريد ركوب البحر
وسوف أفتح ثقباً وأترك الماء
يتدفق منه
ومثل لص، سوف أحوّم عن
بعدٍ حول الريف
140 وسوف ألج بيتاً بعد بيت
لأسدّ جوعي
وسوف أنبش جائعاً في جميع الاتجاهات
وأسلك جميع الطرق.
ومثل متسول سوف أعود إلى [مدينتي (؟)]
لقد ابتعدت السعادة عني
[..........] !

نقص جديد في النص حتى المقطع (٢٢) وفي الجزء المتبقي منه فإن المؤمن هو الذي يتولى الإجابة:

المقطع الثاني والعشرون (م)

[«...............]

235 النصّاب الذي كنت تحسده على
وجهه المشرق،
فالموسيقى التي تتبع خطاه،
دفعة واحدة تتوقف
والنذل الذي ضدّ رضى الآلهة
استحصل على ثروته
فإن سلاح مجرم سوف يلاحقه!
ما هي فائدتك إذا أنت لم تسعَ إلى إرادة الإلّه؟
240 الذي يجرّ نير الإلّه، معاشه اليومي مؤمّن،
مهما كان هزيلاً
إسعَ إلى نفحة الآلهة الراضية.
وعند ذلك فإن ما فقدته خلال عام
يردّ إليك على الفور.

المقطع الثالث والعشرون (ش)

ـ مهما نظرت إلى هذا العالم
فالإشارات تتناقض
كلا، فالإلّه لا يسد الدرب أمام الشيطان!
245 أنظر إلى الأب الذي يسحب السفينة في القناة
بينما كبير أبنائه يرتكب الفسق في فراشه!
الأخ البكر يشق طريقه (بحيوية) الأسد
ويبتهج الأخ الأصغر بسوق بغلٍ إلى التدرج.
أحد الوارثين يجوب الشوارع في كل
الاتجاهات عاملاً كحمّال،

250 بينما أخوه الأصغر يقدم الطعام للفقراء!
أما أنا، الذي تذلّلت أمام الإلّه
ما الذي ربحته بالمقابل؟
هأنذا راكع عند رجليّ من هو أدنى مني مرتبة
والرجل الفظُّ الميسور الثراء، يعاملني بازدراء!

المقطع الرابع والعشرون (م)

ـ أيها الـخذِر والعالم، يا ملك الحكمة،
255 ها أنت: بسبب عذاب نفسك
تسيء معاملة الإلّه!
قلب الإلّه بعيد عن متناولنا
كما هي بعيدة عنا أعماق السمٰوات.
شاقّة هي معرفته والبشر يجهلونها:
الذين خلقتهم آرورو[1] بيدها هم كائنات
حيّة بشكل متساوٍ
ولماذا إذن يولد البكر وهو دوماً
أضعف (من الذي يليه).
260 أول عجل تلده بقرة لا قيمة كبيرة له
بينما يساوي الصغير الذي يليه ضعف قيمته.
الطفل الواهن تتمّ ولادته أولاً
ولكن «البطل الصلب» هو الاسم الذي
(يطلق) على الثاني.
مهما حاول البشر التعرف على مقاصد
الإلّه، فإنهم يجهلونها!

---

(١) (Aruru) إلّهة ـ أم لها دورها في عملية خلق البشر.

المقطع الخامس والعشرون (ش)

265 ـ انتبه إلى ما أقوله يا صديقي
وحاول تفهّم أفكاري
تأمل فيما أسعى لقوله باذلاً
أقصى ما بوسعي
يُشاد بكلمات الوجيه
الذي (انغمس) في تجربة الجريمة
وتُحطّ قيمة البائس الذي لا يضرّ أحداً.
يُستمر في (تكريم) الشرير
الذي يمقت العدالة
270 ولكن يطرد العادل، المتنبه إلى إرادة الإلّه!
يُملأُ بالذهب كنز القرصان
ولكن عنبر المسكين يفرّغ من مؤونته!
تزاد سلطة الرجل المتعجرف الذي
كل شيء لديه خطيئة،
ولكن الضعيف نقضي عليه ويطرد الهزيل.
275 أما أنا، العديم الأهمية فإن
حديث الثراء يضطهدني!

المقطع السادس والعشرون (م)

ـ ملك الآلهة نارّو[1] خالق البشر
وزولومّار[2] المجيد، الذي شكّل الصلصال،
والملكة التي صنعتهم مامّي[3] السنيّة،
وهبوا البشرية محاكمة عقلية مبهمة
280 وما زودوهم به إلى الأبد، ليست الحقيقة
بل الخطأ.
ولذلك فبالكلمات الرنّانة يتم التحدث
لصالح الغنيّ:
«إنه ملك، يقال عنه، الثروة ترافقه!»
ولكن الفقير البائس، فتُساءُ معاملته
وكأنه لص،
تغدق عليه النميمة ويتم الاستعداد لقتله
285 تلصق به كل الشرور بشكل كاذب
لأن لا حاميَ له
وبالإرهاق يتم القضاء عليه ويُطفأ مثل شعلة!

المقطع السابع والعشرون (ش)

ـ أنت شفوق، يا صديقي! فاعتبر
إذن قلقي!
تعالَ لمساعدتي! أنظر إلى ألمي! واعلم:
بأنني كنت ساهراً[4] ومُحترِماً وراجياً؛

---

(١) (Narrou) أحد أسماء الإله إنليل سيد مجمع الآلهة.
(٢) (Zulummar) أحد ألقاب الإله إيا (Ea)، إله الحكمة والخلق ومهارة الصنع.
(٣) (Mami) أو مامّي الإلهة ـ الأم.
(٤) أي ساهر على إقامة الطقوس ومحترم للآلهة ومتضرع إليها.

290 ولم أجد قط ولو للحظة واحدة العون أو المساعدة
مشيت دون ضجيج في ساحات مدينتي،
وصوتي كان دون دويّ وكلمتي منخفضة،
لم أكن رافعاً رأسي، وكنت أنظر إلى الأرض،
لم أكن متبجّحاً، وكنت مثل عبد بين
جميع زملائي
295 ألا فليمنحني الآلهة الذين أهملوني،
(من جديد) عونهم.
والإلّهة [التي هجرتني] لتعد (من جديد)
إلى معاملتي بشفقة».
الراعي، شمس الشعوب، يقوم
برعايته مثل إله[1]

(١) البيت الأخير لا علاقة له بالحوار وهو موجه نحو الملك وفي الجملة التطريزية، يشير الشاعر إلى أنه «الكاهن المعزّم المُخلص للآلهة وللملك».

الفصل الثالث

(٣) ـــ الثواب والعقاب ومضاهاة الآلهة

١ ـ في هذا الفصل الأخير، حول الثواب والعقاب، نودّ إضافة بُعدٍ جديدٍ، عرفته نصوص ما بين النهرين، كما عرفته فيما بعد الميثولوجيا اليونانية ويتضمن فكرة الصعود إلى سماء الآلهة، من قبل بشرٍ كانت لهم مميّزات خاصة، سواء أكان ذلك بسبب تقواهم أم بسبب معرفتهم المتفوقة والقدرة الخاصّة التي تخوّلها هذه المعرفة.

وبصورة عامة وبصرف النظر عن فكرة الصعود إلى سماء الآلهة، فإن منطقتنا عرفت عدداً كبيراً من رجال المعرفة والحكمة عاشوا في الحقبة التاريخية التي سبقت الطوفان في ما بين النهرين، ومنهم من عاشوا بعد هذا الطوفان، وهم جميع الحكماء وناقلي الحضارة الذين حفظت النصوص ذكرى مآثرهم حتى فترات متأخرة، تلت فتح الإسكندر الكبير لبابل ومن بينهم «الأبكالو»[١] ناقلو الحضارة الذين حدّثنا عنهم بيروز[٢] الكاهن والمؤرخ البابلي.

٢ ـ وهؤلاء الحكماء، كانوا دوماً، إلى جانب الملوك، يقومون بدور الناصح والمستشار، وهم «المثقفون» الذين شاركوا في تقدم المعارف الإنسانية في زمنهم، وفي ترسيخ أسس الحضارة، ووردت أسماؤهم في لائحة «كبار مثقّفي الأزمنة القديمة» ولم

---

(١) (Apkalu) سوف يرد ما يختص بهم في الكتاب الثالث.
(٢) (Bérose) عاش في بابل حوالى عام ٣٠٠ ق. م.

يصلنا مع الأسف، وحتى اليوم، سوى الجزء اليسير من أعمالهم. و «العادل المعذب»[1] موضوع النص رقم (٧٠) وكذلك محاوراه[2] من خلال حلمه الثالث، وردت أسماؤهم في هذه اللائحة. كما تضمنت أيضاً اسم مؤلف[3] الحوارية البابلية حول العدالة الإلّهية التي وردت في النص رقم (٧١) من هذا الكتاب.

٣ ـ ومن جهة أخرى، فقد تعرّفنا على اسم صاحب[4] نص «الفائق الحكمة»، أو «تاريخ البشرية من الخليقة إلى الطوفان» الذي أوردناه في هذا الكتاب تحت الرقم (٥٦). ونعرف أيضاً اسم مؤلف ملحمة إيرّا الذي عاش في الثلث الأول للألف الأول لما قبل الميلاد وهو كبتي ـ إيلاني ـ مردوك[5] وقد أوردنا مقتطفاً من هذه الملحمة تحت الرقم (٦٧) تتضمن مرثية لمدينة بابل. وهؤلاء، هم الذين تركوا لنا آثاراً مباشرة من أعمالهم. ولكن هناك أسماء أخرى لا نعرف عنها إلا القليل عندما تتجاوز معرفتنا الاسم وَحده.

٤ ـ ويرتبط عادة اسم الحكماء بالمدينة التي عاشوا فيها أو بالملك الذي كانوا يمارسون نصحهم ونشاطهم في بلاطه.

وخلال حكم الملك السومري إينمركار[6] كان الحكيم المرافق له يدعى نونچال ـ پيريچال[7] وهو كما يقال عنه «الذي أنزل عشتار إلى الإيانا»[8] وهو الذي اخترع «القيثارة المعدنية ذات مفاتيح اللازورد».

٥ ـ ومن الطبيعي أن تحتفظ الذاكرة الشعبية بالنسبة لحكماء ما قبل الطوفان وما بعده

---

(١) العادل المعذب هو: شوبشي ـ ميشري ـ شاكان (Shubshi-Meshrê-Shakkan).

(٢) المحاور من نفّر هو: لال ـ أور ـ آليما (Lal-Our-Alimma). المحاور من بابل هو: أور ـ نيندين ـ لوچّا (Our-Nindin-Lougga).

(٣) مؤلف الحوارية البابلية: ساچيل ـ كيناموبّيب (Saggil-Kenamoubbib).

(٤) مؤلف «الفائق الحكمة»: (كسف ـ آيا) أو (نور ـ آيا) (Kasaf-Aya), (Nour-Aya).

(٥) (Kabti-Ilani-Marduk).

(٦) (Enmerkar) حكم في أوروك خلال الملكية القديمة الثانية (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠ ق. م).

(٧) (Noungal-Piriggal).

(٨) (Eanna) أي بيت السماء وهو معبد عشتار في أوروك مقر الإلّه آنو.

ولو مُغاليةً، بأخبار قدراتهم الخارقة التي تفوق قدرة البشري العادي[1] إلى أن وصل البعض منهم حتى التأليه، وكانت للآخرين قدرات على الشفاء، حتى إنه في مقدمة رقية كان يشار إلى الحكماء «الذين عاشوا في النهر[2] وهم الذين يحافظون على التوازن المتناغم بين السماء والأرض».

وتعدد الرقية أسماءهم كما يلي:

* أدابا[3] الكاهن المطهّر في إريدو[4] وهو «الذي صعد إلى السموات».

* نون. بيريجال. ديم[5] الذي عاش خلال حكم إينمركار.

* بيريجّال. نونجال[6] عاش في مدينة كيش[7] وهو الذي «أغضب الإله أدد[8] في السماء لدرجةٍ أنه أوقف الأمطار والنباتات على الأرض، خلال ثلاثة أشهر»[9].

* بيريجّا. أبزو[10] الذي عاش في مدينة إريدو وهو الذي علّق ختمه على سمكة وأغضب الإله إيا في الأبسو، لدرجةٍ أنه عاقبه على عمله.

* لُو. نانّا[11] ويقال عنه حكيم بثلثيه فقط، وهو الذي أخرج تنيناً من الإينبنكارنونّا[12] «العائد لعشتار» في المعبد الذي بناه لها الملك شولجي[13].

* والحكماء الآخرون هم من البشر[14] الذين «منحهم الإله إيا معرفة واسعة».

---

(١) وفقاً لمعادله المعرفة تعني القدرة.

(٢) المقصود هو الأبسو (Apsu) مقر أنكي/ إيا.

(٣) (Adapa): وصلنا النص رقم (٧٥) الذي سيرد في هذا الفصل.

(٤) (Eridu) مدينة الإله أنكي/ إيا.

(٥) (Noun. Piriggal. dim).

(٦) (Piriggal. Noungal).

(٧) (Kish) إحدى عواصم ما قبل الطوفان.

(٨) (Adad) إله الرعد والأمطار.

(٩) وهو عقاب إجمالي بسبب تجاوزٍ نجهله ارتكبه هذا الحكيم بقدرته.

(١٠) (Piriggal-Abzou) وقد يعني تعليق ختمه الشخصي على سمكة من الأبسو تعدياً على ملكية الإله إيا أمير الأبسو الذي عاقبه لهذا السبب.

(١١) (Lou-Nanna).

(١٢) (E. Ninkar nunna).

(١٣) (Shulgi) من ملكية أور الثالثة، حكم خلال (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦ ق. م).

(١٤) يعني ذلك أن التقاليد الشعبية اعتبرت الحكماء الأقدمين كأكثر من بشر، ثم حكماء لثلثين، مثال لو ـ نانا، ثم بشراً حازوا على المعرفة الواسعة، منحة إيا.

* وفي لائحة اكتشفت في الستينات، ذُكر فيها أنه «خلال حكم أسرحدون فالحكيم كان آبا ـ نينو ـ داري[1] الذي يسميه الآراميون أهيقار»[2].

وفي نص طبّي، يقال عنه بأنه «كُتب وفقاً للتعاليم الشفوية لحكماء ما قبل الطوفان، خلال السنة الثانية لحكم إنليل ـ باني[3] ملك إيسين[4]، كُتب هذا النص، من قبل الحكيم إنليل ـ مُبلّيط[5]. وأخيراً، ففي نشيدٍ مديح موجّه إلى الملك شولجي، يأتي ذكر الحكيم أور ـ چاتوم ـ دوچا[6] الملقب «بالحكيم المطهِّر العالمي».

٦ ـ ومن الأبطال، أو الحكماء الذين صعدوا إلى السماء وصلنا نص حول إيتانا[7] وهو رابع ملك حكم في مدينته كيش بعد الطوفان وهو الذي صعد إلى السماء على جناح نسر ونورد قصته تحت الرقم (٧٦) من هذا الكتاب.

وبمناسبة الصعود إلى السماء أيضاً أو الاختفاء عن وجه الأرض محمولاً من قبل الإلّهة إنانا، علينا ألاّ ننسى مصير شوكاليتودا[8] بستاني أنكي، الذي ابتدع بمعرفته، وقدرته على «استعمال القدرات» فكرة غرسِ أشجار الحماية لصدّ الرياح عن بستانه ونشر الظل الذي ينقل عذوبة الرطوبة. وهو الذي وردت قصته في النص رقم (١٠) من الكتاب الأول، ولأنه أغضب إنانا بسبب اغتصابه لها أثناء نومها، فقد عاقبته إنانا طالبة من أنكي تسليمه إليها، ويقول النص[9]:

«إصطحبت إنانا المقدسة معها شوكاليتودا
إنطلاقاً من أبسو إريدو
وأخذت مكانها في عرض السماء، كقوس قزح

---

(١) (Aba-Ninnou-Dari).
(٢) (Ahiqar)، وسوف ترد قصّته كاملة في الكتاب الثالث.
(٣) (Enlil-Bani).
(٤) (Isin) ملكية إيسين بدأت حوالى ٢٠١٧ ق. م.
(٥) (Enlil-Muballit).
(٦) (Our. Gatoum. Douga).
(٧) (Etana).
(٨) (Shukalituda): بستاني أنكي في النص رقم (١٠).
(٩) النص رقم ١٠ (الأسطر: ٢٤٤ ـ ٢٤٧).

[. . .] تقدّمت [. . .] تقدّمت أيضاً [. . .] (مبتعدةً)
وبدا شوكاليتودا أصغر فأصغر!»

ويضيف النص بأن ذكره بقي على الأرض في أناشيد الشعراء الشبان في قصور الملوك وفي دندنات الرعاة.

٧ ـ وبالإضافة إلى ما تركته لنا نصوص ما بين النهرين حول أسماء الحكماء والعارفين، في الوثائق التي أشرنا إليها أعلاه، لا بد من استكمال لائحة الحكماء في عالمنا القديم بالاعتماد على بعض ما ورد في التوراة اليهودية عن هؤلاء ولو لم تتغلّب سمعتهم إلاّ نادراً على التعصّب التوراتي. وبالإضافة إلى ذكر حكماء فرعون وسَحَرة فرعون الذين يأتي ذكرهم في مناسبات متعددة، يمكن التعرّف على الأسماء التالية لحكماء بابل وكنعان والجزيرة العربية:

* هيْمان وكلْكُول ودَرْع بني ماحول من حكماء بلاد كنعان.

(١ ملوك ٤: ٣٠)

* يهوه يُبطل آيات السَحَرة البابليين ويُحيل إلى الجنون العرّافين ويدفع إلى الوراء الحكماء ويحيل إلى عدم الفهم معرفتهم.

(إشعيا ٤٤: ٢٥)
(عن توراة القدس ـ النسخة الفرنسية)

* إشعيا متوجهاً إلى بابل: «حكمتكِ ومعرفتكِ هما أفتناكِ» (إشعيا ٤٧ : ١٠).

* . . . لأن أهيقار، خلال حكم سنحريب، ملك أشور، كان الساقي الأول، وحامل الأختام والإداري، وسيد الحسابات، واحتفظ به أسرحدّون في وظيفته، إنه كان قريبي، ابن أخي.

(طوبيّا ١ : ٢٢) عن توراة القدس

وفي الحقيقة فأهيقار طوبيّا هنا، هو استعارة لاسم ولشخصية أهيقار الآرامي وهو من أشهر حكماء عصره وقد عاش فعلاً في بلاط نينوى وكان وزير المال في زمن أسرحدّون الأشوري الذي حكم من ٦٨٠ ق. م.

وهو الحكيم والمثقف وصاحب «مجموعة الأمثال الآرامية» وبطل عملٍ أدبي نقل إلى عدّة لغات في منطقتنا وعُرف تحت عنوان «تاريخ وحكمة أهيقار الأشوري».

* محاورو أيوب الثلاثة كما أشرنا إلى ذلك في المقطع ٦ من تقديم النص رقم (٧٠) هم من الحكماء الكنعانيين.

* آجور وليموئيل اللذان تنسب إليهما التوراة الأمثال في (٣٠ : ١) و (٣١ : ١) تقول عنهما الشروح التوراتية بأنهما كانا «إسماعيليين» أي من الجزيرة العربية وتصنّف أيوب أيضاً على هذا الأساس.

* أمّا حِزقيال (٢٨ : ٣)، فإنه حين ينتقد ملك صور بسبب غروره وادعائه، يقول له: «ها أنت أحكم من دانئل!» ودانئل المشهور بحكمته هو دانئل الأوغاريتي. ومن حسن الحظ أن حفريات رأس ـ شمرا (أوغاريت) قدّمت لنا نصاً عنه وسيرد في كتاب مستقل مع النصوص الأوغاريتية.

٨ ـ لقد أدرجنا هذه اللائحة السريعة عن أسماء «حكماء ومثقّفي الأزمنة القديمة» للدّلالة على أنهم يستحقون تحقيق الدراسات والبحوث حولهم لإنصافهم، ولإنصاف تاريخنا الحضاري، آملين أن يتم ذلك على يد باحثينا، ولا ننسَ أن نضيف إلى لائحتنا هذه، اسم ملكيصادق الكنعاني ملك مدينة سالم[1] وكاهن الله العلي الذي بارك أبرام (إبراهيم) وحصل منه على العشر من غنائمه (تكوين ١٤ : ١٨ ـ ٢٠).

٩ ـ والنصّان اللّذان سنعرضهما من خلال هذا الفصل، بعد هذه المقدّمة عن كل من «أدابا» وإيتانا، يتحدثان عن صعود كل منهما إلى السماء لأسباب مختلفة وهي ازدياد القدرة بالنسبة لأدابا و «السعي» نحو الحلّ الذي يُنتظر من السماء بالنسبة لإيتانا. وقبل ذلك سوف نقدم نصاً ثالثاً بطله الإلّه نينورتا وهو بطل الانتصار على الطائر أنزو كما ورد ذلك في النص رقم (٦٢) من هذا الكتاب، وذلك لإضافة بعدٍ جديد يرتكز عليه هذا الفصل الأخير من هذا الكتاب وهو «الغرور» و «الرغبة» بالاستئثار بالسلطة. وعلى هذا الأساس فإن الفصل الثالث سيقدم النصوص المشار إليها أعلاه كما يلي:

---

(١) مدينة سالم هي نفسها أورو ـ سالم في نصوص تل ـ العمارنة أي مدينة القدس في تسميتها الكنعانية قبل إبرام وموسى.

رقم النص		العنوان
(٧٢)	-	تجربة نينورتا وعقابه
(٧٣)	-	أدابا في سماء الآلهة
(٧٤)	-	إيتانا على جناح النسر

(٧٢) ــ تجربة نينورتا وعقابه

١ ـ يشير هذا النص الخاص بالإلّه نينورتا[١] إلى موقف منه غير اعتيادي، بالنسبة لبطلٍ ينقذ الآلهة ويعيد إليهم السيادة، فيُحتفل به ويُكرّم. وهو هنا كما عرفناه بصدد بعض الشخصيات الميثولوجية اليونانية مثال بللّيروفون[٢] يصيبه الغرور بعد انتصاره على الطائر أنزو[٣] واسترجاعه «للوحة الأقدار»، فيقع في التجربة، التي تلوح له من خلالها مغريات السلطة.

والتساؤل الذي يطرحه نينورتا على نفسه مضمراً في قلبه نيّته الخفيّة، هو، لماذا لم يحتفظ لنفسه بلوحة الأقدار التي أعادها للأبسو[٤] مقر أنكي ولماذا لم يستأثر بالسيادة؟ وكأن النص يفترض نوعاً من الشكوى والأسف من قبل الطائر أنزو، بأنه لم يُقبل للإقامة في الأبسو بعد تخليه عن لوحة الأقدار، ويفترض النص كذلك، ندماً من قبل نينورتا، ونوعاً من التحريض له من قبل أنزو، لأن نينورتا هو أيضاً لم تصبه حصة كافية من السيادة التي عادت إلى الأبسو.

هكذا يبدأ ما وصلنا من هذا النص، وإن لم تكن هذه هي بدايته الأصلية المفقودة.

---

(١) (Ninurta) بمعنى سيد الأرض وهو ابن الإلّه إنليل المنتصر على الطائر أنزو كما ورد في النص (رقم ٦٢) من هذا الكتاب.

(٢) (Bellerophon) أصابه الغرور بعد انتصاره على الحيوان الخرافي: الخَيْمَر وفكر بالاستيلاء على الأولمب وإزاحة سيد الآلهة زيوس (Zeus).

(٣) (Anzou) الطائر الخرافي الغريب الشكل الذي ينتصر عليه نينورتا ويستعيد منه لوحة الأقدار «رمز السلطة» التي اختطفها (عودة إلى النص ٦٢).

(٤) (Apsu) محيط المياه العذبة الباطنية وهو مقر الإلّه أنكي (Enki).

ولكن الإلّه أنكي[1] العارف بالنبات وبما تخفيه الصدور. يستدعي نينورتا إلى مقره، ويرفض نينورتا المثول أمامه.

وهنا يعمد أنكي إلى خلق سلحفاةٍ ويجعلها تتمركز على مدخل مقرّه. وحين يقترب منها نينورتا، تقبض عليه من كاحل رجله وتجره القهقرى، ثم تحفر بأظافرها حفرة وتُسْقطُ فيها نينورتا وتبدأ بردم التراب عليه. وهنا يتدخل أنكي، ليلقّن البطل الذي أصابه الغرور، فأضمر الاستيلاء على سلطةٍ لم تكن له، ليلقنه درساً في التواضع.

٢ ـ يتألف هذا النص، الذي عثر عليه في حفريات أور[2] من لوحة واحدة، ليست هي الأولى ولا الأخيرة، تضمّ ستين سطراً وتعود إلى الفترة الانتقالية ما بين الألفين الثالث والثاني.

ومن الملاحظات الأخرى التي يمكن عرضها بصدد هذا النص، هو غياب الإلّه إنليل[3] ومقره مدينة نفّر[4]، إذ إن إنليل يذكر مرة واحدة فقط في دوره كأب لنينورتا. والسلطة هي هنا في الأبسو في إريدو[5] مقر أنكي، الذي هو العامل الرئيسي هنا.

كما أن الدرس الذي يلقّنه أنكي لنينورتا، يذكّرنا بمحاولة أخرى عمد إليها إيا[6]، لمجابهة غرور عشتار حين خلق نداً لها كمرآة لترى فيها نفسها وهي صَلْتو[7].

وأخيراً نلاحظ هنا، أن الطائر أنزو، لم يتم القضاء عليه، بل حافظ على دورٍ شيطاني تأثر به نينورتا نفسه، وكأن أنزو أصبح إلى الأبد، عبداً للمنتصر عليه، كما يشير النصّ إلى ذلك.

---

(١) (Enki) إله الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع ومقره في الأبسو.
(٢) (Ur) مدينة الإلّه القمر ثم اشتهرت توراتياً على اعتبار أن هجرة أبرام (إبراهيم) بدأت منها.
(٣) (Enlil) سيد مجمع الآلهة في سومر ويلاحظ غيابه هنا على الرغم من أن لوحة الأقدار كما ورد ذلك في النص رقم (٦٢) اختطفت منه.
(٤) (Nippur) العاصمة الدينية السومرية القديمة ومقر الإلّه إنليل.
(٥) (Eridu) مدينة الإله أنكي.
(٦) (Ea) هي التسمية الأكادية للإلّه أنكي السومري.
(٧) (Saltou) هي المخلوقة الشرسة التي ابتدعها إيا لمجابهة عشتار وإخماد نزعتها إلى الحرب بعد أن عمّ السلم في البلاد، وسوف يرد هذا النص في الكتاب الثالث.

أنزو يذكّرنينورتا كيف فقد لوحة ـ الأقدار

1 عندما بأمر من أنكي

ضَربْتَني يا نينورتا بسلاحك

وسقطت السلطات في الأبسو

حين أفلتَتْ من يديّ،

عندما أُجبرت على التخلّي عن لوحة ـ الأقدار،

وبمجرد عودتها إلى الأبْسو

وإذْ لم تكد [هذه اللوحة] تردّ إلى هناك

لم يبق لي أي (أثر) لسلطة!»

نينورتا يأسف بدوره لأن السلطات لم تُمنح له

5 هكذا كان يتكلم آمار ـ أنزو[١]: ولكن

نينورتا بقي صامتاً

ومع ذلك كان نينورتا ـ پاشيشانّا[٢] يأسف (بداخله)

لأن السلطات لم تُبق له في يديه (هو)

ولم يحصل منها على أيّة سيادة!

ومثل آمار ـ أنزو لم يُقبل

لكي يسكنَ في الأبسو

إيا يسعى للتخفيف من أزمة نينورتا الداخلية

من صميم مقرّه، استشعر أنكي الجليل

ما يدور من أفكار

10 وكان يعلم (أيضاً)، أنهما حين وصلا

أمام الأبسو مقرّه

---

(١) (Amar-Anzou) بمعنى أنزو الصغير.

(٢) (Ninurta-Pashéshanna) پاشيشانا أحد ألقاب نينورتا.

دفع آمار ـ أنزو، دون جدوى، نينورتا
إلى ولوج المقر
وكان الإلّه راضياً عن سلوك نينورتا،
15 (لذلك) مدحه السيد نوديمّود[١] بهذه التعابير:
«أيها البطل! بين آبائك الآلهة،
لا أحد أمكنه التصرف مثلك!
بما أنك تغلبت بسلاحك القوي
على الطائر الشنيع
ففي كل يوم وإلى الأبد، سوف تحتفظ به
ساجداً تحت قدميك
وسوف يثني الآلهة العظام باستمرار
على قوتك وإقدامك
20 كما أن أباك إنليل سوف يلبّي لك جميع ما تطلبه
وأمك نينمينا[٢] لن تلد قط مثيلاً لك!
ولا إلّه يوحي برهبةٍ تماثل رهبتك
ولن يكون أيّ إلّه مضاهياً لك!
وفي مقر الأبسو سوف يستمر تمثالك (؟)
في كل شهر على تلقّي هدايا الترحيب
وعلى عرش الشرف سوف يُحتفل بك!»

نينورتا غير راضٍ بمثل هذا المديح يضمر انتقاماً

25 ولكن البطل، بداخله
لم يكتفِ قط بهذه الوعود،
وفجأة (؟) اصفرّ وجهه وامتقع من الاستياء

---

(١) (Nudimmud) لقب أنكي ومعناه الذي له علاقة بالخلق والصنع.
(٢) (Ninmenna) لقب نينليل أمّ نينورتا.

واستدار دون أن ينبس بكلمة
حول المطامع التي صُدمت والغيظ المكتوم
وأعمل فكره في نوايا شائنة (؟)
ومع ذلك وعلى الرغم من ثورته على العالم أجمع
30 لم يُحدِّث بذلك أحداً
مُحتفظاً بمرارته (؟) لنفسه

ردّ فعل أنكي

ولكن الإلّه الكبير بذكائه تفهّم
خطورة الموقف
وفي معبد الأبسو،
تشابكت الأفكار في رأسه
فحاول إيسمود[١] حاجب أنكي
أن يقود نينورتا للمثول أمامه
(لكن) البطل رفض الاستجابة
35 وحتى إنه رفع يده على (إيسمود)

أنكي يعدّ أداة عقابه

عند ذلك، أخذ أنكي حفنةً من صلصال الأبسو وصنع بها سلحفاة
وجعلها تتمركز على مدخل المعبد قرب البوّابة،
ثم نادى نينورتا لاجتذابه
حيث تتمركز السلحفاة
40 التي أمْسَكَتْ به من الوراء من كاحل رجله (؟)
وجرّتْ القهقرى (؟) البطلَ نينورتا
بينما كان أنكي يقول ممالقاً:

---

(١) (Ismud) حاجب أنكي ومعاونه.

«ما الذي حدث إذن؟»
ثم حفرت السلحفاة بأظافرها حفرةً
وأسقطت فيها البطل.
45 وبينما كان نينورتا يصرخ:
«أريد الخروج!»
كانت (السلحفاة) بواسطة قوائمها
تردم [عليه التراب (؟)]

أنكي يلقّن نينورتا درساً في التواضع

عند ذلك، الإلّه العظيم أنكي، قال لنينورتا:
«بما أنك وَجَدتَ [...]
سلطاتي المنتزعة من [آمار ـ أنزو (؟)]
وبما أنك أضمرت أن تحلّ محلّي (؟)
50 فأنا عمدت إلى إذلال هذا المغرور
[... الذي هو أنت] !
51S أنت تمرّدت عليّ: ما جدوى ذلك؟
وماذا أفادتك قوتك؟ وما هو
إذن مصير شجاعتك؟
أنت اكتسحت الجبل الكبير
فما الذي بقي لك منه اليوم؟

ردّ فعل أم نينورتا

55 عندما أُعلمت نينمينا[1] هذه الواقعة
مزّقت ثيابها غضباً
وتخبّطت مثل مختلّة (؟)

(١) (Ninmenna) ورد شرحه في السطر ٢١.

«من هو الذي يمكنني إيفاده إليك لتهدئةِ غضبك
يا أوروكو[1]، (كانت تصيح)
الناس سوف يرتجّ منهم الرأس
إذا ما تخلّيتُ عن نينورتا في وقت الشدّة
من هو الذي يمكنني إيفاده إليك؟

(تعليق الناسخ):

ـ هنا اسم الإلّه ليس أنكي
ولكن أوروكو لهذه المرة (؟) ـ
60 هل أنت تحكم بالموت دونما رجوع؟
إذن من هو الذي يمكنني إيفاده إليك شفيعاً؟

(١) (Uruku) لقب تطلقه أم نينورتا على أنكي ومعناه «آكل الحشيش» (؟) أو «الذي ينام» ويذكّر هذا اللقب الأخير بأنكي الذي كان لا يغادر فراشه قبل تدخله من أجل خلق البشر كما ورد ذلك في النص رقم (٤) من الكتاب الأول وتم التذكير به في هذا الكتاب (المقطع ١١ من ١ ـ ٣).

(٧٣) ــــ أدابا في سماء الآلهة

١ ـ أدابا هو أحد الحكماء القلائل، الذين وصلنا عنهم نص يشير إلى حكمتهم ومعرفتهم، وبالإضافة إلى ذلك فإن أدابا هو البشري الذي صعد إلى السماء وشاهد عن قرب بهاء وتألّق الإلّه آنو، هذا البهاء الذي «لا يمكن لبشري تحمله».

والاعتقاد بصعوده إلى السماء كان من المعتقدات الدينية الراسخة والرسمية في بابل، حتى أن كهنة الإيساچيل[١] لم يتقبّلوا انتقاد نبونيد[٢] ملك بابل حين أعلن مجدّفاً: «أن آنو لم يعرفْ اسم أدابا».

٢ ـ اسم أدابا الكامل هو أوانا ـ أدابا[٣] وهنا ترتبط تسمية أوانا باسم الإلّه إيا وكذلك ارتبطت به تسمية أوانس[٤] في شكلها اليوناني.

ونحن نعلم أن الإلّه إيا، إلّه الحكمة والمعرفة والخلق ومهارة الصنع كان إلّهاً قريباً من البشر يدافع عنهم ويسهر على مصيرهم، كما ورد ذلك في نصوص متعددة وأهمها قصة الطوفان (النص رقم ٥٦) حيث نرى إيا، يحاول في كل مرة إفشال قرارات إنليل إنقاذاً للبشر.

---

(١) (Esagil) ومعناه البيت ذو الرأس الشامخ وهو معبد مردوك في بابل.
(٢) (Nabonide) (٥٥٥ ـ ٥٣٩ ق. م).
(٣) (Ouana-Adapa).
(٤) (Ouanes) هو الشكل اليوناني لاسم الإلّه إيا.

٣ ـ وبموجب هذا النص، فإن الإلّه إيا، هو الذي منح أدابا الحكمة والمعرفة ليكون مثالاً لحكمة البشر بحيث تُسمع كلمته دوماً. وكان أدابا عالِماً وقدّيساً وذا يدٍ طاهرة، يسهر بنفسه على إقامة الطقوس وتقديم القرابين المختلفة. وقد وصلتنا قصة أدابا من خلال ثلاث لوحات أو أجزاء لوحات يختلف اتساع محتواها، وأكبر محتوىً، هو الجزء الأوسط من النص، الذي عثر عليه في وثائق تل العمارنة في مصر[1] وتحتوي اللوحتان الباقيتان، وبشكل غير كامل، على بداية النصّ ونهايته. ولدينا أيضاً عن نهاية النص، جزء من لوحة، لنسخة أخرى تقدم عن هذه النهاية تفاصيل أكثر اتساعاً. ولئن كان النص بسيطاً وقراءته واضحة، إلا أنه أثار مع ذلك نقاشات عديدة، ولا يزال، حول مغزاه العميق وحول تَفسير تصرف كل من الإلّهين إيا وآنو تجاه أدابا.

٤ ـ ويمكن تلخيص قصة أدابا كما يلي:

بينما كان أدابا، في يوم من الأيام يصطاد في المياه العذبة في إريدو، هبّت عليه ريح الجنوب وأغرقت سَفينته. فلعن ريح الجنوب وتمكّن بمعرفته وقدرة كلمته من كسر جناح الريح التي توقفت عن الهبوب. وبعد مضي أسبوع على تعطيلها استغرب آنو ذلك وسأل فأجيب: بأن أدابا «ابن إيا»[2] هو الذي كسر جناح ريح الجنوب. فغضب آنو وطلب أن يؤتى به ليمثل أمامه.

إلاّ أن إيا، وهو العارف بما يجري في السماء، أعدّ أدابا لهذه الزيارة وعلّمه الحيلة التي يمكنه بواسطتها كسب كل من الإلّهين دوموزي وجيزّيدا[3] إلى جانبه. ولكنه، في الوقت نفسه، أمره، أن يمتنع عن أكل وشرب ما يقدمه له آنو وأن يقبل الزيت والكساء اللذين يقدمان له.

يستغرب الإلّه آنو هذا التصرف ويعرف منه بكل بساطة بأن إيا هو الذي أمره بذلك. وفي خاتمتين مختلفتين، وغير كاملتين لهذا النص، يُعاد أدابا إلى الأرض وتتوقف هذه الخاتمة بسبب النقص. وفي الخاتمة الثانية، يوجّه إليه آنو نظرة رضىً ويمنحه قبل نزوله إلى الأرض، وبمساعدة إلّهة الشفاء، القدرة على معالجة وشفاء

---

(١) عاصمة أخناتون في القرن الرابع عشر (١٣٧٢ ـ ١٣٥٤ق. م).
(٢) أي الابن الروحي لإيا.
(٣) (Dumuzi و Gizzida) لا لزوم للتعريف بدوموزي الراعي عشيق إنانا وجيزّيدا أو نين جيزّيدا: هو زوج شقيقة دوموزي وعلى ما يظهر يختفي مثله دورياً عن وجه الأرض.

الأمراض التي تسببها ريح الجنوب ويتوقف النص هنا أيضاً بسبب النقص.

(أدابا: النص)

نقص في بداية اللوحة ويُعتقد أنه كان يعدّد الصفات التي منحها الإلّه إيا لأدابا ليميزه عن بقية البشر.

جزء اللوحة (A):

[................]
[أراد أن] تصبح كلمته مماثلةً لكلمة [آنو (؟)]
فقد اعتنى بمنحه إدراكاً واسعاً يمكّنه
من كشف المصائر في البلاد.
وهبَ هذا الرجلَ الحكمةَ ولكنّه لم يمنحه
الحياة الأبدية[1]
5 في ذلك الزمان، في تلك السنين، كان
الحكيم من مواليد إريدو[2]؛
وقد خلقه إيا، ليكون مثالاً بين البشر:
حكيم - لا يمكن لأحدٍ رفض كلمته -
عالم - إنه الأكثر ذكاءً بين الأنونّاكي[3] -
إنه قديس وذو يدين طاهرتين،
كاهن مسيح (بالزيت المقدس) ومقيم للطقوس كاملةً.
10 مع الطبّاخين، كان يعدّ الطعام
مع طبّاخي إريدو كان يعدّ غذاء (الآلهة)
في كل يوم، من أجل إريدو، كان يتزوّد

---

(١) قد يكمن في هذا التوضيح ما يبرر تصرف إيا فيما بعد بالنسبة للتعليمات التي يعطيها لأدابا.
(٢) (Eridu) مدينة الإلّه إيا على شاطىء الأبسو مقره.
(٣) (Anunnaki) هنا اسم جميع الآلهة الذين ليسوا في مراكز السلطة.

بالطعام والشراب
كان يعدّ بيده الطاهرة (مائدة التقدمات)،
ولم تكن ترفع التقدمات عن المائدة، بدونه.
15 كان يوجّه بنفسه سفينته، ومن أجل
إريدو، كان يصطاد في المياه العذبة.
في ذلك الزمان، أدابا، المولود في إريدو
عندما كان المل [ـك] إيا يتمدد على فراشه[١]
كان (أدابا) في كل يوم يحرس بيت إريدو المقدس.

(في أحد الأيام)، على الرصيف المقدس،
رصيف ـ القمر ـ الجديد،
ركب سفينته الشراعية.
20 وبريح (مؤاتية)، كانت السفينة تتابع تقدمها
و [بواسطة] عصا الغرز (وحدها) كان يوجّه سفينته
[وعندما وصل إلى عرض] البحر الفسيح
[بدأ يصطاد. وكان البحر مثل مرآة][٢] . . .
[. . . . .]

جزء اللوحة (B):

ولكن ريح الجنوب [بدأت تهبّ بشدّة فأغرقت]
سفينتهُ ورمتها في عالم [الأسماك].
«يا ريح الجنوب، (صرخ لها) لتقع اللعنة
على جميع مخازيك!

(١) معنى هذا السطر غير أكيد بسبب التشويه على اللوحة.
(٢) الأسطر الأخيرة من هذا الجزء تم استعادة محتواها بالاعتماد على الجزء التالي (B) بالاعتماد على الأسطر (٥٠ ـ ٥٤).

5 لأكسرنّ جناحكِ!» ما أن تلفّظ بهذه الكلمات
حتى انكسر جناح ريح الجنوب

ونادى آنو حاجبه إلآبرات[١] (وقال له):
«لماذا منذ سبعة أيام، لم تهبّ على
البلاد ريح الجنوب؟»
10 فأجابه حاجبه إلآبرات (قائلاً): «سيدي، أدابا،
ابن إيا، هو الذي كسر جناح ريح الجنوب!»
لدى سماع آنو هذه الكلمات،
صرخ قائلاً: « كفى!»، نزل عن عرشه
(وأصدر أمره): «فليؤت به ليمثل أمامي!»
ولكن إيا كان يعلم (أمر) السماوات؛
15 فعدّل مظهر [أدابا] وجعل أن يكون شعره متسخاً
[كما جعله يلبس] رداءَ حزنٍ،
ثم أعطاه هذه التعليمات:
«سوف تذهبُ شخصياً، [يا أدابا]، للمثول
[أمام آنو] الملك؛
سوف تأخذ طريقك إلى السموات،
وعندما إلى السموات
[ستصعد] وتقتر[ب من بوابة آنو]
20 أمام بوابة آنو (ستجد) [دوموزي وجيزّيدا[٢]]
واقفَين، وسوف يشاهدانك،
ويستعجلانك بالأسئلة (قائلَين):

---

(١) (Illabrat) حاجب الإله آنو ورسوله.
(٢) (Dumuzi) و (Gizzida) راجع الملاحظة في نهاية تقديم النص.

«يا رجل، من أجل من جَعَلْتَ نفسَك على هذا الشكل؟
«من أجل من لبستَ رداء حزنٍ يا أدابا؟»
(عند ذلك سوف تجيب): «إنّ إلّهينْ
ماتا في بلدنا،
«لذلك، أنا على هذا الشكل،
ـ من هما هذان الإلّهان،
25 «اللّذان ماتا في البلد؟
ـ إنهما دوموزي وچيزّيدا.» (تجيب)
(عند ذلك) سوف ينظر أحدهما إلى الآخر
وتغمر الابتسامة وجهيهما؛ ولمصلحتك
سوف تكون الكلمات
التي سوف يقولانها لآنو، ووجهاً بشوشاً لآنو
سوف يجعلانك ترى. ولكن عندما ستكون
بحضرة آنو، إذا ما قُدّم لك خبز الموت،
30 لا تأكل منه، وإذا ما قدّم لك ماء الموت،
لا تشربه، وإذا ما قُدِّم لك كساء
فالبسه، وإذا ما قُدِّم لك زيت، فامتسح به.
لا تهمل التوصيات التي أعطيك،
إحفظ جيداً الكلمات التي أقولها لك.
35 وصل رسول آنو (الذي قيل له):
«أدابا كسر جناح ريح الجنوب،
أحضره ليمثلَ أمامي!»
جعله (الرسول) يأخذ طريق السمٰوات، وأُصعد إليها،
وعندما تم إيصاله إلى السمٰوات
وصار قريباً من بوابة آنو،
على بوابة آنو كان دوموزي وچيزّيدا يقفان.

40 ولما رأياه صرخا: «يا هذا!
يا رجل من أجل من جعلت نفسك على هذا الشكل؟
يا أدابا، من أجل من لبست رداء حزنٍ؟
ـ لأن إلَهين ماتا في البلد،
أنا لبست رداء الحزن.
من هما هذان الإلَهان، اللذان ماتا في البلد؟
45 ـ دوموزي وجيزّيدا (أجابهما)،
فنظر أحدهما إلى الآخر
وغمرت الابتسامة وجهيهما. وعندما أدابا
أمام آنو الملك
تمّ اقترابه، قال له (آنو) عندما رآه:
«تعال هنا يا أدابا! لماذا كسرت جناح
ريح الجنوب؟» فأجاب أدابا آنو: «إلَهي،
50 من أجل معبد سيدي، في وسط البحر[١]،
كنت أصطاد سمكاً. وبينما كان البحر مثل مرآة،
بدأت ريح الجنوب تهبّ بشدّة، فأغرقت سفينتي
ورمتها في عالم الأسماك. وفي غضب قلبي،
لعنتُ [ريح الجنوب]». تبنّى الدفاع عنه (عند ذلك)
55 [كل من دوموزي و] جيزّيدا: وكلمات لمصلحته
قالا أمام آنو، فهدأ قلبُه. أثّرتْ فيه كلماتهما،
(إذْ قالا): «لماذا لِبشري ليس جديراً بها،
كشف إيا (أمور) السماء والأرض؟[٢]

(١) أي معبد إيا في إريدو الذي أقيم في وسط الأبسو.
(٢) أمور أو أشياء السماء والأرض التي كشفها إيا لأدابا، هي التي أكسبته قدرة المعرفة، وبمعرفة أسرار الآلهة، أكسبته قدرة إلَهية.

لقد حباه بقلب صلد[١]، وجعل له اسماً.
60 ونحن ما عسانا نفعل من أجله؟... خبز الحياة
فليقدّم له وليأكل منه!»
قُدِّم له خبز الحياة، ولكنه لم يأكل،
قُدِّم له ماء الحياة، ولكنه لم يشرب.
قُدِّم له كساء، فلبسه.
65 قُدِّم له زيت، فامتسح به
آنو أمام تصرّفه، هزأ منه
(وقال ضاحكاً): «تعال هنا يا أدابا،
لماذا لم تأكلْ ولم تشربْ؟
لن تكون لك حياة (أبدية)!...[٢]
- إنه إيا إلّهي
الذي قال لي: «لا تأكل، لا تشرب!»
70 - فليؤخذْ إذن (قال آنو) وليُعَدْ
إلى أرضه!»
[.....................]

وجزء من لوحة أخرى يقدّم بالنسبة لمغامرة أدابا في سماء آنو نهاية مختلفة هي كما يلي:

جزء اللوحة (D):

[.....................]

(١) على اعتبار أنه تحمل عملية الصعود وتحمل النظر إلى تألّق آنو الإلّهي.
(٢) هنا أحد الاحتمالات لقراءة هذا السطر المشوه في ثلاث كلمات. والاحتمال الثاني هو لن تكون إذن مكافأة أو هدية من أجل البشر (؟).

أمر بأن يُقدّمَ له [زيت] فامتسح به
أمر بأن يُقدّمَ له [كسـ] ـاء فلبسه.
(عند ذلك) (وبما فعله إيا
أطلق آنو ضحكةً عالية (معلناً):
5 «من بين آلهة السماء والأرض، مهما كان عددهم،
من بإمكانه قول مثل هذا؟ من بإمكانه جعل نظامه عظيماً
لدرجةٍ، بحيث يضاهي نظام آنو؟»
ولكن أداپا، تأمّل السمٰوات
من قاعدتها، حتى سَمْتِها
وأمكنه التمتع برؤية تألّق آنو الإلٰهي
الذي لا تحتمل رؤيته:
عند ذلك، على أداپا، وضع آنو يداً راضية (؟)
10 و [إريدو] (مدينة) إيا، جعل منها
حرماً مقدّساً
وكمصير لها، قرر أن يتألّق فيها كهنوته إلى الأبد.
«وبما أن أداپا (قال)،
هو من الجنس البشري،
[وبطرقه الخاصّة] تمكّن بنجاح
من كسر جناح ريح الجنوب،
وبما أنه، دونما عقابٍ صعد إلى السمٰوات،
فليكن (قرارنا) كذلك:
15 [كل] ما ستسبّبه [ريح الجنوب] من شرٍ للبشر
[وأيّ مر] ضٍ ستضعه في جسم البشر
[مع أ] داپا، سوف تتمكن نينكارّاك[٣]

---

(١) (Nikarrak) إلٰهة الصحة والشفاء.

من تهدئتهما،
وعند [ذلك] فليتبدّد الشر وليبتعد المرض!
و [لكن] بدونه، لتأت الحمّى المقرّسة
20 [بحيث] لا يتمكن [المريض]
من أخذ راحته في نومٍ هانىء!
[................]

(٧٤) ــ إيتانا على جناح النسر

١ ــ صعود إيتانا إلى السماء، تمّ على جناح نسر، ولم يكن ذلك بسبب قدرةٍ خاصة من قبله، كما هو الحال بالنسبة لقدرة أدابا[١] على كسر جناح ريح الجنوب، بل كانت نتيجة لتقواه ورضى الإلّه شمش[٢] عنه، وإخلاصه في سعيه والغاية التي كان يتوخاها.

وأما صعود إيتانا إلى السماء، فكان سببه الأمنية التي عرفها الكثيرون عبر أساطير وطننا قبل إيتانا وبعده وهي السعي لأن يرزق ابناً يرثه ويحمل اسمه. والملك الأوغاريتي كيريت[٣]، الذي قضى لياليه في معبد الإلّه وقدّم القرابين النذرية للغاية نفسها، يفهم تماماً سعيَ إيتانا.

وإيتانا هنا، لم يُبَشّر بذرية «كنجوم السماء كثرةً» أو «بكثرة الرمال على شاطىء البحر»، ولكنه سعى بنفسه للحصول على «نبات الولادة» أي «العشبة المساعدة على الحمل» ليقدّمها إلى قرينته. ومن غَيْر عِشتار التي تسهر على خصب الحقول والأرحام، يمكنها مساعدته؟

ولذلك، فعلى جناح نسر ارتبط معه بصداقة بعد أن صنع معه إيتانا معروفاً بتوجيه من الإلّه شمش، يصعد إيتانا إلى السماء بقصد الوصول إلى سماء عشتار وإبلاغها أمنيته.

---

(١) (Adapa) راجع النص رقم (٧٣).

(٢) (Shamash) إله العدالة.

(٣) (Keret) سوف يرد قصة من خلال عرض النصوص الأوغاريتية في كتاب لاحق.

٢ ـ جُمعت أسطورة إيتانا عن ست عشرة لوحة وجزء من لوحة، تعود لنسخ متعددة عثر عليها في بلاد بابل وفي سوز[١] وفي أشور وهي تعود إلى كل من الفترة البابلية القديمة حوالى (١٨٠٠ ـ ١٦٠٠ ق. م)، والفترة الأشورية المتوسطة حوالى ١٣٠٠ ق.م، والفترة الآشورية الحديثة (٧٥٠ ـ ٦١٠ ق. م)[٢]، مما يدل على شهرة هذه الأسطورة واستمرار تداولها خلال قرون عديدة.

ومع أنه تمّ تجميع وترجمة جميع هذه الوثائق، فإنه لم يتوفر لدينا حتى اليوم نصّ كامل لمحتوى هذه الأسطورة، التي لا تزال، كما نعرفها اليوم ذات تسلسل مشتت يحمل فراغات كبيرة. وهي تتألف من ثلاثة أجزاء تبقى ناقصة في كل منها.

٣ ـ تفتتح النصَّ مقدّمة، تشير إلى بداية الحياة العمرانية في البلاد وبناء المدن، في فترة لم تكن فيها الملكية قد أقيمت على الأرض وقبل أن تُنزل أسسها وشعاراتها من السماء.

ثم فجأة، تتوقف هذه المقدّمة بسبب نقص كبير في اللوحة وينقلنا النص بعد ذلك إلى جزء آخر وإلى عالم آخر، وهو عالم الحكاية، فنشهد عقد معاهدةٍ صداقة بين نسر وحيّة يقسمان معاً أمام شمش على احترام هذا العهد. وبعد ذلك، يلد كل منهما فراخه، النسر على قمة شجرة صفصاف والحية في ظلّ الشجرة نفسها. وفي كل مرةٍ، كان النسر يأتي بالغذاء لإطعام فراخه كانت تخصص حصة للحية وفراخها وكذلك كانت تفعل الحيّة بالنسبة لصغار النسر.

وبعد أن كبر فراخ النسر وأمكنهم الطيران، بدأت تراود النسرّ أفكار شريرة يضمرها في قلبه، إذْ قرر افتراس صغار الحيّة ونفّذ ذلك فعلاً حين كانت الحية بعيدةً عن جحرها مخالفاً بذلك عهده مع حليفته وحانثاً بقسمه أمام شمش.

ولكن شمش يعاقبه بتمكين الحيّة من الانتقام منه بانتزاع ريش جناحيه ورميه في حفرةٍ ليموت عطشاً وجوعاً. ولدى ندم النسر ورجائه، يشفق عليه شمش ويرفض مساعدته شخصياً بل يوجّه إليه رجلاً للقيام بذلك، وهذا الرجل هو إيتانا، الذي يصفه

---

(١) (Suse) وهي المدينة العيلامية التي نصب فيها تشريع حمورابي بعد اختطافه من بابل.
(٢) صنف العلماء هذه النسخ، تسهيلاً للإشارة إليها وفق الأحرف (A ,B، . . . حتى P, O).

النص في حالة همّ واهتمام شديدين مبتهلاً لشمش وراجياً منه تزويده بنبات مساعدة الحمل والكشف عن كيفية الحصول عليه.

٤ ـ وهنا أيضاً، يستجيب شمش لطلب إيتانا ويوجُّهه نحو الحفرة حيث رُمي النسر، فيقوم إيتانا بتغذيته والاعتناء به لمدة سبعة أشهر إلى أن يستعيد النسر كامل قدرته. وللوفاء بوعده لشمش بأن يساعد من ينقذه في كل ما يطلب، واعترافاً منه بصنيع إيتانا، يعرض عليه حمله إلى السمٰوات، وكأنّ النبات الذي يفتش عنه إيتانا لا بد أن يكون متوافراً في سماء عشتار. وتبدأ عملية الصعود والنسر يحمل إيتانا على صدره، وتبدأ البلاد تبدو أصغر فأصغر. ولدى وصولهما إلى بوابة آنو وإيا وإنليل، يسجدان خشوعاً، ولكن إيتانا يطلب العودة إلى الأرض، إلا أن النسر يقنعه بالمتابعة نحو سماء عشتار.

٥ ـ وتبدأ المرحلة الثانية من الصعود إلى أن تختفي الأرض نهائياً وهنا يطلب إيتانا مرة ثانية العودة إلى الأرض وعدم المتابعة، ويشير النص إلى أنه يسقط لثلاث مرات متتالية ولكن النسر في كل مرة كان يلتقطه ويوقف سقوطه.

وبين السماء والأرض يتركنا النص بسبب انكسار اللوحة ونبقى متشوّقين لمعرفة التتمّة.

٦ ـ وفي جزء أخير من لوحة لم يبقَ منها الشيء الكثير، يمكن الاستنتاج على الرغم من التشويه، بأن إيتانا نزل إلى الأرض. وقد تكون عشتار قد حَنّت عليه وقدّرت له محاولته وكشفت له عن الدواء الذي ينشده، نقول ذلك لأن اللوائح الملكية السومرية تشير إلى أن إيتانا الملك وهو رابع ملوك ما بعد الطوفان من كيش قد خلفه في الحكم ابنه الذي دامت ملكيته حوالى ٤٠٠ سنة، بعد أن كان إيتانا حكم مدة ٦٣٥ سنة أو ١٥٠٠ سنة حسب اللوائح وعصر البشرية الذهبي في ذلك الوقت، انظر النص رقم (٦٥) بهذا الخصوص.

اللوحة (I-II)

الجزء (A)

بناء المدن ونزول الملكية من السماء

رَسمَ الآلهة المدينة [. . .][١]،

الآلهة أسسوا [المدينة] . . .،

4 وضع الآلهة أسا [ساتها . . .]

[. . . . .]

الأنوناكي[٢]، الآلهة ـ العظام الذين يقررون المصائر

10 حين عقدوا مجلسهم، قرروا للبلاد (مصيرها)؛

خالقو الكون، الذين أوجدوا (كل) شكل،

أجلاّء أمام البشر كان الإيجيجو[٣].

عيّنوا من أجل البشر عيد (رأس السنة)،

ولكنهم لم يعينوا ملكاً على رأس البشر.

في ذلك الزمان لم تكن العمامة ولا التاج

يَعصبان (الجبين)

15 ولم يكن بعد صولجان يزيّنه اللازورد،

ولم يكن خُلِق (بعد) أي عرشٍ في أي مكان[٤]

النص الموازي للنسخة (B)

الصولجان والتاج والعمامة والعصا

---

(١) وصلتنا عن هذا المدخل نسختان كلتاهما غير كاملتين، الأقدم (B) وهي أكثر تكثيفاً تعود إلى الفترة البابلية القديمة والثانية (A) هي أشورية ـ حديثة.

(٢) (Anunnaki).

(٣) مجموع آلهة السماء والأرض.

(٤) حول هذا المقطع الأخير تضمنت النسخة (B) نصاً آخر نعرضه إضافةً (دون ترقيم).

(جميعها) كانت أمام آنو، مودعةً في السماء.
لم يكن هناك حاكم لشعبٍ (عشتار)
عند ذلك نزلت الملكية من السماء.

عودة لمتابعة المدخل السابق

الآلهة ـ السبعة كانوا يزلجون الأبواب على البشر
في الأماكن المأهولة كانوا يزلجون [الأبواب]
وكان الإيجيجو يحيطون بالمدينة.
20 إلا أن عشتار [كانت ترغب] بأن يكون
للبشر راعٍ،
وكانت تفتش عن ملك [من أجل البلاد].
فعمد إنليل (إذن) إلى التحري عن
العروش في السماوات [. . .]،
25 وفتّش في كل مكان [عن عرشٍ للملك]؛
[لأنه لم يكن هناك] ملك في البلاد.
عند ذلك هبطت الملكية من السماء
وقرّر [إنليل خلق ملك من أجل البلاد]
آلهة البلاد [. . .]
[. . . . .]

يتوقف هذا المدخل بسبب نقص كبير في اللوحة وعندما يُستأنف النصّ في الجزء التالي فإنّنا نجد أنفسنا أمام حكاية النسر والحيّة.

عهد الصداقة بين نسر وحية وتوثيقه بقسمٍ أمام شمش

[. . . . .]

[فتح النسر فمه وقال للحيّة]:
«تعالي لنعقد [اتفاقاً] فيما (بيننا)،
تعالي لنصبح شركاء أنا وأنتِ!»
[فتحت الحية فمها و [قالت للنسر]:
5 «ليكن ذلك [وأمام شمش]
لنؤدِ قسم التعاهد
وليكن [العقاب] القاسي ضماناً له (؟)]؛
و [ليكن بالنسبة لنا] كحرمات الآلهة!
لِننتصب (إذن) و [لنتسلق الجبل]
ولنقسم بالأرض[1] [أن نبقى أصدقاء (؟)]».
10 أمام شمش البطل، أدّيا (عند ذلك) قسمهما:
«الذي يتجاوز منّا حدّ[2] شمش
[فليُسلّمه] شمش لأذى، يد الجلاّد![3]
الذي (بيننا) يتجاوز حدّ شمش،
من أجله فلتُفقد المسالك
كي لا يعود يجد طريقه
ولتبعده الجبال عن الوصول إليها.
15 وليقع عليه مباشرة السلاح الذي يُرمى إلى الصدفة،
وليطح به فخّ حُرم شمش وليبقهِ أسيراً!»
وبعد أنْ أدّيا قسمهما بالأرض [أمام شمش]،
وبعد أن انْتَصَبَا معاً وتسلّقا الجبل، معاً صار
حَمْل في مسكنيهما ومعاً وُلد لهما (فراخ)
18 كان ذلك تحت ظل شجرة صفصاف حيث ولدت الحيَّة

---

(١) أوردنا هنا المعنى الحرفي وبعض المترجمين يكتبون «بالعالم السفلي» (؟).
(٢) حدّ شمش هو هنا مضمون الميثاق المعقود.
(٣) في النسخة الموازية (E) يَرِد عدد أكثر من اللعنات وبترتيب آخر.

(بينما) فوقها كانت ولادة فراخ النسر

وبالنسبة للحَبَل والولادة، فإن النسخة (D) تقدم نصاً أكثر تفصيلاً هو التالي:

في رأس شجرة ولد للنسر فراخه
بينما كانت الحية تلد تحت الصفصافة (نفسها).
وفي ظل شجَرة الصفصاف هذه،
النسر والحية كانا يأتيان كحليفين
ويقسمان على أن يكون الواحد
بالنسبة للآخر رفيقاً
وأن يكشف عن رغبات قلبه

نتابع فيما بعد النص السابق:

التعاون بينهما على الحراسة وإطعام الفراخ

19 كل منهما كان له يومه لمراقبة [الأخطار]
20 وعندما كان النسر يعود من صيْده
بالثيران أو الحُمُر الوحشية،
كانت الحية تأكل منها وفراخها يأكلون
منها بدورهم
وعندما كانت الحية تعود من صيدها
بالعَنز البري أو الغزلان،
كان النسر يأكل منها وفراخه
يأكلون منها بدورهم.
وعندما كان النسر يعود من صيده
بالخرفان البرية أو الثيران الوحشية
25 كانت الحية تأكل منها وفراخها بدورهم يأكلون

وعندما كانت الحية تعود مبن صيدها
بفهد الصحراء أو بحيوان التراب (؟)
كان النسر يأكل منه وفراخه بدورهم يأكلون.
(هكذا) حصل النسر (على حصّته) من الغذاء
وفراخه كبروا وتم نموّهم.
30 وبعد أن كبر فراخ النسر وإذْ تمّ نموّهم
اكتملت (أخيراً) أجنحتهم،

النسر ينوي الشر في قلبه وينفذ جريمته

تصوّر النسر في قلبه أفكاراً شرّيرة.
وعندما أضمر الشر في قلبه،
قرر التهام صغار حليفه.
فتح النسر فمه قائلاً [لصغاره]:
35 «أنا سآكل فراخ الحيّة
[ولكي أنجو (؟) من غضـ]ـب الحيّة
سوف أصعد إلى السمٰوات وأمكث فيها
و (لن) أنزل (إلا) لأحطّ على رؤوس
الأشجار لآكل الثمار»
أما الأصغر بين فراخه والأكثر ذكاءً
40 قال للنسر أبيه هذه الكلمات:
«لا تأكلهم يا أبي: فشباك شمش
سوف تحتجزك
وفخّ حرم شمش سوف يطيح بك
ويبقيك أسيراً
لأن الذي يتجاوز حدّ شمش
فإن شمش سوف يسلّمه لأذى يد [الجلاّد] !»

45 لم يستجب النسر إليهم، لم يستجبْ
النسر إلى ما قاله ابنه.
نزل وأكل صغار [الحيّة]،
وعادت الحية في المساء، عندما زال النهار
وكانت معها حصّتها من إتاوة اللحم
الذي وضعته على مدخل جحرها:
50 نظرت إلى الجحر، فلم يعد موجوداً؛
وانحنت فوقه: فلم [تجد فراخها] !
وبأظافرها حفرت عندئذ التراب
ومن الجحر كانت دوامات الغبار
تُظلمُ السماء

ابتهال الحية إلى شمش لمعاقبة الجاني

(عند ذلك) قعدت الحية وبكت
55 وأمام شمش سالت دموعها (قائلة):
«وثقتُ بك، أيها البطل شمش!
أنا قدّمت للنسر هدايا الصداقة؛
رهبتُ عهدي أمامك واحترمته؛
لـمْ أنوِ الشرَّ نحو رفيقي:
60 وها هو عشه لم يصبه أذىً
وجحري تم اكتساحه؛
فتحوّل جحر الحيّة إلى مكان رثاء وتفجّع؛
فراخ النسر لم يصبهم أذى
وصغاري أحيلوا إلى العدم!
إنّه نزل وأكل ذريتي!
المصيبة التي أوقعها عليّ، نعم يا شمش،

أنتَ تعرفُها.

65 وإن كان أكيداً أي شمش، أن

شِباكك هي كالأرض الفسيحة

وفخاخ معاثرك كاتساع السمٰوات،

فالنسر (إذن) يجب ألا ينجو من شباكك

إنه (هو) فاعل الشر التي ارتكب الخطيئة[١]

وأضمر الأذى لصديقه!»

شمش يعِدُ الحية للانتقام من النسر

70 [لدى سماعه] لشكوى الحيّة

فتح شمش فمه [وقال] لها:

«إتبعي الطريق، اجتازي [الجبل]

من أجلكِ أعددتُ[٢] ثوراً وحشياً

افتحي جوفه، اثقبي [بطنه]

75 استقري [في بطنه].

[وجميع] طيور السماء

[سوف تحط لتأكل من لحمه]؛

والنسر معها [سوف يأتي ليأكل من لحمه]

دون أن يعلم المصيبة التي تنتظره؛

ومن اللحم سوف يفتش عن أطراه

80 وسوف يتقدم من الشحم الذي يغطي الأمعاء:

وعندما يتم دخوله إليها،

أمسكي به أنتِ من جناحيه

---

(١) ورد في النسخة (G) بالنسبة لهذا السطر: «(هو)، فاعل الشر، أنزو الذي أضمر السوء لصديقه» ـ حول الطائر أنزو انظر النصين (٦٢) و (٧٤).

(٢) بمعنى أمته ليكون لحمه طعماً.

قدّي ريش قوادمه،
وانتزعي الريش عن جناحيه
وارميه في حفرة،
ليموت فيها جوعاً وعطشاً!»
85 وكما قال لها البطل شمش
ذهبت الحية (و) اجتازت الجبل.
ولدى وصولها قرب الثور الوحشي
فتحت جوفه، ثقبت بطنه
واستقرّت في بطنه.
90 جميع الطيور التي كانت في السماء
حطّت لتأكل من لحمه.
ولو أنّ النسر عرف ما كان يتهدّده
مع مجموعة[1] الطيور ما كان
ليحاول أكل اللحم!

النسر يقع في الأسر بسبب جشعه

ولكن النسر فتح فمه وقال لأبنائه:
95 «تعالوا لنهبط، ولنأكل نحن (بدورنا)
لحم هذا الثور الوحشي!»
الأصغر بين أبنائه والأكثر ذكاءً
وجّه هذه الكلمات إلى أبيه النسر:
«لا تهبط يا أبي! قد تكون
الحيّة مختبئة في هذا الثور الوحشي!»
ولكن النسر، دون تفكير قال هذه الكلمات:

---

(١) حرفياً أبناء الطيور أو بني الطيور.

100 «أريد النزول لآكل لحم هذا الثور الوحشي
فكيف يمكن للحية أن تأكلني؟»
لم يستمع إليهم ولم يستجب
لما كان يقوله ابنه.
هبط وحطّ فوق الثور الوحشي
ولمرة أولى تفحّص النسرُ اللحمَ
وحاول أن ينظر إلى ما هو أمامه
وإلى ما هو وراءه
105 ومن جديد تفحّص اللحمَ
وحاول دوماً النظر إلى ما هو أمامه،
وإلى ما هو وراءه
ثمّ تقدّم بحذر (؟) خطوة خطوة، واقترب
من الشحم الذي يغطي الأمعاء.
وعندما أتمّ دخوله إليها أمسكت الحيّة
بجناحيه.... (١)
110 فتح النسر فمه (عند ذلك) وقال للحية:
«أطلب منك الرحمة وكخطيبٍ
سوف أقدّم لك هدّية!»
ولكن الحيّة فتحت فمها قائلةً:
«بماذا أجيب شمش في الأعالي
إذا ما تركتك؟
و (عند ذلك) عليّ أنا، سوف يوقع (شمش) عقابك.
115 هذا العقاب الذي يتوجّب عليّ
بكل دقّة فرضه عليك!»

(١) تم إهمال السطر ١٠٩ بسبب التشويه.

فقدّتْ له ريشَ قوادمه،
وانتزعت الريش عن جناحيْه
ورمته في حفرة حيث
سيموت جوعاً وعطشاً.

النسر يتضرع إلى شمش لإنقاذه

(وفي الحفرة) كان النسر في كل يوم
لا يتوقف عن التضرّع لشمش راجياً:
120 «أأموت في هذه الحفرة؟
من (يا شمش) سيعْلم بأنني نفّذت عقابك؟
أنا النسر، اتركني أعش
وإلى الأبد سوف أعرِّف باسمك!»
فتح شمش فمه وقال للنسر:
125 «لقد كنت سيئاً حتى اشمأزّ منك قلبي:
أنت تجاوزت حدود الآلهة وحرماتها
حتى لو كنت تشارف على الموت،
فلن أقترب منك!
(ولكن) أوافق أن يأتي لمساعدتك[1]
رجل سوف أرسله إليك».

دخول إيتانا مسرح الأحداث مذكراً شمش بتقدماته

في كل يوم كان إيتانا يسترحم شمش:
«أي شمش، لقد أكلتَ خِرفاني
الأكثر سِمنة،
وتشبّعت التربة من أجلك بدمِ أكباشي

---

(١) حرفياً كما في اللغة العربية: «أن يأخذ بيدك».

لقد كرّمت الآلهة واحترمت
أرواح الموتى
وغُمرت العرّافات من قبلي
بقرابين السوائل
كما أرضيت الآلهة بتضحية أكباشي
135 أي إلَهي فليصدر من فمك (أمر)
من أجلي[١]،

إيتانا يطلب من شمش تحقيق أمنيته بمنحه وريثاً

أعطني النبات[٢] الذي يساعد حمل المرأة
إكشف عن العشبة التي تساعد على الحَمْل!
إرفع الحِملَ (الذي يثقل كاهلي)
[إجعل أن يكون] لي اسم[٣]

شمش يستجيب

فتح شمش فمه وقال لإيتانا:
140 «خذ الطريق واجتز الجبل:
تصل (عند ذلك) إلى حفرة، أنظر بداخلها
(في هذه الحفرة) يوجد نسر،
وهو الذي سوف يكشف لك
النبات [المساعد على الحَمْل]».
وكما قال له شمش البطل
145 أخذ إيتانا الطريق، [واجتاز الجبل]

---

(١) يذكر توجه إيتانا إلى شمش، بتوجه موسى إلى يهوه.
(٢) التداوي بواسطة الأعشاب كان معروفاً ويذكر ذلك بنبات تجديد الشباب في ملحمة چلچامش.
(٣) بمعنى أن يرزقه ولداً يرثه ويحمل اسمه.

ثمّ وجد حفرة ونظر فيها،
في داخلها [كان نسر مرتمياً]:
ذلك ما كان بنهاية الأمر، ما كان
أعدّه شمش [من أجله]

اللوحة الثالثة

النسر يعد شمش بمساعدة إيتانا
في كل ما يطلب إذا ما أنقذه

فتح النسر فمه [وقال هذه الكلمات
إلى شمش إلّهه]:
«[إذا ما] أخر [جني من هذه الحفرة]
[وإذا ما تلقّيت من قبله] صغار العصافير
[وإذا ما استرجعت قواي]،
فسأقدّم له كل ما يرغب به.
5 وسأعمل كل ما يقوله هو
[شرط أن ينفذ كل ما سأقوله أنا!»
7 وبأمر من شمش البطل، أخرجه إيتانا من الحفرة؛

يختلف هنا نوعاً ما النص (B) البابلي القديم الموازي ويقدم لنا التفاصيل التالية:

عمد إلى مساعدته؛ خلال سبعة [أشهر
قام بتغذيته (؟)]
وفي الشهر الثامن أخرجه من الحفرة
كان النسر قد تلقى غذاءه،
وكان صوته كمثل أسد يزأر،

(إذْ) كان قد استعاد قواه.
وفتح النسر فمه وقال لإيتانا:
«يا صديقي لنكن شريكين أنا وأنت
قل لي ما ترغبه مني وأنا أعطيك إيّاه!
نعود هنا لمتابعة النص السابق.

8 تلقى صغار العصافير [واستعاد قواه].
عند ذلك فتح النسر فمه وقال لإيتانا
10 أنت إذن، [قل] لي لماذا أتيت؟
فتح إيتانا فمه وأجاب النسر:
«يا صديق أعطني «النبات» المساعد على الـحَمْل
إكشف لي عن النبات المساعد على الحمل
[إرفع الحمل الذي يثقل كاهلي]
واجعل أن يكون لي اسم!»
[...............]

هنا يبدأ نقص كبير أودى بكامل نهاية اللوحة. ولا ندري إذا ما كان الحصول على النبات الذي يفتش عنه إيتانا قد ارتبط أم لا بالصعود إلى السماء، ولكن بداية اللوحة التالية تظهر لنا إيتانا وقد قَبِلَ القيام بهذه الرحلة الخطرة مع النسر.

اللوحة الرابعة

في النقص والتشويه الحاصلين في بداية اللوحة، يمكن التعرف من السطرين ٣ و٥ أن النسر كان يشير إلى «بوابة» آنو وإنليل وإيا السماوية ومن ثم بوّابة سين وشمش وأدد. كما كان يستذكر على ما يظهر الإلّهة عشتار التي كانت تجلس بدون شك على عرشها في أعلى درجات السماء محاطة بالتألق الإلّهي الخارق (السطر الثامن).

[...............]
قال النسر لإيتانا:
15 «يا صديقي، رائعة هي [المناطق السماوية (؟)]

تعال لكي أحملك نحو سماء آنو
ضع [صدرك] على صدري،
على الطرف السفلي من جناحي، ضع [يدك]
وعلى الجهة العلوية من جناحي ضع [ذراعك]!»
20 وضع [إيتانا] صدره على صدر (النسر)
ووضع يده على الطرف السفلي من جناحه
ووضع ذراعه على الجهة العلوية من جناحه،
(و) بقوةٍ سَنَدَ ثِقله عليه.
وعندما أصعده إلى مسافة فرسخٍ[1] مضاعف
25 قال النسر لإيتانا:
«أنظر يا صديقي (قلْ لي) كيف ترى البلاد؟[2]
أحطْ البحر بعينيك، فتّـ[ـش بنظرك] عن شواطئه!
ـ لم تعد (؟) البلاد سوى جبل
وصار البحر كمياه [نهر (؟)]
30 وعندما أصعده إلى مسافة فرسخين مضاعفين،
قال النسر لإيتانا:
«انظر يا صديقي (وقلْ لي) كيف ترى البلاد؟
ـ لم تعد البلاد [سوى هَضَبة]!»
وعندما أصعده إلى ثلاثة فراسخ مضاعفة
35 قال النسر لإيتانا:
«انظر يا صديقي (وقل لي) كيف هي البلاد؟
ـ صار البحر كجدولٍ حول رقعة[3] بستاني!»

---

(١) نستعمل هنا تعبير فرسخ دون تبني مسافته الحقيقية لأن النص المعتمد لم يشر إلى التسمية الأكادية ويذكرنا الفرسخ المضاعف بالساعات المضاعفة في ملحمة چلچامش.
(٢) البلاد هنا تعني الأرض كما ستظهر من الفضاء.
(٣) وحدة المساحة المستعملة بالأكادية هي الإيكو (ikou) وإيكو البستاني هنا يساوي (٣٦٠٠ م^{2}).

الوصول إلى سمٰوات آنو

بعد أن تمّ صعودهما إلى سمٰوات آنو
مرّا ببوابة آنو وإنليل وإيا
40 (عند ذلك)، النسر وإيتانا سجدا معاً
[......................]

يوجد هنا نقص كبير في اللوحة وعلى ما يظهر فإنّ إيتانا يتردّد قبل المتابعة لمرحلة ثانية من الصعود ويريد العودة إلى الأرض. ونقدّم فيما يلي ظهر جزء اللوحة (N).

إيتانا يتردّد في المتابعة

[................]
«الحمل [ثقيل جداً بالنسبة إليك]
«اترك [...........]
[................]
هكذا [أجاب] النسر [إيتانا]:
5 [«................]
أريد حملك [إلى علو أكبر في السماء (؟)]
هيا و [...........]
لا يوجد طير [آخر يضاهي] النسر
لا أحد [غيره باستطاعته حملك (؟)]
10 تعال يا صديقي [لأحملك إلى سماء عشتار (؟)]:
مع عشتار ذات السناء
[يوجد النبات المساعد على الحمل (؟)]،
وإلى جوانب عشتار السامية [...].
[ضع ذراعك] على الطرف العلوي من جناحي
[وضع يدك] على الطرف السفلي من جناحي!»

15 وضَع (إيتانا) [ذراعه على الطرف العلوي من جناحه]
[ووضع يده] على الطرف السفلي من جناحه.
فأصعده (النسر) لمسافة فرسخ مضاعف:
«يا صديقي (قل لي) كيف هي البلاد؟[١]
ـ من البلاد [. . . . .]،
20 والبحر الواسع وكأنه زريبة!
أصعده إلى فرسخين مضاعفين:
«(قل لي) يا صديقي كيف [هي] البلاد؟
ـ صارت البلاد بمساحة موسار[٢]
وصار البحر وكأنه مِزكَن غسيل!»
25 وحين أصعده إلى ثلاثة فراسخ مضاعفة
«يا صديقي انظر (وقل لي) كيف [هي] البلاد؟
ـ مهما أمْعَنتُ النظر، فالبلاد
[لم تعد مرئية (؟)]
ومن البحر المتسع لـمْ أعد أستطيع
أن أُشبعَ [نظري] !
يا صديقي أنا ما عدت أريد
الصعود إلى السمٰوات!
30 وجّه سيرك لكي [أعود إلى الأرض (؟) !»
وإلى مسافة فرسخٍ مضاعف
سقط (إيتانا)
ولكن النسر (أسرع) بالهبوط
وتلقّاه [على ظهره]

---

(١) من هنا يعتمد ظهر الجزء (N).

(٢) (mousar) وحدة المساحة هذه تعادل ٣٦ م^{2} أي ١/١٠٠ من مساحة الإيكو الواردة في السطر ٣٧ من اللوحة الرابعة.

وإلى فرسخين مضاعفين سقط (إيتانا)
ولكن النسر (أسرع) بالهبوط
وتلقّاه [على ظهره].

35 إلى ثلاثة فراسخ مضاعفة سقط (إيتانا)
ولكن النسر (أسرع) بالهبوط
وتلقّا [ه على ظهره]
[................]

التتمة ناقصة بسبب انكسار اللوحة، ولا ندري تماماً كيف تنتهي مغامرة إيتانا. وفيما إذا عاد سالماً إلى الأرض، إلا أن ظهر جزء اللوحة (N) يسمح لنا بالاستنتاج، بأن العودة قد تـمّت فعلاً. ولا ندري إذا كانت عشتار قد رقّت لحاله وزوّدته بالنبات المطلوب، ولكننا نعلم كما أوردنا ذلك في مقدّمة عرض النص أن إيتانا رزق ابناً ملك من بعده. والمقطع الأخير المتوفر لدينا هو كما يلي:

[................]
قرينة إيتانا قالت له:
[...] لي أنا، البيت [...]؛

5 وبما أن إيتانا قريني، [...]،
مثلك أنت [...]
إيتانا، الملك [......]
شبحه [....]
وليؤمن الخلاصَ في البيت [...][١]

(١) لا ندري إذا ما كانت الأبيات الأخيرة والتوجّه إلى شبح إيتانا الملك والتذكير بمغامرته، كان عبارة عن فأل لاستجلاب الخصب إلى زوجين طالبين لوريث. ويأخذ عندئذٍ تعبير الخلاص في السطر الأخير معنى الاستجابة.

الملاحق

الملحق رقم (١) ـ نصوص متفرقة عن الطوفان
(راجع الصفحة ٢٧٦)

الملحق رقم (٢) ـ الطوفان التوراتي
(راجع الصفحة ٣٠١)

الملحق رقم (١) ـ نصوص متفرقة عن الطوفان

(a) ـ نسخة مكتبة أشور بانيبال

تكاثر البشر وردّ فعل إنليل

العمود الرابع

1 [لم تكدْ تمضي مدة اثنتي عشرة مائة من السنين]
حتّى تمّ تو [سيع] رقعة البلاد
[وتكاثر عدد السكان]
ولكن ضجيجهم أزعج إنليل:
إذ هرب منه النوم بسبب هذا الصخب.
فعقد اجتماع المجلس
5 و [تو] جّه إلى الآلهة، أبنائه (قائلاً):
«أصبح ضجيج البشر لا يطاق
وهذا ما يزعجني
هرب مني النوم [بسبب (كل) هذا الصخب][١].
أَصدِروا إذن أوامركم لكي يحلّ (عليهم) الوباء
10 [لكي يتمكن] نامتار[٢] من [تخـ] ـفيف ضجيجهم!
ولتنفخ ضدّهم عواصف
المرض والحمى والأوبئة والطاعون!»
أمروا إذن أن يحل عليهم الوباء
لتمكين نامتار من تخفيف ضجيج البشر:

---

(١) نلاحظ اعتباراً من هذا السطر الأسلوب المفخّم لهذه النسخة بالنسبة لبساطة ونقاوة أسلوب نسخة نور ـ آيا وحوالي فترة ألف عام تفصل بين النسختين.

(٢) (Namtar) إلّه الأوبئة والطاعون.

15 فنفخت ضدهم عواصف
[المـ] ـرض والحمى والأوبئة والطاعون

تدخل الفائق ـ الحكمة وإيا

إلا أنه على مصير رجلٍ اسمه الفائق ـ الحكمة[1]،
كان [سيده] إيا يسهر.
20 كما أن إلّهه إيا، كان يعدّه (بطيبة خاطر) محاوراً له.
فتح الفائق الحكمة فمه وباشر الكلام
[متوجهاً] إلى إلّهه إيا[2]:
«البشر يشكون أيها الإلّه إيا
فالمرض الآتي من لدن (الآلهة) يلتهم الأرض!
25 أيها الإلّه إيا، الناس يتذمرون،
المرض الآتي من لدن الآلهة يلتهم الأرض!
بما أنكم خلقتمونا
أبعدوا عنا إذن
المرض والحمى والأوبئة والطاعون!»
[فتح إيا فمه، وبا] شر كلمته
متوجهاً إلى الفائق ـ الحكمة:
30 «[أصدر أوامرك إلى المنادين [ليعلنوا]،
في البلاد بكل وضوح:
«توقفوا عن تكريم آلهتكم!
وكفّوا عن التضرع إلى إلّهاتكم
ولكن لازموا في توجهكم [نامتار] (وحده)

---

(١) (Atar-Hassis).
(٢) (Ea) هو أنكي السومري إلّه الحكمة والذكاء ومهارة الصنع والمدافع عن البشر.

[إليه وحده قدموا قرابينكم ـ الغذائية
إليه وحده، [قدّموا الأطعمة ـ المطبوخة (؟)]
35 ولا تتبركوا [إلا به (؟)]
عند ذلك حين تغمره كل هذه الهدايا
سوف يعمد إلى إيقاف عمله المؤذي!»

النص لا يكرر هنا تطبيق تعليمات إيا ويتابع بعد إيقاف نامتار أذاه وعودة البشر إلى التكاثر والضجيج.

إنليل يعمد إلى إرسال المجاعة

عقد [إنليل] اجتماع المجلس
وتوجّه إلى الآلهة أبنائه (قائلاً):
«لا ترسلوا لهم إذن [. . .]
ومع ذلك فعوضاً عن تناقصهم
[فالبشر] أصبحوا أكثر عدداً
40 ضجيجهم يزعجني
ويهرب مني النوم، بسبب (كل) هذا الصخب
إقطعوا إذن الأرزاق عن البشر
ولتتضاءل حتى الندرة نباتاتهم ـ الغذائية!
وليعمد أدد[1] في الأعالي إلى إيقاف أمطاره؛
45 وليسدّ على مجاري المياه في الأسفل
كي لا يصل الفيض من منابعه!
ولتُنقِص الحقول غلالها:
ولتحجب عنهم الإلّهة نيسابا عطاء ثدييها

(١) (Adad) إلّه الرياح والأمطار والمياه السطحية.

حتى تجفّ المروج المعشبة (؟)
وليغطِّ الملحُ السهلَ الفسيح!
ولتغلق الأرض رحمها
لكي لا تخرج منه الخضار بعد ذلك
ولكي لا تنبت فيه الحبوب!
50 هكذا ستحلّ على البشر لعنة[١]
والأرحام المعقودة لن تحمل أطفالاً!»
قطع الآلهة إذن الأرزاق عن البشر
وتضاءلت حتى الندرة نباتاتهم ـ الغذائية!
أوقف أدد في الأعالي أمطاره
وسدّ على مجاري المياه في الأسفل
بحيث لم يعد الفيض يصل من منابعه.
وأنقصت الحقول غلالها:
إذ «حجبت عنهم نيسابا ثدييها»
فجفّت المروج المعشبة (؟)
وغطّى الملح السهل الفسيح.
«أغلقت» الأرض رحمها
فلم تعد الخضار تخرج منه
ولم تعد تنبت الحبوب.
60 هكذا حلّت على البشر لعنة
والأرحام المعقودة لم تعد تحمل أطفالاً.

العمود الخامس

2 بينما [كان إيا بمسوخه]

(١) تجدر الإشارة هنا، إلى أن نسخة نور ـ آيا التي تسبق هذه النسخة بحوالى ألف عام لم تتضمن لعنة البشر.

1 يحرس المزلا [ج الذي يصدّ (؟) البحر]،
كان في الأعالي [أدد] يحبس أمطاره]
ويسدّ على مجاري المياه في الأسـ [فل
بحيث لم يعد الفيض يصل من منابعه].
5 أنقصت الحقـ [ـول غلالها]:
و «حجبت عنها] نيسابا [ثدييها]»
فجفّت المروج المعشبة (؟)
وغطّى [الملح] السهل الفسيح
[فأغلقت الأرض ر] حمها
فلم [تعد تخرج منه الخضار
ولا الحبوب تنبت فيه!]
وعلى البشر حلّت لعنة
فلم تعد [الأرحام المعقـ] ـودة تحمل أطفالاً.
(10 ـ 12) [. . . . . . .]

المجاعة تتفاقم

13 [عندما] حلّت [السنة الثانية
أفرغت] الأهراءات؛
وبحلول [السنة الثالثة]
بدّل الحرمان [كل ملامحهم]
15 وبحلول [السنة الرابعة]
كان الناس يشغلون [مكاناً أصغر فأصغر]:
إذ ضمرت [أكتافهم العريضة،
وكانوا يطوفون] الشوارع [مرهقين]
[وبحلول السنة الخامسة]

منعت البنات أمهاتهن [من الدخول]
[ولم تعدالأمهات يفـ] ـتحن [الباب لبناتهن
20 وكانت البنات] يراقبن [موازين أمهاتهن]
والأمهات [(موازين بنا] تهن؛
[وبحلول السنة السادسة
جعلوا] البنات طعاماً لهم
وجعلوا الأبنـ [ـاء قوتاً لهم]
وكانت [. . . . .] مليئة بالـ [. . .]
[وكان البيت] يلتهم البيت الآخر.
25 وكانت [الوجوه] كأنها مغطاة
بطحين حبوبٍ مُنْتَشة (؟!)
ولم يبق للناس سوى رمـ [ـق] حياة

إيا يتدخل من جديد

إلا أنه، على مصير رجلٍ اسمه الفائق ـ الحكمة
[كان إ] يا سيـ [ـده] يسهر:
ولأنّ لا [. . . . .] معه
30 [فإلَهُهُ] إيا، كان يَرّاه محاوراً له (بطيبة خاطر) !
ولكن الفائق ـ الحكمة توقف عن التعامل مع إلَهه
ونقل إلى ضفة النهر مَرْقده
عندما كانت جميع مجاري المياه جافة.

العمود السادس

1 [بحلول] السنة [الثانية]
[أُفرغت الأهراءات]؛
[وبحلول السنة [الثالثة]،

بدّل [الحرمان] كل ملامحهم؛
ويحلو [ل] السنة الرابعة
كان الناس يشغلون مكاناً [أصغر فأ] صغر:
5 إذ ضَمُرت أكتافهم العريضة
وكانوا يجوبون الشوارع مرهقين؛
وبحلول (السنة) الخامسة،
منعت البنات أمهاتهن من الدخول
ولم تعد الأمهات يفتحن الباب لبناتهن
وكانت البنات يراقبن موازين أمهاتهن
وتراقب [الأمّهات] (موازين) بناتهن؛
10 وبحلول (السنة) السادسة
جعلوا [البنات] طعا [ماً] لهم
وجعلوا الأبناء قوتاً لهم.
وكانت [. . .] مليئة بالـ [. . . .]
وكان البيت يد [ـتهم] البيت الآخر
والوجوه وكأنها (مغطاة) بطحين حبوبٍ مُنْتَشَة
15 ولم يبق للناس سوى رمق حياة!
المهمّة التي [. . .] كان تلقّاها [. . .]،
دخلوا [. . .]
[. . . .] تعليمات الفائق ـ الحكمة:
«إلَهي، البلاد [. . .]
20 حتّى أنه [لم . . . .] إشارة . . .

الأسطر (٢١ ـ ٢٥) مفقودة.

26 بعد أن [. . .]

سوف أنزل إلى الأبسو لأسكن بقربك!

السنة الأولى [. . .]

(h) ـ مقطع ما بعد العام ٥٠٠ ق. م

ظهر اللوحة/ العمود الأول

إنليل أزعجه الضجيج

1 [فتح إنليل فمه وباشر كلامه] متوجّهاً
[إلى الآلهة أبنائه (قائلاً) :
«ضجيج البشر] علا كثيراً من جديد
أنا لم [أعد أستطيع النوم] وسط (كل) هذا الصخب] !
أصدروا إذن أوامركم لكي يقوم [آنو وأدد]
بحراسة المناطق العلوية؛
5 و (ليحرس) سين[1] ونرچال[2] [الأرض بينهما]؛
والمزلاج الذي يسـ [ـدّ على البحر]
فليحرسه إيا بوا [سطة مسوخه] (؟)]
وبإصدار الأوامر إلى آنو و [أدد]
لحراسة المناطق [العلوية]
وإلى سين ونرچال، الأرض بيـ [ـهما]
10 ولكي يحرس إيا بواسطة مسوخـ [ـه] (؟)
المزلاجَ الذي يسدّ البحر،

تدخل الفائق ـ الحكمة من جديد

إلاّ أنّ الفائق ـ الحكمة، هو، [. . .]
وهو يذرف الدموع دائماً [. . .]
كان يقدّم القرابين [. . . .]

---

(١) سين (Sin) الإلّه القمر.
(٢) (Nergal) إلّه العالم السفلي وقرين إيريشكيچال.

15 بينما الأقنية [. . .]
والليل كان هادئاً (؟) [. . . . . .]

الأسطر (١٧ ـ ٤٤) أي حتى نهاية العمود مفقودة فيما عدا بعض الكلمات وبدايات مشتّتة لبعض الأسطر، مما يجعل متابعة المحتوى مستحيلة. ويمكن التساؤل عمّا إذا كان الفائق ـ الحكمة كان يؤدي ليلاً على ضفاف النهر بعض الطقوس التعويذية الموجهة إلى إيا. وعلى ما يظهر فإن إيا يستجيب له مرسلاً أحد «مسوخه» وقد يكون أحد المخلوقات المسماة (لحمو (؟)) لمساعدة البشر دون معرفة الوسيلة لذلك.

العمود الثاني

إنليل يوجّه اللوم إلى إيا

1 [. . . . . . .]
[كنتُ أصدرتُ الأوامر] إلى آنو وأدد
بحراسة المناطق العـ [ـلوية]
[وسين ونرچال]، الأرض بينهما،
وأن [تحـ] ـرس [أنت] ومعك مسوخك (؟)
[المزلاج الذي يسـ] ـدّ (؟) البحر!
[ومع ذلك فقد أ] عنت البشر للثراء من جديد!»

دفاع إيا:

فتح [إيا فمه] وباشر كلامه
15 وتوجه إلى رسل إنليل (قائلاً):
«[من المؤكد] أنك كنت أمرت
أن يحرس <آنو> وأدد المناطق العلوية؛
وسين ونرچال، الأرض بينهما
و [أن أحـ] ـرس [أنا] مع مسوخي (؟)

[المزلاج الذي يـ] ـسد البحر
20 [ولكن عندما . . .] أفلتت منّي [. . .]
٣٦٠٠ (وزنة) من الأسماك [. . .]،
[كميات مماثلة من الأسماك العادية . . .]
[و . . . من] الأسماك [. . .] كنت وضعتها على حدة:
كلها اختفت،
بعد انكسار مزلاج سد البحر!
عندما [قاصـ] ـصت حرّاس البحر
25 وفرضت عليهم [. . .] عقوبةً
قاصصتهم مرة أولى
(ومن جديد) فرضت عليهم عقوبة!
[. . .] وتبلغوا هذه الرسالة
وبعد اجتيازهم (؟) البحر الفسيح
30 [جاءوا لتكرارها] أمام إنليل ـ الباسل (معلنين):
«[بكل تأكيد] كنت أصدرت أوامرك
بأن يحرس آنو وأدد المناطق العلوية
[وسين ونر] چال الأرض بينهما،
وأن أحرس [أنا] مع مسوخي (؟) !
35 [المزلاج الذي يـ] ـسد البحر.
ولكن عنـ [ـدما [. . .] أفلتت منّي
٣٦٠٠ (وزنة) من الأسماك [. . .]
[كميات مماثلة من الأسماك ـ العادية . . .]
[و . . .] من الأسماك [. . .]، التي كنت وضعتها جانباً
كلها اختفت،
بعد انكسار مزلاج (سدّ البحر) !
40 وعندما قاصصت (؟) حراس البحر

وفرضت عليهم [. . .] عقوبةً
بعد أن قاصصتهم مرة أولى
فرضت عليهم من جديد عقوبة!»

إنليل يقرر أن يفرض على الآلهة أداء قسم لعدم البوح بقرار إحداث

الطوفان

فتح [إنليـ]ـل فمه وباشر كلمته
متوجهاً إلى الآلهة بكاملهم (قائلا):
«تعالوا جميعكم لتأدية قسم بخصوص الطوفان!»
بوشر بجعل آنو يؤدي القسم،
ثم تبعه إنليل ومن ثم أبناؤه معه

البقية مفقودة.

(i) ـ مقطع آخر يعود لما قبل عام ٥٠٠ ق. م

وجه اللوحة

الفائق ـ الحكمة يطرح الأسئلة على الإلّه إيا بصدد الطوفان

1 «إلَهي إيا، شعرت بك تدخل
[سمعـ] ـت وقع خطوات تشبه خطاك!»
انحنى الفائق ـ الحكمة، وسجد
ثم انتصب واقفاً (أمام إيا)
وفتح [فمه] من جديد قائلاً (له):
5 «[إلَهي]، شعرتُ بك تدخل
سمعت وقع خطوات تشبه خطاك؛ ـ
إلَهي [إيا] شعرت بك تدخل
سمعت وقع خطوات تشبه خطاك
[. . .] سبع سنوات
10 [. . . ـ] ـك جعل المسا [كين] يموتون عطشاً (؟)
[. . .] ـ كسر حديث ـ[١]: شاهدت وجهك!
أحطني إذن، علماً [بقصدك (؟)]
فتح [إيا] فمـ] ـه وباشر كلمته
[متوجهـ] ـاً إلى سياج القصب:
15 [«سياج! أيها السياج!] حاجز! يا حاجز!
اسمعني [يا سياج] . . .

نقص الأسطر الباقية من وجه اللوحة التي لا يمكن معرفة عددها.

---

(١) كسر في اللوحة الأصلية، أشار إليه الناسخ.

ظهر اللوحة

بدء الطوفان واستفحاله

1 [. . . . .]

[و] ضع [. . .]

[وبعد دخو] له عمد إلى سدّ [الكوة]

عند ذلك، فالإعصار ـ كسر حديث ـ(١)

تلته الأنواء

5 وباتجاه الرياح ـ الأربع، امتطى أدد بغاله:

ريح ـ الشمال وريح ـ الجنوب وريح ـ الشرق

وريح ـ الغرب!

ثارت هبات الريح والعصفات والرياح الشمأل

والريح ـ السيئة . . . والرياح الأخرى تدافعت

ـ كسر حديث ـ(١) وبقربه هَجَمَتْ ريح ـ الجنوب

10 وريح ـ الغرب نفخت،

[. . .] كان [. . .]

عَرَبة الآلهة [. . . .]

[خرّ] ب وجَلَد ومزّق [الأرض (؟)]

كان نينورتا(٢) [يتقـ] ـدّم

[جاعلاً] سدود السماء [تطفح].

وكان نرجال(٣) يقتلع دعائم الكوات العلوية

وبمخالبه كان [أنـ] ـزو(٤) يمزق وجه السماء

---

(١) إشارة وضعها ناسخ اللوحة.

(٢) (Ninurta) الإلّه المحارب، سيد الأرض وابن إنليل وهو الذي تغلب على الطائر أنزو (انظر الملاحظة ٣).

(٣) (Nergal) إلّه العالم السفلي.

(٤) (Anzou) الطائر الأسطوري الذي سرق من إنليل لوحة الأقدار بقصد الاستيلاء على السلطة.

[. . .] البلاد: فكـ [ـسر] مثل جرّة حيويتها.
وبدأ الطوفان [. . .]
وعلى البشر وقع الجِزم [وكأنه الحرب] !
20 [. . .] آنو، جَرّف الطوفان
[. . .] حتى أن الآلهة ارتجفوا.
وبناء على أوامره، انضم إليه أبناؤه،
[. . .] قدر ما يريد

البقية مفقودة.

(j) ـ مقطع متحف فيلادلفيا[1]

تعليمات إيا بخصوص بناء الفلك

ظهر اللوحة

1 [.....]

2 «سأشرح لك [...]

[...] سوف يغمر دفعة واحدة جميع البشر.

[...] قبل أن يظهر الطوفان،

5 [...] سوف تجمع كافة [...]

ابنِ لك فلكاً كبيراً [...]

يجب أن تكون بنيته من القصب الممتاز:

وسوف تطلق على الفلك تسمية «منقذ الحياة» !

اسقفه بشكل متين.

[وفي هذا الفلك] بعد بنائك له

10 [أركب فيه ...] الحيوانات البرية وأطيار السماء!

كدّس فيه [...] ...»

---

(١) يعود إلى النصف الثاني من الألف الثاني لما قبل الميلاد.

(k) ـ مقطع النصف الأول من الألف الأول ق. م

وصف الفلك ومخطط بنائه

1 [.....]

2 «[...] مثل دائرة

من الأعلى إلى الأسفل، يجب أن تكون

«قلفطتها»[١] سميكة.

[...] سدّ بشكل محكم سطح [غاطسها؟]،

5 ثم انتظر] الإشارة التي سوف [أعطـ] ـيكها،

عند ذلك ادخل [إلى الفلك] واغلق الكوة

بعد أن تكون قد [حملت] طحينك

وأرزاقك وممتلكاتك،

(أركِبْ فيها) [زوجتـ] ـك وعائلتك

وأقرباءك وصنّا [عك][٢]

[والحيوانات] البريّة الكبيرة والصغيرة:

كل آكل عشب،

10 [وسوف أر] سلها إليك[٣]، لتنتظرك

أمام مقرك!»

فتح عندئذٍ [الفائق ـ الحكمة فمه وباشر كلامه

[متوجـ] ـهاً إلى إيا إلّهه:

«لكنني لم يسبق لي [قـ] ـط أن بنيت

فلكاً [.... (؟)] !

---

(١) تعبير باللغة الدارجة تمّ شرحه في ملاحظة السطر ٣٣ من (٥٦ ـ و) أعلاه.

(٢) في هذا النص اهتمام بإنقاذ الصناع و الحرفيين بالإضافة لعائلة وأقرباء الفائق ـ الحكمة.

(٣) هنا، إيا هو الذي يوجه الحيوانات نحو الفلك.

ارسم لي مخططه على [الأ] رض[1]

15 وبعد أن أراه، سوف أعرف

كيف [أبنيه]» !

رسم [إ] يا على الأرض مخطط الفلك:

«[سوف أنفذ] كل ما أمرتني

به يا إلّهي!»

(١) التصميم الهندسي ورسم المخططات قبل القيام بالأعمال الإنشائية، كان معروفاً في ما بين النهرين، وعلى أقل تعديل، منذ ملكية لغش الثانية بدلالة أن تمثال الملك چوديا (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤) ق.م. وهو في وضعية الجلوس، يحمل أمامه لوحةً رسم عليها مخطط المعبد الذي بناه لإلّهة مدينته.

الملحق رقم (٢) ـــ الطوفان التوراتي

الأصحاح السادس/ تكوين

أسباب إحداث الطوفان

1 وَحَدَثَ لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض
وَوُلِدَ لهم بناتٌ،

2 أَنّ أبناءَ الله[١] رأوا بنات الناس،
أنهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نساءً
من كل ما اختاروا.

3 فقال الربُّ، لا يَدِينُ روحي في الإنسان إلى الأبد.
لِزَيغانِهِ هوَ بَشَرٌ وتكون أيامه
مئة وعشرين سنة[٢]

4 كان في الأرض طغاة[٣] في تلك الأيام، وبعد
ذلك أيضاً، إذ دَخَل بنو الله على بنات
الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم
الجبابرة الذين منذ الدهر ذَوُو اسم.

5 ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثُر في الأرض
وأنّ كُلَّ تصوّر أفكار قلبه، إنما هو
شرير كل يوم.

6 فحزِنَ الربُّ أنه عَمِلَ الإنسانَ في الأرض وتأسف في قلبه

---

(١) يجد مفسرو هذا المقطع صعوبة في تحديد هذه العلاقة الجنسية بين أبناء الله وبنات الناس التي نتج عنها ولادة عمالقة أو جبابرة هم النيفاليم (Nephalim) واعتبر التفسير اليهودي أن أبناء الله؛ هم هنا ملائكة ارتكبوا الخطيئة. وأمّا الكنيسة فقد رأت فيهم، وفي تفسير يعود إلى القرن الرابع الميلادي: سلالة سيث، وفي بنات الناس سلالة قايين قاتل أخيه (؟).

(٢) يحدد هنا الرب عمر البشر لكي تبقى روحه مدة أقل في زيغان الجسد لأن شر الإنسان قد كثر.

(٣) هم الجبابرة أو النيفاليم المشار إليهم أعلاه وكان لهم اسم، أي شهرة.

7 فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي
خلقته. الإنسان مع بهائم ودبّابات وطيور
السماء. لأني حزِنتُ أني عملتُهُم.
8 وأما نوح فوجد نعمة في عينيّ الرب
9 هذه هي مواليد نوح. كان نوح رجلاً باراً وكاملاً
في أجياله. وسار نوحُ مع الله
10 وَوَلَدَ نوحُ ثلاثَةَ بنين، ساماً وحاماً ويافث[١]
11 وفسدت الأرضُ أمام اللهِ وامتلأت الأرض ظلماً.
12 ورأى الله الأرضَ فإذا هي فَسَدَتْ. إذْ كان
كل بشرٍ قد أفسد طريقَهُ على الأرض.

الربّ يكلّم نوحاً وقرار الإبادة

13 فقالَ اللهُ لنوحٍ، نهايةُ كل بشرٍ قد أتت أمامي.
لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم،
فها أنا مُهلِكُهُم.

تعليمات إعداد الفلك

14 إصنعْ لنفسكَ فُلْكاً من خشبِ جُفْرٍ. تجعل
الفلك مساكنَ وتطليه من داخل ومن خارج بالقار.
15 وهكذا تصْنَعه، ثلاثمائةِ ذراع يكون طول
الفلك وخمسينَ ذراعاً عرضه، وثلاثينَ
ذراعاً ارتفاعه.
16 وتصنعُ كوّاً للفلكِ، وتكمّلهُ إلى حد ذراعٍ[٢]

---

(١) من هنا، ومن هنا فقط، تمّ تبني وتعميم تسمية السامية والساميين على سكان منطقتنا! وكذلك إبداع اصطلاح «اللغات السامية» من قبل المؤرخ الألماني شلوتزر في عام ١٨٧٥، على مجموعة اللهجات العربية القديمة التي عرفتها منطقتنا وبخاصة الأكادية والكنعانية والأوغاريتية والآرامية والعبرية هي لهجة من لغة كنعان.

(٢) الذراع = حوالى نصف متر.

من فوق. وتضَعُ بابَ الفلكِ في جانبه.
مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعلُهُ.

17 فها أنا آتٍ بطوفانِ الماء على الأرضِ لأهلكَ
كلَّ جسدٍ فيه روحُ حياةٍ من تحت السماء.
كلُّ ما في الأرض يموتُ.

18 ولكن أقيمُ عهدي مَعَكَ. فتدخلُ الفلكَ، أنتَ
وبنوكَ وامرأتك ونساء بنيك معك.

19 ومن كل حَي، من كل جسدٍ، اثنين من كل تُدخلُ
إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكراً وأنثى.

20 من الطيورِ كأجناسها، ومن البهائم كأجناسها، ومن
كلّ دبّابات الأرض كأجناسها. اثنين من
كلٍ تدخلُ إليك لاستبقائها.

21 وأنتَ فخذْ لنفسكَ من كل طعام يؤكلُ واجمعهُ
عندك، فيكون لك ولها طعاماً.

22 ففعلَ نوح حسبَ كلّ ما أمره به الله،
هكذا فعل.

الأصحاح السابع/ تكوين

1 وقال الربُّ لنوحٍ، أدخلْ أنت وجميع بنيك
إلى الفلك، لأنّي إياك رأيت بارّاً
لديّ في هذا الجيل.

2 من جميع البهائمِ الطاهرة تأخذ معك سبعةً سبعةً
ذكراً وأنثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة
اثنين ذكراً وأنثى.

3 ومن طيور السماء أيضاً سبعةً سبعة، ذكراً
وأنثى لاستبقاء نسلٍ على وجه الأرض.

توقيت حدوث الطوفان

4 لأني بعد سبعة أيامٍ أيضاً، أمطرُ على الأرض
أربعينَ يوماً وأربعينَ ليلة. وأمحو عن
وجه الأرضِ كلَّ قائمٍ عملتُه.

5 ففعلَ نوحُ حَسَبَ ما أمره به الربّ.

الطوفان ووصفه

6 ولما كان نوحُ ابنَ ستِ مائةِ سنةٍ صار
طوفان الماء على الأرض.

7 فدخَلَ نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه
إلى الفلك من وجه مياه الطوفان

8 ومن البهائم الطاهرة، والبهائم التي ليست بطاهرة،
ومن الطيور وكل ما يدبّ على الأرض

9 دخل اثنان اثنان إلى نوحٍ، إلى الفلك، ذكَراً
وأنثى كما أمر الله نوحاً[١].

10 وحدث بعد السَبعةِ الأيامِ أن مياه الطوفان
صارت على الأرض.

11 في سنةِ ست مائةٍ من حياةِ نوح، في الشهر
الثاني، في اليوم السابع عشر من الشهر[٢]،
في ذلك اليوم، انفجرت كل ينابيع الغمر
العظيم وانفتحت طاقات السماء

---

(١) التكرار فيما سبق وفيما يلي هو بسبب اعتماد جامعي التوراة على نصين أُثبتا معاً، وبشكل متداخل مع فروقات في بعض التفاصيل.

(٢) لا ندري إذا كانت التواريخ الدقيقة والمفصّلة التي يستعملها النص التوراتي نتجت عن سعي الراوي لإعطاء الحادثة صبغة تاريخية تقلل من أهمية الرمز الأسطوري... أو إذا ما كانت الأرقام تشكل رموزاً تكهنية اشتهر بها البابليون وكذلك الكبّاليون (Kabbalistes) اليهود في ما بعد.

12 وكان المطر على الأرضِ أربعين يوماً
وأربعين ليلة.
13 في ذلك اليوم عينِه، دَخل نوحٌ وسامٌ وحامٌ ويافثُ
بنو نوحٍ وامرأة نوحٍ وثلاثُ نساءِ
بنيه معهم إلى الفلك.
14 هم وكلُّ الوحوش كأجناسها، وكلُّ البهائم كأجناسها
وكل الدبّابات التي تدب على الأرض كأجناسها
وكل الطيور كأجناسها، كل عصفور، كل ذي جناح.
15 ودَخَلَتْ إلى نوحٍ، إلى الفلك، اثنين اثنين من كل
جسدٍ فيه روح حياة.
16 والداخلات، دخلت ذكراً وأنثى، من كل ذي
جسدٍ كما أمره الله. وأغْلَقَ الربُّ عليه.
17 وكان الطوفان أربعينَ يوماً على الأرض. وتكاثرت
المياه ورفعت الفلك. فارتفع عن الأرض.
18 وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض.
فكان الفلكُ يسير على وجه المياه.
19 وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض. فتغطّت
جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء.
20 خَمْسَ عَشَرةَ ذراعاً في الارتفاع، تعاظمت
المياه. فتغطّت الجبال.
21 فَماتَ كلُّ ذي جسدٍ كان يدبّ على الأرض،
من الطيور والبهائم والوحوش وكلّ الزحّافات
التي كانت تزحفُ على الأرض وجميعُ الناس.
22 كل ما في أنفِه نسْمةُ روح حياةٍ، من كل
ما في اليابسةِ ماتَ.
23 فمحا الله كلَّ قائمٍ كان على وجه الأرض، الناس

والبهائمَ والدبّابات وطيور السماء. فامّحت
من الأرض وتبقّى نوحٌ والذين معه في الفلك فقط.
24 وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوماً.

الأصحاح الثامن/ تكوين

انحسار مياه الطوفان

1 ثمّ ذَكَرَ اللهُ نوحاً، وكلّ الوحوشِ وكل البهائم التي
معه في الفلك. وأجاز الله ريحاً على
الأرضِ فهدأتِ المياه.
2 وانسدّت ينابيع الغمر وطاقات السماء، فامتنعَ
المطرُ من السماء.
3 ورجعت المياه عن الأرضِ رجوعاً متوالياً. وبعد
مائة وخمسين يوماً نقصت المياه
4 واستقرّ الفلك، في الشهر السابع، في اليوم السابع عشر
من الشهر على جبال أراراط.
5 وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر
وفي العاشر من أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال.
6 وحدث بعد أربعين يوماً، أنّ نوحاً فتح طاقة الفلك
التي كان قد عملها
7 وأرسل الغراب فخرج متردداً حتّى نشفت
المياه عن الأرض.
8 ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى، هل
قلّت المياه عن وجه الأرض
9 فلم تجدِ الحمامة مقرّاً لرجلها، فرجعت إليه
إلى الفلك، لأنّ مياهاً كانت على وجه الأرض

فمدّ يَدَهُ وأخذها وأدخلها إلى الفلك.

10 فلبِثَ أيضاً سبْعَةَ أيامٍ أُخَرَ، وعادَ
فأرسل الحمامة من الفلك.

11 فأتت إليه الحمامة عند المساء، وإذا ورقةُ
زيتون خضراء في فمها، فعلم نوح
أن المياه قد قلّت عن الأرض.

12 فلبثَ أيضاً سبعةَ أيام أُخَرَ وأرسل الحمامة،
فلم تعد ترجع إليه أيضاً.

13 وكان في السنة الواحدة والست مئةٍ في الشهر
الأول، في أول الشهر، أن المياه نشِفَتْ
عن الأرض. فكشَفَ نوحُ الغطاء عن الفلك
ونظر فإذا وجه الأرض قد نشِفَ.

14 وفي الشهر الثاني، في اليوم السابع والعشرين
من الشهر جفّت الأرض.

الربُّ يكلم نوحاً

15 وكلّم الله نوحاً قائلاً،

16 أخرج من الفلك، أنتَ وامرأتُك وبنوكَ،
ونساءُ بنيك معك.

17 وكل الحيوانات التي معك من كل ذي جسدٍ،
الطيور والبهائم وكلّ الدبّابات التي تدبّ
أخرجها معك. ولتتوالد في الأرض، وتثمر
وتكثر على الأرض.

18 فخرج نوحٌ وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه

19 وكل الحيوانات، كل الدبابات وكل الطيور، كل
ما يدب على الأرض كأنواعها خرجت من الفلك.

التقدمة وقرار الربّ

20 وبنى نوحٌ مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة
وأصعَدَ مُحْرَقاتٍ على المذبح

21 فتنسّم الربّ رائحة الرضا. وقال الربّ في
قلبه، لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل
الإنسان، لأنّ تَصَوُّر قلبِ الإنسان
شريرٌ منذ حداثته ولا أعود أيضاً
أُميت كل حي كما فعلت.

22 مدّة كل أيام الأرض زرعٌ وحصادٌ، وبردٌ
وحرّ، وصيف وشتاء، ونهار وليل، لا تزال.

الأصحاح التاسع/ تكوين

مباركة نوح وبنيه وبأوامر الربّ

1 وباركَ الله نوحاً وبنيهِ وقالَ لهم أثمروا واكثُروا
واملأوا الأرضَ

2 ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض
وكل طيور السماء، مع كل ما يدبّ على الأرض
وكل أسماك البحر قد دُفِعَت إلى أيديكم.

3 كل دابّة حيّة تكون لكم طعاماً.
كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع.

4 غير أنّ لحماً بحياتِه دمِهِ لا تأكلُوه.

5 وأطلبُ أنا دَمَكم لأنفسكم فقط، من يدِ كل حيوانٍ
أطلُبه. ومن يد الإنسان أطلب نَفْسَ
الإنسان، من يد الإنسان أخيه.

6 سافِكُ دمِ الإنسان بالإنسان يُسْفَكُ دمُه

لأن الله على صورته عَمِلَ الإنسان.

7 فأثمروا أنتم، واكثُرُوا وتوالدوا في
الأرض وتكاثروا فيها.

عودة إلى قرار الرب وميثاقه مع البشر

8 وكلم الله نوحاً وبنيهِ قائلاً:

9 وها أنا مقيمٌ ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدِكم،

10 ومع كل ذوات الأنفس الحيّة التي معكم، الطيور
والبهائم وكل وحوش الأرض التي معكم،
من جميع الخارجين من الفلك حتّى كل حيوان الأرض.

11 أقيم ميثاقي معكم، فلا ينقرض كل ذي جسدٍ
أيضاً بمياه الطوفان ولا يكون أيضاً
طوفانٌ ليُخرّب الأرض.

12 وقال الله، هذه هي علامة الميثاق الذي أنا
واضعه بيني وبينكم وبين كلّ ذوات
الأنفسِ الحيّة التي معكم إلى أجيال الدهر.

13 وضعتُ قوسي في السحاب فتكون علامَةَ ميثاقٍ
بيني وبين الأرض.

14 فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض
وتظهر القوسْ في السحاب

15 أنيّ أذكُرُ ميثاقي الذي بيني وبينكم. وبين
كل نفسٍ حيّةٍ في كل جسدٍ، فلا تكونُ
أيضاً المياهُ طوفاناً لتهلك كلَّ ذي جسدٍ.

16 فمتى كانت القوس في السحاب، أبصرها. لأذكُر
ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفسٍ
حيّة في كل جسدٍ على الأرض.

17 وقال الله لنوحٍ، هذه علامة الميثاق الذي
أنا أقمتُهُ بيني وبين كل ذي جسدٍ على الأرض.

نوح المزارع وحادثة سُكرهِ وإيجاد المناسبة للعنة حام وبالتالي لعنة ابنه كنعان!

18 وكان بنو نوحٍ الذين خرجوا من الفلكِ:
ساماً وحاماً ويافث. وحامٌ هو أبو كنعان
19 هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومن
هؤلاء تشعّبت كل الأرض.
20 وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً.
21 وشرب من الخمر فسكِرَ وتعرّى داخل خبائه.
22 فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه
وأخبر أخويه خارجاً.
23 فأخذ سامٌ ويافثُ الرداء، ووضعاه على
أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة
أبيهما وَوَجْهاهُما إلى الوراء. فلم
يبصرا عَوْرةَ أبيهما.
24 فلمّا استيقظ نوحٌ من خَمرِه، عَلِم ما فعله
به ابنه الصغير
25 فقال ملعون كنعان[1]، عبد العبيد
يكون لإخوته
26 وقال مبارك الربُّ إلّه سام، وليكن

---

(١) يمكن الرجوع إلى أمثلة أخرى عن الاتجاهات السياسية في سفر التكوين التوراتي في كتاب: «مع الكلمة الصافية» لقاسم الشواف الصادر عن دار الأجيال في دمشق عام ١٩٦٩ (الرجوع بشكل خاص إلى الصفحتين ٤٨٨ و٤٨٩).

كنعان عبداً لَهم .

27 ليفتح اللهُ ليَافَثَ فيسكن في مساكن سام،
وليكن كنعان عبداً لهم .

28 وعاش نوحٌ بعد الطوفان ثلاث مِئةٍ
وخمسين سنة .

29 فكانَت كل أيامِ نوحٍ تسعَ مِئةٍ
وخمسين سنة ومات .

المحتويات

(*) أرقام النصوص الواردة في الكتاب.

الفصل الثاني

الفصل الثالث

ديوان الأساطير
سومر وأكاد وآشور

الكتاب الأول
أناشيد الحب السومرية

* يتعلق «أناشيد الحب السومرية»، بنصوص الخصب والإخصاب، أو كما يقول الشعراء السومريون، «بمنيّ السماء» يخصب الأرض و«بماء القلب» يخصب الأرحام.

* تحت عنوان ماء الأرض وماء القلب يعرض الفصل الأول، كيف تمّ بواسطة الماء إحياء بلاد دلمون من قبل الإلّه أنكي، وكيف يقع الإلّه إنليل في غرام ننليل ذات البهاء والظرف. ويقدّم لنا تفاصيل حيّة عن خطبته وزواجه من سود الجميلة. ولا ينسى تتبّع الإلّهة إنانا حين تنزل من سمائها لتتفقّد أحوال الأرض حيث يغتصبها بستاني أنكي.

* ينقل إلينا الفصل الثاني أجمل أناشيد الحبّ والجنس، بين أشهر حبيبين عرفهما عالمنا القديم، أي علاقة الراعي دوموزي وإلّهة الخصب والجمال إنانا، لينتقل بعد ذلك إلى دور ملوك سومر في مراسم الزواج الإلّهي، وهنا أيضاً نقرأ عن سومر أناشيد حب رائعة حتى في عفويتها «الإباحية».

* ولذا أمكن القول بأن مجمل أناشيد الحب المعروضة، تشكل ما يمكن أن يسمّى «نشيد أنشاد سومرياً»، مِمّا جعل الفصل الثالث ينتقل إلى عرض دراسة هي الأولى من نوعها في اللغة العربية حول توازي نشيد الأنشاد السومري مع نشيد الأنشاد التوراتي المنسوب لسليمان الملك.

* الكتاب الأول من مجموعة ديوان الأساطير، يقدّم للقارىء العربي ذخيرة ثقافية فريدة ـ جمالياً ومعرفياً وتاريخياً.

هذا الكتاب الثاني من مجموعة «ديوان الأساطير» يطرح المواضيع الرئيسية التالية:

* البدء والأصول،

واستعراض قصص التكوين والخلق في ما بين النهرين التي سبقت تحفة النظر الشاملة في:

* قصيدة التكوين والخلق البابلية،

مُكرّسةً ارتقاء الإلّه مردوك ومردّدةً أسماءَه الخمسين تمجيداً له.

* قصيدة الفائق الحكمة وقصة إنقاذ البشر من الطوفان:

وتروي تاريخ البشرية من الخليقة حتى الطوفان، وهذا النص هو في أساس الموضوعات التي تأثّرت بها التوراة.

* الثواب والعقاب

في انطباقه على الآلهة وعلى الملوك والمدن.

* مسرحية البكاء على خراب سومر ومدينة نفّر:

وهو أقدم نص عن المسرح الديني السومري الذي سبق المسرح الاغريقي بألف عام.

* العادل المعذّب والعدالة الإلّهية:

وهو في أساس قصة أيوب التوراتية.

* الصعود إلى سماء الآلهة،

في كلٍّ من مغامرتي أدابا الحكيم وإيتانا الذي صعد إلى السماء على جناح نسر، ونبلِ سعيه.

ISBN 1 85516 336 5

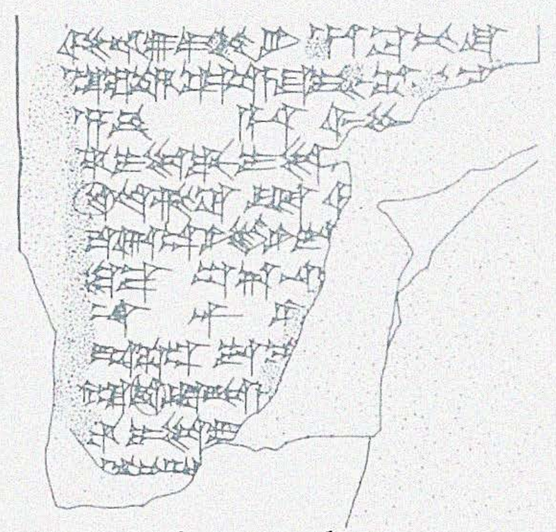


ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثالث

الحضارة والسلطة





نقله الى العربية وَعلّق عليه : قاسم الشوّاف

قدّم له وأشرف عليه : أدونيس

علي مولا

دار الساقي

ديوان الأساطير

من أعمال قاسم الشواف

- كتاب «الكلمة الصافية» صدر عن دار الأجيال في دمشق عام ١٩٦٩.
- «الاستعادة» بصدد الصراع الصهيوني ـ العربي، صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي في دمشق (١٩٦٩) باللغة الفرنسية.
- «نحن الملك» مسرحية مُعرَّبة عن كتاب «أنا الغاضب» للكاتب المغربي محمد خير الدين. صدرت في عام ١٩٧١ عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- كتاب «مع رحلة الفنان وليد عزت، في أساطير سومر وملحمة جلجامش» محتوياً على كامل لوحات الفنان الخاصة بهذه المواضيع. صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي بدمشق (أيلول ١٩٧٣).
- الكتاب الأول من مجموعة «ديوان الأساطير» بعنوان: «أناشيد الحب السومرية»؛ دار الساقي (١٩٩٦).
- الكتاب الثاني من مجموعة «ديوان الأساطير» بعنوان: «الآلهة والبشر»؛ دار الساقي (١٩٩٧).

ديوان الأساطير
سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثالث

الحضارة والسلطة

نقله الى العربية وعلّق عليه : قاسم الشوّاف
قدّم له وأشرف عليه : أدونيس



دار الساقي

الطبعة الأولى ١٩٩٩

ISBN 1 85516 337 3

دار الساقي

بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان

هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٦٠٢٣١٥ (٠١)

DAR AL SAQI

London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH

Tel: 0171-221 9347, Fax: 0171-229 7492

ديوان الأساطير

الكتاب الثالث

استهلال

ـ ١ ـ

بدأ في السنوات العشرين الأخيرة اهتمام خاص ومفاجىء لدى العرب، كتّاباً وباحثين وقرّاء، بالأسطورة، وبالقضايا الأدبية والفكرية التي تتولّد منها، أو تتّصل بها. فقد تُرجمت ونشرت أكثر من مرّة، ملحمة جلجامش، تمثيلاً لا حصراً. وعمل باحثون كثيرون في العراق وسورية، بخاصّةٍ على دراسة الأساطير في هذين البلدين، وعلى ترجمة نماذج عديدة منها، نقلاً عن اللغة الأصلية، أو اعتماداً على ترجماتها في اللغات الأجنبية.

ـ ٢ ـ

وهذه المحاولة التي نقوم بها، قاسم الشوّاف وأنا، ليست إلاّ استمراراً لتلك الجهود الرّياديّة، الطيبة واللاّمعة، التي تقدّمتها، غير أنها محاولة تتميّز عمّا سبقها، بطموحها وشمولها. فهي تهدف إلى تقديم الأساطير في موسوعة، أو ديوانٍ يحتضنها جميعاً، في عشرة أجزاء، منذ البدايات الأولى على هذه الأرض التي ننتمي إليها، في سومر بين أحضان دجلة والفرات، وفي سورية، والجزيرة العربية، وانتهاءً بمصر وضفاف نيلها الكريم.

- ٣ -

يمثّل، إذاً، هذا الاهتمام الناشىء بالأسطورة في الوسط الثقافي العربي، ما يمكن أن نسمّيه بانقلابٍ معرفيّ ونظريّ. ولا أخوض هنا في الأسلوب التي أدّت إليه، بل أقتصر على القول إنّه دليل نُضْجٍ وتفتّح.

وهو، إذاً، انقلاب يشير إلى تغيّر أساسي - إلى نشوء نظرةٍ أخرى ترى في اللغة العربية أختاً وامتداداً للغات التي سبقتها، وترى أنها، إذ أخذت محلها، فقد احتفظت بشحنتها الثقافية الحية، إبداعاً وتأصُّلاً.

يشير، أيضاً، إلى ما هو أبعد وأعمق. لم يعد العربي، الكاتب خصوصاً، يرى نفسه سابحاً في تموّج لغته، كأن التاريخ مجرّد عربةٍ لغوية تقطر وراءها الحياة سائرة في فضاء مجرّد، في انقطاع عن القرار العميق: الأرض التي انبثقت منها هذه اللغة. أصبح، على العكس، يرى عمودية هذه اللغة، وعمقها الوجودي والتاريخي.

- ٤ -

في هذا ما يمثّل بدايةً لعودة نوع خاص من الدفء إلى اللغة الشعرية العربية، وإلى الحساسية العربية. فالأسطورة دفء للعقل وللجسد - مما يذكّر به الشاعر الفرنسي «باتريس دولاتور دوبان» في عبارته الجميلة: «الشعب الذي لا أساطير له يموت من البرد»، خصوصاً برد التقنية الآخذة في تدمير طفولة العالم. إن في الطاقة التخيلية التي تكتنزها الأسطورة ما يتيح التأسيس لبؤرة من العلاقات الإنسانية، يتخطى برودة التقنية، إضافة إلى ما تولده في الإنسان من القدرة على الاستباق والاستشراف.

وإذ يرتبط الأدب، والشعر بخاصة، بالخيالي الأسطوري، يصبح أكثر قابلية لأن يكون بناء يشمل برؤيته الجمالية المجتمع - علماً وفلسفة، قيماً وعلاقات. فيعيد، على طريقته وبخصوصيته، النظر في العالم، بحيث يكون نقداً شاملاً، انطلاقاً من تلك الرؤية. هكذا يتاح للرؤية العلمية أن تكون هي أيضاً شعرية، ويتاح للتقنية أن تتنفس هواء الشعر، فتظل الحياة أكثر إنسانية، ويظل الوجود، تبعاً لذلك، أكثر بهاء، ودفئاً.

آثرنا أن نحافظ، في الترجمة، على بناء الجملة الأصلي، بحيث تنقل إلى العربية كما هي، دون تعديل إلاّ في أشياء طفيفة تقتضيها بين وقت وآخر خصوصية الصياغة النحوية وخصوصية التعبير في اللغة العربية، وفقاً لتلك الصياغة.

نأمل أن يساعدنا الباحثون والقراء في هذا العمل، بنقدهم البصير، ومعرفتهم الدقيقة. ففي هذا ما يفيدنا في تهيئة الأجزاء التالية من هذا الديوان، فنتلافى أخطاءنا في هذا الجزء الذي بين أيديهم، ونعمل على أن تجيء الأجزاء التي ستليه أكثر ما يمكن قرباً إلى الصحة والدقة.

أدونيس

حاشية

أودّ أن أشير في هذا الكتاب الثالث من «ديوان الأساطير» إلى الأساس الذي يجمع، في النصوص التي يتضمنها، بين الرؤية إلى الكون والرؤية إلى الكتابة، بعامة، وبين الكتابة والعمل، بخاصة. وهي مجرد إشارة، آملاً أن تليها دراسات مفصلة يقوم بها المختصون لإضاءة العلاقة، في عالمنا القديم، قبل الأديان النبوية الموحاة، بين اللغة ـ أداة للمعرفة، والوجود ـ موضوعاً للتساؤل والبحث. وما أشير إليه هنا ينطبق على النصوص التي نشرت سابقاً، وتلك التي ستنشر لاحقاً.

«المؤلّف» في هذه النصوص لا يقول نفسه، وإنما يقول «الجماعة»، فاسمه وهويته ذائبان فيها. ويقوم «التأليف» على قاعدة رؤيوية يمتزج فيها الدين بالفكر، والفكر بالفن، والحس الفلسفي بالحس الجمالي. ويمكن القول، تبعاً لذلك، إن التأليف يصدر عن رؤية تكوينية للعالم. و«الجماعة» كلها هي «الكاتبة».

لا ينفصل «المؤلّف» إذاً عن العالم من أجل أن يتصل بـ «مثال» التأليف، فهو أصلياً، بنّاءُ العالم، وتأليفه يحمل النسغ الذي يتدفّق في جذوره. يحيا في لجّة الأشياء، وفي لجّة الأيام والأعمال. لذلك ليس تأليفه «مثالاً» تُنتقد الحياة العادية من أجله، لكي تتجه نحوه وترقى إليه، وإنما هي الحياة الواقعية والمتخيّلة معاً ـ مسكوبة في الكلام. ومن بابِ أولى، في هذا الأفق، ألاّ يكون التأليف «صورةً» عن الأشياء التي يقول، وأن

يكون هذه الأشياء نفسها ـ عملاً وتخيّلاً وكلاماً. فاللّغة حاضنةٌ للوجود كلّه ـ رؤيةً، وغناءً، وممارسةً، في تمحورٍ أساسيّ حول البناء ـ النّشيد، النشيد ـ البناء، وفي جدلٍ بين البادية والحاضرة، على صعيد الإنشاء والبناء و«التقدّم»، وبين رموز «الخير» ورموز «الشر»، على صعيد الأفكار والقيم. والآلهة والحكّام، هم أنفسهم، لا يُمجّدون إلاّ بوصفهم عاملين في هذا البناء الكليّ الحضاريّ. ولا ينحصر هذا التمحور في الذكورة وقيمها، وإنما تتوسّطه الأنوثة الإلّهيّة الخالقة.

أدونيس

مقدمة الكتاب الثالث

تطرّق الكتاب الأول من مجموعة «ديوان الأساطير»، إلى موضوع الخصب والإخصاب: إخصاب الأرض بماء السماء وإخصاب الأرحام «بماء القلب». وروى لنا أجمل أناشيد الحب في سومر، بين أشهر حبيبين عرفهما تاريخ عالمنا القديم، وهما دوموزي الراعي، وإلّهة الخصب والجمال إنانًا. وروى كذلك أناشيد الحبّ التي رافقت الزواج الإلّهي بين ملك يمثل الإلّه الراعي. والملك هنا هو في الوقت نفسه، راعي الشعب وراعي البلاد، يقترن بمقرَّبةٍ تمثّل إلّهة الخصب إنانًا. وبذلك كان يتم ضمان رخاء البلاد وتحقيق خصب ونمو كل ما فيها.

واعتماداً على مجمل أناشيد الحب السومرية، التي أطلقنا عليها تسمية «نشيد الإنشاد السومري»، أمكن تضمين الكتاب الأول دراسة حول التوازي مع «نشيد الإنشاد» التوراتي، وكانت هذه الدراسة الأولى من نوعها باللغة العربية.

أما الكتاب الثاني، فقد عاد إلى «البدء والأصول» وروى قصص التكوين والخلق، التي سبقت قصيدة النظرة الشاملة للتكوين والخلق وهي «الإنوما إيليش»، أي قصيدة التكوين والخلق البابلية التي كرّست ارتقاء الإلّه مردوك وتمجدّته بأسمائه الخمسين. وبعد إثبات نصها الكامل تعرض الكتاب إلى موضوع الثواب والعقاب، فروى قصة «الفائق ـ الحكمة» الذي أنقذ البشر من الطوفان الذي كان بمثابة عقاب للبشر، كما تطرّق إلى سهر الآلهة ودورهم في إثابة الملوك بترسيخ ملكيتهم، أو معاقبتهم إذا ما لزم الأمر، وكذلك معاقبة المدن أو البلاد بكاملها.

ومن هنا، يدخل الكتاب الثاني في أدب المراثي الذي نتج عن ذلك، ليقدّم أقدم مثل عرفه المسرح الديني، وكان ذلك في سومر، عبر مسرحية «البكاء على خراب سومر ومدينة نفر».

وفي مجال الثواب والعقاب أيضاً، يناقش الكتاب الثاني «العدالة الإلّهية» متوقفاً عند قصة «العادل المعذب» (أيوب التوراتي). ليقدّم بعد ذلك محاولتين للصعود إلى سماء الآلهة: الأولى من قبل «أدابا» الحكيم والثانية من قبل «إيتانا» الملك، الذي صعد على جناح نسر سعياً وراء مطلبه النبيل.

وفي هذا الكتاب الثالث، يدور الموضوع الأساسي، حول الحضارة في مراحل بنائها وفي ما تخوّله المعرفة من قدرات وسلطة. وتحت عنوان «الحضارة والسلطة»، يتطرق الكتاب، في فصله الأول إلى بدايات الاستقرار لإنتاج الغذاء والكساء مشيداً بثالوث هذه البداية: «النعجة ـ الأم والشعير والكتان»، كما يحتفل باستقرار الإلّه البدوي «مارتو» نتيجة لزواجه من ابنة إلّه المدينة، الفتاة الجميلة التي أعجبت بشجاعته.

ويمجّد بعد ذلك الإلّه إنليل، سيد الآلهة وسيد البلاد، متغنياً بفضل سيد الهواء والأمطار في إطلاق مسيرة الحضارة وإقامته في «بيت الجبل الكبير» معبده في مدينة نفر وجَعْلِهِ هذه المدينة محجاً للآلهة لتقديم ولائهم له.

وفي دور حضاري مكمّل يقوم الإلّه نينورتا ابن إنليل، بعد أن كان فلاح الالهة، وأصبح بطل المعارك والانتصارات، يقوم بإخضاع «شعب الحجارة» في المنطقة الجبلية المتمردة، وبتسخير مقالع الجبل وصخوره، كما يقوم ببناء السدود وتنظيم أعمال الري والزراعة والمساحة.

وبعد الولاء لإنليل ولنفر، يُبرز الفصل الثاني تدخل الإلّه أنكي وهو سيد المعرفة والخلق ومهارة الصنع، في دوره التنظيمي للبلاد وفي دوره الخلاق من أجل ترسيخ أسس الحضارة، واستقطاب الولاء نحو مدينته إريدو مالكة جميع أسس الحضارة مما حدا بالإلّهة إنانا ركوب سفينتها السماوية والسعي نحو إريدو للحصول عليها.

وفي ما يتعلق بالسلطة أيضاً، لا ينسى الكتاب الثالث، دور الإلّهة إنانا / عشتار، في ما عرفته من محاولات للحد من عنفوانها وحيويتها بصفتها قائدة الجيوش وسيدة المعارك ولا يحول ذلك دون ارتقائها وتمجيد سلطتها.

أما الفصل الثالث، واستكمالاً للبعد الحضاري، فإنه يتحدث عن دور المدرسة والحكمة في تعميم الحضارة ونشر القيم الأخلاقية التي تبني مجتمع البشر، فيتعرض لدور التعليم في مدارس سومر وآكاد، ويعرض مجموعة من الحكم والأمثال، منتهياً بتقديم قصة أحيقار الآرامي حكيم بلاط نينوى في القرن السابع لما قبل الميلاد وحكمته، كما يطرح موضوع دراسة للتعرف على أصول «كليلة ودمنة» لدَيْدَبا الهندي على ضوء قصص وحكايات الحيوانات المماثلة التي عرفتها آثار سومر وأحيقار ولقمان الحكيم.

المصطلحات والإشارات
التي تسهل متابعة النصوص

* أرقام الأسطر، هي الأرقام العربية (1، 5، 10، 15 . . .) التي تمكن من الرجوع إلى النص في كل مقارنة أو استشهاد أو اقتباس.

* أشرنا أيضاً كلما لزم الأمر إلى عدد اللوحات التي يتألف منها النص كما نوهنا بالانتقال من محتوى وجه اللوحة إلى محتوى ظهرها والانتقال من عمود إلى عمود آخر حين كانت النصوص موزعة على عدة أعمدة في اللوحة الواحدة.

* . . . هذه الإشارة بين تعبيرين تدل على وجود كلمة أو مقطع تعذرت قراءتهما.

* [. . .] العقفات قصيرة كانت أم طويلة، تعني فقدان كلمات أو مقاطع على اللوحة الأصلية.

* [مع نص تحتوي عليه] تشير إلى أنه أمكن استكمال النقص بسبب التكرار في اللوحة نفسها أو عن لوحة أخرى سهلت هذه الإضافة.

* نظراً إلى اختلاف أطوال الأسطر، فإن تتمة السطر الذي يتعدى السطر الواحد المقرر للنص، أوردت وكأنها عجز مكمل لصدر بيت شعر عربي.

* (   ) ما وضع بين قوسين يشير إلى إضافة أو تكرار يساعد على تفهم النص بلغته العربية.

* < > تدل هذه الإشارة على أن الناسخ نسي تعبيراً أو مقطعاً معروفاً لدينا وأمكننا إضافته.

* {   } ما يوضع ضمن هاتين الإشارتين يدل على أن الناسخ كرر سهواً ودون مسوّغ كلمة أو مقطعاً يعزل على هذا الأساس.

* (؟) تشير إلى قراءة غير أكيدة للنص وهي تلي الاقتراح المحتمل للقراءة المعروضة.

* ! علامة التعجب تشير إلى اللجوء إلى معنى محدد للمقطع أو الكلمة التي سبقت هذه العلامة.

* وأخيراً فإن جميع النصوص التي يحتويها هذا الكتاب، تحمل مع عناوينها، التي هي اصطلاحية ولا أساس لها في النصوص الأصلية، تحمل إلى جانب هذه العناوين، رقماً بين قوسين (رقم) يسهل الرجوع إليها والاستشهاد بمحتواها، مثال النص ٣٥ السطر ٦ يشار إليه: (٣٥: ٦) أو الأسطر ٦ إلى ١٠ في النص نفسه يشار إليها: (٣٥: ٦ ـ ١٠).

الكتاب الثالث

الحضارة والسلطة

الفصل الأول

(١) ـــ بناء الحضارة

(١ ـ ١) ـ النعجة ـ الأم والشعير والكتّان

١ ـ بهذه الرموز الثلاثة، لَخّصت لنا نصوص سومر، بداية الحضارة في وادي الرافدين: وبالطبع، فإن ماء السماء وماء الأرض كانا في أساس حياة البلاد؛ وقد أورد الكتاب الأول من هذه المجموعة عدة نصوص تشيد بأهمية الماء وأهمها نص «إحياء بلاد دلمون»[١] بواسطة الماء الذي أخرجه الإلّه أوتو[٢] من الأرض. وكذلك أيضاً يعمد الإلّه أنكي[٣] إلى إغراق منابت القصب بماء قضيبه الذي ملأ به المجاري جمعاء، ومَن ثم، بمضاجعة قرينته نينخورساج[٤] ومن ولدتها من بعدها. . .، ثم خلق إلّهة الخضار ثم سيدة النباتات ذات الألياف وبعدها إلّهة النسيج. . . ومن المستحسن العودة إلى هذا النص لمتابعة تسلسل عمليات الخلق هذه وأهميتها في كل من مجالي الاستهلاك والتداوي بالأعشاب والنباتات.

---

(١) النص رقم (١) من الكتاب الأول.
(٢) (Utu) الإلّه الشمس السومري.
(٣) (Enki) إلّه الأبسو، محيط المياه العذبة وسيد المعرفة والخلق ومهارة الصنع.
(٤) (Ninhursag) قرينة أنكي ومعناه سيّدة الجبل.

٢ ـ وها هما الإلَهان إنليل[١] وأنكي يخلقان إلَهتي الماشية والحبوب: الإلَهة لاهار[٢]، النعجة ـ الأم والإلَهة أشنان[٣]، الحبوب. وهكذا كما يوضح ذلك النص رقم (٧):

«تمكّنتا من تحقيق الكثرة، وجلبتا إلى البلاد الحياة».

٣ ـ وقبل أن يصبح الإلَه نينورتا[٤] بطل المعارك والانتصارات، كان فلاحاً بإمرة إنليل:

«وبفضله كانت البساتين المروية
تطفح حلاوة وخمراً
وفي القصر كانت الحياة المديدة تتمطّى»[٥].

٤ ـ كما يشير النص رقم (٥٣) الوارد في الكتاب الثاني إلى أنّ الإلَه إنليل خلق الفأس وباركها:

«ووضعها بيد البشر ليعملوا بها».

٥ ـ وبتفصيل أبعد يروي النص رقم (٥٤) من الكتاب الثاني، أن البشر، قبل إدخال الحبوب إلى سومر، كانوا يعيشون مثل الخراف، يرعون العشب، وأن الحبوب: الشعير والكتّان، أُنزلا من السماء. ووضعا على الجبل ذي أريج الأرز، ومنه عمد إلَهان ثانويان إلى نقلهما إلى سومر، وكشفا لها «السر الذي تجهله».

٦ ـ أما الأخوان، الصيف والشتاء[٦] اللذان خلقهما الإلَه إنليل وقرر لهما مصيرهما، فإن الصيف، إيميش[٧]:

«نمّى الأشجار والزروع
ووسع المذاود والحظائر»،

---

(١) (Enlil) سيد مجمع آلهة سومر وهو إلَه الهواء والأمطار.
(٢) (Lahar).
(٣) (Ashnan).
(٤) (Ninurta) ومعناه سيّد الأرض بصفته فلاّح إنليل.
(٥) ورد في النص رقم (٩) من الكتاب الأول.
(٦) انظر النص رقم (٩) من الكتاب الأول.
(٧) (Emesh): الصيف.

كما أتى بحصاد غني . . .
ودفع إلى بناء المساكن[١]».

أما أخوه الشتاء إينتين[٢]، فإنه:

«كثّر البقرات والعجول
ووفّر بسخاء السمن واللبن . . .
وضاعف عشر مرات الحَب في الأثلام».

وتنافس بعد ذلك الأخوان لمعرفة أيهما أفضل؟[٣]

٧ ـ وبشكل مماثل، بعد أن نمت تربية الماشية وتقدمت الزراعة وتكدست المحاصيل، أتى وقت تم فيه تصور المنافسة بين الأختين: لاهار، النعجة ـ الأم، وأشنان، الحبوب وذلك بعد إنزالهما من على «الجبل المقدس» ووضعهما تحت تصرف البشر[٤].

٨ ـ وأشهر منافسة عرفتها نصوص سومر، وردت في الكتاب الأول تحت الرقم (١١)، وهي المنافسة بين الراعي والفلاح، وكانت إنانا[٥]، هي المكافأة لتلك المنافسة. وقد فهمت الحضارة آنذاك، في استمرار تطورها، بأن الإثنين كان لا بد منهما. وإذ يفوز الراعي دوموزي[٦] بقلب إنانا، فإنه يدعو الفلاح لحضور عرسه، وتترسخ الأخوة بينهما ويتحقق التكامل الحضاري.

٩ ـ وبصدد الحضارة والتحضير، بالانتقال من حالة البداوة إلى الاستقرار في المدينة، فأجمل نص يمكن لهذا الكتاب أن يعرضه بابتهاج، يشتمل على قصة عرس آخر: وتحت عنوان «زواج مارتو» يبدأ هذا الكتاب بتقديم نصه الأول حاملاً الرقم (٧٥).

١٠ ـ ونختتم هذه الفقرة المقدِّمة لبناء الحضارة، بالعودة إلى «أعجوبة» بذور «الكتّان

---

(١) بناء المساكن والمعابد بواسطة الآجر كان يتمّ في فصل الصيف.
(٢) (Enten): الشتاء.
(٣) سوف نورد فقرات عن هذا التنافس في فصل لاحق.
(٤) راجع النص رقم (٤١) في الكتاب الثاني.
(٥) (Inanna).
(٦) (Dumuzi).

الذي يزرع» ويعطي في النهاية خيوطاً تُنسج. لننصت من ضمن النص رقم (١١) من الكتاب الأول، إلى الإلّه الشمس أوتو[1] يبشر أخته إنانا، بأن الكتّان المزروع نما وسوف يهديه لها، غطاء لفراش عرسها:

«سوف أجلب لك الكتّان المزروع، أي أختي!
أي إنانا، سوف أجلب لك الكتّان المزروع»!

١١ ـ وبصورة عامة، يمكننا التذكير هنا بمناسبة استقرار الحضارة في ما بين النهرين وسرعة انتشارها، بأن عناصر هذا النجاح تكمن في حيوية وذكاء «ذوي الرؤوس السوداء» وفي مهاراتهم، بالإضافة إلى خصب التربة وتوافر المياه. وقد ساعد ابتداع الكتابة، منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد على مسك سجلات نظام تموين معابد الآلهة وقصر الملك. وهذا التموين الذي كان على عاتق الشعب شاملاً مختلف نشاطاته المعاشية، كان يتم بواسطة عدد كبير من الجباة والموظفين، وسوف نعود إلى مثل هذه التفاصيل بصدد الإصلاحات الاجتماعية فيما بعد. ويمكننا الإضافة، بأن نظام تموين المعابد والقصور، كان المحرك الرئيسي لابتداع فن الكتابة والمحاسبة.

(١) (Utu).

(٧٥) ـ زواج مارتو

١ ـ يقال عن مارتو[١] بأنه إلّه ثانوي، ولكنه إلّه على طريقته، لم يقم بأعمال مجيدة من أجل البلاد، ولم يقهر الأعداء أو مخلوقات الشر. لم يكن يسكن المدينة ولم يكن يعرف البذخ والرفاهية.

كان قديماً يسكن البادية والسهوب، ثم اقترب من المدينة، فسكن ضواحيها وارتاد معابدها. وإذا كان دخل المدينة، فإن غرضه لم يكن سوى العمل كمياوم تدفع له أجرته خبزاً. وكان بكل بساطة يعود لأمه ويحدثها عما رأى وعن الآخرين.

فكر مارتو بالزواج، مثل أقرانه، وفي عيد المدينة، افتتن بجمال فتاة هي ابنة الإلّه سيد المدينة. وبحماسة فيها براءة وعنفوان الشاب المحبّ، برز في عيد المدينة، حين تغلب في مصارعات العيد على خصومه ولفت الأنظار إليه، ثم رفض مكافآت إلّه المدينة تقديراً له، طالباً ببساطة يد ابنته الجميلة التي من أجلها أظهر تفوق بأسه. فقبل الأب، وانتصر حبه على الحواجز الاجتماعية التي كانت، كما هي اليوم، قائمة منذ ذلك الوقت، فمن يزوج ابنته المتحضرة والمرفهة «لشبه بدوي»؟ وقد تم ذلك فعلاً، وتم فعلاً زواج مارتو من الفتاة الجميلة آدنيچكيدو[٢] في مدينتها، مدينة نيناب[٣] إطار القصة.

---

(١) (Martu).

(٢) (Adnigkidu).

(٣) (Ninab) المدينة التي يشير النص بأنها كانت قريبة من جيرتاب (Girtab) المعروفة تاريخياً وهي تقع إلى الجنوب من بابل.

٢ ـ هذه هي قصة مارتو، الإلّه الثانوي، البدوي الساذج والمحب والقريب إلى قلوبنا لأنه «إنسان» في الوقت نفسه.

مارتو هو إذن إلّه القبائل الرحل التي كانت تتنقل في الشمال الغربي من بلاد ما بين النهرين في المنطقة التي سميت آمورو[١] فيما بعد، والتي هي «البلد المرتفع» أي الفرات الأوسط وحوض البليخ والخابور، إلى الشرق من مدينة حلب، ومنطقة جبل البشري على الأخص. مارتو هي إذن التسمية السومرية، لآمارو الأكادية. وزواج مارتو يرمز إلى التحضير الطبيعي للبدو الرحل وهم الآموريون (العموريون)، حين غادروا البادية تدريجياً وسكنوا حول المدن للعمل، ثمّ استقروا فيها بالزواج.

٣ ـ عثر على هذا النص السومري في حفريات مدينة نفر[٢]، وقد نسخ خلال الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد، على لوحة واحدة تحتوي على ١٤٢ سطراً يتخللها الكثير من النقص والتشويه، وعلى الأخص في الثلث الأخير منها، ومع ذلك، فقد أمكن تتبع محتواها.

---

(١) (Amurru): بلاد الآموريين أو العموريين.
(٢) (Nippur).

مدينة نيناب إطار القصة

1 كانت نيناب موجودة ولكن جيرتاب لم تكن موجودة بعد!
كان تاج السيادة موجوداً
ولكن التاج الملكي لم يكن موجوداً بعد!
النباتات السخية كانت موجودة
لكن الأرز النبيل لم يكن موجوداً بعد!
الملح (المفيد) كان موجوداً،
لكن عشب القِلْي لم يكن موجوداً بعد!

5 ولكن، بما أن النزو والسفاد كانا موجودين
وكذلك تكاثرت (الدواب) في قلب الريف
فأنتِ يا نيناب (؟) أنت التي ولدتِ الأرز
أنت مولِّدة الأرز المتألق
أنتِ السَلَفُ الأول لشجرِ ـ الميس[١]
أنتِ أم ـ وأب الأرز ـ الأبيض
الأصل (؟) الحقيقي للسرو.
إذ إنه، كان في ذلك الوقت، بين المدن كافّة،
بلدُ إمارة،

10 وبين المدن كافّة،
بلد الإمارة (هذا)، كان نيناب!
كان أميرها، هو قيثار ـ طبل ـ طبلة(؟)[٢]
مع زوجته [. . .] واسمها [. . .]

---

(١) (Més) شجرة محلية لم يمكن التعرف على نوعها.

(٢) بالسومرية: تيجي ـ أوبا ـ آلا، وهو اسم مصطنع تمّ اختلاقه على ما يظهر لإضفاء جوٍ مازح وطلّي على القصة.

وولده [...] الذي كان يرافقه(؟)

كان اسمه [...]

حول المدينة كان يسكن أنصاف ـ البدو ومنهم مارتو

15 وكان يسكن آنئذٍ في جوار المدينة

«حملةُ ـ الچونا»[1]

كان «حملة ـ الچونا» يعيشون بجوار نيناب

و«حملة الچونا» هؤلاء كانوا

يأتون إليها للتعبّد

ولتضحية حملانهم في مكان وموضع الرجال (؟)

وفي يومٍ، حين حل المساء

20 ولدى التوجه إلى مكان ـ دفع ـ الأجور

أمام الإلّه [...]

كان يُوَزِّع الخبز على العمّال (؟)

فالذي كانت له زوجة، كان يتلقى حصّتي خبز

ومن كان له ولد كذلك، كان يتلقى ثلاث حصصٍ

ولكن من كان لا يزال عازباً

كان يتلقى حصة واحدة

25 أما مارتو، العازب، فقد تلقى حصتين

ذهب عندئذٍ للقاء أمّه التي ولدته

دخل عليها وقال لها:

«لماذا في بلدتي، أصدقائي

لهم زوجاتهم

ورفقائي لهم زوجاتهم

(١) (Guna) «حملة ـ الچونا» أو «لابسو الچونا» لأننا لا ندري ما يعنيه النص بهذا اللقب الذي كان يطلقه السومريون على أنصاف ـ البدو الذين يعيشون حول مدنهم.

30 ولماذا في بلدتي وبين جميع أصدقائي
أنا الوحيد الذي ليس له زوجة؟
أنا لا زوجة لي ولا ولد،
ومع ذلك، فأنا تلقيت [. . .]
حصّة مماثلة لحصّة أصدقائي المتزوجين
حصلت على ما يماثل ما حصل عليه
رفقائي الذين لهم زوجات!»
وفي يوم آخر، حين حلّ المساء
35 عندما تمّ التوجه إلى مكان ـ دفع ـ الأجور
أمام الإلّه [. . .]
كان يُوَزِّع الخبز على العمّال
فالذي كانت له زوجة كان يتلقى حصتي خبز
ومن كان له ولد كذلك، كان يتلقى ثلاث حصصٍ
ولكن من كان لايزال عازباً
كان يتلقى حصة واحدة
40 أما مارتو العازب، فقد تلقى حصتين

مارتو يرغب بالزواج مثل أصدقائه ويحدث أمه بذلك

ذهب عندئذٍ للقاء أمه التي ولدته
دخل عليها وقال لها:
«انتخبي لي زوجةً يا أمي،
وسوف أجلب لك حصصي من الخبز!».
عند ذلك [أجابت] مارتو أمُّه التي ولدته:
45 [يا بني] سأقدّم لك توصياتي
فخذْها!
[اسمع] ما سأقوله لك:

«اتخذ لنفسك زوجة من أي مكان (شئت)
اتخذ لنفسك زوجة حيث تريد
[...] صرامتي(؟) صعبة الإرضاء(؟):
[...] خادمة فتية!

50 من بين أقرانك الذين يعيشون على أطراف المدينة
هناك من بنوا لأنفسهم بيوتاً
وبين رفقائك [...]
هناك من حفروا (؟) لأنفسهم آباراً!»

مارتو يذهب لحضور عيد مدينة نيناب

عند ذلك، مارتو الذي هو [...]
ففي يوم، في المدينة، في المدينة
تقرر إقامة عيد
تقرر إقامة عيدٍ في مدينة نيناب

55 «تعالوا أيها الأصدقاء! لنذهب! لنذهب!
لنذهب! لنذهب!
هيا بنا، لنذهب إلى حانات نيناب!»

الإلّه نوموشدا[١] يحضر العيد مع زوجته وابنته

نوموشدا كان كذلك يحضر العيد
[وكانت حاضرة أيضاً] ابنته المفضلة آدنيجكيدو[٢]
وكذلك زوجته [...] نامرات[٣] الجميلة!

---

(١) (Numushda): إلّه مدينة نيناب.
(٢) (Adnigkidu): ابنة الإلّه نوموشدا.
(٣) (Namrat): اسم أكادي ومعناه «الساطعة».

60 وفي المدينة كانت تدوّي صنوج الشبه
الأربعة التي تهزّ المشاعر
وكانت كصدى لها تدقّ الطبول السبعة
الـ [. . .] «المحتفِل الديني» المكتسي بمئزرٍ فقط(؟)
كان يقدِّم [. . .] إلى نوموشدا في الهيكل (؟)
وفي معبد نيناب كان [. . .] له
65 وصل (مارتو) إلى نيناب حيث كان العيد
في أوجه، وملأته الدهشة!
وصل مندهشاً إلى نيناب
حيث كان العيد في أوجه!

مارتو يساهم في المباريات

وعندما ارتدى «المحتفل» لباسه (بنهاية الطقوس)
كان معبد نيناب يشهد (مباريات)
الملاكمة والمصارعة
وتوجه مارتو إلى الساحة الكبرى،

70 مسرعاً [للمشاركة في المباريات (؟)]
فتش عن [خصوم] أقوياء لمجابهتهم
وتحدّى [منافسين] ذوي بأس
توجه مارتو إذن مسرعاً إلى الساحة ـ الكبرى
واعتباراً من [. . .] تغلّب على [. . .]

75 ملأ الساحة ـ الكبيرة بالصدمات والمماسك:
بشكل جعل معه «المغلوبين» منشورين بكل مكان
في ساحة نيناب الكبرى.

إعجاب الإلّه نوموشدا ومكافأة مارتو

دُهش نوموشدا بمارتو
فقدم له الفضة، لكنه رفضها!
أهداه أحجاراً كريمة،
لكنه رفضها!

الأسطر (٨٠ ـ ١٣٣) يتخللها نقص كبير ويفهم مع ذلك مما تبقى أن مارتو طلب من نوموشدا يد ابنته الجميلة:

82 «فضتك وأحجارك الكريمة إلى أين
يمكنها إيصالي؟
كلاّ! إن ما أريد
هو الزواج من آدنيچكيدو ابنتك!»

نوموشدا يوافق

ويتضح ذلك فيما يلي:

103 «والآن! [أمنحك يد (؟)]
آدنيچكيدو ابنتي
(104 ـ 109) [. . . .]
110 نعم! أمنحك يد آدنيچكيدو

قد تكون الأسطر (١١١ ـ ١٢٦) مخصصة لإعداد ترتيبات الزواج ولكن مع الأسف، لا يمكن استثمار محتواها. وعندما يعود النص للوضوح، وقبل احتفال الزواج، تحاول إحدى صديقات العروس أن تثنيها عن رأيها لأن مارتو ليس من سكان المدن ولن يتمكن من النجاح في حياة مرفّهة.

127 في أحد الأيام، وقبل أن يعقد الزواج
[إحدى رفيقات آدنيچكيدو قالت لها]:
129 [«] هو المترحل التائه وعدو الـ[. . .]

130 الذي [. . .] معابد الآلهة [. . .]:
يبلبل [. . .]
يرتدي جلود الخراف (؟) [. . .]
يسكن تحت خيمة (معرّضة) للرياح والأمطار [. . .]
لا يقدم التضحيات(؟)
[يجول] بسلاحه في السهوب
135 حيث يستخرج الكمأة[1] لا يعرف
«طيّ الركبة» (؟):
يأكل اللحم نيئاً
يمضي حياته دون بيت
وعندما يموت لا يدفن حسب الطقوس!
كيف يمكنك يا صديقتي الزواج من مارتو؟
140 لكنّ آدينچكيدو ردت على رفيقتها الفتية:
«على الرغم من كل شيء سأتزوج مارتو!»
إسمعي! إسمعي! يا نيناب

---

(١) لا يزال بدو سورية والعراق حتى اليوم، يجمعون الكمأة لبيعها في أسواق المدن وقد حافظت الكمأة على اسمها الأكادي (كام ـ آتو).

(١ ـ ٢) ـ الإله إنليل: سيد الآلهة وسيد البلاد

١ ـ لم تغفل الفقرات السابقة دور الإلّه إنليل في كل ما ابتدعه من ضمن نصوص الكتابين الأول والثاني لمصلحة البشر ولخير البلاد.

فهو سيد مجمع الآلهة في سومر وحافظ على هذا الدور دون أن يتأثر بتبدل وتفوق أو أولوية عواصم البلاد وتزايد أو تضاؤل السلطات التي كان يتمتع بها آلهة وإلّهات حماية تلك العواصم. واستمر الاعتراف به سيِّداً لمجمع آلهة سومر وآكاد حتى أزمنة متأخرة. فهو والد الإلّه نينورتا[١]، فلاح الآلهة قبل أن يصبح نينورتا في ما بعد بطل المعارك والانتصارات. وإنليل هو الذي أطلق الطوفان على الرغم من معارضة وحيل الإلّه أنكي[٢].

٢ ـ نفر[٣] هي المدينة التي أقام فيها الإلّه إنليل معبده الإيكور[٤] أي بيت الجبل. وعلى هذا الأساس لقِّب الإلّه إنليل «بالجبل الكبير». وتحت هذا العنوان نبدأ بتقديم نص يمجّد إنليل ويشيد بمآثره. وإلى العاصمة نفّر كان يتم توافد الآلهة لتقديم الولاء لإنليل.

٣ ـ ونقدم أيضاً، من ضمن هذه الفقرة المخصصة للإله إنليل، نصاً آخر يمجده سيداً للبلاد، له الفضل في إطلاق بداية الحضارة، رعاية وزراعة، وهو الذي يمسك

---

(١) (Ninurta) ومعناه سيد الأرض.
(٢) (Enki) إلّه الأبسو وهو محيط المياه العذبة الباطنية وسيد المعرفة والخلق ومهارة الصنع.
(٣) .Nippur
(٤) .(Ekur)

بأمطار السماء ومياه الأرض، ينبت العشب ويجعل الشعير ينمو ليعمّ الرخاء والكثرة.

٤ ـ وتشتمل هذه الفقرة أيضاً، على نص ثالث يشير إلى عودة الزراعة بعد الطوفان، عندما دعا الإلّهان آنو وإنليل البشر إلى وجودهم وبعد «خروجهم من طينهم». وهذا النص الذي خُصِّص لعودة الزراعة والملكية لما بعد الطوفان، ولو أنه لا يمجد إنليل، فإنه يعود إلى بدء بناء الحضارة من جديد وهو نص خاص واستثنائي، نشير أثناء عرضه إلى الأسباب التي دعت إلى تأليفه.

٥ ـ والنصوص التي تشتمل عليها هذه الفقرة (١ ـ ٢) هي التالية:

النص رقم (٧٦) ـ إنليل «الجبل الكبير».

النص رقم (٧٧) ـ الأب إنليل، سيد جميع البلاد.

النص رقم (٧٨) ـ الزراعة بعد الطوفان، بمناسبة التأريخ للملوك مدينة لغش.

(٧٦) ـ إنليل «الجبل الكبير»

١ ـ لا بد من البدء بتمجيد الإلّه إنليل[١] سيد مجمع الآلهة في سومر، وهو الذي، كما يتضح ذلك من نشيد وصلنا عنه، كان له الفضل في إطلاق ما أسميناه بناء الحضارة في بلاد ما بين النهرين: من تربية المواشي والرعاية إلى الزراعة وبناء المدن وإقامة الملكية والسهر على حسن سيرها وإشادة مقامه الإيكور[٢] في نفر[٣]، وهو «بيت ـ الجبل» مقام إنليل «الجبل ـ الكبير».

٢ ـ ومن المفيد التذكير لهذه المناسبة بأن آن[٤] هو إلّه السماء، ومع أن اسمه يرد دوماً على رأس ثالوث الآلهة ـ العظام: آن ـ إنليل ـ أنكي، فإنه كان بمثابة إلّه «بعيد» وفق المفهوم «الميتي»، بينما كان إنليل وهو سيد الهواء، «أقرب» منه إلى البشر. ونحن نعلم أن لقبه هو (دور ـ آن ـ كي)[٥] ومعناه الرباط بين السماء والأرض. وهذا الدور بالنسبة للقرب من البشر يحتله فيما بعد وبشكل أكثر قرباً، الإلّه أنكي[٦] وهو إلّه الخلق والمعرفة ومهارة الصنع.

٣ ـ أما عن محتوى نشيد التمجيد، الموجه إلى الإلّه إنليل والذي نعرضه هنا، فقد تم التوصل إلى جمع مضمونه، من عدة لوحات وكِسر لوحات في عام ١٩٥٣ وأهمها الجزء

---

(١) (Enlil).

(٢) (Ekur).

(٣) (Nippur) إحدى أقدم العواصم السومرية.

(٤) (An).

(٥) (Dur-An-ki).

(٦) (Enki).

السفلي لِلوحة ذات أربعة أعمدة، كانت محفوظة في متحف اسطنبول، تمت ترجمتها بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٢، وتم التعرف بعد ذلك على أن جزءاً علوياً من هذه اللوحة، لم يكن سوى ما نشر منذ عام ١٩١٩ عن محفوظات متحف جامعة فيلادلفيا. ومن حسن الحظ أيضاً، ففي عام ١٩٥٢ كشفت حفريات نفّر عن جزء ثالث يعود لتلك اللوحة بالذات وأمكن بذلك التعرف على التسلسل الإجمالي لهذا النص الذي كان يحتوي على ١٧٠ سطراً وهو لا يزال غير كامل ويتخلله التشويه. وفيما يلي المقاطع الأكثر وضوحاً من هذا النشيد، الذي أوردنا جزءاً منه في الكتاب الأول تحت الرقم (٦).

إنليل، ذو الأوامر البعيدة المدى،
ذو الكلمة المقدسة؛
الإله صاحب القرار الذي لا يتبدل
ومقرر المصائر إلى الأبد؛
هو الذي تجتاز البلاد عيناه الساهرتان،
والذي يتفحص نوره المشرق قلب البلاد كلها
إنليل الجالس في المدى تحت المنصة البيضاء
تحت المنصة الرائعة؛
هو الذي يحقق مقررات السلطة والسيادة والملكية؛
وهو الذي ينحني، برهبة، آلهة الأرض في حضرته
وأمامه يتذلّل آلهة السماء. . .،

المدينة[١]، يفرض مظهرها الخشية والوقار. . .
الكافر والشرير والظالم،
الـ. . . .، والواشي،
المتعجرف وناقض الاتفاقات،
هؤلاء، يحول إنليل دون شرورهم في المدينة.

---

(١) المدينة المقصودة هي نفّر مدينة إنليل وفيها معبده.

هو الشبكة الكبيرة[١]...

لا تسمح للمنحرف وفاعل السوء الإفلات من عيناتها

نفّر ـ المقام حيث يسكن الأب، «الجبل ـ الكبير»[٢]

منصة الكثرة، الإيكور[٣] الذي يرتفع...

الجبل الشامخ، الموقع الشريف...،

أمير «الجبل الكبير»، الأب إنليل،

أقام مقره على منصة الإيكور، المعبد الرائع.

أيها المعبد، ذو القوانين الإلَهية، التي هي مثل

السماء لا يمكن قلبها،

وذو الطقوس المقدسة التي هي مثل

الأرض لا يمكن زعزعتها،

والذي قوانينه الإلَهية، تماثل قوانين العمق الإلَهية:

لا يمكن لأحد النظر إليها

و«قلبه»، كأنه مقام متعذر المنال،

مجهول مثل السمت...،

كلماته صلوات،

وعباراته ابتهالاتٌ...،

قيِّمة، هي احتفالات طقوسه

وأعياده التي تسيل سمناً ولبناً

فائقة الوفرة،

ومخازنه تجلب البهجة والسعادة...!

يا بيت إنليل، يا جبل الخصب

أي إيكور، بيت اللازورد، المقر الشامخ،

---

(١) لقب الإلَه إنليل الذي هو الشبكة التي تحتجز الأشرار.

(٢) لقب إنليل.

(٣) (E.kur) بمعنى بيت الجبل وهومعبد إنليل في نفّر.

الذي يفرض الرهبة،
والذي احترامه وخشيته يلامسان السماء،
ويمتد ظلّه على جميع البلاد،
وعلوّه يبلغ حتى قلب السماء،
(البيت) حيث الأسياد والأمراء
يحملون هباتهم المقدسة وتقدماتهم،
ويأتون لتلاوة صلواتهم وأدعيتهم والتماساتهم.

أي إنليل، الراعي[1] الذي تنظر إليه بعين الرضا
والذي دعوتَه وأعليت شأنه في البلاد [...]
والذي يهزم البلاد الأجنبية في أي مكان يضع فيه رجله:
إنه من كل مكان (جلب) القرابين السائلة المهدِّئة
وتقدمات الأضاحي المختارة من الغنائم الكثيرة،
هذا ما جلبه لك؛ وبين مختلف المخازن
وفي الباحات الرحبة، وزّع تقدماته.
إنه إنليل، الراعي الجليل، الدائم الحركة،
الذي من أجل الراعي، رئيس جميع الأحياء[1]
جعل ولادة الملكية،
ووضع التاج المقدس على رأس الملك [...]
في السماء، إنليل هو الأمير
وعلى الأرض هو الكبير؛
وبالنسبة للآنوناكي[2] إنه إلههم السامي.
وعندما بجلاله يقرر المصائر

(١) المقصود هو الملك.
(٢) (Anunnaku) مجموع آلهة السماء.

لا يجرؤ أي إلّه على النظر إليه
وإلى وزيره المجيد وحده، إلى نوسكو[1] كبير أمنائه
(يكشف) أوامره والكلمات الصادرة عن قلبه
إنه يكشفها له: ويبلغها إليه
مكلِّفاً إياه، بتنفيذ أوامره الكونية
ويعهد إليه بجميع القواعد المقدسة
وجميع القوانين الإلّهية

بدون إنليل «الجبل الكبير»
لم يكن ممكناً بناء أية مدينة، وتأسيس أي مسكن؛
لم يكن ممكناً إقامة أية حظيرة ونصب أية زريبة؛
وأي ملك لم يكن لينصَّب، وأي كاهن ـ كبير ليُعيَّن
ولا أي كاهن ماه[2] ولا أية كبيرة ـ كاهنات
ليتمَّ اختيارهم بواسطة عَرَافة الأمعاء[3]:
ولم يكن بالإمكان أن يكون للعمال مراقبو
عملٍ ومناظرون [...]،
ولم تكن الأنهار لتجعل مياه فيضها الخيِّرة تطفح،
ولا أسماك البحر لتضع بيوضها في مناقع الأسل؛
وطيور السماء لم تكن لتبني أعشاشها
موزعة على الأرض الفسيحة
والغيوم الشاردة في السماء، المحملة بالأمطار
لم تكن لتُسقِط رطوبتها؛
والزروع والأعشاب، فخر الريف،

(١) (Nusku).
(٢) (mah) أو ماخ(؟) بمعنى سامي أي رئيس كبار الكهنة.
(٣) نوع من العرافة تعتمد على دراسة شكل تلافيف أمعاء الضحية قبل اتخاذ القرار.

لم تكن لتنبت؛
وفي الحقول والسهوب، لم تكن
الحبوب الغنية لتتمكن من الإزهار؛
والأشجار القائمة في الغابة الجبلية لم
تكن لتعطي ثمارها [...]!
ولا البقرات لتلد في الحظائر
وفي الزرائب لم تكن النعجات لتضع حملانها!
والبشرية، هذه الجموع العاجّة
لم تكن لتستمر على [...]!
الحيوانات الوحشية ورباعيات القوائم، لم تكن لتهتم
بتغذية صغارها،
بل حتى أنها لم تعد لتقبل التسافد فيما بينها!

ويضيف الشاعر في مكان آخر من الجزء الأخير من النشيد بدءاً من السطر ١٤٦، متحدثاً عن كلمة إنليل:

كلمة إنليل:

إن هي مسّت السماء: فهذا هو الفيض،
إذْ تنسكب من الأعالي الأمطار الغزيرة.
ولئن مست الأرض، فهذا هو الرخاء:
فمن الأسفل تطفح الثروات
كلمتك هي النباتات! كلمتك هي الحَبّ،
كلمتك هي الفيض: حياة البلاد جمعاء.

(٧٧) ـ الأب إنليل
سيد جميع البلاد

نقدم هنا نصاً آخر يمجد الإلّه إنليل تحت اسم «مولّيل»[١] وفقاً للتحريف الذي تفرضه لهجة الأناشيد الطقسية، كما أشرنا إلى ذلك لمناسبة عرض النص رقم (٦٨) من الكتاب الثاني المتعلق بأدب المراثي والمسرح الديني السومري. وتتضح من ضمن هذا النص أهمية دور إنليل بالنسبة للبلاد:

يا إلّهي، أنت تعرف مصير بلاد سومر، أنت البطل الفريد
مولّيل، أنت تعرف مصير بلاد سومر، أنت البطل الفريد
أيها الأب مولّيل، إلّه البلاد
أيها الأب مولّيل، صاحب الكلمة التي لا تتبدّل
أيها الأب مولّيل، أنت راعي ذوي الرؤوس السوداء[٢]
أيها الأب موليل، أنت الذي هو بعيدٌ نظره،
أيها الأب موليل، أنت الثور الوحشي الذي يحطم المصاعب[٣]
أنت الأب موليل، ذو النوم المتيقظ[٤]
أنت الثور الوحشي، الثور الذي لا يعرف الرهبة
أي موليل، أنت (سيد) التداول على الأرض الفسيحة،

---

(١) (Mullil) عوضاً عن إنليل (Enlil).
(٢) صفة سكان ما بين النهرين.
(٣) حرفياً: الحواجز أو الجدران.
(٤) حرفياً: النوم الخفيف.

وقرينتك يا إلّهي، هي تاجرة الأرض
أنت الإلّه الذي يجعل الأعياد تثمر ويكثر اللبن الدسم
مقامك (نيربو)[1] يا إلّهي يُصدر إلى المدن أوامره
وفراش نومك يعرف (اتخاذ) القرارات!
من جبل المشرق إلى جبل المغرب [...]
لا سيد في البلاد، أنت وحدك السيد،
أي موليل، لا سيد في أي بلد: أنت وحدك السيد!
مقدام أنت وبيدك أمطار السماء ومياه الأرض.
أي موليل، عصا الرعاية التي تقود الآلهة،
أنت تمسكها بيدك!
أيها الأب موليل، أنت تجعل العشب ينبت، وتجعل الشعير ينمو،
أي موليل، توهجك الرهيب يكوي السمك في البحر،
طيور السماء وأسماك البحر ترتجف أمامه.
أيها الأب موليل أنت جلبت [...] عالية،
يهزها البشر في سلال
أنت سيد بلاد سومر، جلبت لها السلاح البراق:
حيث من أجل أمد طويل، [....]
أيها الأب موليل، أنت تجعل الرجل الكاذب
رجلاً صادقاً!

(١) (Nirbu).

(٧٨) ـ الزراعة بعد الطوفان
بمناسبة التأريخ لملوك مدينة لغش

١ ـ أرخ السومريون لمدنهم ولممالكهم وعددوا ما كان منها قائماً قبل الطوفان وبعده، وعددوا أسماء ملوكهم وفترات حكمهم التي تمت المغالاة في مددها كما هو الحال حين يختلط التاريخ بعالم الأسطورة وحين كانت كل مملكة تعتبر نفسها مركزاً للعالم المحيط بها وتجعل كل شيء يبدأ بها.

٢ ـ وإذا ما عدنا إلى الفترات التاريخية، للملكيات القديمة الثانية والثالثة في سومر[١]، وهي التي عرفت الكتابة التي ابتُدعت خلال الفترة الأولى أي ما بين ٣٠٠٠ ق.م. و٢٨٥٠ ق.م.، فإنّ الممالك التي قامت خلال تلك الفترات هي ممالك أوروك[٢] وكيش[٣] ولغش[٤] وأومّا[٥]. ثم عودة إلى لغش وأور[٦] وإيسين[٧] بعد زوال فترة الحكم الأكادي لسرجون الكبير وخلفائه[٨]، وقبل دخول بابل[٩] أبواب التاريخ مع حمورابي.

---

(١) الملكية القديمة الثانية حوالى (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠) ق.م. والفترة الثالثة (٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٠) ق.م.
(٢) (Uruk) مدينة جلجامش تقع على بعد حوالى ٧٥ كلم من جنوب شرقي أريدو.
(٣) (Kish) تقع إلى الشمال الشرقي من بابل على مقربة منها.
(٤) (Lagash) تقع على حوالى ٢٠٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من كيش.
(٥) (Umma) تقع على حوالى ٤٠ كلم إلى الشمال الغربي من لغش.
(٦) (Ur) مدينة ارتبط اسمها بإبراهيم الخليل وهي مدينة الإلّه القمر سين وتبعد حوالى ١٠ كلم عن أريدو.
(٧) (Isin) إلى الجنوب من نفّر على بعد حوالى ٢٥ كلم.
(٨) فترة (٢٣٤٠ ـ ٢١٥٠) ق.م
(٩) فترة (١٨٩٤ ـ ١٥٩٤) ق.م.

٣ ـ يتضح مما سبق أن مدينة لغش، كانت لمرحلتين، من بين الممالك السومرية التي لعبت دورها في تاريخ البلاد وعرفت ملوكاً كانت لهم شهرتهم مثال أور ـ نانشي[١] وإياناتوم[٢] وأوروكاجينا[٣] ومن ثم چوديا[٤] في فترة ملكية لغش الثانية، ومع ذلك فإن اللائحة الشهيرة التي وصلتنا عن ملوك سومر لما قبل الطوفان وبعده، أهملت ذكر مدينة لغش وملوكها ولم تعترف بهم.

وعلى هذا الأساس عمد بعض المفكرين والمثقفين، خلال الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد، إلى تقليد لائحة ملوك سومر جاعلين من لغش وملوكها المدينة التي استؤنفت انطلاقاً منها النشاطات البشرية لإعادة بناء ما دمَّرته السيول بعد الطوفان متوقفين عند الزراعة، أساس ثروة البلاد. وفي بداية تلك الأزمنة التاريخية التي تلت الطوفان نجد الإلّه نينجيرسو[٥] وليس إنليل[٦] هو الذي كان عليه وضع الفأس والمعزق والقفّة بيد البشر من أجل إطلاق الزراعة من جديد، وكذلك كان الأمر بالنسبة للشادوف الذي مكّن من استخراج الماء من الأنهار والاستعاضة عن مياه الأمطار لري المساحات الكبيرة.

٤ ـ صدر هذا النص عن «بيت اللوحات»[٧] الذي كان بمثابة أكاديمية ذلك الوقت وملتقى المثقفين والضالعين بفن التأليف والكتابة، وقد تم تأليفه خلال فترة (١٨٠٠ ـ ١٧٠٠) ق.م. وهو فريد من نوعه على هذا الأساس لأن مؤلفه أراد إعطاء مدينة لغش الأولوية في استئناف بناء كل شيء بعد الطوفان.

وهذا النص، محفوظ اليوم في المتحف البريطاني.

---

(١) (Ur-Nanshé) حكم حوالى ٢٥٠٠ ق.م.
(٢) (Eannatum) حكم حوالى ٢٤٧٠ ق.م.
(٣) (Uru-Kagina) حكم حوالى ٢٣٥٥ ق.م.
(٤) (Gudéa) حكم حوالى (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤) ق.م.
(٥) (Ningirsu) هو اسم آخر لنينورتا حامي مدينة لغش وسيد مدينة جيرسو القريبة منها أو أحد أحيائها.
(٦) (Enlil) سيد مجمع الآلهة السومري.
(٧) انظر الملاحظة (٢) في نهاية النص.

العمود الأول

بعد الطوفان، لم تعد الزراعة مباشرة ولا الملكية

1 على الرغم من أن الطوفان كان قد جرف كل شيء،
ونشر الدمار على الأرض
فإن استمرار البشر بقي مؤمَّناً،
وذريتهم مصونة،
5 وكان بإمكان «ذوي الرؤوس السوداء» وقتئذٍ،
الخروج من جديد من طينهم
ولكن عندما، آنو[1] وإنليل[2]
دعيا من جديد البشر إلى وجودهم
وإذا ما كانا أسّسا أصول الحكم
والملكية، جوهرتي المدن،
10 فلم يكونا بعد عَمَدا إلى إنزالهما على الأرض!
ومن قبل نينجيرسو[3] فلا الفأس ولا المعزق،
ولا القفّة ولا المحراث التي من شأنها إحياء الأرض
لم تكن كذلك قد وضعت، بيد جمهور
الذين خلفوا البشرية البائدة.

البشر، يتناقص عددهم على الرغم من أعمارهم المديدة

في ذلك الوقت، كان البشر
يصلون إلى عمر مائة عام،

---

(١) (Anu) إلّه السماء.
(٢) (Enlil) إلّه الهواء والأمطار وسيد مجمع الآلهة في سومر.
(٣) (Ningirsu) هو اسم آخر لنينورتا وهنا بصفته سيد مدينة جيرسو وحامي مدينة لغش (Lagash).

15 وعندما كانوا يصلون إلى هذا العمر المتقدم
كان يتبقى لهم مائة عام أخرى!
إلاّ أنه بسبب عدم إنجازهم
الأعمال الضرورية
فإن عددهم كان يتناقص، ويتناقص كثيراً [. . .]
وفي الزرائب، بدأت الماشية
الصغيرة تنقرض!
20 ولما كانت لغش[١] ينقصها الماء آنذاك
فإن المجاعة انتشرت في جيرسو[٢]:
لأنه لم تكن الأقنية قد حُفرت بعد
ومجاري الريّ لم يكن يتم تنظيفها
ولا الشادوف كان يروي الأرياف الفسيحة.
25 وحتى لو كان الماء متوافراً بكثرة، فلم
يكن يستخدم في ريّ الحقول
لأنّ البشر كانوا يعتمدون فقط
على مياه الأمطار!
و(أشنان)[٣] الحبوب لم تكن إذنْ
تنتج الشعير ـ المبرقش:
لم تكن الأثلام قد شُقّت بعد
ولم تكن تعطي نتاجها
30 ولم تكن أي أرض قد شُغِلت

---

(١) (Lagash) عاصمة ملكية سومر الثانية (٢٢٠٠ ـ ٢١٠٠) وأشهر ملوكها هو چوديا (Goudéa).
(٢) (Girsu) تلّلو الحالية وتكاد تكون متصلة بمدينة لغش.
(٣) (Ashnan) إلّهة الحبوب، ورد ذكرها في كل من النصوص: رقم (٧) الكتاب الأول، ورقم (٤١) و(٥٤) من الكتاب الثاني.

لكي تعطي ثمارها!
ولم تكن المناطق ولا جمهور البشر
يقدمون للآلهة القرابين السائلة:
الجعة والخمر و[....]
35 والخمر ـ الحلو و[....]
وإنّهُ بغية توفير ذلك،
لم تكن الأرض المتسعة
تُشْغَلُ بالمحراث أبداً

(فقدان عشرة أسطر في نهاية العمود الأول).

العمود الثاني

العودة إلى الزراعة

48 الأقنية [....]
الحقول [....]
50 من أجل حفر الأقنية،
وتنظيف مجاري الريّ،
وإرواء الأرياف الفسيحة،
بالشادوف،
واستعمال الماء الغزير لإرواء
الحقول والمروج
56 وضع الآلهة تحت تصرف البشر
54 الفأس والمعزق والقفة والمحراث
55 التي تحيي الأرض!
ومنذ ذلك الحين بدأ البشر
بجعْلِ الشعير ينبت!

عند ذلك، وأمام أشنان[1] التي مازالت

فتية وحاضرة هنا، صبروا،

60 ليل نهار (صبروا)، والزمن اللازم

عليها سهروا!

وعند ذلك، أمام أشنان[1] المنتجة

للشعير ـ الذي ـ يُبذر،

سجدوا قبل مباشرتهم العمل.

أمام أشنان، منتجة الشعير ـ الآخِريّ،

65 إنهم [.....]

(يلي نقص حوالى عشرين سطراً في نهاية العمود الثاني ومن المحتمل أن النص يتابع خبر نزول الملكية من السماء قبل المباشرة بتعداد أسماء الملوك الذين حكموا في مدينة لغش بعد ذلك مع تضخيم فترات حكمهم كما هو الحال في لائحة ملوك سومر التي أراد هذا النص تقليدها).

وهكذا يتابع النص تعداد ملوك لغش مع الإشارة أحياناً إلى الحدث المهم الذي رافق بعض الملكيات. مثال ما ورد في السطر (١٠٧) بالنسبة لأحد الملوك:

107 في زمنه، لم تكن هناك كتابة بعد [...]

وتتوقف لائحة الملوك مع چوديا[2]. ومما يجعل هذا النص فريداً من نوعه، هو ما ورد في نهاية العمود الرابع بحيث يشير السطر (٢٠٠) إلى أن هذه اللوحة:

200 تمّ تأليفها في «بيت ـ الكتابة»[3]،

المجد لك يا نيسابا[4]

---

(١) تسمية (Ashnan) تعبّر هنا في الوقت نفسه عن إلّهة الحبوب القادرة على إنتاج شعير البَذْر، وعن حبوب الشعير.

(٢) (Gudéa) حكم في لغش حوالى (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤).

(٣) التعبير السومري هو (E.dub.ba) وهو يعني هنا «أكاديمية» المثقفين وتستعمل التسمية نفسها بالنسبة لمدارس تعليم الكتابة كما سيرد ذلك في الفقرة (٣ ـ ١) من هذا الكتاب حول مدارس سومر.

(٤) (Nisaba) أو نيدابا هي الإلّهة المشرفة على فنّ الكتابة.

(١ ـ ٣) ـ نينورتا المنتصر
ودوره الحضاريّ

١ ـ ذكرنا في الفقرة الأولى من هذا الكتاب أن الإلّه نينورتا وهو ابن إنليل كان «فلاحاً للآلهة» قبل أن يصبح إلّهاً محارباً ومنتصراً. وقد أعلمنا النص رقم (٩) من الكتاب الأول أنه «الملك الذي أعلن إنليل عن اسمه»، وفي مملكته وبفضله، تتكاثر الماشية ويسيل في المجاري ماء منعش يروي الحقول حيث ينبت الحَبّ المكتنز وبفضله كانت الأسماك تمور في المستنقع وينمو القصب في الأهوار ويعلو في السهول شجر الطرفاء وتطفح البساتين المروية «حلاوةً وخمراً».

وهذه الصفات الحضارية التي جعلته يسهر على تربية الماشية، وبالريّ يخصب تربة البلاد، حافظ عليها نينورتا المحارب.

٢ ـ وعن شخصية هذا الإلّه، كما عرفنا عنها في الكتاب الثاني، فإن نينورتا المحارب، كما ورد ذلك في النص رقم (٦٢) يبني شهرته ويحقّق ببطولته وشجاعته، عودة الكون إلى توازنه الطبيعي، بعد أن أخلّ به الطائر الغريب «أنزو»[١]، يوم سرق من إنليل «لوحة الأقدار» وهي أساس السلطات وحسن سير الكون، وهرب بها إلى الجبل.

وبمجابهة نينورتا للطائر أنزو والانتصار عليه أنقذ جميع الآلهة، وأنقذ بشكل خاص حكم أبيه إنليل، فارتفع بذلك شأن نينورتا بين الآلهة وخُصّصت له المعابد والهياكل في كل مكان.

(١) (Anzu) الطائر الأسطوري الذي انتصر عليه نينورتا.

٣ ـ والانتصار على الطائر أنزو ومعاقبته على خيانته، لم يكن المأثرة الوحيدة التي حققها نينورتا المحارب، فهناك نص آخر نقدّمه من ضمن هذه الفقرة يجمع بين نينورتا، بطل المهام الصعبة التي تتطلب الشجاعة والبأس، ونينورتا الذي يبتدع المحراث ويُقيم سدود تجميع مياه الريّ ويحقّق حماية المدن من الفيضانات ويجعل البساتين تملأ السفوح المدرّجة وذلك بعد إخضاع المنطقة الجبلية «المتمردة» التي يسكنها «شعب الحجارة».

٤ ـ وبالإضافة إلى الاهتمامات الحضارية أعلاه التي شغلت نينورتا في المنطقة الجبلية بعد إخضاعها، فإنّه يهتم بصخورها وأحجارها، العادية منها والكريمة، يبارك بعضها ويلعن بعضها الآخر، مقدّماً لنا عن «شعب الحجارة» هذا، تصنيفاً يكاد يكون علمياً حين يتطرّق لمواصفات هذه الأحجار ويقرر لها مصيرَ استعمالها. وهذا ما سيتضح من تفاصيل النص رقم (٧٩) الذي نقدّمه من ضمن هذه الفقرة، كما نستكمل عرضنا لشخصية نينورتا بهذه المناسبة.

٥ ـ نينورتا بن إنليل، يرتبط بشكل طبيعي بمدينة نفّر، مقر أبيه، ويعود إليها بعد الانتصار ليتلقى التكريم والتمجيد، وفقاً لما تستحق بطولته. ولكنّه في النص رقم (٧٩) المشار إليه أعلاه يعود إلى نفّر مستقلاً سفينته ومارّاً قبل ذلك بمدينة لغش[١] حيث يحكم «الملك» الذي يُعتقد بأنه چوديا[٢]، الملك الذي من أجله أقدم نينورتا على تنفيذ مشروعاته في المنطقة الجبلية لكي «تنعم أطراف الأرض» التي تقع تحت حكم تلك البلاد «بأفضال الإلّه نينورتا».

٦ ـ ونحن نعلم أن ملكية لغش الثانية، أطلقت على نينورتا لقب نينجيرسو[٣] وكرّمته إلى جانب قرينته باوا[٤] وشقيقته الإلّهة الشهيرة أور ـ نانشي[٥]. كما اشتهرت أيضاً في مدينة لغش الإلّهة نيسابا[٦] وقامت هي أيضاً إلى جانب أور ـ نانشي بدورها

---

(١) (Lagash) المدينة السومرية التي اشتهرت خلال ملكيتها الثانية حوالى (٢٢٠٠ ـ ٢١٠٠) ق.م. وهي تقع بالقرب من مدينة جيرسو (تللو الحالية).

(٢) (Gudéa) حكم في لغش خلال (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤) ق.م. وهو أشهر ملوكها.

(٣) (Ningirsu) اسم آخر لنينورتا بوصفه سيد مدينة جيرسو التابعة لمملكة لغش.

(٤) (Bawa) قرينة نينورتا في لغش.

(٥) (Ur-Nanshé) الإلّهة المشرّعة في لغش والتي تسهر على صون حقوق اليتيم والأرملة.

(٦) (Nisaba) معروفة كإلّهة للكتابة وتشير نصوص لغش إلى قوانين نيسابا.

الحضاري والتشريعي. ونيسابا، هي التي يكلفها نينورتا بعد انتصاره على الجبل بالإشراف على ما حقّقه من مشروعات.

٧ ـ ومن ضمن هذه الفقرة أيضاً عن نينورتا المنتصر، نقدم نصاً ثانياً لا يقل شهرة عن نص إخضاع «شعب الحجارة» مع أنه لا يصف لنا أيّة معركة ولكنه يشير إلى عودة نينورتا المظفّرة إلى مدينة نفّر دون المرور في لغش، غير أنه يعود في هذه المرة على عربته محمّلاً بالغنائم وجارّاً معه الأسرى والتقدمات تكريماً للآلهة التي حققت له النصر.

وهكذا فإننا نترك للنصين التاليين:

النص رقم (٧٩) ـ نينورتا يُخضِعُ شعب الحجارة.

والنص رقم (٨٠) ـ عودة نينورتا إلى نفّر،

أن يعرّفانا بشخصية الإلّه نينورتا ومآثره الحربية والحضارية.

(٧٩) ـ نينورتا يُخضعُ
«شعب الحجارة»

١ ـ في هذا النص، يَصْدُرُ الإلّه المنتصر نينورتا، مباشرة عن الأزمنة الميتيّة (الميثولوجية)، عندما كانت الصخور والجبال تمثل أشخاصاً محاربين يجب إخضاعهم. سلاحه هو «شارور»[1] كما يسمّيه النص وهو سلاح سحريّ، يتكلم مع سيّده، يراقب أرض المعركة، يحذّر وينصح. ومعنى شارور هو «حاصد الآلاف». والمعركة التي يخوضها نينورتا وقعت في المنطقة الجبلية «المتمردة» في الشرق وفي الشمال الشرقي من البلاد.

يُعتقد أن التأليف بصدد نينورتا، يعود إلى الفترة المعاصرة لجوديا ملك لغش. إلاّ أن النصوص التي سنعرضها هنا، تحملها لوحات وأجزاء لوحات عديدة، تعود في أبعد حدّ إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد أي حوالى ١٧٠٠ ق.م.، وجدير بالذكر أن ثلثي الأجزاء المكتشفة وعددها مائتان، تحمل نصوصاً سومرية، ويضيف إليها الثلث الباقي، تكملات، هي ترجمات إلى الأكادية عن أصولها السومرية. ونحن نعلم أن شهرة نينورتا وشعبيته وأهمية منجزاته جعلت الكتابات بصدده تستمر حتى الفترة السلوقية.

٢ ـ القصيدة الملحمية التي نحن بصددها، تتوزّع على سِتّ عشرة لوحة، وتحمل نصاً ضافياً، غنياً بمعانيه، ويمتاز بأسلوبه الخيالي والرؤيوي، ويروي من خلال ٧٢٩

---

(١) (Sharur) سلاح نينورتا السحري.

سطراً، قصة ثورةٍ جبلية وإخمادها من قبل نينورتا، وما نتج بعد ذلك عن النصر، من تعيينٍ للأقدار وتوزيع للمصائر. المنطقة الثائرة، هي المنطقة الجبلية، التي يسكنها الرجال ـ الأحجار، شعب الأحجار وكافة أنواع الصخور، التي كانت تحتاج إليها بلاد ما بين النهر، الأحجار العاديّة والأحجار الكريمة. ولا غرابة في ذلك، في بلد الطمي والصلصال والقار.

العدو الرئيسي الداعي للتمرد، «يكاد يكون إلّهاً»، كما يقول عنه النص هو أساكّو[١] الرهيب والمرعب، زعيم ثورة الجبل وثورة الحجارة.

٣ ـ في بداية النص، نرى نينورتا، مع آلهة آخرين، يمارس دوره الإلّهي في الإيكور[٢] معبد أبيه إنليل[٣] وذلك في مدينة نفّر[٤] على ما يظهر.

تأتي بعد ذلك، أخبار العصيان، ينقلها شارور ـ السلاح الحامي لنينورتا ـ العصيان في المنطقة الجبلية، «الجبل»، الذي يحرّكه عنف ومكر العدو الرهيب، الأساكو، ضد ما بين النهرين، ضد البلاد.

وعلى الرغم من إسراع نينورتا إلى توجيه ضرباته إلى جزءٍ من المنطقة الجبلية، فإن التمرد بقي مستمراً. ولذلك يقرر نينورتا صرع الأساكّو بالذات، العدو الماكر والرهيب، مما جعل شارور، السلاح الحامي، ينصح سيّده بعدم الإقدام على هذه المعركة، خوفاً عليه، وجعل الآلهة ترتجف خوفاً حين لم يبدّلْ نينورتا رأيه وحين توجه للقاء عدوّه الذي شنّ عليه هجوماً ضارياً، حتى أن إنليل شخصياً تملكته الخشية على نينورتا.

وبسبب هذا الهجوم، قَدِمَ شارور إلى إنليل وروى عليه خطر المعركة، طالباً مساعدته، مما حدا بإنليل إلى استخدام العاصفة ضد أعداء نينورتا، بوضعها تحت تصرفه، وتوجيه رسالة تشجيع وتفاؤل إلى ابنه بواسطة السلاح شارور.

٤ ـ بشنّ نينورتا عندئذٍ، هجوماً أخيراً ينتهي بالتحام جسدي، بين البطل وعدوه

---

(١) (Asakku) نوع من الوحش العملاق الذي ولدته الأرض حين أخصبتها السماء وهو بدوره ولّد باتحاده مع الجبل اتباعه من مختلف الصخور.

(٢) (E.kur) بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر.

(٣) و(٤) (Enlil) و(Nippur) وردتا في الشروح السابقة.

ينتصر فيه نينورتا ويحوّل آساكّو إلى حجارة وتصبح تسميته الجديدة «زالاقو»[1] وهنا بمعنى منجم استخراج حجارة متسع وعميق، يمتد عمقه حتى مملكة العالم السفلي. ثم يكرّم نينورتا سلاحه ويباركه ويباشر بعد ذلك، مجموعة مهمّة من الأعمال المائية، تتعلق ببناء السدود وحجز مياه الجبال الناتجة عن ذوبان الثلوج، كما يهتم بأعمال الريّ والزراعة...

٥ ـ ولأنه رفض أن تتبعه أمه نينماخ[2] إلى المنطقة الجبلية، فأغضبها، ولأنه حين عاد منتصراً ومرّ أمامها معتزاً بنصره، لم يوجّه إليها نَظَرَهُ، مما اعتبرته إهانة لها، بسبب كل ذلك، فإن الملكة ـ الأم نينماخ، ذهبت لرؤية نينورتا، قاصدةً أن تواجهه بإساءاته. ولكن نينورتا، يستقبل السيدة النبيلة بكل احترام وحفاوة، ويعلن لها: لأنها أرادت الالتحاق به حتّى إلى المنطقة الثائرة، في وسط أهوال وفظاعات الحرب، إلى ذلك الركام من المقاتلين الحجارة الذين أطاح بهم وكدّسهم. فأصبح بذلك اسم المنطقة الثائرة «خورساج»[3] ولهذا فقد قرر نينورتا أن يتحول اسم نين ـ ماخ إلى «نين ـ خورساج»[4] كما يقرر أن تنتج الجبال في مدارجها وفي بساتينها، الأعشاب العطرية والتابلية والثمار من أجل نيخورساج، وأن تُستخرج منها معادن النحاس والقصدير وأن تُقدِّم الجزية، ويتكاثر فيها الدواب من أجل الملكة ـ الأم التي تعادل آن[5] سمواً.

٦ ـ تتدخّل بعد ذلك الإلّهة آرورو[6] أخت إنليل، وتطلب من نينورتا تقرير مصير الشعب الحجري الذي تغلّب عليه، وهنا يستعرض النص عدداً كبيراً من الأحجار محدداً لكل منها دوره ومرتبته. ومن بين ما يشمله هذا التعداد: حجر «أو»[7] والأحجار البركانية، والديوريت، والشاذنج (حجر الدم) والحجر الكلسي الأبيض،

---

(١) (Zalaqu)، عربياً: الأرض الزَلَقُ هي الأرض الملساء ليس فيها شيء، والزَلقة هي الصخرة الملساء. ونرى هنا، كأنّ الانتصار على الأساكّو، الجبل الصخري، كان يعني الحق باستخراج الحجارة منه وفتح المقالع.

(٢) (Nin-maḫ) والدة نينورتا ومعناه السيدة الفائقة السمو.

(٣) (Ḫur-Zag) التسمية السومرية للجبل وهي موازية لتسمية (Kur) كور.

(٤) (Ninhursag) بمعنى سيدة الجبل.

(٥) (An) إلّه السماء السومري.

(٦) (Aruru) إلّهة ـ أم، أخت إنليل وقد شهدنا لها دوراً في «زواج إنليل من سود» النص رقم (٣) من الكتاب الأول.

(٧) الحجر (U) يشير النص إلى صلابته واستعماله.

والمرمر، والعقيق، والعنبر والصّوان وأحجار كثيرة أخرى...

وبعد هذا الاستعراض الطويل الذي يستغرق حوالى ثلث مجموع النص والذي يعاقب بموجبه نينورتا الأحجار التي حاربته ويقرر مصيراً نبيلاً للأحجار التي حافظت على ولائها له.

٧ ـ ينتقل النص بعد ذلك إلى مشهد ذهاب نينورتا على ظهر سفينته لزيارة معبده في لغش، ترافقه قرينته «باوا»[١] ويشتمل النص على ذكر لملك دون تسميته، وقد يكون چوديا ملك لغش المعروف. يبارك، بعد ذلك إنليل ابنه نينورتا ويتم ذلك في لغش أو في نفّر. وينصِّب إنليل نينورتا سيداً على المنطقة التي وسّعت «البلاد» بفضل نصره.

٨ ـ وهنا يأتي دور الإلّهة نيسابا[٢]، المرأة المقدسة، الجزيلة الحكمة والسامية أينما حلّت. فإلى الإلّهة نيسابا، يعهد نينورتا إدارة كل ما صنع وكل ما أدخل لخير البلاد. وتحتوي نهاية النص على تمجيد جميل لشخص الإلّهة نيسابا، التي كانت في الوقت نفسه حامية الحبوب وسيّدة فنّ الكتابة.

٩ ـ أما ختام النص، فيعود باقتضاب، لنينورتا، سند أبيه إنليل مشيداً بعذوبة الاحتفال به وتكريم اسمه. وتعلن الجملة الختامية: «هذا نشيد شير ـ سود[٣] تمجيداً لنينورتا». ومنذ زمن تأليفه وإعادة نسخة ونقله إلى الأكادية، كان هذا النشيد يُعرف بمطلعه المختصر: «لوچال. إي» ومعنى كامل المطلع هو: «نور ساطعٌ وبهيّ! ملكٌ هو!».

اللوحة الأولى

التقديم بمديح نينورتا بطل القصيدة الملحمية

1 ملك هو! نور ساطع وبهيّ!

نينورتا! الأول، ذو العزم الذي لا يُضاهى!

أنت وحدك، طوّعت الجبل!

---

(١) (Bawa) قرينة نينورتا التي تألّقها مثل النهار.

(٢) (Nisaba) معروفة كإلّهة الكتابة وتشير نصوص لغش إلى القوانين السومرية بأنها قوانين نيسابا.

(٣) (Shir-Sud) نغم موسيقي على الأرجح وقد يكون وزناً شعرياً.

أنت الجائحة! التنين العنيد
تنقضّ على المنطقة الثائرة!
أيّها البطل الجاهز دوماً للهجوم بعزم!
5 أيها الإلّه ذو الساعد القوي
القادر على إشهار السلاح القاتل،
السلاح الذي يحصد كالسنابل رؤوس المتمردين!
أي نينورتا! أيها الملك! الابن الذي يُسْعِدُ
بهيبته قَلْبَ أبيه!
أنت البطل الذي لفّ الجبل كريح الجنوب!
نينورتا المتوَّج بقوس ـ قزح والذي
تبرق عيناه!
10 إنّه وليد الأمير ذي اللحية الزرقاء
الغزيرة التقاصيب!
إنه كالأسد قوّة وكالثعبان يلدغ بلسانه
وكالإعصار المتفجر!
نينورتا! السيد الذي نصّبه إنليل بنفسه
عالياً جداً!
أنت البطل الذي ألقى على أعدائه
شباك المعركة!
نينورتا! ظلّك الرهيب ينتشر
على البلاد،
15 أنت الذي جعلت المنطقة المتمردة تغرق
في الظلام، وطوَّقت جيوشها!
ياذا السيادة، يا نينورتا! أنت الابن الذي ينشر
بعيداً عبادة أبيه!

أخبار ثورة الجبل يحملها شارور سلاح نينورتا السحري

عندما كان نينورتا في ذلك اليوم
جالساً على عرشه السامي، ينبعث
منه نور خارق للطبيعة،
حيث كان يشهد بارتياح وبهجة
احتفالاً على شرفه،
وحيث كان مع آن يتنافس على
تجرّع الشراب اللذيذ!
20 بينما كانت «باوا»[1] تتمتم باحترام
صلواتها من أجل الملك
وبينما كان يستعدّ ابن إنليل لتقرير المصائر،
هذا هو شارور[2] بعد أن رفع بنظره
إلى الأعلى نحو الجبل
هذا هو سلاح نينورتا السحري
يصيح متوجهاً نحوه:
«أيها الإلّه، صاحب المركز الأسمى بين
جميع الملوك!
25 أي نينورتا ياذا الكلمة الثابتة التي لا تتبدّل،
والقرارات التي لا تتقادم.
أي مليكي! عندما قامت السماء بتلقيح
الأرض المخضوضرة
ولدت هذه «الآساكو»، المحاربَ الشرس الجلف،
دونما حاجة لمرضعةٍ (إضافية)،

---

(١) (Bawa) قرينة نينورتا في مدينة لغش.
(٢) (Sharur) سلاح نينورتا السحري، الذي حوله الخيال الأسطوري إلى إنسان محارب بيد نينورتا وتحت أوامره وحامياً له.

رضعَ حليب أمه الأرض المقوّي.

لم يقم أي أب على تربيته!

إنه هو بذاته مجرم الجبل:

30 إنه الملتحي الجَسور، ذو الوجه العدواني

الذكر المتعجرف، المعتزّ بعرض منكبيه

ولكنّي أنا، أيها البطل وكأنني الثور

سأكون حليفاً لك!

شارور يندّد بشعب أحجار الجبل

يا مليكي، أنت الحليم في مدينتك

والأكثر براعة في نظر أمك،

إعلم أن الآساكّو باقترانه مع الجبل

أنجب ذرية من الحجارة وافرة العدد

35 وبالإجماع، نادوا بالحجر «أو»[١]

ملكاً عليهم

(الحجر) الذي كان يشهر عالياً بينهم

قرنيْه كأنه ثور عملاق!

إنه «المرمر» الحجر المحبّ للحرب، يا نينورتا،

هو الذي بدأ بتخريب مدن الجبل

وذلك بالاتفاق مع «سو»[٢] و«ساج ـ كال»[٣]

والديوريت [. . .] والشاذنج، حجر الدم!

وهذه المدن هدّدها الآساكّو بأنيابه

---

(١) الحجر (U).

(٢) الحجر (Su).

(٣) الحجر (Sag-Kal).

(١) و(٢) و(٣) أسماء أحجار نثبتها هنا كما وردت في النص.

أنياب القرش، في الجبل الذي خرقه،
40 بينما كانت آلهتها الكثيرة العدد تخضع له،
(تخضع) أمام هيمنته!
وتلقائياً ودون أي تردد
نَصَب لنفسه عرشاً فيها
حتّى أنّه ادّعى الفصل مثلك، بسمو
وسيادة، في قضايا البلاد
دون أن يجرؤ أحد على المناوأة أمام بريقه
الخارق للطبيعة!
ودون أن يتمكن أحد من معارضةِ جرائمه الشنعاء:
45 لأنهم، جميعهم، أمام رهبته
كانوا يرتجفون رعباً!

اللوحة الثانية

وحين أدار هذا الآساكّو نظره نحو الجبل،
خصّص له الهدايا وأمر بحملها إليه بقصد استمالته:
وبسبب ذكرى والدك، فإليك
أنت يا نينورتا وجّه (الجبل) نداءه!
ومن أجل فعاليتك التي لا تضاهى، سعى إليك:
50 طلب معونتك لأنك كلّي القدرة
معلناً أنه نسْبةً إليك
لا اعتبار لأي بطل!
ولكن بعد الكثير من النزاعات الداخلية
غُلب (الجبل) على أمره
وقام (الآساكّو) بالتآمر معه
للاعتداء على سيادتك

كما قرر أن يدّعي لنفسه السلطات
التي حصلت عليها في الأبسو![1]
55 وجهه، كان ينشر الرعب في كلّ
مكانٍ يحلّ فيه
ولم يتوقف في كل يوم عن ضمّ مناطق جديدة!
ومع ذلك، عليك أنت في نهاية الأمر
أن تفرض عليه الخضوع للآلهة،
أيّها العَنْز السماوي، أنت مَنْ تطأُ الجبل بحافرك:
إذْ لا أحدٌ قطّ يمكنه مقاومة
نينورتا، ابن إنليل!
60 إلا أنّ الآساكّو، الهائج والمقتدر
لم يكن يخضع لأية مراقبة:
لم تكن هناك سوى أخبار جيوشه
حتى قبل مشاهدة جنوده!
هائلة كانت قواه:
ولا سلاح كان يستطيع زعزعته!
لا المصدمة ولا السهام التي لا تُقَاوم
لا تترك عليه أثراً
أنتَ لم تقاتل قطّ
خصماً أكثر عدوانية منه!

شارور يبدي تخوّفه

65 أيّها الإلّه الذي تلقّى بملْء يديه
السلطات الرفيعة،

---

(١) (Apsou) مقر أنكي إلّه المعرفة ومهارة الصنع وهومحيط المياه الباطنية التي تطفو عليه الأرض.

يا بَهاء الآلهة وجوهرتهم،
الثور المبني كالأُرْخُصِ
ذي الصلب المتين والكثير الذكاء
يا نينورتايَ، الذي كان أنكي بنفسه
ينظر باعجاب الى قامتك
ماذا علينا أن نعمل يا إلّهي «الأوتا ـ أولو»[1]
يا ابن إنليل؟

ردّ فعل نينورتا ومعركته الأولى ضد ثورة الجبل

70 عند ذلك، أطلق الإلّه صرخة،
اهتزّت لها أسس السماء
والأرض تكبكبت على قدميه،
حتى أن إنليل بذاته، تملكه الخوف وهجر
الإيكور[2] مضطرباً
حتى أن الجبل تشقّق والسماء أظلمت
وارتجف الآنونّا!
ضرب (نينورتا) بقبضته على فخذه
وإذا بالآلهة يلوذون بالفرار:
كمثل الخراف، تشتّتت الأنونّا بعيداً!
75 واقفاً، لامس نينورتا السماء
وعندما توجّه نحو المعركة
كانت كل خطوةٍ من خطواته، تبلغ خمسين فرسخاً!
وحين مشى نحو المنطقة العاصية

(١) (Uta-Ulu) الصفة السومرية لنينورتا ومعناها «العاصف» ووردت أيضاً بصيغة أوتو ـ أولو (Utu-Ulu) في السطر ٦٨٣.
(٢) (E.Kur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد إنليل في مدينة نفّر.

كالعاصفة المكتسِحة
رَكِبَ الرياح الثماني!
أمسك بيديه السيف،
وسلاحه الفتّاك
كان يهدِّد الجبل بفمه الفاغر
80 بينما كانت هراوته تجابه أعداءه!
وعندما قَبَض على الإعصار والعاصفة
كلّفهما (بإحداث) الجائحة!
وتلك كانت بضخامتها التي لا تقاوم
تستفحل في مقدّمة البطل!
تُحرِّك غبار الأرض وتعيده إليها
85 كانت تملأ التجاويف وتسوّي كل شيء،
كانت تمطر جمراً وتلهب البرق
لتلتهم البشر بكل نار
كانت تقتلع أعلى الجذوع وتكتسح الغابات.
والأرض كانت تبقر أحشاءها
وتطلق صراخاً حاداً،
ونهر دجلة كان يدوّم هائجاً
موحِلاً ونتناً!

اللوحة الثالثة

90 عند ذلك، وعلى سفينته «ماكار نونتا ـ إي»[١]
بلغ نينورتا مسرعاً أرض المعركة
وكان الناس في ذعرهم يصطدمون بالجدران

(١) (Makarnuntaé) تسمية سفينة نينورتا.

ومهما كانت الطيور تحاول الاندفاع،
فإن أجنحتها كانت تنجرّ على الأرض،
والأسماك إذْ أحرقتها حرارة غمرها
كانت تتلقّف الهواء بأفواهها.
وتَحوَّلَت دواب السهوب إلى حَطَب للحرق،
وتحمّصت كأنّها الجراد.

95 كان ذلك كفيضٍ مكتسحٍ
يبيد الجبل!
في تلك المنطقة الثائرة، كان نينورتا
مُجليّاً (في ردّه):
قتل رُسُلَها ودمّر مدنها
قضى على رعاة أبقارها مثل فراشات تتطاير،
أوثق أيدي الثائرين كما تُعْصَب حزم الأسَلْ،
100 إلى حدٍّ جعلهم مرعوبين يصدمون
بالجدران رؤوسهم!
لم يعد هناك في الجبل أي بصيص نور:
حيث كانت الأعناق تشرئبُّ والناس يلهثون
وكان المريضون يشدّون بسواعدهم على صدورهم
وهم يلعنون بلدهم،
105 ويعلنون يوم نحسٍ، اليوم
الذي رأى ولادة الآساكّو!
سكب الإلّه السمَّ على المنطقة الثائرة:
فيما كانت السوداء والغضب يطغيانِ على قلبه!
ارْتَفَعَ كالموجة الهائلة
وانقضّ على أعْدائه المجمّعين!

وهكذا لبّى (نينورتا) طلب سلاحه
ذي ـ رأس الأسد

شارور يراقب الجبل من جديد ويبلّغ سيّده

110 عند ذلك حلّق شارور كأنه
طائر، وحطّ على الجبل.
نَشَر جناحيه فغطّى المتمردين،
حوّم في السماء فوق كل مكان
لتفحّص الوضع.
شارور الذي لا يعرف الكلل، هذا المهيّجُ
للجائحة دونما هوادة،
نقل إليه الأخبار.
115 ما الذي نقله إذن إلى نينورتا
عن الوضع فوق الجبل؟
أعاد على مَسامِعِه كلمة بكلمة
قرارت سكان الجبل
وكشَفَ لسيده عن نواياهم
وشرح له بكل وضوح،
ما قيل له بخصوص الآساكّو:
قال له بكل إلحاح «أيها المحارب خذ حذرك»،
120 فيما كان يحضنه بين ذراعيه(؟) لأنّه كان يحبّه،
هذا ما قاله شارور السلاح ـ السحري
إلى الإلّه نينورتا:
«أيها البطل، يا سيد الأربطة وشِباك القتال
يا سيد السلاح السماوي، دون منازع
السلاح الذي لا يمكن للعدو تحاشي صدامه

أنت الزوبعة المكتسحة التي تمسح المنطقة المتمردة
وتغمر حصادها

125 أَرَدْتَ دخول المعركة، فهزمت أكثر من واحد(؟)!
جمِّع الجثث(؟) بشبكتك واجعلْ منها[. . .]
ثم طهّر سيفك وهراوتك أيها الإلّه
السماوي المعتصر (لأعدائك)
فهذه هي يا نينورتا، لائحة المحاربين
الذين أطحت بهم:
الكولي ـ أنّا[1] والتنين والجصّ(؟)

130 والنحاس ـ المقاوم والمرتزق، والأُروية ـ
ذات ـ الرؤوس ـ الستة،
والماجيلوم[2]، والسيد سامان ـ آنّا[3]
والثور الوحشي والملك ـ النخلة،
والأنزو[4] والحية ـ ذات الرؤوس السبعة ـ
هؤلاء جميعهم أنت في الجبل تغلبت
عليهم يا نينورتا!

135 ولكن عليك ألاّ تنجرّ لمجابهة الأساكو
في معركة هي بدورها أهمّ بكثير:

---

(١) (Kuli-anna).
(٢) (Magilum).
(٣) (Saman-anna).
(٤) (Anzu): الطائر الغريب الشكل الذي انتصر عليه نينورتا، راجع النص رقم (٦٣) من الكتاب الثاني.

اللوحة الرابعة

شارور يحاول إقناع نينورتا بعدم خوض المعركة ضد الآساكو

توقف عن مقارعة السيف، لا تشترك
في «عيد ـ الرجال» في رقصة إنانّا!
لا تتسرع في خوض معركة ضخمة كهذه:
توقف عن القتال!
لأن الآساكّو، كان بالفعل
ينتظر على الجبل!

140 أيها البطل المتوّج بشكل رائع!
يا بكرَ إنليل الذي منحته ننليل نِعماً لا تنتهي،
أيّها السيد الحقيقي
سليل الحَبْر الأعظم والكاهنة ـ الكبرى!
البطل ذو القرنين المبسوطين كقرني هلال
أنت الذي تضمن حياةً مديدة لِسيّد البلاد

145 أنت الذي، بسبب قدرتك الفائقة والخارقة
للطبيعة، تفتح بوابات السماء!
أنت المدّ العالي الذي يغمر الأرض!
نينورتا، أيها الإلّه الرهيب الذي
انقضّ على الجبل،
أيها البطل الجليل الذي لا مثيل له،
هل بإمكانك عندئذٍ أن تتحمل صدمة الآساكّو؟

150 لا! لا توجّه يا نينورتا
جيوشك نحو الجبل!

نينورتا يرفض التحذير ويقرر خوض المعركة

ولكن نينورتا البطل، ابن أبيه وفخره
الجزيل ـ الحكمة، وليد الفكرة السامية
الإلّه نينورتا، ابن إنليل، المتفوق
ذكاءً، الإلّه النافذ البصيرة(؟)،
رفع ساقه وامتطى حصانه الأَخدريّ
155 والتحق بجيوشه
فنشر على الجبل ظلاً لا حدّ له
وضدّ السكان جعل [...] ترتفع
وحين بلغ الحدود [...]
وعلى رأى محاربيه (؟) اجتاز المنطقة المتمردة
160 ثم أصدر أمره لسيفه
فجاء هذا من تلقاء نفسه
ليستقر على جنبه
ثم أمر هراوته، التي انزلقت تحت زناره
وبعد ذلك، وبعنفوان، أخذ طريقه
[نحو] أرض المعركة، فجمّد
رعباً السماء والأرض.
أعدّ الرمح والترس
فانهار الجبل واندكّ
أمام ثقل جيوش نينورتا الجاهزة للحرب!
165 وعندما وضع البطل هراوته في مكانها(؟)
غادرت الشمس موضعها وانسحب القمر،
عمّ السواد وصار اليوم مظلماً كالقار،
فيما كان (نينورتا) يتقدم نحو الجبل.

هجوم الآساكّو

عند ذلك، وعلى جبهة القتال
اندفع الآساكّو ضدّه
جاراً إليه السماء ليستخدمها
ككتلة سلاح!
170 كان يزحف على الأرض وكأنه ثعبان،
ثمّ مثل كلب مسعور، كان ينقضّ،
يتقطر العرق من جانبيه.
ومثل جدار ينهار، سقط على نينورتا
مطلقاً صراخاً أجشّ،
كما هو الحال في يوم العقاب!
175 ومثل أصَلَةٍ كان فحيحه يملأ الأرجاء!
جعل مياه الجبل تشحّ
واقتلع منه نبات الطرْفاء،
ثم مزّق جسد الأرض
وغطّاه بجروح وحشية
أشعل النار في المقاصب، وإذا بالسماء
يغطيها الدم
اخترق بسهامه الأجساد وشتّت السكان:
180 ولم يعد يملأ الحقول غير الرماد الأسود
واحمرّ الأفق مثل الأرجوان.

اللوحة الخامسة

الآلهة يتملكها الرعب

ومن شدّة خوفه قعد آنو القرفصاء

ممسكاً بطنه بيديه
وانزوى إنليل مرتجفاً في إحدى الزوايا
والأنونّا كانوا يزدحمون ملتصقين بالجدران
185 بينما كان المعبد بكامله ينوح
مذعوراً مثل يمامة
وبدأ إنليل الجبل ـ الكبير، يصرخ
متوجهاً إلى ننليل:
«من إذن يا قرينتي سوف يكون سندي
إذا لم يعد إليّ ولدي؟
الإلّه نينورتا فخر الإيكور
القيد النبيل المفروض (على الأعداء)
من قِبلِ أبيه،
شجرة الأرز التي جذورها في الأبسو
والتي تحمل أغصانُها الظلَّ متسعاً،
190 إبني، وسندي وعزائي، إذا ما اختفى،
فمن الذي سوف يأخذ بيدي؟
لأن شارور، السلاح الأمين
والطيّع لإلّهه وسيّده،
كان قد قدم إلى نفّر ونقل إلى إنليل
واقع الخطر الذي كان يتعرّض إليه نينورتا:
إنها لزوبعة غاضبة في الجبل، وكنسيج
سوف تلف ابن إنليل، ومثل شجرة
سوف تهزّه
195 [الآساكّو؟...] سوف يلويه والإلّه [...]
[وكذلك] توجّه شارور [بهذه الكلمات] إلى إنليل:
[أي إنليل الجليل...]، الآساكّو [...]

فقدان 13(؟) سطراً

210 [وأجابه إنليل...]

سطران غير مقروئين

[...] وَجَّهتُ نظري [...]

حيث لا يلج النور

[...] إلَهك احتفظ بك(؟) [...]!

215 ونينورتا، وهو واثق من نفسه [...]

سوف يعود لنفسه بعد الجائحة،

عندما تكون المياه قد جفّت

مثلما تجف تحت الشمس

وهو منفرج وفرح [ولدي]، وعزائي

سوف يعود لنفسه ويتنفّس (الصعداء)!

على أعداء نينورتا، سوف أدفع

بالأعاصير الرهيبة.

وهو الذي صمد [أمامه] الجبل

مع الإعجاب بقوته في الوقت نفسه

220 [هذه هي إذن] تعليماتي، فانقل

إليه هذه الرسالة:

إنليل يوجه لنينورتا رسالة تشجيع مع شارور

[«نعم! إن رجالي] سوف يحتفظون بعددهم:

ولن تغمَر المياه الذين

هم صراحةً بجانبي!

وعندما تذهب الرياح بالحقول

لن ينقص عدد السكان!

وهو، نفسه [...] لن يحرمني من ذريتي

ولن يبيد كلَّ تلك الأنواع
التي خلقتُها وضمنتُ استمرارها!»

شارور ينقل رسالة إنليل ونينورتا يقرر الهجوم بعد هذا التشجيع

225 وحين اطمأنّ شارور، السلاح السحري
ضرب بقبضته على فخذه
ثم عاد مسرعاً إلى المنطقة المتمردة
ليحملَ فَرِحاً الرسالةَ إلى الإلّه نينورتا:
«هذا هو يا مليكي، ما قاله لي
أبوك إنليل الذي يحبك:
بينما تنقضّ الجائحة الممتلئة سماً على العدو،

اللوحة السادسة

230 سوف يمسك نينورتا الآساكو من كتفه
وسوف يبقر كبده!
بعد ذلك، سيعود ولدي إلى الإيكور
وسوف يحتفل رعاياي إلى الأبد، كما ينبغي،
بِقُدْراتِكَ يا نينورتا!»
امتثلْ إذن لأوامر أبيك يا سيدي
لا تتمهّل، يا قدرة إنليل المهيبة!
235 أيتها العاصفة تهبُّ على المنطقة المتمرّدة،
أنت الّذي يمكنه تحويل الجبل إلى حَشَرات
هيّا، دون تمهّل، يا نينورتا، يا بطل إنليل!
على سُوره (المصنوع) من التراب المدكوك، نَصَبَ
الآساكّو موانع الاقتراب (الحادة الأسنان)
وأصبح بذلك حصنه عظيم المناعة!

الـ [...]، لم تُهمِدْ غَضَبه قطّ،

240 و[...] ـه لم ترتفع!

وفي المقدّمة قذف ضدّك

الـ [...] الذين لا يعرفون [...]

والريح ـ الشريرة [...]، بَاشَرَ بالتقدم [...]

وسوف يتوجبُ عليك يا مليكي أن تلجأ في [...]

إلى الالتحام الجسدي وإلى الأربطة(؟)!»

أدار نينورتا عند ذلك، نحو الجبل

هراوته وسهامه

245 وسدّد إليه رمحه [...]

رفع الإلّه يده نحو الغيوم[...]

فتحول نور ـ النهار إلى ليل ـ داكن

وهَدَر كالعاصفة [...]

[...] الرمح [...]

250 نينورتا [...]

الإلّه [قذف(؟)] بدوّامات الغبار

وضربت صَدْمتُه الجبلَ وكأنها مِنْخَس

تدخل شارور دون جدوى

وبعد أن نفخ شارور الرياح حتى السماء،

قام بتشتيت السكّان

ومزّقهم مثل وحشٍ جائع

255 واكتسحَ بِسُمِّهِ المدن جمعاء،

ومطرقته ـ الكسارة أشعلت النيران في الجبل

وسلاحه ذو الأسنان العديمة الشّفقة،

سحقت الجماجم.

ومصدمته باقرة الأحشاء كزّت أسنانُها
وعندما غرس في الأرض رمحه
امتلأت بالدم شقوق الأرض
فلعقته الكلاب مثلما يلعق الحليب!
وصرخ الأعداء المضطربون
في النساء والأطفال:
«ألم تلتمسوا رَحْمَةَ(؟) الإلّه نينورتا؟»
ورغم أَنّ السلاح ـ السحري
حاول تغطية الجبل بالغبار
فلا شيء كان يزعزع قلب الآساكّو
ولهذا، (قال) شارور لنينورتا وهو
يلف ذراعيه حول عنقه:
265 «أنت لا تعلم ماذا ينتظرك أيها البطل!
لن تستطيع أبداً مهاجمته
في أعماق قلب(؟) الجبل!
إنه ثقيل كالإعصار
أيّها الإلّه نينورتا، يا بْنَ إنليل!
إنّه كورمٍ متقيح وخبيث
بشاعتُه تضاهي بشاعة البرص على الوجه!
270 كلمته مراوغة: ولا يطيع (الأوامر) أبداً!
هذا الذي يجابهك، يكاد يكون إلّهاً!
إنه ضبابة (سوداء) تسقط على الأرض:
يغسلها كما يفعل القِلويّ(؟)
إنّه يطرد أمامه الخيول الأخادر نحو الجبال!
وبريقه المرعب والخارق
يجعل الغبار يدوِّم،

وتمطر زخات من الشّظايا!

275 إنه في المنطقة المتمرِّدة، أسد

ذو أنياب ضارية،

لا يمكن لأحدٍ أسره.

حتى [. . .]، إنه أباد كل شيء

بريح ـ الشمال

كما محق الماشية بواسطة الشيطان لِيلو[١]

ونشر على الأرض الجفاف

ودون إمكانية التعويض، أبادتِ السكانَ زوبعتُه.

وأمام مثل هذا العدوّ المتصلّب،

280 أدر العنان متراجعاً أيها البطل الشديد العزم!»

هذا ما تمتمه (شارور) لنينورتا.

اللوحة السابعة

التحام نينورتا والآساكّو

ولكن الإلّه تابع صرخاته

مطلقاً شتائمه باستمرار ضد الجبل

ومزدرياً هتافات المنطقة المتمردة(؟)

والتي لم يعرها اهتماماً(؟)

إنه [. . .] كل ما كان قد أتلفه الآساكّو

كان يريد سحق رؤوس أعدائه جميعاً،

وأن يجعل الجبل يئنّ (تحت ضرباته)!

---

(١) (Lilu) أحد شياطين قوى الشر. كان يعتقد السومريون والبابليون فيما بعد، بكونها وراء ما يصيبهم من سوء، مقابل اعتقادهم بوجود ملائكة وآلهة للحماية الشخصية للوساطة والشفاعة أمام الآلهة العظام.

285 وكجنديّ في أثناء السّلْب والنّهب، لم يتوقف
عن التلفّت والدوران.
ومن فوق الجبل وكطير جارح، كان
الآساكّو يرشقه بنظراته الغاضبة،
فارِضاً على المنطقة المتمردة، الصمت والجمود
ولكن نينورتا حين اقترب من العدو
لفّه كما تلف الموجة(؟)
وعندما وَهَنَ بريق الآساكوّ الخارق للطبيعة
و[. . . . .]
290 رمى به أرضاً، ثمّ قذفه نحو الأعلى
زعزعه وبدَّدَه مثل الماء على الجبل
ثم عزَقّه مثلما يُعزق الأسَل،
واستأصله كالقصب
ثم بعد ذلك، وبعد غمر المنطقة
بتألّقه الشخصي
ومثل صانع فخّار يكدس فحمه، جَعَل
منه (نينورتا) مخروطاً (. . .)
وضغطه كالتربة المدكوكة، وكالطين المهروس(؟)!
هكذا حقق البطل هدفه
ثمَّ تنفس منفرجاً، الإلّه
نينورتا ابنُ إنليل.
300 وفي الجبل حيث كان النهار يتضاءل،
أثنى عليه أوتو[١]
ثم بعد ذلك غَسَل(؟) الإلّه حمالة سيفه وهراوته

---

(١) (Utu) الإلّه الشمس السومري.

ونظّف من الدم سلاحه
مَسَح العرقَ عن جبينه، ثم طالب
عالياً بجثّة الآساكّو
وبعد أن جعل منه ما يشبه حُطاماً،
لفظته الأمواج،
305 جاء آلهة(؟) البلاد للقائه
ومثل خيول أخدرية مرهقة
سقطوا أمام قدميه:
ومن أجل الاحتفال بإقدام الإلّه
نينورتا ابن إنليل، ونصره الباهر
قدّموا له التحية مصفقين!

شارور يتوجه إلى نينورتا مادحاً

ومن (كامل) ارتفاعه، وجه إليه شارور
هذا المديح:
310 «أيّها الإلّه! يا شجرة ـ الميس[١] العظيمة
النابتة في الحقل المروي
من يمكنه مضاهاتك أيها البطل؟
لا كمال لأحدٍ كمثل كمالك،
وبمثل جدارتك يا سيدي،
ليتربّع على العرش.
من الآن فصاعداً، لن يجرؤ أحد في الجبل
على التمرّد ضدّك:
وليس عليك إلاً أن تطلق (؟) صرخةً واحدة

---

(١) (Més) اسم شجرة محلية عرفتها بلاد ما بين النهرين ولم يتمكن العلماء من تحديد نوعها.

للقضاء عليه.

[...] كما يحتفل بك

315 أيها العاصفة المكتسحة [الذي هبّ]

على المنطقة المتمرّدة

أيها الإلّه نينورتا [...]

(سبعة أسطر مفقودة، تحتوي على تتمة ونهاية مديح شارور).

نينورتا يقرر مصير الآساكّو

وعندما قام (نينورتا) في المنطقة المتمردة،

فعزق الآساكّو كالأسَل

واستأصله كالقصب

325 [...] الإلّه نينورتا، هراوته (قائلاً):

«مثل [...]

من الآن فصاعداً، لن تسمى آساكّو

بل تسمّى «حجراً»

ـ حجر سيكون اسمه الشخصي زلاقو[(١)]

حيث يمتد قلبه حتى عمق مملكة العالم السفلي

350 وسوف يكون ذلك بفضل بسالة الإلّه(؟)»

نينورتا يكرّم سلاحه

أما بالنسبة لسلاحه، المودع للراحة في زاوية

فقد باركه هكذا:

يا «معركة ـ النصر(؟) ـ النهائية ـ من أجل البلاد!

---

(١) (Zalaqu) راجع الشرح في الحاشية رقم (١) من الصفحة ٥٣ أعلاه.

اللوحة الثامنة

«طوفان ـ يسقط على الأعداء» هوذا الاسم
الذي به سوف يمجّدونك في الجبل!

نينورتا ينفّذ أعماله الحضارية بتنظيم أعمال الزراعة والريّ

وإذْ كانت المياه المحيية في ذلك الزمان
لم تخرج بعد من الأرض
335 ولكن، بتحولها إلى ثلوجٍ متراكمة
كانت تحدّد الجبل في ذوبانها
وكذلك كان آلهة البلاد، مضطرين
للعمل الجبري
وكان عليهم ـ تلك كانت سخرتهم ـ
حمل الفأس والقفّة
لأنّه من أجل ضمان الإنتاج
لم يكن هناك عمال آخرون لتشغيلهم(؟)
340 وفي أعلى منسوب له، لم يكن بعد نهر دجلة
يضخّم للفيض أمواجه
ولأنه لم يكن بعد يصبّ في البحر
ولم يكن يسكب فيه ماءه العذب.
لم تكن هناك محاصيل(؟) تحمَّل من على أرصفته
وقاسية كانت المجاعة، لأن لا شيء
كان بعد يُنتج!
لا أحدٌ كان ينظّف الأقنية، ولا أحدٌ
كان يستخرج منها الحمْأة
345 وبسبب فقدان التقْنية، كانت الأرض
المزروعة مشبعة بالماء!

ولم يكن هناك شعير (ينبت) إلاً مبعثراً

ولم تكن تُشَقُّ الأثلام.

وهذا الذي من أجله أعمل الإلّه ذكاءه:

فباشر بتحقيق الأعاجيب![1]

ثم كدّس الأحجار في الجبل،

350 وماداً ذراعيه

مثل سحابة سميكة تجتاز السماء،

أقفل جَبْهة البلد، بمثل جدار شامخ:

وأقام سدّاً، في آخر الأفق

وبالمهارة القصوى،

زوّد بالسدود (الحامية) المدن كلها،

حابساً المياه المتدفقة،

بجوانب من الصخور:

355 فلم تعد بعد ذلك ترتفع

من البلاد المسطحة نحو المرتفعات!

ثم جمّع ما كان مشتّتاً من

المياه الموزَّعة على بحيرات في الجبل.

مزجها جميعها وجعلها تنصبّ في دجلة

بغية إرواء الأرض الزراعية حين تغمرها

الفيضانات الربيعية.

360 وعند ذلك فإن كل ما يحتويه الكون

تحت حكم ملك البلاد[2] حتى

---

(١) استعمل هذا التعبير أيضاً في قصيدة التكوين والخلق البابلية، بصدد الإلّه مردوك حين عزم على تكوين الأرض ومن ثم خلق البشر.

(٢) الملك المقصود هنا، هو على ما يظن جوديا (Gudéa) ملك لغش (Lagash)، حكم خلال (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤) ق.م.

أطراف الأرض، سوف
ينعم بأفضال الإلّه نينورتا!
إلى الأرض الصالحة للحراثة، عينّ
إذنْ زراعة الشعير المبرقش.
جعل الثمار تتزايد في البساتين والحدائق
وملأ العنابر بأكوام الحبوب(؟)
365 كما أقام مراكز للتجارة في خارج البلاد
وبذلك حقّق جميع رغبات الآلهة
الذين تنافسوا في ترداد
المدائح لوالد نينورتا!

نينورتا وعتاب أمه نينماخ ثمّ تكريمها

إلاّ أنه، حدث مرةً أن أحزَن
قلب امرأة: قلب أمه
نينماخ، التي فقدت النوم على فراشها،
حيث كانت تتذكّر كيف حَبَلت به
470 كان جسده المكسو بجلد صوفٍ، يشبه
شاةً لم يجز صوفها بعد.
كانت تشكو بمرارة، أن الجبل
أُغلِقَ في وجهها (وقالت):
«الإلّه الذي لم يستطع الجبل
ردّ قدرته العظيمة،
البطل الرائع الذي لا يمكن لأحد مقاربته،
عندما يحتدّ غضبه،
العاصفة التي تحطّ، ساكبةً
على الأرض سمُومَها كلّها.

اللوحة التاسعة

475 الإلّه، «نَفَس» إنليل، الجدير بالتاج
البطل الذي هو، لمقامه، أسمى
من أنْ يتلقى الأوامر،
مرّ أمامي مسرعاً، بعد ما تم انتصاره،
وهو الذي أخصبني به قريني،
والذي بالآلام وضعته لزوجي،
وجّه إليّ (بتصرفه) إهانة كبرى!
ابن إنليل، مرّ أمامي
دون أن يوجّه إليّ نَظَره،
380 ولهذا، قالت لنفسها: مع
أن هذا الشخص،
تخاطب بالفعل مع بقية الآلهة في الأيشوميشا[١]،
معبده المفضّل!
سوف اذهب إذنْ لألتقي مباشرة
بهذا الإلّه المَغْرور
سوف أذهب منفردة لزيارة هذا السيّد
المعتدّ بنفسه، أنا، الملكة
سوف أذهب وأتقدّم منه قائلة: «ها أنذا!»
385 وعليه حسنُ استقبالي على الفور، ابني،
هذا المُوَلّى من قبل إنليل،
هذا البطل الشّامخ، شموخ أبيه!»
هكذا عرضت السيدة النبيلة، وبكل
جد هذا الموقف،

---

(١) (Eshûmesha) المكان المخصص لنينورتا في معبد إنليل في نفّر.

هكذا عبّرت عنه متوجهة إلى نينورتا،
الذي وجّه إليها عندئذٍ نظرة حفاوةٍ وقال لها:
390 سيِّدتي، لأنّك أردت بلوغ الجبل
والالتحاق بي، أي نينماخ، إلى المنطقة المتمردة
دون التخلي عني،
حتّى في وسط أهوال الحرب،
ذلك الركام الذي كدّستُهُ من
المحاربين المجَنْدَلين،
سوف يُسمى من الآن فصاعداً
«الجبال» (خور ـ ساج)[1]
وأنتِ سوف تكونين منها «السيدة» (نين)
395 هذا هو مصيرك الذي قررته أنا، نينورتا:
هكذا سيكون!
ومن الآن فصاعداً سوف تكونين
دوماً «سيدة ـ الجبال» (نين ـ خورساج)![2]
من هذه الجبال، هَضَباتُها،
سوف تنتج لك الأعشاب العطرية والتابلية
وسوف تقدّم لك أهدابها الخمر والعسل
وميولها، سوف تنمّي من أجلك
شجر الأرز والسرو والعرعر والبقْس،
400 ومثل بستان سوف تزودك بالثمار الناضجة!
وعلى مرتفعاتها، سوف تكون من أجلك
كثرةٌ من الطيوب الإلّهيّة

---

(١) (Ḫur.Sag).
(٢) (Nin.Ḫur.Sag).

من أجلك سوف يُستخرج منها معدن الفضة والذهب
وسوف يُعمل فيها [. . .]
وسوف يُذوّب فيها النحاس والقصدير
ويؤتى بها إليكِ جِزْيةً.
وسوف يُعمل فيها على تكاثر الماشية
405 وتُقدَّم لكِ رباعيات القوائم السريعة التكاثر!
يا ملكة تضاهي آن، أنت مثله
ذات رهبةٍ مخيفة
أيتها الملكة المهيبة (دينجير ـ ماخ)[1] التي
لا تحب الثرثرة
المرأة النبيلة، سيدة الجبال (نين ـ خورساج)
المكان الطاهر (كي ـ سيكيل)[2]
سيدة التوليد (نين ـ تو)[3] من أجل [. . .]
410 اقتربي أيتها العَلّية لكي يُحتفى بك
لأنني منحتك هذه السلطات السامية!»

تدخّل الإلّهة آرورو ومصير الأحجار

بعد أن قام الإلّه (نينورتا)، وهو يتنقل
في معبد نفر، بتقرير مصير الجبل
فإن السيدة النبيلة الساهرة على الأرحام
والتي تفوقهنّ جميعاً بدورها المقدس
آرورو[4]، أخت إنليل الحبيبة

(١) (Dingir-Maḫ) = الملكة السامية.
(٢) (ki-Sikil) = مكان أو أرض طاهرة.
(٣) (Nin-tu) = سيدة الولادة أو التوليد.
(٤) (Aruru) = إلّهة ـ أم، أخت إنليل.

تقدّمت منه منتصبةً (وقالت له):
«أيها البطل الرائع، ياذا الأوامر التي لا تتقادم
وهكذا أوامر أبيك،
415 «إنك لم تحدد بعد، مصير
المرتزقة الذين أرديتهم!»

اللوحة العاشرة

مصير الحجر ـ أو

توجّه الإلّه عند ذلك إلى الحجر ـ أو[١]
ليحدد له طبيعته،
وبصوت غاضبٍ ناداه من البلاد، منتهراً
ولفظ ضدّه اللعنة التي هي هكذا:
«أيها الحجر ـ أو، أنت في الجبل،
أعلَنْت الثورة ضدّي.
420 حاولتَ إيقافي وسدّ طريقي،
أقسَمْتَ أن تسبب موتي.
وادّعيتَ أنك تخيفني، أنا الإلّه نينورتا.
والآن وعلى الرغم من صلادتك أيها الجريء
فلسوف تقلّص قامتك:
وسوف يقوم أشخاص رهيبون
معتدّون بقوتهم على سحقك
425 وسوف يستعملك الرياضيون في مبارياتهم!
أيها الحجر ـ أو، أيها النقيّ الصلبُ العود،
سوف يحوِّلك إخوتك إلى مسحوق دقيق

(١) (U) حجر تتضح صلابته من ضمن النص.

لجعلك تسيء معاملة ذريتك بالذات
وتعمد إلى هرس جثثها!
وعلى الرغم من صراخك أيها الفتى الجريء
سوف تنتهي مكسراً،
ومجزّأً مثل ثور وحشي كبير،
ساهم عدد من الصيادين في تقطيعه(؟)!
430 ومثل كلب مطرودٍ من قبل مساعد ـ بقّار
هكذا سوف تطرد من المعركة:
ولكن تحت ضربات المهدّات
وبقدر ما أنا إلّهٌ حقاً
ولأنك سوف تعمل العقيق الأحمر
(نا ـ چوچ)(١) وتصقله، سوف
تتخذ منه اسمك (نا ـ چوچ ـ بورو)(٢)!
لذلك وعملاً بالمصير المقرر من قبل نينورتا
سوف يعمد من الآن فصاعداً، بواسطة
الحجر ـ أو إلى ثقب (بورو ـ أو)(٣) العقيق (نا ـ چوچ)»

مصير الحُمم والبازلت

435 ثم استدار البطل نحو الحُمم والبازلت
وحدّد الإلّه طبيعتها
لافظاً اللعنة التالية:
يا كتلة ـ الحمم، أنت رميتِ بنفسكِ ضدّ سلاحي
يا كتلَ ـ البازلت، مثل الثيران،

(١) (Na-gug) العقيق الأحمر.
(٢) (Na.gug.buru).
(٣) (Buru-u).

تصدّيتِ لي بكل عزم.

440 ومثل ثيران أُرْخُصية (تحدّيت) بقرونك!

لذلك! فأنا سوف أسحقك مثل الفراشات:

سوف يغلّفك بريقي - الخارق الرهيب

لن تفلتي أبداً من ساعِدي القويّ

سوف ينفخ عليك صانعُ الحلى بملء رئتيه:

445 سوف تُقَدُّ منك البُوتقات حيث يذيب صنائعه.

وعند إهلال القمر، فسوف تستقر عليكِ

حسب الطقوس،

البواكير المخصصة للآلهة!»

الأحجار ساچكال وچولچول وساچّار[1]

ثم استدار مليكي نحو الحجر ساچكال

وانتهر كذلك الحجر - چولچول والحجر - ساچار

450 ولفظ اللعنة هذه:

«أيها الحجر - ساچال، لأنك خلال المعركة

رميت بنفسك ضدي!

أيها الحجر - چولچول، لأنك صعقت رجالي المحاربين

أيها الحجر - ساچار، لأنك قاومتني

بكل عنف

ولأنك كزّزت أسنانك ضدي، أنا الإلّه

455 لذلك! يا حجرَ - ساچّار، فإن

حجر - ساچكال سوف يقطعك

وسوف يحولك الحجر چولچول،

(١) (Sagkal) و(Gulgul) و(Saggar).

إلى مسحوق دقيق أيها الفتى المتهوّر

وليتمّ وضعك على حدة

مثل ما هو تافه وعديم القيمة (ساج ـ نو ـ كال)[١]!

ولتصبحي حيث تقيمين ضحايا مجاعة قاسية (شا ـ چار)[٢]

تضطرّك إلى الاستجداء في مدينتك نفسها!

ولتسقطي إلى المرتبة الدنيا (ساچ)[٣]

مثل متبجّحين مخصّيين (أور ـ ساچ ـ جيمي)[٤]!

460 وليكرر أمامك في كل مناسبة ـ

هكذا سوف يكون اسمك ـ

«اختفي بسرعة!»

من الآن فصاعداً وعملاً بالمصير المقرّر

من قبل نينورتا

سوف تطلق عليك في البلاد تسمية:

«مواد رديئة» وهذا ما تمّ فعلاً!

اللوحة الحادية عشر

مصير صخور الديوريت

ثم أدار مليكي وجهه نحو الديوريت

و[. . .]، معبّراً بجلال ومن صميم قلبه

465 نينورتا، ابن إنليل، لفظ بصدد

(الديوريت) المباركة التالية:

«يا ديوريت، لقد بدّل جيشُكِ موقفه

---

(١) (Sag.nu.kal)،

(٢) (sha-gar).

(٣) (Sag).

(٤) (Ur.Sag.gemé).

أثناء المعركة
أنتِ تبددتِ(؟) أمامي مثل ضبابة كبيرة
دون اقتراف أي عنف، ودون الهجوم عليّ!
«تبّاً للكذب»! (كنتِ تقولين):
البطل الوحيد، هو الإله!
٤٧٠ من يستطيع مضاهاتك يا نينورتا
يا بن إنليل؟»
ولذلك، سوف يعمد إلى الاستحصال
عليكِ من أعلى مواقع الجبل
وسوف تُنقلين إلى هنا منذ جبال ماچان![١]
وأنت التي تقدّين كالجلد النحاس الأكثر مقاومة
فأنتِ توافقينني تماماً، أنا الإله
(وتوافقين) شجاعتي
475 وعندما يرغب ملك شهير إلى الأبد
أن يصنع منك تماثيل أبدية،
بغية إقامتها حيث تراق التقدمات للآلهة،
وفي هذا الحَرَم الطوباويّ من الإينيتو[٢] خاصتي
ستكونين في مكانك الملائم!»

الحجر العادي

وتوجّه الإله بعد ذلك نحو الحجر العادي (نا)[٣]
480 وبينما هو يخدش سطح هذا الحجر العادي

(١) (Magan) بلاد ماچان تقع في الجزيرة العربية إلى الشرق من البحرين وهي إذن بعيدة عن المنطقة الجبلية المتمردة. وفي هذا الجرد عن مصادر المواد الحجرية، أراد النص على ما يظهر تعيين مصدر استخراج حجر الديوريت من جبال ماچان.
(٢) (Eninnu) معبد الإله نينخيرسو (نينورتا) في أحد أحياء لغش.
(٣) (Na).

لفظ نينورتا ابن إنليل
ضده اللعنة هذه:
«أيها الحجر العادي، لأنك تمنيت أخذ مكاني،
أيها الحجر العادي، لأنك أردت
الاقتراع على امتيازاتي
لذلك، يمكنك البقاء متراخياً مثل خنزير
عندما يشتغلونك!
485 وتبقى دون مناعة، ولو لم تُستعمل لأي شيء
وتنتهي غباراً!
ودون إعارتك أي اعتبار، سوف
تحول إلى عجينة!»

الحجر الكلسي الأبيض

ثم استدار مليكي نحو الحجر الكلسي الأبيض
ولفظ نينورتا ابن إنليل
بصدده المباركة التالية:
«أنت الحجر الكلسي الأبيض، استعملت دهاءك
لنشر الخوف في الجبل الثائر
490 ثم في وسط المنطقة المتمردة جعلت السكان
وهم في حالة هيجان يهتفون باسمي!
لذلك! فلن تفقد قط شيئاً من تمامك!
ولن يُستطاع تحويل كتلتك إلى مسحوق
وسوف تُنَقَّشُ منسَّقة (كتابياً؟) على
سطحك قُدْراتي!
وعندما اضطر لمجابهة الأبطال،
ستكون ملائماً تماماً لمثل هذه الحرب!

495 وفي معبدي، في ساحته الكبيرة
سوف انصّبك فوق قاعدة
وباعجابٍ أمامك سوف تردد
البلاد المديح لك!»

مصير حجر الدم (الشاذنج)

ثم التفت البطل نحو حجر الدم (الشاذنج)
وهاتفاً بقوةٍ بقدر ما هو صلد،
أعلن نينورتا ابن إنليل بصدده
البركة هذه:
500 أيها الشاب الجريء المحترم، ذو السطح البرّاق
أي حجرَ الدم! عندما وصلتك الشكاوى
من المنطقة المتمردة
من المؤكد، أنك أطلقت صرخة الحرب،
الصرخة الشرسة والحماسية،
لكن يدك المنتصرة، لم تمسسْني قط
ولم أرك بين الثائرين!
505 لذلك سوف تكون لك مكانة في البلاد:
وسوف يكون دور الشمس دورك:
لتكون قاضياً وحاكماً للجبال.
والصانعُ الماهر في جميع الفنون،
سوف يَرْفعُ قيمتك لمستوى الذهب!
510 أيها الفتى الصلب العود الذي ربحتُه لجانبي،
سوف أسهر دائماً لتبقى حيّاً
ومن الآن فصاعداً وعملاً بالمصير الذي
قرّره لك نينورتا

سوف يُهتف «يحيا حجر الدم»
وهكذا سيكون!»

اللوحة الثانية عشر

مصير المرمر

والتفت البطل بعد ذلك نحو المرمر
وبصدده لفظ نينورتا ابن إنليل
المباركة التالية:
515 أنت أيها المرمر، الذي تضيء مادّتُه كالنهار!
يا فضّة نقية، أيها الفتى الجريء المخصص للقصور!
لأنك وحدك مددت نحوي يدك
ولأنك في أعلى الجبل
سجدت أمامي
لم أُسقِطْ عليك هراوتي
ولم أجعلك تشعر بقوّة ذراعي
520 أنت أيها المحارب الشجاع، لقد لبّيت نِدائي
ووضعتَ نفسك تحت تصرفي
إذن! فليكن الاحتفاء بك كبيراً!
ولتكنْ لك اليد الطولى على مستودعات البلاد
ولتكنْ مديراً لها!
ولتكن دليلاً للأنونّا، الآلهة العظام!
ولتخصّص لمعابدهم، أيها المرمر!»

مصير العنبر الأصفر (الكهرمان)

ثمّ بنظرةٍ حاقدة، توجّه الملك
نحو العنبر الأصفر

525 والإلّه وهو غاضب، ناداه من البلاد.
نينورتا، ابن إنليل، لفظ ضدّه
اللعنة هذه:
«بما أنّك تردّدت لدى مجيئي
لذلك! سوف تكون أول من يُوجّه إلى مشغلي
وسوف تكون مطاوعاً لكل ما يراد أن تكون عليه!
530 أيها العنبر الأصفر، سوف تكون
تقدمة منتظمة ويومية لشاغلي المعادن!»

مصير العقيق وأحد عشر حجراً كريماً آخر

ثمّ استدار مليكي نحو العقيق
كما توجّه في الوقت نفسه نحو الكلسيدوان
والعقيق الأحمر واللازورد
والمَرْو الملوّن[١] والسابا[٢] والخوريصو[٣] والمَرْخالي[٤] واليَنَع الأصفر
وعين السمكة والبِجادي الرماني والأنزوچولم[٥]
وحجر الحيّة،
535 ولصالح هذه [...]
ردّد نينورتا ابن إنليل المباركة التي هي هذه:
«ذكوراً وإناثاً، كلّ أمامي وعلى طريقته،
وبدون أي اتهام، أنتِ ساندتني،
وعفوياً وجهاراً، أشَدْت بي!

---

(١) هو اليشب أي (Jaspe).
(٢) (Saba).
(٣) (Khurisu).
(٤) (Markhali).
(٥) (Anzougoulme).

540 لذلك! فأنا سوف أشيد بك في قلب
جمعية الآلهة!
(ولذلك) في المجلس الحَزْبي، لعبتِ
دوراً حاسماً لمصلحتي(؟) -
لذلك! [. . .(؟)] سوف تفضلين
على العسل والخمر!
وسوف تُرصّعين جميعك بالمعادن الثمينة
والإلّه الذي يحتفظ بالأولوية بين الآلهة
545 سوف يجعل جبال مولدك تسجدُ
أمامكِ وأنفها على الأرض!»

مصير الصوان

ثم ألقى مليكي نظرة غضبٍ حين
استدار نحو الصوّان
وبغضبٍ حين ناداه من البلاد،
نينورتا ابن إنليل، لفظ بصدده
اللعنة التالية:
«أين أنت! أيها الصوّان المخادع!
550 في الجبل سوف يُحطّم قرناك»
قرنا الثور الوحشي!
وسوف تسجد أمام الإثمِد!
لأنك لم تتصرف مثلي، أنا الذي ساندتك!
ولسوف أمزقنّك إذن مثل كيس مبتذل
وسوف تحوّل إلى مسحوق،
ويتفنّن عامل الأحجار بشطر
أوجهك بواسطة مِقطعة

يا أيها الشاب الصلد، الحامل للأحقاد!

555 وسوف يعمد النجّار، حين يريد إنهاء عمله

بإسقائك الماء وسحقك مثل الحبوب الناتشة!»

اللوحة الثالثة عشرة

مصير الصلصال القصديري والإيليغو[1]

ثم التفت مليكي نحو الصلصال القصديري

ونادى الإيلّيغو[1]

ثم لفظ نينورتا ابن إنليل

اللعنة التالية:

560 أيها الصلصال القصديري، أنت زعقتَ

في الجبل ضدي!

وضدي يا إيلّيغو أطلقت نداء حربٍ

شرساً ومتحمساً!

لذلك، سوف ألاشيك مثل النار

وسوف أطرحنّك أرضاً كإعصار

ومثل أَسَلٍ سوف أَعزقنك

565 واقتلعَنَّك مثل أعواد القصب:

ومن هو الذي سوف ينجدك؟

أيها الصلصال القصديري لا أحد يعير

أذناً أو انتباهاً لطلبك النجدة

يا صلصال القصدير ويا إيلّيغو،

لن يقودكما طريقكما إلى القصر أبداً!»

(١) (Elligu).

حجر الغزال والدّوبان والأوروتو

ثم التفت مليكي نحو حجر ـ الغزال

570 ومنادياً أيضاً دوبّان[١] وأوروتو[٢]،

حدّد نينورتا ابن إنليل طبيعتها

ولفظ ضدّها اللعنة هذه:

«يا حجر ـ الغزال، يا دوّبان، يا أيتها الشعلات الملتهبة!

يا أوروتو الذي لا يقاومه أحد!

عندما أشعلَ البازلتُ فيكِ «النار»

«التهبت»

575 و«احترقت» ضدي مثل الجمر

في المنطقة المتمرّدة!

في بلاد سابو[٣]، أعلنت الثورة ضدي!

لذلك! يا حجر ـ الغزال، فلتُذبحنّ

مثلما يذبح الخروف!

وأنت يا دوبّان لتسحقنَّ مثل الدقيق!

ولتقطعّن(؟) مثل كتلة سلاح يا أوروتو.

580 وبواسطة رؤوس الشبه للسهام الإلّهية

لِتتّم إبادتك [. . .] أيتها الخناجر الرهيبة!»

مصير الشاچارا!

والتفت مليكي بعد ذلك نحو الشاچارا[١]

ولفظ نينورتا ابن إنليل بصدده

---

(١) (Dubban).

(٢) (Urutu).

(٣) (Sabu) يعتقد أنها المنطقة الواقعة إلى الشمال من سوز القديمة في إيران.

(١) (Shagara).

اللعنة التالية:

«شاچارا، أنت الذي تحطمُ في السهوبِ

جمجمة المسافر المنفرد

585 في الجبل حاولت دوسي بقدميك

بينما كنتُ منشغلاً في الحرب

ولأنّك وجدت لذّة في الصراع ضِدّي -

لذلك! فإن صانع السلال، بعد ضغط قَصَبِه

سوف يرميك في زاوية

ويُنسى بعد ذلك مسقط رأسك ولن

يطالب بك أحد!

ولا أحد سوف يشعر بافتقادك

590 ولن يشتكي الناس من إضاعتك،

وعندما تترك حيث يتمّ الطقس الأبدي

تمجيداً للمكان حيث تستريح نينخورساج،

سوف يطعمونك بقايا مصنع الجعة

مثلما يطعمون الخراف

وعليك الاكتفاء بنُتفةٍ من الطحين:

هذا هو معنى اسمك!»

مصير المرغاشيت

ثم توجّه مليكي نحو المرْغاشيت[1]

ولفظ نينورتا ابن إنليل بصدده

المباركة التالية:

«يا مرغاشيت، لأنك [...] لي الجَبَل

---

(١) (Marcassite) بالعربية والفارسية «مارغاشيت»، وهو سلفات الحديد المتبلور، يستعمل في صناعة الحلى والترصيع.

الذي أُخِذ منك [. . .]
ولأنك لم تشارك في المجزرة
التي دبّرها مواطنوك، [. . .] ـ
لذلك، سوف تكون الوعاء الموضوع
تحت المرشِّح لتلقي الماء الصافي!
600 وسوف تستعمل من أجل ترصيع [. . .]
الإلّه [. . .]!
وسوف تشكّل زينة مختارةً للخواتم!
وسوف تحتل مكان الشرف في معابد
الآلهة يا مرغاشيت!»

اللوحة الرابعة عشرة

مصير الخاشتو

ثم بعينٍ حاقدةٍ توجّه البطل نحو الخاشتو[1]
وناداه الإلّه بغضب من البلاد
605 ولفظ ضدّه نينورتا ابن إنليل
اللعنة هذه:
«أنت يا خاشتو زَعقت ضدي في الجبل!
وإلى صراخ المعركة الوحشي، ضَمَمْت
هتافاتك المنفعلة،
وبذلك الصياح، ركّزت في الجبل
الشيطان ليلو[2]! ـ
لذلك أيها الشاب الجريء سوف تدفن في الأرض

(١) (Khashtu).
(٢) (Lilū).

وسوف تسمّى «حفرة» (خاشتو)!

610 نعم من الآن فصاعداً وعملاً بالمصير

المقرر من قبل نينورتا

سوف يقال لك «خاشتو» وهذا ما تم!»

مصير الدورول[1]:

واستدار مليكي بعد ذلك نحو الدورول

وبصدده لفظ نينورتا ابن إنليل

المباركة التالية:

«دورول، يا لون الحزن(؟)،

أيها الفتى الضرير الغارق هنا في ليل (داكن)(؟)

615 لأنك على الجبل قدّمت لي الاحترام

ولأنك أعلنت: «آه لو تمكنتُ من تحطيم قيودي

لأقف أمامه: في خدمة مليكي

الإلّه نينورتا»

لذلك، وأينما ذُكر اسمك، سوف

تكون لك قيمتك الذاتية

وسوف يقول العارفون: أنا أشتريه

بقيمة الذهب!»

620 وسكان جميع البلاد، ترافقهم المزامير

مثل الموسيقيين سوف يدعونك إلى الرقص!»

إثنا عشر حجر آخر

والتفت مليكي بعد ذلك نحو السيچسيچ[2]

---

(١) (Durul).

(٢) (Sigsig).

ونادى أيضاً الإينجين[١] والإينجيشا[٢]
والإيزينوم[٣]
والأوجّون[٤] والزاهِم[٥٦]،
والمدانوم[٦] والخاشامانو[٧] (المادلّي)[٨]
625 وال[...] والمورسوخ[٩] والمولوج[١٠]
ولفظ نينورتا ابن إنليل بصددها
المباركة التالية:
«أيتها الأحجار [...]
بما أنك [...]
مشدودة الخواصر، تتلوى قدودك والقلوب مرتاحة
كنتِ تتمايلين مثل الدببة،
630 وبـ[...] اتخذت طريقك للانضمام إليّ
وانحنيت أمامي حتى الأرض
على خلاف الآخرين،
وكنت مِهدّات تحت تصرفي كما دعمتِ بابي -
لذلك عندما يرتدي الرياضيون لباس المصارعة
ويتبارون قابضين على السيقان
وجاعلين الرأس يلامس الأرض

---

(١) (Engen).
(٢) (Engisha).
(٣) (Ezinum).
(٤) (Uggun).
(٥) (zahem).
(٦) (Madanum).
(٧) (Khashmanu).
(٨) (Madalli).
(٩) (Mursukh).
(١٠) (Mulug).

635 ثم يرفعون الصلب على التوالي،
فأنت وحدك، في كامل البلاد، ستكونين
المفضّلة من قبل هؤلاء الأبطال!»

مصير الكورچارا والبال ومسحوق التجميل الأصفر

واستدار البطل بعد ذلك نحو الكورچارا[(١)]
ونادى أيضاً البال[(٢)]
وكذلك المسحوق الأصفر للتجميل[(٣)]
640 ولفظ نينورتا ابن إنليل بصددها
المباركة التالية:
لأنك أعلنتِ، «سوف نُفرحُ
قلوب الرجال!»
سأرسلهم إليك،
وسوف تجعلين أمرداً الشاب الذي
يحوز إعجابك(؟)
حتى أن الكالاتور(؟)[(٤)] سوف يحمدك!
645 كوني التقدمات في يوم عيد الأرواح(؟)
ومن أجل الهلال الجديد وحتى اليوم
التاسع من الشهر، سوف ينذر
لك الشبّان ألعابهم الطقسية!»
ثم عينّ هذه الأحجار لعبادة نينخورساچ

(١) (Kurgara).
(٢) (Bal).
(٣) نوع من الكحل.
(٤) (Kalatur) شاب مخنّث متنكر في زي امرأة له دور في طقوس إنانا/عشتار.

اللوحة الخامسة عشرة

ملاحو سفينة نينورتا يحتفلون به بعد عودته ونصْره

بعد الانتصار على الجبل، وأخذ طريقه عبر
السهوب، كان البطل يتألق مثل الشمس
وبين الجماهير الهاتفة تباعاً، كان
يتقدم بجلال!

650 وهكذا تقدم مغتبطاً، نحو
سفينته المفضّلة: الماچور[1]
للصعود على ماكارنونتاإي[2] خاصته.
عند ذلك أطلق الملاّحون نشيداً جميلاً
ومن صميم قلوبهم كرّموه بالمدائح،
وجّهوا عندَ ذلك لنينورتا ابن إنليل
هذا الثناء الأبدي:

655 «أيها البطل الإلّهي المتفوّق،
أيها الإلّه نينورتا، سيد الأنونّا
أنت الذي تُمسك بيمينك الهراوة
ذات الرؤوس!
أيها السيل الجارف في هجومه جميع أعدائه!
من ذا الذي يمكنه مضاهاة مآثرك
العظيمة والرائعة؟

660 أيها البطل! يا جائحةً لا مَرَدَّ لها!

---

(١) (magur) سفينة كبيرة كانت تستعمل في المواكب الاحتفالية على النهر.
(٢) (Makarnunta'é) تسمية سفينة نينورتا(؟).

حتى أنكي[١] ونينكي[٢] لا يجرؤان
على معاندتك!
أيها البطل، المدمِّر للمدن والمتنصر على الجبل
يا ابن إنليل! من بمقدوره الارتفاع لمرتبتك؟
من ذا الذي يمكنه مضاهاتك، يا نينورتا
يا ابن إنليل، يا بطل؟
665 أي مليكي، هناك شجاع[٣] مخلص لك
ولعبادتك:
إنّه يتّبع طريقك، كما هو معروف عنه
وهو دائماً ينجز بأبّهةٍ، الاحتفال
الطقسي في معبدك!
إنه أعلى شأن مسكنك!
ويحتفل بعظمةٍ رائعة بأعيادك
670 وهو يؤدي طقوسك المقدسة!
ومن أجل استحقاق الحياة،
قرر هذا البرنامج:
«يجب إعلاء شأن نينورتا في البلاد!
فليكن قلب آن[٤] راضياً عن الإلّه
ومع نينورتا الساعد الأيمن لإنليل
لتتألق باوا[٥] الأم المقدّسة مثل النهار!»
675 هكذا كان (الملاحون) ينشدون بملء

---

(١) (Enki) إلّه الأبسو المعروف.
(٢) (Ninki) التسمية المقابلة لقرينته.
(٣) يعتقد أن المقصود هو الملك جوديا حاكم مدينة لغش.
(٤) (An) إلّه السماء السومري.
(٥) (Bawa) قرينة نينورتا.

أصواتهم في مقدمة السفينة،
التي كانت تنساب ببهجةٍ على صفحة الماء
حيث كان الماكار ـ نونتا ـ إي(١) يتقدم متألّقاً!

الأنونّا يحيّون البطل وإنليل يباركه

من أجل تحيّة البطل العائد من المعركة
خرج الأنونّا من المعبد للقائه
680 وهم منحنون حتى الأرض واليد على
موضع القلب
ردّدوا على مسامع الإلّه هذا الثناء:
فليهدأ قلبك الغاضب أيها الإلّه!
ارفع رأسَك بكبرياء نحو السماء
أي نينورتا، ملكٌ، أوتو ـ أولو(٤) أنت!

اللوحة السادسة عشرة

ثمّ باركه أبوه إنليل بهذه التعابير:
685 «يا ملكاً تخطّى الكونَ اسمُه الجليل!
أنت الذي تُحدِث الرخاء (؟) وأنت في مسكنك!
يا ذا الصدر العريض يزينه جلد صوف
أيها الإلّه المقاتل، أمام المنطقة المتمردة
لقد زوّدْتُك بالزوبعة الخارقة للطبيعة!
السلاح المجتاح، الذي يلتهم الجبل ناراً
690 لقد منحتك إياها أيها البطل الكوني!
يا مَلِكاً، مَلأت المكائد طريقه، خلال الاضطراب:

---

(١) (Makar.nunta.é) ورد سابقاً في السطر (٦٥١).
(٢) (Utu.Ulu) صفة لنينورتا وردت سابقاً في السطر (٦٩).

ولكنني آمنت بنجاح حَمْلتِكَ على الجبل،
وكعُسبور أُطلق لمطاردة فريسته
غَامَرْتَ بنفسك في المنطقة المتمردة
تواكبك تلك الزوبعة الخارقة للطبيعة!
695 ولن تقوم بعد ذلك قط، قائمة
الجبل الذي غَلبْتَه
والذي أَبَدْتَ مدنه
والذي فقد أمراؤه المتغطرسون
أنفاسهم أمامك!
لذلك، فإن سلاحاً خارقاً للطبيعة
ومُلْكاً عامراً إلى الأبد،
وحياةً أبديّة، وفق تمنيات إنليل،
700 وإرادة آن الكليّ ـ القدرة:
هذه هي مكافأتك أيها البطل العليّ!»

نينورتا يكلف الإلّهة نيسابا بالسهر على مكتسبات التقدم الحضاري الذي أدخله نينورتا بعد انتصاره

عند ذلك وبعد أن أطاح بالآساكّو
وجعل منه ركاماً من الصخور،
وبعد أن أمر بأن تطلق عليه تسْمية «أحجار»
714 عهد نينورتا ابن إنليل
705 الـ[...] التي كان [...]؛
المياه التي رَسَمَ لها شخصياً مسارها
من الأعلى نحو الأسفل
والمحراث، مصدر الثراء الذي ابتدعه؛
والأثلام المستقيمة التي علّم كيفية شقها،

وأكوام الحبوب التي كدّسها،
والأهراءات التي ملأها،
هو نينورتا ابن إنليل، (عهد بها)
710 إلى سيدة القدرات الإلّهية المستقلة
الجديرة بأسمى التمجيد:
إلى نيسابا[١]، المرأة المقدسة، الكلية ـ الحكمة
والفائقة السمو في كل مكان،
إلى التي تحتفظ باللوحة العظيمة
حيث سُجِّلت قُدرات الملوك والرؤساء
إلى التي في وسط «الجبل المقدس»[٢]، حباها
أنكي بذكاء فائق للغاية!
726 المجد لكِ يا نيسابا!
715 إلى المرأة، إلى النجمة، التي في الأبسو،
أرْضَتِ الأميرَ بشكل رائع،
إلى سيّدة المعرفة التي توزّع السعادة!
الوحيدة، المؤهلة للحكم
والحاوية على المعرفة والتبصّر!
[. . .] سيّدة ذوي الرؤوس ـ السوداء
الحائزة على اللوحة التي سُجِّلت عليها جميع الأشياء!
التي لا يفلت أي عصفور من شباكها،
720 والتي تحقق النجاح في أعمالها كلّها
والتي بمحضرها، وعلى الحَبْل

---

(١) (Nisaba) إلّهة الكتابة والتشريع وعهد إليها هنا بمهام أخرى.
(٢) أو «جبل الكون» مقر الآلهة ـ العظام وهو يماثل جبل الأولمب مقر آلهة الإغريق. و«الجبل المقدس» هو مكان أسطوري وهو فوق طبيعي ولا زمني. ورد ذكره أيضاً في النص رقم (٤١) من الكتاب الثاني.

ذي العقد التي لا تحلّ، تُعِدُّ
الأيام وفق نَظْم القمر!
التي مثل حصن من المعدن،
لا قدرة لأحد على اقتحامه!
التي تَنْفُذُ إلى كافة الأفكار وتعرف كل شيء!
الملكة التي تسهر على ذوي الرؤوس - السوداء
والتي تعرف كيفية التكلم مع البشر!
725 الـ[. . . .] المثيلة الشخصية لإنليل
المرأة المقدّسة، النجمة المقرّبة من آن.

الختام

أيها الإلّه الذي منحه إنليل السيادة،
أي نينورتا، يا سليل الإيكور[١] الرائع
يا سند والدِك وصانع أيّامك
كم هو عذب الاحتفال بك.

العنوان

هذا نشيد شير - سود[٢] احتفاءً
بنينورتا.

---

(١) (Ekur) بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر.
(٢) (Shir.Sud) تم شرحه في تقديم النص (فقرة ٩).

(٨٠) ـ عودة نينورتا
إلى نفّر

١ ـ هذا النشيد يمجّد نينورتا، بوصفه وريثاً لمجد أبيه إنليل، ويعلي من شأنه، ليتبوّأ مركزه الجديد بين بقية الآلهة. ولا عجب في ذلك، فهو يعود إلى نفّر، كما رأينا ذلك في النص السابق، بعد انتصاره المجيد على الجبل، على «المنطقة المتمردة»، التي أخضعها وعاد محمّلاً بغنائم الحرب وجعل منها تقدمة فريدة في معبد إنليل في نفّر. فحازت إعجاب أبيه وإعجاب جميع الآلهة، وخولته مركز الصدارة والشأن والاعتراف به ومبايعته.

٢ ـ وكانت لهذا النشيد السومري، كما أسلفنا، شهرة مماثلة لنشيد إخضاع «شعب الحجارة» عبر القرون، وقد نقل إلى اللغة الأكادية أكثر من مرة، على الرغم من أنه لا يقدم لنا مشاهد المعركة وتفاصيلها ونتائجها، بل ينقلنا مباشرة إلى مشهد عودة نينورتا، دون اعتماد أي طريقٍ مائي، بل يعود على عربته الحربية محملة بغنائمه.

٣ ـ يعود تأليف النص إلى نهاية الألف الثالث ق.م.، وقد أمكن استكمال النشيد والتوصل إلى إعادة تشكيله عبر أكثر من خمسين لوحة وجزءٍ من لوحة، يعود معظمها إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد، مما سهّل على القارىء أن يتابع محتوى هذا النشيد وأن يفهمه. وهو يقع في حوالى ٢٠٩ أسطر، ويعود إلى زمن ازدهار عمليات النسْخ، للنصوص السومرية القديمة ونقلها إلى اللغة الأكادية والاحتفاظ بها في المكتبات التي كشفت عنها التنقيبات المختلفة. ووفقاً لتصنيف ذلك الوقت، كان

هذا النشيد معروفاً بمطلعه «آن ـ جيم» (ديمّا)[١] والمقصود هو نينورتا، ومعنى هذا المطلع هو «مثل آن» (تكوينك).

٤ ـ يبدأ النشيد بتمجيدٍ لعظمة نينورتا وبالتذكير بنصره على الجبل ـ المنطقة الجبلية «المتمردة»، من خلال معارك عديدة يخرج من كلّ منها حاملاً غنائم الحرب، ليتوجه بعد ذلك إلى نفّر. ولدى اقتراب عربته من مدينة أبيه، يستقبله على مدخل المدينة «نوسكا»[٢]، ممثل إنليل، ليهدىء من عنفوانه الحربي، بغية عدم إخافة الأنونّا[٣] الآلهة ـ العظام.

يصل بعد ذلك نينورتا إلى نفّر، وفي معبد الإيكور[٤]، يقدّم غنائمه محوطاً بإعجاب الآلهة ومدائحهم، وبتقدير أبيه إنليل، «الجبل ـ الكبير» وافتخار أمّه نينليل بنصره. ونتعرف بهذه المناسبة على المكانة الخاصة التي يحتفظ بها نينورتا لأمه نينليل.

٥ ـ يطلق بعد ذلك نينورتا تمجيداً لنفسه مطالباً إنليل الاعتراف بتفوقه وتخصيص مكان ملائم لنصره في قاعة العرش.

ثمّ يقدّم نينورتا التمنيات لدوام مجد نفّر وازدهار معبدها، كما يتلقى قبل مغادرته مقرّ أبيه للتوجه نحو مقره، يتلقى التماساً لمصلحة ملك المدينة[٥]، فيستجيب لهذا الطلب، مما يدلّ على مباشرته ممارسة سلطة جديدة خُوِّلت إليه، وينتهي النشيد بتمجيد ختامي لنينورتا مشيداً بعذوبة الاحتفال به وتكريم اسمه.

تمجيد نينورتا الافتتاحي

1 تكوينك مثل آن! يا ابن إنليل!

أي نينورتا، وليد نينتو[٦] المكون مثل إنليل!

الأقدر بين الأنونّا، وليد (سيدة) الجبال![٧]

---

(١) (An.gim (dimma)).

(٢) (Nuska) حاجب إنليل أو مستشاره.

(٣) (Anunna) مجموع الآلهة ـ العظام.

(٤) (E.kur) بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر.

(٥) الملك المقصود، إن لم يكن چوديا فهو أي ملك يحكم عند ترديد هذا النشيد احتفالاً بنينورتا.

(٦) (Nin-tu) بمعنى سيدة ـ الولادة.

(٧) أي نينخورساج (Ninḫursag) قرينة إنليل.

أنت الذي تنشر رعباً مروِّعاً
يا ابن إنليل، الواثق من قوّته!
5 منتصرٌ أنت يا مليكي: فليُحْتَفل بنصرك!
أنت سيد البلاد كلها، بقوة إقدامك
وبطل إنليل، بشدّة عزمك
أيها البطل المهيب: أنت استوليت بنفسك
على سلطاتٍ كبيرة كالسماء!
10 أنت تملّكت يا ابن إنليل
سلطاتٍ واسعة كالأرض!
لقد استوليت لنفسك على سلطات الجبل
التي هي ثقيلة كالسماء
لقد تملّكت سلطات إريدو(١)
التي هي ثقيلة كالأرض!
وجعلت الآلهة ينحنون أمامك،
كما جعلت الأنونّا يمجّدونك(؟)

التذكير بمعركة نينورتا ضد الجبل

15 أي نينورتا، يا ذا البسالة التامّة!
زوبعة [...] كان قرار السيّد
وزوبعة [...] كان عزم الإلّه نينورتا الثابت:
ضد الجبل المعادي [...]
ضدّ الأماكن المحصّنة في المنطقة المتمرّدة
20 [.....]
متصلباً ورهيباً كان الإلّه [.....]،

---

(١) (Eridu) مدينة الإلّه أنكي ويعني ذلك أن السلطة كانت في ذلك الوقت لمدينة نفّر ولسيدها الإلّه إنليل.

مستشيطاً غضباً في السماء وعلى الأرض [. . . .]،
[. . . . .]
[جَعَلتْ(؟)] إرادته الساخطة،
من الجبل جثّةً!
25 وهيبته التي لا رحمة فيها للعدو (جعلت)[. . . .]
وكثورٍ [. . . . .] قرنيه
مثل أُرويّ ومثل أيّل [. . . .]
وكثورٍ جبلي عملاق [. . . .]
شدّ إلى جِزامه [. . . .] ـه،
سلاحه للمعركة!

غنائم انتصاراته

30 (الإلّه)، السيّد بشدّة بسالته،
نينورتا، ابن إنليل، بكبير بأسه،
(تمكّن) في المسكن ـ البراق ـ والرائع[1](؟)
من جرّ الأُروية ذات الرؤوس ـ الستة؛
ومن أماكن الجبل المنيعة
سَحَب التنين المحبّ للحرب؛
ومن [. . .] في أقصى أعماق الهاوية
استخرج الماجيلوم[2]
35 ومن غبار معاركه
جرّ الثور الوحشي العملاق،
ومن أطراف الكون

---

(١) صفة للجبل، أي المنطقة المتمردة.
(٢) (Magilum).

استخرج الكوليانّا[1]؛

ومن أرض الجبل،

استخرج الجصّ(؟)

ومن الجبال المبعوجة

استخرجَ النحاس المقاوِم

ومن على شجرة السنديان(؟) [. . .]

أسَرَ (الطائر) أنزو[2]

ومن [. . .] الجبل

سحب الحيّة ذات الرؤوس السبعة!

40 [. . .] استعرضها جميعها!

و[. . .] أمر (؟) [. . .]

[. . .] غير مرتاح (؟) [. . .]

و[. . .] أمر [. . . .]

[. . .] قبض على بلطته ـ الحربية(؟)

45 [. . .] أمسك بـ [. . .]!

جعل المقدام [. . .] من الجبل جثة ـ

الإلّه نينورتا مهدّم [. . .]

جعل من الجبل جثّةً!

وبسورة غضبة جعل من

آلهة المنطقة المتمردة ركاماً!

وبشجاعته وقوّته،

روّى الإلّهُ غليلَ انتقامه(؟) .

50 وببسالته وقوته روّى

---

(١) (Kulianna).

(٢) (Anzu) ورد الشرح في الصفحة ٤٨ أعلاه.

نينورتا المقدام غليل انتقامه (؟)

الغنائم وعربته الحربية

على عربته البرّاقة التي تنشر رعباً مروِّعاً،
علّق على المحور، ثيرانه المُقْتَنَصَة.
وعلى المجر، أبقاره المُغتنمة،
وعلى واقية الوحل (؟) الأُروية - ذات الرؤوس - الستة
55 وعلى المقعد، التنين المحبّ للحرب
وعلى الحاضن (وضع) الماجيلوم
وعلى زَندي المِجرّ، الثور الوحشي العملاق
وعلى المِرقاة، الكوليانّا
وعلى رأس المِجرّ، الجصّ (؟)
60 وعلى عارضة المِجرّ (وضع) النحاس المقاوِم
وفي مقدمة الهيكل، الأنزو
وعلى إطار - الهيكل اللمّاع (وضع)
الحية - ذات - الرؤوس - السبعة

نينورتا يتوجّه إلى نفّر

على هذه العَرَبة التي هي دوماً جاهزة للمعركة
اتخذ الإلّه نينورتا مكانه (للقيادة)
65 وأودان[1]، الإلّه - الذي - يرى - كل شيء(؟)
مع لوچال آن بدرا[2]، السيد - الملتحي،
كانا - يسبقانه

(١) (Udanne).
(٢) (Lugalanbadra).

بينما كان لوچال كوردوب(١)، رُعبُ الجبال
و[. . .] الإلّه نينورتا، يتبعه!
اتخذ عندئذٍ طريقه، (الإلّه) الذي من أسد الأبسو(٢)
تلقّى سلطاته الرهيبة
70 والذي مُنح له في قلب السماء
إشعاع آن الذي لا يُحتمل
حتى الأنونا، الآلهة ـ العظام
ما كانوا قادرين على النظر إليه مواجهةً!
وبينما كان الإلّه يتقدم مثل الجائحة ـ
مثل جائحةٍ كان يتقدّم نينورتا،
مهدّمُ الأماكن ـ المنيعة في المنطقة المتمردة،
وكان يهدر كالزوبعة في أقصى الأفق.

ممثل إنليل يستقبل نينورتا لدى اقترابه من المدينة

75 ومع ذلك، وتلبية لنداء إنليل
كان بطل الآلهة هذا،
يتوجه نحو الإيكور
والبلاد ترتمي (؟) على قدميه
وحتى قبل أن يلتقي بنفّر، تحت السماء الرحبة،
خرج نوسكا(٣) حاجب إنليل للقائه
وحيّا الإلّه نينورتا مردداً هذه العبارات:
80 «اعتنِ بنفسك أيها الإلّه والبطل الكامل

---

(١) (Lugalkurdub) مرافقو نينورتا.
(٢) المقصود هو أنكي إلّه الأبسو. ومقره في إريدو (Eridu) وهو هنا مانح السلطة لنينورتا، انظر السطر ١٢.
(٣) (Nuska).

أي نينورتا، أيها البطل الكامل، اعتنِ بنفسك
بريقك الرهيب ـ الخارق للطبيعة
غطّى مثل رداء مَعْبَد إنليل!
بينما أنت، على عربتك ذات الصرير المتناغم،
تتقدم فتتداعى السماء وتتزعزع الأرض!
85 عندما ترفع ذراعك، ينتشر الظل
في كل مكان!
لا تجعل مجموعة الأنونّا[١]، الآلهة ـ العظام،
يتجمّدون خوفاً!
لا تُرعب أباك حتّى في مسكنه.
حتى في مقرّه، لا ترعبْ إنليل،
لا تجعل قطّ الذعر يتملّك الأنونّا
وهم مجتمعون في قاعة ـ المجلس
90 أجْدَى بِك أن تترك أباك يغمرك بالهدايا
من أجل شجاعتك وبأسك!
اترك إنليل يغمرك بالهدايا
من أجل شجاعتك وبأسك!
يا ذا السيادة! أنت «الفلّ» بيد آن[٢]، الأول
بين الآلهة،
حامل ختم إنليل، الذي ألْهَمَهُ الإيكور[٣]
أيها البطل، من أجل الإطاحة بالجبل،
95 أبوك لم يضطر إلى إيفاد
أي إلّه آخر لعونك ـ

(١) (Anunna) مجموع آلهة سومر.
(٢) (An) إلّه السماء السومري.
(٣) (Ekur) بيت الجبل: مقر إنليل في نفّر.

من أجل الإطاحة بالجبل، أي نينورتا
لم يضطر إنليل إلى إيفاد
أي إلّه لمعونتك!»

نينورتا يقدِّم غنائمه في معبد الإيكور

كانت تلك الكلمات لا تزال على شفاه نوسكا
حين أودع نينورتا
السوط والمِحثّ في موضعهما،
100 (وأودع) بجانبهما هراوته: سلاحه الحربي
وولج معبد إنليل!
دافعاً فيه بالثيران المأسورة
ومعها الأبقار المُغتنمة
كما قدّم فيه أسلاب المُدن التي خرّبها!

إعجاب الآلهة ومديحهم لنينورتا

105 الأنونّا شُدهوا، [. . .]
وحتى إنليل، الجبل ـ الكبير[١]، انحنى أمامه،
آشمبابّار[٢](؟) وقف أمامه بخشوع
والأم العظيمة ننليل، من مقرّها الكي ـ أور
أثنت عليه بهذه العبارات:
110 «أيها الثور ذو القرنين الرهيبين، يا ابن إنليل
إنك أطحت بالجبل!
أنت [. . .] أيها الإلّه المقدام
أنت [. . .] ت المنطقة المتمردة!»

---

(١) لقب الإلّه إنليل.
(٢) (Ashimbabbar) لقب آخر لإنليل.

فكانت إجابة الإلّه نينورتا:

«وحدي يا أمّاه. ما كنت لأستطيع [...]،

115 ما كنت لأستطيع وحدي [...] أي ننليل!

ولكن معك أنتِ [...] أنا وحدي [...]!

(معك أنتِ) ومن أجل معركة بضخامة السماء،

[لا أحد كان يمكنه] مجاراتي!

نينورتا يتباهى بانتصاراته ويمجّد نفسه

ومثل جائحةٍ [...]

[...] مِن هَدْم الجبل مثل كوخٍ من القصب!

ومثل فيضانٍ هائل

عمّمت الجبلَ معركتي:

120 «وبجسدٍ وعضلاتِ أسد»[1]

انقضَضْتَ على المنطقة المتمردة

والآلهة المذعورون فرّوا إلى الجبال

مصفقين بأجنحتهم مثل رفٍ من الطيور

ومثل ثيران وحشية طردت من مراعيها!

من يستطيع إذن مجابهة بريقي

الخارق للطبيعة، الكثيف كبريق آن؟

125 ولأنني سيّد الجبال الشديدة الانحدار

تشتّت آلهتها بعيداً (عني)!

ولأنني أخضعتُ تلك الجبال

من المرمر والعقيق واللازورد

توارتْ آلهتها الأنونّا مثل الفئران،

---

(١) مطلع نشيد لتمجيد إنانّا (Inanna) بصفتها إلّهة محاربة.

والآن وبعد أن برهنت عن
قدرتي الحربية في الجبل
فأنا أحمل على يميني سلاحي شارور[١]
130 وعلى يساري، أحمل سلاحي شارچاز[٢]
أحمل زوبعتي ـ ذات ـ النواطح ـ الخمسين
وهرواتي الرائعة
أحمل «زوبعتي ـ اللامردّ لها»،
هذا المحارب متسلق الجبال الشامخة
أحمل مصدمتي ـ آچاسيليكّو[٣]:
التي تلتهم الجثث مثل تنين
أحمل هارسة الجبل:
هراوتي السماوية الثقيلة:
135 أحمل مقطعي ذا ـ الشفرات ـ السباعية:
المنتصر ـ على الجبل
أحمل شبكتي ـ للمعركة:
آلّوخافو[٤] الجبل،
أحمل شِراكي للصيد، المثلوثة،
التي لم يستطيع الجبل الإفلات منها
أحمل مهدتي السباعية الرؤوس التي لا يتحملها
العدو، مثل ثعبان ـ بحري شرس
والتي هي فعالة في كل مكان، تسحق كل شيء
في المعركة الأكثر ضراوة

---

(١) (Sharur) سلاح نينورتا السحري.
(٢) (Shargaz).
(٣) (Agasilikku).
(٤) (Allukhafu).

140 أحمل سيفي ذا الحدين،
ممزّق الجبل؛
أحمل نبّوتي - برؤوسه - الخمسين:
الذي هو جائحة محاربة
أحمل قوسي المكتسحة:
المُغتصر الذي ينهك الرجال
أحمل عصاي الراشقة وترسي
مهدماً معابد المنطقة المتمردة،
أحمل رمحي، معين المحاربين
145 أحمل «جارفة تسوية الجبل»،
التي لها بريق يوم مضيء
أحمل الذي «لا مفر - منه - لأي عدو»
المساند الكلي للشعوب،
أحمل ما ضياؤه الخارق للطبيعة
يغطي الأرض
ملائماً ليميني بشكل رائع،
التحفة المصنوعة من الذهب واللازورد
مساعدتي التي تشده المتأمل فيها،
150 أحمل السلاح الرائع والمدهش والممتاز،
الأمين في المعركة والذي لا شبيه له
الملائم في المعمعة لقبضتي بشكل تام.
هراوتي - ذات الرؤوس - الخمسين
هراوتي - ذات الرؤوس - الخمسين، التي كحريق
هائل، تلتهم المنطقة المتمرِّدة!

طلب نينورتا الموجه إلى إنليل لتكريس تفوقه

فليستَقْبلْ أبي في معبده
عدّتي الحربية
وليغسل إنليل أسلحتي المجيدة وفقاً للطقوس!
155 ولينثر الماء المقدس على (الأسلحة)
التي حملتها ذراعاي الرهيبتان!
وفي قاعة العرش ليعدّ
من أجلي مكاناً مجيداً
ويرفع على منصته عربتي الرائعة،
كادناً عليها مثل ثيران قَرِنةٍ،
المحاربين الذين أسرتهم بيدي.
وليجعل الملوك الذين سجنتهم، يقومون
بإجلالي مثل نور السماء
160 لأنني، أنا هو، المقدام الفريد، الذي
لا يضاهيه في الجبل أحد.
أنا نينورتا، ولدى سماع اسمي
فليسجد الجميع!
أنا ابن إنليل الكليّ القدرة، ذو رأس
الأسد الذي ولده (أبوه) في عزّ قوته.
أنا الزوبعة تحت السماء، «القيد» بيد الآلهة،
والوحيد الذي فضّله آن، في تفوّق (سلطته)
165 أنا الهراوة التي هدّمت الجبل،
أصبحتُ في الأعالي، جديراً بالسيادة
أنا السلاح المقتدر في المعركة الذي تحركه أنانًا،
أنا الشجاع المؤهّل من قبل أنكي للسلطات الكبرى!

فليُعترف بتفوّقي
حتى أطراف الكون!
ولأحَظْ بفائق الاحترام
أنا الأكثر موهبة بين الآلهة!

تمنيات نينورتا بالنسبة لنفّر ومعبدها

170 فلتشمخ مدينتي الحبيبة، نفّر المكان المقدس
ولترفع ذروتها حتى السماء
ولتتفوق على مدن إخوتي!
وليرتفع معبدي مثل موجة عالية
تفوق ارتفاع معابد إخوتي!
ولتصبح منطقة مدينتي
بئر ـ الماء ـ العذب لسومر!
وليأتِ إخوتي الآلهيون الأنونّا
إليها للسجود
175 ولتعشّش فيها عصافيرهم
ولينعم تحت ظلالي، الذين
يلتجئون إليها!»

مغادرة نينورتا لمعبد إنليل وتقبله التماساً من أجل الملك

عندما غادر نينورتا معبد إنليل
فالمخلص ـ ذو ـ الوجه ـ الأكثر من ـ مضيء
نينكارنونّا[1] لدى سماعه
180 الإعلان اللطيف

---

(١) (Ninkarnunna) أحد المقربين إلى الإلّه نينورتا.

توجّه مسرعاً نحو الإلّه

وقدم إليه الالتماس التالي:

«سيدي، فليرافقك السلام

أنت ومدينتك المحبوبة

ليرافقك السلام مع مدينتك المحبوبة

أيها الإلّه نينورتا ـ

ليرافقك السلام أنت ونفّر المكان المقدس

مدينتك المحبوبة!

185 عندما ستدخل شخصياً في الأيشوميشا[1]

معبدك الحبيب،

إلى قرينتك نين ـ نيبرو[2] الفتية

قلْ ما يحمله قلبك

قلْ لها ما تكنّه بداخلك

وأبلغها لمصلحة الملك

بقرارٍ حسن ودائم تتخذه من أجله!»

نينورتا يستجيب لطلبه

هكذا نينكارنونّا ابن الأمير

190 حين تلفّظ بهذا الالتماس

الذي تعرض فيه للرخاء

فإنه أثلج بذلك صدر نينورتا

لذلك، وعندما، قصد نينورتا إظهار

امتلاكه للسلطات الأبدية

---

(١) (E.Shumesha) جناح نينورتا في معبد أبيه إنليل في نفّر.

(٢) (Nin.Nibru) بمعنى سيدة نيبرو أي سيدة نفر ولا ذكر هنا للإلّهة باوا (Bawa) ومقر نينورتا في لغش.

تقدم أمام الجميع من الإيشوميشا

195 ويرضىَ،

وجّه إلى نينكارنونًا نظرةً حسنة

وعندما دخل شخصياً إلى الإيشوميشا،

إلى قرينته نين - نيبرو الفتية

قال ما كان يحتويه قلبه

قال لها ما كان يكنّه بداخله:

200 وأعلمها بقراره الملائم والدائم

الذي اتخذه لمصلحة الملك!

وهكذا تمكن المقدام ذو الجدارة الفائقة

نينورتا ابن إنليل

تمكن من إقامة عظمته في حَرَم إنليل!

الخاتمة

أيها الإلّه، يا مهدم الجبل الذي لا مثيل له،

205 أنت الذي بعنفوان رميت بنفسك

في تلك المعركة الهائلة

أيها المحارب العظيم، يا بن أعمالك،

يا جائحة إنليل الكلية القدرة،

أي نينورتا، أنت المنتصر، وليد الإيكور

يا فخر الأب الذي ولدك

كم هو عذب الاحتفال بك!

تصنيف النشيد

هذا نشيد شير. سود، تمجيداً لنينورتا.

الفصل الثاني

(٢) ـ السلطة والولاء

(٢ ـ ١) ـ الولاء لإنليل

١ـ أشارت النصوص التي تم استعراضها في بداية هذا الكتاب إلى أن الإلّه إنليل، سيد مجمع الآلهة في سومر، كان الإلّه الذي يمتلك السلطة العليا، فهو «الجبل الكبير»[١] وهو «سيد البلاد كلّها»[٢]، وهو بالتالي الإلّه الذي يتجه إليه ولاء الآخرين. ويتضح ذلك من النصوص التي سنستعرضها من ضمن هذه الفقرة.

وإذا ما تحدثنا عن سلطة الإلّه إنليل وتفوّقه، فإن ذلك يعني في الوقت نفسه، السلطة والأولوية لمدينته نفّر[٣] التي هو حاميها والتي اختارها مقراً له وأقام فيها معبده الإيكور[٤]، «بيت الجبل».

في ذلك الوقت، كانت الحضارة والسلطة تدوران حول المعبد وكانت مركزية المعبد، والسلطة الإلّهية الممنوحة للملك، هي الأساس في الحكم. وكان المعبد إذاك يمثل المؤسّستين الدينية والاقتصادية في الوقت نفسه، إلى أن أصبح القصر فيما بعد وليس المعبد، مشرفاً على اقتصاد البلاد وإدارتها، كما أمكن استنتاج ذلك من أهمية

---

(١) النص رقم (٧٥).
(٢) النص رقم (٧٦).
(٣) (Nippur) مدينة الإلّه إنليل.
(٤) (E.kur) معبد إنليل في نفّر.

الوثائق الملكية في مدينة ماري[1] وكما أثبتت ذلك بشكل خاص مكتشفات مدينة إيبلا[2]، التي قدمت لنا برهاناً ساطعاً على «حداثتها» من هذه الناحية.

٢ ـ عندما عاد نينورتا منتصراً من حملته ضد الجبل، المنطقة المتمردة، عاد إلى نفّر، مدينة والده إنليل، مقدماً له ولاءه ومطالباً لنفسه بسلطات جديدة. كما أنه تمنى الازدهار لمدينة نفّر، لكي تفوق المدن الأخرى، «مدن إخوته»، ولتصبح «بئر الماء العذب لسومر»؛ وقد اتضح لنا ذلك بشكل لا ينقصه حُسن التعامل والانفتاح نحو المدن الأخرى، كما ورد ذلك في النص رقم (٨٠)[3].

٣ ـ أما المدن الأخرى، التي كانت تتوجه أنظارها نحو مدينة نفّر في سعيها لكسب بركة إنليل، «لكي تفيض أماكنها سمناً وعسلاً وخمراً»، فيعددها لنا النص رقم (٨١) حين يروي لنا رحلة الإلّه القمر نانّا ـ سوئين[4] من مدينة أور[5] إلى نفّر، على سفينته الخاصّة، المحمَّلة بالهدايا لمدينة نفّر، ماراً بخمس مدنٍ أخرى تقع إلى الجنوب الشرقي منها.

وفي ما يتعلق بفن بناء السفن في ذلك الوقت، فإن النص نفسه يقدم لنا الكثير من التفاصيل عن بناء سفينة الإلّه القمر التي أعدَّها خصيصاً لهذه الغاية دون إغفال الإشارة إلى مصادر موادها.

٤ ـ كما يعلمنا النص رقم (٨٢) الذي نقدّمه من ضمن هذه الفقرة، عن كيفية قيام الإلّه أنكي[6] بإشادة مقرّه في أبسو[7] إريدو[8]، المكان المقدس وهو البيت «الذي أقامه كَجَبَلٍ فوق البلد المسطح» وتوجه بعد ذلك إلى نفّر ونال بركة الإلّه إنليل على عمله. وهنا أيضاً، لا يغفل هذا النص عن تقديم بعض التفاصيل الخاصة بتزيين المعبد وقدسيته وبخاصة عن البهجة التي ينشرها حين تصعًد مجموعة الآلات الموسيقية فيه

---

(١) (Mari) (تل الحريري) إلى الشمال الغربي على مقربة من مدينة البوكمال السورية على الفرات.
(٢) (Ebla) (تل مرديخ) في منطقة إدلب السورية بجوار سراقب.
(٣) راجع الأسطر (١٧٠ ـ ١٧٦).
(٤) (Nanna-Su'en) نانّا هي التسمية السومرية للإلّه القمر وسوئين بمعنى «ذو الشروق المضيء» هي صفة لنانّا. ومنها اشتقت التسمية الأكادية سين (Sin).
(٥) (Ur) مدينة نانّا على بعد حوالى ١٦٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من نفر.
(٦) (Enki) إلّه الحكمة والخلق ومهارة الصنع.
(٧) (Apsu) محيط المياه العذبة الباطنية التي يطفو عليها قرص الأرض وهي مقر أنكي.
(٨) (Eridu) هي المدينة الواقعة على بعد حوالى ١٠ كلم إلى الجنوب الغربي من أور.

أنغامها العذبة، تمجيداً لأنكي.

٥ ـ وإذا ما كان الولاء لإنليل، هو ما أشارت إليه النصوص السابقة، فإن نصوصاً أخرى تتعلق ببناء الحضارة وبتنظيم البلاد، نثبتها في فقرة مستقلة، تشير إلى انتقال الولاء إلى الإلّه أنكي، سيد الذكاء والمعرفة ومهارة الصنع، وهو الذي في مناسبات عديدة سبق عرضها في الكتابين الأول والثاني ينقذ الآلهة من مآزقهم الجماعية، باقتراح الحلول المناسبة وخلق ما يلزم لتحقيق ذلك.

وما يهمنا هنا، ليس بحث الولاء وانتقاله، بل تقديم النصوص التي من شأنها إعلامنا عن مشاركة الإلّه أنكي في بناء الحضارة في سومر.

٦ ـ وعن الولاء لإنليل ولمدينة نفّر، تقدم هذه الفقرة النصّين التاليين:

النص رقم (٨١) ـ من أور إلى نفّر أو زيارة الإلّه القمر لإنليل.

النص رقم (٨٢) ـ أنكي وبناء البيت.

(٨١) ـ من أور إلى نفّر:
زيارة الإله القمر لإنليل

١ ـ يعود نص زيارة الإلّه القمر نانّا ـ سوئين[١] إلى نفّر، إلى الفترة البابلية القديمة (حوالى ١٧٠٠ ق.م.)، وقد عُثر على معظم أجزائه في حفريات نفّر، وهو يقع في ٣٥٢ سطراً.

يتخلل النص مقطعان مفقودان، لا يعيقان تفهّم معناه الإجمالي.

٢ ـ زيارة الإلّه القمر نانّا سوئين إلى نفّر، هي كما أسلفنا، في تقديم هذه الفقرة، زيارة ولاء وبركة تجاه الأب إنليل. وتنعكس هذه البركة بشكل طبيعي على مدينة أور وملكها.

٣ ـ من المفيد تذكير القارىء بأن النص رقم (٢) من الكتاب الأول روى لنا ولادة الإلّه سين أو سين ـ آشيمبابار[٢] بنتيجة اتحاد الإلّه إنليل مع الإلّهة نينليل.

٤ ـ يحتوي هذا النص على معلومات دقيقة حول بناء سفينة الإلّه القمر ومصادر موادها، وكذلك عن لائحة الهدايا التي تحملها السفينة المتوجهة من أور إلى نفّر مما يدلّنا على عادة تبادل الهدايا بين المدن أو بين آلهتها منذ ذلك الوقت.

---

(١) (Nanna-Su'en) ورد في الحاشية (٤) من الصفحة ١٢٤.

(٢) (Sin-Ashimbabbar) سين هو الاسم الأكادي للإلّه القمر واشيمبابّار هي صفته بالسومرية ومعناها: ذو الشروق المضيء وتقابلها سوئين الأكادية.

قرار نانّا ـ سوئين زيارة نفّر

1 إلى مدينة أمّه
[توجّه] البطل نانّا ـ سوئين
سوئين ـ أشيمبابّار
[توجّه] إلى مدينة أمّه
5 إلى مدينة أمه وأبيه
نانّا ـ سوئين قرر التوجّه.
إلى مدينة إنليل ونينليل
آشيمبابّار، قرر التوجه.
(قال) «أنا البطل إلى بلد (منشأي)
أريد الذهاب.
10 سوف أذهب إلى مدينتي: سوف أقابل أبي
أنا سوئين، سوف أذهب إلى مدينتي!
سوف أذهب إلى مدينتي، سوف أقابل أبي -
سوف أقابل أبي إنليل!
سوف أذهب إلى مدينتي: سوف أقابل أمي(!)
15 سوف أقابل أمي نينليل!
(إلى مدينتي سوف أذهب:)
سوف أقابل أبي!
أيتها المدينة المنوّرة[١]، المكان المقدس

ستة أسطر مفقودة

متسـ[ـعة........]
25 متسـ[ـعة........]

---

(١) المدينة المقصودة هي نفّر مدينة الأب إنليل.

متسـ[ـعة........]

متسـ[ـعة........]

يا مدينتي [نفّر]، حيث تنتصب في مكان مبارك،

أشجار الكيشكانو[١] الداكنة

يا [معبدي في نفّر] حيث أشجار الكيشكانو

30 [يا مدينتي نفّر]، ذات الصحن الرحب التجاوب!

يا معبدي في نفّر، ذو الاسم الميمون!

يا مدينتي نفّر، ذات الصحن الرحب التجاوب!

يا معبدي في نفّر، ذو الاسم الميمون!

مدينتي حيث كان ينمو النخيل

قبل أن تأتي دلمون[٢] إلى الوجود!

35 يا نفّري، حيث كان ينمو النخيل

قبل أن تأتي دلمون إلى الوجود!

حيث نينليل، الأم العظيمة

تلبس الكتان الثمين!

سوئين يعد لبناء سفينة ملكية

سوئين [من أجل أن يبني لنفسه(؟)] «سفينة ملكية»

[من أجل أن يعدّ لنفسه (؟)] سفينة ملكية

أوفَدَ من يستجلب حُزَم القصب!

من أجل الحصول على قصب السفينة

40 نانّا ـ سوئين أوفد مكلّفاً إلى تومّال[٣].

من أجل قار السفينة

---

(١) (Kishkanu).

(٢) (Dilmun) منطقة البحرين وردت قصة إحيائها في النص رقم (١) من الكتاب الأول.

(٣) (Tummal) المدينة القريبة من نفّر والواقعة على بعد حوالى ٨ كلم إلى الجنوب.

أوفد آشيمبابّار مكلّفاً إلى الأبسو[١].

من أجل حُزَم الحَلْفَاء

أوفد نانّا ـ سوئين مكلّفاً إلى دو ـ آشاچا[٢].

45 من أجل أعواد محاجنها، أوفد

آشيمبابار مكلفاً إلى غابة الأرز.

من أجل أخشاب حسن انسيابها

أوفد [نانا ـ سوئين] [مكلفاً] إلى غابة كونونا[٣].

[من أجل تثبيت ألواح دفتها (؟)، أوفد

آشيمبابار مكلّفاً] إلى جبل الأرز ذي الأريج

[من أجل أخشاب أرضية سطحها]،

50 أوفد آشيمبابّار مكلّفاً إلى غابة إيبلا[٤]

من أجل أخشابها من تنّوب الصنوبر

أوفد نانا ـ سوئين مكلفاً

إلى غابة الأرز ذي الأريج

من أجل [. . .] من العرعر

أوفد آشيمبابّار مكلفاً إلى لانجي[٥]

55 من أجل [. . .] من القصب

أوفد آشيمبابّار مكلفاً إلى [. . .]

من أجل [. . .] من القصب،

أوفد نانا ـ سوئين مكلفاً، إلى [. . .]

---

(١) (Apsu) منطقة مدينة إريدو مقر أنكي حيث محيط المياه العذبة.

(٢) (Du-Ashaga).

(٣) (Kununa).

(٤) (Ebla) المدينة القديمة التي تم اكتشافها في منطقة ادلب السورية (تل مرديخ).

(٥) (Langi).

حينما جُلب القصب من أجل السفينة من توماّل
60 إلى نانّا ـ سوئين؛
ومن الأبسو حين جُلب القار من أجل السفينة
إلى آشيمبابار؛
ومن دو ـ أشاچا حين جُلبت حُزَم الحلفاء
إلى نانا ـ سوئين،
65 ومن غابة الأرز، حين جلبت
أعواد محاجن السفينة إلى آشيمبابار،
ومن غابة الكونونا حين جلبت أخشاب حسن انسيابها،
إلى نانا ـ سوئين؛
ومن جبل ـ الأرز ـ ذي الأريج حين
جلبت ألواح تثبيت دفتها(؟) إلى آشيمبابار،
ومن غابة إيبلا، من أجل أخشاب أرضية سطحها،
70 حين جلبت إلى آشيمبابار؛
ومن غابة الأرز ـ ذي ـ الأريج، من أجل أخشاب التنوب
حين جُلبت (إلى) نانا ـ سوئين،
ومن لا نجي [...] من العَرْعر
حين جُلبت إلى آشيمبابار؛
75 [ومن من [...] [...] ها
حين جُلبت إلى آشيمبابار
ومن أجل [...] من القصب من [....]
حين جلبت إلى نانا ـ سوئين؛
[...]
80 عندها كان آشيمباتّار راضياً عن ذلك!

وضع [...]

وكان نانا ـ سوئين راضياً عن ذلك

(الأسطر (٨٣ ـ ١٦٤) غير كاملة أو مفقودة ويتعذر نقلها. ومن الأرجح أنها كانت تشير إلى بناء السفينة وبداية الرحلة).

«أنا [نانّا ـ سوئين]،

أريد [التوجه؟] إلى مقّر إنليل [ ]

أنا بنفسي، آشيمبابار، إلى مقرّ إنليل

150 [...] أريد التوجه

(الأسطر (١٥١ ـ ١٥٥) مفقودة)

لائحة الهدايا المعدة لمعبد إنليل

[نانا ـ سوئين، اتخذ طريقه إذن

نحو مقر إنليل.

كان يصطحب قطعاناً من الثيران والماشية،

من أجل مقر إنليل.

آشيمبابار [كان يصطحب] النعاج المسمّنة،

160 من أجل مقر إنليل.

أفرغ (؟) نانا ـ سوئين؟ حظائره

من أجل مقرّ إنليل.

أطعم آشيمبابار الجريش المسمّن لماعزه،

من أجل مقرّ إنليل.

165 [...] نانا ـ سوئين الشياهم[1]،

إلى مقر إنليل.

[....] نانا ـ سوئين الجرْذان السنجابية،

---

(١) القنافذ.

إلى مقر إنليل.

[...] آشيمبابار، إلى

مقر إنليل.

170 [....] نانا ـ سوئين فراخ الكودا[١]

إلى مقر إنليل.

اصطحب آشيمبابار من مدجنته(؟)

طيوراً ـ صغيرة [...]

إلى مقر إنليل.

من مدجنته (؟) اصطحب نانا ـ سوئين،

صغار الآزانچونو[٢]

175 إلى مقر إنليل.

كدّس آشيمبابّار(؟) سمك الشبوط الضخم

من أجل مقر إنليل.

[...] نانا ـ سوئين، شبوط المستنقعات [...]

إلى مقر إنليل.

180 أعدّ آشيمبابار بلا حساب الزيوت والجعة المهدئة

من أجل مقر إنليل.

ملأ نانا ـ سوئين سلالاً من البيض

[من أجل] مقر [إنليل]

[استحصل آشيمبابار] على فروع قصب (غضّة)

185 ونبتات فتيّة، من أجل مقر إنليل.

أبعد (نانا ـ سوئين) عدداً كبيراً من النعجات

عن حملانها،

---

(١) (Kuda)

(٢) (Azangunu).

وجعل أكباشه تنزو عليها
من أجل توزيعها على ضفاف التورونچال[١]
[وهو في طريقه نحو] مقر إنليل.
190 كما [أبعد] آشيمبابار عدداً كبيراً من العنزات
عن جديانها،
وجعل تيوسه تنزو عليها
من أجل توزيعها على ضفاف التورونچال
[وهو في طريقه نحو] مقر إنليل.
وأبعد نانا ـ سوئين، أبعد عدداً من البقرات
عن عجولها،
195 وجعل ثيرانه تنزو عليها،
من أجل توزيعها على ضفاف التورونچال
[وهو في طريقه نحو] مقر إنليل.

مراحل السفر ومحاولات المدن الواقعة على الطريق النهري الاستئثار بحمولة القافلة

عندما وصلت مقدمة الموكب إلى إينيجي[٢]،
كانت المؤخرة [لا تزال في أور][٣]
والتي لم يسبق أن غادرت قط، أن غادرت قط معبدها
خرجت منه حينذاك،
200 نينجيريدا[٤] التي لم تكن قط تغادر معبدها
خرجت منه:

---

(١) (Turungal) المجرى القديم للفرات بين مدينة لارسا (Larsa) القديمة وضاحية نفّر الشمالية.
(٢) (Enegi) المحطة للأولى باتجاه نفر وهي على بعد حوالى ١٢٠ كلم منها.
(٣) (Ur) مدينة الإلّه القمر على بعد ١٦٨ كلم تقريباً من مدينة نفر.
(٤) (Ningirida) إلّهة مدينة (Enegi) وقرنية (Ninazi).

«أهلاً! أهلاً! أهلاً! (قالت للسفينة)
أهلاً بسفينة سوئين! أهلاً بالسفينة!»
صعدت إلى [ظهر السفينة الملكية]
وتوجهت نحو مخزن الطحين(؟)
وسكبت من [ ]!
ثم اقتربت (؟) من [حوض] الجعة
وسحبت بيدها سدادته، من خشب البقس!
205 «هذه السدادة (قالت):
سوف أمسحها بالزيوت الثمينة المهدئة!
لكي يفيض هذا المكان سمناً وعسلاً وخمراً،
وحتى سَمكَ الشبّوط ـ الضخم وشبّوط المستنقعات،
[لكي يرتَعِصَ فرحاً(؟)] أمام مقدمة السفينة!»
ولكن السفينة لم تتخلَّ لها عن حمولتها:
«[أنا في طريقي] إلى نفّر!» (قالت السفينة).

عندما وصلت مقدمة الموكب إلى لارسا[١]،
كانت المؤخرة لا تزال في إينيجي
210 والتي لم يسبق أن غادرت قط، أن غادرت قطّ معبدها
خرجت منه حينذاك
شيريدا[٢]، التي لم تكن قطّ تغادر معبدها
خرجت منه (حينذاك)
«أهلاً! أهلاً! أهلاً! (قالت للسفينة،
أهلاً! بسفينة أبي، أهلاً بالسفينة!»

---

(١) (Larsa) المحطة الثانية باتجاه نفّر وهي تقع على مسافة حوالى ١٢٠ كلم منها على مسار دائري تتبعه السفينة بعد إينيجي.
(٢) (Sherida) إلَهة مدينة لارسا وهي هنا قرينة شمش.

إلى ظهر السفينة الملكية صعدت
وتوجّهت نحو مخزن الطحين(؟)
وسكبت من [. . .]
215 ثم اقتربت (؟) من حوض الجعة
وسحبت بيدها سدادته، من خشب البقس
«هذه السدادة (قالت) سوف أمسحها بالزيوت الثمينة المهدّئة!
لكي يفيض هذا المكان سمناً وعسلاً وخمراً،
وحتى سمك الشبوط الضخم وشبوط المستنقعات،
[لكي يرتعص فرحاً (؟)] أمام مقدمة السفينة!»
ولكن السفينة لم تتخل لها عن حمولتها:
[«أنا في طريقي] إلى نفّر» (قالت السفينة).
220 عندما وصلت مقدمة الموكب إلى أوروك[1]
كانت المؤخرة لا تزال في لارسا.
والتي لم يسبق أن غادرت قط، أن غادرت قط معبدها
خرجت منه حينذاك.
إنانّا[2] المقدسة التي لم تكن قط تغادر معبدها،
خرجت منه (حينذاك)
«أهلاً! أهلاً! أهلاً! (قالت) للسفينة
أهلاً بسفينة سوئين، أهلاً بالسفينة!»
225 إلى ظهر السفينة الملكية صعدت،
وتوجّهت نحو مخزن الطحين (؟)
وسكبت من [. . .]
ثم اقتربت (؟) من حوض الجعة

---

(١) (Uruk) مدينة المحطة الثالثة على بعد حوالى ١٠٣ كلم من نفّر.
(٢) (Inanna) إلَهة الحب والخصب.

وسحبت بيدها سدادته من خشب البقْس،
«هذه السدادة (قالت) سوف أمسحها بالزيوت الثمينة المهدِّئة!
لكي يفيض هذا المكان سمناً وعسلاً وخمراً،
وحتى سمك الشبّوط ـ الضخم وشبّوط المستنقعات،
[لكي يرتعص فرحاً(؟)] أمام مقدمة السفينة!»
230 ولكن السفينة لم تتخل لها عن حمولتها:
[«أنا في طريقي إلى نفّر» (قالت السفينة).

عندما وصلت مقدمة الموكب إلى شوروبّاك[1]
كانت المؤخرة لا تزال في أوروك
والتي لم يسبق لها قط، لم يسبق لها قطّ أن غادرت معبدها
خرجت منه حينذاك،
نين أونو[2] التي لم تكن قطّ تغادر معبدها
خرجت منه (حينذاك)
«أهلاً! أهلاً! أهلاً! (قالت) للسفينة،
235 أهلاً بسفينة سوئين، أهلاً بالسفينة!»
إلى ظهر السفينة الملكية صعدت،
وتوجّهت نحو مخزن الطحين (؟)
وسكبت من [. . .]
ثم اقتربت(؟) من حوض الجعة
وسحبت بيدها سدادته من خشب البقْس،
«هذه السدادة (قالت) سوف أمسحها بالزيوت
الثمينة المهدئة

(١) (Shuruppak) المحطة الرابعة وهي مدينة الطوفان السومري وتبعد حوالى ٦٠ كلم عن نفّر.
(٢) (Ninunu) إلّهة شوروبّاك، وقرينة (Ninsazu).

لكي يفيض هذا المكان سمناً وعسلاً وخمراً

240 وحتى سمك الشبّوط ـ الضخم وشبّوط المستنقعات،

[لكي يرتعش فَرَحاً(؟)] أمام مقدّمة السفينة!

ولكن السفينة لم تتخلَّ لها عن حمولتها:

«أنا في طريقي إلى نفّر» (قالت السفينة).

عندما وصلت مقدمة الموكب إلى تومّال[1]

كانت المؤخرة لا تزال في شوروباك

والتي لم يسبق لها قط، لم يسبق لها قط أن غادرت معبدها،

خرجت منه حينذاك

نينليل[2] المحبوبة، التي لم تكن قط تغادر معبدها

خرجت منه (حينذاك)

245 أهلاً! أهلاً! أهلاً! (قالت) للسفينة.

أهلاً بسفينة ابني الأمير، أهلاً بالسفينة!»

إلى ظهر السفينة الملكية صعدت

وتوجهت نحو مخزن الطحين(؟)

وسكبت من [. . .]

ثم اقتربت (؟) من حوض الجعة

وسحبت بيدها سدادته من خشب البقْس

«هذه السدادة (قالت) سوف أمسحها بالزيوت،

الثمينة المهدِّئة،

250 لكي يفيض هذا المكان سمناً وعسلاً وخمراً

وحتى سمك الشبوط ـ الضخم وشبوط المستنقعات

---

(١) (Tummal) المحطة الخامسة والأخيرة للسفينة وهي قريبة من نفر وتبعد عنها حوالى ٨ كلم.

(٢) (Ninlil) إلّهة تومال وهي قرينة إنليل وأم نانا ـ سوئين.

لكي يرتعص فرحاً (؟) أمام مقدّمة السفينة!»
ولكن السفينة لم تتخلَّ لها عن حمولتها
«أنا في طريقي إلى نفّر» (قالت السفينة).

عندما وصلت مقدمة الموكب إلى نفّر
كانت المؤخرة لا تزال في تومّال
على الرصيف البهيّ، رصيف إنليل
255 رست سفينة نانا ـ سوئين
على الرصيف البهيّ، رصيف إنليل،
رست أخيراً سفينة آشيمبابار:
توقف (آشيمبابار) عند مدخل معبد أبيه
الذي ولده،
عند ذلك نادى بوّاب أبيه:
260 إفتح المعبد أيها البواب! إفتح المعبد!
[إفتح] المعبد يا كلكال[1]، إفتح المعبد!
أيها الحاجب [كلكال]! إفتح المعبد!
أيها [الحارس]: أيها الحاجب ـ إفتح المعبد!
إفتح المعبد أيها البواب كلكال! إفتح المعبد!
265 جلبتُ الثيران والماشية قطعاناً
من أجلي، أنا نانّا سوئين، إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب،
[جلبت معي؟] النعاج المسمّنة:
من أجلي أنا، آشيمبابار إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!

---

(١) (Kalkal) بواب معبد إنليل في نفّر.

أفرغت حظائري:

270 من أجلي أنا، نانّا سوئين، إفتح المعبد،

معبد إنليل أيها البواب!

أطعمت ماعزي الجريش المسمّن(؟)

من أجلي أنا، آشيمبابار، إفتح المعبد،

معبد إنليل أيها البواب!

(أنا. . . .) الشياهم:

من أجلي أنا، نانّا ـ سوئين، إفتح المعبد،

معبد إنليل أيها البواب!

275 أنا آشيمبابار [. . .ت] الجرذان السنجابية:

من أجلي أنا، آشيمبابار، إفتح المعبد،

معبد إنليل أيها البواب!

[أنا. . .] فراخ ـ الكودا:

من أجلي أنا، نانّا ـ سوئين، إفتح المعبد،

معبد إنليل أيها البواب!

280 جلبت من مدجنتي؟ طيوراً صغيرة [ ]

من أجلي أنا، آشيمبابار، إفتح المعبد،

معبد إنليل أيها البواب!

جلبت من مدجنتي (؟) فراخ الآرانچونو:

من أجلي أنا، نانّا ـ سوئين، افتح المعبد،

معبد إنليل أيها البواب!

جلبت أكداساً(؟) من سمك الشبوط ـ الضخم

285 من أجلي أنا ، آشيمبابار، إفتح المعبد،

معبد إنليل أيها البواب!

أنا [. . .] شبوط المستنقعات:

[من أجلي أنا]، نانّا سوئين، إفتح المعبد،

معبد إنليل أيها البواب!
جلبت بلا حساب الزيوت والجعة المهدّئة
من أجلي أنا، آشيمبابار، إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!
290 ملأت سلالاً من البيض!
من أجلي أنا، نانا ـ سوئين، إفتح المعبد
معبد إنليل أيها البوّاب!
استحصلت على فروع قصب (غضّة)
ونبتات فتية:
من أجلي أنا، آشيمبابّار إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البوّاب!
أبعدت عدداً كبيراً من النعجات عن حملانها
295 وجعلت أكباشي تنزو عليها،
بغية توزيعها على ضفاف التورونچال:
من أجلي أنا، نانّا ـ سوئين [إفتح المعبد]،
معبد إنليل أيها [البوّاب]!
أبعدتُ عدداً كبيراً من العنزات عن جديانها
وجعلتُ تيوسي تنزو عليها،
300 [بغية توزيعها على طول] ضفاف التورونچال:
من أجلي أنا، آشيمبابار، إفتح المعبد،
معبد إنليل، أيها البوّاب!
أبعدت عدداً كبيراً من البقرات عن عجولها،
وجعلتُ ثيراني تنزو عليها،
بغية [توزيعها على طول] ضفاف التورونچال
305 من أجلي أنا، نانّا ـ سوئين [إفتح المعبد]،
معبد إنليل أيها [البواب]،

إفتح المعبد، أيها البواب كلكال، إفتح المعبد!
وسوف أمنحك هدية تدشين،
ما يوجد في مقدمة السفينة
وكهديّة وداع، ما يوجد في مؤخرتها
وبفرح شديد، بفرح شديد، فتح البواب

310 (عند ذلك) المعبد، يملؤه الفرح!
الحارس كلكال يملؤه الفرح
وبكل بهجةٍ فتح البواب (عند ذلك) المعبد
كلكال، رجل المزلاج، والفرح يملأ قلبه،
بفرح شديد فتح البواب (عند ذلك) المعبد.

إنليل يُعجب بالهدايا ويعدّ مأدبة لابنه سوئين

315 وفي معبد إنليل، أمام الجبل الكبير
قدم نانا ـ سوئين قرابينه.
وإذْ حازت الهدايا على إعجاب إنليل،
أمر بإعداد مأدبة لابنه سوئين
ولِرضاه عن سوئين، أعلن بعذوبة:

320 «قدّموا لهذا الشاب الحلوى: إنّه يُحبّها!
قدِّموا «لنانّا ـ أبيه» الحلوى: إنّه شديد الرغبة فيها
أخرجوا لنا من الإيكور، ما يتيح لنا
أحسنَ القصوف!
اسكبوا له من جعتي الأكثر جودة،
أعدّوا له دنّ الجعة
ثابتاً على قواعده والمسمّى [. . .]!

325 إصنعوا من أجله الحلوى (وأعدوا) الخبز [. . .] والماء البليل»

نانا ـ سوئين يشكر أباه ويعرض مطالبه

فأجاب سوئين أباه ومولِّده:

«أي أبي ومولّدي، ما قدّمته لي من المآكل

غمرني (حقاً)!

أي أبي ومولّدي، أيها الجبل الكبير،

ما قدّمت لي من الشراب

غمرني (حقاً)

أينما وقع نظرك تمتد سيادتك!

330 كم هو رحب خيرك (؟) أي إنليل!

إمنحني إياه يا إنليل، إمنحني إياه

لكي أعود إلى أور!

إمنحني فيض النهر،

لكي أعود إلى أور!

إمنحني الحبَّ حتى زمن متأخرٍ في حقولي،

لكي أعود إلى أور!

إمنحني شبّوط المستنقعات والشبّوط ـ الضخم في أحواض التربية،

لكي أعود إلى أور!

335 إمنحني القصب (الغضّ) والنبتات الفتيّة في المقاصب

لكي أعود إلى أور

إمنحني الأُرويّات والعَنز البري في الأجمات،

لكي أعود إلى أور!

إمنحني المشجور(١) في الأرياف،

---

(١) (Mashgur) نوع من الشجر يُعتقد أنه الطَرْفاء.

لكي أعود إلى أور!
إمنحني أنواع الشراب والخمور في البساتين،
لكي أعود إلى أور!
إمنحني (أخيراً) الحياة المديدة في القصر الملكي
لكي أعود إلى أور!

إنليل يستجيب

340 ومنحه إنليل: منحه كل ذلك،
قبل عودته إلى أور!
منحه فيض النهر
قبل عودته إلى أور!
منحه الحبَّ حتى زمن متأخر في الحقول
قبل عودته إلى أور!
منحه شبّوط ـ المستنقعات والشبّوط الضخم في أحواض التربية
قبل عودته إلى أور!
منحه القصب (الغضّ) والنبتات الفتيّة في المقاصب
قبل عودته إلى أور!
345 منحه الأُرْويّات والعَنز البريّ في الأجمات
قبل عودته إلى أور!
منحه المشچور في الأرياف،
قبل عودته إلى أور!
منحه أنواع الشراب والخمور في البساتين،
قبل عودته إلى أور!
منحه (أخيراً) حياة مديدة في القصر الملكي،
قَبْلَ عودته إلى أور

تحويل البركة إلى ملك أور

أيها الملك الجالس على عرشه بإرادة إنليل

350 ليكن بيد نانا ـ سوئين الحفاظ على حياتك لأمَدٍ طويل!

وأنت على عرشك الذي كفلته نينليل.

وليحفظ آشيمبابار السيد،

حياتك لأمدٍ طويل جداً!

(٨٢) ـ أنكي وبناء البيت

عُثِر على معظم أجزاء هذا النص في نفّر، وهو يتألف من ١٢٩ سطراً، تعود كتابتها إلى نهاية الألف الثالث إلى أبعد حدّ. ومن المحتمل أن تكون النسخة التي وصلتنا تمت إعادة كتابتها في بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

يروي النص، كيف قام أنكي إلّه الأبسو[١] وحده ببناء معبده في إريدو[٢] فوق الغمر وكيف توجّه بعد ذلك إلى نفّر وحاز على بركة الإلّه إنليل، لبنائه البيت «كجبلٍ» لكي يعمر ويدوم.

أنكي يبني لنفسه بيتاً في إريدو

1 في ذلك الزمان، بعد أن كانت المصائر قد قرّرت،
وحين مَنَحت السماءُ سنةً من الرخاء
جعلت العشب والخضرة ينتشران على الأرض،
قام أنكي، ملك الأبسو،
5 السيد الذي يقرر المصائر،

---

(١) (Apsu) المنطقة المستنقعية الواقعة في أقصى الجنوب من بلاد سومر على الشاطىء القديم للخليج حيث كانت تقع مدينة أور. والأبسو، أسطورياً، محيط المياه العذبة الباطنية التي يطفو عليها قرص الأرض كما أشرنا سابقاً.

(٢) (Eridu) هي المدينة التي بنى فيها أنكي مقرّه في وسط الأبسو وهي تقع على بعد حوالى ١٠ كلم من أور.

قام أنكي ببناء قصر من الفضّة واللازورد.
فضّته ولازورده يسطعان كضوء النهار!
نشر هذا المقام البهجة في الأبسو
وكانت جبهاته في بروزها الساطع
10 تنتصب أمام الإلّه نوديمّود[١]
أقامه حينئذٍ من الفضّة المزينة باللازورد
والمطعّمة ذهباً بسخاء!
أقامه في إريدو على الشاطىء
أقام هذا القصر.
كان آجرّه، يُرجع صدى آلاف الأصوات
15 وجدرانه القصبية تُسمع خواراً، كمثل الثيران!
(نعم!) كان قصر أنكي صخّاباً:
حتى في الليل كان يبتهل
ويحتفل بسيّده في صخب بالغ.

إيسمود حاجب أنكي يصف البيت

متوجهاً للملك أنكي، وقف إيسمود حاجبه
أمام جبهة القصر، ومن صميم قلبه صاح (منشداً)،
20 وهو واقف بين جدران الآجر، أسمع صوته (منشداً):
«أيها البيت المبني من الفضة واللازورد
أنت ذو الأسس التي استقرت في الأبسو
حيث يحرص عليك الأمير!
أنت البيت الذي يجلّه دجلة ويجلّه الفرات
25 أنت الذي ينشر البهجة في أبسو أنكي،

(١) (Nudimmud) لقب أنكي ومعناه المختص بعمليات الصنع والخلق.

حَصينٌ هو قضيب غلقك:
مزلاجك كحيوان ضارٍ مخيف
حوامل ذروة سقفك تلقّت في طرفها
ثوراً سماوياً!
حصائر تغطيتك
صُنعت من اللازورد المنسوج فوق الحوامل!
30 مسلّة سقفك ثور بقرنين متطاولين
بوابتك حيوان مفترس يحتجز
الناس بمخالبه؛
حجر العتبة على مدخلك، أسد
رابضٌ يجابه النّاس.
أبسو! أيها المكان الشريف المقدس
يا قصر إنجور[١]، الذي يسكنه سيّدك!
35 أنكي، ملك الأبسو،
زيّن قاعدتك بالعقيق الأحمر،
جمّلك إذْ كساك(؟) باللازورد
يا قصر أنكي، يا انعكاس نور لالْغار[٢] الذي هو تحت الأرض
أنت تشبه ثوراً يسير مستقيماً أمام سيّده
40 ويخور بكل قوة،
مُسمعاً صوته المتناغم!
يا قصر إنجور حيث قام أنكي (شخصياً)
بجدل قصب التصوينة المقدّسة!
فيك أنت، نُصبت المنصّة العالية!

(١) (Engur) تسمية مرادفة للأبسو.
(٢) (Lalgar) تسمية مرادفة للأبسو.

ردهتك، هي «حدّ» السماء المتلألئة!
أي أبسو، أنت أحد الأماكن المقدسة
حيث تُقرَّرُ المصائر!
45 أنكي، الحكيم إلى أبعد حد، السيد
نودّيمود سيد إريدو
ذو «بطن الكبش» الذي لا يمكن لأحد
أن يثبّت نظره عليه،
سوّاكَ كأنك واحِدٌ من أولئك الأبكالّو[1] القدامى(؟)
ذوي الشعور الكثيفة(؟)،
إريدو، أيتها المدينة المفضّلة لدى أنكي!
50 يا قصر إنجور الذي يفيض خيراً!
أي أبسو، محيي البلاد، أيها المفضّل لدى أنكي،
القصر الذي شُيّد على شكلٍ مستطيل،
والذي أحسن تشييده لحفظ أسرار
السلطات كلّها.
إريدو أنتِ التي يتطاول ظلّك حتّى عرْضِ البحر
أيها البحر الهائج الذي لا ندّ له!
55 النهر الجليل العظيم،
الذي ينشر الرعب في البلاد!
يا قصر إنجور الضخم الذي يستحيل هدمه!
يا قصر شاطىء البحر! الأسد في قلب الأبسو
يا بيت أنكي المجيد،
مصدر (كل) معرفةٍ من أجل البلاد كلّها!
هديرك، كأنه هدير نهرٍ في زمن الفيض،

(١) (Apkallu) هم الحكماء الذين كلفهم أنكي قديماً بنقل الحضارة إلى البلاد.

60 أسمِعْنَا نغماً من أجل أنكي السيّد!

في مقرك المقدس تُسمَعُ بشكل شجيّ (الآلات):

ألچار، بالاچ، ألچارسورّا،

خرخار، سابيتوم، ميريتوم[1] التي

تملؤه بالأنغام.

بواسطة البالاچ ذي الوقع العذب

يتعزز الإنشاد(؟):

65 كلّ هذه الآلات، تُحدث فيه أصواتاً،

كلّ على طريقته!

فألچار المقدّس خاصّة أنكي[2] يُصدي منفرداً،

والتيجي[3] السبع تدوّي في (مقرّك)!

لا بديل لأوامر أنكي

كلمته راسخة البناء لا تتزعزع!»

70 هذا ما كان يجهر به إيسمود لجدران الآجرّ

هذا ما كان ينشده بتناغم في قصر إنچور.

أنكي يقرّر الذهاب إلى نفر بعد إنجاز البناء

عندما أنهى بناءه، عندما أنهى بناءه

عندما أنهى أنكي بناء إريدو،

تلك الكتلة الرائعة التتويج

---

(١) (Algar)، (Balag)، (Algarsurra)، (kharkhar)، (Sabitum)، (Miritum) أسماء الآلات الموسيقية المستعملة في المعبد.

(٢) الألچار خاصة أنكي قد تكون آلة موسيقية ابتدعها الإلّه أنكي شخصياً ونحن نعلم كما ورد في لوحة موسيقية اكتشفت في أوغاريت، أن الوتر الرابع في القيثارة التساعية الأوتار هو المعروف سومرياً بالوتر الصغير وأكادياً بالوتر الذي خلقه إيا (Ea)، وسوف تتم دراسة هذه اللوحة في كتاب لاحق.

(٣) (Tigi) تسمية لنوع من الطبول وهي تدل كذلك على نشيد كان يرافقه قرع التيجي.

وكأنها تطفو على وجه الماء،

75 على الشاطىء، وتحت مظلة من القصب، اتكأ

(ليرتاح) في بستانه «أجلبْ ثمراً كثيراً»[1]،

حيث تبني العصافير أعشاشها

فيما يمرح سمك الشبّوط

بين النباتات المائية اللّدنة،

فيما كان يرتعص الشبّوط

بين نبتات الجيزي[2] الفتيّة!

80 ثمّ نهض أنكي واقفاً على قدميه

فأخرجت الأسماك من الماء رؤوسها!

لشدّة ما كان منظره جميلاً وهو منتصب وسط الأبسو.

كان يُدخِل الفرح إلى قصر إنچور،

غير أنّه كان ينشر الرهبة في (عرض) البحر،

ويعمّم الرعب في (وسط) النهر العميق

85 كان يثير على الفرات هيجان ريح ـ الجنوب!

كانت الحيّة الخارقة للطبيعة[3] هي عود محجنهِ

وأعواد «القصب الصغير» كانت بمثابة مجاذيفه!

عندما رفع الشراع،

كان ذلك خلال سنة الفيض!

حلّ بنشاطٍ رباط السفينة

وبسرعةٍ سحب القلْس!

90 وكان كلّما(؟) ابتعَد (؟) عن إريدو

---

(١) تسمية تيمنية للبستان.

(٢) (Gizi) نوع من النبات المائي.

(٣) الصورة الشعرية هنا مستوحاة من الجناس بين (Gi-mush) وهي التسمية السومرية للمحجن وبين (mush) وهي تسمية الحية الأسطورية.

يردّد النهر لمليكه صدىً
شبيهاً بعجيج عجلٍ، أو خوار بقرةٍ رائعة!
(لدى ذهابه) ضحّى (أنكي) بذبائح
ثيران وخرافٍ بكثرة (وسخاء)،
استقدم الطبول التي كانت تنقصه
95 والطبلات التي لم تكن متوافرة لديه
وحين اتّجه إلى نفر،
حمل معه كل ما يلزم
إلى الجيچونو[1]، الهيكل المقدس في نفّر.

أنكي يقيم مأدبة لإنليل ومجمع الآلهة بعد وصوله إلى نفّر

وعندما وصل (إلى نفّر) أمرَ بإحضار الخمر
وأعدّ الجعة
ثم سكب الخمر في آنية واسعة
100 بينما أعدّ جعة الجُنجل
إلى أن حصل على أفضلها جودة،
حرّك بعد ذلك في الكوركورو[2] عصيدة الملت(؟)
ثم سكب حتى الطفح، حجماً مماثلاً من شراب ـ البلح،
وخلّط كل ذلك إلى أن حصل
على شرابٍ «لذيذٍ» ومنعش[3]!
هكذا عمد أنكي في معبد نفّر،
105 إلى تقديم وليمة لأبيه إنليل

(١) (Gigunu) قدس الأقداس المخصص للإلّه إنليل في معبد نفّر.
(٢) (Kurkurru) وعاء.
(٣) لدينا هنا تركيبة «كوكتيل» الإلّه أنكي!

أجْلَسَ آن[1] في المرتبة الأولى

وجعل إنليل يجلس إلى جواره

كما أجْلَسَ نينتو[2] في مركز الشرف

عند ذلك، شغل الآنونا[3] مقاعدهم كلٌّ بدوره

110 قام كل هؤلاء بارتشاف الجعة وتذوّق الخمر،

فامتلأت الكؤوس حتى الطفح

وشربوا نخب السماء والأرض،

وهم توّاقون بهدوء إلى القُربِ المليئة،

(والمجوّفة) كالقوارب.

بركة إنليل بنهاية المأدبة

بعد أن تم شرب الجعة وتذوق الخمر

115 وبعد أن أبعدت عن المائدة محتوياتها

نهضَ إنليل والنشوة تملأ قلبه، في

قصره في نفّر،

وأمام جميع الآنونّا أعلن:

«أيها الآلهة العظام الذين جلسوا هاهنا

أيها الأنونا الذين يديرون مجمع الآلهة،

120 خذوا علماً بأن ابني، أنكي السيد،

قد بنى لنفسه بيتاً!

أقامه في إريدو

كجبل فوق البلد المسطّح!

أقام قصره

---

(١) آن (An) إله السماء.

(٢) (Nintu) الإلَهة ـ الأم.

(٣) (Anunna) أعضاء مجمع آلهة سومر.

في موقع ملائم:
في إريدو، المكان المقدس، حيث لا يمكن لأحدٍ أن يدخل!
بنى بيته من فضّة،
مزيَّنة باللازورد.
125 وسوف يدوّي فيه معاً قرع التيجي السبع[١]
وفيه سوف تصعَّد الصلوات!
وسوف تجعل منه الأناشيد المقدسة
مكاناً مليئاً بالبهجة!
هكذا سوف يكون معبد الأبسو، تحفة أنكي
التي أُحسِنَ تشييدها، لكي تحفظ أسرار السلطات كلها!
ولأنك أقمت في إريدو هذا البيت المقدس
المجد (لك) يا أنكي المبجّل!

(١) (Tigi) نوع من الطبول ورد شرحه سابقاً.

(٢ ـ ٢) ـ بناء الحضارة
ودور الإله أنكي

١ ـ يمكننا القول في ما يتعلق بالحضارة بأن الإلّه أنكي، ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه الإلّه إنليل. وَلئن استمر الولاء لإنليل لمدة طويلة لكونه رئيساً لمجمع آلهة سومر، فإنّ ذلك لم يمنع الإلّه أنكي في كل المناسبات من إظهار حكمته ومهارته في الخلق وفي إيجاد الحلول لإنقاذ الآلهة من المصائب والتعقيدات التي كانت، من وقت لآخر، تحلّ بمجموعهم وتهدّد مصيرهم.

٢ ـ وبالمفهوم الميتي (الميثولوجي)، كان الإلّه أنكي، إلّهاً «قريباً من البشر» أكثر مما كان عليه إنليل بعد إنجاز مساهمته الزراعية، وبعد أن جعل من مدينة نفرّ ومن بيت الجبل، معبدها، محجّاً لبقية الآلهة بقصد تقديم الولاء لإنليل ونيل بركته.

وكإلّه قريب من البشر، فإن أنكي هو الذي كان يدافع عنهم، وهو الذي عارض وأفشل ـ ولو مواربة ـ قرارات إنليل «اللامسؤولة» بصددهم حين أصرّ على إبادتهم. فأنكي هو الذي أوحى إلى «الفائق الحكمة» بما يجب عمله للحيلولة دون استمرار الجفاف والوباء. وهو الذي نقل إليه قرار إنليل بإحداث الطوفان[١] منقذاً بذلك البشرية من الهلاك. وكانت الإلّهة إنانا / عشتار تقف إلى جانب أنكي، حين وُجِّهت إلى إنليل تهمه «إطلاقة الطوفان بدون تروٍ».

٣ ـ وحين خطف الطائر أنزو «لوحة الأقدار» من إنليل وفر بها إلى الجبل، فإن أنكي، هو صاحب فكرة دعوة الإلّهة نينتو، أمّ جميع الآلهة، لحضور اجتماع المجلس

(١) انظر النص رقم (٥٦) في الكتاب الثاني.

وطَلَبَ منها إيفاد ابنها البطل نينورتا للقضاء على الطائر أنزو واسترداد لوحة الأقدار منقذاً بذلك شرف أبيه إنليل[١] ومعيداً بذلك السلطة إلى نفر. وبالإضافة إلى ذلك، فإن أنكي بعد فشل محاولة نينورتا الأولى، هو الذي رسم له خطّة القتال التي تقضي ببتر جناحي أنزو[٢].

٤ ـ وحين سيطر الغرور على نينورتا بعد انتصاره على أنزو وراودته فكرة الاستيلاء على سلطة أنكي، فإن إله الذكاء ومهارة الصنع، هو الذي خلق سلحفاة، أهانت «البطل العظيم». وبذلك تمكن أنكي من تلقين نينورتا درساً في التواضع. وبعملية خلقٍ مماثلة، نُقِلَ عن الإلّه إيا[٣]، وهو أنكي الأكادي، بأنه ابتدع مخلوقة شرسة[٤]، أعدّها لمجابهة الإلّهة عشتار[٥] بقصد تهدئة عنفوانها الحَرْبي وحدّة طبعها وإعداد عشتار المحاربة لتقبّل فترة السلم. وهذا النص عن «عشتار في زمن السلم تجابه صلتو» سوف نعرضه من ضمن فقرة لاحقة تحت رقم (٩٠). أمّا النص الرئيسي في هذه الفقرة، وهو قيام الإلّه أنكي بتنظيم البلاد بعد أن عمّم فيها فترة سلام، و«جعل الناس يتركون أسلحتهم في بيوتهم»، فسوف نورده هنا تحت الرقم (٨٣).

٥ ـ ومتابعةً لمآثر الإلّه أنكي، نذكّر بأنه هو الذي قام بإحياء بلاد دَلْمون بعد أن عمد أوتو الإلّه الشمس، إلى إخراج الماء من الأرض، وعند ذلك، خلق أنكي القصب والأعشاب والنباتات الأخرى. وباقترانه بنيتو «أم البلاد» وبواسطة سلسلة من الاقترانات، ولدت مجموعة آلهات، هنّ إلهة الخضار وإلهة النباتات ذات الألياف وإلهة النسيج وخَلَقَتْ نينخورساج فيما بعد إلهات نباتات الشفاء من الأمراض[٦].

٦ ـ وفي نص آخر[٧] فإن أنكي، هو الذي صمّم وخلق البشر لإنقاذ الآلهة من أعمال السخرة وذلك بناء على طلب أمّه بأن «يمارس مواهبه بذكاء».

ولأنكي أيضاً، يعود الفضل في خلق شجرة النخيل، الشجرة المقدسة وذلك

---

(١) وردت أسطورته تحت الرقم (٦٢) من الكتاب الثاني.
(٢) ورد في النص رقم (٧٢) من الكتاب الثاني.
(٣) (Ea) هو المقابل الأكادي للإله (Enki) السومري.
(٤) هي «صَلْتو» (Saltu) أو «نزاع» وسوف يرد شرح صلتو فيما بعد.
(٥) (Isthar) المقابل الأكادي للإلّهة إنانّا (Inanna) السومرية.
(٦) الرجوع إلى النص رقم (١) من الكتاب الأول.
(٧) النص رقم (٤) من الكتاب الأول.

بواسطة غراب (؟) يقوم بعمل بستاني[1].

٧ ـ وهكذا، بعد أن بنى الإلّه أنكي مقرّه في أبسو إريدو، كما ورد ذلك في النص رقم (٨٢) من هذا الكتاب، ونال على ذلك بركة الإلّه إنليل، فلا غرابة بعد ذلك، بالنسبة لذكائه وحكمته ومهارته في التصور والصنع والخلق، ومآثره التي عدّدناها، لا غرابة أن تصبح مدينته إريدو مثاباً لآلهةٍ يفدون إليها، كما فعل الإلّه نينورتا، طلباً لاستصدار القرار الملائم من أجل سومر (النص رقم ٨٤)، لأن أنكي هو الذي «يقرر المصائر بشكل ملائم» وهو الذي يعرض على مجلس الآلهة بنهاية السنة، «القرار الصحيح». وهو حبيب آن وحبيب إنليل الذي منحه القدرة، لكي تستمر الأفراح بين الملوك والأسياد وهو «سيد الرخاء والمهارة» وسيد المعرفة الذي «يجعل النجوم تجوب في السماء ويعرف عددها!».

٨ ـ والإلّهة إنانّا هي أيضاً ركبت سفينتها، «سفينة السماء» وقصدت إريدو، لتحمل معها «أسس الحضارة» وتعود بها إلى مدينتها أوروك[2]. ومع أن عملية نقل الحضارة هذه لم تتم بشكل عفوي، لأن أنكي ندم فيما بعد على عطائه وحاول إيقاف السفينة، ولكنها وصلت بنهاية الأمر إلى أوروك وأفرغت حمولتها. وهذا ما يرويه لنا بأسلوب سردي لا ينقصه التشويق لمعرفة النهاية، النص رقم (٨٥).

٩ ـ روى لنا النص رقم (٧٩) من هذا الكتاب كيف انتصر الإلّه نينورتا على مخلوق الجبل الغريب «الآساكّو»[3]. وكانت لذلك الانتصار كما أوضحنا من ضمن العرض دلالة حضارية أدت إلى إقامة السدود لحماية جبهة البلاد، وإلى تجميع مياه الجبال وتحويلها لكي تصبّ في دجلة والفرات، وبالتالي تنظيم أعمال الريّ والزراعة.

وفي معركة بدئية ثانية بطلها أنكي هذه المرة، يتم الانتصار على وحش المياه الباطنية، التنين كور[4] الذي كان يسيطر على تلك المياه، وقد يكون انتصار أنكي على التنين كور هو الذي مكّنه من بناء بيته وسط الأبسو[5] ليصبح بذلك أمير الأبسو وسيد

---

(١) النص رقم (١٠) من الكتاب الأول.
(٢) (Uruk) المدينة حيث أقيم معبد «بيت السماء» مقام إنانا.
(٣) (Asakku): «المحارب الشرس الذي لم يقم أي أب على تربيته».
(٤) (Kur) التنين كور كان على ما يظهر يسيطر على المياه الباطنية ويحول دون عصف غضبها.
(٥) (Apsu) مقر أنكي وهو محيط المياه الباطنية حيث أقام أنكي مقره.

مدينة إريدو.

وفي عودةٍ لنينورتا، ومن ضمن نص موازٍ لانتصار نينورتا على آساكّو الجبل (النص رقم ٧٩)، نشهد صراعه مع شيطان المرض «أساج»[١] الذي يقيم في كور، وهنا بمعنى العالم السفلي. وكان للقضاء على أساج أثره السلبي على سومر إذا ارتفع منسوب مياه البحر البدئي فشنّت هذه المياه هجومها على الأرض وحالت دون وصول مياه الريّ العذبة إلى الحقول، فماتت الزروع وعمت المجاعة لأن مياه دجلة لم تعد «صالحة».

وأنقذ نينورتا الموقف بمراكمة الحجارة فوق كور وبناء جدار كبير لحماية سومر من مياه البحر البدئي، وهنا أيضاً نشهد سيطرة نينورتا على مياه البحر ببناء سدّ أمامها كما سيطر على مياه الجبل في النص السابق الموازي.

وعن التنين الذي هدد الأرض أيضاً وصلنا نصان آخران يرويان قصة قتل التنين «لابّو»[٢] والتنين «بشمو»[٣] وسوف نورد تحت الرقم (٨٦) النصوص المتعلقة بالانتصار على التنين.

١٠ ـ النصوص التي أوردناها عن الإلّه أنكي / إيا من ضمن هذه الفقرة، جعلت منه مناراً ومدرسة لنقل الحضارة وهكذا كان الأمر عملياً، إذْ إن أنكي اعتمد في ذلك على معاونين له. ومعاونوه في هذه المهمة، هم الحكماء مثال أدابا[٤] وكذلك الذين عُرفوا بالأبكالو[٥] ناقلو الحضارة، ونورد ما وصلنا عنهم تحت الرقم (٨٧).

١١ ـ وعلى أساس ما تمّ عرضه أعلاه، فإن الفقرة (١ ـ ٥) سوف تشتمل على النصوص التالية:

---

(١) (Asag) كان مقره العالم السفلي وفي كل الأحوال فإن القضاء عليه كان يعني اجتياج مياه المحيط البدئي «المالحة» لبلاد سومر.

(٢) (Labbu) منه اشتق اسم الأسد، كما يعتقد وهنا بمعنى «الغاضب».

(٣) (Bashmu) لا يعرف عنه أكثر من الوصف الذي ورد في النص.

(٤) (Adapa) انظر النص رقم (٧٣) من الكتاب الثاني.

(٥) (Apkallu) نورد شرح التسمية مع عرض النص.

رقم النص	العنوان
(٨٣) ـ	أنكي ينظم البلاد
(٨٤) ـ	زيارة نينورتا لأنكي
(٨٥) ـ	من أوروك إلى إريدو على سفينة السماء
(٨٦) ـ	التنين الهائل الذي هدد الأرض
(٨٧) ـ	الأبكالو ناقلو الحضارة.

(٨٣) ـ أنكي ينظّم البلاد

١ ـ تعميماً للوفر والرخاء في البلاد وإسكاتاً للسلاح ونشراً للسلام، يقوم الإلّه أنكي بجولته في بلاد سومر والعالم المحيط بها. يقرّر المصائر، ويحدد لكل دوره. يخصب مياه دجلة والفرات ويجعلها تتدفّق، كما ينظم العلوم والفنون ويعين لها حماتها من الآلهة.

٢ ـ يتألف النص من ٤٦٧ سطراً ويعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد وقد عثر على معظم أجزائه في مدينة نفرّ. وينتهي النص، على الرغم من فقدان القسم الأخير منه، بنقاش مهم حول دور الإلّهة إنانّا في «زمن السلم»، بصفتها إلّهة للحرب بالإضافة لكونها إلّهة للحبّ والخصب.

٣ ـ نذكّر بأن مقتطفات من هذا النص أوردناها سابقاً تحت عنوان «أنكي وبلاد سومر» في النص رقم (٥) من الكتاب الأول.

نشيد تمجيد أنكي والتغنّي بمركزه بين الآلهة

1 أيها الإلّه، عظيم أنت في الكون!
لك السيادة بالطبيعة!
أي أنكي المبجل، وليد الثور،
وليد الثور الوحشي[١]

(١) صفة تمجيد يعنى بها إلّه السماء السومري آن (An).

حبيب إنليل، الجبل ـ الكبير، وحبيب
آن المقدس!
أيها الملك! يا شجرة الميس[١] القائمة
في الأبسو مشرفة على الأرض،
5 المنتصبة في إريدو كتنين شامخ،
تحمي العالم بظلّها!
أيها البستان ذو الأغصان المنتشرة
على البلاد كلها!
أنكي، يا سيد رخاء الأنونّا[٢]
أي نوديمود[٣] صاحب السيادة المطلقة في الإيكور،
الكليّ القدرة في السماء كما على الأرض.
10 أنت صاحب [القصر] المقام في الأبسو دون مثيلٍ
والذي يشكل الدعامة الكبيرة للعالم!
بلفتة عين منك يا أنكي، تقلب الجبل
من حيث تأتي الثيران الوحشية والأيائل،
والخنازير البرية والشياهم!
حتى [. . .]، حتى المروج، حتى المهاوي الوعرة،
15 حتى السماوات المتلألئة، الممتنعة،
أنظارك مديدة، كأنّها قصب الخلخال!
أنت الذي تعدّ الأيام وتضع الأشهر
في أماكنها وتحسن إنهاء السنين
وحين تنتهي (كل سنة)

---

(١) (Més) أشرنا سابقاً إلى أنها شجرة محلية عرفتها بلاد ما بين النهرين لم يتمكن العلماء من تحديد نوعها ويظهر هنا أنها كانت تنمو في الأبسو.
(٢) (Anunna) مجموع الآلهة ـ العظام الذي يشكلون مجلس الآلهة السومري.
(٣) (Nudimmud) لقب الإلّه أنكي ومعناه العارف بكيفية الصنع والإنتاج والخلق.

أنت الذي تعرض على المجلس القرار الصحيح.
وتعلن الحكم[1] أمام الجميع!
20 أي أنكي الجليل، سيّد جميع البشر
هو أنت!
كل شيء يتوافر، فلا تكاد تتكلم
حتى يغمر الأرض الرخاء!
[...] غصونك المثقلة بالثمار التي [...]،
تُزيّن وتزيد في ثراء [....] الآلهة
[....] ك شجرةٌ(؟) في الغابة،
رداءٌ من الصوف طويل(؟)!
25 نعاجك وخرفانك المختارة
تزيّن وتزيد في ثراء الـ[....]
وعندما الـ[....] يقوم بحراثة(؟) حقولك
المعدّدة لذلك،
أكوامٌ وأكداسٌ من الحبوب تتراكم (تبعاً لأمرك)!
[في الأرياف] توزّعُ الحظائرُ والزرائبُ
أدسمَ حليبها
وينغّم الراعي ببهجةٍ أغنيته
30 وبصبرٍ يمخض (الريفي) قِرْبةَ الحليب
وأنت وفقاً للطقوس، ترتّب جميع المنتجات
في أطباقٍ من أجل غرفة طعام الآلهة!

دور أنكي تجاه البشر

كلمتك تملأ الرجل الشاب قوةً

(١) المقصود هو الحكم الذي يتقرر بموجبه مصير البلاد للسنة المقبلة.

وكالثور في الحلبة ينطح بقرنه!
كما تقوم المرأة الشابة تبعاً لأمرك
بتعديل كسوة رأسها

35 التي يعجب بها الجميع في كل مكان
(السطران ٣٦ و٣٧ ناقصان).

40 إنليل، الجبل ـ الكبير، منحك القدرة على

39 أن تُبهج وأن تجعل الأفراح تستمرّ

38 بين الملوك والأسياد

41 [أنكي] أنت سيّد الرخاء والمهارة
[أنت الإلّه] الذي هو حبيب آن يا زينة إريدو!
أنت الذي تُعدّ [الأوامر] والقرارات
وتقرر المصائر بشكل ملائم

45 أنت الذي تجعل النجوم تجوبُ السماء
وتعرف عددها!
أنت الذي ركّنت البشر في مساكنهم
وسهرتَ لكي يتبعوا راعيهم!

(سطران مفقودان)

50 أنت الذي جعلتهم يتركون السلاح في بيوتهم[. . . .]،
فضمنت لهم بذلك أن يعيشوا بسلام!
عندما يقوم أنكي الموقّر باجتياز الأرض المبذورة
تنتج (هذه الأرض) حبوبها بكثرة!
عندما يزور نوديمود، نعاجنا الحوامل
تلدُ (عندئذٍ) الحملانَ السمان!
عندما يأتي لزيارة بقراتنا الخصبة،
تلد (عندئذٍ) العجول الممتلئة الجسم!

55 عندما يأتي لزيارة عنزاتنا الولودة
تلد (عندئذٍ) جدياناً وافرة اللحم!
عندما تأتي لزيارة حقولنا وأريافنا،
تجعل الحبّ يتجمّع أكواماً وأكداساً،
على السهل المرتفع
وحين تقترب منها، ولو قليلاً
فإن الأماكن الأكثر جذباً في البلاد
[تتحول إلى مراعٍ مخضوضرة]
60 سطر (مفقود)

أنكي يعرّف بنفسه

يقوم أنكي، ملك الأبسو، واثقاً من عظمته
بتمجيد نفسه معلناً:
«أبي ملك السماء والأرض
وضعني في المرتبة الأولى من الكون!
أخي البكر، ملك البلاد كلّها،
65 وضع بين يديّ جميع السلطات
ومن الإيكور[(١)]، معبد إنليل
حملتُ إلى إريدو، إلى الأبسو،
جميع الفنون![(٢)]
أنا هو الوريث الشرعي، وليد الثور
الابن الذي يفتخر به آن!

---

(١) (E.kur) معبد إنليل في نفّر ومعناه بيت الجبل.

(٢) من نفّر حمل أنكي جميع الفنون إلى مدينته إريدو. وسوف يرد بالتفصيل ما يوازي نقل أسس الحضارة (الفنون) من مدينة إلى أخرى في النص رقم (٨٥) حين تزور إنانا إريدو بقصد نقل أسس الحضارة إلى مدينتها أوروك.

أنا هو الإعصار الهائل الذي خرج
من تحت الأرض
أنا سيّد البلاد العظيم
70 أول الملوك، أبو العالم
أخو الآلهة البكر، خالق الكثرة،
مستشار الكون،
أنا المهارة وطاقة الخلق القُصْويان
أنا الذي، إلى جانب آن على منصّتهِ،
أحكم بالعدل.
75 أنا الذي أتفحّص الأرض قبل تقرير مصيرها،
مع إنليل جنباً إلى جنب،
(إنليل) هو الذي خوّلني هذه المهمة
(أمارسها) حتى أطراف العالم!
أنا المفضل الحقيقي لدى نينتو[١]
أنا الذي تلقيت من نينخورساج[٢] إسماً مباركاً[٣]
80 أنا سيّد الأنونّا
ابن آن الرئيسي
الذي هو فخر أبيه!»
وعندما كان الإلّه (أنكي) يعلن على هذا
الشكل فائق سموه
وعندما كان الأمير الكبير، يعرض تمجيده لنفسه
كان الأنونّا وهم وقوف أمامه
يصلّون ويبتهلون إليه قائلين:

(١) (Nintu) الإلّهة ـ الأم، ومعناها سيّدة الولادة.
(٢) (Ninhursag) قرينة إنليل ومعناها سيّدة الجبل.
(٣) بمعنى مصير حظٍ سعيد.

أيها الإلّه الذي يمتلك الفنون كلّها،

85 أنت الخبير (بإصدار) القرارات، الذي يستحق التصفيق،

المجد لك يا أنكي!

ولشدة رضاه عن نفسه، وللمرّة الثانية

كان أنكي، ملك الأبسو، وبكامل سموّه

يعظم نفسه مكرراً:

«أنا هو سيد النظام الذي لا جدال فيه، (أقف)

في المرتبة الأولى من الكون،

تنفيذاً لأوامري، أقيمت المعالف،

وسيّجت الحظائر.

90 حين ألمس السماء تنبجسُ منها أمطار الرخاء

حين ألمس الأرض يأتي الفيض

وحين ألمسُ الحقول المخضوضرة

تتجمع أكوام وأكداس من الحبّ تبعاً لأوامري!

معبد إريدو

في مكان مقدس، بنيتُ قصري، (أقمت) معبدي[١]

وأطلقت عليه إسماً مباركاً

95 في [. . .] أقمت في الأبسو خاصتي معبدي

وقررت له مصيراً سعيداً.

يمتد ظلّ هذا القصر على الهوْر النائم

حيث تحرك الأسماك عذباتها

بين «النباتات ـ الغضّة».

وبين نبتات «القصب ـ الصغيرة»،

---

(١) وردت تفاصيل بناء هذا القصر في النص رقم (٨٢).

يحرّك سمك الشبّوط ذيله

وفي عشوشها تزقزق جماعياً العصافير الصغيرة.

100 في حضرتي، يصمت

المسؤولون عن المعبد

وفي [...] يأتون إليّ، أنا أنكي!

102/ 103 الأبكالو[١] [...]

104 الإينكوم[٢] [...]

105 أمامي أنا، يتطهّرون بالماء [...]

الأناشيد المقدّسة والابتهالات

تملأ الأبسو!

وصف سفينة أنكي

سفينتي «التاج»، «أيّل الأبسو»

تحملني بخفّة و(تنقلني)

حيث أريد الذهاب: على الهوْر المقدس

110 إنها تهزّ ردفيها

وتمشق نحوي (؟) «رقبتها»

المجذّفون عليها، يعرفون جيداً كيف يفعلون

(يجذّفون) وهم ينشدون، مما يجعل النهر فرِحاً!

ونيمجيرسيج[١] القائد

يرفع عصاه الذهبية

115 ليقود سفينتي «أيّل الأبسو».

(١) (Apkallu) كان أنكي/إيا يعتمد في مهمته الحضارية على مساعدين سبعة هم الأبكالو وسوف يردون في النص رقم (٨٧).

(٢) (Enkum) منشدو الآلهة ومؤنثه (Ninkum) نينكوم للمنشدات.

(٣) (Nimgirsig) اسم قائد السفينة.

أنكي يقرّر القيام بجولته في البلاد لتقرير المصائر

أنا السيّد، أريد الذهاب!

أريد بلوغ بلدي [...] أنا أنكي!

أريد [...] أنا سيّد المصائر!

(الأسطر (١١٩ ـ ١٢٣) غير واضحة ويظهر من خلالها أن أنكي يؤكد قراره للسفر لزيارة سومر أولاً ثم بقية البلاد، بقصد التنظيم وتقرير المصير...)

124 بلاد ماچان[١] ودلمون

تتجهان نحوي، أنا أنكي،

لتحمّل حتى الامتلاء الكامل سفائن دلمون

وتشحن حتى السماء سفائن ماچان!

وسفن شحن الملوخّا[٢]،

سوف تنقل الذهب والفضّة

130 حتى نفرّ، من أجل إنليل، ملك كافة البلاد

أما للذين لا مدن لهم أو بيوت

إلى المارتو[٣] فسوف أجعل القطعان نصيباً لهم.

الأنونا يوافقون على أهداف أنكي

وبتوجههم عند ذلك إلى الأمير العظيم

الذاهب لزيارة بلاده،

تكلّم الأنونّا بامتنان (قائلين):

135 «أيها الإلّه، يا سيد السلطات الرئيسية

السلطات المقدسة!

---

(١) (Magan) المنطقة الساحلية المجاورة لخليج عمان.

(٢) (Melukha) الشاطىء الغربي لشبه الجزيرة الهندية.

(٣) (Martu) هم قبائل البدو الذين يتجولون في الشمال الغربي من بلاد ما بين النهرين بجوار البليخ والخابور من شمالي سورية. انظر النص (رقم ٧٥) من هذا الكتاب.

المكلّف بالسلطات العظمى، السلطات
التي لا عدّ لها!
أنت الذي هو أكثر بروزاً في الكون الكثير الاتساع
أنت الذي خَصَّصت بالسلطات العليا
إريدو، المقام المقدس
أنكي يا سيد الكون، المجد لك!»
140 عند ذلك، ومن أجل الأمير العظيم،
الذاهب لزيارة بلاده
الأسياد والملوك،
ومُعَوِّذو إريدو
والذين «يرتدون ـ الكتان»[1] في سومر،
جميعهم، أقاموا شعائر التطهير في الأبسو.
145 ووقوفاً في المقام المقدس، المكان الذي
لا شبيه له، المخصص لأنكي الموقر،
نثروا الماء (المقدس) على مسكن الأمير
مكاناً بعد مكان.
غسلوا الأبسو، المقام العظيم،
جارّين عليه أغصان العرعر الطويلة،
الشجرة المقدّسة
150 أصلحوا حالة الـ[. . .] المقدّس
الممرّ المخصّص لأنكي!
وأقاموا بعد ذلك عبّارة إريدو
المؤدية إلى الرصيف البديع؛
وعندما تمّ إرساء «أيّل الأبسو» (السفينة)

(١) الكهّان المكلفون بالمراسم الدينية.

على الرصيف المقدّس والمدهش نفسه،
قاموا بإعداد مُصلّى الأوسجا[1] المقدس
مرددين فيه من أجل أنكي صلاةً تلو صلاة!
الأسطر (١٥٥ ـ ١٦٤) مفقودة
165 وخلال (أغصان) «القصب الصغير»
كانت أسماك الشبّوط تحرّك أذيالها (فرحاً)!
رُفعَ حينئذٍ في الأبسو الشعار الكبير،
المظلّة الواقية،
التي تغطّي المكان وتطَمئِنُ الناس!
وبشكل مسيطرٍ على الهوْر، رفعوا السارية
المنتصبة على الكون!
ثمّ عمد الإله، أمير الأبسو العظيم،
170 واقفاً على «أيّل الأبسو»، (عَمد)
إلى إصدار أوامره (وتعليماته)
كان مستقيماً ورائع الجمال
كشجرة ميس[2] نبتت في الأبسو
وهو الذي من أجل إريدو، المقام المقدس،
المكان الذي لا شبيه له
قد احتفظ بالسلطات العظمى.
ومراقب الأرض ذو السمو المطلق، إبن إنليل
قبض على المِحجن المقدّس!
175 والبطل بتلفّته بكل فخر نحو الأبسو(؟)
(الأسطر (١٧٦ ـ ١٨٣) مشوّهة وغير قابلة للفهم)

---

(١) (Usga) مصلّى قريب من رصيف إريدو.
(٢) (Més) وردت في السطر ٤ أعلاه.

184 قام القائد نيمجيرسيج، مواجهاً للإله
برفع عصاه الذهبية.
وبينما كان اللاخامو[١] الخمسون
يتوجهون (إلى أنكي) بخشوع
كان المجذِّفون [. . .]، كطيور ـ الخاچام[٢]
يطوِّفون الملك بجلال:

الوصول إلى سومر

يقترب أنكي المبجّل من البلد،
ولكي تُحقِّق زيارةُ الأمير العظيم هذه،
190 تعميمَ الرخاء في كل مكان!
قرّر (أنكي) مصير البلد بهذه التعابير:
«أي سومر، البلد العظيم، والإقليم اللامتناهي،
المغلّف بالنور الذي لا ينطفىء
يا من توزِّع السلطات على الشعوب كلّها
شرقاً وغرباً!
سامية وعَصِيّة هي سلطاتك
195 وقلبكِ تملؤه الأسرار التي لا تُكتنه
ومهارتكِ الخلاّقة، القادرة أن تلد
حتى الآلهة[٣]
هي أيضاً بعيدة المنال كما السماء:
إنها تلد الملوك الذين تحمّل (رؤوسهم)
بالتيجان الحقيقية،

---

(١) (Lakhamu) آلهة ثانوية مائية تحت تصرف أنكي.
(٢) (Khagam) نوع من الطيور المائية (؟).
(٣) إشارة إلى مهارة أنكي في تنفيذ صور وتماثيل للآلهة. .

(وتلد) الكهنة الذين (تميزهم) عمائمهم!
بسمو فائق يجلس سيّدكِ
جنباً إلى جنب مع آن على منصته!
200 مَلِكُكِ إنليل المبجّل، الجبل - الكبير،
أبو الكون، ألبسك رداء الـ[. . .]
الذي يشبه شجرة مخضوضرة!
الأنونّا، الآلهة العظام
المستقرون في بيتكِ
يحتفلون في جيچونا[١] معبدك،
تغمرهم الروائح الطيبة من جميع الألوان!
205 يا بيت سومر، سوف تقام لكَ
حظائر عديدة
وسوف تتكاثر مواشيك الكبيرة!
وبسخاءٍ سوف تُبنى لك زرائبك:
وسوف لا تُحصى ماشيتك الصغيرة!
جيچونا معبدك سوف يلامس الغيوم،
وسوف يرتفع معبدك الحقيقي حتّى السماء[٢]
وفيه، سوف تقرّر الأنونّا المصائر!»

الوصول إلى أور

210 ولدى وصوله إلى أور، المدينة المقدّسة
عمد أنكي، ملك الأبسو إلى إقرار المصير كما يلي:
«أيتها المدينة الكلية ـ الكمال، التي تغتسل في الماء (قواعدها)
أيها الثور القوي

---

(١) (Giguna) المكان المخصص لسكن الإآله في معبده.
(٢) المقصود هو بناء الزيقورة أي البرج ذو الطبقات.

أيتها المنصّة الغنية التي تسيطر على الأرض
المرتفعة مثل جبلٍ
أيّتها الغابة الصغيرة الفائحة طيوباً
ظلّك منتشر وأنت واثقة من قوّتك
215 سوف تغمرك (رضىً) السلطات المعدة من أجلك!
لأن إنليل، الجبل - الكبير
لفظ اسمك الرائع أمام الكون (بأجمعه)
أيّتها المدينة التي قرّر مصيرها أنكي
يا مدينة أور المقدّسة، سوف ترتفعين
حتى السماء!»

مصير منطقة مِلوخّا[١]

ولدى وصوله إلى بلاد ملوخّا
220 قرر لها أنكي ملك الأبسو المصير التالي:
«أيها البلد الداكن[٢]، أشجارك سوف تكون كثيفة،
في غابات سكانك الأصليين!
المقاعد التي سوف تُصنَعُ منها[٣]
سيكون لها مكانها اللائق في قصور الملوك!
قصبك سوف يكون كبير القساوة، قصبك المحلي[٤]
سوف يرفعه الشجعان كسلاح
في ساحات القتال!
225 ثيرانك، ثيرانك المحليّة، سوف تكون ذات بأس.

(١) (Melukha) ورد الشرح في السطر ١٢٨ أعلاه.
(٢) قد يردّ ذلك إلى لون بشرة سكانها.
(٣) خشب الموغانو الهندي(؟).
(٤) قصب البامبو(؟).

خِوارها سوف يماثل

خوار ثيران الجبال!

سلطات كبيرة، أعدها الآلهة من أجلك!

سوف تكتسي (أحجالك) جميعها ريشاً من العقيق

كل طيورك سوف تكون طواويس

230 تملأ أصواتها قصور الملوك!

فضتك سوف تتحول إلى ذهب

ونحاسك سوف يصبح شبهاً

سوف يزيد بوفرةٍ إنتاجك في المنطقة

وسكانك سوف يتكاثرون

235 وكل واحد من رجالك

سوف يكون ثوراً من أجل الآخرين

مصير ماچان[١] ودلمون[٢]

(السطران (٢٣٦ و٢٣٧) مفقودان وقد يتضمنان إشارة إلى بلد ماچان)

(و؟) أنكي نظّف بعد ذلك بلاد دلمون وطهّرها.

عينّ لها نينسيكيلا[٣] حاميةً

240 وفي معبد البلاد الرئيسي وقف (أنكي) أهْواراً

لكي تؤكل أسماكُها؛

وفي أرضها الصالحة للزراعة عينّ بساتين نخيلٍ

لكي تؤكل تمورها!

---

(١) (Magan) ورد الشرح في السطر ١٢٤ أعلاه.

(٢) (Delmun) منطقة البحرين (راجع النص رقم (١) من الكتاب الأول).

(٣) (Ninsikila) بمعنى السيّدة الطاهرة.

مصير بلاد عيلام ومارخاشي[1]

[قرر بعد ذلك(؟)]

من أجل بلاد عيلام ومارخاشي،

[تلك البلاد المحبّة للحرب] والتي تلتهم كل شيء(؟):

أن يتمكّن الملك المخوّل من قبل إنليل، السلطة في البلاد،

من هدم مساكنهم ودكّ أسوارهم

وأن يحمل إلى إنليل

إلى ملك الكون في نفّر

فضّتهم ولازوردهم

(وجميع) كنوزهم!

مصير قبائل المارتو[2]

أما الذين لا مدن لهم ولا بيوت

المارتو فقد خصص لهم القطعان نصيباً!

العودة إلى سومر والاهتمام بدجلة والفرات

250 بعد أن حوّل (أنكي) نظره

عن جميع هذه الأماكن

وعندما وجّه أنكي الموقّر نظره إلى الفرات

رفع قامته وكأنه ثور متلهّف،

نصّب قضيبه ودفّق منيّه

فملأ النهر بالماء المتلألىء

255 كما لو كان (النهر) بقرة في المراعي

تخور من أجل عجلها الذي بقي في الحظيرة [. . .]

---

(١) (Markhashi) المنطقة الواقعة إلى الشرق من سوز العيلامية في بلاد إيران.

(٢) (Martu) ورد الشرح في السطر ١٣٢ أعلاه.

ثم خضع له نهر دجلة بعد ذلك،
كما يخضع لثور متلهّف
وهو منتصب القضيب، يدفع «بهديّة ـ العرس»:
وكثور وحشي عملاق في حالة النزو
جعل دجلة يشعر باللذة
والماء الذي سكبه هكذا، كان متلألئاً
عذباً ومُسكراً
260 والحَبّ الذي ينتجه هذا المكان كان
وازناً ومغذّياً!
فغمر على هذا الشكل مسكن إنليل بالثراء!
وبفضل (أنكي) ابتهج إنليل وعمّت الأفراح في نفّر!
ثم تكلّل أنكي بعد ذلك بتاج الرئاسة
وغطّى رأسه بالتاج الملكي
265 وإذْ لامسَ الأرض بيمينه،
جعل الكثرة تتدفق من الأرض
(أما الذي) يُمسك العصا بيساره
ويردد بنشاطٍ الكلمات
التي تجعل مياهَ
دجلة والفرات تتمازج
270 (أما الذي) في القصر يجعل الرخاء ينسكب
سهلاً كالزيت
فهو إنبيلولو[١] مراقب المسالك المائية
وهو الذي عَيَّنه الإلّه الذي يقرر المصائر،
أنكي ملك الأبسو

(١) (Enbilulu) إلّه ثانوي مكلف بالاهتمام بالأنهار وبمجاري المياه والأقنية.

(عينه ليهتم) بالنهرين.
ثم يستذكر (أنكي) الهوْر الذي يزوِّده بالأسماك [. . .]
275 ومنابت القصب التي يزوِّدها بالقصب الجاف
وبالقصب الغضّ.
(الأسطر (٢٧٦ ـ ٢٧٨) مفقودة)

نانا[١] تهتمّ بالهوْر

(ثم إلى التي) لا يمكن لأية سمكةٍ
التحرر من شباكها
280 وإلى التي لا يمكن لأي رباعيّ القوائم،
الهرب من حُفرِ مصائدها،
إلى التي لا يتخلص من فخاخها أي عصفور
ابنة الـ[. . . .]
إلى نانا (؟) حبيبة الأسماك،
عهد أنكي بالهوْر.

لنانشي[٢] المبجلة البحر ومعبده

285 ثم أقام (أنكي) معبداً،
مقاماً عزيزاً وذي متاهات:
أقامه في عرض البحر
هذا المقام ذو التقسيمات البديعة،
والمعقدة كتلافيف جديلة

---

(١) (Nanna) هنا إلّهة ثانوية تهتم بمنطقة الأهوار في الجنوب.
(٢) (Nanshé) هنا إلّهة ثانوية مكلفة بحماية البحر ومتاهاته في المنطقة الجنوبية من البلاد في دلتا النهرين وقد تكون هي نفسها الإلّهة التي ارتبط اسمها بمدينة لغش (Lagash) في فترة الحكم السومري الجديد وسوف يأتي ذكرها بالتفصيل فيما بعد.

والتي تشبه قاعدتها
كوكبة الفرس الأعظم
ويشبه جزؤها العلوي كوكبة العَرَبَة
290 [يغلّف المعبد] موج صاخب
ينبعث منه بريق خارق ورهيب
وحتى الأنونّا الآلهة ـ العظام
لم يجرؤوا على الاقتراب منه
ثم أقام فيه [. . .]، فعمّت البهجة القصر
ووقف الأنونا أمامه مصلّين مبتهلين!
في هذا المعبد البحري
أقاموا لأنكي منصّة عالية
295 ومن أجل الإلّه [. . .]
الأمير العظيم [. . .]
عصفور [. . .]
غمر (أنكي) الإيكور[١] مقرّ إنليل بالغنى
وبواسطة أنكي ابتهج إنليل
وملأت البهجة نفّر!
300 ثم إلى تلك التي تَتَنَقَّل(؟) في المقام العزيز
وتدفع إلى الاقتران(؟) [. . .]
موجة البحر الكبيرة
وهياج الريح والمدّ العالي،
إلى تلك التي خرجت من تجوّف أمواج (؟) البحر[٢]

---

(١) (E.Kur) بمعنى بيت الجبل وهو مقر إنليل في نفّر.
(٢) تذكر هذه الصورة بولادة أفروديت الإغريقية من زبد أمواج البحر وحملتها الرياح حتى شواطىء قبرص.

305 إلى سيّدة سيرارا[١]، إلى نانشي المبجّلة،
أناط أنكي البَحْر بكامل اتّساعه.

أنكي ينظم تغير حالة الطقس

ذكر أنكي بعد ذلك المطر، ماء السماء
الذي جمّعه في الأعالي في أشكال
غيومٍ عائمة؛
310 ودفع حتى الأفق الريح التي تحرّكها
لكي تتحول الأرض الموات إلى حقولٍ تنتج الحبوب.
(أما) راكب العواصف
الذي ينقضّ على البرقِ
والذي يغلق السماء بمزلاجه المهيب،
ابن آن، مراقب الكون،
315 إيشكور[٢]، سيد الرخاء(؟)
(كلّ ذلك) كلّفه به أنكي.

الأعمال الزراعية والحبوب

سيّر أنكي بعد ذلك المحراث
مع النير والمِكْدَن
الذي شكّله الأمير العظيم من ثورين قَرِنَيْن
بغية شقّ التَلَمِ الكريم
وجعل الحَبّ ينبت في الحقول المحْروثة
(وهو) السيد المتوّج «بزينة الحقول»

---

(١) (Sirara) المدينة التي أقام فيها الملك السومري إينتيمينا (Entéména) (حوالى ٢٤٣٠ ق. م) معبداً للآلهة نانشي.
(٢) (Ishkur) إلّه الأمطار والعواصف السومري وهو الذي حل محله أدَدْ فيما بعد.

فلاح إنليل الماهر،
أنكيمدو[١]، حامي المجاري
والسدود الأرضية،
إليه، أناط (أنكي) (بالزراعة)
325 ثمّ تلفت الإلّه نحو الحقل المحروث
وزوّده بالچونو[٢]
(كما) زوده بالبيقة والعدس و[الفول (؟)]،
كدّس فيه أكواماً من الإيشتوب[٢] والچونو[٢] والأيّنوخا[٢]
وكثّر فيه الحزمات والكوم.
ومن أجل إنليل عمّم الكثرة في المنطقة!
330 (وأمّا) السيدة ذات الرأس والجسم المبقّع
وذات الوجه الذي يتقطر عسلاً
التي تشجع على التسافد، حيوية البلاد
حياة الرؤوس السوداء،
(أمّا) أشنان[٣]، الحبّ - الجيّد، الخبز الشامل
فهي التي عهد إليها (أنكي) (بالحبوب)!

أعمال الآجرّ والعمارة

ثم قام الأمير العظيم بتزويد المعزق بحبل،
وأعدّ القالب - للآجر
335 ثم قطع وكأنه (يقطع) في السمن
مساحات في الصلصال المتبّن

(١) (Enkimdu) اسم الفلاح وقد تعرفنا عليه من خلال منافسته مع الراعي دوموزي كما ورد في النص (١١) من الكتاب الأول.
(٢) (Eshtub) و(Gunu) و(Innukha) ثلاثة أنواع من الحبوب.
(٣) (Ashnan) إلّهة الحبوب (راجع النص رقم ٧: من الكتاب الأول).

(وإنه) الإلّه حامل المعزق ذي الشطرين
كأنه [. . . .] الثعبان
صاحب قالب ـ الآجر المتين
و[. . . .] المتوازية
(إنّه) كُلا[١]، الذي يرتّب بحذاقة
الآجرات المستخرجة من قالبها
إلى كلاّ عهد (أنكي) بهذه الصناعة
340 ثم عمد بعد ذلك إلى شدّ حبل (البناء)
وخطّط أساسات مستقيمة
وتلبيةً لإرادة مجمع (الآلهة)، رسم مخطط مسكن
وطلب أن تنفّذ عليه عملية التطهير (الأولية)
ثم بعد ذلك قام الأمير العظيم بحفر الأساسات
وبنى عليها جدران الآجر
(وإنه) إلّه المداميك التي لا تتزعزع
(إلّه) البنيان الذي لا ينهار قط
345 والذي تلامس السماء صقالاته(؟)
كأنها قوس ـ قزح.
إنه موشداما[٢] البنّاء ـ العظيم، (بنّاء) إنليل،
إليه عَهَد أنكي (بهذا الفن)،

المراعي والحظائر

ثم على السهل الفسيح وضع (أنكي)
إكليلاً كريماً،
وعلى السهوب، نَشرَ فروةً لازوردية؛

---

(١) (Kulla) إلّه الآجر المعدّ للبناء.
(٢) (Mushdamma) إلّه فن البناء والعمارة.

وألبسها تاجاً من اللازورد

350 كما حَبَا الأرض الخصبة بالأعشاب الغزيرة؛

زوّد فيها القطعان وأسكنها بيسر،

فتكاثرت فوق المراعي الكباش والنعجات(؟)

إذْ جعلها تتسافد!

وإنّه البطل، تاج السهوب،

وملك السهل

أسد البرية

قبضة إنليل الرائعة والشديدة البأس

355 (إنه) شاكان[1] ملك «الجبل»

إليه عهد (أنكي) «بالحياة الرعوية»

ثم بنى (أنكي) بعد ذلك الحظائر

ووضع قواعد صيانتها؛

أقام الزرائب،

وزوّدها بالحليب الدسم، أفضله!

وهكذا ملأ بسخاء

قاعة طعام الآلهة.

360 وفي السهب المخضوضر عمّم اليسر!

(وإنه) الملك، مموّن الإيانا[2] الأمين

صديق آن[3]

«الصهر» المحبوب من قبل سين ـ الشجاع[4]،

---

(١) (Sakan) الإلّه الثانوي المسؤول عن الماشية الصغيرة.

(٢) (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو معبد الإلّه آن.

(٣) (An) إلّه السماء السومري.

(٤) (Sin) الإلّه القمر الأكادي وهو نانا السومري والإلّهة إنانّا ابنته.

وعشيق إنانا[1] المقدسة

ـ سيدة السلطات العظيمة ومليكتها جميعاً

التي تدفع إلى الحبّ في شوارع كلاّبا[2]

365 (إنه) دوموزي[3] أوشومْچالانا[4]، صديق آن

إليه عهد (أنكي) (بالحظائر)

وهكذا غمر بالخيرات الإيكور

مقر إنليل

وبفضله ابتهج إنليل

وعمّت الأفراح نفر!

نظام «المساحة وتحديد العقارات»

عمد أنكي بعد ذلك إلى تحديد الأرض

فثبّت معالم الأرض بالأوتاد

370 وبالنسبة للأنونا حدّد أنكي

أماكن مساكنهم في المدينة

(وحدّد) ممتلكاتهم في الحقول!

(وإنه) البطل، الثور الخارج

في الغابة الفائحة الطيوب

الأسد المزمجر

أوتو[5] المقدام، الثور

الذي يُظهر بكبرياء قوته

---

(١) (Inanna) إلّهة الخصب والحب وعشيقة الراعي دوموزي.

(٢) (Kullaba) حي متطرف من أوروك أو مدينة مجاورة لها.

(٣) (Dumuzi) الراعي والملك وعشيق إنانا وهما بطلا أناشيد الحبّ في الكتاب الأول.

(٤) (Ushumgalanna) لقب دوموزي.

(٥) (Utu) الإلّه الشمس السومري.

375 (إنه) أب «المدينة العظيمة»[١] في الشرق
الرسول العظيم لآن المقدّس،
القاضي الذي يُصدر الأحكام
عوضاً عن الآلهة،
إنه الذي تزيّن (وجهه) لحية من اللازورد،
ويرتفع من أفق السماء
أوتو، ابن نينچال[٢]
إليه عهد (أنكي) (الكون بأجمعه).

أعمال النسيج

380 شدّ (أنكي) بعد ذلك السداة ونسّق اللُّحمة
وهكذا وضع حتى الكمال قواعد
فن النساء بنوع خاصّ(؟)!
وبفضل أنكي، صُنعت
الألبسة الفاخرة!
(وإنّها) زينة القصور، حلية الملوك
إلى أوتو[٣] الأمينة والسَكُوتة
385 عهد (أنكي) بهذا (الاختصاص)!

إنانّا تعترض وتطالب

عند ذلك، التي لم يُعيّن لها منصب
إنانا [المقدّسة(؟)] المرأة الفتية،
التي لم يعيّن لها منصباً

---

(١) المقصود هو العالم السفلي الذي تلجه الشمس عند الغروب، لتخرج منه مشرقة في اليوم التالي.
(٢) (Ningal) الإلّهة ـ الأم بمعنى السيدة الفائقة السمو.
(٣) (Uttu) أوتّو إلّهة النسيج، قرأنا عن ولادتها في النص رقم (٢) من الكتاب الأول.

قدمَتْ لمقابلة الأب أنكي،
وبدأت تشكو(؟) باكيةً ومحدثةً ضجّة كبيرة:

390 «من بين جميع الأنونّا الآلهة ـ العظام
خوَّلك إنليل حريّة تقرير المصير!
ولكن أنا، أنا المرأة، لماذا
عاملتني بشكل آخر، أنا وحدي؟
أنا إنانّا المقدسة ما عسى، ما سوف
تكون مهاميّ؟
فآرورو[١]، أخت إنليل

395 الملقّبة بنينتو[٢]، حامية عملية ـ الولادة،
تلقت كإشارة لِقُدْراتِها
اللوحة المقدسة للتوليد:
وهي تمسك بمقدٍّ ـ حبل الصرّة،
(تمسك) بحجر الإمّان[٣] و«الكُرّات»(؟)؛
كما تسلّمت السيلاچارّا[٤] وإناء اللازورد الأخضر،
وتسلمت آلا[٥] المقدس، الوعاء المكرّس

400 وأصبحت بذلك مولِّدة ـ العالم
وعادت إليها ولادة
الملوك والأسياد!
أما أختي النبيلة نين إيسيّنا[٦] المقدسة

(١) (Aruru) أخت إنليل (راجع النص رقم ٣).
(٢) (Nintu) بمعنى إلّهة الولادة.
(٣) (Imman) نوع حجر (؟).
(٤) (Silagarra) وعاء.
(٥) (Ala) وعاء.
(٦) (Nin.Isinna).

فقد تلقت شعار حجر ـ شوبا[١]
وأصبحت بذلك غانية آن:
إنّها (دوماً) تحت تصرّفه
وتعلن له بصوتٍ مرتفع
ما يتمنّاه قلبها!
405 وأختي النبيلة نينموج[٢]
تلقت المقصّ الذهبي والمطرقة الفضية
وسكين الظرّان العريض
وأصبحت في البلاد
فنانة الخشب والمعادن
القادرة على صنع الملوك
بإحاطة رؤوسهم بالإكليل الأبدي،
410 وبوضع التاج
على رأس الملك الشرعي.
أما أختي الكريمة، نيسابا[٣] المقدّسة
فقد تسلّمت مسطرة القياس
وتحتفظ إلى جانبها بمعيار اللازورد،
إنها توزّع السلطات العظيمة
415 تعينّ الحدود وتحدد بالأوتاد المعالم:
أصبحت أمينة سر البلاد
حتّى أن محاسبة «إعاشة» الآلهة،
كلفت بها!

---

(١) (Shuba) حجر نصف كريم غير محدّد.
(٢) (Ninmug) اسم لإلّهة ثانوية عرف خلال الفترة السومرية الحديثة حوالى (٢١١٠ ـ ٢٠٠٠) ق.م.
(٣) (Nisaba) وهي أيضاً الإلّهة التي تشرف على فن الكتابة.

أمّا نانشي[1] السيدة العظيمة
التي تقف البومة(؟) عند رجليها
أصبحت مسؤولة عن نتاج البحر (والصيد)
الأسماك المختارة والطيور الألذّ طعماً
420 تقدمها لأبيها إنليل في نفّر!
أما أنا، أنا المرأة، لماذا عاملتني
بشكل آخر، أنا وحدي؟
أنا إنانا المقدّسة، ماذا سوف
تكون مهامّي؟»

جواب أنكي

وأجاب أنكي إنانّا المقدسة، «ابنته»:
ـ «ما الذي رُفض لك؟
425 ما الذي رفض لك أيتها السيدة؟
ما عسانا أن نكلّفك به إضافةً ـ
أيتها المرأة الفتية إنانّا، ما الذي رُفض لكِ؟
ما الذي يمكننا تكليفك به إضافةً؟
هو أنت التي تعلنين [. . .]
وأنت التي من أجلها أعدّوا الـ[. . . .] بقصد [. . .]
أنت التي تلبسين الرداء «قدرة ـ الرجال»
430 وأنت التي تختارين الكلمات الواجب التلفظ بها.
أنتِ التي تمسكين بالعصا والقضيب
ومنسَأة الراعي!
فما الذي مُنِع عنك، أيتها المرأة

---

(١) (Nanshe) وهي أيضاً الإلّهة التي ارتبط بها اسم مدينة لغش واسم ملكها چوديا (Gudéa).

الفتية، إنانّا؟
هو أنت التي تعدين وتعلنين
المعارك والحروب!
وفي صميم المعارك، هو أنت
ـ دون أن تكوني بذلك الطير الحامل لسوء الطالع ـ
هو أنت التي تلفظين الكلمات التي لا تخطىء!
435 أنت التي تطوين ما هو مستقيم،
وتجلّسين ما هو ملتو!
والتي تكتسي وتلبس الكتّان
{أنت التي تُسَدِّين الصوف، وتبرمين الخيوط بالمغزل
أنت التي تشابكين الخيوط المتعدّدة الألوان!}
440 إنك تكدسين كالتراب الرؤوس المقطوعة
وتنثرينها كالبذور!
أنت تكنسين عن وجه الأرض
ما لا يجب كنسه يا إنانا!
أنت تنزعين عن طبل(؟) المناحات
النسيج(؟) الذي يغطّيه،
كما تعيدين إلى غلافاتهما، أيتها المرأة
الفتية، إنانا،
التيجي[1] وكذلك الآداب[2] المحمِّسيْن
دون أن تملّي أبداً من نظرات المعجبين بك!
445 أيتها المرأة الفتيّة إنانا، أنت لا تعرفين إذن
«ربط الحبال من أجل الآبار العميقة»؟

---

(١) (Tigi) اسم لنوع من الطبول.
(٢) (Adab) اسم نوع آخر من الطبول.

ولكن قلب إنليل، في الوقت الحاضر طفح (طيبة):
فعمد إلى تنظيم البلاد،
طفح قلب إنليل (بالطيبة): فعمد إلى
تنظيم البلاد.
وبما أن قلب إنليل طفح (طيبةً)
تجاه البشر،
عليكِ ألا تضعي إذن [. . .]

(الأسطر (٤٥٠ ـ ٤٦٦) مفقودة كلياً وقد تحتوي على التوصيات أو التمنيات بصدد نشاط إنانّا[١]).

467 المجد لك [يا أنكي المبجّل]!

(١) وقد يكون ذلك إبعادها عن عقلية الحرب في زمن السلم، وسوف يتضح ذلك بشكل أفضل من ضمن النص رقم (٩٠) من هذا الكتاب.

(٨٤) ـ زيارة نينورتا لأنكي من أجل رخاء سومر

١ ـ هذه الزيارة، التي يُرسّخ نينورتا[١] بنتيجتها، سيادته على نفّر[٢] ويضمن الرخاء لسومر، هي زيارة ولاء من نفّر إلى إريدو[٣]، إلى أنكي[٤] مقرر الأقدار والكلي الحكمة، الذي نظّم البلاد ورسّخ أسس الحضارة.

نينورتا وريث إنليل، يتلقى السيادة من إنليل في مدينة نفّر، ولكنّ هذه السيادة لن تكون مباركة ومجدية من أجل البلاد، إلاّ بعد زيارة الإلّه أنكي وحصوله على «القرار الملائم»، لكي يعمّ البلاد الرخاء والوفرة.

٢ ـ ولا ننسى بهذا الصدد أيضاً، زيارة الإلّهة إنانا[٥] إلى أنكي على سفينتها، سفينة السماء والتي جسّدت ولاء أوروك[٦] لمدينة إريدو ولكنها في الوقت نفسه، ذهبت إلى أبعد من ذلك، كما سيشير إلى ذلك النص رقم (٨٥)، حين تمكّنت من نقل جميع أسس الحضارة إلى مدينتها أوروك.

٣ ـ أما نصّ زيارة نينورتا إلى أنكي الذي نحن بصدده، فقد وصلنا على لوحة

---

(١) (Ninurta) ابن إنليل وهو البطل المحارب المنتصر على الجبل (النص ٧٩).

(٢) (Nippur) العاصمة الدينية القديمة لبلاد سومر ومدينة إنليل.

(٣) (Eridu) مدينة الإلّه أنكي حيث أقام بيت الأبسو (النص ٨٢).

(٤) (Enki) إلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع وهو هنا الذي يتخذ القرار بالنسبة لرخاء سومر وهو إيا (Ea) الأكادي.

(٥) (Inanna) إلّهة أوروك حيث مقرها «بيت السماء» ويرمز إليها في السماء كوكب الزهرة.

(٦) (Uruk) مدينة جلجامش واشتهرت أيضاً كمسرح لعلاقات إنانا والراعي دوموزي (Dumuzi) الغرامية في إحدى ضواحيها.

واحدة، عُثر عليها في مدينة نفّر، وتعود إلى الثلث الأول من الألف الثاني قبل الميلاد؛ وهي تحمل أربعة أعمدة لنشيدٍ على نغم «شير. سود. دا»[١] بمجموع حوالى (١٣٠ ـ ١٥٠) سطراً، لم يصلنا منها مع الأسف سوى الثلث.

نينورتا يتوجه إلى إريدو والغرض من زيارته

العمود الأول

1 بمغادرته [الإيكور][٢]، البطل [. . .]
[البطل نينورتا] بمغادرته الإيكور [. . .]
(الأسطر (٣ ـ ٦) مفقودة)

7 مغادراً مقرّ إنليل، ذهب نينورتا إلى إريدو
كان ذلك من أجل تحقيق الرخاء لسومر.
من أجل استجلاب] الوفرة [إلى البلاد] بكاملها
10 لكي تنمو المراعي والنباتات في كل مكانٍ
ولكي تفيض الحظائر والزرائب لبناً وسمناً،
فتملأ قلوب الرعاة فرحاً ـ
ولئن توجّه نينورتا إلى إريدو،
فلكي تلتفّ أمواج
دجلة والفرات بضجّة كبيرة
15 ولكي [. . .] والعمق لكي لا يسبر غوره
ولكي [يتكاثر] في الأحواض شبّوط
المستنقعات، والشبوط الضخم،
وبين مزراع القصب [. . .]
القصب الجاف والنبتات الصغيرة(؟)

---

(١) (Shir.Sud.da) نغم أو وزن يتبع عادة في أناشيد التمجيد الموجهة إلى الآلهة.
(٢) (E.kur) ومعناه بيت الجبل وهو مقر الإلّه إنليل في مدينة نفّر.

والحيوانات بأعدادٍ لا تحصى، وحيوانات السهوب:

20 [. . .] الأيائل اليحمورية والأرويّات [. . .]

ذوات القامة العالية،

مع [. . . .] سهم

لكي تسرح وتمرح [. . .]

لكي [. . .]

ولتدوم إلى الأبد، سلطات سومر؛

25 وليتّخذ الجبلُ دوماً [دور تابع (؟)]،

لكي [. . .] وتعمّ العدالة [في البلاد(؟)] إلى الأبد

لكل ذلك، توجّه نينورتا، ابن إنليل

[إلى إريدو]: كان يريد من أجل بلاده

الحصول على قرار ملائم.

(نقص حوالى ١٢ سطراً)

العمود الثاني

(الأسطر الأربعة الأولى مفقودة)

أحد المكلفين من قبل أنكي يعدّ لنينورتا الطريق ويواكبه

5 بعد أن أعد الطريق،

للملك السائر نحو الأبسو[١]

بعد أن أعد الطريق لنينورتا

السائر نحو الأبسو

بعد أن جهّز له [حتى في (؟) السهوب]

طريقاً احتفالياً

---

(١) (Apsu) أبسو ـ إريدو: وهو المكان الذي بنى عليه أنكي بيته (النص رقم ٨٢). والأبسو هو محيط المياه العذبة حيث تطفو الأرض.

وَاكبَ نينورتا بكل ابتهاج

حتى أبسو إريدو.

في الأبسو، يُمنح نينورتا السلطات التي جاء لطلبها

وعندما دخله نينورتا، لم يكن هناك

غير أبهّةٍ وجلال، ليلاً ونهاراً.

10 عندما دخل نينورتا الأبسو، لم يكن هناك

غير أبهةٍ وجلال، ليلاً ونهاراً

وإلى بطل آن[١] منح أنكي السلطات الحيوية،

وسيّد السلطات كلّها[٢]

وضعه بذلك في مقامه(؟)!

عند ذلك، الإلّه الراغب بتحقيق

مستقبل زاهر لسومر

نينورتا إبن إنليل

15 مثل ملكٍ وضعَ التاج على رأسه

فتفجّر(؟) منه النور

وكإلّه، كلّل رأسه بالتاج

فتحققت(؟) له الوفرة(؟)

تقدم بهيّاً، عاليَ الرأس في أبسو إريدو

هو الشاب المقدام

[المسؤول](؟) عن روعة الإيكور

[. . .] الملكية،

20 ومن [. . .] الشامل

---

(١) (An) إلّه السماء وبطولات نينورتا تحققت بناء على طلب الإلّه آن وهذا ما يفسّر لقبه كبطلٍ لآن.

(٢) المقصود هنا هو أنكي حين كانت مدينته، بعد نفّر على الأرجح، تمثل مصدر السلطة ومرجع الولاء.

تملؤه السعادة للجلوس على العرش
مع آن و[إنليل] في الساحة [. . .]
(فقدان حوالى ١٢ سطراً)

العمود الثالث

(فقدان حوالى عشرة أسطر، يلي بعد ذلك الاحتفال بنينورتا، وفيما يلي ما أمكن قراءته مما بقي منه):

«حصن سومر العالي (السطر ١١)
والذي يفتخر بشجاعته (السطر ١٢)
والذي «مع آن يقرر المصائر في أبسو إريدو»(١٦)
«ذو الأوامر التي لا تتبدّل والتي تثير رهبةً شاملة»(١٧)
«المهيب والمُلْتمَسُ من قبل الآلهة(١٩)،
الذين يثنون على شجاعته ويضعون أنفسهم
تحت إمرته(٢٣)
يُشار أيضاً إلى صلاته بالإيكور(٢٥)
وإنليل(٢٩)،
كما يذكر أيضاً، بأن «بريقه الخارق
للطبيعة غمر المنطقة المتمردة»(٣٠)
«أتى من الجبل بالفضّة المنقّاة من أجل إنليل(٣٧)
وإنه «بطل إنليل» (السطر ٣٨)

العمود الرابع

(يستمر النشيد على هذا المنوال في العمود الرابع، في الأسطر الـ ٢٧ المشوّهة والتي تتخلّلها مقاطع غير مقروءة. وينتهي هذا العمود بالعنوان التالي):

28 (هنا) نشيد شير. سود. دا تمجيداً لنينورتا
[. . . .] بطل آن والذي [تضَمَنُ(؟)]
سلطتُهُ الحياة للبلاد.

(٨٥) ـ من أوروك إلى إريدو
على سفينة السماء:
زيارة إنانا لأنكي

١ ـ هذا النص، الطّويل نسبياً والمتكرر في بعض أجزائه، كما هي العادة في النصوص السومرية والأكادية، يعود إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد (حوالى ١٧٠٠ ق.م)، ويستدلّ من شكله وأسلوبه إمكانية احتمال إعادة تأليفه إلى نهاية الألف الثالث.

٢ ـ يروي هذا النص كما هي الحال في النصوص الأخرى التي تنقل أخبار تبادل الزيارات بين مدينتين، أي بين إلَهيْ كلٍ من المدينتين، اعترافاً بالأولوية أو تقديماً للولاء الموحِّد للبلاد أو نقلاً لكنوز حضارية من مدينة لأخرى. وهذا ما حدث حين غادرت إنانا مدينتها أوروك، متوجِّهة إلى إريدو لزيارة الإلّه أنكي. وفي هذه المرة فإن الزيارة تشتمل على تفاصيل مذهلة، وحول الهدف منها، وحول نتائجها، إذ تعود إنانا من زيارة إريدو بما يسميه النص الـ «مو»[(١)] التي تمتلكها إريدو، والتي يفهم من تعدادها أنها ليست سوى مجموعة المعارف والفنون والعلاقات الاجتماعية، وكل ما جعل من إريدو عاصمة معرفةٍ و«سلطة».

وبالإضافة إلى المضمونات المتعددة التي اشتلمت عليها الملاحظة رقم (١) فإن الباحثين الأجانب، يميلون بالنسبة لتعبير «مو» تبنّي كلمات «السلطات» أو

(١) (Me) أو (Meu) مو ولها معان عديدة، تتّصل بكل ما من شأنه خلق الأشياء وقدرة الكلمة الإلّهية التي تكفي لذلك، وكل ما من شأنه ضمان سير نظام الكون والظواهر الحضارية التي تعبر عنها قوانين ونماذج لها ديمومة الآلهة، وفيها جوهر الأشياء وما خفي من كنهها.

«الصلاحيات» أو «سر الأشياء».. ونفضّل كل ما أمكن ذلك من ضمن النص المعروض، استعمال تعبير «أسس الحضارة» الذي يشمل التعداد المشار إليه أعلاه.

٣ - والمعرفة التي كانت تخوّل القدرة و«السلطة» هو مفهوم لم يغفل عنه مفكرو ما بين النهرين منذ ذلك الزمن. يتألف النص الذي نحن بصدده من حوالى ٨٠٠ سطراً، موزّعة على ستة أعمدة. وعلى الرغم من النقص والاتلاف الذي اعتراه، يمكننا متابعة تسلسله، ونرى فيه كيف أن إنانّا، تتوجّه بسفينتها «سفينة السماء» من مدينتها أوروك إلى إريدو حيث يستقبلها الإلّه أنكي. وأثناء مأدبة يقيمها على شرف إنانّا المقدّسة، يمنحها بسخاء كل «أسس» الحضارة التي في إريدو، فتحملها كبضاعة ثمينة إلى سفينتها لتعود بها إلى أوروك. إلاّ أن أنكي يندم بعد ذلك على سخائه ويريد استرداد «الأسس» محاولاً منع السفينة من الوصول إلى أوروك. لكن السفينة تبلغ مرفأها على الرغم من ذلك، بفضل تدخّل نينشوبور[١] مساعدة إنانّا.

وينتهي النص بالاحتفال بعودة إنانا إلى أوروك وبموافقة أنكي لكي تحتفظ إنانا بالأسس، أسس الحضارة والمعرفة، أسس مهارة الصنع والتقدم لمجتمع المدينة. ويبارك أنكي مدينة أوروك حليفةً لإريدو.

اللوحة الأولى

تمجيد إنانا لنفسها ومشروع السفر إلى إريدو

العمود الأول

الأسطر (١ ـ ٦٠) هي في حالة لا تسمح بإعطاء ترجمة متواصلة، إلاّ أنه يفهم من النص، أن إنانا تذهب إلى السهوب للالتقاء بعشيقها (الراعي دوموزي على الأرجح)، وهي تتغنى بمقدرته الجنسية أو بجمال قضيبه «الجذاب». كما يحتوي النص على تمجيد إنانا لنفسها وقرارها السفر إلى إريدو للقيام بزيارة موجبة لأنكي وذلك رغبةً منها في الحصول على ما يحسّن حياة مدينتها أوروك.

---

(١) (Ninshubur) مساعدة إنانا وهي هنا تتقن السحر الذي ينقذ «سفينة السماء».

السفر إلى إريدو

1 عند ذلك إنانا، (إنانا) المرأة الفتية [. . .]،
إنانّا المقدّسة، قامت وحدها بسلوك طريقها
نحو أبسو أنكي في إريدو.
وعندما لم تكن إلاّ على مسافة قريبة من قصر إريدو
5 في تلك اللحظة بالذات (قام) الحكيم
مالك أسس المعرفة في السماء كما على الأرض،
والقادر إلى النفاذ بعيداً حتّى إلى قلوب الآلهة،
[أنكي ملك] الأبسو، الكلّي المعرفة (قام)
باستدعاء [إيسمود[1] حاجبه]
وأعطاه التعليمات التالية:
«تعال هنا يا حاجبي، واستمع إليّ جيداً[. . .]

العمود الثاني

الأسطر (١ ـ ٤) مفقودة

5 المرأة ـ الفتية إنانّا،
على وشك [الدخول] إلى أبسو إريدو ـ
إنانا [سوف تدخل] إلى أبسو إريدو:
والآن! عندما (تدخل) المرأة ـ الفتية
إلى أبسو إريدو
عندما تكون إنانا دخلت أبسو أريدو
قدّم لها لتأكل الحلوى (المصنوعة) بالزبدة،
10 وليصبّ لها الماء البارد المنعش للقلب!

---

(١) (Ismud) حاجب الإلّه أنكي ومستشاره الأمين.

على مقربة من الأسد[1]، [قدّم] لها الجعة
استقبلها كصديقة، عاملها كحليفة:
على المائدة المقدّمة، على المائدة السماوية
رَحِّبْ بقدومِ إنانا المقدسة!»
15 عندما تكلّم هكذا
أعار إيسمود كبير الاهتمام
لما طلبه منه سيّده
أدْخل (إنانّا) المرأة - الفتية إلى أبسو إريدو
إلى أبسو إريدو أدخل إنانّا
إنانّا دخلت إذن إلى أبسو إريدو
وتلذّذت بالحلوى المصنوعة بالزبدة،
وصبّ لها الماء البارد المنعش للقلب!
وعلى مقربة من الأسد قدم لها إيسمود الجعة:
استقبلها كصديقة وعاملها كحليفة!
25 على المائدة المقدّسة، على المائدة السماوية
رحَّبَ (إيسمود) بقدوم إنانا المقدّسة
وأنكي، جنباً إلى جنب مع إنانا في الأبسو
ملأ دنان الجعة وتجرّع معها الخمرة
كانت كؤوسهما مليئة حتى الطفح
30 شربا معاً نخبَ السماء والأرض
وارتشفا دونما تسرّع
في أقداح عساسٍ [مجوّفة كأنّها قارب(؟)]!
وبعد أن ارتُشِفَت الجعة وتمّ تذوّق الخمرة
قال أنكي لحاجبه إيسمود:

---

(١) أسد إريدو وقد كشفت عنه الحفريات الأثرية في المدينة.

هدايا أنكي لأنانا

«تعال هنا، يا حاجبي واسمع جيداً!

35 باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!

إلى إنانا المقدّسة، إبنتي، لأقدّمنّ،

ولن يحول أحد دون ذلك،

(شعارات) منصب إين[١] ومنصب لاجال[٢] والوظيفة المقدّسة؛

والتاج الشرعي الرفيع والعرش الملكي

أخذتها إنانا

40 «باسم سلطاني وباسم الأبسو (مقري)

إلى إنانا المقدّسة، إلى ابنتي، لأهدِينّ،

ولن يحول أحد دون ذلك،

الصولجان السامي وعصا القيادة والرداء (الملكي)

والرعوية والملكية

فتقبّلتها إنانا

«باسم سلطاني وباسم الأبسو (مقرّي)!

إلى إنانا المقدّسة، إلى ابنتي، لأهدينّ،

ولن يحول أحد دون ذلك،

45 منصب الإيجيزي[٣] والنينديننجير[٤] وإيسيب[٥]

ومنصب لوماخ[٦] ومنصب چودو[٧]

فتقبلتها إنانا.

---

(١) (En) بمعنى السيد أو الحاكم وكذلك كاهن الأضاحي في المعبد.

(٢) (Lagal) بمعنى السيد أيضاً أو الفائق السموّ، وهنا مرتبة كهنوتية.

(٣) (Egizi).

(٤) (Nindingir).

(٥) (Ishib).

(٦) (Lumah).

(٧) (Gudu).

«باسم سلطاني وباسم الأبسو (مقري)!
إلى إنانا المقدّسة، إلى ابنتي، لأقدمنَّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
التطابق مع الحقيقة والـ[...] والـ[...] والنزول إلى العالم
السفلي والعودة منه، والتنكّر الجنسي»[١]!
50 فتقبّلتها إنانا.
«باسم سلطاني وباسم الأبسو (مقري)!
إلى إنانا المقدّسة، إلى ابنتي، لأقدمنّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
الخنجر - و- الهراوة، حالة المسترجلات[٢] واللباس الأسود
واللباس المتعدد الألوان، والشعر المردود على النقرة،
والشعر المعقود على النقرة!»
فتقبّلتها إنانا
55 «باسم سلطاني وباسم الأبسو (مقري)!
إلى إنانا المقدّسة، إلى ابنتي، لأهدينَّ
ولن يحول أحد دون ذلك،
الـ[...] والـ[...] والـ[...]
الـ[...] والـ[...] والـ[...]!»،
فأخذتها إنانا
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
60 إلى إنانّا المقدّسة، إلى ابنتي، لأهدينَّ،
ولن يحول أحد دون ذلك
الراية والجعبة والعلاقات الجنسية وقبلة - العشاق

(١) من طقوس رقصة إنانا/ عشتار، تنكر كل جنس بلباس الجنس الآخر أثناء الرقص.
(٢) هنّ النساء الراقصات أمام إنانا/ عشتار ويقمن بدور المحاربات المسترجلات حاملات الخنجر والهراوة.

والبغاء، و«السريع ـ الإنجاز»(؟)!»
فتقبّلتها إنانّا
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقري)!
إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، لأهدينّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
65 صراحة ـ القول والرياء والمداهنة والـ[....]
والحالة النذرية لإنانّا والحانة المقدسة!»
فتقبّلتها إنانا
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانّا المقدسة، إلى ابنتي، لأقدمنّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
النيجينجار[1] المقدّس والـ[....] والبغاء السماوي(؟) والجوقة الصوتية وفن الغناء ومنصب القدماء»!
70 فتقبّلتها إنانا
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!

العمود الثالث

1 إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، لأقدمنّ،
ولن يحول أحد دون ذلك
منصب الحرب، والسلطة العسكرية، والخداع
والاستقامة وتخريب المدن،
وممارسة النواح، والقناعة!»
فتقبّلتها إنانا.
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!

---

(١) (Nigingar).

5 إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، لأهدينّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
المكر(؟) والثورة والرخاء والتجوال
وأمان السكن!»
فتقبّلتها إنانا.
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، لأقدمنَّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
10 فنون شغل الخشب والمعدن، وفن الكتابة،
وصب المعادن وصناعة الجلد، والنسيج
والعمارة وصناعة السلال،
فأخذتها إنانا.
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، لأهدينّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
الذكاء والمهارة في الصنع والاغتسال المقدس، وحواجز تجميع السماد وتكويم الجمر
والحظيرة، والاحترام، والإجلال، والتحفظ!»
15 فتقبّلتها إنانا.
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، [لأهدينّ،
ولن يحول أحد دون ذلك]،
الكذب ـ والفظاظة(؟) وفن إشعال النار
[وفن إطفائها والعمل الجبري والـ. . . .
واجتماع العائلة والتناسل]»!
فتقبّلتها إنانا.

20 «باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانا المقدسة، [إلى ابنتي]، لأقدمنّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
المجادلة [والنصر وفن إسداء النصح
وفن التهدئة والمحاكمة واتخاذ القرار]»!
فتقبّلتها إنانا.

(نقص حوالى ٤٥ سطراً في نهاية العمود الثالث ويجب أن تحتوي على متابعة أنكي تقديم هداياه لإنانا، إلاّ أن النص يشير بعد ذلك إلى أن طرفاً ثالثاً ـ نجهل من هو ـ يشكك في حق إنانا بامتلاك الأسس مما يضطرها إلى الرد على المعترض معتبرةً بأنها تلّقتها من أنكي. وينتقل النص بعد ذلك إلى العمود الرابع حيث فَقَدت بدايتُه ٣٨ سطراً، ولا نجد ضرورة لإعادة تكرارها بالاعتماد على ما سبق ونكتفي بسرد ردود إنانا اعتباراً من السطر ٣٩، مع الإشارة إلى أن نهاية النص سوف تعود مرة أخرى لتعديد أسس الحضارة من جديد).

العمود الرابع

رد إنانا

39 «. . . [الاستقامة، أعطاني إياها]!
تخريب المدن أعطاني إياه!
ممارسة النواح أعطاني إياها!
القناعة أعطاني إياها!
المكر أعطاني إياه!
الثورة أعطاني إياها!
45 الرخاء أعطاني إياه!
التجوّل أعطاني إياه!
أمان السكن أعطاني إياه!
شغل الخشب أعطاني إياه!

شغل المعادن أعطاني إياه!

50 فن الكتابة أعطاني إياه!

صب المعادن أعطاني إياه!

صناعة الجلد أعطاني إياها!

صناعة النسيج أعطاني إياها!

فنّ العمارة أعطاني إياه!

55 صناعة السلال أعطاني إياها!

الذكاء أعطاني إياه!

مهارة ـ الصنع أعطاني إياها!

الاغتسال المقدس أعطاني إياه!

مجمِّع السماد أعطاني إياه!

60 وتكويم الجمر أعطاني إياه!

الحظيرة أعطاني إياها!

الاحترام أعطاني إياه!

الإجلال أعطاني إياه!

التحفّظ أعطاني إياه!

65 الكذب ـ والفظاظة(؟) أعطاني إياها!

فن إشعال النار سلمني إياه!

فن إطفاء النار سلمني إياه!

العمل الجبري سلمني إياه!

الـ . . . سلمني إياه!

70 اجتماع العائلة [سلّمني إياه]!

المجادلة [سلمني إياها]!

التناسل [سلمني إياه]!

النصر [سلمني إياه]!

فن إسداء النصح [سلمني إياه]!

(نهاية العمود الرابع مفقودة وكذلك بداية العمود الخامس بما يقارب ٣٠ سطراً ويظهر أنه كانت هناك ممانعة لمغادرة إنانّا إريدو لأنه حين يُستأنف النصّ، نرى أنكي وهو لا يزال في حالة النشوة، يصدر أوامره بالسماح لإنانا بالذهاب إلى أوروك بسفينتها المحمّلة).

العمود الخامس

31 [أنكي استدعى إذن إيسمود حاجبه]

[«إيسمود، يا حاجبي الطيب، أيتها الشّخصية السماوية!]

ـ هاأنذا [يا مليكي أنكي]! أنا طوع أمرك! اطلب!

ـ إنانّا تريد العودة إلى [أوروك] ـ كلاّبا[١]

35 تريد الذهاب نحو [. . . .] الشمس

فلتتمكن من ذلك دونما عرقلة. أنا آمر بذلك!»

وبعد أن جمعت إنانا المقدسة، أسس الحضارة كلّها،

حمّلتها على سفينة السماء

وغادرت الرصيف!

أنكي يستفيق من نشوته ويريد استعادة السفينة

40 ولكن أثر الجعة تبدّد

وتأمّل الإلّه العظيم مقره الإينچور[٢]

تفحّص الإلّه الأبسو ـ

أنكي صاحب السيادة، ألقى نظرةً على إريدو

ثم نادى إيسمود حاجبه:

45 «إيسمود، يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية!

ـ ها أنذا يا مليكي أنكي، أنا طوع أمرك! أطلب!

(١) (Kullaba) حيّ متطرف من مدينة أوروك أو إحدى ضواحيها.

(٢) (Engur) تسمية موازية للأبسو مقر أنكي.

ـ أين (شعارات) منصب إين ولاچال،
والوظيفة المقدّسة والتاج الشرعي الرفيع،
والعرش الملكي؟
ـ مليكي قدّمها هديّةً لابنته!
ـ أين الصولجان السامي، وعصا القيادة،
والرداء (الملكي) والرعويّة والملكية؟
50 مليكي قدّمها هديةً لابنته!
ـ أين (شعارات) منصب الايجيزي والنيندينجير،
و(شعارات) منصب إيشيب ولوماخ وچودو؟
ـ مليكي قدّمها هديّة لابنته!
ـ أين مطابقة الحقيقة والـ[. . .] والـ[. . . .]
والنزول إلى العالم السفلي والصعود منه،
وقلب الأدوار الجنسية بالتنكّر؟
ـ مليكي قدّمها هديّة لابنته!
55 أين الخنجر ـ و- الهراوة وحالة المسترجلات
واللباس الأسود واللباس المتعدد الألوان
والشعر المردود على النقرة
والشعر المعقود على النقرة
ـ مليكي قدمها هديّة لابنته!
ـ أين الـ[. . .] والـ[. . .] والـ[. . .] والـ[. . .]
والـ[. . .] والـ[. . .] والـ[. . .]؟
ـ مليكي قدمها هديّة لابنته!
ـ أين الراية والجعبة، والعلاقات الجنسية،
وقبلة ـ العشاق، والبغاء والسريع ـ الإنجاز(؟)؟
60 ـ مليكي قدّمها هديّة لابنته!
ـ أين صراحة القول، والرياء والمداهنة

والـ[...] والحالة النذرية لإنانا والحانة المقدّسة؟

ـ مليكي قدّمها هدية لابنته!

ـ أين النجنيچار المقدّس والـ[...] الإلّهي

والبغاء السماوي ومنصب القدماء؟

ـ مليكي قدّمها هديّة لابنته!

(تتمة هذا الحوار مفقودة في الأسطر الثلاثة أو الأربعة التي تنهي العمود الخامس وكذلك حوالى ٣٠ سطراً من بداية العمود السادس. إلا أن ما تبقى من هذا العمود هو في حالة سيئة، ويفهم منه أن إنانا توجهت بسفينتها إلى أوروك حاملة الهدايا الثمينة وهناك دور «لضفدعة»(؟) لا يزال غير مفهوم).

اللوحة الثانية

العمود الأول:

ملاحقة سفينة السماء، المرحلة الأولى

1 عند ذلك توجّه [الأمير] إلى إيسمود حاجبه

أنكي، استدعى حاجبه الطيب، الشخصية السماوية!

«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية

ـ هاأنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!

5 ـ أين [هي إذن الآن] سفينة السماء؟

ـ إنها [ترسو] على رصيف [...]!

ـ حسناً! فليستولِ عليها الإنكوم[1]»!

وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدسة:

«يا ملكتي [أبوك] أرسلني إليك

10 [أبوك] أرسلني إليك [يا إنانا]!

---

(١) (Enkum) مخلوقات مائية بإمرة أنكي مكلّفون بالحراسة.

وما قاله لي [أبوك] فائق الخطورة:
ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة
وليس بالإمكان تجاهل [أوامر بهذه الأهمية]!»
أجابته إنانّا المقدسة:
15 «ماذا قال لك [أبي]؟
ما الذي [أمرك] به؟
ما أوامره [الكبيرة الأهمية]؟
التي لا يمكن تجاهلها؟
ـ [مليكي] قال لي
[أنكي] أمرني (قائلاً):
دع إنانّا تذهب إلى أوروك
لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»
20 [وردّ]ت إنانا المقدسة على إيسمود:
«ما حدا بأبي أن
يبدّل إرادته نحوي
لماذا أخلف وعده لي؟
ودنّس أوامره الواضحة لي
هل قال لي إذن [كلمته] وهو في حالة سكر؟
[هل] توجّه إليّ [مغرّراً]؟
25 هل كان ينافق
حين استشهد «بسلطانه» و«بالأبسو»؟
هل أرسلك إلي خيانة «منه لي»؟
وما كادت تنتهي من قولها،
حتى وضع الإينكوم اليد على سفينة السماء
لكن إنانا استدعت نينشوبور[1] مساعدتها:

---

(١) (Ninshubur) مساعدة الإلّهة إنانّا ورسولتها.

30 هلمّي! مساعدتي الأمينة في الإيانا![١]

يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!

يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!

يدكِ لم تمسِس الماء! ورجلك لم تمسِس الماء[٢]»

وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء

وكذلك الأسس التي قُدمت لها!

المرحلة الثانية

35 ومن جديد توجّه الأمير إلى إيسمود حاجبه،

استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:

«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية

ـ ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!

ـ أين هي الآن سفينة [السماء]؟

40 ـ إنها ترسو على [. . .] المقدس!

ـ حسناً فليستولِ عليها عمالقة إريدو الخمسون!»

وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدسة:

«يا ملكتي، أبوك أرسلني إليك

أبوك أرسلني إليك يا إنانّا

45 وما قاله لي أبوك فائق الخطورة:

ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة

وليس بالإمكان تجاهل أوامر بهذه الأهمية»!

أجابته إنانّا المقدّسة:

«ماذا قال لك أبي؟

ما الذي أمرك به؟

---

(١) معبد الإلّه آن في أوروك ومعناه بيت السماء.

(٢) جملة سحرية سوف تتكرر في كل مرحلة.

50 ما هي أوامره الكبيرة الأهمية
التي لا يمكن تجاهلها؟
ـ مليكي قال لي،
أنكي أمرني (قائلاً):
دع إنانا تدخل إلى أوروك
لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»
وردّت إنانا المقدسة على إيسمود:
55 «ما حدا بأبي
أن يبدّل إرادته نحوي
لماذا أخلف وعده لي؟
ودنّس أوامره الواضحة لي
هل قال لي كلمته وهو في حالة سكر؟
هل توجّه إليّ مغرّراً؟
هل كان ينافق،
حين استشهد بسلطانه وبالأبسو؟
60 هل أرسلك خيانة منه لي؟»
وما كادت تنتهي من قولها
حتى وضع عمالقة إريدو الخمسون
اليد على سفينة السماء
لكن إنّانا استدعت نينشوبور مساعدتها:
«هلمّي يا مساعدتي الأمينة في الإيانا
65 يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!
يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!
يدك لم تمسس الماء
ورجلك لم تمسس الماء»!
وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء

وكذلك الأسس التي قُدّمت لها!

المرحلة الثالثة / العمود الثاني

1 مرة ثالثة توجه الأمير إلى إيسمود حاجبه

استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:

«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية

ـ ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!

5 ـ أين هي الآن سفينة [السماء]؟

ـ إنها ترسو بجوار تل الـ[. . . .]

ـ حسناً فليستولِ عليها [لاخامو[1] لإنيجور[2] الخمسون]!»

وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدّسة:

«يا ملكتي، أبوك أرسلني إليك

10 أبوك أرسلني إليك يا إنانا

وما قاله لي أبوك فائق الخطورة:

ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة

وليس بالإمكان تجاهل أوامر بهذه الأهمية»!

أجابته إنانا المقدّسة:

15 «ماذا قال لك [أبي]؟

ما الذي أمرك به؟

ما هي أوامره الكبيرة الأهمية

التي لا يمكن تجاهلها؟

ـ مليكي قال لي

أنكي أمرني (قائلاً):

---

(١) (Lahamu) مخلوقات مائية ورد ذكرها في قصيدة التكوين والخلق البابلية على شكل كائنات بدائية.

(٢) (Engur) ورد شرحها سابقاً (العمود ٥: السطر ٤١).

دع إنانا تدخل إلى أورورك
لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»
20 وردّت إنانّا المقدّسة على إيسمود:
«ما حدا بأبي
أن يبدّل إرادته نحوي
لماذا أخلف وعده لي؟
ودنّس أوامره الواضحة لي
هل قال لي كلمته وهو في حالة سكر؟
هل توجّه إليّ مغرّراً
25 هل كان ينافق
حين استشهد بسلطانه وبالأبسو؟
هل أرسلك خيانة منه لي؟»
وما كادت تنتهي من قولها
حتى وضع لخامو الأينچور الخمسون
اليد على سفينة السماء
لكن إنّانا استدعت نينشوبور مساعدتها:
30 «هلمّي يا مساعدتي الأمينة في الإيانا
يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!
يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!
يدك لم تمسس الماء
ورجلك لم تمسس الماء»!
وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء
وكذلك الأسس التي قدمت لها!

المرحلة الرابعة

35 مرة رابعة توجه الأمير إلى إيسمود حاجبه

استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:
«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية
ـ ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!
ـ أين هي الآن سفينة [السماء]؟
40 ـ إنها ترسو بجوار تل الـ[....]
ـ حسناً فليستولِ عليها السمك الضخم بعد صدمها!»
وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدّسة:
«يا ملكتي، أبوك أرسلني إليك
أبوك أرسلني إليك يا إنانا
45 وما قاله لي أبوك فائق الخطورة:
ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة
وليس بالإمكان تجاهل أوامر بهذه الأهمية»!
أجابته إنانا المقدّسة:
15 «ماذا قال لك [أبي]؟
ما الذي أمرك به؟
ما هي أوامره الكبيرة الأهمية
التي لا يمكن تجاهلها؟
ـ مليكي قال لي
أنكي أمرني (قائلاً):
دع إنانا تدخل إلى أوروك
لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»
وردّت إنانا المقدسة على إيسمود:
55 «ما حدا بأبي
أن يبدّل إرادته نحوي
لماذا أخلف وعده لي؟
ودنّس أوامره الواضحة لي

هل قال لي كلمته وهو في حالة سكر؟
هل توجّه إليّ مغرِّراً؟
هل كان ينافق
حين استشهد بسلطانه وبالأبسو؟
60 هل أرسلك خيانة منه لي؟»
وما كادت تنتهي من قولها
حتى وضع السمك الضخم بعد الصدم
اليد على سفينة السماء.
لكن إنّانا استدعت نينشوبور مساعدتها:
«هلمّي يا مساعدتي الأمينة في الإيانا

العمود الثالث

1 يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!
يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!
يدك لم تمسس الماء
ورجلك لم تمسس الماء»!
وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء
وكذلك الأسس التي قُدِّمت لها!

المرحلة الخامسة

5 مرة خامسة توجه الأمير إلى إيسمود حاجبه
استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:
«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية
- ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!
- أين هي الآن سفينة [السماء]؟
10 - إنها ترسو على [....]

ـ حسناً فليستولِ عليها حراس أوروك!»
وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدّسة:
«يا ملكتي، أبوك أرسلني إليك
أبوك أرسلني إليك يا إنانا
15 وما قاله لي أبوك فائق الخطورة:
ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة
وليس بالإمكان تجاهل أوامر بهذه الأهمية»!
أجابته إنانا المقدّسة:
«ماذا قال لك أبي؟
ما الذي أمرك به؟
20 ما هي أوامره الكبيرة الأهمية
التي [لا يمكن تجاهلها]؟
ـ مليكي قال لي
أنكي أمرني (قائلاً):
دع إنانا تدخل إلى أوروك
لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»
وردّت إنانا المقدسة على إيسمود:
25 «ما حدا بأبي
أن يبدّل إرادته نحوي
لماذا أخلف وعده لي؟
ودنّس أوامره الواضحة لي
هل قال لي كلمته وهو في حالة سكر؟
هل توجّه إليّ مغرّراً؟
هل كان ينافق
حين استشهد بسلطانه وبالأبسو؟
30 هل أرسلك خيانة منه لي؟»

وما كادت تنتهي من قولها
حتى وضع حرّاس أوروك
اليد على سفينة السماء.
لكن إنّانا استدعت نينشوبور مساعدتها:
«هلمّي يا مساعدتي الأمينة في الإيانا
35 يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!
يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!
يدك لم تمسس الماء
ورجلك لم تمسس الماء»!
وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء
وكذلك الأسس التي قُدِّمت لها!

المرحلة السادسة

مرةً سادسة توجه الأمير إلى إيسمود حاجبه
40 استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:
«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية
- ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!
- أين هي الآن سفينة [السماء]؟
- إنها تلج توّاً [مجرى] التوورونچال[١]
45 - حسناً فليستولِ عليها [حراس] التوورونچال!»
وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدّسة
{توجّه إلى إنانا المقدسة:}[٢]
«يا مليكتي، أبوك أرسلني إليك

(١) (Turungal) المجرى القديم للفرات بين مدينة لارسا (Larsa) القديمة وضاحية أوروك الشمالية. ورد أيضاً في النص رقم (٨١) من هذا الكتاب.
(٢) سطر تكرر خطأً من قبل الناسخ.

أبوك أرسلني إليك يا إنانا

50 وما قاله لي أبوك فائق الخطورة:

ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة

وليس بالإمكان تجاهل أوامر بهذه الأهمية»!

أجابته إنانا المقدّسة:

«ماذا قال لك أبي؟

ما الذي أمرك به؟

55 ما هي أوامره الكبيرة الأهمية

التي لا يمكن تجاهلها؟

ـ مليكي قال لي

أنكي أمرني (قائلاً):

دع إنانا تدخل إلى أوروك

لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»

وردّت إنانا المقدسة على إيسمود:

60 «ما حدا بأبي

أن يبدّل إرادته نحوي

لماذا أخلف وعده لي؟

ودنّس أوامره الواضحة لي

هل قال لي كلمته وهو في حالة سكر؟

هل توجّه إليّ مغرّراً؟

هل كان ينافق

حين استشهد بسلطانه وبالأبسو؟

65 هل أرسلك خيانة منه لي؟»

وما كادت تنتهي من قولها

العمود الرابع

1 حتى وضع حراس تورونچال
اليد على سفينة السماء.
لكن إنّانا استدعت نينشوبور مساعدتها:
«هلمّي يا مساعدتي الأمينة في الإيانا
يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!
5 يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!
يدك لم تمسس الماء
ورجلك لم تمسس الماء»!
وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء
وكذلك الأسس التي قُدِّمت لها!
(الأسطر ٨ ـ ١٩ مشوهة وغير مفهومة).

إنانا تصل إلى أوروك

20 عند ذلك (قالت) نينشوبور مساعدتها
إلى إنانا المقدسة:
«سيدتي، ها هي إذن سفينة السماء
قد أرجعت اليوم
حتى بوّابة نيچ [ولا[1] الكبرى في أوروك ـ كلاّبا]!
الأسطر ٢٣ ـ ٢٥ غير واضحة.
26 [وأجابتها] إنّانا المقدّسة:
«أنا التي أرجعتُ في هذا اليوم [سفينة السماء]
حتى بوابة نيچولاّ الكبرى في أوروك ـ كُلاّبا!
فلتغطِّ «الجماهير» [الشوارع]!

(١) (Nigulla) إحدى بوابات مدينة أوروك.

30 ولتُغرَقْ «بالجماهير» الطرق!

ولـ[. . . .]

ولـ[. . . .] في الأفراح!

فليقدّم القدماء نصائحهم

وَلْتَعرضِ المسنّات آراءهن

وليتنافس الشبّان الأبطال

على حسن استعمال السلاح

وليخرج الأطفال ـ الصغار (للّهو بلطافة)

وليعمّ عيد الأفراح في أوروك ـ كلاّبا

(الأسطر ٣٨ ـ ٤٢ مفقودة).

43 وليقدّم خزّان سفينة السماء الماء الصّافي(؟)

وليحيّي الكاهن ـ الكبير السفينة بالأناشيد

وليتلُ الابتهالات العظيمة

45 وليضحِّ الملك بسخاء الثيران والخراف

ولينثرِ الجعة تكريماً للآلهة

ولتدوِّ الطبلات والطبول

ولتُعَزفْ على (آلات) التيجي[١] الموسيقى العذبة

ولتحتفل بشخصي الجليل المناطق جميعاً

50 وليمجّدني شعبي»

وهكذا عندما وصلت سفينة السماء

إلى بوابة نيجولاّ ـ الكبرى في أوروك ـ كلاّبا

وغطت «الجماهير» الشوارع

وغرقت «بالجماهير» الطرق

وعادت السفينة إلى مرفأ مآبها(؟)

---

(١) (tigi) نوع من الطبول ويعني أحياناً انشاداً يرافقه وقع هذه الآلة.

مسكن المرأة ـ الفتية
[رست] قرب البئر المقدسة، البئر الرئيسية [. . .]
55 (ومرّت) سفينة السماء والأسس المهداة لإنانا
عبر بوابة الجيبار[١]
[للتوقف] على بوابة الإينون[٢]!
وإنّانا المقدّسة [. . .]
موضع سفينة السماء!

تبلُغ أنكي وصول سفينة السماء

عند ذلك [توجّه] الأمير إلى إيسمود حاجبه
60 استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:
إيسمود يا حاجبي الطيّب، أيتها الشخصية السماوية
ـ ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!
ـ أين هي الآن، إذن سفينة السماء؟
ـ إنها ترسو الآن على الرصيف ـ الأبيض
65 حسناً [. . .]

(الأسطر السبعة أو الثمانية من نهاية العمود الرابع مفقودة وكذلك إذن تعليمات أنكي إلى حاجبه، ويظهر أن أنكي رضخ إلى أمر امتلاك إنانّا للأسس المقدّمة.

وعندما يستأنف النصّ في العمود الخامس، نشهد تفريغ حمولة السفينة بحضور كورس من الأمناء لإنانا يستقبلون بالترحيب الأسس والسّلطات التي كسبتها إنانّا لأوروك ويعدِّدونها الواحدة تلو الأخرى في نوع من الجرد لمحتويات السفينة.

العمود الخامس

1 «أي إنانا [أنت جلبتِ] منصبَ إين!

(١) (Gipar) الجناح المخصص لسكن الكهنة أو الآلهة في المعبد.
(٢) (Enun) أحد معابد أوروك.

[أنت جلبتِ] منصب لاچال!
[أنت جلبتِ] الوظيفة المقدّسة!
[أنت جلبتِ] التاج الشرعي العظيم!
5 أنت جلبتِ العرش الملكي!
أنت جلبتِ الصولجان السامي!
أنت جلبتِ عصا القيادة!
أنت جلبتِ الرداء (الملكي)!
أنت جلبتِ الرعويّة!
10 أنت جلبتِ الملكية!
أنت جلبتِ منصب الإيجيزي!
أنت جلبتِ منصب نينديتجير!
أنت جلبتِ إيشيب!
أنت جلبتِ لوماخ!
15 أنت جلبتِ چودو!
أنت جلبتِ مطابقة الحقيقة!
أنت جلبتِ [الـ. . . .]!
أنت جلبتِ [الـ. . . .]!
أنت جلبتِ النزول إلى العالم السفلي!
20 [أنت جلبتِ] الصعود من العالم السفلي!
[أنت جلبتِ] قلب الأدوار الجنسية بالتنكّر!
[أنت جلبتِ] الخنجر ـ وـ الهراوة!
أنت جلبتِ حالة المسترجلات!
أنت جلبتِ اللباس الأسود!
25 أنت جلبتِ اللباس المتعدد الألوان!
أنت جلبتِ الشعر المردود على النقرة!
أنت جلبتِ الشعر المعقود على النقرة!

أنت جلبتِ الـ. . . .!
أنت جلبتِ الـ. . . .!
30 أنت جلبتِ الـ. . .!
أنت جلبتِ الـ. . .!
أنت جلبتِ الـ. . . .!
أنت جلبتِ الـ. . . .!
أنت جلبتِ الـ. . . .!
35 أنت جلبتِ الراية!
أنت جلبتِ الجعبة!
أنت جلبتِ العلاقات الجنسية!
أنت جلبتِ قبلة ـ العشاق!
أنت جلبتِ البغاء!
40 أنت جلبتِ «السريع الإنجاز»(؟)!
أنت جلبتِ صراحة القول!
[أنت جلبتِ] الرياء!
أنت جلبتِ المداهنة!
[أنت جلبتِ] الـ[. . . .]!
45 [أنت جلبتِ] حالة إنانا النذرية!
[أنت جلبتِ] الحانة المقدسة!
أنت جلبتِ نينجينچار المقدس!
أنت جلبتِ الـ[. . . .] الإلّهي!
أنت جلبتِ البغاء السماوي!
50 أنت جلبتِ الجوقة الصوتية!
أنت جلبتِ فن الغناء!
أنت جلبتِ منصب القدماء!
أنت جلبتِ منصب الحرب!

أنت جلبتِ السلطة العسكرية!
55 أنت جلبتِ الخداع!
أنت جلبتِ الاستقامة!
أنت جلبتِ تخريب المدن!
أنت جلبتِ ممارسة النواح!
أنت جلبتِ القناعة!
60 أنت جلبتِ المكر(؟)!
أنت جلبتِ [الثـ] ـورة!
أنت جلبتِ [الرخـ] ـاء!
أنت جلبتِ التجوال!
أنت جلبتِ أمان السكن!
65 أنت جلبتِ فن شغل الخشب!
أنت جلبتِ فن شغل المعدن!
أنت جلبتِ فن الكتابة!
أنت جلبتِ فن صب المعادن!
أنت جلبتِ فن صناعة الجلد!
70 أنت جلبتِ فن النسيج!
أنت جلبتِ فن العمارة!
أنت جلبتِ فن صنع السلال!
[أنت جلبتِ] الذكاء!
[أنت جلبتِ] مهارة الصنع!
75 أنت جلبتِ الاغتسال المقدس!

العمود السادس

1 أنت جلبتِ تجميع الـ [سماد]!
أنت جلبتِ تكو[يم] الجمر!

أنت جلبتِ [الحضا] رة!
أنت جلبتِ [الاحترام]!
أنت جلبتِ الإجلال!
5 أنت جلبتِ التحفّظ!
أنت جلبتِ الكذب ـ والفظاظة!
أنت جلبتِ فن إشعال [النار]!
أنت جلبتِ فن إطفاء النار!
10 أنت جلبتِ العمل الجبري!
أنت جلبتِ الـ[. . . .]!
أنت جلبتِ اجتماع العائلة!
أنت جلبتِ التناسل!
أنت جلبتِ المجادلة!
15 أنت جلبتِ النصر!
أنت جلبتِ فنّ إسداء النصح!
أنت جلبتِ فنّ التهدئة!
أنت جلبتِ فنّ المحاكمة!
أنت جلبتِ فنّ اتخاذ القرار!
20 بغية تمركز [. . . .] على الأرض، أنت جلبتِ
فن إدارة المنزل: زينة النساء!
أنت جلبتِ [. . . .]: سر الأسرار!
أنت جلبتِ [. . . .] الصغار!
أنت جلبتِ [. . . .] العظيم!
أنت جلبتِ التيجي المقدس والليليس المقدّس والأوب المقدس[١]
والميز المقدس والآلا المقدس![٢]

---

(١) (Tigi) و(Lilis) و(Ub) آلات موسيقية.
(٢) (meze) و(Ala) من آلات الموسيقى.

25 أنت جلبتِ الـ[. . .] السماوي المقدس![1]

أنت جلبتِ الـ[. . . .] السماوي المقدس![1]

أنت جلبتِ الـ[. . . .] السماوي المقدس![1]

أنت جلبتِ الـ[. . . .] السماوي المقدس![1]

أنت جلبتِ الـ[. . . .] السماوي المقدس![1]

30 أنت جلبتِ الـ[. . . .] السماوي المقدس![1]

أنت جلبتِ الـ[. . . .]

(الأسطر ٣٢ ـ ٣٤ مفقودة، وما يلي حتى السطر ٥٠ يعتريه النقص والغموض. ويمكن التعرّف على شخصٍ مؤنث، لا بدّ أن يكون إنانا شخصياً تحدد مصير الأسس والشعارات وتعيّن أماكن أوروك التي سوف تستفيد منها وبخاصة الرصيف الأبيض ثم الرصيف الأزرق.

وبعد ذلك يعود أنكي للظهور متوجهاً إلى إنّانا).

قرار أنكي الأخير

51 توجّه أنكي عندئذٍ إلى إنانا المقدسة:

«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقري)!

(الأسطر ٥٣ ـ ٦٤ غامضة ولا يتضح قرار أنكي إلاّ بطريقة غير مباشرة في نهاية النص).

65 فليقضِ الكاهن ـ الكبير في چيپارك[2] المقدّس

أيّامه بابتهاج!

وليتمكن مواطنو مدينتك، وأطفال أوروك

من قضاء حياة ممتعة فيها!

أما بالنسبة لك، فمدينتك تبقى

طبعاً حليفة لإريدو:

---

(١) تم التعبير عن النقص بصفة المذكر مع أن المؤنث محتمل وذلك تسهيلاً للعرض.

(٢) (Gipar) المكان المخصص هنا لسكن إنانا في معبد أوروك.

ولتحتل أيضاً مركزها السابق

(ينتهي هنا العمود السادس للوحة وكذلك ينتهي النص ويضيف الناسخ كما هي العادة في أكثر الأحيان عدد الأسطر التي تحتويها اللوحة):

المجموع: ٤١١ سطراً.

(٨٦) ـ التنين الهائل الذي هدّد الأرض

١ ـ أشرنا في المقطع التاسع من تقديم الفقرة (٢ ـ ٢) إلى تصدّي الإلّه أنكي لتنين المياه الباطنة كور[١] وإلى قضاء الإلّه المحارب نينورتا على الشيطان أساج[٢] وما نتج عنه من اجتياح مياه المحيط البدئي لسومر وتدخل نينورتا الحضاري[٣] للحيلولة دون ذلك. وفي نصّين آخرين يرويان قصّة القضاء على التنين الذي هدد الأرض، فإن الوحشين الخطيرين سُمّيا لابّو[٤] وبشمو[٥]. ونعرض فيما يلي ما وصلنا من نصوصٍ قصيرة وناقصة، بسبب تشوه اللوحات التي تحملها، عن قصص القضاء على التنين:

(٨٦ ـ أ) ـ القضاء على التنين كور

(٨٦ ـ ب) ـ نينورتا والأساج

(٨٦ ـ ج) ـ من سيقضى على التنين لابّو

(٨٦ ـ د) ـ التنّين بشمو وليد البحر

---

(١) (kur)

(٢) (Asag)

(٣) إذ أدى ذلك لبناء سد أمام البحر.

(٤) (Labbu)

(٥) (Bashmu) بالنسبة للملاحظات (١) و(٢) و(٤) و(٥) انظر الشرح في حواشي المقطع ٩ من الفقرة (١ ـ ٥).

(٨٦ ـ أ) ـ القضاء على التنين كور

حدثت هذه المعركة التي أشرنا آنفاً إلى أن بطلها هو الإلّه أنكي، في الأزمنة البدئية، بعد أن كان قد تمّ وفقاً لقصص التكوين السومرية فصل السماء عن الأرض والأرض عن السماء وتوزع الأدوار بين آن إلّه السماء وإنليل إله الهواء، يروي لنا النصّ بأن التنّين كور خطف من السماء الإلّهة إيريشكيچال[١]. وكان على أنكي ركوب البحر للقاء كور، ويصف لنا النص كيف كان كور يقاوم أنكي برمي سفينته بالحجارة. ولا يعلمنا هذا النصّ القصير عن تفاصيل المعركة، وقد ورد في مقدّمة قصيدة كانت غايتها سرد قصة چلچامش[٢] وأنكيدو[٢] بصدد العالم السفلي، وكشف أسراره، بعد أن فَقَد چلچامش آلتيه الموسيقيتين[٣] اللتين سقطتا في العالم السفلي، حيث نزل أنكيدو لاسترجاعهما ولم يحترم التعليمات المعطاة له فأسرَهَ كور وأبقاه سجين العالم السفلي. وهذا النص السومري هو الأصل الذي اعتمدت عليه اللوحة الثانية عشرة من ملحمة چلچامش (نسخة نينوى). وفي هذا النص الذي سنورده كاملاً في الكتاب الرابع نجد في العالم السفلي، إلى جانب كور، كلاً من نامتار[٤] معاون إيريشكيچال وأساچ، ومن لقبُهُ ناصب الأفخاخ في خدمة نرچال[٥].

---

(١) (Ereshligal) التي أصبحت ملكة العالم السفلي وهي أخت إنانا/ عشتار وسوف يتحدث عنها مفصلاً الكتاب الرابع.

(٢) (Gilgamesh) و(Enkidu).

(٣) الآلتان هما البوكو (Pukku) والميكّو (Mikku) ونعتقد أنهما الطبل وعصاه.

(٤) (Namtar).

(٥) (Nergal) الإلّه الذي أصبح ملك العالم السفلي بنتيجة علاقته الغرامية مع إيريشكيجال.

قلنا آنفاً بأن خبر الصراع بين أنكي وكور لم يذهب إلى أبعد من ذلك ولا يشير أيضاً إلى نتيجة المعركة، وليس من الصعب الاستنتاج بأن أنكي كان المنتصر لأن كور أصبح أسير الأبسو[١] وقد يعني الانتصار على كور هو إجباره على البقاء في العالم السفلي كما أشرنا إلى ذلك أعلاه. أما نصّ المجابهة فهو التالي:

بعد أن حصل آن على السماء
وبعد أن حصل إنليل على الأرض
وبعد أن قام كور بخطف إيريشكيچال
كأسيرة له[٢]؛
بعد أن قام برفع شراعه، بعد أن
قام برفع شراعه،
بعد أن قام الأب (أنكي) برفع شراعه
(متوجهاً) نحو كور،
قذف كور نحو الملك[٣] الحجارة الصغيرة،
قَذَف نحو أنكي الحجارة الكبيرة؛
حجارته الصغيرة، حجارة اليد؛
وحجارته الكبيرة، حجارة القصب «المتمايل»؛
حطّمت صالبة[٤] سفينة أنكي
المقاتل، كالعاصفة المهاجمة.
ولدى هجوم الملك، كانت المياه في مقدمة السفينة
تلتهم مثل ذئب،
لدى هجوم الملك، كانت المياه في مؤخرة السفينة
تخبط مثل أسد.

ولا يقول هذا النص المخصص أصلاً، كما أسلفنا للبحث في العالم السفلي، أيّ شيءٍ عن آلتي الموسيقى اللتين فقدهما چلچامش.

---

(١) (Apsu) محيط المياه الباطنية حيث بنى أنكي مقره، وأبزو (Abzu) بالسومرية تعني البحر.

(٢) يذكر هذا الحدث بخطف بيرسيفون (Persephone) ابنة إلّهة الزراعة اليونانية وأسرها في العالم السفلي.

(٣) المقصود هو أنكي ملك الأبسو.

(٤) صالبة السفينة ـ هي الجسر السفلي الأوسط الذي يشكل العمود الفقري للسفينة.

(٨٦ ـ ب) ـ نينورتا والأساج

١ ـ الأساج الذي يقضي عليه نينورتا في هذا النص السومري يرتبط بالسيطرة على مياه البحر البدئي للحيلولة دون اجتياحها بلاد سومر وذلك ببناء جدار حماية ينتصب في وجه هذا البحر. ويتابع النص بعد ذلك، وهو أحد الأصول السومرية لانتصار نينورتا على الجبل، «شعب الحجارة» بمباركة الحجارة الحليفة ولعن الحجارة المتمردة التي حاربت إلى جانب الأساكّو، عملاق الجبل، كما تم عرض ذلك في النص رقم (٧٩) من هذا الكتاب.

٢ ـ وما يهمنا هنا، هو عرض هذه البداية السومرية، التي تشير إلى الخلل الذي أحدثه في سومر القضاء على الأساج، إذ فاضت غاضبةً مياهُ البحر البدئي واجتاحت الأرض مانعةً المياه الحلوة من الوصول إلى الحقول لريّها. وسيطر اليأس على الآلهة الذين كانوا «يحملون السلّة والمعزق» وهم المكلفون بأعمال الريّ والزراعة.

وهنا أيضاً فإن «شارور» سلاح نينورتا السحري هو الذي يحرّضه على القضاء على الأساج فيتم ذلك. وهذه هي النتائج كما يعرضها النص:

هائلة كانت المجاعة، ولم يعد أي شي يُنْتَج
وفي الأنهار الصغيرة، ما من أحد «كان يغسل يديه».
ولم يعد يرتفع منسوب المياه
ولم يعد ممكناً إرواء الحقول؛
وما من أحد كان يحفر ترع الري،
ولم تعد تنبت أية زروع في جميع البلاد.

وحدها كانت تنمو الأعشاب السيئة.
عند ذلك وأمام تلك الحالة، أعمل
الإلّه عقله النيّر؛
نينورتا ابن إنليل، خلق عند ذلك أشياء عظيمة.

ويعلمنا النص بعد ذلك بأن نينورتا كدّس أحجاراً كثيرة فوق كور[١] وأقام جداراً عظيماً لحماية سومر، بحيث إن مياه البحر البدئي «العنيفة»، لم يعد باستطاعتها الصعود إلى سطح الأرض. جمّع نينورتا، بعد ذلك المياه التي تشتتت في البلاد وحوّلها لتصب في دجلة. فطفح النهر من جديد وأمكن فيضه من إرواء الحقول:

ما كان مشتّتاً، جمّعه (نينورتا)
ما كان مشتتاً من الكور
حوّله وصبّه في دجلة
والمياه العالية، أفاضها دجلة على الحقول.
وعند ذلك، هذا هو كل شيء على الأرض
يبتهج إلى أبعد حدّ، بفضل
نينورتا، ملك البلاد
فأنتجت الحقول حبّها بكثرة
ومنحت الكروم والبساتين ثمارها،
وعلى الهضاب تراكم الحصاد وامتلأت العنابر
فأزال الإلّه الحزن من على وجه الأرض
وطفحت بالبهجة قلوب الآلهة.

(يعرض النص بعد ذلك تكريم نينورتا لأمّهِ نينماخ[٢] ويقرر مصير أحجار الجبل وفقاً لما ورد في النصّ رقم (٧٩) المعروض آنفاً).

(١) (kur) هنا بمعنى العالم السفلي مقر التنين أساج.
(٢) (Nin-Maḫ) لقب ام نينورتا ومعناه السيدة الفائقة السمو.

(٨٦ ـ ج) ـ من سيقضي على التنّين لابّو

يتعلق الأمر هذه المرة بنص وحيد عُثر عليه في مكتبة الملك أشور بانيبال في نينوى (٦٦٨ ـ ٦٢٧) ق.م. وقد فقدت اللوحة جزءاً كبيراً من نصفها الأيمن، ولم يكن ممكناً تقدير النقص الحاصل على وجه اللوحة وظهرها. إلاّ أن مضمون ما تبقى منها جدير بأن يعرض.

وفي هذه اللوحة، فإن التنين المخيف هو لابّو[١] الذي أرهق سكان المدن، حيث إن عددهم كان يتناقص باستمرار، والذي كان يلتهم طيور السماء.

حتى الآلهة، كانوا يتساءلون، عمّن أتى بهذا المخلوق إلى الوجود، كما حدث ذلك بصدد الطائر أنزو[٢] الذي هدّد مصير جميع الآلهة باستيلائه على السيادة. أما هنا فإن التنين هدّد الأرض وسكان الأرض، ولم يهتم به الآلهة إلاّ بعد تفاقم خطره على البشر والطيور والحيوانات وبالتالي على التقدمات والقرابين، التي كان البشر يملأون بها معابد الآلهة. وهنا يتمّ التساؤل من الذي من بين الآلهة سوف يخلّصنا من لابّو وينقذ الأرض الفسيحة؟

إنّ إلَهاً باسم تيشپاك[٣] هو الذي يكلّف بهذه المهمة. فيستعدّ للمعركة مزوّداً

---

(١) (Labbou) بمعنى «الغاضب» ومنه اشتق اسم الأسد.

(٢) (Anzou) نص «خيانة الطائر أنزو وعقابه» عرض في الكتاب الثاني تحت رقم (٦٢).

(٣) (Tishpak) إلّه ثانوي عرف في مدينة إيشنونا (Eshnuna) الواقعة إلى الشمال من بغداد (تل أسمر).

بنصائح إيا[١] كما حدث ذلك بالنسبة لنينورتا قبل لقائه الطائر أنزو.

التنين الهائل يرهب الأرض والآلهة

وجه اللوحة

1 أهل المدن، أنهكهم الأمر، والقاطنون [. . .]
كان عدد السكان يتناقص،
ولكن أمام صراخهم المفجع،
[الآلهة] لم [يأخذوا حذرهم(؟)]
ولم يعير [وا اهتماماً (؟)] لصراخهم [. . .]
5 من الذي [أوجد هذا التنين (؟)] (تساءلوا)
البحر وَحده [بإمكانه ولادة مثله (؟)]
عند ذلك رسم إنليل [شكله (؟)] في السماء[٢]
كان طوله يبلغ خمسين بيرو[٣]
وبيرو واحد [كان سِمْكه(؟)]
كان قياس فمه ستة أذرع[٤]
و[لسانه(؟)] إثنا عشر ذراعاً
10 وعلى إثني عشر ذراعاً (كان يمتد)
محيط أذنيه
وعلى مسافة ستين ذراعاً
كان [يلتقط (؟)] الطيور [بلسانه(؟)]
إذا ما تحرّك تحت تسعة أذرع ماء [. . .]

---

(١) (Ea) إلّه المعرفة ومهارة الصنع وأمير الأبسو.
(٢) من المحتمل أن نكون هنا أمام إشارة للمجموعة الكوكبية «التنين».
(٣) (bêru) = حوالى ١٠ كيلومترات على الأقل.
(٤) التسمية في النص هي أماتو (Ammatu) بقياس ٥٠ سم تقريباً.

كان باستطاعته رفع ذنبه [حتى...]

القلق يصل أخيراً إلى الآلهة

بحيث إن كافة آلهة السماء
[بدأ يتملّكهم الخوف (؟)]
15 وعند ذلك، وهم سجود في السماء
أمام [إيا (؟)]،
حتى أن سين[١] كان يشدّه من
طرف ثوبه[٢][...]
«من هو الذي سوف يذهب (قالوا)
للإطاحة (؟) بهذا اللابّو [...(؟)]
لينقذ بذلك الأرض الفسيحة،
و[...] يمتلك السيادة العليا؟

الإلّه تيشپاك يُختار لهذه المهمة

10 ـ إذهب واقتل لابّو، يا تيشپاك! [...]
أنقذ الأرض الفسيحة [...]
وامتلك السلطة العليا [...]!
ـ أنت تكلفني يا سيدي
[بقتل (؟)] وليد النهر [... (؟)]
ولكن، بصدد هذا اللابّو، أنا أجهل [...]
25 [...]
[...] في الماء»

(فقدان كامل الجهة السفلية من وجه اللوحة ولا يمكن تقدير النقص).

---

(١) (Sin) الإلّه القمر.
(٢) إشارة إلى الطلب من إيا التدخل لإنقاذ الآلهة من الخطر.

ظهر اللوحة/ التعليمات المعطاة إلى البطل من قبل إيا

1 فتح [إيا(؟)] فمه
متوجهاً إلى الإلّه [. . .]
«إجعل الغيوم ـ الماطرة تنحدر (عليه)
[أطلق (؟)] العاصفة [. . . .]
[. . .] أمامك، الختم الأسطواني في رقبتك [. . .]
اقذفه، واقتل بذلك اللابّو [. . .]!»
5 جعل إذن الغيوم ـ الماطرة تنحدر
[. . .] والعاصفة [تهبّ (؟)]
[. . .] الختم الأسطواني في رقبته، أمامه [. . .]،
قذفه و[قتل] اللابّو [. . .]!
وخلال ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر
ويوم واحد، أكثر [. . .]
سال دم اللابّو [. . .]

(٨٦ ـ د) ـ التنين بشمو
وليد البحر

لم يبق من هذا النص، الذي عثر عليه في ما سمّي بمكتبة تغلات ـ فلصّر (١١١٥ ـ ١٠٧٧) ق.م، إلاّ بعض الأسطر. وهو يسبق نص مكتبه أشور بانيبال (٨٦ ـ ج) بعدة قرون، أمّا بطله، فليس الإلّه تيشپاك، بل إلّه ثانوي آخر، نجهل اسمه بسبب النقص[(١)].

ونحن نعلم أنه يَبْدأ بالتوجّه إلى الإلّهة أرورو[(٢)] التي تُرسله بدورها إلى نرچال[(٣)]. وإلى هذا الأخير، يطلب إذن المساعدة لإنجاز مهمته: «واجبه كجندي». وما تبقى من النص يعدّد الأخطار التي يتوجب عليه مجابهتها، واصفاً ضخامة التنين واعتداءاته على ما في البحر والسماء، وعلى ما في الأرض من حيوانات وبشر.

21 في البحر، ولد التنين بشمو [...]
طوله ستون بيرو،
يرتفع رأسه حتى ثلاثين بيرو [...][(٤)]
محيط عينيه [يمتد (؟)] على نصف ـ بيرو

---

(١) العمود الأول من هذه اللوحة، أصابه تلف كامل، ومن العمود الثاني على ظهر اللوحة وحتى السطر ٢٠، أمكن سرد نتف المعلومات التي عرضت أعلاه. ويبدأ النص بالسطر ٢١.
(٢) (Aruru) إلّهة ـ أم وهي أخت إنليل.
(٣) (Nergal) إلّه العالم السفلي وكان سابقاً مقره في السماء ولكن علاقته الغرامية بإيريشكيچال إلّهة العالم السفلي جعلت منه ملكاً على هذا العالم.
(٤) (bêru) = قياسه حوالى ١٠ كيلومترات.

25 قوائمه تحقق قفزاتٍ لعشرين بيرو
إنّه يلتهم الأسماك، نتاج البحر [...]
والعصافير، نتاج السماء [...]
والعير الأخدرية، نتاج [الجبل...]
إنه يلتهم ذوي الرؤوس ـ السوداء و[...] البشر
30 [...] نرچال، ساحر الأفاعي [...]

(بقية العمود لا يمكن استثمار ما بقي منها، لأنّها مشوهة كلياً).

(٨٧) ـ الأبكالّو ناقلو الحضارة، مساعدو أنكي/إيا

١ ـ تعترف جميع النصوص السومرية بدور الإلّه أنكي في نقل الحضارة وتعليم الناس الفنون التي ترفع مستوى معيشتهم وتحقق الرفاه للبلاد وللآلهة المستفيدين بدورهم من التقدمات والأضاحي في معابدهم.

ولم يتبدّل دور أنكي حين أطلقت عليه النصوص الأكادية تسمية إيا وظلّ إلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع ونقل الحضارة.

٢ ـ وتقول لنا بعض النصوص الأكادية التي لم يبق منها مع الأسف سوف أسطر قليلة، بأن الإلّه أنكي / إيا كان يعتمد في مهمته التحضيرية على مساعدين سبعة لقبوا بالأبكالّو[١]، في اللغة الأكادية وفي هذا اللقب تحريف للتسمية السومرية (أب ـ چال) بمعنى «الكثير الذكاء» أي «الكبير الخبرة».

ويذكر النص المشار إليه أن الأبكالو السبعة أتوا من البحر أو خلقوا في النهر، ولُقِّبوا «بسمكات الشبّوط المقدّسة». ولكي نفهم معنى هذه التسمية وأهميتها، نورد بنهاية النصين الأكاديّينْ القصيرَيْن، ما كتبه بيروز[٢] المؤرخ وكاهن معبد بل ـ مردوك في بابل حوالى عام ٣٠٠ ق.م. باللغة اليونانية، أي بعد فتح الإسكندر الكبير للشرق

(١) (Apkallu) أصلها السومري (Ab-Gal).

(٢) (Bérose) أو بيروزوس كاهن ومؤرخ بابلي عاش خلال الفترة الهلنستية وأراد تعريف العالم اليوناني بحضارة بابل فألف عمله التأريخي الذي عرف تحت اسم «بابيلونيكا» (Babilonica).

الأدنى في عام ٣٣٠ ق.م. ويشير نص بيروز إلى خروج الرجل ـ السمكة «أوانس»[1] من البحر الأحمر.

النص الأكادي الأول

وهو ما ورد عن الأبكالو السبعة، كما أشير إليهم في ملحمة إيرّا[2] التي سيرد نصها الكامل في الكتاب الرابع. والمقطع الذي يهمنا هو كما يلي:

162 «هؤلاء الأبكالو السبعة، أبكالو الأبسو
الذين منحهم إيا سيّدهم
مهارة خارقة مثل مهارته!»

النص الأكادي الثاني

ورد ضمن لوحة تحمل نصاً عن طقسٍ خاص بالتعويذ وفيه توضيح لدور الأبكالو كما يلي:

هؤلاء الأبكالّو السبعة، سمكات الشبّوط
التي أتت من البحر
هؤلاء الأبكالّو السبعة الذين تم «خلقهم»
في النهر،
لتأمين حسن تطبيق المخططات الإلّهية
المتعلقة بالسماء والأرض....

أوانس ونقل الحضارة في نص بيروز

مقطتف عن بابيلونيكا ـ الجزء الأول:

«إلى بلاد بابل، قَدِمَ من مناطق أخرى، عدد كبير من الناس وتمركزوا في بلاد الكلدان (الجزء البحري الواقع في جنوب ما بين النهرين)، حيث

---

(١) (Oanes) تحريف هلنستي لاسم إيا.

(٢) (Erra) اسم آخر لنينورتا وهنا بصفته إلّه الحرب والدمار والحرب من أجل الحرب. وملحمة إيرا المشار إليها أعلاه هي آخر عمل ملحمي عرفته بلاد ما بين النهرين.

عاشوا حياة جهل، تماثل معيشة الحيوانات. وفي سنةٍ أولى آنذاك، ظهر على الشاطىء كائن غير عادي (يقال إنه) خرج من البحر الأحمر وسُمّي «أوانس».

جسده الكامل، كان جسد سمكة وله تحت رأس السمكة رأس آخر بشري، وكذلك رجلان مماثلتان لرجلي إنسان ـ وهذا المظهر تمّ الاحتفاظ به في الذاكرة إذ لا يزال يُمثّل على هذا الشكل حتى في أيامنا هذه[١].

وكان هذا الكائن الحيّ، يمضي نهاره مختلطاً بالبشر دون تناول أي طعام، كما كان يعلمهم الكتابة والعلوم والفنون وبناء المدن وبناء المعابد، وأصول المحاكمات والهندسة؛ وكشف لهم أيضاً عن كيفية زراعة الحبوب وجني الثمار؛ وقد علّمهم إجمالاً كل ما يشكل أسس الحياة المتحضّرة.

تمّ ذلك بشكلٍ جيدٍ وكافٍ، حيث إنه منذ ذلك الحين، لم يتم اكتشاف أي جديد مهمّ، حول هذه المعارف.

وعند غروب الشمس، كان هذا الكائن أوانس يعود للغوص في البحر، بغية تمضية لياليه تحت الماء، لأنه كان برمائياً.

وظهر فيما بعد من هم على مثاله...[٢].

---

(١) وصلتنا نقوش بارزة آشورية ـ حديثة، تحتوي على تمثيل لمثل هذا الرجل ـ السمكة، كما حملت لوحة برونزية مشهداً لكهّان معوذين يعالجون مريضاً وهم يرتدون كساءً من جلد سمكة كبيرة أو على شكل سمكة.

(٢) وهؤلاء هم الأبكالو السبعة أو الحكماء الذين رافقوا كل بدوره ملوك ما قبل الطوفان للقيام بدور مماثل لدور أنكي/ إيا/ أوانس.

(٢ ـ ٣) ـ إنانا/عشتار
والسلطة

١ ـ عندما نظم الإلّه أنكي البلاد (النص رقم ٨٢)، قرر في الوقت نفسه مصير إلّهات عديدات، وكلّف كلاً منهن بمهام من شأنها خدمة الحضارة وتقدم المجتمع. ولكنه نسي أو تناسى إقرار مصير ملائم للإلّهة إنانا.

ويمكن العودة إلى النص المشار إليه أعلاه، للتعرّف بأن أنكي عيّن للولادة وقطع حبل السرّة إلهتهما، وعيّن إلهةً للسهر على فن صناعة الخشب والمعادن، كما عيّن إلهةً لأعمال، تحديد العقارات (أعمال المساحة) والمحاسبة، وإلّهةً للسهر على نتاج البحر والصيد، ولكنّه نسي أو تناسى إنانا، ونتج عن ذلك احتجاج إنانا على هذا التصرف أمام الإلّه أنكي.

وقد يعني ذلك، كما يوحي به ردّ أنكي، إن إنانا كانت تتمتع، قبل تدخّل أنكي للتنظيم، بسلطاتٍ كافية، غلبت عليها صفات إنانا المحاربة التي: تلبس الرداء «قدرة ـ الرجال» وتعدّ وتُعلن المعارك والحروب. فهل يعني إغفال أنكي وإهماله لإنانا، محاولةً منه لإبعادها عن روح الحرب والقتال لأنه كان يعمد في تنظيمه إلى تعميم السلاح، لأنه هو الذي «جعل البشر يتركون السلاح في بيوتهم، ضماناً للعيش بسلام»؟ (السطران ٥٠ و٥١ من النص رقم ٨٢).

٢ ـ ونحن نعلم، كما يشير إلى ذلك النص رقم (٨٨)، الذي نُسِبَ تأليفه إلى ابنة سرجون الكبير (٢٣٣٤ ـ ٢٢٧٩) ق.م.، أن إنانّا المحاربة هي التي أخضعت الجبل وجعلت إلّه الجبل يعترف بسلطتها و«يقبل الأرض تحت قدميها» وذلك على الرغم من محاولة إلّه السماء آن إقناعها بالتخلي عن مشروعها. ويصف النص معركتها بتعابير

تذكرنا بمعركة البطل نينورتا حين أخضع شعب الحجارة (النص رقم ٧٩ من هذا الكتاب).

٣ ـ تلتقي محاولة الإلّه أنكي لإبعاد إنانا عن المعارك وتهدئة عنفوانها، بمحاولته في فترة لاحقة[١]، تحت تسميته، الأكادية: إيا، محاولته إبعاد عشتار وهي إنانا نفسها عن كبريائها وصَلَفِها، بخلق ندٍ لها لمجابهتها وجعلها تتخلّى عن الشجار والفتنة وإثارة الرعب. ونورد هذه المحاولة الناجحة والذكية من قبل الإلّه إيا في النص رقم (٨٩).

٤ ـ لا بد لمتتبّع النصوص حول إنانا/عشتار أن يلاحظ، بأنها لم تكن فقط إلّهة المعارك، فالكتاب الأول، لم يغفل التغني بدورها في الخصب والإخصاب وعلاقتها بدوموزي الراعي وأهمية ما رمزت إليه مراسم الزواج الإلّهي من إنانا، ودور الملوك بهذا الصدد.

والإلّهة إنانا/عشتار، هي الإلّهة الوحيدة التي اجتازت العصور ولم تقف أمامها حدود البلاد ولم يقلل من أهميتها توالي العصور. فإنانا أوروك السومرية هي عشتار البابلية وعشتار نينوى الآشورية. كما أن عشتار نينوى هي التي ورد ذكرها في الأساطير الحثيّة والحورية التي عرفها الشمال السوري وساحل كيليكيا. وعشتار نينوى هي أيضاً أخت إله الرعد والعاصفة تيشوب[٢] كما كانت عناة أخت بعل الأوغاريتي. ومن بيبلوس وصيدون، عبرت عشتار/عشتروت الكنعانية البحر إلى أثينا. كما أن روما لم تغفل أهميتها.

٥ ـ وما وصلنا من نصوص عن إنانا/عشتار من ضمن مجموعات سومر وآكاد وآشور، وحدها، يثبت لنا بأنها كانت كبيرة إلّهات ما بين النهرين، ومنذ البداية بدأت شخصيتها تطغى على بقية الإلّهات المحلية التي حلت محلّهن وأضافت مميّزاتهن إلى شخصيتها وهذا ما يفسّر غِنى وتعقيد وتناقض هذه الشخصية، كما تحدثت عنها تلك النصوص:

- فعشتار، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً هي إلّهة الرجولة في المعارك، المتحفّزة دوماً للقتال، تمثّلها النقوش البارزة واقفةً على أسدٍ تمسك

(١) فترة حكم حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) ق.م.
(٢) (Teshoup) يماثله حدد أو هدد وبعل الأوغاريتي.

زمامه بيدها اليسرى. وهي تحمل السيف على جانبها، وتظهر، متصالبةً على ظهرها، جعبتا سهام.

- عشتار هي أيضاً إلّهة الحب، بجميع أنواعه، الحب الطاهر والماجن، إنها العشيقة والقرينة والأم ومولِّدة الآلهة ومصدر الحياة والخصب وهي في الوقت نفسه إلّهة الغانيات العاقرات وإلّهة المخنثين من الرجال.

- إنانا/عشتار، هي التي مع الإلّه أنكي/إيا، احتجت لأن إنليل أطلق الطوفان «بدون تروٍّ» لإبادة البشر ولم يكن له الحق بالقضاء على أبنائها جماعياً كما فعل.

- وهي التي اكتسبت أيضاً لَقَبَ الوصيّة على الكون، التي تُجلس الملوك على عروشهم وتضع بيدهم الصولجان والشارات الملكية، كما تسهر على استمرار الملكيات وتصونها.

- وفي سماء الآلهة، فإن إنانا/عشتار هي ألمع النجوم وأكثرها تألقاً، يرمز إليها في عالم السماء كوكب الزهرة أي ڤينوس[1] وهو الاسم الذي حافظت عليه في روما بعد أن كانت وُلِدَت من زبد البحر[2] في بلاد اليونان وحملها النسيم إلى قبرص، الجزيرة المخصّصة لها، فكانت الإلّهة أفروديت، إلّهة الحب والجمال، إلّهة الإغراء وتعدُّد المغامرات الغرامية مع الآلهة والبشر، تسخر من الذين تمكنت بحيلها من إغرائهم. . . ، إذ كانت الإلّهة التي لا يُقاوَمُ سحرُها حتى أنها «كانت تعطّل الاتزان في عقول الحكماء».

- ونذكر بهذه المناسبة أن سمعة أفروديت في تعدد مغامراتها الغرامية وتنقلها من عاشق لآخر لا بد أن تكون ورثتها عن اتهامات چلچامش لها عندما حاولت إغراءه بعد انتصاره على الثور السماوي ورفض بإباء طلبها معيباً عليها المصير المحزن لجميع عشاقها[3].

---

(١) (Vénus).

(٢) أي أفروس (afros) ومنه اشتق اسم أفروديت.

(٣) ورد ذلك في اللوحة السادسة من ملحمة چلچامش، نسخة نينوى والتي سيتضمنها الكتاب الرابع.

- أما نزولها إلى العالم السفلي الذي سترد تفاصيله في كتاب لاحق، فقد كان سبباً في تعطيل الخصب والحياة الجنسية على الأرض.

٦ ـ جميع هذه الأوجه لشخصيتها الغنية والمعقدة التي عددنا، جعلت الشعراء والمنشدين يتغنون بمآثرها وبقدرتها كما جعلت المصلّين يبتهلون إليها طالبين عونها.

وقد وصلتنا عنها أجمل أناشيد التمجيد، إذْ عَرِفَتْ فترة حكم نبوخذ نصر الأول (١١٤٦ ـ ١١٢٣) ق.م. تفتحاً جديداً لطقوس عشتار وكأنها استعادت الدور الأول وتزايدت سلطتها حتى أن أحد منشدي تلك الفترة جعلها بصفة المتكلم تمجّد نفسها ونورد هذا التمجيد تحت الرقم (٩٠). كما يحدثنا نشيد آخر عن افتخار عشتار بعطاء إنليل لها النص رقم (٩١). ومن أجمل نصوص التمجيد، العائدة لتلك الفترة أيضاً، هو ما أسميناه بنص ارتقاء عشتار ونورده تحت رقم (٩٢).

وفي ابتهال أخير موجّه إلى عشتار، نورده تحت الرقم (٩٣)، تضيف عشتار إلى ألقابها المتعددة لقب «إلّهة الإلّهات».

٧ ـ ومن ضمن هذه الفقرة حول إنانا/ عشتار والسلطة يمكننا القول في ما يتعلق بإنانا/ عشتار «قدرة الرجال» بأن النصوص التي نوردها عنها، هي كما يلي:

النص رقم (٨٨) ـ إنانا تخضع الجبل

النص رقم (٨٩) ـ عشتار تجابه صَلْتو

النص رقم (٩٠) ـ إنانا/ عشتار تمجد نفسها

النص رقم (٩١) ـ عشتار تفاخر بعطاء إنليل لها

النص رقم (٩٢) ـ ارتقاء عشتار.

النص رقم (٩٣) ـ عشتار إلّهة الإلّهات.

يمكننا القول بدلالة هذه النصوص إن سلطة إنانا/ عشتار عرفت خلال إثني عشر قرناً تقريباً، إذا ما اكتفينا بالفترة الفاصلة بين حكم سرجون الكبير ونبوخذ نصر الأول، عرفت صعوداً ثم هدوءاً ثم صعوداً جديداً في ما يتعلق بدورها القتالي ودون أن تفقد أية أهمية في ما يرتبط بنشاطاتها الأخرى.

(٨٨) ـ إنانا تُخْضِع
منطقة الجبل

١ ـ يتفق الباحثون على أن هذا النص من وضع إبنة سرجون الأكادي (٢٣٣٤ ـ ٢٢٧٩ ق.م.) وهي إنخيدُوانا[١] كاهنة الإلّه القمر نانّا[٢] في مدينة أور[٣]، خلال فترة حكم نرام ـ سين[٤] أو قبل هذه الفترة.

والنص محفوظ بشكل جيّد، ويتألف من ١٨٤ سطراً. يبدأ بتمجيد الإلّهة إنانّا، ثم يروي كيف أنها قررت إخضاع منطقة الإيبيخ[٥] وهي المنطقة الجبلية (ومنها جبل حِمْرين) الواقعة إلى الجنوب من نينوى حيث سيقام في المستقبل الحكم الآشوري.

٢ ـ ولا بد أن يحمل هذا النص ذكرى لها أهميتها، حين تمّ خلال الفترة الأكادية لسرجون الكبير، إنشاء الأمبراطورية وتوحيد البلاد من الخليج حتى جبال زغروس في الشمال. وسلسلة الجبال أي المنطقة الجبلية التي أطلق عليها النص تسمية الإيبيخ[٥] والتي لا يزيد ارتفاعها عن ٣٠٠ متراً، تقع إلى الغرب من زغروس.

ويعتبر النص، الأيبيخ كإلّه[٦] لهذه المنطقة. وإخضاع إنانّا لهذا الإلّه، يعني اعتراف

---

(١) (Enheduanna) اسم ابنة سرجون.

(٢) (Nanna) الإلّه القمر السومري.

(٣) (Ur) وهي المدينة التي ارتبط اسمها بإبراهيم الخليل ومدينة القبور الملكية المعروفة.

(٤) (Naram-Sin) حفيد سرجون الكبير وقد حكم حوالى (٢٢٥١ ـ ٢٢١٨) ق.م.

(٥) (Ebih) أو (Abih) تسمية أكادية للمنطقة الجبلية، اينتي (Enti) بالسومرية.

(٦) وردتنا تسميات تعود إلى ما قبل ٢٣٠٠ ق.م. وإلى نهاية الألف الثالث تشير إلى ألوهية إيبيخ ومنها اسم أحد مسؤولي القصر في مدينة ماري (تل الحريري) وهو (Ebih-il) أي أيبخ ـ إلّه.

الجبل بسلطتها وتقبيل الأرض تحت قدميها، كما يقول النص... الذي ينتهي بتمجيد إنانّا لنفسها افتخاراً بانتصارها. وفيما يلي نص تمجيد الشاعرة لإنانا بنت سين[١].

تمجيد إنّانا المحاربة

1 إنّين ذات السلطات المهيبة، أنتِ التي تنشرين الرعب
عندما تمارسين السلطات العظيمة!
إنّانا، أنت التي تشهرين مُسكة بقبضته المقدّسة، الأنكارا،[٢]
الذي بالدم يرشُك!
أنت التي تهتاجين في المعارك العنيفة
فتحطِّمين الدروع،
وتثيرين الأعاصير والزوابع!
5 إنانّا، يا صاحبة السيادة الأبيّة
الخبيرة في إطلاق الحروب،
أنت التي تكتسحين الأرض وتحتلّين البلاد،
بسهامك البعيدة المدى!
هناك، وفوق المرتفعات، تزأرين كالأصْهب المفترس
وتضربين الشعوب!
وكثورٍ وحشي ضخم، تنتصبين نافذة الصبرِ
للانقضاض على المناطق العدوة!
وكأسدٍ هائل، وبفمك المزبد
تبيدين الخصوم والمتمرِّدين!

إنانا إلّهة كوكب الزهرة

10 يا مليكتي، عندما تتمطّين كما تتمطّى السماء،

---

(١) (Sin) التسمية الأكادية للإلّه القمر نانّا.
(٢) (Ankara) نوع من السلاح القاطع كانت تشهره إنانا.

وعندما تتّسعين عرضاً كالأرض،
وعندما تبزغين كالشمس
ناثرةً نورَ أذرعك المديدة،
وتسبَحين في الأعلى ناشرة الرعب والرهبة
وحين تنيرين الأرض ببريقك المبهر
15 وحين تجتازين الجبال
ترمين فوقها شباكك المضيئة
وتغسلين بأشعتكِ الجبال المزهرة»
وعندما تكشفين الستر عن جبل ـ أحجار ـ الشوبا[١]،
الجبلِ المقدّس،
وترفعين بكبرياء [. . . .] ك،
كسيّد لطيف وساحر،
عندما وسط المعارك، ترفعين رأسك بكل كبرياء
كسلاحٍ كاسح،
20 عند ذلك، ذوو الرؤوس ـ السوداء، يطلقون نشيدهم
وتردّد كلّ البلاد «الإيلولاما»[٢] بحماسة
وأنا أيضاً أريد بشغفٍ أن أحتفلَ
بملكة المعارك، بنت سين العظيمة
المرأة الفتيّة إنانّا!

إنانا تَغْضَبُ لعدم احترام إيبيخ لها

25 أنا إنانّا، عندما اجتزتُ السماء والأرض
عندما قَطَعتُ بلاد عيلام[٣] وسوبير[٤]

(١) (Shuba) نوع من الأحجار الكريمة.
(٢) (Ilulama) كلمة تعبّر عن الابتهاج.
(٣) المنطقة الجنوبية الغربية من إيران(منطقة سوز).
(٤) (Subir) أو (Subartu) المنطقة الآشورية حيث يقع جبل الإيبيخ.

عندما قفزتُ على جبال اللّول أوبي[١]

وتوجّهت نحو هذا الجبل (الإيبيخ)

وتوجهت نحو هذا البلد،

عندما اقتربتُ من هذا البلد، أنا إنّين

لم يعبّر لي عن أيّ احترام!

30 عندما اقتربتُ أنا إنانا من هذا البلد

لم يظهر لي أي احترام!

عندما اقتربت من الإيبيخ

لم يظهر لي أي احترام!

لذلك ولأنّه لم يظهر لي أي احترام،

وبما أنه لم يقبّل قطّ الأرض تحت قدميّ،

ولم يكنسْ بلحيته الترابَ تحت قدميّ،

35 سوف أرفع يدي على هذا البلد المستفزّ،

وسوف أعلّمه كيف يهابني.

مقابل «جوانبه الكبيرة» سوف أقيم «ثيراناً كبيرة»

ومقابل «جوانبه الصغيرة»، سوف أقيم «ثيراناً صغيرة»![٢]

سوف أدوسه بقدمي(؟)

لكي تغمره «الرقصة المقدّسة»، (رقصة) إنانا!

سوف أحمل إليه الحرب، وأثير المعارك.

سوف أطلق(؟) السهام من جعبتي،

40 وسأجعل رشّات متواصلة من الحجارة

تتعاقب من مقلاعي،

وأدفع بسيفي ضدّه.

---

(١) (Lullubi) جبال زغروس.

(٢) لا يزال هذا المقطع مستعصي الفهم.

سوف أرمي عليه عصا ـ القذْف(؟)
سوف أجعل غاباته الكثيفة تلتهب.
45 سوف أعمل البلطة في أشجاره المتحدّية
سآمر جيبيل[١]، النار المطهِّرة
أن تنزل في حقوله المرويّة
سوف ألقي عليه، الرعب (نفسه)
(الذي ألقى في الماضي) على بلد آراتّا[٢] البعيد!
وكمدينة استَنْزَلَ عليها آن[٣] اللعنة،
لن تقوم له بعد ذلك قائمة قط!
وكمدينةٍ رمى إنليل[٤] عليها السبات
لن تستفيق قطّ.
50 نعم! سوف يرتجف هذا البلد، لدى اقترابي منه:
على إيبيخ أن يعترف بعظمتي وأن يحتفل بي،
بما يناسب قدري!»

استعداد إنانا للمعركة واستئذان الإلّه آن

إنانا، بنت سين،
ارتدت عند ذلك عباءتها الملكية،
وبرشاقة لفّتها حولها،
زينت جبينها بالبريق الرهيب، الخارق للطبيعة،
55 رتّبت على صدرها المقدّس، ورُيْدات(؟) العقيق
وشهرت بيمينها وبعنفوان الهراوة السباعية الرؤوس.

---

(١) (Gibil) إلّه النار.
(٢) (Aratta) تذكير بإخضاع بلاد أراتّا الواقعة خلف جبال البختياري من قبل مملكة أوروك. وردت أيضاً علاقة أراتّا بإنانا في النص رقم (٢٦) من الكتاب الأول.
(٣) (An) إلّه السماء.
(٤) (Enlil) إلّه الهواء وسيد مجمع الآلهة.

وانتعلت الصّندل البرّاق،
ثم خرجت بجرأة إبّان الغسق،
واتبعت الطريق المؤدي إلى البوابة المدهشة!

60 حيث قدّمت قرابينها
ووجهت تحيّاتها إلى آن
فرح آن برؤية إنانا،
وتقدّم ثم جلس على عرشه
متخذاً بنفسه مكان الشرف!
«آن! أبي (قالت إنانا)، أنا أحييك! فاستمع إليّ!

65 جعلتَ آلهة السماء كلّها ترهبني:
كلمتي، أصبحت بفضلك لا مردّ لها في الكون أجمع!
منحتني الأنبارّا[(١)]، السلاحَ الكاسح
والأَنتيبال[(٢)] والمانسيوم[(٣)]،
والكيجالسيك[(٤)]، العرش ذا القاعدة المتينة!

70 مكّنتني أن أقبض بيدي على الآ ـ أنسوتو[(٥)]
وأن أوتّر قوساً كالـ[. . .]
وأن أوقف في أرضها العربات السداسية الجرّ
وأن أطلق العربات ذوات الأحصنة الأربعة(؟)
وأن أرافق الهجمات والمعارك العسكرية،
وأن أَظْهَر إلى قوادهم في غيوم من الغبار

75 (مكّنتني) أن أرمي السهام بيدي
أن أهجم لاحتلال الحقول والبساتين والأجمات،

---

(١) (Anbarra)، (٢) (Antibal)، (٣) (Mansium): أنواع مختلفة من الأسلحة.
(٤) (Kigalsike) عرش.
(٥) (A-ansutu) سلاح آخر (؟).

أن أجرّ المِسْلَفَة،
التي تمهِّد بنيان البلاد الثائرة (وتمحوه)،
أن أزلج المصاريع والأبواب أمام المعتدين!
كل ذلك، أي آن، يا مليكي منحتني إيّاه:
علّمتني ما هو فعّال،
ووضعتني على يمين قائد الجيوش[١]
الذي سوف يدمّر هذا البلد!
80 فليحطِّم سكّانه كما تحطّم الجماجم
وليرمهم إلى أسفل جبالهم!
وليسحق رؤوسهم جميعاً
كما يُسحق رأس الحية في وكرها!
وليجعلهم يتيهون هنا وهناك
كثعبانٍ هبط من هضبته!
وليضع يده على هذا البلد،
بعد أن يكون قد تفحّصه وعاين أبعاده!
ليذهب (إذن) لقيادة حرب آن المقدّسة
التي نعرف جميعنا عوائقها(؟)!
بذلك يا آن أسحبُ بعيداً مجدك
كما يُسْحَبُ الحبْل(؟)
أنا، إنانّا، أكثر الآلهة احتراماً
الأكثر اندفاعاً بين الآنونّا![٢]

---

(١) المقصود هو سرجون الملك.
(٢) (Anunna) مجموع آلهة السماء.

لأنني عندما اقتربت من هذا البلد
لم يظهر لي أيّ احترام
أنا إنانا، عندما اقتربت من هذا البلد،
لم يُظهر لي أيّ احترام،
90 عندما اقتربت من الإيبيخ،
لم يظهر لي أيّ احترام،
لذلك ولأنه لم يظهر لي أي احترام،
وبما أنه لم يقبل قطّ الأرض تحت قدميّ،
ولم يكنس بلحيته التراب تحت قدميّ،
سوف أرفع يدي على هذا البلد المستفزّ
وسأعلّمه كيف يهابني!
95 مقابل «جوانبه الكبيرة» سوف أقيم «ثيراناً كبيرة»
ومقابل «جوانبه الصغيرة» سوف أقيم «ثيراناً صغيرة»!
سوف أدوسه بقدمي(؟)
لكي تغمره «الرقصة المقدسة» (رقصة) إنانا!
سوف أحمل إليه الحرب وأثير المعارك.
سوف أطلق (؟) السهام من جعبتي،
100 وسأجعل رشّات متواصلة من الحجارة
تتعاقب من مقلاعي.
سوف أدفع بسيفي ضدّه،
وسوف أرمي عليه عصا ـ القذف(؟)
سوف أجعل غاباته الكثيفة تلتهب،
سوف أُعمل البلطة في أشجاره المتحدّية.
105 سآمر جيبيل، النار المطهِّرة،

أن تنزل في حقوله المرويّة.
سوف ألقي عليه الرعب (نفسه)،
(الذي ألقي في الماضي) على بلد آراتّا البعيد!
وكمدينةٍ استَنْزَلَ عليها آن اللعنة
لن تقوم له قائمة قط بعد ذلك.
وكمدينةٍ رمى عليها إنليل السبات(؟)
لن تستفيق قطّ!
نعم سوف يرتجف هذا البلد لدى اقترابي:
110 على إيبيخ أن يعترف بعظمتي وأن يحتفل بي
بما يناسب قدري!»

آن يحاول إقناع إنانا بالتخلي عن مشروعها

لكنّ آن، ملك الآلهة أجابها:
«إبنتي تريد إذن هدم هذا البلد،
ولكن لماذا؟
إنّين تريد دكّ هذا البلد:
ولكن لماذا؟
إنانّا تريد هدم هذا البلد
ولكن لماذا؟
115 تريد القضاء على الإيبيخ: ولكن لماذا؟
نشر هيبته وإرهابه
حتى مقر الآلهة!
نشر الرعب
حتى مسكن الأنونّا!
نشر هيبته وإرهابه
على كامل الأرض!

هذا البلد نشر بريقه ـ الخارق للطبيعة

حتى فوق الجبل![1]

120 تشمخ ارتفاعاته متحديةً السماء!

وتملأ الثمار بساتينه المزدهرة:

حيث تمتد الغزارة!

أشجاره الباسقة تملأ أعماق السماء:

كم هو جميل منظرها!

وتحت أغصانها المتعانقة

يشهد الإيبيخ حركة أزواج الأسود.

ترك الدببة والأيائل تتكاثر بسخاء

125 جعل الثيران الوحشية تتنقل هنا وهناك

بين الأعشاب الكثيفة،

وتتسافد أزواج اليحمور بين أشجار «أرزه» الجبلية!

(كما أن) خشيته ورهبته لن يتركاكِ تلجين

البريق المخيف الخارق ـ للطبيعة لهذا البلد ـ

لا أحد يستطيع مجابهته أيتها المرأة الفتية إنانا»!

130 ولكن عندما تكلم هكذا،

(عمدت) الغانية، منفعلة وساخطة،

إلى سحب مزلاج مستودع الأسلحة

ودفعت بوابتها البرّاقة!

سحبت منها المعركة الشامخة

وأنزلت إلى الأرض [الإعصار] الضخم!

135 أعدّت (؟) السيدة سهامها المهيبة

وقبضت على جعبتها!

---

(١) المقصود بالجبل: جبال زغروس.

ثمّ أطلقت على الإيبيخ طوفاناً،
وأفلتت الريح ـ العنيفة التي لا تقاوم!
وانقضّت السيّدة عند ذلك لاحتلال البلد.
140 متقدّمةً نحو البلد خطوةً خطوة،
ضاربةً بحسامها ضربة ضربة،
وعصبت رقبة الإيبيخ كرزمة من القصب
وغرست أنيابها القاطعة في بطنه
مطلقةً صراخاً مخيفاً كأنه الرعد!
145 حتى أنّ الصخور، مادة الإيبيخ الأساسية
انهارت على طول جوانبه:
وعلى منحدراته المتصدّعة هكذا،
نفثت الأفاعي العملاقة سمومها!
ولعنت (إنانا) غاباته ورمت الحزْم على أشجاره
وجعلت الجفاف يقضي على حراجه من الألآنوم[1]
150 وأشعلت فيها نيراناً تصاعد دخانها عالياً جداً!
وهكذا وطّدت على البلد سلطتها:
جعل هذا العمل الباهر إنانا تشعر بالفرح!
فتسلقت عند ذلك الإيبيخ وقالت له:
«أيها الجبل، لقد رفعتَ نفسك وترفّعت
155 وجعلتَ نفسك بهياً وجذّاباً
ثم تعاليتَ متساوياً مع السماء
وجلست على العرش!
رفضت أن تقبل الأرض تحت قدمي،
وأن تكنس بلحيتك التراب أمامي!

(١) (Allanum): شجر حراجي.

160 لهذا السبب أنا هدمتك ورميتك على الأرض:

وكفيلٍ أمسكتُ بك (قابضة) على نابيك

وكثورٍ وحشي ضخم ألصقت ظهرك العريض بالأرض

وكثور، وبكامل ارتفاعك

رميت بك إلى الأرض!

شننتُ عليك هجوماً لا رحمة فيه،

ملأتُ بالدموع عينيك، :

165 أدخلتُ النواحَ إلى قلبك!

وطيورُ الشؤم بَنَتْ منذ الآن أعشاشها فوقك»!

إنانا تمجّد نفسها من جديد وتشيد بنتائج انتصارها

ومن جديد، فخورةً بالخوف وبالرهبة والرعب

الذي توحي بها،

إنانّا مّجدت نفسها:

«أبي إنليل (قالت) نشرَ في كل مكان

الخوفَ مِنّي!

وضع في يدي اليمنى الهراوة - سلاحاً

170 بينما قبضتُ بيدي اليسرى على الختم(؟)!

وكمِسلَفَةِ هدم هائلة

هشّمتُ بلطتي هذا البلد!

لذلك أقمت معبداً،

حيث دشنت أشياء عظيمة:

أقمت فيه لنفسي عرشاً لا يتزعزع!

سلّمت للمسترجلات الخناجر والسيوف

175 (وسلّمت) الطبلات والطبول للمخنّثين

فبدّلت فيه شخصيات المتنكِّرين![1]
هكذا بعد أن تقدّمتُ منتصرةً ضدّ هذا البلد،
وبعد أن جعلتُ فيضي فيه يتدفق كالسيل الجارف،
وغَمَرْتُ فيه كل شيء كالفيضان،
180 وطّدت فيه انتصاري -
وطّدت انتصاري على الإيبيخ!

ختام الشاعرة

لأنكِ أَبْدتِ الإيبيخ، يا ابنة سين العظيمة،
أيتها المرأة الفتية إنانا، المجد لكِ،
المجد لك أنتِ أيضاً يا نيسابا[٣].

(١) تبديل الأدوار الجنسية بالتنكر.
(٢) (Nisaba) إلّهة الكتابة السومرية وهنا دلالة بأن الشاعرة كانت تتقن فن الكتابة.

(٨٩) ـ عشتار تجابه ندّاً لها:
النزاع بين عشتار وصلتو

١ ـ عندما أراد شارور ـ السلاح السحري إبعاد سيده البطل نينورتا عن الحرب أي اللقاء مع العدو الرهيب الأساكّو، قال له، كما ورد ذلك في النص رقم (٧٩) من هذا الكتاب (في السطرين ١٣٦ و١٣٧):

«توقف عن مقارعة السيف، لا تشترك في «عيد ـ الرجال»، في رقصة إنانا»

وهذا يعني أن الحرب «عيد ـ الرجال» هي في الوقت نفسه رقصة إنانا. وفي النص السابق رقم (٨٨)، تعلن إنانا في حربها ضد الجبل:

«سوف أدوسه بقدميّ لكي تغمره «الرقصة المقدسة»، رقصة إنانا! سوف أحمل إليه الحرب وأثير المعارك...

(السطران ٩٧ و٩٨)

الحرب، هنا أيضاً، هي «الرقصة المقدسة»، رقصة إنانا. والنص الذي نحن بصدده، يقدم لنا قصّة تأسيس رقصة إنانا هذه وهو عبارة عن «ميتوس أصول» يتعلق بهذه الرقصة الدورانية ويتعرض للأسباب التي أدّت إلى إقامة طقوسها. ويفهم من النص أن حيوية عشتار وعنفوانها وميلها المتواصل إلى إشباع غريزتها الحربية وتفريغ احتقان عدوانيتها،... كل ذلك لم يعد مناسباً لزمن السلم، بعد أن أخضع نينورتا المنطقة الجبلية وكامل «شعب الحجارة» وبعد أن أخضعت إنانا /عشتار بنفسها جبل الإيبيخ كما أشير إلى ذلك أعلاه، وبشكل خاص بعد أن تمكّن حمورابي من إقامة مملكة مستقرة وعمد إلى التشريع الذي ارتبط به اسمه لنشر العدالة في البلاد.

٢ ـ كان ذلك خلال فترة حكم حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) ق.م. حين قضت الضرورة بتأليف ونشر نص من شأنه التوصل إلى تهدئة عنفوان عشتار وتبديده في احتفال سنوي يقوم خلاله رجال مخنثون أو متنكرون بلباس نساء، ونساء مسترجلات مرتديات زيّ الرجال وحاملات أسلحة عشتار، يقومون جميعهم بتنفيذ رقصة عشتار المقدّسة، رقصة الحرب، وكأنها حلّت محل هذه الأخيرة، مبدّدة بواسطة الرقص، العدوانية الكامنة في النفوس.

٣ ـ ولم يتم التوصل إلى هذه النتيجة ببساطة تجاه عشتار التي كانت تنشر حولها الرعب والرهبة وكان لا بد من حيلة لجعل عشتار تحكم بنفسها على شراستها وعنف تصرّفاتها. حين تجد نفسها فجأةً أمام مخلوقة شبيهةٍ بها، على استعداد لمجابهتها. وهذه المخلوقة هي «صلتو»[1] التي ابتدعت خصيصاً «كمرآة» لترى فيها عشتار نفسها. ومن غير إيا/أنكي إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع، من غيره قادر على مثل هذا العمل!

٤ ـ نص النزاع بين عشتار وصَلْتو كما أسلفنا يعود إلى فترة حكم حمورابي وقد وصلنا على لوحتين متكاملتين دون أن تعودا لنسخة واحدة، كما يعتقد وهما مجهولتا المصدر. الأولى محفوظة في متحف برلين، نشر محتواها للمرة الأولى في عام ١٩١٣. أمّا الثانية فيقال إنها فُقِدَتْ بعد نشرها الذي تمّ في عام ١٩١٨.

وتحمل كل من هاتين اللوحتين ثمانية أعمدة، أربعة منها على وجه كل لوحة وأربعة على الظهر. ومن المهمّ التوضيح بأن النص يتضمن إشارات إلى توزيعه إلى عشرة أناشيد («شيرو» بالأكادية ومعناها نشيد، ومنها كلمة «شعر» العربية). ويتبع كل نشيد، بيت شعر أو أكثر مما يعرف بالأكادية بـ«مِخرو» وهو نوع من الجواب أو اللازمة التي تشكل صدىً لما قيل قبلها. وهذه الإشارات التي هي شعرية أو موسيقية أو مسرحية تمّ المحافظة عليها في عرض النص.

٥ ـ تتألف القصيدة الإجمالية من حوالى ٨٠٠ بيت، لم يصلنا منها مع الأسف إلاّ ما يعادل النصف. ويمكن تتبع تسلسل حوادثها من خلال النص المتوافر. وكما أشرنا إلى ذلك أعلاه، فإن عشتار كانت تزعج الجميع بطبعها الحاد، وميلها إلى النزاع والشجار والفتنة وهي تثير الرعب حولها إلى أن أتت إلى الوجود «صلْتو» التي تماثل عشتار حدّة

---

(١) التعبير الأكادي صَلْتو، نجده باللغة العربية في الإصليت: الرجل الشجاع، والصلتان أي الماضي في أمره وشأنه، وفي صلت بمعنى حسام.

وشجاعةً والتي كان يحمّسها إيا لمجابهة عشتار... وتنتهي القصيدة بسحب صلتو من قبل إيا بناء على طلب عشتار وترتاح بذلك روح اللبوة عشتار. ولا بد من الإشارة إلى أن النشيد العاشر والأخير من هذه القصيدة يطلق على عشتار اسم «آچوشايا»[١] وفي هذه التسمية يتأكد تأسيس «الرقصة الدّورانية» والاحتفال السنوي بهذه المناسبة.

اللوحة الأولى

النشيد الأول

العمود الأول

مديح الإلّهة عشتار

1 أَحتفلُ بالفائقة السموّ
الأشجع بين الآلهة
ببنت نينچال[١]،
أشيدُ بالقدرة ـ
5 نعم بعشتار الفائقة السمو
الأشجع بين الآلهة
بنت نينچال
أكرر إشادتي بالقدرة.
شهيرة مآثرها،
10 وخططها لا تكتنه:
هي في عراكٍ دائم

(١) (Agushaya) صيغة «چوشايا» لها علاقة بالمعارك وبالأصوات التي يطلقها المحارب أثناء المعركة. كما أن فعل «چاشو» يعني اللف الدوراني، وآچوشايا أصبح إسماً لعشتار صاحبة الرقصة الدورانية التي تظهر رجولتها أمام الآلهة والملوك، كما سيرد ذلك في النشيد الأول (عمود ٢).
(١) (Ningal) بمعنى السيدة العظيمة وهي قرينة الإلّه القمر نانا/ سين.

وذات نشاط مذهل!

(نقص حوالى ٤٠ سطراً، تشتمل حسبما يعتقد على الاستمرار في مديح عشتار).

العمود الثاني

1 (أمام ؟) الآلهة والملوك، «تدور راقصةً»
برجولتها الكاملة.
- نهاية النشيد الأول -
أُنشدُ مدائح عشتار
5 الإلّهة الأكثر سمواً
- جواب (النشيد ذاته) -

النشيد الثاني

تمسك بيديها
جميع «السلطات»
توزّعها كما تشاء!
10 عشتار، تمسك بيديها
أعنّة الشعوب
وإلّهاتهم، تعير انتباهاً
لأوامرها!
[سائدة (؟) هي] كلمتها
15 و[نهائي]، قرارها.
لا إلّه في المجمع
[يجرؤ على معارضتها (؟)]

(نقص حوالى ٣٥ سطراً: يُرجح متابعتها للتغنّي بشخصية الإلّهة عشتار).

العمود الثالث

1 الرجال هم [. . .]
كما فيما بعد (؟)
ـ نهاية النشيد الثاني ـ
الشجاعة ترافقها
5 عشتار غريبة الأطوار،
خبيرة بجندلة (العدو)
ـ جواب النشيد ذاته ـ

النشيد الثالث

في التَحارُب عيدها
في اصطدام المقاتلين،
في تحريض القادة (؟)
10 في تهييج الجنود!
عيد عشتار في التحارب،
في اصطدام المقاتلين
في تحريض القادة (؟)
في تهييج الجنود!
15 ولَعُها بالقتال
حماسَتها للتعارك
يكشفان طبيعتها،
[يؤكدان(؟)] ما تعرف عمله!

(يلي ٢٤ سطراً أصابها التشويه ومحتواها غير مفهوم، تليها عشرة أسطر مفقودة تماماً. يحتوي النقص كما يظهر على تتمة التغني بقدرة عشتار. . . ويبدأ بعد ذلك الشكل السردي للقصيدة، حيث يعتقد أن هناك شكوى من قبل الآلهة، حول مغالاة

عشتار في استثمار امتيازاتها، وبسبب حدة طبعها وميلها للقتال وبسبب الخوف الذي تنشره حولها أينما ذهبت).

العمود الرابع

1 «الصولجان والعرش والتاج
مُنِحت لها.
2 وُضع الكون تحت تصرفها
3 حُبيت بشجاعة الرجولة
4 بباهر الأعمال والحيوية
6 حتى أنّها كُسِيَتْ
5 البرق والتوهج
7 نعم، أُعْطِيت تجاه البشر،
هذا المظهر المخيف
8 حُمِّلت لمعاناً ـ خارقاً للطبيعة،
9 ورهبة وشجاعة
10 لا تتحدث إلاً بأخبار البسالة
11 ولا تفكّر في غير التحارب.
12 «حتى أنكِ أمام إيا ـ الأمير (؟) (كما قيل لها)،
13 أنت تحتفظين بمظهرك المرعب»
«إنها تنشر الخوف أكثر من ثور،
15 عندما تطلق صَخبها!
لا يمكن القبض على زمامها
فهي تتحرّر: إنها فائقة القوة!»

تدخل الإلّه إيا وانشغاله

لهذا السبب، إيا ـ الحكيم

انشغل باله:

20 لم يكن مسروراً منها،

تجاهها أعلن غضبه

ـ نهاية النشيد الثالث ـ

«استمعوا، (قال إيا) [. . .]

طالما بقيت عشتار فاعلة [. . . .]

25 الذين هم أكثر سمّواً [. . .]!»

ـ جواب النشيد ذاته ـ

(النشيد الرابع مفقود)

النشيد الخامس

(هناك نقص ٢٥ سطراً في نهاية العمود الرابع، ويحتمل أن تشتمل الأسطر الناقصة، على عرض إيا لمشروعه القاضي بإنقاذ الموقف وتهدئة عشتار. وعندما يستأنف النص نشهد إيا يعرض وصفاً لشبيهة عشتار «صلتو» التي قرر خلقها لمجابهتها).

العمود الخامس

2 «سوف تكون [. . .]

وكبيرة الثقة بنفسها [. . .(؟)]

سوف تملك ما يكفي من البأس

5 لكي تجابه تلك المثيرة دوماً للقلاقل!

[سوف تكون] رَهيبة

وشعرها [مخيـ] ـف؟

أكثر حركة من [. . .(؟)]

قوية في هيكلها

10 سوف تتآمر وتهيمن،

سوف تزعق بدون كلل

ولن تتوقف ليلاً أو نهاراً
عن إطلاق صياحها الغاضب!»

موافقة الآلهة على المشروع وتكليف إيا بتنفيذه

في اجتماعهم، وبعد ثرثرتهم الرتيبة
15 حول هذا المشروع الذي يتعدّى طاقتهم
قام الآلهة بردّه
إلى إيا ـ الأمير (؟) (قائلين):
مهمّةٌ كهذه!
إليك أنت يعود تنفيذها.
20 من إذن باستثنائك أنت
بإمكانه تحقيقها؟

إيا يخلق الإلّهة صلتو

إجابة لهذا الطلب
عمد إيا ـ الحكيم
سبع مرات، إلى نزع
25 التراب (من تحت) أظافره،
عجنه ثم شواه،
هكذا إيا ـ الأمير
صنع السيدة «صلتو»[١]
ـ نهاية النشيد الرابع ـ
30 قرر إيا

---

(١) عبر العلماء الأجانب عن تسمية «صلتو» بتعبير معناه «نزاع» وقد حافظنا هنا على التسمية الأكادية بسبب دلالتها على صفة الشجاعة في اللغة العربية.

دون أن ينتظر
صنع السيدة «صلتو»
لتجابه عشتار
ـ جواب النشيد ذاته ـ

النشيد الخامس

وصف صَلْتو:

35 متين هيكلها،
خارقة للطبيعة ضخامتها
كانت داهية ومقتدرة
بشكل لا يضاهيه أحد ـ
كان هيكل «صلتو» قوياً
40 وضخامتها خارقة للطبيعة:
كانت كثيرة الدهاء والقدرة
بشكل لا يضاهيه أحد!
جسدها كان يعني التحارب
وشعرها خَلْقَ الشجار

العمود السادس

حوالى عشرة أسطر مفقودة

2 ذات قدرة [. . .]
قامتها تفوق [. . . .]
عضلاتها رهيبة
5 حيويتها مضاعفة!
عوضاً عن اللباس

تكتسي «صلتو» الحروب:
هديرها كالفيضان
مدهش مشهدها
10 مخيفة كانت حين وقفت وسط الأبسو[1]
صعبة المراس!
وما كان يخرج من فمها
كان له دوماً تأثيره!
عند ذلك، إيا ـ الإلَه، فتح فمه
15 وإلى «صلتو» هذه بالذات،
التي صنعها، أمرها (قائلاً):
«يا هذه! أصْغي إليّ!
أطيعي أوامري
أذعني إلى إيعازي
20 نفّذي ما سآمرك به!
هناك إلَهةٌ فريدة وشجاعة
أكثر من أية إلَهة أخرى
مآثرها رفيعة
وخططها غريبة لا تكتنه!
25 [اسمها] إنّينا
الخبيرة في السلاح!
إنها سيدة السيّدات
بنت نينچال البارعة
إذن! ومن أجل إذلالها هي،
30 أنا [خلقـ]ـتك أنت!

---

(١) (Apsou) مقر إيا في إريدو وهو محيط المياه العذبة التي يطفو عليها قرص الأرض.

بالشجاعة والعزم
وبحكمتي
أغنيت هيبتكِ
اذهبي الآن،
35 اذهبي إلى حيث هي،
مزودةً بسلاح الرعب
انتهريها إذن!
سوف تتهجّم عليكِ
وتتوجّه إليكِ
40 صارخةً: «أيتها الفَتاة!
اكشفي عن نواياكِ!»
لكن، أنتِ إلى غضبها،
لا تنقادي:
45 لا تجيبيها بأية كلمةٍ من شأنها
44 تهدئة قلبها!
ما الذي يمكنها انتزاعه منكِ
أنت من صنعتها بيديّ؟
وجّهي إليها بتحدٍ وغطرسة
كل ما عليك قوله لها!»

العمود السابع

(ستة أسطر ممحوة على الأصل المعتمد من قبل الناسخ الذي يعبّر عن أسفه).

ـ نهاية النشيد الخامس ـ
3 انتصبت «صلتو» بكبرياء
لأن إيا في الأبسو
5 منحها القدرة:
ـ جواب النشيد ذاته ـ.

النشيد السادس

أوفَد إذن «صلتو» ذات الهيكل العملاق،
شجَّعها على الشتم
والازدراء والإهانة
10 لكن إيا ـ الحكيم، الكبير الحذر
أضاف عند ذلك بعض الكلمات
الموجهة إلى قلب «صلتو»
كشف لها عما يميّز عشتار ـ الملكة (قائلاً):
«سوف تكون فعلاً كما هي
15 أكثر الإلّهات قوةً!»
أطلعها على مآثرها
وأشاد أمامها بمجدها
لكي لا تتراجع قط فيما بعد
«ما يميّزها بشكلٍ خاص (قال لها):
(إنها) الإلّهة ذات المناصب الرفيعة
20 السيدة التي لا يجرؤ أحد
على الوقوف في دربها!
والتي تحتد غضباً [. . .]
عندما يرى [. . .]
بسخ[ـط . . .]
(أحد عشر سطراً مشوهاً).
36 مهما قلتِ
[أوامرها] هي النافذة.
ولئن كنتِ الأكثر كبرياء،
فهي فريدة في نظرها لنفسها

(سطران ممحوّان)

سوف تعاملك بغطرسة!

ومع ذلك، لا تفارقي سيدة الشعوب.

(إيا يتابع تحذير «صلتو» محاولاً إثارة غيرتها في الوقت نفسه).

العمود الثامن

(الأسطر العشرة أو الإثنا عشرة الأولى إما مفقودة أو غير مقروءة).

11 إنّها أكثر سموّاً [....]

[.....]

[.....] هي ذات سيادة

الماكرة [.....]

15 إنها تراقب [.....]

[.....] بشجاعة

مؤذية هي [....] ها

إنها تسيطر على [.....]

يحيط بها الإعصار،

20 [إنها.....] الحرب

21 داخلها يفور غضباً

22 وكبحرٍ هائج

حين يجتاحك،

23 [دون جدوى] سوف تكون اتهاماتكِ!

24 ليس بالإمكان، سَبْرُ نوايا

25 [سيدة] الشعوب اليقظة!»

أثر حديث إيا على «صلتو»

26 دَخَلتْ «صلتو» في سورة غضب

وبدّل الذعر وجهها

جمّعت قواها أكثر فأكثر

حين تنبّهت إلى الخطر

(سطران مشوهان)

32 بدون أن تعلم [. . . .]

ـ نهاية النشيد السادس ـ

اللوحة الثانية

(نقص حوالى ٢٠ سطراً، لا بد أن تحتوي على جواب النشيد السادس وبداية النشيد السابع. والسطر الأخير من الجواب في نهايته).

النشيد السابع

العمود الأول

(يظهر أن عشتار سمعت بوجود «صلتو»، فأرسلت حاجبها نينشوبور[١] لكي يجمع المعلومات عن شخصية «صلتو» قبل مواجهتها).

1 إذهب! [. . . .]

أصدرت أمراً [. . . .]

إستعدّ(؟) [. . . . .]

علينا أن نعلم

5 ما يثبت قوتها!

إفحص لي وضعها

تعرّف على ـ أماكن ـ إقامتها (؟)

إكتشف علاماتها المميّزة

---

(١) (Ninshubur) هو الاسم السومري نفسه الذي كانت تحمله رسولة إنانا ومساعدتها في نص سفينة السماء رقم (٨٥) وتم هنا تذكيره على الرغم من كون المطلع نين (Nin) يعني سيدة.

وأعلمني ماذا تفعل!

11 أي نينشوبور، أنت الأكثر فطنة

10 بين ناقلي الرسائل

أنت المتبصر، القوي والحادّ الذكاء

إمضِ!، اتخذ طريقك، أيها البطل!»

ذَهَبَ إذن واجتاز الأرياف

15 باتجاه الأبسو

إلى أن التقى بها.

راقب عن كثب شخصيتها

تفحّص الإلّهة [....]

وقدّر علوّ هيكلها

20 «إنها تتصرف بدهاء (قال لنفسه)

لا تبالي بما يحيط بها

لا تثق إلاّ بنفسها

مقدامةٌ بشكل مرعب!

وهي تلبس بريقاً ـ خارقاً ـ للطبيعة!

25 ابتعدتُ عنها لأبقى سالماً

لأنها سريعة الغضب، شرسة وفتّاكة

تمتلك كل القدرة على الرجال والنساء

والضجيج الذي تحدثه مخيف!»

هذه هي الإشارات التي حملها (نينشوبور)

العمود الثاني

(نقص حوالى ٢٥ سطراً في بداية العمود. بعد أن نقل نينشوبور إلى سيدته ما عرفه عن «صلتو»، تقرر عشتار مجابهتها كما يتضح ذلك من بقية النص).

[....]

[.....] «صلتو»
[أمام] الإلّهة عشتار
ـ جواب النشيد ذاته ـ

النشيد الثامن

[.....]
11 واندفعت بعنفوانْ
أكثر الآلهة حكمة والأكثر قوةً
أقدمت على إثبات عظيم تفوقها
بعناية وجبروت
15 نعم! عشتار ـ الباسلة
أكثر الآلهة حكمة وأقواهم،
أقدمت على إثبات عظيم تفوّقها
بعناية وجبروت
مستشهدة بأعمالها الباهرة
20 مزبدةً (غضباً) ضد أعدائها
دونما تراجع
هذه التي تفوق جميع الإلّهات
تحولت إلى رجل ـ حرب
وتلفظت بكلامٍ
25 يظهر بشراسة
البراهين على قدرتها الكلّية.

(الأعمدة ٣ و٤ و٥، مفقودة بكاملها، أي ما يعادل ١٢٠ سطراً تشمل نهاية النشيدين الثامن والتاسع وبداية النشيد العاشر. وهذا ما يضرّ كثيراً بتسلسل النص. ولدى استئنافه نلاحظ أن عشتار يطلق عليها اسم «آجوشايا»، وقد تم شرح محتوى هذه التسمية في نهاية تقديم النص).

النشيد العاشر

العمود السادس

(نقص حوالى سبعة أسطر في بداية العمود)

8 آچوشايا [.....]

الماكرة [فتحت فاها]

10 [وقالت] إلى إيا ـ [الإلّه]:

«لماذا خَلَقتَ هذه «الصلتو»

التي تهدر وكأنها الفيضان؟

لماذا (؟) [......]

وأنت تعلم أن ابنة [نينچال(؟)] هي فريدة!

(فقدان ٣٣ سطراً في نهاية العمود، تشمل كما يعتقد متابعة عشتار لانتقاد «صلتو»)

العمود السابع

(عشتار تطلب من إيا إزالة «صلتو» من الوجود وإيا يلبي طلبها).

1 سَمَحْتَ لها بأن تنجز أعمالاً باهرة:

لكن «صَلْتو» أصدرت

ادعاءات ضدّي:

لذلك يجب أن تختفي[1]!»

5 عند ذلك، فتح إيا فمه

وقال لآچوشايا، الأشجع بين الآلهة:

«ما أنتِ تطلبين

أنفّذه لك دونما تردد

بإزالتها(؟) أنتِ تشجعينني

---

(١) حرفياً أن تعود إلى وكرها أو حفرتها!

10 وتبهجين (قلبي)
ولكي تعلم الأجيال الآتية
القصد الذي من أجله
صنعنا وخلقنا
(الإلَهة) «صَلْتو»
15 سوف تكون هناك في كل سنة
مؤسسةً كما ينبغي «رقصة دورانية»
عند «فارسيمو»[1] كل سنة!
أنظري إليهم جميعاً يا آچوشايا!
سوف يلهون في الهواء الطلق:
20 استمعي إلى نداءاتهم:
انظري كيف يذلّون أنفسهم (؟)،
وخذي بعين الاعتبار رغباتهم!
أمّا الملك، الذي عرف من هذا النشيد
البراهين على شجاعتك
25 (تلقّاها) عن طريقنا، وهذا ما يمجّدكِ
فهو حمورابي (الذي) إبّان حكمه
هذا النشيد في مدحك
تم إنجازه
فلتمنح له الحياة إلى الأبد!

العمود الثامن

(الأسطر العشرة الأولى غامضة. ويعتقد من خلالها أن صلاحيات «صلتو» نقلت إلى «آچوشايا» دون إمكان تأكيد ذلك).

---

(١) (Parsimu) السنة: لا يعرف معنى هذا التعبير ولا تاريخ وقوعه بالنسبة للسنة البابلية.

11 نعم! أحتفل بعشتار
ملكة الإلّهات
أتغنّى بآچوشايا وقوتها
لأنها كثيرة البراعة
15 «صَلْتو» التي [. . . .]
خلقها إيا ـ الأمير (؟)
بسبب آچوشايا
مظهراً بذلك للجميع
علامات مقدرته
20 ومُمَجِّداً لعظمته
ـ نهاية النشيد العاشر ـ
لأن إيا، أعاد إليها الأولوية
ارتاحت بداخلها روحها
(ارتاحت) اللبوة عشتار
25 ـ جواب النشيد ذاته ـ
اللوحة الثانية عن آچوشايا.

(٩٠) ـ إنانا/عشتار
تمجّد نفسها

١ ـ بعد أن عرف النص السابق، الذي تم تأليفه في فترة حكم حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) ق.م، معارضة من قبل الإلّه أنكي لسلطة إنانا/عشتار وعنفوانها، ومجابهتها بندٍ لها هي صَلْتو (النص رقم ٨٩)، كأنْ أُريد لها أن تتخلى عن الحروب والمعارك وتكتفي بدورها كإلّهة للجنس والرغبات تقارب بين الرجل والمرأة وتسهر على خصب الأرحام.

٢ ـ ينتقل بنا الزمن بعد ذلك عبر النصوص التي وصلتنا، فنجد أنفسنا من جديد، خلال فترة حكم نبوخذ نصر الأول[١] في بابل، كما هو مرجّح، نجد أنفسنا أمام عشتار تمجد نفسها دون أن تنسى مزاياها القتالية، مذكرةً بإخضاعها للجبل، مفاخرةً بأنها إبنة إنليل البطلة وابنة سين الباسلة، وإنها تحفة الإلّه أنكي.

٣ ـ النص الذي وصلنا يشكل جزءاً من عمل ضخم يمجد إنانا عرف قديماً بمطلعه: «الزوبعة التي لا يُحتوى غضبها». لم يصلنا منه مع الأسف سوى النشيد العشرين، الذي نعرض محتواه فيما يلي:

إنانا تمجّد نفسها

[أولستُ الملكة، سيدة أوروك[٢]]

---

(١) حكم خلال فترة (١١٤٦ ـ ١١٢٣) ق.م.

(٢) (Uruk) المدينة التي ارتبط اسمها بالبطل جلجامش وفيها معبد الإيانا (بيت السماء) المخصص لآنو وهي مدينة إنانا/ عشتار.

الملكة، سيدة زا[بالام]؟[١]
أولست ملكة خورساج كالامّا[٢]
الملكة العظيمة سيدة جميع البلاد
الملكة سيدة بابل؟

أولستُ الملكة آرورو[٣] الجليلة
ونانا[٤] السامية

«سيدة البيت»، سيدة الآلهة؟
أولستُ ابنة مولّيل[٥]
أولستُ صاحبة السيادة، أنا البطلة.
أولستُ الإلّهية، أنا ابنة مولّيل المقدامة؟
أنا ابنة مولّيل الأولى
ابنة إنليل ونينليل!

المياهُ التي أعكّرها، لا يعود إليها الصفاء أبداً
النار التي أُشعِلُ، أبداً لا تنطفىء:
أنا من عُهِدَ إلى يده «بمقر ـ ما هو ـ في الأعلى»
معبد الألوهية الأسمى.

المدينة التي أنْهَبُها، لن ترفع رأسها (أبداً) بعد ذلك،

---

(١) (Zabalam) مدينة سومرية قديمة تقع شمالي أوروك على بعد حوالي ٨٠ كلم.
(٢) (Hursagkalamma) هي مدينة كيش (Kish) القريبة من بابل.
(٣) (Aruru) إلّهة ـ أم وهي أخت إنليل.
(٤) (Nana) إلّهة عرفت في مدينة أومّا (Umma) ونفّر (Nippur) في الفترة السومرية.
(٥) (Mullil) لقب الإلّه إنليل.

وبمجرد إصدار أمري السامي
ينهدم إلى الأبد البلد المعادي.

إنانا/عشتار تذكر بإخضاع الجبل

حرّكتُ الوحل في نبع البلد الجبلي
وفي نبع بلد تيلمون[1] الجبلي
غسلتُ رأسي
وبالأحجار الكريمة إيجيزانجو[2] زَيّنتُ نفسي

أنا صاحبة السيادة، عندما أطلقُ صراخي للمعركة،
عندما في قلب الجبال أصرخ،
فإلّهة الجبل في كل صوبٍ تتعثّر؛
على مسالك الجبل تأتي آلهة الجبل
للمثول أمامي؛
أمامي يرتجف الجالسون على عروشهم
(وللمجيء نحوي)، الجالسون على العروش،
يتبعون أثراً وحيداً.

الذي يقول عني «إنها إلّهة مزيّفة!»
أنا صاحبة السيادة، أُدخل إلى بيته
إلّهة (مزيّفة).

لئن رفعتُ يدي، فإنها تمسّ السماء،

---

(١) (Tilmoun) بلد صديق قد يكون دلمون ذي المياه الغزيرة.
(٢) (Igizangou) نوع من الأحجار الكريمة.

أنا، صاحبة السيادة، ما من يدٍ
يمكن مقارنتها بيدي.
خطوة واحدة من خطواتي الواسعة،
تغطي كامل الأرض.
أنا، صاحبة السيادة، ما من قدمٍ
يمكن مقارنته بقدمي.

من باستطاعته الوقوف أمامي، ومن يستطيع
(الوقوف) خلفي؟
من يستطيع تحاشي النظرة التي ألقي؟
من يستطيع الفرار عندما أبدأ سيري؟

إنانا تحفة أنكي / إيا:

من طرف مولّيل أنا الابنة البطلة
من جهة أبي سين أنا الابنة المقدامة،
أنا صاحبة السيادة، أنا تحفة نوديّمود[١]

أُعلي شأنَ الكاهن كما أُعلي شأن الملك
أنا التي أُلبِسُ الملك زينة رأسه الملكية
وأسلّم للرّاعي عصاه
أنا رباط المقدِّمة ورباط المؤخرة؛
أنا صاحبة السيادة، أنا الشبكة المتسعة
المنشورة فوق سهل الأشباح؛
أنا الشبكة ذات العقد المتقاربة المنصوبة في السهل.

---

(١) (Nudimmud) اللقب السومري للإلّه أنكي / إيا.

عودة إلى الجبل، البلد المعادي

أنا النار المتأججة التي [. . . .]

أنا النار المتأججة التي تلتهم الجبل

أنا التي على البلد المعادي

أمطر شعلتي الساطعة.

أنا التي أكمّ فمَ الفتى مدّعي الشجاعة؛

أنا التي أكبّل (جميع) من مشيتهم متعجرفة؛

أنا لا أفسح الطريق أمام الذي

يستنفر الصدور[١]

أنا، صاحبة السيادة، أنا القصدير[٢]،

قصدير الشبه!

(نقص عدة أسطر تمّ إهمالها)

[. . . . .]

إنانا/ عشتار إلّهة الحب والجنس

[أجعلُ] الرجل يتوجه نحو المرأة

ونحو الرجل [أوجه] المرأة

أجعل الرجل يتزيّن من أجل المرأة

والمرأة من أجل الرجل [اجعلها تتزين]

عدالة إنانا/ عشتار

[أنا التي أمنع الولوج(؟)] إلى البيت المفتوح

---

(١) الترجمة حرفية والمعنى قد يشير إلى سد الطريق أمام من يثور على النظام(؟).
(٢) القصدير في ذلك الوقت كان من المعادن الثمينة لعدم توافره بكثرة.

وإلى البيت المغلق [أمكِّن من اجتياز الباب (؟)]
أجعل المرأة الضعيفة تدخل البيت
وأخرج من البيت المرأة المقتدرة[1]
أنا التي أُحرِّض الزوجة [ضد زوجها]
أنا صاحبة السيادة [أوقع الخلاف]
بين الإبنة وأمها.

نقص سطرين

[.................]
أجزّ شعر من هي مكرّمة (وأحيلها للعبودية)
والتي هي مزدراة، أكون لها أمّاً ناصحة.
ما هو أسود أحوّله إلى أبيض،
وإلى الأسود أحوّل ما هو أبيض.
أنا أقترب من التي تشع سعادةً،
وأتجه (كذلك) نحو التي تلبس ثوب الحداد.

المحراث الذي يمزق حضن الأرض

أنا أمنح فترة راحة لثيران الحراثة،
وإلى الثيران التي ترتاح
أنا، صاحبة السيادة، أعيدها لعملها.
أنا محراث حادّ يمزِّق حضن الأرض الفسيحة
محراث قاطع يتقدّم، أنا صاحبة السيادة،
أنا محراث يبذر تجرّه الثيران!

---

(١) هذا المعنى غير أكيد.

(٩١) ـ عشتار تفاخر
بعطاء إنليل لها

في هذا المقتطف من نشيد تمجيد موجّه لعشتار «سيدة الآلهة»، تفاخر عشتار بنفسها معدّدة ما منحها إياه الإلّه إنليل «سيد الأرض».

[.................]

أبي منحني السماء ومنحني الأرض

أنا في السماء سيدتها

10 أيّ إلّه، أياً كان، هل باستطاعته الازدراء بي؟

موليل[١] منحني السماء، موليل منحني الأرض

أنا في السماء سيدتها

[.....................]

15 منحني (تفوق) المعركة ومنحني التحام القتال.

منحني الإعصار ومنحني العاصفة.

وضع السماء قبعةً على رأسي،

وكصندلٍ وضع الأرض في رجليّ.

ألبسني رداء الآلهة المتألّق،

20 ووضع في يدي الصولجان البرّاق.

(١) (Moullil) لقب الإلّه إنليل.

الآلهة أمامي (تفرّ) كالعصافير المذعورة،
أنا، أنا هي السائدة.
من هنا ومن هناك، يتشتّت الآلهة مرعوبين
أنا، أنا هي البقرة الموقرة.
[.......................]

(٩٢) ـ نشيد ارتقاء عشتار

١ ـ هذا العمل التمجيدي لعشتار الذي عُرف في زمن تأليفه بمطلعه: «السيدة السامية وحدها صاحبة القدرة...»، كان يحتوي، على أقل تعديل خمسة أو ستة أناشيد، لم يصلنا منها سوى النشيد الثالث وقسم كبير من النشيد الرابع وفقاً لنسخ متأخرة نوعاً ما.

وهو ثنائي اللغة، يتألف من نص سومري يليه، سطراً بسطر، الأصل الأكادي. ويُستدل من أسلوب وَصِيَغ اللغة السومرية المستعملة أن تأليف النشيد تمّ خلال فترة كانت فيها اللغة السومرية قد بعدت عن التداول اليومي وأصبحت لغة التقاليد الدينية ومرافقة الطقوس. ويرجح إعادة التأليف إلى الفترة البابلية خلال حكم نبوخذنصر الأول (١١٤٦ ـ ١١٢٣) ق. م.

٢ ـ ويروي نشيد الارتقاء كيف أن الآلهة آنو وأنليل وإيا منحوا عشتار، كل بدوره، صلاحياتهم وجعلوها تحكم إلى جانب كل منهم. ولا يخلو النشيد من تمجيد عشتار والإشادة بمزاياها الحربية والقتالية. ومما يؤسف له هو فقدان نص تدخل الإلّه إيا في تكريمه لعشتار.

اللوحة الثالثة/النشيد الثالث

1 أمام آنو[١] المقدّس، ذي الكلمة التي لا حدّ لها،

---

(١) (Anou) إلّه السماء وهو آن (An) السومري.

وبخشوع جماعي، انحنى الآلهة ـ العظام
أمامه، مثل مناجل (قائلين):
«أنت عادل، عندما تتكلم، أيها الأمير الذي
يصدر الأوامر، أنت تستجيب (للرجاء) إذْ تتكلّم!
أي آنو، أمرك السامي لا مردّ له
من الذي يرفض إطاعته؟
5 أي أبا الآلهة، كلمتك هي أساس السماء والأرض
أيّ إلّه باستطاعته التمرد عليها؟
أنت الإلّه الفطن الذي لا يستشير غير نفسه
ما قيمة رأينا نحن؟
إلى المرأة الفتية عشتار[١] التي امتلكتها
إمنح يدك!
بلّغها في مجمعنا موافقتك التي لا تتبدل
والتي هي سامية كالسماء.
إلى انّين[٢] الإلّهة التي امتلكتَ
إمنحها مجمل مهامّك الإلّهية؛
10 لتكن «آنتو»[٣] القرينة، المضاهية لك.
ولترتقي إلى مستوى اسمك!
وأكثر من ذلك! اجعل أن تملك يدها أيضاً
قرارت أنليل[٤] وإيّا[٥]
وأن تمسك وحدها بمقاليد السموات والأرض،

---

(١) (Ishtar) إلّهة الحب والخصب وهي أيضاً إلّهة المعارك.
(٢) (Innin) اسم تحبب لإنانا (Inanna) السومرية وهي عشتار الأكادية.
(٣) (Antou) لقب الإلّهة قرينة الإلّه آن (An).
(٤) (Enlil) سيد مجمع الآلهة السومري وسيد الهواء.
(٥) (Ea) هو(Enki) أنكي السومري إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع.

ولتكن الأكثر قدرة في مجمعنا!»

من قبل آنو، فإن استجابةً ملؤها الرضى
صدرت (عند ذلك) مبهجة لها؛
فعشتار المقدّسة، وبطيبة قلبه
عاملها وفق ما تستحق من تكريم (معلناً):
15 «قرار سيادتي الفائقة السمو، هو كالسموات
المتناسقة، لا مثيل له.
إنه تحمي المنصوب[١] ذو المجاورة المرهبة
بشكلٍ يحول دون الاقتراب منه.
أنا آنو السيّد الساهر على الآلهة:
تولّي قيادتهم (أي عشتار)!
ليكن لكِ أنتِ مدار مُلكهم[٢]
أنتِ وحدَك كوني سيدتهم
تعالي، إصعدي حتى عرش ملكيتي
واستقري في أعلى (السموات)[٣]!
20 وكتجاوبٍ مع إسمي الخاص
ليكن «آنتو السامية»، إسمك!
وليكن رسولي الأمين، ذو الشفتين الكريمتين،
الذي يعرف (جميع) أسراري،
إللّبرات[٤]، الرسول الملائم لمركزي،
ليكن (هو أيضاً) الرسول الذي يتوسّط من أجلك؛

---

(١) صورة مأخوذة عن نصب تحديد الملكية الأرضية أو حدود الممالك المجاورة.
(٢) المقصودون هنا هم الآلهة الذين ترمز إليهم في السماء السيارات والكواكب.
(٣) أي سماء آنو الذي دعيت للصعود إليه عشتار بصفتها إلّهة كوكب الزهرة.
(٤) (Illabrat) اسم رسول آنو ومستشاره.

وليجعل أن تكون منذرات فألٍ

الكلمات التي (يتلفّظ) بها الآلهة والإلّهات أمامك[١]

25 لدى إقامة الأسس الأبدية للسماء والأرض،

وبصدد الكوكبات الإلّهية،

فإن آنو وإنليل وإيا عمدوا منذ البدء

إلى توزيع الحصص:

من أجل الإلّهين اللذين يسهران على السموات والأرض

ويفتحان بوابة آنو؛

من أجل سين[٢] وشمش[٣] (خلال) الليل والنهار

حُدِّدت لهما حصتان متعادلتان

من قاعدة السموات إلى سمتها

عُيِّنت لهما مهمات يومية.

ومثل سهام تتبارى

جميع نجوم السماء:

30 فإن الآلهة التي تسير أمامها وكأنها ثيران جرّ

تجعلها تتبّع الطريق الصحيح.

إلى هذه المكانة، أي عشتار ارتقي[٤]

(ارتقي) إلى الملكية عليهم جميعاً

أي إنّين، كوني أنت، الأكثر لمعاناً بينهم

وليطلقوا عليك تسمية «عشتار ـ الكواكب»!

وبسموٍ وإلى جوارهم

---

(١) هذا النوع من التنبؤات التي استمرت حتى الفترة الكلاسيكية اليونانية كانت تقضي بالاستماع إلى ما يقال في مكان ما بشكل عفوي واستنتاج منذرات الفأل بالاعتماد على ذلك.

(٢) (Sin) الإلّه القمر الأكادي وهو Nanna السومري.

(٣) شمش (Shamash) الإلّه الشمس الأكادي يقابله أوتو (Utu) السومري.

(٤) بصفتها هنا، حيث يرمز إليها كوكب الزهرة.

فليتبدَّل مكانك إلى المكان الأعلى.

35 وحتى خلال فَتْرتي حراسة سين وشمش

فليكن مشعّاً سناؤك؛

وليكن تألق شعلتك المتوهج

مضيئاً في وسط السماء!

وبما أن لا أحد بين الآلهة يضاهيكِ

فلتستحوذي على إعجاب الشعوب!»

بعد أن قرر الإلّه (آنو) لبنت سين

40 مصيراً رائعاً،

ولم يرفض لها الولوج

إلى معبد الإيانا[١] حرمه الطاهر،

بعد أن قرّر آنو الملك، للإلّهة إنّين

هذا المصير الرائع،

وبمثابة هديّة، بعد أن قدّم لها

معبد الإيانا، حرمه الطاهر،

45 أضفى على شخصها، لباس الألوهية الأسمى

وكذلك تألّق سين المضيء

وجعلها مشرقةً كالنهار

بزينتها الرائعة وحلاها الإلّهية

وبطيبة خاطر، أسلم ليدها صولجان الملكية

الخشب الرهيب والسلاح الذي لا يرحم.

كما ثبّت على رأسها التاج البديع

الذي يماثل عَمْرَةَ رأس نانّار[٢]:

---

(١) (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو معبد الإلّه آنو في مدينة أوروك وأصبح هنا معبداً لعشتار.

(٢) نانار (Nannar) الإلّه القمر السومري وفي هذا السطر إشارة للنور المحيط بالهلال.

50 «أيتها الإلّهية (قال لها)، سلطتي الرفيعة
ومهامِّي التي لا يحق لأحد طلبها،
كل ما يختص بي، أمنحك إياه!
وكما (فعلت) أنا، فليعمد إنليل، سيد البلاد
(هو أيضاً) إلى معاملتكِ بإجلال كما تستحقين!»

اللوحة الرابعة/النشيد الرابع

يتألف هذا النشيد من جزئين ولم تصلنا سوى بداية الجزء الأول وهي تشير إلى تكريم «ملك البلاد»، الإلّه إنليل لعشتار. وقد حافظ النص الأكادي هنا على لقبه السومري الوارد في النسخة السومرية وهو أيضاً «سيد البهاء»

أمام (كل) ذلك ابتهج الإلّه نونامنير[١]
وتهلّل قلبه
وإلى ابنة سين، ابنه الحبيب
قرر (هذا) المصير:
«أيتها الملكة عشتار، بما أنك مُنِحْتِ السموات
[فلتكن لك أيضاً] الأرض.
[أيتها السيدة فلتكن لك] الأرض الفسيحة
التي تخلق كل الأشياء!
[أي عشتار،] الأرض الفسيحة المسكونة، مثل (ما تقتربين)
من أفعى، اقتربي منها وضعي فوقها رجلك!
[وفي كل مكان]، على جميع الجبال، على الأرض والبحار،
[انشري] شبكتك!

(نقص ثلاثة أسطر، وبسبب التشويه فقد تم اقتراح المعنى المرجح في الأسطر التالية):

[ولتقف أمامك جميع الشعوب] متعبّدةً!
[وفي كل مكان تقام فيه الطقوس من أجلي]

---

(١) (Nounamnir) اللقب السومري للإلّه إنليل.

تولّي ملكية مُدُنيَ المقدّسة!
[وفي كل مكان تُنصَبُ فيه تماثيلي،]
أقيمي (أنت أيضاً) [...] على قاعدة إلّهية!
و(لتعجز) [جميع آلهة] السماء والأرض
عن تحمّل غضبك عندما تثورين،
ولكن، مثل [أعواد قصب أختها] العاصفة
فلينحنوا (جميعهم) أمامك!»
[..............]

(في هذا الجزء الثاني من النشيد، فإن الإلّه إنليل يمتدح مزايا عشتار المحاربة قبل أن يدعوها لممارسة السلطات إلى جانبه تحت تسمية «الإلّهة ـ ملكة ـ نفر»).

«السهم الذي مثل إسفين يثقب القلب والرّئة،
(إجعليه) يمر دوماً بجلال.
أي عشتار، إجعلي الهجوم والالتحام جسداً لجسد
يتواليان (كحركة) حبل القفز!
ومثل طبلٍ تطرقه عصاه، إجعلي (الجيوش)،
يا سيدة المعارك تتجابه وتتصادم!
يا إلّهة جولات القتال، قودي المعركة،
وكأنّها مجموعة دمى تحرّكها (يدك)!
أي إنّين، في كل مكان يعرف صليل السلاح والمذبحة
إجعلي البلبلة لعبتك وكأنك ترمين النّرْد[١].

التغني بعشتار المحاربة:

«أي عشتار، عندما مثل إعصار شديد
تحافظين على قساوة التحام المعركة،
عندما، بواسطة الهراوة والبلطة والسيف والحربة،
(تثبتين) تفوق قوتك،
عندما تلبسين درع الغضب،
فينطلق هياج الطوفان!

(١) التعبير المستعمل حرفياً هو «العُظَيْمات» وما نسميه عامياً «برمي الكعب».

عندما تعدّين الترس ونبال الرمي،
فتهبّ منطلقةَ العاصفة!
فليَصْعَق أعداءَك سلاحُك الرهيب حامل الموت
كما (يصعق) إلّه النار!
أي إنّين، عندما تُشهر الأسلحة وتُرفَع الشعارات
فلن ينجو منها أحد، عندما ترفعين ساعدك!

«يا ابنتي، أينما تشائين، (يعود إليك) أمر
إعلاء الشأن أو الإذلال وإقرار التقدم أو التقهقر!
في مكان تقرير المصائر، لن يقف أمامك أي عائق
ولتكن أوامرك مماثلة لأوامري!
خلال الأعياد وتقديم الأضاحي والولائم الطقسية،
والصلوات والركعات والابتهالات،
الرجل الذي قدّم قرباناً (لتهدئة) إلّهه الغاضب،
أو الذي من أجله تتوسط الإلّهة،
لن يَقْبَلَ أيُّ إلّه صلاته، إذا هو لم يسعَ
للأماكن حيث يكسب رضى ألوهيتك.

«في المدينة[١] محط أنظار سومر وأكاد،
حامية (جميع) البلاد
في دُورانكي[٢]، أساس جميع الأماكن المسكونة،
حيث يتحقق ارتباط السماء والأرض،
على عرشي الملكي الذي هو من أجل عبادة الآلهة،
قائم على الأرض مثل ثور وحشي[٣]
في مقام نفّر، مدينة سلطتي الكليّة
التي تصون البلاد،
في حرمي، حيث تسكن الطمأنينة

---

(١) المدينة المقصودة هي نفّر (Nippur) مدينة إنليل.

(٢) (Dur-an-ki) بمعنى رباط الأرض والسماء وهو اسم الإيكور (بيت الجبل) وهو معبد إنليل في نفّر.

(٣) الثور الوحشي، هو أيضاً لقب الإلّه إنليل.

والذي تمتّ تسميته باستعارة اسمي الشخصي
هنا، فلتكن سيادتك متألقة أمام (الجميع)
وليكن اسمك: «الإلّهة ـ ملكة نفر»!

وليصبح ملاك النعمة، الإلّه الوسيط
الواقف أمامي،
الحكيم، رباط الإيكور، حارس المجلس،
الساهر على النظام، وعلى زيت المسح المقدس وزيت المراسم،
ليصبح (هو أيضاً) مُنَقِّذك ضدّ من يستحق عظيم
غضبك، ومن يبلغه صراخك المنتصر.
(وبعد ذلك) فليعمد الحكيم نين ـ سيج[1]، بجوابه
المحبّب إلى الكبد، أن يهدّىء كبدك[2]!
أي إنّين، سلطتي الرفيعة
ومهامّي التي لا يحق لأحد طلبها،
كل ما يختص بي، كمصيرٍ لك، أمنحك إيّاه!
وكما (فعلت) أنا، فليعمد إيا ملك الغمر
(هو أيضاً) إلى معاملتك بإجلال كما تستحقين.

النشيد الخامس المخصص لإعلاء شأن عشتار من قبل الإلّه إيا وإشراكها في مهامّه الإلّهية مفقود ولا ندري، تحت أي اسم يجعلها إيا تدخل معبده في أبسو[3] إريدو[4]. ولا نعرف في الوقت نفسه نصوصاً قديمة تخصص لعشتار هيكلاً في إريدو. ويمكن الافتراض بأن النص الكامل، كان يحتوي على لوحتين سادسة وسابعة تستعيدان كخاتمة، صدى ما هو مفقود في النشيدين الأول والثاني اللذين لم يصلا إلينا.

---

(١) (Nin.Sig) قد يكون الإلّه الثانوي الذي يُستشار لحكمته.
(٢) الكبد هو التعبير الحرفي الأكادي، وهو مقر العواطف، ولا نزال نستعمله عربياً حتى اليوم وفق هذا المعنى بالتوازي مع القلب.
(٣) (Apsu) هو محيط المياه العذبة حيث يستقر قرص الأرض وفي الأبسو بنى أنكي/إيا معبده كما ورد أعلاه في النص رقم (٨٢).
(٤) (Eridu) مقر الإلّه إيا.

(٩٣) ـ عشتار إلهة
الإلهـــات

وبصدد ارتقاء عشتار أيضاً، يمكننا استكمال النقص في النص السابق، باستعارة ابتهال موجّه للإلّهة عشتار، ينعتها «بإلّهة الإلّهات»، بحيث نختتم الفقرة (٢ ـ ٣) عن إنانا/عشتار والسلطة حين بلغت أوج ارتقائها وأصبحت أملاً للخلاص، يتمسك به جميع البشر. وفيما يلي مضمون هذا الابتهال:

سيّدة السيّدات، إلّهة الإلّهات،
ملكة جميع المدن، قائدة جميع البشر.
أنت نور العالم، أنت نور السماء [. . .]
فائقة هي قدرتك.
أنت أعلى شأناً بين جميع الآلهة [. . .]
أنت تديرين قوانين الأرض وقوانين السماء،
قوانين المعابد وقوانين المساكن الخاصّة،
والغرف السريَّة.
أيّ مكان لا يحمل اسمك؟
أيَّ مكان يجهل أوامرك؟
أي إلّهة الرجال وإلّهة النساء،
حكمتك تفوق إدراكنا.
حيث أنت تلمعين، يبعث إلى الحياة الأموات
ينهض الكسحاء ويمشون.
ويطمئن قلب المرضى،
حين تنظرين إلى وجوههم.

الفصل الثالث

(٣) ـ الحضارة بين المدرسة والحكمة

١ ـ بناء الحضارة في ما بين النهرين، رواه لنا الفصل الأول من هذا الكتاب. ولكي تعمّ الحضارة وتستقر وتزدهر، كان لا بد من نقلها من مدينة لأخرى. فكانت السلطة «الحضارية»، من خصائص المدينة المتقدّمة. وكان الولاء إلى المدينة المتقدمة من مقومات نقل الحضارة وتعميمها وتنظيم البلاد. وهذا ما قدّمه لنا الفصل الثاني من هذا الكتاب.

٢ ـ ومتابعةً لانتشار الحضارة وترسيخ أسسها، فإنّ المعرفة التي بدأت بأعجوبة فن الكتابة وتعليمه، هي إحدى أعمق مظاهر هذه الحضارة التي أدّت فيما بعد إلى تسْجيل ما تناقلته التقاليد الشعبية من أمثال وحكم، على آلاف اللوحات التي وصلتنا، بفضل انتشار فن الكتابة والسهر على المحافظة على ما تركه عبر القرون حكماء تلك القرون. ومن الدروس التي أرادوا تلقينها، نطّلع على بنية ذلك المجتمع الحضاري الذي لجأ إلى «الحكمة» لتعليم قواعد التعامل الاجتماعي والأخلاقي، وهذا ما يحاول الفصل الثالث والأخير من هذا الكتاب تقديمه تحت عنوان: الحضارة بين المدرسة والحكمة مشتملاً على:

(٣ ـ ١) ـ مدارس سومر

(٣ ـ ٢) ـ الحكم والأمثال

(٣ ـ ٣) ـ أحيقار، حكيم بلاط نينوى.

(٣ ـ ١) ـ مدارس سومر

١ ـ كانت الكتابة منذ أن ابتدعت حوالى عام ٣٠٠٠ ق. م، في أساس حضارة ما بين النهرين. وخلال فترات الحكم الإلّهي (التيوقراطي)، كانت مركزيّة المعبد هي التي تؤدي بشكل طبيعي إلى تطوير فنّ الكتابة باللجوء إليها لأسباب اقتصادية ودينيَّة في الوقت نفسه. وإضافة إلى القرابين والتقدمات التي كانت تصل إلى المعابد تأميناً لاحتياجات الآلهة المعيشية وبالتالي تأمين احتياجات الجهاز البشري العامل في المعبد، كانت الجباية تتمّ باسم الإلّه، وكل ذلك، استوجب سجّلات مفصّلة حول ما يرد إلى مستودعات المعابد وما يخرج منها.

٢ ـ وكان الكتبة في المعابد هم الذين يقومون بهذه الأعمال التسجيلية وهم الذين كانوا يدرِّبون على فن الكتابة التلاميذ الذين سوف يخلفونهم في هذه المهمّة.

ومنذ بداية الألف الثالث لما قبل الميلاد كشفت حفريات (١٩٢٩ ـ ١٩٣١) في مدينة أوروك[١] لوحات عديدة ومن بينها لوائح كلمات معدّة لكي يتمّ حفظها. ومنذ منتصف الألف الثالث فيما بعد، عرفت بلاد ما بين النهرين، عدة مراكز شملت بين مكتشفاتها نصوصاً تعليمية، ويمكن القول بأن تعليم فنّ الكتابة ازدهر في تلك الفترة وكانت البلاد تشمل عدداً لا يستهان به (عدة آلاف) من الكتبة الرئيسيين والكتبة المساعدين الذين كانوا يقومون بخدمة المعابد أو بخدمة الملك.

٣ ـ بدأت المدرسة السومرية بتدريب الكتبة لخدمة المعبد والقصر وتطوّر الأمر بعد

---

(١) (Uruk) مدينة جلجامش.

ذلك إلى أن أصبحت مدارس تعليم فن الكتابة مراكز الثقافة والمعرفة في البلاد والتي عاش بين جدرانها مثقفون يتقنون سائر معارف عصرهم الدينية منها والدنيويَّة. وحين لم يكن هؤلاء المثقفون في خدمة المعبد أو القصر أو أعيان البلاد فقد كانوا يكسبون معيشتهم عن طريق التعليم، ولم تكن مراكز تعليمهم تابعة للمعبد أو للقصر كما كشفت عن ذلك حفريات مدينة أور[١].

٤ ـ وقد أمكن التعرف على النظام التعليمي في بلاد ما بين النهرين وعلى الطرق التربوية المتّبعة وكذلك على برامج التعليم من ضمن مكتشفات النصف الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد، إذ عثر على لوحات عديدة تحمل فروض التلاميذ أثناء تعلّمهم فن الكتابة وفي مراحل مختلفة من هذا التعليم، اعتباراً مما يمكن تسميته بالمستوى «الابتدائي» إلى مستوى التخرّج «الثانوي». كما تمّ التعرّف منذ ذلك الوقت أيضاً، على هيكل الجهاز التعليمي.

وعن طريق معالجة محتوى عدة آلاف من اللوحات العائدة لبداية الألف الثاني، تمكن أحد الباحثين من التعرف على أسماء حوالى ٥٠٠ كاتب مع أسماء آبائهم ومهن هؤلاء. وجميع الآباء كانوا من الحكام والوجهاء والأعيان وأصحاب المناصب الذين عَرِفُوا المدرسة بدورهم وأرسلوا إليها أبناءهم وفقاً للتقاليد التي رسّخها الإلّه إنليل، وهي أن يتعلم الأبناء مهنة آبائهم. ويجب ألاّ نستغرب إذا كان التعليم في ذلك الزمن السحيق وقفاً على الأغنياء في المجتمع وكذلك فيما عدا ابنة سرجون الكبير التي تركت لنا نص: عشتار تخضع الجبل (رقم ٨٩)، فإننا لا نعرف امرأة غيرها أتقنت فن الكتابة والتأليف الأدبي، مع أن مدينة ماري[٢] عرفت في فترة لاحقة نساءً كاتبات وأمينات سر.

٥ ـ قلنا إن حفريات مدينة أور كشفت عن منزلين استعملا حتماً كمركزي تعليم.

المنزل الأول يحمل الرقم ٧ مما سمّي الشارع الهادىء[٣]. ويقع المنزل الثاني في رقم ١ من الشارع العريض[٤]. والوثائق التي تم العثور عليها في المنزل الأول غطّت فترة

---

(١) (Ur) سوف نقدم معلومات إضافية عن مدرستين خاصتين عائدتين لتلك الفترة.
(٢) (Mari): تل الحريري في منطقة البوكمال السورية.
(٣) (7,Quiet Street) وهي التسمية التي أطلقها وولي (L/Woolcy) على هذا الشارع.
(٤) (1,Broad Street) مماثل للحاشية السابقة.

حوالى ثمانين سنة إلى أن أدّى حادث حريق بزوال البيت.

أما سكان هذا المنزل فهم (كو ـ نينچال)[1] وأبناؤه الذين تولّوا مهمّة التعليم من بعده. وكان (كو ـ نينچال) ذا مرتبةٍ كهنوتية تختصّ بطقوس التطهير في معبد الإيكيشنوچال[2] في مدينة أور.

وقد احتوى هذا المنزل على عدد كبير من النصوص المدرسية المتعلقة بتعليم اللغة والمواد الأخرى وكذلك على عدد لا يستهان به من النصوص الأدبية. وكثير منها لا يُعرف له أصل آخر، مما دعا إلى التساؤل فيما إذا كان البيت المذكور يضمّ أيضاً مكتبة.

ومن أهم النصوص التعليمية التي عثر عليها في بيت الرقم ٧ يمكننا تعداد ما يلي:

ـ لوائح مفردات وقواعد لغوية لبداية التعليم، وبشكل خاص لوحة كبيرة ذات ١٢ عموداً تحمل لوائح بأسماء الجلود والعصافير والأسماك والأقمشة والنباتات.

ـ لوائح بأسماء الآلهة.

ـ لوائح بالأسماء السومرية لمراتب الكهنة العاملين في معبد الإلّه القمر، في أور، وما يقابل معانيها بالأكادية.

ـ لوائح بصيغ الأفعال.

ـ مجموعة جمل بسيطة وأمثال مقتضبة سهلة الحفظ لتعليم قواعد تركيب الكلام.

وقد عثر أيضاً في المنزل رقم ٧ المشار إليه أعلاه على نصوص ترتبط بتعليم الحساب والمساحة ومنها:

ـ جداول ضرب.

ـ جداول مربعات الأعداد من ١ ـ ٥٩.

ـ جداول الجذور المربعة من ١ ـ ٥٩.

ـ جذور تكعيبيّة من ٦ ـ ٤٨.

ـ لوحات حول أعمال مسح الأرض.

---

(١) (Ku-Ningal) رب العائلة التي مارست التعليم.

(٢) (E.kishnugal) بمعنى بيت النور وهو معبد الإلّه القمر في مدينة أور.

٦ ـ أمثلة عن كتابات تشمل فترات تاريخيّة متعددة

عثر عليها أيضاً في المنزل رقم ٧،

ـ عن الفترة الأكاديّة: ثلاث نسخ عن نص نقش نرم ـ سين[١] ونسخة عن نص لإنخيدوانّا[٢] ابنة سرجون الكبير[٣].

ـ عن مملكة أور الثالثة: نصّ الملك أور ـ نامو[٤] ونصّان للملك إيبّي ـ سين[٥] وذلك على اللوحة نفسها التي تحمل نص ابنة سرجون.

ـ نسخة عن تشريع أور ـ نامو.

ـ وعن فترة إيسين[٦] نصان لإيّدين ـ داجان[٧] ونصان عن فترة حكم مدينة لارسا[٨].

جميع هذه النصوص اعتبرت أعمالاً مدرسية نسخت حوالى ١٧٥٠ ق. م. من قبل التلاميذ الكتبة في مدرسة أور، كما لوحظت على بعضها أخطاء ارتكبها هؤلاء التلاميذ.

٧ ـ نصوص أدبية في المنزل رقم ٧ في أور

إضافةً إلى النصوص التي تركها ملوك أكاد وأور وإيسين ولارسا واستعمال تعبير «مجموعة» للإشارة إليها، فقد عثر في المنزل نفسه على عدد من نسخ الأساطير المعروفة[٩] مثل خلق الفأس وتقويم الفلاح. . .، وعثر كذلك على نصوص سومرية لم تكن معروفة في غير مكان اكتشافها هذا، ومنها أناشيد لتمجيد ريم ـ سين[١٠] ونشيد

(١) (Naram-Sin): (٢٢٥٤ ـ ٢٢١٨) ق.م.
(٢) (Enhiduanna) راجع النص رقم (٨٨) من هذا الكتاب.
(٣) (Sargon) الأكادي (٢٣٤٠ ـ ٢٢٨٤) ق.م.
(٤) (Ur-Nammu): (٢١١١ ـ ٢٠٨٤) ق.م.
(٥) (Ibbi-Sin): (٢٠٢٧ ـ ٢٠٠٣) ق.م.
(٦) (Isin) في موقع بحرية الحالي، تقع على بعد حوالى ١٨٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من بغداد.
(٧) (Iddin-Dagan) حكم في مدينة إيسين (Isin) (١٩٧٤ ـ ١٩٥٤) ق.م.
(٨) (Larsa) تقع إلى الجنوب الشرقي من أوروك على بعد حوالى ٣٠ كلم.
(٩) التي اكتشف معظمها في حفريات مدينة نفّر والتي يعود نسخها إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد.
(١٠) (Rim-Sin) حكم في أور في القرن التاسع عشر وتم تأليهه فيما بعد.

لتمجيد الإلّهة هايا[1] يشمل طلب تدخلها لمصلحة الملك ريم ـ سين. ويعتقد أن أناشيد تمجيد الملك ريم ـ سين المشار إليها أعلاه قد تم تأليفها لمناسبة زيارة الملك لمعبد «بيت ـ النور» أي الإيكيشنُوچال في مدينة أور. . . ولمثل هذه الأسباب، أمكن الاعتقاد بأنَّ المنزل رقم ٧ كان بالإضافة إلى مهمته التعليمية يتحول بحسب المناسبات إلى مركز إنتاجٍ أدبي تلبية لطلبات رسمية معينة.

٨ ـ نصوص المنزل رقم ١ من الشارع العريض

عُثر في هذا المنزل من أور على حوالى ٢٠٠٠ لوحة، بعض مئات منها كانت عبارة عن تمارين مدرسية عادية، كما عثر على عدد من اللوحات لنصوص دينية يعتقد أنها كانت تستعمل للإملاء أو للحفظ وكتبت على نصوص تاريخية وجداول ضرب ونصوص لأعمال حسابية وكذلك سجلات لأعمال تجارية تتعلق بالمعبد وعدّة رسائل باللغة الأكادية ورسائل باللغة السومرية ولائحة بأسماء الآلهة والمدن التي يحمونها. ومن بين نصوص هذا المنزل:

- مجموعة أناشيد موجهة للمعابد.
- نص إنانا والإيبيخ (راجع النص رقم ٨٨).
- نص الحوار بين تلميذين[2].
- نص اللعنة التي حلّت على مدينة أكادي.
- ٣ أناشيد موجّهة إلى الملك شولجي[3].

٩ ـ ما نعرفه عن المدرسة السومرية

اعتماداً على مجموعة المكتشفات المتعلّقة بموضوعات التعليم في مختلف مراحله في سومر فنحن نعلم اليوم:

(١) (Haya) أو (Aya) وهي قرينة إلّه الشمس بابّار (Babbar).
(٢) نوع من المنافسة بين تلميذين يشيد كل منهما بما تعلّمه.
(٣) (Shulgi) حكم في أور حوالى (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦) ق.م.

ـ أن المدرسة كانت تسمى «الإي ـ دوبّا»[١] ومديرها هو الـ «أومّيا»[٢] أو أيضاً أبُ ـ بيت اللوحات[٣] يساعده «الأخ ـ الكبير»[٤] والمراقب والمعاقب[٥].

ـ وكان هناك معلمون اختصاصيون: مثل معلم الحساب[٦] ومعلّم أعمال المساحة[٧] ومعلم اللغة السومرية[٨].

ـ أما التلاميذ ـ الكتبة فهم «أبناء ـ بيت ـ اللوحات».

ـ وأيام الدراسة كانت تشمل ثلاثة أيام عطلة شهرياً وثلاثة أيام بسبب الأعياد.

ـ المراحل الأولى للتعليم، كانت تشمل نَسْخ لوائح إشارات عبّرت عنها النصوص بمجموعات (آ ـ آ) و(مو ـ مو)[٩] يعادل ذلك: ب + ا = با في تعليمنا.

ـ وإلى المرحلة نفسها تعود السلسلة تو ـ تا ـ تي، نو ـ نا ـ ني، بو ـ با ـ بي، إلخ...

ـ يتم الانتقال بعد ذلك إلى التعرف على الإشارات المسمارية وربط كل منها بالألفاظ المختلفة التي تعبّر عنها، وهذا ما كان يسمى بمجموعة (إيا ـ القديمة)، حيث تصنّف الإشارات بحسب صورها وتكرر كل واحدة منها عدد المرات التي تتطلّب لفظاً مختلفاً.

ـ يتابع التعليم نقل نصوص أدبية تعود إلى الفترة البابلية القديمة، بدءاً بمقتطفات قصيرة إلى النصوص الكاملة للأساطير والملاحم والأناشيد والمراثي.

ـ وكان التعليم يشمل أيضاً تعليم الحساب والمساحة. إعداداً لتمكين الكاتب المتعلم من مسح أرض مثلاً وتقسيمها بين ورثتها.

ـ وأخيراً فإن الموسيقى كانت أيضاً من المواد التي تعلم في «بيت ـ اللوحات».

---

(١) (E.Dub.Ba) أي بيت اللوحات.

(٢) (Ummia) بمعنى الخبير.

(٣) أي (آدا ـ أي ـ دوّبا) (Adda-E-Dub.ba).

(٤) (شيش ـ چال) (Shesh-Gal).

(٥) العصا التي عرفتها مدارس طفولتنا كانت مستعملة منذ ذلك الوقت.

(٦) دوبشار ـ نيشيد) (Dubshar - Nishid).

(٧) (دوبشار ـ آشاچا) (Dubshar-Ashaga).

(٨) (دوبشار ـ كينجيرا) (Dubshar-Kengira)

(٩) (A-A) و(Me-Me).

١٠ ـ متابعة تعليم اللغة السومرية

نحن نعلم أن بلاد ما بين النهرين استعملت في الوقت نفسه اللغتين السومرية والأكادية للتعبير. وإذا ما كانت اللغة السومرية هي التي تمَّ التعبير بواسطتها عن الفكر الديني في سومر، فقد تراجعت أمام توسّع انتشار اللغة الأكادية. ولم تلبث أن انحصرت علاقتها بالآلهة، تردّد ملاحمهم وتنشد مآثرهم وتمجّدهم وتقيم لهم الطقوس. وبعدت هكذا، وبشكل طبيعي، عن لغة الحديث الشعبي والأمور الدنيوية غير المقدّسة وأصبحت وقفاً على المتعلمين والمثقفين ورجال الدين، وبقيت تُدرَّسُ على هذا الأساس كما تدرّس اليوم في أوروبا اللغة اليونانية القديمة أو اللاتينية كأساسٍ «كلاسيكي» للمعرفة. ولكن السومرية بقيت أكثر من ذلك، وإلى زمن بعيد، لغة المعتقدات الدينيّة وإقامة الطقوس. وكلما بعدت اللغة عن التداول اليومي، صعب امتلاكها، ولذلك فقد كان التلميذ المبتدىء يفتخر إذ يعلن:

«حفظت حتى الآن وكتبت الكلمات السومرية والأكادية، بدءاً من المجموعة المقطعية (آ ـ آ) ـ (مو ـ مو) حتى [. . . .] (وكذلك) كتبت جميع الأسطر، بدءاً من لائحة أسماء العلم «إنانا ـ تيش» حتى المجموعة «لو = شو» وحتى الأشكال الأقل استعمالاً»[١]

وحين كان أحد المعلمين يريد انتقاد تلميذه المبتدىء، كان يقول له:

«لسانك لا يتلاءم مع اللغة السومرية»

وعلى العكس من ذلك فالمبتدىء المجتهد والمؤهل لتعلم هذه اللغة كان يفاخر معلناً:

«أستطيع (الآن) التكلّم بالسومرية!».

١١ ـ من نيسابا إلى نابو

بعد أن روت ابنة سرجون الكبير انتصار إنانّا على الجبَل وإخضاعه كما ورد ذلك في النص (٨٨) من هذا الكتاب، لم تنسَ في نهاية هذا النص الملحمي، مع تمجيد إنانّا، أن تمجّد الإلّهة نيسابا[٢]:

---

(١) من نص الحوار بين التلميذين «أنكي ـ مانسوم» (Enki-Mansum) وجيرني ـ إيسا (Girni-Isa) أو جيرني ـ عيسى(؟).

(٢) (Nisaba) الإلّهة السومرية المشرفة على الكتابة.

«. . . يا ابنة سين العظيمة
أيتها المرأة الفتية إنانّا، لك المجد
والمجد لك أيضاً يا نيسابا.»

كانت نيسابا، في الفترة السومرية، إلّهة قلم القصب المستعمل للكتابة، «تقود يد الكاتب المبتدىء» في سعيه لتعلم فن الكتابة.

وفيما بعد، أصبح نابو[1] إلّه بابل، كاتب الآلهة، يسجل أقدار المملكة في عيد رأس السنة من كل عام، منذ فترة الملكية الأولى في بابل، وأشهر ملوكها حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) ق. م. وعن فترة حكم نبوخذنصر الأول (١١٢٤ ـ ١١٠٣) ق. م، وصلتنا لوحات مدرسية، سجل عليها التلاميذ الكتبة شكرهم للإلّه نابو مع ابتهالات موجهة إليه، مثال:

«أيتها اللوحة تكلمي عني أمام الإلّه»
أو «ليجعل نابو عقلي أكثر تفتحاً»
أو «ليهبني عمراً مديداً ويحوّل عني المرض لكي أبلغ [. . .] مادياً وروحياً ويزداد فهمي.»

وهناك ابتهال آخر يرجو عمراً طويلاً يمكّن الطالب من «تحسين معرفته بالإشارات المسمارية وتسجيل لوحته بشكل أجود».

١٢ ـ نصوص تربوية مختلفة

إضافةً إلى الحوار بين تلميذين، الذي أشرنا إليه آنفاً، فإن عدداً من النصوص التربوية من شأنها إعطاء فكرة عملية عن الحياة اليومية في «الإيدوبّا» أي بيت اللوحات فيما يختص بتلميذ مبتدىء، وما يجب تحاشيه مثلاً بالنسبة للغرور أو التمرد على الأخ ـ الكبير الذي يرافق المبتدئين، وعن سعي أبٍ يخشى على ابنه إهماله المدرسة وتسكّعه في الشوارع والحدائق العامة فيقدّم له النصائح اللازمة كي لا يهمل الدراسة ولينمّي فيه الفضائل الإنسانية.

وبعودة إلى المنزل رقم ٧ من الشارع الهادىء في مدينة أور، وبما أن «أب ـ بيت ـ

(١) (Nabu) ابن الإلّه مردوك.

اللوحات» هذا كان أحد الكهنة المكلفين بطقوس التطهير في المعبد، فإن نصاً يمثّل مشهداً تمثيلياً يجري في حانوت غسّال ثياب، نعتقد أن الهدف منه هو تعليم التعابير الفنيّة الواجب معرفتها بصدد عملية تطهير الثياب التي هي ذات أهمية بالنسبة لمدير المدرسة وعلاقته بمعبد الإلّه القمر. وعلى هذا الأساس فإن هذه الفقرة سوف تشمل عرض النصوص التالية:

النص رقم (٩٤) ـ التلميذ المغرور والتلميذ المتمرّد.
النص رقم (٩٥) ـ في حانوت غسال الثياب ومثال عن عملية حسابيّة.
النص رقم (٩٦) ـ الحياة اليومية لتلميذ مبتدىء.
النص رقم (٩٧) ـ توصيات أب لابنه المنحرف.
النص رقم (٩٨) ـ أدب المنافسات ودوره التعليمي.

(٩٤) ـ التلميذ المغرور
والتلميذ المتمرّد

١ ـ العلاقة المهمة التي سعى مسؤولو التعليم في سومر إلى تأمينها بشكل ملائم، هي علاقة التلميذ المبتدىء مع «الأخ ـ الكبير» الذي هو على اتصال مستمر معه أثناء تعلّمه. وحتّى بعد تقدّم تحصيله، يجب إبعاده عن الغرور والتبجح وكذلك عن الاختلاف مع هذا الأخ ـ المساعد الذي له دور أساسي في إنجاح مهمّة التعليم.

(٩٤ ـ آ) التلميذ المغرور

عندما وصل التلميذ موضوع هذا النص إلى سنته الثانية لتعلّمه، أصابه الغرور ورأى نفسه قادراً على تحدي الأخ ـ الكبير. وحين عرض عليه هذا الأخير ما يجب عمله، أجابه بغرور:

«أنا قررت أن أكتب شيئاً من تأليفي
سوف أقدّم التعليمات بنفسي!»

إلا أن الأخ ـ الكبير يردّ على هذا المتبجّح بقوله:

«إذا ما أعطيت أنت التعليمات
فلن أكون أنا الأخ ـ الكبير
وأين يصبح مركز الأخ ـ الكبير عندئذٍ؟
إعلم أن الغرور يقضي على العلاقة مع الأخ الكبير،
يا للذكاء الخارق [. . .]
قد تكون يدك بارعة ولكن،

ليس باستعمال قلم الكتابة على لوحة!

ثم يعدّد الأخ ـ الكبير العجز أو عدم الكفاءة التي أظهرها التلميذ متحدثاً عنه بصفة الغائب:

إذا ما أراد كتابة لوحة، فإنه
لا يعرف كيف يتدبر الأمر فعلاً.
إذا ما أراد كتابة رسالة،
يخطىء في كتابة عنوانها
وإذا ما أراد تقسيم ملكية
فإنّه غير قادر على ذلك!

(٩٤ ـ ب) التلميذ المتمرّد

في نص آخر يردّ الأخ ـ الكبير على غرور التلميذ بقوله:

أيها الرجل المجرّد من أي ثناء بين الكتبة!
في أي شيء (إذن) هي براعتك؟

ويدافع التلميذ عن نفسه وعن براعته الفنية في الكتابة ويعيد الاتهامات إلى الأخ ـ الكبير منتقداً حسابه وهندسته ومهارته في نسخ النصوص الدينية، وتستمر الاتهامات والرد عليها في الجزء المشوّه من النص، وينتهي الحوار بشجار بين الطّرفين، فيتدخّل المعلّم في الخلاف موبّخاً:

«لماذا أنتما تتصرفان على هذا الشكل؟ [. . .]

ثم يتوجّه إلى التلميذ ـ المتمرّد مهدّداً:

ماذا يعني أن يكون لأخيك ـ الكبير دوره؟
(يعني ذلك) أنّه أكثر معرفة منك
في فنّ الكتابة.
والتلميذ الذي يتصرف كما تفعل،
لا بد أن يدخل في خلاف مع الأخ ـ الكبير!
هناك العصا. . . وسأعاقب بها
مثل هذا التلميذ.

سوف أضع سلسلة نحاسية في رجله
. . . وأسجنه في بيت ـ اللوحات
مدّة شهرين.

ويتضح بعد ذلك من النص بأن المعلّم بعد الانتهاء من تهديداته، يأخذ بيد كلٍ من الشابين ويعمد إلى مصالحتهما.

(٩٥) ـ في حانوت غسّال الثياب
ومثال عن عملية حسابية

(٩٥ آ) ـ غسّال الثياب[1]

وصلنا هذا النص، الذي هو عبارة عن مشهد تمثيلي، على لوحة تحمل ٤٢ سطراً وتحتوي على النص الأكادي الوحيد الذي عثر عليه في المنزل رقم ٧ من الشارع الهادىء في مدينة أور. وهو يبدأ على لسان أحد الأشخاص، أحد الزبائن متوجِّهاً إلى صاحب الحانوت وملقناً تعليماته المطوّلة والمعقّدة إلى غسّال الثياب الذي يستمع إليه بامتعاض وبصبر. ولكنه يتوصَّل في النهاية إلى إيقاف سيل سرديته التي تحتل ٢١ سطراً أي نصف النص ليعلن له بأنه غير قادر على اتّباع مثل هذه التعليمات ولا يمكنه تذكرها وينصح صاحب الثياب أن يطبّق بنفسه وصفته للغسيل في مكانٍ يعيّنه له. ثم يغادر الحانوت على الرغم من محاولة الزبون تلطيف خاطره.

نُظر إلى هذا النص بوصفه مشهداً تمثيلياً بسبب احتوائه في الأسطر (٢٧ و٣٦) على تعليمات مسرحية. ومن المفيد الإشارة إلى أن هذا التمرين المدرسي، المكتوب بلغة أكادية جيدة، كانت له أهدافه التربوية بالنسبة لتجميعه التعابير الفنية المتعلقة بمهنة غسل الثياب وتطهيرها. ولم يكن اختيار هذا الموضوع مُصادفةً أو عفوياً، لأنّ الإلّه انكي، هو سيِّد مرجل غسل الثياب، مع التذكير بأن صاحب المنزل رقم ٧ أي (أب ـ بيت ـ اللوحات) كان كاهناً مختصاً بطقوس التَّطْهير في معبد الإلّه سين.

---

(١) بالأكادية «أشلاج» (Ashlag).

(٩٥ ـ ب) مثال عن عملية حسابية

لإعطاء فكرة عن مستوى تعليم الرياضيات في ما بين النهرين في مراحله المختلفة لا بدّ من إجراء بحث خاص لإنصاف مثل هذا الموضوع الذي لا يدخل في نطاق عرضنا هذا ونأمل أن يخصص أحد باحثينا كتاباً كاملاً لعرض ما وصلت إليه بلاد ما بين النهرين بدءاً بسومر وحتى فتح الاسكندر، في مجال علوم الفلك والأرصاد الجوية والرياضيات (الحساب والهندسة والجبر) والطبّ الدّاخلي والجراحة، بغية تتبّع وعرض تلك الأسس الحضارية التي حملتها «سفينة السماء» من اريدو إلى أوروك منذ نهاية الألف الثالث لما قبل الميلاد[١].

ونكتفي هنا بتقديم مثل عن طلب حل مسألة بثلاثة مجاهيل تمتاز باقتضاب وبساطة عرضها منذ الفترة البابلية القديمة بلغة دقيقة لا تختلف عما يمكننا قوله اليوم بهذا الصدد. يقول النص:

«لديّ مستطيل، ضربتُ الجبهة بالجانب،
فحصلتُ على المساحة. ثم جمعتُ الجبهة
والجانب، فحصلت على نتيجة تعادل المساحة.
وأخيراً جمعتُ الجبهةَ والجانبَ والمساحة،
فحصلت على مجموع ٩.
فما هو قياس كلٍ من الجبهة والجانب والمساحة؟»

(١) راجع النص (رقم ٨٥) عن إنانا وسفينة السماء.

(٩٦) ـ الحياة اليومية
لتلميذ مبتدىء

كتب هذا النص أحد المعلّمين في «بيت ـ اللوحات» يصف فيه الحياة اليومية لتلميذ سومريّ. ويعود هذا النص إلى بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد:

ـ أين ذهبت أيها التلميذ، منذ نعومة أظفارك؟
ـ ذهبت إلى بيت ـ اللوحات
ـ وماذا فعلت في بيت ـ اللوحات؟
ـ استظهرتُ لوحتي. تناولت طعام الفطور،
أعددتُ لوحةً جديدة، ملأتها بالكتابة
وأنهيتها، ثم حُدِّدَ لي ما عليَّ استظهاره.
أُعطيت تمريناً جديداً على الكتابة.
وبنهاية الفصل، عدت إلى بيتي، حيث وجدت أبي
جالساً. حدّثت أبي عن تمرين الكتابة،
ثم تلوت عليه لوحتي فامتلأ قلبه بهجة[...]

بعد تلاوة لوحته لأبيه، يتوجه إلى أمه أو إلى الخادمة:

«أنا عطشان، أعطني ما أشربه
أنا جائع، أعطني ما آكله
أغسلي لي رجليّ، أعدّي فراشي،
أريد أن أنام.
أيقظيني باكراً في الصباح

يجب ألاّ صل متأخِّراً إلى المدرسة
وإلاّ فالمعلِّم الكبير سوف يعاقبني

يتابع النص بعد ذلك يوميات الصباح التالي:

[.....]
عندما استيقظت باكراً في الصباح التالي
توجَّهت نحو أمّي قائلاً:
أَعطيني طعام فطوري، يجب أن أذهب إلى بيت ـ اللوحات.
أعطتني أمي رغيفيْ خبز صغيرين وسلكت دربي نحو
بيت ـ اللوحات.
في بيت ـ اللوحات، بادرني المراقب قائلاً:
«لماذا تأخَّرت؟
مثلت أمام معلِّمي وأنا خائف، وقلبي يخفق.
وانحنيت أمامه احتراماً[...]

وعلى الرغم من الخوف والاحترام فإن ذلك اليوم لم يكن كما يبدو يوم سعادة بالنسبة للتلميذ. فقد أمر أحد المعلمين بمعاقبته بالعصا لأنه وقف بدون استئذان. وأمر آخر بمعاقبته، لأنه ثرثر مع رفيقه أو لأنه خرج من الباب الكبير دون أن يُسمح له بذلك. وما هو أسوأ من ذلك، فقد قال له المعلم:

«كتابتك ليست مقبولة!»

وهنا أيضاً نال قصاصه. وأمام هذه الحالة التعسة، اقترح التلميذ على أبيه، موضحاً بأن دعوة المعلِّم إلى البيت واستمالته ببعض الهدايا، قد تكون فكرة حسنة:

«ما قاله التلميذ، أعاره الأبُ اهتمامه
وتمَّت دعوة معلّم بيت ـ اللوحات.
وعندما دخل المعلم البيت، تمَّ إجلاسه
في مكان الصَّدَارة.
(عند ذلك) قام التلميذ بخدمته،
وأحاطَهُ بالعناية.
كما عرض على أبيه، بحضور معلّمه

كل ما تعلّمه من فنّ الكتابة[...]
قدَّمَ الأبُ بعد ذلك الخمرَ إلى المعلّم وأَوْلم له:

ألْبَسَهُ كسوةً جديدة،
قدَّم له هديّة،
وزيَّن بخاتم إصبعه

أَدخل هذا الكرمُ الدفءَ إلى قلب المعلُم، فامتدح التلميذ وشجَّعه مستعملاً تعابير لا تنقصها الحماسة:

«أيها الشاب، لأنك لم تهمل كلمتي
ولم ترمِ بها جانباً،
فلعلكَ تبلغ قمَّة فنّ الكتابة،
ولتتمكَّن من تحقيق ذلك بتفوّق[...]
ولتصبح قائداً بين إخوتك
ورئيساً بين أصدقائك
ولتصل إلى أعلى المستويات بين التلاميذ.

ولأنك أتممت بشكل جيد مهامّك المدرسية
ها أنت أصبحت رجل معرفة!»

(٩٧) ـ توصيات أب لابنه المنحرف

الإبن يتسكّع في الشوارع ولا يواظب على التعلّم والأب يحثّه على الانتظام وعدم إضاعة الوقت الثمين لاكتساب المعرفة والفضائل الإنسانية لأن الغنى المادّي وحده لا يكفي.

يعود النص المشتمل على توصيات الأب إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد ومن المحتمل إعادة تأليفه إلى عدة قرون سبقت.

يبدأ الأب باستجواب ابنه في بداية النص:

ـ أين ذهبت؟
ـ لم أذهبْ لأي مكان.
ـ إذا لم تذهب لأي مكان، فقد أضعت إذن وقتك عبثاً.
إذهب إلى بيت ـ اللوحات، قدِّم نفسك لأب
بيت ـ اللوحات، إتْلُ عليه درسك
إفتح حقيبتك، انقشْ لوحتَك،
اترك للأخ ـ الكبير أمر تخطيط لوحتك الجديدة.
عندما تنتهي مهمتك وتعرض ما أنجزته،
على المراقب، عد إليَّ،
ولا تتسكّع في الشوارع.
والآن، هل حفظت ما قلته لك؟
ـ نعم سوف أكرّره أمامك
ـ كرّره إذن.

ـ سوف أكرّر ذلك.
ـ قلْ.
ـ قلتَ لي أن أذهب إلى بيت ـ اللوحات
أن أتلو درسي، أن أفتح حقيبتي،
أن أنقش لوحتي،
بينما يعدّ لي الأخ ـ الكبير، لوحةً جديدة.
وعندما أفرغ من مهمتي
أعود إليك بعد تقديم نفسي للمراقب
هذا ما قلتَهُ لي.

ويتابع الأب نصائحه:

كن رجلاً يا بني، لا تعمد إلى ارتياد الحدائق العامة،
ولا تتسكّع في الشوارع وعلى الجادّات.
عندما تسير في الشارع، لا تنظر إلى ما حولك.
كن متواضعاً وأرِ مناظرك بأنك ترهبه.
إذا ما أظهرت له رهبةً، يرضى عنك.
[......]
هل ستصل إلى النجاح، لو أنّك تتسكّع
في الحدائق العامة؟
تمثّل بالأجيال السابقة. واظب على بيت ـ اللوحات
لكي تستفيد منه.
تمثّل بالأجيال السابقة، استعلم عنها.
أنت المنحرف الذي عليّ مراقبته[....]
لن أكون رجُلاً إذا لم أراقب ولدي[...]

لقد استجوبت من هم حولي، وقارنت بين الأبناء
فلم أجد بينهم أي واحد مثلك.

ما أنقله إليك، يحوّل المجنون إلى عاقل.
ويشلّ حركة ثعبان كما يفعل السحر،

ويَحُول دون تصديقك الكلمات الكاذبة.
ولأنَّ قلبي بسببك ملأه اليأس،
ابتعدت عنك ولم أعر اهتماماً لمخاوفك،
ولدمدمات تذمّرك. وبسبب صراخك،
نعم بسبب صراخك، حنقت عليك.
ولأنّك لم تسعَ لتتحلّى بصفات الرجولة،
غضب قلبي وكأنّما حملته ريح عاتية.
لقد قضت عليّ اتهاماتك،
وأنت تقودني إلى عتبة الموت.

لمْ آمرك في حياتي بحمل الحُزم من منابت الأسَلْ
ولم تمسس قط في حياتك حزم الأسَلْ
التي ينقلها الفتيان والصغار
أنا لم أقل لك مطلقاً «إتبَعْ قوافلي»،
لم أكلّفك قطّ بأيِّ عملٍ. ولم أطلب
منك حراثة حقلي.
لم أقل لك في حياتي «إذهب واتّخذ
عملاً لكي تعيلني».
كثيرون غيرك يقومون بأودِ أهلهم
من وراء عملهم.

إذا ما تحدّثتَ إلى رفقائك، واعتبرتَ
وضعهم فقد تقبل تقليدهم:
كل واحد منهم يكسب عشر جورات[1]
من الشعير.
حتى الأطفال الصغار يقدّمون
عشر جورات شعير لأبيهم.
إنهم يضاعفون شعير أبيهم،

---

(1) الجور (Gur) حجم يعادل حوالى ٢٥ هكتوليتر.

يمونونه بالشعير والزيت والصوف
أما أنت، فلست رجلاً
إلاّ عندما تظهر روح المعارضة.
ولكنَّك إذا ما قورنت بهم
فلستَ رجلاً أبداً.
أنت حَتْماً لا تعمل مثلهم[....]
إنهم أبناء لآباء يجبرون أبناءهم على العمل
أما أنا[...] فلا أطلب منك
أن تعمل مثلهم.
عنيدٌ هو الذي أنا غاضب عليه
أي رجلٍ يمكنه أن يغضب حقاً على ولده؟
[....]
تحدَّثتُ إلى من هم حولي،
واكتشفت أمراً لم أكن ألاحظه قبل الآن.
الكلمات التي سوف أردّدها،
فلتوقظ فيك خشيتك وحذرك.
أنت لا تعير اهتماماً لزميلك في الدراسة،
لرفيقك في العمل[...]
لماذا لا تتَّخذه مثالاً لك؟
صديقك ورفيقك لا يثير اهتمامك
لماذا لا تتَّخذه مثالاً لك؟[...]
امتثل بأخيك ـ الأكبر.
بين جميع المهن البشرية التي وُجِدت على الأرض
والتي عيّن الإلّه إنليل أسماءها،
لم يسمِّ أية مهنة أصعب من فنّ الكتابة.
لأنه إذا لم تكن الأغنية (الشعر)[...]
شبيهة بشاطئ البحر، بضفَّةِ التُّرع البعيدة،
قلب الأغنية البعيدة[...]
فإنك لن تعير إلى نصائحي أذناً صاغية
ولن أكرر أمامك حكمة أبي:

امتثالاً لأوامر انليل، على الابن أن يتبنّى
وأن يرث مهنةَ أبيه.

أما أنا، فالعذابُ يساورني، ليلَ نهار،
إنّك تبدّد وقتك في الملذّات.
أنتَ جمعت ثروات كبيرة،
ونَمَوْتَ لتصبحَ سميناً وكبيراً وعريضاً
وقوياً ومتكبراً.
لكن ذويك يتوقعون أن تبتليك المحن،
وإذا ما اغتبطوا لذلك،
فلأنك تهمل تنمية الفضائل الإنسانية.

يلي ذلك مقطع صعب الفهم من ٤١ سطراً، يشتمل على ما يظهر تعديد أمثال وحكم قديمة. وينتهي النصّ بمباركة الأب لابنه:

الذي يوبّخك، يطلب من إلَهك نانّا[١] أن يحفظك،
والذي يتّهمك، يطلب من إلَهك نانّا أن يحميك.
فليكن إلَهك راضياً عنك
ولتتذكّى مزايا الرجولة فيك
ولتكن أول حكماء المدينة،
وليردّد مواطنوك اسمك في المقامات العالية
وليطلق عليك إلَهك اسماً مختاراً
وليكن إلَهك نانّا، راضياً عنك
ولتكن الإلَهة نينجال[٢] بجانبك.

---

(١) نانا (Nanna) الإلَه القمر في أور.
(٢) (Ningal) بمعنى السيدة السامية.

(٩٨) ـ أدب المنافسات
ودوره التعليمي

١ ـ تضمن الكتاب الثاني[١] الإشارة إلى نصوص المنافسة أو المواجهة بين طرفين يحاول كل منهما الإشادة بدوره وبأهمية هذا الدور، وكان ذلك بمناسبة عرض نصوص البدء والأصول حين كانت هذه النصوص تعود إلى البدء لإعلامنا كيف أتى إلى الوجود كل من الطرفين المتنافسين.

كما أشرنا في تلك المناسبة بأن قصائد المنافسة، لم تكن شكلاً أدبياً مجانياً، بل كانت أسلوب بحثٍ ومحاكمة عقلية، ونضيف هنا بأن لتلك المحاكمات التنافسية دورها التعليمي والتربوي في آن واحد، وبشكل خاص حين تتدخل حكمة الإلّه بين المتنافسين لتقول كلمتها: كلمة الفصل.

٢ ـ ومن المفيد الإشارة إلى أنّ السومريين أطلقوا هم أنفسهم على هذا الإنتاج الفكري تسمية معبّرة وهي: آدامان ـ دوجار[٢] وفي هذه التسمية فإن (دوجا) معناها: الكلام، أما (آدامان) فتكتب سومرياً باستعمال الرمز المعبِّر عن «رجل» مضاف إليه الرمز نفسه بشكل معكوس، وهذا ما يوحي فعلاً بخطاب المواجهة الكلامية بين كائنين.

٣ ـ لقد أورد الكتاب الأول بإسهاب نص المنافسة بين الراعي والفلاح[٣]، أي بين

(١) الفصل الأول ـ الفقرة (١ ـ ٣) آ.
(٢) (Adaman-Dougar).
(٣) النص رقم (١١).

دوموزي[١] الراعي، وانكيمدو[٢] الفلاح كمدخلٍ لأناشيد الحب بين دوموزي وإلَهة الخصب إنانا[٣]. كما أشار الكتاب الأول إلى خلق إلَهتي الماشية والحبوب[٤] واستكمل منافستهما في الكتاب الثاني[٥].

وبين أخوين هما: إيميش (الصيف)[٦] وإينتين (الشتاء)[٧] قامت منافسة، نقدمها هنا، بعد أن كان الكتاب الأول قد أشار إلى دور كل منهما بالنسبة لحياة البلاد[٨] وروى الكتاب الثاني كيف عمد الإلَه إنليل إلى خلقهما[٩].

٤ ـ كما نقدِّم أيضاً وقائع منافسةٍ ثانية عن نص أكادي، وهي التي قامت بين شجرتين: شجرة النخيل وشجرة الطَّرْفاء.

وبإثبات هذين النصين، تتضح أكثر فأكثر الفكرة من هذا النوع من الإنتاج الأدبي، كمايتّضح دوره في تسهيل فهم مزايا وخصائص الطرفين المتنافسين. وسواء أتمّ تداول هذه النصوص في «بيوت ـ اللوحات»، أي في مدارس سومر وآكاد، أم في «مجالس المناظرات» بين حَفَظَة النصوص، فإن لذلك دوراً تعليمياً أكيداً. ونقدِّم هاتين المنافستين كما يلي:

(٩٨ ـ آ) المنافسة بين الصيف والشتاء.

(٩٨ ـ ب) المنافسة بين شجرة النخيل وشجرة الطرفاء..

---

(١) (Dumuzi).

(٢) (Enkimdu).

(٣) (Inanna).

(٤) النص رقم (٧).

(٥) النص رقم (٤١).

(٦) (Emesh).

(٧) (Enten).

(٨) النص رقم (٨).

(٩) النص رقم (٣٨).

(٩٨ ـ آ) المنافسة بين
الصيف والشتاء

١ ـ وصلنا هذا النص، الذي يعود إلى بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد، في اثني عشرة نسخة مختلفة ومتفاوتة التشويه. وقد أمكن من مجمل محتوى هذه النسخ، التعرّف على أنّه يبدأ بإعلامنا كيف عَمَد الإلّه إنليل[١] إلى خلق الزمن الملائم معدّاً بذلك لدورة تتالي الشتاء الرطب والمخصب والصيف المنضج والجاف. وهكذا، وبما أن ذلك تمّ في أزمنة البدء، فقد تمّ ذلك في حين لقّح إنليل المنطقة الجبلية وأخصبها فولدت التوأمين «الصيف والشتاء» ثروة البلاد. وحدّد لكل منهما دوره في كل من مجالي الإنتاج الحيواني والزراعي وذلك لتأمين الوفرة في البلاد.

٢ ـ وبعد أن قام كل منهما بدوره، توجها معاً نحو إنليل في نفر[٢] حاملين إليه قرابنهما واختلفا أثناء الرحلة لمعرفة أيهما أفضل[٣] فيقدم كل منهما حججه للدفاع عن رأيه إلى أن يصلا أمام إنليل الذي يفصل بينهما ويتخذ قراره بصددهما، «فسكبا معاً القربان المقدس وتعاهدا على أن يعملا معاً[٤] بحكمةٍ وطيب».

---

(١) (Enlil) سيد مجمع الإلّهة في سومر وهو سيد الهواء والأمطار.
(٢) نفّر (Nippur) مدينة إنليل وهي العاصمة الدينية القديمة لبلاد سومر تقع على بعد (٨٠ كلم) إلى الجنوب الشرقي من بابل.
(٣) في هذه المنافسة وكذلك في المنافسة بين الراعيّ والفلاح، أساس قصة قابيل وهابيل التوراتية.
(٤) النص السومري تبنّى الوفاق بين الأخوين، بينما أدت المنافسة التوراتية إلى الجريمة الأولى.

برنامج إنليل لخلق الزمن الملائم وتنفيذه

1 جعل نونّامنير[١] نفسَه في حالةٍ
تخوله خلق الزمن الملائم
وفي ما يتعلّق بالعالم[٢] الذي سيكوّنه،
أعدّ (إنليل) برنامجاً، سوف
تستفيد منه جموع البشر.
ثم مثل ثورٍ شامخ، وضع على الأرض رجله
11 إذ قرر سيّد الكون
4 أن يخلق اليوم ـ الملائم ـ الفائق الخصوبة
5 والليل ـ الملائم ـ الجزيل الوفرة.
ولكي يجعل الكتّان ينمو كثيفاً وينشرَ
الشعير في كل مكان،
لكي يضمن حدوث الفيض على جميع الضفاف،
وينشر الخصب[. . .]،
بحيث يحبسُ الصيفُ الأمطارَ
10 وبحيث يزوِّد الشتاءُ الضفافَ بالماء المخصب،
12 لذلك عمد (إنليل) إلى غرس قضيبه
في المنطقة الجبلية الرحبة،
وقدَّم لقمّة الجبل «هديته»[٣].
حبلت قِمَّةُ الجبل بالصيف والشتاء ثروة البلاد.
والمكان الذي غرس فيه إنليل قضيبه
جعله مثل الثور، يخور لذّة!

---

(١) (Nunnamnir) لقب الإلّه إنليل.
(٢) المقصود هنا بلاد ما بين النهرين.
(٣) أي هدية العرس.

15 على الجبل، ودونما حركة، قضى نهاراً بكامله
وركب القِمَّة أيضاً ليلة كاملة:
وهكذا وكما يُستخرج الزيت الناعم،
جعل قِمَّة الجبل تتمخَّض بالصيف والشتاء،
وقد تركهما مثل عجلين أُرْخُصَينْ،
يقضمان عشب الجبال،
حتّى أنَّهما ازدادا سمنة، وأصبحا قويين،
بغذاء المراعي الجبلية.
[....]

(نتابع هذا النص عن نسخة أخرى تشير إلى كل من الصيف والشتاء بإسميهما إيميش[١] وإينتين[٢] وتصف مهمة كل منهما):

ما حققه الشتاء

47 «إينتين كان يجعل النعاج والماعز تلد صغارها.
كثّر البقرات والعجول ووفَّر بسخاء السمن واللبن
وفي السهوب، جعل البهجة تعمّ العَنْز البرّي والأرويّات
والحمر الوحْشية!
50 ووزَّع أعشاش الطيور على كامل الأرض الفسيحة
وجعل الأسماك تضع بيوضها في (هور) القصب!
وفي مزارع النخيل والكروم، ضاعف الحلاوة والخمرة!
غطَّى بالخضرة البساتين، وجعل زروعها تتكاثر.
55 كما ضاعف عشر مرَّات الحبّ في الأثلام.
وجعل أشنان[٣] تنمو بشكل رائع كفتاةٍ جذّابة.

---

(١) (Emesh): الصيف.
(٢) (Enten): الشتاء.
(٣) (Ashnan) إلّهة الحبوب وهنا بمعنى الحبوب.

ما حقّقه الصيف

أمّا إيميش، فقد نمّى الأشجار والزروع ووسّع المذاود والحظائر!
وضاعف إنتاج المزارع وغطّى الأرض بالـ [. . .]،
كما أتى بحصادٍ «غني» ليُكدّس في العنابر،
60 ودفع إلى بناء المساكن والتجمعات السكنية وإلى
إشادة البيوت في كل مكان[١]،
وإلى إقامة معابد تضاهي الجبال في شموخها! . . .»

توجّه الأخوان إيميش وإينين نحو مدينة نفّر وكل منهما يحمل لإنليل تقدمات من إنتاجه، ولكنهما اختلفا أثناء الطريق:

[. . . . .]
وعامل الصيف الشتاء وكأنّه عدو
ورفض السَّيرَ إلى جانبه
الشتاء. . . . فقد
وبدأ بالشجار مع الصيف

وأخذ كل منهما يشيد بميزاته وبفضائله كدليل على تفوّقه. فيقول الشتاء:

عندما الملك [. . . .] إيبي ـ سين[٢]
الإلّهي [. . . .]
[. . .] مرتدياً ثوبه الملكي بزينته الاحتفالية،
لإقامة الطقوس في عيد الآلهة [. . . .]
عند ذلك، أنا هو المكلّف بإعداد الزبدة اللذيذة!

ولكن الصيف يردّ، منتقداً الإزعاج وعدم الراحة اللذين يسببهما الشتاء:

[. . . . .] فأجاب الصيف الشتاء:
شتاء! يا أخي، من فَضْلِكَ
تلتفّ الغيوم الكثيفة [. . . .]

---

(١) أعمال البناء التي كانت تنجز خلال فصل الصيف.
(٢) (Ibbi-Sin) حكم خلال ملكية أور الثالثة حوالى (٢٠٢٩ ـ ٢٠٠٦) ق.م. وبذلك تتحدد فترة تأليف هذا الجزء من النص.

وفي قلب المدينة تصطك الأسنان،
حتى في وسط النهار لا يجرؤ أحدٌ
على الخروج إلى الشارع.

وفي النهاية يصل المتنافسان أمام إنليل، ويحتكمان إليه. يتوجَّه الصيف إلى الإلّه إنليل مادحاً وكان توجُّه الشتاء إليه أكثر مباشرة. ويتخذ إنليل قراره بصدد الخلاف على هذا الشكل:

إنليل أجاب الأخوين الصيف والشتاء (قائلاً):
الشتاء يسهر على المياه التي تمنح للبلاد الحياة.
إنه فلاّح الآلهة الذي يجعل الشعير ينمو بكثرة،
أيها الصيف يا بنيّ! كيف يمكنك
أن تقارن نفسك بأخيك الشتاء؟

وقَبِلَ الأخَوَان قرار إنليل وتمَّت المصالحة[1]:

فكانت كلمة إنليل الممجّدة
ذات المغزى العميق.
وقُبِلَ القضاء الذي لا يُبدّل
فمن ذا الذي يغيره؟
فركع إيميش إزاء إينتين [...]
وسكبا معاً القربان المقدّس
بأخوّةٍ وصداقة
وتعاهدا بأن يعملا معاً
بحكمةٍ وطيب [...]
فسبحانك أيها الأب إنليل!.

---

(١) نقتطف هذه الخاتمة عن مجلة سومر (ج٢، المجلد الخامس، لعام ١٩٤٩).

(٩٨ ـ ب) المنافسة بـين شجرة النخيل وشجرة الطرْفاء

١ ـ أعلمنا الكتاب الأول، من ضمن قصيدة «قصاص بستاني أنكي»[١] كيف بواسطة غراب يقوم بعمل رجل، تمكَّن الإلّه أنكي، من خلقِ شجرة النخيل التي عدَّد النص منافعها كما يلي:

هذه النخلة، وليدة مجرى الماء
الشجرة الأبديّة، لم يشهدها قبلاً أحدٌ قطّ!
لسانها [. . .] سوف يمنحنا لبّاً
ومن لحيتها ذات الألياف سوف تنسج الحصر
والركْزات المحيطة بها سوف تستعمل كمساطر ـ قياس.
مباركٌ هو وجودها في الأرض الملكية
وأقراط تمورها بين سعفها الكثيفة
سوف توضع كتقدمات،
في معابد أعظم الآلهة!

٢ ـ ونص المنافسة الأكادي الذي نحن بصدده يتابع تعديد منافع شجرة النخيل مقارنة بمنافع شجرة الطَرْفاء، وقد وصلنا وفق نسختين مستقلّتين نثبتهما فيما يلي:

(١) النص رقم (١٠) من الكتاب الأول.

النسخة الأولى

[. . . . . .]

3 [فتحت] شجرة الطّرْفاء[١] فمها (قائلة لشجرة النخيل):

«جسدي مقارنةً بجسدك [هو . . .]

5 وأغصاني النطاقيّة ـ التعريش جَليلة الفائدة، وأنتِ[. . .]

أنتِ مثل أمَةٍ تخون[٢] سيِّدتها».

وبكبرياء، أجابت شجرة النخيل:

«قرونُ بذوركِ المعلَّقة[. . .]

عندما نتوجَّه نحو إلّه [فجسدك]

[يصلح فقط] ضدّ الدّنَس[٣]

10 والطّرْفاء تجهل ما هو الأفضل بين الـ [. . .]

أو الأفضل بين [. . .]»

كما سبق[٤]، (تكلَّمت الطرفاء): «أنا أفضل منكِ،

أنا سيِّدة كل صنعٍ يدوي. الفلا[ح . . .]

كل ما لديه الفلاح يقطعه من عقفات

أغصاني [. . .]

إنَّه يصنع (مقبض) مجرفته من جذعي، وبواسطة

المجرفة المصنوعة بالاعتماد عليّ،

يفتح قناة الريّ لكي يصل الماء إلى الحقل

أنا لديّ[. . .]

---

(١) شجيرة غير مثمرة تزيينية وتظليلية، ذات أوراق صغيرة وأزهار عنقودية ذات لون زهري، لخشبها استعمالات يشير إليها النص.

(٢) بمعنى أن شجرة النخيل العالية لا تستر سيدتها عن الأنظار.

(٣) تستعمل أغصان الطرفاء في تطهير المعابد.

(٤) يستعمل الناسخ التعبير السومري الذي يعني «كما سبق» أو كما تقدم لكي لا يكرر ما ورد في السطر الثالث، أي: «فتحت شجرة الطرفاء فمها قائلة. . . . .».

15 وبسبب رطوبة التربة، فإنَّ الحبّ[. . .]

[. . . .]

أنا أدرس وأفصل الحبّ، وبالنسبة

لما يجعل الشعب ينمو، أنا أدرس.

17 كما تقدم (أجابت شجرة النخيل): أنا أفضل منك

أنا هي سيِّدة كل صنعٍ يدوي. الفلاح [. . .]

كل ما لديه (الفلاح): الأعنّة والأسواط والحبل

من أجل القَرْن ومحرا[ث ـ البَذْر]،

وتجهيزات الإسراج[. . .] الحبل من أجل [. . .]

والشبكة من أجل العربة [. . .]

20 [. . .] تجهيزات الفلاح، كلها منه، [. . .]

[. . . . .]».

كما تقدّم، (تكلّمت شجرة الطرفاء): فكّري بالتجهيزات

المصنوعة بواسطتي في قصر الملك. ماذا [. . .]

[في] قصر الملك، يأكل الملك في صحن مصنوع منّي

[وتشرب الملكة] في كوب مصنوع منّي.

وبملعقة مصنوعة منّي يأكل المحاربون، وبوعاءٍ

مصنوعٍ منّي [. . .].

ويَستخرج الخبّاز الطحين. أنا عاملة نسيج،

[التقط] الخيط (وهكذا)

25 أنا التي أكسو الناس [. . .]

الـ [. . .] العائد للإلّه. أنا معوّذة رئيسة

و(بالطقوس) أجدّد[1] المعبد. [أنا]

حقاً شيء ذو قيمة.

---

(١) بمعنى أعيد إلى المعبد طهارته.

[ولا] مثيل لي.

ظهر اللوحة

1 كما تقدم (شجرة النخيل قالت): في مكان التقدمة للإله
سين [...] سين الكريم [...]
لا يستطيع الملك تقديم قربانه السائل، في أي
مكانٍ إن لم أكن حاضرة، في [...]
تُؤدّى الطقوس بمرافقتي، وسُعفي مكدّسة
على الأرض... [...].
وكذلك فالنخيل هو أيضاً صانع جعة؛... [...]

5 كما سبق (تكلّمت شجرة الطرفاء): «تعالي، ودعنا نذهب
أنا وأنت إلى مدينة كيش[1]. [...]
هناك دلائل عنّي حيث يعمل التلميذ.
الـ [...] ليست مليئة [بـ... و]
ليست مليئة بالبخور. فالقاديشتو[2] تنثر
الماء و[...]
وتأخذ [الـ...] ويتعبّدون ويقيمون احتفالاً.
عند ذلك [...]
إنّه من أجل يد الجزار وتحرّكاته(؟).. [...]

10 كما تقدم (تكلّمت شجرة النخيل) تعالي لنذهب
أنا وأنتِ إلى مدينة [...]
حيث توجد الخطايا، هناك عمل من أجلك
أيتها الطرفاء. (أمّا أنا) فالنجّار بـ [...]

---

(١) (Kish) إحدى ممالك ـ المدن التي تضاهي بقدمها مدينة أوروك (Uruk) تقع على مقربة من بابل.

(٢) (Qadishtu) من مكرّسات المعبد.

إنه يحترمني ويمتدحني يومياً.

13 (تكلّمت شجرة الطرفاء قائلة): «من [...] الذي
أنا أحمل. (عندما) [يستعمل] الراعي عصيّ جوائزه الكبيرة [منّي][1]،
ويوزّع الـ [...] مثل عامل القصب الذي [...]،
سوف ابتهج، وأنا في تفوّق قوّتي [...]
لأنني بذلك أعلمتكِ بأمرِ فعلّي.
كبير القوة[...].

18 (تكلّمت شجرة النخيل قائلة): «أنا أفضل منكِ،
ست مرات أنا أتفوّق (عليك) سبع مرّات أنا [...]
أنا التي أتبادل الدور مع إلّهة الحبوب
ولثلاثة شهور [...]
فإنَّ الفتاة اليتيمة والأرملة والرجل الفقير [...]
يأكلون ثماري الحلوة، دون حساب
(بقية النص مشوّهة أو مفقودة).

النسخة الثانية

1 منذ أيام عديدة، ومنذ سنين بعيدة مضت،
قام مقرّرو المصائر[2] بحفر مجاري الأنهار؛
ثم عقد آلهة البلاد آنو وإنليل وإيا[3]
مجلساً
إنليل وبقية الآلهة تشاوروا
5 ومعهم كان جالساً الإلّه شمش

---

(١) من المرجح أن شجرة الطرفاء تقصد هنا مساهمة أغصانها القوية في سقف كوخ الراعي.
(٢) المقصود: هم الآلهة بدون تحديد.
(٣) (Anu) إلّه السماء؛ (Enlil) سيد الهواء والأمطار؛ (Ea) إلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع وهو أنكي (Enki) السومري.

والسيدة العظيمة بين الآلهة، كانت
معهم جالسة.
في ذلك الزمن، لم تكن في البلاد ملكية
كانت الريادة بيد الآلهة
(سطران ناقصان)
11 غرس الملك نخلةً
نخلة في قصره
ومعها غرس [...] شجرة طرفاء
وفي ظل الطرفاء أقيمت مأدبة
15 وفي ظل شجرة النخيل [...]
(نقص سطرين)
(عند) افتتاح [...] طريق الملك.
19 شجرة النخيل وشجرة الطرفاء [تخاصمتا]
18 تبادلتا فيما بينهما الشتائم؛
20 هكذا (تكلّمت) شجرة الطرفاء: «أنا [...]
بشكل مهمّ للغاية.
(إجابة شجرة النخيل)
لئن كانت شجرة النخيل هي هكذا رائعة [...]
أنت أيتها الطرفاء شجرة لا نفع لها.
أيّ شيء هي أغصانك؟ إنها خشب فقط
دون أيّةِ ثمار
ثماري أنا هي [....]
(نقص السطر ٢٥)
26 البستانيّ يمتدحني،
لفائدتي لكل من المعبد والرجل الرسمي.
ثماري، تجعل الطفل ينمو،

والرجال البالغون، يأكلون أيضاً ثماري.

30 [. . .] يضاهي الملك [. . .]

(إجابة شجرة الطرفاء)

تجهيزات قصر الملك،

أية أشياء مصنوعة منّي تجدها في قصر الملك؟:

يأكل الملك من على طاولة صنعت منّي

ويشرب الملك من كوب مصنوع منّي

أنا عاملة النسيج التي ترص خيوط اللحمة.

أنا معوّذ رئيسي وأطهّر [البيت].

(بقية النص مفقودة).

(٣ ـ ٢) ـ الحكم والأمثال

١ ـ بدأت الطقوس الدينية في سومر وأكاد، بالتأسيس للعلاقة بين البشر والآلهة، ونتج عن ذلك، وبتفاصيل وافية أوضحها الكتاب الثاني من هذه المجموعة، بروز مفهوم إغضاب الإلّه أو الآلهة، والمحافظة على الطهارة، بدءاً بطهارة المعبد ووصولاً إلى طهارة القلب ونقائه. وصُنِّفت الأعمال والنيّات، فمنها ما كان محبَّباً للإلّه ومنها ما كان مكروهاً لديه، وهكذا ظهرت أهمية القيم وبدأت تترسَّخ القواعد الأخلاقية وقواعد حسن التصرّف، تجاه الآلهة وتجاه مجتمع البشر.

٢ ـ وكما أصدر الملوك تشريعاتهم لتعميم العدالة وإزالة الظلم، كذلك كانت أقوال من عُرفوا بالحكماء، تمثِّل شرعة النصائح والمثل التي أدّت إليها التجربة البشرية، بنتيجة التعامل في المجتمع والحسّ السليم ورصد ردود الفعْل، فقال الحكماء كلمتهم في ما يحسن عمله وما لا يحسن عمله.

وفي الوقت نفسه، كانت الأمثال التي هي سهلة التداول، تعلّم الشعب وتمثّل الحكمة الشعبية. ولا تزال مجتمعاتنا حتى اليوم، تلجأ إلى مثلها، وسوف نعجب في سياق هذا العرض حين نكتشف أننا لا نزال نكرّر حتى اليوم أمثالاً عرفتها بلاد سومر وآكاد، منذ تلك الأزمنة السحيقة البعد.

٣ ـ لقد وصلنا عدد كبير من الحكم والأمثال بدءاً من الفترة السومرية. وكانت كما أسلفنا، بمثابة مدرسة المجتمع، التي لم تعلّم فنّ الكتابة كما في «بيت اللوحات»، ولكنّها رسَّخت فنّ حسن التصرف ورسَّخت قواعد أخلاقية ومارست على مجتمعها نظرة ناقدة، جدّية أحياناً وساخرة أحياناً أخرى.

وأبرز نقدٍ للمجتمع، وصلنا في نصٍّ «تناقضي» يمثل عبداً لا تنقصه الحكمة، يأتمر بما يمليه عليه سيِّده، الغنيّ الذي لا يعرف كيف يتصرَّف بوقته أو بماله أو بمعنى حياته. ونعرض هذا النص، قبل عرض مجموعات الحكم والأمثال، وفق الترتيب التالي:

النص رقم (٩٩): بين السيد والعبد: من هو صاحب الحكمة؟

النص رقم (١٠٠): الحكم والأمثال السومرية.

النص رقم (١٠١): حِكَم وأمثال أكادية.

النص رقم (١٠٢): حكيم ينصح ولده.

(٩٩) ـ بين السيدِ والعبد:
مَنْ هو صاحِبُ الحكمة؟

١ ـ أورد الكتاب الثاني في مجال عرض الثواب والعقاب، ومناقشة العدالة الإلّهية، نَصَّين مهمّين، يتعلَّق الأول بقضيّة «العادل المعذَّب» وردود فعله تجاه مسؤولية الآلهة عن مصائبه (النص رقم ٧٠)؛ واشتمل الثاني على حوارية بابلية حول العدالة الإلّهية (النص رقم ٧١).

ونصّ الحوار بين سيِّدٍ وعبده، الذي نورده هنا، ليس بعيداً عن روح هذين النَّصَّين ولكنّه يختلف عنهما في لهجته وفي رؤيته الساخرة بالنسبة لمجتمع البشر.

٢ ـ يتألف نص السيِّد والعبد، من أحد عشر مقطعاً، يتراوح طول كل منها بين ستة أسطر وسبعة أسطر واثني عشر سطراً، نرى من خلالها، وعلى شكل حوار بين سيِّدٍ وعبده، كيف يصدر السيِّد أوامره في بداية كل مقطع مُعْلِماً عبده بنيَّته القيام بعمل ما، طالباً منه الإعداد لذلك. وفي كل مرة، يوافق العبد مشجعاً سيِّده ويقدِّم الحجج التي تدعم قرار سيِّده، ولكن السيِّد يعدِّل رأيه في كل مرّة، ويرجع عن قراره الأول، وبحججٍ معاكسة تماماً يوافقه العبد من جديد على نواياه.

وتتراوح قرارات السيِّد ونواياه بين الذهاب إلى القصر أو تناول الطعام والذهاب إلى الصيد أو الزواج، أو اللجوء إلى العدالة، أو الوقوع في حبِّ امرأة، أو إهمال الواجبات الدينية، أو توظيف الأموال أو الاهتمام بالأعمال الخيرية، كل هذه الاهتمامات، يستعرضها النص ويقدم عنها العبد آراءه، ببلاغة لا تخلو من السخرية ومن فلسفة اليأس والعبثية، إلى أن يصل الأمر بالسيِّد إلى التفكير بالانتحار، معلناً أنه سيبدأ بقتل عبده. وهنا أيضاً فإن إجابة العبد تحيل إلى العدم قرار سيِّده.

٣ ـ يطرح هذا النص جميع تساؤلاته ويطرح المشكلات التي تثيرها، ليبقيها في حالة التباس مقصود. وعلى هذا الأساس، لا يزال المعلقون حتى اليوم، يقدِّمون التأويلات المختلفة حول مدلول هذا النص. فمنهم من يرى فيه، أن المؤلف أراد أن يثبت لنا، بالنسبة لكل شيء، أن هناك أسباباً للفعل، بقدر ما هناك أسباب لعدم الفعل، وأن الحياة لا جدوى منها، ووحده الموت هو الشيء الأكيد. لكن ماذا بعد الموت؟

بينما يرى آخرون في هذه الحكاية، صورة للتشاؤم واليأس ونوعاً من النقد الاجتماعي الساخر. ولا غرابة في ذلك، فبعض أجوبة العبد الوقحة أحياناً بالنسبة لسيِّده والمتمرِّدة على السلطة أحياناً أخرى، ترسم لنا مجتمعاً عبثياً، يقف فيه الغني متردِّداً لا يعرف ما عليه أن يعمل بعطالته وتخمته، وعبده الذي لا يملك شيئاً يظهر وكأنه سيِّد المواقف وفيلسوفها، ووحده صاحب كلمةٍ أراد المؤلف أن يكون العبد هو الذي يعبِّر عنها.

٤ ـ وعلى الرغم من اختلاف الشكل، فإنَّ هذا النص، يذكِّر هنا، بأقوال الحكيم اليائس الذي عبَّر عنه سفر الجامعة التوراتي[١] مثال: «رأيت كل الأعمال التي عُمِلت تحت الشمس. فإذا الكل باطل وكآبةٌ للروح»[٢] وكذلك: «ثم التفتُّ إلى جميع أعمالي التي عملت يداي وإلى ما عانيت من التعب في عملها، فإذا الجميع باطل وكآبةٌ للروح، ولا فائدة في شيء تحت الشمس»[٣]. وليست هذه، هي المرة الأولى التي يستوحي فيها نص توراتي، كتب حوالى ٢٥٠ ق.م، نصاً من بلاد ما بين النهرين أقدم منه بما يزيد عن خمسة قرون.

٥ ـ وبعد هذا التقديم العاجل للنص، نترك لهذه العلاقة بين السيِّد والعبد أن تأخذ مجراها على شكل أوامر سيِّد وطاعة عبدٍ ذكية، ثم أوامر معاكسة وطاعة لا تقل عنها ذكاءً. وكل ذلك في جو خاص من التهكّم والسخرية والنقد الاجتماعي ممَّا يمتاز به هذا النص.

---

(١) هذا الحكيم سمّي بالعبرية القوهوليت (Qoholet) بمعنى القوال أو المتكلم أمام المجموع بمعنى الواعظ.

(٢) سفر الجامعة (١: ١٤).

(٣) سفر الجامعة (٢: ١١).

المقطع الأول

1 [أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!]

- نعم سيِّدي، نعم!

2 [أسرع، إذهب وأعدّ لي عَرَبة]

كي أذهب إلى القصر.

3 [- إذهب (إلى القصر) سيدي، إذهب!]

فستكون هناك فائدة لك.

4 الملك عندما يراك(؟)

سوف يرفع من شأنك[١].

5 [- إذن كلا يا عبد]

لن أذهب إلى القصر!

6 [- لا تذهب] سيدي، لا تذهب!

7 [الملك عندما يراك]، سوف يرسلك

[حيث لا ترغب بالذهاب(؟)]

8 يجعلك تتخذ [طريقاً] لا تعرفه

9 وليل [نهار] يريك الشدائد!»

المقطع الثاني

10 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!

- نعم سيِّدي، نعم!

11 - أسرع، إذهب وآتني بماء لغسل يديّ، قبل تناول عشائي!

12 - تناول عشاءك سيِّدي، تناول عشاءك!

فالعشاء المتوازن، يبهج القلب[٢]

13 [. . .] طعامُ إلَهة؛

---

(١) حرفياً: «يرفع وجهك».

(٢) حرفياً: «يمدّد القلب» وردت في أناشيد الحب (الكتاب الأول).

وبغسل اليدين (هكذا) تمرّ الشمس[١]

14 إذن، كلا يا عبد، بالنسبة للعشاء، لن أتناول عشائي

15 ـ لا تتناول عشاءك سيِّدي، لا تتناول عشاءك.

16 فالأكل عند الجوع والشرب عند العطش. هذا هو الملائم للرجل!»

المقطع الثالث

17 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري

ـ نعم سيِّدي، نعم!

18 ـ أسرع، إذهب وأعِدَّ لي عَرَبة كي أذهب إلى الصيد!

19 ـ إذهب سيدي، إذهب!

فالرجل الذي يجول في البراري، يملأ جوفه؛

20 والكلب الذي يصطاد،

يجد لديه عظاماً «يقضمها»؛

21 الغراب الذي يجوب البرِّيّة يبني عشه.

22 الحمار الذي يجري في كل مكان،

يرعى عشب السهوب، قدر ما يشتهي؛

23 ـ إذن، كلا يا عبد

أنا لن أذهب إلى الصيد!

24 ـ لا تذهب يا سيدي، لا تذهب!

25 فالرجل الذي يجول في البراري

يُختَلُّ عقله

26 والكلب الذي يصطاد

عاجلاً ما تنكسر أسنانه

27 والغراب الذي يجوب البرية

---

(١) أي يمضي الوقت.

ليس عشه سوى [ثقب في جدار]

28 والحمار الوحشي الذي يعدو في كل مكان،

(وحدها) الصحراء، هي ملاذه.

المقطعان الرابع والخامس:

تم إهمال المقطعين الرابع والخامس المتعلّقين الأول بالزواج والثاني بالعدالة، بسبب التشويه وبسبب خلط الناسخ بين محتوييهما.

المقطع السادس

39 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!

ـ نعم سيدي، نعم!

40 ـ أريد القيام بثورة

ـ افعل ذلك سيدي، افعل ذلك!

41 إذا لم تقم بثورة، فماذا

سيكون لديك لتكتسي؟

24 ومن سيقدم لك ما تملأ به جوفك؟

43 ـ إذن، كلاّ يا عبد، أنا لن أقوم بثورة

ـ (لا تقم بثورة يا سيِّدي، لا تقم بثورة)[١].

44 الرجل الذي يقوم بثورة،

إما أن يُقتل أو يتم سلخه

45 وإمّا أن تقتلع عيناه أو يتمّ توقيفه ويرمى في السجن!»

المقطع السابع

46 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!

ـ نعم سيِّدي، نعم!

47 ـ أريد الوقوع في حبِّ امرأة

---

(١) هذا السطر تم نسيانه من قبل الناسخ.

ـ أحِبّ يا سيِّدي، أحِبّ!

48 فالرجل الذي يحب امرأة
ينسى القلق والهموم.

49 ـ إذن، كلا يا عبد،
أنا لن أحبّ امرأة!

50 ـ لا تحبّ يا سيِّدي، لا تحبّ!

51 المرأة بئر، نعم بئر،
هي صهريج، هي حفرة،

52 المرأة خنجر حادّ
يقطع رقبة الرجل.

المقطع الثامن

53 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!
ـ نعم سيِّدي، نعم!

54 ـ أسرع، اذهب وأحضر لي ماءً
لغسل يديّ،

55 أريد تقديم قربان لإلٓهي
ـ قدِّم يا سيِّدي، قدِّم!

56 الرجل الذي يقدِّم قرباناً لإلٓهه
يرتاح قلبه.

57 ويضمن لنفسه أجراً فوق أجر!

58 ـ إذن، كلا يا عبد،
أنا لن أقدم قرباناً لإلٓهي!

59 ـ لا تقدم قرباناً يا سيدي، لا تقدم!

60 لأنك بذلك سوف تُعَوِّد[١] إلٓهك

---

(١) حرفياً: تعلم إلٓهك والإلٓه المقصود هنا هو الإلٓه الشخصي.

على اللحاق بك أنى ذهبت. مثل كلب،
61 ليسألك قائلاً «أقم طقوسي»، أو
«لِمَ لَمْ تستشر إلَهتك؟»
أو يسألك أيَّ شيءٍ آخر

المقطع التاسع

62 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!
- نعم سيّدي، نعم!
63 - أريد استثمار[(١)] أموالي!
- استثمر أموالك سيدي، [استثمر أموالك!]
64 الرجل الذي يستثمر ماله، يحافظ على ماله[(٢)]
ويضاعف فوائده!
65 - إذن، كلاّ لن أستثمر أموالي!
66 - لا تستثمر أموالك سيّدي، لا تستثمر أموالك!
67 توظيف المال ممتع مثل حبّ امرأه
ولكن استعادته هي بصعوبة الولادة![(٣)]
68 سوف يُلتهم مالك،
ودون أن يُكفّ عن لعنِك،
69 سوف تفقد كذلك فائدة مالك!

المقطع العاشر

70 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!
- نعم سيدي، نعم!

---

(١) حرفياً: أريد تسليف أموالي كدائن.
(٢) التعبير المستعمل هو «حبُه» وكذلك فيما بعد ضمن المقطع ذاته. ومن المفيد الإشارة إلى أن اللغة الفرنسية الدارجة تستعمل اليوم تعبير «قمحه» عوضاً عن ماله.
(٣) ورد أيضاً كمثلٍ أكادي مستقل في (النص ١٠١).

71 ـ أريد تنفيذ عملٍ مفيد لبلدي!

ـ إفعل ذلك سيّدي، [إفعل ذلك!]

72 الرجل الذي ينجز عملاً مفيداً[1] لبلده

73 تسجّل أعماله الحسنة في «سجل»[2] مردوك

74 ـ إذن، كلا يا عبد،

أنا لن أنجز عملاً مفيداً لبلدي!

75 ـ لا تنجز ما يفيد بلدك سيّدي،

لا تنجز ما يفيد بلدك!

76 إصعد إلى تلال أنقاض الماضي المتراكمة،

وتجوّل فيها؛

77 تأمّل فيها الجماجم المختَلِطة

للفقراء والأعيان:

78 أيهم عمل خيراً وأيهم عمل شرّاً»![3]

المقطع الحادي عشر

79 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!

ـ نعم سيّدي، نعم!

80 ـ ما هو إذن العمل المناسب؟

هل هو كسرُ رقبتي ورقبتك

81 أم الارتماء في النهر؟

هل هذا ما هو مناسب؟

82 ـ من له إذن ما يكفي من العلوّ

لكي يبلغ السماء؟

---

(١) نسخة بابلية ثانية تحمل تعبير: «أريد أن أوزع بسخاء هبات غذائية في بلدي».

(٢) تعبير تقريبي أشار إليه عالم الأكاديات بمعنى سجل مكافآت الإله مردوك.

(٣) ورد بشكل مستقل في الأمثال الأكادية (النص ١٠١).

83 ومن له في الاتساع ما يكفي

لكي يحتوي الأرض كلّها؟

84 إذن، كلا يا عبد!

أريد قتلك وجعلك تذهب قبلي!

85 ـ نعم سيدي، لكنَّك

لنْ تعيشَ بعدي، ثلاثة أيام!»

(١٠٠) ـ الحكم والأمثال السومرية

١ ـ أقدم ما نشر عن الحكم والأمثال السومرية، كان في عام ١٩٣٠ وتضمن أمثالاً تم كشفها في مدينة نفّر، تعود إلى القرن الثامن عشر لما قبل الميلاد.

وبدءًا من عام ١٩٣٧ بدأ الاهتمام بالتفتيش عما يمكن تتبّعه حول هذا الموضوع بين مقتنيات متحفي فيلادلفيا واستنبول، وأمكن التوصل إلى أكثر من ١٢ مجموعة مختلفة، بعضها كان يحتوي على عشرات الأمثال وبعضها الآخر على عدَّة مئات. وتمّ نشر مجموعتين شملتا حوالى ٣٠٠ مثلاً.

٢ ـ وقبل أن نقدم أمثلة عن هذا النوع من الإنتاج الفكري السومري يمكننا القول بأن الحكم والأمثال السومرية، لها أكثر من أي إنتاج آخر، الطابع الإنساني المنفتح، الذي يتعدى حدود منطقةٍ ما أو حضارة شعبٍ ما، لأنه يمثل كل إنسان في كل مكان ولا يفقد من «نكهته» ومن حيويَّته، أو دقّة ملاحظته في حكْمِهِ على المجتمع وعلى تصرّفات الناس في مختلف المجالات.

٣ ـ وفيما يلي بعض الأمثال السومرية التي نثبتها تحت عناوين قصيرة تقدّم لها.

* الرّجل الفاشل يقول

«وُلِدْتُ في يومٍ مشؤوم».

* لكل شيء سببه

هل نرزق الأولاد بدون مضاجعة؟

وهل نسمن دون أن نأكل؟

* الرجل الذي يجلب الشؤم

إنْ وضعوك في الماء، تُفْسدْه!
وإن دخلت بستاناً، أتلفت ثماره!

* بين التبذير والاقتصاد

نحن محكومون بالموت، فلنبذِّر
علينا أن نعيش طويلاً، فلنوفّر.

* عجز الإنسان

الشعير الأولّي سيكون وافراً؟ - أنّى لنا أن نعلم؟
الشعير الآخري سيكون وافراً؟ - أنّى لنا أن نعلم؟

* تعاسة الفقير

موت الفقير أفضل له
إنْ كان لديه خبز فليس لديه ملح،
وإنْ كان لديه ملح فلا خُبز لديه،
وإنْ كان لديه لحم فليس لديه خردل،
وإنْ كان لديه خردل فلا لحم لديه!

* الفقراء الصابرون

الفقراء، هم الذين يلوذون بالصمت في سومر.

* الفقير واستحالة التوفير

يقضم الفقير ماله
ثمّ يستدين ليغرقَ في الهمّ.

* الفقير والإباء

ليست جميع البيوت الفقيرة

متساوية في الخضوع.

* همّ من يملك[1]

الرجل الذي يملك كثيراً من المال
هو سعيد بدون شك،
والرجل الذي يملك كثيراً من الشعير
هو سعيد بدون شك،
ولكن الذي لا يملك شيئاً
يستطيع النوم.

* الإمكانيات المبدّدة

أنا حصانُ سباقٍ أصيل
ولكنني كُدْنَتُ مع بغل
كي أجرّ عَربة،
وأنقلَ رزم القصب والقش.

* المظهر الخارجي

يتودّد الجميع للرجل الحسن الهندام.

* الخادم المتعلم[2]

هذا الخادم تعلّم حقاً السومرية.

* الكاتب الماهر

الكاتب الذي تتحرك يده بالسرعة
التي يملي فيها عليه الفم
هو كاتب جدير بهذا الاسم.

---

(١) «من يضاعف ممتلكاته، يضاعف همومه» (تلمود).
(٢) قد يكون هذا الخادم من المتعلمين الذين سبق أن أرهقته الديون وفقد كل شيء فعمل خادماً لدفع ديونه؟

* الكاتب الجاهل

كاتب لا يتقن السومرية!
أي كاتب هو إذن؟!

حول الزواج والمرأة[1]

* العريس المنتظر لم يأتِ

أمِنْ أجل الرجل المستقر،
أم الذي ليس إلاّ وهماً
سأحفظ حبّي؟

* سجن الحياة الزوجية

من لم يقم بتأمين معيشة زوجة وولد
لم يحمل قطّ الحلَقَةَ في أنفه[2]

* الزوج الشاكي

زوجتي في المعبد
وأمّي على ضفاف النهر
وأنا هنا أتضوّر جوعاً!

* المرأة المسرفة

المرأة المسرفة في البيت
تضيف المرض إلى الهموم.

* التفكير بعد الزواج

من أجل اللّذة: الزواج
ولدى التفكير: الطلاق

---

(١) يتضح من الأمثال المرتبطة بهذا العنوان أن نظرة السومريين إلى المرأة والزواج لم تكن إيجابية.
(٢) إشارة إلى عادة جر سجناء الحرب أو الحيوانات المدجنة بزمام في الأنف.

* زواج غير موفق

قلب مبتهج: الزوجة
قلب منقبض: الزوج

* قيد الزواج

رجل لا يحتمل الزوجة ولا الطفل
لم يحمل قط القيد في أنفه(١)

* الأبناء وإرادة الإلّه

الحصول على الزوجات (أمر) يعود للرجل نفسه
ولكن أن يُرزَقَ الرجل أبناءً (فأمر)
يعود للإلّه وحده.

* الزاني والزانية

قضيب الزاني يناسب فرج الزانية.

* الحَمْل

جميلٌ التوالد، ولكن الحَمْل عذاب.

* احترام الأم

اعتبر كلمة أُمّك، كما تعتبر كلمة ربّك!

السومريون والمشروبات (الكحولية)

* بعد اللّذة

بعد لذّة الشراب، استرخاء ما بعد السفر(٢).

---

(١) ورد آنفاً مع اختلاف في الصيغة.
(٢) المثل السومري يعتمد على تقارب كلمتي شراب = كاش (Kash) وسفر = كاشكال (Kashkal).

* الشراب والبهجة

من لا يعرف الشراب، لا يعرف ما هو جيد
الشراب يملأ البيت بهجة[1].

* الكنّة وليست الحماة هي المُنْتَقَدَةُ في سومر

القربة في الصحراء هي حياة الرجل
والصَنْدل بؤبؤ عينه،
الزوجة مستقبل الرجل
والابن ملاذه،
والابنة سلامته
أما الكنة فهي جحيمه.

موضوعات مختلفة

* السومريون والصداقة

الصداقة تدوم يوماً
والقرابة تبقى دوماً.

* الكلب في سومر لم يكن محبوباً

الثور يقوم بالحراثة
والكلب يتلف الأثلام العميقة.
إنّه كلب لا يعرف بيته.
كلب الحدّاد، لم يستطع قَلْبْ السندان
وعوضاً عنه، قلب وعاء الماء.

* سمعة النوتي

النوتي رجل شجار.

---

(١) الخبز والشراب كانا في أساس تحضير أنكيدو في ملحمة جلجامش.

*** من باع جلد الدبّ قبل اصطياده كما عبرت عنه سومر**

لم يقبض على الثعلب بعد
مع ذلك، أَعَدَّ له قفصاً.

*** ما يقابل «نفد من الزير وقع في البير» بالعامية**

هربت من الثور الوحشي
فوجدت نفسي أمام البقرة الوحشية.

*** ما كل تعاونٍ يَبْني**

يدٌ ويد وبيت رجل يُبنى
معدة ومعدة وبيت رجل يهدم.

*** المفارقات**

يبني مثل سيّد ويعيش مثل عبد
يبني مثل عبد ويعيش مثل سيّد.

*** التسلح يبعد العدوّ**

البلاد ذات التسلح الضعيف
لن تطرد العدوّ عن أبوابها.

*** عدم جدوى الحرب**

أنت تسير وتحتل بلد العدو
ويأتي العدو فيحتل بلدك.

*** لم يتبدل الرأي بالنسبة لجابي الضرائب.**

قد تكون تحت إمرة سيّد
أو تكون خاضعاً لسلطة ملك
ولكن الرجل الواجب خشيته
هو جابي الضرائب.

* الفتى الغرّ

إمدح الفتى الغرّ، يعطيك كل ما تطلب.

* النفايات تكفي لمن لا عِزَّة له

إرم نفاياتك لجرو
يُحرّك ذيله من أجلك.

* أنتَ والشجار

حيث يقع شجار، تحاش
أن يظهر الغضب على وجهك.
عندما يأكل الغضب أحداً مثل النار
تأكد أن باستطاعتك إطفاء لهبها.
إن قال لك أحد ما هو غير حُبّيّ
فلا تقل له ما يماثل قوله
لأنّ ذلك له عواقب لا تحمد.

* صراحة القول

عندما تصدر حكماً، لا ترافقه بأيّة رقابة.

* حكم وأمثال مزدوجة اللغة(١)

من يضاجع(٢) امرأة متزوجة، ذنبه كبير.
من يوجّه إلى أهله(٣) كلمات غير مناسبة،
من يسلّم ضعيفاً لقوي،
من يظلم تابعاً له...
هؤلاء يستحقون اللّوم.

---

(١) سُجلت باللغتين السومرية والأكادية. نثبت الصيغة السومرية ونشير في الهوامش إلى التعابير المختلفة التي تبنّتها الصيغة الأكادية.
(٢) من يجبّل.
(٣) إلى إخوته.

(١٠١) ـ حكم وأمثال أكادية

*** محاولات الجائع**

الرجل الجائع ينقّب حتى في جدارٍ مبنيٍ بالآجرّ.

*** لا مجال لإرضاء المسرف**

هل تقدّم كتلةً وحلٍ لمن يرمي
(مبدِّداً) الأشياء من حوله؟

*** المرأة المرتكبة أمام القاضي**

أمام بوّابة بيت القاضي
فم المرأة المرتكبة
أقوى من فم زوجها.

*** مثل تضمّنته رسالة ملكية**

كتب (شمشي ـ أدد) ملك آشور إلى ابنه (يسمح ـ أدد) طالباً منه ألاّ ينغمس في المؤامرات السياسية وتثبيتاً لرأيه ذكّره بالمثل القائل:

الكلبة التي سافدها أكثر من كلب واحد
تلد جِراءً عُرْجاً.

* التقرّب من الآلهة

تقديم القرابين يطيل الحياة
وبالصلاة تُغفر الذنوب.

* إرضاء الإلّه الشخصي مثل إرضاء البشر؟

إذا قدّمت قرابينك فإلّهك يكون لك
وإذا لم تقدّم قرابينك فلا يكون إلّهك لك.

* الإيمان

الإيمان هو أن تثق بإلّهتك
وتترك للأمور مجراها[١].

* حكمة ساخرة

عندما يشبّ أصيل ويسافد بغلة
وبينما هو راكبها يوشوش في أذنها:
المهر الذي ستلدينه
ليكن متفوقاً في جريه مثلي
لا تلديه حماراً عليه حمل السلال[٢].

* بين عصفور وفيل

حطّ عصفور صغير على فيل (معلناً)
قل أخي، هل أنا أثقِلُ عليك؟
سوف أنزل عند منهل الماء.
فأجاب الفيل العصفور الصغير
لم أكن أعلم أنك على ظهري
وأيّاً كنت. ففي كل الأحوال

---

(١) حرفياً: وتترك ذرورك يجفّ(؟).
(٢) وجه الفكاهة هو أن البغلة عاقر، لا تلد.

لن أشعر عندما ستغادر[1]

* الرجل الحرّ والعبد

الرجل ظلّ الإلّه. والعبد ظلّ الرجل الحرّ.

* أنت والعبادة

عليك أن تسجد في الصباح
ووجهك يلمس التراب
وأن تبتهل إلى الآلهة
ذلك يُشعِرُ المرءَ بازدياد قواه
التُقى يجلب النعمة
والقرابين تجعل حياتك نجاحاً
وتكسر الصلاة قيود الخطيئة.

* أمثال مختلفة من مكتبة آشور بانيبال

ـ الخادم يصبح سيّداً في مدينة أجنبيّة.
ـ من يموت جوعاً، لا يشبعه
صندوق فضّة أو ذهب.
ـ لِيبذرِ سيّئ، حَصادٌ سيّئ.
ـ قوّة الرجل الثمل
تضاهي قوّة دودة أرضيّة.
ـ استوليت على حقل عدوّك
والآن يأتي عدوّك،
ويستولي على حقلك.
ـ كيف يسمنُ من لا يأكل؟
ـ الصديق الحقيقي يتذكّر من ينساه.
ـ إخشَ إلّهك ومجّد ملكك.

---

(١) ومثل هذه النكتة تروى حتى اليوم عن فأر تملكته الشهوة، فلم يجد أمامه سوى فيلة، فسألها وهو يسافدها، إذا ما كان يؤلمها كي يعتذر.

ـ لا ترتكبْ جرماً،
فلا تفترسك خشية (إلّهك).

* الاستدانة سهلة ولكن...

سهلة هي الاستدانة كما هو سهل العمل الجنسي
ولكن إيفاء الدين يضاهي بصعوبته
انتظار مولود.

* المساواة أمام الموت

عد إلى خرائب الماضي وانظر إلى ما حولك،
ترى جماجم المتواضعين وجماجم العظماء
أيّ منها كان لرجل شرير
وأيّ منها كان لرجل خيِّر؟[1].

* العناق الخانق

حادثة لم تقع منذ أقدم الأزمنة
امرأة صبية تفقد أنفاسها
بينما يعانقها زوجها.

* لكل شيء سببه

لا تأكل دهناً، فلا تجد في برازك دماً.

* العروس وحماتها

أيّتها الفتاة، كما تُعاملين حماتك
كذلك (في المستقبل) تعاملك النساء.

---

(١) هذه الحكمة وردت أيضاً من ضمن نص «بين السيد وعبده» (النص رقم ٩٩ من هذا الكتاب).

* البداية تتحكم بالنتيجة

إذا كانت عصارة الجعة مخلّلة
فكيف يمكن للجعة أن تكون حلوة؟

* الحكمة اليائسة

الآلهة وحدهم خالدون أبداً
تحت الشمس الإلّهية،
أما البشر، فأيامهم معدودة
وليست أعمالهم إلاّ هباءً.

(١٠٢) ـ حكيم ينصح تلميذه

تمّ التعرّف بين النصوص الأكادية على مجموعة كبيرة من التوجيهات الأخلاقية والتربوية والنصائح، وما يمكن تسميته بالأمثال والحكم الشعبية ومجموعة من الحكايات ذات المغزى التوجيهي أو التوصيات الأبوية.

وفيما يلي نص يعود إلى الثلث الأخير من الألف الثاني، يتضمن نصائح حكيم لتلميذه أو أب لابنه. وكانت للنص شهرته، حتى أنه تمّ ترديد مضمونه خلال فترة الحكم السرجونيّة الآشورية أي بعد حوالى أربعمائة سنة[١]

[. . . . .][٢]

لا تهمل بيتك وامرأتك

17 [الذي] لا يستقر في مكانه ولا يراقب بيته

[فامرأته(؟)] تصبح تجاهه شيطاناً حقيقياً.

حسن المعاشرة

[من يعاشر الأشرار (؟)] يُنظر إليه بازدراء

20 وتسوء سمعته [في أفواه] ذويه.

---

(١) العناوين المشيرة إلى تبدّل موضوعات الفقرات هي من وضع المترجم وليست من صلب النص، فاقتضى التنويه.

(٢) نقص ١٦ سطراً في بداية النص الفرنسي المعتمد وترجمة بريتشارد الإنكليزية تبدأ بالسطر ٢١.

لا تقرر أمراً بالاشتراك مع صانع المشكلات[١]

لا تستشر فاقد الهمّة ولا الكسلان:

لأنّه على الرغم من صدق عزيمتك، ستألف عقليتهما،

فيتقلَّصُ إنتاجك وتتحوّل عن طريقك

٢٥ وينحرف تفكيرك، مهما كنت متواضعاً وحكيماً!

التعامل مع الغير

عليك مراقبة ما يقوله فمك والسهر على مضمون خطابك،

ـ ففي ذلك مقدرة الرجل[٢] وليكن قولك ذا قيمةٍ أكيدة،

وليكن التجديف والنميمة مكروهَينْ لديك،

لا تتلفّظ بسخريات ولا بآراء غير صادقة:

30 لأنّه بازدراء ينظر إلى صانع المشكلات!

لا تتّخذ من المحكمة مقراً لك.

حيث تقع مشاجرة، لا تمهل خطاك:

بحضور المشاجرة سيتقرر دورك،

فأنت الذي ستمثل أمام المحكمة، لتشهد،

وسيُؤتى بك لتأكيد شيء

في قضيةٍ ليست قضيتك.

35 وسيؤتى بك لتأكيد شيءٍ، في قضيّةٍ ليست قضيتك.

أمام مشاجرة، عليك بالابتعاد وعدم الاهتمام!

إذا كانت المشاجرة تتعلق بك، أطفىء

نارها قبل أن تتفاقم

---

(١) في نص بريتشارد: «ناقل الأخبار».

(٢) في نص بريتشارد: «اعتذار الرجل».

لأن المشاجرة حفرة مغطّاة[1]

إنها جدار [ثقيل] (ينهار) ويقبر أعداءه

40 إنّها[2] تذكّر بما تمّ نسيانه. بصدد هذا

الرجل ويُجابه به!

لا تعامل بسوء من يسعى لمخاصمتك.

بادلْ بعمل الخير، من أساء إليك.

إبق عادلاً تجاه من عاملك بشر،

ولتكن روحك هادئة تجاه عدوك!

[. . . . .][3]

56 [لا تنتهر] قليل العقل، بل أشفق عليه

لا تزدرِ الذين هم عرضة لتجربة،

لا تتوجه إليهم بغطرسة:

لأنه من أجل ذلك يهجرك إلّهك الشخصي

الذي يحميك

60 وهذا أيضاً مكروه لدى شمش ويعاقب عليه.

أعطِ خبزاً لطالبه وجعة جيدة للشرب،

قدّم ما يطلب منك، أطعم وأكرم:

من أجل ذلك، فالإلّه الشخصي لكل واحد

يبتهج لصنيعه،

وهذا (أيضاً) ما يعجب شمش الذي يجزيه خيراً.

65 قم بأعمال إعانةٍ وقدّم الخدمات كل يوم!

---

(١) هنا تم تبنّي نص بريتشارد الإنكليزي لأن النص الفرنسي المعتمد تبنى معنى «صهريج جفّ ماؤه».

(٢) أي المشاجرة أو النزاع.

(٣) نقص عدة أسطر، يستأنف النص الفرنسي عند السطر ٥٦ ونص بريتشارد الإنكليزي عند السطر ٦١.

التعامل مع الخدم

لا تجعلْ أَمَةً تسيطر في بيتك،
وكأنها زوجة حقيقية، لكي لا تتحكّم بمضجعك.
إذا [ما تركتَ العنان] للخادمات الفتيات
فلن تستطيع (بعد ذلك) إدارة نفسك
وإذا ما صعدت إحداهن إلى [سطح بيتك]
فلن تغادره (بعد ذلك)!
70 وعلى أفواه ذويك، سوف يقال
[عنك] بكل تأكيد:
«البيت الذي تحكمه أَمَةٌ لا بدّ منهار!»

الزواج

لا تتزوّج بغياً، أزواجها لا عدّ لهم،
ولا ابنة لعشتار[١] نذرت إلى الآلهة (جسدها)،
ولا غانية[٢]، عديدة علاقاتها[٣]
75 لأنها لن تكون سنداً لك إذا ما ألّمت
بك المصائب،
وتهزأ منك إذا ما تعرّضت لمشاجرة.
فالاحترام والطاعة ليسا من خصائصها.
ولئن كانت لها سلطة مطلقة على بيتك
فاطردها منه!
لأن أفكارها سوف تتجه نحو قدوم الغرباء[٤]

---

(١) حرفياً «عشتارتو» أي مكرّسة لعشتار وللبغاء المقدس.
(٢) حرفياً «كولماشيتو».
(٣) أي علاقاتها الجنسية.
(٤) هذا السطر يؤديه النص الإنكليزي كما يلي: «لأن أذنها سوف تصغي لوقع أقدام رجل آخر».

80 سطر بديل[1]: لأن البيت الذي تدخله سوف ينهار،
والرَّجل الذي يتزوجها، لن يعرف الاستقرار.

الأمانة

يا بنيّ! إذا ما كانت إرادة الأمير، أن تكون
تحت تصرّفه،
وإذا ما علّقت في عنقك ختمه الأكثر حفظاً،
افتح غرفة كنوزه وادخل إليها
وبما أنّه لا أحد غيرك له الحق بذلك،
85 سوف تكتشف فيها ثروات لا توصف،
ولكن لا ترفع نظرك إلى أيّ شيء من هذا
ويجب ألاّ تشوّقك الرغبة على ارتكاب اختلاس،
لأنّه فيما بعد يمكن للأمر أن يتمّ تفحّصه
ويُكتشف الاختلاس الذي ارتكبت.
90 وعندما يعلم الأمير ذلك [فسوف يشتد غضبه]،
ومن وجه مبتسم [يتحوّل إلى وجه مُهَدِّد].
وأنت سوف تثقل كاهلك قضية خطيرة جداً[2]!

الابتعاد عن النميمة وأقوال السوء

[........][3]
127 لا تلجأ إلى النميمة وتلفّظ بالكلمات الطيّبة
لا تعقد حديث سوء ولتكن الطيبة في جميع كلماتك
فمن يستغيب ويردد كلمات السوء

---

(١) هذه الملاحظة أوردها الناسخ الذي كان على ما يظهر، يعتمد على نسختين من النص نفسه.
(٢) هذا السطر لم يرد في الترجمة الإنكليزية.
(٣) نقص في النصّ حتى السطر ١٢٧.

130 ينتظر دون جدوى مكافأة شمش.
لا تترك العنان لفمك، وراقب ما تقوله شفتاك،
لا تصرّح بأفكارك الصميميّة، حتّى لو كنت منفرداً
لأن ما قُلتَهُ في الكراهية، قد تندم عليه فيما بعد![١]
لِذا مرّنْ ذهنك على مراقبة خطابك!

أَنْتَ والإلّه

135 مُجِّد إلّهَك كل يوم:
قدِّم القرابين والأدعية وما يلزم لإرضائه
خصّ إلّهَك بالتقدمات الصادقة
ففي ذلك ما يلائم الألوهية.
الصلوات والابتهالات والعبادة،
140 إذا ما قدَّمتها له يومياً، تعود عليك
بأجرٍ عظيم،
وإلى أقصى حدٍّ تسير مع إلّهك في الطريق القويم!
مما تعلَّمته، انظر ما هو (مكتوب) على اللوحة:
«احترام الآلهة يحقق رضاهم[٢]،
والتقدمة تطيل الحياة.
145 وبالإضافة إلى ذلك، فالصلاة تبدد الذنب[٣]
من يجلّ الآلهة، لن يقع في شباك [الموت(؟)][٤]
ومن يكرّم الأنونَاكي[٥] يطيل [هكذا] أيامه.

(١) استعير هذا السطر عن النص الإنكليزي.
(٢) هذه الفقرة وكذلك السطر ١٤٧ عرفا من ضمن نص آخر.
(٣) عن النص الإنكليزي - ورد في النص الفرنسي: «تحل عقدة العقاب».
(٤) هذا المعنى غير أكيد.
(٥) (Annunaki) مجموع - الآلهة.

كسب الثقة والمحافظة عليها

أمام شريك أو رفيق، لا تقل [. . .]

لا تتلفَّظ بأقوالٍ منحطّة [ولتكن كلماتك] طيّبة.

150 إذا ما وَعَدْتَ [نفِّذ ما وعدتَ به]

إذا ما حصلت على الثقة، [ثابر على استحقاقها(؟)]

تجاه شركائك [نفِّذ] ما يرغبونه [منك]

إذا ما كسبت ثقةَ رفيقٍ لك [إبقَ أميناً تجاهه(؟)]!

مما تعلَّمته، [انظر ما هو مكتوب على اللوحة]

[. . . . .][1]

الوفاء بالوعد

163 [ليس من المحبّب] طلب الثقة وعدم المحافظة عليها.

[الوعد] الذي لا يتمّ وفاؤه (عمل)

مكروه لدى مردوك[2]

[ولدى إيشمي] ـ كرب[3]، ابن انليل ـ باندا[4]

[ولكن من هو مخلص] لإيا[5]، ويبتهل إليه

يتحقَّق غِناه!

---

(١) عدة أسطر مشوهة يتوقف عندها النص الإنكليزي (بريتشارد) ولكن النص الفرنسي يتابع من السطر ١٦٣.

(٢) (Marduk) إلّه بابل وبطل التكوين والخلق.

(٣) (Eshme-Karb).

(٤) (Enlil-Banda).

(٥) (Ea) = الإلّه أنكي السومري: إلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع.

(٣ ـ ٣) ـ أحيقار حكيم
بلاط نينوى

١ ـ الفترة التاريخية

عاش أحيقار[١] الحكيم، في نينوى في بداية القرن السابع لما قبل الميلاد إبان حكم الملك الأشوري سنحريب (٧٠٤ ـ ٦٨١) ق.م. كما عاصَرَ إبنه أسرحدّون (٦٨٠ ـ ٦٦٩) ق.م.

وكان أحيقار كاتباً شهيراً وحكيماً آرامي الأصل، شغل منصب وزير مالٍ في بلاط نينوى، وقد أشير في لائحةٍ تأريخية لآشور اكتُشِفت في الستّينات، أنه: «خلال حكم أسرحدّون، فالحكيم كان (آبا ـ نينّو ـ داري)[٢] الذي يسمّيه الآراميون أحيقار».

٢ ـ شهرته

عرف أحيقار بحكمته وبقصّة حياته التي رواها بنفسه، إذْ فَقَدَ حظْوته ظلماً وخيانة، بعد أن كان في أوج عزّه في البلاط الملكي.

وقد تداولت حكمته وقصّة حياته منطقة الشرق الأوسط بكاملها وتعدَّت سمعته تلك المنطقة، إذْ ترجمت سيرته وحِكَمه، إلى لغات عديدة واستمر تداولها شفهياً وكتابةً

---

(١) (Ahiqar) ويقدّم قاموس التوراة لهذا الاسم معنى: أخي ـ قار أي أخي عزيز علي. وعربياً يمكننا إرجاع «قار» إلى العين القريرة أو القارّة وما قُرّت به العين أي استقرت وارتاحت وفي قولهم أيضاً: لو رآك لقرّت عيناه أي لُسرّ بذلك وفَرِحَ.

(٢) (Aba-Ninnou-Dari).

حتى أزمنة متأخرة.

تأثرت بحكمته التوراة اليهودية[1] وروت قصّته نُسخ عديدة، ونسّاخون ذوو اتجاهات مختلفة، كانوا لا يتراجعون عن الإضافة والتعديل لما يناسب معتقداتهم.

أمّا اللغات التي عرفت بها قصة أحيقار وحكمته فهي الآرامية والعبرية واليونانية والسريانية والعربية والأرمنية والرومانية والسلافية.

وعلى هذا الأساس، فقد وصلنا كتاب «قصة أحيقار وحكمته» مع التعديلات التي أشرنا إليها والتي لا تخفى على القارىء حين يضع نفسه في فترة الحكم الآشوري في نينوى. ومع ذلك، فقد بقي النص محافظاً على قوّته بالنسبة للرسالة التي يحملها.

٣ ـ تعرف اليونان على أحيقار

في القرن الخامس قبل الميلاد، عندما زار الفيلسوف اليوناني ديموقريط[2] مدينة بابل، اكتشف حكم وأمثال أحيقار وترجمها لكي يتعرف عليها اليونانيون. أما ما عرف بحكايات أحيقار الرمزية أي التي تعبِّر عن الأفكار بواسطة الحيوانات، فقد استخدمت كأساس لحكايات إيزوب[3] وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما بعد. وباعتقادنا، ليست «كليلة ودمنة» إلا العودة لما ابتدعته منطقة ما بين النهرين منذ العصر السومري مروراً بأحيقار الآرامي ولقمان العربي وبَيْدَبا الهندي إلى ابن المقفَّع. ويحاول الملحق (رقم ١) تقديم تفاصيل إضافية بهذا الشأن.

٤ ـ يهود الجنوب المصري وأحيقار

في القرن الخامس قبل الميلاد أيضاً كان بعض اليهود القاطنين في إليفانتين[4] من مصر العليا، ينسخون باللغة الآرامية قصة أحيقار على أوراق البَرْديّ، وقد وصلنا بعضها.

---

(١) المقصود هنا هو سفر طوبيا التوراتي وسيشار إلى تفصيل ذلك فيما بعد في الفقرة الخامسة من هذا التقديم.

(٢) (Démocrite) فيلسوف يوناني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد وقد تبنى، في مجال فلسفة الأخلاق، التفتيش عن السعادة عن طريق الاعتدال وتمالك الرغبات.

(٣) (Esope) وسنعود إليه في الفقرة السادسة.

(٤) (Elephantine) وهي التسمية اليونانية لإقليم أسوان الحالي.

٥ ـ تأثّر التوراة بحكم أحيقار وقصة حياته

كان ذلك خلال القرنين الثالث والثاني لما قبل الميلاد حين تمّ تأليف سفر طوبيا بالاعتماد على أصلٍ آرامي، مع الإشارة إلى أن التوراة اليهودية لم تتبنَّ رسمياً سفر طوبيّا بينما تبنّاه العهد القديم للكنيسة الكاثوليكية، ومع الإشارة أيضاً إلى أنّ اليهود يقرأون برغبة هذا السفر كنتاجٍ أدبي نسبوه لأنفسهم.

جعلت قصة طوبيا التوراتية من أحيقار ابن أخت لوالد طوبيا الشاب أي «طوبيات». فأحيقار كان هنا إبن الأخت الذي وصل إلى مركز كبير في بلاط نينوى وتوسَّط لخاله طوبيات ليعود من منفاه في بلاد عيلام إلى حيث هرب خوفاً من العقاب. ويشتمل سفر طوبيا على أخطاء تاريخية وجغرافية عديدة مما يدلّ على الاصطناع في تأليفه. ولم يكن تبنّي اسم أحيقار، إلاّ لإضفاء أهمّية إضافية على هذا السفر والاستيلاء لصالح مؤلّفيه على شخصية شهيرة شعروا بضرورة التقرب منها أو امتلاكها، كما حدث ذلك بالنسبة لشخصيات أخرى لا نستبعد أن يكون إبراهيم أو يوسف من أشهر المرغوب بالانتساب إليهم للتشرّف بهم.

٦ ـ أحيقار وإيزوب

في القرن الثالث عشر الميلادي، نشر كاهنٌ يونانيٌّ عاش في القسطنطينية، وهو ماكسيم بلانود[١]، حياة إيزوب وحكاياته وحكمه. وقد تُرجم هذا الكتاب مراراً فيما بعد واستفاد منه بشكل خاص شاعر الحكايات الفرنسي لافونتين[٢]. وتجدر الإشارة هنا، إلى أنّ إيزوب اليوناني عاش بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد[٣] ويُقال عنه بأنه كان عبداً وحرّر، ثم حُكم عليه بالموت من قبل أهل مدينة ديلف[٤]. وهو شخصية شبه أسطورية تمثّله التقاليد كرجلٍ بشع المظهر أحدب الظهر فأفاء في نطقه.

ويقال اليوم إن الكتاب المنسوب إلى إيزوب، هو من تأليف الكاهن بلانود نفسه

---

(١) (Maxime Planude).

(٢) (Jean de la Fontaine) (١٦٢١ ـ ١٦٩٥).

(٣) (٦٢٠ ـ ٥٦٠) ق.م. ويلي هذا التاريخ مباشرةً الفترة التي عاش خلالها أحيقار في بلاط نينوى. كما يلتقي وصف إيزوب مع ما قيل في وصف لقمان الحكيم وسنعود إلى تفصيل ذلك في الفقرة السابعة.

(٤) (Delphes): مدينة أبولّو في بلاد اليونان.

بالاعتماد على أصول قديمة.

وليس من المستبعد أن تكون الحكايات التي نُسبت إلى إيزوب اليوناني لها أساسها عند أحيقار الآرامي[١]. ولا غرابة في ذلك، فالسومريون كانوا أول من استخدم الحيوانات كأبطال لحكايات تُعلِّم وتنتقد، وردَّدوا على لسان الحيوانات، الأمثال والحكم. وقد أمكن حتى عام ١٩٧٥، جمع وترجمة ٢٩٥ مثلاً وحكايةً كان فيها لأربعة وستين حيواناً مختلفاً أدوارها: فالكلب شغل ٨٣ حكاية ومثَلاً، وهو يحتل مرتبة الصدارة، يليه الثور ثم الحمار ويأتي بعد ذلك الثعلب والخنزير ويحتل الخروف المرتبة السادسة يتبعه الأسد والثور الوحشي والعنزة ثم الذئب... ولا بدّ من دراسة مفصَّلة نتركها لباحثينا، تربط بين حكايات وأمثال سومر الحيوانية وأحيقار وإيزوب وكليلة ودمنة[١].

وللتدليل على أهمية مثل هذا البحث نقدم فيما يلي بعض الأمثلة السومرية:

* هكذا تكلَّمت الكلبة ـ الأم مفتخرة: «أن يكون لي
جراء ذوي وبر أبرش أو أرقط فأنا
أحبّ صغاري».

* تسعة ذئاب وذئب عاشر استولوا على
عشرة خرفان... والذئب العاشر الذي كان شرهاً
... قال: أنا أقوم بالقسمة، فأنتم تسعة
وسيكون لكم خروف واحد وأنا واحد
وسيكون لي تسعة خرفان![٢].

* «مشى الثعلب على حافر ثور وحشي،
فقال له: هل أوجعتك؟»

* طلب الثعلب من الإلّه إنليل أن يمنحه
قرني ثور وحشي، فلبّى إنليل دعاءه.
ولكن الريح نفخت وتساقطت الأمطار
ولم يتمكَّن الثعلب من دخول وكره[...]

---

(١) انظر في الملحق (رقم ١) كيف تلتقي حكايات إيزوب وبيدبا مع حكايات لقمان الحكيم.
(٢) وهكذا يعتبر القسمة متساوية في (٩ و١) و(١ و٩).

* الحمار يأكل قش فراش نومه.
* في مدينة إريدو عمَّ الغنى كل شيء،
ولكن قرد مسرح[1] الحيوانات الكبير
يجلس على كومة النفايات (ليأكل).
* القرد نفسه يوجِّه رسالة لوالدته طالباً
معونتها، وهذا هو نص الرسالة:
«إلى أمي لوساسا.
هكذا يتكلَّم السيد قرد:
أور هي مدينة خلاَّبة للإلّه نانّا
واريدو هي المدينة الزاهرة للإلّه
أنكي، ولكنني أنا هنا، جالس خلف
أبواب المسرح الكبير[1]؛ وعليّ
أكل النفايات وأرجو ألاّ أقضي بسبب
ذلك. أنا أجهل حتى طعم الخبز
وأجهل طعم الجعة. وجّهي إليّ
بسرعة إرسالية خاصة...
هذا أمر عاجل.»

نكتفي بهذه الأمثلة القصيرة عن دور الحيوانات، منذ العهد السومري في ترديد الحكم والأمثال وسرد الحكايات ذات المغزى، وسوف نستكملها في الملحق المشار إليه أدناه. ونأمل من الباحث العربي أن يتعمَّق في علاقة حيوانات الحكايات في سومر وآكاد مع ما عُرف عن أحيقار الآرامي وإيزوب اليوناني والتعمُّق في هوية لقمان العربي ونشير في الملحق (رقم ١) من هذا الكتاب إلى حكايات لقمان التي اعتمدت الحيوانات أبطالاً لها.

---

(١) يستدل من هذا النص أن مدينة إريدو كانت تحوي مسرحاً كبيراً للحيوانات المدرّبة وهو «السيرك» في مدننا الحالية.

٧ ـ لقمان الحكيم وأحيقار

عن لقمان (باب لقم)، نقرأ في لسان العرب:

«فأما لقمان الذي أثنى عليه الله تعالى في كتابه العزيز، فقيل في التفسير، إنه كان نبياً وقيل كان حكيماً لقول الله تعالى: «ولقد آتينا لقمان الحكمة». وقيل: كان رجلاً صالحاً. وقيل كان خياطاً وقيل كان راعياً. وروي في التفسير، أن إنساناً وقف عليه وهو في مجلسه فقال: «ألست الذي كنتَ ترعى معي في مكان كذا وكذا؟ قال: بلى. قال: فما بلغ بك ما أرى؟. قال: صدق الحديث وأداء الأمانة والصمت عما لا يعنيني».

وقيل أيضاً عن لقمان: كان حبشياً، غليظ المشافر، مشقَّق الرجلين، ويذكِّر هذا الوصف ببشاعة إيزوب كما أشارت إليها الفقرة السادسة أعلاه. ويضيف واصفُ لقمان قائلاً: وليس يضيره ذلك عند الله عزّ وجلّ لأن الله شرَّفه بالحكمة[1].

وعن «لُقَيْم» ورد في لسان العرب ما يلي:

اسم يجوز أن يكون تصغيراً للقمان على تصغير الترخيم. وقال ابن بري: لُقَيْم اسم رجل. قال الشاعر:

لقيم بن لقمان من أختِه

وكان ابن أختٍ[2] له وابنما.

يعتقد علماء العرب أن لقمان الحكيم هو أحيقار. والرواية العربية أعلاه تؤكِّد مجالس الحكمة التي كان يعقدها على ما يظهر. ويساعد أيضاً على هذا الاعتقاد علاقته بابن أخت له كان له بمثابة ابنه.

---

(١) ورد اسم لقمان صراحة في سورة لقمان من القرآن الكريم، الآيتان (١١ و١٢)، كما اشتملت الآيات (١٥ ـ ١٨) على مواعظ لقمان لابنه.

(٢) يلتقي دور ابن الأخت هذا مع نادان ابن أخت أحيقار الذي تبناه كولدٍ له وأدخله بلاط نينوى. وكان له دور رئيسي في تشويه سمعة أحيقار لدى الملك.

٨ ـ مترجم فرنسي يدخل قصة أحيقار في ألف ليلة وليلة

أحد المستشرقين الفرنسيين، في بداية القرن التاسع عشر، وهو كوسّان دي پيرسوڤال[١] ترجم عن اللغة العربية قصة أحيقار وأدخلها في ترجمة له لألف ليلة وليلة، تحت عنوان: «قصة سنحريب ووزيريه». والوزيران المقصودان هما أحيقار وابن أخته. ومن المعروف أن هذا المستشرق تلقّى في عام ١٨٢٠ كهدية نسخة باللغة العربية تضمّنت حكايات لقمان (انظر الملحق رقم ١).

٩ ـ أحيقار والنسخة السريانية المعتمدة هنا

قصة أحيقار التي نثبتها هنا، تمّت ترجمتها لأول مرّة إلى الفرنسية في عام ١٩٠٩. وقد أعيد نشرها في عام ١٩٨٦، وهي النسخة التي نعتمدها هنا والمأخوذة عن نصّ سرياني محفوظ في متحف برلين[٢]، وهي النسخة الأكثر قرباً لمؤلف أحيقار الأصلي وهي الوحيدة التي نقلت مباشرة عن نصّ أصلي آرامي أو عن ترجمته إلى العبرية وهي على ما يظهر الأساس للترجمات الأخرى النسطورية والأرمنية والعربية والرومانية، والتي لا تخلو جميعها، كما أسلفنا، من تدخّلات النسّاخ. إضافة إذن إلى النسخة الآرامية التي وصلنا جزء منها من صعيد مصر[٣] والتي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، فإن النسخة السريانية المعتمدة هي التي تركها لنا جاك من إيديسّا[٤] وهي مدينة أورفا الحالية الواقعة على الفرات الأعلى، وكانت مركزاً مسيحياً نامياً منذ القرن الثاني للميلاد. وجاك من إيديسّا الذي توفي في بلاد الكلدان عام ٧٠٨ ميلادية نقلها، كما تشير إلى ذلك مقدمته، عن مار أفرام القديم[٥].

(١) (Caussin de Perceval).

(٢) وهي محفوظة تحت إشارة: (ساشو ٣١٥ و٣٣٦) Sachau.

(٣) أي أيلفنتين (Elephantine) قرب أسوان.

(٤) (Edesse).

(٥) (Saint Ephrem) القديس أفرام حوالى (٣٠٦ ـ ٣٧٨) ميلادية.

(١٠٣) ـ حكمة أحيقار الآرامي
وقصة حياته

١ ـ يبدأ النص بمقدمة قصيرة، ينتقل بعدها إلى سرد قصّة أحيقار كما يرويها بنفسه، ضمن خمسة وثلاثين فصلاً تتخلّلها مرحلتان من عرض محتوى حكمة أحيقار. تشكل الدفعة الأولى من الحِكم الفصل الثالث وتحتوي على خمسة وتسعين حِكمة يتلوها أحيقار ناصحاً ابن أخته الذي تبنّاه وأدخله قصر ملك آشور ليخلفه فيما بعد. وهذه المجموعة الأولى من حِكم أحيقار هي لبناء شخصية ابن أخته وترسيخ قواعد الأخلاق الحميدة وحسن التصرّف لديه.

٢ ـ يتابع أحيقار بعد ذلك سرد قصّة خيانته من قبل ربيبه، مما أدّى إلى اتّهامه بالخيانة من قبل الملك والحكم عليه بالإعدام. إلاّ أنّ جلاّد المملكة الذي يؤمن ببراءة أحيقار لا ينفّذ فيه حكم الإعدام مما يضطرّه إلى الاختفاء فترة، ثم العودة إلى الظهور في الوقت المناسب لإنقاذ موقف المملكة المهدّدة من قبل فرعون مصر، ومن ثمّ عودته المظفّرة من مصر ومعاقبته ابن أخته الخائن، متابعاً قبل ذلك، من ضمن الفصل ٣٣ سرد حِكَمه من الحِكمة ٩٦ إلى الحِكمة ١٤٢، مبيّناً لابن أخته سوء تصرُّفه. وهذه المجموعة الثانية من الحِكَم تحذّر من أعمال السوء. والفصلان ٣٤ و٣٥ ينهيان بعد ذلك نص عرض حياة أحيقار بموجب النصّ السرياني المعتمد.

٣ ـ أما الحِكَم التي وردت في نسخ بلغات أخرى والتي لم تدخل في عرض الحِكَم السابقة فقد استكملت كما يلي:

الحِكَم والأمثال الإضافية:

من الرقم ـ إلى الرقم

(I) ـ باللغة اليونانية (١٤٣ ـ ١٥٧)

(II) ـ باللغة الأرمنية (١٥٨ ـ ٢٠٩)

(III) ـ باللغة السلافية (٢١٠ ـ ٢٦١)

(IV) ـ باللغة الرومانية (٢٦٢ ـ ٢٨٥)

المقدّمة

باسم الإلّه الحيّ، بدأ الخادم الخاطىء[١]، بكتابة قصة من نينوى عن: أحيقار الآشوري[٢]. ـ كتبها جاك من إيديسّا[٣] باللغة السريانية بالاعتماد على رواية مار أفرام القديم[٤] ـ وقد مات الكاتب جاك في بلاد الكلدان في عام ١٢٥٢ لليونان[٥].

---

(١) يذكّر هذا التعبير بالصفة المستعملة من قبل كتبة وعلماء الكنيسة الأولى في توقيع: كتبه العبد الفقير....

(٢) الأشوري بالنسبة لعمله في بلاط نينوى وتستعمل أيضاً صفته الآرامية.

(٣) (Edesse) ورد التعريف في الفقرة ٩ من تقديم النص في (٣ ـ ٣).

(٤) (Saint Ephrem) ورد الشرح أعلاه.

(٥) هذا التاريخ يوافق عام ٩٤١ ميلادية وهو خطأ ارتكبه الناسخ. والمعروف أن جاك من إيديسا مات في عام ٧٠٨ ميلادية.

(I) ـــ أحيقار يفتقر إلى ذريَّة

١ ـ قال أحيقار: عندما كنت أعيش في فترة حكم سنحريب[١] ملك نينوى، عندما كنت أنا أحيقار خازناً وكاتباً، وكنت شاباً، قال لي العرّافون والمجوسيّون والحكماء: «لن يكون لك ولد».

٢ ـ حصلتُ على ثروة كبيرة، وكنت مغموراً بكل الكماليّات. تزوَّجت ستين امرأة وبَنَيْتُ لهنَّ ستين قصراً وبيوتاً عديدة، وبلغتُ من العمر ستين عاماً ولم يكن لي ولد بعد.

٣ ـ بينما كنت، أنا أحيقار، أقوم بتقديم الأضاحي والهدايا للآلهة، كنت أحرق لهم البخور والطيوب قائلاً لهم: «أيها الآلهة، إمنحوني إبناً تقرّ به عيني حتى يوم وفاتي لكي يخلفني، ويغلق عينيّ ويدفنني.

وبدءاً من يوم وفاتي وحتى يوم وفاته، لو أنه أخذ كل يومٍ حفنةً[٢] من مالي وبدّدها دون توقُّف، فإن ممتلكاتي لن تنفد».

عندما لم تقدّم له الأصنام[٣] أية إجابة لطلبه، تركها وقلبه مملوء حزناً وبه ألم كبير.

٤ ـ عند ذلك بدَّل خِطابه وتوجَّه مُصلِّياً إلى الله[٣] وآمن به. ومن صميم قلبه، وجَّه إليه الرجاء قائلاً: «يا إلّه السماء والأرض، خالق جميع الكائنات، أطلب منك أن تهبني

---

(١) حكم خلال (٧٠٤ ـ ٦٨١) ق.م.

(٢) حرفياً: مِكيالاً.

(٣) تتضّح من هذه الفقرة ومن الفقرة التالية إحدى إضافات ناسخ يتعدى محتوى النص الأصلي، وفي نسخٍ أخرى نجد أحيقار موحِّداً منذ البداية.

إبناً تقرّ به عيني. يواسيني ساعة موتي ويغلق عينيّ ويدفنني.

٥ ـ وجاءه هاتف يقول له:

«بما أنّك توجّهت إلى الآلهة وعقدت عليهم أَمَلَكَ مقدِّماً لهم الهدايا، سوف تموت دون بنين وبنات. إلاّ أنّني أقول لك، هذا هو نادان[1] ابن أختك، فاتّخذه ابناً لك، وعلّمه وسوف يكون وريثاً لك».

(II) ـــ أحيقار يتبنّى نادان ويختاره ليكون خلفاً له

١ ـ أخذت عندئذٍ نادان ابن أختي، ربّيته ووجّهته بعد أن سلّمته إلى ثماني مرضعات لتغذيته. أغدقت عليه الزيت والعسل وكسوته بالألبسة الأرجوانية والقرمزية، جعلتُه ينام على فُرُشٍ ليّنة وعلى سجّاد.

٢ ـ ابن أختي نادان، أفاد من كل ذلك ونَما وكأنّه أرزة نبيلة. علّمته الكتابة والحكمة والفلسفة.

٣ ـ وعندما عاد الملك سارحيدوم[2] من أعياده وأسفاره، ناداني في أحد الأيّام، أنا أحيقار كاتبه ومستشاره، وقال لي: أيها الصديق الشهير، أيها العزيز الكريم والحكيم والحاذق، يا وزيري وكاتم أسراري، لقد تقدّم بك السنّ وشِخت وصار موتك قريباً. قل لي، من سيقوم بخدمتي بعد موتك ودفنك؟

٤ ـ قلت له: «يا سيّدي الملك، فلتعش دوماً في أجيال الأجيال! لديَّ ابن أختي وهو بمثابة ابن لي، وقد علّمته كل حكمتي، وهو عاقل ونبيه».

فأمرني سيّدي قائلاً لي: «إذهب وآتني به كي أراه، وإذا ما أعجبني فسيكون في

---

(١) (Nadan) الأصل الأكادي هو نادانو بمعنى الذي هو عطية أي (عطية الله).

(٢) (Sarhedom) أي أسرحدون (٦٨٠ ـ ٦٦٩) ق.م. الذي خلف أباه سنحريب وسوف نستعمل تسمية أسرحدون فيما بعد.

خدمتي ويمكث في حضرتي. أمّا أنت فأكمل طريقك، وقد يريحك من عملك ويحيط بالتكريم والتبجيل شيخوختك.

٥ ـ عند ذلك، أنا أحيقار، أخذت نادان ابن أختي، وأتيت به أمام الملك أسرحدون وجعلته بين يديه. وعندما رآه الملك أعجبه وفرح به وقال لي: «فليحفظ الله ابنك! فكما خدمتني وخدمتَ أبي سنحريب، وكما قمتَ بإدارة أمورنا على أتمّ شكل، هكذا سيفعل نادان ابن أختك: سوف يكون بخدمتي ويدير أموري وسوف أكرّمه وأرفع من شأنه بسببك أنت، وسوف أعتني به».

٦ ـ انحنيت عند ذلك أمام الملك وقلت له: «فلتعش دوماً يا سيّدي الملك! أطلب منك أن تعتني به وأن تساعده. فليبق في بيتك وبخدمتك، مثل ما خدمتك أنا وخدمت والدك».

٧ ـ عندئذٍ، أمسك بيده، وأقسم أن يبقيه بقربه معزّزاً مكرّماً. فنهضت وقلت له: «فليكن كذلك أيها الملك!».

٨ ـ علّمت ابني نادان، ناقلاً إليه حكمتي وبسخاء زوّدته بالعلم والمعرفة إلى أن أصبح كاتباً مثلي. هكذا علّمته وخاطبته موجّهاً إياه أنا أحيقار الحكيم.

(III) ــــ حكمة أحيقار ومذاهبه وتعاليمه الموجّهة إلى نادان ابن أخته

١ ـ يا بنيّ نادان، استمع إلى كلماتي، واتّبع نصائحي وتذكّر خطابي، كما أمر الله بذلك.

٢ ـ نعم يا بنيّ نادان، إذا ما سمعتَ كلماتي، فاجعلها في قلبك ولا تبح بها للناس خشية أن يحرقَ لهيبُ نارٍ لسانَك وأن تسبّب ألماً لجسدك وسوءاً لذكائك، وخشية أن يعتريك الخجل أمام الله وأمام البشر.

٣ ـ أي بنيّ، إذا ما سمعت كلمةً فلا تكشفها لأحد ولا تقل شيئاً عما ترى.

٤ ـ أي بنيّ، لا تحلّ عقدةً خفيّة ولا تقم بختم عقدةٍ محلولة.

٥ ـ أي بنيّ وجّه مسلكك وكلماتك. استمع ولا تتسرّع في الإجابة.

٦ ـ يا بنيّ، لا ترغب بالجمال في الخارج، لأنَّ الجمال يمضي ويزول. لكن الذكرى الطيّبة والسمعة الطيّبة تبقيان إلى الأبد.

٧ ـ يا بنيّ، لا تتخذ لنفسك امرأة ذات كلمات شَكِسة، لأنَّ الندم يلي هذه الكلمات، ولأنَّ سمّاً قاتلاً تغلّفه شِباكها، وسوف تقع في فخّها.

٨ ـ يا بنيّ، إذا ما رأيت امرأة مزيّنة بحللٍ جميلة ومعطّرة بروائح طيّبة، ولكن داخلها[1] خسيس وشرس ووقح، على قلبك ألاّ يرغب بها. فحتى لو أنّك قدّمت لها كل ما لديك، سوف ترى أنَّ ذلك لن ينتهي لما يمجّدك، ولكنّك بذلك سوف تغيظ الله وتستنزل عليك غضبه.

٩ ـ يا بنيّ، لا ترتكب المعاصي مع امرأة غيرك خشية أن يرتكبها الآخرون مع امرأتك.

١٠ ـ يا بنيّ، لا تتعجّل في إجابتك وخطابك، مثل شجرة اللوز التي تورق وتخضوضر قبل جميع الأشجار ولا تعطي ثمارها إلاّ بعد جميع الأشجار. كن كالشجرة الجميلة والرائعة والحلوة الثمار وذات الطعم اللذيذ. كن مثل شجرة التين، التي تحني الثمار أغصانها، ثم تخضوضر وتنمو أوراقها فيما بعد، مع أن ثمارها تؤكل قبل أي ثمر آخر.

١١ ـ يا بنيّ، أحنِ رأسك، أمعنْ نظرك وانظرْ بتواضع وأعِرْ انتباهك. كن عالماً وخاضعاً ورضيّاً وهادئاً. لا تكن وقحاً ومشاكساً، ولا تجعل صوتك يرتفع بتبجّح وضجيج، لأنّه إذا ما كان الصوتُ المرتفع كافياً لإعمار بيتٍ، فالحمار يبني بيتين في يومٍ واحد، وإذا ما كانت القوة هي التي تجرّ المحراث، فالجمل يجرّه إذن بشكل أفضل.

١٢ ـ يا بنيّ، الأفضل لك نقل حجارة مع رجلٍ حكيم من شرب الخمر مع رجل أحمق.

١٣ ـ يا بنيّ، أسكب خمرَك واجعله يمتزج بتربة الرجل العادل[2].

---

(١) حرفياً: بيتها.

(٢) المقصود هو خمر التقدمة الذي يسكب على تربة الأموات.

١٤ ـ يا بنيّ، كن حكيماً وطيّباً، ولا تحتسِ خمرك مع النساء المشاكسات.

١٥ ـ لا تكن كافراً مع الحكيم، ولا تكن حكيماً مع الكافر.

١٦ ـ يا بنيّ، التحق بالحكماء وبالرجال الأتقياء، لكي تتشبّه بهم، ولا تشارك الشبان (الطائشين) لكي لا تشبههم وتتّبع طريقهم.

١٧ ـ يا بنيّ، إذا أحببت رفيقاً فامتحنه أولاً وبعد ذلك اتّخذه صديقاً لك. وطالما أنك لم تختبر هذا الرجل فلا تمدحه، بل اختبره وعاشره بعد ذلك.

١٨ ـ يا بنيّ، لا تمشِ مع من لا يتحلّ بالحكمة ولا تقل له شيئاً، ولا تختلط بمجموعة الشبان.

١٩ ـ يا بنيّ، إمشِ وأنت حافي القدمين، على الأشواك والعلّيق، وشقّ طريقاً لأبنائك ولأبناء أبنائك.

٢٠ ـ يا بنيّ، في كل مرّة تهبّ الريح ولا يكون البحر هائجاً، قُدْ سفينتك وقاربك إلى المرفأ، قبل أن يهتاج البحر، ويبدأ بالحركة، مضاعِفاً أمواجه وعواصفه ليغمر السفينة.

٢١ ـ خُذْ راحتك وأنت في طريقك وأثناء ترحالك، أي: في كل مرّة تكون فيها بصحّة جيّدة، فكّر بنهايتك، وتذكّر أن الموت يقف بينك وبين ممتلكاتك.

٢٢ ـ يا بنيّ، عندما يأكل الرجل الغني الحيّات[1]، يقال إنه يأكلها ليبرأ من مرضٍ وفي ذلك فائدة له. وإذا ما أكلها الفقير، يقال إنه فعل ذلك بسبب الجوع؛ لأنه وراء حَيّاتٍ كثيرة، نعتقد أننا نجد الرجل الصالح والعادل.

٢٣ ـ يا بنيّ، اكتفِ بأكل حصتك وحدها ولا تَشْتَهِ حصَّة جارك.

٢٤ ـ يا بني، لا تنسَ نفسَك (بصحبة) الأحمق ولا تُتاجر مع من ليس عفيفاً.

٢٥ ـ يا بنيّ، عندما تكون في غناك، تقدَّم ممن يكرهونك، راثياً لحالهم، إذا ما أصابهم السوء وأشفِقْ عليهم، ولا تبتهج عند انهيارهم.

٢٦ ـ يا بنيّ، لا تقترب من المرأة المشاكسة ذات اللهجة المتعجرفة، ولا تشتهِ جمال

(١) قد تكون عشبة، اسمها ناهاش (Nahash) وردت تسميتها في التلمود.

المرأة الثرثارة وغير الطاهرة. لأن جمال المرأة هوسبب خزيها. وليس سوى بريق ثوبها وجمالها الخارجي هو الذي يأسرك ويخدعك.

٢٧ ـ يا بنيّ، بما أن القرط لا يفيد شيئاً في أذن الحمار الوحشي، كذلك فإن المرأة التي هي سيّدة مظهرها، لا قيمة لها إذا كانت سيّئة في كلامها وفي أفعالها، وكانت دون حكمةٍ، ثرثارة ومسهبة الخطاب.

٢٨ ـ يا بنيّ، إذا أتى إليك خصمك ناوياً الشرّ، فامشِ نحوه بنيّة الخير وأحسن استقباله.

٢٩ ـ يا بنيّ، يسقط الكافر، أما الرجل العادل فلا يتزحزح من مكانه.

٣٠ ـ يا بنيّ، إذا مرض الحكيم، يمكن للطبيب الاعْتناء به وشفاؤه، ولكن ليس هناك علاج لآلام الأحمق وجروحه.

٣١ ـ يا بنيّ، أحسن استقبال من هو أدنى منك مرتبةً وأقل غنًى، وإذا ما ذهب دون أن يردّ لك ذلك، فالله هو الذي يرده لك.

٣٢ ـ يا بنيّ، لا تتوقّف عن معاقبة ولدك، لأن معاقبة الابن هي مثل السّماد في البستان، ومثل رباط كيس المال، ومثل عنان الدابة، وقضيب إزلاج الباب.

٣٣ ـ يا بنيّ انتزع ابنك من براثن الشرّ، لكي تضمن الطمأنينة في شيخوختك، علّمه وعاقبه طالما هو فتى، واجعله طيّعاً لأوامرك، حتّى لا يصيح، بعد فترة في وجهك ويثور عليك وحتى لا يكون سبباً لخجلك بين أقرانك، وألاّ يضطرك لإحناء رأسك في الأماكن العامة وعلى مفارق الطرق، وحتى لا تحمرّ خجلاً من سوء أعماله، وحتّى لا تحطّ من قدرك بسبب وقاحته وفساد أخلاقه.

٣٤ ـ يا بنيّ، اقتنِ ثوراً مجترّاً وحماراً قوي القوائم، لا تقتنِ ثوراً أقرن ولا تشارك رجلاً ملتحياً(؟)[1]

٣٥ ـ يا بنيّ، لا تمتلك عبداً مشاكساً ولا خادمة مختلسة لأنهما سوف يدّعيان فقدان كل ما يُعهد به إلى أيديهما.

٣٦ ـ يا بنيّ، أقوال الرجل الكذّاب والأحمق، تشبه سمنة العصافير التي تطير في

---

(١) في نسخة ثانية ورد تعبير «رجلاً سيئاً» وهو الأصح.

الهواء، لا يستمع إليها إلاّ عديم الذكاء.

٣٧ ـ يا بنيّ، لا تجبر أبناءك على تحمّل عيشة فقر، خشية لعنتهم لك، مما يجعل غضب الله ينصبّ عليهم، لأنّه كتب: «من لعن أباه وأمه، يقتل قتلاً»[(١)]، وهذا هو الذنب الذي يغضب الله ـ وكذلك: «من أكرم أباه وأمّه، تكون له حياة مديدة وممتلكات كبيرة»[(٢)(٣)].

٣٨ ـ يا بنيّ، لا تبدأ بسلوك طريقك دون سيف، واذكر الله في قلبك، لأنك لا تعلم متى يأتي الشياطين ورجال الشرّ لملاقاتك. كن مستعداً وأنت في طريقك، لأنه سيكون فيها كثير من الأعداء.

٣٩ ـ يا بنيّ، مثل شجرةٍ وافرةٍ ثمارها وأوراقها وفروعها، كذلك هو الرجل مع امرأةٍ ممتازة، وثماره هم أبناءٌ وإخوة. الرجل الذي لا زوجة ولا أولاد له، ولا إخوة في هذا العالم، سوف يزدريه ويحتقره أعداؤه ومثله مثل شجرةٍ قائمة على جانب الطريق: يطرقها المارة بأرجلهم ويأكلون من ثمارها ويجعل الحيوانُ الوحشيّ أوراقها تسقطُ وتتناثر.

٤٠ ـ يا بنيّ، لا تقلْ: «سيّدي مجنون وأنا عاقل»، بَلْ عليك أن تنظر إليه كرجلٍ ممتاز، حتى لو كانت فيه بعض العيوب، لأنك بذلك ستكون محبَّباً لديه. لا تعدّ نفسكَ من بين الحكماء إذا كنت تجاه الناس لا تنتمي إلى هذه المجموعة.

٤١ ـ يا بنيّ، إذا لم تصل حديثك أمام سيّدك بكلمات حماقة وجنون فلن تكون ملوماً في نظره.

٤٢ ـ يا بنيّ، لا تكن من بين الذين يقول لهم معلّمهم: «أغربْ عن وجهي»، بل من بين الذين يقول لهم: «تقدَّم وابق بقربي».

٤٣ ـ يا بنيّ، يوم يصيبك الحزن والسوء والألم، لا تختلف مع سيّدك ولا تلعنه، خشية أن يسمع كلماتك ويغضب عليك.

---

(١) «من شتم أباه وأمه يقتل قتلاً» (خروج ٢١: ١٧).

(٢) «أكرم أباك وأمك. كما أوصاك الرب إلّهك لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلّهك» (تثنية ٥: ١٦).

(٣) من المرجح أن الاستشهادين الأخيرين هما من إضافة أحد النساخ.

٤٤ ـ يا بنيّ، إذا كان لديك خدم، فلا تحبّ أحدهم وتكره الآخر، لأنك لا تعلم أيّاً منهم سوف تختار في النهاية.

٤٥ ـ يا بنيّ، الخادم الذي يترك بيت أسياده ويذهب إلى آخرين، لا يحسّن من أحواله.

٤٦ ـ يا بنيّ، العنزة التي تتجوّل مضاعفة خطوها تصبح ضحيّة الذئب.

٤٧ ـ يا بنيّ، أصدر حكماً مستقيماً وعادلاً، لكي تستحق شيخوختك وتراها كريمة، ولكي ترتاح في شيخوختك.

٤٨ ـ يا بنيّ، لطّف لسانك بواسطة كلمات الله، واجعل كلمات فمك طيّبة. توجّه إلى كل واحد بطيبة ولباقة، لأن ذيل الكلب هو الذي يكسبه خبزه ونباحه يجرّ عليه الضرب والرمي بالحجارة.

٤٩ ـ يا بنيّ، لا تسمح للغير بالسير على رجلك، خشية أن يسير على صدرك، وهذا يعني، لا تسمح لخصمك الشيطان أن يجعلك ترتكب ذنباً صغيراً، خشية أن يدفعك إلى ارتكاب ذنب كبير.

٥٠ ـ يا بنيّ، أضرب العاقل وسوف تكون كالحمّى في صدره، ولكن إن أنت وجهت إلى الأحمق عدة ضربات بعصاك، فلن يتعلّم ولن يفهم شيئاً مما هو خيّر.

٥١ ـ يا بنيّ، إذا ما أرسلت رجلاً حكيماً لإنجاز عملك، فلا تزوده بنصائح مستفيضة، أو بتعليمات، لأنه سيقوم بعملك وفق ما يشتهيه قلبك، ولكن إذا أرسلت الرجل الأحمق، فلا تتحدّث معه أمام أحد، وأفضل لك أن تذهب أنت عوضاً عنه وألاّ تكلّفه، لأنّه لن ينجز عملك وفق إرادتك مهما طالت النصائح التي تعطيها له.

٥٢ ـ يا بنيّ، إذا ما أُرسلت لاستقدام رجل غيرك، أقوى منك، فلا تجرح مشاعر الرجل المقتدر، خشية أن يقاوم ويسبّب لك أذىً دون أن تتوقع ذلك.

٥٣ ـ يا بنيّ، اختبرْ ابنك وخادمك بواسطة الخبز، أي بواسطة الأشياء الصغيرة أولاً، ثم بعد ذلك يمكنك أن تعهد إليه ما يخصك من الممتلكات.

٥٤ ـ يا بنيّ، غادر مسرعاً مائدة الأعراس والولائم، ولا تنتظر أن تمسح رأسك بالزيت والطيوب، خشية أن تجلب على رأسك الرضوض والندبات.

٥٥ ـ يا بنيّ، من كانت يده مليئة، يُعَدُّ حكيماً وكريماً، ولكن من كانت يده فارغة يُعَدُّ شريراً وفقيراً ومعوزاً ومحتاجاً ولا يكرّمه أحد.

٥٦ ـ يا بنيّ، ذقتُ الحَنْظَلَ وأكلت المرّ ولكنّني لم أَرَ ما هو أكثر مرارة من الفقر والفاقة.

٥٧ ـ يا بنيّ، كُبِّلت بالحديد والرصاص وما رأيت شيئاً يماثل العار والوشاية.

٥٨ ـ يا بنيّ، حملتُ الملحَ والأحجار الكبيرة وما أثقلت عليّ مثل ما أثقل الذي يضحك ولا يبالي وهو يعيش في بيت عمّه والد زوجته.

٥٩ ـ يا بنيّ، علِّم طفلك الجوع والعطش، لكي يدير بيته وفق ما رأى.

٦٠ ـ يا بنيّ، لا تعلِّم الأحمق كلمات الحكمة والمعرفة، لأن كلماتي هي بالنسبة إليهم، كالذي يدهن جسده بالقار ليزيده سمنةً.

٦١ ـ يا بنيّ، إذا ما أصبحت فقيراً ومعوزاً، فلا تبح بمشاكلك لصديقك خشية أن يتحوّل إلى بخيل.

٦٢ ـ يا بنيّ، أعمى العينين أفضل من أعمى القلب، لأنَّ أعمى النظر يتبع طريق الحياة بينما يسير أعمى القلب على طريق الهوّة.

٦٣ ـ يا بنيّ، إذا زلَّ قدمُ رَجلٍ وسقط فهذا أفضل من ذنب خطيئة اللسان؛ لأنّه إذا قضى بسبب سقوطه، فإنه يتخلّص من سهام الغواية، بينما يوقعه ذنب اللسان في التجربة[1].

٦٤ ـ يا بنيّ، الصديق القريب يفوق الأخ البعيد، والسمعة الطيّبة أفضل من غنى العالم، لأن الغنى يتبدّد ويتشتّت، بينما السمعة الطيّبة تبقى دائمة.

٦٥ ـ يا بنيّ، يَفْنَى الجمالُ ويفسدُ ويتلاشى، ويتوقّف الوجود، يمرّ ويمضي، بينما السمعة الطيّبة لا تزول ولا تتوقّف ولا تمضي.

٦٦ ـ يا بنيّ، من لا راحة له في حياته فموته أفضل له من الحياة.

٦٧ ـ يا بنيّ، صوت البكاء والنحيب يطغى على أصوات الفرح والأعياد، وإنَّ

(١) قد يكون القسم الأخير من إضافات النساخ.

صوت البكاء يجعل المرء يتعرَّف على ذنوبه ويكفِّر عنها.

٦٨ ـ يا بنيّ، كِسرة الخبز التي تقدِّمها بيدك إلى الفقير وأنت في عوزك تفوق مثقال (الفضة) الذي تعطيه وأنت في غناك. العنزة القريبة أفضل من الثور البعيد وعصفور تمسك به بيدك أفضل من مائة عصفور تطير في الهواء. إذا كنت محتاجاً وأبناؤك من حولك يكدِّسون (الغنى)، فهذا أفضل من أن تكون كثير الغنى وأبناؤك يبذِّرون. وثعلب حيّ، أفضل من أسدٍ ميت وهذا يعني: أن رجلاً ضعيفاً يقدِّم خدمةً هو أفضل من رجلٍ غنيٍّ، بخيل وسيّىء. وهذا الأخير يموت في الخطيئة.

٦٩ ـ يا بني، إنَّ وزنةً من الصوف أفضل من وزن مماثل لها من الذهب أو الفضة، لأنَّ الذهب والفضة يخبّآن ويسْترهما كيس لحفظهما، فلا يراهما أي غريب، بينما يتمّ عرض الصوف ويباع في الشوارع وفي الساحات العامة؛ كما يستعمل الصوف لصنع الألبسة وجميل هو منظره.

٧٠ ـ يا بنيّ، ادفن كلمتك واخفها في قلبك ولا تبح بسرِّ رفيقك، لأنَّك إذا ما بحت به، تدفع بصداقته بعيداً عنك.

٧١ ـ يا بنيّ، لا تتلفَّظ بكلماتٍ من شأنها أن تحزن قلبك فيما بعد. الأفضل لك أن يزلّ قدمك من أن يزلّ لسانك.

٧٢ ـ يا بنيّ، إذا سمعت كلمة سيِّد حكمة، استرها واخفها في قلبك، مادمت حيَّاً في هذا العالم، وطالما أنت تتأمّلها في قلبك، إحفظها لديك.

٧٣ ـ يا بنيّ، لا تتسرَّع في أحكامك ضد الرجال المشهورين، المتفوقين في عظمتهم وفي قدرتهم، لأنَّه من السخرية ومن كلمات الازدراء يأتي الغضب والشقاق. فكلمة الغضب تسبِّب إيقاظ الهياج، ومن الهياج يأتي الشقاق وبعد الشقاق تأتي الجريمة. إذا ما وجدت نفسك في مثل هذا المكان وبقيت فيه، فإمَّا أن تُقتل وإمَّا أن ينادى عليك كشاهد؛ إنَّهم سيطلبونك ويضطرونك للشهادة، وبعد ذلك فسوف تتألَّم. وبسبب الخجل أو الخوف فإنَّك سوف تقدِّم شهادة كاذبة وهذا ما يعيبك. لذلك فأنا آمرك، أن تسرع بالهرب من المكان حيث يقع شجار، فبذلك سوف ترتاح روحك.

٧٤ ـ يا بنيّ العزيز، لا تختلف مع من هو أكبر منك سناً، لأنَّه سيرضيك بحيث يكون الحِكْم إلى جانبك وتخرج منتصراً. لا تكن أحمق. أبْعِدْ الشجارَ وتغلَّب على الشرِّ بالعمل الخيِّر.

٧٥ ـ يا بنيّ، إجعل قلبك صافياً طاهراً وتَحلَّ بالإرادة وبالتفكير المنزّه وبوضوح الرؤية. تصرَّف بتواضع واتَّبع طريق الاستقامة؛ عند ذلك لن يكون هناك أحد في العالم أفضل منك وستكون لك حياة سعيدة.

٧٦ ـ يا بنيّ، لا تبتعد عن صديقك الأول، خشية ألاّ يكون هناك أحد للحلول محله.

٧٧ ـ يا بنيّ، لا تدخل بستان القضاة، إخْشَ المحاكم، ولا تتزوَّج من ابنة قاضٍ.

٧٨ ـ يا بنيّ، كن سنداً لصديقك وتلفَّظ من أجله بكلمات طيِّبة أمام الحاكم، وانتزع مواضع ضعفه من فم الأسد.

٧٩ ـ يا بنيّ، لا تبتهج عندما يموت عدوّك، يا بنيّ، عندما تشاهد رجلاً أكبر منك سناً، إنهض أمامه.

٨٠ ـ يا بنيّ، عندما يتمكَّن الرجل أن يقف دون إشغال المكان، ويطير العصفور بدون أجنحة، وعندما يصبح الغراب أبيض كالثلج ويصبح المرّ حلواً كالعسل، عند ذلك يمكن للأحمق أن يصبح حكيماً.

٨١ ـ يا بنيّ، إذا كنت كاهناً أمام الله، خذ حذرك منه واظهر أمامه في حالة الطهارة.

٨٢ ـ يا بنيّ، الرجل الذي غمره الله بنعمه، يجب أن يكون محترماً لديك.

٨٣ ـ لا تدخل في محاكمةٍ مع رجلٍ وهو في يوم عزّه، ولا تقاوم النهر حين يأتي الغمر.

٨٤ ـ يا بنيّ، عَينْ الرجل مثل سبيل ماء. إنَّها لا تشبعُ قبل أن تمتلىء بالغبار(؟)

٨٥ ـ يا بنيّ، لا تسكن بجوار أناس دأبهم الشجار.

٨٦ ـ يا بنيّ، بعد الممازحات تأتي المشاجرات ثم المعارك وأخيراً الجريمة.

٨٧ ـ يا بنيّ، إذا أردت أن تصبح حكيماً، أبعدِ الكذبَ عن فمك والسرقة عن يدك، وتصبح حكيماً.

٨٨ ـ يا بنيّ، لا تدخل في ترتيب خطبة امرأة، لأنَّها إذا ما عرفت الندم، سوف تلعنك وإذا ما عرفت السعادة فلن تتذكَّرك.

٨٩ ـ يا بنيّ، الذي يلمع بلباسه، يلمع أيضاً بحديثه، والذي يُزدرى بلباسه، هو كذلك في حديثه.

٩٠ ـ إذا ما عثرت على شيء أمام معبود، قدِّم له حصّته منه.

٩١ ـ يا بنيّ، عليك أن تمدّ اليد الجائعة التي كانت شبعانة وليس اليد التي كانت جائعة وهي شبعانة.

٩٢ ـ يا بنيّ، على عينيك ألاّ تنظر إلى المرأة الجميلة ولا إلى الجمال الذي ليس لك، لأن الكثيرين هلكوا بسبب جمال المرأة، كما أن حبَّها هو كنارٍ محرقة.

٩٣ ـ يا بنيّ، (أفضل لك) أن يوجّه إليك الحكيم عدة ضربات بعصاه من أن يمسحك الأحمق بالزيت المعطّر.

٩٤ ـ يا بنيّ، على رجلك ألاّ تركض دوماً نحو صديقك، خشية أن يشبع منك ويبدأ بكرهك.

٩٥ ـ يا بنيّ، لا تحمل خاتماً ذهبياً في يدك، إذا لم تكن كثير الغنى خشية أن تصبح سخرية أمام الحمقى.

(IV) ـ أحيقار يتوقف عن كلماته الحكيمة المعدّة لتعليم نادان كي يُطلع الملك بعد ذلك على ما فعله نادان ضد ممتلكاته وأمواله

١ ـ عند ذلك، أنا أحيقار، بعد أن قمت بتعليم نادان، ابن أختي هذا النهج؛ اعتقدت أنّه سوف يحتفظ به في قلبه، وسيبقى في البلاط الملكي[1]. ولم أكن أعلم أنّه لم يكن يستمع إلى كلماتي، بل كان ـ كما يقال ـ يرميها في الهواء.

٢ ـ فقد اعتاد على القول: «أحيقار أبي، شاخَ وفقد عقله». كما أنَّ نادان ابني،

(١) حرفياً أمام باب الملك.

خصّ نفسه بقطعاني وبدّد أموالي، ولم ينجُ من شرّه أخلص خدمي، الذين ضربهم أمامي، وكذلك دواب الجرّ خاصّتي وبغالي التي أماتها.

٣ ـ عندما رأيت ما كان يفعله نادان قلتُ له: «يا بنيّ لا تمسّ أملاكي لأنه قيل في الأمثال: ما لم تستحصل عليه اليد، لا تحترمه العين.

٤ ـ وأعلمت بكل ذلك سيّدي الملك الذي أمر (بما يلي): «لا أحد يقترب من أملاك أحيقار الكاتب، وكذلك، طالما بقي أحيقار على قيد الحياة، فلا يحقّ لأحدٍ الاقتراب من أملاكه ومن بيته».

(٧) ـــ وبسبب أخذ أحيقار أخَ نادان لتربيته:

١ ـعندما رأى نادان، أنني أخذت أخاه الصغير نابوزاردان[١] لأقوم بتربيته، جاء إليّ في بيتي وأظهر استياءه أمامي بسبب ذلك.

٢ ـ حَسَده نادان، وجالت في رأسه أفكار سيّئة، وكان يقول بسبب ذلك: «أحيقار أبي، شاخ وزالت حكمته وأصبحتْ كلماته ممقوتة، فهل سيمنح ممتلكاته إلى أخي ويطردني من بيته؟»

٣ ـ سمع أحيقار كلمات نادان، وعمد إلى التفكير، ثم أجاب نادان قائلاً: «اجعل الحكمة تتولّد فيك من جديد لأنها نقصت كثيراً لديك».

٤ ـ غضب ابني كثيراً بسبب هذه الكلمات، وفي قلبه أعدّ شرّاً ضدّي. فذهب إلى بلاط الملك لتنفيذ هذا الشر الذي كان في قلبه، جاعلاً كأنَّ أحيقار كان قد كتب ـ أو على الأقلّ أمر أن تكتب باسمه ـ رسائل سيّئة، وكأنَّ نادان اكتشفها لتوه في البلاط.

٥ ـ كان يتعلق الأمر برسالتين، كُتِبتا باسمي إلى الملوك أعداء سنحريب، إحداهما كانت موجّهة إلى ملك فارس وعيلام كتبها هكذا:

---

(١) (Nabouzardan) يشار في نسخة أخرى إلى معنى هذا الاسم: نابو ـ منح ـ عطية.

٦ ـ «من قبل أحيقار الكاتب، وحامل أختام الملك سنحريب تحيّة! عندما تصلك هذه الرسالة. اخرج لتوّك (بجيشك) وتقدّم من بلاد آشور وأنا أسلمك إياها. وتأخذ كل هذا البلد بدون حرب وبلا معركة».

٧ ـ كما أنّه وجّه باسمي أيضاً، رسالة ثانية إلى الفرعون، ملك مصر، كتبها على هذا الشكل:

٨ ـ «عندما تصلك هذه الرسالة، اخرج أمامي في سهل الجنوب في الخامس والعشرين من شهر آب[١] وأنا أقودك إلى نينوى، وتستولي على المملكة دون مقاومة.

٩ ـ وجعل هاتين الرسالتين مماثلتين للرسائل التي كنت أكتبها بيدي وختمها بخاتمي ورماهما في إحدى قاعات الملك.

(VI) ـ كما كتب نادان رسالة
موجهة من الملك إلى أبيه أحيقار

١ ـكتَبَ أيضاً رسالةً أخرى وكأنّها موجّهة من قبل سيّدي الملك: «من أسرحدّون إلى أحيقار كاتب الملك، تحيّة!

٢ ـ عندما تصلك هذه الرسالة، اجمع كامل الجيش في الجبل وتوجّه به إلى سهل النسور في الخامس والعشرين من شهر آب، وعندما تشاهدني أقتربُ منك، رتّب فرقك أمامي وكأنك تستعد للحرب، لأن رسل الفرعون ملك مصر أتوا إليّ وسوف يرونَ مقدار قوّتي.

٣ ـ أرسل لي نادان ابني، هذه الرسالة بواسطة رجلين.

---

(١) آب البابلي: يعادل تموز/آب.

(VII) ـ كيف سلّم نادان إلى الملك الرسالة التي كتبها باسم أحيقار

١ـ عند ذلك، أمسك ابني نادان إحدى الرسالتين وكأنّه اكتشفها لتوّه وقرأ محتواها أمام الملك.

٢ ـ غضب الملك كثيراً لدى سماعه محتواها وسخط على أحيقار قائلاً: «أيها الإلّه! ما الذنب الذي ارتكبتُهُ ضدّك وضد أحيقار لكي يعاملني على هذا الشكل؟».

(VIII) ـ جواب نادان إلى الملك بصدد أحيقار

١ ـ عند ذلك أجاب نادان قائلاً للملك: «لا تحزن يا سيدي الملك، دعنا نذهب إلى سهل النسور كما هو مكتوب في هذه الرسالة وسوف نعرف عندئذٍ الحقيقة وكل ما تأمر به سينفّذ.

٢ ـ أمر الملك بالاستعداد للذهاب إلى السهل، لكي يطّلع على حقيقة هذه القضيّة. ورافق ابني نادان الملك، وأتيا فوجداني مع الجيش الذي كان يرافقني في سهل النسور.

٣ ـ وعندما رأيت الملك يتّجهُ نحوي، جعلت ترتيب الجيش مواجهة له في وضعية المعركة وكأنّه في حالة الحرب وذلك وفقاً لما حدّدته لي الرسالة التي كان قد وجّهها إليَّ ابني.

٤ ـ وقال ابني للملك: «عد مطمئناً إلى قصرك يا سيدي، وأنا سوف أجلب أبي أحيقار ليمثل أمامك» وغادر الملك متوجّهاً إلى قصره.

(IX) ـ كيف أنجز نادان مهمّته

ضدّ أحيقار أبيه

١ ـعند ذلك، اقترب منّي نادان ابني وباشر بالكلام قائلاً: الملك أرسلني إليك لأقول لك: كل ما عملته، أجدت عمله، والملك يمدحك كثيراً. والآن اصرف جنودك، وليذهب كل منهم إلى مقرّه، أما أنت فتعال بقربي وحدك.

٢ ـ عند ذلك أتيت أمام الملك، وعندما رآني قال لي: «لقد قدمت إليّ يا كاتبي أحيقار وكنت الأب المغذّي لآشور ونينوى. وأنا منحتك التكريم والراحة ولكنك تخلّيت عنّي وأصبحت أحد أعدائي. ثمّ سلّمني الرسالة التي كانت مكتوبة باستعمال اسمي والتي كانت مختومة بختمي.

٣ ـ وقال لي الملك: «إقرأ هذه الرسالة». وبعد أن قرأتها، اهتزّت أطرافي ورفض لساني أن يسعفني، كنت أفتش عن كلماتٍ حكيمة، ولكنني لم أجد أيّاً منها.

٤ ـ ثم باشر نادان ابني كلامه قائلاً: «انسحب من حضرة الملك أيها العجوز الأحمق ومدّ يديك للحبال ورجليك للحديد».

٥ ـ عند ذلك أدار الملك أسرحدّون وجهه عنّي وتكلّم مع نابوسيماك[1] الجلاّد الذي كان صديقي قائلاً له: «اذهب واقتل أحيقار، واجعل رأسه على مائة ذراعٍ من جسده». انبطحت عند ذلك ووجهي يلامس الأرض ولاءً للملك وقلت:

٦ ـ سيّدي الملك، عش إلى الأبد! تريد إذن قتلي، فلتكن إرادتك. ولكنني أعلمُ أنني لم أرتكب ذنباً ضدّك. وأرجو منك يا سيّدي الملك إصدار أوامرك، أن أقتل أمام باب بيتي وليُعطَ جسدي كي يدفن. فأمر الملك بذلك.

---

(١) (Nabusemak) يعني بالعبرية البابلية (نابو ـ سَنَد) وقد يكون تحريفاً لاسم (نابو ـ شوم ـ أوكين) بمعنى (نابو ـ نصّبَ ـ إبناً).

(X) ـ أحيقار يبلغ الحكم عليه بالإعدام إلى زوجته إيسفاجني[1]

١ ـ أنا أحيقار، أرسلت من يقول لزوجتي: «أعدّي للقائي ألف صبيَّةٍ مرتديات الكتان الناعم والأرجوان والزعفران ليرقصن أمامي ويندبنني حتى موتي.

٢ ـ أعدّي الخبز للجلاد نابو سيماك صديقي وللپارتيين[2] المرافقين له. أَخْرجي للقائهم وأدخليهم بيتي بحيث أتمكّن من دخوله وكأنّني غريب».

(XI) ـ كيف خرجت إيسفاجني زوجة أحيقار أمامه

١ ـعندما تلقّت زوجتي الرسل الذين وجّهتهم إليها، تصرّفت بحكمةٍ فائقة ونفّذت كل ما طلبتُه منها.

٢ ـ خرجت أمام نابو سيماك والپارتيين وأدخلتهم إلى بيتها.

٣ ـ كما قدّمت إيسفاچني خبزاً إلى نابوسيماك وإلى الپارتيين وسكبت لهم الخمرة. واستمرت إيسفاچني على جعلهم يحتسونها حتّى أصبح الجميع ثملين وغلبهم النوم.

٤ ـ وعندما ثمل الپارتيون من جرّاء تأثير الخمرة، غرقوا في سباتٍ عميق ونام كل واحد منهم في مكانه.

---

(١) (Esfagni) اسم بابلي تمّ تحريفه من قبل النساخ.

(٢) (Parthes) من الصعب تفسير مرافقة بارتيين للجلاد وهم سيتّيون (Scythes) تمركزوا في الألف الثالث ق.م. إلى الجنوب من بحر قزوين وهم الذين ثاروا فيما بعد على الحكم السلوقي في منطقتهم.

٥ ـ فحمدت الله، سيد السّماوات والأرض لكل ما حدث وقلت: «يا إلّهي، يا منقذ العالم، أنت الذي يعلم ما كان وما سيكون أنظر إليّ بعين الرحمة أمام نابوسيماك».

(XII) ـ أحيقار يطلب من نابوسيماك عدم إعدامه

١ ـعند ذلك، أنا أحيقار، ما أن شاهدت ذلك، حتى باشرت بالحديث وقلت لنابوسيماك.

٢ ـ إرفعْ نظرك نحو السماء يا نابوسيماك وانظر إلى الله. تذكَّر الخبز والملح اللذين أكلناهما معاً ولا تعزم على قتلي.

٣ ـ تذكّر أن والد سيّدي الملك كان قد دفعك إليّ أيضاً لكي ينفذ فيك حكم الإعدام ولم أقم بذلك لأنني عرفت بأنك لم تكن مذنباً. وأبقيت على حياتك حتى اليوم الذي طلبك فيه الملك، وعندما جلبتك أمامه منحني هدايا عديدة.

٤ ـ أما أنت، فأنقذني الآن، بحيث لا ينتشر الخبر، ليقال: «لم يُنَفَّذْ فيه حكم الإعدام» ـ لديّ في السجن رجل يستحق الموت. خذ ثيابي وألبسه إياها وأنا لن أموت لأنني لم أذنبْ.

٥ ـ عندما قلت ذلك، ملأ الحزن قلب الجلاّد نابوسيماك صديقي بصددي، فأخذ ثيابي وألبسها للعبد الذي كان في السجن، ثم أيقظ الپارتيين، الذين استفاقوا وهم تحت تأثير الخمرة وأعدموه وأبعدوا رأسه على مسافة مائة ذراع عن جسده وسلّموا جثته لكي تدفن.

٦ ـ عند ذلك انتشر الخبر في نينوى وفي بلاد آشور، بأن أحيقار تمّ إعدامه.

(XIII) ـ أحيقار الكاتب في مخبئه

١ ـعند ذلك، قام نابوسيماك مع زوجتي إيسفاچني، بإعداد مخبأٍ لي تحت سطح الأرض، عرضه ثلاثة أذرع وطوله أربعة وارتفاعه خمسة أذرع، وأعطاني خبزاً وماءً، ثم ذهب لإعلام سيّدي الملك، بأن أحيقار تمَّ إعدامه.

٢ ـ وقال الملك: «إن آلام أحيقار وَقَعَتْ عليّ أنا، أنتَ الكاتب والحكيم الذي كنت تدفع الأذى عن المدينة، جعلتُك تموت بناء على كلمات صبيّ».

(XIV) ـ كيف أصدر الملك أوامره إلى نادان لكي يقيم من أجلي احتفالاً جنائزياً وحداداً

١ ـ قام الملكُ عند ذلك، باستدعاء نادان ابني وقال له: «إذهب وأقم احتفالاً جنائزياً لأبيك».

٢ ـ عند ذلك، أتى نادان إبني إلى بيتي، ولم يقمْ احتفالاً جنائزياً ولم يقم لي أيّة ذكرى، ولكنّه جمع نساءً عاهرات وأجلسهنّ للأكل والشرب وسط الغناء والابتهاج.

٣ ـ قتل وجرّد وضرب خدمي وخادماتي، حتّى أنه لم يحترم زوجتي التي ربّته وطلبَ منها أن ترتكب معه أعمال زنىً وفسق.

(XV) ـ صلاة أحيقار في توجّهه إلى الله

١ ـ من داخل حفرتي المظلمة، كنت أسمع أصوات طباخيّ ومعلّمي صنع الحلوى وكذلك خبازيّ الذين كانوا ينوحون ويبكون.

٢ ـ وبدون توقف، كنت أوجّه صلاتي إلى الله الحي أبديّاً.

٣ ـ بعد عدة أيام، جاء نابوسيماك، فتح لي وأعطاني خبزاً وماءً. فقلت له: إذكرني أمام الله وبالنسبة لما شاهدت، قل له:

٤ ـ «أيها الإلّه، ياذا العدالة والطيبة. كما في السماء كذلك على الأرض، كان أحيقار بحمايتك حتى الآن، وكان يضحي أمامك الثيران السمان، وها هو اليوم يمكث في حفرة مظلمة، لا يدخلها النور. إسمع يا إلّهي صوت خادمك واشفق عليه».

(XVI) ـ رسالة فرعون الموجهة إلى أسرحدون ملك آشور ونينوى[1]

١ ـعندما علم ملك مصر بوفاتي، أنا أحيقار، فرح فرحاً عظيماً وبعث برسالة إلى أسرحدون:

٢ ـ «من ملك مصر، إلى أسرحدون ملك آشور ونينوى، تحية.

٣ ـ يجب أن أبني حصناً بين السماء والأرض. أوفد إليّ رجلاً حكيماً ومهندساً معمارياً لكي أكلّفه بكل شيء، ويكون قادراً على إجابتي حين أستجوبه.

٤ ـ إذا ما قام الرجل الذي ستوفده، بتنفيذ كل ما أطلب منه، فسوف آمر بالجباية، وأرسل لك بواسطته جزية مصر لثلاث سنوات. وإذا لم توفد إليّ رجلاً، يستطيع تنفيذ كل ما أطلب، فمع الرسول الذي حَمَلَ رسالتي، قم عند ذلك بالجباية، وأرسل لي جزية آشور ونينوى مُدّة ثلاث سنوات».

---

(١) سوف يرد أكثر من مرة فيما بعد تعبير: ملك آشور ونينوى، ويُقصد مدينتا آشور ونينوى تعبيراً عن مملكة بلاد آشور.

(XVII) ـ كيف جمع أسرحدون كبار مملكته وأعلمهم برسالة فرعون

١ ـحين قُرئت هذه الرسالة أمام الملك، جمع كبار مملكته والحكماء والمجوسيين والعلماء وقال لهم: «من منكم سيذهب إلى مصر ويجيب عن أسئلة فرعون؟».

٢ ـ أجاب النبلاء الملك وقالوا له جميعهم: «أنت تعلم يا سيّدي الملك. أنّه في زمنك وفي زمن أبيك، كان أحيقار الكاتب هو الذي يقدّم الأجوبة على أسئلةٍ من هذا النوع. والآن فإن ناداان ابنه الذي تعلّم منه مهنة الكتابة ولُقِّن الحكمة سوف يتوجه (إلى مصر) ويحلّ هذه القضية.

(XVIII) ـ استدعاء ناداان أمام الملك

١ ـعندما استمع ناداان إلى هذه الكلمات، رفع صوته عالياً أمام الملك وقال له: «الآلهة أنفسهم، لا يستطيعون تنفيذ ذلك، فكيف إذن لبشري أن ينجح».

٢ ـ تملّك الحزن والهمّ الملك، لدى سماعه هذه الكلمات، فغادر عرشه وجلس على كيسٍ وبكى.

٣ ـ وكان يردّد أثناء بكائه: «واحسرتي عليك يا أحيقار الكاتب الذي أعدمتك بناء على كلمة صبيّ، ولم يبق لي أحد يماثلك. من سيعيدك إليّ اليوم؟ من يفعل ذلك أعطيه وزنك ذهباً!».

(XIX) ـ كيف حاول نابوسيماك إعلام الملك بصدد أحيقار الكاتب

١ ـعندما سمع نابوسيماك الملك يتلفّظ بمثل هذه الكلمات سجد أمامه بإجلال وقال: «أيها الملك، عش إلى الأبد! من يزدري بكلمات سيّده يستحق الموت أصدر أمرك إذن بصلبي على الخشب[1] لأنني خالفت كلمتك، فأحيقار الذي طلبت مني قتله لا يزال حيّاً».

٢ ـ أجاب الملك نابوسيماك قائلاً: «تكلّم يا نابوسيماك، فأنت رجل طيّب وعادل وغير قادر على ارتكاب السوء؛ إذا كان حقاً ما تقول، وإذا ما أريتني أحيقار حيّاً، فأنا أعطيك هدايا عظيمة: عشرة آلاف مثقالٍ من الفضّة ومائة رداء أرجواني».

٣ ـ عندما سمع نابوسيماك الملك يتكلم هكذا بدأ بالقول: «أرجو سيدي أن يعدني بشيء واحدٍ وهو أنه سوف ينسى هذا الذنب ولن يحتفظ بسببه بغضبٍ ضدي»، فأقسم له الملك على ذلك بابتهاج.

(XX) ـ كيف حرّر نابوسيماك أحيقار الكاتب

١ ـ عند ذلك ركب نابوسيماك لتوّه عربة وانطلق بسرعة وكأنه ريح شديدة.

٢ ـ فتح لي وصعدت. لم أُخْذَلْ لأنني عقدت أملي على الله.

---

(١) من تعديلات أحد النساخ.

(XXI) ـ نابوسيماك يقود أحيقار أمام الملك

١ ـ سجدت على الأرض وكان شعري يغطّي كتفيَّ ولحيتي تصل إلى صدري. وكان جسدي متسخاً بالتراب وأظافري تعادل في طولها مخالب النسر.

٢ ـ عندما رآني الملك بكى كثيراً وقال لي: «يا أحيقار، أنا ما أسأت إليك وإنما الابن الذي ربَّيته، هو الذي أساء إليك».

(XXII) ـ جواب أحيقار إلى الملك

١ ـ عند ذلك قلت للملك: «سيّدي، الآن وبعد أن رأيت وجهك فلم أعد أتألم.

٢ ـ أجابني الملك عندئذٍ قائلاً: «إذهب إلى بيتك، قص شعرك واغسل بالماء جسدك ثم قم باستجماع أفكارك والتأمل لمدة أربعين يوماً وبعدها تأتي إليّ.

٣ ـ ذهبت إذن إلى بيتي وعملت ما أمرني به سيدي الملك وبقيت عشرين يوماً[١] في بيتي وبعد أن استعدت قواي[٢] عدت لأمتثل أمام الملك.

(XXIII) ـ عندما عاد أحيقار لجوار الملك بعد خروجه من مخبئه، أعلمه الملك بالرسالة الموجهة من قبل الفرعون ملك مصر

عند ذلك تابع الملك قائلاً لي: «أرأيت يا أحيقار، كيف كتب لي المصريون، وأيّة

(١) أربعون يوماً في نسخةٍ ثانية.
(٢) حرفياً: قوّيت روحي.

جزية يريدون فرضها على آشور ونينوى!».

(XXIV) ـ أحيقار يجيب الملك

١ ـ أجبته عند ذلك وقلت: «سيدي الملك، عش دوماً! لا تهتمّ ولا تحزن بسبب هذه القضية، سأذهب إلى مصر وأقدّم الإجابة. سوف أقدم إلى جميع أعدائك الأحجية والحل وسأجلب لك جزية مصر لثلاث سنوات».

٢ ـ فرح الملك كثيراً لهذه الكلمات وجعل من ذلك اليوم، يوماً عظيماً للابتهاج. كان الألم قد برح روحه، وضحّى ثيراناً وخرفاناً ومنحني هدايا ثمينة.

٣ ـ كما جعل نابوسيماك فوق الجميع ومنحه رتبةً عالية.

(XXV) ـ أحيقار يوجّه رسالة لإيسفاجني زوجته

١ ـ كتبت بعد ذلك رسالة إلى إيسفاچني زوجتي:

٢ ـ «يا زوجتي، عندما تصلك هذه الرسالة، أصدري أوامرك إلى الصيادين بأن يأسروا لي نسرين فرخين، وقولي لخدمي أن يجلبوا لي خيط كتّان وأن يصنعوا منه حبلين بسمك أصبع واحدة وطول كل منهما ألف ذراع. واطلبي أيضاً من الحدّادين صنع قفصين.

٣ ـ سلّمي خادميَّ نابوهائيل[1] وطيبشالوم[2]، إلى سبع نساءٍ مُرضعات، لإرضاعهما لكي يكبرا. وضعي بقربهما النسرين الفَرْخَين لكي يكبرا معاً، وأعطيهما كل يومٍ نعجتين كغذاء لهما.

---

(١) (Nabouhaïl) اسم آرامي بمعنى نابو ـ هائل.

(٢) (Tebšalom) اسم آرامي بمعنى طيب هو السلام.

٤ ـ وليتعلّم الطفلان ترديد: «أجلبوا التراب المجبول والطين، فالمهندسون، ضيوف الملك، يريدون الاستمرار في العمل».

٥ ـ وكانت زوجتي بارعة جداً، فأعدّت كل ما أوصيتها به، ثم جاءني أمر الملك بالذهاب إلى مصر.

(XXVI) ـ الذهاب إلى مصر

١ ـ فرح الآشوريون وأهل نينوى كثيراً لهذا الخبر، وعادوا إلى مساكنهم.

٢ ـ وأنا أجبت الملك: «سيّدي الملك، إسمح لي بالذهاب إلى مصر» وعندما أمرني بذلك أخذت معي فرقة من الجنود وذهبت.

٣ ـ وعند حلول استراحة المساء، بدأت بصرف الجنود، ثم أخرجت النسرين الفَرْخين وربطت الحبل برجل كل منهما، وجعلت ابنيّ يركبان عليهما وأفلتهما فصعدا عالياً في الهواء.

٤ ـ وكان الطفلان يصيحان كما تعلّما ذلك: «أجلبوا الطوب والوحل والطين، فإن المعماريين، ضيوف الملك بحاجة لذلك» بعد ذلك أعدتهما لقربي.

(XXVII) ـ دخول أحيقار إلى مصر مع رسل فرعون

١ ـ عندما وصلت إلى مصر، فإن خدم الملك أعلموه بذلك. وأمر الملك أن يأتي أحيقار أمامه.

٢ ـ دخلت عليه وحيّيته، ثم قال لي: «ما اسمك؟»، أجبت: «ابيقام[1] إحدى نملات ملك نينوى».

---

(١) (Abiqam) اسم آرامي بمعنى أبي ـ قام.

٣ ـ عندما سمع ذلك فرعون، احتدّ وقال: «هل سيدك يزدري بي إلى هذا الحد ليرسل إليّ نملة للإجابة على طلبي!».

٤ ـ ثم قال لي بعد ذلك: «إذهب يا أبيقام إلى مقرّك، ثمّ انهض في اليوم التالي وعد لمقابلتي».

٥ ـ وأمر الملك كباره أن يرتدوا ألبسة حمراء. ولبسَ هو نفسه في الصباح ألبسة من البوسّوس[١] والأرجوان، وجلس على عرشه وجلس كباره أمامه ومن حوله.

٦ ـ ثم أدخلني إلى حضرته وسألني: «بمن يمكن أن أُشبّه يا أبيقام وإلى من يُشبّه كِباري؟» فأجبت: «أنت يا سيدي الملك تشبه الإلّه بِل[٢] وكبارك يشبهون كهنته».

٧ ـ قال لي عندئذٍ: «إذهب يا أبيقام وعدْ في الصباح التالي».

٨ ـ ثم أمر الملك كباره أن يستبدلوا ألبستهم بالكتان الأبيض وارتدى الأبيض هو أيضاً وجلس على عرشه وكباره يقفون أمامه ومن حوله.

٩ ـ أدخلني إلى حضرته وقال لي: «بمن يمكن أن أُشبّه وإلى من يُشبّه كباري؟» فأجبته: «أنت تشبه الشمس وكبارك أشعتها».

١٠ ـ وقال لي كذلك: «إذهب يا أبيقام وعد إليّ في الصباح.»

١١ ـ ولليوم التالي، أمر كباره بارتداء ألبسة سوداء. وتمّت تغطية أبواب القصر[٣] بأقمشة سوداء وقرمزية، وارتدى الملك لباساً قرمزياً ثم أمر بإدخال أبيقام.

١٢ ـ دخلت عليه، فقال لي: «بمن يمكن أن أُشبّه يا أبيقام وإلى من يشبّه كباري؟» فقلت له: «أيّها الملك أنت تشبه القمر وكِبارك من حولك هم النجوم».

١٣ ـ قال لي بعد ذلك: «إذهب يا أبيقام وعد إليّ في الصباح التالي».

١٤ ـ أمر فرعون كباره بارتداء ألبسة مصبوغة بمختلف الألوان كما أن أبواب القصر كان يجب أن تغطّى بأقمشة حمراء ذات درجات لونية متعدّدة وارتدى الملك ألبسة منسوجة ذات ألوان متباينة. ثم أدخل فرعون أحيقار.

---

(١) (Bussos) اسم يوناني لقماش نفيس يقدّره القدماء.

(٢) (Bel) إلّه بابل وهو لقب لمردوك.

(٣) وردت هنا تسمية المعبد خطأ من قبل الناسخ عوضاً عن القصر.

١٥ ـ حين دخلت قال لي: «بمن يمكن أن أشبّه وإلى من يُشبّه كباري؟»، أجبته: «أنت تشبه نيسان وكبارك يشبهون أزهاره».

١٦ ـ عندما سمع الملك ذلك فرح كثيراً وامتلأ قلبه بهجةً، وقال لي «يا أبيقام، أنت تشبهني مرة أولى بالإلّه بل وكباري بكهنته، ومرة ثانية شبّهتني بالقمر وكِباري بالنجوم وشبهتني مرّة ثالثة بنيسان وكباري بأزهاره[1]. قل لي إذن بمن تُشبّه أسرحدون سيّدك؟».

(XXVIII) ـ أحيقار يجيب فرعون

١ ـ أجبته قائلاً: «فليحفظني الله أيّها الملك أن أتكلم على أسرحدون سيّدي وأنت جالس لأن سيدي أسرحدّون يشبه إلّه السماء وكباره البروق. يجمّد الندى والمطر، عندما يريد فيكون البَرَد. يُصعِدُ الأبخرة إلى سمٰوات ملكه. إنه يهدّ ويزأر ويمنع الشمس من الشروق وأشعّتها من الظهور؛ إنه يمنع بِل وكهنته من الذهاب والإياب في الساحات العامة.

٢ ـ إنه يمنع القمر من الشروق والنجوم من السطوع. وإذا ما أراد إصدار أوامره إلى ريح الشمال، يضعُ البَرَد والمطر فيضربان نيسان ويخسر أزهاره». عندما سمع الملك ذلك احتدّ غضبه.

(XXIX) ـ فرعون يسأل أحيقار عن اسمه

١ ـ قال فرعون: «بحياة سيّدك أسرحدون، ما اسمك؟».

٢ ـ أجبته: «أنا أحيقار الكاتب وخاتم الملك أسرحدون الذي بين يديه».

---

(١) تمّ نسيان تشبيه الشمس وأشعتها من ضمن التشابيه المعدّدة.

٣ ـ فقال لي فرعون: «أنت حيّ إذن؟» فأجبته: «أنا حيّ يا سيدي الملك، رأيت أسرحدون فمدّد في حياتي، وأنقذني الله من عقوبة الإعدام لما لم ترتكبه يداي».

٤ ـ فقال لي الملك: «إذهب أيها الكاتب وعدْ إليّ في الصباح وقل لي كلمة لم يسمعها أحد، ولم يسمعها أي واحد من كباري في أية مدينة في مصر».

(XXX) ـ أحيقار يكتب الكلمة التي طلبها منه فرعون

١ ـ عند ذلك، أنا أحيقار، ابتعدت وكتبت هذه الرسالة:

٢ ـ «من فرعون ملك مصر إلى أسرحدون ملك آشور، تحية: الملوك يحتاجون إلى الملوك ويحتاج الحكّامُ إلى الحكام[١]. وفي هذا الوقت، فإنهم يحتاجون إلى الهدايا، لأنّها نقصت. نَقُصت الفضة في خزائني، فأرسلْ لي من خزائنك تسعمائة مثقال من الفضة وأنا أعيدها بعد زمن قليل».

٣ ـ لَفَفْتُ هذه الرسالة[٢] وحملتها إليه قائلاً: «الكلمة التي هي مكتوبة في هذه الرسالة لم تسمعها من قبلُ، لا أنت ولا أي شخص آخر».

٤ ـ فصرخوا جميعهم، نحن سمعناها من قبل وما من شك في ذلك.

٥ ـ فأجبتهم عندئذٍ: «ها أنتم إذن تعترفون بحسب هذه الشهادة بأن مصر مدينة بتسعمائة مثقال فضة إلى آشور». وتعجبوا جميعهم لهذا الجواب.

٦ ـ فقال لي الملك بعد ذلك: «أحيقار». أجبته: «ها أنذا». قال لي: «ابنِ لي قصراً بين السماء والأرض وليكن على بعد حوالى ألف ذراع فوق سطح الأرض».

٧ ـ أخرجت لتوي النسرين الفَرْخين وربطت بالحبل رجل كلّ منهما بطول ملائم. وجعلت فوقهما الطفلين اللذين كانا يصيحان: «آتونا بالطوب والطين، ها هم المعماريون وصلوا. زوّدوا معماريي الملك بما يمكّنهم من العمل، فهم بحاجة لذلك.

---

(١) ورد في النص المعتمد تعبير: قضاة وفضّلنا تبني: حكّام.
(٢) كتب أحيقار رسالته على ورق البَرْديّ على ما يظهر.

وأعدّوا مزيج الخمر[1] من أجل مهندسي البناء».

٨ ـ شاهد الكبار ما تمّ، وسمعوا وتملّكهم الإعجاب. عند ذلك أنا أحيقار أمسكتُ بعصا وبدأت أضرب بها مهندسي العمار إلى أن فرّوا من أمامي وذلك لإجبارهم على إصعاد ما كان ضرورياً لأعمال البناء.

٩ ـ فقال لي الملك عند ذلك: «هل جننت يا أحيقار؟ من بإمكانه إصعاد ما يطلبان؟».

١٠ ـ فأجبته: «لماذا إذن أتى ذكر اسم أسرحدّون على شفتيك؟ لو كان هنا ولو أن بِنيَّتِهِ بناء قصرين في يوم واحد، لتمكّن من ذلك».

١١ ـ قال لي الملك: «غادر هذا القصر وعدْ إليّ في الصّباح».

١٢ ـ دخلت عليه في صباح اليوم التالي، فنظر إليّ وقال لي: «أحيقار، فسّر لي ما يحدث لنا: «حصان سيّدك يصهل في آشور ونينوى، فتسمعه أفراسنا (الحاملات) هنا وتطرح»[2].

١٣ ـ عند ذلك، أنا أحيقار، خرجت من عند الملك وأمرت خدمي أن يمسكوا قطّاً فرعونياً وهو إلّه لدى المصريين، وأن يضربوه حتى سمع المصريون بذلك.

١٤ ـ فذهبوا وقالوا للملك: «أبيقام هذا، أخذ قِطّاً وهو إلّه وضربه».

١٥ ـ حين عرف الملك ذلك قال لي: «يا أحيقار لماذا تسيء معاملة آلهتنا؟».

١٦ ـ فأجبته: «أيها الملك عش إلى الأبد! سبّب لي هذا القط ضرراً ليس قليلاً ولكنه ضرر جسيم، لأن الملك[3] كان قد أعطاني ديكاً له صوت جميل وفي الوقت الذي كان عليّ الذهاب إلى البلاط[4] تلبيةً لطلب الملك كان الديك يصيح في الساعة نفسها كي يوقظني من نومي».

١٧ ـ «وهذا هو الضرر الذي سببه القط: لقد ذهب ليلاً إلى آشور ونينوى، فانتزع

---

(١) التبست قراءة هذه الكلمة من قبل الناسخ. فأدّاها بمعنى مزيج خمر، ولا بد أن يكون التعبير الأصلي الذي يقاربه لفظاً بمعنى: الأسواط لملاحقة العمال.

(٢) تبنى «تلمود بابل» هذه الجملة مأخوذة عن أحيقار.

(٣) المقصود هنا هو ملك آشور.

(٤) حرفياً: إلى باب الملك.

رأس الديك ثمّ عاد إلى هنا».

١٨ ـ فقال لي الملك حينئذٍ: «الآن وأنت في سن الشيخوخة بدأت تقع في الخطأ. هناك مسافة ثلاثمائة فرسخ[١] بين بلاد آشور ومصر. فكيف أمكنه الذهاب إليها في هذه الليلة وانتزاع رأس الديك ثم العودة؟».

١٩ ـ أجبته: «على الرغم من وجود مسافة ثلاثمائة فرسخ بين آشور ومصر، ألم يتم إعلامنا بأن أفراسكم تسمع صهيل حصاننا وتطرح؟! كذلك هو الأمر بالنسبة لهذا القطّ».

٢٠ ـ دهش الملك أمام هذه الكلمات واضطربت أفكاره وقال لي: يا أحيقار، فسّر لي هذا القول: لديّ عمود كبير مؤلف من ثمانية آلاف وسبعمائة وثلاث وستين آجرّة، وفوقه، تمّ زَرْع اثنتي عشرة أَرْزة وفوق كل أرزة يوجد ثلاثون دولاباً وعلى كلّ دولاب يجري أسود وأبيض».

٢١ ـ فأجبت الملك بصدد ما طلب مني: «إنَّ ذكاء الخرفان والثيران يمكنه معرفة جواب ما تطلبه منّي أيّها الملك. فالعمود الذي تحدث عنه سيّدي هو السنة وهو مبني بثمانية آلاف وسبعمائة وثلاث وستين آجرّة وهي الثمانية آلاف والسبعمائة والثلاث وستون ساعة، والأرزات الإثنتا عشرة هي أشهر السنة الاثني عشر في السنة، والدواليب الثلاثون هي أيام الشهر الثلاثون، والعَدّاءان الأبيض والأسود هما الليل والنهار.

٢٢ ـ وقال الملك أيضاً: «كفّ الآن، أنا أطلب منك يا أحيقار أن تضفر لي حبليْن من الرمل طويليْن يكون لكل منهما طول خمسين ذراعاً وسمك أصبع واحد».

٢٣ ـ فأجبته: «أصدر أوامرك يا سيدي أن يجلبا لي مثل هذا الحبل من كنوزك لكي أضفر حبلاً يماثله».

٢٤ ـ وقال لي: «أنت لم تفهم ما قلته لك، إذا لم تضفر الحبل الذي طلبته منك، فلن تحصل على جزية مصر».

٢٥ ـ عند ذلك، أنا أحيقار، تركتُ الملك وقضيت ليلتي في تأمّلٍ كبير.

---

(١) (Parasanges) بالفرنسية أو «فَرَاسانج» تحريفاً لكلمة فرسخ(؟).

٢٦ ـ وفي الصباح، أتتني فكرة بأن أذهب إلى الجهة الخلفية من القصر حيث يسكن الملك وحفرت في الجدار المواجه للشمس ثقباً صغيراً بحيث نفذت الشمس من جدار القصر ثم حفرتُ ثقباً آخر في الجدار نفسه، وأخذت حفنةً من الغبار ووضعتها في الثقبين وظهر الغبار محمولاً في الشعاع.

٢٧ ـ ثم بدأت حديثي متوجهاً إلى الملك وقلت له: أصدر أمرك يا سيّدي الملك بضفر هذين الشعاعين تدريجياً وأنا أنفّذ لك ذلك فيما بعد، بعدد المرات الذي تريد.

٢٨ ـ أمام هذا الرأي، تملك الإعجاب والذهول الملك وكباره، وشعروا بمهانة كبيرة.

٢٩ ـ عند ذلك، استجلب لي الملك، الحجر العلوي لرَحى وكان مكسوراً وقال لي: «يا أحيقار، قم بخياطة هذا الحجر».

٣٠ ـ فتناولت لتوّي مهراساً من حجرٍ مماثلٍ، ورميته وقلت له: «سيدي الملك، أنا لا أحمل معي أدوات الإسكافي التي تلزمني، اطلبْ إذن من إسكافييك انتزاع خيط من هذا المهراس الذي هو من طبيعة حجر الرَحى نفسها. وعند ذلك أبدأ مباشرة بالخياطة[١].

٣١ ـ لدى سماع هذه الكلمات، ضحك الملك وقال لي: «هيّا يا أحيقار! فليبارك الله اليوم الذي ولدتَ فيه أمام آلهة مصر. ولأنني رأيتك حيّاً. فسأجعل من هذا اليوم عيداً كبيراً».

(XXXI) ـ أحيقار يغادر مصر عائداً إلى أسرحدون ملك نينوى وآشور

١ ـ بعد أن تمّ التغلب على محاولات الملك فرعون في كل شيء، وبعد أن قاومتُ اختراعاته، وبعد أن أعطيتُ حلاً أو أحلت إلى العدم تدابيره وأحاجيه،

---

(٢) دخلت هذه الإجابة في تلمود بابل.

٢ ـ أعطاني جزية مصر لمدة ثلاث سنوات كما سلّمني أيضاً التسعمائة مثقال من الفضة التي تضمّنتها رسالتي وكأنه كان قد اقترضها من سيّدي والتي قالوا بصددها جميعهم[١] «إننا سمعنا من يتكلم عن ذلك».

٣ ـ وغُمرتُ بالهدايا من قبل الملك وبالتكريم من قبل كباره. ولن يلبث الملك أسرحدّون أن يخفّ لاستقبالي لدى عودتي.

(XXXII) ـ أحيقار يعود من مصر ويذهب لمقابلة الملك الذي يستقبله بترحاب وتكريم

١ ـ بدأ الملك يردّد على مسامعي أقوالاً كريمة: «أطلبْ، تحصل على كل ما ترغب به».

٢ ـ فأجبته قائلاً: «يا سيّدي الملك، عش إلى الأبد!» وبدأ الملك بالاقتراب منّي وهو شديد الفرح.

٣ ـ كرّمني وجعلني أجلس إلى جانبه على كرسيه وعلى منصته، وقال لي: «أطلب منّي يا أحيقار كل ما ترغب به. وإذا ما طلبتَ مملكتي أمنحك إياها».

٤ ـ أجابه أحيقار: «يا سيدي الملك، عش إلى الأبد، وفي كل الأجيال! كل ما أطلبه من جلالتك[٢]، إذا ما كنت راضياً عنّي هو تعيين نابوسيماك في منصب رفيع لأنني بفضله هو، أنا اليوم على قيد الحياة، واليوم فإن أملي بالله هو سَنَدي. ولو لم يقم بمساعدتي لكنتُ من عداد الأموات».

٥ ـ عند ذلك، أظهر لي الملك مودته بواسطة نِعَم عديدة، وخاصة بواسطة الهدايا والهبات التي وصلتني منه.

٦ ـ بدأ الملك بغمري بهبات كثيرة وقدّم إلى نابوسيماك هدايا عديدة.

---

(١) أي كبار فرعون.

(٢) حرفياً: من كريم عظمتك.

٧ ـ ثم بدأ الملك باستجوابي حول كل ما حدث أمام الفرعون وعن الأحاجي. فرويت له من البداية حتى النهاية، كل واحدة منها بشكلٍ خاص. وكان يبدي إعجابه لدى سماعه ذلك.

٨ ـ أخرجت بعد ذلك، الذهب والفضة والهبات والهدايا التي قدّمها لي ملك مصر لكي أحملها إليه من مصر. وفرح بها فرحاً لا يوصف.

٩ ـ سألني «كم تريد أن أعطيك؟»، فأجبته: «أنا لا أطلب شيئاً غير رؤية سيّدي سعيداً ومرتاحاً، فما عساني أفعل بهذه الكنوز وبالأشياء الأخرى. إلاّ أنني أطلب من طوباويتك بمنحي القدرة لكي أتصرّف كما أشاء بنادان لكي أنتقم منه، بحيث لا تطالبني بدمه.

١٠ ـ فسمح لي الملك توّاً أن أفعل به ما أشاء. فأخذت نادان وذهبت به إلى بيتي وربطته بقيود وبسلاسل من حديد في يديه ورجليه. بدأت بضربه بعصا، موجهاً الضربات إليه ومذكِّراً إياه بالتعاليم التي أعطيتها له مع ما تضمّنته من حكمة وعلمٍ وفلسفة.

(XXXIII) ـ متابعة حكم أحيقار[١]

٩٦ ـ يا بنيّ، من لا يسمع بأذنيه، يُعمد إلى إسماعه من وراء ظهره[٢]. بدأ نادان ابني حديثه قائلاً لي: «لماذا تغضب على ابنك؟».

٩٧ ـ فأجبته: «أنا يا بنيّ جعلتك تجلس على كرسي شرف، وأنت رميت بي من على عرشي. ووحدها عدالتي، هي التي أنقذتني».

٩٨ ـ كنتَ من أجلي مثل عقربٍ لدغ صخرةً فقالت له «لقد وقعت على قلبٍ عديم الشعور» يعود ويلدغ من جديد، فتقول له: «ضربت منخساً أكثر رهبة من شوكتك».

---

(١) أي الحكم التي توقفت عند الحكمة رقم ٩٥ بنهاية الفصل الثالث.
(٢) أي باستعمال السوط أو العصا وضربه على ظهره.

٩٩ ـ كنتَ مثل عنزة انتصبت وبدأت تأكل من شجيرة سُمّاق[1]. فقالت لها الشجيرة: «لماذا تأكلينني وأنت تعرفين أنهم سيدبغون جلدك بواسطة جذوري؟ فأجابت العنزة «آكلك وأنا على قيد الحياة لأنّه عند موتي سوف تقتلعين من الجذور».

١٠٠ ـ كنت بالنسبة لي يا بنيّ، كمن رجم السماء بحجرٍ رماه نحوها. لم يصل الحجر السماء ولكن الذي رَماه أذنب أمام الله.

١٠١ ـ كنت بالنسبة لي يا بنيّ، كمن رأى جاره يرتجف من البرد، فتناول وعاء ماءٍ وسكَبَهُ عليه.

١٠٢ ـ يا بنيّ، بعد أن أرسلتني إلى الموت، ليتك تمكنت من أخذ مكاني. ومع ذلك عليك أن تعلم: إذا ما استطال ذنب الخنزير لسبعة أذرع فلن يحلّ محلّ الحصان، وإذا ما صار وبره ناعماً وكثير الصوف فلن يصلح أبداً لأن يكون كساءً لرجل نبيل».

١٠٣ ـ يا بنيّ، قلتُ لك إنك سوف تأخذ مكاني وتمتلك بالإرث بيتي وثرواتي، ولكن ذلك لم يرضِ الله ولم يستمع إلى صوتك.

١٠٤ ـ قلتُ لنادان: لم تستمع إلى كلماتي، ولم تتلق تعاليمي، كما أنَّكَ ما سمعتَ وما عرفت كلمة الله وهو نفسه كذلك لم يستمع إلى صوتك.

١٠٥ ـ أجبني يا بني، إنقضضت عليّ مثل أسد جائع يلتقي في الصباح بحمار تائه. فيقول الأسد للحمار: «تعال إليّ بسلام يا أخي، يا صديقي». فيجيبه الحمار: سلامك هذا يشبه السلام الذي اشتهيته للرجل الذي لم يربطني في المساء، ولم تخطر له فكرة استعادتي إلى أن التقيتك.

١٠٦ ـ يا بنيّ، كنتَ بالنسبة لي مثل فخّ مخبّأ تحت الزبل، وقد حطّ عصفور الدوري ورآه الفخ فقال له: «أي أخي! ماذا تعمل هنا؟» فأجاب الدوري: «أنا أنظر إليك» قال الفخ: «توجّه بصلاتك إلى الله، له المجد!» فسأل الدوري: «ما هذه الخشبة المربوطة لديك؟» فأجاب الفخ: «إنها عصاي وسندي أتّكيء عليها عندما أصلّي»، وقال الدوري: «ما هذا القمح الذي في فمك؟» فأجاب الفخ: «إنه غذاء وخبز يعيد القوة

---

(١) شجيرة حراجية تستعمل قشور بذورها في المتبّلات وهي السمّاق، كما تستعمل في دباغة الجلود.

لمن هم جياع، وضعته في فمي ليكون غذاءً لمن يلتجئون إليّ». فقال الدوري: «أنا الآن أتضوّر جوعاً وأريد أكله». فأجابه الفخ: «اقترب يا أخي ولا تخف». وعندها استعد الدوري لنقر الغذاء أمسك به الفخ فجأة من رأسه، فقال الدوري للفخ: «إذا كان صومك وصلاتك بصدد هذا الخبز على هذا الشكل، فإن الله لن يتقبل صومك وصلاتك ولن يمنحك بسبب ذلك أي رزق».

١٠٧ ـ كنتَ بالنسبة لي مثل ثورٍ تم تقييده مع أسد، فاستدار الأسد نحوه ومزّق جسده.

١٠٨ ـ يا بنيّ كنت بالنسبة لي مثل السوسة في القمح، إنها لا تنفع شيئاً وتتلفُ القمح.

١٠٩ ـ يا بنيّ، كنت بالنسبة لي مثل مِرْجلٍ وضعت له أذنان من ذهب دون تخليص قعره من سخامِهِ.

١١٠ ـ يا بنيّ، كنتَ بالنسبة لي مثل رجل نَذَرَ عشرة مكاييل من القمح في حقل، وعند حلول زمن الحصاد، قطعه ونظّفه وحصل على عشرة مكاييل من القمح. فقال الرجل متوجّهاً إلى الحقل: «لماذا لم تعطني أية زيادة، فقد حرثتك وجدّدتك عندما كنت بوراً، وبذرتك، ولم تنتج لي أي شيء جيد».

١١١ ـ يا بنيّ، مثلك بالنسبة لي، كمثل عصفور أغلق عليه فخّ بحيث لا يتمكن من الفرار بانتظار الصيّاد. ومع ذلك أطلق تغريده اللطيف والعذب، فجمع حوله العصافير أو عدداً من الحجلان لكي تقع في الفخ.

١١٢ ـ يا بنيّ، كنتَ بالنسبة لي مثل التيس الذي أدخلَ رفقاءه إلى المجزرة ولم ينجُ بنفسه.

١١٣ ـ يا بني مثلك بالنسبة لي كمثل كلبٍ دخل عند الفخّارين ليتدفأ تحاشياً للبرد وبدأ ينبح عندما شعر بالدفء وحاول عضّهم. فعمدوا إلى ضربه فنبح وقاموا بقتله خشية أن يعضّهم.

١١٤ ـ يا بنيّ، مثلك مثل هذا الخنزير الذي ذهب للاستحمام مع العظماء. واغتسل لدى وصوله إلى الحمام، ولكنه بعد خروجه وجد بركة وحلٍ فراح يتدحرج فيها.

١١٥ ــ يا بني، كنتَ بالنسبة لي، مثل مرجلٍ أسود، تمت إحاطته بسوارٍ من الذهب.

١١٦ ــ يا بني كنت بالنسبة لي مثل ضأن النعجات الذي يحيد (مقاوماً) ويحني رأسه أمام الجزار بحيث لا يستطيع هذا الأخير نزع حياته.

١١٧ ــ يا بني، أصبعي على فمك وأصبعك على عينيّ وسوف تتنكّر تجاه من ربّاك، لأن عينيك تنظران إلى التفّاح[١].

١١٨ ــ يا بنيّ، إذا لم ينتبه الكلب الذي يمسك بالطريدة إلى نفسه، فإن الذئب يلتهمه دون تردّد.

١١٩ ــ يا بني، اليد التي لا تتعب هي التي لا تعمل ولا تشقى وسوف تقطع بسبب كسلها.

١٢٠ ــ يا بنيّ، العين التي لا ترى النور تُقلع.

١٢١ ــ يا بنيّ، أنا الذي جعلتك ترى وجه الملك. قدتك إلى نعم كثيرة، ربّيتك وأعطيتك كل شيء حسن، وأنت، ما الذي قدّمته لي بالمقابل، وبماذا كافأتني؟

١٢٢ ــ يا بنيّ، أنتَ بالنسبة لي، مثل شجرة صدر الأمر بقطعها.

١٢٣ ــ آه! يا للسخرية! لو لم تكن أخذت وتلقيت عني كل شيء ما كان بإمكانك ممارسة أية سلطة عليّ طولَ حياتي.

١٢٤ ــ إنّني لأغتبط وأتهلّل بسببك يا بنيّ، وترتاح نفسي، عندما تسرقُ الآلهة من يبتهل إليها وعندما يختلس الأسد ليُثْري ويختلس الرجُل من الأرض ليأكل.

١٢٥ ــ قدّمتك يا بني إلى الملك وكباره وأوصلتك إلى شرفٍ كبير، وأنت عملت شراً لمن عملوا لك خيراً، فما عساك إذن تفعل بالذين يعملون شراً؟

١٢٦ ــ كنت بالنسبة لي مثل شجرة تقول لقاطِعيها: «لو لم يكن لديكم جزء مني[٢] بين أيديكم لما وقعتم عليّ».

---

(١) يرمز التفاح هنا إلى الرغبات المادية وقد نكون أمام إضافة ترمز إلى الثمرة المحرمة في التكوين التوراتي التي عُبّر عنها بشكل مبسط وسطحي وكأنها تفاحة.

(٢) قد يكون المقصود هو مقبض أداة القطع.

١٢٧ ـ يا بنيّ، كنتَ بالنسبة لي مثل فراخ سنونو وقعت من عشها، فأمسك بها قط وقال لها: «لو لم أكن هنا لأصابك أذىً جسيم»، فأجابته قائلة: «أمن أجل هذا وضعتنا في فمك؟».

١٢٨ ـ كنت بالنسبة لي مثل القط الذي قيل له: «كف عن السرقة وادخل واخرج كما تشاء» فأجاب القط: «في هذا يكمن فنّي. فلو كانت لي عينان من الفضة ويدان من الذهب ورجلان من الزمّرد، فلن أهجر سرقاتي».

١٢٩ ـ أ. كنت بالنسبة لي يا بنيّ، مثل حيّة صعدت على علّيقة كانت تطفو على سطح النهر، فرآها ذئب وقال: «سيء، ركب على سيّء والأسوأ منهما يقودهما»، فأجابت الحيّة الذئب: «وأنت، هل تقود العنزة إلى راعيها؟».

١٢٩ ـ ب. يا بنيّ، رأيت عنزةً تمّ توجيهها إلى المسلخ وبما أن يومها لم يكن بعد قد حان، أعيدت إلى مكانها وشاهدت أبناءها وأبناء أبنائها.

١٣٠ ـ كنتَ بالنسبة لي يا بنيّ، مثل الأولاد الذين يقتلون أمهم.

١٣١ ـ يا بني، جعلتك تتذوق كل ما هو طيّب وأنت أشبعتني خبزاً مغموساً بالتراب! مسحتك بالطيوب العطرة وأنت بالعفر نجّست جسدي. أشربتك الخمر المعتّقة وأنت ما سقيتني بما هو كافٍ، حتى الماء.

١٣٢ ـ يا بنيّ، جعلتُ هامتك تنمو مثل شجرة الأرز، وأنت أحنيتني طول حياتي وسقيتني خبثك ومكرك.

١٣٣ ـ يا بنيّ، لقد رفعتك مثل برج وكنت أقول: «إذا ما أتى عدوي ليقحمني، فسأصعد إليه وأحتمي به. وأنت عندما شاهدت عدوّي انحنيت أمامه.

١٣٤ ـ أ. يا بنيّ، كنتَ بالنسبة لي مثل الخلد الذي خرج إلى سطح الأرض، متهماً الله لأنه حرمه حاسة النظر، فأتى نسر وحمله وذهب به.

١٣٤ ـ ب. أجاب ابني نادان قائلاً لي: «بعيد عنك يا سيّدي أن تكون بين الذين لا رحمة في قلوبهم. تصرّف نحوي وفقاً لإحسانك. إذا ما أذنب الرجل أمام الله، فإن الله يغفر له ذنوبه، وأنت أيضاً أغفر لي الآن وسوف أعتني بدوابك وأرعى نعاجك وخنازيرك، فيُقال عنّي رجل سيء ويقال عنك رجل طيّب».

١٣٥ ـ أجبته قائلاً: «يا بني، كنت بالنسبة لي مثل شجرة نخيل قامت على حافة

طريق ولم تكن تعطي ثماراً، فأتى صاحبها وأراد قلعها، فقالت له النخلة: «أمهلني سنة جديدة وأعطيك القِرْطِمْ[1]». فأجابها صاحبها: «أيتها التعسة إذا لم تنجحي بإنتاج ثمرك أنتِ فكيف يمكنك إنتاج ثمر آخر!؟».

١٣٦ ـ يا بنيّ، شيخوخة العقاب تفوق فتوّة النسر.

١٣٧ ـ يا بنيّ، إذا ما قيل للذئب: «ابتعد عن النعجات» فيجيب: «الغبار الذي يحركه القطيع مفيدٌ لعينيّ» فيقال له: «تعلّم القراءة: أَلِف، باء» فيجيب: «نعجة، جدي».

١٣٨ ـ يا بنيّ، علّمتك الإيمان بالله، وأنت اعتديت على الخدم الطيّبين، وضربتهم دونما ذنب ارتكبوه، وكما أن الله أبقى على حياتي بسبب عدالتي، فإنه سيهلكك بسبب سوء أعمالك.

١٣٩ ـ يا بنيّ، وضعوا رأس الحمار على المائدة، فتدحرج وسقط على الأرض: غضب الرأسُ على نفسه لأنه لم يتقبل التكريم.

١٤٠ ـ هل تأمّلت في المثل القائل: «ما تلده سمّهِ ابنك، ومن تربّيه سمّه عبدك».

١٤١ ـ يا بنيّ، أكثر من أيّ حديث آخر، لا بدّ أن تتأمل هذا: «خذ ابن أختك تحت إبطك وقاوم معه الصخر».

١٤٢ ـ الذي أبقاني على قيد الحياة يا بنيّ، هو الله العالم بكل شيء، يجزي كل فرد بحسب أعماله. هو الذي يعلم ويحكم بيني وبينك. أنا لن أقول شيئاً، لأن الله هو الذي سيجزيك بحسب أعمالك.

(XXXIV) ـ موت نادان

١ ـ لدى سماع الفتى نادان هذه الكلمات، انتفخ جسمه فجأةً وأصبح مثل

(١) نبات زراعي صبغيّ، زهره أنبوبي وله تويجات ذات لون أصفر وبرتقالي يستخرج منها صباغ أحمر هو القرطمين. وهو نوع من العصفر الهجين وبذوره زيتية تستخدم لتغذية الطيور.

ضرفٍ[1] ممتلىء وخرجت أحشاؤه من بطنه.

٢ ـ تأجّج بداخله انشغاله السيىء، فاحترق وجفّ ووهن. أضاع نفسه ومات. وأدّت به نهايته إلى الهلاك، وسقط في جهنم[2] بين الحسّاد والمتعجرفين. وكما قيل في كتاب الأمثال[3] وفي كتاب مزامير الملك داود[3]: «الابن حفر وأذنب، فوقع في الحفرة التي أعدها» و«من يعمل الشرّ يكدّسه من أجل هلاكه» و: «من نصب فخاً لأخيه وقع فيه».

خاتمة

١ ـ هنا تنتهي قصة أحيقار الحكيم، والفيلسوف الكبير، الذي كان يعرف الأسرار ويتقن حلّ الأحاجي.

٢ ـ كان سابقاً يعبد الأوثان وكان صديقاً للعلماء[4] ولكنه في نهاية حياته آمن بالله، واعترف بأنه خالق السماء والأرض والبحر والقفر وكل ما فيها. واعترف بأنّه يمنح الذكاء والحكمة لمن أحبّه.

٣ ـ من أجلكم أنتم أيها المستمعون[5] فليصن الله أرواحكم وليشفق على نواقصكم وليغفر لكم ذنوبكم ولينشر رحمته وبركته عليكم وعلى أبنائكم. وليبعدكم عن جميع التجارب وجميع الآلام، وكذلك عن جميع الحوادث والملمّات. وليملأ قلوبكم بكل علم ومعرفة وبكل ذكاء وحكمة روحية، لكي تتمكنوا من الحفاظ على أرواحكم في الاستقامة ومن الابتعاد عن الكراهية والحسد والغضب؛ إنه سوف ينقذكم من كل خطيئة مميتة ويمنحكم في النهاية ملكوت السماء ويجعلكم تنعمون بالسعادة الأبدية، آمين، آمين[6].

---

(١) «الضرف»: هو كيس من جلد الماعز تنقل فيه السوائل.

(٢) إضافة متأخرة جداً وتعود إلى القرن الأول ق.م. وما بعد.

(٣) إضافة لا علاقة لها بأحيقار.

(٤) استبدلنا تعبير المجوس الذي ورد في النص بالعلماء.

(٥) يرجّح من تعبير «المستمعين» أن سيرة أحيقار كانت تروى لغايات تهذيبية للأخلاق ولتعليم الحكمة.

(٦) هذا الفصل هو حتماً إضافة ناسخ مسيحي بدلالة التعابير المستعملة مثال الخطيئة المميتة وملكوت السماء والسعادة الأبدية.

إضافات

ملاحظة:

يستأنف المترجم بعد ذلك، ما ورد من حكم وأمثال لأحيقار، في نسخ أخرى مختلفة وبلغاتٍ مختلفة، في كل ما لم يتضمّنه نص النسخة السريانية المعروضة، مع متابعة ترقيمها كتتمةٍ لما ورد آنفاً من الحكم التي توقفت عند الرقم ١٤٢.

وتتوزع الإضافات عن النسخ الأخرى كما يلي:

(١) ـ حكم وأمثال يونانية: من ١٤٣ ـ ١٥٧.

(٢) ـ حكم وأمثال أرمنية: من ١٥٨ ـ ٢٠٩.

(٣) ـ حكم وأمثال سلاڤية: من ٢١٠ ـ ٢٦١.

(٤) ـ حكم وأمثال رومانية: من ٢٦٢ ـ ٢٨٥.

(I) ـ حكم وأمثال إضافية باللغة اليونانية

١٤٣ ـ يا بني، قبل كل شيء، أكرم الإلّه واحترم الملك.

١٤٤ ـ توخّ أن تكون مهاباً من قبل أعدائك، فلا يزدرون بك، وكن ليّناً ومتساهلاً مع أصدقائك، يعزّونك أكثر فأكثر.

١٤٥ ـ تمنَّ لأعدائك المرض والفقر، كي لا يتمكنوا من الاعتداء عليك. وتمنّ لأصدقائك النجاح في كل شيء.

١٤٦ ـ تصرف دائماً بشكل حسن مع امرأتك، خشية أن تفتّش عن تجربة مع رجل آخر، لأن النساء متقلبات بطبيعتهن. ولأنهن يُفكرن أقل بالشر إذا ما عوملن باحترام.

١٤٧ ـ انتبه دوماً إلى ما يقال ولكن تعلّم أن تكون سيّد لسانك.

١٤٨ ـ لا تحسد الذين يحرزون النجاح بل ابتهج معهم، لأنك إذا حسدتهم فلا تسيء إلاّ لنفسك.

١٤٩ ـ اعتن بخدمك بحيث لا يهابونك فقط لأنك سيدهم بل ليحترموك لأنك محسنهم.

١٥٠ ـ لا تخجل من أن تتعلم دوماً أشياء أفضل مما تعلم.

١٥١ ـ لا تسلّم قطّ أسراراً مهمة إلى زوجتك، لأنها ترتقب دوماً المناسبة للتحكم بك.

١٥٢ ـ ادّخر كل يوم شيئاً للغد. الأفضل أن تترك ممتلكات لأعدائك من أن تحتاج أثناء حياتك لعون أصدقائك.

١٥٣ ـ استقبل بترحاب من يقترب منك. واعلم أن ذيل الكلب هو الذي يكسبه خبزه.

١٥٤ ـ لا تندمْ لأنّك صرت رجلاً خيّراً.

١٥٥ ـ أطرد النمّام من بيتك، لأنه سيعلم الآخرين بما تقوله وما تفعله.

١٥٦ ـ افعل ما لا يمكن أن يسبّب همّاً ولا تحزن لما يصيبك بعد ذلك.

١٥٧ ـ لا تعطِ أبداً نصائح سيّئة ولا تقلد تصرف الأشرار.

(II) ـ حكم وأمثال إضافية باللغة الأرمنية

١٥٨ ـ يا بني، لا تستقبل من يردد لك كلمة عدوك، خشية أن يردد لعدوك كلمتك.

١٥٩ ـ يا بني، لا تقف بعيداً يوم تقديم ضحيتك، خشية ألاّ يتمتّع إلّهك بما تقدمه له.

١٦٠ ـ يا بنيّ، لا تأكل الخبز الذي لا تمتلكه أنت، حتى لو كنت تتضور جوعاً.

١٦١ ـ يا بني، اخنقْ الشر واقتلعه من قلبك، فيكون لك بذلك خير من الله ومن الناس وتجد عوناً لك بإرادة الله.

١٦٢ ـ يا بني، حتى لو كانت قائمتا البوّابة المؤدية إلى السماء ترتفع إلى ستة أونات[١]، إحنِ رأسك مع ذلك حين تدخلها.

١٦٣ ـ يا بني، يجب ألاّ تقبل أن تأخذ بمكيال كبير وتعطي بمكيال صغير، ثمّ تقول: «لقد ربحت»، لأن الله لا يسمح بذلك، ويغضب عليك ويهلكك بالمجاعة.

١٦٤ ـ يا بنيّ، لا تقسم باطلاً كي لا تنقص أيام حياتك.

١٦٥ ـ يا بنيّ، أطِعْ شريعة الله ولا تخف بعد ذلك من الأشرار، لأن شريعة الله جدار حمايةٍ للبشر.

١٦٦ ـ يا بنيّ، لا تبتهج إذا ما كثر أبناؤك ولا تضطرب لنقصهم.

---

(١) الأون (Aunc) اسم مشتق من اللغة الجرمانية وهو قياس قديم بطول ١,١٨٨ متراً.

١٦٧ ـ يا بنيّ، الأبناء والثروات رزق من عند الله. والذي يمتلك بيتاً كبيراً يصبح فقيراً، والفقير يصبح كبيراً، ويرتفع المتواضع ويُذلّ المتكبّر.

١٦٨ ـ يا بنيّ، حتى لو كانت جوائز بيتك عالية[1]، عندما يكون جارك مريضاً، لا تقل: «ما عسايَ أن أرسل له؟» ولكن اذهب إليه برجليك وانظر إليه بعينيك، لأن ذلك أفضل لك من ألف مثقال من الذهب والفضة.

١٦٩ ـ لا تقبض الذهب والفضة ثمناً لنميمة، لأنها عمل يؤدي إلى الموت وشيء في منتهى السوء. لا تسفك دماً بريئاً خشية أن يسفك دمك بالمقابل.

١٧٠ ـ يا بنيّ، لا تتزوج من أرملة، لأنه إذا ما حدث أي شيء، ستقول: «آه! أين هو زوجي الأول؟» وعند ذلك لا بدّ لك من أن تحزن.

١٧١ ـ يا بنيّ، لا تعتمد على أيام شبابك خشية أن يقودك شبابك إلى الضلال.

١٧٢ ـ لا تحتد مع خصمك أمام القاضي، لكي لا تُعَدّ مجنوناً أو عديم الذكاء، ولكن أجبه بلطفٍ إذا ما كلّمك، بذلك تجعل الحكم يقع على رأسه.

١٧٣ ـ يا بنيّ، إذا طلبت من الله حسنةً، إبدأ بتنفيذ إرادته أولاً بالصوم والصلاة وبعد ذلك فإن طلباتك، تجد لها تحقيقاً حسناً.

١٧٤ ـ يا بنيّ، التكديس في حالة الفقر، أفضل من التبذير في حالة الغنى.

١٧٥ ـ يا بنيّ، لا تلعن إبنك قبل أن ترى غايته، ولا تحاول ازدراءه قبل أن ترى الإنجاز والمخرج والمنفذ.

١٧٦ ـ يا بنيّ، اختبر الكلمة في قلبك، ثم أصدرها إلى الخارج، لأنك إذا بدّلت كلمتك تكون من المماقين.

١٧٧ ـ يا بنيّ، الكلمات الكاذبة والخطابات الكاذبة ثقيلة كالرصاص ولكنّها بعد أيام تطفو على سطح الماء وكأنّها قشور الشجر.

١٧٨ ـ يا بنيّ، كلّف صديقك بمشروع صغير وبعد بضعة أيام قم بلسعه وامتهانه، فإذا لم يكشف عن مشروعك الصغير، فكلّفه عندئذٍ بمشروعك الكبير.

---

(١) من مظاهر الغِنى.

١٧٩ - قدِّم العون لقريبك أمام الملوك والقضاة. بذلك تنتشله من انتقام الأسد وتكسب بالتالي سمعةً طيِّبة وتمجيداً.

١٨٠ - يا بنيّ، إذا ما أتى عدوّك للركوع على قدميك، فاغفر له. ابتسم أمامه متحبِّباً ثم اجعله ينهض بكرامة.

١٨١ - يا بنيّ، لا تذهب لحضور أي اجتماعٍ إذا لم تُدعَ إليه. لا تقدم أي جوابٍ إذا لم تُسألْ.

١٨٢ - يا بنيّ، لا تسرْ على نهرٍ جامد أو طافح خشية أن تهلك فيه.

١٨٣ - يا بنيّ، مرِّس ولدك على الجوع والعطش، وعندما يكبر ضع ممتلكاتك بين يديه.

١٨٤ - يا بنيّ، أكلتُ العشبَ مرَّاً وشربت العلقم، ولم يكن العلقم أشدّ مرارة من الفقر. رفعت وحملت ملحاً ورصاصاً، ولم يكن ذلك أكثر ثقلاً من الذنوب، فهل آكل وأشرب قبل أن أصل إلى الطمأنينة؟

١٨٥ - يا بنيّ، إذا كنت فقيراً فلا تجعل ذلك يظهر بين أردانك خشية أن يزدروا بك وأن يكفّوا عن إعارة الاهتمام بأقوالك.

١٨٦ - أحبب جسدك وأحبب امرأتك لأنها تخصّك. إنَّها شريكة حياتك وهي تحرم نفسها كثيراً إذْ تغذي ولدك.

١٨٧ - يا بنيّ، إذا ما أرسل سيِّدك من يقول لك: «أجلب يمامة مخبَّأة في خِمار»، لا تجلبها له، لأنه سوف يأكل اليمامة ولن يتأخَّر عن معاقبتك من أجل الخمار.

١٨٨ - يا بنيّ، كلمة حكيم يقولها في حالة سكره، أفضل من كلمة مجنون يقولها دون أن يشرب؛ وعبدٌ نزيه، أفضل من رجلٍ حرٍّ كذَّاب؛ وصديقٌ مستقيمٌ أفضل من أخٍ بعيد.

١٨٩ - يا بنيّ، لا تسلِّم سرّك إلى امرأة، لأنها ضعيفة وذات عقل ضيِّق، وسوف تكشف ما أسررته إليها وتسبِّب لك الإزدراء.

١٩٠ - يا بنيّ، إذا شربت خمراً، احفظ لسانك من الثرثرة، فيقال عنك حكيم وذلك حسن لك.

١٩١ - يا بنيّ، لا تسلِّم مالك دون صكّ مكتوب وشهود، وفيما عدا ذلك، يتمّ إنكار الدين وسوف تندم.

١٩٢ - لا تبتعد عن صديقك، خشية ألاَّ تجد غيره، لأن الآخرين سوف لا يثقون بك ولن يعاملوك بصداقة.

١٩٣ - يا بنيّ، أحبب أباك الذي ولدَك، ولا تستجلب عليك لعنة أبيك وأمّك لكي تتمكَّن من الابتهاج لازدهار أبنائك.

١٩٤ - يا بنيّ، أفضل لك أن تُسرق أموالك من أن يكتشف لديك أموال مسروقة.

١٩٥ - أ. يا بنيّ، أكرمْ رجلاً جعل الله أعماله تزدهر.

١٩٥ - ب. وإذا لقيت شيخاً، إنهض أمامه وأظهر له احترامك.

١٩٦ - يا بنيّ، الأعمال الطيِّبة والتقدمة التي لا عيب فيها ترضي الإلّه. إرهبْ فقدان الشرف، كرهبتك أمام الله.

١٩٧ - يا بنيّ، قبول فكرة سيِّئة في قلبك يعطي الفرصة لصراع داخلي. والصبر أساس الأعمال ومثبِّت الإيمان.

١٩٨ - يا بنيّ، لا تعمل مع قريبك ما هو سيّىء في نظرك ولا تعطِ الآخرين ما ليس لك.

١٩٩ - يا بنيّ، عليك بمحبَّة الحقّ وكره الكذب وعدم النظام. أدرْ أذنك إلى أوامر الله ولا تخشَ الشرّ، لأن أوامر الله هي جدار سَنَدٍ للرجل.

٢٠٠ - يا بنيّ، اهربْ أمام رجلِ السوء وأمام الكذَّاب. البخل هو في كل الأحوال أمٌّ لجميع المساوئ، ومن الصفاقة تتولَّد المصائب.

٢٠١ - يا بنيّ، من يتحلَّ بصفة الرأفة يتألَّق كالشمس، ومليء بظلمات كثيفة قلبُ من نصب المكائد. من له قلب شهم، تملؤه الرحمة، ومن كان بخيلاً، ولو كان يملك أي شيء، فله عقل كليل.

٢٠٢ - يا بنيّ، لا تدخل بيت رجل سكّير، ولا تبقَ فيه إذا ما دخلته وإلاَّ فقدت مزايا طبيعتك.

٢٠٣ ـ يا بنيّ، لا تزدرِ بقريبك، لا عن بعد ولا عن قرب، لأن كلمات السوء تجد بسرعة طريقها إلى سيِّدها وينتج الشجار عن ذلك.

٢٠٤ ـ يا بنيّ، أمر الله بالخمر لإدخال البهجة (إلى القلوب)، ولكن في البيت حيث لا طهارة، وفي كل بيت سوءِ ساءت إدارته، فأفضل من شرب الخمر شرب الحمأة.

٢٠٥ ـ يا بنيّ، الرجل السكران يقول في قلبه: «أنا حكيم وقويّ، وكل ما أقوله، أقوله بحكمة»، ولكنه لا يعلم أنه إذا ما لقي رجلاً شجاعاً، فليس على هذا الأخير سوى لمسه لكي يرميه أرضاً.

٢٠٦ ـ يا بنيّ، إذا شهدت سقوط عدوك فكن رؤوفاً به، وهذا ما يسرّه. وعلى العكس من ذلك فإذا ما سخرت منه، فإنه يجعلك تدفع الثمن عندما ينهض.

٢٠٧ ـ يا بنيّ، يعتقد السكران أن الأرض تهتزّ ولا يلاحظ أثناء سيره أن رأسه هو المشوّش. وكما أن الأرض هي أم جميع الثمار، كذلك الخمر هو مصدر جميع الشرور. إنَّه يسبِّب أمراضاً ترهق في كل الأحوال وكذلك يقود إلى جريمة القتل بدون شفقة. إنَّه يجعل المرء يفقد صوابه ويجعله يبدّل طبعه بطبع الحيوانات المحرومة من العقل.

٢٠٨ ـ يا بنيّ، تحاشَ أن تكون كفيلاً: لأنك إذا ما قبلتَ بذلك، يعتقد الآخر أن عليك أن تدفع من مالك ـ وليس فقط من مالك، لأنه سوف يعمل أيضاً على نتف شعر لحيتك.

٢٠٩ ـ يا بنيّ، لا تلفظ أقوالاً كاذبة، لأنه إذا ما اكتشف مرَّة بأنَّك تكذب، فسوف تعامل ككذَّاب، ولن تصدَّق فيما بعد عندما تقول الحقيقة.

(III) ـــ حِكم وأمثال إضافية

باللغة السلافية

٢١٠ ـ يا بنيّ، لا تكن قاسياً مثل العظم ولا رخواً مثل إسفنجة.

٢١١ ـ يا بنيّ، حتى لو حسدك صديقك أو عمد إلى لومك، فاستقبله بالخبز والخمر.

٢١٢ ـ يا بنيّ، لا تستقبل في بيتك عبداً ثرثاراً، كي لا يبدِّد أرزاقك.

٢١٣ ـ يا بنيّ، إذا ما استولى عليك غضب شديد، فلا تتلفَّظ بأية كلمة خشية أن تُعَدُّ أحمق.

٢١٤ ـ يا بنيّ، من كان ذا أصلٍ متواضع، يزدريه الجميع.

٢١٥ ـ يا بنيّ، إذا لم تكن جائعاً، لا تأكل خبزاً كي لا تظهر كرجل جشع.

٢١٦ ـ يا بنيّ، عندما تستمع إلى رجل حكيم، فكأنَّك تنتعش بشرب ماءٍ بارد وأنت في حالة عطش بيوم حرٍّ شديد.

٢١٧ ـ لا تشتهِ دوس جارك برجليك، كي لا يردّ لك ذلك فيما بعد.

٢١٨ ـ يا بنيّ، لا تقبل مكافأةً عندما تذهب لأداء شهادة، لأن الهدية تعمي أعين القضاة.

٢١٩ ـ لا تحدث فضيحةً في بيتك إذا لم يكن الأمر يستحق ذلك لكي لا تتعرَّض لأعين الجوار.

٢٢٠ ـ يا بنيّ، الأفضل لامرأة أن يأخذ الموت طفلها من إرضاع طفل غريب؛ لأنه سيقابل بالشر الإحسان الذي تصنعه له.

٢٢١ ـ يا بنيّ، إذا دعوت صديقاً إلى مائدتك، استقبله بوجه بشوش، لكي يدخل بدوره باستعداد طيِّب. وإذا ما قدَّمت عشاءً فلا تستقبل صديقك بوجه مظلم فلا تكون دعوتك سبباً للإساءة إليك ولتعريفك كرجلٍ سيِّئ.

٢٢٢ ـ يا بنيّ، لا تهزأ من رجلٍ قليل الذكاء ولا من رجل أصمّ لأنَّهما من مخلوقات الله.

٢٢٣ ـ يا بنيّ، لا تحاول الانتقاص من كلمة مهمّة يقولها سيِّدك ولا تضخيم كلمة لا أهمية لها.

٢٢٤ ـ يا بنيّ، إذا ما قمت بسفر، فلا تعتمد على خبز الغريب، ولكن خذ معك خبزك الشخصي، وإن لم تستطع وأخذت طريقك مع ذلك، فسوف تتعرَّض للّوم.

٢٢٥ ـ يا بنيّ، إذا ما دعوت أحداً لحضور عيدٍ فلا تسبّب له الضجر بسبب أشياء أخرى، كي لا تُعَدَّ مخادعاً.

٢٢٦ ـ يا بنيّ، إذا كنت مدعواً عند جارك، تحاشَ تفحّص غرفته حتى الزوايا لأن هذا غير مستحبّ.

٢٢٧ ـ يا بنيّ، إذا ما دخلت بيت حزن، فلا تتحدَّث عن الطعام والشراب وإذا دخلت بيت فرحٍ فلا تحمل إليه الحزن.

٢٢٨ ـ يا بنيّ، إذا لبست ثوباً جديداً، تصرَّف بحشمة، ولا تحسد رجلاً يمتلك هو أيضاً شيئاً آخر. من كان له ثوب برّاق، يجب على كلمته أن تستحق الاحترام.

٢٢٩ ـ إذا كنت تملك شيئاً أو لا شيء، فلا تنشغل لذلك: فأي منفعة يجلبها لك الهمّ؟

٢٣٠ ـ إذا كنت تملك شيئاً، فلا تترك نفسك عرضة لعذاب الجوع أو العطش، لأنه إذا متّ فإن رجلاً آخر سوف يتمتّع بمالك الذي حرمت نفسك منه بدون جدوى.

٢٣١ ـ يا بنيّ، إذا ما سرقَ أحدٌ شيئاً فَأَشفق عليه.

٢٣٢ ـ يا بنيّ، إذا ما أظهر جارك العداء نحوك، فلا تكفّ عن الذهاب للقائه بلطف، كي لا يعدّ مشاريعه ضدك من دون أن تعلم.

٢٣٣ ـ يا بنيّ، إذا حاول رجلٌ معادٍ أن يحسن إليك فلا تثق به بسرعة، خشية أن يغشّك ويفرغ حقده ضدّك.

٢٣٤ ـ يا بنيّ، إذا عُوقب أحدٌ من أجل ذنب ارتكبه، لا تقل بأنه عُوقب بدون سبب، كي لا تقع عليك العقوبة ذاتها.

٢٣٥ ـ لتكن خشية الله أول المبادئ، كن بعد ذلك حاضر الأذن للاستماع ومتمهلاً في الإجابة، وكن صبوراً في حالة الغضب.

٢٣٦ ـ يا بنيّ أنادان[١]، إذا ما قال لك سيِّدك: «تعال» فلا تفرح، وإذا قال لك: «ابتعد عنّي»، فلا ينشغل بالك.

---

(١) تحريف لاسم نادان كما ورد في النص السرياني.

٢٣٧ ـ يا بنيّ أنادان، لا تكنْ سكّيراً، فالرجل المتقلّب الأطوار، أفضل من الرجل المدمن على الشراب. لأن الرجل المتقلّب لا يعتريه الهيجان إلاّ بحلول القمر الجديد، بينما لا يتوقف الآخر عن ذلك.

٢٣٨ ـ يا بنيّ أنادان، إذا كنتَ جالساً بالقرب من أحدٍ على مائدة طعام، لا تفكِّر سوءاً بصديقك، كي لا يصبح طعم الخبز مرّاً في فمك.

٢٣٩ ـ يا بنيّ أنادان، عندما يُباشر بالجلوس على مائدة، فلا تستجعل لأخذ مكانك في المقدّمة، خشية أن تعاد إلى الخلف. ولا تبقَ في المؤخرة كي لا تُنسى.

٢٤٠ ـ يا بنيّ أنادان، إذا ما غرقتَ في الهمّ، فاستدعِ رجلاً حكيماً لمواساتك، لأن عقلاً مضطرباً لا يمكنه التعبير عن كلمة صافية.

٢٤١ ـ يا بنيّ، القيام بعدوٍ طويل على حصان غير مُسْرَج، هو أسهل من حيازة رضى رئيس عديم الذكاء.

٢٤٢ ـ يا بنيّ، إذا ما اعتنيت بجسدك الفاني، وأهملت روحك يكون مثلك مثل الرجل الذي يهمل امرأة نبيلة ليهتمّ بخادمة.

٢٤٣ ـ يا بنيّ أنادان، إذا ما فتَّشت عن الزمني وأهملت السماوي، فأنت تشبه الرجل الذي رسم فلاحاً على جداره، عوضاً عن تكليفه بحراثة أرضه وجَلْب الثمار له.

٢٤٤ ـ يا بنيّ أنادان، إنّه لمؤلم رؤية رجل شجاع يسقط ميتاً من على حصانه، ويضاهي ذلك حزناً رؤية روح خبيثة في جسم سليم.

٢٤٥ ـ يا بنيّ أنادان، لو كنّا نعيش مائة عام وأكثر، سيكون هذا مع ذلك مثل يومٍ واحد.

٢٤٦ ـ يا بنيّ أنادان، القاضي العادل، يشبه الغربال الجيِّد، فكما يفصل الغربال بين القشّ والحبّ كذلك يفصل القاضي بين الحقّ والظلم.

٢٤٧ ـ يا بنيّ أنادان، إذا أردت أن يكون لك من حولك أتباع كُثُر، فليكن لك لسان عذب ويدان سخيّتان.

٢٤٨ ـ يا بنيّ أنادان، خيرٌ لك أن تعيش في كوخ رجل عادل، من أن تعيش في

قصر رجل مجرم.

٢٤٩ ـ يا بنيّ أنادان، يجب على عقلك ألاّ يكفّ عن الاعتماد على الكتب[١] لأنه يقال: «كما أن سياج الحقل لا يمكنه مقاومة الريح دون مساندة، كذلك الرجل، فبدون الكتب لا يمكنه الاحتفاظ بالحكمة حتى الشيخوخة».

٢٥٠ ـ يا بنيّ أنادان، إعلم بما يجري في هذا العالم: رجل فقير يتلفَّظ بكلماتٍ حكيمة، فلا ينصت إليه أحد، بل يقال: «إنه أحمق يردِّد حماقات». وإذا ما كان رجلاً غنياً فيقال: «أنصتوا، إنَّه أمير يتكلَّم» ـ ويُعدّ حكيماً بسبب ثروته.

٢٥١ ـ يا بنيّ أنادان، لا تركن إلى امرأة سيئة. فإن عسلاً يخرج من فمها، ولكنه بعد ذلك علقم مرّ وسامّ. فكر يا بنيّ بامرأة شمشون التي جرّدت زوجها من شعره وعينيه وباعته لأعدائه؛ وفي قمّة ألمه، جَعَلَ البيت ينهار على نفسه وقضى على الأصدقاء والأعداء[٢].

٢٥٢ ـ يا بنيّ أنادان، بُعد النظر أفضل من قصره.

٢٥٣ ـ يا بنيّ أنادان، إذا رأيت جثة عارية على حافة الطريق فلا تكسها. وإذا كانت مكسوّة، فلا تسلب كساءها.

٢٥٤ ـ يا بنيّ أنادان، روحي تتكيّف مع كل شيء، ولكن هناك ثلاثة أشياء لا تطيقها:

١. الخائن، ومن كان خائناً هو خائن بالنسبة لله ولأهله ولسيّده ولصديقه ولامرأته.

٢. الرجل الفقير والمتغطرس. لِمَ هو متعجرف؟ وعلى أي شيء يعتمد؟.

٣. رجل لا يحترم سيّده. لو كان سيّدك هرّاً، عليك تمشيط لحيته، لأنَّ من يحمل الرأس عالياً، يمكنه إدارته كما يشاء.

٢٥٥ ـ يا بنيّ أنادان، ما تمّ تجميعه ظلماً، يفقد بسرعة.

٢٥٦ ـ يا بنيّ أنادان، كما تتخلّ الأرض بسرعةٍ عن مائها وتجفّ، كذلك أنت، لا

(١) إضافة تلت حتماً فترة أحيقار التي لم تعرف الكتب بهذا المعنى.
(٢) نهاية الحكمة هي إضافة توراتية متأخرة.

تبقِ الرجل النمّام بقربك.

٢٥٧ ـ يا بنيّ أنادان، أبعد يديك عن السرقة، ولسانك عن الكذب وجسدك عن الدنس، وفوق كل شيء احترس من امرأة متزوجة.

٢٥٨ ـ يا بنيّ أنادان، إذا ما رجوت الله من أجل أي شيء، فلا تنسَ مواساة الحزانى وإكساء العراة، وإطعام الجائعين وإرواء غليل الظامئين ورفع معنويات التعساء بكلماتٍ طيبة وعذبة. فالكلمة الطيّبة، قيمتها تفوق الذهب والفضة.

٢٥٩ ـ يا بنيّ أنادان، لا تركض وراء المُلْك الغريب، لأنه بعد أيام قليلة، تقع ثروتك الشخصيَّة في أيدٍ أخرى.

٢٦٠ ـ يا بنيّ أنادان، إنَّه أفضل للرجل، أن يُشبّع نفسه بأعشاب عديمة الطعم، يأكلها بلذّة وفرح وفي جوٍ من البهجة والضحك، من أن يأكل جميع الحلويات في جوٍ من الكيد والنزاع والحزن والهمّ.

٢٦١ ـ يا بنيّ، ما علّمتك إياه، تلقَّهُ برضًى في قلبك، وردّه لي من قلبك ومن قلبي مع الزيادة.

(IV) ـــ حكم وأمثال إضافية
باللغة الرومانية

٢٦٢ ـ يا بنيّ، لا تعقد صَفْقة مع رجلٍ متنفّذ ولا تمتلك شيئاً من قِبله. لا تستحصلْ على أملاك مسروقة، لأن أملاكك الشخصية ستتبدد معها.

٢٦٣ ـ يا بنيّ أنادان، إذا خدمت سيّداً سيّئاً، لا تقل له بأنه سيىء معتقداً أنك تحافظ على رضاه، ولكن نفّذ ما يطلبه منك.

٢٦٤ ـ يا بنيّ، لا تتكلم بحضور سيّدك، لأنّه سيكرهك إذا ما أخطأت في كلامك.

٢٦٥ ـ يا بنيّ، إذا وصلت إلى مركز رفيع، فَانْحَن أمام الآخرين لأنه بسبب

حكمتك يمكنك الوصول إلى مكان أرفع.

٢٦٦ ـ يا بنيّ أنادان، أي مطلب تودّ الحصول عليه من الله، صلِّ باستمرار لكي يمنحه لك في حينه.

٢٦٧ ـ يا بنيّ، أنصت إلى الرجل الحكيم، حتى لو كان فقيراً لأن في ذلك مشيئة الله. يمنح الأول يوماً وفي يوم آخر يمنح غيره.

٢٦٨ ـ مهما طالت حياتك. فاحترسْ أن تحفر حفرة لغيرك لأنك ستكون أكيداً من الوقوع فيها[١].

٢٦٩ ـ يا بنيّ أنادان، قبل أن تتوجه إلى سيّدك، توخَّ أن تكون مزوّداً بثلاثة أقفال: قفل على قلبك والآخر على عقلك، والثالث على فمك ـ لأنه. بمجرد أن تتكلم، فلا يمكن اللحاق بالكلمة، لا على حصان ولا بواسطة الكلاب ولا بواسطة باشق.

٢٧٠ ـ مرة ثانية يا بنيّ، أكرم الرجل الطيّب والحكيم وتحمّله، حتّى لو لم يكن إلاّ حكيماً في مسيرته ولم يكن ثريّاً.

٢٧١ ـ يا بنيّ أنادان، إذا كان جارك سيئاً، فلا تهمله، لأن الله يرضى عنك ويحول دون أن يسبّب لك السيّىء أضراراً.

٢٧٢ ـ يا بنيّ، الأفضل حمل الأحجار مع الحكيم من الجلوس إلى وليمة الأحمق.

٢٧٣ ـ يا بني، أكرم إخوتك وأصدقاءك، خشية أن يتوجهوا إليك باحترام بحضورك ثم يعمدون إلى الإضرار بك وضربك من وراء ظهرك.

٢٧٤ ـ يا بنيّ، إذا رمى عليك أحد حجراً، فارمِ له خبزاً، لأن الخبز يعود إليك ويعود الحجر إلى راميه.

٢٧٥ ـ الأفضل لك أن يضربك حكيم من أن يكرّمك أحمق.

٢٧٦ ـ يا بنيّ، إذا ما جلست على مائدة الآخرين، لا تجلس في مكان متقدّم. لأن آخرين سيأتون وسيأتي أناس أرفع منك مرتبةً فتنتقل إلى مكانٍ أدنى. ولكن إذا جلست في المؤخرة واستدعيت إلى مكان أرفع فلن تنقل بعد ذلك إلى مكان أدنى.

---

(١) هذا المثل لا يزال يردد حتى اليوم على هذا الشكل: «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها».

٢٧٧ ـ لا تدعُ قط أحداً إلى مائدة غريب.

٢٧٨ ـ لا تمكث طويلاً حين تدعى، فمن الأفضل أن تبقى قليلاً ويؤسف أنك لم تبقَ مدّة أطول.

٢٧٩ ـ إذا كنت مدعوّاً، فلبِّ الدعوة، وملابسك نظيفة، وإلاّ فأفضل لك البقاء في بيتك وأن يؤسف لغيابك، من قدومك دون أن تكون حسن المظهر، لأنهم بدعوتهم إيّاك، أرادوا تكريمك وأنت تجلب الخجل على نفسك.

٢٨٠ ـ يا بنيّ، لا تخرج ليلاً بدون سلاح، لأنك لا تعلم بماذا تلتقي.

٢٨١ ـ يا بنيّ، لا تسافرْ بمفردك، وأثناء سفرك، لا تأكل كل مؤنك معتمداً على مؤن رفيقك، لأنه عندما تنفذ مؤنك فلن يُعطيك مما لديه.

٢٨٢ ـ إذا ما قدّم لكَ أحدُهم آراء صائبة، فاستمع إليه، لأن ذلك مفيد جداً بالنسبة إليك وسيكون كماء نبعٍ منعش بالنسبة لرجل عطشان.

٢٨٣ ـ لا تذهب إلى مائدة غريبة دون أن تكون مدعوّاً.

٢٨٤ ـ ما لا تعدّه جيداً بالنسبة إليك، لا تعمله للآخرين[1].

٢٨٥ ـ يا بنيّ أناداد، إنتبه إلى فم الكيس وليس إلى قعره، لأن القعر هو أيضاً في نهاية الكيس (ولا تصل إليه إلاّ في النهاية).

---

(١) لا نزال نكرر مثل هذه الحكمة حتى اليوم في: «لا تشتهِ لغيرك ما لا تشتهيه لنفسك» أو «لا تعامل الآخرين بما لا تريد أن يعاملوك به».

مُلْحَق

حكايات الحيوانات ومسارها الطويل
من سومر إلى أحيقار ولقمان
ومن كليلة ودمنة إلى لافونتين[1]

(١٧٠٠ ق.م. ـ ١٧٠٠م)

١ ـ حكايات الحيوانات في سومر

أبرزت مكتشفات سومر، عدداً كبيراً من الأختام التي نقشت عليها مشاهد لحيوانات في أوضاع بشرية مختلفة: كالتنقّل في قوارب تقودها بأنفسها أو في أوضاع تعبدية، أو أوضاع لثور أو مشاهد راقصة أو مشاهد تشكيل جوقة موسيقية.

كلّ ذلك يكمّل الحكم والأمثال التي وضعت في سومر على لسان الحيوانات، ونستكمل الحكايات القصيرة التي كانت الحيوانات أبطالها[2] بتقديم بعض الملاحظات عما يمكننا استنتاجه بهذا الصدد من المجموعات السومرية حول الشخصيات التي تميزت بها الحيوانات في حكايات وأمثال سومر:

- فالثعلب، هو المتبجح، الذي يحاول في أغلب الأحيان إحاطة نفسه بالأهمية وبصفات لا يملكها ويتراجع عند أول عقبة. وهو الجبان الذي لا يفيده التبجح والمغالاة ويصوّره مثل بأنه «يكشّر عن أنيابه ولكن رأسه يرتجف خوفاً». وفي إحدى الحكايات، يقرر مع زوجته، مهاجمة مدينة أوروك مدعياً أنه سيقضمها مثل نبتة كُرَّات، كما يقرر لبس مدينة كلاّب كصندل، في قدمه. . . . ولكنه حين يسمع عن

---

(١) انظر تقديم النص (رقم ١٠٣) عن أحيقار.
(٢) انظر الفقرة السادسة من التقديم المشار إليه في الحاشية رقم (١).

بعد كلاب المدينة تنبح، يقول لزوجته: فلنعد أدراجنا، فالظاهر أن الكلاب تنبح بلهجةٍ تهديدية داخل المدينة.

ووصلتنا من سومر أيضاً، حكاية الثعلب الذي ابتهل للإلّه إنليل أن يمنحه قرني ثور، واستجاب إنليل لطلبه ولكنه لم يتمكن من العودة إلى وكره حين اشتد عليه البرد. وقد ورد عند أيزوب ما يماثل هذه الحكاية في قصة «الجرذان وبنات عرس». ويشبه الثعلب السومري الثعلب الإيزوبي في حكاية «الثعلب والعنب»[1] وهما مشوهتان مع الأسف. وقد وردت أيضاً قصة الثعلب والغراب وفي فمه قرص الجبن عند إيزوب.

- أما النمس، فقد فضّله السومريون على الهرّ في اصطياد الجرذان، وذلك بالنسبة لحيويته في الانقضاض على فريسته بينما يكمن لها الهرّ بهدوء وكأنه يفكّر. وقال المثل السومري بهذا الصدد:

«الهر بالنسبة. . . . لتفكيره
والنمس بالنسبة. . . . . لفعله.

- وهذا هو الأسد، الذي رأى السومريون أن الغابة هي حليفته حين يختبىء فيها، ويقال عنه في سومر إنه عندما يهاجم زريبة فإن الكلب يبقى صامتاً محتجاً بأنه كان مربوطاً ولم يستطع التدخّل.

وحين يبدأ الأسد بافتراس خنزير برّي يقول له: «لحمك حتى الآن لم يملأ فمي ولكنّ زعيقك أصمّ أذنيّ!».

- وهناك حكاية حول فيل وعصفور صغير وأمثال حول الحمار والبغل وتساؤل، عمن سوف يعترف بالبغل: هل هو أبوه الحمار أم أمه الفرس؟ ونحن نقول اليوم بأن البغل يتباهى بأن الحصان خاله.

- وعن الخنزير روت حكاية سومرية تأملاته الفلسفية قبل أن يُقاد إلى الذبح. وفي حكاية أخرى يطلب منه سيّده قبل الذبح ألاّ يزعق، لأن «هذا الطريق سلكه قبله جدّه وأبوه». ولا نَنْس، لهذه المناسبة سفينة الإلّه القمر التي تجيب محاوريها بأنها «لن تتخلى عن حمولتها (النص ٨١ من هذا الكتاب). ولا نَنْس طبعاً مغامرة النسر والحية

---

(١) هذه الحكاية عرفناها معربة ولا تزال نهايتها تردد في المثل: «وقال هذا حصرمٌ رأيتُه في حلبِ!».

في النص (رقم ٧٤) من الكتاب الثاني وعلاقة إيتانا الملك مع هذا النسر الذي حمله إلى السماء في النص نفسه.

٢ ـ حكايات الحيوانات واحيقار

أورد النص (رقم ١٠٣) كامل قصة أحيقار وأمثاله وحكمه كما عرفها المصدر السرياني المعتمد من قبلنا. ولم تصلنا مع الأسف عن أحيقار، حكايات مستقلة أبطالها الحيوانات، تتصرف كبشرٍ وتصدر الأحكام والانتقادات وتردد الأمثال لكي تعلّم بواسطتها. ولكن الحكم التي أوردناها اشتملت بشكل غير مباشر على إشارات إلى أدوار الحيوانات في أدب أحيقار وحكمه حين كان يستشهد بمغزاها من ضمن توصياته أو أحكامه على ابن أخته نادان. ونعيد فيما يلي القارىء إلى أرقام هذه الحكم كما وردت في النص مع الإشارة إلى الحيوانات أو الأشياء المعتمدة من قبل أحيقار في إلقاء دروسه:

رقم الحكمة	الأبطال المعنيون
٩٨	العقرب والصخرة
٩٩	العنزة وشجيرة السمّاق
١٠٣	الخنزير وذيل الحصان وصوف الخروف
١٠٥	الأسد والحمار
١٠٦	العصفور والفخ
١٠٧	الثور والأسد
١٠٨	سوسة القمح
١٠٩	المرجل وأذناه الذهبيتان
١١٠	الفلاح الذي يكلم الحقل
١١١	عصفور يغرد للإيقاع بأمثاله في الفخ
١١٢	التيس ورفقاؤه في المجزرة

٣ ـ حكايات الحيوانات ولقمان الحكيم

أشارت الفقرة السابعة من تقديم نص أحيقار (رقم ١٠٣) إلى لقمان وحكمه. ويرى مترجم[١] أحيقار، أن حكم وأمثال أحيقار، دخلت في ما عُرف به لقمان من حكمة.

كما أشرنا في الفقرة الثامنة من التقديم نفسه للنص (رقم ١٠٣) أن المستشرق كوسّان دي بيرسوفال[٢]، تلقى في عام ١٨٠٢ كهدية شخصية نسخة باللغة العربية تضمنت حكاياتٍ للقمان أبطالها حيوانات. وتشير مجلة «النص العربي»[٣] في عددها رقم ٤١ لعام ١٩٩٦ إلى مخطوط أكسفورد الذي تملك مكتبة ستراسبورغ في فرنسا نسخة عنه، تتألف من تسع عشرة صفحة تحتوي على حكايات للقمان، كتبت باللغة

(١) فرنسوا نو (François Nau).

(٢) (Caussin de Perceval).

(٣) مجلة مزدوجة اللغة عربي/ فرنسي تحمل أيضاً عنوان «Textarab».

العربية من قبل أحد الأقباط الذي لم يذكر اسمه وقد نقلها عن مخطوط أسقف نصيبين في تركيا في عام ١٠١٦. أما النسخة المقدمة إلى دي بيرسوڤال، كما أشير إلى ذلك أعلاه فقد نقلها ميشيل شام (؟) في الحادي عشر من شباط لعام ١٨٢٠.

ويما أن مجلة «النص العربي» صادف صدورها الاحتفال بمرور ثلاثمائة عام على وفاة الشاعر الفرنسي جون دي لافونتين، فقد عمدت إلى الإشارة إلى علاقة حكايات لافونتين بحكايات لقمان، وأوردت منها ١٢ حكاية أبطالها حيوانات وأشارت إلى ما يقابلها لدى لافونتين.

ونقدّم عنها فيما يلي جدول التقابل التالي:

عنوان حكاية لقمان	عنوان ما يقابلها عند لافونتين
١ ـ الأرنب والسلحفاة	عنوان مماثل
٢ ـ الخنزير والعنزة والكبش	عنوان مماثل
٣ ـ الأسد والغزال	الغزال والكَرْمة
٤ ـ الحطّاب والموت	الموت والحطّاب
٥ ـ الولد الغريق والرجل العابر	الولد ومعلم المدرسة
٦ ـ الغزالة المريضة	الغزال المريض
٧ ـ الغزالة الفاخرة بقرنيها	الغزال وخياله في الماء
٨ ـ الكلب وخياله في الماء	الكلب الذي خسر ما حصل عليه من أجل خيال
٩ ـ البيضة الذهبية	الدجاجة ذات البيوض الذهبية
١٠ ـ الشمس والريح	فيبوس وبوريه[1]
١١ ـ المهر المولود	(بدون مقابل)
١٢ ـ الغراب والثعلب	عنوان مماثل.

(١) (Phebus & Borée) التسمية الأسطورية لكل من إلّه النور وهنا يرمز إلى الشمس، وإلّه الريح وهنا بمعنى الريح.

وبالنسبة للقمان أيضاً، تعدّ إحدى منشورات مكتبة معهد العالم العربي حول «كليلة ودمنة»[1] أن لقمان هو إيزوب العرب الذي نسبت إليه ٤١ حكاية. وأما عن إيزوب، فيمكن إيضاح ما يلي:

٤ ـ إيزوب الذي نُسبت إليه حكايات الحيوانات

يُعَدّ إيزوب شخصية شبه أسطورية، وقد أشارت الفقرة السادسة من تقديم نص أحيقار (رقم ١٠٣)، إلى أن كاهن القسطنطينية بلانود، حين جمع في القرن الثالث عشر الميلادي الحكايات حول الحيوانات بالاعتماد على وثائق قديمة، لم يشأ على الأرجح إرجاعها إلى مصدر شرقي (أحيقار أو بيدبا أو لقمان) فنسبها إلى إيزوب، وعرفتها الثقافة الغربية على هذا الأساس.

وإذا ما أخذنا بهذا الرأي، الذي يتطلب تأكيد صحته من مصادر أخرى وهو اعتبار إيزوب شخصية مُقحمة في هذا المجال، تبقى أمامنا بالنسبة لحكايات الحيوانات المصادر الأكيدة وهي سومر وأحيقار ولقمان من جهة وما عرّبه عبد الله بن المقفع عن الفيلسوف والحكيم الهندي بيدبا[1] من جهة أخرى.

وإذا ما كان أحيقار الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد قد تناقلت آثاره شعوب وأمم متعددة وفي أزمنة مختلفة وترجمتها من الآرامية إلى العبرية واليونانية والسريانية والعربية والأرمنية والسلافية... فلا شيء إذن كان يحول دون ترجمتها إلى الفارسية أو الهندية في نسخ لم تصلنا، عِلْماً أن اللغة الآرامية والسريانية فيما بعد كانتا منذ العصر الإخميني والسلوقي ومن بعده الساساني لغتي الثقافة في المنطقة إلى أن حلّت محلهما اللغة اليونانية التي بدأت تنتشر بعد فتح الإسكندر في عام ٣٣١ ق.م. لبلاد ما بين النهرين. وليس من المستبعد على هذا الأساس أن يكون بيدبا قد تعرف على أحيقار وحكمته وحكاياته، كما تعرف عليها اليونانيون بواسطة ترجمة الفيلسوف ديموقريط[3].

---

(١) ملف وثائق ومختارات مراجع Kalila & Dimna, Dossier documentaire Selection bibliographique-Octobre 1996 وتقارن هذه النشرة في الصفحة ٢١ بين حكايات كليلة ودمنة وحكايات لافونتين معتبرة أن عبد الله بن المقفع ولافونتين استندا إلى المصدر نفسه، أي بيدبا الهندي.

(٢) (Bidpay). عاشت في القرن الثالث لما قبل الميلاد.

(٣) انظر الفقرة الثالثة من تقديم نص أحيقار (رقم ١٠٣).

٥ ـ بين أحيقار وبيدبا

يبقى على الباحث العربي التعمق في ما استعرض أعلاه ودراسة المصادر التي اعتمدها بيدبا نفسه، إذا ما توافرت، أملاً بأن تعود في يوم ما أبوّة ما أوحى بمضمون كليلة ودمنة إلى كلّ من سومر وأحيقار؛ ولا نعبّر هنا إلاّ عن أمل في أن يتم التعمق في هذا البحث الذي لا يدخل في مجال عرضنا لأحيقار في قصته وحكمه.

ويلخص هذا الملحق في فقرته التالية، من سومر حتى لافونتين، المراحل التي عرفتها قصص وحكايات الحيوانات في جدول إجمالي، نثبته في الصفحة التالية:

٦ ـ حكايات الحيوانات ـ الجدول الإجمالي

المرحلة	المصدر	الفترة الزمنية	المواضيع المطروقة		ملاحظات
			حكم وأمثال	حكايات حيوانات	
١	سومر وآكاد	منذ ١٧٠٠ ق.م.	متوفرة	متوفرة	النصوص (١٩٩ ـ ١٠٣) والفقرة (١) من هذا الملحق
٢	أحيقار	٧٠٠ ق.م.	متوفرة	متوفرة	النص (١٠٣) والفقرة (٢)/ ملحق
٣	إيزوب	(٦٢٠ ـ ٥٦٠) ق.م.	ـ	(؟)	انظر الحقل ٨ من هذا الجدول
٤	بيدبا	حوالى ٣٠٠ ق.م.	متابعة البحث	أساس كليلة ودمنة	ـ
٥	لقمان	ما قبل الإسلام	قرآن كريم	متوفرة	انظر الفقرة (٣) من الملحق
٦	عبد الله بن المقفع	(٧٢٠م ـ ٧٥٦م)	مؤلِّف «الأدب الكبير»	كليلة ودمنة	ترجمت إلى ٤٠ لغة
٧	ألف ليلة وليلة	قرن ثالث عشر	ـ	الليالي: ١٤٦ و٧٧٧ و٧٩٦ و٨٠١	مثال عن أرقام الليالي التي روت حكايات حيوانات
٨	بلانود كاهن القسطنطينية	قرن ثالث عشر	ـ	أخذ عن أحيقار ولقمان ونسب لايزوب	إيزوب شخصية مُقحمة
٩	ألف ليلة وليلة ترجمة دي بيرسوڤال	١٨٢٠	أدخل في ترجمته قصة أحيقار	ـ	تحت عنوان أسرحدون ووزيراه
١٠	لافونتين	(١٦٢١ ـ ١٦٩٥)	ـ	اعتمد ما نُسب لايزوب وابن المقفع	أي إيزوب بلانود وترجمات كليلة ودمنة.

المحتويات

الفصل الثالث

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الأول

أناشيد الحب السومرية

* يتعلق **«أناشيد الحب السومرية»**، بنصوص الخصب والإخصاب، أو كما يقول الشعراء السومريون، **«بمنيّ السماء»** يخصب الأرض و**«بماء القلب»** يخصب الأرحام.

* **تحت عنوان ماء الأرض وماء القلب يعرض الفصل الأول**، كيف تمّ بواسطة الماء إحياء بلاد دلمون من قبل الإلّه أنكي، وكيف يقع الإلّه إنليل في غرام ننليل ذات البهاء والظرف. ويقدّم لنا تفاصيل حيّة عن خطبته وزواجه من سود الجميلة. ولا ينسى تتبّع الإلّهة إنانا حين تنزل من سمائها لتتفقّد أحوال الأرض حيث يغتصبها بستاني أنكي.

* ينقل إلينا **الفصل الثاني أجمل أناشيد الحبّ والجنس**، بين **أشهر حبيبين عرفهما عالمنا القديم**، أي علاقة الراعي دوموزي وإلّهة الخصب والجمال إنانا، لينتقل بعد ذلك إلى دور ملوك سومر في **مراسم الزواج الإلّهي**، وهنا أيضاً نقرأ عن سومر أناشيد حب رائعة حتى في عفويتها **«الإباحية»**.

* ولذا أمكن القول بأن مجمل أناشيد الحب المعروضة، تشكل ما يمكن أن يسمّى **«نشيد أنشاد سومرياً»**، مِمّا جعل **الفصل الثالث** ينتقل إلى عرض دراسة هي الأولى من نوعها في اللغة العربية حول توازي نشيد الأنشاد السومري مع نشيد الأنشاد التوراتي المنسوب لسليمان الملك.

* الكتاب الأول من مجموعة ديوان الأساطير، يقدّم للقارىء العربي ذخيرة ثقافية فريدة ـ جمالياً ومعرفياً وتاريخياً.

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثاني

الآلهة والبشر

هذا الكتاب الثاني من مجموعة «ديوان الأساطير» يطرح المواضيع الرئيسية التالية:

*** البدء والأصول،**

واستعراض قصص التكوين والخلق في ما بين النهرين التي سبقت تحفة النظرة الشاملة في:

*** قصيدة التكوين والخلق البابلية،**

مُكرِّسةً ارتقاء الإله مردوك ومردّدةً أسماءه الخمسين تمجيداً له.

*** قصيدة الفائق الحكمة وقصة إنقاذ البشر من الطوفان:**

وتروي تاريخ البشرية من الخليقة حتى الطوفان، وهذا النص هو في أساس الموضوعات التي تأثرت بها التوراة.

*** الثواب والعقاب**

في انطباقه على الآلهة وعلى الملوك والمدن.

*** مسرحية البكاء على خراب سومر ومدينة نقر:**

وهو أقدم نص عن المسرح الديني السومري الذي سبق المسرح الاغريقي بألف عام.

*** العادل المعذّب والعدالة الإلّهية:**

وهو في أساس قصة أيوب التوراتية.

*** الصعود إلى سماء الآلهة،**

في كلٍّ من مغامرتي أدابا الحكيم وإيتانا الذي صعد إلى السماء على جناح نسر، ونبلِ سعيه.

هذا الكتاب من «مجموعة ديوان الأساطير»، يطرح المواضيع الرئيسية التالية:

* النعجة ـ الأم والشعير والكتّان، هي الرموز الثلاثة التي اعتمدتها الأساطير السومرية للتعبير عن بداية بناء الحضارة في بلاد الرافدين.

* الإلّه البدوي مارتو، يستحقّ الزواج من إبنة إلّه المدينة، وقد سَحَرهُ جمالُها، فألْهَبَ شجاعته.

* إنليل، سيّد الآلهة وسيّد البلاد، يطلق بناء الحضارة ويجعل من مدينتهِ نِفرّ، محجّاً للآلهة لتقديم الولاء.

* الإلّه نينورتا، يُخضِع في المنطقة الجبلية «شعب الحجارة» مكمّلاً دور إنليل الحضاري.

* أنكي، إلّه المعرفة ومهارة الصنع، يرسّخ أسس الحضارة وينظّم البلاد وينقل الولاء إلى مدينته إريدو.

* الإلّهة إنانّا تتوجّه على «سفينة السماء» إلى إريدو لتعود منها محمّلة بأسس الحضارة، فترفع من شأنِ مدينتها أوروك.

* إنانا/ عشتار «إلّهة الإلّهات» و«سيّدة المعارك»، تتابع ارتقاءَها عبر القرون، فيستمر تمجيد سلطتها.

* بين المدرسة والحكمة، هو الفصل الأخير الذي يشهد على تعميم الحضارة وبناء الأسس والقيم الأخلاقية والاجتماعية من ضمن مجموعات من الحكم والأمثال السومرية والأكادية.

* يُختتم هذا الكتاب، بسرد قصة أحيقار، حكيم بلاد نينوى، عارضاً موضوع بحثٍ حول الأصول السومرية والآرامية لكليلة ودمنة.

ISBN 1 85516 337 3

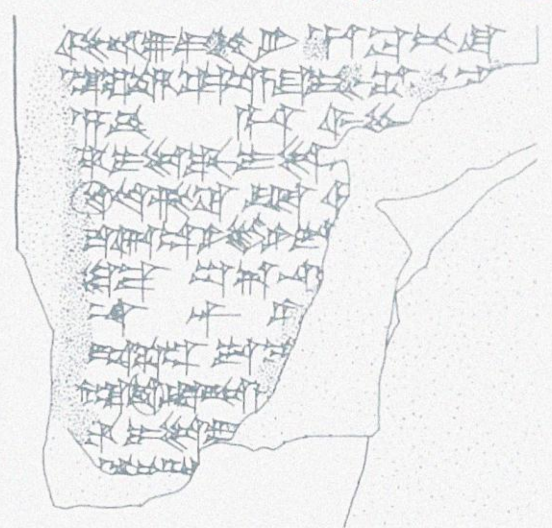


ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الرابع

المَوتُ وَالبَعثُ وَالحَياة الأبديَّة





نقله الى العربية وَعلّق عليه : قاسم الشوّاف

قدّم له وأشرف عليه : أدونيس

دار الساقي

ديوان الأساطير

من أعمال قاسم الشواف

- كتاب «الكلمة الصافية» صدر عن دار الأجيال في دمشق عام ١٩٦٩.
- «الاستعادة» بصدد الصراع الصهيوني ـ العربي، صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي في دمشق (١٩٦٩) باللغة الفرنسية.
- «نحن الملك» مسرحية مُعرَّبة عن كتاب «أنا الغاضب» للكاتب المغربي محمد خير الدين. صدرت في عام ١٩٧١ عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- كتاب «مع رحلة الفنان وليد عزت، في أساطير سومر وملحمة جلجامش» محتوياً على كامل لوحات الفنان الخاصة بهذه المواضيع. صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي بدمشق (أيلول ١٩٧٣).
- الكتاب الأول من مجموعة ديوان الأساطير: «أناشيد الحب، ماء الأرض وماء القلب» في نصوص ما بين النهرين. صدر عن دار الساقي، حزيران ١٩٩٦.
- الكتاب الثاني من مجموعة ديوان الأساطير: «الآلهة والبشر» عبر نصوص سومر وآكاد وآشور. صدر عن دار الساقي ١٩٩٧.
- الكتاب الثالث من مجموعة ديوان الأساطير: «الحضارة والسلطة» في نصوص ما بين النهرين. صدر عن دار الساقي ١٩٩٩.
- أخبار أوغاريتية وموسيقى من أوغاريت: أقدم موسيقى معروفة في العالم. صدر عن دار طلاس بدمشق ١٩٩٩.

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الرابع

الموتُ وَالبَعثُ وَالحَيَاة الأبديَّة

نقله الى العربية وَعلَّق عليه : قاسم الشوّاف

قدَّم له وأشرف عليه : أدونيس



دار الساقي

الطبعة الأولى ٢٠٠١

ISBN 1 85516 565 1

دار الساقي

بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)

e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

DAR AL SAQI

London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH
Tel: 020-7221 9347; Fax: 020-7229 7492

ديوان الأساطير

الكتاب الرابع



استهلال

ـ ١ ـ

بدأ في السنوات العشرين الأخيرة اهتمام خاص ومفاجىء لدى العرب، كتّاباً وباحثين وقرّاء، بالأسطورة، وبالقضايا الأدبية والفكرية التي تتولّد منها، أو تَتّصل بها. فقد تُرجمت ونشرت أكثر من مرّة، ملحمة جلجامش، تمثيلاً لا حصراً. وعمل باحثون كثيرون في العراق وسورية، بخاصّةٍ على دراسة الأساطير في هذين البلدين، وعلى ترجمة نماذج عديدة منها، نقلاً عن اللغة الأصلية، أو اعتماداً على ترجماتها في اللغات الأجنبية.

ـ ٢ ـ

وهذه المحاولة التي نقوم بها، قاسم الشوّاف وأنا، ليست إلاّ استمراراً لتلك الجهود الرّياديّة، الطيبة واللاّمعة، التي تقدّمتها، غير أنها محاولة تتميّز عمّا سبقها، بطموحها وشمولها. فهي تهدف إلى تقديم الأساطير في موسوعة، أو ديوانٍ يحتضنها جميعاً، في عشرة أجزاء، منذ البدايات الأولى على هذه الأرض التي ننتمي إليها، في سومر بين أحضان دجلة والفرات، وفي سورية، والجزيرة العربية، وانتهاءً بمصر وضفاف نيلها الكريم.

ـ ٣ ـ

يمثّل، إذاً، هذا الاهتمام الناشىء بالأسطورة في الوسط الثقافي العربي، ما يمكن أن نسمّيه بانقلابٍ معرفيّ ونظريّ. ولا أخوض هنا في الأسلوب التي أدّت إليه، بل أقتصر على القول إنّه دليل نُضْجٍ وتفتّح.

وهو، إذاً، انقلاب يشير إلى تغيّر أساسي ـ إلى نشوء نظرةٍ أخرى ترى في اللغة العربية أختاً وامتداداً للغات التي سبقتها، وترى أنها، إذ أخذت محلها، فقد احتفظت بشحنتها الثقافية الحية، إبداعاً وتأصُّلاً.

يشير، أيضاً، إلى ما هو أبعد وأعمق. لم يعد العربي، الكاتب خصوصاً، يرى نفسه سابحاً في تموّج لغته، كأن التاريخ مجرّد عربةٍ لغوية تقطر وراءها الحياة سائرة في فضاء مجرّد، في انقطاع عن القرار العميق: الأرض التي انبثقت منها هذه اللغة. أصبح، على العكس، يرى عمودية هذه اللغة، وعمقها الوجودي والتاريخي.

ـ ٤ ـ

في هذا ما يمثّل بدايةً لعودة نوع خاص من الدفء إلى اللغة الشعرية العربية، وإلى الحساسية العربية. فالأسطورة دفء للعقل وللجسد ـ مما يذكّر به الشاعر الفرنسي «باتريس دولاتور دوبان» في عبارته الجميلة: «الشعب الذي لا أساطير له يموت من البرد»، خصوصاً برد التقنية الآخذة في تدمير طفولة العالم. إن في الطاقة التخيلية التي تكتنزها الأسطورة ما يتيح التأسيس لبؤرة من العلاقات الإنسانية، يتخطى برودة التقنية، إضافة إلى ما تولده في الإنسان من القدرة على الاستباق والاستشراف.

وإذ يرتبط الأدب، والشعر بخاصة، بالخيالي الأسطوري، يصبح أكثر قابلية لأن يكون بناء يشمل برؤيته الجمالية المجتمع ـ علماً وفلسفة، قيماً وعلاقات. فيعيد، على طريقته وبخصوصيته، النظر في العالم، بحيث يكون نقداً شاملاً،

انطلاقاً من تلك الرؤية. هكذا يتاح للرؤية العلمية أن تكون هي أيضاً شعرية، ويتاح للتقنية أن تتنفس هواء الشعر، فتظل الحياة أكثر إنسانية، ويظل الوجود، تبعاً لذلك، أكثر بهاء، ودفئاً.

آثرنا أن نحافظ، في الترجمة، على بناء الجملة الأصلي، بحيث تنقل إلى العربية كما هي، دون تعديل إلاّ في أشياء طفيفة تقتضيها بين وقت وآخر خصوصية الصياغة النحوية وخصوصية التعبير في اللغة العربية، وفقاً لتلك الصياغة.

نأمل أن يساعدنا الباحثون والقراء في هذا العمل، بنقدهم البصير، ومعرفتهم الدقيقة. ففي هذا ما يفيدنا في تهيئة الأجزاء التالية من هذا الديوان، فنتلافى أخطاءنا في هذا الجزء الذي بين أيديهم، ونعمل على أن تجيء الأجزاء التي ستليه أكثر ما يمكن قرباً إلى الصحة والدقة.

أدونيس

حاشية

أودّ أن أشير في هذا الكتاب الرابع من «ديوان الأساطير» إلى الأساس الذي يجمع، في النصوص التي يتضمنها، بين الرؤية إلى الكون والرؤية إلى الكتابة، بعامة، وبين الكتابة والعمل، بخاصة. وهي مجرد إشارة، آملاً أن تليها دراسات مفصلة يقوم بها المختصون لإضاءة العلاقة، في عالمنا القديم، قبل الأديان النبوية الموحاة، بين اللغة ـ أداة للمعرفة، والوجود ـ موضوعاً للتساؤل والبحث. وما أشير إليه هنا ينطبق على النصوص التي نشرت سابقاً، وتلك التي ستنشر لاحقاً.

«المؤلِّف» في هذه النصوص لا يقول نفسه، وإنما يقول «الجماعة»، فاسمه وهويته ذائبان فيها. ويقوم «التأليف» على قاعدة رؤيوية يمتزج فيها الدين بالفكر، والفكر بالفن، والحِس الفلسفي بالحس الجمالي. ويمكن القول، تبعاً لذلك، إن التأليف يصدر عن رؤية تكوينية للعالم. و«الجماعة» كلها هي «الكاتبة».

لا ينفصل «المؤلّف» إذاً عن العالم من أجل أن يتصل بـِ «مثال» التأليف، فهو أصلياً، بنّاءُ العالم، وتأليفه يحمل النّسغ الذي يتدفّق في جذوره. يحيا في لجّة الأشياء، وفي لجّة الأيام والأعمال. لذلك ليس تأليفه «مثالاً» تُنتقد الحياة العادية من أجله، لكي تتجه نحوه وترقى إليه، وإنما هي الحياة الواقعية والمتخيّلة معاً ـ مسكوبة في الكلام. ومن بابٍ أولى، في هذا الأفق، أَلاّ يكون التأليف «صورةً» عن الأشياء التي يقول، وأن يكون هذه الأشياء نفسها ـ عملاً وتخيّلاً وكلاماً. فاللّغة حاضنةٌ للوجود كلّه ـ رؤيةً، وغناءً، وممارسةً، في تمحورٍ أساسيّ حول البناء ـ النّشيد، النشيد ـ البناء، وفي جدلٍ بين البادية والحاضرة، على صعيد الإنشاء والبناء و«التقدّم»، وبين رموز «الخير» ورموز «الشر»، على صعيد الأفكار والقيم. والآلهة والحكّام، هم أنفسهم، لا يُمجَّدون إلاّ بوصفهم عاملين في هذا البناء الكلّي الحضاريّ. ولا ينحصر هذا التمحور في الذكورة وقيمها، وإنما تتوسّطه الأنوثة الإلّهيّة الخالقة.

أدونيس

مقدّمة الكتاب الرابع

من سومر وأكاد وآشور، أخذت «مجموعة ديوان الأساطير» على عاتقها، أن تقدّم للقارىء العربي، النصوص الأسطورية والبطولية والحضارية، التي عرفتها بلاد الرافدين، مجمّعة ضمن كتبٍ مستقلة، يختصّ كلّ منها بموضوع رئيسيّ واحد، بقصد تسهيل التعريف بها والتمكين من متابعتها، والتعرّف على تطوّرها بشكل أوسع وأشمل، والخروج بها من التشتّتِ والتوزّع، على عددٍ كبير من الكتب الأجنبية، التي تكتفي عادةً بنشر مختاراتٍ من النصوص غير المتجانسة، وكأنّه أُريد لها ألاّ تخدم غير التشتّت وعدم التجانس. ولذلك، كان يصعب على القارىء والباحث والمحاضر والطالب، التعرّف على مدى انتماء هذه النصوص، إلى المواضيع الإنسانية الكبرى التي شغلت مفكّري وشعراء عالمنا القديم.

مجموعة ديوان الأساطير، تمكّن إذن القارىء والباحث والطالب العربي، من الاطّلاع على مختلف جوانب الموضوع الرئيسي الذي أراد كلّ كتاب عرض نصوصه، والتعليق عليها، بما يخدم تفهّم مقاصدها ومتابعة ارتباطها بالموضوع المقصود.

المواضيع الرئيسية التي عرضتها الكتب الأولى، هي التالية:

الكتاب الأول: ردّد «أناشيد الحبّ السومرية» التي تمحورت حول الخصب والإخصاب والزواج المقدّس، والتي تمثّلت في شخصيتيّ الراعي دوموزي والإلّهة إنانا.

الكتاب الثاني: تعرّض لموضوع «الآلهة والبشر»، في العلاقة التي تأسّست

بينهم، منذ الخليقة في استحقاق ثوابٍ وعقاب، تأرجَحَ بين العقاب الجماعي في قصة الطوفان، وفي خراب ودمار المدن والممالك بسبب غضب الإلّه، وبين عقاب فردي، في آلام «العادل المعذّب»: وطرح التساؤل الفلسفي حول العَدَالة الإلّهية.

الكتاب الثالث: روى تحت عنوان «الحضارة والسلطة»، قصّة بناء الحضارة وانتقالها، وتعرَّضَ للولاء والسلطة بين الممالك، كما عَرَض الأسس الحضارية التي ابتدعتها بلاد الرافدين، في مجالي المدرسة والحكمة، منتهياً بقصّة أحيقار، حكيم بلاط نينوى، متتبِّعاً جذور ما استوحته مما سبقها وأثرها على حكايات الحيوانات في كليلة ودمنة.

أما هذا الكتاب الرابع. فقد توخّى عرض موضوع فائق الأهمية، شغل الإنسان، في مختلف بقاع الأرض، منذ أن بدأ ينظر إلى ما حوله، مفسِّراً الكون المحيط به، ومحاولاً التعرّف على دوره فيه؛ وبشكل خاص، بعد أن شهدَ موت الطبيعة وبعثها في توالي الفصول، واصْطدم بموتِهِ هو، فأخذ يسأل ويتساءل.

الكتاب الرابع يقدّم إذن ما خطّه إنسان ما بين النهرين حول الأسئلة الرئيسية التي طرحها على نفسه، وحاول الإجابة عليها. من ضمن ما دبّجته معتقداته حول الآلهة وعلاقة البشر بهم بعد أن أسهب في عرضها الكتاب الثاني بصدد الثواب والعقاب، ليتطرق في هذا الكتاب إلى موضوع الموت، مفرّقاً بين موت الآلهة وموت البشر.

وانطلاقاً من موت الآلهة وبعثهم، الموازي في رمزيته لموت الطبيعة وبعثها، يعرض هذا الكتاب، ما وصلنا عن موت دوموزي/تموز، وبكاء إنانا/عشتار على مصيره، ثم بعثه مع خضرة الربيع؛ كما يدعو القارىء، للاحتفال مع شعب بابل، بعيد رأس السنة، الموافق موت وبعث الإلّه مردوك سيد جميع الآلهة.

يتطرَّق الكتاب بعد ذلك، إلى موت البشر، محاولاً معهم كشف سرّ ما بعد الموت، وعارضاً معتقدات بلاد الرافدين بصدد عالم ما هو تحت، العالم السفلي، كما يتابع تطوّر هذه المعتقدات المؤدّي إلى مفهوم بعث الأرواح والقيامة لحسابٍ يلتقي مع ثوابٍ وعقابٍ تنفيذ العدالة الإلّهية في العالم الآخر.

وبالتوازي، مع تساؤل الإنسان عن مصيره بعد الموت، لم تغفل نصوص بلاد الرافدين، عرضَ موضوع القلق أمام الموت، ومحاولة رفضهِ والتهرّب منه، في سعيٍ وراء حياةٍ بلا موت. ومَنْ غيرَ چلچامش يمكنه رسم معالِم هذا الطريق، في سعيه لنيل الحياة الأبدية وفي فشله، الذي يلقِّن البشر بواسطته، قبول الموت لأنه مصير البشر المحتوم، ويطرح أمامنا، مفهوم خلودٍ آخر، هو الخلود المجتمعي، حين «جعل لنفسه إسماً» في أعماله المجيدة. قَضى چلچامش، كما يشير إلى ذلك نصّ يعرضه هذا الكتاب، ولكنّ ملحمة سعيه بقيت وينشرها كاملةً عن مكتبة آشوربانيبال في نينوى، الكتاب الرابع.

وكما يفرّق الكتاب، بين موت الآلهة وموت البشر، فإنه بصدد موت البشر يفرق أيضاً بين موتين، الموت الطبيعي، موت المرض والشيخوخة والموت القسري وهو موت الحرب والدمار.

ومما يؤسف له، أن البشر الذين فُرِضَ عليهم الموت وقبلوه كقدرٍ لهم، فَرَضُوا بدورهم الموت على الغير في الحروب الداخلية والخارجية التي عرفتها جميع شعوب الأرض!

وهكذا، ففي فصلٍ يختص بالحرب والدمار، يحاول الكتاب الرابع التعريف بما اقترفته الحروب، عند الانتقال من المملكة ـ المدينة، إلى البلاد الموحّدة بالقوة ومن ثمّ التوسّع لبناءِ أمبراطوريات، لم تكن وقفاً على بلاد الرافدين وحدها، لأن أمبراطوريات أخرى، عرفها عالمنا القديم، لم يكن مركزها بابل أو آشور.

الحروب المولِّدة للموت القسري، تتناقض كلياً مع الفترة المثالية التي عرفها «العصر البطولي» في سومر، ولو أن ذلك العصر، تمثل في مثاليّة تصوّرٍ حفظته لنا ذاكرة أحلام الشعراء، الذين ابتدعوا نصوصاً، حبّبت إلينا أبطال وأحداث تلك الفترة، حين كانت الخلافات بين الممالك، لا تولّد حروباً دامية، بل كان يُتّخذ القرار بشأنها، بحلّ الخلاف بالوساطة والتحكيم، أو في أسوأ الاحتمالات، باللجوء إلى مبارزة بين بطلين أو بين ساحرين، يختار كل طرفٍ مُمَثِّلهُ ويخضع للطرف المنتصر. والنصوص التي وصلتنا من عصر سومر البطولي، يقدّمها الكتاب الرابع، للدلالة على التناقض وعلى البون الشاسع بينها وبين حروب الدمار الشامل، التي كانت تمسح المدن والمعابد، ولا تبقي على أحد،

تقتل وتنفي؛ وأبعد من ذلك، فإنها لم تكتفِ بالانتقام من الأحياء، بل كانت تنتقم من الأموات؛ ويشرح الكتاب الرابع، كيف ولماذا كانت تُنبش القبور وتُسحق عظام أجداد الأعداء لإحالتهم إلى العدم.

ومن خلال هذه الصورة القاتمة لموت الحرب والدمار، تصوّر أحد مثقّفي تلك الفترة، في عمل ملحمي، فيه ما يكفي من القوّة والحداثة لكي يفرض نفسه على قارىء اليوم، مع أنه مضى أكثر من سبعة وعشرين قرناً على تأليفه تصور هذا الشاعر المثقّف، وقد أعلن عن اسمه، أن كل تلك الأهوال كانت تحدث، لأن إلّهاً اسمه «إيرّا»، العالَمُ السفليُّ مملكتُه، هو الذي يزرع الفتنة ويختلق الخلاف، يُطلق أعمال الشغب، ويشجّع على الثورة وعلى سفك الدماء، كل ذلك من أجل زيادة عدد الأموات، سكان مملكته. والطريقة التي يتوصل بها إلى هدفه، تتميّز بخيالٍ وابتكارٍ لجأ إليهما الشاعر في هذا العمل الملحمي الذي هو آخر ما ابتدعته بلاد الرافدين. وملحمة إيرّا التي ينشرها كاملة هذا الكتاب تتميّز كذلك بأسلوب حواري لم تعرفه النصوص الموازية التي عرفناها من قبل.

قاسم الشواف

٢٠/٩/٩٨

المصطلحات والإشارات
التي تسهل متابعة النصوص

* أرقام الأسطر، هي الأرقام العربية (1، 5، 10، 15 . . .) التي تمكن من الرجوع إلى النص في كل مقارنة أو استشهاد أو اقتباس.

* أشرنا أيضاً كلما لزم الأمر إلى عدد اللوحات التي يتألف منها النص كما نوهنا بالانتقال من محتوى وجه اللوحة إلى محتوى ظهرها والانتقال من عمود إلى عمود آخر حين كانت النصوص موزعة على عدة أعمدة في اللوحة الواحدة.

* . . . هذه الإشارة بين تعبيرين تدل على وجود كلمة أو مقطع تعذرت قراءتهما.

* [. . .] العقفات قصيرة كانت أم طويلة، تعني فقدان كلمات أو مقاطع على اللوحة الأصلية.

* [مع نص تحتوي عليه] تشير إلى أنه أمكن استكمال النقص بسبب التكرار في اللوحة نفسها أو عن لوحة أخرى سهلت هذه الإضافة.

* نظراً إلى اختلاف أطوال الأسطر، فإن تتمة السطر الذي يتعدى السطر الواحد المقرر للنص، أُوردت وكأنها عجز مكمل لصدر بيت شعر عربي.

* (   ) ما وضع بين قوسين يشير إلى إضافة أو تكرار يساعد على تفهم النص بلغته العربية.

* < > تدل هذه الإشارة على أن الناسخ نسي تعبيراً أو مقطعاً معروفاً لدينا وأمكننا إضافته.

* { } ما يوضع ضمن هاتين الإشارتين يدل على أن الناسخ كرر سهواً ودون مسوّغ كلمة أو مقطعاً يعزل على هذا الأساس.

* (؟) تشير إلى قراءة غير أكيدة للنص وهي تلي الاقتراح المحتمل للقراءة المعروضة.

* ! علامة التعجب تشير إلى اللجوء إلى معنى محدد للمقطع أو الكلمة التي سبقت هذه العلامة.

* وأخيراً فإن جميع النصوص التي يحتويها هذا الكتاب، تحمل مع عناوينها، التي هي اصطلاحية ولا أساس لها في النصوص الأصلية، تحمل إلى جانب هذه العناوين، رقماً بين قوسين (رقم) يسهل الرجوع إليها والاستشهاد بمحتواها، مثال النص ٣٥ السطر ٦ يشار إليه: (٣٥: ٦) أو الأسطر ٦ إلى ١٠ في النص نفسه يشار إليها: (٣٥: ٦ _ ١٠).

الفصل الأول

(١) ـــ الموت والبعث

موضوع الموت والبعث في مجموعة «ديوان أساطير» بلاد ما بين النهرين، يقودنا إلى التفريق بين موت الآلهة وموت البشر، إذ كان موت الآلهة، يعني الاختفاء ثمّ الظهور أو العودة. كما كان يعني التحوّل إلى حالةٍ أخرى، بنتيجة القتل الذي لم يكن موتاً. وأما موت البشر، سواء أكان ذلك بالإبادة الجماعية (الطوفان)، و«العودة إلى الصلصال»، أم بالموت الفردي، فهو يثير أمامنا حتماً موضوع مصير البشر بعد الموت، ويُدخلنا في عالم ما بعد الموت، كما تصوّره إنسان تلك الحضارة.

أ ـ موت الآلهة

١ ـ كل شيء في المفهوم الكوني (الكوسمي) في بلاد ما بين النهرين، كانت له قدسيته وديمومته، بدءاً بعالم الآلهة في تحوّلهم، واتخاذهم بعد قتلهم، الشكل المستقرّ الذي عرفه كوننا، يتّضحُ ذلك خلال نصّين عرضَهُما الكتابُ الثاني، وهما قصيدة التكوين والخلق البابلية[١] ونصّ ولادة الآلهة ومدينة دونّو[٢].

٢ ـ نشهد في النصّ الأول سلسلة من أعمال القتال، بدأت بقتل أبسو[٣]

---

(١) النص (رقم ٥٥).
(٢) النص (رقم ٣٥).
(٣) (Apsu).

وهو عنصر الذكورة في مزيج المياه البدْئية، حيث كانت تيامت[1] تشكِّل فيه عنصر الأنوثة والأمومة وكانت تحكمه وتتحكم فيه، وهي التي منحت أبسو شعارات السلطة، والتألّق الخارق للطبيعة[2]. وبالنسبة لأبسو، فقد تمكّن الإلّه إيا[3]، بتعويذةٍ سحرية من اختصاصه، تعطيل حركته وتجريده من شعاراته، ثم قتله، بحيث لا يتحوّل إلى العدم بعد عملية القتل هذه، بل يصبح العنصر الرطب، أي محيط المياه العذبة الباطنية، حيث يتخذ الإلّه إيا مقرّه[4]. وعلى هذا المحيط، يتمّ فيما بعد، من قبل الإلّه مردوك[5] تكوين قرص الأرض.

٣ ـ أما تيامت، التي كانت تمثّل في رأينا حكم الأمومة ـ البدئية وتمثّل في رأي بعض الباحثين الفوضى والدكتاتورية، حين مَنَحت وَحْدها، ودون الرجوع إلى مجمع الآلهة، السلطة والقيادة لكينغو[6] الذي اتخذته قريناً لها بعد موت أو تحوّل أبسو. ووفقاً لهذا الرأي نفسه، كان الإلّه مردوك يمثّل النظام والتصور السليم، يرافقه تخطيط بارع، يدلّ عليه حسن استعداده للمعركة مع تيامت واختياره لسلاحه: القوس والهراوة والشبكة...

وبعد انتصاره على تيامت، فإنّه شَطَر جسمها الهائل إلى نصفين، مثل ما تشطر السمكة التي يراد تجفيفها، ثم تناول نصفاً وقَنْطَرهُ وجعل منه شكل السماء[7]، وفي موضع كبدِ تيامت، أحدث المناطق السماوية العلوية[8]، وكوّم فوق رأسها جبلاً وأخرج منه ينبوعاً، وفتح في عينيها دجلة والفرات[9]. كما أعدّ ردفها لسند السماء وسَقّفَ نصفها الآخر لتدعيم الأرض[10].

٤ ـ وَصَلَ كينغو، قائد جبهة تيامت، إلى السلطة، بواسطة «الفراش

---

(١) (Tiamat).
(٢) بالسومرية (Melamu) ميلامّو وهو من خصائص الآلهة يشير إلى الرهبة والقدرة.
(٣) (Ea) إلّه المعرفة ومهارة الصنع.
(٤) انظر نص أنكي وبناء البيت رقم (٨٢).
(٥) (Marduk) بطل قصيدة التكوين والخلق (النص رقم ٥٥ من الكتاب الثاني).
(٦) (Kingu) قائد تيامت.
(٧) نص (رقم ٥٥)، لوحة ٤، الأسطر (١٣٥ ـ ١٤٠).
(٨) نص ٥٥/(٥: ١١).
(٩) نص ٥٥/٥: (٥٣ ـ ٥٥).
(١٠) نص ٥٥/٥: (٦١ ـ ٦٢).

الزوجي» ودون الرجوع إلى مجمع الآلهة كما أسلفنا، بينما استمدّ مردوك سلطته، من إجماع الآلهة على منحه كافة الصلاحيات، مما يُضفي عليها شرعيةً لا جدال فيها. وبعد انتصاره على كينغو وأسرِهِ له، فَبِدَمِهِ المكثف بعد قتله، يشكّل مردوك تحفته الفنية الرائعة وهي الهيكل العظمي للبشر[1]. وهكذا يبقى كينغو ولا يحيله قتله إلى العدم، وبدمه المُسال يخلق الإلّه إيا البشر.

٥ ـ أما في مجال التحوّل التكويني، لآلهة بدئية، أعلمتنا قصيدة ولادة الآلهة ومدنية دونّو[2] كيف أمكن بواسطة سلسلة من عمليات قتلٍ لأجيالٍ متتالية من الآلهة هذه، أمكن تجسيد واستقرار عناصر كونية وحضارية مثل المحراث والأرض والبحر والنهر والحيوانات البرية والأليفة؛ وكذلك المروج والغياض والكرمة والسهوب. جميع هذه العناصر كانت آلهة وُجدت في أزمنة البدء وتمّ بواسطة القتل إسقاطها على الكون والطبيعة.

٦ ـ وفي نص إنانا و بيلولو[3] القديمة الذي سيرد من خلال الفقرة (١ ـ ١) من هذا الفصل عن موت دوموزي، فإن إنانا تحوِّل بيلولو صاحبة الحانة إلى قربة الماء التي لا غنى عنها في البادية وكذلك تحوّل ابنها إلى شيطان البداية وروحها، كما تحوِّل رفيقه «إبن لا أحد وصديق لا أحد» إلى من يسعى على الدوام من أجل الحصول على الطحين، يُنثر من أجل روح دوموزي وعلى الماء يسكب لكي يُسترجع دوموزي إلى البادية حيث تمّ اختفاؤه.

٧ ـ وبصدد التحوّل أيضاً ـ أعلمتنا اللوحة السادسة من ملحمة چلچامش (النسخة النينَويّة) كيف حوّلت عشتار عشّاقها وأشهرهم تموز الذي «عيّنتْ له أن يُرثى سنة بعد سنة[4] وطير الشقرّاق الذي كسرت جناحه، وجعلته يئنّ على الدوام. كما حوّلت رئيس الرعاة إلى ذئب تطارده كلابه. وحوّلَتْ إيشولآنو[5] البستاني إلى ضفدع بعد أن حاولت إغراءه والتمتع بثمرة رجولته وبسبب رفضه لعرضها حكمت عليه أن يبقى ضفدعاً في بستانه.

---

(١) النص (رقم ٥٥) من الكتاب الثاني، اللوحة ٦: (٥ ـ ٧) و٦: (٣٢ ـ ٣٣).
(٢) النص (رقم ٣٥) من الكتاب الثاني.
(٣) (Bilulu) سيرد هذا النص في الفقرة (١ ـ ١) من هذا الفصل تحت (رقم ١١٠).
(٤) انظر النص (رقم ١٠٥) من هذا الكتاب.
(٥) (Ishullanu).

٨ ـ وعن التحوّل أخيراً يمكننا ذكر الأساكّو[١]، زعيم ثورة الجبل ـ المنطقة المتمرّدة، ومعه شعب الحجارة، الذين انتصر عليهم الإلّه نينورتا[٢] وتحوّلوا إلى مقالع لصخورٍ مختلفة (النص رقم ٧٩ من الكتاب الثالث).

٩ ـ وقبل أن نتعرض لأشهر قصة موت إلّه وبعثه عرفتها منطقتنا في اختفاء وعودة دوموزي/تموز ومن بعده مردوك في بابل وكذلك بعل ـ أوغاريت الكنعاني وأدونيس الفينيقي؛ يمكننا إعطاء مَثَلٍ عن اختفاء إلّه أو إحالته إلى العدم دون عودته من جديد وذلك في حالات خاصّة، عندما كانت عملية الخلق تتم لأسباب موقتة ولغاية محدّدة، مثال ما عرفناه عن خلق الإلّهة «صَلْتو»[٣] لمجابهة عشتار (النص رقم ٨٩ من الكتاب الثالث)، تم إعادتها إلى العدم أو حرفياً إلى «حفرتها» وكذلك بعد أن تحقّقت الغاية من خلقها، وأدركت الإلّهة عشتار، أنّ عليها الكفّ عن التحميس للحرب في زمن السلم. وبذلك يُصار إلى تحويل الحيوية المحارِبة لمريدي عشتار وتبديدها، في رقصةٍ دورانية، تتم خلال احتفالٍ سنوي، يَبْطُلُ فيه عنفوان الرجال، في تنكّرهم النسائي، وتتبدّد إرادة النساء المحاربات في رقصة المسترْجِلات، «قدرة الرجال».

١٠ ـ أما موت دوموزي وبعثه والبكاء عليه، فسوف يقدّم الفصل الأول في فقرته الأولى (١ ـ ١)، النصوص التي تدور حول هذا الموضوع، وهي تشمل في أدبنا القديم قصائد البكاء على الابن الفقيد أو الأخ الفقيد بحيث لا يقتصر على رثاء الحبيبة له، بل يقدم كذلك مثالاً عن الأم الحزينة تبكي ولدها، يذكّر بالأم الحزينة المسيحية[٤] في ألمها أمام إبنها المصلوب قبل قيامته.

ب ـ موت البشر

١ ـ في قصيدة «الفائق ـ الحكمة»[٥] تَعرَّفْنا، كيف بعد الطوفان وللحيلولة دون العودة إلى مثل هذا العقاب الجماعي بإبادة البشر، تم إقرار الموت للبشر

---

(١) (Asakku).

(٢) (Ninurta) إلّه الحرب وبطل الانتصار على المنطقة الجبلية.

(٣) (Ṣaltu).

(٤) (Mater Dolorosa) أي مريم العذراء.

(٥) النص (رقم ٥٦) من الكتاب الثاني.

وأعلمتنا الفقرة (٥٦ ـ ز) من قصيدة الفائق ـ الحكمة المشار إليها أعلاه، كيف تمّ استدعاء (نينتو ـ الرحم)[١] من قبل الإلّه إنكي[٢] وبعد تفكيرهما معاً، توجه إنكي إلى نينتو معلناً:

«أيتها الأم ـ الإلّهية، أنت التي تقررين المصائر
إفرضي إذن الموت على البشر»[٣].

وتساءلنا بهذه المناسبة في سياق الكتاب الثاني، إذا ما كان البشر لدى خلقهم، لم يكونوا يعرفون الموت إلا بواسطة الكوارث الجماعية كالوباء والجفاف والمجاعة وأخيراً الطوفان، وفُرض عليهم بموجب هذا القرار، الموت الطبيعي كما نعرفه.

٢ ـ ومثل هذا القرار، هو الذي جعل سيدوري[٤] صاحبة الحانة في ملحمة چلچامش[٥]، عندما يسألها هذا الأخير قائلاً:

«الآن وقد رأيتُ وجهَك يا صاحبة الحانة
دعيني لا أرى الموت الذي أرهبه على الدوام[٦]»،

يجعلها تجيبه:

«إن الحياة التي تبغيها، سوف لا تجدها:
عندما خلق الآلهة البشر
فرضوا الموت على البشرية،
وأمسكوا الحياة بأيديهم»[٧].

ونحن نعلم أنّ قلق چلچامش مردّه موت صديقه أنكيدو بين يديه عندما:

---

(١) (Nintu) الإلّهة ـ الأم.
(٢) (Enki) إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع
(٣) النص (٥٦ ـ ز) السطران (٤٧ و٤٨).
(٤) (Siduri) أو سابيتوم.
(٥) سوف يرد النص الكامل للملحمة في الفقرة (١ ـ ٣) من هذا الكتاب النص (رقم ١٢٢).
(٦) النسخة البابلية القديمة، لوحة ١٠/عمود ٢: (١٢ و١٣).
(٧) النسخة البابلية القديمة، لوحة ١٠/عمود ٣: (٢ ـ ٥).

«ذهب إلى مصير البشرية المحتّم». وهذا ما حدا ببطل ملحمتنا، الذهاب إلى أبعد ما وصل إليه بشري، للقاء منقذ البشرية من الطوفان وسؤاله: «عن الموت والحياة»[1] وهو الذي حصل على الحياة الأبدية مكافأةً له من قبل مجمع الآلهة.

٣ ـ القلق الذي اعترى البطل چلچامش، لا نجد مثيله في النصوص العديدة الأخرى التي خلّفها لنا إنسان ما بين النهرين في ابتهالاته وفي توجهه إلى الآلهة أو في تعاويذه لإبعاد ما يخشاه. وكأن موضوع الموت لم يقلقه على ما يظهر وعلى ضوء ما وصلنا من نصوص، لم يقلقه كما أقلق چلچامش. وكان جلّ ما يخشاه، هو معاقبة الإلّه له بسبب تقصيره عن أداء فروض عبادته وبالأخص تقدماته وقرابينه للإلّه. ومرضه بنتيجة مثل هذا التقصير، كان يعتبره عقاباً، أنزله عليه إلّهٌ غاضب. وكثيرة هي الابتهالات التي وصلتنا عن تهدئة قلب إلّه غاضب.

والابتهال التالي الموجّه إلى الإلّه مردوك يتميّز بأن المريض المبتهل يذكّر مردوك بأن الذي يُعالَجُ بدونه يتحوّل إلى صلصال، ويطلب منه الإبقاء على نفحةِ الحياة فيه. وحالة العبد هنا في ترجّيه واحتياجه لتدخّل الإلّه، لم يحل دون تذكير الإلّه بأنه هو أيضاً بحاجةٍ لعبده من أجل تبجيله وعبادته. وهذا ما يقوله النص:

«إلّهي، أنت الذي تعيد إلى [...] نفحةَ حياته،
يتحول إلى صلصال [الذي بدونك...] يعالج،
انفخ نحوه نسمتك [...]
حلّ أربطته لكي يتنفّس مباشرة،
[...] أبقِ على نفحه الحياة فيه.
الذي تحوّل إلى صلصال، ما الفائدة منه؟
الخادم الحيّ يبجّل سيّده
ما الذي يقدمه الميّت لإلّه العفر؟[2]».

٤ ـ العودة إلى الصلصال أو العودة إلى التراب بمعنى الموت هو التعبير الذي

---

(١) ورد في اللوحة ٩/عمود ٣: ٥ من النسخة الآشورية (النينوية).
(٢) أي إلّه العالم السفلي، عالم الموت.

أطلقته نصوص ما بين النهرين، منذ أن اعتبرت أن البشر تمّ خلقهم من مادّة الصلصال الذي نفخ فيها الإلّه نَفَسَ الحياة أو من الصلصال الممزوج بدم إلّه تّمت تضحيته لهذه الغاية. وكثيرة هي النصوص التي أوردها الكتاب الثاني والتي رَوَت لنا قصّة خلق البشر والوسيلة المستعملة، لذلك:

إذْ أعلمنا النص (رقم ٤١) من الكتاب الثاني بأن الآلهة حين لم يتوصلوا إلى إنتاج كفايتهم من الطعام، خلقوا البشر. واستعمل النص لذلك الصيغة المختصرة، حين أوضح بأنهم (الآلهة):

«منحوا البشر نَفَسَ الحياة» (السطر ٣٦)

وفي النص (رقم ٤) من الكتاب الأول بعد أن أعدّ الإلّه إنكي[١] قالب صنع البشر، طلب من أمه نامّو[٢]، أن تصنعَ «طبيعةً» لكتلة الصلصال الموضوعة في القالب[٣].

أما النص (رقم ٤٧) من الكتاب الثاني، فقد نسب لمردوك إنتاج بذرة البشرية ويقول النص بأن: «بذرة هذه البشرية، أنتجتها معه آرورو»[٤].

وفي النص (رقم ٥٢) من الكتاب نفسه، يتضمن برنامج الآلهة لخلق البشر تضحية إلّهين وخلق البشر بدمهما[٥] ويتابع النص قوله بأن هذا البرنامج وافقت عليه سيّدة الآلهة آرورو وأن البشر:

«مهنيّ بعد مهنيّ، وريفيّ بعد ريفيّ
سوف ينبتون من تلقاء أنفسهم مثل الحَبّ.
وليس بأقل من النجوم الأبدية في السماء

---

(١) (Enki) إلّه المعرفة والخلق وهو إيا الأكادي.
(٢) (Nammu) الإلّهة ـ الأم.
(٣) أي قالب صنع البشر، أنظر النص (رقم ٤)، الأسطر (٣٠ ـ ٣٥).
(٤) (Aruru) هنا إلّهة ـ أم وهي التي خلقت أنكيدو في ملحمة جلجامش.
(٥) قد يكون تعبير المثنى لم يرد هنا من باب خطأ الناسخ كما أشير إلى ذلك في الكتاب الثاني أمام عجز الباحثين عن تفسير التثنية. وقد نكون هنا أمام خلق الرجل والمرأة بشكل متزامن وتكاثرهم وفق ما يوضّح النص.

فلن يتبدل ذلك قطّ».

وفي قصيدة التكوين والخلق البابلية (النص رقم ٥٥)، علمنا كيف أن الإلّه مردوك قرّر تكثيف دم إلّه وتشكيل هيكل، محدثاً بذلك النموذج الأوّلي، لما سيطلق عليه تسمية بشري[١] والدم الذي أسيل لهذه الغاية هو دم الإلّه كينغو كما أوضحنا ذلك في الفقرة الأولى أعلاه. وكينغو، الذي حرّض على القتال ودفع تيامت إلى الثورة:

«تمّت إسالة دمه، وبدمه أنتج إيا البشر»[٢].

عملية الخلق هذه، لم تدخل في التفاصيل إلا أنه، وبدلالة تدخل الإلّه إيا أمير الأبسو[٣] وهو الموقع الطاهر الذي يستخرج منه الصلصال، فإن عملية الخلق هذه تشتمل هي أيضاً على فكرة مزج دم الإلّه بالصلصال لخلق البشر.

وأكثر تفصيلاً وتفسيراً بهذا الصدد، هو النص (رقم ٥٦) من الكتاب الثاني والذي يروي قصة الفائق ـ الحكمة وتاريخ البشرية من الخليقة حتى الطوفان. إذْ يعلمنا هذا النص في قسمه (٥٦ ـ ب) كيف تمّت عملية خلق البشر بتضحية الإلّه «وي»:

«والإلّه «وي» الذي كان يمتلك روحاً،
تمّت تضحيته خلال هذا الاجتماع
وبجسده ودمه، جبلت نينتو الصلصال
لكي يتم إتحاد الإلّه والبشر مجتمعَيْن في الصلصال
. . . .
وبفضل جسد الإلّه أُضيفت روح إلى البشر»[٤].

ويتابع النص بعد ذلك تفسيره، لأثمن ما قدّمته لنا بلاد ما بين النهرين في تاريخ الفكر الدينيّ الذي ورثته فيما بعد ديانات التوحيد، ونترك للنص أن يحدثنا عن ذلك بتعابيره الأصلية، حين يقول:

---

(١) نص ٥٥/٦: ٥ و٦، انظر الكتاب الثاني.
(٢) نص ٥٥/٦: ٣٢ و٣٣.
(٣) محيط المياه العذبة الباطنية ومقر الإلّه إيا والد الإلّه مردوك.
(٤) (٥٦ ـ ب) الأسطر (٢٢٣ ـ ٢٢٨) (الكتاب الثاني).

«وبفضل دم الإلَه،
أضيفت روح إلى البشر
بحيث تثبت أنهم أحياء دوماً بعد موتهم
وهذه الروح [كانت] حاضرة [هنا]
لحفظهم من النسيان![١]».

وجدير بالملاحظة أيضاً أن النص نفسه، حين يشير إلى عملية إنتاج البشر الجماعية في أحد الأجزاء المكملة له، يجعل الإلَهة ـ الأم نينتو[٢] تعدّ مجموعة أرحام. وبعد أن يجبل الإلَه إيا الصلصال تحت أنظارها، يتابع النص قوله بأن نينتو:

«استخرجت أربع عشر «قرصة»
(من الصلصال) وضعت سبعاً منها إلى يمينها
والسبعَ الأخرى إلى يسارها
ثم أقامت بينها حاجز الآجر[٣]».

٥ ـ كما نعلم من متابعة النص أن الأرحام التي جمعتها نينتو، سبعة منها تلد ذكوراً والسبعة الأخرى تلد إناثاً. وبحضور الإلَهة مامّي/نينتو صانعة الأقدار، تمّت مزاوجتهم وموافقتهم ثنائياً، بحيث وضعت مامّي قواعد ولادة وتكاثر البشر.

ولا نشهد هنا كما في توراة العهد القديم ولادة آدم بشكل مستقل ثم استخراج ضلعٍ منه تخلق حوّاء أو المرأة الأولى[٤]. إلاّ أنه في مدرسة حاخامية أخرى.

وبالاعتماد على ما ورد في تكوين (١ : ٢٧) أي: «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم»، اعتبرت هذه المدرسة أن

---

(١) النص (٥٦ ـ ب) الأسطر (٢٢٨ ـ ٢٣٠) (الكتاب الثاني).
(٢) (Nintu) الإلَهة ـ الأم ومعنى اسمها: سيدة الولادة.
(٣) من نص مكتبة أشور بانيبال (+ K7816) d، الأسطر (١٣ ـ ١٦) انظر النص (٥٦ ـ ب)، الكتاب الثاني، صفحة ٢٤٦.
(٤) تَك ٢ : (٢١ ـ ٢٣).

خلق الرجل الأول والمرأة الأولى تمّا بشكل مستقل، ومن هنا أتت في تلك التقاليد الحاخامية قصة «ليليت»[1] الأنثى الأولى التي كانت متساوية في خلقها مع الرجل الأول، ولم تكن جزءاً منه، وجعلتها الأسطورة المتعلقة بها تختلف مع الرجل الأوّل قبل أن يتزاوجا وتثور عليه لتصبح رمزاً للشيطانة ليليت التي عرفتها أساطير بابل وآشور، ولجأت إليها التقاليد المشار إليها للتخلص من المرأة الأولى المستقلة وغير الخاضعة للرجل.

٦ ـ يتضح مما اسْتُعرض أعلاه أن صلصال ما بين النهرين، شكّل بصورة عامة الطبيعة المادية أو الترابية للبشر، أما طبيعتهم الإلّهية، فعبّر عنها امتزاج الصلصال بدم الإلّه أو بروح الإلّه أو جسد الإلّه. . .

وها نحن نقرأ في (تكوين ٢ : ٧):

«وجبل الربّ الإلّه آدمَ تراباً من الأرض[2]
ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم
نفساً حية».

وحين يذهب الإنسان إلى بيته الأبدي، يقول كاتب سفر الجامعة التوراتي:

«فيرجع التراب إلى الأرض
وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها»[3].

وفي أعمال بولس الرسول التبشيرية، الموجّهة إلى الكورنتيين، نشهد تفريقاً بين ما يسميه بولس الجسد الأرضي (الترابي) والجسد السماوي لإنسان ما بعد الموت:

«الإنسان الأول، من الأرض، أرضيّ والإنسان الثاني
من السماء سماوي (١ كورنتيون ١٥ : ٤٧).

وفي رسالته الثانية إلى الكورنتيين يعتبر بولس الرسول، أن اللّه الذي أمر أن يشرق النور من الظلمة، هو الذي أشرق في قلوب المؤمنين، لإنارة معرفة مجد

---

(١) (Lilith).
(٢) اسم آدم مشتق من «آداما» العبرية ـ أديم الأرض.
(٣) سفر الجامعة (١٢ : ٧) وقد تم تأليف هذا السفر المتأخر في القرن الثالث لما قبل الميلاد، وكان لا بد من تسجيل هذه الملاحظة.

الله في وجه يسوع المسيح، وكنز النور هذا، يتابع النص:

«ولنا هذا الكنز في آنية خزفية[1]، ليكون
فضل القوّة من الله، لا منّا» (٢ كورنتيون ٤ : ٧)

ويرد أخيراً في القرآن الكريم، الصلصال، كالأساس المادي لخلق البشر:

«خَلَق الإنسان من صلصالٍ كالفخّار»
(سورة الرحمن ١٤ : ٥٥)
«ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمإٍ مسنون»
(سورة الحجر ٢٦ : ١٥)

٧ ـ وفي عودة لنصوص ما بين النهرين، نذكّر أن الإلّهة ـ الأم آرورو[2] في ملحمة چلچامش هي التي خلقت أنكيدو:

«غسلت آرورو يديها، وأخذت
قرصة من الصلصال ووضعتها في السهل،
وفي السهل، خلقت أنكيدو ـ المقدام[3]...

٨ ـ وقبل الانتقال إلى موضوع «البعث» وهو المحور الثاني الذي يدور حوله الفصل الأول، يستوقفنا بالنسبة لإنسان ما بين النهرين، تأثّره العميق بالنسبة للموت المبكِّر، لشاب أو لشابّة اختطفهما الموت قبل الأوان وقبل تذوّق «مباهج الحياة». ونحن نعلم أن موت أنكيدو رفيق چلچامش وصديقه وهو في عنفوان الشباب، شكّل بعداً هو أبدع ما وصلت إليه الملحمة، واضعةً في الوقت نفسه حزن چلچامش وقلقه ثم سعيه لتحاشي هذا المصير. والتفريق بين «الموت الطبيعي» لرجل بلغ عتيّ السنّ و«شبع من حياته»، وبين «الموت العنيف» في عزّ الشباب، لا يزال هذا التفريق، وردود فعلنا بصدده، يرافقنا حتى اليوم في تأثّرنا وفي تناقلنا للخبر عنه. إلاّ أن ردّ فعل إنسان ما بين النهرين القديم أمام

---

(١) وتعلّق توراة القدس في نصّها الفرنسي لعام ١٩٦١، حول تعبير «آنية خزفية» الذي توره في «آنية فخارية» أو صلصالية، تعلق معتبرة أن هذه الآنية هي الأجساد الصلصالية للبشر.
(٢) (Aruru).
(٣) ملحمة چلچامش، نسخة نينوى لوحة ٢/عمود ٢: (٢٤ و٣٥).

«الموت العنيف» ذهب إلى أبعد من ذلك. لأنه خشي وفق معتقداته أن يتحوّل مخزون الحياة وزخمها، الذي لم يصرّف طاقته ولم يُشبعْ رغباته الحياتية بسبب الموت المبكّر، خشي أن يتحوّل شبح الميت[1] إلى شيطان يشكّل خطراً على عائلته. وفي هذه الحالة كانت تقام طقوس خاصة بقصد تعويض الشاب المتوفّ عما لم تقدمه له الحياة من تعزيات.

موت الشاب «المبكِّر» أي موت «الإيطْلو»[2] في تسميته الآكادية، هو إذن الحادثة الأليمة، التي كانت تتطلّب إقامة طقوس خاصة لإراحة شبح الميت في هيامه وتلاوة التعاويذ لإبعاده عن عالم الأحياء.

وأصبح الإيطْلو وفق بعض النصوص مثالاً لسوء الطالع والفشل الذي رافقه منذ ولادته، فهو الذي:

«وضعته أمه في الشارع وهي تصعّد الأنين
ومضت حياته، ملؤها القلق والوهن،
لم يعرف اللذّة وبهجة الشباب،
لم يتزوّج ولم تلد لهُ ذرّية،
لم يلمس فرج زوجته،
ولم يزح لباسها عن حضنها».

وحتى أنه لم يتمكّن من الدخول على زوجته لأنه طُرد من بيت والد زوجته قبل ذلك. وفي مثل هذه الحالةِ فإن «الإيطْلو» عند موته يصبح شبحاً شريراً أو شيطاناً «ليلُو»[3].

كما أن التعاويذ المستعملة لإبعاد شر الشيطانة «أردات ـ ليلي»[4]، تصِفُها بأنها:

«الفتاة، التي مثل بقية النساء،

---

(١) أي «الإيطيمّو» (Etemmu) بالأكادية وهو ما يتحول إليه كل البشر بعد موتهم.
(٢) (Etlu).
(٣) (Lîlu).
(٤) (Ardat-Lilî).

لم يقم أي رجل بإرْواءِ حضنها.
الفتاة الصبية، التي مثل بقية النساء
لم يفضّ بكارتها أي رجل.
الفتاة الصبية، التي في حضن زوجها،
لم تلمس قط قضيبه،
الفتاة التي في حضن زوجها
لم تزح عنها لباسها.
الفتاة التي لم يقم شاب جميل
بفك مشبك إزارها.
الفتاة التي ثدييها،
لم يحملا قط حليب الرضاعة.
الفتاة التي لم يطلقْ عليها
تسمية أمّ،
والتي لم تعطِ لطفل إسماً.
الفتاة الصبية التي، مع بقية الفتيات،
لم تجتز الشوارع والمسالك».

ج ـ البعث

١ ـ أول بعث تآلف معه إنسان ما بين النهرين، هو بعث الطبيعة في خضرة الربيع، بعد موت الأرض أو نومها خلال فصل الشتاء. وقد عرف كذلك، انبعاث حبّة القمح التي دفنها بنفسه خلف المحراث وماتَتْ هي أيضاً، لتُبعث من جديد في أعجوبة الإنباتِ وتملأ اهراءات سومر وآكاد. وحين تُنْبِتُ الأرض عشبها وتكتسي به المراعي والسهوب يبتهج القطيع ويمرح. ويترافق دبوب الحيوية في نُسغ الجذور والأغصان، مع التسافد والنزو بين عناصر القطيع الذي يتكاثر في الزرائب والحظائر، فتطفح مخضّات الرعاة بالحليب والسمن...

هذه الومضات من صور الخصب والإخْصاب، لم يبخل الكتاب الأول من هذه المجموعة عن تقديم نُصوصها، وكل ذلك رمزت إليه علاقة دوموزي الراعي وإنانّا إلّهة الحبّ والخصب.

٢ ـ وإن أجمل صورة عن بعث الطبيعة بعد الموت قدّمتها لنا الآية الكريمة في:

«إن الله خالق الحب والنوى،
يخرج الحيّ من الميت»
(سورة الأنعام ٦: ٩٥)

وفي الآية الكريمة:

«والله أنزل من السماء ماءً
فأحيا به الأرض بعد موتها»
(سورة النحل ١٦: ٦٥)

وكذلك:

«اعلموا أن الله يحيّ الأرض بعد موتها»
(سورة الحديد ٥٧: ١٧)

ترتبط جميع هذه الصور بعودة الطبيعة إلى الحياة بعد موتها، وهذا البعث هو الذي يهمنا في هذه المرحلة من عرضنا.

٣ ـ وسوف يتمّ التطرّق إلى مفهوم بعث البشر من موتهم وقيامتهم في مجال عرض ما عرف بالعالم السفلي لدى سكان ما بين النهرين، وهو البداية الأولى لمفهوم عالم ما بعد الموت قبل أن يتوصّل الفكر الديني إلى مفهوم العالم الآخر أو «الآخرة» كما تفهمه ديانات التوحيد في منطقتنا. وفي مرحلة تالية لمحاولات سبر كنه الحياة والموت، تطرقت نصوص ما بين النهرين إلى محاولات معرفة سر الحياة الأبدية في محاولة يائسة للانتصار على الموت. وچلچامش مَلك أوروك هو بطل هذا السعي.

٤ ـ وعلى أساس النقاط التي تمّ عرضها أعلاه، فإن الفصل الأول في هذا الكتاب عن الموت والبعث، سوف يعرض النصوص المرتبطة بها، من ضمن الفقرات التالية:

(١ ـ ١) ـ موت دوموزي وبعثه

(١ ـ ٢) ـ العالم السفلي

(١ ـ ٣) ـ البعث والحياة الأبدية

(١ ـ ١) ـ موت دوموزي وبعثـــه

١ ـ من بين مشاهد الحبّ العارم والجميل بين دوموزي وإلّهة الخصب إنانّا، والتي تغنّى بها الكتاب الأول من هذه المجموعة، نذكّر بالعودة إلى النص (رقم ٢٥)، بينما كان دوموزي يتغزّل بجسد حبيبته ويعترف لها بحبّه المسيطر الذي أسَرَه منشداً:

«أنتِ خمريَ المبهج، يا أحلى عسلي

يا فم ـ أمّها الطلّ، يا طليتي!

نظرات عينيك تسحرني: تعالي يا أختي الحبيبة!

إلخ . . .

كانت إجابة إنانّا له، لا تخلو من مشاعر الحبّ نحوه ولكنها في الوقت نفسه استشعرت له مصيراً قاسياً وكأنها أرادت إعداده لهذا المصير واعتبرت نفسها مسؤولةً عنه معلنةً:

«يا ابن الملوك، أي [أخي، يا ذا الوجه الجميل]:

لقد أنقذتُ حياتك، لقد أنقذتُ حياتك

ولكن، ها أنت أصبحت هدفاً لمصيرِ في منتهى القساوة!

. . . .

آه! يا حبيب [قلبي]

أنا التي بدون شك سبّبتُ لك هذا المصير القاسي

يا أخي، يا ذا الوجه الجميل!

إلخ...

٢ ـ من هنا بدأت مرحلة آلام دوموزي وموته التي يرويها هذا الكتاب بإدراج النصوص المرتبطة بهذا الموت وبما يدور حوله بدءاً بوقوعه في قبضة شياطين الموت ورثائه وتقديم القرابين الكفيلة بإعادته إلى الحياة.

لم يكن دوموزي/تموز الإلّه الوحيد الذي تعرّض للموت في ما بين النهرين ولكنه أشهر هؤلاء الآلهة، ويمكننا تعديد أسماء آلهةٍ ماتوا كما مات دوموزي مثال:

نينجيشزيدا(١) وجيشباندا(٢) في جنوبي البلاد.

والإلّه عشتران(٣) في مدينة دير(٤) في الشمال.

والإلّه دامو(٥) وهو إلّه الشفاء في مدينة إيسين(٦). وجميعهم يماثلون دوموزي في موتهم وبعثهم. وقد وصلنا نص عن موت الإلّه ليل(٧) ندرجه في مجال عرض الفقرة (١ ـ ٢) حول العالم السفلي والنزول إليه.

ولعلّ أشهر من مات وبعث مثل دوموزي/تموز مع الربيع هو الإلّه مردوك في بابل، ويصف عيد الأكيتو في بابل وهو عيد رأس السنة، يصف موته وسجنه في «قبره»(٨) ثمّ تحريره وعودته لتقرير مصير المملكة.

٣ ـ وعلى أساس ما تمّ عرضه أعلاه فإن هذه الفقرة (١ ـ ١) من الفصل الأول سوف تشتمل على النصوص التالية:

---

(١) (Ningishzida) أو جيزّيدا ورد اسمه مع دوموزي في النص (رقم ٧٣) من الكتاب الثاني وهو زوج شقيقة دوموزي.

(٢) (Gishbanda).

(٣) (Ishtaran).

(٤) (Dêr) مدينة سومرية قديمة تقع على حوالى ٢٥ كم إلى الشمال الشرقي من نفّر.

(٥) (Damû).

(٦) (Isin) إلى الجنوب من نفّر على بعد حوالى ٢٥ كم.

(٧) (Lîl) وصلنا نص عن رثائه سوف يعرض فيما بعد.

(٨) تحت تسمية الجبل وسوف يقدِّم النص رقم ١٢١ تفاصيل الاحتفالات بهذا العيد.

رقم النص	الموضوع
(١٠٤) ـ	حلم دوموزي وموته
(١٠٥) ـ	المصير المحزن لعشّاق إنانّا/ عشتار
(١٠٦) ـ	إنانّا تسلّم دوموزي إلى شياطين العالم السفلي
(١٠٧) ـ	نصّ آخر لموت دوموزي
(١٠٨) ـ	إنانّا تبكي مصير دوموزي الذي سلّمته
(١٠٩) ـ	موت دوموزي وهيام شبحه
(١١٠) ـ	إنانّا وبيلولو ـ القديمة
(١١١) ـ	الأم الحزينة تبكي ولدها الإلّه الذي خطفه الموت
(١١٢) ـ	موت الإلّه ليل
(١١٣) ـ	قلق الأم على ابنها المسافر

(١٠٤) ـ حلم دوموزي وموته

هذا النص السومري، لا يشير فقط إلى الغاية من تأليفه بل يشير أيضاً إلى الشكل الأدبي أو الشعري أو الموسيقي الذي ينتمي إليه، إذْ يرد في النص حرفياً:

«ها هنا نشيد كالكال[١]

للاحتفال بموت دوموزي».

وتجدر الإشارة هنا، بأن قصائد أخرى تحتوي عليها هذه المجموعة تحمل هي أيضاً إشارة لشكلها الشعري، أو الموسيقي، ويمكننا إضافة نمطين أو «بحرين» أو نغمين هما:

«أو ـ ليل ـ لا»[٢] و«شير ـ سود ـ دا»[٣]

أو «شير ـ جيد ـ دا»[٣] بالإضافة إلى «كال ـ كال».

كما يمكن الرجوع في هذه المجموعة أيضاً إلى قصيدة النزاع بين عشتار وصَلْتو[٤] التي تحتوي هي أيضاً على تعليمات حول الوزن أو النغم أو ما يتعلّق بتعليماتٍ مسرحية. . .

---

(١) (kal-Kal).

(٢) (U-Lil-La).

(٣) (Shir-Sud-Da) أو (Shir-Gid-Da).

(٤) (Sâltu) ورد في النص (رقم ٩٠) من الكتاب الثالث.

هذه القصيدة التي تروي موت دوموزي، تبدأ بالتعرّض إلى إحساس داخلي يستشعره دوموزي بدنو موته فيلتجئ إلى حظيرته[١] وهو يرثي نفسه متأوهاً، ويستيقظ مذعوراً بسبب حلم رآه، تفسّره له أخته جيشتينانّا[٢]، التي تقدّمها القصيدة كخبيرة وعارفة، ليس فقط بتفسير الأحلام، بل كمتعلمة وخبيرة بقراءة اللوحات والتي تعرف معنى الكلمات. . .

الحلم منذر بالسوء لدرجة تجعل الأخت تتردّد في عرض محتواه على مسامع أخيها. وحين يتعرّف دوموزي إلى مصيره، يملأ الخوف قلبه ولا يفكّر إلاّ بالاختباء لكي لا يكتشفه شياطين الموت. ويبوح بأماكن تواريه إلى شقيقته وإلى صديق له. إلا أن الصديق، هو الذي يخونه ويكشف عن مخابئه، فيقبض عليه الشياطين. . . ولكن أوتو[٣] يتقبّل ابتهاله ويحوّله إلى غزال فيتحرر من الشياطين ويلجأ إلى موقع اسمه كولبيريش ـ ديلداريش[٤] ولكن الشياطين ينقضّون عليه من جديد. ومن جديد ينقذه أوتو فيذهب إلى «بيليلي[٥] ـ القديمة». فيرتاب الشياطين بحركاتها غير الاعتيادية ويعرفون أن دوموزي لجأ إليها فيقبضون عليه. ومرّة أخرى ينقذه أوتو ويذهب إلى أخته جيشتينانّا. ويتكرر ارتياب الشياطين بحركاتها ويقبضون عليه أخيراً بعد هدم كل ما تحتويه حظيرته وهكذا يموت دوموزي وتُهجرُ الحظيرة.

دوموزي يستشعر موته ويرثي لحاله[٦]:

1 غمرت قلبه الدموع، فعاد إلى السهوب ـ

غمرت الدموع قلب الفتى

فعاد إلى السهوب

---

(١) المقصود هو كوخ سكنه أو سكن أخته قرب حظائر القطيع حيث توجد مخضة الحليب والمكيال والموقد. . .

(٢) .(Geshtinanna)

(٣) (Utu) إلّه الشمس السومري.

(٤) .(Kulbirēsh-Dildarēsh)

(٥) .(Belili)

(٦) إنانّا استشعرت هي أيضاً مصيره المؤسف، راجع تقديم الفقرة (١ ـ ١) أعلاه.

غمرت قلبه الدموع، عاد دوموزي إلى السهوب!
وهناك، وعلى كتفه عصاه
أرسل دوموزي شكواه:
5 «تفجّعي، تفجّعي، تفجّعي يا سهوب!
إبكي أيتها السهوب!، إصرخي أيتها المستنقعات!
يا [عقارب] الوديان تفجّعي!
يا ضفادع الوديان تفجّعي!
ولتشاركك أمّي النحيب
ولتصرخ أمّي سيرتور[1] (معكم)
10 فلتنتحب أمّي:
لن أقدّم لها بعد الآن خمسة أرغفة[2]!
فلتنتحب أمّي:
فلن أقدّم لها بعد الآن عشرة أرغفة!
وإذا ما كانت تجهل يوم موتي
أنتِ يا سهوب، أعلنيه لأمّي، إلى التي ولدتني
لكي تتأسف عليّ مع أختي الفتيّة!
15 وهو مستلقٍ بين الأعشاب (؟) وهو مستلقٍ بين الأعشاب (؟)
بقي الراعي مستلقياً بين الأعشاب؟
وبينما كان على هذه الحال، متمدداً بين الأعشاب (؟)
رأى حلماً،
استفاق مذعوراً: كان ذلك حلماً!
ارتجف: إنها رؤيا.
تملّكه الرعب، فَرَكَ عينيه، وقال:

---

(١) (Sirtur).
(٢) تقديم الأرغفة إلى الأمّ ورد أيضاً في النص (رقم ٧٥) من الكتاب الثالث بمناسبة زواج مارتو.

«آتوني بها، آتوني بها، آتوني بأختي -
20 آتوني بجيشتينانّا! آتوني بأختي -
آتوني بالتي تعرف الغناء: آتوني بأختي -
آتوني بالعالِمة، الخبيرة باللوحات:
آتوني بشقيقتي -
آتوني بهذه الفتاة النبيهة التي تعرف
معنى الكلمات:
آتوني بشقيقتي! -
آتوني بهذه المتمرِّسة
ذات الكفاءة التي تعرف تفسير الأحلام:
آتوني بشقيقتي
25 لكي أسرد عليها حلمي!

حلم دوموزي

«حلمي، أيا أختاه! حلمي!
إليكِ تفصيل حلمي!
حولَ المكان كان يزدحم الأسَلُ:
حولَ المكان كان نبات الأسل كثيفاً
ساق قصبٍ حنت [نحوي] رأسَها
ومن جذعِ قصبٍ ذي ساقين ابتعدت
إحداهما عنّي!
30 وفي الغيضة، أشجار باسقة
زادت ارتفاعها أمامي!
ثم سُكب الماء
على جمرِ موقدي الثمين
ونُزع غطاء مِمخضتي،

[وأُنْزل من مكانه] مكيالي الجميل،
المعلّق إلى مسمار.
كما اختفت عصا الراعي خاصّتي.
35 واختطف طير كاسر بشَراسةٍ من القطيع حملاً
ومن المِقصبة لَقَفَ باشقٌ دُورياً،
بينما كانت تيوسي تكنُس الترابَ
بلحاها اللمّاعة
وكباشي تدوّس الأرض بحوافرها!
ممخضتي كانت مرمية على الأرض
وما كان بالإمكان سكب الحليب فيها بعد ذلك!
40 وكان مكيالي على الأرض محطّماً ـ
ودوموزي جامد بلا حياه
والحظيرة مقفرة!»

تفسير الحلم

قالت جيشتينانا لدوموزي:
«حلمك منذر بالسوء يا أخي:
وكم أود ألاّ أفسّره،
آه يا دوموزي، حلمك منذر بالسوء
كم أود ألا أفسره لك!
الأسلُ الذي كان يزدحم حولك،
45 هم مجرمون يكمنون بقصد الانقضاض عليك!
وساق القصب المنفردة، تميل برأسها نحوك:
هي أمك التي ولدتك
تحني رأسها فوقك،
وجذع القصب ذو الساقين، تبتعد إحداهن عنك

هما نحن الاثنان: سوف نُفصل الواحد عن الآخر!

50 الأشجار الباسقة التي ترتفع تلقائياً أمامك

في الغيضة:

هم الكيّادون ينقضّون عليك كالسيل!

والماء المسكوب على الجمر في موقدك الثمين:

هي حظيرتك تتحوّل إلى مكان (خرب)!

والغطاء يُنزع عن ممخضتك الجميلة

55 (يعني) أن شريراً سوف يستولي عليها،

أما مكيالك الجميل يُنَزَّلُ من المكان

حيث كان معلقاً إلى مسمار؛

هو أنك سوف تقع،

عن ركبتيْ أمك التي ولدتك!

وعصاك التي اختفت

تعني أن شيطاناً صغيراً[1] سوف يستمر في ضربك!

60 الطير الكاسر الذي اختطف بشراسة

حملاً من القطيع:

هو شرّير يضطرك إلى هجر حيواناتك

والباشق الذي حمل من المِقصبة دوريّاً

هو شيطان كبير سوف ينتزعُك

من قطيعك.

أما التيوس التي تكنس التراب بلحاها اللمّاعة،

65 يعني أن شَعْري سوف ينتصبُ نحو السماء بسببك!

---

(١) الشياطين چالا (Galla) هم على نوعين: صغير دقيق وهو بدقّة رأس قلم الكتابة وكبير نحيف مثل عود الرمح، وسوف نكتفي بصددهما بصفتي صغير وكبير في النصوص التي تلي.

والكباش التي تدوّس الأرض بحوافرها،
هو أنني من أجلك سأخدّش وجنتيّ بأصابعي
كما تفعل الأشواك!
المِمخضة المرميّة على الأرض،
دون التمكن من صب الحليب فيها،
المكيال المحطم ودوموزي بلا حياة
والحظيرة مقفرة:
يعني أن يديك سوف تُوثَقّان وساعدَيك سوف تقيّدان!»
70 عندما لفظت جيشتينانا هذه الكلمات
قال لها دوموزي:

دوموزي يريد الاختباء

إنزلي في حفرة يا أختاه،
إنزلي في حفرة!
ولكن عندما تنزلين في حفرة يا أختاه
لا تنزلي فيها كما ينزل الميت
عندما سـ [. . .] بطنك وأعضاؤك
75 عندما سـ [. . .] ردفك وفخذاك،
إنزلي في الحفرة يا أختاه!
وعندما (تستقرّين) فيها
إرفعي نظرك [. . .].

الأسطر (٧٩ ـ ٨٢) في حالة سيئة وفيها ما يشير إلى مجرى ماء وقارب ثم إلى مخلوقات تحمل ما يمكن به توثيق «الرأس والرقبة».

الأسطر (٨٣ ـ ٨٨) غامضة، ويعتقد على ما يظهر أن جيشيتنانّا عندما تنزل في الحفرة تلتقي بامرأة صديقة تقول لها شيئاً ثمّ تتوجَّه بعد ذلك إلى دوموزي:

89 «أي أخي، هناك شياطين يتقدمون نحوك:

إخْتَبِئي بين الأعشاب!

90 يا دوموزي إن الشياطين يتقدمون نحوك

إختبئي بين الأعشاب!

دوموزي يبوح لأخته ولصديقٍ له عن مخائبه

ـ نعم يا أختي سوف أختبىء بين الأعشاب،

لا تقولي لأحد أين أنا!

ثمّ سوف أختبىء بين «النباتات الصغيرة»:

لا تقولي لأحد أين أنا!

ثمّ سوف أختبىء بين «النباتات الكبيرة»:

لا تقولي لأحد أين أنا!

وسوف أختبىء بعد ذلك في الخنادق العميقة:

لا تقولي لأحدٍ أين أنا!

95 إذا ما كشَفْتُ عن مخبئك (قالت جيشتينانّا):

فليفترسني كلبك

كلبك الأسود، كلبك (المدرّب) على الرعاية

كلبك الجميل، كلبك الذي خبير هو صاحبه،

فليفتَرسْني كلبك!»

الأسطر (٩٨ ـ ١٠٢) غير مقروءة. يتدخل فيما بعد صديق دوموزي ويتوجّه إليه هذا الأخير كما يلي:

103 «أي صديقي، سوف أختبىء بين الأعشاب:

لا تقل لأحدٍ أين أنا!

ثم سوف أختبىء بين «النباتات الصغيرة»:

لا تقل لأحد أين أنا!

105 ثم سوف أختبىء بين «النباتات الكبيرة»:

لا تقلْ لأحدٍ أين أنا!

وسوف أختبىء بعد ذلك في الخنادق العميقة:
لا تقل لأحدٍ أين أنا!
«إذا ما كشفتُ عن مخبئك (قال صديقه)،
فليفترسني كلبك
كلبك الأسود، كلبك (المدرّب) على الرعاية
كلبك الجميل، كلبك الذي خبير هو صاحبه،
فليفترسني كلبك!»

الشياطين يتقدّمون

110 ومع ذلك، كانت تتقدم نحو دوموزي
مجموعة كبيرة غريبة الأشكال
ممّن يزدرون تقدمات الطعام والشراب،
ولا يأكلون قطّ طحين القرابين المنثور،
أو يشربون الماء المسْكوب تكريماً للآلهة
ولا يَقْبَلون الهدايا المغرية.
15 (كان يتقدم) الذين لم يغمروا باللذة حِجْر امرأة
ولم يضمّوا إلى صدورهم نُعومة الأطفال،
والذين كانوا لا يقدِّرون قطّ طعْمَ الثوم اللاّذع[١]
ولا يستهلكون السمك والكرّاث[١]
وضد الملك[٢] تقدّم زوج من شياطين آداب[٣]،
120 أشواك المستنقعات، وعلّيق المياه
ذات الرائحة النتنة،
(واضِعَيْن) يداً على مائدة التقدمات

---

(١) مأكولات كانت تعتبر شهية على ما يظهر، ولا يجوز لعارفٍ رفضها.
(٢) أي دوموزي، ملك المراعي والقطيع وملك السهوب.
(٣) (Adab): مدينة سومرية.

واللسان ملتصق على سقف الحلق؛
وكذلك كان يتقدم زوج من شياطين آكشاك(١)،
الحامِلَيْن [. . .] حول عنقيهما:
وكان يتقدم أيضاً زوج من شياطين أوروك(٢)
125 وزنّاراهما محمّلان بكسّارات ـ الرؤوس؛
وكذلك كان يتقدم زوج من شياطين أور(٣)
يرتديان فوق [. . .] ألبسةٍ برّاقة؛
وكان يتقدم أيضاً ضد الملك
زوج من شياطين نفّر(٤)،
كانا يقتربان من الحظائر، يَحثُّ على التقدم،
كلّ منهما الآخر

الشياطين يستجوبون أخت دوموزي وصديقه الذي يخونه

130 وأثناء طريقهم أسر الشياطين جيشتينانّا
ولكنها رفضت ماء النهر الذي قدّموه لها
رفضت حبّ الحقول الذي قدموه لها
وعند ذلك قال الشياطين الصغار إلى الكبار،
أكثر الشياطين مكراً
135 قالوا لمن هم أسمك منهم:
«عالِمٌ فقد ذاكرته
وطريق (؟) لا يؤدي إلى أيّ مكان

---

(١) (Akshak).
(٢) (Uruk).
(٣) (Ur).
(٤) Nippur؛ (١ ـ ٤) جميعها مدن سومرية قديمة، تمّ التعريف بمواقعها في مناسبات سابقة.

وأخت تكشف مخبأ أخيها
من منكم رأى قبلاً مثل هذا؟[١]
140 الأفضل لنا أن نذهب (لاستجواب) صديق دوموزي!»
على صديقه، عرضوا إذن [. . .]
تقبّل ماء النهر الذي قدّموه له،
قَبِلَ حبّ الحقول الذي قدّموه له
(وقال لهم):
«صديقي يختبىء بين الأعشاب:
لا أعرف أين؟!»
145 فَتَّشوا بين الأعشاب عن دوموزي
ولكن دون جدوى!
«إنّه يختبىء بين «النباتات الصغيرة» (قال لهم الصديق)
ولكني لا أعرف أين!»
فَتَّشوا عن دوموزي بين «النباتات الصغيرة»،
ولكن دون جدوى!
«إنه يختبىء بين «النباتات الكبيرة»،
ولكن لا أعرف أين!»
فَتَّشوا عن دوموزي بين «النباتات الكبيرة»
ولكن دون جدوى!
150 إنه يختبىء في خنادق عميقة
وفي الخنادق العميقة،
قبضوا على دوموزي

(١) الشياطين يستعرضون هنا حالات غير ممكنة الحدوث، وكأنهم يردّدون حكمة شعبية.

تعذيب دوموزي قبل الإلتجاء إلى أوتو

عند ذلك، وعيناه غارقتان بالدموع
صعّد دوموزي شكواه:
«واحسرتاه! أنْقَذَتْ أختي حَياتي
ولكن صديقي تسبّب في موتي!
إذا ما التقيتم بابنٍ لأختي
فقبّلوه (عرفاناً)
155 ولكن إذا ما التقيتم بابنٍ لصديقي
فلا تقبّلوه!»
أحاط به الشياطين وطوّقوه،
وحصروه في حفرٍ (مليئةٍ بالماء)
ثم ضَفَروا حَبلاً من أجله
ونسجوا (؟) له رباطاً
صنعوا مشدَّ نزفٍ من أجله
وأعدّوا له عوائق حركة
160 من الأمام لم يتوقفوا عن كيْل الضربات له
ومن الخلف كانوا يمسكون به لتجميد حركته!
أوثقوا يديه
وكبّلوا رجليه.
عند ذلك رفع الفتى يديه نحو السماء متوجّهاً لأوتو[١]:
165 «أوتو! أنت أخو «امرأتي»!
[وأنا] «زوج» لأختك!

---

(١) (Utu) إلّه الشمس السومري.

أنا هو الذي كان في الإيانا[١] يجلب الأطعمة
وأنا الذي قدّمت هدايا العرس في أوروك[٢]
[أنا الذي] قبّلت الشفاه الجليلة،
وتَهزْهزتُ على ركبتي إنّانا الجَميلتين.
170 حوّل، يديّ إلى «يدي غزال»
ورجليّ إلى «رجلي غزال»
لكي أتهرّب من الشياطين
ولكي أنتقل حتى كولبيريش ـ ديلداريش!»[٣]

أوتو يستجيب لدعائه ولكن يُقبض عليه من جديد

تقبّل أوتو دموعه كما تُقبل التقدمة
175 وكإلّه طيّب القلب أشفق [لحاله]!
فحوّل إذن يديه إلى «يدي غزال»،
ورجليه إلى «رجلي غزال»
بحيث أنه أفلت من أيدي الشياطين
وانتقل حتى كولبيريش ـ ديلداريش
180 وبعد أن فتّش عنه الشياطين دون جدوى
قالوا لأنفسهم:
«حسناً! هيا بنا نحو كولبيريش ـ ديلداريش
وهناك تمكّنوا من القبض على دوموزي
طوّقوه وحصروه
في حُفر (مليئة بالماء)
ثم ضفروا حبلاً من أجله

(١) (Eanna) بمعنى بيت السماء، وهو معبد إلّه السماء في أوروك.
(٢) (Uruk) مدينة آن (An) إلّه السماء.
(٣) (Kulbirēsh - Dildarēsh) تسمية الموقع.

ونسجوا (؟) له رباطاً

185 صنعوا مشدًّ نزْفٍ من أجله

وأعدّوا له عوائق حركة

من الأمام لم يتوقفوا عن كيل الضربات له،

ومن الخلف كانوا يمسكون به لتجميد حركته،

أوثقوا يديه

190 وكبّلوا رجليه

الابتهال إلى أوتو الذي يستجيب

ومن جديد رفع الفتى

يديه نحو السماء متوجّهاً لأوتو:

«أوتو أنت أخو «امرأتي»

وأنا زوج» لأختك

أنا هو الذي كان في الإيانا يجلب الأطعمة،

وأنا الذي قدّمتُ هدايا العرس في أوروك،

195 أنا الذي قبّلت الشفاه الجليلة

وتَهَزْهَزْتُ على ركبتي إنانا الجميلتين

حوّل يديّ إلى «يدي غزال»

ورجليّ إلى «رجلي غزال»

لكي أتهرّب من الشياطين

200 ولكي أنتقل حتى مقر «بيليلي ـ القديمة!»

تقبّل أوتو دموعه كما تُقبل التقدمة

وكإلّه طيّب القلب، أشفق لحاله!

فحوّل إذن، يديه إلى «يدي غزال»

ورجليه إلى «رجلي غزال»

205 بحيث أنه أفْلَتَ من الشياطين.

الالتجاء إلى مقر بيليلي والقبض عليه من جديد

وانتقل إلى مقرّ بيليلي ـ القديمة
وقال لها لدى وصوله:
«أي بيليلي ـ القديمة»، أنا لست أيّاً كان؛
أنا زوج لإلّهة!
اسكبي لي بعض الماء كي أرتوي هنا؛
210 انثري الطحين من أجلي
لكي آكل دون تأخير!»
وبعد أن سكبت له الماء
ونثرت الطحين
استقرّ عندها.
إلا أنه، في يومٍ خرجت فيه العجوز من مقرّها،
وعندما كانت في الخارج،
شاهدها الشياطين وقالوا لأنفسهم:
215 «هل تجهل العجوز أين يختبىء دوموزي؟
ولكنْ مَا بالها تنظرُ بارتيابٍ إلى ما حولها!
وبما أنها (تتمتم) بأصواتٍ تنمّ عن القلق!
حسناً! علينا إذن بالتوجّه إلى مقرها!»
وهناك، في مقر بيليلي، قبضوا على دوموزي،
أوثقوا يديه
وكبّلوا رجليه

الابتهال إلى أوتو الذي يستجيب

ومن جديد رفع الفتى
يديه نحو السماء متوجهاً لأوتو:

«أوتو أنت أخو «امرأتي»
وأنا «زوج» لأختك،
230 أنا هو الذي كان في الإيانا يجلب الأطعمة
وأنا الذي قدّمت هدايا العرس في أوروك
أنا الذي قبّلت الشفاه الجليلة
وتَهَزْهَزْتُ على ركبتي إنانّا الجميلتين
حوّل يديّ إلى «يدي غزال»
235 ورجليّ إلى «رجلي غزال»
لكي أتهرّب من الشياطين
ولكي أنتقل حتى المقرّ المقدس،
إلى حظائر بيت أختي!»
تقبّل أوتو دموعه كما تُقبلُ التقدمة
وكإلّه طيّب القلب، أشفق لحاله!
240 فحوّل إذن، يديه إلى «يدي غزال»
ورجليه إلى «رجلي غزال»
بحيث أنه أفلت من الشياطين.

دوموزي يلتجيء إلى أخته جيشتينانّا

وانتقَل إلى حيث الحظيرة المقدّسة
حظيرة أخته
وعندما وصل إليها،
245 أطلقت جيشتينانّا صرخةً إلى السماء وإلى الأرض،
غطى صياحها الأفق وكأنه الرداء
وامتدّ صياحها إلى كل مكان وكأنه الخيمة.
خدّشت عينيها وخدّشت وجهها
خدّشت أذنيها الفاتنتين

خدّشت ردفها (؟) المغري (؟) وصاحت:
250 «أي أخي، هتفت [. . .] في الخارج!»
إلاّ أنّه في يومٍ خرجت فيه جيشتينانا
شاهدها الشياطين وقالوا لأنفسهم:
«هل تجهل حقاً جيشتينانّا أين يختبىء دوموزي؟
ولكن ما بالها تنظر بارتياب إلى ما حولها
وبما أنها تتمتم بأصواتٍ تنمّ عن القلق،
255 حسناً! لنتوجّه إذن إلى حظيرتها!»

القبض على دوموزي وتخريب الحظيرة

عندما دخل الزوج الأول من الشياطين
إلى الحظيرة
رَمَيا بوتدِ الـ [. . .] إلى النار
وعندما دخل الزوج الثاني إلى الحظيرة،
رميا إلى النار بعَصا الراعي.
وعندما دخل الزوج الثالث إلى الحظيرة،
260 نزعا [غطاء] الممخضة الجميلة!
وعندما دخل الزوج الرابع إلى الحظيرة،
[أنزلا] المكيال المعلّق إلى مسمار.
وعندما دخل الزوج الخامس إلى الحظيرة
رميا بالممخضة إلى الأرض وحطّماها:
ولم يعد بالإمكان سكب الحليب فيها.
265 رَمَيا بالمكيال إلى الأرض وحطّماه!
وبات دوموزي بلا حياة والحظيرة مقفرة!
[ها هنا] نشيد كال ـ كال،
للاحتفال بموت دوموزي.

(١٠٥) ــــ المصير المحزن لعشاق إنانّا/عشتار على لسان جلجامش

١ ــ هذا النص، نقتطفه من ملحمة چلچامش التي سنعود إلى نصّها الكامل فيما بعد، وهو يعطي فكرة عن علاقات إنانّا/عشتار الغرامية، ويعرّفنا بشكلٍ خاص على مصير عشاقها، وقد أشرنا في مطلع عرض الفقرة (١ ــ ١) عن موت دوموزي وبعثه إلاّ أن إنانّا تعترف متوجّهة إلى حبيبها، «ذي الوجه الجميل»، بأنها هي التي بدون شك، «سبّبت له هذا المصير القاسي». وفي اللوحة السادسة من ملحمة چلچامش، في نسختها النينوية[١]، وبعد الإنتصار على وحش غابة الأرز، يعود البطل إلى مدينة أوروك[٢]، ويرتدي حلّته المزركشة ويزيّن بالتاج رأسه. عند ذلك ترفع عشتار عينيها وتنظر إلى جماله، ثم تناديه طالبةً منه أن يكون عريسها وأن يمنحها «ثمرته» لتتمتع بها... لكن چلچامش يرفض هذا العرض ويسوِّغ رفضه بسرد أخبار المصير المحزن الذي أصابَ عشاقها، كما يعيّرها لعدم ثباتها، وبذلك يكشف لنا عن ناحية مهمّة من شخصيتها كعشتار الآكادية، لم نعرفها سابقاً عن إنانّا السومرية في النصوص التي وصلتنا عنها.

٢ ــ أما العشاق الضحايا الذين يعددهم چلچامش لعشتار، فهم تمّوز وطير الشقرّاق، والأسد والحصان، والراعي والبستاني. هؤلاء المعشوقون من قبل

(١) أي نسخة مكتبة أشور بانيبال في نينوى ويرجح إعادة فترة تأليفها إلى نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد.

(٢) (Uruk) عاصمة مملكة چلچامش وهي مدينة إلّه السماء آن حيث معبده الإيانا: «بيت السماء».

عشتار، لم تعرف منهم النصوص السومرية التي وصلتنا سوى دوموزي/تمّوز، «حبيب الصبا» الذي يُرثى سنة بعد سنة[1] والبستاني، مع الفارق الكبير بأن بستاني إنكي[2] في النص السومري هو الذي يغتصب إنانّا في غفلةٍ منها وتنتقم منه محوِّلةً إياه إلى «نجم» (؟)، بينما ينعكس الوضع بالنسبة لبستاني رواية جلجامش الذي تعاقبه عشتار لأنه رفَضَ إغراءها فتحوله إلى ضفدع. تلك كانت سمعة عشتار الشبقية في نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد؛ ويمكن التساؤل فيما إذا كان هذا الأمر نتج عن تطور في النظرة نحو المرأة بالنسبة لما عرفته الفترات السومرية السابقة، ولا بدّ من التعمق في البحث والمقارنة بهذا الصدد.

٣ ـ في المقتطف الذي سنعرضه فيما يلي حول غراميات عشتار، لا بد من الإشارة بأن هذا النص هو غنيّ بتعابير الجناس اللفظي الذي تعمّده المؤلف في انتقاء تعابيره الآكادية والانتقال الموفّق بين معانيها المختلفة.

مقتطف اللوحة السادسة

42 أيّ عاشق من عشاقك بقيتِ [على حبّه] (يا عشتار)!
أيّ واحد من مقرَّبيكِ، نجا [من شراكك؟]
تعالي لكي أقصّ عليك مصير عشّاقكِ المحزن!
[... نقص سطر واحد...]

46 ـ من أجل تمّوز، حبيب [صباكِ]،
فقد عيّنتِ له أن يُرثى سنة بعد سنة!
ـ لقد أحببتِ طيرَ الشقرّاق المتعدّد الألوان
ثم ضربتهِ فجأةً فكسرت جناحه!

50 وهذا هو يلتجىء إلى الغابة ويئنّ مردّداً:
«كفّي، كفّي!»[3]
ـ والأسد، ذو القوة التي لا تضاهى، أحببتِهِ

(١) يتأكد ذلك من النصوص السومرية التي سنعرضها من ضمن هذه الفقرة.
(٢) راجع النص (رقم ١٠) من الكتاب الأول: قصاص بستاني أنكي الذي اغتصب إنانّا.
(٣) الكلمة الأكادية كفّ والأوغاريتية كنف حافظت عليهما اللغة العربية ومعناها جناح.

(ثمّ فجأةً) لم تكفّي عن نصْب الشراك له،
شركاً بعد شرك!
ـ والحصان! الحصان المشغوفِ بالمعارك، أحببتِهِ:
(ثمّ فجأةً) خصّصتِ له السوط ذا الرؤوس
اللاذعةِ والسُيور!
55 وحكمت عليه أن يعدوَ باستمرار
وألا يشرب الماء إلاّ بعد تعكيره!
وكذلك أحزنتِ من أجله أمّه شيليلي[1]
ـ والراعي، لقد أحببتِ رئيس الرعاة،
الذي كان يعدّ لكِ باستمرار أقراصَ الخبز مشوّيةً تحت الرماد
60 وكان كل يومٍ يضَحّي لك بجديانه:
ثم ضربتِهِ (فجأةً) وحوّلتِهِ إلى ذئب
حتّى أصبح (الرعاة) الذين هم في خدمته، يطاردونه،
وكلابهِ تمزّق مؤخرته!
ـ أنتِ أحببتِ إيشولآنو[2] بستاني أبيكِ
65 الذي كان يقدّم لك باستمرار، قففَ التمور
ويعدّ لك يومياً وجبةً سخيّة.
أنت سلّطتِ عليه نظركِ
وعمدت إلى إغرائِهِ:
لنتمتّع ولنأكل[3] ثمرَةَ رجولتك يا إيشولآنو

---

(١) (Silili) تذكّر سيليلي التي تحزن لمصير ابنها، بالفرس ـ أم ـ الفحل في النص الأوغاريتي التي تسعى لحماية أبنائها من لدغ الأفاعي. وسوف يرد هذا النص في الكتاب الخامس.

(٢) (Ishullanu) أو شولآنو (Shûllanu) ومعناه مكسوٌ بالتآليل وهو المرادف الذي يقدمه جدول التقابل بين السومرية والأكادية لاسم شوكاليتودا (Shukalituda) وهو الاسم السومري لبستاني إنكي كما ورد في النص (رقم ١٠) من الكتاب الأول.

(٣) بالأكادية نوكول = نأكل من فعل أكالو.

مدّ يدك إذن وداعب[١] خردتي[٢]!

70 ولكن إيشولاّنو قال لكِ:

ما الذي تطلبينه منّي؟

أمّي أعدّت لي طبخاً وأنا أكلت (أكّالو) قبل الآن،

وأنت لا تقدمين لي غذاءً (أكالو) سوى خبزَ (أكلو)

اللعنة والعار!

ولن يبقى لي لاتّقاء البرد غير الحَلْفاء (ألفيتو)

لأتستّر بها!

75 وأنتِ ضربتِهِ وحوّلْته إلى ضفدع (؟)[٣]

وحكمتِ عليه أن يبقى في (مكان) عمـ [له]،

حيث [. . .] لا يصعد ولا يهبط.

ـ وأنا كذلك، إذا ما أحببتني، (عندئذٍ)

ستفعلين بي كما فعلتِ بأولئك!»

---

(١) لوفوت: الأمر من لافاتو بمعنى لمس أو دَاعَبَ. واللّفت: شق البقرة وحياء اللبوة.

(٢) بالأكادية خارداتني من خرداتو = خصر (د. سعيد الأحمد) أو حياء (أرنولد) والخريدة بالعربية: البكر لم تمس أو العذراء، واللؤلؤة لم تثقب.

(٣) تمّ تفضيل ضفدع عوضاً عن جرْذ (د. سعيد الأحمد) بسبب جلده المتألّل وفق ما ورد في الحاشية (٢) من الصفحة السابقة.

(١٠٦) ـــ إنانّا تسلمِّ دوموزي
إلى شياطين العالم السفلي

١ ـ نُقدّم هذا النص السومري «لنزول عشتار إلى العالم السفلي» مع التذكير، بأن النسخة الآكادية، إذا ما كانت عُرفت منذ أكثر من مائة سنة، فإن هذا النص السومري لم يُستكمل إلاّ مؤخراً (في عام ١٩٨٠)، بعد أن تمّ جمع وتحديد مواضع حوالى ثلاثين جزءاً من النصوص المبعثرة التي تعود إلى النصف الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد والتي تمّ اكتشاف معظمها في نفّر[١].

٢ ـ يقع النص الكامل لنزول إنانّا إلى العالم السفلي وفق هذه النسخة السومرية التي عنوانها «إنانّا تسلم دوموزي...»، في حوالى ٤٠٠ سطر، حيث نرى فيه الإلَهة تقرّر مغادرة السماء والأرض بملء إرادتها للنزول إلى العالم السفلي، وتوصي مساعدتها نينشوبور[٢]، طلب عون الآلهة الكبار لإنقاذها، إذا ما تأخّرت عودتها[٣]. وهذا ما يحدث فعلاً، إذْ تستدرجها شقيقتها إيريشكيجال[٤] ملكة العالم السفلي لاحترام أنظمة ذلك العالم، وبعد تجريدها من كامل مظاهر سلطتها. تسلّط عليها نظرتها المميتة، فتحوّلها إلى جثةٍ تعلّقها إلى مسمار.

---

(١) (Nippur) مدينة الإلَه إنليل.
(٢) (Ninshubur) اسم مساعدة إنانا.
(٣) نحن نعلم من قصيدة «إنانّا وسفينة السماء» (النص ٨٥ من الكتاب الثالث) أن إنانّا كسبت حق النزول إلى العالم السفلي والصعود منه من بين أسس الحضارة التي نقلتها إلى مدينتها أوروك.
(٤) (Ereshkigal).

٣ ـ يعود النصّ بعد ذلك إلى نينشوبور، التي تذهب بدون جدوى إلى طلب نجدة الأب إنليل[١] ومساعدة نانّا[٢] الإلّه القمر. إلا أن إنكي[٣] وحده، وهو الذي يمتلك طعام الحياة وشرابها، يقبل التدخل. ويُوفّق إنكي، إذ يبتدع مخلوقين يسلّمهما طعام الحياة وشرابها، ويوفدهما إلى العالم السفلي، فيتمكّنان من إخراج إنانّا. إلا أن نظام العالم السفلي، على ما يظهر، يستوجب الاحتفاظ ببديل عمن يُقبل بتحريره. وتصعد إنانّا من العالم السفلي تواكبها شياطين ذلك العالم للاستيلاء على بديلها.

٤ ـ وكانت مساعدتها نينشوبور، تنتظرها وعليها علائم الحزن والتأثّر، فترفض تسليمها بدلاً عنها وهي التي تدخّلت لإنقاذها. ثم يواكبها الشياطين حتى مدينة أومّا[٤] حيث ترفض تسليم «شارا»[٥] منشدها، لتيقّنها من حزنه على فقدانها. وللأسباب نفسها، ترفض تسليم ضابطها لولال[٦] في باد تيبيرا[٧]. لكنها حين تصل إلى سهول كلاّبا[٨] بجوار أوروك[٩] تجد الراعي دوموزي جالساً وكأن شيئاً لم يكن والرعاة من حوله يستمعون إلى أنغام الناي والشبّابة. عند ذلك، تتوجّه إنانّا نحو الشياطين قائلةً: «هذا هو، إنه لكم، خذوه».

٥ ـ يستنجد دوموزي بإلّه الشمس أوتو[١٠] فينقذه ويفلت من الشياطين ليلتجيء عند جيشتينانّا[١١] شقيقته. إلاّ أن ذُبابة تكشف للشياطين عن مخبئه. وتقبل إنانّا في النهاية، أن يحلّ دوموزي محلها خلال نصف السنة وأن تقضي أخته في العالم السفلي النصف الآخر.

---

(١) (Enlil) سيد مجمع الآلهة في سومر.
(٢) (Nanna) الإلّه القمر.
(٣) (Enki) إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع وهنا يمتلك أيضاً طعام الحياة وشرابها.
(٤) (Umma) تقع على بعد حوالى ١٦٠ كم إلى الجنوب الشرقي من بابل.
(٥) (Shara).
(٦) (Lulal).
(٧) (Bad-Tibira) من مدن ما قبل الطوفان.
(٨) (Kullaba) أو كلاّب الحي القديم في أوروك أو إحدى ضواحيها.
(٩) (Uruk) مدينة الإلّه آن (An) وإنانّا.
(١٠) (Utu) الإلّه الشمس السومري.
(١١) (Geshtinanna) اسم شقيقة دوموزي.

إنانّا تقرّر زيارة العالم السفلي

1 في أحد الأيّام، ومن عليّ السماء، أرادت الذهاب
إلى العالم السفلي
من عليّ السماء، أرادت الإلّهة [الذهاب]
إلى العالم السفلي
غادرت السيدة السماء والأرض
للنزول إلى العالم السفلي الذي هو تحت.
5 غادرت إنانّا السماء والأرض
للنزول إلى العالم السفلي.
للنزول إلى العالم السفلي،
غادرت إنانا أوروك[١].
للنزول إلى العالم السفلي،
غادرت الأي ـ موشكالامَا[٢] في بادتبيرا.
للنزول إلى العالم السفلي،
غادرت الجيچونا[٣] في زابالام[٤].
10 للنزول إلى العالم السفلي،
غادرت الإي ـ شارّا[٥] في آداب[٦].
للنزول إلى العالم السفلي،
غادرات البارا دورچارا[٧] في نفر[٨].

---

(١) (Uruk) عرّفت من ضمن التقديم ملاحظة (رقم ٩)، وفيها معبد الإي ـ آنّا (بيت السماء).
(٢) (E. Mushkalama) معبد الإلّهة إنانّا في باد ـ تيبيرا.
(٣) (Giguna) إحدى القاعات المخصصة لسكن الإلّه في المعبد وهنا مقر الإلّهة إنانّا في زابالام.
(٤) (Zabalam) مدينة سومرية تقع على حوالى ٨٠ كم إلى الشمال من أوروك.
(٥) (E. Sharra) بمعنى بيت الكون وهنا معبد إنانّا في آداب.
(٦) (Adab) تقع على حوالى ٤٥ كم إلى الشرق من نفّر (Nippur).
(٧) (Baradurgara) معبد إنانّا في نفّر.
(٨) (Nippur) مدينة الإلّه إنليل سيد مجمع الآلهة، وفيها معبده الإيكور (بيت الجبل).

للنزول إلى العالم السفلي،
غادرت الخورساج كالاما[١] في كيش[٢]
للنزول إلى العالم السفلي،
غادرت الإي ـ أولماش[٣] في أكّاد[٤]

الاستعدادات

تسلّحت (إنانّا) بالصلاحيات السبع
15 بعد أن جمّعتها وأمسكتها بيدها
أخذتها جميعها، كاملة من أجل الذهاب!
وضعت المِغْجَر على رأسها، تاج السهوب.
ثبّتت على جبينها خصلة الشعر (المغرية)،
قبضت على مكيال اللازورد.
20 زيّنت رقبتها بعقد اللازورد
ورتّبت بشكل أنيق على عنقها الدُّرر المخروزة
كما شدّت على صدرها ستر النهدين:
«تعال تعال أيها الرجل»[٥]
ولفّت جمسها بالپالا[٦] الرداء الملكي
25 وجمّلت عينيها بالكحل: «ليأتِ، ليأتِ»[٧]

---

(١) (Khursag-Kalama) معبد إنانّا في كيش.
(٢) (Kish) مدينة تقع إلى الشمال الشرقي من بابل، على مقربة منها.
(٣) (E. ulmash) معبد إنانّا في مدينة أكّاد عاصمة الأمبراطورية السرجونية.
(٤) (Akkad) المدينة الجديدة التي بناها سرجون الكبير واتخذها عاصمة لأمبراطوريته، مهملاً بابل والتي زالت مع زوال هذه الأمبراطورية الأولى ولم يكشف موقعها حتى اليوم.
(٥) تسمية الإغراء لستر نهديّ إنانّا.
(٦) (Pala): الرداء المخصص للاحتفالات الرسمية المهمة.
(٧) تسمية لا تقل إغراءً عن تسمية ستر النهدين مما يزيد من سحر عينيّ إنانّا.

توصياتها لمساعدتها نينشوبور

هكذا أخذت إنانّا طريقها إلى العالم السفلي
ومشت معها مساعدتها نينشوبور.
عند ذلك قالت إنانّا المقدسة لنينشوبور:
«تعالي هنا يا مساعدتي الأمينة في الإيانا[١]
30 يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة
يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال؛
ها آنذا ذاهبة إلى العالم السفلي!
عندما أصل إلى هناك
أطلقي من أجلي نحيب المصائب:
35 إقرعي الطبل في مركز مجمع الآلهة
زوري واحداً واحداً [مساكن] الآلهة:
خدّشي [عينيكِ]، خدّشي فمك،
خدّشي ردفك (؟) المثير (؟)،
ومثل مسكينة متسوّلة لا تلبسي غير ذيل قماشٍ خَرِق!
40 ثمّ اذهبي شخصياً إلى الإيكور[٢]، معبد إنليل
وعندما تكونين في الإيكور، معبد إنليل
اذرفي الدموع أمام إنليل وقولي له:
«أي إنليل العظيم، لا تدع ابنتك تقتل
في العالم السفلي!
لا تدع معدنك الثمين يختلط
بتراب العالم السفلي!
45 لا تدع لازوردك اللمّاع يُدَبَّج

---

(١) (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو معبد الإلّه آن في أوروك.
(٢) (Ekur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد الإلّه إنليل في نفّر.

ككتلة حجر في مقلع!
لا تدعْ خشب البقْس (المكتظّ) يُنجّرُ
كخشبِ هيكل بناء!
لا تدع إنانّا الفتية تبقى
قتيلةً في العالم السفلي!
إذا رفض إنليل مساعدتكِ، إذهبي إلى أور[١]
وهناك، عندما تصلين إلى المعبد،
قاعدة البلاد
50 الايكيشنوچال[٢] معبد الإلّه نانّا[٣]
أذرفي الدمعَ أمام نانّا وقولي له
«أي نانّا المبجّل، لا تدعْ إبنتك تقتل
في العالم السفلي!
لا تدع معدنك الثمين، يختلط
بتراب العالم السفلي!
45 لا تدع لازوردك اللمّاع يُذَبّج
ككتلة حجرٍ في مقلع!
55 لا تدعْ خَشَبَ البَقْس (المكتظّ) يُنجّرْ
كخشبِ هيكل بناء!
لا تدعْ إنانّا الفتية، تبقى
قتيلةً في العالم السفلي!
وإذا رفض إنليل مساعدتك، إذهبي إلى إريدو[٤]

---

(١) (Ur) مدينة الإلّه القمر.
(٢) (E. Kishnugal) بمعنى بيت ـ النور.
(٣) (Nanna) الإلّه القمر السومري.
(٤) (Eridu) مدينة الإلّه أنكي حيث بنى مقرّه في الأبسو.

وهناك، عندما تدخلين معبد إنكي[١]
[أمام] إنكي اذرفي الدمع وقولي له:
60 «يا إنكي المبجّل، لا تدع ابنتك تُقتلْ
في العالم السفلي!
لا تدعْ معدنك الثمين يختلط
بتراب العالم السفلي!
45 لا تدع لازوردك اللمّاع يُدَبَّج
ككتلة حجرٍ في مقلع!
لا تدعْ خَشبَ البقْس (المكتظّ) يُنجَّرُ
كخشبِ هيكل بناء!
لا تدعْ إنانّا الفتية تبقى
قتيلةً في العالم السفلي!
65 إنكي المبجّل، ذو الذكاء الرحب،
والذي يعرف غذاء ـ الحياة وشراب ـ الحياة
سوف يعيدني حتماً إلى الحياة!»
وتابعت إنانّا مسيرتها نحو العالم السفلي
وأوصت مساعدتها نينشوبور:
70 «اذهبي الآن يا نينشوبور
ولا تنسي ما أمرتك به!»

وصول إنانّا إلى مدخل العالم السفلي

ولدى وصول إنانّا إلى قصر چانزير[٢]
ضربت بقبضةٍ ـ مهدِّدة بوّابة

---

(١) (Enki) إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع وهو الذي يتدخل دوماً لإنقاذ الموقف في المناسبات الصعبة.
(٢) (Ganzer) إحدى تسميات قصر ملكة العالم السفلي.

العالم السفلي،
وصرخت أمام قصر العالم السفلي
بصوت عدواني:
75 إفتح القصر يا پيتو[1]! إفتح القصر:
«أريد دخوله شخصياً!»
پيتو، رئيس بوابي العالم السفلي
أجاب إنانّا قائلاً:
«وأنت، من تكونين إذن؟
80 ـ أنا ملكة السماء، حيث تشرق الشمس!
ـ إذا كنتِ ملكة السماء، حيث تشرق الشمس
لماذا أتيت إلى بلدِ اللاعودة؟
لماذا قادكِ قلبك
على الطريق الذي لا يعود منه أحد قطّ؟
أجابته إنانّا المقدّسة عندئذٍ:
85 «أتيت من أجل إيريشكيچال[2]، أختي البكر
لأن زوجها السيد چوچالانّا[3] قد قُتل:
جئت لأشهد تشييع الجنازة،
ولأشارك في طقوس التقدمات!
هذه هي الحقيقة!»
لكن پيتو رئيس بوابي العالم السفلي
90 أجاب إنانّا المقدّسة:
«إنتظري هنا يا إنانّا! عليّ أن أبلغ سيدتي!
سأبلغ سيدتي إيريشكيچال!»

(١) (Pêtû) رئيس بوابي العالم السفلي.
(٢) (Ereshkigal) ملكة العالم السفلي.
(٣) (Gugalanna) اسم أو لقب زوج ملكة العالم السفلي.

إبلاغ إيريشكيجال وردّ فعلها

(دخل) بيتو، رئيس بوّابي العالم السفلي
على سيّدته إيريشكيجال وقال لها:
95 «سيّدتي، هناك امرأة فتيّة
عالية كالسماء و[ممتلئة] كالأرض،
ضربت بوّابة العالم السفلي بقبضةٍ مهدِّدة
وصرخت أمام قصر العالم السفلي
بصوت عدواني،
[إنها آتية (؟) من (؟) الإيانا [. . . ؟]
100 لقد تسلحت بالصلاحيات السبع
بعد أن جمّعتها وأمسكتها بيدها
أخذتها جميعها كاملة [من أجل الذهاب]
[وضعت على رأسها] المِغْجَرَ، تاج ـ السهوب
[ثبتت على جبينها] خصلة الشعر (المغرية)
105 [قبضت] على مكيال [اللاز] ورد،
زيّنت رقبتها بعقد اللازورد
ورتبت على عنقها [بشكل أنيق] الدّرر المخروزة
ألبست [ساعديها] أساور الذهب
كما شدّت على صدرها ستر ـ النهدَين:
«تعال، تعال أيها الرجل!»
110 جمّلت عينيها [بالكحل] [«ليأتِ، ليأتِ»]
[ولفت] جسمها بالپالا، الرداء الملكي»
عند ذلك وبانشغال كبير، ضربت إيريشكيجال
فخذيها بكفيها غضباً،
وعضّت على شفتيها امتعاضاً،

وقالت لبيتو رئيس البوابين:
«إذهب يا بيتو، يا رئيس بوابي العالم السفلي
115 ولا تنسَ ما سآمرك به!
إسحب مزلاج أبواب العالم السفلي السبعة
إفتح بوّابات قصر الچانزر،
الواحدة بعد الأخرى
وبعد أن تَلِجَ (الأبواب)
ليُؤتى بها إليّ وجسدُها خاضِع
ومجرّد من ألبسته!»

إنانّا تجتاز البوابات وتجرّد تباعاً من رموز سلطتها

120 مذعناً لأوامر سيدته
[سحب] بيتو رئيس بوابي العالم السفلي
سحب مزلاج أبواب العالم السفلي السبعة
وفتح بوابات قصر چانزر
الواحدة بعد الأخرى
وقال لإنانّا:
125 «ماذا تنتظرين يا إنانّا، أدخلي!»
ولدى اجتيازها البوابة (الأولى)
نَزَعَ عن رأسها المِعْجَر تاج ـ السهوب.
«ما معنى ذلك؟ (قالت)
ـ اسكتي يا إنانّا! (قيل لها):
سلطات العالم السفلي لا مأخذ عليها!
130 لا تعارضي طقوس العالم السفلي!»
ولدى اجتيازها البوّابة الثانية
جُردت من مكيال اللازورد

«ما معنى ذلك؟ (قالت)
ـ اسكتي يا إنانا! (قيل لها):
سلطات العالم السفلي لا مأخذ عليها!
135 لا تعارضي طقوس العالم السفلي.
ولدى اجتيازها البوابة الثالثة
نُزع عن رقبتها عقد اللازورد
«ما معنى ذلك؟ (قالت)
ـ اسكتي يا إنانا! (قيل لها):
سلطات العالم السفلي لا مأخذ عليها
140 لا تعارضي طقوس العالم السفلي.
ولدى اجتيازها البوابة الرابعة
نُزِعَتْ عن عنقها الدّرر المخروزة
«ما معنى ذلك؟ (قالت)
ـ أسكتي يا إنانا! (قيل لها):
سلطات العالم السفلي لا مأخذ عليها.
145 لا تعارضي طقوس العالم السفلي!»
ولدى اجتيازها البوابة الخامسة
نُزِعت من ساعديها أساور الذهب.
«ما معنى ذلك؟ (قالت)،
ـ اسكتي يا إنانا! (قيل لها)
سلطات العالم السفلي لا مأخذ عليها
150 لا تعارضي طقوس العالم السفلي!»
ولدى اجتيازها البوابة السادسة
جُرِّدت من على صدرها من ستر ـ النهدين
«تعال! تعال! أيها الرجل!»
«ما معنى ذلك؟ (قالت)،

ـ اسكتي يا إنانّا! (قيل لها)
سلطات العالم السفلي لا مأخذ عليها
155 لا تعارضي طقوس العالم السفلي!»
ولدى اجتيازها البوّابة السابعة
يُرفع عن جسدها [الپالا] الرداء الملكي
«ما معنى ذلك؟ (قالت)،
ـ اسكتي يا إنانّا! (قيل لها)
سلطات العالم السفلي، لا مأخذ عليها
160 لا تعارضي طقوس العالم السفلي».
وهكذا وجسدها خاضع (؟) ومجرّد
من ألبسته، أُتي بها أمام إيريشكيچال.
أخذت عند ذلك إيريشكيچال المقدّسة مكانها على عرشها
والآنونّا القضاة السبعة،
تلفّظوا أمامها بقرارهم:
ألقت على إنانّا نظرةً: (نظرة) قاتله!
165 نطقت ضدّها بكلمة: بكلمة غضب!
أطلقت ضدّها صرخةً: صرخة الهلاك!
والمرأة حين عوملت كذلك، تحوّلت إلى جثة
وعُلِّقت الجثة إلى مسمار!

نينشوبور تبدأ جولتها طلباً للعون

بعد مضي ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ،
170 نينشوبور مساعدة إنانّا،
مساعدتها ذات الكلمات اللّبقة،
ورسولتها ذات الخطاب الفعّال،
أطلقت من أجلها نحيب المصائب،

جعلت الطبل يُدوِّي في مركز مجمع الآلهة،

175 زارت مساكن الآلهة الواحد بعد الآخر

خدّشت عينيها وخدّشت فمها،

خدّشت ردفها (؟) المثير (؟)

ومثل مسكينة متسولة لا يغطي (جسدها)

سوى ذيل قماشٍ خرِق،

ذهبتْ شخصياً إلى [الإيكور] معبد [إنليل]

180 وعندما دخلت [الإيكور] معبد إنليل

ذرفت الدموع أمام إنليل وقالت له:

[«أي إنليل العظيم]، لا تدع ابنتك تقتل

في العالم السفلي!

لا تدعْ معدنك [الثمين يختلط

بتراب العالم السفلي]!

لا تدعْ لازوردك اللمّاع يُدبّج

ككتلة حجرٍ في مقلع!

185 لا تدع خشب البقْس (المكتظّ) يُنجَّرُ

كخشبِ هيكل بناء!

لا تدع إنانّا [الفتيّة] تبقى

قتيلةً في العالم السفلي»!

لكن إنليل الجليل أجاب نينشوبور

بانفعال:

«بعد أن أرادت [ابنتي] السماء، ها هي

الآن ترغب في العالم السفلي!

إنانّا بعد أن أرادت السماء، ها هي

تشتهي العالم السفلي

190 لكن سلطات العالم السفلي [...]

وأي واحدٍ [. . .]!»
وحين رفض إنليل الجليل مساعدتَهُ
لنينشوبور، توجّهت إلى أور.
وهناك عندما دخلت المعبد
«قاعدة البلاد»
الإيكيشنوچال [معبد نانّا]
195 ذَرَفَتْ الدموع أمام نانّا وقالت:
أي نانّا الجليل، لا تدع ابنتك تُقتل
في العالم السفلي!
لا تَدَعْ معدنك الثمين، يختلط
بتراب العالم السفلي!
لا تدعْ لازوردك اللمّاع يدبّج
ككتلة حجرٍ في مقلع!
لا تدعْ خشب البقْس (المكتظّ) يُنجَّر
كخشب هيكل بناء!
200 لا تدع إنانّا الفتيّة تبقى
قتيلةً في العالم السفلي!
لكن نانّا الجليل، [أجاب نينشوبور]
بانفعال:
«بعد أن أرادت ابنتي السماء، ها هي الآن
تريد [العالم السفلي]!
إنانّا بعد أن أرادت السماء، ها هي
تشتهي [العالم السفلي]
ولكن سلطات العالم السفلي [. . .]
205 وأي واحد [. . .]!»
وإذْ رفض نانّا المبجّل [مساعدته

لنينشوبور] توجّهت إلى [إريدو]
وهناك عندما دخلت معبد إنكي،
أمام إنكي، ذرفت الدموع وقالت:
«يا إنكي الجليل، لا تدعْ ابنتك تُقتل
في العالم السفلي!
210 لا تدع معدنك الثمين يختلط
بتراب العالم السفلي!
لا تدع لازوردك اللمّاع يُدبَّحُ
ككتلة حجرٍ في مقلع
لا تدعْ خشب البَقْس (المكتظّ) يُنجَّرُ
كخشب هيكل بناء!
لا تدعْ إنانّا الفتية، تبقى
قتيلة في العالم السفلي!
وأجاب إنكي الجليل نينشوبور:
215 [«ما الذي] فعلته ابنتي؟ أنا قلق! ـ
ما الذي فعلته ملكة الأقاليم جمعاء؟
أنا قلق!
ما الذي فعلته غانية آن؟ أنا قلق!

إنكي يقرر إنقاذ إنانّا

استخرج بعد ذلك بعض التراب (العالق)
تحت أظافره، صَنَع منه كورچارا[١]
220 واستخرج من جديد بعض التراب من تحت
أظافره وصنع منه كالاتور[٢]

---

(١) (Kurgara): مخلوق ابتدعه انكي لإنقاذ إنانا.
(٢) (Kalatur) مخلوق ابتدعه انكي لإنقاذ إنانا.

وإلى كورچارا، سلّم غذاء ـ الحياة!
و(سلّم) إلى كالاتور شراب ـ الحياة!
ثم قال إنكي الجليل إلى كالاتور وكورچارا:
«حسناً! أسرعا خطاكما نحو
العالم السفلي:
225 حَوِّما كالذباب حول بوابته،
دوِّما كتيارات الهواء
حول مدار بابه!
سوف تجدان في الداخل، الأم المولِّدة
بسبب أبنائها،
(تجدان) إيريشكيچال مريضة على فراشها
دونما ثوب (يغطي) كتفيها المقدّستين
230 قلبها (؟) قليل الانتفاخ (؟) مثل قُصعة (؟)
[. . .]ـها مرتَّبٌ حولها مثل [. . .] من النحاس،
وشعرها مجمّع فوق رأسها مثل نبات الكراث!
عندما تردِّد متألمةً «آخ! أحشائي!»
[قولا لها]: يا مليكتنا الشاكية
آخ! أحشاؤك!!»
235 عندما تردِّد متألمة: آخ! أطرافي!»
قولا لها: يا مليكتنا الشاكية
آخ! أطرافك!!»
وسوف تقول لكما عند ذلك: أيّاً كنتما، أنتما،
بما أنكما عبّرتما عن الألم (المار)
من أحشائي إلى أحشائكما
ومن أطرافي إلى أطرافكما،
(إن كنتما) إلّهيّان فأنا أوجّه إليكما سلاماً مناسباً

240 ولئن كنتما بشراً فسأعيّن لكما مصيراً حسناً
عند ذلك، أُطْلُبَا منها أن تؤدّي قسماً
باسم السماء والأرض
و[. . .][1]
عندما يُقدَّمُ لكما ماء النهر، أرفضاه!
وعندما يُقدّم لكما حبُّ ـ الحقول، أرفضاه!
245 (وقولا لها) قدّمي لنا بالأحرى،
الجثّة المعلّقة إلى مسمار!
وعند ذلك، ليسكب عليها أحدكما طعام ـ الحياة
وليسكب الآخر شراب ـ الحياة
وهكذا سوف تعود إنانّا إلى الحياة!»

وبامتثالهما إلى أوامر إنكي، (عند ذلك)،
كالاتور وكورچارا،
حوّما كالذباب حول بوابة
العالم السفلي،
250 دوّما كتيارات الهواء
حول مدار (بابه)،
ووجدا بالداخل [الأم المولِّدة]
إيريشكيچال مريضة على فراشها
بسبب أبنائها.
(كانت) دونما ثوب يغطّي [كتفيها] المقدّستين
قلبها (؟) قليل الانتفاخ (؟) مثل قصعة (؟)
و[. . .]ـها مرتّب حولها مثل [. . .] من النحاس،

(١) المرجح أنهما جعلاها تقسم بتلبية طلبهما.

وشعرها مجمّع فوق رأسها مثل نبات الكراث!
255 وعندما كانت تردّد متألّمة: [آخ!] [أحشا] ئي!»
قالا لها: «يا مليكتنا [الشاكية]،
آخ! أحشاؤك!»
وعندما كانت تردّد متألّمة «آخ! أطرافي!
قالا لها: «يا مليكتنا [الشاكية]
آخ! أطرافك!»
حتى أنّها أعلنت أمامهما:
«أيّا كنتما، أنتما،
260 بما أنكما عبّرتما عن الألم (المار)
[من أحشائي] إلى أحشائكما
ومن أطرافي إلى أطرافكما
فإذا كنتما [إلّهيين] أوجّه إليكما
سلاماً مناسباً!
وإن كنتما بشراً، أعيّن لكما
مصيراً حسناً!»
عند ذلك، طلبا منها أن تؤدي [قسماً
باسم السماء والأرض]
و[. . .]
265 عندما قُدّم لهما ماء ـ النهر، رفضاه
عندما قدّم لهما حبّ ـ الحقول، رفضاه
(قالا لها) قدّمي لنا بالأحرى
الجثّة المعلقة إلى مسمار.
أجابتهما عند ذلك إيريشكيجال المقدّسة
[أجابت كالاتور وكورچارا]:
«ولكن هذه الجثة هي جثّة ملكتكما

270 ـ ولو أنها جثة ملكتنا (قالا)
سلّميها لنا»
ثم سكبَ عليها أحدهما طعام ـ الحياة
وسكب الآخر شراب ـ الحياة.
وهكذا عادت إنانّا إلى الحياة.

شروط التحرر من العالم السفلي

ولكن عندما كانت إنانّا تستعد
للصعود من العالم السفلي،
أوقفها الآنوتّا[١] (وقالوا لها):
275 من ذا الذي نزل إلى العالم السفلي
وخرج منه دون مقابل؟
إذا ما أرادت إنانّا الصعود من العالم السفلي
عليها تسليمنا بديلاً عنها!»

إنانّا تصعد من العالم السفلي يواكبها الشياطين

ولهذا، وبينما كانت إنانّا تصعد
من العالم السفلي
كان شياطين صغار مثل قصب الشوكور[٢]
280 مع شياطين كبار[٣] مثل قصب الدوبّان[٤]
يواكبون إنانّا.

---

(١) (Anunna) مجموع آلهة العالم السفلي.
(٢) (Shukur).
(٣) (Dubban).
(٤) الشياطين الصغار والكبار هم الشياطين چالا (Galla) أنظر الشرح حولهم في حاشية السطرين ٥٩ و٦٣ من النص (رقم ١٠٤) أعلاه، (الصفحة ٣٩).

والذي سار في المقدمة، دون
أن يكون رئيساً كان يحمل عصا
والذين كانوا يرافقونه دون أن يكونوا
جنوداً، أثقلوا زنانيرهم بالهراوات سلاحاً!
وهؤلاء المواكبون، مواكبو إنانّا،
كانوا يرفضون تقدمات الطعام والشراب،
وما كانوا يأكلون قطّ طحين القرابين المنثور
وما كانوا يشربون الماء المسكوب تكريماً للآلهة!
بل كانوا قادرين على انتزاع الزوجة
من بين ذراعي زوجها
290 وانتزاع الطفل عن ثدي مرضعته!

اللقاء الأول

خرجت إنانّا، إذن من العالم السفلي
وما أن تمَّ خروجها منه
حتى ارتمت نينشوبور، مساعدتها على قدميها
تغطّي جَسَدها ثيابُ بؤس
وقد أذلّها التَعَفُّر
295 قال الشياطين لإنانّا:
«إذهبي إلى مسكنك يا إنانّا:
هذا هو البديل الذي سنعود به!»
ولكن إنانّا المقدّسة أجابت:
«كلا! إنها مساعدتي ذات الكلمات اللبقة،
(إنها) رسولتي ذات الخطاب الفعّال
300 التي لم تهمل قطّ أوامري
ولم تقصّر قطّ عن اتباع [تعليماتي]

ومن أجلي، أطلقت نحيب المصائب
وجعلت الطبل يدوي في مركز مجمع الآلهة
و(من أجلي) زارت مساكن الآلهة
الواحد بعد الآخر

305 مخدّشةً عينيها، مخدّشةً فمها
ومخدّشة ردفها (؟) المغري (؟)
ومثل مسكينة متسوّلة، لا يغطى جسدها
سوى ذيل قماش خَرق
ذهبت إلى الإيكور، إلى معبد إنليل
وإلى أور، إلى معبد نانّا

310 (ذهبت) إلى إريدو، إلى معبد إنكي
وأنقذت حياتي.
ـ حسناً أجاب الشياطين، سنتابع طريقنا،
فلنرافقك إلى سيچكورشاچّا[١] في أومّا[٢]!»

اللقاء الثاني

ولدى وصولهم إلى أومّا، خرج شارا من سيچكورشاچّا
وارتمى على قدميْ إنانّا

315 تغطّي جسمه ثياب بؤس
وقد أذَلّه التعفّر.
قال الشياطين لإنانّا (عند ذلك):
«إذهبي إلى مسكنك يا إنانّا
هذا هو الذي سيرافقنا!»

---

(١) (Sigkurshagga).
(٢) (Umma) المدينة القديمة.

ولكن إنانّا المقدّسة أجابتهم:
«كلا! إنه شارا، شاعري ومنشدي
320 إنه (يهتم) بتجميل أظافري وتصفيف شعري!
ولن أتخلّى لكم عنه بأيّ ثمن!
ـ حسناً أجاب الشياطين، سنتابع معك
ونرافقك إلى إيموشكالاما[١] في بادتيبيرا!»[٢]

اللقاء الثالث

ولدى وصولهم إلى بادتيبيرا، خرج لولال
من الإيموشكالاما
وارتمى على قدميّ إنانّا
325 تغطي جسمه ثياب بؤس
وقد أذلّه التعفّر.
قال الشياطين لإنانّا:
«إذهبي إلى مسكنك
هذا هو الذي سنعود به!»
ولكن إنانّا المقدّسة أجابتهم:
«كلاّ! إنه لولال ضابطي
الذي يقف دوماً إلى جانبي!
330 لن أسلّمكم إيّاه مقابل أيّ ثمن!

اللقاء الرابع/ دوموزي

ـ حسناً أجاب الشياطين، فلنتابع
حتى شجرة التفاح الكبيرة في منطقة

---

(١) راجع الشرح في حواشي تقديم النص وبدايته.
(٢) راجع الشرح في حواشي تقديم النص وبدايته.

كلاَّبا[1] المسطّحة!»

واكبوها إذن حتى شجرة التفاح الكبيرة

في منطقة كلاّبا المسطّحة

حيث كان دوموزي متمركزاً بشكل مريح

على منصةٍ عالية!

أمسك به الشياطين من فخذيه

335 وسبعة منهم قَلَبوا مخضّة الحليب

وبينما كان بعض الآخرين يهزّون رؤوسهم

كما تفعل أمّ المريض،

وبينما كان الرعاة ينفخون الناي والشبّابة

ألقت عليه إنانّا نظرةً: نظرة قاتلة

لفظت ضدّه كلمة: كلمة ساخطة

340 أطلقت ضدّه صرخةً: صرخةَ هلاك!

«إنّه هو! خذوه!»

الشياطين يقبضون على دوموزي

وهكذا سلمتهم (إنانّا) الراعي دوموزي،

345 هم الذين يرفضون تقدمات الغذاء والشراب

ولا يأكلون قط طحين القرابين المنثور،

أو يشْربون الماء المسكوب تكريماً للآلهة.

هم الذين لم يغمروا باللذة حِجْر امرأة

ولم يضمّوا إلى صدورهم نعومة الأطفال

350 بل كانوا ينتزعون الأطفال عن ركب أمّهاتهم

ويأخذون معهم العروس الفتية من بيت حَموْها!

---

(١) (Kullaba) أو كلاّب الحي القديم في أوروك أو إحدى ضواحيها.

دوموزي يطلب عون أوتو[١]

رفع دوموزي يديه نحو السماء والدموع

تنهمر على (وجهه)، وتوجّه إلى أوتو (قائلاً):

«أي أوتو! أنت شقيق زوجتي

وأنا زوج أختك!

355 أنا الذي كنتُ أجلب القِشْدة إلى أمّك

أنا الذي كنت أجلب الحليب إلى نينجال![٢]

حوّلْ يديّ إلى يديْ حيّة

حوّلْ رجليّ إلى رجليْ حيّة

لكي أتخلّص من الشياطين

وكي لا يحتفظوا بي أبداً!»

360 استجاب أوتو [لدموعه]

بدّل يديه «بيدي حية»

ورجليه «برجلي حيّة»

بحيث تخلّص من الشياطين

الذين لم يتمكنوا من الاحتفاظ به

الأسطر (٣٦٤ ـ ٣٨٢) مفقودة. وإذا ما تمّ الاعتماد على نسخ أخرى موازية، يعتقد أن دوموزي ذهب ليختبىء عند أخته جيشتينانّا[٣] التي توجّه بدورها ابتهالاً إلى إنانّا طالبة أن تحل محل أخيها في العالم السفلي. وهنا تأتي «الذبابة» وتكشف للشياطين عن مخبأ دوموزي وتحوز على مكافأة إنانّا ـ

384 إنانّا، المرأة الفتية، عيّنت إذن

للذّبابة مصيراً حسناً:

«في بيت الجعة، في الحانة لن تـ [. . .]

---

(١) (Utu) إلّه الشمس السومري.

(٢) (Ningal) السيدة العظيمة والدة أوتو.

(٣) (Geshtinanna).

ولكن، مثل الأولاد العاقلين، لن تـ [. . .]!
وهكذا كان، وفق المصير
الذي عيّنته إنانّا للذبابة!
ولما كان دوموزي مستمراً في البكاء
أتت إليه مليكتي (؟)
وأمسكت بيده (وقالت له):
390 من أجلك أنت، سوف يكون ذلك خلال
نصف سنة فقط، ولأختك النصف الآخر!
[عندما يطلبونك] سوف يستولون عليك
وعندما يطلبون أختك
سوف يستولون عليها
وهكذا جعلت إنانّا المقدّسة
من دوموزي بديلاً عنها (؟)

الخاتمة تمجد إيريشكيچال

كم هو عذب الاحتفال بكِ
يا إيريشكيچال الجليلة

(١٠٧) ـ نصّ سومري آخر لموت دوموزي في المشهد الأخير لنزول إنانّا إلى العالم السفلي

١ ـ تتألّف هذه النسخة السومرية لنزول إنانّا إلى العالم السفلي من ٧٢ سطراً، عثر عليها في مدينة أور[١].

وهي ترجع إلى الفترة الواقعة بين نهاية الألف الثالث ق. م. وبداية الألف الثاني، وتقتصر على عرض مشهد الشياطين الذين قدموا لأخذ إنانّا إلى العالم السفلي، وكأنها نسيت الإيفاء بوعدها بتقديم بديل عنها، وكأنّ صعودها من العالم السفلي، لم يكن مواكباً من قبل الشياطين كما ورد ذلك في نسخة النص السابق (رقم ١٠٦).

٢ ـ ونشهدُ هنا، اتهام إنانّا من قبل الشياطين بأن نزولها إلى العالم السفلي كان بدافع النزوة، كما يقدم لنا النص وصفاً لعنف الشياطين في تعذيبهم لدوموزي لدى القبض عليه للمرة الأولى وكذلك في تعذيبهم لشقيقته لدى استجوابها لمعرفة مكانه بعد هربه.

٣ ـ كما أن ما وصلنا من هذا النص، لا يتضمن أية إشارة إلى نزوله الموسمي إلى العالم السفلي وتبادل هذا المصير مع شقيقته وفقاً لما ورد في النص السابق. ونلاحظ هنا لدى رثاء شقيقته له في الأسطر (٤٢ ـ ٤٦)، أنها تتأوّه بسبب موته المبكِّر «ولم تكتمل أيّامه بعد»، وتتقارب هذه الحالة مع الموت المبكّر

(١) (Ur) عاصمة الملكية السومرية الثالثة في الفترة ما بين (٢١١٠ ـ ٢٠٠٠) ق. م، وهي التي عرفت ملوكاً مثال شولجي وشوسين من الذين مارسوا الزواج الإلّهي كما فصّل ذلك الكتاب الأول من هذه المجموعة.

والعنيف للشاب أو «الإيطلو»، كما أشير إلى ذلك في نهاية الفقرة الثانية في تقديم الفصل الأول تحت عنوان موت البشر. وقد نجد هنا سبباً لهيام شبح دوموزي كما سيرد ذلك في النص (رقم ١٠٩).

الشياطين يريدون إعادة إنانّا إلى العالم السفلي

1 نادى الشياطين الصغار، الشياطين الكبار (قائلين):
«حسناً! لنذهب إلى مقرّ إنانّا بالذات!»
ولدى دخولهم إلى أوروك[١] قبضوا عليها (قائلين لها):
«هيّا بنا يا إنانّا! خذي طريقك طائعةً
وانزلي إلى العالم السفلي من جديد!
5 عودي حيث قادتك بدافع النزوة خطاكِ
إنزلي من جديد إلى العالم السفلي!»
لا تلبسي قطّ رداء الصلاحيات المقدّس.
البالا[٢] الملكي: إنزلي من جديد إلى العالم السفلي!
إنزعي عن رأسك التاج الذي يجعل الجباه تنخفض:
إنزلي من جديد إلى العالم السفلي!
لا تصنعي لنفسك وجه إغراء:
إنزلي من جديد إلى العالم السفلي!
10 لا [. . .] قدمك على [. . .] كلب:
عندما تنزلين [. . .]
لن يكون هناك الـ [. . .]!»
و(تابعوا) استعجال إنانّا المقدّسة
طالبين منها تسليم بديل عنها (؟)
(ألحّوا) لدرجة، حتى أنها، مرعوبةً
[سلمتهم] دوموزي!

---

(١) (Uruk) مدينة إلّه السماء آن ومدينة إنانّا بصفتها غانية آن (An).
(٢) (Pala) رداء الاحتفالات الرسمي.

الشياطين يأخذون دُوموزي بدلاً عن إنانّا

«سوف نوثق رجليْ هذا الفتى (قالوا)

15 لنرمِ عليه شبكةً، لِنضَعَ له أغلالاً!»

الكلاّبات (؟) والقطّاعات والحراب (؟)

وُضِعت أمام (رقبته للتهديد)،

ولم (يتأخر) الشياطين عن توجيه أكبر الصدمات،

جاعلين الفتى، واقفاً أحياناً،

وجالساً أحياناً أخرى:

«سوف ننزع عنه ثيابه (قالوا)

سوف نضفر [. . .]!

20 وعندما أوثقوا يديه

وفرضوا عليه ارتداء حلّة بؤس، ستروا

رأسه بلباسه الشخصي.

دوموزي يطلب عَوْنَ أوتو[١]

عند ذلك رفع الفتى يديه نحو السماء،

نحو أوتو، وقال له:

«أنا صديقك يا أوتو!

أنت تعرف الراعي الطيب الذي هو أنا!

أنا صديقك يا أوتو!

أنت تعرف الفتى الطيب الذي هو أنا!

أنا زوج لأختك[٢]

---

(١) (Utu) الإلّه الشمس السومري.

(٢) تعبير زوج، لا يعني هنا سوى العلاقة الجنسية بين رجل وامرأة. كما أن تعبير زوجة بالنسبة لإنانّا/عشتار التي كانت رمزاً للعلاقات الحرة، كما أصبحت كذلك فيما بعد «الپارتينوس» (Partenos): البتول/العذراء، في الأساطير اليونانية.

25 (أختك) التي نزلت إلى العالم السفلي
ولأنّها فعلت ذلك
سلمتني لأكون بديلاً
عنها في العالم السفلي!
أنت قاضٍ عادل، يا أوتو!
لا تدعهم يسوقونني!
بدِّل أعضائي، عدِّل شكلي
30 لكي أتمكن من الإفلات من الشياطين
ولكي لا يلحقوا بي بعد ذلك
و«كثعبانٍ» سوف أجتاز المروج والهضاب
إلى أن أصل حيث جيشتينانّا[1]، أختي!»
تَقَبَّلَ أوتو دموعه،
فبدّل أعضاءه وعدّل شكله
35 و«كثعبانٍ» اجتاز المروج والهضاب
وكباشقٍ يلاحِقُ بثبات عصفوراً

لجوء دوموزي إلى أخته

انتقل دوموزي إلى حيث أخته جيشتينانا!
وعندما رأت جيشتينانا أخاها،
خدّشت خدّيها وفمها ـ
40 عندما شاهدته.
ثمّ دثّرته بردائها
وصعّدت نواحاً مرّاً!
على الفتى الذي عُذّب:

(١) (Geshtianna).

«أوّاه يا أخي! يا أخي!
أيها الشاب الذي لم [تكتمل] أيامه بعد
أي أخي، أيها الراعي آما ـ أوشومجالانا[١]
الذي لم تكتمل أيّامه ولا سنواته
أي أخي! أيّها الشاب الذي لا أولاد
له ولا زوجة
45 الشاب الذي لا رفقاء ولا أصدقاء له،
أي أخي! أيها الشاب الذي لم يُتح له
تطْييبَ خاطر أمِّه!»[٢]

الشياطين يتابعون بحثهم عنه

ومع ذلك كان الشياطين يبحثون
عنه منبّشين كل مكان،
وقال الشياطين الصغار إلى الشياطين الكبار[٣]:
«أنتم الشياطين العديمو الرحمة، (أنتم الذين)
لا أب لهم ولا أم ولا أخت
ولا أخ ولا زوجة ولا أولاد لهم
50 أنتم الذين تقلبون السماء والأرض
وكل مكانٍ حيث [. . .]،
أنتم الذين تسوِّرون البشر كما يفعل
سياج من القصب،
أنتم الذين لا تلينون ولا فرق لديكم
بين الطيِّب والسيء،

---

(١) (Ama-Ushumgalanna) أحد ألقاب دوموزي.
(٢) يذكر هذا الرثاء بما يقال عند موت الشاب المبكّر.
(٣) انظر الحاشية (رقم ١) العائدة للسطرين ٥٩ و٦٣ من النص (رقم ١٠٤)، ص ٣٩.

هل رأيتم قطّ، أحداً يلتجىء
إلى غير أهله؟
علينا ألا نفتّش عنه بين أصدقائه ولا
عند سِلْفه:
55 لنذهب إلى جيشتينانا، وسوف نجد الراعي عندها!»
وبينما كانوا يتابعون تفتيشهم مبعثرين كل شيء
صفّق الشياطين (معلنين) موافقتَهم
والصراخ يملأ أفواههم!
وَصَلوا أخيراً إلى مقر جيشتينانا.
«أكشفي لنا عن مقر أخيك!» (قالوا لها)
ولكنها لم تنبْس بكلمة
60 رموا عليها [...] مخيفاً
ولكنها لم تفهْ بكلمة
عملوا لها [...] مرعباً حتى أنهم شطّبوا وجهها،
ولكنها لم تنبسْ بكلمة.
عملوا لها [...] مرعباً حتى أنهم جرّحوا ردفها،
ولكنها لم تفه بكلمة.
وسكبوا القار في حضنها
ولكنها لم تنْبسْ بكلمة
ولهذا لم يجدوا عندها دوموزي
65 عند ذلك قال الشياطين [الصغار] للكبار:
«لنذهب إذن إلى حظيرته المقدّسة!»
وهناك تمكنوا من وضع اليد على دوموزي!
حاصروه ومنعوا حركته، فسجنوه
واضطروه أن ينظر إليهم.
شهروا فؤوسهم مهدِّدين

هذا الشاب الهارب.

70 شحذوا سيوفهم وهم يطوِّقون

الكوخ حيث كان يلتجىء.

بينما كانت أخته، تجوب المدينة

بسببه، صارخة:

أخي! أوّاه! كم أتمنّى إبعاده.

أخي المعذّب

كم أتمنّى حمله بعيداً! (بعيداً!)... [١]

---

(١) **حاشية**: النص الأكادي لنزول عشتار إلى العالم السفلي، سوف نورده فيما بعد تحت (رقم ١١٤).

(١٠٨) ـ إنانّا تبكي مصير دوموزي الذي سلّمته

يبدأ هذا النصّ المؤلف من حوالى ١٢٠ سطراً وصلتنا بشكل شبه كامل، يبدأ بنواح إنانّا على موت دوموزي، ثمّ يروي النص بعد ذلك كيف أنّ الشياطين السبعة الذين تبعوا دوموزي حتى حظيرته أرادوا سوقه إلى العالم السفلي بعد تهديم كل ما في الحظيرة. . . وكالمعتاد يطلب دموزي عون أوتو الذي يحوّله إلى غزال فيفلت من شياطينه ويلتجىء تباعاً إلى النساء الثلاث اللواتي رافَقْنَ حياته: أمّه وأخته اللّتان تستقبلانه بحنان وإنانّا التي تسلّط عليه إعصاراً وطوفاناً من الأمطار يُرديانه أرضاً، وبسهولة عند ذلك يتمكن الشياطين من الإحاطة به ومن أسره.

وهنا أيضاً، فإن إنانّا، هي التي تساعد على القبض على دوموزي وتسليمه إلى مصيره المحتوم.

إنانّا تبكي موت دوموزي

1 كمْ بكت بمرارةٍ «عريسها» ـ
كم بكت بمرارة «عريسها»
كم بكت ملكة الإيانا[١] بمرارة «عريسها» ـ
كمْ بكت سيدة أوروك[٢] بمرارة «عريسها» ـ

---

(١) (Eanna) ومعناه بيت السماء وهو معبد آن وإنانّا في أوروك.
(٢) (Uruk).

5 كم بكت سيدة زابالام[١] بمرارة «عريسها» ـ
«واحسرتاه!» من أجل «عريسها»!
«واحسرتاه» من أجل حبيبها!
«واحسرتاه!» من أجل بيتها
«واحسرتاه!» من أجل مدينتها.
من أجل «عريسها» السجين! من أجل
حبيبها السجين!
من أجل «عريسها» المقتول! من أجل
حبيبها المقتول!
10 من أجل «عريسها» الذي أُسِرَ في أوروك
من أجل «عريسها» المقتول في أوروك ـ كلاّبا[٢]!
من أجل «عريسها»
الذي لن يستحم بعد ذلك في إريدو[٣]!
من أجل «عريسها»،
الذي لن يبتلّ بعد ذلك في الأچارون[٤]!
من أجل «عريسها»،
الذي لن يعود بعد ذلك [قرب] من ولدته!
15 «عريسها» الذي من أجله، صبايا المدينة
لم يقتلعنَ شعورهنّ!
«عريسها» الذي من أجله، شباب المدينة
لم يضربوا على صدورهم!
«عريسها» الذي من أجله مخنّثو المدينة

---

(١) (Zabalam).
(٢) (Kullaba) من ضواحي أوروك.
(٣) (Eridu) مدينة الإلّه (Enki) فوق مياه الأبسو (Apsu).
(٤) (Agarun) قاعة من قاعات المعبد في أوروك.

لم ينفّذوا «رقصة الخناجر»!
من أجل هذا الشجاع
الذي لم يُقدّم له التكريم الجنائزي!
تفجّعت إذن إنانّا بمرارة
على عشيقها الفتى.
20 ها هو اختفى، «عريسي»، «عريسي» الفاتن!
اختفى حبيبي، حبيبي العذب!
اختفى «عريسي» كما تختفي النبتات الأولية![1]
اختفى حبيبي، كما تختفي النبتات الآخرية!
ذهب يفتش عن الزرع
تحوّل (؟) «عريسي» إلى نبات!
25 ذهب تفتيشاً عن الماء،
«عريسي» أُلقي به في الماء!
غادر عشيقي المدينة
وكأنها مكان اجتاحه الذباب
غادر المدينة كما [...]

يلي نقص حوالى عشرة أسطر، كان ينتهي معها رثاء الإلّهة إنانّا لعشيقها دوموزي. وحين يستأنف النص، نرى دوموزي تلاحقه الشياطين.

الشياطين يقبضون على دوموزي

وهكذا تبع (؟) [الشياطين] دوموزي
تبعوه (؟) حتى الحظيرة المقدّسة [...]
40 تبعوه (؟) حتى [...] المقدّس
تبعوه (؟) حتى [...] المقدّس!

---

(١) الأسطر (٢٢ ـ ٢٥) تبرز من خلالها طبيعة دوموزي الرعوية والزراعية.

الشياطين الصغار والكبار تبعوه (حتى الحظيرة) (؟)
سبعة شياطين تبعوا (؟) الفتى -
سبعة شياطين تبعوا (؟) دوموزي
45 دخل الشيطان الأول الحظيرة،
قلب الشيطان الثاني الحليب المبارك،
قلب الشيطان الثالث الماء المقدّس.
واكتسح الشيطان الرابع الحظيرة،
وغطّاها بالتراب الشيطان الخامس
50 وخرّب الشيطان السادس الحظيرة،
وعندما وصل إلى الحظيرة الشيطان السابع
أيقظ الفتى الجميل النائم -
أيقظ دوموزي النائم -
أيقظ «عريس» إنانّا النائم (قائلاً له):
55 أيها الملك! ها نحن أتينا لأخذك، إنهض واتبعني -
أتينا لأخذك يا دوموزي! إنهض واتبعني -
يا «عريس» إنانّا، يا ابن سيرتور[١]
أتينا لأخذك! إنهض! اتبعني!
انهض! اتبعني! يا مربّي النعاج! يا أخ جيشتينانّا!
لقد صادَرْنا نعاجك واستولينا على حملانك!
انهض! إتبعني!
(60) لقد صادرنا عنزاتك واستولينا على جديانك
إنهض! إتبعني!
انزع التاج الجميل عن رأسك: تقدم مكشوف الرأس!
إخلع عنك رداء ـ الصلاحيّات: تقدم عارياً!

---

(١) (Sirtur) اسم والدة دوموزي.

تخلّ عن الصولجان الجليل: تقدم فارغ اليدين
إنزع نعالك، تقدم حافيَ القدمين!»

دوموزي يقاوم ويبتهل لأوتو

65 ابتعد السيد عن الحظيرة
لكي لا تخرّب (؟) ـ
وغادر دوموزي هذه الأماكن
لكي لا تهدم الحظيرة:
«أنا لا أريد قطّ الذهاب معكم (قال) [...] ولكن [...]
«أنا لا أريد قط الذهاب معكم [...] ولكن [...]!
أريد [...] و[...] ي وردائي المنتزع (؟)
70 أريد [...] صولجاني [...] الإيانا!
أريد [...] إنانّا المقدسة.
ثم أعدّ تقدمة من الحليب والجبن
ورفع يديه نحو السماء متوجهاً لأوتو (وقال له):
«أنت الذي هو «أبي»! أنت الذي هو [...]!
75 بدِّلْ يدي بيدي غزال
بدِّلْ رجليّ برجلي غزال
لكي أتحرّر من الشياطين
ولكي لا يمسكوا بي!»
هذا هو إذن الابتهال الذي وجهه
إلى أوتو حاميه:
«بدِّلْ يديّ بيدي غزال
80 بدِّلْ رجليّ برجلي غزال،
لكي أتخلّص من الشياطين
ولكي لا يمسكوا بي!»

تقبّل أوتو دموعه
وبدّل مظهره إلى شيج ـ بار[1]،
وحين تبدّل مظهرُه:
كان يتنقل بين الجديان،
85 يُعامل وكأنه واحد منهم ومحترم من جميعهم!

الشياطين يفتشون عن دوموزي

إلا أنه بسبب هلعه
ترك رداءه على شجيرة علّيق
وبسبب رعبه،
سَقَط منه حزامه على الأرض الجافة!
والشياطين يُومئون برؤوسهم بالتبادل،
بينما كان يقول الصغار منهم للكبار،
90 كل واحد منهم محدّثاً الآخر:
«لقد أفلت منّا هذا الرجل الجريء
ولم نعثر عليه بعد!
فلنفتش المراعي!
والذين يرتادونها سوف يساعدوننا
على السيطرة عليه!
95 ولنفتّش الأرض المَوَات!
الذين يرتادونها سوف يساعدوننا
على السيطرة عليه!
لننتقل إلى مقدّمة القطيع!
ـ أنا (قال أحدهم) سوف أطرُدُ

---

(١) (Shegbar) نوع من الشياهم.

لصديقه[1] جديَه القائد

ـ لننتقل إلى مؤخرة القطيع

100 ـ أنا (قال الآخر) سوف أطردُ

ثورَ صديقه!

ـ لننتقل إلى وسط الخرفان ذات

الذيل العريض.

ـ أنا (قال ثالث) سوف أطرُدُ

راعيَ صديقه!

هيّا بنا نركض!، لمقابلته...».

يتمّ القبض على دوموزي من جديد بإرادة إنانا بعد أن يلتجىء إلى أمّه وأخته وإنانّا ذاتها

إلاّ أنّ دوموزي، هذا الثور الوحشي

مربّي النعاج، توقف عند [...].

105 عندما وصل الهارب

إلى حضن أمه سيرتور التي ولدته

رقّت لحاله وكلّمته برفق

وعندما وصل إلى حضن أخته

رقّت لحاله وكلّمته برفق!

ولكنّه عندما وصل إلى حضن إنانا «قرينته»

أطلقت ضدّه إعصاراً رهيباً! (حَمَل)

110 هذا الإعصار، طوفان أمطار

انصبّت من الأعالي!

---

(١) قد يكون هذا الصديق رئيساً للرعاة العاملين مع دوموزي وقد يكون الصديق الذي خانه كما ورد ذلك في النص (رقم ١٠٤).

كم من زخّات مطرٍ أَسقَطَ على الأرض!
حتى أن آجرّ أوروك تفكّكت أجزاؤه
ولم يبق أمامنا سوى أوروك الغَارقَة!
وليس بعيداً عن شجرة التفاح الكبيرة
في منطقةِ إيموش[١] المسطّحة
هناك تمكّن الإعصار المكتسح
من تسليط مياه الصحراء كلّها
على الشاب ـ الفتى!
115 وعلى الرغم من عدم كونه ليّناً كقِشْدة
تمَّ طرحُه أرضاً وكأنه قِشْدة!
وعلى الرغم من عدم كونه قِدْراً
تمّ تحطيمه وكأنه قدر!
ومع أنّ الشياطين لم يصنعوا سياجاً محوِّطاً
فقد طوقوه من جميع الجهات.

---

(١) (Emush) مكان قريب من أوروك أو تسمية أخرى لكلاّبا.

(١٠٩) ـ موت دوموزي وهيام شبحه

١ ـ نشر عالم السومريات كرامر[١] هذا النص السومري عن موت دوموزي، للمرة الأولى عام ١٩٨٠ في مجلة «الدراسات الأناضولية» وهو يعتبره، ولا يزال، صعب الفهم في بعض مقاطعه.

في هذا النص الذي يلي مباشرة موت دوموزي، وقبل إقامة طقوس الدفن على ما يظهر، يبدأ الشاعر بالتوجّه إلى دوموزي الميت بواسطة شقيقته وقرينته اللتين تبكيانه بمرارة، وتخاطبان شبحه الهائم.

٢ ـ ينتقل الشاعر بعد ذلك، إلى مقطع نسمع فيه دوموزي يرثي نفسه واصِفاً حزنَ من هم حوله بينما هو سجين مصيرٍ لا يستطيع التخلّص منه. يلجأ الشاعر بعد ذلك إلى نوع من الاستشهاد مردداً بعض المقاطع من الروايات الأخرى المعروفة عن موت دوموزي، مذكراً بالحوادث التعيسة التي رافقت ذلك، ويعتبر أنه كان على دوموزي الحلول محل قرينته إنانّا في العالم السفلي.

٣ ـ أما القسم الأخير من النص وهو الأكثر صعوبة على الفهم، ليس فقط بسبب غموضه وصُوَره غير الاعتيادية بالنسبة لما نعرفه، واصفاً شياطين العالم السفلي السبعة كخبراء في سحر السماء والأرض ومعتبراً أن دوموزي وقع في شركٍ أعدّوه له حين اقترب مع قطيعه من الجو ـ با ـ دو[٢] وهذه الكلمة التي حافظ عليها النص أكثر من مرة كما هي، لا تزال غير مفهومة وتحول دون

(١) (S.N. Kramer).

(٢) (Gu-ba-du): (؟).

تفهّم القسم الأخير من النص. ونرى فيه انكسار جرّة خمر ومهاجمة الجراد لدوموزي وكأنه شجرة تفاح. ويعتقد بنهاية النصّ أنّ إنانّا تحت تسمية «المرأة الفتية» تبدأ بالإعداد لمراسم وطقوس جنائزية. ويختتم النص على صورة كلبٍ يربض تحت رجلي دوموزي المسجّى، قد يكون كلبه الأمين وعلى صورة غرابٍ يتابع طيره بعد أن يأكل مما بجوار الجثة.

هيام شبح دوموزي

1 لِمَ تهيم هكذا؟ لِمَ تهيم هكذا؟

لماذا غطّيت رأسك بقطعة قماش؟

لِمَ تهيم هكذا، أيها الراعي؟

لقد أمسكوا بنعجاتك واستولوا على حملانك:

لِمَ تهيم هكذا؟

لقد أمسكوا بعنزاتك واستولوا على جديانك:

لِمَ تهيم هكذا؟

5 استولوا حتى على صغار حميرك الظريفة،

لِمَ تهيم هكذا؟

مخضّتك الجميلة، تم تفتيتها: لماذا غطيت

رأسَك بقطعة قماش؟

جديانك الأكثر سمنة، بقيت في الحظيرة في حالة خَدَر

وجديانك الأصغر تثغو يائسةً بجوار المعالف!

وحملانك اليتامى تنوح بجوار قاعدة جدار الحظيرة!

10 وأختك ذات اللطف، وهي متأثرة بنواحها

تحوّلت إلى نادبةٍ بالاشتراك معها!

في السهوب المجلّلة بالحداد، ينبح كلبك حزيناً

و«قرينتك» إنانّا المقدّسة

تسكب في بيتها الدموع المريرة [...]

وأختك النبيلة جيشتينانّا[١]

15 عند باب لوجالبندا[٢]

وقرب باب ـ مدخل نينسون[٣]

تخدّش أطرافها وتقتلع شعرها

تمزق أذيالها وتقتلع شعرها؛

إنها تنتزع شعرها، وكأنه أوراق حلفاء.

نواح دوموزي راثياً لحاله

20 كان «الشاب ـ الفتى» يبكي أمام مصيرٍ كهذا

كان دوموزي يجهش بالبكاء.

أمام مثل هذا المصير (قائلاً):

«بعد أن كنت أعيش بين البشر، كراعٍ بسيط

كم هي سيئة وغريبة معاملتي!

نعم! لقد أمسكوا بنعجاتي واستولوا على حملاني:

كم هي سيئة وغريبة معاملتي!

لقد أمسكوا بعنزاتي واستولوا على جدياني:

كم هي سيئة وغريبة معاملتي!

25 لقد استولوا حتى على صغار حميري الظريفة:

كم هي سيئة وغريبة معاملتي!

مخضتي الجميلة، تم تفتيتها:

كم هي سيّئة وغريبة معاملتي!

جدياني الأكثر سمنة، بقيت في الحظيرة في حالة خَدَر!

وحملاني اليتامى تنوح بجوار قاعدة جدار الحظيرة!

---

(١) (Geshtinanna) اسم شقيقة دوموزي.

(٢) (Lugalbanda) ملك أوروك ووالد دوموزي.

(٣) (Ninsun) الإلّهة والدة جلجامش ملك أوروك، من ملوك ما قبل الطوفان.

30 وأختي ذات اللطف وهي متأثّرة بنواحها
تحوّلت إلى نادبةٍ للاشتراك معها.
وفي السهوب المجلّلة بالحداد، ينبح كلبي حزيناً!
«قرينتي، إنانّا المقدسة
تسكب دموعاً مريرة في بيتها:
نزلت من السماء واستقرت على الأرض.
أختي النبيلة جيشتينانا،
عند باب لوچالبندا
قرب باب ـ مدخل نينسون،
تخدّش أطرافها وتقتلع شعرها،
تمزّق أذيالها وتقتلع شعرها
تنتزع شعرها وكأنه أوراق حلفاء!
40 زلّت رجلي في حفرتي التي أعدّت لي:
لا أستطيع التخلّص!
قبري أمامي كبابٍ مفتوح:
لا أستطيع التخلّص!
رجلاي تعثرتا بسبب تلك الريح الماطرة:
لا أستطيع التخلّص!
حملتني العاصفة إلى العالم ـ الآخر:
لا أستطيع التخلّص!

الشاعر يستشهد ببعض المقاطع المعروفة حول تصرف الشياطين

الچالا[١] الكبار، أحاطوا به وعذّبوه بالتعطيش،
45 والچالاّ الصغار أحاطوا به وعذّبوه بالتعطيش!

---

(١) (Galla) نوع من الشياطين الأكثر شراسة.

[. . . . . .]

ومع أن الچالاّ، لم يكونوا سياجاً مانعاً

فقد حاصروه من جميع الجهات

قيّدوا يديه التي اتسخت برجيع البقر

وهو الذي كان يجلس على عرش رفيع:

أمسكوا به من مؤخرته!

50 نزعوا عن مخضّتهِ الغطاء المحطم!»

السبب الذي من أجله كان على دوموزي أن يموت

«(لأنه) في ذلك اليوم، لم تتمكن الملكة[1]

من العودة إلى الحياة (بطريقة أخرى)،

سلّمته كبديلٍ عنها إلى عالم ـ اللاعودة.

قرينة أشوم چالانا[2]، بما أنها لم تتمكن

من العودة إلى الحياة (بطريقة أخرى)

سلّمته كبديل عنها!»

يلي ذلك وصف محزن لدوموزي وهو سجين تعاسته في العالم السفلي

(وهكذا إذن) فإن دوموزي بقي معاقاً

رهين سجن (؟) إيريشكيچال[3]؛

55 بقي معاقاً وأسيراً (؟) حيث لا يوجد طعام:

(حيث) لا شيء يؤكل،

بقي معاقاً وأسيراً (؟) حيث لا يوجد شراب:

(حيث) لا شيء يُشرب.

---

(١) أي إنانّا ملكة السماء بصفتها ممثلةً في كوكب الزهرة.

(٢) (Ushum-galanna) لقب دوموزي.

(٣) (Ereshkigal) ملك العالم السفلي.

بقي معاقاً وأسيراً (؟) حيث يقيم نامتار[1]
بقي معاقاً وأسيراً (؟) حيث لا يوجد
أي شيء مما تمّ صنعه،
بقي معاقاً وأسيراً (؟) حيث تسكن (الملكة)
ذات الشفاه الدامية...»

الشياطين السحرة في العالم السفلي ولغز الجو ـ با ـ دو (؟)

60 «كانوا إذن سبعة، كان هناك سبعة،
سبعة سحرة كانوا في الأرالّي[2]
سَحَرة الأرالّي[2] كانوا سبعة، سبعة كانوا!
[.............]
[...] هم الذين يتعاملون مع خشب الهولوپّو[3]
65 بلا إخوة ولا شقيقات. ليل نهار
يطلقون صراخاً مزعجاً،
خبراء في سحر السماء. خبراء في سحر الأرض!
في السماء، كانوا يقيّدون (؟) الجو ـ با ـ دو[4]
جاعلين [....] تمر فيه
وإلى الأرض قيّدوا (؟) الجو ـ با ـ دو
70 بحيث جعلوا [....] يعود إلى الأرض:
كما [....] العَنزات والتيوس في [...]

---

(١) (Namtar) مساعد ملكة العالم السفلي.
(٢) (Aralli) اسم آخر للعالم السفلي، عالم اللاعودة.
(٣) (Huluppu) نوع من الشجر قد يكون السنديان. وهذه الشجرة هي التي طرد منها جلجامش الشيطانة ليليت (Lilith) لكي تصنع إناثاً من خشبها عرشاً وسريراً (انظر في النص رقم ١٢٢ شرح الفقرة ٧ من ١٢٢ ـ د).
(٤) (Gu-Ba-Du) التعبير السومري المجهول المعنى وسيرد أكثر من مرة.

وكذلك النعجات.
وبما أن الراعي (دُوموزي) من أجل
تنشيط (؟) [....]
كان ببراءة، قاد قطيعه نحو الجو - با - دو
دون علمٍ منه أن هنا [...] رجله [...]،
75 فإن واحداً من هؤلاء السحرة الخبراء،
أعدّ حفرة في الأرض (لإيقاعه فيها).
حُطِّمت بعد ذلك جرّة خمر وترشّشت (؟)
في السهوب مثل حليبٍ ممخوض.
وفي السهوب المرشّشة بمثل حليبٍ ممخوض
هبَطَتْ غمامة من الجراد:
ومع أن دوموزي لم يكن شجرة تفّاح
فقد هبط عليه رفّ الجراد
في السهوب المرشّشة بمثل حليبٍ ممخوض!
عند ذلك، أعدّت «الصبية»[١] زينتها (؟)
المرأة الفتية[١] جلبت القار
كما جلبت إلى المكان نفسه [...]
من خشبِ الميس[٢]
و(على الجثّة) شجرةُ أَسَال[٣] ذات ثمارٍ فاتَ
أوانها، نشرت ظلّها.
ومثل سلّةٍ من التمور - الجيّدة تمّت
تغطيتها بقماش.

---

(١) أي إناناً.
(٢) (Mès) نوع شجر كان منتشراً في ما بين النهرين لم يحدّد نوعه.
(٣) (Asal) شجرة، اعتبر كرامر أنها قد تكون شجرة حور، ناسياً أن النص يشير إلى أنها مثمرة (؟).

قرب الجثة كان كلب يربض

وفي كوخ (دوموزي) سكن غراب:

أكل الكلب قرب (الجثة)،

ثمّ ربض تحت قدميها

وأكل الغراب (أيضاً)،

قرب (الجثة) ثمّ طار!»...

(١١٠) ــ إنانّا وبيلولو ــ القديمة

١ ــ هذا النص السومري، هو من حصاد حفريّات نفّر[١]، ويعود إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد. لم يعثر إلاّ على نسخةٍ واحدة منه، كتبت على لوحةٍ واحدة تحمل أربعة أعمدة، يحتوي كل واحد منها على حوالى خمسين سطراً.

٢ ــ يبدأ برثاء إنانّا لدوموزي وقرارها الذهاب إلى الحظيرة، للبكاء على جثمانه. نتعرّف بعد ذلك على ثلاثة أشخاص من سكان البَادية هم: بيلولو ــ القديمة[٢] وهي صاحبة حانة[٣]، في مكان ما من سهوب البادية، وابنها جِيرجير[٤] وهو ماكر وذو حيلة، يعيش على السلب، يرافقه من يسمّى «سيرّو[٥] ــ البادية ــ ذات الأرياح» الملقب وفقاً للنص بأنه «ابن لا أحد وصديق لا أحد».

٣ ــ غاية إنانّا، كما يتّضح من النص، لم تكن البكاء فقط على دوموزي كما يبكي الحيّ على عزيز فَقَده. بل السّعي لضمان استمرار حياته بعد الموت،

---

(١) (Nippur) العاصمة الدينية القديمة لبلاد سومر، مدينة الإلّه إنليل (Enlil)، سيد الهواء والأمطار.

(٢) (Bilulu).

(٣) مثال سيدوري صاحبة الحانة في ملحمة چلچامش.

(٤) (Girgire).

(٥) (Sirru).

وضمان عودته وذلك بتأمين ما يلزم من الماء المنعش، يُسكب في البادية من أجله، ومن الطحين ينثر أكثر فأكثر، لكي يعود دوموزي حيث تمّ اختفاؤه.

وتحقيقاً لذلك، تتوجّه إنانا إلى البادية وتدخُلُ حانة بيلولو ـ القديمة، لتحوّل هذه الأخيرة إلى قربة الماء المنعش، التي هي من ضرورات البادية، وتجعل من إبنها جيرجير، شيطان روح البادية.. أما سيرّو، فتجعل منه من يتردّد على البادية ساعياً في طلب الطحين من أجل دوموزي.

٤ ــ يظهر بعد ذلك، طيرٌ هو حجل البادية، يعتبر دوموزي سيّده ويرغب بعد التفكير الاشتراك في البكاء على دموزي، مع أمّه سيرتور[١] وأخته جيشتينانا[٢] ومع إنانا. وهكذا يقوم الثلاثي النسائي، المقرّب إلى دوموزي، برثائه والبكاء عليه.

وتُمجّد إنانا، لأنها أَدّت واجب الحزن كما يجب على دوموزي وتُمجَّد أيضاً لأنها أمنت له الماء والطحين اللازمين. ينتهي النص مشيراً: «هذا نشيد أو. ليل. لا[٣] تكريماً لإنانا».

٥ ــ يُعتقد أن تأليف هذا النص، كانت له غاية ترتيلية، معبدية، وهو في الوقت نفسه وفي جزء منه يمثّل «ميتوس أصول» إذْ يفسّر ابتداع قربة الماء في البادية ويفسّر كيف أن للبادية روحها الخاصّة ورياحها. وفي كل مرة يعود إليها دوموزي مع اخضرار الربيع وعودة المراعي، يكون الفضل في لذلك للإلّهة إنانّا.

العمود الأول

إنانّا تنتحب راثية دوموزي وتقرر الذهاب حيث جثمانه

1 من أجل دوموزيَّ أنا، سوف أُسمعُ
في البادية مَرثاتي:

---

(١) (Sirtur) والدة دوموزي.
(٢) (Geshtinanna) أخت دوموزي.
(٣) (U-Lil-La) الشكل الشعري أو الموسيقي للنشيد.

مرثاتي من أجلك! مرثاتي من أجلك

سوف أُسمعها حتى في أرالي[1] ـ العالم السفلي

سوف أسمعها في بادتيبيرا[2]

5 سوف أسمعها في دوشوبا[3]

سوف أسمعها في المراعي:

في حظائر دوموزي!

الأسطر (٧ ـ ٢٩) مفقودة ويستمر بعدها رثاء إنانّا ونواحها.

30 «... يا دوموزي، يا ذا الكلمات الممتعة

والعينين الساحرتين،

كانت تنشد منتحبةً:

يا ذا الكلمات الممتعة والعينين الفاتنتين

يا «عريسي» الفتيّ والمندفع، أنت

أكثر حلاوة من تمور (البادية)!

أي دوموزي، كانت تنشد منتحبة

35 وتنتحب بلا انقطاع!»

إنانّا المقدّسة [...]

[...]

السيّدة [...]

إنانّا المرأة ـ الفتيّة [...]

40 كانت تذرع ذهاباً وإياباً غرفةَ أمِّها التي ولدتها

ومن (أمّها) تقدّمت باحترام

مبتهلة وراجية:

«أي أمّاه [...]

---

(١) (Arali) إحدى تسميات العالم السفلي.

(٢) (Bad-Tibira) من مدن ما قبل الطوفان.

(٣) (Dushuba) موقع لم يتم تحديده.

إن سمحتِ لي، سأذهب إلى الحظيرة
ـ سأذهب إلى الحظيرة يا أمي نينچال[1] [. . .]
إذا سمحتِ لي بذلك.
45 أبي سطع بجلال من أجلي [. . .]
سين[2] سطع بجلال من أجلي [. . .]!
غادَرَتْ عند ذلك [غرفة أمها] كطفلةٍ
أرسلتها أمها لمهمّة!
مثل طفلةٍ أرسلتها أمّها نينچال لمهمّةٍ،
غادرت الغرفة
السيّدة (إنانّا) كانت صَافية الذهن وثابتة العزم ـ
50 صافية الذهن، ثابتة العزم كانت إنانّا
مثل الجعة التي رقدت طويلاً (؟)!

العمود الثاني

الأسطر (٥٢ ـ ٧١) مفقودة ومن المحتمل أنها كانت تروي رحلة إنانّا. وحين يستأنف النص نجد إنانّا وقد وصلت عند جيشتينانا/بيليلي[3] أخت دوموزي حيث جثمان دوموزي.

ها أنذا عند بيليلي
هنا [يرقد (؟)] الراعي، ذو الرأس المكدوم[4] ـ
75 هنا [يرقد (؟)] دوموزي ذو الرأس المكدوم ـ
هنا [يرقد (؟)] آما ـ أوشوم ـ جالانّا[5]
ذو الرأس المكدوم!

---

(١) (Ningal) بمعنى السيدة العظيمة.
(٢) (Sin) الإلّه القمر في تسميته الأكادية وهو نانّا السومري.
(٣) (Belili) التسمية الأكادية لأخت دوموزي: جيشتينانا (Geshtinanna).
(٤) آثار تعذيب دوموزي من قبل الشياطين.
(٥) (Ama-Ushum-Galanna) لقب دوموزي وورد أيضاً تحت شكل أوشوم. چالانّا.

رأيت (قال خادم) في البادية
قطيع دوموزي سيدي
يعود به (إلى الحظيرة)، دافعاً به أمامه،
واحدٌ لم يكن هو راعيه يا إنانّا!».

إنانّا ترتجل نشيد رثاء جثمان دوموزي

80 السيّدة، من أجل قرينها الفتى
ارتجلت نشيداً
من أجل دوموزي
ارتجلت إنانّا المقدسة نشيداً:
«أيها المسجّى! أيها الراعي المسجّى!
أنت الذي كنت في الأمس تحرس قطيعك
أي دوموزي المسجّى! أنت الذي كنت
في الأمس تحرس قطيعك
آما ـ أوشوم ـ جلانّا المسجّى! أنت الذي كنت
في الأمس تحرس قطيعك
تنهض مع شروق الشمس، تقود للرعي نعاجك!
تقود للرعي نعاجك، حتّى في وقت النوم!

تقديم أشخاص يسكنون البادية

في ذلك الوقت، كان ابن بيلولو ـ القديمة
تلك الأم المسنّة المحترمة،
90 جِيرجير[1] هذا الشخص الانفرادي،

---

(١) (Girgire) الأسطر (٩٠ ـ ٩٥) ترسم شخصية البدوي الذي لا يحسد على سمعته السيئة.

الماكر وذو الحيلة
كان يملأ حظيرته وزريبته
بالدواب المسلوبة.
كان يكدّس الحبوب والحُزم المسروقة هي أيضاً
بعد صرع ضحاياه وتركهم في أماكنهم!
95 بينما كان سيرّو[١] ـ البادية ـ ذات الأرياح،
إبن لا أحد وصديق لا أحد
يرافقه ويهذر معه!

مشروع إنانّا تكريماً لدوموزي

وما الذي دبّرته السيدة عند ذلك؟
ما الذي دبّرته إنانّا المقدّسة؟
قَتْلُ بيلولو ـ القديمة:
100 هذا ما دبّرته.

العمود الثالث

وذلك لضمان راحة «قرينها» الفتى وحبيبها،
لضمان راحة دوموزي آما ـ أوشوم ـ چالانّا،
هذا ما دبّرته!
إلى البادية ذات الرياح، ذهبت إذن السيدة
للقبض على بيلولو.
وبمعاكسة الرياح [...] ت إبنها جيرجير
105 و[...] ت سيرّو ـ البادية ـ ذات الأرياح
إبن لا أحد وصديق لا أحد!

---

(١) (Sirru).

وبعد ذلك، دخلت حانة بيلولو
جلست ولفظت قرارها الرهيب:
«نعم! سوف أقتلك يا بيلولو:
سوف أزيل اسمك!
110 سوف تصبحين قربةَ ـ الماء ـ المنعش
التي في البادية، لا غنى عنها،
وكذلك إبنك جيرجير
سوف يصبح شيطان وروح البادية
وسيرّو ـ البادية ـ ذات الأرياح
إبن لا أحد وصديق لا أحد،
سوف يتردّد على البَادية بحثاً عن الطحين
115 وفي كلِّ مرةٍ، من أجل (روح) دوموزي الفتى،
يُسكبُ الماء ويُنثر الطحين
سوف يصرخ شيطان البادية وروحها
(قائلاً): «أسكبوا أكثر فأكثر!
انثروا أكثر فأكثر!»
وبذلك سيمكن إرجاعه إلى البادية
حيث تمَّ اختِفَاؤه ـ
وهكذا سوف يُسترجع (دوموزي) إلى البادية
حيث تمّ اختفاؤه،
وبيلولو تشفي غليل قلبه!»
120 هكذا كان، على الفور، في ذلك اليوم!
فأصبحت بيلولو قربة ـ الماء ـ المنعش
التي لا غنى عنها في البداية.
وكذلك إبنها جيرجير
أصبح شيطان البادية وروحها،

وسيرّو ـ البادية ـ ذات الأرياح
إبن لا أحد وصديق لا أحد
125 باشر التردّد على البادية بحثاً عن الطحين،
وفي كل مرّة ومن أجل
(روح) دوموزي الفتى،
سوف يُسْكَبُ الماء ويُنثر الطحين
سوف يصرخ شيطان البادية وروحها
(قائلاً): «أسكبوا أكثر فأكثر! أنثروا أكثر فأكثر!»
130 وهكذا، سوف يُسترجع دوموزي إلى البادية
حيث تَمّ اختفاؤه
وبيلولو سوف تشفي غليل قلبه!
ثم وَضَعت إنانّا يدها على دوموزي المسجّى

الأسطر (١٣٣ ـ ١٣٥) مفقودة في نهاية العمود الثالث. وعندما يستأنف النص في العمود الرابع، يأتي ذكر طائر من نوع حجل البادية يعلن بأن ثلاثة نساء فقط يمكنهنَ تهدئة قلب سيده دوموزي، وهنّ أمّه وأخته وإنانّا.

العمود الرابع: تدخل حجل البادية

146 [. . .]
[. . .] حجل البادية [. . .]
حجل البادية [. . .] [. . . كوآر[1] (؟)]
حيث ولد دوموزي!
ومثل حمامة في عشّها، كان
حجل البادية يفكّر ـ

(١) (Ku-ar) مكان ولادة دوموزي وأخته، يقع على الشاطىء القديم للخليج على مسافة حوالى ٢٠ كم إلى الشرق من إريدو.

حجل البادية كان يفكّر وهو في مأواه:

151 «وحْدَهن (كان يقول لنفسه) سوف
يهدِّأن قلب سيدّي، هنّ:
أمه سيرتور ـ
وحدهن سوف يهدّئن قلب دوموزي، أمه سيرتور
والسيدة جيشتينانا المولودة في كوآر مثله،
الفتاة التي [. . .]

155 والتي يُعجب بها ويهتف لها ذوو الرؤوس السوداء
التي تعرف كيف تتلو المراثي ونواح الحزن
والتي كانت تتوسّط لدى دوموزي الملك،
جيشتينانا [. . .]، برفقة (؟) السيدة إنانا [. . .]
[. . . . .]

160 المرأة ـ الفتيّة [. . . . .]
جيشتينانا مع (؟) إنانا [. . .]
إنانّا المقدّسة [. . .]
[. . .]
[. . .]

النساء الثلاثة تنشدن مرثاتهن، وإنانّا هي التي تتكلم

165 أنا أُسمعُ معكما مرثاتي:
مرثاتي من أجلك يا دوموزي،
مرثاتي من أجلك!
أنا أسمع معكما مرثاتي
مرثاتي من أجلك، دوموزي
مرثاتي من أجلك!
أنا أسمع مرثاتي من أجلك في [. . .]

مرثاتي من أجلك في [...]

مرثاتي من أجلك في [...]

170 في [...] أنا أُسْمِعُ مرثاتي من أجلك

مرثاتي من أجلك في المراعي!»

مديح إنانّا الأول

آه كم كانت السيدة جديرة «بقرينها»

كم كانت إنانّا جديرة بالراعي دوموزي!

وكم اهتمت بمأوى راحته الأخير!

175 وكم انتقمت له [...]!

إستئناف المرثاة

«أنا أُسمعُ معكما مرثاتي من أجلك

مرثاتي من أجلك.

مرثاتي من أجلك في مكان ولادتك!

مرثاتي من أجلك في البادية

180 مرثاتي من أجلك (لتُسمع) حتى في آرالي[١] العالم السفلي

مرثاتي من أجلك (أسمِعُها) في دوشوبا![١]

(أُسمعُ) مرثاتي من أجلك في بادتيبيرا[١]

(أسمعها) من أجلك في المراعي!

أُسْمعُ معكما مرثاتي من أجل دوموزي!»

مديح إنانّا الثاني والختام

آه! كم كانت (إنانّا) جديرة بدوموزي

---

(١) انظر حواشي بداية النص.

وكم هي انتقمت له.

185 و(بتحويل) بيلولو!

كم كانت إنانّا جديرة به

هذا هو نشيد أو ـ لِيل ـ لآ، تكريماً لإنانّا

(١١١) ـ الأم الحزينة تبكي ولدها الإله الذي خطفه الموت

١ ـ أشرنا في تقديم الفقرة (١ ـ ١) عن موت الإلّه دوموزي وبعثه، بأن دوموزي لم يكن الإلّه الوحيد الذي عرف الموت وذكرنا بموت دامو[(١)] إلّه ـ الشفاء في مدينة إيسين[(٢)]، وقد روى عنه أحد النصوص بأنه أخذ طريقه إلى مملكة العالم السفلي وبكته أمّه نين ـ إيسّينا[(٣)]. ونعلم أيضاً أن عشتران[(٤)] الإلّه ـ القاضي في مدينة دير[(٥)] لقي هو أيضاً مصير الموت ولا نعرف سبباً لذلك.

٢ ـ وعن بكاء الأم على ولدها الإلّه الشاب الذي خطفه الموت وصلنا هذا النص السومري القصير، الذي يصف بتعابير ذلك العصر حزن واضطراب الأمّ الحزينة وكأنها بقرة فقدت عجلها ويَبْلُغها بعد سعيها اليائس في العثور عليه، بأنه سجين عالم الموت وأن حاكم العالم السفلي لن يردّه إليها. يتوقف ما وصلنا من هذا النص عند هذا الحدّ ولا نعلم أي شيء عن عودة الإلّه الفقيد.

٣ ـ وفيما يلي النص الذي وصلنا بهذا الصدد:

I أيتها البقرة (التي فقدت) عجلها!

أيتها البقرة (التي فقدت) عجلها!

---

(١) (Damû) إلّه ـ الشفاء أو الإلّه ـ الطبيب.

(٢) (Isin) مدينة سومرية قديمة تقع على بعد حوالى ٢٥ كم إلى الجنوب من نفّر.

(٣) (Nin-Issina) أم الإلّه دامو ومعناه سيدة ـ إيسين.

(٤) (Ishtaran) الإلّه القاضي في مدينة دير.

(٥) (Dêr) مدينة سومرية قديمة تقع على بعد ٢٥ كم تقريباً إلى الشمال الشرقي من نفّر.

يا بقرةً تفتّش عن عجلها!

يا بقرةً غاب عنها عجلها!

وكأيّة أمٍ فقدت صغيرها الظريف

5 أو حملت المياه حبيبها الصغير

لذلك، هي تجوب، تفتش

حتّى قاعدة الجبل

وأثناء سعيها وتحرّيها، ها هي تصل

حتّى قاعدة الجبل

وكنعجةٍ فقدت حَملَها

لم يكن ممكناً إيقافها عن التحرّي!

وكعنزةٍ غاب عنها جديها

لم يكن ممكناً منعها من التحرّي!

10 ذهبتْ حتى قاعدة الجبل! صعدت إلى قمّة الجبل!

هذا ما فعلته وهي تزيح وتدفع أمامها (أغصَان) الأسل:

أزاحت أم الفتى (الفقيد) أعواد القصب «القديمة»

ثم جهشت أم الإلّه (الفقيد) بالبكاء بين

مجموعات القصب...»

وبعد نقص حوالى ١٢ سطراً أصابها التشويه، يستأنف النص ونستمع إلى من يتحدّث إلى الأم وقد يكون الشاعر أو أحد الآلهة أو الكورس! موضحاً لها أن ابنها مات حقاً ونزل إلى العالم السفلي:

«أيتها الأم المولّدة كفّي عن الخِوار (منادية) عجلك!

الأفضل أن تتوقّفي!

أيتها البقرة (لا تخوري بعد الآن) منادية عجلك

الذي لا يجيب، أحرى بك أن تتوقفي!

لن يردّه إليك حاكم (العالم السفلي)!

سيد العالم السفلي (القاتل ـ الكبير) لن يعيده إليكِ!

30 إذهبي وأديري وجهَك نحو ضفّة نهر (العالم السفلي)
أديري وجهك نحو ثور العالم السفلي (هناك)
في أقصى الصحراء!»
[.......]

(١١٢) ـ موت الإله لِيل(١)

أم الإلَه هي هنا نينحورساج (سيدة ـ الجبل) وأخت الإلَه الفقيد هي إيجيم التي تصف حزن الأم وتطلب من الفقيد الخروج من قبره... وفي اللوحة تشويه ونقص كبيرين:

وجه اللوحة

[........]

21 «أخرج من قبرك، يا أخي، لكي تتأمّلك طويلاً أمّك!
أمّك نينحورساج سوف تتأملك طويلاً!...

ظهر اللوحة

1 سوف تُعير أذناً صاغية، لكلماتِك العذبة.
أيها الفتى، لا تدع أمك المنهارة تبكيك
لا تترك أمك نينحورساج واهنة القوى تنتحب!
5 لا تجعلها تعيسة قط: أخرج من قبرك!..

وهذه هي إجابة الإلَه الفقيد:

---

(١) ليل (Lil): إلَه عرف في مدينة آداب (Adab) الواقعة على حوالى ٤٥ كم إلى الشرق من مدينة نفّر (Nippur) وأخته إيجيم (Egime) تقوم مقام جيشتينانا أخت دوموزي.

[.......]

10 دعيني حيث أنا، يا أختاه، دعيني حيث أنا!...

دعيني حيث أنا، يا إيجيم أختي، دعيني حيث أنا!

لا تؤنبيني أي أختي، لست بحالةٍ تمكنني من رؤية أي شيء!

لا تؤنبيني يا إيجيم، لست بحالة تمكنني من رؤية أي شيء!

قبري هو في العالم السفلي، أنا راقد بين التعساء (؟)

نومي يطغى عليه القلق، أنا راقد بين الأشرار!

لا قدرة لي على الخروج من قبري، يا أختاه!»...

[.......]

(١١٣) ـــ قلق الأم على ابنها المسافر

١ ـ لسنا هنا أمام أم تبكي الإلّه الفقيد، بل أمام قلق الأم البشرية حين يغيب عنها ابنها الحبيب، ولم يكن سبب غيابه سوى السفر بعيداً عن أنظارها.

وفي النص التالي، فإن قلق الأم على ابنها، يُتَابعُ هذا الإبن أثناء سفره، وهو هنا وفي قطعةٍ أدبية على شكل رسالة موجّهة إلى أمّه لتطمينها عليه، يرسم لنا صورة عن أمّه وعن شخصيتها ونأخذ هذا النص الأدبي عن عالم السومريات كرامر الذي نشره تحت عنوان «صورة الأم المثالية».

٢ ـ مؤلف هذا النص هو لودينجيرّا[١] الابن الذي غادر مدينة نفّر[٢] في سفرةٍ طويلة على ما يظهر وأراد تطمين أمّه عن حاله ونقل تحيّاته إليها، فعمد إلى تحميل رسالته هذه إلى رسول ملكي عائدٍ إلى نفّر واصفاً له قلق أمّه التي فقدت النوم بسبب غيابه. ولكي يتعرّف الرسول عليها فإن الإبن الأديب يزوّد الرسول بخمس علامات تصفها وترسم لنا شخصيتها بتعابير أقل ما يقال عنها بأنها صدرت عن ابنٍ محب يصف أمّاً مثالية.

التوجّه إلى الرسول

أيها الرسول الملكي، الدائم الترحال على الطرق،

---

(١) (Ludingirra) بمعنى رجل الإلّه وهو اسم مؤلف الرسالة.

(٢) (Nippur).

أودّ توجيهك إلى نفّر، لإيداع هذه الرسالة.
قمت بسفرة طويلة
وقَلِقةٌ هي أمّي (؟) لا تستطيع النوم،
وهي في غرفتها التي لم تشهد قط
لفظ كلمة مريرة،
لا تكفّ عن سؤال جميع المسافرين
عن أخبارٍ حول صحتي.
ضع بين يديها رسالتي هذه
(بين يدي) أمّي التي سوف تبتهج
وتلبس زينتها من أجلك.

علامات التعرف على الأم

إذا كنت لا تعرف من هي أمّي
دعني أعطيك إشارات (التعرّف إليها).

العلامة الأولى

إسمها شات ـ عشتار[1] (؟)
شخصيتها (تطفح) إشراقاً
إنّها إلّهة رائعة ـ وكنّة محبوبة (؟)
إنها مباركة منذ صباها
وبحيويّتها أحسنت الاهتمام ببيت حميها.
إنها هي التي تخدُم إلّه زوجها[2]
وهي التي تعرف كيف تهتمّ
«بهيكل (؟) (الإلّهة) إنانّا»

---

(١) (Shat-Ishtar) اسم أكادي ومعناه التي تخصّ عشتار. ولا يزال هذا التعبير يستعمل في اللغة الدارجة كأن نقول بصفة الغائب: «الرداء شيتو».

(٢) أي الإلّه الشخصي لزوجها.

وهي التي تعرف أهميّة أوامر الملك.
إنها نشيطة، ولذا هي تضاعف الممتلكات
وهي المحبوبة والمعزّزة والمليئة بالحياة،
هي الحَمَل وهي القشدة اللذيذة والعسل
والزبدة «التي تسيل من القلب».

العلامة الثانية

دعني أعطيك العلامة الثانية للتعرّف على أمّي:
أمّي هي نور الأفق الشديد الإضاءة،
إنها وعلة الجبال،
نجمة الصباح التي تتألّق، [...]
إنها يَنع[1] ثمين، إنها زبرجد[2] مارهاشي[3].
إنها حلى العقيق التي تحمل البهجة
وخاتم القصدير وسوار الحديد
إنها عصا من ذهب وفضّةٍ برّاقة
[........]
إنها تمثال كامل الجمال، كامل البهاء،
إنها ملاك رخامي على قاعدة من لازورد

العلامة الثالثة

دعني أعطيك العلامة الثالثة للتعرّف على أمّي:
أمّي هي المطر في فصله (الملائم)، إنها

(١) الينع هو العقيق الأحمر.
(٢) الزبرجد هو الياقوت الأصفر.
(٣) (Marhashi) منطقة من بلاد عيلام إلى الشرق من سوز.

الماء (محيي) الحبّ المدفون[١]

إنها حصاد وفير، شعير فائق الجودة (؟)

إنها بستان رخاء مليء بلذائذ (الثمار)

إنها شجرة صنوبر أُحسِنَ إرواؤها،

محمّلة بالأكواز.

إنها ثمرة السنة الجديدة وجني الشهر الأول

إنها القناة تحمل المياه المُخصِبة

حتى مجاري السقاية

إنها بلح دلمون[٢] الشديد الحلاوة

البلح الفائق الجودة والمطلوب (دوماً).

العلامة الرابعة

دعني أعطيك العلامة الرابعة للتعرّف على أمّي:

أمّي هي عيد، هي عطيّة مليئة بالبهجة،

إنها تقدمة ـ أكيتا[٣] تبهر ناظرها

إنها حَلَبَةُ رقصٍ معدّةٍ لفرحٍ كبير

إنها وليدة أمير ونشيد وفرة.

إنها عاشقة وقلب محبّ لا ينضب فرحه.

إنها بشارة السجين العائد إلى أمّه.

العلامة الخامسة

دعني أعطيك العلامة الخامسة للتعرّف على أمّي:

أمي هي عربة صنوبر وفراش من خشب البَقْس

---

(١) تحمل هذه الصورة ذكرى لنموذج مثالي عن أم بدئية تهتم بالإنبات ووفرة الحصاد تذكر بإلّهة الحبوب السومرية أشنان أو ديميتير الإغريقية.

(٢) (Dilmun) بلاد دلمون تشمل منطقة البحرين (راجع النص (رقم ١) من الكتاب الأول).

(٣) تقدمة عيد رأس السنة الأكيتو (Akitou).

إنها كساء ملائم مضمّخ بالدهون العطرة
إنها قارورة من صدف السلاحف
مملوءة بأنفس العطور
إنها طوق أزهار رائع الجمال مزيّن بسخاء

ختام الرسالة

قلْ لها (أيها الرسول):
«ابنَكِ الحبيب لو ـ دنيجيّرا،
يوجّه إليكِ أجمل تمنياته».

(١ ـ ٢) ـ العالم السفلي

١ ـ أسهب الكتاب الثاني من مجموعة «ديوان الأساطير» في سرد قصص التكوين والخلق التي تركها لنا إنسان ما بين النهرين والتي اتضحت بواسطتها نظرته إلى الكون المحيط به، وإلى تصوّره لهذا الكون، إذْ فرّق بين «ما هو فوق»، السماء و«ما هو تحت» أي العالم السفلي واعتبر الأرض قرصاً يطفو على طبقةٍ من المياه العذبة الباطنية، تحيط بها مياه البحر المالحة. كما تصور في أقصى الشرق وأقصى الغرب الجبال العالية التي تسند قبّة السماء، أي عالم «ما هو فوق» وهو عالم النور الذي تجتازه الشمس في النهار، يتناظر معه عالم الظلمات وهو عالم «ما هو تحت»، ومَسار الشمس بعد غروبها وقبل شروقها في اليوم التالي.

وحتى الآلهة تمّ توزيعها على العالَمَيْن المشار إليهما، فمنذ التكوين كما يقول أحد النصوص[١]:

«في تلك الأيام، الأيام الموغلة في القدم ـ
في تلك الليالي، الليالي البعيدة البعيدة ـ
في تلك السنين، السنين العتيقة...
عندما فُصلت السماء عن الأرض
وفُصلت الأرض عن السماء...

(١) ورد في النص (رقم ٣٦) من الكتاب الثاني.

حمل آن[١] معه السماء

وإنليل[٢] حمل معه الأرض

ومنَحَ العالم السفلي إلى إيريشكيچال»[٣]

٢ ـ أمّا عن وصف العالم السفلي كما تصوّره إنسان ما بين النهرين، فقد وصلتنا نصوص عديدة تتحدّث عنه: كعالم الأموات، وعالم اللاعودة، وعالم التراب وكذلك عالم الظلمات، كما تصف حالة الأموات سكان ذلك العالم. وحين نزلت إنانّا إلى العالم السفلي كما ورد ذلك في النص رقم (١٠٦) المقدّم أعلاه تعرّفنا على بنية ذلك العالم في مناعة أبوابه السبعة وحرّاسه وشياطينه الذين لم يكفّوا عن ملاحقة دوموزي ليكون بديلاً عن إنانّا إلى أن تمكّنوا منه رغم جميع محاولاته للتخلّص منهم. والنصّ الأكادي لنزول عشتار إلى العالم السفلي، الذي نقدّمه فيما يلي تحت الرقم (١١٤) يتضمن وصفاً للعالم السفلي يفوق في التفاصيل ما قدّمه لنا النص السومري الموازي.

٣ ـ عن زعامة العالم السفلي الذي كانت إيريشكيچال ملكته الوحيدة، وصلنا نص يشير في كثير من التفاصيل إلى الصعود والهبوط ما بين عالمي، ما هو فوق وما هو تحت، ويعْلمنا كيف أصبح الإلّه نرچال[٤] ملكاً على هذا العالم وذلك باقترانه بإيريشكيچال ومشاركته السلطة معها. وهذا ما يقدّمه لنا النص (رقم ١١٥).

وحين كان الحلُم يُنذر أنكيدو[٥] بأن الآلهة قرروا موته يرى نفسه وكأنه أصبح شبحاً في المقر المظلم، يكسو جسمه الريش (النص رقم ١١٦). وحين يقبل أنكيدو المغامرة بحياته والنزول إلى العالم السفلي إرضاءً لسيّده وصديقه چلچامش الذي فقد اليوكّو والميكّو[٦] اللذيْن سقطا في العالم السفلي، وهذا ما

---

(١) (An) إلّه السماء.

(٢) (Enlil) سيد الهواء والأمطار.

(٣) (Ereshkigal) ملكة العالم السفلي.

(٤) (Nergal) هو نينورتا البطل المحارب الذي قبل بعد قصة غرام عنيفة بينه وبين ملكة العالم السفلي أن يصبح قريناً لها.

(٥) (Enkidu) صديق چلچامش ورفيق مغامراته.

(٦) (Pukku) و(Mikku) آلتا قرع يُعتقد أنهما الطبل ومقرعته (؟).

سيعرضه النص (رقم ١١٧)، فإن أنكيدو يقدّم لنا تفاصيل عديدة عن عالم الأموات.

وأخيراً فإن النص (رقم ١١٨) الذي يعود إلى القرن السابع لما قبل الميلاد يقدّم لنا على شكل رؤيا وصفاً للعالم السفلي لا يخلو من الفائدة. ونختتم هذه الفقرة بابتهالٍ موجّه لنرچال ملك العالم السفلي تحت رقم (١١٩).

٤ ـ وهكذا فإن النصوص حول العالم السفلي التي ستعرض من ضمن هذه الفقرة هي كما يلي:

رقم النص	الموضوع
(١١٤) ـ	نزول عشتار إلى العالم السفلي (النص الآكادي)
(١١٥) ـ	كيف أصبح نرچال ملك العالم السفلي
(١١٦) ـ	حلم أنكيدو المنذر بموته والعالم السفلي
(١١٧) ـ	أنكيدو يصف العالم السفلي لچلچامش
(١١٨) ـ	رؤيا عن العالم السفلي من آشور
(١١٩) ـ	ابتهال موجّه لنرچال

(١١٤) ـ نزول عشتار إلى العالم السفلي (النص الأكادي)

١ ـ تعود الترجمات الأولى لنص نزول عشتار إلى العالم السفلي المكتشف في مكتبة آشور بانيبال في نينوى لعام ١٨٦٥. ويتألّف هذا النصّ، الذي بقي أساساً لما نقدّمه هنا، من ١٣٨ سطراً. إلا أنه في عام ١٩١٥ نُشر نص آخر جزئي، مصدره مدينة آشور. يشكّل مع النص الأول اختلافات ضئيلة فيما يتعلق ببعض المفردات وطريقة كتابة بعض الكلمات.

٢ ـ يعود النص الذي نحن بصدده إلى الفترة الانتقالية ما بين الألف الثاني والألف الأول لما قبل الميلاد (١١٠٠ ـ ٩٠٠)، إلا أن الباحثين يعتقدون أن أصول هذا النص، قد تعود إلى الفترة البابلية القديمة أي قبل عام ١٧٠٠ ق. م.

٣ ـ لدينا هنا أجمل الأمثلة لدراسة تطور نصّ أو بالأحرى تطوّر موضوع نص، الأول هو النص السومري الذي يعود نَسْخُهُ، كما وصل إلينا، إلى حوالى ١٧٠٠ ق. م.(١) وبطلته الإلّهة إنانّا ومساعدتها نينشوبور(٢) وإيريشكيجال(٣) ملكة العالم السفلي ودوموزي الضحية، والنص الثاني الأكادي وبطلته عشتار. يختفي هنا دور مساعدتها نينشوبور كما يساعد إيريشكيجال في النص الأكادي

(١) يتعلق الأمر بالنص (رقم ١٠٦) من هذا الكتاب الذي يعود أصله إلى نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد على أقل تعديل.

(٢) (Ninshubur).

(٣) (Ereshkigal).

وزيرها نامتار[١] ويبقى تموز[٢] «عشيق حبّها الأول»، بديلاً من عشتار. وبينما كان النص السومري، يشير إلى أن جيشتينانّا[٣] أخت دوموزي سوف تتبادل معه النزول إلى العالم السفلي خلال نصف السنة، ليست هناك أية إشارة لذلك بالنسبة لبيليلي[٤] أخت تموز الأكادية. كما أن اختفاء إنانا أي موتها الموقت بنزولها إلى العالم السفلي لم يرافقه في النص السومري كما وصل إلينا أي تأثير على الطبيعة، إذْ اكتفي الشاعر بوصف وتكرار نحيب وبكاء مساعدتها وتنقلها بين كبار الآلهة راجية إنقاذ سيدتها...، بينما أشار النص الأكادي إلى أن اختفاء عشتار، كان من شأنه تعميم نوع من العقم على الأرض بإبطال كل علاقة جنسية بحيث: «لم يعد الثور ينزو على البقرة،

ولم يعد الرجل يحبّل امرأة على هواه»...

وهذه الملاحظة، هي في رأينا أهمّ ما يمكن تقديمه من الفروق ما بين النصّين السومري والأكادي. وهل يعني ذلك أن نزول إنانّا/عشتار إلى العالم السفلي وعودتها منه، كان من بقايا دور قديم لهذه الإلّهة يماثل دور دوموزي/تموز في موتٍ وبعثٍ، عرفته هي أيضاً، وعلى أقل تعديل، فيما يتعلق بخصب الأرحام؟ مع التذكير بأنّ إنانا حين توجّهت بسفينتها من أوروك إلى إريدو عادت ومعها جميع أسس الحضارة ومن بينها حقّ النزول إلى العالم السفلي والصعود منه[٥]، أي الموت والبعث.

٤ ـ وإلى الملاحظة السابقة، يمكن الإضافة، بأن الإلّهين إنليل وإنكي خلقا إلّهتي الماشية والحبوب وهما الإلّهة لاهار[٦] النعجة ـ الأم والإلّهة أشنان[٧]، الحبوب كما أوضح ذلك النص (رقم ٧) من الكتاب الأول، إذ تمكّنتا من «تحقيق الكثرة وجلبتا إلى البلاد الحياة». وتنافستا فيما بعد، كما تنافس الراعي

---

(١) (Namtar).
(٢) (Tammuz) وهو دوموزي الأكادي.
(٣) (Geshtinanna).
(٤) (Belili).
(٥) انظر النص (رقم ٨٥) من الكتاب الثالث.
(٦) (Lahar).
(٧) (Ashnan).

والفلاح، بعد تقدّم الزراعة ونموّ تربية الماشية وهذا ما أورده النص (رقم ٤١) من الكتاب الثاني.

٥ ـ وبصدد بعث الإلّه دوموزي/تموز وعودته من العالم السفلي، فإن النصّ الأكادي يشير بشكل أوضح إلى هذه العودة ويوحي بالاحتفالات التي ترافق هذه العودة التي يلمّح عنها النص السومري ويَضْمنُها نصّ آخر روى لنا تحويل بيلولو ـ القديمة إلى قربة ماء قدَّمَ لنا النص (رقم ١١٠) أعلاه تفاصيل ذلك.

٦ ـ هذه المقارنة السريعة، من حيث المحتوى بين النصّين يجب ألاّ تنسينا قيمة النص الأكادي الأدبية وإيجازه بالنسبة للنص السومري (١٣٧ سطراً عوضاً عن ٤٠٠ للنص السومري). ولا يحتاج النص الأكادي إلا إلى قراءته للتعرّف على قوته الأدبية.

أما الناحية الميثولوجية، وتطور مفهومها ما بين النصّين، فهذا يتطلّب دراسة مختلفة لعرض رموز ومغازي المحتوى الميتي هذا. ولا تدخل مثل هذه الدراسة في مجال عرضنا للنصوص بحدّ ذاتها.

عشتار تريد النزول إلى العالم السفلي

1 إلى بلد ـ اللاعودة، إلى مُلْك إيريشكيجال
قررت عشتار بنت سين[١] الذهاب!
قررت بنت سين، الذهاب
إلى المسكن المظلم، مقر إيركالا[٢]،
5 إلى المقر، حيث لا يخرج منه قطّ
الذين دخلوه،
عن طريق الذهاب بلا عودة.
إلى المقر حيث الواصلون إليه (هم)

---

(١) (Sin) الإلّه القمر الأكادي.
(٢) (Irkalla) إحدى تسميات العالم السفلي.

محرومون من النور،

ولا يقتاتون سوى الذُبال، التراب غذاؤهم،

يتساقطون في الظلمات، ولا يرون النهار أبداً

10 تغطيهم، كالطيور، ألبسة من الريش

بينما يتراكم الغبار، على الدُرَف والمزالج

مطلع آخر للأسطر العشرة الأولى وصلنا من آشور

1 إلى مقرّ الإلّهة، سيّدة «الأرض ـ المتسعة»[١]

الإلّهة الجالسة على العرش في الإيركالاَ ـ

إلى مقرّ إيريشكيجال، سيّدة «الأرض ـ المتسعة»

الإلّهة التي تسكن مقرّ الإيركالاَ،

مقر الإيركالا هذا بالذات

حيث لا عودة للذين يذهبون إليه،

5 إلى هذا المكان، حيث لا نورَ لأحد،

هذا الموضع حيث الأموات يكسوهم الغبار،

هذا المقر المظلم،

حيث لا تشرق الكواكب أبداً،

(إلى هذا المكان) أرادت بنت سين الذهاب!

أعملت فكرها، وقررت التحرّك،

10 (متخذةً) < طريقَ > الذهاب بلا عودة . . .

(١) صفة للعالم السفلي.

العودة إلى النص الأساسي:

وصول عشتار ورغبتها بالدخول

12 لدى وصولها إلى بوّابة بلد ـ اللاعودة
وجّهت إلى حارس الباب هذه الكلمات:
«أيها البواب» إفتح بابك!
15 افتح الباب كي أدخل، أنا التي أكلمك!
إذا لم تدعني أدخل،
سوف أدفع الباب، حتّى كسر المزاليج،
وسوف أزعزع منه القوائم، حتى تحطيم المصراعين،
وأجعل الأموات يصعدون
فيلتهمون الأحياء،
20 إلى درجةٍ يصبح معها عدد الأموات
يفوق عدد الأحياء!»

الحارس يستشير إيريشكيچال سيّدته

فتح الحارس فمه وباشر كلامه
متوجهاً إلى عشتار ذات القدرة:
«سيدتي، إبقي هنا ولا تجتازي قطّ هذا الباب،
سوف أعلن حضورك لملكتي إيريشكيچال»
25 دخل وتوجه إلى إيريشكيچال:
«على الباب هنا، قال لها: «أختك» عشتار
[تنتظر على الباب (؟)]،
التي تلعب (؟) بالحبل ـ الوثبي ـ الكبير[١]

---

(١) إشارة إلى ما سمّي بالرقصة الدورانية في الاحتفال السنوي، كما ورد ذلك في النزاع بين عشتار وصَلْتو (انظر النص رقم ٩٠ من الكتاب الثالث).

والتي يمكنها زعزعة الأبسو حتى بمحضر إيا[١]!»

ردّ فعل إيريشكيچال

عندما سمعت إيريشكيچال هذا الإعلان
اصْفرّ وجهها وكأنه غصيْن طَرْفاء مقطوع،
30 وكفلقة قصب (؟) امتقعت شفتاها!
«ماذا تريد؟ ما الذي تصوّرته كذلك؟
(أتقول لنفسها؟): «أريد الجلوس شخصياً
على مائدة الآنوناكي
وآكل التراب مثلهم
وأرتوي من الماء العكر،
وأتأسّفُ على مصير الشبّان
المنتزعين من زوجاتهم،
35 ومصير الصبايا المخطوفات من أزواجهن،
والأطفال المبعدين قبل أوانهم؟!
إذهب وافتح لها الباب أيها الحارس،
ولكن عاملها وفق النظام القديم
للعالم السفلي.

دخول عشتار

عاد الحارس وفتح لها الباب:
40 «ادخلي، سيدتي (قال لها)
كوتو[٢] يبتهج لاستقبالك

(١) (Ea) هو أنكي السومري، إله المعرفة والخلق ومهارة الصنع وسيد الأبسو (Apsu) الذي هو محيط المياه الباطنية العذبة حيث يطفو قرص الأرض.
(٢) (Kutu) المكلف بالتشريفات في العالم السفلي (؟) أو رئيس بوابي هذا العالم بالتوازي مع بيتو (Pètu) في النص السومري.

وقصر بلد ـ اللاعودة، سعيد بزيارتك!»
وحين أدخلها الباب الأول، نزع
عن رأسها التاج ـ الكبير وصادره.
«لماذا، أيها الحارس (قالت)،
تأخذ التاج ـ الكبير عن رأسي؟»
ـ أدخلي سيّدتي! هكذا هو النظام
المفروض من قبل ملكة العالم السفلي!»
45 حين أدخلها الباب الثاني، جرّد
عن أذنيها القرطين وصادرهما.
«لماذا أيّها الحارس (قالت)،
تأخذ قرطي أذنيّ؟»
ـ أدخلي سيّدتي، هكذا هو النظام
المفروض من قبل ملكة العالم السفلي!»
وحين أدخلها الباب الثالث جرّدها
من عقد اللآلىء وصادره،
«لماذا، أيها الحارس (قالت)،
تأخذ عقد اللآلىء خاصّتي؟»
50 ـ ادخلي سيّدتي! هكذا هو النظام
المفروض من قبل ملكة العالم السفلي!»
وحين أدخلها الباب الرابع نزع
وصادر ستر ـ الثديين عن صدرها.
«لماذا أيها الحارس (قالت)،
تنزع ستر ـ الثديين عن صدري؟»
ـ أدخلي سيدتي! هكذا هو النظام
المفروض من قبل ملكة العالم السفلي.
وحين أدخلها الباب الخامس، جرّدها

من حزام الأحجار ـ الدقيقة عن قَطَنها وصادره.

55 «لماذا أيها الحارس (قالت)

تجرد قطني من حزام الأحجار ـ الدقيقة؟»

ـ أدخلي سيدتي! هكذا هو النظام

الذي فرضته ملكة العالم السفلي.

وحين أدخلها الباب السادس، نزع

من معصمها وكاحلها الأساور وصادرها.

«لماذا أيّها الحارس (قالت)،

تنزع الأساور من يديّ ورجليّ؟»

ـ أدخلي سيدتي، هكذا هو النظام

المفروض من قبل ملكة العالم السفلي.

60 وحين أدخلها الباب السابع جرّدها

من رداء ـ الأبّهة الذي يغطّي جسدها وصادره.

«لماذا أيها الحارس (قالت)

تجرّدني من رداء ـ الأبّهة الذي يغطي جسدي؟»

ـ أدخلي سيّدتي، هكذا هو النظام

المفروض من قبل ملكة العالم السفلي!

عشتار تُحكم بالموت أمام إيريشكيجال

وبمجرّد نزول عشتار

إلى أعماق بلد ـ اللاعودة

تملّك الغضب إيريشكيجال لدى رؤيتها،

65 وبدون أيّ اعتبار انقضّت عليها عشتار!

ولكن إيريشكيجال فتحت فاها وقالت

موجهة هذه الكلمات إلى نامتار[١] معاونها

---

(١) (Namtar).

«إذهب يا نامتار [...]!
وأفلت عليها الأمراض الستين [...]
70 أمراض العين على عينيها!
أمراض الذراع على ذراعيها!
أمراض الرجل على رجليها!
أمراض الأحشاء على أحشائها!
أمراض الرأس على رأسها!
75 [أفلتها] (جميعها) على كامل جسدها!»
لذلك، وعندما كانت عشتار [هكذا
سجينة العالم السفلي]،

انعكاس الاحتفاظ بعشتار في العالم السفلي على كل ما يتعلق بالجنس على الأرض، وتدخّل الإلّه إيا للإنقاذ

فإذا بالثور لم يعد ينزو على البقرة،
وأيّ حمار لم يعد يخصب أتاه،
وأي رجل لم يعد يحبّل امرأة على هواه.
كلّ رجلٍ كان ينام منفرداً في غرفته
80 وكل امرأة تذهب لتبيت في ناحية أخرى!
ولهذا السبب كان پاپسوكّال[١] معاون
الآلهة العظام مهتماً وقلقاً.
وبلباس وعَمْرةِ الحزن،
جاءَ حائراً ولا حيلة له،
يبكي (دون جدوى) أمام سين[٢] أب عشتار!

(١) (Papsukkal).
(٢) (Sin) الإلّه القمر.

ثم ذهب بعد ذلك وسكب الدموع
أمام إيا[١] ـ العظيم،
85 «عشتار (قال لهما) نزلت إلى العالم السفلي
ولم تعد منه!
ومنذ أن ذهبت هكذا
إلى بلد ـ اللاعودة،
فإذا بالثور لم يعد ينزو على البقرة،
ولم يعد أيّ حمار يخصب أنثاه
وأيّ رجلٍ لم يعد يحبّل امرأة على هواه.
كل رجل ينام في غرفته منفرداً.
90 وكل امرأة تذهب لتبيت في ناحية أخرى،
عند ذلك وبذكائه العميق، خطرت لإيا فكرة،
فخلق آصو ـ شو ـ نامير[٢] المخنّث (وقال له)
«إذهب يا آصو ـ شو ـ نامير! وجّه خطاك
نحو مدخل بلد ـ اللاعودة
وبعد أن تُفتح أمامك الأبواب السبعة
95 سوف تضحك إيريشكيجال عند رؤيتك
وبمجرّد دخول الفرح إلى قلبها ويروق مزاجها
انتزعْ منها قسَماً بالآلهة العظام.
ثم تشجّع ووجّه نظرك إلى القربة:
«سيدتي، تقول لها،
ليُسمح لي أن أرتوي من هذه القربة!»

---

(١) (Ea) = أنكي السومري.
(٢) (Aṣu-shu-namir) ومعناه: مُبْهِرٌ ـ مظهره.

إيريشكيچال تلعن المخنث

100 عند سماع هذه الكلمات

ضربت إيريشكيچال بيديها على فخذيها امتعاضاً

وعضّت على أصابعها غضباً:

«أنتَ طلبتَ منّي (قالت له) شيئاً محرّماً!

لذلك أوجه إليك يا آصو - شو - نامير،

لعنةً كبيرة وأعيِّن لك

إلى الأبد مصيراً شاقّاً

سيكون قُوتُك من الآن فصاعداً

ما (ترميه) «طنابر - المدينة»

105 وشرابك مأخوذاً من قُنَيات المدينة.

لن تتمركز إلا في تجاويف الأسوار

ولن تسكن إلا على عتبات البيوت

ويلطمك المعربدون والمتعطّشون

للشراب على هواهم!»

تحرير عشتار وخروجها

ثم فتحت إيريشكيچال فاها واستأنفت الكلام

110 ووجهت إلى نامتار معاونها هذه الكلمات:

«إذهب يا نامتار ومرْ بفتح باب الإيچالْجينا[١]

انثر على عتبته أصداف التعويذ

وادعُ الأنونانكي للجلوس على مقاعدهم الذهبية

ثم انضح ماء الحياة على عشتار وآتني بها!»

15 ذهب نامتار عند ذلك

---

(١) (Egalgina) قاعة الاجتماعات في العالم السفلي.

وأمر بفتح باب الإيجالْجينا
ونثر على عتبته أصداف التعويذ ـ
وبعد أن دعا الأنوناكي للاجتماع
وأجلسهم على مقاعدهم الذهبية!
نضح بعد ذلك ماء الحياة على عشتار
وجاء بها أمام إيريشكيجال.
عندما جعلها تجتاز الباب الأول،
أعاد إليها رداء ـ الأبهة الذي كان يغطّي جسدها،
120 وعندما جعلها تجتاز الباب الثاني،
أعاد إليها أساور معصمها وكاحلها.
ولدى اجتيازها الباب الثالث،
أعاد حزام الأحجار ـ الدقيقة إلى قطنها.
ولدى اجتيازها الباب الرابع،
أعاد ستر ـ الثديين إلى صدرها.
وعندما جعلها تجتاز الباب الخامس
أعاد إليها عقد اللآلىء.
125 وعندما جعلها تجتاز الباب السادس،
أعاد إليها قرطي أذنيها.
ولدى اجتيازها الباب السابع،
أعاد إليها التاج ـ الكبير على رأسها.

أوامر إيريشكيجال إلى نامتار بصدد عودة عشتار إلى الأرض

«إذا لم تسلمك بديلاً عنها أعدها إلى هنا!
وفيما يختص بتموز «عشيق» حبّها الأول،
دعه يغتسل بماء صافٍ ويتدلّك بالطيوب
وليرتدِ لباس الأبّهة:

ويدقّ بالمِقرعة الزرقاء

130 ولتملأنّ بنات الهوى قلبه بهجةً!»

تموز يُنتزع من لدن أخته بيليلي[1]

بعد أن أنهت بيليلي زينته

كان يغطّي صدره عقد من خرز العقيق (؟)

وعندما سمعت نداء شقيقها اليائس

نزعت عن جسمه زينته

وعقد خَرز العقيق (؟) الذي كان يغطي حضنه:

135 «إنّه أخي الوحيد (صرخَتْ)

لا تنتزعوه منّي!»

الوعد بعودة تموز

عندما سوف يصعد تموز

سوف تصعد معه المقرعة الزرقاء

والحلقة الحمراء![2]

وسوف يصعد لمواكبته النائحون والنائحات عليه

وحتى الأموات سوف يصعدون

لاستنشاق روائح التبخير الزكية

---

(١) (Belili) أخت تموز بالتوازي مع جيشتينانا في النص السومري.

(٢) المقرعة الزرقاء والحلقة الحمراء أداتان للقرع تنزلان على ما يظهر إلى العالم السفلي وتصعدان معه. ويذكُران بالبوكّو والميكّو (أي الطبل ومقرعته؟) اللذيْن سقطا في العالم السفلي في ملحمة چلچامش (انظر النصّين ١١٧ و١٢٢ ـ د).

(١١٥) ـ كيف أصبح نرجال
ملك العالم السفلي

١ ـ جعلت التقاليد السومرية القديمة من الإلّهة إيريشكيچال ملكةً للعالم السفلي، وقد تأكد ذلك في النصوص العديدة التي تمّ عرضها. وهذه التسمية السومرية «إيريش. كي. چال»[١] تعني حرفياً «سيّدة الأرض الكبرى». وكان قرينها، كما ورد اسمه في النص السومري لنزول إنانّا إلى العالم السفلي[٢] هو «چو. چال. آنّا»[٣] بمعنى «الثور الكبير السماوي». لم يكن چوچالانّا سوى القرين غير المشارك لإيريشكيچال في الملكية وكان زوج الملكة فقط.

٢ ـ وفي تطوير لاحق، كما تدل على ذلك النصوص الأكادية التي وصلتنا فإن إيريشكيچال تتخلّ عن مركزها لصالح زوجها نرچال[٤] الذي هو إيّرا[٥]، وتصبح هي بدورها زوجة ملك العالم السفلي. ونحن نعلم أن نرچال كان أحد الآلهة السماويين، يشهد بذلك لقبه «الثور السماوي الكبير» (أي چوچالانّا)، وسكنه مع آلهة السماء.

٣ ـ تروي النصوص التي نقدمها فيما يلي، كيف أصبح نرچال رجلَ إيريشكيچال وملكاً على العالم السفلي. وقبل الانتقال إلى تقديم هذه النصوص،

---

(١) (Eresh.Ki.Gal).

(٢) انظر النص (رقم ١٠٦) من هذا الكتاب، السطر ٨٦.

(٣) (Gû.Gal.Anna).

(٤) (Nergal).

(٥) (Erra) وهو اسم آخر لنرچال، وسوف يرد عنه نص مهمّ في الفصل الثاني من هذا الكتاب (النص رقم ١٣٤).

لا بد من الإشارة، إلى وجود تقليد سومري آخر، لا نظنّ أنه الأقدم، يجعل من «لوچال ـ ميسلام»[١] وهو لقب لنرچال ملكاً على معبد ميسلام. كما ورد أيضاً في نص إنليل ونينليل[٢] السومري، نسبةً لنرچال، لقب «ميسلام. تا. إي. آ»[٣] أي الذي خرج من ميسْلام. وهنا أيضاً نرى أن نرچال، لم يكن أصلاً من آلهة العالم السفلي إذ إنّ معبد ميسلام كان يقع في مدينة كوتو[٤] الواقعة على ضفّة الفرات المقابلة لبابل وإلى الشمال منها.

٤ ـ أما العلاقة الغرامية بين إيريشكيچال ونرچال، فقد وصلتنا عبر ثلاثة نصوص، وكتبت باللغة الأكادية. أقدمها، وهو النص الأقصر، تمّ اكتشافه في مجموعات تلّ العمارنة[٥] في مصر والنصّان الآخران وهما الأحدث، يكمّل أحدهما الآخر، ويمكن القول بأنهما متعاصران. اكتشف الأول في موقع سلطان ـ تيپيه[٦] على نهر الخابور السوري واكتشف الثاني في مدينة أوروك[٧]. وسوف نقدمهما كنصٍّ واحد بالاعتماد على نص سلطان ـ تيپيه كأساس واستكماله بنصّ مدينة أوروك كلّما اقتضت الحاجة.

٥ ـ ما نتعلّمه، عبر هذه النصوص عن علاقات العالم العلوي، عالم السماء مع العالم السفلي، عالم الأموات، هو أن هذه العلاقات كانت متواصلة وودّية ولها قواعدها «البروتوكولية» الخاصة.

وهكذا فإننا نعلم أن آلهة السماء، كانوا يعقدون مأدبة شهرية يجتمعون خلالها حول مائدة للأكل والشرب، ولم يكونوا يهملون تخصيص حصّة من هذه الوليمة، لآلهة العالم السفلي. وكان على رسولٍ من ذلك العالم، الصعود على «السلالم» التي تصل بين العالمين للحصول على هذه الحصّة والعودة بها إلى العالم السفلي. وقد تكون السلالم المشار إليها، هي ذاتها الزيقورات، أي الأبراج ذات

---

(١) (Lugal-Meslam).

(٢) (Enlil) و(Ninlil) انظر النص (رقم ٢) من الكتاب الأول، السطر ٩٠.

(٣) (Meslam.Ta.E.A).

(٤) (Kutu).

(٥) عاصمة أخناتون.

(٦) (Sultan-Tépé).

(٧) (Uruk) مدينة الإلّه آن وفيها معبد بيت السماء الإيانّا مقر عشتار الأرضي.

الطبقات وسلالمها التي عرفتها بلاد ما بين النهرين.

٦ ـ وتقضي التقاليد بين العالمين أيضاً بضرورة تقديم الاحترام من قبل آلهة السماء أمام ممثّل العالم السفلي لدى صعوده لإنجاز مهمته، وعليهم النهوض وقوفاً أو الانحناء لدى مروره أمامهم.

وقد حُبكت النصوص التي نحن بصددها، حول حادثة رفض الإلّه نرچال وهو أحد آلهة السماء تقديم هذا الاحترام.

وحين يصل الأمر إلى إيريشكيچال، ملكة العالم السفلي، فإنها تكلّف رسولها وممثلها، الصعود من جديد إلى السماء وطلب تسليمه المخالِف ليساقَ أمام إيريشكيچال كي يلقى عقابه. وهنا يتدخل الإلّه إيا الذي اعتاد إيجاد الحلول لمثل هذه الأزمات التي كانت تحدث بين الآلهة.

٧ ـ الأحداث التي عرضنا، هي مشتركة بين النصوص المشار إليها والتي تقدم حلولاً مختلفة لهذه المشكلة. ونترك لنص تلّ العمارنة وهو النصّ الأقدم، أن يتحدث عن نفسه بهذا الصدد، كما نترك فيما بعد لنصيّ سلطان ـ تيپيه وأوروك متابعة المشكلة ذاتها من قبلهما تحت إشارة «النص الأحدث».

(١١٥ ــ أ) ــ إيريشكيجال ونرجال

(النسخة الأقدم من تل العمارنة)

تعود هذه النسخة إلى القرن الخامس عشر لما قبل الميلاد وهي تتألف من لوحة واحدة عُثر عليها كما قلنا آنفاً في تل العمارنة عاصمة آخناتون، في الفترة التي كانت فيها اللغة الأكادية اللغة الدبلوماسية لذلك العهد وكان على مصر الفرعونية تعلّم هذه اللغة وكتابتها لهذه الغاية، وكذلك كان الأمر بالنسبة لبلاد الحثّيين. ويُعتقد أن اللوحة التي نحن بصددها هي تمرين على الكتابة لأحد هؤلاء الجاهدين في هذا السبيل.

النص قصير ولا يزيد عن ٨٨ سطراً وهو يتميّز بإيجاز نصوص الفترة البابلية القديمة (حوالى ١٧٠٠ ق. م)، ويعتقد أنّ تأليف النص يعود إلى تلك الفترة. ظهرُ اللوحة محفوظ جيداً، لكن الوجه يتخلّله مع الأسف تَلَف في بعض المواضع.

وليمة الآلهة وإهانة نرجال لممثل العالم السفلي

1 في يوم ما، وبينما كانوا على وشك الإعداد لوليمتهم
وجّه الآلهة[١] رسولاً
إلى الأخت إيريشكيجال:
«نحن هنا، لا نستطيع النزول حيث أنتِ،

---

(١) آلهة السماء.

5 «وأنت لا تستطيعين الصعود إلينا.
أوفدي إلينا بسرعة أحداً ليتسلّم حصتك من الوليمة!
أوفدت إذن، لهذه الغاية، حاجبها نامتار[١].
ولدى وصوله إلى السموات العالية العالية
أُدْخل (نامتار) [إلى القاعة حيث] الآلهة
كانوا جالسين أمام الوليمة (؟)
10 وبدون تمهل [. . . (؟)] أدّوا التحية
إلى مندوب أختهم المهيبة

الأسطر (١٢ ـ ٢٤) مفقودة ويفهم من الرجوع إلى نسخة أوروك أن نرچال رفض الوقوف لتحية المندوب نامتار وتقديم الاحترام مّما يُعتبر إهانة خطيرة إلى سيدته التي أوفدته.

وما بقي من السطر ١٥ يشير إلى أن نامتار «ذرف الدموع وشهق بالبكاء» ولا بد أن يكون تلفّظ بتهديدات باسم سيّدته إيريشكيچال. وخوفاً من هذا الحادث الدبلوماسي ونتائجه عليه بسبب «ولدنته» يسرع نرچال نحو الإلّه إيا طالباً مساعدته، فينصحه إيا بتعديل مظهره وحلق رأسه. وخلال هذه الأثناء كان نامتار قد نقل إلى ملكته تفاصيل الإهانة فتأمره من جديد، بالعودة إلى مجمع آلهة السماء.

إيريشكيچال تطالب بتسليمها المذنب لإماتته

25 «إذهب» و[من طرف (؟)] أختهم (؟)
أنقل لهم قراري وهو كذلك:
«أين هو [الإلّه الذي] لم ينهض
أ[مام] ممثّلي؟

(١) (Namtar).

أرسلوه إليّ لكي أميته (أنا مُوتي)![1]
لأنني أريد إماتته!»
ذهب نامتار إذن للتفاوض مع الآلهة
وهؤلاء بدورهم دعوه للتناقش معه [...]:
30 «فتّش عنه جيداً (قالوا له)، وعندما تتعرّف
على الإلّه الذي لم ينهض بحضْرتك
ألقِ القبض عليه وقم بسوقه إلى سيّدتك!»
استعرضهم نامتار (جميعاً)، والأخير
كان حليق الرأس (ثم أعلن):
أنا لم أتعرّف على الإلّه
الذي لم ينهض أمامي!
[عاد] لتقديم تقريره (إلى إيريشكيچال):
35 [تفحّصتُ جميع الآلهة، يا سيّدتي]
استعرضـ [ـتهم] (جميعاً)
[بين جميعهم (؟)] كان الأخير [حليق الرأس]؛
ولكنني لم أتعرّف
[على الإلّه الذي لم ينهض أمامي]!»
فتحت عند ذلك إيريشكيچال فمها، تناولت الحديث
[وقالت] لمندوبها:
40 [إذن، سوف تعود للتفتيش (؟) عنه
كل] شهر (؟)!»

الأسطر ٤١ و٤٢ من المحتمل أن يكون الناسخ قد نسيها حين استأنف النص على ظهر اللوحة.

---

(١) هذا التعبير الأكادي ومعناه «أنا أُميته» هو المفتاح الجناسي المعتمد في تأليف هذا النص في مرحلة أولى. وسوف نشير إلى استكمالها في مرحلةٍ تالية من تقدم النصّ.

إستشارة إيا

هكذا كان يبكي (نرچال) أمام إيا «أبيه»

45 «عندما تراني في المستقبل، لن تتركني

على قيد الحياة!»

ـ لا تخف (أجابه إيا):

سوف أجعل أربعة عشر [حارساً (؟)]

يرافقونك [إلى العالم السفلي] (وهم): [. . .] و[. . .]،

و[. . .] والصاعق،

والخَفَر والمتجسس والمطارِد (؟) والربو (؟)

والوجع [العالي] و[الدْوَار والهجمة والنَوْمَشَة]

50 والحمّى والعدوى [. . .]

(جميعهم) سوف يكونون رفقاء [طريقك]

وصول نرچال إلى العالم السفلي مع مرافقيه

[وعندما وصل] إلى بوّابة إيريشكيچال

نادى: أيها الحارس! [افـ] ـتح بابك!

إنزع موصد (الباب) لكي أدخل

55 ذهب الحارس وأعلن لنامتار:

«هنا أمام الباب، وقف إلّه (ينتظر)!»

ـ إذهب ودعه يدخل!»

وعندما اقترب نامتار ورآه

أمره وهو مبتهج: «[انتظر (؟)] هنا!»

ثم ذهب وقال لسيدته:

«سيدتي، إنه هو [الإلّه] الذي في الأشهر

السابقة كان إيجاده متعذراً

بعد أن رفَضَ النهوض أمامي!
ـ أدخله إلى هنا (أجابت):
وبمجرد وصوله أنا أميتـ [ـه]!
فخرج نامتار [وقال لنرچال]:
«أدخل إذن! يا سيدي!
(إذهب) إلى أختك لتتلقى نصيبك!
(أدخل) يا نرچال وسوف تبتهج لاستقبالك (؟)!»

نرچال يستولي حالاً على المكان

الأسطر (٦٤ ـ ٦٦) مفقودة. وحال دخوله، جعل من مرافقيه حراساً على الأبواب الأربعة عشرة (أي لجهتي الأبواب السبعة)

وضع إذن [...]
على مدخل الباب (الثاني): [...]
وعلى (مدخل) الثالث: [...] وعلى الرابع: الصاعق
وعلى الخامس: الخَفَر وعلى السادس: المتجسس؛
وعلى السابع: المطارِد (؟)
70 وعلى الباب الثامن: الربو وعلى التاسع: الوجع ـ العالي؛
وعلى العاشر: الدُوار، وعلى الحادي عشر: الهجمة،
وعلى الباب الثاني عشر: النَوْمشة، وعلى الثالث عشر: الحمّى
وعلى الرابع عشر (وضع حارساً): العدوى.
ولدى وصوله إلى الساحة المركزية، عزل [...] (؟)
75 كما أمر نامتار ومعاونيه
بالإبقاء على الأبواب مفتوحة (!):
«الآن (قال له) أنا الذي ألاحقك!»

نرچال يعامل إيريشكيچال بعنف

ولما دخل القصر، قبض على إيريشكيچال
وجَذَبَها من شعرها، من على العرش إلى الأرض
بغية قطع رأسها.

80 «لا تقتلني يا «أخي» (قالت له)
لديّ ما أقوله لك!»
وحين سمعها تتكلم هكذا، أخفض نرچال يديه!
(قالت) منتحبةً، تملأ الدموع (عينيها):
«كن قريني (مُتي)[1] وسأكون زوجتك!
وسوف أجعلك تتصرّف بالملكية على العالم السفلي!
وسوف أسلّمك لوحة ـ المعرفة![2]

85 وستكون أنت السيد وأنا قرينتك!»
عندما سمعها نرچال تتكلم على هذا الشكل
ضمّها بين ذراعيه وجفّف دموعها (قائلاً):
ما أردتِ أن تعملي بي منذ أشهر
(هوذا) تحقق فعلاً في الوقت الحاضر!»

---

(١) نحن هنا أمام العنصر الثاني من الجناس الذي بني عليه النص والذي يستثمر تعبيريْ «مُوتى» (= أُميته) كما أوضحنا ذلك آنفاً، و«مُتّي» بمعنى رَجُلي. وكلمة متّ بمعنى رجل وردت أيضاً في النصوص الأوغاريتية.

(٢) قد تكون هذه اللوحة، الموازية للوحة ـ الأقدار في عالم السماء، رمزاً للسيادة على العالم السفلي ورمزاً للحفاظ على هذه السيادة.

(١١٥ ـ ب) ـ إيريشكيجال ونرجال

(النسخة الأحدث)

تعود هذه النسخة إلى القرن السابع لما قبل الميلاد، وقد عثر عليها كما عرضنا أعلاه في مكتبة خاصة لأحد المثقفين من مدينة سلطان ـ تيپيه على الخابور. وهي تتألف من لوحة واحدة تحمل ثلاثة أعمدة على كل وجه، ويحتوي كل عمود منها على حوالى (٦٥ ـ ٧٥) سطراً أي بمجموع حوالى ٤٠٠ سطرٍ بما يعادل خمسة أضعاف النسخة الأقدم لتل العمارنة. وقد قُدّر ما هو مفقود في النص بحوالى الربع كما أن حوالى ٦٠ سطراً فقط وصلتنا كاملة ولكن التكرار والإعادات في مقاطع كثيرة مكّن من استعادة حوالى النصف.

أما النص الموازي لنسخة مدينة أوروك، فهو أحدث بما يقارب قرنين أو ثلاثة، وهو أيضاً، عثر عليه في مكتبة خاصّة لأحد المثقّفين. واللوحة الواحدة التي يتألف منها تحمل عمودين على كل وجه ولم يصلنا منها سوى الثلث لأنها فقدت الجزء العلوي منها والجزء السفلي. وما تبقّى منها يتوازى مع الأعمدة (٢ ـ ٥) للوحة سلطان ـ تيپيه. ومن المرجح أن النصين هما متعاصران بالنسبة لتأليفهما.

العمود الأول لنسخة سلطان ـ تيپيه:

في الأسطر الثلاثين المشوّهة من رأس هذا العمود، يفهم ممّا تبقّى في الأسطر (١٥ ـ ٢٠) أنها تحتوي بشكل غير منتظر على تمجيدٍ للإلّهة (باوا) أو بابا[١]

(١) (Bawa) أو (Baba) ورد إسمها كقرينة للإلّه نينورتا في معبد لغش (Lagash) في قصيدة «نينورتا يخضع شعب الحجارة» (النص رقم ٧٩ من الكتاب الثالث/ السطر ٦٧٤).

ودونما أيّة علاقة مع محتوى النصّ الأساسي. البداية مفقودة، وهي تتعلّق بدون شك بوليمة الآلهة. وقد أمكن بالتوازي مع الأسطر ٢٥ وما يليها من استعادة محتوى أحد عشر سطراً:

1 [فتح آنو[١] فمه وبادر بالحديث،
وجّه هذه الكلمات إلى كاكا[٢] رسوله:
«يا كاكا! أريد إيفادك إلى بلد اللاعودة،
لتقول لإيريشكيجال، سيّدة العالم السفلي
«أنتِ لا تستطيعين الصعود إلى هنا (إلى عالم السماء):
5 وسوف لا تأتين إذن هذه السنة!
ولا يمكننا نحن النزول حيث أنتِ،
هذه الأشهر!
فليأتِ إذن موفدك:
ليتلقى من على المائدة
ما يعود إليكِ من الوليمة.
10 وكل ما سوف أسلّمه إياه
سوف [ينقله إليك] كاملاً!»
هبط كاكّا عندئذ عِبْر سلّم السماء الطويل
وعندما وصل أمام بوّابة إيريشكيجال (صرخ):
«افتح لي الباب أيها الحارس!
ـ ادخل [يا كاكّا أجاب الحارس]:
فليستقبلك الباب [بالترحاب]!»
15 جعل عندئذ كاكّا الإلّهي يجتاز [الباب الأول]
ثم جعله يجتاز الباب [الثاني]،

---

(١) (Anu) إلّه السماء.
(٢) (Kakka).

جعله يجتاز الباب [الثالث]،
جعله يجتاز الباب الرابع،
جعله يجتاز الباب الخامس
20 جعله [يجتاز] الباب السادس
جعله [يجتاز] الباب السابع
ولدى وصوله إلى فِناء إيريشكيچال الفَسيح
سجد كاكّا وقبّل الأرض أمامها
ثم نهض وتوجه إليها منتصباً
25 أبو [ك] آنو أرسلني لأقول لك:
أنتِ لا يمكنك الصعود إلى فوق:
فلن تأتي إذن هذه السنة!
وسوف لا ننزل لعندك، هذه الأشهر!
30 فليأتِ إذن موفد من لدُنك:
ليتلقى من على المائدة
ما يعود إليك من الوليمة.
وكل ما سوف أسلّمه إياه
سوف ينقله إليك بتمامه!»
فتحت عند ذلك إيريشكيچال فمها، تناولت الحديث عندئذ
ووجّهت هذه الكلمات إلى كاكّا:
«يا رسول أبينا آنو، القادم إلينا
35 هل كل شيء على ما يرام (؟) من أجل آنو
وإنليل[١] وإيا[٢] الآلهة العظام؟
كيف حال (؟) نامّو[٣] ونانشي[٤](؟)

---

(١) (Enlil) سيد الهواء والأمطار.
(٢) (Ea) إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع.
(٣) (Nammu) الإلّهة ـ الأم البدئية.
(٤) (Nanshé) إلّهة لغش والقراءة غير أكيدة.

الإلّهتين المقدستين؟
كيف حال قرين سيدة السماء؟[1]
وكيف حال نينو [رتا[2] الكلي ـ القدرة] على الأرض؟»
ففتح كاكّا فمه وبادر بالكلام
مُوجّهاً إلى إيريشكيچال هذه الكلمات:
40 كل شيء على ما يرام من أجل آنو وإنليل وإيا
الآلهة العظام!
كل شيء على ما يرام من أجل [نامّو] ونانشي
(الإلّهتين) المقدّستين!
كل شيء على ما يرام من أجل قرين
سيّدة السماء!
كل شيء على ما يرام [من أجل نينـ] ـورتا
الكلي ـ القدرة على الأرض!
[. . .]: ومن أجلكِ أنتِ فليكن كل شيء على ما يرام!»

إيريشكيچال تكلف نامتار بتمثيلها لدى آلهة السماء

45 عند ذلك فتحت [إيريشكيچال] فمها وبدأت حديثها
موجّهة إلى حاجبها نامتار هذه الكلمات:
«نامـ [ـتار يا حاجبي] أنا أوفدك
إلى أبينا آنو.
تسلّق على طول [سلم السماء.
من على المائدة سوف تَتَلقّى
ما يعود إليّ من الوليمة]

(١) المقصودة هنا هي عشتار وقرينها تموز.
(٢) (Ninurta) هنا بصفته بطل الانتصارات على الأرض.

وكل ما سوف يسلّمك إياه آنو،
[تنقله إليّ بتمامه]!»
50 [فتسلّقَ نامتار سلّم السماء]

نرچال لا يعامل مندوب إيريشكيچال باحترام ويتلقى لوم إيا

فقدان حوالى ١٥ سطراً من نهاية العمود الأول، والعدد نفسه من بداية العمود الثاني: لدى وصول نامتار إلى السماء تمت تحيّته باحترام من قبل بقية الآلهة، بينما رفض نرچال الانحناء أمامه. ولا نعلم شيئاً عن رد فعل نامتار ومن المرجّح أنّه نقل الحادث إلى سيّدته التي غَضِبَتْ. وعندما يبدأ استئناف النصّ، لا بدّ أن يكون نرچال قدِمَ لاستشارة الإلّه إيا تخوّفاً من انتقام ملكة العالم السفلي، وهنا يتوجّه إيا إلى نرچال:

العمود الثاني

16 [فتح إيا فمه وبدأ حديثه
متوجّهاً إلى نرچال بهذه الكلمات]:
«[. . .]
[عندما] وصل نامتار [. . .]
[. . .] طريق الـ [. . .]
20 (عمد) [جميع الآلهة] وبحركة واحدة
إلى الا [نحناء أمامه]
[وحتّى الآلهة العظا] م أسياد المصائر،
[ولأنّه هو] يمتلك السيادة
سيادة [إيريشكيچال]
و(سيادة) الآلهة التي تسكن العالم السفلي
لماذا رَفَضْتَ الانحناء أمامه؟
25 [مع أنني] لم أكفّ عن أن أغمز نحوك بعيني!

وكنت تتظاهر بأنك لا تفهم (إشارتي)،
[وبقيتَ] مركزاً عينيك نحو الأرض!

فقدان عشرة أسطر من توجيهات إيا ونعرف أن نرچال يجيب إيا (الأسطر ٣٤ ـ ٣٨). ولا نعلم ما إذا كان اقترح هو نفسه، أو دُفع من قبل بقية الآلهة إلى النزول إلى العالم السفلي للاعتذار من إيريشكيچال، كما نجهل ردّ فعل إيا حول هذه الإجابة.

توصيات إيا قبل نزول نرچال إلى العالم السفلي

39 عندما سمع ذلك إيا قال في نفسه:
«[. . .] إرسال.»
ثم فتح فمه وبدأ حديثه
موجّهاً هذه الكلمات إلى نرچال

تُستعمل هنا لتلافي النقص في نسخة سلطان تيپيه مقاطع من نسخة مدنية أوروك يُشار إليها بحرفي (أو).

«أيها المسافر، إذا ما أردت سلوك هذا الطريق (؟)
إبدأْ بالقبض على سيفك
وتوغّلْ في غابة شجر ـ الميس[١]
واقطع منها أغصان ميس و«أرز
أبيض» وأغصانَ عَرْعر
45 وقصَّ أَفْنَادَ كاناكّو[٢] وسيمبيرّو!»[٣]
(أو) عندما استمع إليه [نرچال] أخذ معه قطّاعته
(أو) وجرّد من غمده سيفه
دخل غابة الميس

(١) (Mès) نوع من الشجر ينمو في ما بين النهرين ولم يتمّ التعرّف على نوعه ويوحي النص هنا بأنه شجر حراجي.
(٢) (Kanakku).
(٣) (Simbirru).

وقطع منها أغصان الميس و«الأرز
الأبيض» وأغصان العَرْعَر.
قصّ أفناد الكاناكّو[١] والسيمبيرّو[٢]
< وفقاً لتعليمات (؟) > إيا الأمير،
وصنع منها مقعداً:
وعوضاً عن تلبيسه بالفضة
طلاه بالجبس (؟)
وعوضاً عن ترصيعه بالعقيق
طلاه بالـ [...]
50 وعوضاً عن (تلبيسه) بالذهب
برقشه بالليرو[٣] والكالجوقّو[٤]
وعوضاً عن ترصيعه باللازورد
طلاه بالزاجينْدورُو[٥].
ولما اكتمل العمل وانتهى (صنع) المقعد
استدعاه إيا من جديد وأعطاه هذه التوجيهات:
«أيها المسافر! بما أنك تريد [الذهاب...]
55 [اتبع جيداً (؟)] جميع التعليمات
[التي أعطيكها (؟)].
بمجرد وصولك إلى العالم السفلي، إذا ما قُدِّم إليك
مقعد، أرفض الجلوس عليه!
إذا ما قَدَّم لك طبّاخٌ خبزاً

---

(١) (Kanakku).
(٢) (Simbirru).
(٣) (Lêru).
(٤) (Kalguqqu).
(٥) (Zaginduru).
(١ ـ ٥) تعابير وردت في النص دونما شرح.

أرفض أن تأكل منه!
وإذا ما قدم إليك رئيسٌ لحماً
أرفض استهلاكه!
60 وإذا ما جَلَب لك ساقِ الجعة
أرفض شربها!
وإذا ما أوتي أمامك بحوضٍ لغسل الأرجل
أرفض غمر رجليك فيه
وإذا ما دَخَلتْ إيريشكيچال لتغتسل
مرتديةً [...]
وإذا ما عرّت (أمامك) جسدها [...]
65 لا تُظْهِر قطّ أية شهوة
كما يحدث ذلك من قبل رجلٍ نحو امرأة.

نهاية هذا العمود، فَقَدتْ حوالى عشرة أسطر كانت تحتوي كما يُعتقد على ردّ فعل نرچال بصدد تحذيرات إيا. يبدأ نرچال بعد ذلك رحلته، وعلى ما يظهر، يمكن الاعتقاد بأن المؤلِّف كان يعتمد على تقليد النصّ الأكادي المعروف لنزول عشتار إلى العالم السفلي[1] مما مَكن من استكمال نهاية العمود الثاني وبداية العمود الثالث.

وصول نرچال إلى العالم السفلي والتعرّف عليه من قبل نامتار

74 [توجه نرچال إذن نحو العالم السفلي
نحو المسكن المظلم، مقر إيركالا[2]
المسكن الذي لا يخرج منه قط من دخلوه،

(١) النص (رقم ١١٤) من هذا الكتاب.
(٢) (Irkalla) تسمية أخرى للعالم السفلي.

العمود الثالث

1 متخذاً طريق الذهاب] ـ بلا عودة

[نحو المقرّ حيث الوافدون إليه]

هم محرومون من النور

[ولا يقتاتون سوى الدُبا] ل، التراب غذاؤهم

تغطيهم كالطيـ] ـور ألبسة من الريش

5 يتساقطون في الظلمات [ولا يرون النهار أبداً]

[. . . يملؤه (؟)] الأنين

[. . . تنوح (؟)] كاليمام.

[لدى وصوله أمام بوابة العالم السفلي]

فتح حارس الباب فمه [وبدأ حديثه]

موجّهاً إلى نرجال هذه الكلمات:

10 [«أيها المسافر، إنتظر أمام (؟)] البوابة

ريثما أقدّم تقريري!»

وعندما دخل الحارس، قال لإيريشـ] ـكيجال:

«[سيدتي! هنا [مسافر] منفر [د] وصل إلينا:

[أنا لا أعرفه (؟)]. من باستطاعته [التعرف عليه]؟

فقدان ثلاثة أسطر ويظهر أن إيريشكيجال تكلّف نامتار بالتعرف على الضيف الجديد ولدينا جواب نامتار:

17 [«. . .]: سوف أتعرّف عليه

[. . .]: سأفحصه عبر البوّابة

وسوف أقدم [تقريري] لسيدتي (!)»

20 ذهب نامتار عندئذٍ وراقب إيرّا[١]

---

(١) (Erra) المقصود بهذه التسمية هو نرجال وسوف يرد عنه نص ملحمي مهم في الفصل الثاني من هذا الكتاب (النص رقم ١٣٤).

من خلف الردفة:
فامتقع وجهه (حالاً) مثل غصن طَرْفاء مقطوع
ومثلَ فُلقة قصبٍ، دكنت شفتاه!
عاد إذن وقال لسيدتي:
«سيدتي! بمجرد إيفادك إيّايَ مقر أبيكِ
25 وعندما كنت أدخل في فناء [آنو]،
[جميع الآلهة] وباحترام
انحنوا أمامي!
الآلهة جميعهم [انحنوا] أمامي - [إلا هو!]
والآن، هوذا، نزل إلى العالم السفلي!...»

فقدان خمسة أسطر.

عند ذلك فتحت إيريشكيچال فمها وبدأت حديثها
موجهةً إلى نامتار هذه الكلمات:
35 «يا نامتاري، دون أن تكون طامعاً في
سلطتي العليا
كان من الأفضل لك تَوَلّي عرشيَ الملكي
وإدارة «الأرض - الواسعة»[1] (عوضاً عني)
وأنا بدوري، كان أجدى بي أن أصعدَ
إلى سماء آنو أبي (عوضاً عنك)
لأشارك في الوليمة المقدّمة
ولأشرب الجعة!
40 هيّا بنا! أدخِلْ هذا الإلّه أمامي يا نامتار!»
جَعَلَه إذن يجتاز الباب الأول
حيث الحارس،

---

(١) تسمية للعالم السفلي.

ثم جعله يجتاز الثاني، باب كيشار[١]،
ثم جعله يجتاز الثالث، باب إينداشوريمّا[٢]،
ثم جعله يجتاز الرابع، باب إينورووُلا[٣]،
45 ثم جعله يجتاز الخامس، باب إيندوكوچا[٤]،
ثم جعله يجتاز السادس، باب إيندوشوبا[٥]،
ثم جعله يجتاز السابع، باب إينّوجيجي[٦]،
فدخل نرچال في فناء إيريشكيچال المتسع.
سجد وقبل الأرض أمامها (وقال لها):
50 «أبوكِ آنو أرسلني لأمثلَ أمامك
لذلك خذي مكانكِ على هذا العرش
وحاكميني يساعدك (؟) الآلهة ـ العظام[٧]،
الآلهة العظام الساكنون في العالم السفلي!».
وبعد ذلك مباشرة، قُدِّم له مقعد
55 ولكنّه رفض الجلوس عليه،
ثم جَلَبَ له طبّاخٌ خبزاً
ولكنه رفض أن يأكل منه،
وقَدَّم له رئيسٌ لحماً
ولكنه رفض استهلاكه،

---

(١) (Kishar).
(٢) (Endashurimma).
(٣) (En ru-ulla).
(٤) (Endukuga).
(٥) (Endushuba).
(٦) (Ennugigi).
(١ ـ ٦) جميعهم آلهة بدئية، أسلاف آنو وإنليل، فقدوا سلطتهم وسُلّمت إليهم مهام في العالم السفلي: هنا حراسة الأبواب..
(٧) هم الأنوناكو السبعة قضاة العالم السفلي.

وجَلَبَ له الساقي الجعة
ولكنه رفض شربها،
وقدَّم له حوضاً لغسل الأرجل
ولكنه رفض غمر رجليه فيه.
60 عند ذلك دخلت إيريشكيچال [لتغتسل]
مرتديةً [. . .]
[. . .] وكشفت له [عن جسدها]
ولكنه لم يُظهر لها شهوته
[كما يحدث ذلك من قبل رجل] نحو امرأة.

يلي نقص عشرة أسطر قبل نهاية العمود. كما أن هناك نقص سطرين أو ثلاثة في بداية العمود الثاني، من الصعب توقّع ما تحتويه، إلا أنه عندما يتّضح النصّ، يفقد نرچال مقاومته ورفضه لإغراء إيريشكيچال.

العمود الرابع

إيريشكيچال تتمكّن من إغراء نرچال

[. . . . .]
4 [لدى سماع (؟) ذلك [. . .] نرچال
ولكنها هي [. . .] دخلت الغرفة
[وانتزعت (؟)] ثيابها
[وكشفَتْ له عن جسدها]
وعند ذلك هو بدوره [أظهر لها شهوته]
كما يتم ذلك من قبل ر[جلٍ نحو امرأة]
فتملّكتهما [الواحد والآخر] شهوة
عارمة [متبادلة]
10 [ارتميا] على الفراش [بعنفوان!]

ويوم أول ويوم ثانٍ
[إيريشكيچال ونرچال/ إيرّا تضاجعا
وكذلك في [يوم ثالث] ويوم رابع.
وفي يوم [خامس] ويوم سادس، كذلك.
[وعندما أتى] اليوم [السابع]
15 لم يكن لدى نرچال [...]
فنزع [...] وقال لإيريشكيچال:

نرچال يغادر العالم السفلي ويعد عشيقته بالعودة إليها

«دعيني (أذهب) يا أختي [...]
عليكِ ألاّ تتكدّري [...]
أنا أذهب [ولكنني سأعود (؟)]
إلى العالم السفلي!»
20 ولكن، ومع ذلك، كان [وجهها]
داكناً [...]،
[ذهب نرچال] عند ذلك مباشرةً
[إلى بوّابة العالم السفلي]
ووجّه إلى الحارس هذه الكلمات:
«سيّدتك [إيريشكيچال] كلفتني بمهمّة:
«أنا [أرسلك] قالت [إلى سماء] آنو، أبي!»
25 لذلك يجب أن أذهبَ حرّاً [لحمل]
هذه الرسالة [... (؟)]»

إيّا يبدّل مظهر نرچال لدى وصوله إلى السماء

عند ذلك تسلّق نرچال [سلّم السماء الطويل].
[وعندما وصل] إلى بوّابة آنو، إنليل [وإيا]

هؤلاء [قالوا لدى مشاهدتهم إياه]:
«هذا هو «ابن عشتار (؟)» [يعود إلينا!]
30 [إيريشكيچال] سوف تفتش عنه [. . .]!
(وكان) على أبيه إيا [رشّه] بماء البـ [ـئر]
وبذلك تحوّل إلى [أصلع] وأحول وأكسح
وتمكن من الجلوس (دون خطر)
< في > مجمع الآلهة العام!»

إيريشكيچال معتقدةً أنه ذهب لفترةٍ قصيرة تستعد لعودته

بينما كانت إيريشكيچال [. . .]
[دخلت (؟)] إلى مكان اغتسالها [. . .]
35 [. . .]]
[. . .] جسدها [. . .]
نادت [. . .]
عرشها [. . .]:
«[رُشَّ على البيت] الماء [الصافي. . .]
40 رُ[شّ] على البيت الماء [الصافي. . .]
رُ[شّ] على البيت الماء [الصافي. . .]
[برفقـ] ـة (؟) بِنْتَيَّ
الإِلَهينَ [؟] وإينميشارا[1]
رُشَّ [. . .]!
[لأن من أرسله] أبونا آنو
عندما سيعود،
45 سيأكل [خبزنا] ويشرب من [مائنا]!»

---

(١) (Enmeshara) أحد الآلهة الذين قتلوا وأرسلوا إلى العالم السفلي، يشير إلى ذلك نص يتعلق بالطقوس يعود إلى الألف الأول لما قبل الميلاد. وهنا فإن ابنته مع إبنة الإلَه الآخر هما مكلفتان بمرافقة الطقوس في العالم السفلي.

نامتار ينبّه سيدته لخطأها بصدد عودة نرجال

عند ذلك فتح [نامتار فمه] وبدأ الحديث
موجهاً (هذه الكلمات) إلى إيريشكيجال، [سيدته]:
«ولكن هذا الموفد من قبل آنو، الذي أتى إلينا
(أو) قد اختفى قبل بزوغ النهار!»
(أو) أطلقت [إيريشكيجال] عند ذلك صرخة رهيبة
ومن [على] عرشها ارتمت على الأرض
وانهارت الدموع غزيرةً من عينيها
وعلى وجنتيها سالت العَبَرات
«إيرّا (صاحت)، «القرين» الذي
كان يغمرني لذّةً
تركني قبل أن أشبع منه
55 تركني إيرّا «القرين» الذي
كان يغمرني لذّة
قبل أن أشبع من المتعة
التي كان يمنحني إيّاها!»

نامتار يرق لحالها يقترح على سيدته الصعود إلى السماء لإعادة نرجال

فتح نامتار عندئذٍ فمه، بدأ بالحديث
ووجّه هذه الكلمات إلى إيريشكيجال:
[«أوفديني إلى آنو (؟)] أبيكِ
وسوف أقبض على هذا الإلّه
سأستولي عليه من أجلك
وسوف يعود لمضاجعتك!»

العمود الخامس

1 [فتحت إيريشكيجال عندئذ فمها]، بدأت الحديث
ووجهت إلى نامتار حاجبها هذه الكلمات:
«توجّه [نحو بوابة] آنو وإنليل وإيا
(أو) وقل لهؤلاء الآلهة هذا،
(أو) كرّر لهم هذا:
5 منذ طفولتي الأولى، عندما كنت صغيرة
أنا ما عرفت قطّ رقصات المراهقات
وما عرفت قطّ نطنطات الفتيات!
[هذا الإلّه] الذي أرسلتموه إليّ
والذي جامعني
آه! لو يستطيع العودة لينام معي!
أعيدوه ـ إلينا لكي يصبح «قريني»
وليبقى معي ليلَ نهار!
10 وها أنذا الآن ملوّثة وغير طاهرة
وغير صالحة لكي أترأس محكمة الآلهة العظام
الآلهة ـ العظام الساكنين في العالم السفلي!
وإذا لم ترسلوه،
فعملاً بسلطات العالم السفلي! الأرض ـ الكبرى
سوف أجعل الأموات يصعدون لالتهام الأحياء
وسوف يفوق الأموات الأحياء بعددهم!»[١]

نامتار يُكلَّف بالصعود للقبض على نرجال ولكنه لا يتعرف عليه

وتسلق نامتار سلّم السماء الطويل

(١) تلجأ إيريشكيجال هنا إلى تهديد كانت عشتار قد تلفظت به.

ولدى وصوله أمام بوابة آنو وإنليل وإيا،
وهؤلاء لدى مشاهدتهم إياه قالوا:
«ماذا أتيت تفعل هنا يا نامتار؟

20 ـ إنها ابنتكم (قال) هي التي أوفدتني
لأقول لكم من طرفها:
«منذ طفولتي الأولى، عندما كنت صغيرة،
أنا ما عرفت قطّ رقصات المراهقات
وما عرفت قط نطنطات الفتيات!
هذا الإلّه الذي أرسلتموه إليّ
والذي جامعني
آه! لو يستطيع العودة لينام معي

25 أعيدوه إلينا لكي يصبح «قريني»
وليبقى معي ليل نهار!
وها أنذا الآن ملوّثة وغير طاهرة
وغير صالحة لكي أترأس محكمة الآلهة ـ العظام
الآلهة ـ العظام الساكنين في العالم السفلي!
وإذا لم ترسلوه
(فعملاً بسلطات العالم السفلي، الأرض ـ الكبرى)[١]
سوف أجعل [الأموات] يصعدون [لالتهام الأحيـ] ـاء

30 وسوف يفوق الأموات الأحياء بعددهم!»
عند ذلك فتح إيا فمه، بدأ الحديث
موجهاً إلى نامتار هذه الكلمات:
«[ادخل] يا نا [متار] إلى فناء [آنو
فتّش عن الإلّه الذي تطلب، وقدْهُ (؟)»]

(١) نسي الناسخ هذا السطر وأضيف هنا اعتماداً على ما سبق.

حالما دخل نامتار [إلى فناء آنو]
35 جميع [الآلهة] وباحترام
انحنوا أمامه ـ
انحنوا [أمامه (جميعهم)
آلهة السماء وآلهة] الأرض!
توجّه نحو أولهم ولكنه
لم يتعرّف على الذي كان يفتّش عنه
توجّه نحو الثاني والثالث،
ولكنه لم يتعرف أكثر على أحدٍ...

نامتار يعود لإبلاغ سيدته عن فشله

وعاد نا [متار] من جديد ليقول لسيّدته:
40 «سيدتي، عندما أوفدتيني [إلى آ] نو، أبوك
لم ألحظ، سيدتي، إلا إلَهاً واحداً
كان أصلع، أحول وأكسح [...]،
وهو يجلس في مجمع الآلهة العام!
ـ إذهب (أجابت إيريشكيجال) واقبض عليه
وعد به إليّ: إنّه هو!
أبوه إيا، رش عليه دون شك ماء البئر
45 فتحوّل إلى أصلع وأحول وأكسح [...]
[وهكذا أخذ مكانه] في مجمع الآلهة العام!».

نامتار يعود إلى السماء من جديد

عاد نامتار وتسلّق من جديد سلم السماء الطويل
ولدى وصوله إلى بوابة آنو وإنليل وإيا
قال له هؤلاء لدى مشاهدتهم إياه:

«ماذا أتيت تفعل هنا يا نامتار؟
ـ إنها إبنتكم (أجاب)،
هي التي أوفدتني مع هذا الأمر:
50 هذا الإلّه، إقبض عليه وأعده إليّ»
ـ ادخل الآن يا نامتار إلى فناء آنو،
فتّش عن المسؤول واقبض عليه!»
توجّه (نامتار) نحو أولّهم ولكنه لم يتعرّف
على الذي كان يفتش عنه
55 توجّه نحو [ثانٍ وثالث] دون نتيجة
[ونحو رابع وخامس] دون نتيجة أيضاً!
عند ذلك، فتح فمه نرچال (؟) بدأ بالحديث
ووجّه إلى إيا هذه الكلمات:
«[...] نامتار هذا الموفد الذي وصل إلينا
يجب أن يشرب من مائنا وأن يغتسل
ويدلّك جسمه بالدهون!

الأسطر الستة الأخيرة من هذا العمود مفقودة ولا بد أنها كانت تتضمن تعرف نامتار على نرچال ودعوته لمرافقته. وفي الخطاب الذي يلي يتوجّه إيا وهو الذي يتكلم تارة إلى نامتار وتارة إلى نرچال.

العمود السادس

نرچال يعاد إلى العالم السفلي مع تحذيرات إيا

1 «... ألاّ ينتزع ثيابه [...]!
إيرّا أنا أريد إعادتك [...]
سوف أقتلك (؟) [إذا...]
نامتار [...] مهمتك [...]

5 إيرّا [. . .]

أنا سأعلّمك (؟)

جميع قواعد الأ [رض ـ الكبر] ى[1]

حين تغادر هنا

[. . .]، خذ معك مقعداً؛

خذ معك [. . .]

10 خذ معك [. . .]

خذ معك [. . .]

خذ معك [. . .]

خذ معك [. . .]

[. . .] المعارك (؟)

15 [خذ معك . . .] على صدرك (؟)

[وثبّت إيرّا] في قلبه [كلمات إيا]

[. . .] دهن بالشحم وتره وشدّ قوسه

ثم هبط على سلم السماء الطويل

وعندما و[صل] إلى بوا [بة] إيريشكيچال:

20 «إفتح لي الباب أيها الحارس (صرخ)

ولكن الحارس علّق على الباب مقعد نرچال

ولم يسمح له بإدخاله

وفعل كذلك البواب الثاني من أجل [. . .] ـه

والثالث من أجل [. . .]

25 والرابع (كذلك) من أجل [. . .]

والخامس (فعل ذلك) من أجل [. . .]

والسادس من أجل [. . .]

---

(١) أي العالم السفلي.

والسابع من أجل [...]

حبّ نرچال لإيريشكيچال يستفيق

ودخل عند ذلك إلى فناء إيريشكيچال الفسيح

30 توجه نحوها وعلى (شفته) ابتسامة

وأمسَك بها من تلفيعتها

و[جعلها تنزل (؟)] عن [عرشها]

ضاغطاً (على صدره) شعرها،

بكلّ الحُبِّ الذي كان يكنّه لها في قلـ [ـبه]!

35 وإذْ تملكتهما الواحد والآخر شهوة

عارمة متبادلة

ارتميا على الفراش [بعنفوان]!

ويوم أول ويوم ثانٍ

إيريشكيچال الملكة وإيرّا ناما معاً

ويوم ثالث، كذلك![1]

وكذلك [يو] م رابع!

40 وكذلك [يو] م خامس!

[ويوم سادس] كذلك

[وعندما] حلّ [اليوم السابع]

---

(١) هنا أيضاً يستعمل الناسخ التعبير الذي يعني «كما سبق» أو «كذلك» لتحاشي تكرار كتابة الفقرة المعادة.

آنو يسمح ببقاء نرچال إلى جانب إيريشكيچال إلى الأبد

[فتح آنو فمه] بدأ الحديث

ووجّه هذه الكلمات إلى [صاحبه كاكّا]:

45 «[يا كاكّا] أريد إيفادك [إلى بلد ـ اللاعودة]

[إلى مقر إيريشكيچال] المقيمة في العالم السفلي

لتقول لها:

«[هذا الإآله] الذي أوفدته إليك

[ليبق معك] إلى الأبد!

[. . .] ما هو في الأعلى

50 [. . .] ما هو في الأسفل. . .»

فَقَد أسفل اللوحة حوالى ١٢ سطراً. كان نصفها على الأرجح يحتوي الخاتمة وتصنيف النص وعنوانه وهذا يعني أن تدخّل آنو لم ينقصه إلا جزء يسير. ولا يستبعد أن تحتوي الخاتمة على تمجيد لنرچال كملك جديد للعالم السفلي!؟

(١١٦) ـ حلم أنكيدو المنذر بموته والعالم السفلي

١ ـ بعد أن قام چلچامش[١] وصديقه أنكيدو[٢] بالقضاء على وحش غابة الأرز، وكذلك على الثور السماوي، رأى أنكيدو حلماً، أعلمه بأن الآلهة ـ العظام، اجتمعوا وقرروا معاقبته بحيث «يجتاز عتبة الموت» ليستقر في عالم الأموات. وهكذا بدأ القلق يسيطر عليه، ووهن جسده بنتيجة ذلك.

وبعد أن لعن من كان مسؤولاً عن إبعاده عن حياته السابقة حياة البراري والسهوب، وارتياد موارد المياه مع قطيع الغزلان ـ بعد أن لعن الصيّاد والغانية اللذان أبعداه عن حياته الطبيعية ـ ها هو يرى حلماً جديداً ينذر بموته، يجد فيه نفسه في عالم الأموات ويروي حلمه هذا على صديقه چلچامش.

٢ ـ نورد هنا مضمون هذا الحلم مقتطفاً عن العمود الرابع من اللوحة السابعة من ملحمة چلچامش (نسخة نينوى) وسوف يرد النص الكامل للملحمة في الفقرة التالية من هذا الفصل (النص رقم ١٢٢).

٣ ـ أما فيما يتعلق بنظام العالم السفلي كما يتّضح ذلك من مضمون هذا النص، تجدر الإشارة بأن وجود مسؤولة عن الكتابة في العالم السفلي وهي أمينة سرّ إيريشكيچال[٣] التي تقرأ على مسامع سيدتها محتوى لوحة، يعني وجود سجلات مكتوبة في العالم السفلي ونوع من المحاكمة بالنسبة للروّاد بغية تقرير

---

(١) (Gilgamesh) ملك مدينة أوروك (Uruk) وبطل الملحمة المعروفة باسمه.

(٢) (Enkidu) رفيق مغامرات چلچامش وأعماله البطولية.

(٣) (Ereshkigal) ملكة العالم السفلي.

مصيرهم، يدعم هذا الرأي وجود القضاة السبعة لمساعدة إيريشكيچال، كما ورد ذلك في النص (رقم ١٠٦/سطر ١٦٣) وإيريشكيچال هي أيضاً وفقاً للنص (١١٥ ـ ب/عمود ٥، سطر ١٠) تترأس محكمة العالم السفلي. عن اللوحة السابعة من ملحمة چلچامش (نسخة نينوى). يمكن للقارئ الاطلاع على مضمون حلم انكيدو (العمود الرابع، الأسطر ١٤ ـ ٥٤) من النص رقم ١٢٢ من هذا الكتاب.

(١١٧) ـ أنكيدو يصف العالم السفلي لجلجامش

١ ـ نقتطف هذا النص عن نزول أنكيدو إلى العالم السفلي، عن اللوحة الثانية عشرة من ملحمة چلچامش (نسخة نينوى) والمضافة إليها على ما يعتقد، والتي نعرف لها ما يوازيها في النصوص السومرية[١].

يتلخّص ما يهمّنا من هذه اللوحة، أن چلچامش حين أضاع المقرعة والطبل[٢] اللذين سقطا في العالم السفلي، بكى بسبب ذلك، وأراد صديقه وخادمه أنكيدو تعزيته بالنزول إلى العالم السفلي لاسترجاعهما. يقبل چلچامش هذا العرض، ولكنّه يوصي أنكيدو باتخاذ الاحتياطات الضرورية لكي لا يُبْقَى عليه سجيناً في ذلك العالم ومنها عدم إرتداء ألبسة نظيفة أو الامتساح بدهون معطّرة وعدم إحداث أي صوت في العالم السفلي. ويوصيه كذلك بأن يتحاشى تقبيل الزوجة المحبوبة أو يضرب الزوجة المكروهة وألاّ يقبّلِ الابن المحبوب أو يضرب الابن المكروه. . . وإذا ما خالف هذه التعليمات يحذِّره چلچامش، بأن العالم السفلي سوف يقبض عليه، وملكة العالم السفلي تسلّط عليه غضبها وتبقيه سجيناً في عالمها المظلم.

٢ ـ إلاّ أن أنكيدو يخالف جميع تلك التعليمات، وعند ذلك لا يُسمح له بالصعود من العالم السفلي ويصف النص هذه الحادثة المؤلمة كما يلي:

---

(١) سوف يرد النص الكامل فيما بعد من ضمن الفقرة التالية من هذا الفصل (النص ١٢٢).

(٢) هما البوكّو والميكّو وهو تفسير مرجّح دون تأكيده.

«منذ ذلك الحين [لم يكن يسمح] لأنكيدو
الصعود من العالم السفلي.
ليس الوباء (هو) الذي استولى عليه،
ليس المرض هو الذي استولى عليه
بل العالم السفلي!
ليس جاسوس نرچال[١] العديم الشفقة
(هو) الذي استولى عليه
إنه العالم السفلي!»

٣ ــ يسعى چلچامش عند ذلك، إلى إنقاذ صديقه، فيتوجّه إلى إنليل[٢] الذي لا يستجيب لطلبه ثم يتوجّه إلى سين[٣] دونما التوصل إلى نتيجة، ويتوجّه أخيراً إلى إيا[٤] الذي يوافق على إصدار الأمر إلى نرچال بعد أن صار سيد العالم السفلي بعد اقترانه بإيريشكيچال[٥]، لكي يفتح كوّة في العالم السفلي تتصل بعالم الأحياء ولكي تتمكن روح أنكيدو أو شبحه الخروج منها للقاء چلچامش ونقل أخبار العالم السفلي إليه.

٤ ــ ووفقاً لما يرويه شبح أنكيدو مجيباً على أسئلة چلچامش فإنه يتّضح، وهذا ما تجدر الإشارة إليه، بأن الأموات سكان العالم السفلي كانوا يخضعون لمعاملات مختلفة ومتفاوتة وفقاً لقواعد، تجعلنا نكتشف شيئاً من النظام الداخلي للعالم السفلي، فنلاحظ أن معاملة الأموات ممن أنجبوا أبناءً في حياتهم كانت تتحسّن كلما زاد عدد الأبناء[٦]. ويستعرض النص مصير من كان له ابن واحد أو إثنين، أو ثلاثة... حتى السبعة أبناء، فنشهد عند ذلك تدرّجاً، يتراوح بين البكاء المرير مروراً بالسماح بشرب الماء ثم سعادة الفلاّح... إلى الاستماع إلى

---

(١) (Nergal) سيد العالم السفلي.
(٢) (Enlil) سيّد مجمع آلهة السماء.
(٣) (Sin) الإلّه القمر الأكادي.
(٤) (Ea) إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع.
(٥) وردت قصته في النص (رقم ١١٥) أعلاه.
(٦) ذوو المتوفى وبخاصة الأبناء هم الذين كان عليهم متابعة التقدمات عن روح الميت لضمان راحتها في العالم الآخر.

الموسيقى في حضرة الآلهة لمن كان له سبعة أبناء وفي ذلك مكافأة توازي مكافأة الجنة التي عرفناها فيما بعد، بحيث ينقضُ هذا النص، نوعاً ما الاتجاه السائد الذي يجعل جميع الأموات في المقر المظلم يخضعون لمعاملة وحيدة. أما الشاب أو الفتاة اللذيْن يختطفهما الموت في سنّ مبكرة وقبل التمتع بمباهج الحياة[1]، نجد أن العالم السفلي يسعى لمساعدتهما. كما يكرّم النص «من مات في المعركة، من قبل ذويه وتبكيه زوجته».

وأسوأ الحالات، هي حين لا يبقى لشبح الميت أحد للاهتمام به وبخاصة حالة من تركت جثته في الصحراء دونما دفن، لأن هذا الشبح «لا يعرف الراحة»... وهناك تفاصيل عديدة أخرى نترك لهذا النص مهمّة عرضها بنفسه. ويمكن للقارئ العودة إليها في اللوحة ١٢ من النص ١٢٢ (الأسطر ٨٤ حتى نهاية اللوحة).

---

(١) انظر حول الموت المبكّر للشاب أو الشابة الفقرة (ب ـ ٨) من تقديم الفصل الأول.

(١١٨) ـ رؤيا عن العالم السفلي في حلم أمير من آشور

١ ـ النصّ الذي نقدّمه هنا، عُثر عليه في مدينة آشور، وهو مكتوب على لوحة واحدة تحمل على وجهيها حوالى ٧٥ سطراً، وتعود إلى القرن السابع لما قبل الميلاد. وهي لا تحتوي نصاً دينياً ولكنها عبارة عن قصيدة نثرية ويُعتقد أنها تستجيب لضرورات سياسية من الصعب تفهمها بشكل أكيد.

وفي النص إشارة غير مباشرة إلى كل من الملكين الآشوريين: سنحريب الذي حكم حوالى (٧٠٤ ـ ٦٨١) ق. م، وأسرحدون (٦٨٠ ـ ٦٦٩) ق. م، وهما الملكان اللذان سبقا آشور بانيبال في الحكم.

٢ ـ يتعلّق قسم النص الذي يهمّنا هنا، برواية حلم رآه أمير ملكي، أطلق عليه النص إسماً مستعاراً هو كومّا[١] تختفي وراءه الشّخصية الحقيقية للمؤلف والرواية. أما الرسالة السياسية التي يسعى إليها النص، فهي موجهة على ما يظهر إلى الملك أسرحدّون من قبل الأمير كومّا، الذي في حلم له، يجد نفسه في عالم الظلمات حيث يحكم الإلّه نرچال[٢] وقرينته إيريشكيچال[٣] يحيط بهما ويعاونهما زبانية من ذوي الأشكال الرهيبة والبشعة. وبذلك يحقق الأمير تجربته المخيفة التي لا يعرفها البشر إلاّ بعد موتهم، ويستخرج من هذه المعرفة دروساً مفيدة.

(١) (Koumma) هو أحد أمراء بلاط أسرحدون ولا ندري إذا كان ولي عهده وهو هنا بواسطة الرؤية يحاول إبلاغ الملك بأنه خالف تعليمات شمش (؟).

(٢) (Nergal) ملك العالم السفلي بعد اقترانه بإيريشكيچال.

(٣) (Ereshkigal) ملكة العالم السفلي.

٣ ـ نقدم هنا القسم المرتبط بالعالم السفلي، موضوع عرضنا، وهو يبدأ من السطر ٣٥ من وجه اللوحة مع إهمال الأسطر ٣٦ و٣٩ و٤٠ الكثيرة التشويه. ومن حسن الحظ أن ظهر اللوحة، أي الأسطر (٤١ ـ ٧٥) هي بحالةٍ أجود.

٤ ـ يفيدنا هذا النص في التعريف عن بعض مظاهر الرهبة في العالم السفلي، ويعدّد بشكل خاصّ المخلوقات الشيطانية وهم الآلهة الثانويون معاونو نرچال في مهامّه، وعددهم خمسة عشر إلّهاً، ذوي أشكال غريبة، هي مزيج من الجوارح والكواسر والبشر.

وملفتٌ للنظر أيضاً، وجود مستشار لنرچال في العالم السفلي يلقّب بـ «الشفيع الذي ينقذ الحياة ويحبّ العدالة» وتتضمن الشفاعة معنى الحساب والتدخل لمصلحة العدالة وفرض العقاب العادل.

وإذا ما كنّا نتفهّم تخوف البشر من سلطة نرچال ملك العالم السفلي ورهبتهم أمامه، فإن النص يعلمنا في الوقت نفسه بأن هذا الإلّه الرهيب كان هو أيضاً بحاجةٍ إلى مدائح البشر له وإلى التغنّي بمجده[1]. ونختتم هذه الفقرة عن العالم السفلي بتقديم نصٍ لابتهال موجّه إلى نرچال تحت رقم (١١٩).

[.....................]

حَضَرتْ إليه إيريشكيچال في حلم وقالت له: «رأ [يت] تقدمتك الأولى، وأريد استجابة رجائك وجعلك ترى ما رغبت به...»

استفاق كومّا وناح مثل يمامةٍ وبكى...،

كان ير [غب أن يتـ] ـكرر حلمه(؟). [ومن جديد] رفع يديه نحو إيريشكيچال راجياً، وأمام قرينها نرچال ملك العالم السفلي سالت دموعـ [ـه].

وهذا هو كومّا ينام (من جديد) وتأتيه رؤيا ليلية. ففي حلم رآه يقول: «أ [نا (؟)... في هذا المكان] حيث كنت سجيناً، تأمّلت البهاء الرهيب...

شاهدتُ نامتار[2]، رسول العالم السفلي الذي يبتدع الأنظمة. كان رجل يقف

(١) وهذا ما سوف نلمسه أيضاً في ملحمة إيرّا وهو نرچال كما سيرد ذلك في النص (رقم ١٣٤).

(٢) (Namtar) ومعناه «القدر».

أمامه وهو ممسك به من شعره بيده اليسرى (بينما) يده اليمنى [كانت تحمل] سيفاً.

ونمتارتو[١] قرينته كان لها رأس كوريبو[٢] ويدان ورجلان بشرية. وكان للموت (موتو)[٣] رأس تنين ويدا بشري ورجلا [طائر (؟)].

وشيدو[٤] المؤذي، كان له رأس ويدا بشري وكانت تغطّي رأسه قلنسوة، ورجلاه كانتا رجلا الطائر آ ـ جي[٥] وتحت رجله اليسرى كان يدوس تمساحاً.

أمّا آللّوحافّو[٦]، فقد كان له رأس أسد وأربع أيدٍ ورجلا بشري.

كان لعميل ـ السوء[٧] رأس طائر جناحاه مفروشان، وكان يطير في جميع الاتجاهات ويداه ورجلاه مثل يدي ورجلي البشر. أما القابض ـ السريع[٨]، ملاح العالم الآخر، كان له رأس الطائر أنزو[٩] وأربع أيدٍ ورجلا [بشري (؟)].

والشبح (إيطيمّو)[١٠]، كان له رأس ثور وأربع أيدٍ ورجلا بشري. و(أوتوكّو)[١١] الشرير، كان رأسه رأس أسد ورجلاه ويداه مثل الطائر أنزو. أمّا (شولاك)[١٢] الذي يشبه أسداً عادياً، فقد كان منتصباً على قائمتيه الخلفيتين.

كان لماميت (عقاب ـ الحانث ـ بقَسَمِه)[١٣] رأس عَنزة، ويدا ورجلا بشري. أما بوّاب العالم السفلي نيدو[١٤]، كان له رأس أسد ورجلا بشري وقدما طائر

---

(١) (Namtartou).
(٢) (Kouribou) بمعنى المبارك.
(٣) (Moutou) التسمية الأكادية للموت وهو هنا من كائنات العالم السفلي.
(٤) (Shêdou).
(٥) (A-Gi) طائر خرافي (؟) يذكر بالطائر أنزو الذي ورد ذكره وسيرد فيما بعد.
(٦) بمعنى شبكة الصيد.
(٧) بالأكادية: (موكيت ـ ريش ـ ليموتّى).
(٨) بالأكادية: (نوموت ـ طابال).
(٩) (Anzou) الطائر الأسطوري الذي سرق لوحة الأقدار من إنليل وتغلّب عليه الإلّه نينورتا (انظر النص (رقم ٦٢) من الكتاب الثاني).
(١٠) (Etemmu) بمعنى الشبح.
(١١) (Outoukkou).
(١٢) (Shoulak).
(١٣) بالأكادية ماميت (Mamît).
(١٤) (Nedou).

و(كلّ ـ السوء) كان له رأسان، أحدهما رأس أسد والثاني رأس [. . .].

[. . .] را، كان له ثلاث أقدام أمامية لطائر وقدم واحدة خلفية لثور، كما كان له بريق مضيء رهيب. والإلّهان اللذان لم أتعرّف على اسميهما: أحدهما كان له رأس الطائر أنزو ويداه ورجلاه، وكان يمسك بيساره يد [ا . . .]. أما الثاني فكان له رأس رجل تكسوه قلنسوة، يمسك بيده اليمنى مطرقة وبيده اليسرى وأمامه كان [. . .]؛ جميعهم خمسة عشر إلّهاً، كانوا موجودين هنا: رأيتهم وتوسّلت [إليهم].

رجل جسده أسود كالزفت، ووجهه يشبه وجه الطائر أنزو، كان يلبس رداءً أحمر اللون ويحمل بيده اليسرى قوساً، وتمسك يمناه بسيف، وبرجله اليسرى كان يدوس حيّة.

عندما رفعت نظري (رأيت) نرچال الباسل جالساً على عرشه الملكي يكلّل رأسه التاج الملكي وبكلتي يديه كان يمسك بكتلتين لهما رأسا [. . .].

. . . عند ذلك وَمَضَ برقٌ وكان الأنوناكي[1]، الآلهة ـ العظام محنيين إلى اليمين وإلى الشمال.

العالم السفلي مليء بالرعب، أمام ابن الأمير[2] كان ينتشر صمتٌ مخيف (؟) قبض عليّ (نرچال) من خصلة شعري وجعلني قريباً منه.

بدأت ركبتاي تصطكّان، عندما رأيته، وبريقه الرهيب، رماني أرضاً. قبّلت رجْلي ألوهيته العظيمة، (ثم) سجدت وانتصبت واقفاً (بعد ذلك). وهو بعد أن تأمّل بي هزّ رأسه.

أطلق صرخة قوية، مثل عاصفةٍ عنيفة، صرخ غاضباً ضدّي. وعصا الحكم، شعار ألوهيته التي تملؤها الرهبة، كانت بيده مثل ثعبان مسمّم.

وجّهها نحوي بقصد قتلي. لكنّ إيشوم[3] مستشاره، الشفيع الذي ينقذ الحياة

---

(١) (Annunaki) مجموع آلهة العالم السفلي مقابل الإيجيجي (Iggigi) آلهة العالم العلوي.

(٢) المقصود هو نرچال.

(٣) (Ishoum) لفتنا النظر من خلال تقديم النص إلى أهمية وجود شفيع في العالم السفلي، يحبّ العدالة ويتدخل لإنقاذ الحياة، والشفاعة في العالم السفلي قد تعني الحساب والمحاكمة بعد الموت.

ويحب العدالة إلخ...[١] (تدخّل) قائلاً: «لا تحلْ هذا الرجل إلى الموت، أي ملك العالم السفلي (الكلّي) القدرة، حتّى يتمكن سكّان البلاد وإلى الأبد، من الاستماع إلى المدائح (التي تتغنّى) بمجدك!» ومثل ماء بئر راقدٍ وصافٍ، أمكنه بذلك تهدئة قلب القوي والكلّي القدرة الذي يقيّد الأشرار[٢].

تلفظ نرچال (عند ذلك) بهذه الكلمات: «لماذا أهنت قرينتي المحبوبة، ملكة العالم السفلي؟»[٣].

(إذا ما وافَقَتْ هي على ذلك) وبناء على أمرها الجليل الذي لا يبدّل فإن بيبّو[٤]، جلاّد العالم السفلي، سوف يسلّمك إلى البوّاب لوچال سولا[٥] لكي يجعلك تخرج من بوّابة عشتار[٦] وآيا[٧].

وإن أنت لن تنساني ولن تكون مهملاً نحوْي، فلن أطلق ضدك القرار الرهيب. (وإلا) فبناء على أمر شمش[٨] فلتسلّط عليك الآلهة معاً الإضطرابات والعذاب والثورات وليتمكن ضجيج هياج السكان (عند ذلك) حرمانك من لذة النوم!

هذا الشبح الذي رأيته في العالم السفلي هو «روح» الراعي[٩] المجيد الذي جعله أبي [آشور][١٠] ملك الآلهة، يحقق كل ما كان يرغب به.

والذي من الشرق إلى الغرب، رفع مثل حَملٍ البلاد كلّها، وحكم جميعها.

---

(١) لم يشأ المؤلف متابعة تعداد الصفات التقليدية لإيشوم.

(٢) نرچال بتقييد الأشرار يساهم في استكمال معنى الملاحظة (١).

(٣) راجع فيما سبق الأسطر الأولى من النص التي لا نجد فيها إهانة لإيريشكيچال كما يدّعي نرچال.

(٤) (Bibbou).

(٥) (Lugal Soula).

(٦) وهي البوابة التي خرجت منها عشتار بعد نزولها إلى العالم السفلي.

(٧) (Aya) هي قرينة الإلّه الشمس وهي تجتاز معه العالم السفلي وتشرق معه خارجة منه.

(٨) (Shamash) الإلّه الشمس.

(٩) هذا الميت المكرّم، هو على الأرجح الملك سنحريب الذي انتصر على بابل وهدمها عام ٦٨٩ ق. م، والذي كان الحزب الوطني الآشوري يتغنّى دوماً بذكراه.

(١٠) الإلّه (Assur) ملك الآلهة الذي حل محل مردوك إلّه بابل في بطولة التكوين والخلق.

وعملاً بنظام كهنوته [عهد] إليه آشور مراسم الاحتفال بعيد «معبد ـ السنة ـ الجديدة للحقول»[1] [حيث أوجد (؟)] بستاناً زاخر الوفرة كما هو لبنان[2]. . . .

والذي من أجله تمّ اتخاذ القرار[3] بأن يقوم الآلهة يبرو[4] وهومبا[5] ونافروشو[6] بحماية شخصه والمحافظة على ذريته وإنقاذ جيشه ومعسكره، بحيث لا يتمكن أي عدوّ على عربة، الاقتراب منه أثناء المعركة.

ولكن هذا الآخر[7] والدك، مع أنه في سن النضج (؟)، عالم بكل الأشياء ويمتاز بإدراك واسع، وهو منفتح على روح المعرفة وهو الذي تفحص خطط تماسك الأرض.

لماذا (؟) لكلمات (شمش) لم يعرْ أذناً صاغية؟[8]، لماذا تجاوز الممنوعات وداس على المحرمات؟ ودونما إمهال فإن التألّق الرهيب لملكيته[9]، يقضي عليك (محيلاً إياك) إلى العدم.

«لتبقَ هذه الكلمة في قلبك مثل شوكة. إذهب الآن إلى عالم ما هو فوق إلى حين أتذكرك من جديد!» هذا ما قاله لي. «وعند ذلك استيقظتُ!»[10].

---

(١) هنا إشارة لعيد رأس السنة ولمعبد الأكيتو المقام في الحقول وفيه يتم الاحتفال بانتصار الإلّه آشور.

(٢) سبق أن أشار الكتاب الأول، بأن نشيد الإنشاد التوراتي، هو أيضاً أشَادَ بجمال لبنان (انظر الصفحة ١٩٣).

(٣) يشير هنا النص المعتمد إلى أن المعنى غير أكيد.

(٤) و(٥) و(٦) (Yabrou) و(Houmba) و(Naproushou) آلهة ثانويون لحماية الملك.

(٧) المقصود هو أسرحدون والد الأمير وهو الذي توجّه إليه الرؤيا رسالة التحذير لمخالفة ارتكبها ولدينا هنا أحد أصول رؤيا وتحذيرات أنبياء التوراة في تلقيهم «هواتف» يهوه. . .

(٨) لا نعرف نوع المخالفة لتعليمات شمش التي ارتكبها الملك، وقد تكون حول العدالة بسبب ارتباطها بإلّه العدالة.

(٩) المقصود هو الإلّه شمش.

(١٠) اعتباراً من هذا المقطع، يغلب على النص تدخل راوية غير شخص الأمير صاحب الرؤيا، يعلق على تصرف وحالة هذا الأخير.

(١١٩) ـ إبتهال موجّه إلى نرجال

١ ـ نحن نعلم بأن نرجال، قبل أن يصبح ملك العالم السفلي، كانت له بطولات عديدة، في مجال المساهمة في بناء الحضارة والدفاع عن الآلهة، عندما كان يتعرض مصيرهم للخطر وكان ذلك تحت اسم نينورتا إبن إنليل، فهو الذي انتصر على شعب الحجارة وأخضع الأساكّو[١]، بعد أن كان يعتبر «فلاّح الآلهة» يهتم بالزراعة، بصفته سيد الأرض، وهذا ما يعنيه اسم نينورتا.

وهو الذي انتصر أيضاً على الطائر أنزو[٢] وبنيت له الهياكل لتمجيده في كل مكان.

وأخيراً هو الذي تحدّى رسول إيريشكيچال ولم يعامله باحترام، ولكنه وقع في غرام ملكة العالم السفلي وأصبح ملكاً على هذا العالم تحت تسمية نرچال، بعد اقترانه بها[٣].

٢ ـ وفي عالم رموز السماء، كان نرچال يتمثل في كوكب المريخ ذي الوهج الأحمر الدموي[٤] مثل ما كان الإلّه سين يتمثل في القمر والإلّهة عشتار في كوكب الزهرة.

في الصلوات والابتهالات التي وصلتنا عنه، كان يتمّ التوجه إلى نرچال

---

(١) انظر النص (رقم ٧٩) من الكتاب الثالث.
(٢) انظر النص (رقم ٦٢) من الكتاب الثاني.
(٣) ورد في النص (رقم ١١٥) من هذا الكتاب.
(٤) ورث عنه هذا الرمز إلّه الحرب الروماني مارس، وهي التسمية اللاتينية لكوكب المريخ.

بصفته سيّد مصير البشر والحيوانات. وفي الفصل الثاني من هذا الكتاب، نقدّم عنه نصّاً يُعتبر من روائع القصائد الملحمية. وفي هذا النصّ الملحميّ، فإنّ نرچال هو إيرّا إلّه الحرب والدمار.

٣ ـ وفيما يلي، ومن مكتبة آشور بانيبال نقدّم نصّ هذه الصلاة الموجهة إلى نرچال وأهم ما ورد فيها، أن المصلّي يعتبر نرچال، إلّهاً لجميع البشر وليس لقبيلة واحدة حين يضيف بنفسه تعميم «جميع البشر» إلى تعبير ذوي الرؤوس السوداء، الذي يشير عادة إلى أهل ما بين النهرين. ولا يخلو نرچال في نظر المصلّي من صفات الحلم والتسامح والغفران.

1 رقية ـ أيها الإلّه القوي والسامي، يا بكر نونامنير[١]
رأس الأنونّاكي[٢]، سيد المعارك
وليد كوتوشار[٣] الملكة العظيمة.
أي نرچال، الأقوى بين الآلهة، حبيب نين ـ مينا[٤]
5 أنت ساطع في السموات الطاهرة، حيث
رفيع هو مقامك!
أنت عظيم أيضاً في العالم الآخر
حيث لا مثيل لك!
مع إيا[٥] في محافل الآلهة، رأيك هو السائد
ومع سين[٦] في السموات، أنت تنظر إلى الكون!
إليك أنت، سَلَّم والدك إنليل[٧] ذوي
الرؤوس ـ السوداء الذين هم جميع البشر[٨]

---

(١) (Nunamnir) لقب الإلّه إنليل والد نرچال.
(٢) (Anunnaki) هنا آلهة ما هو ـ تحت بالتقابل مع الإيجيجي آلهة السماء.
(٣) (Koutoushar) تسمية الإلّهة أم نرچال.
(٤) (Nin-Menna) لقب الإلّهة ـ الأم أو أحد أسمائها.
(٥) (Ea) إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع.
(٦) (Sin) الإلّه القمر الأكادي.
(٧) (Enlil) سيد مجمع الآلهة.
(٨) انظر التعليق في نهاية تقديم النص.

10 وماشية شاكَان[١] والحيوانات في تحركاتها
عهد بها إليك!
أنا فلان، ابن فلان، خادمك،
بما أن غضب الإلّه والإلّهة[٢] تسلّط عليّ،
فالضياع والخراب دخلا بيتي،
وصلاتي، دونما استجابة، حَرَمَتْني من النوم!
15 بما أنك يا إلّهي فائق الحِلْم، نحو ألوهيتك استدرت،
ولأنك تعرف كيف تغفر، فتّشت عنك.
ولأنك تنظر بعين العطف، تأمّلت وجهك،
ولأنك رحيم، أنا هنا واقف أمامك!
أنظر إليّ برفق، استمع لصلاتي!
20 وليهدأ قلبك من أجلي إذا ما كان غاضباً،
حلّ خطاياي وأخطائي، (بدّد) تقصيري!
وليهدأ دونما تأخير غضب ألوهيتك ضدّي
وليعاملني بمحبة الإلّه والإلّهة المنفعلين
وأنا سوف أبلّغ عن عظمتك
وأنشد تسابيحك!

---

(١) (Shakan) إلّه الماشية.
(٢) هما الإلّه والإلّهة الشخصيين للمصلي أو المَلَكين الحارسين، وهما في معتقدات ما بين النهرين اللذان يتوسطان للمصلّي أمام كبار الآلهة.

(١ ـ ٣) ـ البعث والحياة الأبدية

١ ـ فرّقنا في الفقرات الأولى من هذا الفصل، بين موت الآلهة وموت البشر. وعرفنا أن إلّهاً مثل دوموزي/تمّوز، كان يموت في فترة نوم الطبيعة الدوري، ويبعث من جديد مع خضرة الربيع وكأنّه تحرّر من سجنه في العالم السفلي، ورغم يقين البشر بخلود الإلّه فلم يحلْ ذلك دون قلقهم بانتظار عودته. وقلنا إن نواحاً وطقوساً وتقدمات معيّنة كانت ضرورية لهذه العودة أو لهذا البعث.

٢ ـ أما فيما يتعلق بالبشر، وأبرز ما يلخص طبيعتهم المزدوجة، الترابية (الصلصالية) والروحية، هو امتزاج الصلصال بدم إلّه لخلق البشر، مما جعل البشر يبقون دوماً أحياء بعد موتهم لأن دم الإلّه، كما يقول النص «أضاف روحاً إلى البشر». ونعتقد أن إعادة قراءة الفقرتين (ب: ٤ و٥) من تقديم الفصل الأول من هذا الكتاب تبقى مفيدة لمتابعة تدرّج هذا العرض ولتحاشي التكرار. وما يهمّنا هنا، هو تعرّفنا بواسطة النصوص على الاعتقاد بروحٍ أساسها إلّهي تستمر بعد الموت.

ويمكننا التساؤل، فيما إذا كان مفكرو ما بين النهرين، وهم الذين ابتدعوا فكرة التناظر بين عالمي ما هو فوق وما هو تحت، بين عالم السماء والعالم السفلي، وكلاهما بالنسبة لعالم الأرض هو عالم آخر ـ يمكننا التساؤل إلى أيّ حدٍّ أسهموا في إرساء بدايات الفكر الديني كما عرفناه فيما بعد حياةً وموتاً وبعثاً أو قيامة.

٣ ــ حين كان الأمر يتعلق بالآلهة، فإن عالم السماء، كان مقرّ الإيجيجي[١] آلهة السماء وكان العالم السفلي مقراً للأنوناكي[٢]، وكل من هذين العالمين كانت له أنظمته الخاصة واجتماعاته. وكان هناك اتصال بين العالمين عبر «ثغرةٍ» في سطح الأرض دخلت وخرجت منها إنانا/عشتار[٣]. كما أنّ رسول العالم السفلي كان دائم التنقل بين هذين العالمين، وكذلك نرجال قبل أن يستقر فيه[٤] وبصدد التناظر بين العالمين، من المفيد الإشارة إلى أن لعالم السماء سبع طبقات أرفعها سماء الإلّه آنو وللعالم السفلي سبعة أبواب، تحرّرت إنانا/عشتار من جميع مظاهر سلطتها حين ولجتها. وفي ذلك إشارة إلى أن ولوج العالم السفلي كان يعني الخضوع لسلطته ونظامه.

٤ ــ أما عن مصير البشر في العالم السفلي بعد موتهم، نذكّر بأن النص (رقم ١٠٦/السطر ١٦٣) أعلمنا عن وجود قضاة سبعة في ذلك العالم، كما اتضح، وفقاً لما نقله أنكيدو لجلجامش، حين سُمح لشبحه بالخروج منه للقاء صديقه وسيّده (النص رقم ١١٧)، اتضح لنا، أن الأموات كانت تختلف معاملتهم في العالم السفلي وفقاً لما كانت عليه حياتهم الأرضية. وتراوحت الحالات أو المعاملات التي عددها النصّ، بين حدّين طَرَفِيَيْنْ الأجمل منهما هو «سماع الموسيقى برفقة الآلهة» وأتعسهما هو مصير من تركت جثته في الصحراء ولم يدفن «فشبحه لا يعرف الراحة». ويمكننا القول أننا بحسب النصوص المتوافرة، شهدنا عذاباً ولم نشهد تعذيباً في العالم السفلي. وعلى الرغم من أن شياطين هذا العالم، عذّبوا دوموزي باللّكم والكدم والتقييد، حين قبضوا عليه، فإننا لم نشهد أي تعذيب له بعد نزوله إلى العالم السفلي حيث استقر فترة لكي يبعث فيما بعد، كما أننا لم نعثر على نصّ يصف استقراره الموقّت والدوري في عالمه السفلي. وقد لا نعثر على مثل هذا النص على اعتبار أن موت دوموزي/تموز وبعثه يمثّل سراً من أسرار الطبيعة في أعجوبة نومها واستفاقتها. وعلى العكس من ذلك، ففي قصّة صعود الحكيم أدابا إلى سماء الآلهة، كما ورد في النص (٧٣) من الكتاب

---

(١) (Igiggi).
(٢) (Anunnaki).
(٣) النصان (رقم ١٠٦ و١١٤).
(٤) النص (رقم ١١٥).

الثاني، فإننا نجد دوموزي وقريبه جيّزيدا واقفين أمام بوابة إلّه السماء آنو: يفرحان لأن بشرياً لبسَ ثياب الحداد بسبب موتهما على الأرض، ثم يحضران محاكمة أدابا ويدافعان عنه.

الملاحظات المدرجة أعلاه، أرادت إبعاد العالم السفلي، عن التبسيط الذي أراد أن يجعل منه مقراً لأشباح أو أرواح جميع الأموات دون أي تباين في المعاملة وبصرف النظر عمّا عمله المتوفى في حياته الأرضية، وفي ذلك بداية لنوع من الحساب سوف تتوضّح أكثر فأكثر مع تطور الفكر الديني في ما بين النهرين، الذي لم يعرف كما عرفت مصر الفرعونية حساب الميت ومحاكمته في العالم الآخر في عملية وزنِ «صدْقِ قلبه»، حين كان يؤتى بالمتوفي أمام القاضي أوزيريس[١] تحيط به إيزيس[٢] ونفتيس[٣] ويترأس المحاكمة أحياناً رع[٤] القاضي الكبير وأمامه قضاة مساعدون عددهم ٤٢ قاضياً. كان أنوبيس[٥] هو الذي يُدخل الميت أمام القضاة، بينما يوضع قلبه على كفّة ميزان وماعت[٦] إلّهة الحق والعدالة أو الريشة هي على الكفة الثانية. وكان الإلّه تحوت[٧] يراقب عملية الوزن ويسجل النتيجة التي ستقرر مصير الميت.

وفي سياق هذه المحاكمة، كان المتوفى، يتلو اعترافاً سلبياً على شكل: «أنا لم أعمل...، أنا لم أرتكب...، أنا لم أجدّف...». ثم يتلو بعد ذلك اعترافاً ثانياً متوجهاً على التوالي إلى كل من القضاة والمساعدين مثال: «أيها القاضي فلان، أنا لم أقتل أحداً»، أو «أيها القاضي فلان، أنا لم أكن أصمَّ أمام كلمات الحق... إلخ...» وكانت تقف قرب الميزان «الملتهمة»، وهي وحش رهيب عبارة عن مزيج من تمساح وأسد، وفرس بحر، تنتظر النتيجة لتنقضّ على الميت، إذا ما كان الحكم أو «الوزن» في غير صالحه. وخلافاً لذلك، وعندما يكون الميت «صادق الصوت» مثل أوزيريس، فإنه يستحق الحياة والسعادة في

---

(١) (Osiris).

(٢) (Isis).

(٣) (Nephthys).

(٤) (Rê).

(٥) (Anubis).

(٦) (Maat).

(٧) (Thot).

نحن نعلم، أن فكرة المحاكمة الإلّهية، التي كانت تنتظر الميت على عتبة العالم الآخر ظهرت منذ فترة حكم الدولة القديمة (٢٧٨٠ ـ ٢٢٨٠) ق. م، وارتبطت بأقدم مفهوم للفكر الديني المصري، الذي كان له أكبر الأثر في تطوير الفكر الديني في منطقتنا وفي العالم الهلنستي فيما بعد. ومردّ هذا التطور يعود إلى أن أوزيريس، في العقلية المصرية القديمة، لم يكن فقط يجسّد «روح الحَبّ» (نفري) و«روح الماء» النيلي المخصب حامل الطمي والذي كان اقترانه مع إيزيس إلّهة الخصب الكونية يرمز إلى إحياء التربة السوداء (تربة مصر) وإخصاب الأرض بكاملها. ولكن أوزيريس، كان بالإضافة إلى ذلك، الملك الطيّب والخيّر، الذي لم يكتفِ بأن يكشف للبشر النباتات الغذائية والنسيج وفن الزراعة والريّ، ولكنّه علّمهم ـ في الوقت نفسه بموته وتقطيعه وإعادة تشكيله في «جسدٍ أبديّ» لا يعرف الفناء، لأنه الإلّه المحسن والخيّر والطيّب والمستقيم والعادل الذي يمثّل الخير والحق في تناقضه مع عدوِّهِ (سيت) إلّه الجفاف والقحط ممثِّل الشر والكذب ـ علّمهم كيف يمكن الانتصار على الموت. ومن هنا يمكن تتبّع تطوّر المعتقدات القديمة بقوى الطبيعة وتقديسها ومن ثم إعطائها الأشكال البشرية (الأنتروپومورفية) التي تعرّفنا بواسطتها على آلهتنا. ومن موت الإلّه وبعثه وبشكل خاص، من قبوله الموت لكي يعود الربيع وليستمر غذاء البشر الأرضي؛ نشهد الانتقال التدريجي إلى استمرار الغذاء الأخلاقي، المناقبي والروحي المنقذ للبشر بحيث أمكن تحوّل «ديانة الطبيعة» إلى ديانة «خلاص»، و«فداء».

٥ ـ وفي عودة إلى ما بين النهرين، نجد «جلچامش»، يُعيَّنُ في نص سومري يشير إلى موته، يُعيّن كبيراً لقضاة الأموات في العالم السفلي، نظراً لأعماله الأرضية المجيدة. وفي ملاحظة أخيرة، يمكننا القول بأن تأليه بعض الملوك والأبطال بعد موتهم، كان يعني، الحكم من قبل نظام أرضيّ يمثّل السماء على أعمالهم ومنجزاتهم. وقد تضمنت أخبار مثل هذا التأليه، لائحة ملوك سومر لما قبل الطوفان وللأزمنة التاريخية التي تلته[١] إذ عدّدت أسماء ثلاثة ملوك، مضيفة أمام اسم كل منهم رمز الألوهية. هؤلاء الآلهة هم: دوموزي[٢]

(١) تعود هذه اللائحة إلى بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد.
(٢) (Dumuzi) ومعناه الإبن الشرعي (للأبسو).

ولوچال باندا[1] وچلچامش وهو الملك الخامس في ملكية مدينة أوروك. وحدهم هؤلاء الملوك الذي لم يعد يشك اليوم بوجودهم التاريخي، وحدهم من بين حوالى ١٥٠ اسماً حملوا رمز الألوهية. يذكّرنا تأليه هؤلاء من قبل المؤسسة الدينية لذلك العصر، بتطويب الصالحين وتصنيفهم في عداد القديسين من قبل كنيسة الأمس واليوم.

٦ ـ أما عن أول بوادر الفصل في مصير الأموات بين عالم السماء والعالم السفلي، جاء في الإشارة من ضمن النص (رقم ١١٧) عن وصف أنكيدو للعالم السفلي، إلى مصير «روح» من مات حرقاً بإلقائه في النار، إذْ تصعد روحه مباشرة نحو السماء، تماماً مثل رائحة الأضاحي المُحْرَقَة أو بخور التقدمات. وقد يكون لذلك علاقة بدور النار كعنصر للتطهير في المفهوم السومري ـ الأكادي بواسطة كل من الإلَهيْن جيبيل[2] السومري وجيرّا[3] الأكادي وهما إلَها النار المطهِّرة.

نحن نعلم أيضاً بأن الحكيم أدابا[4] حين استُدْعِيَ إلى سماء الإلَه آنو لاستجوابه، كان من المحتمل أن يُحظى بالحياةِ الأبدية ويبقى إلى جانب الآلهة في السماء ولكنه، لم يوفّق إلى ذلك، لأنه اتبع بحذافيرها، تعليمات إلَهه الموجّه الذي حال دون ذلك.

٧ ـ لم يتوزّع العالم الآخر إلى عالمين، هما عالم العقاب والعذاب أي جهنم أو النار للأشرار والخاطئين، والنعيم أو الجنّة، وهو عالم الأبرار والصالحين، إلا فيما بعد. وحدث ذلك بنتيجة تطور بطيء جدّاً، لم تكن التوراة اليهودية فاعلة فيه، بل كانت في كل مرة تعمد إلى إضافات وتعديلات لنصوصها لتتلاءَمَ مع تطوّر الفكر الديني عند الغير. ولا بدّ من تكرار الإشارة هنا إلى تأثير الديانة المصرية القديمة، بالدرجة الأولى، على تطوّر الفكر اليوناني، ودور الفلسفة اليونانية وعدم انقطاع عواصم الشرق الأوسط القديم وأهمّها مدرسة الإسكندرية في تطوير الفكر الديني. ولم يتوقّف ذلك خلال فترات المسيحية الأولى إذ

---

(١) (Lugal-Banda) ومعناه الملك الغاضب.
(٢) (Gibil).
(٣) (Girra).
(٤) (Adapa) وردت قصته في الكتاب الثاني، النص (رقم ٧٣).

توزّعت الأدوارَ بين أنطاكية ودمشق وإيديسّا[١] والإسكندرية وغيرها. . .

رَسخت بعد ذلك فكرة بعث الأموات للحساب في يوم القيامة الإجماليّة الشاملة.

٨ ـ أما التوراة اليهودية فقد بقيت إلى زمنٍ متأخر جداً تعتبر «الشيول»[٢] عالماً سفلياً مماثلاً للعالم السفلي البابلي الأرالّو[٣]. وكلمة شيول المجهولة الجذور عبرياً تشير هي أيضاً في التوراة إلى مقر الأموات وتصفه بأنّه الكهف المظلم أو طريق اللاعودة. ولم يكن يهود العهد القديم ينتظرون من إلّههم غير مكافأة الحياة المديدة على الأرض بالنسبة للصالحين. وعقاب الأشرار كان يعني المرض والعقر والموت المبكّر.

والشيول، مملكة الصمت والعَفَر، يترجم في توراة المطبعة الكاثوليكية لعام ١٩٥١ (بيروت) خطأً، بتعبير جحيم قبل أن تَحتَلّ هذه الكلمة معناها المعروف. أما توراة جمعية الكتاب المقدس لعام ١٩٥٠ (بيروت) فقد تبنّت من طرفها تعبير «الهاوية» وهو المعنى الأقرب للعالم السفلي. والشيول هو في الوقت نفسه «عالم الأشباح» وكل ذلك يلتقي مع مفهوم الأرالّو البابلي.

عندما كان أنبياء اليهود يوزِّعون حقدهم على أعدائهم، كانوا يعزّون أنفسهم بالإعلان أن ملك بابل في عالم الأشباح أُنزل إلى الحفرة الأكثر عمقاً. ثم تصوّروا أعداءهم بعد ذلك، كما في الهاديس[٤]، العالم السفلي اليوناني، مقيّدين بسلاسل واعتباراً من بداية القرن الثاني لما قبل الميلاد فقط، وبتأثيرِ التطوّرات المحيطة بها كما أسلفنا، تبنّت التوراة اليهودية فكرة بعث الأموات للحساب ومع ذلك فلم تتمكن من التخلص من عصبيتها الخاصة، «المختارة»:

بدأ ذلك في فترة الاضطهاد خلال حكم أنطيوخوس الرابع السلوقي اعتباراً من عام ١٦٨ ق. م، حين وعد مؤلّف سفر المكابيين اليهود المضطّهدين «بحياة أبدية» بعد الموت، ولكن مع فارق مهمّ لا بدّ من الإشارة إليه وهو أن هذه

---

(١) (Edessa) هي أورفا الحالية.
(٢) (Chéol) أو (Shéol).
(٣) (Arallu).
(٤) (Hades) وهو اسم أيضاً ملك العالم السفلي اليوناني المقابل لنرچال.

الحياة هي لهم وحدهم ولا ينطبق ذلك على الأعداء، إذْ أعلن أحد المضطهدين لجلاّده: «ولكن ملك العالم[١]، إذا متنا في سبيل شريعته فسيقيمنا لحياة أبدية»، وأضاف آخر: «حبّذا ما يتوقعه الذي يُقتل بأيدي الناس من رجاء إقامة الربّ له. أما أنت فلا تكون لك قيامة للحياة».

وحين رسخت فكرة القيامة والحساب بعد الموت تبناها التلْمود ولكنه في الوقت نفسه بشر بمحاكمة الأمم فيما بعد بالنسبة لما عملوه أو لم يعملوه تجاه الشعب «المختار»[٢].

ويتأكد ذلك أيضاً في كتاب الحكمة الذي يعود إلى النصف الأخير من القرن الأول ق. م، والذي يعتبر أنّ نفوس الصدّيقين لا يمسّهم العذاب... فقد قبلهم الرب كذبيحةِ مُحرقه وهم «في وقت افتقادهم يتلألؤون ويدينون الأمم ويتسلّطون على الشعوب، ويَمْلُكُ ربُّهم إلى الأبد» (الحكمة ٣: ٨).

٩ ـ في بدايات المسيحية استمر استعمال تعبير «هاديس» ونادراً «شيول» للتعبير عن مقر الأموات بصرف النظر عن الاستحقاق باستثناء السيد المسيح لأنّه «لم تترك نفسه في الهاوية، ولا رأى جسدُه فساداً. فيسوع هذا أقامه الله، ونحن جميعاً شهود لذلك» (أعمال الرسل ٢: ٣١ و٣٢). وغالباً ما استعملت الهاوية أيضاً كمكان تعذيبٍ يستقر فيه الأشرار. وحتى المدن التي لم تلبِّ نداء التوبة حكم عليها الإنجيلي متّى بالهاوية مثال كفرناحوم (متّى ١١: ٢٣) و(لوقا ١٠: ١٥). وفي إنجيل لوقا نرى الفقير المحروم يُحمل إلى حضن إبراهيم بعد موته، أما الغنيّ الذي لم يتصدّق عليه حتّى بفتات مائدته وَجَدَ نفسه في هاوية العذاب (إنجيل لوقا ١٦: ٢٢ و٢٣).

١٠ ـ النقاط المدرجة أعلاه، والتي لا تقدِّم لنصوصٍ قديمة ترتبط بها، كان من شأنها سوق عرضٍ سريع لتطور فكرة البعث بعد موت البشر بانتظار حسابٍ كَمُنَ أساسه في الإيمان بخلود الروح. وكان لا بدّ لإنسان ما بين النهرين من إقرار مصيرٍ لها، بعد موت الجسد، وذلك بدلالة مدى اتّباعه لقيمٍ رَسَخت

(١) المقصود هو يهوه.
(٢) راجع كتاب «الكلمة الصافية» لقاسم الشواف (ص ١٥٠ ـ ١٥٦). منشورات دار الأجيال بدمشق ١٩٦٩.

وبناها تطور الفكر الديني في مجتمعاتنا القديمة، التي لم تَتَخلَّ يوماً عن التطلّع نحو السماء، في محاولة التعرّف إلى الطرق المؤدّية إليها.

ومع التوضيح بأن استعراض النقاط أعلاه، كان الهدف منه، الإشارة إلى معالم طريق يرتسم أمامنا بمجرد التطرّق إلى موضوع البعث بالنسبة للبشر، لا بدّ لنا الآن من العودة إلى موضوعنا الأساسي، بعد أن تعرّضنا لدورية موت الإلّه وعودته أو بعثه، لنطرق موضوعاً إنسانياً محرِّكاً للمشاعر، يتمثل في محاولة البشر رفض الموت وذلك بالتفتيش عن سر الحياة الأبدية. ويمكن القول بأن هذا الاتجاه الرافض للموت كان، كما يحلو لنا أن نفترض، سابقاً لقبول هذا الموت كقدرٍ كُتِبَ على البشر. وهذا القبول الاضطراري، وازنه أملٌ ببعثٍ لحياةٍ أبدية في عالم آخر، عبّر عنه إنساننا القديم عِبْر تطور معتقده الديني ولكنّه قبل ذلك، وقبل السعي لإنقاذ روحه في العالم الآخر، سعى مع بطلنا المعروف چلچامش إلى إنقاذ جسده من موت قيل له أكثر من مرة بأنه مصير البشر الحتمي، ولكنه استمر في سعيه. وهذا ما ستقدمه لنا ملحمة چلچامش وهي إحدى روائع الأدب الإنساني التي حملتها إلينا تربة ما بين النهرين.

١١ ـ وقبل عرض ملحمة چلچامش في سعيها الأوّلي للانتصار على الموت نتابع الفقرة الأولى من هذا الفصل عن موت دوموزي/تموز وبعثه محاولين استكماله بما يتعلق بعودته. وبما أن مردوك بطل التكوين والخلق أصبح منذ مبايعته وانتصاره، الإلّهَ الوحيد الممثل لجميع الآلهة وهو ذو الأسماء الخمسين[١]، فإن مردوك هو أيضاً مثل تموز، يموت ويبعث، واحتفالات رأس السنة في بابل وغيرها من المدن هي التي سوف تسرد لنا قصة موت الإلّه وبعثه. وأكثر من ذلك فإنها سوف تطلعنا على أهم مساهمة رسمية وشعبية عرفتها بلاد ما بين النهرين لكي يتحرّر الإلّه من سجنه ولكي ينتصر من جديد على فوضى «العماء» وتتجدّد قوى الطبيعة ولكي يتقرّر للبلاد المصير الملائم.

وهكذا فإن الفقرات أعلاه تسمح لنا بتقديم النصوص التالية:

---

(١) ورد في الكتاب الثاني النص (رقم ٥٥).

رقم النص	العنوان
(١٢٠) ـ	عودة دوموزي/ تموز
(١٢١) ـ	موت مردوك وبعثه المظفّر
(١٢٢) ـ	چلچامش والحياة الأبدية
(١٢٣) ـ	موت چلچامش
(١٢٤) ـ	الملك شولجي يفاخر بچلچامش
(١٢٥) ـ	چلچامش ودوموزي
(١٢٦) ـ	صلاة موجهة إلى چلچامش
(١٢٧) ـ	أين هم أبطال الأزمنة القديمة
(١٢٨) ـ	كاتب متمرن يبتدع رسالة على لسان چلچامش

(١٢٠) ـ عودة دوموزي/تموز

١ ـ قدّمت الفقرة (١ ـ ١) نصوصاً عدّة سومرية عن موت دوموزي والبكاء عليه من قبل المقربات إليه: أمّه سيرتور[١] وأخته جيشتينانّا[٢] وقرينته إنانّا.

وقد تعرّفنا من ضمن النصوص المقدّمة أعلاه على كثير من التفاصيل المتعلقة بملاحقة دوموزي من قبل شياطين العالم السفلي ومحاولات هربه من ملاحقيه والقبض عليه.

كما شهدناه مسجّىً تقوم برثائه والنواح عليه النساء الثلاث اللّواتي رافقن حياته؛ ومن وقت لآخر، وفي تلك النصوص، كنّا نُبَشَّر ببعثه أي بعودته وبدورية موته وبعثه من جديد في كل سنة. إلا أن النصوص السومرية التي وصلتنا عن موت دوموزي، لم ترو لنا كيف كانت تستقبل عودته. ويمكننا القول، بأنه حتى يومنا هذا لا تزال تنقصنا النصوص التي تروي موت تموز وبعثه على الرغم من انتشار عبادته في كامل منطقة الهلال الخصيب. ويمكننا التساؤل إذا كان ذلك عائداً لصدف الحفريات والمكتشفات الأثرية أم أن الأفراح التي كانت ترافق بعثه كانت تُعبِّر عنها الطقوس والمشاركة الشعبية وقد لا نعثر بصددها على نصوص خاصة.

والإلّه الذي ترك لنا إسمه في شهر «تموز» وأصبح مثل بعل الأوغاريتي، «سيّدَ الأرض» والمزروعات التي، حين يحرقها حرّ الصيف، كان ينزل إلى العالم

---

(١) (Sirtur).

(٢) (Geshtinanna).

السفلي، ليعود منه مع خضرة الربيع. خلال هذا الشهر، كان يطلق النواح لموته حتى أن حزقيال التوراتي، في رؤياه حول معبد أورشليم وهو من مرافقي السبي في عام ٥٩٨ ق. م، رأى وهو على نهر الخابور، على «مدخل باب بيت الرب، الذي من جهة الشمال» رأى «نسوةً جالسات يبكين على تموز»[١] واعتبر ذلك رجاسةً ارتكبها بنو إسرائيل الذين ملأوا بيت الربّ بأصنام وصُوَر آلهة الرجاسة، ومن بينها تمثال الغيرة وهو تمثال الإلّهة عشتروت الذي «يؤجّج غيرةَ يهوه»[٢]، واعتبروا أن «الرب لا يرانا، لأن الرب ترك الأرض»[٣].

٢ ـ وبسبب نقص النصوص حول عودة دوموزي/ تموز، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه فإننا سنَسْتعرض فيما يلي مقتطفات النصوص السومرية السابقة التي وعدتنا بتلك العودة ويمكن للقارئ استكمالها بما يمكن التعرّف إليه من نصوص عن كل من بعل الأوغاريتي ثم أدونيس الفينيقي والهلنستي فيما عَرفنا عنه في كلّ من بيبلوس وأثينا والإسكندرية. ونلفت النظر في الوقت نفسه إلى احتواء النصوص الأوغاريتية على إخبار جفاف وقحط سبّبهما موت بطل ملحميّ شاب هو أقْهَتْ[٤] كان صيّاداً وامتلك قوساً من صنع الآلهة. ونشير كذلك إلى أخبار الجفاف الذي أصاب مملكة كيريتْ[٥] بسبب نسيانه الوفاء بنذره.

---

(١) حزقيال (٨: ١٤).
(٢) حزقيال (٨: ٣).
(٣) حزقيال (٨: ١٤).
(٤) (Aqhat).
(٥) (Keret).

(١٢٠) ـ عودة دوموزي/تموز

نستعرض هنا كل ما يشير إلى عودة دوموزي/تموز وبعثه كما ورد ذلك في النصوص السابقة:

* چلچامش متوجهاً إلى عشتار:

من أجل تموز حبيب صباكِ
فقد عيّنتِ له أن يُرثى سنة بعد سنة[(١)]

* إنانا مُحاوِلةً تطمين دوموزي حول مصيره الدوري:

من أجلكَ أنْتَ، سوف يكون ذلك خلال
نصف سنة فقط، ولأختك النصف الآخر!
[عندما يطلبونك] سوف يستولون عليك
وعندما يطلبون أختك سوف يستولون عليها.
وهكذا جعلت إنانا المقدّسة،
من دوموزي بديلاً عنها![(٢)]

* إنانا تقرر طقساً يُعدّ لاسترجاع دوموزي وبعثه في البادية:

في كل مرّةٍ، من أجل (روح) دوموزي الفتى،

---

(١) عن النص (رقم ١٠٥) الأسطر (٤٦ و٤٧).
(٢) عن النص (رقم ١٠٦) اعتباراً من ٣٩٠.

يُسكب الماء وينثر الطحين
سوف يصرخ شيطان البادية وروحها[1]
(قائلاً): «إِسكبوا أكثر فأكثر!
أنثروا أكثر فأكثر!»
وبذلك سيمكن إرجاعه إلى البادية
حيث تم اختفاؤه
وهكذا سوف يُسترجع (دوموزي) إلى البادية
حيث تمْ اختفاؤه،
وبيلولو تشفي غليل قلبه![2]

* إنعكاس الاحتفاظ بعشتار في العالم السفلي على عالم الأحياء:

... عندما كانت عشتار [هكذا
سجينة في العالم السفلي]
فإذا بالثور، لم يعد ينزو على البقرة
وأي حمارٍ لم يعد يخصب أنثاه
وأي رجلٍ لم يعد يحبّل امرأة على هواه
كل رجل كان ينامُ منفرداً في غرفتهِ
وكل امرأةٍ تذهب لتبيت في ناحيةٍ أخرى![3]

* إيريشكيجال تأمل بتسليمها تموز عوضاً عن عشتار، طالبةً منه توديع مباهج الحياة:

فيما يختص بتموز، عشيق حبّها الأول
دعْه يغتسل بماءٍ صافٍ ويتدلّك بالطيوب
وليرتدِ لباس الأبهّة:

---

(١) هو ابن بيلولو القديمة جيرجير الذي حولته إناثاً إلى شيطان وروح البادية، مثلما حولت بيلولو إلى قربة ماء.
(٢) عن النص (رقم ١١٠) اعتباراً من السطر ١١٥.
(٣) عن النص (رقم ١١٤) الأسطر (٧٦ ـ ٨٠).

ويدق بالمقرعة الزرقاء
وتملأنّ بنات الهوى قلبه بهجةً!»[1]

* الوعد بعودة تموز:

عندما سوف يصعد تموز
سوف تصعد معه المقرعة الزرقاء
والحلقة الحمراء!
وسوف يصعد لمواكبته النائحون والنائحات عليه
وحتى الأموات سوف يصعدون
لاستنشاق روائح التبخير الزكية[2]

---

(١) المصدر نفسه، الأسطر (١٢٨ ـ ١٣٠).

(٢) عن النص (رقم ١١٤) الأسطر (١٣٦ ـ ١٣٨). مع الإشارة إلى أن هذا المقطع لا يوحي بالأفراح التي يجب أن ترافق صعود تموز من العالم السفلي ولا بدّ من التعمّق في دور المقرعة الزرقاء والحلقة الحمراء.

(١٢١) ـ موت الإله مردوك وبعثه المظفّر في عيد رأس السنة

تقديم

١ ـ عيد رأس السنة في بابل، هو بدون شك العيد الذي كانت تجتمع فيه مكثّفةً ومُستعادَةً جميع معتقدات ما بين النهرين، وكانت تتم خلاله عودة للبدء، للزمن الذي كانت فيه قوى الطبيعة قادرة على الخلق، وذلك بقصد التجديد والتغلب على ما هزل وتهرّأ، لإقامة عالم تكوّنه من جديد وتقرر مصيره إرادة إلّه واحدٍ هو مردوك، تسير وراء نصره، آلهة البلاد مبايِعَة والمملكة بكاملها مبتهجةً ومهلّلة وآملةً بتحقيق الأفضل.

٢ ـ منذ الفترات القديمة، كان عيد رأس السنة في ما بين النهرين، المناسبة التي تتمثّل من خلالها جميع تيارات الفكر الديني ويُعبَّر فيها عن مختلف مظاهر الشعور الديني. وبصورة عامة، فقد كانت الغاية من الأعياد، هي المحافظة على التوافق مع الطبيعة، وهذا التوافق كان ضرورياً ولا غنى عنه لتأمين حياةٍ اجتماعية زاهرة وخصبة. ومهمّة الملك، كانت تهدف باستمرار للتوصل إلى هذا التناغم. عيد رأس السنة هو المناسبة الأكمل للتعبير عن ذلك، بواسطة «تصعيد» الشعور الديني وكأنه طيب روائح تَقْدِمةٍ بخوريّة، تسمو نحو الآلهة. كما كان يعني بشكل خاص تجدّد الامتلاء بالإيمان والأمل، بأن الإلّه حاضر يقوم بدوره وأن مساهمة الشعب الفعلية في الاحتفالات في سيره وراء الملك، مُمثِّلُهُ أمام الآلهة، كان من شأنها دعْم هذا الشعور وخلق جوٍّ من التفاؤل، بمجرد الإيمان بقدرته على الوقوف مع الإلّه أو الآلهة لتحقيق هذا التوافق مع الطبيعة في وحدةٍ

عناصرها: الكون والآلهة والملك والشعب، فينتج عنها المصير المرجوّ بحيث تجزل الطبيعة عطاءها وتعم الوفرة في البلاد وتنمو في القلوب الكبرياء.

٣ ـ أبطال عيد رأس السنة، هم إذن الآلهة أولاً، ولكن للملك دوره الهام، إذ إن بعض الطقوس لا يمكن أن تتم إلا بمساهمته أو بحضوره. كان الملك يتلو بعض الصلوات ويستقبل الآلهة ويقود المسيرة الرسمية وخلفه الشعب. ومع أن دوره ومساهمته اختلفت أهميتهما مع الزمن، ومن مدينةٍ لأخرى، إلا أنه كممثلٍ للشعب وكساهرٍ على مصالحه وكمسؤولٍ أمام الآلهة، كان له دوْر المنفِّذ، وكان عليه أن يرتقب من الآلهة كلّ إشارة تدلّ على الرضى ضماناً لتقرير المصير الملائم.

٤ ـ التعبير السومري الذي كان يعني رأس السنة هو زاج ـ موج[١] والتعبير الأكادي للمعنى نفسه هو أكيتو[٢] وأصل هذه الكلمة ليس أكادياً، ولكننا نعلم أنها كانت تعني الاحتفال بالبداية الجديدة للدورة السنوية. وخلال الفترة السومرية الحديثة حوالى (٢١٠٠ ـ ٢٠٠٠) ق. م، كان الاحتفال يسمى أكيتي[٢]، وكان يقام في كل من أور ولغش[٣] مرتين سنوياً. الأولى في بداية الربيع والثانية في مطلع الخريف ويلتقي ذلك مع الاهتمامات الزراعية. وأصبح الربيع في الفترات اللاحقة وحده ممثلاً لبداية الدورة السنوية واحتفالات رأس السنة، وبشكل خاص في بابل.

٥ ـ وكما أشرنا إلى ذلك أعلاه، فإن تبدّل الفصول في ما بين النهرين وعُلوية هذا التبدّل كانا يسوّغان لدى المحتفلين فكرة العودة إلى زمن البدء حيث كانت قوى الطبيعة في أوج فاعليتها تكويناً وخلقاً. ولا غرابة إذن أن يذكِّر تجدّد السنة بعملية التكوين والخلق وببطلها الإلّه مردوك في يوم انتصاره، وأن تعاد تلاوة قصيدة التكوين والخلق[٤] من خلال احتفالات رأس السنة في بابل. وهذه

---

(١) (Zag-mug) التسمية السومرية خلال الفترة السومرية القديمة الثالثة والملكية الأولى في مدينة لغش (Lagash) حوالى (٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٠) ق. م وكان الاحتفال مكرّساً للإلّهة بابا (Ba-Ba) أم لغش.

(٢) (A-Ki-Ti).

(٣) (Ur) و(Lagash).

(٤) وردت في النص (رقم ٥٥) من الكتاب الثاني.

التلاوة في بداية الاحتفالات وضمن جدران المعبد، كانت تعني التأثير على مجرى الأحداث بتحرير القوى الفاعلة ووضع رأس السنة الجديدة على مسارٍ ملائم.

٦ ـ وبتأثير بابلي طبعاً، فإن التقاليد العبرية تبنت هي أيضاً فكرة الصِلة بين التكوين واحتفالات السنة الجديدة، في تشرين ونيسان، وإن مراسم «روش هاشانا»، أي رأس السنة العبرية، كانت تستوجب تلاوة ما ورد في قصة التكوين والخلق التوراتية مثال:

«لتنتج الأرضُ عشباً
وليحمل العشبُ بذوراً. . .»

ثم يطرح السؤال:

«في أي شهر حدث ذلك؟»

والجواب هو:

«في تشرين في فترة سقوط الأمطار»

وليس من الصدفة في شيء أن يجيب التلمود على السؤال نفسه معتمداً شهر نيسان، عندما تنبثق من الأرض النباتات الجديدة، مما جعل أحد الأحبار يعتبر أن التكوين قد تحقق في نيسان، كما أن حبراً آخر يعتبر أن ذلك تمّ في تشرين.

٧ ـ لقد كان انتظار تفتّق الربيع وعودة الطبيعة إلى حياتها الفاعلة، يرافقه في ما بين النهرين، قلق الإنسان المنتظر لهذا البعث وعدم تأكده في كل مرة أن ذلك سوف يحدث. ولذا كان يتمّ التعبير عن هذا القلق بنواحٍ وبمرثيات تبكي الغياب، غياب المياه المتدفّقة في النهر وغياب الحبّ في الحَقول ينتظر تفتُّقه والأسماك في الأهوار كي تتكاثر والقصب الجديد في منابت القصب. . . كل ذلك عبرت عنه المرثية التالية[1]:

مرثاة من أجل من هو بعيد، لا يستطيع المجيء،
مرثاة من أجل ولدي لا يستطيع المجيء،

---

(١) عن النصوص المسمارية في المتحف البريطاني (الجزء ١٥، اللوحة ٢٦).

من أجل داموِ[1] الذي هو بعيد
من أجل كاهني چودا[2] الذي هو بعيد،
مرثاة إلى الأرزة المقدّسة، حيث ولدته أمّه،
مرثاة (آتية) من الإيانا[3] [معبد الإلّهة ـ الأم في أوروك]
معبد ما هو فوق وما هو تحت،
لأنه لا يستطيع المجيء.
مرثاة المعبد لإلّهه، لأنه لا يستطيع المجيء!
مرثاة المدينة لسيّدها، لأنه لا يستطيع المجيء!

هذه المرثاة هي حقاً من أجل قرون الفول،
وأرضيات البساتين التي لا تستطيع إنباتها!
هذه المرثاة هي حقّاً من أجل القمح، (من أجل) التَلم
لا يستطيع تحقيق ولادته!
إنّها حقّاً من أجل القرين الذي قضى، من أجل
الإبن الذي قضى [. . .]
لا يستطيع تحقيق ولادته!
هذه المرثاة هي حقّاً من أجل النهر القوي
لا يستطيع تحقيق تدفق مياهه!
هذه المرثاة هي حقّاً من أجل الحقل،
لا يستطيع تحقيق ولادة الـ [. . .]
هذه المرثاة هي حقّاً من أجل الهور
لا يستطيع تحقيق ولادة الأسماك!
هذه المرثاة هي حقّاً من أجل الأجمات، من أجل
القصب القديم لا يستطيع توليد قصب جديد!

---

(١) (Damu).
(٢) (Guda).
(٣) (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو معبد الإلّهة عشتار في أوروك.

هذه المرثاة هي حقاً من أجل السهوب
لا تستطيع تحقيق ولادة [. . .]
هذه المرثاة هي حقاً من أجل الكروم (؟)
لا تستطيع تقديم خمرها العذب (؟)
هذه المرثاة هي حقاً من أجل أرضيات البساتين
لا تستطيع توليد نبات اللاسّو[١] والجرجار
هذه المرثاة هي حقاً من أجل القصر
لا يستطيع تحقيق حياةٍ دائمة!

كل شيء كان متوقفاً وكل شيء كان ينتظر ويرتقب: يرتقب العودة.

٨ ـ وعلى الأساس أعلاه بصدد المرتقب والمنتظر، يجب ألاّ نستغرب أن يتابع سكان ما بين النهرين عن قرب، مراقبة حالة الطبيعة، عندما كانوا يستعدّون لإقامة طقوس التحوّل الكبير، الذي من شأنه إعادة الطبيعة إلى فترة خصبٍ جديدة، بعد أن بكوا على إلّهها الغائب.

ومثل هذه الاحتفالات الشعبية في بكائها على تموز أو مردوك، الإلّه الغائب، كانت ترمز إليها الدولة في احتفالاتها الرسمية برأس السنة حين كانت تعلن بأنّه (أي الإلّه) كان سجيناً في جبل العالم السفلي.

وهذا «الموت» الموقّت، لا يُعتقد بأنه كان يُمثّل إيمائياً كما كان الأمر في مصر بالنسبة لموت أوزيريس، فقد كانت حالة الطبيعة كافية لتأكيد هذا الموت: فالأرياف الجرداء والقطيع الراكن لا عشب أمامه، . . . كل ذلك دلالة على غياب الإلّه أو موته، أو على أقلّ تعديل عدم قدرته على التأثير في الطبيعة.

٩ ـ من المفيد الإشارة بصدد احتفالات الأكيتو، بأن الطبيعة والمجتمع (الشعب)، كان لهما تأثيرهما الواحد على الآخر، وأن حُزن الشعب، كان متناغماً مع حزن الطبيعة وفراغها. وعلائم الحزن والأسى الشعبيْين، كانت تصل إلى حدود قصوى من الشعور الحقيقي، مما يجعلها في أساس الاحتفالات الشعبية، التي بدونها، وبدون هذا الزخم العاطفي لم يكن بإمكان الفرح أن

---

(١) (Lassu).

يتفجّر، عندما يتحرّر الإلّه ويُبعث من جديد، فتعلو عند ذلك تهاليل الفرح وكأنها كما في عيد الفصح المسيحي، بعد الصيام وأسبوع الحزن و«الجمعة الحزينة» تشهدُ انفتاح بوّابة ذلك القبر حيث دُفن، لتعلن على الملأ، ببهجةٍ تبدِّد الحزن العميق والآلام، لتعلن وعلى الملأ بأنه «حقّاً قام» وصورة القيامة المسيحية، هي أبلغ ما يمكن أن يقال بهذا الصدد، حول رمزية عيد الأكيتو في تحرير السجين وبعثه من الموت. والبعث كان في كل مرّة انتصاراً للحياة، انتصاراً على الموت.

١٠ ـ وبعد أن كان الراثي يعبّر عن غياب الإلّه معدّداً نتائج غيابه على الطبيعة، ها هو فجأة لدى البعث والتحرر يتلو علينا «النهاية السعيدة» بعودة كل شيء:

«حيث لم يكن عشب رعت القطعان
حيث لم يكن ماء، شربت.
حيث لم تكن زرائب، أقيمت زرائب،
حيث لم يكن للقطعان سياج، تمّ جَدْل سياج،
حيث لم تكن مِظلّة قصبٍ، نُصبت مِظلّة».

وفي نهاية مرثية أخرى وضعت على لسان الإلّهة النادبة، بعد أن كانت عدَّدَت كيف أن النهر لم يعد يأتي بالماء، ولم يعد الحبّ ينبت وأن القطعان تتألم. . .، فإنها تعلن العودة كما في المقطع التالي:

«أخي صنع العجائب، صنع أخي العجائب!
[. . . . .]
هذا هو المدّ يغسل الرصيف، إنه صنع العجائب!
[. . .] في منبعه؛ (أخي) عاد إلى مكانه!
أُعلن عن عودته على مدخل البلاد،
إنه يعود إلى مكانه
اقترب من مدخل البلاد، إنه عاد إلى مكانه!»

وبعد هذا الجَنَى المتعدد الأوجه الذي قدّم لعيد الأكيتو نتطرّق الآن إلى ما

عرفناه عن ذلك الاحتفال برأس السنة الذي كان يدوم إثني عشر يوماً في بابل العاصمة. وعن أعياد الأكيتو التي كانت تختلف تفاصيل مراسمها من مدينة لأخرى وبخاصة في آشور بالنسبة لبابل إذْ أعطت آشور دور المنقذ للإلّه آشور عوضاً عن الإلّه مردوك ورمزت إلى قوى الشر باسم الطائر «زو» وهو أساس الطائر أنزو الذي غلبه نينورتا[(١)]... وفي كل الأحوال، فإن محتوى وتسلسل مراسم الاحتفال كانا متشابهين.

وإذا ما أردنا أن نقدّم للقارىء برنامج الاحتفال الذي ندعوه لحضوره، يمكننا فيما يلي، استعراض ما كان يتمّ في أيام الاحتفالات الاثنتي عشر:

١١ ـ برنامج الاحتفالات

الأيام (١ ـ ٤) نيسان:	الاستعدادات للعيد وتطهير الأماكن وبخاصة المعبد.
اليوم الخامس من نيسان:	هو يوم التكفير بالنسبة للملك؛ وتوجّه الشعب نحو الإلّه المتألم (السجين) وحركة متصاعدة في المدينة أثناء التفتيش عن مردوك.
اليوم السادس من نيسان:	وصول عدّة آلهة بالسفينة إلى بابل، ومن بينهم نابو[(٢)] الابن المنتقم لأبيه آتياً من الإيزيدا[(٣)]، وإقامة هيكله في معبد مردوك.
اليوم السابع من نيسان:	نابو يساعده آلهة آخرون يحرر مردوك بالقوة من «جبله» في العالم السفلي.
اليوم الثامن من نيسان:	الاجتماع الأول لتقرير المصير ومبايعة الآلهة لمردوك وتزويده بجميع سلطاتهم فيحصل بذلك على مصيرٍ «لا شبيه له»[(٤)].

---

(١) انظر النص (رقم ٦٢) من الكتاب الثاني.

(٢) (Nabu) الإلّه الإبن.

(٣) (E. Zida) بمعنى البيت الثابت وهو معبد نابو في مدينة بورسيّپا (Borsippa) الواقعة على بعد حوالى ٢٥ كم إلى الجنوب من بابل.

(٤) كما تمّ ذلك في قصيدة التكوين والخلق، النص (رقم ٥٥) من الكتاب الثاني.

اليوم التاسع من نيسان: مسيرة النصر تتَّجه نحو بيت الأكيتو[1] بقيادة الملك، ويعني ذلك مساهمة الشعب في الانتصار الذي تحقّقَ في الطبيعة ويجدِّد انتصار مردوك على العماء.

اليوم العاشر من نيسان: إحتفال مردوك بنصره مع جميع آلهة عالمي ما هو فوق وما هو تحت في بيت الأكيتو، حيث تقام وليمة الآلهة تليها العودة إلى بابل لعقد الزواج المقدس، في الليلة نفسها.

اليوم الحادي عشر من نيسان: تقرير جديد، بنتيجة اجتماع الآلهة، لمصير المملكة في السنة التي بدأت.

اليوم الثاني عشر من نيسان: عودة الآلهة إلى مدنهم ومعابدهم.

وعلى ضوء البرنامج أعلاه سوف يتم عرض وتحليل الوثائق التي وصلتنا بهذا الصدد وهي في معظمها نصوص جزئية وغير متتالية أو مراسلات أو تعليقات تشير إلى الاحتفالات وبشكل خاص إلى تعليماتٍ حول إقامة الطقوس المرتبطة بالعيد.

الأيّام (١ ـ ٤): طقوس التطهير

تتمّ هذه الطقوس خلال الأيام الأربعة الأولى في معبد مردوك الإيساچيل[2]. وكانت الطقوس تعكس حزن الفترة. ففي كل صباح، وعند شروق الشمس، كان كبير الكهنة، بعد التطهّر بالاغتسال (الوضوء)، يدخل بمفرده إلى معبد مردوك ويتوجّه بصلواته إلى الإلّه وإلى آلهة آخرين. يفتح بعد ذلك الأبواب للكهّان الآخرين الذين يباشرون في المعبد مراسمهم الاعتيادية.

كما أن الابتهال الرّاجي، الذي كان يُنشد قبل طلوع فجر اليوم الثاني والذي كان يسمى «سرّ الإيساچيلا» يمثّل بوضوح جوّ تلك الفترة:

أيها الإلّه الذي لا مثيل له في غضبه،

---

(١) هو بيت اجتماع يقع خارج المدينة وفيه تقام وليمة اليوم العاشر.

(٢) (Esagil) بمعنى البيت ذو الرأس الشامخ وهو معبد مردوك في بابل.

أيها الإلّه، أي ملكاً حليماً، سيّد بلده،
الذي حقق سلامة جميع الآلهة،
الإلّه الذي بنظرةٍ منه يطيح بالقويّ؛
يا سيد الملوك، ونور البشر الذي يقرر المصائر!
أي إلّهي، بابل هي عرشك وبورسيبا[١] تاجك،
أي إلّهي، أنت بنظرك الثاقب، تراقب الكون
[.....................]
بذراعيك تأخذ القويّ؛
[.....................]
بنظرةٍ منك تمنحهم نعمتك،
تجعلهم يرون النور فيعلنون قدرتك.
يا إلّه جميع البلاد ونور الإيجيجي[٢]
أنت الذي تمنح البركات
من هو الذي لا يجاهر، نعم، لا يجاهر بقدرتك؟
من ذا الذي لا يحدّث عن جلالك
ويمتدح حكمك؟
يا إلّه جميع البلاد، أنت تقيم في إيؤدول[٣]
وتأخذ بيد كل من عثر!
أشفق على مدينك بابل،
أدر وجهك نحو إيساچيلا، معبدك
إمنح الحرية إلى حراسك المقيمين في بابل.

في مساء اليوم تتلى في المعبد أمام مردوك[٤] قصيدة التكوين والخلق «الإينوما إيليش»[٥]، وفيها كما قلنا عودة لزمن البدء، وتذكير مردوك «السجين» بقدرته

(١) (Bursipa) مدينة الإلّه نابو الإبن القريبة من بابل.
(٢) (Igiggi) مجموع آلهة السماء.
(٣) (Eudul).
(٤) أمام تمثال مردوك وهو في الوقت نفسه سجين العالم السفلي.
(٥) (Enuma-Elish) مطلع قصيدة التكوين والخلق البابلية، انظر النص (رقم ٥٥) من الكتاب الثاني.

على التغلّب على القوى التي عطّلت دورة الحياة الطبيعية وقدرته على التغلّب على جميع الأخطار، التي هي وراء سجن إلّه حياة الطبيعة واستمرار هذه الحياة. وهذا ما يذكّر به تعليق يصف هذه المرحلة من طقوس العيد:

«الإينوما إيليش التي تتلى أمام مردوك
في شهر نيسان، يتمّ ذلك لأنه كان سجيناً».

وفي عودة للأيام الأربعة الأولى يمكن الإضافة بأن طقس اليوم الثالث كان يشمل أيضاً استدعاء صانِعَيْن ماهِرَيْن وهما مثَّالان تسلم إليهما المواد اللازمة لصنع تمثالين صغيرين خشبِيَيْن مرّصعين بالذهب والأحجار الكريمة يكسو كلاً منهما ثوب أحمر، أحدهما يمسك حيّة بيده اليسرى ويمدُّ يده اليمنى أما الثاني فكان يمسك عقرباً في يده اليمنى. وهذان التمثالان سوف يكون لهما دورهما في اليوم الخامس أو السادس، ويُحفظان في المعبد حتى ذلك اليوم.

في اليوم الرابع أيضاً، كان كبير الكهنة[1] ينهض قبل ثلاث ساعات وعشرين دقيقة من شروق الشمس، وبعد أداء الصلاة أمام الإلّه والإلّهة كان يتوجّه نحو باحة المعبد لكي يراقب شروق المجموعة الكوكبية «أكرا»[2] المقدّسة في بابل مستقبلاً ظهورها بتلاوة تعويذة. وفي مساء اليوم الرابع كما أشير إلى ذلك أعلاه تتلى قصيدة التكوين والخلق وبطلها مردوك ويعتقد بعض الباحثين أن دراما دينية كانت تمثل أثناء هذه التلاوة، كما عرفت ذلك فيما بعد التمثيليات الدينية في القرون الوسطى الأوروبية.

كبش الفداء في اليوم الخامس: التكفير

بعد الصلوات الاعتيادية في اليوم الخامس تتم عمليات تطهير المعبد مما كان يتطلب غياب كبير الكهنة تحاشياً لأي تدنيس قد ينتقل إليه. وبعد رش المعبد بالماء المقدّس والزيت المقدس. يؤتى بكبش يَقْطع حامل السيف رأسه ويقوم كاهن التعويذ بجرّ جسم الكبش على جدران المعبد بقصد امتصاص الشر وتطهير المكان. وبعد إنجاز هذه العملية، كان على كاهن التعويذ وحامل السيف الذي

---

(١) الشيشجالّو (Shesgallu).
(٢) (Acre).

قطع رأس الكبش مغادرة المدينة ومعهما كبش التطهير أو «كبش الفداء» لرميه في النهر الذي يحمله بعيداً محمّلاً بخطايا المملكة. وكان على هذين الرجلين البقاء خارج المدينة حتى انتهاء الاحتفالات.

تجريد الملك من شعاراته في اليوم الخامس واعترافه

اليوم الخامس كان أيضاً يوم التكفير بالنسبة للملك. فقد كان كبير الكهنة في صباح هذا اليوم يتلو أمام الإلّه مردوك ابتهالات مهدِّئة، وكانت الإشارة إلى الإلّه تتم هذه المرة بواسطة الأجرام السماوية، إذْ كان كبير الكهنة يردّد:

«الكوكب الأبيض (المشتري) الذي يحمل إلى العالم
النبوءات هو إلّهي (مردوك)
فليهدأ قلب سيدي!
الكوكب چود[١] (عطارد) الذي يرسل
الأمطار هو إلّهي (مردوك)
فليهدأ قلب سيدي!
الكوكب چينا[٢] (زحَل) كوكب التشريع
والنظام هو إلّهي (مردوك)
فليهدأ قلب سيّدي!

يخرج الكاهن بعد ذلك من قدس الأقداس حيث كان تمثال مردوك قائماً، يجرِّد الملك من شعاراته: الصولجان والحلقة والسيف والتاج ويضعها على مقعد أمام تمثال مردوك، ثم يعود نحو الملك الذي كان واقفاً ومجرداً من شعاراته، ويقوم بصفْعِهِ[٣] ثم يجعله يركع أمام مقام الإلّه، ليتلوَ اعترافه السلبي الذي هو على الشكل التالي:

«أنا لم أرتكب خطيئة يا سيد البلاد،

---

(١) (Gud).
(٢) (Gena).
(٣) إذا ما سالت دمعة من عين الملك عند صفعه، يعني ذلك رضى الإلّه مردوك.

أنا لم أكن مهملاً تجاه ألوهيتك
أنا لم أقمْ بهدم بابل، ولم آمر بما يعطّل سيرها
أنا لم أرتكب خطيئة أمام إلّهي
أنا لم أعتدِ على جلال الإيساچيل
ولم أنسَ طقوسه...
أنا لم أقم بصفع وجه الشعب
الذي هو بحمايتك،
أنا لم أسبّب له الإذلال،
لقد اعتنيتُ ببابل ولم أقم
بهدم أسوارها.

عند ذلك، وباسم مردوك يجيبه كبير الكهنة:

«لا تخف [...] ما قاله مردوك [...]
إنه [يسمع] رجاءك. سوف يزيد من سلطانك
ويرفع شأن مليكتك...

وصول الإلّه نابو (الإبن)

في صباح اليوم الخامس أيضاً، وبعد تطهير المعبد، تستمر تلاوة التعويذات وتقديم القرابين، ثم يأتي عمّال ويعدّون مقام الإلّه نابو الذي وصل من بورسيبا[١] صباح اليوم. وتشمل هذه الاستعدادات مائدة تقدمات ومظلّة عرش ذهبية مستعارتين من كنز مردوك. يدخل الملك عند ذلك، يواكبه الكهّان حتى قاعة هيكل مردوك ويتركونه بمفرده في القاعة. وهنا يخرج كبير الكهنة من قدس الأقداس ليجرد الملك من شعاراته كما تمّ وصفه أعلاه، وقبل ذلك وبعد توجّهه إلى مردوك يقدم كبير الكهنة لزرپانيت[٢] قرينة مردوك الابتهال التالي:

أيتها السيدة المشرقة والرائعة والسامية،

---

(١) (Borsipa) مدينة نابو الواقعة على الفرات على بعد ٢٥ كم إلى الجنوب من بابل التي يصلها على سفينته.
(٢) (Zarpanit).

التي بين الإلّهات لا تماثلها أية إلّهة،
أنت المتّهمةُ التي تمارس الدفاع!
أنت التي تخفضين (رأس) المتكبّر
وتجعلين المُهان يرفع رأسه!
أنت تطيحين بمن لا يرهب ألوهيتك!
أنت تعفين عن الأسير وتقيلين
عثرة من سقط! . . .
قرّري مصيراً (حسناً) للملك الذي يخشاكِ
إمنحي أبناء بابل، محارباً يحميهم.

يتوجّه نابو بعد ذلك إلى معبد مردوك الإيساچيل[١] ويرمز وصوله هذا المقرّ إلى انتصاره على أعداء مردوك، ويعتقد أنه بهذه المناسبة يتم قطع رأسي التمثالين المذهّبين والمرصّعين بالأحجار الكريمة اللذين تمّ إعدادهما في اليوم الثالث. وقد يتم ذلك في مراسم اليوم السادس (؟).

ما يعنيه تجريد الملك من شعاراته

تجريد الملك من شعارات سلطته وإذلاله أمام الإلّه مردوك كان يرمز إلى حالة العماء والفوضى واختفاء الملكية التي كما نعلم، نزلت من السماء، وكانت ضماناً للحياة الاجتماعية وضماناً لحياة البلاد برعاية ملكها: راعي الشعب. كما يتلاءم تجريد الملك من شعارات سلطته مع غياب قوى الطبيعة الخيّرة وكأنْ سَيْطَرَ عليها عماء البدء الذي سبق التكوين والتنظيم، ولا يتناقض حضور مردوك في المعبد مع اختفائه كسجين في العالم السفلي، وبالتالي، اختفاء فاعليّته في الطبيعة. وهذا ما كان يعيشه خارج المعبد عامة الشعب المترقّب لكل حركة يقوم بها الآلهة لتحرير السجين. كما أنّ حضور نابو الإلّه الابن هو الذي كان يغذي الأملَ بقرب هذا التحرير.

(١) (Esagil) ومعناه البيت ذو الرأس الشامخ.

أما صفعة الملك مرة أولى ومرة ثانية لاستدرار دمعته، فإن هذه الدمعة كانت تعني برأينا حزن الملك وألمه بسبب غياب فاعلية مردوك حامي البلاد وحامي الملكية وقلقه لذلك؛ وليس رضى مردوك على الملك. والمسيحية ذهبت إلى أبعد من ذلك حين تبنّت مثل هذه الصَفْعة «لتثبيت» معمودية المعتنق الجديد للمسيحية لأنّها بقيت رمزاً لتحمّله من أجل إيمانه وبسببه، الصعوبات والآلام وبخاصة في الفترات الأولى للاضطهاد الروماني.

الشعب والإلّه السجين

حين كانت الطقوس والابتهالات تشغل الكهنة في المعبد، كان الشعب في المدينة منشغلاً في التعبير عن قلقه وعن ضياعه لأن مردوك هو سجين الجبل[١] وإعلان ذلك في المدينة من قبل أحد المكلفين بهذا الدور، يعني بداية المساهمة الشعبية في الندْب والرثاء بالنسبة للإلّه «السجين»[٢] والإلّه «المعذّب» أو «المتألّم».

إذْ تعلن ندّابة بصدد مردوك:

«(في بيت العبودية) بعيداً عن الشمس
والنور، إنهم أنزلوه!»

وتعلن ندّابة ثانية:

«عندما شدّ الآلهة[٣] وثاقه
تمّ إبعاده عن عالم الأحياء!»

ونحن نعلم كيف تصوّر البابليون «بيت العبودية» في العالم السفلي من الوصف الذي قدمه لنا النص (رقم ١١٢) من هذا الكتاب على لسان الإلّه ليل متوجهاً إلى شقيقته.

كما أن التعليقات التي تركتها لنا بعض النصوص بصدد مجرى الاحتفالات

---

(١) وهي التسمية التي تطلق على القبر.
(٢) التعبير المستعمل عوضاً عن الموت.
(٣) أي آلهة العالم السفلي.

تعلمنا بالنسبة لاحتفالات بابل عن: ـ

«بيتٍ على حافة الجبل حيث يستجوبونه» (أي مردوك)

وفي تعليق آخر، يعلن نصّ بأنّ:

«فارساً جَعَلَ حصانه يعدو حتى الجبل»

وهناك تعليقات أخرى تتحدث عن الوصول إلى «بوابة» تعتبر بوّابة قبر مردوك. وفيما بعد ذَكَر كتّاب اليونان الكلاسيكيون أن «في بابل قبراً لبيل»[١] وقد يكون البرج ذو الطبقات (الزيقورة) أي الإيتيمينانكي[٢] هو الذي اعتُبر بمثابة قبر للإلّه. وكان يُشار إلى أحد المواضع في محيط البرج بأنه «بوابة» قبر مردوك. ولا نعتقد أن منشأة خاصة قد مثّلت هذا القبر الذي لا يتعدّى الرمز.

ونحن نعلم أيضاً أن عدداً من الأبراج في ما بين النهرين، كانت تحمل أسماء تميّزها وكأنها جبال أي قبور، وهذا ما يفسّر في مرحلة متأخرة اعتبار برج بابل «قبراً لبيل» أو رمزاً لهذا القبر دون أن تكون هناك في محيط البرج أية فتحة تشير إلى موضع هذا القبر أو مدخله. وقد يساعد ذلك على فهمِ أفضل للتعليق الذي يقول عن مردوك:

«الذي لم يقترب من قبره أحد
في مكانِ تلوعات الرثاء»

تزايد الحركة في المدينة

عندما كان مردوك «سجيناً»، كان سكان بابل يُظهرون حركةً متزايدة، يدلّ على ذلك التعليق التالي:

«الناس كانوا يتزاحمون في الشوارع
يفتشون عن مردوك»

وهم يتساءلون:

«أين هو سجين؟»

---

(١) (Bêl) لقب مردوك.

(٢) (Etemenanki) بمعنى بيت أسس السماء والأرض وهو البرج ذو الطبقات في بابل.

ويُعتقد أن التزاحم والحركة كانت على أشدّها في باحة البرج ذي الطبقات. وبفضل نص يصف رثاء تموز والتفتيش عنه يمكننا تصور هذه المرحلة فيما يتعلق بالتفتيش عن مردوك، إذْ يقول التعليق. :

المعوِّذ الذي يأتي ليقف أمام «سيّدة» بابل
هو الرسول، إنه يبكي أمامها. . . قائلاً:
«وضعوه في الجبل».
إنها «تنزل» منتحبةً: «أي أخي! أي أخي»
إنها تفتش عنه، البوابة التي تتجه نحوها،
هي بوابة القبر، تذهب إليها مفتشة عنه.
سيدة بابل، وضعت كساءَ آتو[1] على ظهرها
و(نقابا) سيغو[2] من الصوفِ على وجهها. . .،
(لأنها تمسح بيديها) الدمَ الذي أُسيل من جسده.
الإلّهة التي (توجّهت) نحوه نزلت (للتفتيش) من
أجل راحته.

عربة مردوك تجتاز المدينة بدونه

تدليلاً على غياب مردوك وتوقف فاعليته وانتشار الفوضى بسبب هذا الغياب، فإن عربة مردوك بدون قائدها، تطلق في اتجاه طريق بيت الأكيتو[3]، وها هي تجتاز بفوضى بوّابة عشتار متخذة الطريق المؤدي إلى ذلك البيت. وإلّهةٌ منتحبة تسير خلف عَربة مردوك الفارغة.

أثناء ذلك كان الشعب في المدينة يساهم في معارك قتال رمزية تعبيراً من قبله عن انعكاسات مأساة غياب مردوك؛ وتقول التعليمات التي وصلتنا بهذا الصدد:

«بعد أن أُدْخل مردوك إلى الجبل،

---

(١) (Atu).

(٢) (Sigu).

(٣) «بيت العيد» وهو البيت الواقع خارج المدينة حيث تتم إحدى مراحل الاحتفال المهمة فيما بعد.

أضحت المدينة ضحيّة الفوضى
والضجيج بسببه، وانطلقت المعارك
بين السكان»[١].

ولا نعلم إذا ما كانت هذه المساهمة المأسوية تتم في مساء اليوم الخامس من نيسان، أو إذا ما كانت مثل هذه المعارك، ترافق دخول الإلّه نابو الابن بكل جلال إلى المدينة وحربه ضد أعداء مردوك في اليوم السادس أو السابع.

وفي تعليق لا تنقصه الأهمية، هناك إشارة إلى أن الإلّه نابو عندما كان في طريقه إلى الإيساجيل[٢] معبد أبيه يتوجّه نحو زرائب الخنازير المسيّجة بالقصب وذلك لتفحّص الخنازير وهم على ما يظهر كانوا يمثّلون مجرمين سجنوا مع مردوك، ويتمّ قتل الخنازير كما يتمّ كذلك، قتل المجرم الذي تمّ تعليق رأسه على بوّابة معبد الإلّهة.

تحرير مردوك

نحن لا ندري كيف كان يتمُّ التحرير من قبل نابو، وبعض التعليقات كانت تشير إلى أن ذلك تمَّ بنتيجة معركة، إذ إننا نقرأ في هذا التعليق:

«البوابة التي تفتح» كما كانوا يسمونها؛
هذا يعني أن الآلهة[٣] كانوا يحتجزونه؛
إنه دخل «البيت» وأمامه أغلق (أحدهم) الباب.
عملوا ثقوباً في الباب وهنا بدأوا المعركة».

كما أن بعض الأختام البابلية تحمل مشهد إلّه تم إنقاذه من سجنه في الجبل، بعد القضاء على عدوّه من قبل إلّه تساعده إلّهة وهذا الإلّه هو نابو.

وتمثل نقوش عائدة إلى منتصف الألف الثالث لما قبل الميلاد مشهد تحرير إلّه من الجبل، والمنقذ هنا، هو إلّه آخر غير نابو، يحمل قوساً، من المرجّح أنه

(١) يذكر ذلك بالمعارك الرمزية التي ترافق موت أوزيريس في مصر بين مريديه ومريدي عدوّه سيت.
(٢) (Esagil) معبد مردوك في بابل ومعناه البيت ذو الرأس الشامخ.
(٣) أي آلهة العالم السفلي.

نينورتا. وهناك إلّهة تحضر هذا المشهد.

ولا بد من الإشارة إلى أن الأختام المكتشفة التي كانت تحمل مثل هذه النقوش، لم تكن لها علاقة بإظهار الطقوس لأنها كانت تمثل المشاهد الأسطورية؛ ولهذا السبب كانت تمثل جبلاً حقيقياً وليس قبراً. وفي بعض النقوش، نرى الإلّهة تستقر راكعةً إلى جانب الإلّه السجين داخل الجبل، بينما يقوم إلّه آخر بإزالة النباتات من على سطح الجبل... وهذه الأختام تمثل على أقلّ تعديل قِدَمَ المعتقدات الأسطورية التي كانت تعكسها الطقوس، ومنها ما لم يتمّ إدخاله في قصيدة التكوين والخلق التي هي عمل ميثولوجي.

درب الآلام في بابل و«أسبوع آلام» مردوك

قلنا آنفاً بأن هذا العرض يعتمد بالدرجة الأولى على ما وصلنا من «تعليمات» كانت مخصّصة لمقيمي طقوس عيد الأكيتو والتي تذكّر الكهنة بالمراحل والأحداث الواجب تتبعها أثناء الاحتفالات. ومما هو ملفت للنظر، بأن إحدى اللوحات التي تحمل مثل هذه التعليمات، توحي بشكل إجمالي بأننا نعيش مع النصوص المقتضبة «أسبوع آلام» الإلّه مردوك. ويخيّل إلينا بأننا نجتاز درب الآلام[1] في القدس. وفيما يلي عرض لهذه التعليمات التي عنونتها إحدى الباحثات[2] «مأساة آلام بيل ـ مردوك»[3] وحملت اللوحة التي تضمنتها عنوان:

«هذا يمثّل الإلّه بيل حين يكون مقيداً في الجبل»

وصول شخص يركض:

«هناك رسول يركض وهو يصرخ:

من الذي سوف يخرجه؟

الجواب يقدمه شخص آخر ويعدّ لتدخّل الإلّه نابو:

(١) درب آلام السيد المسيح المعروف بالنسبة للكنيسة بـ «ڤيا دولوروزا» (Via Dolorosa) في القدس.

(٢) هي مارغريت روتّن (Marguerite Rutten) ١٩٦٦.

(٣) (Bêl-Marduk) وبيل مثل بعل هو لقب لمردوك وغالباً ما يرد اسم بيل وحده للدلالة على مردوك.

«الذي تمّ وصوله، سوف يحرّره»

شخص يتوجّه نحو الجبل حيث يستجوبونه:

«الذي يتوجّه نحو الجبل
هو الذي يذهب إلى...
حيث يذهب، إنه البيت
على حافة الجبل حيث يستجوبونه»

وصول الإلّه نابو:

«الإلّه نابو يصل من بورسيبا[١]
إنه أتى لخلاص أبيه
لأنه سجين».

نساء يتجوّلن في الشوارع ويوجّهن الابتهالات لتدخل الآلهة من أجل مردوك:

«اللواتي يتجوّلن في الشوارع
هنّ اللواتي يبتهلن لسين وشمش[٢]
راجيات: إبعثا بيل إلى الحياة».

إمرأة تفتش عنه وتتوسل:

«التي تسير ويداها ممدودتان
نحو الذين يفتشون عنه سائلة:
أين هو سجين؟»

تتوجّه نحو القبر:

«البوابة التي نتوجه نحوها
هي بوابة القبر،
تذهب إليها مفتشةً عنه...».

---

(١) (Borsipa) مدينة نابو القريبة من بابل.
(٢) (Shamash و Sin) الإلّه القمر والإلّه الشمس.

إلّهان يحرسان القبر:

«الإلّهان التوأمان على باب
الإيساچيل، هما الحارسان
إنهما مكلّفان بحراسته».

أحد الأشخاص يتلو هذا الرثاء:

بعد أن قام الآلهة[1] بسجنه
اختفى عن عالم الأحياء.
في السجن حيث لا تدخل الشمس
ولا النور، أنزلوه!»

الإعداد للدفن:

«الذي هو عند رجليه
والذين يقتربون،
يقومون بإكسائه».

يغسلون جروحه:

«إنها الجروح التي أصابته
وهمْ خضّبهم دمه».

الإلّهة الراكعة بقربه:

«الإلّهة راكعة بقربه،
إنها نزلت من أجل إنقاذه»

رجل يرفض الذهاب معه؟:

الرجل... الذي لا يريد
الذهاب معه يقول:
أنا! لست مذنباً

محاكمة يشير إليها هذا التعليق:

---

(١) آلهة العالم السفلي.

«الرجال. . . أمامه

باشروا محاكمتي

حقوقي لم يُعترَفْ بها».

الفوضى في المدينة:

«إنه بعد ذهاب (بيل) إلى الجبل

حدثت في المدينة مشاجرات بسببه»[1]

وهناك دور لمعوِّذين في التعليق التالي:

«المعوِّذون يذهبون أمامه

ويتلون تعويذة.

إنهم الأشخاص الذين يذهبون أمامه وهم يندبونه»

المشهد الأخير في هذه المجموعة من التعليمات يصف حزن الرسول وآلام الآلهة كما يلي:

«المعوِّذ الذي أمام بعلة بابل يتقدّم،

إنه الرسول الذي يبكي على صدرها

قائلاً: إنهم نحو الجبل يحملونه

وهي، هي تطلق صرختها:

أي أخي! أي أخي!»

بعض المقاطع أعلاه نُسخت من جديد في القرن السابع لما قبل الميلاد لتحفظ في مكتبة أشور بانيبال في نينوى. وكان يجب أن تبقى هذه المعلومات سرية وأن يحافظ عليها ولذلك رافقتها اللعنة التالية:

«كل من يتلف هذه اللوحة

أو يرميها في الماء،

أو كل من يُريها إلى من لا حقّ له

بمعرفة مضمونها أو سماعه

---

(١) مشاجرات رمزية تتوازى مع ما كان يحدث من أجل أوزيريس في مصر.

أو قراءته، فلتخصّه
آلهة السماء والأرض بلعنة
لا عودة عنها».

بعث الإلّه هو انتصار على الموت وكذلك الأمطار الأولى التي تحيي الأرض

كانت الطقوس والمساهمة الشعبية، في زخم توجّهها نحو غاية وحيدة ومشتركة، تساعد على تحرير الإلّه السجين، وتقدّم له العَوْن الذي كان يحتاجه لبعثه. وفي ذلك يكمن «سر» وقوة الإرادة الشعبية في تأثيرها على القوى الطبيعية الفاعلة. وكما أن أخت الإلّه ليل «نزلت» في نواحها بقرب أخيها الذي أخذه الموت (النص ١١٢). وكما أن عشتار في رثائها وتلوّعها «نزلت» نحو تموز، كذلك كان الشعب «ينزل» نحو الإلّه السجين وذلك بواسطة تعبيره عن مظاهر الحزن واليأس وتلوّعه في مرثيات تعكس صدق معتقده ويقينه. وعندما «ينزل» الشعب نحو إلّهه على هذا الشكل فإن الإلّه يعود إلى عالم الأحياء، وتعود معه الطبيعة إلى حياتها يرمز إلى ذلك سقوط الأمطار الأولى التي تحيي الأرض.

وفكرة التوافق بين بداية السنة وسقوط الأمطار الأولى التي تحيي الأرض، قد ورثتها الديانات في عالمنا الشرقي وفرضت نفسها بسبب التناغم الذي تحققه بين الظاهر والخفي، بين العالم المرئي والعالم اللامرئي، وفي نشيد تردده الكنيسة الشرقية يُعلن بصدد بعث الأموات، أن:

«الله القادر على كل شيء، يوقظ الأجساد
مع الأرواح (في يوم حلول النور)

وفي التلمود تقترن فكرة بعث الأموات مع سقوط الأمطار، والأمطار الأولى هي نفسها ذات صلة برأس السنة. ويقول أحد الأحبار:

«إذا كانت فكرة الأمطار تتوارد مع فكرة البعث
فلأن الأولى تماثل الثانية».

وكثيرة هي الآيات القرآنية الكريمة التي تشير إلى أن ماء السماء يحيي الأرض

بعد موتها (البقرة: ١٦٤؛ النحل: ٦٥؛ الروم: ٢٤).

ويجب ألاّ نستغرب، أن تقترن فكرة الانتصار على الموت مع سقوط الأمطار الأولى وإحياء الأرض، لأن بعث الأرض بعد موتها تَكَرَّر أمام إنسان ما بين النهرين خلال أجيال وأجيال، وكان فصلا الخريف والربيع يحملان معهما هذا الانتصار.

وصول الآلهة في اليوم السادس واستقبال الملك لهم

في اليوم السادس من نيسان كانت السفن تصل إلى رصيف بابل وعلى متنها الآلهة الآتون كل من مدينتهِ: من أوروك[١] ونفّر[٢] وكوتا[٣] وكيش[٤] وكان نابو كما نعلم وصل قبلهم من بورسيبا في اليوم الخامس.

كان الملك، يستقبل الوافدين كلاً بدوره لدى وصوله، ترافقه وفود كبيرة رسمية وشعبية احتشدت على الرصيف. ويقول تعليق عن الملك الذي كان حاضراً:

«إنه كان ينثر تقدمات سائلة أمام الآلهة»

هذا في بابل، وأما في آشور فقد كان للملك دور أكثر أهميّة، حيث أن الإلّه المنقذ لم يكن نابو بل نينورتا، وكان الملك يقوم بنفسه بدور المنقذ إمّا على عربته وهو واقف خلال المسيرة أو محمولاً خارج معبد آشور يزين رأسه تاج ذهبي مثل: «نينورتا الذي أنقذ أباه»[٥].

وفي عودة إلى بابل نعلم أن المستقبلين وعلى رأسهم الملك، كانوا يرافقون الآلهة الوافدين من الرصيف إلى معبد مردوك. وكان اليوم السابع مخصصاً للاحتفال بقدوم الآلهة. بعد أن كان قد تمّ تحرير مردوك من قبل نابو.

---

(١) (Uruk).

(٢) (Nippur).

(٣) (Cutha).

(٤) (Kish) جميع هذه المدن مدن واقعة على الفرات أو قريبة منه وبعيدة عن بابل، مدينة أوروك.

(٥) من تعليقات احتفالات الأكيتو في آشور.

الاجتماع الأول في «غرفة الأقدار» في اليوم الثامن

يشهد اليوم الثامن مراسم عديدة أوّلها إجتماع الآلهة في «غرفة الأقدار»، غرفة تقرير المصائر في الإيساچيل، حيث كانت تتمّ مبايعة مردوك من قبل الآلهة. وتذكّر هذه المبايعة بما تضمنته قصيدة التكوين والخلق بهذا الصدد. وفي «غرفة الأقدار» كان يُعقد اجتماع آخر في الحادي عشر من نيسان ولغاية مختلفة، نعرف ذلك بواسطة نص تركه لنا نبوخذ نصر (١١٢٤ ـ ١١٠٣) ق. م.

خلال هذا الاجتماع الأول كان يُمنح مردوك جميع الصلاحيات لمحاربة أعداء الآلهة، وكان على مراسم هذا الاحتفال احترام شكليات ذات أهمية وتعقيد. فقد وصلنا نصّ من أوروك يصف لنا كيف كانت تماثيل الآلهة تأخذ مواضعها في قاعة الاجتماع كل إلّه بالنسبة لمركزه وحقّ الصدارة المخوّل إليه. وكان الملك بنفسه يقوم بدور مدير المراسم، حاملاً بيده عصا قصيرة لّماعة، وكان يدعو كل إلّه لمغادرة هيكله. ووفق التعبير المستعمل، كان «يأخذ يده» ليقوده إلى المكان الذي يعود إليه في قاعة الاجتماع، حيث كان الآلهة يقفون بمواجهة قائدهم مردوك.

وبتفويض مردوك ووضع جميع السلطات بين يديه يتم التأثير على طبيعة الإلّه نفسه، وبذلك تصبح سلطة مردوك لا منازع لها. ويعطينا نصّ قصيدة التكوين والخلق إثباتاً على هذه القدرة، حين يُطلب من مردوك جعل نجمة تختفي وتعود إلى الظهور بإرادة منه، وقد فعل ذلك بنجاح. كل ذلك جعل من مردوك بنتيجة اجتماع المبايعة في الثامن من نيسان إلّهاً جاهزاً وقادراً على مجابهة القوى المعادية وخوض معركة النصر النهائية.

وعن اللوحة الرابعة من قصيدة التكوين والخلق نقدم فيما يلي الأسطر (١ ـ ١٠) كما وردت في الكتاب الثاني من هذه المجموعة، (النص رقم ٥٥) وهي توضّح لنا ما كانت تعنيه ـ المبايعة.

مردوك يُمنح جميع الصلاحيات

أقاموا من أجله
المنصّة ـ الملكية.

ومقابل آبائه،
استقرّ عليها كمليك.
«وحدك، (أعلنوا أمامه) أنت الأسمى
بين الآلهة ـ العظام
قَدَرُك لا مثيل له
وسائدةٌ أوامرك!
أي مردوك! وحدك أنت الأسمى
بين الآلهة ـ العظام
قدرك لا مثيل له،
وسائدة أوامرك!
من الآن فصاعداً
لا مردّ لقراراتك!
تَرْفع وتخفض (شأن من تشاء)
سوف يكون ذلك طوع إرادتك
والكلمة التي تخرج من فمك ستتحقّق،
ولن تكون قط أوامرك مضلّلة!
لا أحد، بين الآلهة
سيتجاوز الحدود التي تضعها!

وضع المدينة أثناء اجتماع اليوم الثامن

نحن نعلم أن صمتاً يشوبه الاحترام والخشوع، كان يخيّم على المدينة أثناء اجتماع الآلهة في غرفة الأقدار، وذلك تحاشياً للتأثيرات السيئة على سير الأحداث التي يمكن أن تسبّبها أعمال غير ملائمة أو أقوال من شأنها إغضاب الآلهة أو عدم الثقة بقدرتهم. ومثل هذا الصمت عرفته مدينة لغش[1] حين

---

(١) (Lagash) عاصمة المملكة السومرية الحديثة. تقع على بعد حوالى ٢٠٠ كم جنوب شرقي بابل.

وضع ملكها چوديا[1] آجرّة الأساس لبناء معبده. وحدث صَمت مماثل حين اجتمع الآلهة «لتقرير المصير». وبعلاقة مع عيد الأكيتو في فترات متأخرة، فإن يوم الثامن من نيسان يشار إليه في لوائح أيام الفأل والشؤم بأنه يوم: «لا يحمل أية عدائية».

المسيرة نحو بيت الأكيتو في اليوم الثامن

وصف الملك الأشوري سرجون (٧٢١ ـ ٧٠٥) ق. م، مجيئه إلى بابل لقيادة الاحتفالات بعيد رأس السنة كما يلي:

«إلى بابل، مدينة سيّد الآلهة، دخلت فَرِحاً،
تملأ البهجة قلبي ووجهي يشعّ سعادة،
أخذتُ يَدَ الإلّه العظيم مردوك، وقمتُ
بالحج إلى بيتِ عيد رأس السنة (بيت الأكيتو)

وكان الآلهة أيضاً، يفدون إلى بابل:

«لأخذ يد بل ـ مردوك ومرافقته خلال
المسيرة نحو بيت الأكيتو».

والملك هو الذي كان يعطي إشارة بدء المسيرة. هكذا يصف ذلك النص التالي:

«تعالَ، تقدّم أيها الإلّه، الملك ينتظرك!
تعالي، تقدّمي أيتها الإلّهة، الملك ينتظركِ!
يتقدم سيّد بابل، فتسجدُ أمامه البلاد.
وينتشر في المكان أريج أعشاب الطيب المحروقة،
عندما تتقدم زرپانيتوم[2] إلى جانب
عشتار، بينما كانت خادماتها

---

(١) (Gudéa) حكم في لغش حوالى (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤) ق. م.
(٢) (Zarpanitum) أو زربانيت قرينة مردوك والتي لم تحل محل عشتار كما يتضح ذلك من النص.

تنفخن في المزامير

وكل بابل كانت تسير جذلة!»

ويصف نص آخر مسيرة اليوم الثامن نحو بيت الأكيتو كحشدٍ لموكبٍ يسبق المعركة:

«جميع الآلهة الذين يرافقون مردوك إلى بيت الصلاة

يشبه ذلك، ملكاً يسير خلفه جميع قواد جيشه»

وإعطاء المسيرة صفة عسكرية، كان يتفق مع اجتياز هذه المسيرة شوارع بابل متجهة نحو الشمال وخروجها من بوابة عشتار، ثم ركوب السفن حتى بيت الأكيتو. هذا الموكب، كان يمثل جيش الآلهة المتأهب، الذي قام قبل عملية الخلق، بلقاء تيامت والقضاء على قوتها. يظهر ذلك من ضمن نقش مثّله سنحريب (٧٠٤ ـ ٦٨١) ق. م، على بوابة نحاسية تعود لبيت الأكيتو، يظهر فيه واقفاً على عربة، آشور، الإلّه الذي حلّ محل مردوك في الشمال، ويصف سنحريب النقش الموجود على أبوابه كما يلي:

«نقش يمثل الإلّه آشور، خارجاً على عربته

لملاقاة تيامت. صالياً قوسه وممسِكاً

بسلاح العاصفة (أبوبو)[١]، يرافقه

آمورّو[٢] كقائد لعربته. وتنفيذاً

لأوامر شمش[٣] وأدد[٤] التي عينتها

التنبؤات أثناء تقديم القرابين والتضحيات،

نَقَشتُ على هذا الباب الآلهة

الذين يمشون في مقدمته والآلهة الذين يمشون

في مؤخرته، كما نقشت صور الذين كانوا يتقدمون

---

(١) (Abubu).

(٢) (Amurru) إلّه المنطقة الشمالية من سورية الحالية على الفرات الأعلى بجوار البليخ، وهي التي عرفت قبائل المارتو (انظر النص رقم ٧٥ من الكتاب الثالث).

(٣) (Shamash) الإلّه الشمس إلّه العدالة.

(٤) (Adad) أو حدد أو هدد إلّه العواصف والأمطار في الشمال من الهلال الخصيب.

على عربات والذين كانوا راجلين. . . وكذلك
تيامت والكائنات التي كانت بداخلها».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن وجود هذا النقش على بوّابة بيت الأكيتو، كان يعني أن المعركة بين مردوك وجيش الآلهة وبين تيامت وكائناتها، كانت لها علاقة بالطقوس المقامة وبانتصار الإلّه آشور. وفي حاشية على هامش اللوحة الحاملة للنص السابق إشارة إلى:

«الأمير المنصّر واقفاً على عربة آشور،
تيامت والمخلوقات التي كانت بداخلها».

وهنا، فإن الأمير المنصّر هو سنحريب نفسه الذي كان يقوم بدور الإلّه آشور، تؤكد ذلك الجملة النهائية للنص التي تعدد الآلهة المشتركين وفي رأس اللائحة:

«صورة آشور الذاهب للقاء تيامت،
صورة سنحريب ملك آشور».

حول نساء بيت الأكيتو في آشور

نتابع هنا نص الملك سنحريب وهو يصف لنا كيف أتمّ بناء بيت الأكيتو في آشور كما يلي:

«في ذلك الوقت، بعد أن قمتُ بهدم بابل[(١)]
والإطاحة بآلهتها. . . في شهر نيسان، في
رأس السنة، في شهر مأدبة ملك الآلهة
آشور، العيد الذي منذ زمن وبسبب الاضطرابات
أهملتُ إقامته في بيت أكيتو السهوب (لذلك)
كان يحتفل به داخل المدينة. في ذلك الوقت
دفعني قلبي إلى إقامة معبدٍ للاحتفال

(١) كسر سنحريب مدينة بابل وخرّبها في عام ٦٨٩ ق. م وجعل من نينوى عاصمة الأمبراطورية.

بعيد رأس السنة.
الإلّهان شمش وأدد، خصّاني بهاتف ملائم،
وأمراني ببناء بيت رأس السنة».

ويقدم لنا الملك سنحريب عن بناء بيت الأكيتو، التفاصيل التالية:

«في شهر ملائم وفي يوم. . . وبمعونة
(فن) مهندس العمار، وحكمة الكهّان، بنيت
أساساته بحجر الجبال الكلسي، ورفعت عالياً جدرانه،
بنيتها بكاملها بالحجر الكلسي. وحول المعبد، قمت
بحفر قناتيْ ريّ وأحطته ببستان خضار وأشجار. .

نحن نعلم أن حفنة من تراب بابل المقدس، دُفنت في أساس بيت الأكيتو في آشور، ويقول سنحريب بهذا الصدد:

«من أجل تهدئة قلب آشور إلّهي، ولكي تسجد
الشعوب خاضعةً أمام عظمته، توجّهت
إلى الشعوب النائية كثيراً عن أرض بابل.
وفي معبد الأكيتو ملأت من ترابها صندوقاً
ودفنتُه».

يردُ بعدَ ذلك وصف نقوش بوّابة بيت الأكيتو النحاسية التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة.

هل كانت المعركة ضدّ أعداء الآلهة تعبِّر عنها مشاهد تمثيليّة؟

عندما كان مردوك «سجيناً» في العالم السفلي بعد أن أُسِر وعُذِّب وسيق إلى «جَبَلِهِ» كانت هناك دلائل أشرنا إليها آنفاً لاشتراك الشعب في مأساة غياب الإلّه وفي تدخل بعض المكلفين، يلعبون «أدوارهم» لاطّلاع الشعب على وضع الإلّه السجين وتطوّر هذا الوضع حتى تحريره من سجنه، فينقلب الحزن والقلق والرثاء إلى دويّ فرحٍ وابتهاج وإلى عَودة الثقة بأن الإلّه عاد لتبوؤ مركزه.

وها هو الآن يقود مسيرة الآلهة الخارجة من المدينة لمحاربة الأعداء وإعادة

الخلق والتنظيم. وفي هذه المرحلة، عودة للمعركة البدئية بين مردوك منقذ الآلهة مع تيامت وجيشها كما ورد ذلك في قصيدة التكوين والخلق (النص رقم ٥٥ من الكتاب الثاني). وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت مغادرة الآلهة للمدينة والاتجاه نحو بيت الأكيتو، ترمز إلى انقطاع لا بد منه لكي تتمّ بعده السنة الجديدة ترمز إليها عودة الآلهة في ليل اليوم العاشر بعد تحقيق النصْر على أعداء الآلهة.

وفي هذه المرحلة من مسيرة الآلهة كان الشعب مشاهداً للأحداث ولم يكن فاعلاً كما في فترة الحزن والتحرير، إذ كان يشاهد أفعالاً رمزية تعبّر عن المعركة والنصر. وبعض التعليقات التي وصلتنا عن هذه المرحلة كانت تصف الملك وهو يكسر وعاءً وتقدِّمُ لنا تفسير الرمز:

«الملك عندما يكسر بسلاحه وعاء (هارِيُو)(١)

فهذا يعني مردوك حين انتصر على [تيامت]

ونقرأ في تعليق آخر:

«بأنّ ناراً تم إشعالها أمام الآلهة

وأن نعجة ترمى فيها (وهذا يعني):

النعجة التي رميت فوق الجمر والتي يلتهمها

اللهب، هي كينغو(٢) تحرقه النار.

وكينغو هو قائد جيش تيامت في قصيدة التكوين والخلق البابلية (النص رقم ٥٥). وهذا الانتصار على الفوضى والعماء خلال عيد رأس السنة، كان يعني أنّ ذلك تم فعلاً مرة أخرى من أجل البداية الجديدة، ويُشير تعليق يصف مردوك وهو يقف وسط تيامت في عيد الأكيتو تماماً كما تمّ ذلك في المعركة البدئية:

«توقف الإلّه لينظر إلى جسدها الميت

وفكّر بكيفية تقسيمه وخلق أشياء رائعة

---

(١) (Hariu) نوع وعاء مادته قابلة للكسر.

(٢) (Kingu).

ففتحه إلى نصفين كما تفتح الصدفة».

وفي الطقس الآشوري كان يرمز إلى الواقعة نفسها التعليق التالي:

«اليمامة التي تُرمى، هي تيامت

إنها ترمى وتقسم إلى نصفين».

بعض التفاصيل الإضافية عن مسيرة اليوم الثامن

كانت المسيرة الكبيرة إلى بيت الأكيتو تنطلق من غرفة الأقدار خارجةً من البوابة الشمالية للإيساچيل[١]، ومارّة بشارع أَيبورشابو[٢] وهو الشارع الموجّه من الغرب إلى الشرق بين الإيساچيل والبرج ذي الطبقات[٣]، ثم كانت تتّجه نحو الشمال محاذيةً في شرقي السور، البناء المسمى القصر ومنه تنفذ إلى بوابة عشتار متخذة طريق «الطَوَاف» الذي لا تزال بقاياه في بابل تشهد حتى اليوم بعظمته.

تصل المسيرة بعد ذلك حتى التقاء القنال آراهتو[٤] بالفرات. عند ذلك، كانت تتم مغادرة الآلهة لعرباتهم، وركوب القوارب بعد استراحة قصيرة على الضفة حيث أقيم مصلى، لتلك المرحلة التي كانت تشهد وداع التماثيل المتوجهة إلى بيت الأكيتو على وقع الأناشيد والمدائح. وفيما يلي الرجاء الذي كان يوجّه للإلّه مردوك قبل مغادرته:

«أي إلّهي، لماذا لا تستقر في بابل

ألم يقم لك عرشك في الإيساچيل؟»

يمكث الآلهة في بيت الأكيتو مدة الإنقطاع التي أشرنا إليها أعلاه. وفي ليل اليوم العاشر وعلى أنوار المشاعل كانت القوارب تغادر الأكيتو باتجاه بابل بعد انتهاء مأدبة بيت الأكيتو. ويمكن تخيّل هذا المنظر الرائع على الفرات وكذلك اجتياز موكب المشاعل بوابة عشتار في طريق العودة. ولدى عودته إلى الإيساچيل، فإن مردوك الجديد، المخوّل جميع السلطات والمنتصر ومقرر الأقدار،

---

(١) (Esagil) ومعناه البيت ذو الرأس الشامخ وهو معبد مردوك في بابل.

(٢) (Aïbourshabu) اسم الشارع ومعناه (الذي لا يدوسه العدو).

(٣) وهو الإيتيمينانكي (Etemenanki) ومعناه بيت أسس السماء والأرض.

(٤) (Arahtu).

كان يستقبل بالنشيد التالي:

«إلّهي، عندما تعود إلى مقرك، مقرك يقول لك:
سلام عليك يا إلّهي!
وبابل، مدينة بهجتك، لا تتركها خالية».

الاحتفال بالنصر كان يتمّ في اليوم العاشر في بيت الأكيتو

بعد المعركة مع تيامت وأعداء الآلهة التي شهدنا أعلاه بعض الأفعال التي كانت ترمز إليها (الوعاء المحطّم واليمامة)، تستقر الآلهة في بيت الأكيتو للاحتفال بالنصر حيث تقام مأدبة ويعبّر الجميع عن ابتهاجهم، يشير إلى ذلك نص تركه لنا نبوخذ نصّر الثاني (٦٠٥ ـ ٥٦٢) ق. م، يسمّي بموجبه هذا البناء:

«بيت التضحيات في عيد رأس السنة الجليل،
لإنليل الآلهة[١] مردوك؛ بيت الفرح
والابتهاج لآلهة العالمين العلوي والسفلي».

والاحتفال بالنصر يوصي به أيضاً نصّ تذكاري لنابونيد (٥٥٦ ـ ٥٣٩) ق. م، نقرأ فيه:

«في شهر نيسان، في اليوم العاشر منه، عندما
ذهب ملك الآلهة مردوك، مع آلهة العالمين
العلوي والسفلي، للإقامة في بيت الصلاة، بيت عيد
رأس السنة، بيت الأكيتو، بيت إلّه العدالة».

لم تكن بابل أو آشور هم المدينتان اللتان كانتا تحتفلان بعيد رأس السنة، فقد كانت الاحتفالات تقام في كل من آشور وبابل وأور وأوروك وحرّان وديلبات

---

(١) (Enlil) سيد مجمع الآلهة وهنا استعمل اسمه كلقب لمردوك بعد أن احتلّ المركز الأول بين جميع الآلهة.

ونينوى وأربيل. كما كان عدد من هذه المدن يحتوي على «بيت أكيتو» يقع دوماً خارج أسوار المدينة.

وكان بيت الأكيتو في آشور، يتميز بإطاره الغنيّ والمعتنى به. إذْ كان محاطاً بالبساتين وباحته حوت أشجاراً متساوية الأبعاد فيما بينها وكانت تزيِّن البناء بوّابات فخمة، وأهم ما كان يحويه هذا البناء هو قاعته المتسعة التي كانت أبعادها تقارب (٢٥ × ١٠٠) قدم[١] والتي كانت على ما هو مرجح تقام فيها الاحتفالات بالنصر.

الزواج الإلّهي بعد العودة من بيت الأكيتو

يرجح بالنسبة لعيد رأس السنة في بابل أن الزواج المقدّس كان يتمّ في ليل العودة المسائية من بيت الأكيتو في اليوم العاشر. والزواج الإلّهي أو الزواج المقدّس، عبّر عن مفهومه وعن مغزاه، بشكل مفصّل الكتاب الأول من هذه المجموعة.

ونشير هنا بشكل خاص إلى النص (رقم ٣٣) من هذا الكتاب الأول الذي قدّم لنا بعض التفاصيل عن الاحتفال بعيد رأس السنة السومري في مدينة إيسين[٢] حيث كان يُعدّ في القصر «الفراش» ليوم «المضاجعة» بين الملك إيدّين ـ داجان[٣] والإلّهة إنانا[٤] أو ممثلتها.

وفيما يلي مقتطف يصف لنا إعداد فراش العرس:

«في رأس السنة، حلول (تنفيذ) تلك الطقوس
نُصب عند ذلك فراش من أجل ملكتي.
طُهِّر (الفراش) بواسطة الأسَل والأرز العاطر؛
هذا الفراش من أجل مليكتي، عندما تمّ إعداده،

(١) أي ما يعادل (٧,٦٠ × ٣٠,٥)م.٢
(٢) (Isin) على بعد ٢٥ كم تقريباً إلى الجنوب من نفّر (Nippour).
(٣) (Iddin-Dagan) وهو الملك الرابع للملكية إيسين (١٩٥٣ ـ ١٩٣٥) ق. م؛ ويمثل هنا الإلّه دوموزي.
(٤) (Inanna) إلّهة الحب والخصب، حلت محلها عشتار الأكادية.

مُدّ عليه غطاء ـ فراش،
غطاء ـ فراش مُبهج كان يزيّن المضْجَع.

ولا يغفل هذا النص ذكر أفراح العيد ومشاركة الشعب، ذوي الرؤوس السوداء[١]:

«وأقام من أجلها عيداً رائعاً!
وأمام إنانّا ردّد ذوو الرؤوس
السوداء (قائلين):
«على وقع الطبل الذي يفوق الرعدَ هديره،
والقيثارة ذات الموسيقى العذبة،
التي تسحر القصر
(وعلى نغم) الرباب المهدىء لقلب البشر،
أيها المنشدون، أسمِعُونا أنغام البهجة!»

ومن الفترة الآشورية، وصلنا نص يشير إلى زواج الإلّه نابو مع تاشميتوم[٢] وذلك في رسالة موجهة إلى الملك. ويعني ذلك، أن الملك لم يقم بنفسه بذلك الطقس ولكنه أُعلِمَ بإنجازه من قبل ممثلَيْن عن الإلّه والإلّهة. وفي ما يلي نص الرسالة:

«إلى الملك سيّدي، خادمك نرچال ـ شَرّاني[٣]
تحيات إلى سيّدي الملك، وليبارك نابو ومردوك
سيدي الملك. في يوم غد الذي (هو) الرابع
من أيّار وعند حلول المساء، نابو وتاشميتوم
دخلا غرفة النوم.
في اليوم الخامس، سوف يُقَدَّم لهما طعام ملكي
بحضور مراقب المعبد. ومن الخامس إلى العاشر

---

(١) الصفة المستعملة في النصوص السومرية للدلالة على سكان ما بين النهرين.
(٢) (Tashmetum) قرينة الإلّه نابو، وهو ابن مردوك.
(٣) (Nergal-Sharrani).

سوف يمكث الإلّهان في غرفة النوم، وسوف
يبقى معهما مراقب المعبد.
في الحادي عشر، يخرج نابو لكي يمرّن حركة قدميه،
وسوف يذهب إلى حديقة الصيد، حيث يرمي
ثيراناً وحشية، ثم يصعد بعد ذلك للاستقرار في مسكنه.
سوف يبارك (؟) الملك و[...] أكتب إلى
الملك سيّدي، لكي يطّلع سيدي الملك (على هذا).

نحن نعلم أيضاً عن الإلّه مردوك بأنه كان:

«يسرع للذهاب إلى العرس».

وعرس مردوك في بابل كان يتمّ في الإيساچيل[١] حيث كانت توجد «غرفة سرير»، أكّد ذلك نصّ متأخر. وقد اعتبر هيرودوت[٢] حين زار بابل، أن الزواج المقدس كان يتم، وفقاً لما قيل له، في الطابق الأخير من البرج ذي الطبقات حيث كانت توجد غرفة السرير.

وبصورة عامة كان الزواج الإلّهي يتمّ في معبد إلّه المدينة، في الغرفة المسماة «جيچونو»[٣] وقد قيل عن الإلّهة نينليل[٤] بصفتها قرينة الإلّه إنليل[٥] بأنها:

«التي تجمّل الجيچونو»

كما كان يقال عن عشتار[٦] وآنو[٧] بأنهما:

«كانا يمكثان معاً في الجيچونو
الذي هو موضع الأفراح!»

---

(١) (Esagil) معبد مردوك في بابل ومعناه البيت ذو الرأس الشامخ.
(٢) (Herodot) المؤرخ اليوناني الذي عاش حوالى (٤٨٠ ـ ٤٢٥) ق. م.
(٣) (Gigunu) أو جيچونا وهي التسمية المخصصة لسكن الإلّه في معبده.
(٤) (Ninlil) قرينة إنليل.
(٥) (Enlil) سيّد مجمع الآلهة في سومر.
(٦) (Ishtar) إلّهة الحب والخصب وقرينة آنو وهي إنانّا السومرية.
(٧) (Anu) إلّه السماء وهو آن السومري.

الاجتماع الجديد في اليوم الحادي عشر في غرفة الأقدار

بعد إنجاز ما يرمز إليه الزواج الإلّهي وما يحمله من خصب وإخصاب في الطبيعة، كان الآلهة يعودون مرة ثانية للاجتماع في غرفة الأقدار، وذلك في اليوم الحادي عشر بغية تقرير مصير المملكة. وهي المهمة الأخيرة التي كان ينفذها الآلهة قبل تفرّقهم. وكان نابو بصفته كاتب الآلهة، يسجل مقرّراتهم التي كانت ترتبط بما كان ينتظر المملكة في السنة الجديدة. وتعتمد على رضى الآلهة لتحقيق ما تتمناه المملكة إجتماعياً وما ينتظر الشعب من رخاء ووفرة، وعسكرياً: بصيانة حدود المملكة والانتصار على أعدائها.

عودة الآلهة إلى مدنهم في اليوم الثاني عشر

جميع الآلهة الذين أتوا من الخارج يعودون إلى مدنهم مودَّعين من قبل الملك، كلٌ في موكبه، ومحمّلين بحرارة إيمان الشعب ويقينه بأنهم أعدّوا له ولمليكهم وللمملكة، سنة جديدة ملأها بآماله.

يعود بعد ذلك الفلاح إلى حراثة أرضه لأن الأمطار المخصبة سوف تلقح من جديد «الأم ـ العظيمة»، الأرض التي تغذي جميع أبنائها ذوي الرؤوس السوداء. وأنّ نهري دجلة والفرات سوف يمنحان بسخاء مياههما المقدّسة لشبكات الريّ الكثيفة التي كان الملوك يسهرون على صيانتها. وتعود المدينة بعد ذلك إلى أعمالها اليومية كالمعتاد.

تمجيد أخير

نختتم هذا العرض لاحتفالات السنة الجديدة التي اشتملت على موت مردوك الأب وتحريره من قبل نابو الابن محقِّقاً بذلك انتصاراً على الموت وعلى قوى العماء والفوضى، واستمراراً لحياةٍ متجددة يملؤها الأمل، نختتم هذا العرض بتمجيد لمردوك الأب ولنابو الابن دون إغفال زربانيتو الأم والقرينة مانحة الحياة.

«أنا طيّع لا سمك، أي مردوك،
يا أكثر الآلهة قدرةً!
أنت أمير السماء والأرض

الذي وُلِد طيّباً ـ أنت العليّ الأوحد.

أنت تحمل إذن وقار آنو وبيل وإيا
لك السيادة والجلال!
أنت مالك كلّ حكمةٍ،
أنت الأكمل قدرة!

أنت رائع في السماء!
وملك على الأرض!
أنت مستشار الآلهة العليم،
الذي أسّس جميع المساكن
وعيّن حدود السماء المرصعة بالنجوم!

أنت عظيم بين الآلهة!
جعلك إيا كامل التألّق
ووضع في يدك مصير
الآلهة العظام!

عظيم هو اسمك،
أي مردوك الأبيّ

بين الآلهة المقيمين
في قدس الأقداس!
هيكلك في تلقّي
الأضاحي والتقدمات
هو الأقدس

تقبّل رجائي!

استجب لصلاتي!

يتوجّه بعد ذلك المبتهل نحو زرپانيت طالباً شفاعتها:

«أيتها الملكة الجليلة والقائدة المقتدرة،

أيتها الأميرة والإلّهة والسيدة الرائعة،

العظيمة والسامية والمتألّقة!

يا حبيبة مردوك امنحيني الحياة!

وأنا أنحني طيّعاً أمامك!

أريد تمجيد قدرتك ونبلكِ وسموّك!

يا ملكة الإيساچيل، يا إلّهة الإلّهات!

أيتها الإلّهة المتسامحة التي تحبّ الصلوات

(أوجّه) إليكِ رجائي!

يا ملكة الإيساچيل، قصر الآلهة وجبل الكون

يا سيدة بابل، حامية جميع البلاد

يا بعلة[1] الآلهة التي تحب منح الحياة، والتي تُنقِذ في الضيق والصعوبات

أنت الشفوقة، تأخذين بيد المريض،

تقدّمين العونَ للضعيف وتكدسين حبوب البذار

أنت تحمين نَفَس الحياة، وتمنحين الأبناء والذرية،

تهبين الحياة وتتقبّلين الرجاء وتستجيبين للالتماس.

أنت خالقة البشر وجميع الكائنات.

---

(١) بمعنى سيّدة الآلهة.

كان الإلّه مردوك سيد المصائر وسيّد الكون، إلا أنّ الإلّه نابو كانت له في قلوب الشعب وتوزّع إيمانه مرتبة سامية، ليس فقط لأنه الابن الذي حرّر أباه من «سجنه»، بل لأنه كان أيضاً، كاتب الآلهة الذي يسجّل الأقدار على اللوحات. كان نابو يسجل أقدار المملكة كما كان يسجّل قدر الأفراد.

وكان الملك نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ ـ ٥٦٢) ق. م، يتوجّه إلى نابو على الشكل التالي:

[. . . . .]
على لوحتك الثابتة التي تعين حدود السماوات والأرض
أجعل أن تكون أيامي مديدة.
أكتبْ لكي يكون لي عمر طويل
أجعل أن تحوز أعمالي رضى مردوك،
ملك السماوات والأرض، الأب الذي ولدك؛
تكلّم (أمامه) لصالحي ولتكن على شفتيك
(هذه الكلمات):
«نبوخذ نصّر هو ملكٌ مموِّن (لمعابده)!»

وفي ابتهال آخر يتوجّه نبوخذ نصّر إلى مردوك ونابو عندما كانا يسيران جنباً إلى جنب في شوارع بابل أثناء احتفالات رأس السنة بهذه الكلمات:

«أيها الإلّهان نابو ومردوك،
عندما تتقدّمان مبتهجينْ وأنتما تطوفان
في هذه الشوارع، فلتكن على شفتيكما،
كلمات لصالحي؛ وبحضوركما في هذه الشوارع
فليدم إلى الأبد، سير حياةٍ
ذات أيام بعيدة و(تمام) صحّة
وأفرا [ح قلـ] ـب!

(١٢٢) ــ جلجامش والحياة الأبدية

تحت هذا العنوان، تعرض وقائع الملحمة التي ارتبط بها اسم چلچامش، في سعيه إلى كشف سر الحياة الأبدية، أو الحياة ــ بلا ــ نهاية.

وبتعابير أقرب إلى ما أرادت الملحمة إيحاءه لنا، يمكننا القول، في سعيه لمجابهة القلق أمام المصير المحتوم، والجهود العملاقة واللامجدية التي بَذَلها، لتجاوز هذا المصير: الموت الذي خطف أمام عيني چلچامش ومن «بين يديه»، الصديق الذي رافقه في مغامراته، وحقق معه أعمال البطولة، التي يحق لكل شعب ولكل بلدٍ التغنّي بها وبمنفّذيها.

ملحمة چلچامش، هي أقدم عملٍ ملحمي عرفته البشرية، وهي تمجيد للشجاعة والصداقة، وهما الوسام الذي يزيّن صدر كلٍ من چلچامش وصديقه أنكيدو، وهي تمجيد للأمومة، في دور القرب والنصْح والرعاية. فنينسون أم چلچامش، ترى فيها كل أمّ نفسها، في قربها من ولدها وفي حنوِّها وفي قلقها وتعقّلها، وفي اتساع معرفتها، تفسّر له أحلامه، وهو الذي على الرغم من الغرور الذي يرافق قدرته الجسدية، وفائق بأسه، يعود إلى أمّه في كل مرّة كطفلٍ صغير، يروي لها واثقاً أحلامه.

وللمرأة في هذا العمل الرائع أدوار عدّة، فغانية المعبد، تعلّم بجسدها أنكيدو مخلوق البراري والسهوب، تعلّمه بجسدها، فيتفتّح عقله ويصبح إنساناً، يقبل بأن تمسك إمرأة بيده لتقوده إلى المدينة، حيث ينتظره چلچامش، ندّاً على مستواه.

والمرأة الإغراء، تمثّلها عشتار في الملحمة، حيث تحاول قطف «ثمرة رجولة» چلچامش، وهو في أوج انتصاره، بعد أن تغلّب مع أنكيدو على حارس غابة الأرز وقطع أجمل أشجارها من أجل تزيين معابد أوروك.

وأما المرأة العارفة والحكيمة التي كانت على مفارق الطرق تدير حانة، فهي سيدوري، التي تعرف كيف تتحدّث عن الحياة والموت وعن الآلهة والبشر.

ومن أشخاص الملحمة كذلك، أسوار أوروك «المبنيّة بالصلصال المفخور» وحظائرها، والإيانّا، «بيت السماء» معبدها، وكذلك غابة الأرز المقدّسة، وحارسها همبابا والممرّات الجبليّة المؤدية إليها.

ولا ننسى إلّه الشمس أوتو ودوره في الملحمة ومسار الشمس والنفق المظلم قبل الوصول إلى شاطىء سيدوري والبستان السحري حيث الأشجار تحمل أحجاراً كريمة. وفي ختام سعيه، كان على چلچامش اجتياز مياه الموت للوصول إلى بطل الطوفان ليستمع منه إلى السر الذي لا يعرفه غيره.

وفي طريق العودة تبرز شخصية جديدة، هي الحيّة، التي تختلس في غفلةٍ من چلچامش نَبْتَةَ «عودة الشباب». وها هو چلچامش يعود إلى مدينته كملكٍ «جعل له اسماً» بعد أن عرف كل شيء ورأى كل شيء وبقي الموت على الرغم من كل ذلك، المصير الذي ينتظره.

وتعود أوروك لتتصدّر الأهمية، وتنتهي الملحمة كما بدأت، بالافتخار بأوروك، بأسوارها وبتنظيم عمرانها.

وقبل عرض نص ملحة چلچامش، نفضّل إطلاع القارىء على بعض ما يمكن قوله حول ما سبق نصّها الكامل من خلفيات في ما بين النهرين، حيث نشأت، وما كان في أساس ابتداعها. واطلاعه على الأهمية والشهرة التي حازت عليهما، وعن مدى ديمومتها. ويمكن لأي قارىء فهم أسباب هذه الشهرة وهذه الديمومة بمجرّد قراءة نصّ الملحمة، الذي نقدّمه بعد استعراض النقاط التالية:

(١٢٢ ـ أ) ـ العصر البطولي في سومر وخصائصه.

(١٢٢ ـ ب) ـ الأصول السومرية للملحمة.

(١٢٢ ـ ج) ـ انتشار الملحمة ونسخها المتعددة ونسخة نينوى.

(١٢٢ ـ د) ـ ترجمات متعددة وقراءات مختلفة.

(١٢٢ ـ هـ) ـ دراسات وبحوث تنتظر متناوليها.

(١٢٢ ـ و) ـ نص نسخة نينوى.

(١٣٢ ـ أ) ـ العصر البطولي في سومر

١ ـ عرفت بلاد اليونان عصراً بطولياً، منذ نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد، وعرفت الهند مثل هذا العصر، بعد حوالى قرن من الزمن، كما أن الشعوب الجرمانية عاشت هذه الفترة، بين القرنين الرابع والسادس الميلادي.

وقد أنتجت تلك الفترات، ما عُرف بالملاحم البطولية لهذه الشعوب، حيث كان الآلهة والبشر، يترافقون في خوض المغامرات وفي تحقيق الأعمال البطولية، التي تغنّى بها شعراؤهم ومنشدوهم.

والأبطال البشريون الذين مُجِّدت أعمالُهم تلك الفترات، لم يكونوا من البشر العاديّين، بل كان تفوّقهم يسمح لهم بالوقوف بين الآلهة والبشر، ولذلك علينا ألاّ نستغرب أن بعضاً من هؤلاء تَمَّ تأليههم بعد موتهم، مع الإشارة إلى أن العصر البطولي كان يسمح بالتنقل بين العالمين الإلّهي والبشري.

٢ ـ العصر البطولي السومري، هو أقدم ما عرفته بدايات الحضارة في عالمنا، إذ بلغ أوج ازدهاره في سومر منذ الربع الأول من الألف الثالث لما قبل الميلاد، ويعني ذلك أنه سبق العصر البطولي اليوناني بخمسة عشر قرناً.

وأهم ما يميّز الفترات البطولية التي أشرنا إليها، وما يقارب بينها، هو أن الشعراء كانوا ينشدون البطولة والمغامرات التي كان يقوم بتحقيقها أفراد، هم الأبطال، ولم يكونوا يتغنّون أو يحتفلون بتفوق الممالك أو المجموعات.

٣ ـ العصر البطولي في سومر كما في البلاد الأخرى، سبق التسجيل ولذلك كانت الملاحم البطولية وسِيَرُ الملوك والأبطال تُنشد في القصور، ترافقها

الموسيقى، كما هو مرجّح وتتناقلها التقاليد الشفوية التي عرفتها الشعوب.

ومع أن سومر، هي أقدم من سجّل سِيَرَ الآلهة والأبطال والحكماء، فإن ذلك لم يتمّ إلا اعتباراً من الثلث الأول من الألف الثاني ق. م، وهي الفترة الأقدم التي سجلت خلالها الأساطير السومرية التي نعرفها.

وعما عرف بفترة الملكية الأولى في سومر (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠) وفترة الملكية الثانية (٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٠) ق. م، تتحدث النصوص، ذات الأساس التاريخي عن مدن وملوك، هم الذين بُنيت حولهم أحداث الفترة البطولية التي أشرنا إليها.

من بين مدن الملكية الأولى، يمكننا أن نعدّد:

* أوروك[١] وملوكها لوچال باندا واينمركار وچلچامش[٢]

* كيش[٣] وملوكها إينميباراچيزي وآچا وميسليم[٤]

* آراتا[٥] في بلاد عيلام وملكها إينسوكوشيرآنا[٦].

نلاحظ هنا أن إسم ملك أراتّا هو ذو صيغة سومرية، وبالإضافة إلى ذلك، فهو أيضاً، كان يضع نفسه تحت حماية الإلّهة إنانّا.

٤ ـ عن العصر البطولي الذي رافق الملكية الأولى، وصلتنا قصائد بطولية، نعرف منها حتى اليوم، عشرة نصوص وهي في حالات حفظٍ متفاوتة، يتراوح محتوى كل منها بين ١٠٠ و٦٠٠ سطر، وهي كما يلي:

* قصيدتان بطلهما الملك إينمركار

* قصيدتان مخصصتان للوچال باندا

* خمس قصائد بطلها چلچامش

---

(١) (Uruk).

(٢) (Lugalbanda) و(Enmerkar) و(Gilgamesh).

(٣) (Kish).

(٤) (Enmebaraggesi) و(Agga) و(Meslim).

(٥) (Aratta).

(٦) (Ensukushiranna).

ونحن نعلم أيضاً أن أسماء الأبطال الثلاثة أعلاه، وردت في لائحة ملوك سومر التي تمّ تأليفها خلال الربع الأخير من الألف الثالث. وقد عُثر عليها منسوخة على لوحة تعود إلى النصف الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد.

٥ ـ وهذا يعني أن چلچامش وكذلك إينمركار ولوچال باندا، أتَتْنا أخبارهم من العصر البطولي، ويمكننا أن نضيف إليهم دوموزي الراعي ودوموزي الملك، الذي كانت سيرته في أساس الخصب والإخصاب، واستمر تداول هذه السيرة لأنّها كانت تعبيراً عن دورة موت الطبيعة وبعثها من جديد، وكانت أيضاً في أساس حياة وموت البشر وبعثهم بصورة مكمّلة. وقد دخل الكتاب الأول في تفاصيل سيرة دوموزي وأكملها هنا الفصل الأول من هذا الكتاب.

وهكذا، فإن دوموزي تجاوز العصر البطولي، للأسباب التي أوضحناها أعلاه، وأما چلچامش، فقد تجاوز ذلك العصر لأنّه أصبح الشخصية المثلى التي أمكن استعارتها لعرض ومناقشة المواضيع الإنسانية، وقد أشرنا إليها باقتضاب من خلال تقديم هذا العمل وسوف يطرحها نصّ الملحمة بشكل مفصّل.

٦ ـ أما الشاعر الذي استعار شخصية چلچامش وقدّم عنها ملحمة متواصلة الأحداث والمشاهد، حافلة بكل ما يدعو إلى التفكير والتأمّل، هذا الشاعر، كان على اطلاع كامل على ثقافة عصره وعلى معرفةٍ واسعة بتراث سومر وآكاد، في شمول المعتقدات الدينية والفلسفية لذلك العصر وآدابه وحكمته وأمثاله... وإذا ما كان أحد السجّلات الآشورية، ينسب جمع وتثبيت الملحمة في إحدى عشر لوحة من قبل الكاهن المعوّذ «سين ـ لِيقي ـ أونيّني»[١]، الذي عاش في أوروك حوالى ١٢٠٠ ق. م، يمكننا القول، بأن هذا الكاهن، كان أديباً فذّاً ومُبدِعاً قبل كل شيء، ولم يكن «مهووساً» بما هو ديني فقط. وإلى تلك الفترة، تعود إضافة اللوحة الحادية عشرة إلى الملحمة وهي المتضمِّنة قصّة الطوفان المستوحاة من عمل رَحْبِ ومواز في أهميته لملحمة چلچامش، نُسب إلى المؤلف الناسخ «نور ـ آيا»[٢] وهو الذي تعرض لتاريخ البشرية من الخليقة وحتى الطوفان[٣]، الطوفان الذي هو الحدث الذي حفظته ذاكرة سومر وآكاد بحيث تمّ التأريخ إلى ما كان

---

(١) (Sin-Léqé Unnini) بمعنى: «سِين، تقبل رجائي». (سين) هو الإلّه القمر.

(٢) (Nur-Aya) وآيا هي قرينة الإلّه الشمس.

(٣) ورد كامل النص في الكتاب الثاني تحت (رقم ٥٦).

قبله وما صار بعده، وليست هذه، هي المرة الأولى، التي يعمد أدباء و«ميتوغرافيو»[1] ما بين النهرين، إلى الاستفادة من ثقافة رحبة ومعرفة واسعة لتراثهم، وتقديم أعمال رائعة وشاملة، فإن قصيدة التكوين والخلق البابلية «إينوما إيليش»[2] تدخل في هذا التصنيف، إذْ تمّ تأليفها بالاستفادة من التطورات السابقة لقصص الخلق والتكوين بقصد إعطاء الإلّه مردوك[3] الدور الأول وهذا ما عرضه بالتفصيل النص رقم (٥٥) من الكتاب الثاني.

ولا ننسى بطولة نينورتا[4] في انتصاره على الطائر أنزو[5] وعلى شعب الحجارة[6] بإخماد ثورة الجبل وتسخيره صخوره وأحجاره الكريمة والعادية لمصلحة سومر، بلد الصلصال والطين.

نينورتا ومردوك، هما إلّهان، مثّلا البطولة، وهما ليسا بعيدين عما ورثه عنهما چلچامش. وأما الفائق ـ الحكمة، بطل الإنقاذ من الطوفان، هو نفسه أوتا ـ نافيشتي[7] الذي مُنح الحياة الأبدية مكافأةً له واضطر أن يعيش في عالم لم يكن عالم البشر العاديين، إذ لا يمكن الوصول إليه إلا من قبل الأبطال مثال چلچامش.

٧ ـ نذكّر هنا بأنّنا أشرنا من ضمن الكتاب الثاني إلى الملوك الذين عاشوا في العصر البطولي، وإلى الحكماء الذين رافقوهم والذين كان اتساع معرفتهم يزوّدهم بقدرات خارقة كانت تفوق قدرة البشري العادي، مثال الحكيم المرافق للملك إينمركار، الذي «أنزل إنانّا إلى الإيانّا»، وهو الذي اخترع «القيثارة المعدنية» ذات «مفاتيح اللازورد»، وأدابا[8] حكيم مدينة إريدو[9] الذي كسر جناح ريح الجنوب وصعد إلى السماء (انظر: النص رقم ٧٣ من الكتاب الثاني).

---

(١) مبتدعو الأساطير الميثولوجية.
(٢) (Enuma-Elish).
(٣) (Marduk).
(٤) (Ninurta).
(٥) (Anzu) انظر النص (رقم ٦٢) من الكتاب الثاني.
(٦) ورد في النص (رقم ٧٩) من الكتاب الثالث.
(٧) (Uta-Napishti).
(٨) (Adapa).
(٩) (Eridu).

كما أن السحرة، الذين عرفتهم سومر وعرفتهم مصر الفرعونية بشكل أوسع، هم الذين ورث عنهم موسى، عجائب عصاه في منافسته مع سَحَرة فرعون. ومثل هذه المنافسات نجدها بشكل خاص في النصوص الفرعونية وسوف نعرض مثلاً سومرياً عنها من ضمن هذا الكتاب في فصله الثاني (النص رقم ١٢٩).

والسحر الذي رافق العصر البطولي في سومر، عرفته معارك الآلهة، التي سبق التعرّض إليها: فمردوك يتحكّم في الرياح التي ترافقه في معركته، ويثبت تفوّقه بجعل كوكبة تختفي وتعود للظهور[١]. وبسحره يتمكّن الطائر أنزو من إعادة سهام نينورتا الموجّهة إليه إلى موادّها الأساسية[٢]. ونينورتا في صراعه مع شعب الحجارة كان يملك سلاحاً سحرياً اسمه شارور[٣] يخبره بمواقع الأعداء واستعداداتهم. كما أن إنانّا، بكلمةٍ منها تحول صاحبة الحانة «بيلولو» إلى قربة ماء[٤].

٨ ـ ما وصلنا من العصر البطولي، كما أشرنا إلى ذلك في الفقرة الرابعة أعلاه، وفي كل ما لا يدخل أو يتوازى مع محتوى ملحمة چلچامش، سوف يتم عرضه في الفصل الثاني من هذا الكتاب تحت عنوانٍ عام هو «الحرب والدمار»، الحرب المولّدة لموتٍ أقسى من الموت الطبيعي، لأنه من صنع البشر.

---

(١) ورد في النص (٥٥: ٤) الكتاب الثاني.
(٢) ورد في النص (رقم ٦٢).
(٣) (Sharur).
(٤) انظر النص (رقم ١١٠) من هذا الكتاب.

(١٣٢ ـ ب) ـ حول الأصول السومرية للملحمة جلجامش

١ ـ أشرنا في الفقرة السابقة (المقطع رقم ٤)، إلى أن العصر البطولي السومري ترك لنا خمس قصائد بطلها چلچامش وهي تغطّي المواضيع التالية:

* چلچامش وهوّاوا وغابة الأرز
* چلچامش والثور السماوي
* چلچامش وأنكيدو والعالم السفلي
* چلچامش وملك كيش
* موت چلچامش

جميع نصوص النسخ المشار إليها أعلاه، عثر عليها في نفّر وكيش وأور ولارسا وأوروك[١] وهي تعود إلى فترة الملكية البابلية الأولى (٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠) ق. م. أما النصوص الأصلية فيعتقد أنه تمّ تأليفها حوالى ٢١٠٠ ق. م، خلال فترة ملكية أور الثالثة.

كانت نسخ هذه النصوص، حتى عام ١٩٣٥، تشكّل مجموعة من ٢٦ لوحة وكسرة لوحة، أُضيفت إليها بين عامي ١٩٣٥ و١٩٧٥ ستون قطعة جديدة تدخل في هذا التعداد، كما يمكن أن تضاف إليها قصة الطوفان السومرية، والتي لم يكن لها أصلاً علاقة بچلچامش، وهي التي اشتمل عليها نص «الفائق ـ

(١) (Nippur) و(Kish) و(Ur) و(Larsa) و(Uruk).

الحكمة» عن تاريخ البشرية، من الخليقة وحتى الطوفان (النص رقم ٥٦ من الكتاب الثاني).

٢ ـ تشير النصوص السومرية بصدد أنكيدو، إلى أنه كان خادماً لچلچامش ولم يكن صديقه مع أنه كان من أقرب تابعيه إليه، يتناقش معه ويبدي له الرأي والنصح، كما يتّضح ذلك مما أمكن قراءته من النص السومري المتعلق بالثور السماوي على الرغم من التشويه الكبير والنقص اللذيْن أصاباه[١].

تتضح أيضاً من النص السومري العائد للقاء حارس غابة الأرز، تتضح أهمية هذا الأصل فيما يتعلق بمفهوم الموت الذي هو مصير البشر وذلك في حوار چلچامش مع الإلّه الشمس أوتو[٢] على اعتبار أن جبل الأرز يقع تحت حمايته. وفيما يلي ما يقوله چلچامش للإلّه أوتو:

17 «أيها الإلّه أوتو، أريد الذهاب إلى الجبل، فكن عوناً لي،
أريد الدخول إلى حيث يُقطع الأرز؛ أرجوك أن تكون عوناً لي..»
ومن سمائه يجيبه الإلّه أوتو:
20 «طالما أنت (هنا) هذا السومري الفتى[٣]، ما عساك
تصبح في ذلك البلد؟»
يجيبه چلچامش: «أيها الإلّه أوتو، أريد أن
أقول لك كلمة، أدر أذنك إلى كلمتي،
أريد أن أقول لك كلمة، لأنك أجبتَني،
في مدينتي، الناس يموتون، وفي ذلك صدمة للقلب
الناس يقضون وفي ذلك ألم للقلب.
25 انحنيت من فوق السور

---

(١) يتألف النص من ١٤٠ سطراً.
(٢) (Utu) الإلّه الشمس السومري وله أهمية كبرى في الملحمة.
(٣) هنا بمعنى السومري ذو الأصل الكريم، إبن نينسون.

فرأيت الجثث تطفو على سطح مياه النهر.
من أجلي أنا سيكون الأمر مماثلاً، سيكون كذلك.
الإنسان مهما كبر، لا يستطيع نيل السماء
الإنسان مهما عرض، لا يستطيع احتضان الأرض
30 بما أنّي لا أزال في أوج بأسي، ولم أنل بعد الشهرة،
أريد الدخول إلى الجبل كي أجعل لنفسيَ إسماً،
في المكان حيث يوجد نصب، أريد إقامة نصب لي
وفي المكان حيث لا يوجد نصب، أريد إقامة نصب للآلهة..»
تقبل أوتو دموعه كتقدمة
35 ومثل رجلٍ عطوف، أشفق عليه (أوتو)...

وبالإضافة إلى هذه الأُلفة بين چلچامش والإلّه أوتو التي لا تضاهيها سوى ألفة موسى مع يهوه في التوراة، فإنّ النص السومري يطرح هنا على لسان چلچامش موضوع موت البشر ومحاولة چلچامش القيام بالأعمال التي من شأنها أن تجعل له إسماً يبقى على مرّ الزمن.

وفي هذا النص السومري، فإن الإلّه إنليل يغضب لأنهما قتلا حارس غابة الأرز، وليس هناك ما يشير إلى أنه يحكم على أنكيدو بالموت بسبب ذلك. ومرض أنكيدو وموته كانا على الأرجح من ابتداع الشاعر البابلي.

فيما عدا هذه التفاصيل، يمكننا القول بأن نصّي غابة الأرز والثور السماوي، السومريَيْن يتوافقان مع محتوى الملحمة ويشكّلان أصلاً لما آلت إليه فيما بعد. أما نص «چلچامش وأنكيدو في العالم السفلي» فقد أضيف إلى نسخة نينوى فيما بعد ولم يكن يدخل في النسخ البابلية القديمة وغيرها من النسخ. وأخيراً فإن نص موت چلچامش كان معروفاً لدى البابليين، إلا أن الشاعر البابلي القديم الذي ابتدع حبكة الملحمة، تعمّد التوقف عند عودته إلى أوروك بعد فشله، موحياً من خلال النص، بأنّ عليه الاكتفاء بخلوده المجتمعي في أعماله العمرانية وفي إزالته الشر من العالم، وأن الموت يبقى مصيراً محتوماً للبشر، وهو استنتاج لن يغفلهُ القارىء.

النص السومري الخامس عن جلجامش وملك كيش، والذي لا علاقة له بملحمة جلجامش، سوف نعرضه، تحت الرقم (١٣٣) في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

٣ ـ تفيد الإشارة هنا إلى أن اسمي جلجامش وأنكيدو، هما سومريان وكذلك اسم كل من لوجال باندا ونينسون والدا جلجامش في الملحمة ـ وآرورو[١] التي خلقت أنكيدو، هي إلّهة ـ أم سومرية، تعرّف عليها الكتاب الأول في أكثر من نص، كما يمكن إضافة إلّه السماء آن[٢] الذي أنزل على الأرض الثور السماوي، وكذلك إنليل الذي قرر موت أنكيدو، هو الإلّه السومري الذي أطلق الطوفان.

٤ ـ على الرغم من تلك السوابق السومرية التي كانت وراء ابتداع ملحمة جلجامش، ولم تكن الوحيدة، لأن التراث الأسطوري السومري بمجمله، كان له، هو أيضاً، أثره في هذا المجال. فأنكيدو الذي كان يرعى العشب في السهوب، ويرتاد مع الغزلان موارد المياه، له ما يوحي به، في «مخلوقات» الأزمنة الموغلة في القدم، الذين:

لم يكونوا يعرفون أكلَ الخبز
ولا يعرفون تغطية أجسادهم بالكساء
كانوا يمضون ويعودون بكامل عريهم
يتغذّون بالأعشاب كما يفعَل الخرفان
ولا يرتادون سوى المناقع[٣]

هذه الصورة تنطبق تماماً على حياة أنكيدو، قبل أن تقوم غانية المعبد، بتلطيف وحشيته وبأَنْسَنته حين «علّمته جسد المرأة» وقدّمت له الخبز ليأكل وكست جسده ومسحته بالزيت.

٥ ـ النص البابلي القديم حول «عشتار ومجابهتها لندّ لها هي صلتو»[٤] التي

---

(١) (Aruru) أخت الإلّه إنليل (Enlil) سيد مجمع الآلهة.
(٢) (An) أو آنو الأكادي.
(٣) ورد في النص (رقم ٤١) من الكتاب الثاني.
(٤) النص (رقم ٨٩) من الكتاب الثالث.

خلقها الإلّه إيا[1] خصيصاً كنظير لها، للحدّ من عنفوانها ومن عدائيتها، هذا النص الأكادي الذي يعود إلى فترة حكم حمورابي، يذكّر بخلق أنكيدو كنظير لچلچامش لمجابهته وإراحة شعب أوروك من عنفوانه، كما سنرى فيما بعد من ضمن عرض نص الملحمة.

وفي كل الأحوال يمكننا القول، حتّى لو أنه تمّ العثور على نصوص سومرية جديدة، تدعم بشكل أكْملَ الأصول السومرية للملحمة، فذلك لن يقلِّل قطّ من عبقرية الشاعر البابلي، الذي استعار للمرة الأولى شخصية چلچامش وخلق حولها قصّة الصداقة التي تولدت بينه وبين أنكيدو، وروى مغامراتهما وانتصاراتهما بشكل جعلنا نعتقد بأنهما خالدان وقادران على مجابهة كل شيء، وها هو أنكيدو يمرض ويموت، ليبدأ بعد ذلك تلوّع چلچامش وهيامه وسعيه. . .

مثل هذا التسلسل المحكم البناء، لم نجده في مجموعة النصوص السومرية، التي عرفت كيف تظهر بطولة چلچامش، وهذا طبيعي، لأن چلچامش السومري، جاءنا من العصر البطولي، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه، والعصر البطولي عادة لا يتحدث عن موت الأبطال، ولكنه ينتقل بشكل طبيعي ومباشر، وبدون تقديم الشروح إلى تأليه البطل بعد انقضاء فترةٍ من الزمن على حكمه وعلى وقوع حوادث سيرته، وهذا ما حدث فعلاً بالنسبة لملوك العصر البطولي في سومر، فلائحة ملوك سومر التي تمّ وضعها خلال ملكية إيسين[2] الأولى (٢٠١٧ ـ ١٧٩٤)، تَعْتبِر چلچامش، الملك الخامس في ملكية أوروك الأولى التي يؤرخ لها عادة بين (٢٧٠٠ ـ ٢٥٠٠) ق. م، وهذه اللائحة تذكر اسم چلچامش مسبوقاً برمز الألوهية وتحدّد مدّة حكمه بـ ١٢٧ عاماً. وفي مكانٍ آخر، فإن چلچامش يُعرف بأنّه ابن الإلّه لوچال باندا والإلّهة نينسون. وأخيراً يمكن إضافة خبر لوحات مدينة شوروپاك[3] التي تعود إلى حوالى ٢٤٠٠ ق.م، وتشير إلى لوچال باندا وچلچامش كإلّهين ولم يكن مضى على حكميهما المفترضين أكثر من قرنٍ أو قرنين، وهما عاصرا وفقاً لأحد النصوص السومرية

(١) (Ea) هو (Enki) أنكي السومري: إلّه الخلق ومهارة الصنع.
(٢) (Isin) تقع على بعد حوالى ٢٥ كم إلى الجنوب من نفّر.
(٣) (Shuruppak) مدينة الطوفان السومري وهي فارا الحالية.

آجا[1] ملك كيش كما وردت الإشارة إلى ذلك في الفقرة الأولى أعلاه.

أما أنكيدو السومري، وهو كما أوضحنا أعلاه، خادم چلچامش، فإنه لم يمت مرضاً مثل أنكيدو صديق چلچامش، ولكن تمّ احتجازه في العالم السفلي الذي نزل إليه وخالف قواعده. وهنا أيضاً يمكننا التذكير بقواعد أو طقوس ولوج العالم السفلي التي وردت في النص السومري (رقم ١٠٦) من هذا الكتاب، حيث نزلت إليه الإلّهة إنانّا، ولم يُسمح لها بالصعود منه إلا مقابل تسليم بديلٍ عنها، وقد بُنيَ هذا الصعود الاستثنائي على أنها كانت قد نالت سابقاً من الإلّه إنكي حقَّ النزول إلى العالم السفلي والصعود منه من ضمن أسس الحضارة التي منحها إياها، وعادت بها إلى أوروك في سفينتها «سفينة السماء» كما ورد ذلك في النص رقم (٨٥) من الكتاب الثالث».

٦ ــ وكخلاصة لهذا العرض، يمكننا القول بأن النصوص السومرية بشكل عام، وأن نصوص المجموعة السومرية للعصر البطولي بشكل خاص، كانت في أساس ولادة ملحمة چلچامش، ولم تكن تشكل وحدة متكاملة؛ وهذا ما حقّقه الشاعر البابلي، منذ وضعه النسخة القديمة للملحمة، وما وصلنا منها يعود إلى ما قبل منتصف الألف الثاني لما قبل الميلاد. وسنقدم في الفقرة التالية، تفصيلاً عن أماكن حفظ النسخ المتعددة للملحمة وتَوزُّعِ لوحاتها، كما نشير إلى المواضيع التي تضمّنتها.

---

(١) (Agga).

(١٣٢ ـ ج) ـ إنتشار الملحمة ونسخها المتعدّدة

١ ـ عرفت ملحمة چلچامش إنتشاراً واسعاً خلال ما يقارب ألفي عام وتمّ تناقلها في جميع أنحاء الهلال الخصيب. وإذا ما تتبعنا أماكن اكتشاف نصوص هذه الملحمة، فإن خريطة الهلال الخصيب ترتسم أمامنا، من أور إلى أوروك ونفّر وكيش وبابل وسيبار[١] وشادوپّوم[٢] على دجلة ونيريبتوم[٣] على ديالى وآشور ونمرود (كلخ) ونينوى[٤] وسلطان تيپّه[٥] (بين دجلة والفرات الأعلى) وإيمار[٦] في سورية الحالية وأوغاريت بجوار اللاذقية ومجيدّو في فلسطين.

كما عُثر على نسخ من الملحمة في بوغاز كوي[٧] وحتى في الأورارتو، ولا يزال المنقبون يأملون العثور على أجزاء نسخ أخرى مكمّلة أو مكرِّرة.

ومن حسن الحظ، فقد مكنت سعة الانتشار هذه من الربط بين الأجزاء المكتشفة وتلافي التشويه والنقص اللّذين أصابا عدداً من اللوحات، وكثيرة هي كُسَرُ اللوحات التي تمّ العثور عليها والتي صُنِّفت بكل دقّة واستُفيد منها في تتبع تسلسل أحداث الملحمة واستكمال بعض الثغرات.

---

(١) (Sippar) على بعد حوالى ٥٠ كم إلى الجنوب من بغداد.

(٢) (Shaduppum) (تل حرمل) القريبة من بغداد إلى الشمال الشرقي.

(٣) (Nêribtum) ويعتقد أنها إيشّالي على بعد حوالى ٦٠ كم إلى الشمال في بغداد على ديالا.

(٤) (Ninive) حيث عثر على مكتبة أشور بانيبال الشهيرة.

(٥) (Sultan Tepé) في المنطقة الحورية.

(٦) (Emar) بالقربة من مسكنه.

(٧) (Boghaz-Kûy) وهي خاتّوشا الحثية.

سجّلت ملحمة چلچامش بصورة عامة على عدد من اللوحات تحمل كل لوحة ستة أعمدة، أي ثلاثة أعمدة على كل وجه، ويحتوي كل عمود على حوالى ٥٠ سطراً.

وبالنسبة للنسخة الأطول، وهي المعروفة بنسخة نينوى أو النسخة المعتمدة من قبل ناسخها حوالى ١٢٠٠ ق. م، فإنها موزّعة على إحدى عشر لوحة، أضيفت إليها لوحة أخيرة في فترة لاحقة، وهي تحتوي على (٢٥٠٠ ـ ٣٠٠٠) سطراً وصلنا منها ١٦٠٠ سطراً فقط.

٢ ـ أما فيما يتعلق بتصنيف المكتشفات وأماكن الاكتشاف وأماكن الحفظ، فإن الباحثين لم يتبعوا طريقة موحدة لتقديم وعرض مختلف النسخ التي وصلتنا، فهناك إشارة أولى إلى لغة النسخة. ومثل هذا التصنيف بالنسبة لملحمةٍ تمّ تناقلها خلال ما يقارب عشرين قرناً، سَمَح بالتفريق فيما يتعلق باللغة الأكادية، وذلك بإعادة المكتشفات إلى الفترة التاريخية التي رافقها تطور اللغة الطبيعي وتطور الأسلوب الأدبي. وهكذا تمّ التفريق بين كل من:

* البابلية القديمة (١٨٩٤ ـ ١٦٠٠) ق. م.

* البابلية المتوسطة (١٦٠٠ ـ ١١٠٠) ق. م.

* الآشورية المتوسطة (اعتباراً من ١٣٠٠ ق. م) وإلى هذه الفترة تعود نسخة نينوى (حوالى ١٢٠٠).

* البابلية الجديدة (٦٠٩ ـ ٥٣٩) ق. م.

وبالنسبة لغير الأكادية فيضيف التصنيف:

* اللغة الحثّية وتعود نسخها إلى النصف الثاني من القرن الرابع عشر ق. م.

* اللغة الحورية (بداية القرن الرابع عشر ق. م) ولم تتم ترجمتها بشكل نهائي حتى اليوم نظراً لصعوبة اللغة.

* اللغة العيلامية، وما عثر عليه من نسخها يعود إلى القرن الثامن لما قبل الميلاد.

وفي تصنيف أبسط، يهتمّ بالدرجة الأولى بأماكن الاكتشاف والحفظ، فقد لجأ بعض الباحثين إلى تعديد المكتشفات التي تعود إلى ما قبل القرن الخامس عشر ق. م، وإلى ما بعد هذا القرن، وأحدث جزء من الملحمة، تم اكتشافه في

أوروك، وهو يعود إلى العهد السلوقي خلال فترة حكم أنطيوخوس الرابع (١٧٥ ـ ١٦٤) ق. م.

وحول الإشارة إلى چلچامش وأنكيدو بصفتيهما عملاقين من العصور القديمة، فإن أحد المقاطع الآرامية المكتشف في المغارة رقم ٤، حيث عثر على مخطوطات البحر الميت، هناك إشارة فيما عرف بكتاب العمالقة إلى چلچمس[١] وهوْبَبِش[٢] أو حَوْبَبِش.

وبدلالة أماكن الاكتشاف وأماكن الحفظ، فإن ملحمة چلچامش تتوزّع كما يلي:

* ما سبق منها القرن الخامس عشر ق. م.

- لوحة جامعة فيلادلفيا.
- لوحة جامعة يال: وهاتان اللوحتان يرجح اكتشافهما بجوار سيبار، وهما من حسن الخط متتاليتان، تحتوي كل منهما على ٢٥٠ سطراً،
- كسرة لوحة متحف بغداد من تل حرمل: وهي تصف الرحلة حول غابة الأرز، وتروي حلم چلچامش.
- كسرة متحف شيكاغو، والتي تبدأ بعد الانتصار على همبابا والقضاء عليه، ثمّ قطع الأشجار.
- أجزاء في متحف برلين، صادرة عن حفريات خفيّة في بداية القرن وتقع مشاهدها بعد موت أنكيدو.
- أجزاء متحف لندن وهي تتضمن تعبير چلچامش عن يأسه أمام صاحبة الحانة وإجابتها له...

* أجزاء تعود إلى ما بعد القرن الخامس عشر ق. م:

- لوحة أور، وهي تعود إلى نهاية الألف الثاني وتحتوي على ٦٧ سطراً وفيها يتضرّع أنكيدو إلى شمش ويلعن الغانية، وكذلك حلم أنكيدو المنذر بموته.

---

(١) (Glgms).

(٢) (Ḥwbbš) وهي همبابا.

- أجزاء من إيمار (مسكنة) وهي مؤلّفة من أربع كسر، تحتوي الكسرة الأولى على ثمانية أسطر ومجموع ما تحتويه الثلاثة الأخرى ٤٠ سطراً. وهي تعود إلى القرنين الثاني عشر أو الحادي عشر قبل الميلاد، وفيها حادثة إغراء عشتار لچلچامش ورفضه.
- كسر مجيدّو (على بعد ٣٠ كم إلى الجنوب الشرقي من حيفا في فلسطين) وهي كثيرة التشويه، وتتضمّن مرض أنكيدو بعد مغامرة غابة الأرز وسرد حلمه لچلچامش وتفاقم مرضه.
- ٣ كسر باللغة العيلامية تعود إلى القرن الثامن ق. م.
- الكسر المكتشفة في سلطان تيپه تعود إلى القرن السابع ق. م، وهي محفوظة في متحف اسطنبول، ويدخل محتواها في اللوحة السابعة حول مرض أنكيدو وهذيانه.
- كسر نمرود (كلخ)، تحتوي على الأسطر (١٧ ـ ٥٢) من اللوحة الأولى، وبقايا الأسطر (٤٠ ـ ٤٤) من العمود الثاني للوحة نفسها وكذلك الأسطر (١ ـ ٣) من العمود الثالث.
- كسرتان مصدرهما بابل، تدخلان في كل من اللوحة الأولى حول أنسنة أنكيدو واللوحة الخامسة حول الصراع مع همبابا.
- المجموعة الحثّية من بوغاز كوي باللغة الأكادية تعود إلى القرن الرابع عشر ق. م. وتحتوي على ١٢ كسرة، لا يشتمل بعضها إلا على بضع كلمات. وثلاثة كسر منها فقط، تعلمنا: الأولى، عن الغانية تقود أنكيدو إلى المدينة، وتروي الثانية حلم چلچامش الأول قبل الذهاب إلى غابة الأرز في المرحلة الأولى من المهمّة، كما تروي الحلم الثاني وتفسيره من قبل أنكيدو.

أما الكسرة الثالثة، فتعرض محاولة عشتار لإغراء چلچامش وطلبها من آنو إنزال الثور السماوي على الأرض وقبول آنو بذلك.

يدلّ تتبّع هذه النسخة أنها كانت أقصر من النسخة النينوية ويلتقي ذلك مع النسخة البابلية القديمة.

* ما بقي من نسخة اللغة الحثّية، يحتوي على:

- ولادة چلچامش وتقديم الملحمة وظلم چلچامش لرعاياه.

- أنكيدو في السهوب وحياته البدائية، واقتراح توجّه الغانية إليه.
- لقاء أنكيدو وچلچامش.
- التوجّه نحو غابة الأرز.
- المعركة ضد همبابا والقضاء عليه.
- حلم أنكيدو المنذر بموته.
- لقاء چلچامش مع صاحبة الحانة (٤ أسطر فقط).
- نوتي أوتا_ نافيشتي.

والبقية مفقودة.

* النسخة الحورية تعود إلى ما بعد ١٥٠ ق. م، تمّ كشفها في الشمال والشمال الشرقي من ما بين النهرين حيث عُثر على جزئين أو كسرتين هما في حالة سيئة، ولم تنتهِ ترجمتهما حتى اليوم بسبب صعُوبة اللغة الحورية، ويُفْهم أن الأمر يتعلق بچلچامش وأنكيدو وهوّاوا.

* نسخة مكتبة آشور بانيبال في نينوى، وهي المعروفة بنسخة نينوى، وهي التي سوف نعرضها كاملة فيما بعد. ومن المفيد الإشارة قبل ذلك إلى مجموعة النسخة القديمة.

* النسخة البابلية القديمة، قلنا عنها، بأنها أقصر من النسخة النينوية ويمكن تتبع محتوى ما بقي منها عبر ما تمّ عرضه أعلاه كما يلي، مع الإشارة بالأرقام الرومانية إلى اللوحات وفقاً لورودها في نسخة نينوى:

- (I) لوحة بنسلڤانيا: التوجّه إلى آنو بسبب تعسّف چلچامش.
- (II) لوحة فيلادلفيا: شبه كاملة.
- (III) لوحة يال: شبه كاملة.
- (III) كسرتان في فيلادلفيا.
- (III) ضجَر أنكيدو وحزنه بعد استقراره في المدينة.
- (IV) لوحات تل حرمل (متحف بغداد): حلم چلچامش الثاني في طريقه إلى غابة

الأرز.

- (V) لوحة إيشّالي: القضاء على همبابا.
- (X) كسرة ميسنير[1]: هيام چلچامش وحواره مع شمش.
- (X) كسرة ميلاّرد[2]: الحوار مع صاحبة الحانة.

---

(١) (Meissner).
(٢) (Millard).

(١٢٢ ـ د) ـ ترجمات متعددّة وقراءات مختلفة

١ ـ ذكرنا آنفاً، أن ملحمة چلچامش، كانت عملاً حاز على شهرةٍ واسعة وتمّ تداوله خلال ما يقارب ألفي عام في عالمنا القديم، بلغته الأصلية، الأكادية، في مختلف مراحل تطورها. كما عرفها العالم الحثّي بلغتها الأصلية وباللغة الحثية وعرفتها سورية الشمالية والفرات الأعلى باللغة الحورية.

كما عرضنا آنفاً بأن الهلال الخصيب بأكمله عرف ملحمة چلچامش وعاش مع أحداثها. وليست لدينا أدلّة حتى اليوم، بأنّ مصر الفرعونية عرفت هذا النص، مع العلم أن مراسلات تل العمارنة (القرن الرابع عشر ق. م) حفظت لنا نصوصاً معاصرة لملحمة چلچامش البابلية القديمة والمتوسطة، لم تكن لها علاقة بالدبلوماسية، ومن بينها أسطورة نرچال وإيريشكيچال المعروضة في هذا الكتاب تحت الرقم (١١٥). ومع أن وجود هذا النص مع نصّين آخرين من ضمن مجموعة تل العمارنة كان على الأرجح، يهدف إلى تعلم اللغة الأكادية وكتابتها، فإننا لا نستبعد، تعرّف مصر الفرعونية على الملحمة. ولدينا الكثير من الدلائل، أن الإغريق الذين ليسوا أقرب من مصر إلى بابل، قد استوحوا ملحمة چلچامش، وسنعود إلى هذه الناحية فيما بعد.

٢ ـ في عام ١٨٦٢، اكتشف العالم جورج سميث[١] من بين مقتنيات المتحف البريطاني، اللوحة الحادية عشرة من ملحمة چلچامش وحلّ رموزها، ثمّ

---

(١) (Georges Smith).

أعلن بفخامة، أن قصّة الطوفان التوراتية، لم تكن من ابتداع عبري، وكان الأمر آنذاك يتعلّق بالنسخة الآشورية المكتشفة في نينوى. إلاّ أنه تبيّن فيما بعد، حين نَشَر أرنولد پوبل[١] في عام ١٩١٤ محتوى لوحة سومرية اكتشفها في متحف جامعة فيلادلفيا، تبيّن أن قصة الطوفان كانت سومرية الأصل. وحين جمع تومپسون[٢] أجزاء ملحمة چلچامش في عام ١٩٣٠ ونشرها بمقاطعها المسمارية[٣]، لم يتوقف علماء اللغة الأكادية بعد ذلك، عن دراسة محتوى نسخة نينوى وترجمتها والتفتيش عن نسخ بابلية قديمة سبقتها. كما لم تتوقف منذ ذلك الوقت ترجمة الملحمة إلى اللغات المختلفة.

حتى عام ١٩٨٢ تمّت ترجمتها إلى كل من الألمانية والإنكليزية والفرنسية والعربية والدانمركية والإيسكيمو، واللغة الفينية والجورجية والعبرية والإيطالية والنيرلندية والروسية، والسويدية والتشيكية... دون إغفال إخراجها شعرياً وموسيقياً ومسرحياً واستلهام حوادثها، للتعبير عن تلك الحوادث بالرسم الفنّي، في لوحات تزيّن اليوم بعض الترجمات التي نشرت عنها[٤].

٣ ــ وهكذا فإن هذا العمل الأدبي الرائع، تمكّن من استعادة الشهرة التي عرفها في العالم القديم، وبدأ في عالم اليوم، يحتلّ المكانة التي يستحقها. وكأنّ چلچامش حاز على الحياة الأبدية التي سعى إليها، ولم يكن ذلك في أسوار أوروك التي لم يبق منها الكثير؛ بل بولوجه عالم اللاموت، لأنه بقي حيّاً في ضمائر شعوب عالمنا المعاصر وفي ضمير كل من قرأ سيرته وبكى معه على فقدان عزيز عليه أو قلق أمام الموت، لأنه رفض اعتباره مصيراً طبيعياً لجميع البشر.

---

(١) (Arnold Poebel).

(٢) (R.C. Thompson).

(٣) ولا ننسى مجموعة النصوص المسمارية التي نشرها راولنسون (H.C. Rawlinson) في عدة أجزاء عن محفوظات المتحف البريطاني.

(٤) ومنها ٨ لوحات في ملحمة چلچامش لطه باقر، نشرة عام ١٩٨٠ كما أن أجمل مجموعة من اللوحات المائية عن أساطير سومر وملحمة چلچامش تضمنها كتاب لقاسم الشواف، زينته ريشة الفنان الراحل وليد عزت وصدر عام ١٩٧٣ عن إدارة التوجيه المعنوي بدمشق.

وما ينتظره علماء اليوم بالنسبة لملحمة چلچامش، هو إعادة نشر وتحسين ما قدّمه تومپسون في عام ١٩٣٠ واستكماله بجميع النصوص المسمارية المرتبطة بها، ويتم ذلك حالياً في لندن.

٤ ـ أما فيما يتعلق بالترجمات التي قام بها علماء الأكاديات، حتى اليوم بالاعتماد على قراءة الرموز المسمارية، كما نسخت عن لوحاتها الأصلية، لا بد من الإيضاح بأن هذه اللوحات، وما آلت إليه حين سقطت نينوى مثلاً في عام ٦١٢ ق. م، وانهارت معها مكتبة أشور بانيبال التي كانت تحتوي على أكثر من ٢٥٠٠٠ لوحة، هذه اللوحات تكسّرت وغطّتها الأنقاض ومن ضمنها ملحمتنا التي انتظرت منتصف القرن التاسع عشر، لكي تستقر على رفوف محفوظات المتحف البريطاني في لندن. وقد عمدنا إلى التذكير بمثل هذه التفاصيل، لكي يتفهم معنا القارىء، وينطبق ذلك على جميع نصوص ما بين النهرين السومرية والأكادية وغيرها، ولكي يتفهم القارئ أيضاً، بأن استنساخ محتوى اللوحات وكسرها، لم يكن سهلاً أمام كلمات ناقصة، أو مقاطع في الكلمة الواحدة غير أكيدة القراءة، مما جعل علماء اللغة القديمة يقترحون عدة احتمالات لاستكمال هذا النقص واختيار كل عالم بحسب حساسيته الكلمة التي يتبنّاها في ترجمته[1].

ومن حسن الحظ أن التكرار في الأدب السومري أو الأكادي سهّل في كثير من الأحيان، إضافة جمل كاملة وردت في مواضع أخرى وأعيد استعمالها، كما أن هناك اصطلاحات خاصة للإشارة إلى مثل هذه الإضافات، في كل ترجمة جدّية تحترم النص الأصلي، أثبتناها في بداية هذا الكتاب.

ولكي تتضح الفكرة مما هو معروض أعلاه، فإننا نقدم بعض الأمثلة عن قراءات مختلفة وما تؤدي إليه من ترجمات متباينة وغير متناقضة بالنسبة لمجمل الملحمة والتي، على الرغم من النقص الذي تمثله مختلف اللوحات[2] وبالاستفادة من النسخ القديمة المتعددة، مكّن من تتبع تسلسل الملحمة وتفهّم محتواها.

الأمثلة التي نعرضها فيما يلي، تعتمد على مقارنةٍ بين ترجمات ثلاثة، هي

---

(١) تضاف إلى ذلك صعوبة خاصة بالنسبة للغة السومرية، فإن الكلمة الواحدة تحتمل عدة قراءات.

(٢) وصلنا من نسخة نينوى ١٦٠٠ سطر، من أصل ما يقارب (٢٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ سطر).

أحدث ما بين يدينا وهي لكلٍ من:

(I) الدكتور سامي سعيد الأحمد (١٩٩٠)[١].

(II) جون بوتيرو... (١٩٩٢)[٢].

(III) تورني وشافير... (١٩٩٤)[٣].

٥ ـ وإذا ما استعرضنا مطلع الملحمة كما عرضتها الترجمات المشار إليها أعلاه نقرأ ما يلي:

(I) هو الذي رأى كل شيء وخبر... البلاد الذي عرف الأرض كلها، ليسلمه (عام ١٩٨٤).

(I) هوالذي رأى كل شيء حتى نهايات الأرض الذي خبر جميع الأمور وعدّ الكل... (١٩٩٠).

(II) أريد أن أقدم إلى العالم[٤] [الذي] رأى كل شيء عرف [الأرض كلّـ] ـها، تعمق في كـ [ـل الأشياء].

(III) الذي رأى كل شيء، احتفلي به يا بلادي الذي عرف كل شيء وجمع كل شيء.

على القارىء ألاّ يستغرب الفروقات التي تلاحظ في ترجمة البيتين الأولين من الملحمة، إذ إننا إذا ما رجعنا إلى النصّ الأكادي، نقرأ مع الدكتور الأحمد:

شاناقبا إيمورو [لو ـ شه ـ إيد] دي مائاتي

أو [أو ـ شيد] دي

(١) د. سامي سعيد الأحمد، ملحمة كلكامش، دار الجيل/بيروت ودار التربية/بغداد مع النص الأكادي المقابل، ١٩٨٤ وكلكامش الصادر عن وزارة الثقافة والإعلام/بغداد ١٩٩٠.

(٢) L'Epopée de Gilgamesh: Jean Bottéro, Edition Gallimard 1992.

(٣) L'Epopée de Gilgamesh: R.J. Tournay & Aaron Shaffer, Edition du Cerf 1994.

(٤) حرفياً: أقدّم إلى البلاد.

الترجمة الحرفية هي:

الذي بعمق/ بنفاذ رأى [كل شيء وعر] ف البلاد/ الأرض
أو [حتى نهايات] الأرض

ومع بوتيرو في حال تقديم جملة على جملة للمحافظة على المطلع الذي تُعرَفُ به الملحمة، فإننا نقرأ:

الذي رأى كل شيء [أقدّمه] للعالم.

ولما كان شافير يقرأ: [نا] <أ> ـ دي عوضاً عن [لو ـ شه ـ إيد] دي، بالنسبة للكلمة التي استوجبت اقتراح قراءةٍ لها من قبل المترجم، ومعناها أَحتفِلُ، فإنه يكتب:

الذي رأى كل شيء، احتفلي به يا بلادي

وتتقارب بذلك الترجمتان (II) و(III)، فالاحتفال بالبطل وتقديمه للعالم، لا يتناقضان.

أما البيت الثاني من الملحمة، فإنّه يشكّل بالنسبة للكلمة الأولى، التي لا يعرف منها العلماء غير نهايتها أي المقطع «تي»، فإن شافير يقترح لها ثلاث قراءات وهي:

[شاكولّلا] تي
أو [شامائا] تي
أو [شاكيبراآ] تي

ويتبنّى القراءة الأولى، ويلتقي بذلك مع الدكتور الأحمد،

وفيما يتعلق بنهاية البيت الثاني فهي:

[لو ـ شال ـ مي ـ شـ] ـو (الدكتور الأحمد) ومعناها: له التحية

أو [ايك ـ مي ـ شـ] ـو (شافير) ومعناها: جَمع

وفي كتابة لعام ١٩٩٠، عاد الدكتور الأحمد وتبنّى «عَدَّ» ويلتقي بذلك مع شافير في: جَمع كل شيء بدلاً من عَدَّ كل شيء.

أدرجنا مثل هذه التفاصيل اللغوية، لا لإزعاج القارىء، بل لكي نُبينّ له، إذا ما وقع على ترجمات متباينة في بعض تفاصيلها، فإن ذلك يعود إلى عدم وضوح النص الأصلي الذي يحتمل أحياناً قراءات متعددة، كما أسلفنا ويتطلّب من قبل الباحث بشكلٍ خاص تقديم اقتراحه أو اقتراحاته لإكمال كلمةٍ لا يعرف منها سوى مقطع واحد. وعلى الرغم من مثل هذه الصعوبات، فإنّ شخصية چلچامش تحافظ على متانتها ولا حاجة لها للدخول في هذه التفاصيل.

٦ ـ وفي مثال آخر، ففي السطر ١٣ من اللوحة الأولى، العمود الأول، هناك تَفْضيل لكلمة «سيمّيلتو» بمعنى درج، على كلمة «أسكوفّاتو» بمعنى عتبة، ولهما نفس الإشارة المسمارية، وذلك بسبب ورود فعل «خذ» أمامها واعتباره ينطبق على أَخْذ الطريق أو الدرج. ولذلك فإن شافّير يترجم:

خذ إذن الدرج الذي هو عتيق

ويحافظ الدكتور الأحمد على الكلمة الأكادية التي لا تزال اللغة العربية تستعملها في أسكفة وساكف[1] فيكتب:

إمسك اسكفته العتيقة

أما بوتيرو فيكتب:

إلمس (هذه) العتبة المحمولة من بعيد.

ويَفْهَم بأن المقصود هو عتبة بوابة أوروك.

* وفي العمود الرابع من اللوحة الأولى، تقول الغانية لأنكيدو في السطر الثالث عشر:

«أنت [جميـ] ـل يا أنكيدو مثل إلّه

وكان لا بد هنا من الاختيار بين قراءتين هما:

[دامـ] ـقاتا أو [إينـ] ـقاتا

بمعنى جميل بمعنى حكيم

وحسم الخلاف، لأن نسخة بوغاز ـ كوي تضمّنت التعبير الأول بشكل واضح.

---

(١) بمعنى عتبة أعلى الباب.

* وفي مجالٍ آخر، لدى وصول أنكيدو إلى أوروك ومعارضته لچلچامش، يقول النص بأن أهالي أوروك اجتمعوا حوله، و«قبّلوا رجليه» وكأنّه طفل. واستُبعدت قراءة أخرى بمعنى «أخافوه».

* لدى تهكم چلچامش على عشتار رافضاً إغراءها (اللوحة ٦، عمود ١، سطر ٢٥)، يقول لها:

ما عليّ أن أعطيكِ إذا ما تزوجتكِ
هل أعطيكِ «عِجاراً» أم لباساً؟ (شافير)

ولكن بوتيرو يقدّم ترجمة أفضل هي:

هل أعطيكِ «طيوباً» لجسدك أم ألبسة؟

والسبب في ذلك أن الكلمة موضوع هذا المثل، لم يكن أمام المترجمينْ سوى نهايتها.

* وفي المجال نفسه، يعيّر چلچامش عشتار بأنها مثل:

أركابينّو، لا يصدّ ريحاً ولا عاصفة.

ويُعتقد أن هذه الكلمة تعود إلى اللغة الحورية، ولا تزال مجهولة المعنى، وفيما يلي ما اقترحه المترجمون:

شافّير: باب غير كامل.

بوتيرّو: باب متزعزع/متقلقل.

د. الأحمد: باب خلفي.

طه باقر: باب خلفي.

٧ ـ وآخر صعوبة نقدّم عنها مثلاً، أتت من كلمتين سومريتين، وردتا في اللوحة الثانية عشرة المضافة إلى الملحمة، بالاعتماد على نص سومري معروف. وهذا النص نشره كرامر كاملاً تحت عنوان «عشتار وشجرة الخولوپو»[(١)] وتبنّى ناسخ الملحمة، القسم الأخير من هذه القصيدة وقدّم بواسطته اللوحة المشار إليها

(١) نوع من شجر الصفصاف بحسب كرامر ونوع من السنديان المستورد إلى ما بين النهرين بحسب شافّير (Ḫuluppu).

من الملحمة حيث نرى چلچامش يفقد أداتين خشبيتين هما «الپوكّو» و«الميكّو»[1] سقطتا منه في العالم السفلي. حزن لذلك وأراد بإلحاح استرجاعهما، وهكذا يقدم أنكيدو نفسه للنزول إلى العالم السفلي من أجل ذلك. وقد عرضنا النص الكامل لهذا القسم، تحت الرقم (١١٦) من هذا الكتاب.

نعود هنا لكرامر، الذي رأى في عام ١٩٧٥، أن «البوكّو والميكّو» هما «الطبل ومقرعته». في عام ١٩٨٣، قدّم كرامر ترجمةً جديدة متبنياً لهما معنى «الحلقة والعصا»، وتساءل فيما إذا كانتا أداتي قياس.

وعن كرامر تبنّى الدكتور الأحمد «الطبل وعودته» كمعنى محتمل، ولم يقرّر طه باقر بصددهما وحافظ على التسمية السومرية. أما بوتيرو (١٩٩٢) فقد تبنّى تسميتي الطوق أو «الطارة والعصا». وأخيراً، اعتبر شاڤير أن الپوكّو والميكّو هما عبارة عن مطرقة خشبية ذات ممسك طويل وكرة خشبيّة معتبراً أن چلچامش كان يستعملهما في لعبةٍ تشبه لعبة «الپولو». وسوف نبدي رأينا بهذا الصدد فيما بعد.

٨ ــ عمدنا إلى سرد التفاصيل السابقة، لاطلاع القارىء على الصعوبات التي تعترض الباحث والمترجم لنصوصنا القديمة والتي هي كما أشرنا إلى ذلك آنفاً، لا تتعدّى التفاصيل ولا تفقد الملحمة بسببها إنسانية محتواها وعمق مراميها، ونودّ من وراء ذلك تطمين القارىء، بأنه إذا ما صادف بعض الفروقات في ترجمات إلى العربية يقع عليها، فلن يكون ذلك عائداً إلى تسرع في الترجمة. وبصورة عامة، فإن هذه التفاصيل لا أثر لها على روعة الملحمة وأهميتها الأدبية والفكرية.

وبالنسبة لنصوصنا الأسطورية التي اشتملت عليها هذه المجموعة، فضّلنا عدم إغراق القارىء العربي في سرد التفاصيل التي أدت إلى الاختيارات التي تبنّاها الباحثون في اللغات القديمة، وبصدد ملحمة چلچامش التي سنورد ترجمتها في هذا المجال، سوف نحاول التوفيق بين القراءات الثلاث والترجمات الثلاث (I) و(II) و(III)، التي أشرنا إليها في نهاية الفقرة الرابعة من هذا العرض، مع الرجوع لدى الاقتضاء، إلى النص الأكادي الذي قدّمه الدكتور الأحمد بالأحرف العربية وإلى ما يقدّمه شاڤير من كلمات وجمل أكادية أثناء عرضه لترجمته.

---

(١) (Pukku) و(Mikku).

(١٢٢ ـ هـ) ـ دراسات وبحوث
نأمل أن تُستكمل

١ ـ لا يتّسع مجال هذا الكتاب لتقديم دراسة عن تأثير ملحمة جلجامش على ما حولها، ولا ينطبق ذلك على ملحمة جلجامش وحدها، بل على تراث عالمنا القديم بأكمله، في وادي رافديه الأسفل والأعلى وعلى طول ساحل هلاله الخصيب المتوسّطي وفي وادي نيله من أقصى أعالي النوبة إلى دلتا المتوسط، وفي كل ما أنتجه هذا العالم القديم، الذي حبته الآلهة، بما جعله يسبق حضارياً ما حوله. ينطبق ذلك على كل ما أنتجه هذا العالم من أساطير البطولة في المراحل الأولى للبناء الحضاري وفي سير الملوك وقوانين المشرعين، وفي أقوال الحكماء وفي الأمثال الشعبية. . . ، كل ذلك نجد له أثره في العالمين الحثّي والإغريقي. أما أثر هذا التراث بأكمله على التوراة اليهودية، فيمكننا القول، بأن كتبة التوراة الذين كانوا على اطلاع على هذا التراث، لم يباشروا عملهم التسجيلي إلا بنهاية القرن السابع لما قبل الميلاد، حين كتبوا لأول مرّة قصص يشوع، فيما نسّميه «الاستيلاء الأول» على جزء من فلسطين، وقصص القضاة والملوك. ثم قاموا بتنقيح هذه الكتب، لكي تتوافق مع مقتضيات التطور السياسي، وذلك قبيل السبي إلى بابل وبعده.

أما الكتب الخمسة الأولى المعروفة بالمجموعة الخماسية وأسفار تثنية الاشتراع والأيام، فلم يتم تثبيتها إلاّ بعد العودة من السبي في القرن الخامس ق. م، وحدث ذلك تحت الحكم الفارسي لمنطقتنا. كما أن المجموعة الخماسية، لم تعتبر نهائية إلا في القرن الرابع ق. م، كما عرف القرن الثالث التثبيت النهائي لأخبار الأيام. وفي القرن الثاني لما قبل الميلاد، وخلال الحكم السلوقي، أنجزت النسخ

النهائية للمزامير وسفر دانيال والمكابيين والجامعة واستمرّت التعديلات التوفيقية حتى بداية المسيحية. وخلال حكم البطالسة، في العام ٥٠ ق. م، أضيف كتاب الحكمة إلى النسخة اليونانية للتوراة التي تمّ الانتهاء من ترجمتها في الإسكندرية حوالى ١٥٠ ق. م.

٢ ـ «المفاتيح التاريخية» المقدَّمة أعلاه، تدلّل ليس فقط، على أن التوراة اليهودية كتبت وأعيدت كتابتها بقصد التنقيح والتصويب السياسي والمصلحي والتاريخي، أكثر من مرة. وتذكّر في الوقت نفسه، بأن كتبة التوراة استفادوا من كل ما كان يحيط بهم من حضارة ومعرفة. وكل مطّلع على نصوص عالمنا القديم في بلاد ما بين النهرين والساحل الكنعاني ومصر الفرعونية، مروراً بالمدرسة اليونانية الكلاسيكية وبالفترة الهلنستية التي عرفت منطقتنا غزارة نشاطها الفكري والفلسفي، إذْ كانت مكتبة الإسكندرية جوهرة تلك الفترة، كل مطّلع إذن، على هذا التراث لا يستطيع إغفال حقيقة أن كتاب التوراة، لم يكن «الأقدم في العالم» وأنه لم يأتِ بجديدٍ حضاري وفكري. ويمكن القول بأن أهم ما تفوق به مؤلفو هذا الكتاب، هو بث حقدهم على بقية الشعوب بالإضافة إلى ما نعرفه من تزويرٍ للحقائق التاريخية لتبرير استيلاءٍ على أرض نتيجةً «لوعد»! ونجحوا أيضاً خلال الفترات الأولى للمسيحية وفي جهلها وترددها في تلمّس طريقها، نجحوا بإقناعها بأنهم هم في جذور الحدث المسيحي، مع العلم، أن ما عُرض من ضمن الفقرة (١ ـ ٣) أعلاه حول البعث والحياة الأبدية أوضح أن أوزيريس وبعل وتموز هم في خلفية «الحدث المسيحي». ولا تزال «الدعاية» الدينية تصرّ حتى اليوم على إقحام تعبير «اليهودية ـ المسيحية»[1] في كل المناسبات.

كتبة التوراة، كانوا إذن على اطّلاع على كل ما أحاط بهم من حضارة ومعرفة الغير، وتأثّروا بكل ذلك، وأعادوا روايته وكأنه تراث لهم. ويمكننا القول، بأن هذا الكتاب[2]، قلّد حتى في تبويبه، بنية ما كشفت عنه التنقيبات في سومر وآكاد وآشور وكنعان، كما قلّد الكثير من نصوص الحكمة عن مصر الفرعونية. وأقل ما يمكن قوله بأن هذا التوازي ملفت للنظر.

---

(١) (Judéo-Chrétien).
(٢) أي التوراة.

٣ ـ وبما أنّنا بصدد عرض ملحمة چلچامش، يمكننا القول، بأن كتبة التوراة، لم يكونوا على جهل بمحتوى هذه الملحمة. ويمكننا التوقف لإضاءة ما يشير إلى أنها أثّرت على النصوص التوراتية في مواضع عديدة. ونقدم هنا وبسرعة بعض عناصر البحث، الذي كما قلنا لا يدخل في مجال هذا الكتاب والذي نتمنّى متابعته من قبل باحثين عرب. وفيما يلي بعض الأمثلة:

* في المزمور (٤٨ : ١٣ و١٤) يتمّ التغنّي بصهيون وبجبل صهيون كما يلي:

«طوفوا بصهيون ودوروا حولها،
عدّوا أبراجها، ضعوا قلوبكم على قياسها
تأمّلوا قصورها، لكي تُحدّثوا بها جيلاً آخر»
ألا يذكّر هذا بمطلع ملحمة چلچامش حيث يمجّد

الشاعر أوروك ويتغنّى بأسوارها؟!

* تقول الملحمة إن قامة چلچامش كانت تبلغ أحد عشر ذراعاً (أي ما يعادل ٥,٥م) وكذلك كانت قامة الملك السومري إياناتوم تساوي خمسة أذرع وشبر واحد (أي ٢,٧٥م)، وهذه القامات العملاقة تذكّر بالعملاق الذي كان على الأرجح من شخصيات العصر البطولي في كنعان وهو المبارز چوليات وقامته ستة أذرع وشبر (٣,٢٥م)، وهو الذي يتصدّى داود لمبارزته على الطريقة السومرية[١] في العصر البطولي، ويتمكّن من قتله بمقلاعه. وكأن هذا العملاق الفلسطيني كان بالنسبة للمؤلف التوراتي، يوازي همبابا، حارس غابة الأرز، إذ يقوم داود كما فعل أنكيدو بقطع رأس همبابا وتقديمه للإلّه إنليل، يقوم داود هنا بقطع رأس جوليات وتقديمه للملك شاوول.

ولا يقف الشبه عند هذا الحدّ، إذ تتوثّق صداقة بين داود وبكر شاوول واسمه يوناثان. يقول النص التوراتي أن «نفس يوناثان تعلّقت بنفس داود، وأحبّه يوناثان كنفسه» (صموئيل ١٨ : ١ ـ ٢)، أي كما أحبّ چلچامش صديقه أنكيدو. وبعد موت صموئيل النبي وتحوّل يهوه عن شاوول لأنه خالف غضبه ولم يقتل ملك العماليق ولم يطبق الحرم المحبب إلى يهوه على جميع رؤوس القطيع.

وبسبب هذا الغضب وعندما توجّه شاوول نحو يهوه قبل خوضه حرباً ضدّ الأمراء

(١) أي بإيفاد بطل من كل فريق موضوع النزاع والخضوع لفريق البطل المنتصر.

الفلسطينيين، فإن يهوه لم يستجب له، بإعطائه أيّة إشارة منه تعده بالنصر. لذلك لجأ شاوول إلى ساحرة، تستحضر أرواح الأموات وطلب منها أن تصعد شبح صموئيل من العالم السفلي (الشيول) كما صعدت روح أنكيدو من العالم السفلي بناء على طلب چلچامش. وبالنسبة لشاوول يعلمه الشبح بأنه سوف يخسر المعركة وسيقضي هو وابنه يوناثان. وفعلاً يموت شاوول في المعركة وكذلك يوناثان صديق داود. وكما بكى چلچامش صديقه أنكيدو وردد حوله مرثيّات عبّرت عن عميق ألمه، هكذا فعل داود في تلوّعه على صديقه يوناثان، ومما تضمنته مرثيته قوله:

«ثَقُل عليّ موتك يا يوناثان
قلبي منقبض بسببك يا أخي يوناثان
كنت عزيزاً عليّ بحلاوة
صداقتك كانت أعجب إليّ من محبّة النساء»[1]

ويذكر السطر الأخير بقول چلچامش، متحدّثاً عن الكتلة والفأس وهما يمثّلان أنكيدو في حلميه الأول والثاني:

«أحبَبتها مثل زوجة وغمرتها بالملاطفات»[2]

وحين يرثي إرميا أورشليم قائلاً:

«طرق صهيون نائحة لعدم الآتين إلى العيد»[3]

فإن چلچامش بكى قبله قائلاً:

«فلتبكه الطرق التي سلكها أنكيدو حتى غابة الأرز
لتبكه ليل نهار دون هوادة
. . . . . . إبكيه أيتها الممرات الجبلية»[4]

ويحق لنا التساؤل في نهاية الأمر، هل كل هذا التوازي مع ملحمة چلچامش، وفي سفر واحد من التوراة هو من باب الصدف، أم أن كاتبه كان على علم بالملحمة ومن

(١) صموئيل ٢ (١: ٢٥ ـ ٢٧) عن توراة القدس، النسخة الفرنسية (١٩٥٥).
(٢) نهاية اللوحة الأولى (نسخة نينوى).
(٣) المراثي (١: ٤).
(٤) بداية اللوحة الثامنة من نسخة نينوى.

المعجبين بها؟ وقد استوحاها للأسباب التي أشرنا إليها أعلاه؟

* هناك أمثلة عديدة أخرى، ففي سفر الجامعة (٤ : ١٢) نقرأ ما يلي:

«إذا كان أحد يغلب الواحد، فإن الاثنين يقاومانه
والخيط المثلوث لا ينقطع سريعاً»

وحين يشجع چلچامش أنكيدو، يقول له:

«إثنان [. . .] يجابهان بسهولة [واحداً. . .]
لا أحد يستطيع بمفرده قطع حبلٍ ذي ثلاث ضفائر
ومعاً شبلا أسـ [ـد] هما أقوى منه»[١]

* أما شاعر سفر الجامعة المتشائم، فيقول وكأنه سمع صاحبة الحانة سيدوري تخاطب چلچامش:

«لتكن ثيابك بيضاء في كل حين ولا يعوز رأسك الدهن
تمتع جميع أيام حياتك الفانية،
فإن ذلك حظك من الحياة
ومن تعبك الذي تعانيه تحت الشمس»[٢].

* نكتفي بالأمثلة التي قدّمناها عن تأثّر التوراة بملحمة چلچامش، وسوف تتضمّن حواشي عرض الملحمة على أمثلةٍ أخرى.

٣ ـ أما الموضوع الآخر الذي ندعو باحثينا العرب إلى تناوله، هو علاقة النصوص الإغريقية وبخاصة فيما يتعلق بالعملين الرئيسيين: الإلياذة والأوديسة بملحمة چلچامش، ونحن نعلم أنه بعد فتح الإسكندر الكبير لبابل في عام ٣٣١ ق. م، وفتح مصر الفرعونية في عام ٣٣٣، وتأسيس مدينة الإسكندرية، كانت حضارة المنطقة في أوج نضجها. وقبل ذلك بكثير، كان العالم الإيجي على علاقات تجارية وثقافية، عبر جزيرة كريت، مع مصر ومع الساحل السوري، وأوغاريت وجبيل وصيدون هي خير شهادةٍ على ذلك. كما أن سورية الشمالية وآشور عبر كيليكيا وبلاد الأناضول وطروادة، لم تكن غائبة عن هذا التبادل

---

(١) اللوحة الرابعة/عمود سادس من نسخة نينوى.
(٢) الجامعة (٩: ٨ و٩).

التجاري والثقافي بين العالمين.

يصعب القول متى ولدت أفروديت من زبد الأمواج قبل استقرارها على شواطىء قبرص، كما يصعب القول متى اختطف الإلّه زيوس[١] محبّ الفتيات الجميلات، متى اختطف أوروبا أخت قدموس[٢] من على الشاطىء الكنعاني واتّجه بها نحو كريت ولحق بها شقيقها قدموس بعد ذلك لإنقاذها.

بين عامي ٩٠٠ و٨٠٠ ق. م، تبنّى الإغريقيون الأبجدية الكنعانية، وتلك الفترة هي التي عرفت هوميروس والإلياذة والأوديسة. وإلى الفترة ما بين عامي (٧٥٠ و٧٠٠) ق. م تعود أعمال هزيود[٣] والأناشيد الهوميرية الأخرى.

٤ ــ الأمثلة الممكن تقديمها عن أوجه التوازي بين ملحمة چلچامش والإلياذة والأوديسة، هي عديدة أيضاً. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الدكتور سامي سعيد الأحمد لم يغفل ذلك، وقد أعطى بعض الأمثلة بهذا الصدد في مقدّمة كتابه عن ملحمة كلكامش[٤] ويمكن للقارىء العودة إليها، ويمكن للباحث استكمالها ومن الضروري أن تُضاف عليها مراجعها في النصّين الشهيرين الإلياذة والأوديسة.

---

(١) Zeus سيّد آلهة الأولمب.

(٢) تعتبر أسطورة يونانية أن قدموس، هو الذي علّم اليونانيين الأبجدية.

(٣) (Hesiode) الشاعر اليوناني الذي عاش في القرن الثامن ق. م وهو مؤلف قصائد «الأعمال والأيام».

(٤) ملحمة كلكامش ـ صدر عن دار الجيل/بيروت ودار التربية/بغداد، ١٩٨٤.

(١٢٢ ـ و) ـ ملحمة جلجامش
نسخة نينوى[١]

محتوى الملحمة

اللوحة الأولى: مقدمة الملحمة وتقديم الأشخاص

اللوحة الثانية: لقاء البطلين، الصداقة ومشروع غابة الأرز

اللوحة الثالثة: الاستعدادات والتوجّه نحو غابة الأرز

اللوحة الرابعة: مراحل التوجّه نحو الغابة

اللوحة الخامسة: مجابهة حارس الغابة والقضاء عليه

اللوحة السادسة: القضاء على الثور السماوي وغضب عشتار

اللوحة السابعة: مرض أنكيدو وموته

اللوحة الثامنة: تمثال أنكيدو ومراسم دفنه

اللوحة التاسعة: قلق چلچامش أمام الموت وسعيه

اللوحة العاشرة: اجتياز المصاعب الأخيرة والوصول إلى بطل الطوفان

اللوحة الحادية عشرة: فشل چلچامش والعودة إلى أوروك

اللوحة الثانية عشرة: أنكيدو في العالم السفلي واستحضار شبحه

---

(١) يوفّق هذا النص، ويتابع بالتوازي ترجمات كل من: (شافير) و(بوتيرو) و(د. الأحمد). انظر الفقرة ٤ من (١٢٢ ـ د).

اللوحة الأولى

العمود الأول/ المقدمة

1 الذي رأى كل شيء، [فلتحتفـ] ـل به البلاد
عرف [الأرض بكا] ملها، نفد إلى [قلب الأشياء]،
(هو الذي) في كل مكان، سَبَر [ما هو خـ] ـفيّ (؟)
[فائقـ] ـةٌ حكمته، شمـ [ـل بنظرته] كل شيء.
5 تأمَّلَ في الخفايا وكشف الأسرار!
أتى بأخبار ما قبل الطوفان!
عاد من أسفاره البعيدة، منهكاً فاقد القوى
[نقـ] ـش على لوح حجري، جميع أخبار عنائه.
هو الذي أمر بتشييد سور أوروك ـ ذات ـ الحظائر[١]
10 و(جدران) الإيانا[٢] البيت الطاهر، الكنز المقدّس.
انظر هذا السور، كأنّه النحاس في لمعانه
تأمل دعائمه، التي لا تجارى
تلمّس عتبة (بوابَتِهِ) العتيقة[٣]
تقدّم نحو الإيانا، مقرّ عشتار
15 الذي لا يمكن لأيّ ملك، ولا لأحد مضاهاته
إصعد إلى سور أوروك، تنقّل عليه،
تفحّص أساساته، تمعّن في مواد بنيانه،
أولَيْسَ (كل هذا) من الصلصال المفخور؟[٤]

---

(١) تسمية شعرية لأوروك نظراً لكثرة الحظائر المحيطة بها خارج الأسوار.
(٢) (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو معبد عشتار في أوروك.
(٣) (بوتّيرو) تبنّى: المحمولة من بعيد.
(٤) مغالاة شعرية لأن التنقيبات في أوروك دلّت على أن السور بني بالطوب العادي.

أوَليسَ الحكماء السبعة[١]، هم الذين شخصياً خطّوا أساساته؟[٢]

20 3600 شار[٣] للمدينة، و3600 شار للبساتين[٤]

و3600 شار لمجمّع الصلصال[٥] و1800 شار وقفاً لمعبد عشتار

10800 شار و1800 شار، هذه هي مساحة أوروك.

فتّش (الآن) عن الصندوق النحاسي[٦]

انتزعْ دِسار غلَقِهِ البرو [نزي]

[إفتحْ] قِسم مخبئه السرّي

25 [تناولْ منه] لوح اللازورد، واقرأ (محتواه)

لِتَعْلم [كيف] أنّه هو چلچامش[٧] الذي اجتاز جميع التجارب

تمجيد چلچامش

إنه ملك [فـ] ـذّ[٨]، يفوق مشاهير الملوك

[البـ] ـطل وليد أوروك، إنّه ثور (يهدّد) بقرنه[٩]،

قائدٌ لرفاقه، يسير في مقدمتهم

---

(١) هم «الإبكالو» ناقلو الحضارة، انظر النص (رقم ٨٧) من الكتاب الثالث.

(٢) د. الأحمد تبنى: قاعدته من القار بسبع طبقات. والحكماء السبعة أكثر ملاءمة لروح الملحمة وهذا ما تبنّاه طه باقر.

(٣) الشار (Šar) وحدة مساحة كبيرة يُعتقد أنها تساوي (٣٠٠ ـ ٥٠٠) هكتار (بوتيرو). أمّا (شافير) فلا يحدد لها مساحة.

(٤) الأسطر (٢٠ ـ ٤٥) أمكن استكمالها بالاعتماد على كسرة مدينة نفّر وسمح ذلك بتبني ترقيم مستمر لمختلف أبيات اللوحة.

(٥) هو مأخذ الصلصال المستعمل لصبّ طوب البناء أو الطابوق، وكان على ما يظهر ذا نقاوة جعلت مدينة كيش تتنازع مع أوروك من أجل استثماره (سوف يرد في النص رقم ١٣٣).

(٦) هو الصندوق الذي يدفن في أساس البناء عند إقامته وتحفظ فيه لوحة التأسيس.

(٧) تقصد الشاعر ألاّ يبوح باسم بطله إلا في السطر ٢٦ لتشويق المستمع أو القارىء.

(٨) نجد هنا مطلع النسخة البابلية القديمة.

(٩) حرفياً: النطّاح.

30 وهو سَنَدٌ لهم، عندما يسير في المؤخّرة
إنه سدّ صلب[١] يحمي جنوده
إنه المدّ الهائج (يجرف) حتى الجدران الحجرية:
هكذا كان ابن لوچال باندا[٢] چلچامش الكامل القوة.
رضيع البقرة السَامية، (رضيع) نينسُون[٣] البقرة المقدّسة
35 [هكذا كان] چلچامش، ذُو الكمال والعظمة!

تعداد بعض مآثره

[هو (الذي) فتـ] ـح ممرّات الجبال،
[حفـ] ـر الآبار على حافة[٤] الجبال،
قام [باجتـ] ـياز البحر الوسيع، حتى (مكان) مشرق الشمس،
[استكـ] ـشف مناطق الكون جميعها، سعياً وراء الحياة ـ بلا ـ نهاية
40 إلى أن بلغ بحالةٍ رَثّة[٥] أوتا ـ نافيشتي ـ البعيد[٦]
هو الذي رمّم في أماكنها، المعابد التي دمّرها الطوفان.
بين جموع البشر، [ليس هناك] أحد مثله[٧]
[من] باستطاعته مضاهاة ملكيته؟
ليعلن [مثل چلچامش]: «أنا هو الملك، (أنا) وحدي!»

---

(١) بوتّيرو تبنّى: إنه شبكة حرب متينة.
(٢) ملك أوروك المؤلّه ويعتبر والداً لچلچامش (Lugalbanda).
(٣) (Ninsoun) الإلّهة والدة چلچامش.
(٤) حرفياً على «نقرة» الجبال.
(٥) (بوتيرو) تبنّى: بشجاعة. الحالة الرثّة أو العري تتفق مع حالة چلچامش لدى وصوله أمام بطل الطوفان. انظر اللوحة (رقم ١١).
(٦) (Uta-Naphisti) التسمية الأكادية لبطل الطوفان (زي ـ أو ـ سودرا) السومري.
(٧) تبنى (شافير): أعاد إقامة الطقوس من أجل جموع البشر.

خَلْق چلچامش وشخصيته

45 كان چلچامش رائعاً منذ ولادته[١]

ثلثاه إلّهيان والثلث الآخر بشري[٢]

شكلُ جسدِهِ صيّرته الإلّهة ماخ[٣]

وأحسن الإلّه نوديمّود[٤] إكمال هيكله،

وجهُهُ كان مذهلاً [. . .]

50 جسمه مارد وممشوقة[٥] قامته

51 مدى (ذراعيه)؟ يبلغ [. . .] ذراعاً[٦]

(نقص حوالى ثلاثة أسطر)

العمود الثاني

(1) [. . . . . .]

(2) قياس قدمه ثلاثة أذرع، وستة أذرع رجله (؟)[٧]

ستة أذرع كان اتّساع خطواته،

[ ] ذراعاً كان قياس أول أصابعه (إبهامه).

(5) خدّاه ملتحيان مثل [. . . . .]

وخصلُ شعره كثّة مثل شعر نيسابا[٨]

قامته العالية، أضفت كمالاً على هيبته

---

(١) تبنى (شافير): لُفظ اسمه منذ ولادته، وينطبق ذلك على ملوك سومر وآكاد.

(٢) بالاستفادة من كسرة نفّر المنشور محتواها في ١٩٧٥، بالنسبة لنهاية العمود الأول.

(٣) ماخ أو نين ـ ماخ بمعنى السيدة الفائقة السمو: إلّهة ـ أم شاركت في الخلق مع إنكي.

(٤) (Nudinmud) لقب الإلّه إنكي/إيا إلّه الخلق ومهارة الصنع.

(٥) حرفياً: مشرئبّة قامته.

(٦) الذراع = حوالى نصف متر.

(٧) الأسطر (٢) ـ (٨) تمّ جمعها مؤخراً من عدة كسر من قبل أ. جورج وهي قيد النشر حالياً من قبل جامعة أوكسفورد ولم ترد في ترجمة بوتيرو ولم تدخل في ترقيم الأسطر.

(٨) (Nisaba) إلّهة الشعير.

(8) وكما كان ذلك يلائم البلاد، فهو جميل السمة.

مغالاة چلچامش في ممارسة سلطته

52 [بين أسوار] أوروك، لا يتوقف عن الحركة
مثل ثور شامخ الرأ [س]، كان يعرض بأسه
لا مثيل لصدم سلاحه.

55 [مرافقوه] هم على استعداد دائم، تلبيةً لأوامره (؟)
أبطال[١] أوروك، كانوا (مع ذلك) يرتجفون في سرّ [هم] مرددين:
لم يترك چلچامش إبناً لأبيه
لـ [ـيل نهار]، وبغطرسةٍ كان [...][٢] ...]
(مع أنه) هو راعي أوروك ـ ذات ـ الحظا [ئر].

المقطع العائد للنسخة الحثية والموازي للمقاطع السابقة، يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وهو معاصر لنسخة نينوى ويكرر تمجيد چلچامش واصفاً قامته، كما يشير إلى مغالاته في ممارسة سلطته ونفهم أنه كان يتبارى مع شبان أوروك ويتغلب عليهم مظهراً بغطرسة أنه الأقوى. ويتوقف النص حين تعلن الإلّهة أرورو فجأةً أنها خلقت نداً أو نظيراً له[٣].

نتابع فيما يلي نسخة نينوى:

شعب أوروك يرفع شكواه إلى آلهة السماء

60 مقتدر ورائع وفطن [....]

---

(١) استعملنا تعبير «بطل» لأداء التسمية الأكادية «إيطلو» (Etlu) وهو الشاب المقتدر المؤهل لحمل السلاح ولا يدخل في عداد القدماء [انظر الفقرة [ب ـ ٨] من تقديم الفصل الأول والنص (رقم ١١٧) عن وصف العالم السفلي.

(٢) يتصرّف بعنف (شافير).

(٣) يُذكّر بخلق صلتو كندٍ لعشتار، انظر (١٢٢ ـ ب) الفقرة (٥) من هذا الكتاب.

لم يترك چلچامش فتاة لأمّها
سواء أكانت إبنة شجاع وحتى لو كانت موعودة!»
سَمِعَت الإلّهات الشكاوي المتصاعدة
وآلهة السماء [توجّهوا] نحو سيّد أوروك[١] (قائلين):
65 «أليس هو أنت الذي نصّب (چلچامش)، هذا الثور المتغطرس؟
الذي لا مثيل لصدم سلاحه؟
[مرافقوه] هم على استعداد دائم، تلبيةً لأوامره (؟)
چلچامش هذا، لا يترك إبناً لأبيه
ليـ [ـل نهار] وبغطرسةٍ كان [يتصرف بعنف][٢]
70 (مع أنه) هو راعيهم و[هم شعبه]
مقتدر ورائع وفطن [...]
لم يترك چلچامش فتاة لأمّها،
سواء أكانت إبنة شجاع وحتى لو كانت موعودة!
(مما جعل) [آنو] بنهاية الأمر يستجيب لشكواهم المتكرّرة.
75 توجّهوا نحو آرورو الفائقة السمو[٣] (معلنين):
آرورو، أنت التي شكّلت جموع البشر،
إخلقي الآن كائناً نظيراً له[٤]، يمكنه مماثلة عنفوان قلبه
ولينافس الواحد الآخر، لكي ترتاح[٥] أوروك!

---

(١) أي إلّه السماء آنو.
(٢) انظر حاشية السطر ٥٨ أعلاه.
(٣) (Aruru) أخت الإلّه إنليل وهنا بصفتها إلّهة ـ أم.
(٤) حرفياً: يذكّر به (ذيكيرشو).
(٥) حرفياً: لتستفسح أوروك.

خلق أنكيدو

لدى سماع آرورو هذه الكلمات، رسمت
في قلبها صورةً لآنو[١]
(عند ذلك) غسلت آرورو يديها، وأخذت «قَرْصةً»[٢] من
الصلصال ورمتها في السهْب
80 (وهنا) [في الســ] ــهب، خلقت أنكيدو الباسل، خلقته
في الفيفاء مضاهياً بقدرته لنينورتا[٣]
يكسو الشَعْر بغزارة كامل جسده، ويماثل شعره شَعْرَ امرأة[٤]
خصل شعره كثّة مثل إلّهة الشعير[٥]
لا يعرف شعباً ولا وطناً، لباسُه مثل سموقان[٦]
يقضم العشب مع الغزلان
85 برفقةِ قطيعه، كان يرتاد موارد المياه
ومع الحيوانات، كان يرتوي.

أنكيدو والصياد

(لكن) هناك صيّاد، مهمته نصب الأفخاخ
وجد نفسه، وجهاً لوجه أمام (أنكيدو) عند مورد الماء.
مرة أولى وثانية وثالثة، عند مورد الماء،
وجد نفسه، أمامه وجهاً لوجه[٧]

---

(١) (بوتيرو): أشبعت نفسها بما أمر به آنو.
(٢) هو التعبير المستعمل حتى اليوم باللغة الدارجة في «تقريص» العجين وبالأكادية: «قاراصو».
(٣) (Ninurta) الإلّه المحارب ابن إنليل.
(٤) غزارة الشعر دليل القوة وحفظت التوراة هذه الخاصة في قصة شمشون.
(٥) أي الإلّهة نيسابا كما مرّ أعلاه. (بوتيرو) يكتب: مثل حقل يكسوه السَبَل.
(٦) (Sumuqan) إلّه الحيوانات الوحشية.
(٧) لم يكرر الناسخ هذه الجملة بل كتب كما هي العادة: «كما سبق» أي «كي ـ مين» السومرية.

90 عندما رآه الصياد، جمدت معالم وجهه!
وبعد أن غادر (أنكيدو) مع قطيعه
بقي (الصياد) مرتبكاً وحائراً وغير قادر على الكلام.
كان قلبه [منقبضاً؟] وأظلمت معالم وجهه.
وبسبب القلق [الذي استولى] على أحشائه
95 صار وجهُهُ كمن قدِمَ من بعيد [...]

الصيّاد يروي ما شاهد لوالده وإجابة الأب

فتح الصيّاد فمه وباشر كلامه متوجّهاً إلى [أبيه]:
«يا أبي، هناك إيطلو[١] قدم من السهوب[٢]
[(إنه) الأقوى في البلاد] و(الأكثر) بأ [ساً]
[لبناء عضلاته] صلابة [كتلة] أتت من السماء[٣]
100 [يتجول] باستمـ [ـرار] في السهوب،
[باستمرار] يقضم العشب مع قطيعه
ويرتاد [دوماً] معه، مورد الماء
[خشيتُهُ حتى أنني] لم أقترب منه!
[ردم الحـ] ـفر التي أعددتُها [بنفسي]
105 انتزع الشِباكَ التي نشرتها.
[حوّل عنّي] الطرائد الكبيرة والصغيرة!
[إنه لا يسمح] لي [بتنفيذ] أي عمل في السهوب!»
[فتح والده فمه وباشر كلامه] متوجهاً إلى الصيّاد:
[«يا بني،] في قلب أوروك [مقر] جلجامش[٤]

---

(١) (Etlu) ورد الشرح في حاشية السطر ٥٦ أعلاه.
(٢) (شافير ود. الأحمد): الجبل.
(٣) حرفياً: كتلة آنو. «كأن في ساعديه صلابة أتت من السماء» (شافير).
(٤) حرفياً: مثاب جلجامش.

110 لا يوجد [أحد] أقوى منه
كأن في ساعديه صلابة [كتلة أتت من السماء][١]
نحوه [يا بنيّ] وجّه خطاك
[أعلِمْهُ؟] عن قدرة هذا الرجل،
وهو يعطيك الغانية «شمخات»[٢] (لترافقك)
115 و[أنت تشرح لها (؟)] عن صلابة هذا الرجل.
عندما يصل إلى مورد الماء للإرتواء مع قطيعه
فلتنزع ثيابها ولتعرض[٣] مفاتنها!
بمجرد رؤيتها، سوف يقترب منها
عند ذلك سوف ينفر منه قطيعه
(الذي كبر معه) في السهوب!

الصياد أمام چلچامش

120 [لدى سماع] نصيحة والده
ذهب الصياد للقاء چلچامش،
اتخذ طريقه وتوقف في أوروك
وإلى الملك چلچامش، (وجّه كلمته):
«هناك رجل إيطلو [قدم من السهوب]
125 (إنه) الأقوى في البلاد و[الأكثر بأساً]
كأنّ في ساعديه صلابة كتلة أتت من السماء
يتجوّل [باستمرار] في السهوب

---

(١) الكتلة التي «أتت من السماء» هي في ذاكرة الشاعر النيازك التي لها قدسية «ما هو فوق» ومنها ما يغلب فيه معدن الحديد، تمّ استعماله لصلابته، وذلك قبل اكتشاف استعمال فلذات الحديد في التعدين؛ (د. الأحمد): قوته خارقة وضخامته مثل مخلوقات السماء.

(٢) بمعنى بنت الهوى. و(بوتيرو) يعتبره اسم الغانية.

(٣) حرفياً: لتفتح مفاتنها.

وباستمرار، [يقضم العشب] مع قطيعه
يرتاد [دوماً] مورد الماء
130 خَشيتُهُ (حتى) أنني لم أقترب منه
ردم الحفر التي أعدد [تها بنفسي]؛
انتزع الشِباك [التي نشرتها]
وحوّل عنّي الطرائد الكبيرة والصغيرة.
إنه لا يسمح لي [بتنفيذ] أي عمل في السهوب.

135 توجّه إليه چلچامش (توجّه) إلى الصياد (قائلاً):
«إذهب أيها الصياد، وخذ معك الغانية شمخات،
عندما يصل مع القطيع إلى مورد الماء
لتنزع عنها ثيابها وتفتح له مفاتنها
بمجرد رؤيتها، سوف يقترب منها

140 (عند ذلك) سوف ينفر منه قطيعه،
الذي كبر معه في السهوب!
ذهب (إذن) الصياد ومعه الغانية شمخات،
أخذا طريقهما متبعين الاتجاه المباشر،
وفي اليوم الثالث، بلغا المكان المقصود
الصياد والغانية كمنا
145 يوم ويومان، بقيا عند مورد الماء.

النص الموازي والمعاصر الذي أشرنا إليه أعلاه قبل السطر (٦٠)، يعلمنا أن الصياد كان يدعى شانچاشو. وأن أنكيدو كان ينتزع شباكه ويرميها في النهر. وبعد نقص حوالى ستة أسطر في نهاية المقطع، نقرأ ما يدلّ على توجّه الغانية

نحو أنكيدو قائلةً: «هيّا....» ويوافق ذلك مشهد أخذه إلى المدينة.

نتابع هنا نص نسخة نينوى:

(عند ذلك) وصل القطيع إلى مورد الماء

العمود الرابع

وصلت الحيوانات (إلى مورد الماء) لترتوي
أما هو، أنكيدو، وليد السهوب
فكان مع الغزلان يقضم العشب
150 ومع قطيعه يرتاد مورد الماء
ليرتوي من الماء برفقة حيواناته
شاهدته الغانية (شاهدت) هذا الرجل المتوحش[١]
هذا الكائن المخيف الآتي من قلب السهوب:
«هذا هو» قال لها الصياد، تعرّي[٢] أيتها الغانية
155 اكشفي عن عوراتك، ليأخذ منك شهوته
ولا ترددي في تَلَقّي نَفَسَه
بمجرد رؤيتك (هكذا)، سوف يقترب منكِ
(عند ذلك) أسقطي[٢] عنك ثوبك، لكي يستلقي عليكِ.
من أجل هذا البدائي، قومي بدور المرأة.
160 (عند ذلك)، قطيعه الذي نما معه في السهوب،
سوف ينفر منه،
بينما تغمركِ ممارساته الجنسية.
أزاحت الغانية سترها وكشفت عن عورتها

---

(١) حرفياً لولّو (Lullu)، عن السومرية، بمعنى الرجل البدئي (البدائي) أي الرجل المشروع بصنعه مثل دبيجة التمثال.

(٢) حرفياً أزيحي كوعك عن ثوبك لكي يسقط الثوب وتتعرّين. ولذلك فقد استعملنا تعبير «أسقطي» عنك ثوبك في الأبيات التالية.

لكي يأخذ منها شهوته،

دون أن تخشى من تلقّي نَفَسه.

عندما أسقطت عنها ثوبها، استلقى عليها

165 قامت (عندئذٍ) من أجل هذا البدائي، بدور المرأة.

غمرتها (إذن) ممارساته الجنسية:

ستة أيام وسبع ليالٍ، جامع أنكيدو الغانية!

وبعد أن أشبع منها شبقه، وثمل من اللذة (التي منحتها له)

أدار وجهه نحو قطيعه

170 ولكن الغزلان، عندما رأته، هو أنكيدو، نفرت منه

وقطيع السهوب تحوّل عنه.

فَقَدَ أنكيدو قواه وفَتَرت هِمّته

جمدت ركبتاه، بينما كان قطيعه يبتعد عنه،

تضاءلت سرعته ولم يعد عَدْوه كما كان عليه.

175 لكن عقله تفتّح[١] وصار صاحب ذكاء[٢]

(لذلك)، عاد وجلس تحت قدميّ الغانية

وأخذ يتأمّل وجهها

وما كانت تقوله الغانية، كانت تفهمه أذناه.

---

(١) يتمّ تفتح عقل أنكيدو بنتيجة الاتصال الجنسي مع المرأة وتتوسع معرفته، بكل بساطة ودونما شعور بالعري والخجل، كما تصور ذلك التكوين التوراتي (٣: ٧) فكانت الخطيئة الأولى (السقوط) مما استوجب طرد آدم وحواء من الجنة الأرضية خوفاً من أن يأكلا من شجرة الحياة ليعيشا إلى الأبد... وإذا ما استبعدنا من المشهد التوراتي مفهوم الخير والشر، يلتقي العمل الجنسي الأول مع اكتساب المعرفة، ويمكن قراءة النص كما يلي: وأصبحا كالإلّه عارفين و... هو ذا الإنسان صار كواحد منا عارفاً (٣: ٢٢). وتتفق هذه القراءة مع نص الملحمة وتتفق أيضاً مع قول الغانية لأنكيدو «غدوت مثل إلّه» انظر الحاشية (١) في الصفحة التالية.

(٢) (د. الأحمد) يكتب: توسعت معرفته مؤدياً معنى كلمة خاساسو (الذكاء، المعرفة).

الغانية تقنع أنكيدو بمرافقتها إلى أوروك

في توجهها إلى أنكيدو، قالت الغانية:

180 أنت عاقل يا أنكيدو، غدوت مثل إلَه[١]

لماذا (إذن) تعدو مع القطعان في السهوب؟

دَعْني أقودك إلى أوروك ـ ذات ـ الحظائر،

إلى البيت المقدّس، مقر آنو وعشتار

حيث يقيم چلچامش، الكامل البأس

185 والذي هو مثل ثور، يتغلب بقوته

على الشبان الأكثر بطولة[٢] في أوروك.

بينما كانت تحدّثه، كان أنكيدو يتقبّل كلامها،

ولكن قلبه كان يبحث عن صديق

وفي ردّه على الغانية، قال لها أنكيدو:

«هيا! يا شمخات، واكبيني

190 نحو البيت المقدس، مقرّ آنو وعشتار

حيث يقيم چلچامش، الكامل البأس

والذي مثل ثورٍ، يتغلب على الشبان الأكثر بطولة

وأنا سوف أستفزّه وأوجّه إليه تحدياً[٣]!

العمود الخامس

أن يعلن (چلچامش) في قلب أوروك[٤]: «أنا هو الأقوى»!

---

(١) (شافير) يكتب: أنت جميل يا أنكيدو ولكن (دامقاً) تأخذ أيضاً معنى عاقل (د. الأحمد).

(٢) انظر أعلاه حاشية السطر ٥٦.

(٣) (بوتيرو): سوف أتبارى معه وسوف يكون اللقاء قاسياً؛ (د. الأحمد): سأدعوه أنا وأتكلم (معه) بقوة.

(٤) (بوتيرو): سوف أعلن في قلب أوروك؛ (د. الأحمد): سوف أصرخ وسط أوروك.

195 عندما أصل إلى هناك، سوف أبدّل سير الأمور!
وليد السهوب سوف يكون [(الأكثر) قوة] و(الأكثر) بأساً!»
[«تعال (قالت الغانية) لنـ] ـذهب: هيّا، لنلتقي به شخصياً!
[سوف أدلّك على چلچامش، فأنا أعلم أين هو
تعال إذن يا أنكيدو إلى أوروك ـ ذات ـ الحظائر
200 حيث الشبان الأبطال يتزنّرون بأوشحة (؟)
وحيث كل يومٍ، هو يوم عيد،
حيث كل يومٍ، تُسْمِعُ الآلات الوترية أنغامَها
و[تد] وّي الطبول باستمرار
وحيث بنات ـ الهوى ذوات الأجساد الفائقة الجمال
يتقطرن شهوةً ويَطفحن حيوية.
205 وعلى فراشهن الليلي [يستلقي][1] الأمراء.
أنت يا أنكيدو [الذي لا تعـ] ـرف الحياة
سوف أريك چلچامش، (هذا) الرجل،
رجل البهجة والحسرة؟[2]
سوف تنظر إليه، وسوف تراه أمامك،
إنه يتدفق شباباً وفائقة رجولته
210 كامل جسده يتدفّق شهوةً
فائقة قوّته، حتى أنها تفوق قوتك.
ليل نهار، لا يخلد إلى الراحة
لا تبدِ اغتياظك يا أنكيدو[3]

---

(١) (شافير): قراءة أولى: يستلقي، قراءة ثانية: يخرج؛ (بوتيرو): تشاهِدْن أهم الشخصيات يغادرون فراشهم الليلي؛ (د. الأحمد): تطردن في الليل النبلاء عن أسرتهم.
(٢) كلمة نحتها الشاعر أكادياً من هاتين الكلمتين، يقترح لها (بوتيرو) معنى رابط الجأش ولكنه يميل لتبني معنى: ذو طبع مرح ويلتقي بذلك مع (د. الأحمد) في: رجل سعيد.
(٣) (شافير): تخلَّ عن غيظك؛ (د. الأحمد): خفف من غطرستك.

فچلچامش (هذا) يحبّه شمش[١].

215 وآنو وإنليل وإيا[٢] وسّعوا مداركه

حتى أنه، قبل وصولك إليه، قادماً من سهوبك

كان چلچامش في أوروك، يرى أحلاماً بخصوصك.

وهنا تروي الغانية لأنكيدو حُلميْ چلچامش وتفسيرهما له من قبل أمّه نينسون.

حلم چلچامش الأول

نهض چلچامش، وأخذ يروي لأمه حلماً رآه:

«يا أمي (قال)، رأيت حلماً هذه الليلة.

220 بينما كانت نجوم السماء تحيط بي،

سقط في اتجاهي ما يشبه كتلة أتت من السماء!

أردت رفعها فلم أستطع، كانت ثقيلة عليّ،

حاولتُ إزاحتها، فلم أتمكن من تحريكها

الناس في أوروك، كانوا يقفون [قربها]

225 [شعب أوروك تجمّع] حو [لها]

[ازدحم (؟) الجمهور] أما [مها]

[والشبّان]، كانوا محيطين بها للنظر إليها،

وكأنها طفل صغير، كانوا يقبّلون رجليها

[أمّا أنا]، فقد أحببتها [مثل] زوجة

230 ثم وضعتها تحت قدميكِ

وأنتِ جعلتِ منها نظيراً لي».

---

(١) (Shamash) الإلّه شمش هو حامي چلچامش.

(٢) (anu) و(Enlil) و(Ea): الثالوث الإلّهي الذي يحتلّ رأس مجمع الآلهة.

232 أم چلچامش، الحكيمة والعليمة والفائقة المعرفة، (قالت) لابنها،

233 نينسون، الحكيمة والعليمة والفائقة المعرفة،

قالت برقّةٍ لچلچامش:

«نجوم السماء ظهرت لك،

235 وسقطت باتجاهك مثل كتلةٍ سماوية.

كانت كبيرة الثقل بالنسبة إليك (عندما أردت رفعها)،

لم تستطع زحزحتها (عندما أردت قلبها)،

ثم وضعتها تحت قدميّ

وأنا سوف أعمل منها نظيراً لك

240 أحببتها مثل زوجة وغمرتها بالملاطفات:

العمود السادس

سوف يصل إليك رفيق مقتدر، منقذ (لصديقه)

(في البلاد سوف يكون الأقوى) وسوف يكون له بأس.

سوف تكون لساعديه قوة سماوية.

أنت أحببته مثل زوجة، وغمرته بالملاطفات

245 وهو لن يتخلّى عنك قطّ:

مناسب وجيّد هو حلمك!»

حلم چلچامش الثاني

نهض چلچامش، وتوجّه نحو أمّه (قائلاً):

«أمي، من جديد رأيت حلماً،

(في ساحة) أوروك ـ ذات ـ المفارق، وُضِعتْ

فأس تجمّع الناسُ حَوْلَها.

250 شعب أوروك كان يقف بقربها،

(الناس) تجمعوا حولها

وازدحم الجمهور أمامها
تدافَعَ الشبّان نحوها، أمّا (أنا)
فوضعتها تحت قدميكِ،
أحببتها مثل زوجة، وغمرتها بالملاطفات
255 وأنتِ جعلتِ منها نظيراً لي».

نينسُون الحكيمة والعليمة والفائقة المعرفة، قالت لابنها،
نينسون قالت برقة لچلچامش:
«يا بنيّ الفأس التي رأيتَ. إنها رفيق بشري لك
أحببتها مثل زوجة، وغمرتها بالملاطفات
260 وأنا جعلت منها نظيراً لك:
سوف يصل إليك رفيق قادر ومنقذ لصديقه،
في البلاد، سوف يكون الأكثر قوة
وسوف يكون له بأس
ساعداه سوف تكون لهما قوّة سحرية».
متوجهاً نحو أمّه، قال لها (چلچامش):
265 «أمّاه، بناء على أوامر إنليل، فليأتِ
إليّ صديق أتشاور معه
وليكن لي أخيراً، صديق أتشاور معه».
هكذا كان الحلمان اللذان رآهما چلچامش[١]
كما روتهما الغانية شمخات لأنكيدو
270 بينما كانا بجوار مورد الماء يتحابّان[٢]

التصنيف (سطر التذكير ببداية اللوحة التالية):
أنكيدو كان جالساً أمامها.

(١) نهاية العمود هذه، وردت أيضاً في كسرة بابلية حديثة تحمل التسجيل: (BM 38538).
(٢) حرفياً: يرتئمان من رأم.

اللوحة الثانية

لقاء البطلين، الصداقة ومشروع غابة الأرز

وصلتنا اللوحة الثانية من ملحمة چلچامش وفق نسختين رئيسيتين: النسخة النينوية[1] وحولها عدد من الأجزاء المكمِّلة، ونسخة بابلية قديمة يمكن استكمالها بالاعتماد على نسخة حثية المصدر. ولما كانت النسخة البابلية القديمة هي الأكمل، فقد أمكن الاستفادة من محتواها في تتبّع تسلسل الأحداث في النسخة النينوية التي بقي منها مع الأسف أقل من الثلث. ومن حسن الحظّ أن المقاطع المتفرقة المعاصرة والمكملة تسمح بعرض محتوى اللوحة الثانية كالتالي:

العمود الأول

(مفقود بكامله)

والمطلع الذي انتهت بموجبه اللوحة الأولى هو:

«بينما كانا بجوار مورد الماء يتحابّان».

نعتمد هنا، كسرة مكتشفة في أوروك[2]، تطلعنا على بعض ما حدث في المشهد الأول من هذا العمود.

الغانية تقنع أنكيدو بمرافقتها إلى أوروك

4 لماذا إذن [يا أنكيدو]، [لا تتبعني إلى أوروك (؟)]

أنكيدو يقبل العرض ويذهبان

5 بعد أن تناقَشا فيما بينهما، [. . .]

6 وبشكل عفوي [وافق أنكيدو] (؟)

---

(١) نسخة نينوى محفوظة في المتحف البريطاني تحت إشارة (Rm 289).
(٢) كسرة أوروك مسجلة تحت إشارة (W. 22729).

7 متبعاً ما أشار عليه قلبه [. . .]

8 [أذعن أنكيدو]، لنصائح [الغانية!]

9 (عند ذلك) [كسته] بأحد لباسيها

10 [محتفظةً عليها] بالآخر

11 (ثمّ) أمسكت به [من يده وقادته]

وكأنّه طفل (؟)![1]

التوقّف عند الرعاة

12 [قادته] إلى مظلّة رعاة.

ومن جزء لوحة أخرى محفوظ في المعهد الشرقي في شيكاغو[2]، يمكن متابعة المشهد المرتبط بالرعاة.

[. . . . .]

2 حول أنكيدو، تجمّع الرعاة

ومتعجّبين تمتموا بشكلٍ عفوي

كم هذا الشاب[3] يشبه چلچامش ببنتيه!

5 بقامته العالية هذه، إنّه أبيّ مثل قمّة سور شامخ

إنه أنكيدو بدون شك، وليد السهوب[4]

[والذي بناؤه الجسدي] يضاهي بصلابته

كتلة أتت من السماء؟»[5]

---

(١) في قراءة مختلفة: «مثل (ما يفعل الآلهة) بمعنى مثل الإلّه الشخصي أو الإلّه الحامي الذي يقود المتعبِّد، وهو الملك بصورة عامة أمام إلّه المدينة.

(٢) محفوظة تحت إشارة التسجيل (A 3444).

(٣) هو التعبير عمّا يسمّى أكادياً بالإيطلو، كما أشير إلى ذلك في حاشية السطر ٥٦ من اللوحة الأولى.

(٤) (شافير): وليد الجبل وكذلك (د. الأحمد).

(٥) (شافير): كأن في ساعديه صلابة كتلة أتت من السماء.

تعويد أنكيدو على التصرف حضارياً

8 [الخبـ] ـز الذي قدّموه [له، رفضه]
و[الجعـ] ـة التي قدّموها له، [لم يقبلها] (؟)
10 [دون أن يأكل] من هذا الخبز، كان [أنكيدو يتفحّصه بريبة]،
11 [دون أن يشرب] من هذه الجعة [كان أنكيدو يتفحّصها بريبة]

. . . .

بعد أن شجّعته الغانية على قبول أكل الخبز وشرب الجعة، تغلب أنكيدو على نفوره، وقبل بأسلوب حياته الجديدة.

ومن كسرة لوحة مكمّلة[١] عثر عليها في نينوى، نعلم أنه أراد أن يكون مفيداً لمعارفه الجدد، الرعاة، إذ كان:

1 [يمزّق] الذئاب و[يسيطر على السباع]
2 بينما كان الرعاة يخلدون إلى الراحة، [. . .]
3 [لأن] أنكيدو قام عنهم بدور الراعي[٢]

الغانية تشجّعه لمرافقتها إلى أوروك

4 [لكن الغانية، قالت له]:
عوضاً عن بقائك في هذا المكان
5 [أحرى بك] الذهاب إلى أوروك ـ ذات ـ الحظائر.
لكي [. . (؟) . .]

لدى وصول أنكيدو إلى أوروك، يجد المناسبة لمعارضة چلچامش وتحديه. وهذا ما يتضح من العمود الثاني من نسخة نينوى الرئيسية[٣] التي لم يصلنا منه سوى الأسطر (٣٥ ـ ٥٠).

---

(١) إشارة التسجيل هي (K 8574).
(٢) أي أن أنكيدو كان يحمي القطيع من الحيوانات المفترسة.
(٣) وهي التي تحمل رقم التسجيل (Rm 289).

العمود الثاني

. . . .

35 وقوفاً، في الساحة الكبرى من أوروك ـ ذات ـ الحظائر،
كان [أنكيدو] يُظهر التحدي (؟)
سدّ الطريق أمام [چلچامش][1]
حول (أنكيدو) كان يقف جمهور أوروك بكامله،
(كل) الشعب تجمّع [حوله].
40 كان الناس يزدحمون [أمامه]
كما تجمهر الشبّان الأبطال [لمشاهدته]
ومثل طفل كانوا [يقبّلون رجليه][2]
قالوا عنه دونما تردد: «إنه بطل جميل!»[3]
(في الوقت نفسه) تمّ إعداد الفراش الليلي للإلّهة إيشارا[4]
[الذي نُصب في مكانه]
45 وكما (كان ذلك يتمّ) من أجل إلّه،
زُوِّد چلچامش بوشاح الاحتفالات[5]
لكن أنكيدو سدّ [برجـ] ـله مدخل بيت العرس،
حائلاً دون ولوج چلچامش إليه.
(لذلك) وأمام هذا الباب، تماسكا

---

(١) القراءة غير أكيدة وقد بُني المعنى بالاعتماد على ما ورد في اللوحة الأولى: الأسطر (١٩٣ ـ ١٩٦).
(٢) تقديراً منهم لتحديه چلچامش آملين منه التغلب عليه والتخفيف من غطرسته.
(٣) قراءة مختلفة لشافير: «أثناء ذلك، شاب جميل...» الذي يعتبر أن شاباً تقدم ليكون قرين الإلّهة في عيد الأكيتو، بينما يتعلق الأمر على الأرجح بعرس.
(٤) (Ishara) اسم آخر لعشتار وهنا بصفتها إلّهة الحبّ الزوجي.
(٥) وهذا يعني أن چلچامش أعدّ نفسه للتقدم من فراش العرس على اعتبار أنه أعطى لنفسه الحق «بالدخلة» الأولى ويتضح ذلك بشكل أفضل في نص فيلادلفيا بالبابلية القديمة.

وتصا [رعا] في عرض الساحة،
في ساحة البلد الكبرى.
50 تصارعا بعنفٍ، بشكل جعل [القوا] ئم تتزعزع
والجدران تتقلقل.

نهاية المصارعة مفقودة، وكذلك اعتراف أنكيدو بتفوق چلچامش المتوافق مع سمعته وتوثّق الصداقة بينهما. نعرفُ ذلك من لوحة فيلادلفيا بالبابلية القديمة. إلا أن العمود الثالث من نسخة نينوى، يعرض لنا في نهايته، تقديم چلچامش صديقه الجديد لأمه نينسون.

العمود الثالث

چلچامش يقدّم أنكيدو لأمّه

(البداية مفقودة)
43 [. . . . .]
44 إنه [الأقـ] ـوى في [البلاد]، [الأكثر إقداماً]!
45 [يماثل ببأسـ] ـه صلابة [كتـ] ـلةِ (آتية) من السماء
عالية [قامته] وهو أبيّ مثل قمّةِ سورٍ (شامخ)!»
فتحت أم [چلچامش فـ] ـمها، [بدأت حديثها]
متوجهة [إلى إبنها]،
نينـ [ـسون] البقرة الوحشية [فتحت فمها]،
بدأت حديثها [متوجِّهة إلى چلچامش]:
«يا بني [. . . . . . .]
50 (شكا أنكيدو) بمرارة [من تصرّفك (؟)]

من المحتمل أن تكون بداية العمود الثالث قد قدّمت ما تلي مباشرةً شكوى أنكيدو بسبب تصرّف چلچامش بالنسبة لتعسّفه وغطرسته وكأنّ نينسون بتذكيرها

بمرارة أنكيدو وشكواه (السطر ٥٠)، قد وقفت إلى جانب أنكيدو. وفي إجابة چلچامش لأمّه في بداية العمود الرابع مدافعاً عن أنكيدو ومسوغاً له شكواه على اعتبار أنه غير معتاد على طبائع أهل المدن بسبب ولادته ورعرعته في السهوب، دون أن يهتم أحد بتربيته، يتضح ذلك من استئناف النص.

العمود الرابع

[........]

چلچامش يعذر أنكيدو بسبب تصرفه

[........]
(إنّه حقّاً) حين كان واقفاً أمام بيت العرس
شكا بمرارة [بسبب تصرّفي (؟)]
5 (ولكن أنكيدو هذا)، لم يكن له [لا أم ولا أب]
كان شعره (ينتشر) بحريةٍ [على كتفيه]
عرفت السهوب ولادته، [ولم يقم أحد بتربيته (؟)]

تأثُّر أنكيدو بتصريحات چلچامش وتوثّق الصداقة بينهما

(لدى) سماع أنكيدو هذه الكلمات
بقي دونما حركة، وبدا متأثراً
10 ملأت [الدموع] عينيه
وذراعاه فقدتا كل حيويتهما
(عند ذلك) تعانقا [.....]
وتشابكت أيديهما [.....]
[........] دونما [.....]
15 ووجه أنكيدو [إلى چلچامش] هذه الكلمة:

التتمة المشيرة إلى انهيار أعصاب أنكيدو وتضجّره من رتابة حياته الجديدة، وكذلك اقتراح چلچامش لمشروع التوجّه نحو غابة الأرز للتخلص من حارسها همبابا وتخليص البشرية من الشر الذي يمثله... هذه التفاصيل، مفقودة من نسخة نينوى، وقد أمكن التعرّف عليها من ضمن لوحة يال من النسخة البابلية القديمة.

ولدى استئناف نص نينوى في العمود الخامس، نشهد تحذير أنكيدو لچلچامش من أخطار البعثة نحو غابة الأرز.

العمود الخامس
أنكيدو يحذِّر من أخطار غابة الأرز

1 (إنه) من أجل حماية [غابـ] ـة الأرز
ومن أجل إرهاب البشر،
(عمد) إنليل[١] إلى وضع همبابا في مركزه
(هذا) الهمبابا، صراخه هو الرعب[٢]
فمه نار ونَفَسُه هو الموت!
يسمع جميع أصوات الغابة، عن بعد ستين بيرو[٣]،
من (إذن) بإمكانه الولوج إلى أعماق الغابة.
5 من أجل حماية غابة الأرز، ومن أجل إرهاب البشر،
عمد إنليل إلى وضعه في مكانه.
من يدخل غابته، يجمد رعباً.
ولكن چلچامش، توجّه إلى أنكيدو قائلاً:

---

(١) (Enlil) سيد مجمع الآلهة. وهنا يكمن غضب إنليل بسبب قتل أنكيدو لهمبابا واتخاذ القرار بموته.
(٢) حرفياً الطوفان بما يحمله من رعب ويمكن كتابة: «صراخه هو طوفان رعب».
(٣) البيرو: (bêru) وحدة مسافة تساوي حوالى ١٠ كم، أو ساعة مضاعفة.

«يا صديقي [. . . . .]»

بقية العمود مفقودة، ويمكن الاعتماد على كسرة اللوحة المعاصرة المكتشفة في نينوى[١] للتعرّف على نهاية عرض چلچامش لمجابهة همبابا، وعدم البقاء دون حركة ونشاط، لأن ذلك من مستوجبات البطولة، ومن شيم الأبطال في اقتحام المخاطر وتحقيق الانتصارات.

نهاية عرض چلچامش
وجواب أنكيدو

4 «يا صديقي [. . .] أن لا [. . .]،
إذا ما كانت هناك ولا [دة] للبشر
فليس [للبقاء دونما نشاط (؟)]»
لكن أنكيدو فتح فمه [وباشر حديثه]
[متوجّهاً إلى چلچامش]:
«أي صديقي، أن نذهب للقائه
[هذا محال (؟)!]
أن نذهب [للقاء] همبابا [فهذا محال (؟)]

وبصدد هذا التخوّف، فإن إجابة چلچامش مفقودة، كما أن لا أثر للمشاهد التي تلي. ووحدةُ مشهد إعداد الأسلحة اللازمة للقاء همبابا من قبل صنّاع أوروك، يمكن تتبعه على ظهر كسرة نينوية ثانية[٢].

رغبة چلچامش في نيل الشهرة
وإعداد الأسلحة لبعثه

1 تشاور [الصنّاع الحا] ضرون هنا من أجل [. . .]

---

(١) أي كسرة اللوحة (K 7224).
(٢) هي كسرة اللوحة ذات الرقم (K 22729).

فلنصبّ، إذن القطّاعات، [. . .]
والمهدّات (لنصبّ) منها ما يزن ستّين بيلتو[(١)] كل واحدة،
والسيوف اللازمة (لنصبّ منها) ما يزن
ستين بيلتو كل واحد [. . . . .]،
5 والحمّالات بوزن ستين بيلتو كل واحدة،
هذه الحمّالات [. . .]

في السطر الذي يلي، سجّل الناسخ إشارة تعني أنه وجد في هذا الموضع نقصاً في النص الأصلي الذي ينسخ عنه، موضحاً بنفسه أن هذا النقص يبلغ خمسة أسطر. ويتابع بعد ذلك عملية النسخ.

چلچامش يعلن لشبّان أوروك عن نيّته مجابهة همبابا

7 «استمعوا إليّ أيها الشبان[(٢)] [. . .]
يا شبان أوروك، الخبراء [في (استعمال الأسلحة)]
أشعر أن في نفسي قوة كافية، لسلوك هذا الطريق [. . .]
10 سوف أخوض معركة غير أكيدة،
وأُجَابهُ مصيراً [محفوفاً بالمخاطر (؟)]
تمنّوا لي سفراً موفقاً (؟) [. . . . .]
لكنني أعلن، بأنني سوف أدخل أولاً أوروك،
من البوابة الكبيرة[(٣)] في [. . .]
وسوف أخرج منها [لأتوجه نحو بيت الأكيتو (؟)][(٤)]

---

(١) (biltu) وحدة وزن تعادل ٥٠٠ غرام تقريباً.
(٢) هم مجموع الشبان الذين بإمكانهم حمل السلاح وشيب أوروك هم الذين يشكلون مجمع «القدماء».
(٣) ما يتوازى مع بوابة عشتار في بابل.
(٤) بيت الأكيتو يقع خارج المدينة وفيه كانت تتخذ القرارات المهمّة بالنسبة للمملكة (انظر النص رقم ١٢١ من هذا الكتاب بالنسبة لعيد بابل).

لكي أحتفل بعيد الأكيتو في [.....]

15 فليُعمد إذن، إلى الاحتفال بالأكيتو على وقع الموسـ [ـيقى]

ولترافق العيد أهازيج الفرح في [...].

(لكنّ) أنكيدو توجّه نحو القدماء، [قائلاً لهم]:

«إنّ شبان أوروك [يشجّعونه]

أما أنتم، فقولوا له ألاّ يدْخل قطّ الغا [بة]!

20 هذه الحملة، يجب ألاّ تتم، ليس (چلچامش)

إلاّ رجلاً [.....]

والذي يحرس الغابة [لا يعرف الشفقة]

نعود هنا إلى جزء اللوحة المحفوظ في المعهد الشرقي في شيكاغو[١]، الذي استفدنا منه لدى التوقف عند الرعاة، وما يلي منه يمكِّن من استكمال ردّ فعل القدماء بناء على طلب أنكيدو:

القدماء يحذرون چلچامش

[.........]

2 وقوفاً قام أعضاء مجمَع [القدماء (؟)]

3 بإعلان رأيهم إلى [چلچامش]:

4 «أي چلچامش، أنت [شـ] ـاب، وقلبك هو الذي يقو [دك]!

5 لذلك، فأنت لا تتفهّم جيّداً ما أنت تتحدث عنه:

فهل (خفّة) فراشةٍ، هي التي ولدتك؟[٢]

هذا الهمبابا، هو الرعب، عندما يصرخ

فمه يلفظ ناراً ونفسه هو الموت

(١) هي كسرة اللوحة المسجلة تحت رقم (A 3444).

(٢) قد نكون هنا أمام مثلٍ شعبي يقارِن عدم رزانة الرأي بخفّة الفراشة (؟).

يَسمعُ عن بعد ستين بيرو، الأصواتَ في غابته،
من إذن، يمكنه الولوج إلى أعماق الغابة؟!
10 [هائل وجهه (؟)] و(بمنتهى) البشاعة![1]
[من هو (إذن)] من بين الإيجيجي[2] الذي
يمكنه مواجهته
[إنه من أجل حماية غابة الأرز] ومن أجل
إرهاب البشر، وَضَعهُ إنليل في مكانه.
[(ولكن) چلچا] مش [لدى سماع] كلمات
نصح (القدماء)
[...........]

بذلك يتوقف، كل ما وصلنا من اللوحة الثانية من نسخة نينوى وما يدور حولها في مقاطع نينوية المصدر أو معاصرة لها.

---

(١) بشاعة همبابا الذي يجمد رعباً من يراه يذكّر ببشاعة ما عرفه اليونانيون تحت اسم ميدوز (Méduse) يتحجّر من ينظر إليها وقد قتلها البطل پيرسيه (Persée) دون أن ينظر إليها.
(٢) (Iggigi) هنا بمعنى جميع الآلهة للعالمين العلوي والسفلي.

اللوحة الثالثة

الإستعدادات والتوجّه نحو غابة الأرز

تمّ التعرّف على محتوى اللوحة الثالثة، بشكل غير كامل، عبر مجموعة من الأجزاء، بعضها لم ينفع في متابعة النص. ووحدها بعض الأجزاء المتبقية من لوحة أو لوحتين تحويان ستة أعمدة لكل منها. أمكن بالمقاربة فيما بينها من عرض المحتوى التالي:

العمود الأول

القدماء ينصحون چلچامش بالحذر

1 [فتح القدماء أفواههم متوجّهين إلى چلچامش]:
«لا تعتمد، يا چلچامش [على قـ] ـوتك وحدها.
أنْ تبقيَ عينيك ساهرتين، يمكِّنك من ضرباتٍ
(بسيفك) أكثر فعا [ليّة].
الذي يسير في المقدّمة، ينـ [ـقذ] رفيقه
5 والذي يعرف الطريق يحمي صديقه!
أنكيدو يسير إذن أمامك:
إنه عارف لطريق غابة الأرز،
معتاد على المعارك وخبير في شؤون القتال
إنّه يحمي صديقه ويحافظ على رفيقه بعيداً عن الأذى
10 حتى لو اقتضى الأمر حمله بنفسه لتحاشي حفر الصيد المموهة[1]
قرار مجمعنا يا أنكيدو، أننا نعهد إليك بملكنا
عليك إعادته إلينا ليكون من جديد بيننا!»

(١) (شافير): «حمله بنفسه فوق الأقنية أو مجاري الماء».

چلچامش يذهب برفقة أنكيدو لوداع أمّه

فتح عند ذلك چلچامش فمه، وباشر حديثه
متوجهاً إلى أنكيدو:
15 «هيا يا صديقي، دعنا نذهب إلى البيت ـ الفائق ـ السمو[١]
للمثول أمام نينسون الملكة.
نينسونا الحكيمة والعليمة (التي) تعرف كل شيء،
سوف تعدّ لرحلتنا مساراً آمناً»!
بيدين متشابكتين ذهبا،
20 چلچامش وأنكيدو، توجّها نحو البيت ـ الفائق ـ السمو
للقاء نينسونا الملكة العظيمة.

چلچامش يبلغ أمّه عن مشروعه

تقدّم چلچامش ووقف أمام الملكة،
نينسونا (قال لها): أشعر بنفسي قوّة (كافية)
[لسلوك] الطريق الطويل المؤدّ [ي إلى همبابا]
25 ولخوض هذه [المعركة] غير الأكيدة (النتائج)
و[لأدفع بنفسي][٢] في هذه المهمّة المحفوفة بالمخا [طر]
إلى أن [يتم] ذهابي وعودتي
إلى أن يتم وصولي [إلى غابة الأرز]
وحتى أقضي على [همبابا ـ المفترس]
30 وأخلّص الأرض من هذا الكائن المشؤوم

---

(١) حرفياً: التعبير السومري (إي ـ چال ـ ماخ) ومعناه (البيت ـ الكبير ـ السامي) وهو معبد نينسون في أوروك.
(٢) التعبير الأكادي المستعمل يفترض اللجوء إلى عدة وسائل انتقال (خيل، مركبة، سفينة).

الذي يكرهه شمش.

بقية العمود مفقودة وهي تشكل حوالى ٢٠ سطراً لم يبق منها سوى بعض الرموز المتفرقة وغير القابلة للاستثمار.

العمود الثاني

نينسون تستعدّ لأداء طقس أمام الإلَه شمش لحماية چلچامش[١]

[انسحبت [نينسون] إلى جناحها الخاص

وتطهَّرَت بالتُّلاّل[٢]،

[لبست ثوباً] ملائماً [لجســ] ــمها

[وتزيّنت بعقدٍ] يليق بصدرها

5 وهي مجهّزة على هذا الشكل

والتاج على رأسها

نقص سطر يشتمل على تعبير أرض أو أرضية[٣].

أسر [عت (؟)] بعد ذلك وصعدت

على سطح (شقّتها)

[هناك وأمام شمش، أعدّت مبخرة

وقدمت له قر [باناً].

(بعد ذلك) ويداها مرفوعتان [نحوه] (قالت):

التوجّه إلى شمش

10 لماذا مَنَحت چلچامش إبناً لي وجَعَلْتَ

---

(١) طقس لإبعاد الشر وطلب المغفرة.

(٢) (Tullal) التسمية الأكادية لنبات مطهّر قد يكون الصابونية، يستعمل في الاغتسال قبل القيام بطقوس التعويذ والتوجّه إلى الآلهة.

(٣) قد يكون المقصود، هو رميها على أرضية الغرفة عظام أو أصداف التعويذ لطرد الشر.

له روحاً لا تعرف الكلل،
(وها أنت) الآن تشجّعُهُ على سلوك
[الطر] يق الطويل المؤدّي إلى همبابا
لخوض معركةٍ غير أكيدة (النتائج)،
ليرْمِيَ بنفسه في هذه المهمّة المحفوفة بالمخاطر
15 إلى أن يحين موعد عودته:
إلى أن يصل إلى غابة الأرز
ويقضي على همبابا ـ المفترس
ويخلّص الأرض من هذا الكائن
المشؤوم، الذي تكره!
ولكن أَنتَ، أنتَ عندما [تخلد إلى الراحة معها]
20 فلتعمد آيا ـ الكنّة[١] شخصيّاً
بتذكيرك دون وجل
أن تَعْهَد بولدي إلى حرّاس الليل[٢]
[إلى نجوم] المساء...»

لم يبقَ من الأسطر الـ ٢٥ التالية إلا كلمات متفرّقة، من المحتمل أنها تحتوي على ما تعدّده نينسون أمام ولدها، لما سيلتقي به على طريقه من: «ممرات [الجبال] و«الجبال» و«الحيوانات المفترسة»...

العمود الثالث

مفقود بكامله فيما عدا بعض بدايات أسطر لا يمكن الاستفادة منها، ويعتقد أن نينسونا تتوجّه إلى شمش مرةً ثانية، لتوصيه بولدها چلچامش، وابتهالها هذا لا بدّ أن ينتهي مع الأسطر الـ ١٥ الأولى المفقودة من العمود الرابع. وما بقي من هذا العمود يسمح باستنتاج ذلك.

(١) (Aya) هي قرينة الإلّه الشمس وحافظت عليها اللغة العربية في أيا الشمس.
(٢) هم نجوم الليل الذين يتولون الحراسة عندما ينام شمش.

العمود الرابع

. . . .

16 بعد أن أطفأت المبخرة، كررت نينسُونا

لفترة طويلة [ابتهالها]

نينسونا تتوجّه إلى أنكيدو

نادت (عند ذلك) أنكيدو وأبلغته مضمون [إرا] دتها

أيها المقتدر أنكيدو، أنت لم تخرج من رحمي

ولكنني الآن أستحلفك باسم المنذورات إلى چلچامش[١]

20 وباسم الكاهنات والمكرّسات والغانيات (؟)[٢]

هكذا وَضَعَتْ هذه المهمة على أكتا [فِ أنكيـ] ـدو

بينما كانت الكاهنات يأخذن [. . . .]

و«بنات الآلهة» يد [عمن . . . .]

«أنا (قالت نينسونا: يا أنكيدو [. . . .]

25 كلفتُك (؟) من أجل [. . . . .]

[فأجاب] أنكيدو [نينسونا]:

«چلچامش [. . . . . .]

في سطرين مشوهين يرجح بأن أنكيدو يَعِد بالسهر على چلچامش ويتابع قوله:

30 وإلى أن [تحين عو] دته وإلى أن

يصل إلى غابة الأرز

لو اقتضى ذلك أشهراً [. . .]

ولو اقتضى ذلك سنوات [. . .]

---

(١) قد يكون المعنى هنا يشمل المقرّبات أو المكرسات لخدمة الملك اللواتي يسعين للمحافظة على سلامته مثل أمه نينسونا.

(٢) هن الجهاز النسائي المكلف بخدمة معبد نينسونا.

فقدان حوالى ٢٠ سطراً، وممّا أمكن التعرف إليه من الرموز المقروءة، فإن البطلين قبل مباشرتهما المهمة ينفّذان طقساً تعويذياً ويتَوجهان على الأرجح إلى الإلّه شمش.

العمود الخامس

مفقود بكامله، ولم يبق منه سوى نهايات أسطرٍ عشرين، لا يمكن الاستفادة منها.

العمود السادس

المقطع الوحيد المتبقي والممكن نسبته إلى العمود السادس مع احتمال تمثيله لنهاية العمود هو توصيات القدماء يكررون بعض ما ورد أعلاه في بداية اللوحة. وفيما يلي ما أمكن قراءته:

آخر توصيات القدماء

2 سوف يحمي [أنكيدو] صديقه،
يحافظ [على سلامة رفيقه]
3 [حتى لو اقتضى الأمر حمله بنفسه]
لتحاشي حفر الصيد المموّهة
4 قرار مجمعنا يا أنكيدو، [نعهد إليك بملكنا]
5 عليك إعا [دته ليكون من جديد بيننا]

أنكيدو يتوجّه إلى چلچامش

6 [فتح] أنكيدو [عند ذلك فمه] وتوجّه إلى چلچامش؛
7 «يا صديقي، مرةً أخرى [. . . (؟) . . .]

يشير السطر التاسع إلى طريق ويُرجح أن الأسطر الأخيرة كانت تصف بداية السفر.

اللوحة الرابعة

مراحل التوجّه نحو الغابة

هذه اللوحة، هي أيضاً في حالة سيئة، ولم يبق منها سوى عشر كسرات متباعدة وموزعة على الأعمدة الستة التي تمثل اللوحة الكاملة، وهي تشكل على أحسن تعديل ثلث المحتوى ويضم أسطراً عديدة غير كاملة في معظم الأحيان.

بالاستفادة من هذه الشواهد المتفرقة واعتماداً على ما ورد في اللوحة السومرية شبه الكاملة عن «چلچامش وهوّاوا»، فنحن نعلم، أن الرحلة إلى غابة الأرز تمت ضمن ست مراحل سفر وثلاثة أيام لكل مرحلة. خلال جميع المراحل المؤدّية إلى الغابة، كان چلچامش يرى حلماً يفسّره له أنكيدو في اليوم التالي.

وبما أن عرض المراحل والأحلام المرافقة لها قد تمّ احترامه بين القديم والنينوي، فقد أمكن استعادة بعض أجزاء النص المفقود.

العمود الأول

المرحلة الأولى

1 بعد سير مسافة عشرين بيرو(١) تناولا بعض الطعام

[(ثمّ) بعد (اجتياز) ثلا] ثين بيرو خيّما:

و(هكذا) في يوم كامل سارا مسافة [خمسين بيرو]

[وهي المسافة (الاعتيادية)] التي تقطع [خلال شـ] ـهر ونصف.

وبعد ثلاثة أيام بلغا جبـ [ـل]... دونو(٢)

5 [(عند ذلك) وأمام شمش] [حفـ] ـرا [بئراً]

---

(١) (Bêru) وحدة مسافة تعادل ١٠ كم تقريباً.

(٢) كانا في كلّ مرحلة يجتازان جبلاً أو ممراً جبلياً أو هضبةً. وقد فقدت مع الأسف جميع الأسماء كما أنه لم يعرف موقع جبل (Dunu).

ووضعا [. . .] في [. . .][١]
ثم صعد چلچامش على رأس الجبل
ونثر أما [م شمش] الطحين المعدّ للمحرقة، راجياً:

الحلم الأول

«أيها الجبل (قال مبتهلاً)، إبعث إليّ
بحلمٍ يَعِدُ بحسن الطالع[٢]
10 نفّذ أنكيدو عند ذلك طقساً تكهنياً[٣] [من أجل چلچامش]
(أثناء ذلك) هبّت عفة ريحٍ وابتعدت[٤]
ثم جعل چلچامش (يستعدّ) للنوم و[أحاطه]
بحلقة تعويذية[٥]
بحيث أصبح وكأنه [. . . . .][٦]
عندما أسند چلچامش ذقنه إلى ركبتيه
15 النوم الذي ينسكب على البشر، سقط عليه.
استيقظ عند منتصف الليل، فجأةً
ثم وقف وروى لصديقه:

فقدان حوالى (١٥) سطراً، تتضمن الإشارة إلى الحلم والمباشرة برواية محتواه

---

(١) قد يعني هذا السطر أنهما ملآ بالماء قرباً لمتابعة المسيرة.
(٢) الحلم المعني هو حلم الاستجابة لطلبٍ أو لرغبة بواسطة تَقْدمة لشمش على رأس الجبل أو أي مكان مقدّس. والقربان هنا هو إحراق الطحين أو مادة مطحونة عَطِرة.
(٣) طقس يعمد إليه العرّافون.
(٤) هبوب الريح، يعني بداية استجابة الإلّه أو تعبير عن حضوره.
(٥) من شأن إحاطة الشخص بحلقة من الطحين أو الأصداف هو إبعاد التأثير السيء أو الأرواح الشريرة. ولا تزال هذه الطريقة مستعملة من قبل «السحرة ـ الأطباء» لبعض القبائل الإفريقية.
(٦) هنا بالاعتماد على كلمتين أكيدتي القراءة هما شعير وشمش، يبتدع (شافير) تشبيهاً جميلاً فيكتب: «كما ينحني شعير الحقول عندما يختفي شمش». ولكنه يضيف بأن هذا المعنى هو تكهني وغير أكيد.

أمام أنكيدو ويتابع النص كما يلي:

32 الحلم الذي أتا [ني يا صديقي، هذا هو]:
كنّا نعبر مضيقاً جبلياً
فسقطت الجبال علينا
35 [إلا] أننا مثل «ذبابات المقصبة» [كنا نبتهج (؟)][1]

أنكيدو يفسّر الحلم

عند ذلك، فالذي كان مولوداً في السهوب [. . .]
توجّه نحو صديقه، (عند ذلك)، أنكيدو [فسّر له الحلم (؟)]:
«يا [صد] يقي، جيِّد هو حلـ [ـمك]
[هذا الحـ] ـلم الممتاز [. . . . (؟)]!
40 الجبل الذي رأ [يْتَهُ] يا صديقي [هو. . . .]؛
[أي أننا سوف نقـ] ـبض على همبابا و[نقضي؟] عليه[2]
ونرمي جثته في أماكن مهملة [. . .][3]
غداً، سوف [يعلمنا شمش] خبـ [ـراً] جيداً[4]

المرحلة الثانية

بعد مسيرة عشرين بيرو، تناولا وجبةَ طعام
45 ثمّ بعد مسيرة ثلاثين بيرو (أخرى)، خيّـ [ـما]:

---

(١) هذا المعنى المتبنى عادةً هو غير أكيد.
(٢) الأحلام التي يراها چلچامش هي جميعها مخيفة ظاهرياً ولكن تفسيرها يتم دوماً وفق طريقة قلب القيم والمواقف.
(٣) أو في السهل (شافير) والمقصود هو أن الجثة لن يكون لها مراسم دفن، وهذا أسوأ مصير يمكن تصوره بعد الموت.
(٤) أي أن أنكيدو ينتظر من شمش توفيقاً في اليوم التالي أو إشارة منه إيجابية.

[وهكذا ففي يومٍ كامل] قطعا خمسين بيرو، [وهي
المسافة التي تقطع خلال شهر ونصف!][1]
[وبعد مضي ثلاثة أيام] بلغا جبل [...]
(عند ذلك) وأمام شمش، حفرا بئراً وضعا [...]
في [... ؟...]
ثم صعد چلچامش على قمة [الجبل]
نثر الطحين المعدّ للمحرقة من أجل شمش (راجياً):
«أيها الجبل (قال مبتهلاً)، إبعث إليّ بحلمٍ
يَعِدُ بحسْنِ الطالع.
50 نفّد أنكيدو (بعد ذلك) طقساً تكهنياً من أجل [چلچامش]

العمود الثاني

هذا العمود مفقود بكامله إلا أنه يمكن كما هو الحال أعلاه استكمال جزءٍ من النقص:

1 (أثناء ذلك)، هبّت عصفة ريحٍ وابتعدت
ثمّ جعل (أنكيدو چلچامش يستعدّ) للنوم، و[أحاطه]
بحلقةٍ تعويذية.
و[مثل ما ينحني] شعير الحقول [عندما يغيب] شمش،
عندما أسند چلچامش ذقنه على ركبتيه،
5 النوم الذي ينسكب على البشر، سقط عليه
إستيقظ فجأةً عند منتصف الليل،
ثم وقف وروى لصديقه:

---

(١) المبالغة في المسافات المقطوعة هي مألوفة في الأساطير وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بعملاقين.

محتوى وتفسير الحلم الثاني

محتوى الحلم الثاني وتفسيره مفقودان. إلا أننا نعلم من مضمون لوحة تل حرمل[1] بالبابلية القديمة (١٨٠٠ ـ ١٧٥٠) ق. م، عن ظهور ثور تشابك معه چلچامش وكان مخيفاً ومثيراً للإضطراب، خواره يشقّ الأرض ويجعل سحب غبارٍ تتصاعد دوائرها اللولبية نحو السماء. طوى چلچامش أمامه ركبته ولكن الثور أخذ بيده وسحب جسمه من تحت الأرض (؟) ثم سقاه ماءً من قربة.

وكان تفسير الحلم من قبل أنكيدو أن الثور لم يكن غير الإلّه شمش الذي سيأخذ بيد البطلين أثناء المعركة. وأنّ الذي أشربه الماء من قربته هو، كما أوضح ذلك أنكيدو لچلچامش، إلّهك الذي يكرمك، إنه لوچال باندا. وإذا ما كنا متّحِدَيْن فإننا نحققُ أعمالاً لم يسبق لأحد قطّ أن أقدم عليها في هذا العالم.

تكرّر المرحلة الثالثة بداية المرحلة الأولى حتى سرد الحلم الجديد. ونثبت هنا النص نفسه مع اختصار الأقواس المعقوفة.

المرحلة الثالثة

العمود الثالث

(1) بعد سير مسافة عشرين بيرو، تناولا بعض الطعام،
ثمّ بعد اجتياز ثلاثين بيرو، خيّما.
وهكذا، في يوم كامل، سارا مسافة خمسين بيرو،
وهي المسافة الاعتيادية التي تقطع خلال شهر ونصف
(5) وبعد مضي ثلاثة أيام بلغا جبل [. . . .].
عند ذلك، وأمام شمش، حفرا بئراً
ووضعا. . . . . . في . . . . . .
ثم صعد چلچامش على رأس الجبل
ونثر أمام شمش الطحين المعدّ للمحرقة، راجياً:

---

(١) هو النص المحفوظ تحت رقم (IM 52615) ورقم (IM 58451).

الحلم الثالث

(10) «أيها الجبل، قال مبتهلاً، إبعث إليّ بحلمٍ يعد
بحسن الطالع.
نفّذ أنكيدو عند ذلك، طقساً تكهنيّاً، من أجل چلچامش
هبّت أثناء ذلك عَصْفة ريحٍ وابتعدت.
ثم جعل چلچامش يستعد للنوم، وأحاطه بحلقةٍ تعويذية.
5 ومثل ما ينحني شعير الحقول، عندما يغيب شمش،
عندما أسند چلچامش ذقنه على ركبتيه،
النوم الذي ينسكب على البشر، سقط عليه.
استيقظ فجأة عند منتصف الليل،
ثمّ وقف لتوّه وروى لصديقه:
10 «يا صديقي، أنت لم تعمد إلى مناداتي
لماذا (إذن) أنا استيقظت؟
أنت لم تهزّني، لماذا (إذن) أنا مضطرب؟
لم يلمسني أي شبحٍ، لماذا (إذن) تملكني الخوف[1]؟
لأنني يا صديقي رأيت حلماً ثالثاً
والحلم الذي رأيت، كان مكدِّراً
15 هَدّت السموات وارتجّت الأرض
ثمّ تَبع العاصفة، صمتٌ كالموت، وانتشرت الظلمات.
ثمّ سطع برق وأشعل حريقاً
[ذا ألسنة نـ] ـارٍ متوهّجة، وأخذت السماء تمطر موتاً[2]
(بعد ذلك) [انهار] الجمرُ المتأجّج وتحوّل إلى رماد!

---

(١) (شافير) يحافظ على الترجمة الحرفية: ألم يمر من هنا إلّه، لماذا إذن أشعر بقشعريرة؟ ويشرح (بوتيرو) بأنه فضل استعمال شبح عوضاً عن إلّه في هذا المجال.
(٢) بمعنى تعددت الضحايا.

20 دعنا نهبط، ونناقش الأمر في الأسفل[١]

تفسير الحلم

لدى سماع أنكيدو سَرْدَ مضمون الحلم، ولجعل چلچامش
يواجه معنى حلمه، قال له:
«[. . .] إننا [لن] نهـ [ـلك]!

تتمة التفسير مفقودة، وعلى شظية لوحة نقرأ ما قد يكون المرحلة الأخيرة منه: من التفسير:

غـ [ـداً] من شمش، سوف نعلم خبراً جيداً.

المرحلة الرابعة

1 بعد سير مسافة عشرين بيرو، تناولا بعض الطعام
ثمّ بعد اجتياز ثلاثين بيرو، خيّما
و(هكذا) في يوم كامل، قطعا مسافة خمسين بيرو،
المسافة الاعتيادية، التي تقطع خلال شهر ونصف.
وخلال ثلاثة أيام بلغا جبل [. . .].
5 (عند ذلك) وأمام شمش، حفرا بئراً
وضعا. . . . في. . . .
ثم صعد چلچامش على رأس الجبل
ونثر الطحين المعدّ للمحرقة، أمام شمش راجياً:

الحلم الرابع

«أيها الجبل، ابعث إليّ بحلم يَعدُ بحسن الطالع
10 نفّذ أنكيدو، عند ذلك طقساً تكهّنياً

(١) قد يكون ذلك لتفسير الحلم في غير المكان الذي وقع فيه.

من أجل چلچامش.
بينما هبّت عصفةُ ريحٍ وابتعدت.
ثم جعل چلچامش يستعد للنوم، وأحاطه
بحلقةٍ تعْويذيّة.
وكما ينحني شعير الحقول عندما يختفي شمش،
عندما أسند چلچامش ذقنه إلى ركبتيه،
15 النوم الذي ينسكب على البشر، سقط عليه.
عند منتصف الليل، استيقظ فجأة
ووقف لتوّه، وروى لصديقه حلمه:

العمود الرابع

مضمون الحلم الرابع

لم يبق من سرد الحلم سوى بقايا غير مقروءة أو متقطّعة. ويمكن أن يفهم من خلالها، أن چلچامش رأى في حلمه كائناً عملاقاً. كما أن متابعة الحلم على ظهر اللوحة تضمنتها الأسطر السبعة أو الثمانية الأولى، التي تُنهي رواية الحلم.

ثم يقوم أنكيدو بعد ذلك بتقديم تفسيره الذي أصابه هو أيضاً الكثير من التشويه.

تفسير الحلم

1 [الحلم] الذي رأيته، [. . . .]
يا صديقي، هذا [. . . . . . .]
[. . . . .] همبابا مثل [. . . . . .]
[قبل أن يضـ] ـيء. . . النهار
5 سوف نضعُ عليه [. . .]
وفي منتهى الغضب [ضدّ همبـ] ـابا [. . .]

سوف نتعاون (؟) [. . .]،
وضدّ [ه نحن. . . (؟)]
غداً سوف يعلمنا شمش خبراً جيداً!»

المرحلة الخامسة

1 بعد سير مسافة عشرين بيرو، تناولا بعض الطعام
ثمّ بعد اجتياز ثلاثين بيرو، خيّما
و(هكذا) في يوم كامل، قطعا مسافة خمسين بيرو
المسافة الاعتيادية، التي تقطع خلال شهر ونصف.
وخلال ثلاثة أيام بلغا جبل [. . .].
5 (عند ذلك) وأمام شمش، حفرا بئراً
وضعا. . . . في. . . .
ثم صعد چلچامش على رأس الجبل
ونثر الطحين المعدّ للمحرقة، أمام شمش راجياً:

الحلم الخامس

«أيها الجبل، ابعث إليّ بحلم يَعدُ بحسن الطالع.
10 نفّذ أنكيدو، عند ذلك طقساً تكهّنياً
من أجل چلچامش.
بينما هبّت عصفةُ ريحٍ وابتعدت.
ثم جعل چلچامش يستعدّ للنوم، وأحاطه
بحلقةٍ تعويذيّة.
وكما ينحني شعير الحقول عندما يختفي شمش،
عندما أسند چلچامش ذقنه إلى ركبتيه،
15 النوم الذي ينسكب على البشر، سقط عليه.
عند منتصف الليل، استيقظ فجأة

ووقف لتوّه وروى لصديقه حلمه:

لم يبق أي أثر لمضمون الحلم الخامس وتفسيره الذي يجب أن ينتهي بأمل أنكيدو:

«غداً من شمش سوف نعلم خبراً جيداً».

المرحلة السادسة

مضمون عرض وقائع هذه المرحلة مفقود، واعتماداً على ما سبق، يمكن استكماله وبشكلٍ أقصر على اعتبار أن البطلين يصلان بنهاية المرحلة إلى غابة الأرز.

1 بعد قطع مسافة عشرين بيرو، تناولا بعض الطعام
ثمّ بعد اجتياز ثلاثين بيرو، خيّما
و(هكذا) في يوم كامل قطعا مسافة خمسين بيرو
المسافة الاعتيادية التي تقطع خلال شهر ونصف
[وخلال ثلاثة أيّام بلغا غابة الأرز].

العمود الخامس

الثلثان الأول والثاني من العمود الخامس مفقودان، دون إمكانية التعرّف على ما كانا يحتويان. ولم يبق من نهاية العمود سوى الأبيات التي سنعرضها فيما يلي. ويظهر أنه لدى رؤية الغابة وتصور الأخطار التي تمثّلها مهمّة الولوج إليها، أن أنكيدو، عاد كما هو الحال قبل الرحلة إلى تخويف چلچامش محاولاً ثنيه عن قراره.

وفي كل الأحوال، فإن چلچامش بنتيجة تأثّره بحديث أنكيدو، شعر بضرورة الاستعانة بالإلّه شمش الذي يحميه. بداية طلب العون مفقودة ولدينا فقط ما يلي:

چلچامش يبتهل إلى شمش

[. . . . .]

38 [أمام شمش]، سالـ [ـت دموعه]، (توجّه إليه مبتهلاً:

39 «[ما] قلته في أوروك [لنينسونا (؟)][1]

40 [تذكّر] ذلك: أعنّي، حقق مطلبي!»

إجابة شمش ونصيحته

من چلچامش، وليد أوروك، سَمِعَ [شمش] النداء

ولتوِّهِ وجّه من مقرّه السماوي صرخة استعجال[2]

«إلحق به[3] بسرعة، لمنعه من بلوغ أجمته

الكثيفة والتـ [ـواري في مخبئه (؟)]!

45 إنه لم يلبسْ بعد رداءاته السحرية السبع[4]

وليس عليه سوى رداء واحد وقد تخلّى عن

السنة الآخرين!»

(عند ذلك) وبيدين متشابكين، ار [تميا نحو الأمام]،

مثل ثورٍ هاجم[5]

ومرةً أولى، أطلق همبابا صرخة رهيبة

حارس الغابة زَعَق [. . . . . .]

50 همبابا [. . . . .]

(البقية مفقودة)

---

(١) تعرفنا آنفاً على ابتهال وصلاة نينسونا الموجّهة إلى شمش لحماية چلچامش. ونلاحظ هنا الإلفة بين چلچامش وشمش التي لا تضاهيها سوى دالة موسى على إلّهه يهوه.

(٢) إجابة شمش ونداؤه هي مألوفة في التوراة (تثنية ٤ : ١٢) وهنا بالإضافة إلى ذلك وبما أن شمش يرى كل شيء وينفذ إلى أعماق الغابة فقد رأى همبابا خارج مخبئه.

(٣) المقصود هو همبابا.

(٤) عوضاً عن رداء سحري فإن (شافير) تبنّى تعبير درع وقاية. وفي قصيدة التكوين والخلق البابلية كان مردوك يحتمي فوق لباسه بدرع ـ الرعب (٤ : ٥٧).

(٥) (شافير) يكتب: مثل ثور غاضب، وأحدثا صوتاً نبّه همبابا.

العمود السادس

چلچامش يشجّع أنكيدو[١]

1 «لنهبط (قال چلچامش) [. . . .] فالتربة زلقة
[رجلٌ واحد] لا يمكنه السير عليها، ولكن اثنين [. . .]؛
2 إثنان (؟) أو ثلاثة، يجابهان (بسهولة) [واحداً][٢]
3 [لا أحد يستطيع بمفرده قطع حبلٍ] ذي ثلاث ضفائر[٣]
4 و(معاً) شبلا أسـ [ـد] هما أقوى منه»!

نقص جديد يقدر بحوالى ١٨ سطراً يلي ذلك:

22 فتح أنكيدو فمه وباشر حديثه [متوجهاً إلى چلچامش]:
[«حتى لو أنني تمكّنت] من دخول الغـ [ـابة]،
[ومِنْ] فتحِ [طريـ] ـقٍ فيها، [فإن أطرافي] سوف تجـ [ـمد!»][٤]

چلچامش يشجعه من جديد

25 [لكن چلچامش فتح فمه] وباشر حديثه متوجهاً [إلى صديقه]:
[لماذا (إذن)] يا [صـ] ـديقي، سوف ندخلها خائفين وجلين؟[٥]
[نحن] قطعنا حتى الآن، جميع مراحل الطريق
[. . .] وها هي الغابة أمامنا!

---

(١) يظهر هنا أن أنكيدو عاد لتخوفه السابق من هذه المهمة الخطرة.

(٢) (شافير) يكتب: توأمان أو ثلاثة أشخاص (يمكنهما التخلص. . .).

(٣) يستعمل الشاعر هنا أمثالاً شعبية عُرف معظمها منذ الفترة السومرية ومَثَلُ الحَبْل الثلاثي الضفائر نجده حتى في سفر بن سيراخ (القوهوليت) التوراتي (٤ : ١٢).

(٤) يذكّر أنكيدو هنا بالوصف السابق حول همبابا الذي ورد في اللوحة الثانية (عمود ٥ سطر ٦).

(٥) حرفياً: مثل متسولين محنييّ الرأس.

[ولن نعود قـ] ـبل أن نقطـ [ـع الأرز (؟)]!

30 [أنت (إذن) يا صد] يقي الخبير في المعارك والمعتـ] ـاد على القتال،

[جسمُكَ] مفروكٌ بالنباتات (السحرية)،

(لذلك) فأنت لم تعد تخشى [الموت]![1]

نقص سطر واحد يتابع بعده چلچامش التشجيع والتحميس[2]:

إجعل [صوتك] يدوّي مثل طبل!

[بعـ] ـيد عنك جمود الساعدين ووهن الركبتين.

35 [إمسـ] ـك (بيدي) يا صديقي ولنمـ [ـشِ] معاً!

35 [وليشـ] ـتعل قلبك (حماساً) لخوض المعركة،

إزدرِ الموت و[لا تفكّر إلاّ] بالحياة!

[فالذي] يسهر على الآخر، عليه مجابهة كل التجارب

[الذي] يمشي أمام الآخر، يحمي رفيقه وينقذه![3]

وحتى (من أجل) ذريتهما الأكثر بعْداً

يكونان قد جعلا لهما اسماً[4]

الوصول عند مدخل الغابة

(هكذا) وصلا كلاهما، إلى [........]

وبقيا (مشدوهين إعجاباً)

صا [متين] ودونما حركة[5].

---

(١) طريقة لحماية المقاتل الشخصية مارستها بلاد ما بين النهرين وفيها ما يدْعم الاعتقاد بوجود نبات سحري يقي من الموت أثناء المعركة.

(٢) يحتمل أن يتضمن هذا السطر إشارة إلى الإشعاع الخارق للطبيعة الذي من شأنه حماية همبابا، وقد عرفنا مثل هذا الإشعاع أو التألق الخارق للطبيعة عند الإلّه مردوك.

(٣) يذكر الشاعر هنا بالمهمة التي كلف بها القدماء أنكيدو للسهر على چلچامش وحمايته.

(٤) هي الغاية التي من أجلها أراد چلچامش القضاء على همبابا ليجعل لنفسه إسماً تكرّره الأجيال، لأنه خلّص الأرض من الشرّ الذي يمثله همبابا.

(٥) ومن الطبيعي أن يُشْدَهَ من قدم من بلد الصلصال بجمال غابة الأرز سواء أكان ذلك في لبنان أم في الأمانوس.

اللوحة الخامسة

مجابهة حارس الغابة والقضاء عليه

١ ـ اللوحة الخامسة من نسخة نينوى (مكتبة آشور بانيبال)، أصاب التلف معظمها. ولم يبق كاملاً غير جزء وحيد من اللوحة يحتوي عشرين سطراً من أصل ما يقارب الثلاثمائة. وهذه الأسطر، هي موزعة على بداية العمودين الأول والثاني ونهاية العمودين الخامس والسادس. ولم يعثر على أية كسرة من نسخة ثانية يمكن إثبات انتمائها إلى المجموعة نفسها.

٢ ـ إلا أنّه من حسن الحظ، فإن حفريات مدينة أوروك، قدّمت مؤخراً (١٩٨٠) لوحة تمّ حفظها في متحف بغداد[١] مكتوبة بالبابلية المتأخرة. وعلى الرغم من إصابتها بالتلف، فقد بقي منها حوالى مائة سطر تقع في بداية الأعمدة الثلاثة الأولى ونهاية الثلاثة الأخيرة.

٣ ـ ومع أن نسختي نينوى وأوروك ليستا متكاملتين تماماً أو متوازيتين تماماً ولكنهما تمكّنان مع ذلك من تقديم عرضٍ لمحتوى اللوحة الخامسة. ومن المؤكد أن لوحة أوروك تمثل جزءاً من نسخةٍ مستقلة على اعتبار أن اللوحة الخامسة النينوية يؤكدها تكرار بدايتها للمشهد الأخير من اللوحة الرابعة حين يصل البطلان إلى مدخل الغابة ويتأملان جمال أرزها. بينما تعرض بداية لوحة أوروك البطلين، وهما ضمن الغابة في حوارٍ مع همبابا.

٤ ـ وفي مثل هذه الحال فإنّ الأفضل، هو تقديم محتوى اللوحتين الواحدة تلو الأخرى، وفقاً لما وصلنا منهما.

نسخة نينوى/ العمود الأول
وصول چلچامش وأنكيدو إلى الغابة

1 (عند حدّ الغابة) بقيا (مشدوهين إعجاباً)؛

---

(١) محفوظة في متحف بغداد تحت الرمز (W 225545).

صا [متين] ودونما حركة،
كانا يتأملان انبساق أشجار الأرز،
وكانا يستكشفان مدخلاً إلى الغابة،
تركت (فيها) تنقُّلات همبابا، مسالك عديدة.
5 ممرات مستقيمة وطرقات واضحة المعالم.
(ومن بعيد)، كان يمكن رؤية جبل الأرز[١]
مسكن الآلهة ومقرّ إيرنيني[٢] المقدّسة.
على سفح[٣] (هذا) الجبل، كانت أشجار الأرز تنشر فروعها،
كان ظلّها ممتعاً ومشبَعاً بالشذى!
كانت الغابة مكتسية بأجمة كثيفة الالتفاف
10 [(من أشجار الـ ...] والأرز والبالاكّو[٤] ذي الأريج
والميْعَة[٥] والـ [...]
[تحيط بالأجمة] حفرة[٦] أولى عرضها بيرو واحد[٧]
ثم حفرة ثانية عرضها ثلثا بيرو فقط.
[.......] كتلة [.......]
[.......] مثل [.......]

---

(١) غابة الأرز كانت إذن على سفح جبل مقدس قريب من السماء مسكن الآلهة، وقد يكون الجبل أيضاً مقراً لشمش الملقب «بملك الجبل».
(٢) (Irnini) إنه لقب لعشتار ولإلّهات أخرى مثل نانا ودامكينا.
(٣) حرفياً: في مقدمة هذا الجبل.
(٤) (Ballakku) شجر حراجي. والمقطع يعدد هنا بعض الأشجار ذات الأريج ومنها البالاكو.
(٥) هو الإسطُرَك (Styrax) وهو نَبات يستخرج منه صمغ لتثبيت العطور.
(٦) (بوتيرو) تبنّى حفرة ويتساءل عما كانت تمثله بالنسبة لغابة الأرز (؟) أما (شافير) فقد اعتمد تعبير سياج تأدية لمعنى الكلمة الأكادية [... خـ] ـو ـ با ـ لا. أما (د. الأحمد) فلا يؤدي من السطر ١١ سوى كلمة بيرو = ساعة مضاعفة.
(٧) أي بعرض ١٠ كم.

نقص الأسطر (١٥ ـ ٣٠) وهي على الأرجح تصف الالتقاء بهمبابا والسيطرة على الموقف.

العمود الثاني

لقاء همبابا

1 لتوِّهما، تناول كل واحد سيفه
وبعد أن سحبا من غمديهما،
هذا المعدن الخاص[١] المطليّ (بالسم....)[٢]،
الخناجر والسيوف [.......]
5 الواحد بعد الآخر [.......]
تسلّلا (إلى مخبأ همبابا)
همبابا [.......]
لم يتمكن من عمل أي شيء [.......]
لم يتمكن من عمل أي شيء [.......]

فقدان سبعة أسطر، يليها ذكر الإلّه إنليل. ويرجح هنا أنّ همبابا حين دخل عليه چلچامش وأنكيدو بغتةً، لم يصرخ ولكنّه هدّد كما يظهر بانتقام إنليل ممن يسيء معاملته. بعد ذلك يتدخل أنكيدو

فتح أنكيدو فمه (وباشر حديثه متوجهاً إلى چلچامش)
«.... همبابا [خطر جداً ....]
20 و[سيقضي علينا] الواحد بعد الآخر [...]
هذا المكان زلِق [.........]
لا يمكن [لرجل واحد] السير عليه،

(١) معدن يغلب فيه الحديد واسمه مشتق من الكلمة الحورية خابلجي (Ḫabalgi).
(٢) إضافة تكهنية بالاعتماد على ما ورد في ملحمة إيرّا (انظر النص رقم ١٣٤).

إثنان أو ثلاثة يجابهان (بسهولة) [واحداً][١]
[لا أحد يستطيع بمفرده، قطع حبل] ذي ثلاث ضفائر
25 و(معاً) شبلا أســ [ـد] هما أقوى منه
إجعل فمك (يقول) الصدق [.......]
وأنت تفحّص[٢]...»
(بقية العمود مفقودة)
العمودان الثالث والرابع مفقودان أيضاً.

موت همبابا

في كسرةٍ من نينوى[٣] تحمل نهاية كل من العمودين الخامس والسادس، نشهد في الأبيات القليلة المتبقية القضاء على همبابا. وسوف نتابع فيما بعد من ضمن لوحة أوروك التفاصيل التي سبقت القضاء على حارس الغابة، والحوار الذي جرى بينه وبين البطلين.

العمود الخامس (نهاية)

....
نحو (صديقه) چلچامش [......] أنكيدو،
فتح فمه أنكيدو وتوجّه إلى چلچامش (قائلاً):
«أي صديقي، أريد أن أكلمك من أجل [......]
50 من أجل لعنة [إنليل الإلّهية؟...»]

(١) يكرر هنا أنكيدو الأمثال التي عددها له چلچامش لإقناعه كما ورد ذلك في بداية العمود السادس من اللوحة الرابعة.
(٢) حرفياً: تحسّسْ بذكاء، عن الأكادية (خاساسو).
(٣) هي الكسرة (K 3252).

العمود السادس (نهاية)

[.........]

[...] سيف بوزن عشرين بيلتو[١]

[...] مرة ثانية وحتى ثلاث مرات.

45 الإشعاعات[٢] (سقطت على الأرض) وانتشرت

[.....] كلاهما، أعدم أنكيدو (همبابا)،

قطعا رأس همبابا.

التصنيف وسطر التذكير للمتابعة:

غسل چلچامش شَعْرَه المتلبّد ونظّف عُصابة جبينه - اللوحة الخامسة.

محتوى لوحة أوروك

نعود الآن لتقديم ما وصلنا من لوحة أوروك كما أشرنا إلى ذلك لدى تقديم اللوحة الخامسة، وهي تبدأ بتوجّه همبابا إلى كل من چلچامش وأنكيدو في محاولةٍ منه لإقناعهما العدول عن قرارهما ويكاد ينجح حين يدخل الشك إلى قلب چلچامش ونترك للنص التحدّث عن نفسه.

العمود الأول

همبابا يتوجّه إلى چلچامش

1 فتح همبابا فمه وباشر حديثه متوجهاً إلى چلچامش (سائلاً):

«هل هم البلهاء أم اللامسؤولون،

(١) وحدة وزن تعادل حوالى ٥٠٠ غرام (biltu).

(٢) تبنت الأكادية هنا عن السومرية تعبير ميلامّو (Melammu) وهو التألق الخارق للطبيعة الذي ينسب للآلهة ويصدر عنه إشعاع رهيب يحمي صاحبه، وتناثر تألق همبابا على الأرض يفقده المقاومة والرهبة. ومن المفيد الإشارة إلى أن اسم همبابا يكتب بالأكادية مسبوقاً برمز الألوهية.

نصحوك يا چلچامش لتُقْدِمَ على مجابهتي؟[١]

ثم يتوجّه نحو أنكيدو

وأنت يا أنكيدو، يا وليد السمكة[٢] الذي لم يعرف قط أباه
وليس أكثر من السلحفاة، لم يرضع قطّ والدته!
5 كنت أراقبك عندما كنتَ يافعاً،
إلا أنني تحاشيت معاشرتك[٣]
[والآن، إذا ما] أقدمتُ على قتلك (؟)،
سوف تنفرج روحي (؟)![٤]
[لأنه، هو أنت الذي] قاد چلچامش حتّى هنا!
[. . . . .] عدوّ، إنه غريب حاقد (؟)[٥]
كان عليّ يا چلچامش [أن أمزّق] رقبته[٦].
10 وأن أرميه فريسةً للطيور الصرصارة[٧] وللنسور والعقبان!

چلچامش يظهر تخوفه

عند ذلك، فتح چلچامش فمه وباشر كلامه
متوجهاً إلى أنكيدو:
«يا صديقي، همبابا امتقع وجهه!

---

(١) تبنّى هنا (شافير) قراءة مختلفة إذ كتب: فليتفكّرا (معاً) هذا الرجل الأبله چلچامش وهذا الرجل الفظّ أنكيدو! لماذا أتيتما إلى هنا؟».
(٢) التعبير الأكادي هو (مار ـ نونا) وهنا يُعَيِّر همبابا أنكيدو بأنّه ابن لا أحد على اعتبار أن السمكة ترمي بيوضها خلفها ولا تهتم بها بعد ذلك، والسلحفاة لا ترضع صغارها.
(٣) (شافير): الاقتراب منك.
(٤) (شافير): لكي أملأ جوفي.
(٥) قراءة مختلفة (لشافير): وأنت على استعداد للمهاجمة كعدوّ حاقد.
(٦) (شافير) يعتبر التهديد موجهاً إلى چلچامش (؟).
(٧) حرفياً في النص: الطيور (Ṣarṣaru) صرصارو.

وقامته (؟) [........][1]

قلبي [........ بـ] ـشكل مفاجىء!»[2]

أنكيدو يشجع چلچامش

15 لكنّ أنكيدو باشر حديثه متوجهاً إلى چلچامش:

ما لك يا صديقي تتكلم وكأنّك متسوّل[3]

وكأن على فمك كمامة[4] أو كأنك تختبىء!

الآن (لم يعد أمامنا) غير (مخرج) واحد[5]:

فالنحاس، بلغ الذوبان وأخذ طريقه نحو القالب

20 وهو على التوالي، قضى ساعة مضاعفة لذوبانه[6]

وزمناً مماثلاً لتبريده (؟)[7]

إذا ما أردْتَ إرسال طوفان كاسح

وتوجيه ضربات شديدة الأثر،

فلا تترك هذا المكان، ولا تدر له ظهرك

[.....]، وعليك مضاعفة قوة [صدمـ] ـك!

التتمة وتقدر بحوالى ثلاثين سطراً مفقودة، يُعتقد خلالها، أن چلچامش يعود من جديد لشجاعته المعهودة، وحين يتضح النص نجده مشتبكاً مع همبابا في معركة أولى على ما يظهر.

---

(١) (شافير) يكتب في قراءةٍ غير أكيدة: «ومع ذلك، سوف نتسلق بشجاعة جَبلَهُ للتغلب عليه (؟).

(٢) (شافير): قلبي مضطرب، ولن يهدأ بسرعة.

(٣) للتعبير عن حني الرأس وعدم التكلم بشجاعة.

(٤) حرفياً: وكأن على فمك غطاء.

(٥) هنا مثل مستعار من فن التعدين بمعنى أنه لا يمكن الآن الرجوع إلى الوراء.

(٦) (شافير) قدّم عن هذا المقطع قراءة مختلفة استبعدناها بعد تبني قراءة (بوتيرو).

(٧) الزمن اللازم للذوبان والتبريد يعبر عنه بالبيرو (bêru) وهي وحدة المسافة المقطوعة في زمنٍ معين وهنا في ساعة مضاعفة لمسافة (١٠) كم.

العمود الثاني

چلچامش يشتبك مع همبابا

[..........]

3 (چلچامش)، في مجابهته [ ] (لهمبابا)
وجّه إليه ضربة على رأسه.
خَبَطَا الأرض بعقبيهما

5 فجعلت ضرباتهما المتقطّعة، حرمون ولبنان
ينـ [ـفصـ] ـلان[1]
عند ذلك، كمدت الغيوم الصافية وأظلمت
وكأن السماء فوقهما كانت تمطر موتاً[2]

تدخّل الإلّه شمش لمساعد چلچامش

ثم عمد شمش، ضد همبابا، بإطلاق العواصف الشديدة
ريح الشمال وريح الجنوب، ريح الشرق وريح الغرب
الريح النافخة

10 والريح المتقطّعة وريح الدوّامات، الريح السيئة وريح الغبار،
ريح السقم وريح التجلّد والزوبعة والإعصار القُمعي،
الرياح الثلاثة عشرة، جميعها سلّطها عليه، فدكن وجهه
لم يعد يستطيع التقدم أوالتراجع.
وبقي على مَنَال أسلحة چلچامش.

15 همبابا الذي كان يتمسّك بحياته، توجّه إلى چلچامش
(راجياً):
«(عرفتك) صغيراً يا چلچامش، ولدتك أمك نينسون

---

(١) يعتبر الشاعر هنا أن الفاصل بين سلسلتي جبال لبنان أي سهل البقاع الذي يشرف عليه جبل حرمون هو الانهيار الذي حصل بنتيجة صراع چلچامش وهمبابا.
(٢) استعمل هذا الوصف سابقاً في الحلم الثالث السطر ١٨ من اللوحة الرابعة.

وابن [لوجال باندا، هو أنت][1]
وإذا ما [ارتـ] ـفع شأنك، فذلك بفضل شمش،
ملك هذا الجبل.
أي چلچامش، يا نسل حضن أوروك، يا صاحب السيادة!
20 [...] يا چلچامش، أنت لن تستعمل كتلة سلاحك
21 [.........] من أجل [.........]
22 [أبقِ على حياتي، يا چلچامش][2]
في [....] سأبقى رهن أوامرك
[وسوف أسلّمك (؟)] عدد الأشجار التي تطلبه.
25 وأحتفظُ لك أيضاً بشجيرات ريحان [...]
وبجميع أنواع الخشب لتجميل [أبنية مدينتك][3].

تدخّل أنكيدو للحيلولة دون استلانة چلچامش

لكن أنكيدو فتح فمه، وباشر حديثه متوجهاً إلى چلچامش:
«لا تستمع [يا صديقي] إلى إد [عاءات] همبابا،
ولا تذعن لرجائه [........]

نقص حتى نهاية العمود يقدر بحوالى (٢٥ ـ ٣٠) سطراً، لا يمكن التكهن بمحتواه. ولدى استئناف النص نجد همبابا محاولاً استلانة أنكيدو.

---

(١) اعتُمد هذا السطر عن ترجمة (شافير).
(٢) (بوتيرو) أهمل الأسطر (٢٠ ـ ٢٢) وقد أخذناها عن قراءة واقتراح (لشافّير).
(٣) السطر ٢٦، قدّمه (شافير) وفق قراءة مختلفة هي كما يلي:
الأشجار الشائكة (؟) جميع ما هو متوافر».

العمود الثالث

نهاية رجاء همبابا لأنكيدو

1 [. . . . .] أنت على علمٍ بمشروع چلچامش

وما ينويه بصدد غابتي.

وأنت تعرف كل ما يمكن قوله له.

كان بإمكاني اختطافك، كان بإمكاني ذبحك

في أعماق دغل غابتي،

ورميك فريسة للطيور الصرصارة وللنسور والعقبان!

5 والآن يا أنكيدو، أنت (قادر) على تحريري

إطلب إذن من چلچامش أن يبقي على حياتي».

إصرار أنكيدو على دفع چلچامش للأسوأ

لكن أنكيدو فتح فمه وباشر كلامه متوجِّهاً إلى چلچا [مش]:

يا صديقي، حارس غابة [الأرز]، أجْهِزْ عليه،

إذبحْه، إسحَقْه وليـ [ـ . . .]!

10 همبابا، حارس غابة الأرز، أَجْهِزْ عليه

إذْبحهُ، إسْحقهُ وليـ [ـ . . .]!

قبل أن يسمع إنليل ـ كبير ـ الآلهة [نداءه (؟)][١]

وينصبّ علينا غضب الآلهة [العظام]:

إنليل في نفّر [و (؟)] شمش[٢] في [سيپار (؟)][٣]

---

(١) على اعتبار أن إنليل هو الذي وضع همبابا في مركزه لحراسة الغابة.

(٢) وشمش أيضاً لم يكن راغباً بأن يتم القضاء على همبابا، وقد ساعد چلچامش على تجميد حركته تسهيلاً له لعقد اتفاق معه لقطع أشجار الأرز؛ ولكن أنكيدو شجع چلچامش وبالتالي اعتبر مسؤولاً كما يتضح ذلك من سياق الملحمة.

(٣) (Sippar) على بعد حوالى ٥٠ كم تقريباً إلى الجنوب من بغداد.

(أَجْهِزْ عليه)، إجعل لنفسك [إسماً] أبد [ياً]

15 لأنك، أنت الذي [تغلبت (؟)] على همبابا (؟)

عندما سمع همبابا (هذه الكلمات. . . .)

بقية العمود الثالث مفقودة وتقدّر بحوالى ٣٠ سطراً، كما أن عدد أسطرٍ مماثل مفقود من العمود الرابع، تتوزع بين بداية العمود ونهايته. وهنا أيضاً يعود همبابا لترجّي أنكيدو مذكِّراً إياه بحياته السابقة حين كان يعيش في السهوب مع الحيوانات وإذ ذاك لم يكن بينهما أيّ عداء. كما يذكّره بخدماته القيّمة التي أدّاها للرعاة. ومن المرجح أنّه حدَّثه عن «البوابة»، أي بوابة معبد إنليل في نفّر على اعتبار أن البطلين كانا سيُخَصّصان أفضل القطع الخشبية لصنعها. ويبدأ ما وصلنا من العمود الرابع بنهاية توسل همبابا تليها إجابة أنكيدو.

العمود الرابع

نهاية توسل همبابا لأنكيدو

[. . . . .]

8 «أظهر (يا أنكيدو) ما في قلبك من طيبة

9 كنت جالساً مثل راعٍ[١] [. . . . .]

10 وكأن [. . . . .] أنتَ [. . . . .][٢]

11 والآن يا أنكيدو [أنت] قادر على [تحريري]

أطلب إذن من چلچامش أن يبقي على حياتي.

أنكيدو يصرّ على موقفه

[لكن] أنكيدو فتح فمه، وبدأ حديثه متوجّهاً [إلى چلچامش]:

---

(١) توقف أنكيدو عند الرعاة، ورد في اللوحة الثانية العمود الأول.

(٢) الأسطر (٨ ـ ١٠) أهملت من قبل (بوتيرو) وأخذت عن (شافير).

«يا صديقي، حارس غابة [الأرز]، أجهز عليه
إذبَحْهُ، إسْحَقْهُ وليـ [. . . . . . .]!
15 قبل أن يسمع إنليل ـ كبير ـ الآلهة [نداءه]
وينصبّ علينا غضب الآلهة [العظام]:
إنليل في نفّر [و (؟)] شمش في [سيبار (؟)]
[إجعل لنفسك [إسماً] أبد [يّاً]
لأنّكَ أنت الذي [تغلبت (؟)] على همبابا (؟)

ردّ فعل همبابا

لدى سماع همبابا [هذه الكلمات (؟)]

هنا يتوقف العمود الرابع. أما العمود الخامس فقد ضاع من بدايته حوالى ٣٠ سطراً وما بقي منه لا يخلو من التشويه. وحين يتضح النص ولدى يأس همبابا من إنقاذِ نفسه لم يبق أمامه سوى لعنة البطلين.

العمود الخامس
لعنة همبابا

1 «[. . . .] ألاّ [. . . . .]،
وألاّ يشيخان لا الأ [ول] ولا [الآ] خر
وليس أكثر من صديقه چلچامش.
ألاّ يجد أنكيدو شاطىء خلاصٍ قطّ[١]»
عند ذلك فتح أنكيدو فمه وباشر حديثه
متوجهاً إلى چلچامش:
5 «يا صديقي، على الرغم من تكراري لندائي،
فأنت لم تستمع إليّ

---

(١) (شافير): لا يجد أنكيدو صديقاً قط.

أريد التخلص (؟) من [همبابا][١]

القضاء على همبابا

حادثة القضاء على همبابا، يمكن تفهّمها عبر بقايا حوالى عشرة أسطر، لم يبق منها سوى نهاياتها. ولما كان كل من المترجمين (بوتيرو) و(شافير)، قدّما بالنسبة لهذا المشهد قراءتين مختلفتين وكانت تكهناتهما مختلفة تماماً، فإننا نقدم فيما يلي قراءتيهما على التوالي مع الإشارة إلى أن مترجمنا الثالث الدكتور (الأحمد)، لم يقدم بالنسبة لهذا المقطع قراءة كافية تسوّغ عرضها.

إقتراح (بوتيرو)

8 [. . . . . . . مع] صديقه

9 [. . . . .] بقربه

10 [ ] [البطلان (؟)]

امتشقا (واستعملا) أسلحتهما خمس (مرات)

11 [بينما كان همبابا] يَثِبُ [للتهرب منهما]

12 [وبضربات (؟)] حِراب (؟) [قضيا عليه (؟)]

13 [وفجأة،] غطّـ [ـت] الجَبَل [ظلمات (؟) كثيفة.

14 [نعم (؟)]، [ظلمات (؟)] كثيفة،

غطّت الجبل[٢].

اقتراح شافير

8 (استمع چلچامش) لكلمات صديقه

---

(١) (شافير): إلى أن. . . .

(٢) وصف القضاء على همبابا مقتضب جداً بالنسبة لجميع ما سبقه من حوار ورجاء بين همبابا والبطلين، ويمكن إرجاع ذلك إلى أن الشاعر أراد إظهار «تردد چلچامش قبل القيام بعمل يخالف إرادة الآلهة وبخاصة إنليل، وإلحاح أنكيدو للقضاء على همبابا الذي ذكَره بأصله، يوحي بحقد أنكيدو وغروره، وقد دفع ثمن ذلك فيما بعد.

9 امتشق (سيفه) بيده، [.....]

10 ضربه چلچامش على رقبته

11 الأمعاء المتجمّعة، استخرجاها مع الرئتين

12 [.....] انتزع الأحشاء

13 [.........] جعل الرأس يتدحرج في سطلٍ معدني

14 انهمر (عند ذلك) على الجبل مطر غزير،

15 مطر غزير، انهمر على لجبل.

(نقص ٥ ـ ٦ أسطر).

(جثة همبابا) ملأت البلاد برائحة كريهة[١]

چلچامش وأنكيدو يقطعان أشجار الأرز

فقدان ما يقارب ٣٠ سطراً من بداية العمود السادس، إلا أن بعض نهايات الأسطر تجعلنا نتكهن، أنه بعد أن تم القضاء على همبابا، أصبحت الفرصة سانحة لقطع أشجار الأرز، وفي ذلك أحد أهداف المهمة.

العمود السادس

1 [...............]

2 [..... أشجار الأرز (؟)]، التي اختارا قطعها

3 [.........] بعلامة جُعلت على قشرتها

4 كان چلچامش يقطع الأشجار، التي يضع

عليها أنكيدو العَلامات، هنا وهناك.

---

(١) هذا السطر تكهني ومعناه غير أكيد (شافّير). تجدر الإشارة هنا إلى أن القراءتين أعلاه هما أفضل مثل عن الصعوبات التي يصطدم بها المترجم أمام نص مشوّه أراد محاولة استكماله.

من أجل إرضاء إنليل
وتحاشي غضبه

5 عند ذلك، فتح أنكيدو فمه، وباشر حديثه
متوجّهاً إلى چلچامش:
«أي صديقي، قمنا بقطع أرزةٍ باسقة بشكل خاص،
قمّتها كانت تشقّ السماء!
اطلبْ أن يُصنع منها[1] ردفة بوّابة، ارتفاعها
ستون ذراعاً[2] وعرضها عشرون ذراعاً
وبسمك قدره ذراع واحد، مداراتها الأوسط
والعلوي والسفلي كل واحد عشرة أذرع.
10 سوف ننقلها إلى نفّر، محمولةً على الفرات[3]، وسوف
تبتهجُ بها نفّر».

النقل النهري والعودة

قاما بتغطية (عوّامة) بالأغصان[4]
ثبّتا ربط العوامة [(ووضعا عليها الجذوع)]
صعد إليها أنكـ [ـيدو . . . .]
بينما كان چلچامش يحمل رأس همبابا[5]

نهاية اللوحة/التصنيف

15 غسل (چلچامش) لبدة شعره

---

(١) (شاڤير): عملتُ منها.
(٢) الذراع قياسه حوالى ٦٠ سنتمتراً.
(٣) لم يشأ الشاعر الدخول في تفاصيل النقل من الغابة حتى بلوغ الفرات.
(٤) عن (شاڤير).
(٥) هل الغاية هي عرضه على شعب أوروك للمفاخرة ولإثبات فعله؟

وهو سطر التذكير ببداية اللوحة السادسة.

وهكذا تنتهي اللوحة الخامسة ومغامرة البطلين كما وصلتنا من لوحة أوروك المشار إليها أعلاه.

ومن بقايا نهاية العمود السادس من نسخة نينوى، نجد بعض الكلمات الموازية لمحتوى الأسطر الأخيرة من لوحة أوروك، ويعني ذلك أن النسختين تلتقيان هنا على أقل تعديل.

اللوحة السادسة

الانتصار الجديد والغرور: الثور السماوي

هذه اللوحة العائدة لنسخة نينوى كاملة وتسمح بترقيم لها متواصل وفق ١٩٣ سطراً. ولا بدّ من الملاحظة هنا، أن الشاعر يتابع بحسب عادته الإيجاز عندما يمكن تصور التفاصيل التي لا ضرورة لها. ولذلك فإنه لم يتوقف طويلاً عند عودة البطلين إلى أوروك ودخولهما المظفّر إلى المدينة واستقبالهما من قبل الجماهير الهاتفة، ولكنه تطرّق مباشرة إلى ما يعدّ إلى تقديم المشهد الرئيسي في اللوحة السادسة وهو افتتان عشتار بچلچامش ومحاولتها إغراءه.

العمود الأول

چلچامش العائد يرتدي حلّة العيد

1 غسل چلچامش لبدة شعره، ووضع على جبينه عِصابة جديدة
رمى بخصل شعره إلى ظهره،
تخلّص من ثيابه المتّسخة، وارتدى ألبسةً نظيفة
لفّ جسمه بعباءة واسعة وثبتها (على خصره)
بواسطة حزام.

عشتار تقع في غرام چلچامش

5 وعندما وضع التاج(١) على رأسه،
شُدهت عشتار الأميرة بجماله(٢)
«هيّا، چلچامش (قالت له) كن زوجي(٣)

---

(١) (شافير): وضع العمامة على رأسه.

(٢) حرفياً: «رفعت عشتار عينيها إلى جماله» وهو تعبير جميل عن انجذاب عشتار إلى سموّ جمال چلچامش لا بدّ من الإشارة إليه.

(٣) كلمة زوج وزواج على لسان عشتار لا تتعدّى الحيلة من قبلها لإغراء چلچامش وهي التي لا يملكها أي رجل ولكنها هي التي تملك الرجال لفترة وترميهم بعد ذلك، كما يتضح فيما بعد.

امنحني ثمرتك!
كن قريني، وأنا أصبح زوجتك.

هدايا الإغراء تعدّدها عشتار

10 سوف أعدّ لك عربةً من اللازورد والذهب
ذات دواليب من الذهب الخالص،
ومماسك أعنّتها من العنبر
تجرُّها خيولٌ أخدريّة عالية ومتوثبة
لكي تدخل بها إلى قصرنا، يغمرك أريج خشب الأرز!
وعندما تلج القصر
15 فإن كبار الكهنة <الموقـ> ـرين[1]
سوف يقبّلون رجليك[2]
وأمامك، سوف يسجد الملوك والأمراء والأسياد!
وسوف يقدمون لك [جز] يةً، كل المواد
(الثمينة) من الجبل[3] من عندنا.
ولن تلد عَنْزاتك إلاّ ثلاثيات الجديان
(ولن تلد) نعجاتك سوى التوائم.
بالنسبة (للأثقال) المحمولة، فإنّ حُمُرَك
سوف تفوق (بقدرتها) البغال التامة النمو
20 خيول عرباتك سوف تتفوّق في المسابقات
ولن يكون هنا مثيل لثيرانك المقرونة.

---

(١) (شافير): كبار كهنة أراتّا (Aratta) وهي مدينة عيلامية تتعبّد لعشتار أو لإنانا السومرية، وسوف يرد عنها فيما بعد نصّان هما (١٢٩) و(١٣٠).
(٢) في نص إيمار (مسكنة) بالبابلية القديمة: يقبلون يديك، (د. الأحمد): ستقبّل قدميك العتبة والدكّة.
(٣) الجبل: يعني المنطقتين الجبليتين الشرقية والشمالية.

إجابة چلچامش وإهانة لعشتار

[لكن چلچامش] فتح فمه وباشر حديثه
[متوجهاً] إلى عشتار الأميرة:
«ما عليّ أن أدفعه لك إذا ما تزوّجتك (؟)[١]
25 [هل تحتاجين] من أجل جسدك عطوراً أم مجموعة ألبسة؟
[هل يجب (أيضاً)] تزويدك بالمؤن والمأكولات
[أعليّ تغذيتك] بأطعمة إلّهية؟
وأن أشفي غليلك [بمشر] وبات ملكية؟
أعليّ أن [. . . . . . .]؟
30 أعليّ أن أسكب لك [. . . . . . .]؟
[وهل عليّ لفّـ] ـك برداءٍ [. . . .]؟
كلا أنا لا أريد أن تكوني زوجة لي.

الحكم على تصرفات عشتار

[(لأنكِ) لست سوى أتون ينطـ] ـفيء مع (حلول) البرد.
أنتِ باب مخَلّع، لا يحمي من تيارات الهواء ومن الرياح
35 أنتِ قصر ينـ [ـهار] على أشجع [المدافعين عنه (؟)][٢]؛
أنتِ فيل [يطيح أرضاً] بهودجه[٣]؛
أنتِ كتلة زفت، يتّسخ من يلمسها؛
أنتِ قربة تُفرغ محتواها على حاملها؛
أنتِ كتلة كلسية (هشّة)، تسبّب
انهيار جدارٍ حجري؛

---

(١) يبدأ هنا جواب چلچامش التهكمي، وهو يعلم كما أوضحنا في حاشية السطر السابع أعلاه أن عشتار تحاول الخداع.
(٢) (شافير): أنت قصر (حاكم) يفقؤ عينيّ (عدوّه) المحارب (؟).
(٣) يستعير الشاعر صورة نادرة الاستعمال في بلاد الرافدين (؟).

40 أنت كبش ـ حصارٍ يدكُّ أسوارَ بلادٍ غير معادية[١]
أنتَ حِذَاء يخرّ [ش] رجل لابسه!

تعبير عشتار بمصير عشّاقها

أيّ عاشقٍ من عشّاقك بقيتِ [على حبّه] (يا عشتار)؟
أي واحدٍ من مقربيكِ، نجا [من شراكك]؟
تعالي لكي أقصّ عليكِ مصير عشّاقك [المحزن]!

العمود الثاني

45 (نقص سطر واحد غير مقروء)
من أجل تموز حبيب [صباكِ]
فقد عيّنتِ له أن يُرثى سنةً بعد سنة![٢]
لقد أحببتِ طير الشقرّاق المتعدّد الألوان،
ثمّ ضربته فجأةً، فكسرتِ جناحه!
50 وهذا هو يلتجىء إلى الغابة، ويئنُّ مردّداً:
«كفّي كفّي!»[٣]
والأسد، ذو القوّةِ التي لا تضاهى، أحبَبْتِهِ
(ثم فجأةً) لم تكفّي عن نصب الشِراك له،
شركاً بعد شرك!
والحصان! الحصان المشغوف بالمعارك، أحببتِهِ
(ثم فجأةً) خصّصت له السوطَ ذا الرؤوس
اللاذعة والسيور!
55 وحكمتِ عليه أن يعدوَ باستمرار

---

(١) (شافير): «أنت كبش ـ حصار لا يدكّ أسوار بلادٍ معادية».
(٢) على اعتبار أنها أرسلت تموز إلى العالم السفلي بديلاً عنها.
(٣) الكلمة الأكادية (كفّ) والأوغاريتية (كنف) بمعنى جناح حافظت عليهما اللغة العربية.

وألاّ يشرب الماء إلاّ بعد تعكيره![1]
ولذلك أحزنت من أجله أمّه سيليلي[2]،
والراعي، لقد أحببتِ رئيس الرعاة،
الذي كان يعدّ لك، باستمرار، أقراص الخبز مشوية تحت الرماد

60 وكان كل يوم يضحي لك بجديانه:
ثم ضربتِهِ (فجأة) وحَوّلتِه إلى ذئب،
حتى أصبح الرعاة الذين هم في خدمته، يطاردونه،
وكلابه تمزِّق مؤخرته!
ـ أنتِ أحببت إيشولاّنو[3] بستاني أبيكِ

65 الذي كان يقدّم لك باستمرار، قفف التمور
ويعدّ لك يومياً وجبةً سخيّة.
أنت سلّطتِ عليه نظركِ
وعمدت إلى إغرائِهِ:
لنتمتّع ولنأكل[4] ثمرةَ رجولتك يا إيشولاّنو
مدّ يدك إذن وداعب[5] خَردتي[6]!

70 ولكن إيشولاّنو قال لكِ:

---

(١) على اعتبار أن الحصان يضع قائمتيه في الماء قبل أن يشرب ولذا فهو يعكر الماء.

(٢) (Silili) تذكر الأم سيليلي التي تحزن لمصير ابنها، بالفرس ـ أم الفحل التي تسعى في النص الأوغاريتي إلى حماية أبنائها من لدغ الأفاعي وسوف يرد هذا النصّ في الكتاب الخامس.

(٣) (Ishullanu) أم شولاّنو (Shûllanu) ومعناه مكسو بالتآليل، وهو المرادف الذي يقدّمه جدول التقابل بين السومرية والأكادية لاسم شوكاليتودا (Shukalituda)، وهو الاسم السومري لبستاني أنكي كما ورد في النص (رقم ١٠) من الكتاب الأول.

(٤) بالأكادية نوكول = نأكل من فعل أكالو.

(٥) لوفوت: الأمر من لافاتو بمعنى لمس أو دَاعَبَ. واللّفت: شق البقرة وحياء اللبوة.

(٦) بالأكادية خارداتني من خرداتو = خصر (د. سعيد الأحمد) أو حياء (أرنولد) والخريدة بالعربية: البكر لم تمس أو العذراء، واللؤلؤة لم تثقب.

ما الذي تطلبينه منّي؟
أمّي أعدّت لي طبخاً وأنا أكلت (أكّالو) قبل الآن،
وأنتِ لا تقدمين لي غذاءً (أكالو) سوى خبز (أكلو)
اللعنة والعار!
ولن يبقى لي لاتّقاء البرد غير الحَلْفاء (ألفيتو) لأتستّر بها!»
75 وأنتِ، إذْ سمعتِه يتكلّم (هكذا)،
أنتِ، ضربتِهِ وحوّلْته إلى ضفدع (؟)[١]
وحكمتِ عليه أن يبقى في (مكان) عمـ [ـله]،
حيث [. . .] لا يصعد ولا يهبط.
ـ وأنا كذلك، إذا ما أحببتني، (عندئذٍ)
ستفعلين بي كما فعلتِ بأولئك!»

غضب عشتار وتهديدها بالانتقام

80 لدى [سماعها] كل هذا،
فإن عشتار، غاضبةً، صعدت إلى السماء
وأمام [أبيها] آنو[٢] أجهشت بالبكاء،
سالت [دموعها (غزيرة)] أمام آنتو[٣] أمّها:
«أي أبي (قالت) جلجامش أثقلني بالاتهامات!

العمود الثالث

85 سرد على مسامعي مجموعة من المخازي
(كرر) المخازي واستنزل اللعنات!»

---

(١) تمّ تفضيل ضفدع عوضاً عن جزذ (د. سعيد الأحمد) بسبب جلده المتألّل وفق ما ورد في (١).

(٢) (Anu) إلّه السماء وهو ليس والد عشتار، وتلقبه بأبيها احتراماً له، ونحن نعلم أن عشتار هي ابنة الإلّه القمر سين (Sin).

(٣) (Antu) قرينة إلّه السماء واحتراماً تتوجّه إليها عشتار كأمّها.

لكن آنو فتح فمه وباشر كلامه
متوجهاً إلى عشتار الأميرة:
أولستِ أنتِ التي باشرتِ بمعاكسة
[چلچامش] الملك؟
90 هذا هو السبب الذي من أجله سَرَدَ
على مسامعك المخازي،
(كرَّرَ) المخازي واستنزل اللعـ [ـنات]!

عشتار تطالب آنو بخلق الثور السماوي

فتحت عند ذلك عشتار فمها، وباشرت حديثها
متوجّهة [إلى أبيها آنو]:
«إخلق لي يا أبي الثور السماوي[١]
[لكي أقضي على چلچامش][٢]
95 ولكي أجعل النار [تلتـ] ـهم [مقرّه]![٣]

عشتار تهدّد

وإذا لم توافقني (على خلق) هذا الثور
فسوف أضرب [. . . . .] مقرّه![٤]
ثم أوجّه خطاي نحو مناطق العالم السفلي
[وأجـ] ـعَل الأمواتَ يصعدون

---

(١) يلتقي طلب عشتار هذا مع الأسطورة السومرية لچلچامش والثور السماوي، وعندما تطلب عشتار من آنو «خلق الثور» يعني ذلك أنها تريد منه تحويل المجموعة الكوكبية «الثور» إلى ثورٍ حقيقي تقوده إلى الأرض للانتقام.
(٢) (د. الأحمد): حتى يقف في وجه چلچامش.
(٣) (د. الأحمد): ويملأ جسم چلچامش بالجروح (؟).
(٤) (شاقير): سوف أحطّم متراس مقره، (د. الأحمد) سوف أضرب الباب وأحطم المزلاج.

منها لالتهام الأحياء!

100 وأضا [عف] عدد الأموات فأجعلهم

يفوقون عدد الأحياء(١)

آنو يطلب من عشتار الحيلولة دون المجاعة، التي سوف يسبّبها اجتياح ثور السماء

[فتح آنو فمه] وباشر حد [يثه]

[متوجهاً إلى] عشتـ [ـار الأميرة]:

«إذا ما حصلتِ من [قبلي] على [الثور]

فسيكون ذلك من أجل بلاد أوروك

سبع سنوات مجاعة(٢)

105 عليكِ (إذن قبل كل شيء) تكديـ [ـس الحبوب (؟)](٣)

[وجعل] العشب يتوافر!»(٣)

[فتحت عشتار فمها] وباشرت كلامها

[متوجّهة] إلى أبيها [آنو]:

---

(١) ورد هذا التهديد أيضاً في النص الأكادي لنزول عشتار إلى العالم السفلي (رقم ١١٤).

(٢) حرفياً: سبع سنوات قشّ. كما أن نزول الثور السماوي هو صورة شعرية للحرّ الشديد والجفاف الذي يسببه، مما يؤدي إلى سبع سنوات عجاف. ويذكّر ذلك بالسنين العجاف في مصر الفرعونية في قصة يوسف الوزير الذي كدّس خلال السنين السمان.

(٣) القراءات المختلفة بالنسبة للسطرين (١٠٥) و(١٠٦) هي كما يلي:
(شافير): (أنت من أجل البشر) عليكِ تكديس العـ [ـلف]
و(من أجل الدواب) عليكِ جعل العشب ينمو.
(د. الأحمد): فهل جمعتِ أنتِ حبوباً للناس
وحشيشاً نامياً للدواب؟

هل تتلفّظ عشتار بوعودٍ
كاذبة أمام آنو؟

«أبي، [أنا] أطَعْتُكَ (؟)

110 لأنني قمت (منذ الآن) بـ [. . . . .]

[تحسُّباً (؟)] لسنوات المجاعة [السبع]

[فكدّ] سْتُ [الحبوب (؟)] وجعلت العشب يتوافر[1]

الأسطر (١١٤ ـ ١١٦) مفقودة وهي تنهي حديث عشتار طالبةً:

«أبي أعطني مقود الثور السماوي!»[2]

العمود الرابع

117 لدى سماع آنو [تصريحات عشتار] هذه

[سلّمها] مقود الثور

[أمسكت عشتار بالمقود (؟)]

وغادرت آخذة [معها الثور (؟)]

الثور يسبب الخراب في أوروك

120 [ولدى وصولهما] إلى قلب الساحة

---

(١) قد تكون تصريحات عشتار كاذبة لأنها أرادت الحصول على الثور بأسرع ما يمكن.

(٢) يقدم (شافير) هنا بعض الأبيات المكمِّلة عن كسرة اللوحة (K 14945) وهي على الرغم من التشويه تضيف لنا بعض التفاصيل كما يلي:

لكنني من چلچامش، سوف أنتقم.

[. . . . .]

[. . . . .] إلى چلچامش

[. . . . .]

(آنو خلق الثور) دفعة واحدة،

(جميع أجزاء) الثور خلقها،

٢ + [. . .] كان وزن أمعائه؛

[. . . . .] قدرة الثور.

[المركزية] في أوروك

الأسطر (١٢٠ ـ ١٢٢) مشوهة، وعلى ما يظهر فإن عشتار كانت تقود الثور، قرب مجرى الفرات (الذي كان آنذاك يجتاز المدينة).

122 نزل (الثور إلى الفرات ليرتوي) وبسبع جرعات، أنقص (مياهه)[١]

123 عند (أول) نثير[٢] صدر عن الثور، انفتحت حفرة،
سقط فيها مائتان، ثلاثمائة من سكان أوروك.

125 نعم! مائتان، ثلاثمائة من سكان أوروك
سقطوا فيها.
وبسبب نثيره الثاني [انفتحت حفرة أخرى]
سقط فيها مائتان، ثلاثمائة من سكان أوروك
نعم! مائتان، ثلاثمائة من سكان أوروك سقطوا فيها[٣]

أنكيدو يمسك بالثور من قرنيه

وبسبب نثيره الثالث [انفتحت حفرة] بجوار أنكيدو

130 فسقط فيها حتى الخصر!
لكنّه خرج منها بقفزة، وأمسك بالثور من قرنيه،
وبمقاومته له، كان رُؤال الثور يخرج من الأمام
ومن الخلف[٤] كان يخرج الخِثْي!
فتح أنكيدو فمه و[باشر كلامه] متوجهاً إلى چلچامش:

---

(١) هذا السطر مأخوذ عن (شافير).
(٢) نفخة الثور.
(٣) هنا يكتب الناسخ التعبير السومري (كي ـ مين) ومعناه (كما سبق) وذلك لتحاشي تكرار السطرين (١٢٧ و١٢٨) المماثلين (١٢٤ و١٢٥).
(٤) حرفياً: من سمك ذيله.

القضاء على الثور

الأسطر (١٣٥ ـ ١٥١) مأخوذة من (شاڤير) لأنها أكمل من ترجمة (بوتيرو) على الرغم من التكهنات من قبل الطرفين.

135 «يا صديقي، نحن ادّعينا مفاخِرَيْن (بأن نقضي) على الثور السماوي[١]

ما عسانا أن نجيب (أمام قدماء أوروك)؟»[١]

«أي صديقي (قال چلچامش) لقد راقبتُ [الحيوانات في السهوب]

قوتانا [تكفيان للقضاء على الثور]

أريد استئصال قلبه [لأقدّمه قرباناً لشمش]

140 «أنا (قال أنكيدو) [سوف أنهكه]

سأمسك به [من سمك ذيله]

وأنتزع شعرَ ذيله بكلتا يديّ

(وأنت سوف تقف) مواجهةً له

وبين الغَارِب والقرنيْن [.....]

145 سوف تطعنه بخنجرك [.....]»

أَمْسكَ به (أنكيدو) من سمك ذيله

[وانتزع بكلتا يديه شعر ذيله]

(سطر مفقود)

العمود الخامس

150 عند ذلك، واجه چلچامش الثور

---

(١) بقصد تقديم مثل عن القراءات المختلفة للنصوص المشوهة والتكهن من أجل استكمالها نقدم هنا ما كتبه (بوتيرو) بالنسبة للسطرين (١٣٥ و١٣٦).

135 «يا صديقي، لقد تمكنا منتصريْن [العودة من غابة الأرز (؟)]

136 ولكن ماذا علينا القيام به [أمام هذا الخطر الجديد (؟)] ؟».

بشجاعةٍ و[مهارة]،
طعنه بخنجره بين الغارب والقرنين.

عودة لترجمة (بوتيرو)

بعد أن قضيا على الثور
انتزعا قلبه
ووضعاه قرباناً أمام شمش
155 ثم ابتعدا (متراجعين) وسجدا أمام الإلّه
وجلسا كلاهما بعد ذلك، الواحد قرب الآخر.

انتحاب عشتار وغضبها

بينما صَعَدت عشتار على سور أوروك ـ ذات ـ الحظائر
لبست ثياب الحداد وأطلقت انتحاباً طويلاً (مُعلنةً):
«أهانني چلچامش بقضائه على الثور السماوي!»

تدخل أنكيدو

160 ولدى سماع أنكيدو شكوى عشتار هذه،
انتزع فخذ الثور، ورمى به في وجهها (مهدداً):
«لو أنني أمسكت بك أنت كذلك
لعملتُ معك الأمر نفسه!
ولعلّقت على ساعديكِ أحشاءَه!»

عشتار تبكي الثور

165 جمعت عشتار بعد ذلك
الغانيات، بنات الهوى(١)
لكي يطلقن نواحاً أمام فخذ الثور!

---

(١) أي الجهاز البشري العامل في معبد عشتار.

چلچامش يحتفظ بقرني الثور
ويأمر بترصيعهما وتزيينهما

ثمّ دَعَا چلچامش (بعد ذلك) الصنّاع بكاملهم
وكذلك شاغلي المعادن
170 الذين أُعجبوا بضخامة قرني الثور
(إذْ) كان حجمهما يحتاج (لترصيعه)
ستين بيلتو[١] من اللازورد
وتلبيسهما بالذهب (؟) يحتاج (٢) بيلتو.
وكلاهما كانا يتسعان لستين چوراً[٢]
من الزيت!

چلچامش يقدم القرنين
لإقامة طقوس لأبيه

قدّمهما چلچامش قرباناً لطقوس مسحِ
حاميه لوچال باندا[٣]
175 فأدخلهما لذلك إلى حجرة رئيس عائلته
وعلّقهما فيها.
غسل چلچامش وأنكيدو (بعد ذلك) يديهما في الفرات
وراحا معاً
يتجوّلان على عربةٍ في شوارع مدينتهما
تحت أنظار سكان أوروك المحتشدين

---

(١) (biltu) وحدة وزن تعادل ٥٠٠ غرام تقريباً.
(٢) (gur) الچور الأكادي يعادل حجم ٢٥٢ لتراً أو ١٥١ لتراً بحسب الفترات الزمنية.
(٣) (Lugalbanda) والد چلچامش وهو من بين الملوك السومريين الذين تمّ تأليههم، والزيت المقدّم هنا هو لمسح تمثاله بصفَتِهِ رئيساً للعائلة المالكة وحامياً لها.

چلچامش يمجّد نفسه
هو وأنكيدو

180 كان چلچامش يهتـ [ـف] للنساء
اللواتي يخدمن في قصـ [ـره]:

العمود السادس

«من الأجمل بين الأبطال؟
من الأمجد بين الرجال؟

الإجابة

الأجمل بين الأبطال [هو چلچا] مش
الأمجد بين الرجال [هو أنكيدو]

البطلان يفاخران بإهانة عشتار

185 «نحن اللذين في غَضَبنا، رَمينا
عشتار [بفخذ الثور]
ولم تجد أحداً في المدينة لتعز [يتها]
(فقدان سطر كامل)

الاحتفال في القصر وحلم أنكيدو

أقام چلچامش في قصره
احتفالات مليئة بالبهجة
190 ولكن بينما كان الأبطال[١] يرقدون
وأنكيدو الذي كان نائماً (هو أيضاً) رأى حلماً.
رواه عند استيقاظه، لصديقه بهذه التعابير:
(نهاية اللوحة)

---

(١) الأبطال هم تابعو چلچامش من الشبان الشجعان الذين يرافقونه عادة في مهامه البطولية ويشاركونه أفراحه.

اللوحة السابعة

مرض أنكيدو وموته

لم يبق من هذه اللوحة سوى نصفها تقريباً. وهذا النصف موزع على أجزاء متباعدة، وغير متقاطعة أحياناً. ومع ذلك، فقد تمّ التوصّل إلى تبنّي ترتيب ملائم للأجزاء المختلفة، بحيث أمكن أخذ فكرة كافية الوضوح بالنسبة لتسلسل الأحداث.

العمود الأول

فقد هذا العمود ما يقارب ٢٦ سطراً من بدايته، التي كانت تصف الحلم الذي رآه أنكيدو كما يرويه لصديقه ويبدي تخوّفه من القرار المتخذ بصدده، بعد أن عقد الآلهة العظام اجتماعاً رباعياً للتداول حول المسؤولية بصدد القضاء على همبابا وعلى الثور السماوي. نعرف ذلك من النسخة الحثية للملحمة(١) التي حفظت لنا وقائع الاجتماع بين كل من آنو وإنليل وإيا وشمش(٢) واقتراح إنليل بأن أنكيدو هو الذي يجب أن يموت.

وعلى الرغم من دفاع الإلّه شمش، فإن قرار إنليل هو الراجح وهكذا تقرر مصير أنكيدو.

ويصف النص دموع أنكيدو وحزنه لتصوره فراق صديقه الحبيب، كما أوحى له الحلم بذلك. لذا فإنّه يقرّر الذهاب إلى مدينة نفّر(٣) مقرّ إنليل، لاستدرار عطفه وطلب عفوه. ويبدأ هنا ما وصلنا من اللوحة السابعة/العمود الأول الذي لا نعرف من بدايته سوى المطلع المقابل لسطر التذكير بالتتمة في نهاية اللوحة السادسة، وفيه توجّه أنكيدو إلى صديقه جلجامش متسائلاً:

---

(١) لغتها بابلية قديمة وهي تعود إلى حوالى ١٤٠٠ ق. م.

(٢) الآلهة العظام (Anu) إلّه السماء و(Enlil) إلّه الهواء وسيد مجمع الآلهة وهو الذي عين همبابا حارساً لغابة الأرز و(Ea) إلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع و(Shamash) إلّه العدالة وحامي جلجامش.

(٣) (Nippur) مدينة إنليل وفيها معبده «الإيكور» وهو «بيت الجبل».

1 «يا صديقي، لماذا عقد الآلهة العظام اجتماعاً للتشاور؟...»

العمود الأول

چلچامش وأنكيدو يتوجّهان إلى نفّر

27 فتح أنكيدو فمه [وباشر حديثه]
متوجهاً [إلى چلچامش]:
«هيّا يا صد [يقي]، دعنا نذهب [إلى نفّر»]!

في نفّر، وقف أنكيدو أمام البوابة العملاقة، التي قدّمها بنفسه إلى الإلّه إنليل والتي حملت اسمه، وأخذ يحدّث البوابة معاتباً:

مع البوابة في نفّر

30 على مدخل [معبد إنليل (؟)]
[مَثَلتْ أمام عينيه (؟)] البوابة التي
كان قدّمها [تقرباً من هذا الإلّه]
(فقدان الأسطر ٣٢ ـ ٣٥)
36 رفع (أنكيدو) نظره [نحو البوّابة (؟)]
تحدّ [ث] أنكيدو إلى البوابة [وكأنها كائن بشري]
(قائلاً): «أيتها البوّابة (التي استخرجتها) من الغابة
(الكثيفة)، أنتِ لا ذا [كرة] لكِ!
وليس فيكِ أيّ ذكاء!
40 تفتيشاً عن خشبك (قطعتُ) مسافة عشرين بيرو[١]
إلى أن اخترت الأرزة الأكثر انبساقاً!
الخشب الذي صنعتُكِ منه، لا مثيل له [... (؟)]
ارتفاعك، ستون ذراعاً[٢] وعرضك عشرون

---

(١) (bêru) = ١٠ كم.
(٢) الذراع = ٦٠ سم تقريباً.

ولك سمك قدره ذراع واحد، مداراتك الأوسط والعلوي
والسفلي، كل واحد عشرة أذرع!

التذكير بالنقل النهري

45 أنا الذي صنعتك (ثم) نقلتكِ إلى نفّرِ
إلى [معبد إنليل (؟)]
لو أني علمت أيتها البوابة [ما ستكون مكافأتي]
(والمصير) الذي أعدَ [ذتيه لي (؟)]
لكنت سلّطت عليك بلطتي لتمزيقك وتجزيئك
49 ولكنت حمّلت بأشلا [ئك] عوامتي.

في نهاية العمود الأول، عشرة أسطر مفقودة. وبعد نقصٍ آخر في بداية العمود الثاني، يتابع أنكيدو عتابه لبوابة معبد إنليل ويلعنها.

العمود الثاني

12 ومع ذلك أيتها البوابة، أنا الذي صنعتك! أنا الذي
أتيت بكِ إلى [نفر]! [(أتمنى لك) ألاّ تدومي (؟)]
[المدة التي] ترغبين!
13 وأن يأتي ملك في المستقبل ليلعنكِ، وأن يعمد إلّه
[إلى إحالتك إلى العدم (؟)]
14 وأن يعمد إلّه آخر إلى محو اسمي (المنقوش عليك)[1]،
ليضع مكانه اسمه.
وأن ينتزع [ألبسته (؟)] ويرميها [أرضاً][2]

أمام يأس صديقه، چلچامش يتدخل

15 لدى سماعه هذه الكلمات تأثّر چلچامش لتوّه

(١) نتعرّف هنا على تقليد ذكر أسماء المتبرعين لتجميل المعابد.
(٢) تعبيراً عن الحداد.

وبينما كان يصغي لمثل هذه العبارات

[ترك دموا] عه تنْسكب

فتح چلچامش فمه وباشر حديثه متوجهاً إلى أنكيدو (قائلاً):

«[ذكا] ؤك واسـ [ـع] وأنت نافذ البصيرة

يا صديقي، مع أنك كثير التعقل، فها [أنت تتحدث]

دون تبصّر.

[لماذا] تلفّظ قلبك بمثل هذه الأقوال

20 [هذا الحلم جيّـ] ـد، حتى لو أنّ تخوّفك منه كان كبيراً،

مما جعل [شفتيك] ترتجفان مثل أجنحة ذبـ [ـاب]!

چلچامش يحاول تطمينه[١]

وحتى لو كانت عديدة لديك أسباب التوجّس، فإن (هذا)

الحلم ممتاز وأن الآلهة توحي بالقلق، لمن هو في تمام الصـ [ـحة][٢]

وهكذا فإن الحلم أقلق من هو في تمام القوة، خفِّف

عنك، و(أنا) من أجلك سأتضرّع للآلهة [العظام]!

وسأذهب لمقابلة إلَهك الحامي وأتوسّل [إليه]!

[. . . . . . .] [إنليـ] ـل، أبو الآلهة ـ العظام.

25 ولكي يتقبّل إنليل، صاحب السيادة، النظر إليك بعطف

سوف أقدم الذهب بلا حساب وأعمل عنك صورة نذرية[٣]!

---

(١) چلچامش يحاول هنا تفسير الحلم بشكل إيجابي أمام قلق أنكيدو، ولكن محاولته تصطدم باقتناعه الضمني بأن قدر أنكيدو قرره إنليل ولن يتراجع عنه (السطر ٣٠).

(٢) حجّة چلچامش هنا هي أن أنكيدو عليه ألاّ يقلق لأنه في تمام الصحة.

(٣) التمثال أمام الإلّه يوضع في المعبد لكي يستمر الابتهال الموجّه إلى الإلّه ولتذكير الإلّه برجاء المتعبّد.

لا تشغل بالك [يا صديقي]، فسيكون
لهذا الذهب [أثر رائع (؟)]
وما يأمر به [إنليـ]ـل ليس كما [.........]
إنه لا يتراجع [عما] أمر به ولا يلغيه (؟)
30 ما يقرّره إنليل، [كّلا!] إنه لا يتراجع عنه ولا يلغيه
يا صديقي [...........]
هكذا يتقرّر بالنسبة للبشر مصيرهم!»

أنكيدو يتضرّع إلى الإلّه شمش

عندما سطع القليل من نور الصباح[١]،
رفع أنكيدو نظره نحو شمش، وبكى أمامه.
35 تحت أنو [ار] شمش، كانت دموعه تتدفق:
[«أتقدّم منك يا شمش (أترجّى)، [لأ] ن القدر يعاديني.

أنكيدو يلعن الصياد والغانية

هذا الذي ليس هو بصيّاد[٢]، ناشر الشباك هذا،
الذي لم يَدَعْني أبقى مشابهاً لأصدقائي (القدماء)
39 أرجو ألاّ يكون هو (بدوره) مشابهاً لأصدقائه.

العمود الثالث

1 (أرجو) أن تُبترَ منافعه، وتنقصَ أرباحه!
وأن [تنعدم فائدته (؟)]، وألاّ يكون له غير [...] نصيباً
و[الطريدة] عوضاً عن أن تقع في (شراكه)

---

(١) هنا ترجمة حرفية عن الأكادية، ويؤدى عادة هذا السطر كما يلي: «لدى ظهور أنوار الفجر الأولى».
(٢) حرفياً: هذا اللاصياد.

فلتتبدّد أمامه، مثل الغمام (؟)!

[بعد أن] لعن الصيّاد وأشفى منه غليله

5 شعر بالرغبة لأن يلعن [أيضاً الغا] نية شمخات[١].

هيا، تعالي أيتها الغانية لكي أقرّر لك مصيرك

لكي أقرر لك، أنا (شخصياً)

مصيراً، مصيراً دائماً وإلى الأبد.

عليكِ أنا أوجّه لعنةً فعالة،

فلتتسلَّطْ عليكِ بالسرعة [القصوى]!

10 [بحيث لا تؤ] سسي (قط) بيتاً سعيداً!

[ولا تد] لّلي (قط) [. . . . .][٢].

وبحيث لا تدخلي قط إلى [حريم] الصبايا!

ولتلوِّث حثالةَ الجعة [ثديك الجمـ] ـيل

وليلطّخ بقيائه السكير [محاسنك].

15 وليفضّل (عليكِ) الرجل الذي (تعشقين) الفتيات الجميلات (؟)[٣]

و[لتُضرَبي] ككتلة صلصال بيد فخّاري![٤]

وأن لا يقدَّم لك (قط) حقّ [العطور] البرّاق.

وأن لا تتمكن الفضة الصافية، التي يفاخر بها

الناس من الاستقرار لديكِ

وأن [يكون أفضـ] ـل مقرّ لك أمام باب بيتك، ولتكن

على أطراف الطريق إقامتك!

---

(١) في حكمه على الغانية يحكم أنكيدو على جميع مثيلاتها من العاملات في معبد عشتار واللواتي لهن دورها.

(٢) يمكن استعمال النقص وفق قراءة تكهنية: [طفلاً لك من رحمك].

(٣) هذا السطر تم تبنيه عن ترجمة (شافير).

(٤) هذا السطر تم تبنيه عن ترجمة (شافير).

20 أن تكون [الوحدة] مسكنك، وظلّ الأسوار ارتيادك!
أن يدمي الشوك والعلّيق قدميكِ
وأن يصفعكِ السكّير والظمآن (للشراب) [كما يشاءان]!
وأن تُوجّه إليك في الشارع، الشتائم!
وأن لا يعمد المِعمار إلى سدّ (شقوق) سقف بيتك (؟)!
25 وليسكن البومُ في منزلك،
وأن لا يقام في بيتك عيد (قط).

البقية مشوّهة، ويفهم مما بقي منها، أن أنكيدو يشير إلى مدخل حضنها الدنس (أي فرجها) وحضن زبونها المعرّى الذي لا يقلّ عنها نجاسة.

30 لأنني، أنا الذي كنت حرّاً (في السهوب)،
أنتِ جعلتِ [مني.....]
وبذلك سَبّـ [ـبت لي] الأذى.

الإلّه شمش يلوم أنكيدو لعدم اعترافه بالجميل

لدى سماع شمش ما صرّح به (أنكيدو)،
توجّـ [ـه إليـ] ـه فوراً من عليّ سمائه:
35 «لماذا يا أنكيدو (سَأله) لعنت الغانية شمخات؟
وهي التي قدّمت لك الغذاء الإلّهي![1]
وروت ظمأكَ بالشراب الملكي![2]
وزيّنتْ جسمك بلباس رحب
كما جعلت منك رفيقاً لجلجامش الفائق الكمال!
40 أوليس هو الآن، من أجلك، صديقاً وأخاً حقيقياً؟

(١) أي الخبز.
(٢) أي الجعة.

شمش يبلغ أنكيدو ما سيفعله
چلچامش من أجله بعد موته

إنه سوف يجعلك تَرْقد على فراشٍ عريض(١)
وسوف يمدِّدُك على فراشٍ ناعم
بعد أن كان قد خصّص لك على يساره، مكاناً لا يتزعزع!
سوف يأتي أمراء المملكة لتقبيل رجليك
45 وسوف يجعل شعب أوروك يتلوّع عليك
سوف يجعل أتباعه [الأكثر مجـ] ـداً، يعلنون الحداد من أجلك
[وهو نفسه] بعد (موتك) سوف يكون له مظهر الضِياع
سيهيم (على وجهه) في السهوب [مكتسـ] ـياً بجلد أسدٍ فقط!

أنكيدو متأثراً يعود عن لعنته

لدى سماع (أنكيدو) كلمات شمش الباسل،
50 تبدّدت [فوراً] سورة غضَبه،
[و] سكن [. . .] احتدامه.
[«هيّا بنا (قال) يا شمخات]،
ها أنا أقرّر لك مصيراً آخر(٢)

العمود الرابع

1 [فمي الذي لعـ] ـنكِ، سيعمد عكسياً إلى مباركتك:
الأمراء والحكام يصبحون عشـ [ـاقك]!

---

(١) المقصود هو فراش عرض الجثة قبل الجنازة والدفن.
(٢) هذا المصير لا يلغي المصير السابق ولكنه يعدِّد بعض الأوجه الإيجابية في حياة الغانية.

[وكذلك] على بعد بيرو واحد[١]

سوف يضربون على الفخذ[٢] (تلهُّفاً للقائك)

[وعلى بعد مسافتي بيرو] سوف يهزّون

في تهيّجهم لبدة شعورهم.

5 والضابط دونما تمهّل، سيحلُّ أمامك رباط لباسه.

سوف يُقدّم لكِ السَبج[٣] [بسخاء]

(وكذلك) اللازورد والذهب!

ومن يقدّم لك [أقراط أذنٍ ثمـ] ـينة،

فليشهد الأمطار [تسقط في أرضه][٤]

ولتتكدس مواسمه!

سوف يُعمد إلى إدخالك إلى قلب معابد الآلهة![٥].

10 ومن أجلك سوف تُهْجَرُ الزوجة، حتى

لو كانت أماً لأبناءٍ سبعة!

تزايد مرض أنكيدو وحلمه الجديد

11 ومع ذلك (؟) كان أنكيدو يهزل

[وبما أنّه (؟)] بقي متمدداً (لفترةٍ) على فراشه.

[شرح] لصديقه كل ما كان يثقل قلبه.

14 [أي صديقي،] (هذه) الليلة (أيضاً)

جاءني حلم آخر:

---

(١) (bêru) وحدة مسافة تعادل ١٠ كم تقريباً.

(٢) علامة التعجب والاستحسان.

(٣) زجاج بركاني يعتبر من الأحجار شبه الكريمة.

(٤) كأنّ الغانية هنا تقوم بدور موازٍ لدور عشتار بالنسبة للخصب.

(٥) قد يعني ذلك اختيارها للاشتراك في مراسم الزواج الإلّهي (؟).

15 كانت السماء تقرقر[١]

وكصدى لها كانت تظلم الأرض.

بينما كنت أنا

أنتصب واقفاً بينهما!

[(كان هناك) مقتدر[٢] وحيد]

معالم وجهه قاتمة،

يماثل وجهه

[وجه أنـ] ـزو[٣].

[يدا] ه [كقوائم أسد]

أظافره كمخالب نسر.

20 [شدّني من شعري]،

وأمسك بي بقوّة.

كان يقفز (إذا) ما حاولت ضر [به]

[كأنه (يقفز) في لعبة الحبـ] ـل.

وعندما كان يوجّه إليّ ضرباته

كان يرديني أرضاً وكأنني [. . .].

كان يدو [سني]

وكأنّه ثور وحشي.

كان يشدّ إليه

[كا] مل جسدي

25 (ومهما حاولت أن أصرخ): «أنقذني يا صديقي»

[لم تكن تأتي لمعو] نتي!

---

(١) بمعنى ترعد وذلك بالاقتراب من التعبير الأكادي قاقّارو.

(٢) كائن قوي البنية، خرافي الشكل.

(٣) (Anzou) هو الطائر الأسطوري الذي انتصر عليه نينورتا، انظر النص (رقم ٦٢) من الكتاب الثاني.

بل كنتَ خائفاً [......]

[.........]

أربعة أسطر مفقودة

31 [........]

حوّلني [إلى يما] مة

(وصار) ساعداي مثل (جناحي) طائر

[كساهما الريش (؟)]

ثمّ قبض عليّ وجرّني

إلى البيت المظلم، مقر إيركالا[1]

المقر الذي لا يخرج منه أبداً

الذين دخلوا إليه،

35 عن طريق الذهاب،

بلا عودة.

إلى المقر، حيث ساكنوه

محرومون من النور

لا يقتاتون سوى الدُبال،

غذاؤهم التراب

يلبسون مثل الطيور

أكسية من الريش

يتساقطون في الظلمات

دونما رؤية النـ [ـور] أبداً[2]

40 وأنا، عندما أُدْخلتُ

[إلى (هذا) المقرّ الترا] بي

---

(١) (Irkalla) تسمية العالم السفلي.

(٢) الأسطر (٣٣ ـ ٣٩) استوحاها الشاعر من نص نزول عشتار إلى العالم السفلي، انظر المطلع الأول من النص (رقم ١١٤) أعلاه.

أمكنني رؤية
مجموعة من التيجان[١]
سمعت ضجيج
(تلك) الرؤوس المتوّجة
(رؤوس الذين)، فيما مضى
كانوا يحكمون الأرض.
ممن كانوا (في الماضي) يقدّمون إلى آنو وإنليل[٢]
اللحم المطبوخ
ويقدّمون (لهما) الخبز المشوي
ويسقونهما ماء القرب البارد.
45 في ذلك المقرّ الترابي
حيث دخلتُ،
كان يسكن، كبار الكهنة والأعيان،
كان يسكن رؤساء المعوِّذين ومقيمو الطقوس
ذوو المراتب العالية
وكان يسكن (أيضاً)
المطَهِّرون أمام الآلهة ـ العظام
ويسكن إيتانا[٣]
وكذلك سمُوقان[٤]
50 [وكانت تسكنُ (أيضاً) ملـ] ـكة العالم

(١) تبنى هذه الصورة نبي التوراة إشعيا في (١٤: ٩ ـ ١١) للتعبير في حقده على ملك بابل عند موته ونزوله كمتوّج إلى العالم السفلي.
(٢) (Anu) إلّه السماء و(Enlil) رئيس مجمع آلهة السماء.
(٣) (Etana) من أقدم ملوك سومر لما قبل الطوفان، ورد عنه النص رقم ٧٤ من الكتاب الثاني.
(٤) (Sumuqan) كان إلّهاً مرتبطاً بالصحراء وهو أيضاً إلّه الحيوانات الوحشية.

السفلي إيريشكيچال[١]
وبيليت ـ صيري[٢] كاتبتها
وهي منحنية أمامها
كانت تمسك [لوحة]
قرأتْ عليها محتواها بصوت عالٍ
[رفعت عند ذلك] (الملكة) رأسها
وسلّطت عليّ نظرها:
[«من الذي] أتى
بهذا الرجل (إلى هنا؟) (قالت)....
[............]

بقية النص في العمود الخامس مفقودة بكاملها، فيما عدا بعض النهايات بين الأسطر (١٢ و٢٠) أو بقاء بعض الكلمات المقروءة مثل «قبر» و«إيريشكيچال» و«كاسحة» مما يشير إلى احتمال استمرار رؤية الحلم أو تفسيره من قبل مجهول (؟). وفي الحالتين، يتّضح على ما يظهر، أن أنكيدو كان يسير إلى مصيره المحتوم.

وفي كسرةٍ من لوحة، حيث أمكن قراءة اسم (إي ـ چال ـ ماخ)[٣] وهو معبد نينسونا في أوروك، يمكن التصوّر بأن أنكيدو ذهب طلباً لمعونتها، أو أنه توجّه نحو إيسين[٤]للتضرّع إلى إلّهة الشفاء چولا[٥].

---

(١) (Ereshkigal) ملكة العالم السفلي.
(٢) (Bêlit-Siri) بمعنى سيّدة السهوب وهي هنا بصفتها كاتبة وأمينة سرّ إيريشكيچال.
(٣) (E. Gal-Maḫ) بمعنى البيت ـ الشامخ.
(٤) (Isin) إلى الجنوب من نفّر، على بعد ٢٥ كم تقريباً.
(٥) (Gula) سيدة إيسين.

العمود السادس

لم يبقَ من العمود السادس، سوى بقايا الأسطر العشرين الأولى والتي يتخللها التشويه هي أيضاً.

نهاية توجّه أنكيدو إلى چلچامش

[.................]

3 [أنا الذي برفقتك تحدّ] يت العديد من الأخطار،
تذ [كّرني] يا صديقي، لا [تنسَ] شيئاً
مما عانيتُه (برفقتك)!»

أفكار سوداء تسيطر على چلچامش

5 صديقي (قال لنفسه چلچامش) رأى حلماً
ومنذ رؤيته (ذلك الحلم) فقد [قواه]!

مرض أنكيدو يستمر ويزداد سوءاً

بقي أنكيدو طريح فراشه، يوم أول و[يوم ثانٍ]
دون التمكّن من مغادرته، [وازداد مرض]
أنكيدو [سوءاً]
يوم ثالث ويوم رابع، كذلك[١]
10 يوم خامس وسادس وسابع، كذلك
ويوم ثامن وتاسع وعاشر، [كذلك]
ثم ازداد (أيضاً) مرض أنكيدو [سوءاً]
وفي اليوم الحادي عشر والثاني عشر، كذلك.

---

(١) في هذا السطر وفي الأسطر التالية يستعمل الناسخ تعبير (كي ـ مين) (Ki-Min) السومري ومعناه: كما سبق أو كذلك بقصد عدم تكرار في كل مرة جملة «ازداد مرض أنكيدو سوءاً».

أنكيدو يلوم چلچامش
لعجزه عن إنقاذه

عمد أنكيدو (عند ذلك) وهو جالس في فراشه
إلى مناداة چلچامش (قائلاً له):
15 «صديقي، تخلّى عني إذن [.......]!
(وفقاً) لما قاله لي في أور[وك]،
قام بمعاونتي، عندما كنت أتردد في القتال![1]
ولكن الذي أتى [لمعونتي (آنذاك) (؟)]
[تخلّى عنّي في هذه الساعة (؟)]
[مع أنّنا (؟)] أنت وأنا،
أليس علينا أن نبقى متضامِنَيْن؟

موت أنكيدو

البقية مفقودة، وفي القسم الأخير من اللوحة السابعة تقع حادثة موت أنكيدو.

إلاّ أن كسرة لوحة من مجيدّو في فلسطين وهي تعود إلى عصر العمارنة (حوالى ١٤٠٠ ق. م) تقدم لنا بعض التفاصيل عن مرض أنكيدو وموته[2].

مرض أنكيدو وموته في كسرة مجيدّو

أنكيدو على فراش الموت، يتوجه إلى چلچامش:

---

(١) قد يكون هذا التفصيل يعود لمشهد مفقود من الملحمة أو أنه يذكّر بتردد أنكيدو وتخوفه من دخول غابة الأرز وتشجيع چلچامش له: (اللوحة الرابعة العمود السادس الأسطر ٣٠ وما بعد).

(٢) عن (شاڤير).

ظهر الكسرة

[..........]

3 «فهمت يا چلچامش، أن لا منقذ لي،

4 صديقي، لم ينقذني،

5 ليتك تركتني أجوب في السهوب!

عند ذكر اسمي، فليقدّم الناس، قرباناً

من الماء المنعش!

يا صديقي الذي أنقذني سابقاً، لماذا

الآن تتركني؟

الأسطر (٨ و٩ و١٠) تصف مرور أيام بقائه على فراشه.

10 اشتد مرضه وجسده [...]

عند ذلك لفظ على فراشه أنفاسه.

فأخذ چلچامش يصرخ، ومزّق ثيابه،

أيقظ بصراخه تابعيه

وكيمامة أخذ ينوح [.....]:

«(لِمَ) أمسك بك الموت [......؟]

أنت يا أول الأبطال [...]

إلى صديقه (قال كذلك) [...]:

أريد أن أبكيه [...]

أنا بنفسي إلى جانبه [...]

(نهاية اللوحة السابعة)

اللوحة الثامنة

تمثال أنكيدو ومراسم دفنه

هذه اللوحة، وصلنا منها أقل من الثلث. وما يلي منها اعتباراً من منتصف العمود الثاني، هو كثير التشويه. إلا أن بعض ما أمكن قراءته من هذا القسم، يسمح بمتابعة التسلسل العام للنص.

العمود الأول

تلوّع چلچامش أمام جثمان صديقه والتذكير بأصله

1 عندما سطع فجر النهار

توجّه چلچامش إلى جثمان صديقه (منتحباً):

«[أنكيدو، يا صديقي]، أمك ظبية

وأبوك والدك حمار وحشي،

5 على حليب الأخدريات كانت تربيتك!

والحيوانات الوحشية، جعلتك تكشف

(أسرار) جميع المراعي.

التذكير بمغامرة غابة الأرز

إبكيه، أيتها الطرق التي سلكها

[حتّى] غابة الأرز

إبكيه ليل نهار، دون توقّف

وليبْكهِ القدماء في الشوارع العريضة

لأوروك ـ ذات ـ الحظائر

10 ولتبكهِ الحشود التي كانت تتبعنا وتباركنا

إبكيه أيتها الممرات الجبلية [التي]
تسلّقناها [معاً]!
أندبيهِ أيتها البراري، كما لو كنتِ أمّه!
ولتبْكهِ [غابات (؟)] السرو والأرز،
15 التي بين أشجارها، [تركنا الزمام لغضبنا (؟)][1]
ولتبكهِ الدببة والضباع، والنمور (؟) والوعول والفهود،
السِباع والثيران الوحشية الكبيرة والصغيرة
إبكهِ يا (نهر) أولايا[2] المقدس،
الذي على ضفافه تبخترنا.
وليبكه الفرات الطاهر
20 الذي كنا نسكب من قربنا ماءه، كتقدمات سائلة!
وليبكِهِ أبطال أوروك ـ ذات الحظائر،

التذكير بالقضاء على الثور السماوي

(أنتم الذين) شاهدتمونا نجابه،
ونقضي على الثور ـ العملاق!
وليبكهِ الفلاّحون، الذين [. . . . .]
أنتم الذين تتغنّون باسمه في مقاطع
أناشيدكم الجميلة[3]
25 وليبْكه [. . .] في المدينة الرحبة[4]
الذين [. . . . .]

---

(١) تذكيراً بالقضاء على همبابا.
(٢) هو نهر كارون الحالي الذي يجري قرب سوز في خوزستان. وما يذكر بهذا المشهد العيلامي لم يصلنا، وغابة الأرز ربما لم تكن لبنان في النسخ الأقدم.
(٣) ربما لأن أنكيدو خلصهم من أضرار الثور السماوي.
(٤) اعتباراً من هذا السطر يستعمل الناسخ تعبير (كي ـ مين) أي كما سبق بقصد عدم تكرار «لتبكِهِ».

وليبكه الرعاة [...........]

وهم الذين رووا ظمأه بالجعة المخفّفة!

وليبكِهِ الرعاة [.........]

30 وهم الذين قدّموا له الزبدة ليأكل[١]

وليبكه [............]

الذين قدّموا لتذوّقه المشروبات المختارة!

إبكيه أيتها الغانية،

أنت التي مسحتِ بالزيت الممتعِ جسده!

35 ليبْكهِ المدعوون

الذين من أجل (حضور) العرس، الذين
وضعوا خاتماً في اصبعه[٢]

ليبْكهِ [.........]!

إبكوه أيا إخوته[٣] وكأنكم أخَوَات له!

كونوا من أجله، نوّاحين (؟) و[......]

40 حلّوا من أجله شُعورَكم!

في سهوبكم ـ مراعي ـ الخراف، أبكوا أنكيدو
(أنتم) أبوه وأمه[٤]

(أنكيدو، صديقي) أنا كذلك أبكيك!

---

(١) لم يصلنا هذا التفصيل، عندما توقف أنكيدو مع الغانية عند الرعاة.

(٢) يُعتقد أنه بعد لقاء أنكيدو الأول مع جلجامش والاعتراف بقوته، قد دعي لحضور العرس. وعادةُ الخاتم في إصبع المدعوّين لم ترد في غير هذا الموضع (؟).

(٣) هل هم إخوته في السلاح؟ أي الأبطال مرافقو جلجامش أم عشيرته حيث ترعرع كما سيرد في الحاشية التالية.

(٤) في هذا السطر إشارة أوضح لحياة البداوة التي تلتقي بفكرة وجود عشيرة بدوية عاش في كنفها أنكيدو (؟).

العمود الثاني

رثاء چلچامش مشيداً بعلاقته بأنكيدو

1 استمعوا إليّ، يا قدماء المدينة

استمعوا إليّ.

ارثوا شخصياً [صديقي] أنكـ [ـيدو]!

تفجروا مثل نوّاحةٍ، بالتلوعات المريرة!

أنكيدو، القطّاعة المعلّقة إلى جانبي، والتي تريح ساعدي!

5 يا سيفَ غمدي ويا ترساً أمامي (يحميني) [. . .]

أنت لباس عيدي ووشاح أمراحي!

[ها هو مصير] قاسٍ، انتز [عك] فجأةً منّي

[يا صديقي] يا بغـ [ـلاً] متشرّداً، يا حمارَ الصحراء

الأخدري ويا فهد السهوب!

[أنكيدو] يا [صـ] ـديقي البغل المتشرّد وحمار الصحراء

الأخدري، ويا فهد السهوب!

10 معاً، تسلقنا [الجبل]:

معاً قبضنا و[قضينا] على الثور العملاق؛

أطحنا بهمبابا [الملتجىء] إلى مخبئه في غابة [الأرز]؛

والآن ما هو هذا السبات، الذي استولى [عليك (؟)]

ها هو وجهك، أصبح مظلماً، ولم تعد تسمـ [ـعني]!

أنكيدو الميت لا يتحرك

15 لكن أنكيدو، لم يرفع (حتّى) رأسه

جسّ چلچامش قلبه: لم يعد ينبض [مطلقاً]!

اضطراب چلچامش وحداده

عند ذلك، وكما لو كان عروساً فتية
وضع حجاباً [على وجه] صديقه
كان يحوم حوله وكأنّه نسر،
ومثل لبوةٍ فقدت صغا [رها]، لم يتوقف،
20 لم يتوقف عن الحركة أمامَهُ ووراءَه
انتزع خصل شعره المقصّب ونثرها!
خلع ألبسته الفاخرة ورماها (بعيداً)
وكأن الخوف تملّكه!

چلچامش يأمر بصنع تمثال لأنكيدو

عندما سطـ [ـع] فجر اليوم (التالي)
عمّمَ چلچامش نداءً في (كامل) البلاد:
25 صبّابو المعادن! [شاغلو الأحجار الكريمة]، [شاغلو] المعادن!
الصاغة وصانعو المجوهرات!
إعملوا لصديقي [أنكيدو تمثالاً]!
هكذا أمر چلچامش، بإعداد تمثالٍ لصديقه
يتناسب وقياسه [....]
28 على أن يكون صدره مرصّعاً باللازورد
ومن الذهب بقية كامل جسمه.

البقية مفقودة، لم يبق منها سوى كسرة تحوي حوالى عشرين سطراً، أمكن قراءة أواخرها، حيث وردت عبارات: «الصورة الثمينة»، أي التمثال و«صديقه» و«من الرخام» ومن ضمن عدة أسطر تالية إشارات إلى أوزان ذهب. وقد تكون نهاية المقطع المشوّه هذا تشير إلى وعد شمش لأنكيدو بقصد تعزيته حين أوضح

له بأن چلچامش، سوف يكرِّمه بعد موته بحداده عليه[١].

حِداد چلچامش لوفاة أنكيدو

49 [والآن، ألست من أجلك صديقاً، وأخاً حقيقياً؟]

50 سوف أجعلك ترقد على فراشٍ عريض.

العمود الثالث

1 سوف أمدِّدُكَ على فرا [ش ناعم]

بعد أن كنت خصصت لك إلى يساري

[مكاناً لا يتزعزع]

وأمراء البلاد، سوف يأتون، [لتقبيل رجليك]!

وشعب أوروك، سوف أجعله يبكي

[ويتلوّع] من أجلك

5 سوف أجعلُ أمجدَ رعاياي، يعلنون الحداد من أجلك

وأنا بعد موتك، سوف أجدُ نفسي

في مظهر الضياع!

وأنا يكسوني جلدُ [أسدٍ] فقط، سوف أهيم في السهوب!

جنازة أنكيدو

لدى سطوع مطلع الفجر

نزع چلچامش (ملابسه) [.....]

10 وارتدى [...] (حلة)] حمراء[٢]

---

(١) انظر اللوحة السابعة، عمود ثالث، الأسطر (٤٠ ـ ٤٨).

(٢) الأحمر هو لون الحداد.

العمود الرابع

بقية العمود الثالث مفقودة وكذلك الأسطر الخمسة والأربعون من العمود الرابع حيث يوصف كما هو مرجّح تشييع جثمان أنكيدو. وفي نهاية هذا العمود، يمكن قراءة بعض الكلمات منها: «من أجل صديقي» و«سيفه» و«نصل سيفه» واسم «كوكب» يتمّ التوجّه نحوه أو التوجه إليه (؟).

العمود الخامس

بداية العمود الخامس مفقودة حتى السطر ٤٠. والسطران التاليان يمكّنان من قراءة تسمية «القاضي» من بين «آلهة العالم السفلي» (أي الأنوناكي) وذلك على لسان أحد المتكلمين، ولا نعلم من هو. يتضح النص بعد ذلك، لنقرأ:

43 ولدى سماع ذلك [فإن چلچامش] (؟)
رأى في [خياله] نهر العالم السفلي[1]!
45 [لدى سطوع مطلع الفجر]
فتح چلچامش [بوّابة القصر]،
وأعدّ طبقاً من خشب الإيلاماكو[٢]
ثم ملأ بالعسل جفنةً حمراء
كما ملأ بالزبدة جفنة زرقاء
ووفقَ إعدادٍ [كما يجبْ]، قدّم
[الكل] إلى الإلّه شمش.

العمود السادس

لم يبق من هذا العمود سوى كسرة، يُستشف من نهايات ١٥ سطراً فيها، بأن

(١) حرفياً: «شكل في قلبه صورةً لنهر العالم السفلي وهو النهر الواجب اجتيازه في أقصى الغرب للوصول إلى العالم السفلي».
(٢) (Elamaku) خشب ثمين يعتقد أنه يأتي من الشمال الغربي للساحل السوري، يصنع منه الأثاث.

الأمر يتعلق «بتقدمات» من قبل جلجامش إلى الإلّه شمش وبـ «قربانٍ سائل يقدّمه»، «إرضاءً لشمش»، و«للحيلولة دون إغضابه». ويتعلق الأمر أيضاً «بماء الفرات المقدّس» و«بالأرض». كما يرد ذكر «الأرض الفسيحة»[1] أربع مرات. ولمرّتين يتمّ التمنّي بأن تكون شخصية، لم يمكن تحديدها، راضية عن التقدمات التي تلقتها «لترافق أنكيدو»، ولا نعلم إذا كان الأمر يتعلق بإلّه يرافق الأموات إلى العالم السفلي.

كما يمكن التصوّر، مع أن القراءة لم تؤكد ذلك، أن نهاية اللوحة الثامنة بعد الجنازة كانت تشير أيضاً إلى الاحتياطات المتخذة لكي يتمكن «شبح» أنكيدو من الوصول إلى العالم السفلي دون عائق، توحي بذلك كسرة لوحة آشورية، تشتمل على ١٥ سطراً ضاعت بداياتها ويمكن أن نقتطف منها ما يشير إلى:

[.....] موت أخيك (؟) الاضطراب والقلق والخوف!

و[........] أخوك قضى قبل أوانه[2]

وهنا سطر يشير إلى تقديم تمثال أنكيدو إلى الإلّه شمش «القاضي» وإلى «الأرض الفسيحة».

---

(١) بمعنى العالم السفلي.

(٢) أي الإيطلو (Etlu) انظر الفقرة (ب ـ ٨): (موت البشر) من تقديم الفصل الأول.

اللوحة التاسعة

قلق چلچامش أمام الموت وسعيه

بقي من هذه اللوحة ما يزيد قليلاً عن الثلث، وذلك في القسم الأول العلوي من الأعمدة الثلاثة الأولى، يقابلها في ظهر اللوحة أسفل الأعمدة الثلاثة التالية. وإذا ما كانت هناك مشاهد عديدة تنقصنا، إلا أنّ تسلسل السرد يمكن التكهن به. وفي هذه اللوحة يبدأ هيام چلچامش وسعيه للتوصل إلى الحياة ـ بلا ـ موت.

العمود الأول

چلچامش اليائس والهارب
من الموت يهيم في البراري

1 على صديقه أنكيدو (بكى) چلچامش.
بكى بمرارةٍ وهو يجوب السهوب (متسائلاً)[١]:
هل سأموت أنا (بدوري)
أوليس عليّ أن أشبه أنكيدو؟[٢]
دخل القلق مثل شيطان إلى أحشائي
5 جعلني تخوّفي من الموت أهيم في البراري

چلچامش يقرر التوجه
نحو بطل الطوفان

و(لكنني) سوف أمضي في طريقي وأذهب دونما تأخّر

---

(١) تعمّد الشاعر هنا الإيجاز في العرض، وقدم الحدّ الأدنى المعبّر بشكل كافٍ عن أهمية الحدث.

(٢) أي أن أصبح مثله جثّة هامدة.

لِلِقاء أوتا ـ نافيشتي[١] ابن أوبار ـ توتو[٢]

المرحلة الأولى

چلچامش يحدّث نفسه ويبتهل[٣]

لدى وصولي ليلاً إلى ممرات الجبل[٤]
إذا ما شاهدتُ أسوداً،
فسوف يتملكني الخوف منها!
10 ولكنني سأرفع رأسي (وأبدأ) بالتوجه إلى الإلّه سن[٥]
وإلى [(؟)] الإلّهة [الأكثر سموّاً][٦]
ستكون (أيضاً) ابتهالاتي (طالباً):
«إجعليني أخرج سالماً [من هذا الخطر]!»

چلچامش يرى حلماً

[خلال الليلة ذاتها]، (بينما) كان نائماً
استيقظ فجأةً بسبب حلم!
رأى فيه [عند مورد الماء]، حيوانات تتمتع

---

(١) (Uta-Naphisti) اسم الرجل الذي أنقذ البشرية من الطوفان وحاز على الحياة الأبدية مكافأةً له.

(٢) (Ubar-Tutu) هو ابن (زيو ـ سود ـ را) بطل الطوفان السومري وملك مدينة (شوروباك) القديمة التي انطلق منها الطوفان (انظر النص رقم ٥٦ من الكتاب الثاني).

(٣) هذا المقطع أورده (بوتيرو) بصيغة الغائب مخالفاً النص وذلك للتوافق مع المقطع التالي وقد تبنينا هنا ترجمة (شافير) مع التوفيق بين القراءتين.

(٤) يتوجّه چلچامش هنا نحو الشرق وهو في طريقه نحو النهاية الشرقية للعالم.

(٥) الابتهال إلى الإلّه القمر سن (Sin) يتم ليلاً على اعتبار أن شمش يجتاز في هذه الفترة عالم ما هو تحت.

(٦) هذا اللقب يطلق عادة على عشتار ونستبعدُ أنّ چلچامش يلجأ إليها بعدما حدث بينهما في اللوحة السادسة، ونرجح أن الشاعر عنى بهذا اللقب نينچال (Ningal) قرينة سن.

بالحياة بهناء[١]

15 عندها تناول قطاعته التي كانت إلى جانبه

واستلّ [سيفه] من الغمد في حزامه،

وبسرعة سـ [ـهم]، انقضّ على (هذا التجمّع)

وأ [خذ] يضرب [. . . . .]

ويفرّق [الأسود]

و[. . . . .]

20 فرمى [. . . . .]

احتفظ بـ [. . . . .]

اسم الأول [. . . . .]

اسم الثاني [. . . . .]

24 رفع (رأسَه) [. . . . .]

25 نحو [. . . . .]

26 الإلّه (سن والإلّهة العظيمة)[٢]

بقية العمود، المقدّرة بحوالى ٢٥ سطراً، لم يبقَ منها سوى بعض الكلمات أو الرموز في بدايات الأسطر. ومن المحتمل أن يكون النقص محتوياً على تفسير الحلم، ولا ندري من قبل من؟ يتابع چلچامش بعد ذلك طريقه. وعندما يتضح النصّ نجد چلچامش أمام الجبلين التوأمين.

العمود الثاني

أمام الجبلين التوأمين

1 اسم هذا الجبل، هو التو [أمان]

---

(١) الحيوانات التي تتمتع بالحياة بهناء بينما أنكيدو فارق الحياة، هم رفقاؤه القدامى حيوانات السهوب.

(٢) نينچال (Ningal) بمعنى السيدة العظيمة وهي قرينة الإلّه القمر.

لدى وصو [له] أمام الجبلين التوأمين[١]

اللذين كانا في كل يوم يحرسان مسا [ر الشمس]،

و(كانت) قمتاهما [تلامسان] قبة السماء،

5 بينما كانت قاعدتهما تستقر في العالم السفلي.

الرجال ـ العقارب

كان رجال ـ عقارب[٢] يحرسون مدخلهما

ينبعث منهم رعب ورهبة، ونظرتهم (وحدها) كانت الموت!

وكان تألّقهم المخيف الخارق للطبيعة

يغطّي هذه الجبال.

(كانوا هنا) فقط لحراسة مسار (؟) الشمس.

چلچامش يقترب
من الرجال ـ العقارب

10 لدى رؤيتهم، الرعب والرهبة

غمرا وجه چلچامش

إلا أنّه تملّك نفسه واقترب منهم.

وهذا هو رجل ـ عقرب، ينادي أنثاه (معلناً):

«الذي يصل إلينا، في شخصه شيء خارق للطبيعة!»[٣]

---

(١) جبل ذو قمتين يقع في أقصى الشرق من حدود نهاية قرص الأرض وفقاً لتصوّر الكون من قبل قدماء ما بين النهرين وفيه النفق المظلم بطول ١٢٠ كم الذي تجتازه الشمس كل يوم، وكان على چلچامش اجتيازه للوصول إلى الشاطىء الشرقي للمحيط الذي يطفو عليه قرص الأرض والذي ينتهي في أقصى الشرق من الكون إلى مياه الموت حيث يعيش وراء جبال حدود الكون، بطل الطوفان.

(٢) الرجال ـ العقارب هم من المخلوقات الأسطورية وقد تعرفنا على مثل هذه المخلوقات في قصيدة التكوين والخلق (النص رقم ٥٥ من الكتاب الثاني).

(٣) التألق الخارق للطبيعة والذي لا يمكن النظر إليه هو من خصائص الآلهة أو المخلوقات الإلّهية.

15 فأجابته أنثاه:

«(إنه) لثلثيه إلّه، وبشري لثلثه الآخر!

(عند ذلك) (وجّه) الرجل ـ العقرب كلامه متعجباً

إلى وليد الآلهة (سائلاً):

[ما حدا بك لقطع طريقٍ] بهذه المسافة (الكبيرة)؟

20 [لماذا أتيـ] ـت للقائنا،

[بعد أن قطـ] ـعت [جبالاً] صعبة الاجتياز؟

فقدان حوالى ٣٠ سطراً من العمود الثاني والسطرين الأولين من بداية العمود الثالث وفيها تتم متابعة الحوار بين چلچامش والرجل ـ العقرب.

العمود الثالث

نهاية إجابة چلچامش

3 «. . . . . إنه من أجل [لقاء (؟)] أوتا ـ نافيشتي أبي[١]

الذي سُمِحَ له بحضور المجلس الأ [على للآلهة]،

[حيث مُنِحَ الحياة ـ بلا نهاية (؟)][٢]

5 [أريد سؤاله] عن الموت وعن الحياة»[٣]

الرجال ـ العقارب ينبّهون

چلچامش للصعوبات التي تنتظره

فتح فمه الرجل ـ العقرب وباشر كلامه

متوجهاً إلى چلچامش:

«لا أحد قبل الآن [حاول اتباع هذا الطريق (؟)]!

---

(١) (Uta-Naphisti) ومعناه الذي وجد الحياة (بلا نهاية) ولقب «أبي» من باب الاحترام.

(٢) تكهن مستوحى من بداية اللوحة الحادية عشرة (الأسطر ١٩٠ ـ ١٩٦).

(٣) بمعنى: أريد أن أسأله عن كيفية تحاشي الموت بغية الاحتفاظ بحياةٍ بلا نهاية (انظر بداية اللوحة ١١، السطر ٧).

لا أحد قط تمكن قبل الآن [دخول
[ممرات] هذه الجبال!
10 على مسافة اثني عشر بيرو[١]، تسيطر فيها الظلمات (؟)]
عتمتها سميكة [وبدون أدنى بريق لنور (؟)]
وفي الجهة حيث تخرج فيها الشمس، [........]
وفي المكان حيث تدخل منه الشمس، [........]
المكان حيث تدخل
15 أخرجوا [..............]
تتألق [................]
أنتَ، مثل [................]
سوف تدخل [..............]
مُمتع [..............]
20 مُعَدّ [...............]
بقية العمود الثالث مفقودة وتقدر بحوالى ٣٠ سطراً.

العمود الرابع

بداية العمود الرابع مفقودة أيضاً ويقدر النص بحوالى ٣٢ سطراً ومن المعتقد أن الحوار تتم متابعته بين الرجل ـ العقرب وچلچامش. وفي نهايته، وعلى الرغم من الصعوبات المعدّدة من قبل المحاور فإنّ چلچامش يقرّر، دونما معارضة من قبله، بل بالعكس، مُحمّلاً بمباركة الرجل ـ العقرب وتمنياته الإيجابية، يقرر چلچامش متابعة سفره حتى بلوغ هدفه.

چلچامش يقرّر متابعة سفره

في بداية ما وصلنا من العمود الرابع، يتابع چلچامش حديثه مع الرجل ـ العقرب موضحاً:

33 [مدفوعاً (؟)] باليأ [س الذي تملّك قلبي]

(١) (bêru) وحدة مسافة تعادل ١٠ كم تقريباً.

وعلى الرغم من القرّ والحـ [ـرّ]، [. . . .]

35 على الرغم من الإرهاق [. . . . .]

لم يعد أمامي الآن، [إلاّ المتابعة حتى النهاية (؟)].

عند ذلك، أجاب الرجل ـ العقرب

[قال (؟)] لچلچامش ـ الملـ [ـك]:

«إذن!، إذهب يا چلچامش [. . . . . .]

40 [إذهب (؟)] (إلى داخل) الجبلين التوأمين

[قم باجتياز (؟)] الهضاب والجبال [. . .]

فلتقدْك [خطاك نحو هدفك (؟)]

و(لتبلغه) سالماً!

والبوابة الكبيرة لهذه الجبال هي

[عريضة ومفتوحة أمامك!»]

لدى سماع چلچامش هذه التمنيات

45 ومذعناً لكلمات الرجل ـ العقرب

[اتخذ اتجاه (؟)] طريق الشمس

چلچامش يلج الممر المظلم

عندما قطع مسافة بيرو واحد

سميكة كانت الظلـ [ـمة]

[دون أدنى أثر لنور]:

لم يكن باستطاعته [رؤية] أيّ شيء

[لا أمامه ولا وراءه]!

50 وعندما قطع مسافتي بيرو

يتوقف نص العمود الرابع عند هذا الحدّ، وبعد نقص يعادل ٢٢ سطراً من

العمود الخامس، فإن چلچامش لا يزال على مسافة ٤ بيرو من المدخل. ويمكن الاعتقاد بأن المراحل المقطوعة آنفاً، لا بدّ أن يكون قد تخلّلها تردّد من قبل چلچامش ووصف لهذا التردّد أو التوجّه إلى الآلهة طلباً لمعونتهم وحتّى محاولة العدول عن هذه المغامرة المظلمة!

العمود الخامس

23 [عندما قطع مسافة] ٤ بيرو
سميكة كانت الظلمة [ودون أدنى أثرِ لنور]:
25 ولم يكن باستطاعته رؤية أي شيء
[لا أمامه ولا وراءه!]
[عندما قطع مسافة] ٥ بيرو،
سميكة كانت الظلمة [ودون أدنى أثرِ لنور]:
ولم يكن باستطاعته رؤية أي شيء
[لا أمامه ولا ورءاه!]
[عندما قطع مسافة] ٦ بيرو،
30 سميكة كانت الظلمة [ودون أدنى أثرِ لنور]:
ولم يكن باستطاعته رؤية أي شيء
[لا أمامه ولا وراءه!]
[عندما قطع مسافة] ٧ بيرو،
سميكة كانت الظلمة [ودون أي أثرِ لنور]:
ولم يكن باستطاعته رؤية أي شيء
[لا أمامهُ ولا وراءه!]
35 [عندما قطع مسافة] ٨ بيرو، بدأ يصر [خ][(١)]

(١) الصرخة تعبّر عن تزايد قلق چلچامش من استمرار الظلمة والشعور بالضيق، ومن حسن حظه أن النفق المظلم الذي يجتازه چلچامش في ١٢ مرحلة وهو طريق الشمس الليلي ليس له شبه مع طريق الإلّه المصري رع خلال ساعات الليل الإثنتي عشرة حيث يجابه إلّه الشمس رع أعداءً له، وبخاصة الأفعى أبوفيس ويجب حمايته لكي تتمّ ولادته من جديد.

سميكة كانت الظلمة [ودون أي أثرٍ لنور]:
ولم يكن باستطاعته رؤية أي شيء
[لا أمامه ولا وراءه!]
[عندما قطع مسافة] ٩ بيرو، شعر بريحٍ آتية من الشمال،
[فانفرجت] معالم وجهه،
40 وكانت الظلمة لا تزال سميكة، ودون أدنى أثرٍ لنور
[ولم يكن باستطاعته رؤية أي شيء]
[لا أمامه ولا وراءه]
[وعندما قطع مسافة] ١٠ بيرو
[. . . . .] كان قريباً
[. . . . .] مسافة [. . .] بيرو
45 [عندما قطع مسافة أحد عشر بيرو]
[ظـ] ـهر له شعاع شمس[١]
[وعندما قطع مسافة اثني عشر بيرو]
(دخل) في وضح النهار.

بستان الأحجار الكريمة

تقدّم عند ذلك (وأمامه)،
منظر بستان ـ شجر ـ [الأحجار الكريمة][٢]
شجرة يَنِع[٣] تحمل أثمارها في عناقيد
متدلاّة، مدهشة وداعية للتأمل!

---

(١) بمعنى بداية نور.
(٢) يحتوي هذا البستان على عدد من الأحجار الكريمة، التي عرفتها بلاد الرافدين مستوردةً من المناطق الشرقية أي الهضبة الإيرانية والشاطىء الإيراني وامتداده حتى الشاطىء الغربي لشبه الجزيرة الهندية. ويذكر هذا العرض الأسطوري بمحتوى نص نينورتا وشعب الحجارة التي ورد تحت (الرقم ٧٩) في الكتاب الثالث.
(٣) أي العقيق الأحمر.

50 وشجرة اللازورد، كانت تنشر أوراقها،
المحمّلة بالأثمار المبهجة للنظر!

العمود السادس

الأسطر الأولى منه مفقودة وهي تقع في حوالى ٢٥ سطراً، يتابع الشاعر فيها وصف تحف البستان السحري ويُتابَع هذا الوصف لدى استئناف النصّ:

25 [. . . . .] شجر الأرز [. . .]
التي [. . .] كانت من الحجر الأبيض ـ المعرّق بالسـ [ـواد]
واللاروشّو[١] البحري [كان محمّلاً بالأحـ] ـجار ـ ساسو[٢]
الحجر (آن ـ زا ـ چول ـ مي)[٣] ( ) [كان منتشراً بكثرة]
مثل العلّيق والأشواك.
شجرة الخروب، [كانت مزيّنةً]
بأحجار ـ آباشمو ـ الخضراء[٤]
30 العقيق (؟)[5] والزجاج البركاني [. . . . . .]
أربعة أسطر مشوّهة، أمكن من خلالها قراءة تعبير «فيروز».
35 تنقل چلچامش ذهاباً وإياباً
بين هذه الأعاجيب
(ثم) رفع نظره [. . . . .[٦]]
(نهاية اللوحة)

---

(١) (Laruššu) حجر غير معروف.
(٢) حجر غير معروف أيضاً (Săsu).
(٣) (An.za.gul.me) التسمية تحافظ على الصيغة السومرية.
(٤) (Abashmu).
(٥) أي السَبَج.
(٦) حين رفع چلچامش نظره، لا بد أن يكون شاهد على الشاطىء صاحبة الحانة سيدوري، كما يتضح ذلك في بداية اللوحة العاشرة.

التصنيف وسطر التذكير

سيدوري صاحبة الحانة، التي تسكن،
اللوحة التاسعة من «الذي رأى كل شيء»
مجموعة چلچامش
قصر آشور بانيبال، ملك العالم، ملك بلاد آشور.

حاشية

بعد اجتياز چلچامش لممرّ الجبلين التوأمين المظلم والبستان السحري، يصل مباشرة إلى شاطىء البحر المحيط بقرص الأرض إلى الشرق، حيث تعيش صاحبة الحانة سيدوري، والذي تقع وراءه في أقصى الشرق مياه الموت، وخلفها يعيش، بعيداً عن البشر، بطل الطوفان أوتا ـ نافيشتي.

اللوحة العاشرة

اجتياز المصاعب الأخيرة والوصول إلى بطل الطوفان

اللوحة العاشرة من نسخة نينوى، هي في حالة حفظٍ أفضل من سابقاتها وهي تتقاطع مع عدد من الشواهد الأخرى، التي تساهم في إغناء المحتوى حين تتكرر مقاطعه في تعابير مختلفة على لسان المتحاورين مع چلچامش.

صاحبة الحانة

1 على الشاطىء البحري، كان يقع مقرّ
سيدوري[١] صاحبة الحانة
كانت تسكن [. . . . .]
وقد أُعِدَّ لها مَحْمل للجرار، كما أُعِدَّ
لها حو [ض ـ للجعة].
كان رأسها، يغطّيه حجاب[٢]
و[. . . . .]

سيدوري تشاهد چلچامش

5 بعد تردّدٍ [تقدّم نحوها] چلچامش
يكسو جسمه جلد حيوان و[. . . . . . .]
كما كان في (تكوينه) جسد إلّهي

---

(١) (Siduri) قد يكون هذا الاسم من أصلٍ أجنبي على الرغم من إمكانية إعادته أكادياً إلى (شي ـ دوري) بمعنى (هي حصني) وهي (حمايتي) أو إلى كلمة (شيدوري) الحورية ومعناها الصبية أي سابيتو بالأكادية. وعرفت عشتار أيضاً بهذا اللقب. كما يحمل اسم سيدوري إشارة الألوهية. وهي تمثّل ما يعرف بتجارة مفارق الطرق. ومقرها هنا هو في «آخر الدنيا» وقد اختارها الشاعر لأنها أفضل من يمكنه أن يدل چلچامش على طريقه.

(٢) حجاب الرأس يعني أن سيدوري كانت متزوجة.

ولكن القلق كان قد تملّك أحشاءه
وكانت تبدو عليه مظاهر المسافر
القادم من بعيد.
10 تفحّصته صاحبة الحانة عن بعد
وكانت إذْ تتحدّث إلى نفسها[١]
تستعرض الأفكار في قلبها (قائلة):
«قد يكون أحد المجر [مين (؟)][٢]
إلى أين يمكنه الذهاب (بسلوكه) [هذا الطريق]؟»
15 وعندما رأته يقترب، أوصدت صاحبة
الحَانة [بابها]
أوصدت بابها وأحكمت غلقه بالمزلاج
إلاّ أنه حين أدار أذنه إلى الصوت
الذي [أحدثه ما فعلته]
رفع (چلچامش) وجهه، ونـ [ـظر إلى جهتها]
ثم توجّه إلى صاحبة الحانة (سائلاً):
20 ما الذي رأيتِهِ يا صاحبة الحانة
[حتى أوصدت بابك؟]
حتى أوصدت بابك وأحكمتِ [غلقهِ بالمزلاج]؟
سوف أقتحم (هذا) الباب و[أكسـ] ـر [غلقه]!

يتابع چلچامش حديثه في السطرين المفقودين ويرد فيه ذكرٌ للسهوب، وهذا يعني أنه بدأ بسرد بداية هيامه وسعيه.

---

(١) من المفيد الإشارة هنا إلى أن ثلاث كسر لوحات باللغة العيلامية من أورارتو تعود إلى القرن الثامن ق. م. تتضمن تدخل «كورس» في الحوار بين چلچامش وصاحبة الحانة، وهذا قد يعني أن الملحمة أو بعض أجزائها كانت تمثل مسرحياً.

(٢) يشير طه باقر هنا إلى أن تشريع حمورابي (المادة ١٠٩) فرض عقوبة شديدة على صاحبات الحانات إذا هنّ آوين المتآمرين وقطاع الطرق. ويستعمل النصّ البابلي كلمة «سابيتم» لبائعة الخمر وهي التي حافظت عليها اللغة العربية في «سبأ» و«سباء» أي بائع الخمر أو شاريه.

إجابة صاحبة الحانة

25 [توجّهت صاحبة الحانة إليه]

(إلى) چلچا [مش]:

تقع إجابتها في ثمانية أسطر مفقودة هي أيضاً ويمكن قراءة كلمة «باب» ومن المحتمل أن تكون قد شرحت له لماذا أوصدت الباب. ويتّضح من إجابته لها أنها سألته عن سبب قدومه:

چلچامش يقدّم نفسه

34 [توجّه إليها چلچامش] (توجّه)

[إلى صاحبة الحانة] (قائلاً):

35 «[أنا الذي تغلبت وقضيت على

[الثور العملاق الذي نزل من السماء]؛

[أنا الذي أعدمت حارس الغابة]

[وقطعتُ رأس (هذا) الهمبابا]

[الذي كان يستقر في غا] بة الأ [رز].

[أنا الذي قتلت أسوداً في الممرّات الجبلية]!

[توجَّهَتْ إليه صاحبة الحانة] (توجَّهت) إلى چلچامش (سائلةً)

تسأله عن مظهره وعن حالته

40 إنْ كنتَ أنت حقّاً الذي أعدم حارس [الغابة]

وقَطَعَ رأسَ (هذا) الهمبابا، الذي يسكن غابة الأرز،

وقتل السباعَ في [الممرات] الجبلية،

و[غلب] وقضى على الثور العملاق

الذي نزل من السماء،

[فلماذا أصاب الهزال وجـ] ـنتيك، وانهارت تقاطيع وجهك؟

[وتملك الحزن قلبك، ومعالم وجهك
(كذلك) أصابها الضنى
[ولماذا قَلَقٌ كهذا، تملّك] منك أحشاءك؟
(ولماذا) هذا المظهر [لمسافرٍ قادمٍ من بعيد]؟
ووجهك لوّحته آثار [القرّ والحرّ]؟
[ولماذا. . . . .] كنت تهيم في السهوب؟»

إجابة چلچامش

50 توجه إذن چلچامش إلى صاحبة الحانة (قائلاً):

العمود الثاني

1 صديقي، الذي كثيراً ما أحببته، و[الذي اجتاز معي عدداً من التجارب]
أنكيدو، الذي كثيراً ما أحببته و[الذي اجتاز معي الكثير من التجارب]
[صَرَعَهُ المصير (المشترك) الذي ينتظر (جميع) البشر]
ستة أيا [مٍ وسبع ليالٍ بكيته]،
[ورفضت دفنه]
5 إلى أن سقطت [الديدان من أنفه].
[(عند ذلك) بدأت أرْهبُ الموت، وهمت في السهوب]
[. . . . .]
[. . . . .] فاجعة صديقي أنكيدو وقعت عليّ
[همت طويلاً في السهوب]
[حاملاً] مأساة أنكيدو، [صديقي]
10 (نعم) همت [طويلاً في السهوب]!
[كيف يمكنني أن أصمـ] ـتَ وأن أبقى هادئاً،

[وصديقي الذي أحببتُه، عاد إلى] الصلصال!
أنكيدو، صديقي الذي أحببته عا [د إلى الصلصال]!
وأنا، ألا يجب عليّ مثله، أن أرقد
[لكي لا أستيـ] ـقظ أبداً، أبداً؟»[١]

چلچامش يسأل سيدوري عن الطريق إلى أوتا ـ نافيشتي

15 توجّه چلچامش (مرة أخرى) إلى صاحبة الحا [نة] (سائلاً):
«والآن، يا صاحبة الحانة، أين هي الطريق
(التي تؤدي) إلى أوتا ـ نا [فيشتي]؟
علّميني كيفية الاستدلال عليها، علميني ذلك!
إذا كان ذلك ممكناً، سوف أجتاز (هذا) البحر!
(وإلا) فسأتابع هيامي في السهوب!»

سيدوري تحذره من صعوبة الطريق وتحيله إلى النوتي

20 توجّهت إليه إذن، صاحبة الحانة
(توجّهت) إلى چلچامش (محذِّرةً):
لم يكن هناك قطّ، (أيُّ) اجتيازٍ يا چلچامش!
منذ الأزمنة الأكثر قدماً، لم يعبر أحد قط (هذا) البحر!
(وحده) شمش الباسل، يجتازه![٢] من

---

(١) النسخة البابلية القديمة تقدم هنا إجابة لسيدوري تشرح لچلچامش حول حتمية الموت الذي فرضه الآلهة على البشر واحتفظوا لأنفسهم بالحياة الأبدية. وفي هذه الإجابة بعض ما سيرد فيما بعد حول شرح وحكمة أوتا ـ فيشتي في العمود السادس من نهاية اللوحة العاشرة.

(٢) أي أن شمش يأتي من أقصى الشرق عبر هذا البحر بعد أن يكون اجتاز ليلاً تحت سطح الأرض المسافة بين الغرب والشرق.

باستثناء شمش، يمكنه ذلك؟

الممر ضيّق، والاجتياز محفوف بالصعوبات؛

25 وبالإضافة إلى ذلك، فهنا وهناك،

توجد مياه الموت التي تحول دون الاجتياز.

كيف يمكنك (إذن) يا چلچامش اجتياز هذا البحر؟

ما عساك أن تفعل، لدى وصولك إلى مياه الموت؟

إلا أنه يا چلچامش هناك أورشنابي[١]

نوتي أوتا ـ نافيشتي.

إنّه في الغابة، برفقة من هم من الحجر[٢]

يقطع الأغصان (؟)

30 إذهب وقدّم نفسك له!

[وإن أمكن ذلك] قم بالاجتياز برفقته، وإلاّ

فعد من حيث أتيت!»

چلچامش يهدد النوتي لإجباره على نقله

لدى سماعه ذلك

أمسك چلچامش ببلطته

وامتشق سيفه من غمده، وراح خلسةً للقائهم

35 وبسرعة سهمٍ [وجد] وه أمامهم.

---

(١) (Ur-Shanabi) اسم سومري بمعنى خادم ـ الثلثين (أي ثلثي الستين = ٤٠) وهذا رمز الإلّه أنكي/إيا سيد الأبسو.

(٢) الآراء مختلفة حول «من هم من الحجر»: فالنسخة الحثية تؤدي معنى صور أو تماثيل، وقد تبنى (شافير): أشياء حجرية؛ و(د. الأحمد): تماثيل صخرية؛ و(طه باقر): صور حجرية. ولا نعلم شيئاً دقيقاً حولها، فقد تكون تماثيل تعويذية لحماية السفينة أثناء العبور، أو أثقال لتأمين توازنها. ولا نعتقد أن العثور على مراسي حجرية نذرية في أوغاريت وبيبلوس له علاقة بذلك.

دوى صوته في الغابة.

عندما رأى أور ـ شنابي بريق [السيف][١]،

وإذْ سمع صوت صدم البلطة، لاذ بالفرار[٢]،

لكن چلچامش [نكز] رأسه (؟)

40 وأمسك بيده، فلهث صدره (خوفاً)[٣]

الأشياء الحجرية التي تحمل الأمان للسفينة

والتي بدونها لا يمكن (اجتياز مياه) الموت

حطّمها چلچامش، ورمى بها في البحر الفسيح

في المياه التي احتفظت بها

45 حطّمها و[........] نحو النهر

[...........] السفينة

[...........] على الشاطىء

[...........] النوتي

[....................]

50 [..... كَ .....] لكَ»

هكذا ينتهي العمود الثاني ويمكن التصور أن چلچامش ومن ضمن تشويه الأسطر الأخيرة، طلب من أورشنابي نقله إلى الشاطىء المقابل للقاء أوتا ـ نافيشتي.

العمود الثالث

أور ـ شنابي يسأل چلچامش

1 توجّه أور ـ شنابي إلى چلچامش (سائلاً):

---

(١) (شاڤير) يقدّم لهذا السطر قراءة مختلفة: عندما رأى أور ـ شنابي أن بريقاً (خارقاً) للطبيعة/ يكسو جسده.

(٢) أخذ يرتجف أمامها كتب (شاڤير) عوضاً عن لاذ بالفرار.

(٣) الأسطر (٤٠ ـ ٥٠) لم يوردها (بوتيرو) وقد أخذناها عن (شاڤير).

[لـمـا] ذا أصـاب الـهـزال وجـنـتـيـك، وانـهـا [رت] تـقـاطـيـع [وجهك]
وتملك [الحزن] قلبك، ومعالم وجهك
(كذلك) أصابها الضـ [ـنى]؟
[لماذا قلق كهذا تملّك منك [أحشاءك]؟
5 (ولماذا) هذا المظهر لمسافرٍ قادمٍ من بعيد
لوّحت [وجهه] آثار [القرّ والحرّ]؟
ولماذا [. . . . .] كنت تـ [ـهيم في السهوب]؟»

إجابة چلچامش

توجّه [إليه] چلچامش، (توجّه) إلى
[أور ـ شنابي] (قائلاً):
كـيـف لا يـصـيـب الـهـزال وجـ [ـنتي]، وتـنـهَـا [ر تـقـاطـيـع وجهي]!
10 ويتملّك الحزن [قلبـ] ـي ومعا [لم وجهي]
(كذلك) يصيبها الضـ [ـنى]!
[كيف قـ] ـلقٌ كهذا لا يتملك مـ [ـنّي أحشائي]!
[وكيف لا يكون لي] هذا المظهر [لمسافرٍ قادم من بعيد]!
لوّحت [وجهه] آثار [القرّ والحرّ]!
[وكيف لا أهيم في السهوب!]
15 وصديقي، البغل المتشرّد، حمار الصحراء الأخدري
وفهد السهوب![1]
أنكيدو، صديقي، البغل المتشرّد، حمار الصحراء
الأخدري وفهد السهوب،

---

(١) يستعير هنا چلچامش ما ورد في رثائه السابق (اللوحة الثامنة العمود الثاني، السطران ٨ و٩).

[معاً عبرنا الجبال]
[(معاً) غلبنا وقضينا، على الثور العملاق]
[وقطعنا رأس (هذا) الهمبابا، الذي
كان يسكن في غابة الأرز]
20 [(معاً) قتلنا السباع، في ممرات الجبال]،
صديقي [الذي أحببته كثيراً]
[والذي اجتاز معي العديد من التجارب]،
أنكيـ [ـدو، الذي كثيراً ما أحببته]،
[والذي أجتاز معي العديد من التجارب]،
[صَرَعه المصير (المشترك) الذي ينتظر جميع البشر]،
ستة أيا [م وسبع ليالٍ بكيته]
[ورفضت دفنه]،
25 [إلى أن سقطت الديدان من أنفه]،
(عند ذلك) بدأت أرتـ [ـهب الموت وأخشاه]،
[وهمت في السهوب]
[حاملاً] مأسـ [ـاة صديقي]،
همت [طويلاً] في السـ [ـهوب]،
[حاملاً فاجعة أنكيدو]،
[همت طويلاً في السهوب]!
(نعم) تشرّ [دتُ طويلاً وهمت في السهوب].
30 [كيفـ] يمكنني أن أصـ [ـمت]، وأن [أبقى هادئاً]؟
و[صـ] ـديقي الذي أحببته، عا [د إلى الصلصال]!
[أنكيدو، صديقي الذي أحببته، عاد إلى الصلصال]!
وأنا، ألا يجب عليّ مثله، أن أر [قد]
[كي لا أستيقظ أبداً، أبداً؟»]

چلچامش يسأل عن الطريق
للوصول إلى أوتا ـ نافيشتي

توجّه چلچامش (مرة ثانية) إليه، إلى أور ـ شنابي (قائلاً):
«والآن، يا أور ـ شنابي، أين هي
[الطريق المؤدية إلى أوتا ـ نافيشتي؟]
35 دلّني على كيفية التعرف عليها، [دلّني] عليها!
إذا كان ذلك ممكناً، فسوف أجتاز هذا البحر
[وإلا فسوف أتابع هيامي في السهوب!]

الاستعداد للاجتياز

توجّه أور ـ شنابي إليه، (توجّه) إلى چلچامش (معلناً):
بيديك أنت يا چلچامش، عطّلت [الاجتياز]، لأنك
حطّمت من هم من الحجر[١] وانتز [عت (؟) مرابطهم (؟)]
40 وبما أن من هم من الحجر تمّ تفتيتهم،
وبما أن مرابطهم قد انتُزعَتْ،
خذ إذن بلطتك بيدك،
ادخل إلى الغابة، واقطع مائة وعشرين محجناً
بقياس خمس نيندات[٢] لكل واحد
عَرِّها من أغصانها وزَوّد أطرافها بحلمات[٣]

---

(١) مما سيضطر أور ـ شنابي اللجوء إلى استعمال المحاجن للاجتياز وهذا ما سيكلف به چلچامش مع ضرورة احترام احتياطات معيّنة عند الوصول إلى مياه الموت.

(٢) (Ninda) = ١٢ ذراعاً، والذراع ٠,٥٠ م تقريباً، وهكذا فإن المحاجن هي بطول ٣٠ م كل واحد.

(٣) بالأكادية: (تولو) ومعناه ثدي المرأة وكل وعاء ذي شكل مستدير. وهي هنا رؤوس معدنية على الأرجح تجعل المحجن أكثر ثباتاً في قاع البحر (بوتيرو).

ثمّ اجلبها إليّ.
لدى سماع (چلچامش) ذلك
45 حمل بلطته بيده، وامتشق سيفه من غمده
(ثم) دخل إلى الغابة و[قطع مائة وعشرين]
محجناً بقياس خمس نيندات لكل واحد،
عرّاها وزودها بحلمات، وأتى بها إلى [أور - شنابي]،

المرحلة الأولى من الاجتياز

بعد ذلك، فإن چلچامش وأور - شنابي أبـ [ـحرا]،
بعد أن دفعا بمركبتهما إلى الماء وصعدا إليها
50 وخلال ثلاثة أيام، قطعا مسافة شهر ونصف[١].
(عندما) وصل أور - شنابي
إلى ممر مياه [الموت]

العمود الرابع
نجاحهما باجتياز مياه الموت

1 توجّه (أور - شنابي) إليه، توجه إلى چلچامش (قائلاً):
ابتعد عن الشط و[خذ أول محجن]
يجب ألاّ تمسّ يداك مياه - الموت والإ [. . . . . .]
خذ يا چلچامش بعد ذلك المحجن الثاني
والثالث والرابع
5 ثم الخامس والسادس والسابع
و(بعد ذلك) الثامن والتاسع والعاشر،

---

(١) نعود هنا إلى سرعة العمالقة التي عرفناها سابقاً في تنقلات چلچامش وأنكيدو. والبحر المتوجب اجتيازه هنا يمتد لمسافة ٥٠٠ كم تقريباً.

ثم الحادي عشر والثاني عشر

وعند المحجن العشرين بعد المائة،

انتهى چلچامش من استعمال المحاجن

حلّ عند ذلك حِزامه [......]

10 تجرّد من ثيابه،

وبيديه [دفع السفينة وجعلها تتقدّم (؟)]

أوتا ـ نافيشتي
يشاهدهما عن بعد

كان أوتا ـ نافيشتي، ينظر بعيداً

وبعد أن تفحّص ما رآه

استعرض الأفكار في قلبه (قائلاً) لنفسه:

15 «لماذا من هم من حجر في المركب

قد تم تحطيمهم؟

ولماذا هذا الغريب يقود المركب؟

هذا الذي أتى لمقابلتي، ليس من رجالي:

وكذلك إلى اليمين (؟) [......]

مهما أطلتُ النظرَ (إليه) أنا لا (أتعرّف عليه)

مهما أطلت النظر (إليه)، لكنني [......]

20 نعم، مهما أطلت النظر [......]»

الأسطر (٢١ ـ ٤١) مفقودة ونجهل محتواها، وعندما يتضح النص نجد أوتا ـ نافيشتي في حوار مع چلچامش.

اللقاء مع أوتا ـ نافيشتي

42 [أوتا ـ نافيشتي، توجّه نحوه (توجّه)

نحو چلچامش] (سائلاً):

[لماذا أصاب الهزال وجنتيك،
وانهارت تقاطيع وجهك]؟
[وتملّك الحزن قلبك، ومعالم وجهك
(كذلك) أصابها الضنى]؟
45 [لماذا قلقٌ كهذا تملّك منك أحشاءك؟]
[(ولماذا) هذا المظهر لمسافرٍ قادمٍ من بعيد]،
[لوّحت وجهه آثار الحرّ والقرّ]؟
[ولماذا. . . . كنت تهيمُ في السهوب؟]

إجابة چلچامش

[چلچامش توجّه إليه، إلى أوتا ـ نافيشتي (شاكياً):
50 [«آه! يا أوتا ـ نافيشتي، كيف لا يصيب الهزال
وجنتيّ وتنهار تقاطيع وجهي!]

العمود الخامس

1 [ويتملّك الحزن قلبي]، ومعا [لم وجـ] ـهي يصيبها الضنى؟
[(كيف) قلقٌ كهذا، لا يتملك منّي] أحشا [ئي]
[وكيف لا يكون لي] هذا المظهر
[لمسافرٍ قادمٍ من بعيد؟]
[لوّحت] وجهه آثار [القرّ والحرّ!]
5 [وكيف لا أهيم في السهوب؟]
[وصديقي، البغل المتشرّد، حمار الصحراء
الأخدري]، وفهد السهوب
[أنكيدو، صديقي، البغل] المتشرد، حمار الصحراء
الأخدري، وفهد السهوب،
[معاً عبرنا] الجبال

[معاً، غلبنا وقضينا، على الثـ] ـور العملاق

10 [وقطعنا رأس (هذا) الهمبابا] الذي كان

يسكن [في غابـ] ـةِ الأرز

[(معاً) قتلـ] ـنا السباع، [في ممرات الجبال]،

[صديقي، الذي أحببته كثيراً، [والذي

اجتاز] معي العديد من التجارب

[أنكيدو الذي كثيراً ما أحببته والذي اجتاز]

معي العديد من التجارب

[صَرَعهُ المصيرُ (المشترك) الذي يصيب جميع البشر]،

[ستة أيام وسبع ليالٍ] بكيته

15 [ورفضت د] فنه،

[إلى أن سقطت الديدان من أنـ] ـفه]،

[عند ذلك بدأتُ أرتهب] الموت وأخشـ [ـاه]

[وهمت في السهوب]،

[حا] ملاً [مأساة صديقي،

[همتُ] طويلاً [في السهوب]

حاملاً [فاجعة أنكيدو] صديقي

[همت] طويلاً [في السهوب]!

20 [كيف] يمكنني أن أصمت وأن أبقى هادئاً؟

[وصديقي الذ] ي أحببته، عاد إلى الصلصال!

أنكيدو، صديقي [الذي أحببته، عاد إلى الصلصال!]

< أنا > ، ألا يجب عليّ مثله، أن أرقد

لكي لا أستيقظ أبداً [أبداً]؟»

چلچامش يشرح سبب قدومه

وتوجّه كذلك چلچامش إلى أوتا ـ نافيـ [ـشتي] (مفسّراً):

«إذن (قلت في نفسي) سأذهب للقاء

أوتا ـ نافيشتي ـ البعيد، كما يقال عنه!

25 و(لهذا) رحتُ أجولُ وأسعى في كل مكان،

قطعت الجبال الأصعب منالاً

اجتزت البحار، جميع البحار!

من المؤكد أنّ وجهي لم يشبع النوم المريح[١]

لقد أُرْهِـ [ـقتُ لكثـ] ـرة تسهّدي، وأَشبَعْتُ

بالإعياء عضلي، وما عساي جنيت [. . .]؟

30 وقبل أن أصل عند صاحبة الحانة،

كانت ثيابي قد بليت.

قتلت دِبَبَةً وضباعاً وأسوداً وفهوداً ونموراً

وأيايل وحيواناتٍ متوحشة صغيرة وكبيرة،

لكي آكل لحمها وأكتسي بجلدها.

[لو أن باب القلق، يمكن سدّه] بالزفت والقار!

لكن [القدر (؟)] لم يترك لي مجالاً للتسلية

35 لقد مزّقني وها أنا أندب تعاستي!»

أوتا ـ نافيشتي يحاول إقناع جلجامش بقبول مصيره مثل غيره

أوتا ـ نافيشتي، توجه إليه، إلى جلجامش[٢] (مواسياً):

«لماذا يا جلجامش [تغالي (؟)] هكذا بيأسك؟

أنت الذي شكّلته الآلهة من جسد إلّهي ـ بشري[٣]

---

(١) ترجمة حرفية عن الأكادية.

(٢) يتذكّر الشاعر فيما يلي التقليد القديم الذي يجعل والد بطل الطوفان قد ترك له مجموعةَ حِكم مكتوبة استفاد منها في علاقته مع الإلّه الذي كشف له قرار إطلاق الطوفان (انظر النصّ رقم ٥٦ من الكتاب الثاني).

(٣) ترجمة حرفية.

وعاملوك مثل أبيكَ وأمك[١]

40 فهل أنت يا چلچامش [تماثل] أبـ [ـلهاً] (لا يدري)

فالآلهة في مجلسهم خصّوك بعرش[٢]

والأبله يمكن جَعْله يعتقد أن حثالة الجعة

العتيقة هي دهن ناهم!

وأن نخالةً ونفايات، هي [. . . .]

إنه[٣] يرتدي [. . .] عوضاً عن [. . . .]

45 ويشدّ إلى خصره [. . .] عوضاً عن الحزام.

لَيْست له قطّ [قدرة على التمييز]

ولا يملك حسّاً سليماً [. . . . .]

48 تذكّر ذلك يا چلچامش!

تتوقف ترجمة (بوتيرو) للعمود الخامس عند هذا الحدّ بسبب التشويه ويلخص متكهناً بالمحتوى العام لما لَمْ يقم بترجمته، وذلك بالاعتماد على بعض ما أمكن قراءته، بأن أوتا ـ نافيشتي يحاول بحكمته إقناع چلچامش بأن لا بدّ له من قبول المصير المحتوم لجميع البشر وقضاء وقته في خدمة معابد الآلهة بتموينها وخدمة شعبه مؤمِّناً له السلامة والرفاه عوضاً عن هجرِ كل ذلك، سعياً وراء ما لا يمكن تحقيقه، إذْ لا أحد يمكنه تفادي المصير المحتوم. وهنا تكمن عقدة الملحمة، وهذا ما يوحي به تصرف چلچامش لدى عودته إلى أوروك وقبوله الفشل في الحصول على الحياة الأبدية والاهتمام بمملكته عملاً بنصائح البطل ـ البعيد.

تتمة العمود الخامس
عن ترجمة (شاڤير)

49 رفع چلچامش رأسه

---

(١) أي أنهم لم يرفضوا لك شيئاً مما ترغب.

(٢) قراءة مختلفة (لشاڤير) بمعنى: «منذ متى خصّ الآلهة (الأبله) بعرشٍ في مجمعهم؟!».

(٣) أي الأبله.

50 عندما [...] سيدهم مثلما [...]

51 [.......................]

52 [.......] الإله سن[1] والإله [..........]

53 [.......] الإله سن والإله إنليل[2] [...]

54 نبّها الآلهة [.........]

55 معركة بدون توقف [..........]

56 منذ أن وجد نفسه [..........]

أنت الذي صَمّمتَ [...........]

رفقتك مثل عود قصب مهتزّ

إذا عَمدَ الآلهة يا چلچامش [........]

60 معابد الآلهة الطاهرة [........]

الإثنان [.......] الآلهة [...]

أربعة أسطرٍ مفقودة.

العمود السادس

ما وصلنا من العمود السادس العائد للّوحة العاشرة يقارب الثلاثين سطراً وقد نشره وعلّق عليه العالم لامبير[3] في عام ١٩٨٠ خلال اللقاء السادس والعشرين لعلماء اللغة الآشورية في كوپنهاچن[4].

نقص سطرين في البداية.

3 [عندما خلق الآلهة البشر]،

[خصّصوا لهم الموت][5]

---

(١) (Sin) الإله القمر.

(٢) (Enlil) إله الهواء وسيد مجمع الآلهة وهو الذي أطلق الطوفان.

(٣) (W.G. Lambert) الذي قدم بحثه تحت عنوان (The Theology of Death).

(٤) جزء اللوحة المقصود هو مصنف تحت رمز (Sm 1681).

(٥) السطران (٣و٤) مأخوذان عن كسرة ميسنير (Meissner) بالبابلية القديمة.

5 وجعلوا الحياة الأبدية مصيراً لهم.

[. . .] أنت همت على وجهك باستمرار،

فماذا جنـ [ـيت]؟

بهيامك هذا، أضنيت نفسك

وأشبعتَ بالإعياء عضلك

مما يقرّب منك نهاية مدى أيامك

10 البشر سوف يُحصدون مثل عيدان القصب(١)

الشاب الجميل والفتاة الجميلة وإن كانا يرتئمان(٢)

سوف يواجهان الموت كلاهما

كلاّ، ما من أحدٍ يستطيع رؤية الموت

وما من أحدٍ يمكنه رؤية وجه الموت.

15 ما من أحدٍ يمكنه سماع صوت الموت

شرسٌ هو الموت، إنّه حَصّاد البشر(٣)

هل نبني بيوتنا إلى الأبد؟

هل نختم عقودنا إلى الأبد؟

هل يتقاسم الإخوة ميراثهم إلى الأبد؟

20 هل يستمر الكره في البلاد إلى الأبد؟

هل ترتفع مياه النهر، لتأتي بالفيض إلى الأبد؟

ومثل اليعاسيب، يحملها (ميتةً) مجرى الماء!

فالوجوه التي كانت ترى النور

فجأةً لا يبقى منها شيء!

---

(١) تشبيه البشر بالقصب نجده في إنجيل لوقا (٧: ٢٤) ومتّى (١١: ٧) وكذلك في خواطر (پاسكال Pascal): «الرجل، هذه القصبة العاقلة» أو «المفكرة».

(٢) حافظنا على التعبير الأكادي: بمعنى يتحابّان أو يتضاجعان، وقد يكون الشاعر أراد التذكير بعلاقة أنكيدو والغانية.

(٣) وردت الصورة في سفر أرميا (٩: ٢٠): «الموت يحصد الأطفال في الشوارع».

25 النوم والموت سيّان[١]

ما من أحد قط رسم صورةً للموت

(و(مع ذلك) فالبشر منذ تدبيجهم، هم سجناؤه (؟)

منذ أن [. . . . .][٢]

الآلهة ـ العظام المجتمعون

ومامّيتو[٣] صانعة المصائر قررت معهم:

فرضوا (علينا) الموت كما فرضوا الحياة

لكن الموت، لم يكشفوا عن أجله![٤]

(نهاية اللوحة العاشرة)

---

(١) قراءة مختلفة (لشافير): «المبتهل والنائم لهما الفم نفسه (؟)».

(٢) قراءة مختلفة (لشافير) بالنسبة للسطرين ٢٧ و٢٠:

«الرجل بعد موته،

هل يستمر في ترديد ابتهالاته؟»

(٣) (Mammitu) الإلهة ـ الأم التي شاركت في خلق البشر وتقرير المصائر.

(٤) أو: لم يُكشف عن أجله.

اللوحة الحادية عشرة

فشل چلچامش والعودة إلى أوروك

هذه اللوحة من نسخة نينوى هي من حسن الحظ كاملة، ولا ينقصها سوى بعض الكلمات.

چلچامش يسأل أوتا ـ نافيشتي عن كيفية منحه الحياة الأبدية

1 توجه إليه چلچامش، (توجه) إلى أوتا ـ نافيشتي ـ البعيد
أنا أنظر إليك يا أوتا ـ نافيشتي،
(فأرى) شكلك لا يختلف عن (شكلي)
أنت شبيه بي!
كلا! لست مختلفاً، أنت شبيه بي
5 (إلا أنه)، لم يعد لك جَلَد على القتال.
أنت هنا مستلقٍ على ظهرك، في عطالةٍ هانئة!
[قل لي كيف]، حين قُبلتَ في مجمع الآلهة، حصلتَ
على الحياة ـ بلا ـ نهاية!»؟

أوتا ـ نافيشتي يبوح لچلچامش بسرِّ الطوفان

أوتا ـ نافيشتي، توجّه إذن إليه، (توجّه) إلى چلچامش (معْلناً):
يا چلچامش سأكشف لك عن سر خفيّ
10 سأُفضي إليك بسرٍّ من أسرار الآلهة!
أنت تعرف مدينة شروپّاك

الواقعة [على ضفاف] الفرات
المدينة القديمة، التي كان يرتادها الآلهة.

قرار الآلهة بإحداث الطوفان

(في هذه المدينة)، الآلهة ـ العظام، دفعتهم
قلوبهم إلى إحداث الطوفان:
[المحرِّ] ضون، كانوا آنو أبوهم
وإنليل الباسل، سيّدهم
ونينورتا محافظهم
ورئيس أعمالهم، إينّوجي.

ويتابع أوتا ـ نافيشتي سرد التفاصيل التي رافقت إحداث الطوفان منذ اتخاذ القرار بناء على إصرار الإلّه إنليل، ومن ثمّ إطلاقه وخوف الآلهة من عنفه، ثم توقف كل شيء، والمفاجأة بأن أحد البشر وهو أوتا ـ نافيشتي تمكّن من إنقاذ البشرية بمساعدةٍ سرية وغير مباشرة من قبل إلّه المعرفة والحكمة ومهارة الصنع، إيا. وتتمّ أخيراً مباركة ومكافأة أوتا ـ نافيشتي من قبل الآلهة المجتمعين ويُتّخذ القرار بمنحه الحياة الأبدية ليعيش بعد ذلك بعيداً عن البشر. ولولا نجاح جلجامش في سعيه للوصول إلى مقرّه لما عرفنا هذا السر الخفي، الذي هو من أسرار الآلهة كما أوحى بذلك لنا الشاعر.

لن نكرر هنا نصّ الطوفان كما ورد في اللوحة الحادية عشرة من نسخة نينوى والذي أوردناه كاملاً في الكتاب الثاني تحت الرقم ٥٩ (الصفحات ٢٨٧ ـ ٣٠٠) وتوقفنا عند السطر ١٩٦ حيث يوضّح أوتا ـ نافيشتي لجلجامش قوله:

196 «وهكذا حُملنا بعيداً: وأُسكنّا عند فم الأنهار»

وقبل متابعة نص الملحمة حتى نهاية اللوحة الحادية عشرة، لا بد لنا من الإشارة بأن الكتاب الثاني من هذه المجموعة تضمن جميع النصوص المرتبطة بالطوفان وأهمّها النص (رقم ٥٦) عن «الفائق ـ الحكمة» المتضمن تاريخ البشرية من الخليقة وحتّى الطوفان. كما قد تضمّن نص الطوفان السومري (الرقم ٥٧)،

وطوفان رأس ـ شمرا (النص رقم ٥٨) وكذلك نص الطوفان التوراتي.

أما المراحل التي اشتملت عليها قصة الطوفان في هذه اللوحة من ملحمة چلچامش فإننا نشير إليها وفقاً للعناوين الجزئية التالية التي تضمنها النص المشار إليه في الكتاب الثاني:

- قرار الآلهة بإحداث الطوفان
- تعليمات الإلّه إيا إلى أوتا ـ نافيشتي
- تحفّظ أوتا ـ نافيشتي وإجابة إيا
- تحميل الفلك وانتظار البداية الرهيبة
- الطوفان
- خوف الآلهة أنفسهم
- نهاية الطوفان
- الاستعداد لمغادرة الفلك
- نقاش الآلهة حول مسؤولية إحداث الطوفان
- منح أوتا ـ نافيشتي الحياة الأبدية.

بعد انتهاء أوتا ـ نافيشتي من عرضه يُعلم چلچامش بأنه استفاد بشكل استثنائي بوجوده في حضرة الآلهة المجتمعين حوله بعد الطوفان، سهّل له الحصول على الحياة الأبدية ويبقى ذلك متعذراً بالنسبة لچلچامش، فمن سيجمع الآلهة من جديد؟ وبهذا المعنى يعلن أوتا ـ نافيشتي لچلچامش:

197 وحالياً يا چلچامش، من سيجمع الآلهة من أجلك
لكي تحصل مثلي على الحياة ـ بلا ـ نهاية
التي تفتش عنها؟

التجربة تثبت له بأنه بشري

حاول فقط ألاّ تنام ستة أيام وسبع

ليالٍ (على التوالي)!»

200 لكن چلچامش، ما أن جلس القرفصاء

حتى سقط عليه النوم وكأنّه الضباب!

(قال) أوتا ـ نافيشتي، متوجّهاً إلى قرينته:

«أنظري إلى هذا الشابّ القوي،

الذي يرغب الحياة (الأبدية)!

النوم سقط عليه فجأةً مثل ضباب

205 توجّهت قرينته إليه، (توجهت)

ألى أوتا ـ نافيشتي ـ البعيد (طالبةً):

«هزّه إذن، (هزّ هذا الرجل) كي يستيقظ

ويتخذ طريقه عائداً بأمان!

مروراً بالبوابة الكبرى، ليعود إلى دياره،

لكن أوتا ـ نافيشتي توجّه إلى قرينته (قائلاً):

210 الرجال شكّاكون[١] فهذا قد يحاول (عدم) تصديقك!

أعدّي له إذن إعاشته اليومية من الخبز

وضعيها بالقرب منه يوماً بعد يوم[٢]

وعلى الحاجز تجعلين علامة عن كل يومٍ ينامه!»

أعدّت له إذن إعاشته اليومية (من الخبز)

واضعة إياها بالقرب منه يوماً بعد يوم

وجاعلةً على الحاجز علامة عن الأيام التي قضاها نائماً.

215 الدفعة[٣] الأولى يبست

(١) بمعنى عديمو الثقة ولا يصدقون دون براهين. معظم الترجمات تبنّت: خدّاعون.

(٢) حالة أرغفة الخبز هي البرهان على مرور الزمن.

(٣) (د. الأحمد) و(طه باقر) تبنّيا تعبير رغيف.

والثانية كساها العفن، والثالثة بقيت رطبة
والرابعة ابيضت قشرتها
والخامسة تنقطّت والسادسة صارت بائتة
والسابعة كانت كما يجب، عندما هزّ أوتا ـ نافيشتي
چلچامش فاستيقظ الرجل.
وها هو چلچامش، يتوجّه إليه، إلى
أوتا ـ نافيشتي ـ البعيد (معلناً):
220 ما كاد النوم ينسكب عليّ،
حتّى هززتني وجعلتني أقف على رجليّ!
ولكنّ أوتا ـ نافيشتي توجّه إلى چلچامش (موضحاً):
[«أحرى بك يا چلچا] مش، أن تحصي
إعاشاتك اليومية من الخبز
وأنا أريك الأيام التي نمت خلالها!
225 الدفعة الأولى [يبست]
والثانية أصابها العَـ [ـفن] والثالثة بقيت رطبة
والرابعة ابيضت قشرتها
[الخامسة تنقَّـ] ـطت والسادسة صارت بائتة
والسابعة كانت كما يجب، عندما هززتك فاستيقظت»
(عند ذلك، توجه إليه چلچامش، إلى
أوتا ـ نافيشتي ـ البعيد (شاكياً):
230 «ما العمل يا أوتا ـ نافيشتي وأين الملاذ؟
«القابض» استولى إذن على جسدي
واستقرّ الموت في غرفة نومي!
أنى حملت خطاي، فالموت (في كل مكان) ينتظرني!»
توجه أوتا ـ نافيشتي إليه، إلى
أور ـ شنابي النوتي (قائلاً):

235 «يا أور ـ شنابي، هذا الرصيف، لم يعد يتقبل وجودك،
وهذا الممر البحري يرفضك،
أنت الذي لم تفتأ تجيء وتغدو على
هذه الشواطىء، انصرف عنها!
(هذا) الرجل الذي قُدْتَهُ إلى هنا،
لبدة شعره تسيء إلى جسده،
والجلد (الذي يكسوه) يقضي على جمال جسمه
خذه معك ليستحم!
240 فليغسل حتى النقاوة لبدته هذه!
وليرمِ عنه جلد الحيوان، لكي يحمله البحر، فيعود
جسمه الجميل إلى نضارته!
وليشدّ جبينه بعصابةٍ جديدة
وليرتدِ لباس احتفالٍ، لباساً يليق به[١]
245 قبل أن يتخذ الطريق
244 للعودة إلى مدينته
246 (كما) أن ألبسته يجب أن تبقى نظيفة وجديدة!»
أخذه إذن أور ـ شنابي معه لكي يستحم
فغسل حتى النقاوة لبدة شعره
ورمى عنه جلد الحيوان كي يحمله البحر
250 وإلى جسمه الجميل، عادت (كل) نضارته!
شدّ جبينه [بعصابةٍ جد] يدة
وارتدى لباس احتفال، لباساً يليق به،
وذلك قبل أن يتخذ طريقه، وإلى أن يصل

(١) يعبّر هنا أوتا ـ نافيشتي عن رغبته بأن يعود چلچامش إلى مدينته أوروك كملكٍ وليس كهائم على وجهه.

إلى مدينته

255 فإن [ألبسته، ستبقى نظيفةً] وجديدة!»

العودة إلى أوروك

بعد ذلك، فإن چلچامش وأور ـ شنابي

قرّرا الإبحار:

بعد أن أنزلا السفينة إلى الماء، صعدا إليها!

(لكن) قرينة أوتا ـ نافيشتي البعيد، توجّهت إليه

إلى قرينها (قائلة):

«چلچامش الذي وصل إلى هنا، بعد عناء كبير وإرهاق

260 ألا تقدّم له أي شيء (بينما) هو عائد إلى بلده؟

لدى سماعه هذه الكلمات، عمد چلچامش

بواسطة محجنه،

إلى تقريب السفينة من الشاطىء.

(عند ذلك) توجّه إليه أوتا ـ نافيشتي (مردّداً):

«چلچامش، إنك وصلت إلى هنا بعد عناء كبير وإرهاق:

265 ما عساي أن أمنحك إيّاه وأنت عائد إلى بلدك؟

سأكشفُ لك عن سرٍ خفيّ

وسأفضي إليك بسر من أسرار الآلهة!

(يتعلق الأمر) بنبتةٍ من النوع الشائك

أشواكها تشبه أشواك الورد، جاهزة

(دوماً) لأن تَخِزَ يَديْك

270 إذا نجحت في الحصول عليها،

[فسيكون لك تجديد الحيوية[١]].

(١) حول النبتة ومحاسنها، تعدّدت القراءات؛ (شاقير): تجد الحياة؛ (باقر): تجد الحياة الجديدة؛ (د. الأحمد): تحصل على الحياة (أي الخلود؟) (بوتيرو): تجد حياة مديدة أو تجديد الحيوية.

چلچامش يعتمد الحصول على النبتة

لدى سماع ذلك قام چلچامش بتنفيذ حفرة،
واستخرج منها أحجاراً كبيرة
تساعده على الوصول إلى [قاع البحر]
حيث [وجد النبتة]
وتمكن من الحصول عليها، على الرغم
من وخز أشواكها [. . . .]
275 ثم بعد أن حرّر رجليه من الأحجار الثقيلة
دفعه البحر إلى الشاطىء.
وتوجّه چلچامش إليه، إلى أور ـ شنابي النوتي (معلناً):
«ها هي النبتة يا أور ـ شنابي، إنها
تحرر من الخوف ـ (من الموت)[١]
بفضلها يمكن استعادة الحيوية.
280 سآخذها إلى أوروك ـ ذات ـ الحظائر، حيث
سأختبر فعاليتها بجعل [شيخ] يأكل منها:
لأن اسمها هو: «الشيخ يستعيد شبابه»!
(ثم) آكل منها أنا، لكي أجدّد شبابي!»

التوجّه نحو أوروك

بعد قطع مسافة عشرين بيرو[٢] تناولا بعض الطعام
(ثم) بعد مسافة ثلاثين بيرو إضافية، خيّما[٣]

---

(١) تحرر من القلق (شافير).
(٢) (berû) وحدة مسافة تعادل ١٠ كم.
(٣) يعود الشاعر هنا إلى المسافات المقطوعة في مراحل التوجّه نحو غابة الأرز، والتي تتم حسب العادة بخطىً عملاقة بمعدل ٥٠٠ كم لمسيرة يوم واحد، ويكتفي بذكر مرحلتين فقط موحياً بمباشرة العودة إلى أوروك.

الاغتسال وضياع النبتة

285 إلا أن چلچامش، شاهد حوض ماء منعش
رمى بنفسه فيه ليستحم
ولكن حيّة، جذبتها رائحة النبتة
خرجت خلسةً من جحرها وحملتها.
وعند عودتها إلى جحرها رمت عنها جلدها(١)

يأس چلچامش والوصول إلى أوروك

290 [عند ذ] لك، جلس چلچامش وبكى
وانسكبت على وجنتيه أدمعه
[أمسك بيد (؟)] أور ـ شنابي النوتي، وقال له:
[من أجل] من، تعبت يداي؟
من أجل من أسَلْتُ دمَ قلبي؟
295 أنا لم أنفع نفسي، ولكنني
نفعتُ «أسد التراب»(٢)
في الوقت الحاضر فإن ارتفاع ـ مياه ـ البحر
يبلغ عشرين بيرو(٣)
والأحجار (التي استخرجتها) من حفرة، تركتها تغرق
وكيف يمكنني من جديد، إيجاد الموقع
الذي دلَّلتني عليه؟

---

(١) هنا «ميتوس أصول» يفسر تجديد الحيّة جلدها كل سنة مجددة بذلك شبابها وبالإضافة إلى ذلك أصبحت الحية رمزاً للحياة، وحيواناً نافعاً ومساعداً على الشفاء، وصارت فيما بعد في صولجان الإلّه هرمس (Hermes) رمزاً للطبّ.

(٢) لقب الحية.

(٣) (شافير): على مسافة ٢٠ بيرو ارتفع الموج؛ (د. الأحمد) على مسافة ٢٠ بيرو، أخذها واحد مني؛ (باقر): على مسافة ٢٠ بيرو خطفها هذا المخلوق مني؛ أمّا (بوتيرو) فيرى في مقدار ٢٠ بيرو ارتفاعاً أسطورياً وُجدت تحته نبتة إعادة الشباب.

تركتُ السفينة على الشاطىء، وأنا
الآن بعيد جداً عنها.
300 بعد قطع مسافة عشرين بيرو، تناولا بعض الطعام، وبعد
قطع مسافة ثلاثين بيرو إضافية خيّما
ووصلا (أخيراً) إلى أوروك ـ ذات الحظائر.

چلچامش يقدم مدينته
أوروك إلى أور ـ شنابي

عند ذلك، توجّه چلچامش إليه، (توجّه)
إلى أور ـ شنابي النوتي (مفاخراً):
إصعَدْ يا أور ـ شنابي، تنقّل على سور أوروك[1]
تفحّص أسَاساته، تمعّن في مواد بنيانه،
أوليس كل هذا من الصلصال المفخور؟
أوليس الحكماء السبعة هم الذين خطّوا
بأنفسهم أساساته
٣٦٠٠ شار للمدينة و٣٦٠٠ شار للبساتين،
٣٦٠٠ شار لمجمّع الصلصال، و١٨٠٠ شار
وقفاً لمعبد عشتار
١٠٨٠٠ شار و١٨٠٠ شار، هذه
هي مساحة أوروك!»
(نهاية اللوحة)

---

(١) يستعيد الشاعر هنا مقدمة الملحمة جاعلاً چلچامش يقدّم بنفسه مفاخراً مدينته أوروك إلى أور ـ شنابي مخلداً اسمه فيها وفي مآثره كملك في خدمة آلهة مملكته وشعب أوروك. وحتى منتصف القرن الأول لما قبل الميلاد يمكننا أن نقرأ في توراة القدس على لسان بن سيراخ (٤١: ١٩) «في الأبناء وابتناء مدينة تخليد للإسم وأفضل من ذلك التحلي بالحكمة».

اللوحة الثانية عشرة

أنكيدو في العالم السفلي واستحضار شبحه

١ ـ هذه اللوحة من نسخة نينوى، هي كاملة بشكل عام، إلا أنه يتخللها بعض النقص في قسمها الأخير. ومع ذلك يمكن استرجاع كامل المحتوى بالاعتماد على النص السومري الموازي، والذي هو في أساس إضافة هذه اللوحة إلى نص الملحمة والتي كانت تنتهي بعودة چلچامش إلى أوروك مع أور ـ شنابي، كما رأينا ذلك في اللوحة الحادية عشرة.

٢ ـ أما الناسخ ـ الشاعر الذي أنجز هذه الإضافة، هو «نابو ـ زوقوف ـ كينا»[١] الذي عاش في كلخ/نمرود حوالى ٧٠٠ ق. م، ويعتقد أن ذلك تمّ في فترةٍ، كانت الحروب الخارجية والداخلية ترسل العديد من الأبطال والمقاتلين إلى الموت، وكان لا بد من إيجاد مصيرٍ ملائم لهم، في العالم السفلي؛ وبشكل خاص، لمن استشهد ببسالة حاملاً سلاحه[٢]. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت تلك الفترة، لم تنسَ بعد أن چلچامش بعد موته وتأليهه كان يقوم بدور القاضي في العالم السفلي وهو الذي كان يمثل البطل المثالي كما نعلم.

٣ ـ النص السومري المعتمد كأساس للوحة الأخيرة من نسخة نينوى كان يتضمن قبل كل شيء قصة شجرة رغبتها إنانّا[٣]، وانتظرت نموها لكي تستخرج منها فيما بعد عرشاً لها وسريراً، ولكن حيّة ونسراً وشيطانة اختاروا إقامتَهم في تلك الشجرة. لجأت إنانّا إلى أخيها أوتو[٤] إلّه الشمس لتخليصها من هؤلاء المتطفِّلين دون نتيجة. وحين توجّهت إلى چلچامش، قام بقطع الشجرة وقَتَلَ الحيّة، كما جعل النسر يلتجىء إلى الجبل وهربت الشيطانة إلى الصحراء.

---

(١) (Nabu-Zuqup-Kêna) بمعنى «نابو أقِمْ الحق» والإلّه نابو هو ابن مردوك.

(٢) انظر السطرين (١٤٨ و١٤٩) من النص.

(٣) (Ianna) وهي عشتار البابلية.

(٤) (Utu) = شمش البابلي.

٤ ـ وكمكافأةٍ له، قدمت إنانا لچلچامش، أجزاءاً من الشجرة سمحت له بصنع «الپوكّو والميكّو»[١] وهما أداتان، فرح چلچامش باقتنائهما. ويذكر النص السومري فيما بعد بأن الأداتين سقطتا في العالم السفلي وحزن چلچامش لفقدانهما وبكى، ولكنّ خادمه أنكيدو يقدّم نفسه للنزول إلى العالم السفلي لاسترجاعهما.

ونحن نجهل سبب سقوط الأداتين في العالم السفلي، ولو أن البعض، اعتبر أن متابعة چلچامش في ظلم رعاياه هو الذي كان وراء فقدان الپوكّو والميكّو.

٥ ـ حين تمّت العودة إلى النص السومري، في فترةٍ تفصلها أكثر من ١٠٠٠ عام عن أحدثِ استنساخٍ للنص السومري، يُعتقد أن مدلول الأداتين پوكو وميكّو بقي خافياً بالنسبة لناقل النص، الذي كان همّه، هو أن يقدم لنا السبب الذي حدا بأنكيدو للنزول إلى العالم السفلي.

وقد قدّمنا في المقطع ٧ من الفقرة (١٢٢ ـ د) ثلاثة تأويلات عن الپوكّو والميكّو وهي:

* طبل ومقرعته

* حلقة وعصا

* كُرة ومطرقة خشبية

وإذا ما عدنا إلى الكتاب الثالث من «ديوان الأساطير»، نذكّر بأن الإلّه إنكي[٢] حين منح إنانّا أسس الحضارة هديّةً لمدينتها، وحملتها على سفينة السماء عائدة من إريدو[٣] إلى أوروك[٤]، كانت عصا القيادة والصولجان الجليل والرداء الملكي[٥] من بين الهدايا.

وأفضل من ذلك، هي العودة إلى النقوش التي تركتها لنا بلاد ما بين

---

(١) (Pukku) و(Mikku).

(٢) (Enki) إلّه المعرفة والحكمة ومهارة الصنع.

(٣) (Eridu) مدينة إنكي.

(٤) (Uruk) مدينة الإلّهة إنانّا وعاصمة مملكة چلچامش.

(٥) المقصود هو النص (رقم ٨٥) في الكتاب الثالث. وفي ترجمة أخرى لعام ١٩٨٣ لديان ولْكشتين (Walkstein) مع كرامر نجد الحلقة والعصا كأداتي قياس (؟) (ص ١٦).

النهرين، حيث يمكننا أن نلاحظ في النصب الذي أقامه الملك أور ـ نامّو[١] السومري، تمثيل الملك في أحد أقسام النصب، واقفاً أمام الإلّه القمر[٢] وهو سيد المعرفة[٣] وحامي البلاد[٤]. وعلى هذا النصب الذي يعود إلى القرن الثاني والعشرين لما قبل الميلاد، نجد الإلّه القمر يمسك بيده «عصا وحلقة» يتدلّى منها ما يعتقد بأنه حبل. وبسبب وجود الحبل اعتبر بعض العلماء أنهما يمثلان أداتي قياس تستعملان في أعمال البناء، وكأن الإلّه القمر، يأمر الملك المتعبد ببناء معبد.

وفي مثل آخر، نجد «العصا والحلقة» بيد الإلّه شمش[٥] وبدون حبل متدلٍ هذه المرة، حين وقف أمامه حمورابي لتلقي التشريع المعروف باسمه. كان ذلك في القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

وفي نقش آخر يعود إلى القرن التاسع لما قبل الميلاد، نرى الإلّه مردوك[٦] بطل التكوين والخلق ممسكاً بيده اليمنى، مشدودةً إلى صدره «العصا والحلقة» وهما شعاران يمثلان السلطة. وهذا المعنى هو الذي تبنّاه كرامر مع ولكشتين في كتابهما المشترك لعام ١٩٨٣، عن «إنانّا ملكة السماء والأرض»[٧] بالنسبة لمدلول الپوكّو والميكّو مع الإشارة إلى أن جلجامش بعد قطع الشجرة هو الذي صنع لإنانا العرش والسرير وقدمهما هديّة لها وهي بدورها أهدته الپوكّو والميكّو.

٦ ـ هذا ما يمكن قوله حول أداتي الپوكو والميكّو. ومهما يكن من أمر، فإن جلجامش كما أسلفنا، حزن لفقدانهما. وما يهمنا هو متابعة أحداث الملحمة في نقل ما وصلنا من اللوحة الثانية عشرة، التي تبدأ بتحسّر جلجامش على أداتيه، واللتين حافظنا على تسميتهما السومرية ودون تبني أحد التأويلات المعروضة، مع أننا نميل إلى «حلقة وعصا» كشعارين للسلطة منحا من قبل إلّهة.

---

(١) (Ur-Nammu).

(٢) وهو (Nannar) نانار أو (Sin) سن الأكادي.

(٣) الإلّه القمر تحت تسمية (En-Zu) إين ـ زو السومرية.

(٤) الإلّه القمر تحت تسمية (Shesh-Ki) شيش ـ كي السومرية.

(٥) (Shamash) بصفته إلّه العدالة.

(٦) (Marduk) بطل التكوين والخلق.

(٧) من منشورات هارپر وروّ/نيويورك (Harper & Row) (ص ١٤٣) مبتعداً بذلك عن الحلقة والعصا لنصب أورنامو كأداتي قياس (في ص ١٦) كما أشرنا آنفاً.

چلچامش يتحسّر لفقدان
الپوكّو والميكّو

1 «والآن، ليتني تركت الپوكو عند النجار
فزوجته كانت [ستحفظه] لي مثل
(ما تحفظه) أمّي (؟)
وابنة النجّار كانت ستحرسه
وكأنها أختي الصغيرة.
ولكن ها هو الپوكّو، سقط في العالم السفلي
5 وهذا هو الميكّو، سقط في العالم السفلي[١]

أنكيدو يعرض نفسه
لاسترجاعهما

أجاب عندئذٍ أنكيدو خادمه، (متوجّهاً إلى چلچامش:
«سيدي لماذا تذرف الدموع، ولِمَ هذا الحزن؟
اليوم، أنا شخصياً، سوف أستعيد
الپوكّو من العالم السفلي
وسوف أستعيد منه الميكّو بنفسي!

---

(١) لا نعرف كما أسلفنا سبباً لذلك، فهناك من يفترض أن ذلك حدث عقاباً لچلچامش بسبب ظلمه لرعاياه، أو بسبب الضجيج الذي كان يحدثه في حال تبنّي تفسير الطبل ومقرعته؛ أو لأنه كان يجبر شبان أوروك بحمله على ظهورهم وكأنهم دواب في كل مرة كان يتغلّب عليهم في لعبة الكرة والمطرقة وهي نوع من البولو (بحسب شافّير)، وأخيراً لأنه لم يكن بعد على نضجٍ كافٍ للملكية (ولكشتين: المصدر المشار إليه سابقاً مع كرامر).

قبول چلچامش
وإعطاء التعليمات اللازمة

10 [أجاب] چلچامش أنكيدو (محذِّراً):
«إذا ما نزلتَ إلى العالم السفلي،
[عليك اتّباع] تعليماتي!
[لا ترتدِ] ألبسةً نظيفة
لكي لا تُعر [فـ] بأنك غريب (عن المكان)!
15 لا تمتسح بدهونٍ معطّرة[١]
لأن الرائحة التي تنشرها سوف
تجعلهم يتجمّعون حولك!
لا تقذف في العالم السفلي عصا رماية
فالذين تصيبهم يحيطون بك!
لا تشهر هراوةً بيدك
20 فبذلك ترعب الأشباح!
لا تنتعِل حِذاءً:
كي لا تحدث ضجيجاً في العالم السفلي،
لا تقبّل زوجتك المحبوبة (إن التقيتها)
لا تضرب قطّ زوجتك الممقوتة (إن التقيتها)
25 لا تقبّل ولدك المحبوب،
لا تضرب قطّ ولدك الممقوت،
وإلا فاعتراضات العالم السفلي
سوف تقبض عليك[٢].
والتي هي ممدّدة على فراشها، التي هي ممدّدة،

---

(١) حرفياً: دهون جيّد من حق العطور.
(٢) ترجمة حرفية، والاعتراضات هي لمخالفة أنظمة العالم السفلي.

أمّ نين ـ آزو[1] الممددة على فراشها
سوف تنزع الوشاح عن كتفيها[2]
30 ولن يكون صدرها مزيناً مثل حق عطر!

أنكيدو يخالف جميع التعليمات

[لكن أنكيدو لم يولِ اهتما] ماً
[لتعليمات سيّده]:
إرتدى لباساً نظيفاً،
وتمّ التعرّف عليه، بأنه غريب (عن المكان)!
امتسح بدهون [معطّرة]
35 وبسبب رائحته [تمّ التجمع] حوله!
في العالم السفلي، قذف عصا الرماية
والذين [أصابهم أحا] طوا به!
وبيده شهر هراوة
فارتعبت الأشباح (أمامه)
40 كما انتعل حذاءً
فأحدث ضجيجاً في العالم السفلي
قبّل زوجته المحبوبة (حين لقيها)
وضرب زوجته الممقوتة
قبّل ولده الحبيب (حين لقيه)
45 وضرب ولده الممقوت!
كل ذلك أثار اعتراض العالم السفلي

(١) (Nin-Azu).
(٢) حرفياً: كتفاها لن يعودا مستورين بوشاحها والإلّهة المقصودة هنا هي إيريشكيجال (Ereshkigal) بصفتها قرينة نرجال (Nergal) ملك العالم السفلي.

الذي قبض عليه.
والتي كانت ممددة على فراشها، التي كانت ممددة،
أم نين ـ آزو الممدّدة على فراشها
نزعت وشاحها عن كتفيها المقدّستين،
ولم يعد صدرها مزيناً مثل حقّ عطر!

أنكيدو سجين العالم السفلي

50 عند ذلك، لم يُسمح لأنكيدو بالصعود
من العالم السفلي:
ليس الوباء (هو) الذي استولى عليه، ليس
المرض هو الذي استولى عليه، بل العالم السفلي
ليس (نامتار)[١]، جاسوس نرچال، العديم الرحمة
(هو) الذي استولى عليه، بل العالم السفلي.
إنه لم يسقط قطّ في معركة الأبطال،
إنه العالم السفلي الذي استولى عليه!

چلچامش يبكيه ويتضرع من أجله إلى إنليل

عند ذلك، چلچامش، ابن نينسونا
بكى خادمه أنكيدو.
55 ذهب بمفرده إلى الإيكور[٢] معبد إنليل[٣] (وقال):
«أي إنليل الموقّر، اليوم الپوكّو سقط منّي

(١) (Namtar) إلّه الأوبئة وهو مساعد نرچال إلّه العالم السفلي.
(٢) (E. Kur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر (Nippur).
(٣) (Enlil) سيد مجمع الآلهة.

في العالم السفلي
والميكّو كذلك، سقط منّي في العالم السفلي
ولكن [العالم السفلي استولى] على أنكيدو
[الذي نزل] لاسترجاعهما.
ليس هو الوباء الذي استولى عليه
وليس المرض، بل العالم السفلي
60 ليس (نامتار) العديم الرحمة جاسوس نرچال الذي استولى
عليه، بل العالم السفلي!
إنه لم يسقط في معركة الأبطال
إنه العالم السفلي الذي استولى عليه.

إنليل لا يستجيب
والتوجّه نحو سين(١)

ولكن إنليل الموقر، لم [يجبه] بكلمة!
توجّه عند ذلك بمفرده لمقابلة سين الموقّر
(وقال له):
«أي سين الموقّر، اليوم، سقط منّي البوكو
في العالم السفلي
والميكّو كذلك، سقط مني في العالم السفلي.
65 ولكن العالم السفلي استولى على أنكيدو
[الذي نزل] لاسترجاعهما
ليس هو الوباء (الذي) استولى عليه
وليس المـ [ـرض]: بل العالم السفلي!

(١) يستوحي الشاعر هنا وفيما بعد نزول إنانّا/عشتار إلى العالم السفلي ومساعي مساعدتها نينشوبور لإنقاذها (النص رقم ١٠٦ والنص رقم ١١٤) من هذا الكتاب.

ليس (نامتار)، [العد] يم [الرحمـ] ـة جاسوس نرچال، الذي استولى
عليه، بل العالم السفلي!
إنّه لم يسقط في معركة الأبطال
إنّه العالم السفلي الذي استولى عليه!
[لكن سين الموقّر، لم يجبه بكلمة!]، فتوجّه
(عند ذلك) بمفرده لمقابلة إيا[١] (وقال له):

التوجّه إلى الإلّه إيا

60 [«أي إيا الموقّر، اليوم سقط منّي البوكو]
[في العالم السفلي]
[والميكّو كذلك، سقط مني في العالم السفلي]!
[لكن العالم السفلي استولى على أنكيدو]
[الذي نزل لاسترجاعهما!]
ليس هو الوباء الذي استولى عليه]،
[ليس المرض، بل العالم السفلي!]
ليس جاسوس نرچال العديم الرحمة
[الذي استولى عليه، بل العالم السفلي!]
75 [إنه لم يسقط في معركة الأبطال]:
[لكن العالم السفلي هو الذي استولى عليه]!

استجابة إيا

إيا الموقّر [أجابه]،
[أصدر تعليماته إلى نرچال[٢] الباسل والشجاع:

---

(١) (Ea) وهو أنكي السومري إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع.
(٢) (Nergal) ملك العالم السفلي بعد اقترانه بإيريشكيچال كما روى ذلك النص رقم (١١٥).

أي نرچال الباسل والشجاع (قال له):
[نفّذ أوامري (؟)]
إفتح فقط كوّة في [العالم السفلي]
80 لكي [يصعد] منها شبح أنكيدو
و [لكي ينقل] إلى أخيه [تقاليد العالم السفلي!]»
امتثل نرچال الباسل والشجاع لأوامره
فتح فقط كوّة في العالم السفلي:
(عند ذلك) فإن شبح أنكيدو، مثل نفخة هواء
خرج من العالم السفلي:
85 مدّا ذراعيهما، الواحد نحو الآخر[1]
وتعانقا (بحرارة).
ثم أخذا يتبادلان الحديث
ويصعّدان زفرات كبيرة:
«أخبرني يا صديقي
أخبرني!
أخبرني عن عادات العالم السفلي
التي شاهدتها!»
ـ «(كلا!) لن أخبرك (بأي شيء)!
لن أخبرك (بأي شيء)،
90 لأنّه إذا ما رويت لك
عادات العالم السفلي التي شاهدتها،
فإنك سوف تنهار ساكباً الدموع!»
ـ «(إذن) سوف أنهار ساكباً الدموع»! (أخبر)
ـ جسـ [ـدي]

(١) المتحاوران هما چلچامش وروح صديقه أنكيدو التي خرجت من العالم السفلي.

الذي كنتَ تتحسّسه بكثير من الغبطة
تلتهمه الديدان
[مثل قطعة قما] ش بالية
95 جسدي،
الذي كنتَ تتلمّسه بكثيرٍ من الغبطة
يملؤه التراب
[مثل حفرةٍ في الأرض]!»
(عند ذلك) صرخ (چلچامش) [«أوّاه!]»
وسقط إلى الأرض،
[«أوّاه»!] صرخ (چلچامش)
وهو ينهار إلى الأرض.

في هذه الفقرة يصبح نص نينوى صعب التتبّع بسبب النقص والتشويه وقد أكمل بواسطة النص السومري الموازي، مع الإشارة إلى ذلك في اختلاف أرقام الأسطر.

255 ـ [«الذي ليس له سوى ابن واحد] هل رأيته؟»
ـ «نعم رأيته
100 إنّه يبكي بمرارة أمام [مســ] ـمارٍ
مثبّتٍ على جدار
ـ [«الذي كان له إبنان، هل رأيتَه؟»]
ـ [«نعم رأيته:]
إنه يأكل
وهو جالس على آجرّتين في وضعيّة القرفصاء»
ـ [«الذي كان له ثلاثة أبناء، هل رأيته؟»]
ـ [«نعم رأيته:]
260 إنه يشرب الماء
من قربةٍ (كالتي) تحمل في الصحراء!»]

105 ـ [«الذي كان له أربعة أبناء، هل رأيته؟»]

ـ [«نعم رأيته:]

إنه في سعادة (تُماثل) سعادة مالك

[نيرٍ]، يشدّه [أربعة حمير!»]

ـ [«الذي كان له خمسة أبناء]، هل رأيته؟»

ـ «نعم رأيته:

[إنه مثل كاتب] ماهر، لا ينقصه العمل،

يدخل القصر [كما يشاء][(١)]

265 ـ [«الذي كان له ستة أبناء هل ر] أيته؟»

ـ «نعم رأيتُه:

110 [إنه سعيد مثل فلاح[(٢)]!»]

فقدان ستة أسطر.

ـ [«الذي كان له سبعة أبناء، هل رأيته؟»]

ـ [«نعم رأيته:]

[إنه جالس في حضرة الآلهة،

يستمع إلى الموسيقى[(٣)]]

ـ [«الذي ليس له وريث، هل رأيته؟»]

ـ [«نعم رأيته:]

270 إنه يأكل [. . . . !»]

ـ [«الذي كان يخدم في القصر، هل رأيته؟»]

ـ [نعم رأيته:]

---

(١) تشير هذه الصورة إلى أهمية دور الكاتب الاجتماعية. انظر في الكتاب الثالث الفقرة (٣ ـ ١) حول التعليم في مدارس سومر.

(٢) أي الفلاح السعيد الذي تمنحه الزراعة بحبوحة العيش.

(٣) من كان له سبعة أبناء يقاسم الآلهة على ما يظهر حياة الترف والتنعم بالاستماع إلى الموسيقى.

إنه مثل شعار جميل [. . . .][1]

نقص حوالى ٢٦ سطراً في النص الأكادي.

ـ [«المرأة التي لم تلدْ قطّ أطفالاً، هل رأيتها؟»]

ـ [«نعم رأيتها:]

120 ـ [إنها مثل وعاء مثلوم لا تعجب أحداً!»]

275 ـ «[الفتى الذي لم يُعَرِّ قط

حضن زوجته، هل رأيته؟»]

ـ [«نعم رأيته:]

[يمدّون له حبلاً لمساعدته،]

[وهو يبكي (خائفاً)]

ـ [«الفتاة التي لم تكشف قطّ

حضن زوجها، هل رأيتها؟»]

ـ [«نعم رأيتها:]

[يمدّون لها عود قصبٍ لمساعدتها:]

وهي تبكي (خائفةً)

فقدان حوالى عشرة أسطر من النص السومري المتبع.

289 [«الذي. . . هل رأيته؟»

ـ [«نعم رأيته:]

[إنّه يتقلقل مثل ثور تلتهمه الديدان!»]

148 ـ «الذي مات في المعركة، هل رأيته؟»[2]

ـ «نعم رأيته:

149 «أبوه وأمّه يكرّمانه

---

(١) في النص الأكادي إجابة مختلفة وهي: «إنه مثل صانع عديم المهارة يسير ملتصقاً بالجدران (خجلاً)».

(٢) الشهيد الذي مات في المعركة يعامل في العالم السفلي كما يعامل على الأرض يُتابَعُ تكريمه والبكاء عليه.

وزوجته [تبكـ] ـيه

152 الذي لم يبقَ لشبحه أحد

ليعتني به، هل رأيته؟»

ـ نعم رأيته:

153 إنه يأكل حثالات الأوعية

والنفايات المرميّة في الشارع!»

295 /145

ـ «الذي [سقط] من رأس صاري (سفينة)، هل رأيته؟»

ـ «نعم رأيته:

146 إنه ينادي أمّه (لإسعافه)

من أجل انتزاع أوتاد (الربط)!»

147 الذي كان ضحيّة موت مفا [جىء هل] رأيته؟»

ـ [«نعم رأيته:]

إنّه متمدّد على فراشه يشرب الماء البارد

300 [المولودون قبل أوانهم والذين لم يعيشوا

هل رأيتهم؟»]

ـ [«نعم رأيتهم]:

[إنهم يلعبون أمام مائدة من الذهب والفضّة]

[(مزودة) بالزبدة والعسل»][1]

ـ [«الذي رُمي في النار، هل رأيته؟»]

ـ [نعم رأيته:]

303 ليس شبحه (في العالم السفلي)

[روحه (؟) صعدت نحو السماء!»][2]

---

(١) هؤلاء يلعبون ببراءة في وسط مترفٍ تعويضاً عن حرمانهم.

(٢) على اعتبار أن النار تطهّر الأشياء وهذا دور إلّه النار جيرّا (Girra)، وعلى اعتبار أن التقدمات المُحْرَقة تصعد روائحها نحو سماء الآلهة.

150 ـ «الذي تركت جثّته في الصحراء
هل رأيته؟»
ـ «نعم رأيته:
في العالم السفلي،
شبحه لا يعرف الراحة».
(نهاية اللوحة)

(١٢٣) ـ موت جلجامش

١ ـ هذا النص السومري يقع في حوالى ٣٠٠ سطر ولم يصلنا منه سوى ما يقارب ٩٥ سطراً بين كاملٍ ومشوّه. وهو يتمثل في مجموعتين يفصل بينهما نقص قدره ٤٢ سطراً.

يتألف هذا النصّ إذن من جزئين يصعب التأكد بأنهما يمثلان نسخةً واحدة أم نسختين للموضوع نفسه.

ويمكن تلخيص ما فُهم منه كما يلي:

چلچامش طريح الفراش مريضاً ومهدداً بالموت، يلي ذلك ما يُعتقد بأنه حلم، يرى نفسه فيه أمام مجمع الآلهة وهم يستذكرون مآثره ومغامراته: ولوج غابة الأرز والقضاء على همبابا وكذلك لقاؤه مع بطلَ الطوفان[١]. كل هذا وكأنّ الآلهة أرادوا من وراء هذا الاستعراض إبلاغ چلچامش بأنه على ما يظهر يستحق بعد موته، معاملة خاصّة، بحيث يعينّ «حاكماً» و«كبيراً لقضاة» العالم السفلي وهذا من شأنه تعزيته عندما سيستقر في بلد اللاعودة مع عظماء ووجهاء الأزمنة القديمة من رجال ونساء مشهورين.

بقية النص غير واضحة ويخيّل بأنها تصف إعداد المدفن وجنازة البطل. ويعتقد أيضاً بأن چلچامش يحمل معه إلى العالم السفلي ما يسمح له بإنجاز

(١) هذه هي المرة الأولى التي نشهد فيها علاقة سومرية لجلچامش ببطل الطوفان مما يدعم بشكل أقوى الأصل السومري للملحمة وبخاصة فيما يتعلق بسعيه لنيل الحياة الأبدية. ونذكر بأن النص أعلاه يعود نسخه إلى الثلث الأول من الألف الثاني ق. م.

التقدمات إلى أشهر آلهة ذلك العالم.

ويحول التشويه والنقص من فهم أكثر دقة للمحتوى ونهاية النص تبقى غامضة للأسباب نفسها.

٢ ـ بدأ كرامر بنشر هذا النصّ السومري في عام ١٩٤٤، ثم أعاد نشره من ضمن مجموعة النصوص القديمة للشرق الأدنى المعروفة بمجموعة پريتشارد[١] وذلك في عام ١٩٦٩.

وقد نقل هذا النص إلى اللغة العربية الدكتور سامي سعيد الأحمد وضمّنه مؤلفه عن ملحمة چلچامش[٢]، وهو يشغل الملحق رقم ٥ من كتابه ويتضح من خلال هذه الترجمة النقص والتشويه الذي اعترى النص.

وعلى اعتبار أن نص كرامر الإنكليزي لم يكن متوافراً لدينا أثناء تقديم هذا العرض، رأينا أن نستأذن الدكتور الأحمد، باقتطاف بعض الأسطر الواضحة من ترجمته بما يخدم الملخص الذي قدّمناه في الفقرة الأولى.

حول الحلم الذي رآه چلچامش المريض

«أيها الملك چلچامش، إن معنى الحلم (هو):
لقد قضى القدر بالملوكية لچلچامش
ولم يقضِ له القدر بالحياة الخالدة.
[..........]

حول ما منحته له الآلهة وبخاصة الإلّه أوتو

لقد أعطاك الرفعة على الجنس البشري،

(١) Pritchard Ancient Near Eastern Texts Related to Old Testament, Princeton 1969.

(٢) من منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ١٩٩٠.

الهجمات التي لا تنافس، قد منحك (إياها)
الهجمات التي لا يهرب منها أحد، قد منحك (إياها)
[...........]
[...........]

التوجه إلى چلچامش المسجّى

الذي (قضى) على الشرّ، قد رقد، لا يفيق
الذي أقام العدل في البلاد، قد رقد
لا يفيق.
[...........]
ذو العضلات المفتولة، رقد لا يفيق
ذو الملامح الحكيمة، رقد لا يفيق

النواح على چلچامش

لم يكن الواقفون صامتين، ولا شاربو الماء
بصامتين، لقد نصبوا نواحاً
الذين يأكلون الطعام، لم يكونوا صامتين،
شاربو الماء وليسوا بصامتين، لقد نصبوا نواحاً.
[...........]

وفي القسم الثاني، أهل أوروك يزنون العطايا والهدايا التي يحملها چلچامش إلى العالم السفلي

[...............]
يزنون ما يضحون إلى إيريشكيچال[١]
يزنون عطاياهم إلى نمتار[٢]

---

(١) (Ereshkigal) ملكة العالم السفلي.
(٢) (Namtar) مساعد إيريشكيچال.

[. . . . .]

يزنون عطايا خبزهم إلى نينجيزّيدا ودوموزي[1]

إلى إنكي ونينكي[2] إلى إينمول ونينمول[3]

[. . . . .]

وينتهي النص بتمجيد چلچامش.

---

(١) (Ningizida) و(Dumuzi) إلّهان يموتان دورياً ويبعثان وأشهرهما دوموزي/ تموز.

(٢) (Enki) و(Minki) إلّه المعرفة ومهارة الصنع وقرينته.

(٣) (Enmul) و(Ninmul) والدا الإلّه إنليل (Enlil).

(١٢٤) ـ الملك شولجي يفاخر بجلجامش

تعرفنا على الملك شولجي[١] من ضمن الكتاب الأول من هذه المجموعة من «ديوان الأساطير» بمناسبة اشتراكه في الزواج الإلّهي، وهو الملك السومري الثاني للملكية الثالثة في مدينة أور وقد حكم لفترة (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦) ق. م.

تغنّى الملوك السومريون بسلفهم چلچامش وتقرّبوا منه وهم يلقّبونه بالأخ. ونقدم فيما يلي مقتطفات من نشيد تمجيد نُسِبَ للملك شولجي ابن الملك أور ـ نامّو[٢] يتألّف من ١٥٠ سطراً ونُشر في عام ١٩٨١ من قبل كرامر.

1 شولجي راعي سومر الباسل
يحتفل بأخيه وصديقه چلچامش من أجل بَأسه،
يتوجّه إليه من أجل شجاعته:
المتفوّق في المعركة، إنه المدّ الجارف
5 الذي ينقضّ على الأعداء في خضمّ المعركة،
(إنه) العرّادة[٣] على السور المقدس، بارعٌ قذفه.
ضدّ بيت كيش[٤] عبّأتَ جيوشك

---

(١) (Shulgi).
(٢) (Ur-Nammu) (٢٠٩٥ ـ ٢١١٢) ق. م.
(٣) أي المنجنيق المنصوب على سور المدينة.
(٤) (Kish).

أبطاله السبعة، أسرتهم أمواتاً

وملك كيش إينميرباراچيزي[1]

10 دَهستَ رأسه كما يُدهس رأس الحيّة؛

نقلت ملكية كيش (؟) إلى أوروك

(نقص وتشويه)

ظهر اللوحة

1 في الحكم الذي تُصْدر.

من غيرك (تقدّم) على الطريق الجبلي

وسار نحو [. . . . . .]؟

أنت الفائق القوة، قطعت أرز الجبل

توغلت في الغابة المخيفة

السفينة [. . . . . .]

هوّاوا [. . . . . .] (أسَرْتَه؟)

تألّقاته السبعة [. . . . . .]

الصغير [. . . . . .]

من مقرّه المحصّن (أخرجته)

إلى معبد إنليل[2] في نفّر[3] (دخلت)

[. . . . . .] بطلك أسيراً

---

(١) (Enmerbaragezi).

(٢) (Enlil) سيد مجمع الآلهة.

(٣) (Nippur) مقر الإلّه إنليل.

(١٢٥) ـ جلجامش ودوموزي

هذا النشيد الجنائزي ونغمهُ «بالاج»، هو أحد التراتيل الرثائية التي تردد حول موت دموزي؛ ونقدّمه هنا لأنه يشير إلى چلچامش بين آلهة العالم السفلي.

وفي هذا النشيد[١]، تبكي الإلَهة إنانا حبيبها دوموزي سجين العالم السفلي.

أنا من أوروك، أنا فتاة أوروك الصبيّة
ألست خطيبة رجل أوروك؟
أنا الفتاة الصبيّة، لأنني لا ألبس حجاباً.

شوارع كلاّب[٢] غمرتها المياه
أنا الفتاة الصبيّة، أنا من أوروك
[.............]
متى يكون عيد أخي في مدينتنا؟
في شهر آب،
[.............]

---

(١) نُشر هذا النص في عام ١٩٨٣ من قبل م. سيڤيل (M. Civil).

(٢) (Kullab) حيّ من أحياء أوروك وصورة كلاب وأوروك المغمورة بالمياه تبناها الشاعر عن نص سومري آخر نُشر في هذا الكتاب تحت (الرقم ١٠٨) (انظر الأسطر ١٠٩ ـ ١١٢).

في مجمع الأسياد، أخي هو في مجمع الأسياد
أخي دوموزي، في مجمع الأسياد [...]
مع چلچامش، سيّد العالم السفلي
ومع نينجيزّيدا[١] من ضفاف جيرسو[٢] [...]
دوموزي هو مع أقرانه
أنا الفتاة الصبية، لا أستطيع النوم
بسبب دوموزي الممدّد[٣] مثل ثورٍ وحشي».

---

(١) (Ningizzida) ورد شرحه في النص السابق.
(٢) (Girsu) هي مدينة تلّلو الحالية.
(٣) أي المسجّى.

(١٢٦) ـ صلاة موجّهة إلى جلجامش

هذه الصلاة هي جزء من طقس ترتيلي، موجّه إلى الإله شمش ومفقود معظمه، تليه ثلاث صلوات ومنها هذا التوجّه نحو چلچامش. وهي تعطينا فكرة عمّا آل إليه چلچامش بعد موته ودوره الجديد في العالم السفلي.

1 «چلچامش، الملك ذو الكمال، قاضي الأنوناكي[١]
الأمير المتبصّر، مكبِّل البشر،
الذي يتفحّص المناطق، حاكم الأرض[٢]،
سيد عالم ما هو تحت.
إنك قاضٍ ومثل إله، تدرس (الأوضاع)؛
5 تعقد في الأرض[٢] جلساتك، ولا مردّ لقضائك
حكمك لا يتبدّل ولا أحد يزْدري بكلمتك؛
أنت تستجوب، تتفحّص، تحكم، تدرس،
وتتخذ القرار الأفضل[٣].
وضع شمش الحكم والقرار بيدك،
الملوك والحكام والأمراء، يسجدون أمامك

---

(١) (Annunaki) آلهة العالم السفلي.
(٢) الأرض هنا للدلالة على العالم السفلي.
(٣) هذه التفاصيل تدل على دقة المحاكمة وعدم اتخاذ قرارات وأحكام متسرعة.

10 أنت تدرسُ التنبؤات بصددهم، وتقرِّر من أجلهم.
أنا ابن (فلان)، إلَهي (..[1]..) وإلَهتي (..[1]..)
أصابني سوء، ليتك تصدر حكماً بصددي
وتتلفّظ بقرار من أجلي، أنا ساجد أمامك.
أصدر حكماً بصددي، تلفّظ بقرار من أجلي
15 انتزع المرض الذي هو في جسدي
أطرد «كل سوء» [.........]
أبعد السوء الذي هو في جسدي.
[تعال] اليوم بقربي [واستمع لأقوالي]
أنا الذي مجّدتك و[أكْرمتك].
20 نثرتُ من أجلك الطحين الصافي
سكبتُ من أجلك [قربان ماء] وقدّمت
من أجلك ضحيةً طاهرة.
أهديتك لباساً أحمر [...] سفينة أرزٍ
[...] وتاجاً ذهبياً.
وتنفيذاً لأمرك، [.......] من جسمي.
الذين يلاحقونني بدون هوادة، [لإلحاق]
السوء بي (هؤلاء) إقضِ عليهم.
25 سلِّمهمْ ليد نامتارو[2] وزير الأرض (السفلية)
وليقم نينجيزِّيدا[3] حامل ـ عرش الأرض
الفسيحة [بإحكام مراقبتهم]!
وليقمْ نيدو[4] رئيس بوابي الأرض بـ [....]

---

(١) المقصود هنا هو السماح للمصلي بذكر اسم إلَهه وإلَهته الشخصيين.
(٢) (Namtaru) الوزير مساعد ملكة العالم السفلي.
(٣) (Ningizzida) إلَه يموت ويبعث مثل دوموزي.
(٤) (Nedu) رئيس بوابي العالم السفلي.

ولينتزعهم من بين الأحياء.
وليتم عدّهم من بين الأموات
وليتخذوا الطريق [برفقتهم (؟)]!
وليحل تعويذك دون عودتهم [...]
30 مدَّ في عمري كيْ أنشد مديحك».

(١٢٧) ـ أين هم أبطال الأزمنة القديمة؟

الحنين إلى الماضي وإلى أبطاله هو من خصائص البشر. وشعوب عديدة عرفت عصراً بطولياً يقع بين الخيال والواقع التاريخي، وتغنّت ببطولاته وبأبطاله. العصر البطولي في سومر، أشرنا إليه من ضمن الفقرة (١٢٢ ـ أ) وسوف ترد أمثلة عن نصوصه في الفقرة الأولى من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

أما نص الحنين إلى أبطال الأزمنة القديمة الذي نقدّمه فيما يلي كانت له شهرته منذ الفترة السومرية. وقد عثر على نسخ عديدة منه في كل من إيمار[١] وسيپار[٢] وفي أوغاريت[٣] ضمن نشرةٍ ثنائيةِ اللغة كتبت بالسومرية وبالسومرية المقطعية وبالأكادية.

وهذا النص ذو الأصل السومري، هو جزء من صلاة «من أجل الملك» (يحتمل أن يكون الملك (أبي ـ إيشوخ)[٤]) ويرد فيه ذكر چلچامش وأنكيدو وهوّاوا برفقة ملوك ما قبل الطوفان الذين حكموا المدد الطويلة التي نعرفها.

1 وفقاً لإرادة إنكي[٥]، تُرسم الخطط
وتُقرّرُ المصائر.

---

(١) (Emar) هي حالياً مسكنة السورية.
(٢) (Sipar).
(٣) (Ugarit) رأس ـ شمرا ـ أوغاريت سوف يقدم نصوصها الكتاب الخامس.
(٤) (Abi-Eshuḫ) (١٧١١ ـ ١٦٨٤) ق. م.
(٥) (Enki) هو إيا الأكادي وهو مقرر المصائر في مجمع الآلهة.

وحسب رغبة الإرادة الإلّهية، تُعيَّنُ الأحكام.
منذ الأزمنة الأكثر قدماً
لم يُسمعْ قط مثل هذا القول، في فم رجلٍ مضى؛
5 لم تكن [الأرزاق] متماثلة، و[المصائر]
كانت مختلفة.
[. . . . .]
مثل لا نهاية السماء، لا يمكن ليدي أن تطالهم![١]
ومثل أعماق الأرض، لا أحد يعرفهم!
الحياة بكاملها، ليست سوى لمحة بصر[٢]
10 لم تُعطَ للبشر أيام مديدة، هذا هو
الحال ولا جدل في ذلك.
أين الملك آلولو[٣] الذي حكم ٣٦٠٠ سنة؟
أين الملك إيتانا[٤] الذي صعد إلى السماء؟
أين چلچامش (العظيم) الذي سعى إلى
الحياة الأبدية مثل زيوسودرا[٥]
أين هوّاوا [. . . . .]؟
15 أين أنكيدو الذي شهر في البلاد قوّته
أين بازي[٦]؟ أين زيزي (؟)[٧]

---

(١) يستعير الشاعر هنا حكمة سومرية ترد عادةً للتدليل على ضآلة الإنسان بالنسبة لاستحالة بلوغ السماء أو تغطية الأرض، وقد استعملها چلچامش نفسه في حواره مع أوتو لدى استئذانه بالذهاب إلى غابة الأرز (انظر الفقرة ١٢٢ ـ ب/ المقطع ٢) وأراد بها هنا إعطاء صورة عن بعد أبطال الأزمنة القديمة عن حاضره، إذ لا أحد يعرفهم.
(٢) حرفياً: لفتة عين.
(٣) (Alulu).
(٤) (Etana) صعد إلى السماء على جناح نسر وردت قصته في النص (رقم ٧٤) من الكتاب الثاني.
(٥) (Zi-U-Sud-ra) بطل الطوفان السومري.
(٦) (Bazi).
(٧) (Zizi).

أين هم الملوك العظام، الذين فيما مضى
وحتى يومنا هذا:
لم تَعدِ [الأرحامُ] تحمل مثلهم ولم يولد [مثلهم]!
الحياة بدون بهجة، أليست مماثلة للموت؟

20 أيها البطل، أنت الذي غمرك بالنعم إلّهُك
طارد الثور وقم باقتناصه[١]:
كم هو ثقيل الأسى (بعد ذلك)![٢]
مقابل قلب تملؤه البهجة،
من أجل يومٍ واحد من البهجة، هناك
٣٦٠٠٠ يوم من الحزن

25 فلتعمد إلّهة الجعة[٣] كما تفعل من أجل ولدها،
(فلتغْمد) إلى منحك اللذة!
كذلك هو قدر البشرية.

---

(١) تذكير بالقضاء على الثور السماوي.
(٢) الأسى هو أن القضاء على الثور كان سبباً في موت أنكيدو.
(١٣) هي الإلّهة نينكازي (Ninkazi).

(١٢٨) ـ كاتب آشوري متمرّن يبتدع رسالة على لسان جلجامش

الكاتب المتمرن، هو «أدد ـ مُشامِّر»[١] ابن نرچال توكولتي[٢] الكاتب. وقد تمّ العثور على هذا النص وفق ثلاث نسخٍ في سلطان تيپيه[٣]. وهو يعود إلى القرن السابع ق. م، كما هو مرجح مع الإشارة على أنه لم يعثر إلى أي نص موازٍ له في أي إنتاج آخر.

يتصور الكاتب، أن چلچامش، كان قد كَتَب سابقاً إلى أحد الملوك، طالباً منه إرسال أحجار كريمة، بكميات ضخمة جداً من أجل ترصيع تمثال صديقه وحبيبه أنكيدو[٤]، وهو يكتب إليه من جديد، طالباً أشياء أخرى متعددة.

ونقدّم هنا بداية هذه الرسالة، لإعطاء فكرة عن خيَال الكاتب وعن المغالاة التي تجعل من هذا النص محض اختلاق أدبي، وتمريناً على أصول الكتابة كما نعتقد:

1 إلى تيـ[ـ . .[٥]] ملك [. . .[٦] ـ] ـسرانوتّا، قل هذا

---

(١) (Adad-Mushammer).

(٢) (Nergal-Tukulti).

(٣) (Sultan-Tepe) المدينة القديمة في الأناضول على الفرات الأعلى.

(٤) يستوحي هنا الكاتب ملحمة چلچامش وعزم چلچامش على صنع تمثال نذري لصديقه المتوفى.

(٥) اسم الملك غير مقروء.

(٦) بعضهم يقرأ، أشرانوتّا، ويعتبرها تسمية موازية لإشنونا (Eshnuna) أي تل أسمر التي اشتهرت بتشريعها.

«هكذا تكلم چلچامش، ملك أور، ووليد كلاّب[١]
مخلوق آنو و[إنليل] وإيا، ومفضّل شمش
وحبيب مردوك.
هو الذي، مثل حبلٍ مشدود، من الأفق وحتى سمت
السماء، يسيطر على جميع البلاد،
5 بينما الملوك الجالسون على عروشهم، يقبّلون رجليه.
الملك الذي يمسك بزمام البلاد كلّها،
من الشرق إلى الغرب.
ما يلي هو بأمر إنليل إلّه الانتصارات:
جمعتُ من أجل توجيههم إليك ٦٠٠
رجل من نخبة (الرجال).
فيما يتعلق بكتل السَبَج[٢] الكبيرة وباللازورد
المرصّع بالذهب المختار.
10 ما يلزم إعداده لتمثال صديقي أنكيدو، كنتُ كتبتُ
لك ولكنك أجبتني: لا شيء!»
والآن أكتب إليك من جديد، وعندما تصلك رسالتي،
انهض واذهب إلى بلد «إيريش»[٣] وخذ
معك قطيعاً من الخيل
[.....] وكلاباً عضّاضة تهاجم مثل السباع.
[......] ١٠٠٠ حصان أبيض مرقّط بالأسْوَد
15 و٧٠٠٠٠ حصان أسود مرقط بالأبيض
....

(١) (Kullab) هي من أحياء أوروك.
(٢) أي الزجاج البركاني.
(٣) (Erish) بمعنى بلد الرغبة (eresu).

نقف عند هذا الحد، مع الإشارة بأن النص يتابع المغالاة في تعداد ١٠٠٠٠ فرس و٤٠٠٠٠ ثور و. . . وتستمر اللوحة على هذا المنوال حتى السطر ٣٠، حيث يطلب چلچامش تحميل سفن كبيرة وجديدة وهبوط الفرات مع الذهب والفضة حتى رصيف بابل لكي يراها بعينيه. . .

وتتابع الرسالة، أنّه في حال عدم الوصول بتاريخ الخامس عشر من تشرين إلى بوّابة مدينة أور. . . فإن چلچامش يقسم بعددٍ من الآلهة، بأن عقابه، هو وذريته سيكون شديداً.

وفي السطر ٤٠، تتابع الرسالة: إذا ما تم اللقاء، في أور، فعلى العكس أنه سيقبّله هو وعائلته ويقدم لهم چلچامش الهدايا بنفسه، و. . . ويقيم له نصباً تحيط به آلهة حماية على البوابة الخارجية ويأمره بعد ذلك:

44 أرسلْ إليّ بأقصى سرعة إجابةً على لوحتي، وتعال
إلى هنا، عند ذلك لن تخشى منّي أي عقاب.
45 (هذه) رسالة چلچامش، الملك القوي
الذي لا منافس له.

وتنتهي اللوحة بتصنيفها، بأنّها من قبل الكاتب المتمرن الذي أشرنا إلى اسمه في المقدمة.

تلي ذلك اللعنات الاعتيادية على كل من يستولي هذه اللوحة أو يستحصل عليها ثم ينساها. . .

الفصل الثاني

(٢) ـ الحربُ والدَمَار

١ ـ إنه لمن السذاجة أن نعتقد، أو أن نجعل القارىء يعتقد، بأن السلطة والولاء فيما بين المدن ـ الممالك في بلاد الرافدين، تمّت تاريخياً كما صوّرتها أساطير نقل الحضارة وأخبار تبادل الهدايا، وزيارات الودّ والإخاء بين آلهة تلك المدن.

وقد شهدنا الإلّه أنكي يقوم بجولة في أنحاء سومر وآكاد وفي بلاد عيلام، ويصل إلى أطراف البادية، لتنظيم البلاد وتقرير المصائر (النص رقم ٨٣، الكتاب الثالث).

كما شهدنا الإلّهة إنانّا، تزور الإلّه إنكي في أبسو ـ إريدو وتعود بسفينتها، سفينة السماء، محمّلةً بجميع أسس الحضارة لمدينتها أوروك (النص رقم ٨٥ من الكتاب الثالث).

وحين بنى إنكي لنفسه بيته في الأبسو، توجّه بعد ذلك إلى نفّر للقاء إنليل ونيل بركته (النص رقم ٨٢ من الكتاب الثالث).

٢ ـ هذه أمثلة عن بعض أساطير الآلهة، يوم كانت الأمور تسير بمثالية عالم تصوّرته ذاكرة البشر، للتعبير عن مرحلةٍ، كان الآلهة خلالها، يشاركون البشرَ حياتهم ويسكنون معابد مدنهم، ويسمّون ملوكهم ويتابعون أعمال هؤلاء، يحكمون بصددها ثواباً أو عقاباً. ومثل هذه الفترة المثالية، تضمّنت مع ذلك بعض حوادث اللجوء إلى العنف، حين كان يتوجّب على الآلهة أنفسهم،

وإخضاع منطقة بقصد تجريدها من قدسيتها والسماح للبشر باستثمارها، كما حدث ذلك عندما أخضع نينورتا، ابن إنليل، شعب الحجارة، شعب «الجبل الثائر» وحوّله إلى مقالع، وضعت تحت تصرّف سومر، ثم بارك ذلك إنليل. ولم يخلُ هذا النص الملحمي من وصفٍ لعنف المعركة ومقاومة زعيم ثورة الجبل والقضاء عليه (النص رقم ٧٩ من الكتاب الثالث).

٣ ـ ومنذ الفترة السومرية أيضاً، ومن ضمن ما أسميناه بالعصر البطولي، أخضع چلچامش حارس غابة الأرز هوّاوا، وقضى عليه وأصبح بعد ذلك استثمار غابة الأرز المقدّسة ممكناً، وحافظت لنا ملحمة چلچامش في مختلف نسخها على هذا الحدث السومري الأصل (النص ١٢٢، اللوحة الخامسة من هذا الكتاب).

٤ ـ وفي مجال الثواب والعقاب، كما فصّل ذلك الكتاب الثاني من هذه المجموعة، كان الطوفان، ممثلاً لعنفٍ أقصى، قرّره الإلّه إنليل لمعاقبة البشر (النص رقم ٥٦).

٥ ـ وإنانّا، إلّهة الحرب، كما هي إلّهة الحب، وفي مرحلة لاحقة أخضعت «الإيبيخ» سيّد الجبل وجعلته: «يكنس الأرض بلحيته عند قدميها» (النص رقم ٨٨ من الكتاب الثالث).

٦ ـ وأشهر معركة كوسمية، في حرب الآلهة، شنّها الإلّه مردوك على عالم العماء، على تيامت وأبنائها وجنودها. ثمّ عَمَد بعد انتصاره إلى تكوينٍ وخلقٍ، أشاد بتفاصيلهما النص (رقم ٥٥ من الكتاب الثاني).

٧ ـ وحين غضب الإلّه على أور وعلى سومر وغادرت الآلهة معابدها ومدنها التي دُمِّرت جميعها، راحت تبكيها الإلّهة «الفائقة السمو» راثية ومتشوقة لعودتها إليها وإعادة البناء. وبوضوح، تشير المرثيّة إلى خراب معظم المدن الرئيسية في سومر. ولم يكن الدمار من عمل الإلّه الغاضب ولكن من عمل عدّو، هاجم ودمّر واستولى وأعدم، تاركاً خلفه، خراباً شاملاً (انظر: النص رقم ٦٨ من الكتاب الثاني).

كان كل ذلك بنتيجة حربٍ مدمِّرة شنّها عدوّ حاقد، لا يعرف الرحمة ولا التسامح اللذين عرفهما العصر البطولي، وفسِّرت الهزيمة فيما بعد وفُسِّر الدمار

بأنه نتيجة لغضب الإلّه. وعندما كان ساردو الأحداث، أحداث الهزائم والإنكسارات، ينبئون عنها بعد حدوثها، كانوا في معظم الأحيان يضعون أنفسهم «قبل حدوثها»، ويتصورون قبل الهزيمة أو الدّمار أن البشر أو الملك بشكل خاص، خالف تعليمات الإلّه وأهمل طقوسه مما يجعل الإلّه:

«ينسى جدرانه الآجرية (أي معابده)
ويترك حمامه الهادل يهجر أبراجه،
ويدير يده ضد المدينة وكأنها ريح سوء»

هذا بعض ما أنشده الشاعر راثياً مدينة نفّر السومرية (النص رقم ٦٦ من الكتاب الثاني) وكانت قد مرّت فترة نصف قرن على خرابها من قبل عيلاميي الجبال الشرقية.

٨ ــ وأفضل مثل يمكن تقديمه عن كتابة التاريخ، وإعادة قيام الممالك وزوالها إلى إلّه واحد هو مردوك إلّه بابل، عرضه النص رقم (٦٤) من الكتاب الثاني فيما سمي بمذكرات الإيساچيل أو «أخبار الملوك»[١]، والذي نجد فيه استعراضاً تاريخياً يغطي الفترة السومرية ثم الأكادية القديمة، ويصل كما نعتقد إلى فترة حكم حمورابي حيث تمت كتابة هذا النص.

وفي كل ذلك نرى مردوك، إلّه التكوين والخلق وإلّه بابل، يوم لم تكن هذه الأخيرة سوى قرية مجهولة، نرى مردوك، منذ فترة الحكم السومري، يتصرّف بالملوك والممالك وفقاً لرضاه عنهم أو غضبه عليهم تبعاً لأعمالهم وتصرّفاتهم التي هي في أساس استحقاق الثواب أو العقاب.

٩ ــ وسوف نقدّم في هذا الفصل، النصوص التي وصلتنا من الفترة البطولية السومرية، التي عرفت ما يمكن تسميته «بمثالية الخلافات» و«مثالية» إيجاد حلولٍ لها، لنستعرض بعدها، أخبار الدمار الشامل ونحلّل في الوقت نفسه أسباب عنف تصرفات الملوك الذين لم يكتفوا بقتل البشر أو نفيهم وتدمير المدن لإخضاعها أو الانتقام منها لثوراتها، بل أسروا أيضاً آلهة المدينة المعادية وانتقموا

(١) نترك للقارىء مهمة التأمّل في أخبار الملوك وأخبار الأيام التوراتية التي تتوازى مع أخبار ملوك سومر وأكاد وآشور وماري وأوغاريت، والتي سيعرضها الكتاب السادس من هذه المجموعة.

كذلك من أموات الثائرين عليهم، بشكل يصعب تصوّره، لو لم تعلمنا النصوص التي تركوها عن تفاصيل الإبادة التي لجأوا إليها.

١٠ ـ وليس ابتداع شخصية إيرّا كإلّه للدمار والحرب من أجل الحرب، إلا التجسيد الطبيعي للفترة الآشورية التي أرهقتها الحروب وأرهقها الموت.

وفي الفقرتين التاليتين، سوف نقدّم أخبار التطور «الظاهري» للحروب والخلافات التي عرفتها المنطقة من ضمن أمثلة تتوزع على العنوانين التاليين:

(٢ ـ ١) ـ من مبارزة بطلين، إلى حرب الدمار الشامل.

(٢ ـ إيرّا، إلّه الدمار.

(٢ ـ ١) ـ من مبارزة بطلين
إلى حرب الدمار الشامل

١ ـ نحن نعلم جيّداً، أن الممالك لم تتوسّع، والبلاد لم تُوحّد والأمبراطوريات لم تُبنَ، إلا بواسطة الحروب. ولكن العصر البطولي السومري، شوّقنا حين تصوّر فترة «مثالية»، كنا نودّ أن تكون حقيقية، عرفت السحر، الذي ورثته عن الآلهة، كما عرفت مناقبية الفروسية وعرفت الوساطة والتحكيم والاتفاقات الحبّية لحلّ الخلافات وتجاوز الصعوبات.

٢ ـ وفي تناقض تام مع العصر البطولي الذي أشرنا إليه أعلاه وكنا قد عرضنا بعض مزاياه وخصائصه من خلال عرضِ موضوع چلچامش والحياة الأبدية من ضمن الفقرة (١٢٢ ـ أ) من هذا الكتاب، في تناقض تام مع هذا العصر، نقرأ أخبار الملوك، يصفون معاركهم وانتصاراتهم على أعدائهم مفاخرين بالضراوة التي عاملوهم بها. وإذا ما كان إخضاع المدن يقضي بتدميرها ومسح معابدها وأسر آلهتها وتحويلها «إلى العدم»، فإن تحويل البشر وبشكل خاص العدو المغلوب على أمره إلى «العدم» كانت له أساليبه في بلاد الرافدين. وهنا أيضاً، نقرأ في أخبار الملوك المحاربين والمنتصرين، كيف كانت تترك جثة العدو لكي تلتهمها وحوش البرية أو طيور السماء أو الكلاب. ونقرأ أيضاً كيف كان يتمّ نبش القبور وعرض عظام آباء الملوك والحكام المغلوبين والتوصل إلى حدّ طحن هذه العظام وتحويلها إلى «العدم».

٣ ـ ولكي نفهم مثل هذه الضراوة لا بد لنا من التذكير بما كان يَعْنيه الموت وما بعد الموت بالنسبة لمعتقدات بلاد الرافدين، ويمكن العودة إلى ما عرضه

تقديم الفصل الأول من هذا الكتاب، عن الموت والبعث. أمّا بصدد الموت الذي لم يفرضه الإلّه على البشر لأنه موت الحروب والمعارك الذي لجأت إليه أطماع ملوك التوسع والاستيلاء وبناء الأمبراطوريات، لا بد من التذكير، بأن الموت كان بالنسبة لسومر وآكاد وآشور، يعني «العودة إلى الصلصال» أو «العودة إلى العفر» كما عاد إليه أنكيدو. وفي طوفان ملحمة چلچامش نقرأ بأن «البشر عادوا إلى طينهم» (اللوحة ١٢/نينوى).

٤ ـ نحن نعلم أيضاً من قصيدة التكوين والخلق البابلية[١]، أن الإلّه مردوك عندما أراد خلق البشر أعلن:

«أريد أن أجّمد دماً، لكي أبني
هيكلاً (عظمياً) وأجعله ينتصب
وسيكون اسمه بشريا»

هذا ما قرّره مردوك.

وما يلفت النظر هنا، هو استعمال تعبير «انتصب» (أي إزّوزو) الأكادية[٢] من أجل خلق البشر. ويستعمل التعبير نفسه من أجل إقامة تمثال، ويعني ذلك، التفريق بين الوضعية العمودية للبشر الأحياء أو التمثال المنتصب والوضعية الأفقية في الطين أو العفر للبشر الأموات. كما يعني أيضاً التوازي بين البشري الحيّ والتمثال المنتصب. وأبعد من ذلك، فإن التعبير السومري «تود»[٣] المستعمل من أجل الولادة ينطبق في الوقت نفسه على صنع تمثال وإقامته أي ولادته والعكس صحيح. فالبشري الحيّ يمكن تشبيهه بالتمثال، حتى أن موت البشري كان يتم الشعور به وكأنّه تمثال كُسِرَ أو حُطِّم وتناثرت أجزاؤه على الأرض. ومن ضمن اللعنات التي استعملها حمورابي في خاتمة تشريعه نقرأ ما يلي:

«... وليعمد (الإلّه نرچال) بسلاحه الفتّاك إلى
تحطيم أطرافه وكأنه تمثال من الآجّر»[٤]

---

(١) النص (رقم ٥٥) من الكتاب الثاني.
(٢) انظر الصفحة ١٠٩ من الكتاب الثاني.
(٣) (Tud) فعل الولادة ومنه (Nin-Tu)، سيّدة الولادة.
(٤) الفقرة (R XXXVIII) من خاتمة التشريع.

ويعني ذلك أن التحْطيم، يؤدّي إلى تفكيك هيكله العظمي وتناثره. كما يلتقي ذلك مع لعنةٍ وردت في إحدى إتفاقيات أسرحدون[1] مع أحد «تابعيه» يعلن فيها:

«ولتتفرّق عِظامه إلى الأبد،

بحيث لا يمكن مقاربتها فيما بينها».

٥ ـ تشتيت العظام أو «إحالتها إلى العدم»، هو أسوأ ما يمكن أن يحدث لبشريٍّ بعد موته، يوازي ذلك من لم يتم دفن جثته التي بقيت عرضه لطيور السماء ووحوش البرية. ونحن نعلم من نهاية استجواب چلچامش لشبح أنكيدو عن مصير من تركت جثته في الصحراء، أنّ جواب أنكيدو أوضح أن «شبحه لا يعرف الراحة»[2]. ونعلم أيضاً أن الذي لم يُدْفن، ومن لا يعرف شبحه الراحة يتحوّل إلى شبح عدواني هائم ويشكل خطراً على أفراد عائلته من الأحياء. وفي اللعنات المرافقة لعلامات الحدود نقرأ أيضاً:

«. . . «بحيث لا تعرف جثته الدفن وألاّ يتمكن

شبحه من الاجتماع بأشباح أفراد عائلته».

٦ ـ أشباح العائلة وأشباح الأسلاف كانت لهم إذن أهميتهم ودورهم في السهر على وحدة العائلة من الأحياء وحمايتهم ومساعدتهم، شرط تلقّي الأشباح الطقوس والتقدمات المرتبطة بمدافنهم أو بتماثيلهم.

كل ذلك يساعدنا على متابعة تصرّفات الضراوة والحقد والانتقام من الأحياء والأموات من خلال مشاهد الحرب والدمار التي أشرنا إليها أعلاه، ويجعلنا نعتبر أن الحياة والموت في بلاد الرافدين، والاستقرار في تربة البلاد بعد الموت، أي عدم الموت في بلد غريب، وكذلك تلقي تقدمات الأحياء، كان يعني استمرار الصلة بين الأحياء وأشباح الأموات من الأجداد والأسلاف ويشكل دورة واحدة يجب ألا تنقطع استمراريتها. وسوف نَسْتكملُ بواسطة الأمثلة عناصر هذه الدورة المتواصلة بين الأحياء والأموات، التي تقصّدت الحروب إبطال استمراريتها تثبيتاً

(١) والد أشور بانيبال حكم خلال (٦٨٠ ـ ٦٦٩) ق. م.

(٢) اللوحة ١٢ من ملحمة چلچامش/نسخة نينوى.

لنصر تمّت حيازته وذلك من ضمن الفقرة الثانية من هذا الفصل.

٧ ـ خلافات العصر البطولي، لم تعرف جفاف نصوص علامات الحدود واللغات المرافقة لها أو نصوص الوثائق الملكية السومرية التي سترد في الكتاب السادس من هذه المجموعة، بل نَسَجت حولها أساطير فيها طلاوة وسحر ذلك العصر وكأنها حدثت خارج التاريخ، مع أن أشخاصها وأُطر حوادثها هي مدن نعرفها تاريخياً:

حين رفض، إينمركار[١] ملك أوروك[٢] الخضوع لأراتّا[٣] أَرسلَ أمير أراتا ساحره ماشماش[٤] إلى أوروك لتحقيق ذلك بواسطة السحر. وتحلّ المشكلة بنتيجة مبارزة بين الساحر ماشماش وساحرة أوروك الأم شاچبورّو[٥] التي تنتصر عليه بسحرٍ أقوى من سحره، فيعترف أمير أراتّا عند ذلك بتفوّق أوروك، وهذا ما يرويه بشكل شيّق ومسلٍّ النص (رقم ١٢٩).

مرة ثانية كما سيرد ذلك في النص (رقم ١٣٠) يُخضِع إينمركار سيد أراتّا بعد تبادل الرسائل فيما بين المملكتين وبعد اللجوء إلى حرب أعصاب طويلة. وكل ذلك، لم يكن من أجل التوسّع، بل من أجل تزيين وتجميل معبد إنانّا في أوروك الذي اختارته كمقرّ لها وفي ذلك ما يحسم الخلاف.

وفي مناسبة أخرى، كما سيرد ذلك في النص (رقم ١٣١) نجد أن إنانا في هذه المرة قد اتخذت أراتّا وليس أوروك مقراً لها، وأن البطل لوچال باندا كان على ما يظهر منفياً في بلاد عيلام بعيداً عن أوروك وراغباً بالعودة إليها. يسمح له بذلك سجّانه الطائر إيمدوچود[٦] بعد أن اعتنى بفراخه.

ولدى عودته إلى أوروك، يجدها محاصرةً من قبل قبائل المارتو[٧]، فيعود إلى

---

(١) (Enmerkar) حكم في أوروك قبل چلچامش خلال الملكية السومرية القديمة الثانية (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠) ق. م.

(٢) (Uruk).

(٣) (Aratta).

(٤) (Mashmash).

(٥) (Shagburru).

(٦) (Imdugud).

(٧) (Martu): العودة للنص (رقم ٧٥) من الكتاب الثالث.

أراتّا بتكليفٍ من إينمركار[1] ملك أوروك بقصد طلب مساعدة إنانّا لإنقاذ أوروك.

وفي نصٍ آخر يعود إلى العصر البطولي نورده تحت (الرقم ١٣٢) نشهد فيه مرضَ لوچال باندا حين كان في رحلة مع حاشيته بين أوروك وأراتّا ومن ثم شفاءَه من قبل الإلّه الشمس أوتو[2].

وأخيراً، فإن النص (رقم ١٣٣) يعود بنا إلى بطولة چلچامش حين أخضع آچّا[3] ملك كيش، وكان تألّق چلچامش الخارق للطبيعة وحده كافياً لفك حصار أوروك من قبل آچّا وأسره. ومن ثمّ، عملاً بكرم روح «الفروسية» لدى چلچامش، إطلاق سراحه وعودته إلى مملكته حليفاً وليس عدوّاً.

ووفق ما عُرض أعلاه، فإن الفقرة (٢ ـ ١) من هذا الفصل سوف تعرض نصوص العصر البطولي تحت العناوين التالية:

(١٢٩) ـ إينمركار وساحره ماشماش ورفض الخضوع لأراتّا.

(١٣٠) ـ إخضاع سيّد أراتّا ودور إنانّا.

(١٣١) ـ لوچال باندا وحصار أوروك.

(١٣٢) ـ لوچال باندا وشفاؤه من قبل الإلّه أوتو.

(١٣٣) ـ بين كيش وأوروك / چلچامش يُخضع آچّا.

---

(١) (Enmerkar).

(٢) (Utu) يقابله شمش الأكادي.

(٣) (Agga).

(١٢٩) ـ إينمركار وساحره ماشماش ورفض الخضوع لأراتّا

لم يكن يعرف من هذا النص، قبل عام ١٩٥٢ سوى حوالى مائة سطر من بدايته، وما يقارب ٢٥ سطراً من مقطع يقع في نهايته. إلاّ أن حفريات عامي ١٩٥١/٥٢ في نفّر[١] مكّنت من اكتشاف لوحتين بحالةٍ جيّدة، أمكن بواسطتهما استكمال محتوى النص كما يلي:

١ ـ في فترةٍ كان فيها «إينّامي ـ بار آچا ـ أوتو»[٢]، على ما يُعتقد، ملكاً على سومر، وفي ذلك الوقت كان «إين ـ سوكوسير ـ آنّا»[٣] أميراً على أراتّا[٤]. وقد كلّف أمير أراتّا رسوله الذهاب لمقابلة إينمركار[٥] ملك أوروك، طالباً منه الخضوع لسلطته، كما طالب بعودة الإلّهة إنانّا[٦] إلى أراتّا.

٢ ـ ويظهر أن إينمركار استقبل، بازدراء، رسول خصْمه، وتحدّاه معلناً له بأن إنانّا سوف تبقى في أوروك، وعلى العكس، فعليه هو أن يخضع لأوروك.

٣ ـ جمع سيّد أراتّا مستشاريه، الذين نصحوه بالخضوع إلى سلطة أوروك،

---

(١) تمت الحفريات من قبل معهد الآثار الشرقية في شيكاغو وقد كشفت نفّر (Nippur) عن عدد من اللوحات السومرية التي يعود نسخها إلى الثلث الأول من الألف الثاني ق. م.

(٢) (Ennami-Baragga-Utu).

(٣) (En-Sukusir-Anna).

(٤) (Aratta) مملكة عيلامية كانت تشغل منطقة پيرسيبوليس (Persépolis) وكانت لها مع أوروك علاقات عديدة وتميّزت بأنها هي أيضاً مثل أوروك تتعبّد للإلّهة إنانّا.

(٥) (Enmerkar) أحد ملوك العصر البطولي في فترة الملكية القديمة، (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠).

(٦) حيازة تمثال إنانا يعني حمايتها للملكة التي تكرّمها والتي يعتبر ملكها أنها اختارته.

وهذا ما رفضه الأمير بشكل قاطع.

٤ ـ ولكن الكاهن ماشماش[١] وهو ساحر ومعوّذ أراتّا، عرض عليه خدماته، وطلب أن يُسمح له بعبور «نهر أوروك» لكي يخضع جميع البلاد: «في الأعلى وفي الأسفل، من البحر إلى جبل الأرز، وأن يعود بعد ذلك إلى أراتّا بسفنٍ محمّلة بالغنائم حتى الطفح».

٥ ـ تحمّس سيد أراتّا لهذا العرض وسلّمه خمس وزْنات «مين»[٢] من الذهب وما يعادلها من الفضّة. كما زوّده بمؤنٍ كافية للطريق.

٦ ـ لدى وصول الماشماش إلى أوروك، توجّه مباشرةً إلى الحظيرة المقدّسة حيث كانت بقرة وعنزة الإلّهة نيدابا[٣]، وتوجّه إليهما محاولاً إقناعهما بالتوقّف عن تقديم الحليب والزبدة إلى موائد سيّدتهما، وهذا ما يقوله النص بهذا الخصوص:

1 الماشماش يتوجّه إلى البقرة ويتحدث إليها
كما لو كانت كائناً بشرياً:
«أيتها البقرة (سألها)، من الذي يأكل زبدتك،
من يشرب حليبك؟
ـ نيدابا تأكل زبدتي (أجابت)،
نيدابا تشرب حليبي.
5 حليبي وجبنتي [..............]
يوضعان كما يجب، على موائد قاعات الطعام
الكبرى، قاعات نيدابا.
أريد تقديم زبدتي [......] من الحظيرة المقدّسة
أريد تقديم حليبي [......] المنزلي، (إلى نيدابا)،

---

(١) Mashmash.

(٢) (mine) وحدة وزن تعادل حوالى ٥٠٠ غرام، أي أن الماشماش استلم ٢,٥ كلغ من كل معدن.

(٣) (Nidaba) اشتهرت بأنها إلّهة الكتابة.

البقرة الأمينة نيدابا، إبنة إنليل[١] المفضّلة [. . .]

10 ـ يا بقرة [. . .] زبدتك إلى [. . . ـ] ـك
حليبك إلى [. . . ـ] ـك
البقرة [. . .] زبدتها إلى [. . . ـ] ـها
حليبها إلى [. . . ـ] ـها
(الأسطر أعلاه يُكرر محتواها من أجل العنزة).

٧ ـ وهكذا فإن البقرة والعَنزة تتبعان نصائح الساحر ماشماش، وتتوقفان عن إنتاجهما، مما يسبب خراب حظائر وزرائب أوروك، حتى أن رؤساء الرعاة أخذوا يتحسرون، بينما رعاتهم كانوا يتخلون عن خدمتهم.

أما راعيا نيدابا، وهما «ماشجولا»[٢] و«أوريدينّا»[٣]، فإنهما يتدخّلان عند ذلك، ويُعتقد أن هذا التدخّل يتمّ بناء على نصائح الإلّه الشمس أوتو[٤]. ويحول تشويه النص دون التمكن من تأكيد ذلك. في تدخلهما، يحاولان إبطال سحر الماشماش، بمساعدة الأم شاجبورّو[٥]. وهنا يتابع النص سرد وقائع المبارزة بين الساحرين كما يلي:

كلاهما[٦]، رميا الأمير في النهر.
عند ذلك، أخرج الماشماش من الماء
السمكة الكبيرة سوهور[٧]
والأم شاجبورّو، أخرجت من الماء الطائر [. . . .]

---

(١) (Enlil) سيّد مجمع الآلهة.
(٢) (Mashgula).
(٣) (Uredinna).
(٤) (Uttu) إلّه الشمس السومري.
(٥) (Shagburru).
(٦) أي الراعيان ماشجولا وأويدينّا.
(٧) (Suhur).

يستولي الطائر على السمكة سوهور
ويذهب بها إلى الجبل

وللمرّة الثانية يرميان الأمير في النهر،
فيُخرج الماشماش من الماء النعجة وحملها
والأم شاچبورّو تخرج من الماء الذئب،
يخطف الذئب النعجة وحملها ويذهب
بهما إلى السهل.

للمرّة الثالثة، يرميان الأمير في النهر:
الماشماش يخرج من الماء البقرة وعجلها،
الأم شاچبورّو تخرج من الماء الأسد،
يستولي الأسد على البقرة وعجلها
ويذهب بهما إلى منقعة الأسد.

وللمرّة الرابعة، يرميان الأمير في النهر
فيخرج الماشماش من الماء الأُرويّه
وتخرج الأم شاچبورّو فهد الجبال
فيستولي الفهد على الأرويّة ويذهب
بها إلى الجبل.

وللمرة الخامسة، يرميان الأمير في النهر
فيخرج الماشماش من الماء الغزال
وتخرج الأم شاچبورّو الوحش - چوچ[1]
يستولي الوحش چوچ على الغزال ويذهب

(١) (Gug).

به إلى الغابات.

٨ ـ بعد هذا الفشل المتتالي للساحر ماشماش:

«أصبح وجهه قاتماً وفشلت خطّته»

والأم شاچبورّو توجّه إليه اللوم وتتهكّم عليه بسبب عجزه، فيطلب منها راجياً أن تسمح له بالعودة إلى أراتّا، لكي يتغنّى هناك بقدرتها ولكنها لم تقبل رجاءه وتقضي عليه وترمي جثته في الفرات.

٩ ـ عندما علم سيد أراتّا مصير الماشماش، أسرع بإيفاد رسول إلى إينمركار لإعلامه بأنه يخضع له معترفاً له أيضاً بأن إنانّا قد اختارته:

أنت هو حبيب إنانّا، لك المجد وحدك
لقد اختارتك إنانّا من أجل حضنها المقدّس[١]
على الأراضي المنخفضة والأراضي المرتفعة
أنت صاحب السيادة
ومنذ الولادة، لم أكن قط مضاهياً لك
أنت «الأخ الأكبر»، ومرتبتي تأتي بعدك،
ولا يمكنني أبداً التشبه بك.

١٠ ـ وينتهي النص متبنّياً خاتمة أدب المنافسات[٢] وفقاً لما يلي:

في النزاع بين إينمركار وإينسوكوسيرانّا
بعد (؟) انتصار إينمركار على إينسوكوسيرانّا
لكِ المجد يا نيدابا.

---

(١) أوردنا في الكتاب الأول نصوص الزواج الإلّهي بين ملوك سومر والإلهة إنانّا.
(٢) عرضت أمثلة عن أدب المنافسات في الكتاب الثالث (انظر النص رقم ٩٨).

(١٣٠) ـ إينْمِرْكار، ملك أوروك وإخضاع سيّد أراتّا

تنقل إلينا هذه القصيدة الآتية من قلب العصر البطولي في سومر قصة مملكتين، الأولى في «الأراضي المنخفضة» وهي مملكة أوروك[١] يوم كان إينمركار[٢] ملكاً عليها؛ والمملكة الثانية وهي التي تقع في «الأراضي» المرتفعة وهي مملكة أراتّا[٣].

في مطلع هذه القصيدة تتم الإشادة بعظمة أوروك وكلاّب[٤] التي هي قائمة منذ بدء الزمن. كما تنشد مؤكّدةً تفوّقها على مملكة أراتّا، بنتيجة استئثارها برضى الإلَهة إنانّا[٥] وحمايتها.

واعتماداً على هذه النعمة، يتوجّه إينمركار ملك أوروك إلى إنانّا «التي اختارته»، طالباً منها أن تجعل شعب أراتّا يقدّم له الذهب والفضة واللازورد والأحجار الكريمة، وأن يبني له أو يصون ويزيّن معابد مملكته ومن بينها البيت الأكثر قداسة بين الجميع، وهو المعبد «البحري» للإلَه إنكي[٦] في الأبزو[٧].

---

(١) (Uruk).

(٢) (Enmerkar) حكم خلال فترة الملكية القديمة في سومر ٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠ ق. م.

(٣) (Aratta) ورد تعريفها في النص السابق (الحاشية رقم ٤).

(٤) (Kullab) أو كلاّبا الحي القديم في أوروك أو ضاحية منها.

(٥) (Inanna) الإلَهة التي تتنافس المملكتان لحيازة رضاها.

(٦) (Enki) إلَه المعرفة والخلق ومهارة الصنع السومري وهو إيا الأكادي.

(٧) (Abzu) أو أبسو محيط المياه العذبة الباطنية حيث يطفو قرص الأرض وقد أوردنا نصاً حضارياً عن بناء هذا البيت مقر أنكي في النص (رقم ٨٥) من الكتاب الثالث.

والإلّه إنكي هو الإلّه الحامي لإينمركار، كما كان الإلّه أوّتو[1] حامياً لجلچامش.

وأجمل ما يمكن إبرازه هنا، في العصر البطولي، هو أن مطلب إينمركار، لم يكن الذهب والفضة طمعاً بغنى جاره في المنطقة المرتفعة، بغية تكديسهما في قصره، بل الذهب والفضة واللازورد والأحجار الكريمة من أجل تزيين المعابد وكسب رضى الآلهة والاستفادة من مهارة فنييّ أراتّا.

وجميل أيضاً، هو تكريم الملكين للإلّهة إنانّا، والسعي لاكتساب حضنها المختار من أجل تحقيق الرخاء والأمن للمملكة.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن حرب الأعصاب هذه بين المملكتين، يجسّدها بشكل رائع تبادل رسائل التهديد والمقاومة الرافضة للخضوع بين المملكتين.

وفي أسوأ الأحوال حتى لو اضطرتا لحمل السلاح فإن اختيار بطلين، بطل من كل جهة للتبارز من شأنه أن يحسم الموقف. تلك كانت حروب العصر البطولي، قبل أن تعرف المنطقة حرب الدمار الشامل الذي سنعود إليها فيما بعد.

وفيما يلي حرب الأعصاب هذه كما يعرضها النص:

---

(١) (Utu) إلّه الشمس السومري.

في أحد الأيام، الملك الذي اختارته إنانّا
في قلبها المقدّس،
الملك المختار في بلاد «شوبا»[1] من قبل
إنانّا في قلبها المقدّس،
الملك إينمركار، (ابن إلّه الشمس) أوتو
إلى أخته ملكة [.....] الطيّب
إلى إنانّا المقدسة، وجّه ابتهالا[2]:
«أي أختي إنانّا! من أجل أوروك،
إجعلي سكّان أراتّا يصيغون بشكلٍ فنّي
الذهب والفضة،
وليجلبوا اللازورد الرائع الجمال مستخرجاً من الصخر
وليحملوا الأحجار الكريمة واللازورد الرائع الجمال».

في أوروك، الأرض المقدسة [......]،
في بيت أنشان[3] حيث مقرّك،
ليقوموا بتشييد الـ [..........]
في الچيپار المقدّس، حيث أقمتِ مسكنك.
ليُصنِّعْ أهل أراتّا داخله بشكل فنّي.
أنا بدوري، سأتلو عند ذلك الصّلوات [.....]
ولكن، إجعلي أن تخضع أراتّا إلى أوروك
وأهل أراتّا، عندما يُنزلون من أراضيهم
المرتفعة، أحجار الجبال،

---

(١) (Shuba) موقع غير معروف والتعبير يعني أيضاً: «البراقة».
(٢) وردت مقتطفات من هذا النص في الكتاب الأول تحت (رقم ٢٦) بمناسبة عرض الزواج الإلّهي.
(٣) (Anshan) المنطقة الجبلية الفاصلة بين أوروك وأراتا، انظر النص (رقم ١٣١)، الفقرة ٩.

فليبنوا لي الهيكل الكبير،
وليشيدوا لي المعبد الكبير.
ليقيموا لي المعبد الكبير، مقر الآلهة.
ولينفّذوا لصالحي، أوامري السامية في كلاّب[1]،
ويبنوا لي الأبزو[2] كجبل برّاق.
وليجعلوا إريدو[3] تتألّق وكأنها جبل،
والهيكل الكبير، يبرز من الأبزو، مثل غَار (؟)

وأنا، عندما أخرج من الأبزو،
سوف أردّد المزامير.
وعندما أجلب من إريدو، القوانين الإلّهية[4]
عندما أجعل مقام إين[5] الرفيع
يشرق مثل [.......]
عندما أضعُ التاج على رأسي، في أوروك
وفي كلاّب
فليُحمل [.......] الچيبار[6] إلى الهيكل الكبير
وليُحمل [.......] الهيكل الكبير إلى الچيپار
وليُظهر الشعب إعجابه وموافقته
وليتأمل أوتو[7] هذا المشهد

---

(١) (Kullab) ورد الشرح في مقدّمة هذا النص.
(٢) (Abzu) أو الأبسو أكادياً وهو محيط المياه العذبة الذي أقام فيه الإلّه أنكي مقرّه.
(٣) (Eridu) هي مدينة الإلّه أنكي حيث معبده، وكانت محجاً لعددٍ من الآلهة من أجل نيل بركة أنكي. وأشهر الزيارات قامت بها إنانا حيث نقلت أسس الحضارة إلى مدينتها أوروك (انظر النص رقم ٨٥ من الكتاب الثالث).
(٤) هذه القوانين تماثل أسس الحضارة التي عادت بها إنانّا إلى أوروك.
(٥) (En) هي البادئة في اسمي (En-lil) بمعنى سيّد الهواء وEn-ki بمعنى سيد الأرض ومؤنثه نين (Nin) وهو أيضاً مرتبة كهنوتية.
(٦) (Gipar) إحدى قاعات المعبد الأكثر قداسة (قدس الأقداس).
(٧) (Utu) الإلّه الشمس.

بعينٍ فرحة!»

إجابة الإلّهة إنانّا لإينمركار

من كانت هي [. . .] بهجة الإلّه المقدّس آن[1]
الملكة التي تراقب البلاد المرتفعة،
السيّدة التي كِحْل (عينيها) هو آما ـ آوشوم چالانّا[2]
إنانّا ملكة جميع البلاد
أجابت إينمركار، ابن أوتو (موضّحة):
«تعال يا إينمركار، لأعطيك نصيحه
إتبع نصيحتي،
سوف أقول لك كلمة، أدرْ لي أذنك:
«إختر رسولاً طليق اللسان من بين [. . .]
ولتُنْقلْ إليه الكلمات البليغة لإنانّا
السامية في [. . .]
إجعله بعد ذلك، يتسلّق الجبال [. . .]
إجعله يهبط من الجبال [. . . . . .]
أمام [. . . . . .] أنشان
ليسجد كمنشدٍ شاب.

ومأخوذاً برهبة الجبال الشامخة
ليتخذ طريقه في العفر،
أراتّا سوف تخضع لأوروك:
سكان أراتّا

---

(١) (An) إلّه السماء السومري وهو آنو الأكادي وإنانا هي بهجة الإلّه أن بصفتها «غانية آن».

(٢) (Ama-Ushumgalanna) هو لقب دوموزي حبيب إنانا وهو كحل عينيها.

عندما يُنزلون من الأرض المرتفعة
حجارة الجبال
سوف يبنون لك الهيكل الكبير، وسوف
يقيمون من أجلك المعبد الكبير[1]
سوف يشيّدون لك المعبد الكبير
مقرّ الآلهة.
سوف ينفِّذون لصالحك أوامرك السامية
في كلاّب.
سوف يبنون لك الأبزو كجبل برّاق،
سوف يجعلون إريدو تتألّق وكأنها جبل،
والهيكل الكبير، يبرز من الأبزو مثل غار.

وأنت عندما تخرج من الأبزو، سوف تردّد المزامير،
وعندما تجلب من إريدو القوانين الإلّهية،
عندما تجعل مقام إين الرفيع يشرق مثل [.....]،
عندما تضع التاج على رأسك في أوروك
وفي كلاّب،
[......] الهيكل الكبير سوف يُحمل إلى الجيپار،
و[......] الجيپار سوف يُحمل إلى الهيكل الكبير.
وسوف يظهر الشعب إعجابه وموافقته
ويتأمّل أوتو هذا المشهد بعينٍ فرحة.
سكان أراتّا [..........]
سوف يثنون الركبة أمامك، وكأنهم
خراف البلاد المرتفعة».

(١) تكرر هنا إنانا جميع تمنيات إينمركار، استجابةً منها لكل ما رغب به من أجل تزيين المعابد.

أي إينمركار، أنت «صدر» المعبد المقدس
أنت الذي تتقدم وكأنك الشمس المشرقة
أنت هو، المموّن الحبيب (للمعبد)
أي [.....] إينمركار ابن أوتو، المجد لك![1]

إينمركار يوفد رسوله إلى بلاد أراتّا

أصغى الملك، إلى كلمة إنانّا المقدّسة
واختار الرسول طليق اللسان من بين [......]
كما نقل إليه الكلمات البليغة لإنانّا
السامية في [......]
«تسلّق الجبال (قال له) [....]
اهبط من الجبال [........]
أمام [.....] أنشان[2]
اسجد كمنشدٍ شاب.
مأخوذاً برهبة الجبال الشامخة،
اتخذ طريقك في العفر.

تهديد إينمركار لأهالي أراتّا

«أيها الرسول (تابع إينمركار)، توجّه نحو
سيد أراتّا وقل له:
سوف أجعل سكان هذه المدينة، يفرّون
كعصفور [...] يهجر شجرته[3]
سوف أجعلهم يفرّون كالعصفور إلى العش المجاور،
سوف أجعل أراتّا خراباً، كمكانٍ [....]

---

(١) هذا التمجيد لإينمركار يردده الشاعر.
(٢) (Anshan) هي المنطقة الجبلية الفاصلة بين أوروك وأراتّا.
(٣) ورد في الكتاب الأول (النص رقم ٢٦) وهو مقتطف من هذا النص الكامل.

سوف أغطّيها بالعفر، مثل
مدينة مهدّمة بدون شفقة.
أراتّا، هذا المسكن الذي لعنه أنكي[1]

نعم سوف أهدم هذا المكان
وأجعل منه موضعاً أحيل إلى العدم
إنانّا حملت السلاح في وجه أراتّا.
في الماضي أعطتها كلمتها ولكنّها
اليوم نبذتها[2].
ومثل جبل من العفر، سوف أراكم
العفر عليها.

ما يفرضه إينمركار على أهالي أراتّا

عندما يستخرجون الذهب [...] من فلذاته
ويخلّصون الفضة [...] من غبارها،
عندما يصيغون الفضّة [...]
ويشدّون البَرادع على حُمر الجبال
إن [...] معبد إنليل، ثاني (معابد) سومر
المختار من قبل الإلّه نوديمّود في قلبه المقدس،
سوف يقوم أهالي البلد المرتفع، ذي القوانين
الإلّهية الطاهرة، ببنائه لي.
سوف يجعلونه مزهراً مثل شجر البقْس
ويجعلونه متألّقاً مثل أوتو
حين يشرق من الجانون[3]

---

(١) انظر في الكتاب الثالث قصيدة «أنكي ينظم البلاد» (النصّ رقم ٨٣).
(٢) أي أراتّا.
(٣) (Ganun) هنا الغرفة التي تقضي فيها الشمس ليلها قبل الإشراق في اليوم التالي.

وسوف يزيّنون لي عتبته[1]

الرسول يتوجّه إلى أراتّا

أصغى الرسول إلى كلمة الملك
وخلال الليل بكامله، سافر على ضوء النجوم
وخلال النهار سافر بصحبة أوتو السماوي.
كلمات إنانا السامية نُقلت إليه في [.....]

تسلّق الجبال [.....]، هبط من الجبال [...]
أمام [.....] أنشان،
سجد كمنشد شاب،
مأخوذاً برهبة الجبال الشامخة،
اتخذ في العفر طريقه.
اجتاز خمسة جبال، ستة جبال
سبعة جبال.

رفع نظره، اقترب من أراتّا.
فَرِحاً وطأت قدماه بلاط قصر أراتّا
حيث أعلن بأس مليكه
ونقل، باحترام، الكلمة التي خرجت من قلبه.

عرض رسالة إينمركار

قال الرسول لسيِّد أراتّا:
«أبوك، مليكي، أوفدني إليك
ـ ماذا قال ملكك، ما هي كلماته؟

(١) كان على الرسول هنا تهديد أراتّا يلعنه أنكي وسنعود إلى ذلك فيما بعد.

ـ هذا ما قاله مليكي
هذه هي كلماته:
مليكي، الجدير بالتاج منذ ولادته
ملك أوروك، التنّين، سيد سومر [...]
الذي [.......] كما [......]
الكبش الذي تبلغ قدرته النبيلة
قلاع البلد المرتفع
الراعي الذي [............]
وليد البقرة الأمينة، في قلب البلد المرتفع
إينمركار، إبن أوتو، أرسلني إليك،
هذا ما يقوله مليكي:
«سوف أجعل سكان هذه المدينة
يفرّون كالعصفور [...] الذي يهجر شجرته،
سوف أجعلهم يفرّون كالعصفور إلى العشّ المجاور
سوف أجعل أراتّا خراباً، كمكان [...]
سوف أغطِّيها بالعفر، كمدينة مهدّمة
بدون شفقة.
أراتّا هذا المسكن الذي لعنه أنكي.
نعم، سوف أهدم هذا المكان
وأجعل منه موضعاً أُحيلَ إلى العدم.
حملت إنانّا السلاح في وجه أراتّا.
في الماضي أعطتها كلمتها،
ولكنّها اليوم نبذتها.
ومثل جبل من العفر، سوف أُراكم
العفر عليها.

عندما يستخرجون الذهب [......] من فلذاته

ويخلصون الفضّة [. . .] من غبارها
عندما يصيغون الفضة [. . . . . .]
ويشدّون البرادع على حُمرِ الجبال
إن [. . .] معبد إنليل، ثاني (معابد) سومر
المختار من قبل الإلّه نوديمّود، في قلبه المقدّس،
سوف يقوم أهالي البلد المرتفع، ذي
القوانين الإلّهية الطاهرة، ببنائه لي
سوف يجعلونه مزهراً مثل شجرة البقْس
ويجعلونه متألّقاً مثل أوتو
حين يشرق من الچانون
وسوف يزيّنون لي عتبته.
[. . . . .]

ويستطرد الرسول قائلاً:

أصدر أمرك الآن بما عليّ قوله بهذا الخصوص
إلى الرجل المكرّس، صاحب لحية اللازورد الكبيرة
إلى الذي [. . . . .] البقرة الفائقة القدرة
[. . . . .] بلد القوانين الإلّهية الطاهرة،
إلى الذي انتشرت بذرته في تربة أراتّا،
إلى الذي رضع اللبن من ضرع البقرة الأمينة،
والذي كان جديراً بالحكم على كلاّب
بلد جميع القوانين الإلّهية السامية.

الرسول يستنتج مفترضاً قبول أراتّا

إلى إينمركار، ابن أوتو
سوف أنقل إليه هذه الكلمة،

ككلمةٍ سارّة ضمن معبد الإيانا[1]
في الچيپار التي يحمل الثمار
مثل نبتةٍ مخضوضرة [.......]
سوف أنقلها إلى مليكي، سيّد كلاّب [...]»

سيد أراتّا، يرفض الإذعان لإرادة إينمركار

بعد أن تكلّم الرسول هكذا، أجاب
سيّد أراتّا (قائلاً):
«أيها الرسول، توجّه إلى ملكك
سيّد كلاّب، وقل له:
«أنا السيّد الجدير، باليد الطاهرة.
التي هي مَلَكيّة [.......] في السماء
ملكة السماء والأرض
سيّدة جميع القوانين الإلّهية، إنانّا المقدّسة،
هي التي قادتني إلى أراتّا، بلد
القوانين الإلّهية الطاهرة
جعلتني أحصّن «وجه البلد المرتفع»
مثل بوابة ضخمة
كيف يمكن إذن، لأراتّا أن تخضع لأوروك؟
كلاّ، أراتّا لن تخضع لأوروك،
إذهب وقل ذلك لمليكك!»

الرسول يبلغه عند ذلك أن إنانّا لم تعد تقف بجانبه، وهذا ما أعلنته لإينمركار خادمها.

---

(١) (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو مقر إنانا في أوروك.

بعد أن تكلّم هكذا
أجاب الرسول سيد أراتّا (قائلاً):
«ملكة السماء العظيمة التي تقود
القوانين الإلّهية الرائعة
التي تسكن جبال البلد المرتفع، بلد شوبا
والتي تزيّن مدارج البلد المرتفع، بلد شوبا
ولأن مولاي ومليكي، وهو خادمها
جعل منها «ملكة الإيانا»
فإنّ سيّد أراتّا سوف يخضع!
هذا ما قالته له، في قصر الآجرّ، في كلاّب».

وبقصد التأثير أكثر فأكثر على سيد أراتّا في مجال حرب الأعصاب هذه، فإن الرسول كما يمكن أن نتصور، يذكِّر هنا سيد أراتّا بلعنة أنكي وهو حامي إينمركار.

ولعنة أنكي، هي التي أزالت عصر البشرية الذهبي ووضعت حدّاً لتفوّق إنليل، وحدث ذلك بسبب غيرة أنكي وغضَبه، وقد حقّق ذلك حين «بلبل الألسن» وأدخل الخلاف بين الشعوب.

وعلى سيد أراتّا أن يفهم، بأنه كما أزال إنكي حكم إنليل[1] يمكنه بلعنته إزالة حكم أراتّا.

ونقتطف فيما يلي من هذه اللعنة بعد ما ورد في الكتاب الثاني (النص رقم ٦٥ صفحة ٣٦٤/٦٥).

العالم بأجمعه، والشعوب بتوافق تام
كانت تمجّد إنليل بلغةٍ واحدة
إلا أنه عند ذلك، الأب ـ السيّد،

---

(١) وأكثر من ذلك، فقد أزال أنكي بغضبه ولعنته عصر البشرية الذهبي المتميز بالتوافق التام بين الشعوب والمناطق.

الأب ـ الأمير، الأب ـ الملك
أنكي الأب ـ السيد، الأب ـ الأمير، الأب ـ الملك
الأب ـ السيّد غاضباً، الأب ـ الأمير غاضِباً،
الأب الملك غاضباً
[.................]

ومن لوحة مكمِّلة

بدّل الكلمات في أفواههم وادخل الخلاف
إلى لغة البشر، بعد أن كانت لغتهم واحدة.

الرسول يكرِّر قرار إنانّا

ملكة السماء العظيمة، التي تقود
القوانين الإلَهية الرائعة
ولأنّ مولاي ومليكي خادمها
جعل منها ملكة الإيانا
فإن سيّد أراتّا سوف يخضع
هذا ما قالته له في قصر الأجرّ في كلاّب!

المبارزة المنفردة

«بهلعٍ واكتئاب»، تلقّى سيّد أراتّا هذا الخبر، وأبلغ الرسول، بأنه، إذا كان لا بد من حمل السلاح، فإنه يفضّل معركة منفردة بين بطلين يختار أحدهما كل طرف. ولكنّه أضاف قوله، ومع ذلك، وعلى اعتبار أن إنانّا لم تعد الآن تقف بجانبه، فهو على استعداد للخضوع لطلب إينمركار، شريطة الحصول على كميات كبيرة من الحبوب.

يعود الرسول ويبلغ الرسالة إلى ملك أوروك، الذي، بعد إقامته بعض الطقوس واستشارة الإلَهة نيدابا[١]، يرسل الحبوب إلى مملكة أراتّا، يرافقها رسوله

(١) (Nidaba) أو نيسابا بصفتها هنا إلَهة الحكمة وهي إلَهة الكتابة في مناسبات أخرى.

حاملاً معه رسالةً يستعرض فيها إينمركار مجده وبأسه مطالباً أراتّا بتسليم كميّات من العقيق واللازورد.

تصل الحبوب إلى أراتّا، فيبتهج شعبها، ويبدي استعداده لتقديم العقيق واللازورد بناء على رغبة إينمركار، كما يبدي استعداده لبناء وصيانة معابده من قبل «القدماء» في أراتّا.

ولكن سيّد أراتّا الغضوب، بعد أن يستعرض بدوره مجده وبأسه، يطالب هو أيضاً إينمركار، بإرسال العقيق واللازورد إليه ويعلن له بأنه في احتفالات الزواج الإلّهي، هو الذي سوف يضاجع إنانّا في قصره البرّاق، وعلى إينمركار أن يحني رأسه أمامه[1]:

«فليحنِ (إينمركار) رأسه أمامي وليذلّ نفسه أمامي!
وعندما يحني رأسه ويحني رأسه فعلاً
(عند ذلك، هذا ما سيكون من أجله ومن أجلي):
هو يبقى مع إنانّا قرب التحصين (؟)[2]
بينما أنا أضاجعها في قصري البرّاق، في أراتّا!
هو سوف يتمدّد بقربها على فراشٍ عادي
بينما أنا سوف أضاجعها في الراحة
الناعمة لفراشٍ ثمين!
هو لن يشاهد إنانّا إلا في الحلم،
بينما أنا أتحدث معها، مع الناصعة
البياض، عند قدميها!»

لدى عودة الرسول إلى أوروك، فإن إينمركار على ما يظهر يلجأ إلى استشارة الفأل، مستعملاً لهذه الغاية عَودَ قصبٍ، يجعله:

«يمرّ من النور إلى الظلمة، (ثم)

---

(١) ورد هذا المقطع في الكتاب الأول (النص رقم ٢٦).
(٢) المقصود هو التحصين الذي أنجزه سيد أراتّا على جبهة المنطقة الجبلية.

من الظلمة إلى النور»

ثم يقوم بقطْعِهِ. وفي هذه المرة يعود رسوله إلى سيّد أراتّا حاملاً معه «شَبَحهُ»[1] دون أية رسالة أخرى.

وبمجرد رؤية الشَبَح يدخلُ الهلع إلى قلب سيد أراتّا. ولكنه بعد أن يتحسر بأن إنانّا أدارت وجهها عنه وعن شعبه يستشير «وزير بلاطه»[2].

عودة إلى فكرة المبارزة الفردية

ويكرّر، بعد ذلك، اقتراحه الأول بقبول المبارزة الفردية:

«لكي يُعرف من هو الأقوى»

مشترطاً أن يكون المصارع المنتخب:

«ليس أسود، ولا أبيض،

ليس أسمر ولا أصفر أو مرقطاً»[3]

إينمركار مبتدع المراسلات الخطية (؟)

يعود الرسول إلى أراتّا مرة أخرى، حاملاً معه في هذه المرة رسالة مكتوبة، يقول كرامر بخصوصها: إذا ما صح تأويل هذا المقطع من النص، فإن إينمركار يكون أول من ابتدع أسلوب المراسلات الدبلوماسية على ألواح الفخار.

يعود إذنْ الرسول إلى أراتّا، حاملاً معه رسالة مكتوبة تتلخص في ثلاث نقاط:

١ - إينمركار يقبل تحدي سيد أراتّا وهو على استعداد لاختيار مصارعه.

٢ - يفرض إينمركار على سيّد أراتّا تكديس الذهب والفضة والأحجار الكريمة من

---

(١) في هذا العمل السحري المألوف في العصر البطولي طالع شؤم بالنسبة لسيد أرّاتا.

(٢) التسمية السومرية لحامل هذا المركز هي «شاتامّو» (Shatammu) وهو ضابط ذو مرتبة عالية في البلاد لا تعرف تماماً مهامه.

(٣) قد يتعلق هذا الشرط بلباس المصارع (؟).

أجل الإلّهة إنانّا.

٣ ـ يهدّد مرة جديدة أراتّا بالدمار الشامل، إذا لم يعمد سيّدها وشعبها إلى جلب «حجارة الجبال» لبناء وتزيين معبد إريدو.

يسلم الرسول اللوحة المكتوبة إلى سيد أراتّا، منتظراً إجابته.

وبشكل مفاجىء، يتلقى سيد أراتّا مساعدةً من مصدرٍ غير منتظر.

تدخل الإلّه إيشكور[١] لمصلحة أراتّا

فجأةً يجلب إيشكور، الإلّه السومري للمطر والعواصف، القمح والفول البري ويكدّسهما أمام سيد أراتّا، الذي يتشجّع ويعلن للرسول، بأن إنانّا:

«لم تهجر بيتها ولا سريرها في أراتّا»

يتضح بعد ذلك، وعلى الرغم من التشويه في تتمة النص، أن شعب أراتّا، قدم لأوروك بنهاية الأمر الذهب والفضّة واللازورد.

ويوضّح كرامر بصدد هذا النص، أنه قام بتجميعه عبر عشرين لوحة أو كسرة لوحة، وأهمّها لوحة متحف اسطنبول التي تحمل اثني عشر عموداً والتي قام بنسخها خلال عام ١٩٤٦.

---

(١) (Ishkur).

(١٣١) ـ لوجال باندا وحصار أوروك

نذكّر بأن الملوك الذين عرفتهم فترة الملكية السومرية الثانية[١]، والذين عاشوا في «العصر البطولي» لسومر هم:

- لوچال باندا وإينمركار وچلچامش[٢] في أوروك.
- وإينميباراچيزي وآچا وميسيليم[٣] في كيش.
- وإينسوكوشيرانّا[٤] في أراتّا.

وعن لوچال باندا حفظت لنا النصوص السومرية نصين، أحدهما يعتبر لوچال باندا معاصراً لإينمركار، يوم كان هذا الأخير يحكم أوروك ويوم كانت الإلّهة إنانّا قد اتخذت من أراتّا مقراً لها.

وبصدد هذين النصين، لا يمكننا مع الأسف، أن نقدم عنهما سوى ما عرضه كرامر عن المحتوى العام، مع اعترافه بصعوبة الترجمة، على الرغم من احتوائهما على عددٍ مهمّ من الأسطر، معتبراً أن هذا العرض لا يتعدى القراءة الأولية للنصّين[٥].

---

(١) (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠) ق. م.

(٢) (Lugalbanda) و(Enmerkar) و(Gilgamesh).

(٣) (Enmibaraguesi) و(Agga) و(Mesilim).

(٤) (Ensukushiranna).

(٥) وسوف يرد النص الثاني تحت (رقم ١٣٢).

١ ـ النص الأول، يمكن عنونته: «لوچال باندا وحصار أوروك واللجوء إلى إنانّا»، وهو يحتوي على أكثر من ٤٠٠ سطر فيها القليل من النقص والتشويه، ومع ذلك فإن معناه لا يزال غامضاً في بعض المواضع، وفيما يلي تلخيص كرامر حول محتوى الأجزاء المقروءة.

٢ ـ البطل لوچال باندا، كان يقيم على ما يظهر، رغم إرادته في منطقة «زابو»[١]، وهي المنطقة التي تجاور بلاد عيلام في الجنوب الغربي من إيران الحالي.

وكان شديد الرغبة للعودة إلى مدينة أوروك. ولهذه الغاية فإنه يحاول كسب صداقة وثقة الطائر «إيمدوچود»[٢] الذي يقرر المصائر والذي لا مردّ لمقرراته.

٣ ـ في أحد الأيام، أثناء غياب الطائر عن عشّ صغاره، يتقدّم منهم لوچال باندا ويطعم الفراخ دهناً وعسلاً وخبزاً. كما يجمّل بالمساحيق وجوههم ويضعُ التيجان «شوجورّا»[٣] على رؤوسهم.

٤ ـ لدى عودة الطائر إيمدوچود، فإنه يبتهج حين يرى أن صغاره عوملوا كآلهة، ويعلن بأنه يمنح صداقته ومكافأته لمن عاملهم مثل هذه المعاملة، سواء أكان بشراً أم إلّهاً.

٥ ـ يتقدم عندئذٍ لوچال باندا لاستلام مكافأته ويتلقّى من إيمدوچود المديح والتقدير والبركة، مكرراً ذلك عدة مرات ومؤكداً له أن بإمكانه العودة إلى أوروك مرفوع الرأس.

٦ ـ وبناء على طلب لوچال باندا، يعلن له الطائر أن سفره سيكون موفقاً، شريطة ألا يبوح بسبب سفره إلى أحد، حتى إلى أقرب المقرّبين إليه كما يقدم له نصائح أخرى.

٧ ـ عاد الطائر إلى عشّه، والتحق لوچال باندا بأتباعه، وأعلن لهم بأنه سيعود إلى أوروك، فحاولوا ثنيه عن عزمه نظراً للمخاطر التي تمثلها هذه

---

(١) (Zabu).

(٢) (Imdugud).

(٣) (Shugurra).

الرحلة، التي لا يسلم منها أحد، على اعتبار أن الذهاب من بلاد (زابو) إلى أوروك يقتضي المرور عبر جبال شاهقة العلو واجتياز النهر الرهيب (كور)[1].

لكن لوچال باندا، لم يبدّل رأيه، كما لم يصرّح عمّا قاله له الطائر إيمدوچود بصدد نجاح رحلته. ثم توجّه نحو أوروك ووصل إليها بنجاح.

٨ ـ إلا أن إينمركار، إبن إلّه الشمس أوتو، ملك أوروك، وهو سيّد لوچال باندا كان في وضع سيء، لأن قبائل المارتو[2] التي كانت لسنوات تحدث الأضرار في بلاد سومر وآكاد، نجحت في حصار مدينة أوروك. وكان على إينمركار توجيه رسول إلى إنانّا أخته، إلّهة أراتّا طلباً لمساعدتها.

٩ ـ عند ذلك يعرض لوچال باندا نفسه، ليكون رسول ملكه إلى أراتّا، ويقبل إينمركار عرضه الشجاع، ولكنه يأمره بأن لا يبوح لأحد بمهمّته وأن ينفذها بمفرده. وهنا أيضاً يخبر لوچال باندا أتباعه بأنه سيغادر بسرعة، ويحاولون بدورهم ثنيه عن قراره، ولكنه لا يبدّل رأيه. يتزوّد بسلاحه ويباشر رحلته، فيقطع بنجاح الجبال السبعة التي تمتد على طول بلاد أنشان[3] ويصل إلى أراتّا.

١٠ ـ تستقبله الإلّهة إنانّا بحرارة وتسأله عن سبب قدومه دون أيّة حاشية، فيكرر لها كلمة بكلمة رسالة إينمركار. أما إجابة إنانّا التي ينتهي بها النص، فهي غامضة جداً. وتتحدّث، كما يظهر، عن نهرٍ وعن نوع سمك غريب، يتوجب على إينمركار اصطياده. وتتحدث أيضاً عن أوعية للماء، على الصنّاع إعدادها من معدن أو حجر، على إينمركار استقدامهم إلى مدينته.

ولا نفهم قط، كيف يمكن بمثل هذه الترتيبات إنقاذ سومر وآكاد وفك حصار أوروك. ولا بدّ من التذكير بأن العصر البطولي تضمن السحر من بين الوسائل التي يمكن اللجوء إليها.

---

(١) (Kur) وكور هو أيضاً اسم الوحش المائي (التنين) الذي هدّد الأرض كما ورد ذلك في النص (رقم ٨٦) من الكتاب الثالث.

(٢) (Martu) رمز النص (رقم ٧٥) من الكتاب الثالث إلى تحضير قبائل المارتو.

(٣) (Anshan) المنطقة الجبلية الفاصلة بين أوروك وأراتّا.

(١٣٢) ـ لوجال باندا وشفاؤه من قبل الإله أوتو

عرف هذا النص أيضاً تحت عنوان لوچال باندا، البطل الهائم، أو لوچال باندا وجبل هورّوم[١].

يحتوي هذا النص على ٤٠٠ سطر وقد فقد بدايته ونهايته وما وصلنا منه يقارب ٣٥٠ سطراً نصفها بحالة جيّدة ومع ذلك، فإنها لا تسمح بتقديم ملخصٍ كامل عن محتوى هذا النص. وفيما يلي ما يمكن أن يكون الإطار العام، لهذه القصيدة البطولية.

١ ـ خلال مهمة انتقال بين أوروك وأراتّا، فإن لوچال باندا ورجال حاشيته يصلون إلى جبل هورّوم، حيث يصاب لوچال باندا بمرضٍ، يجعل حاشيته تعتقد أنه سيموت. ولذلك، فإن رجال الحاشية، يقرّرون متابعة مهمتهم بدونه وتركه في مكانه، مزوداً بالماء والمؤن وإلى جانبه سلاحه أملاً بنقل جثمانه إلى أوروك لدى عودتهم من أراتّا.

٢ ـ في حزنه على حاله، يتوجّه لوچال باندا بابتهال حارٍّ إلى الإلّه أوتو[٢] طالباً منه إعانته. يستجيب أوتو ويقدم له طعام وشراب الحياة ويشفيه من مرضه.

٣ ـ بعد شفائه من مرضه، يتجول لوچال باندا هائماً في سهوب البلاد

---

(١) (Hurrum).
(٢) (Utu) إلّه الشمس السومري.

المرتفعة، حيث يتغذّى بالنباتات البرية وبالطرائد التي يصطادها.

٤ ـ ثمّ يلي ذلك، حلم يراه، يسمع خلاله نداءً، هو على الأرجح صوت أوتو إلّه الشمس، يأمره بإعداد سلاحه واصطياد ثور وحشي، وتقديم دهنه إلى الإلّه الشمس لدى شروقه. وأن يضحّى كذلك بجدي، يسكب دمه في حفرة وينثر دهنه في السهل.

٥ ـ ينفّذ لوچال باندا بمجرّد استيقاظه، ما أمره به أوتو، ثمّ يعد أطعمةً وشراباً مخمّراً كتقدماتٍ لكل من آن وأنكي وإنليل ونينخورساچ رباعي الآلهة ـ العظام في سومر.

٦ ـ يلي الفقرة أعلاه، قسم يحتوي حوالى ١٠٠ سطر وهو آخر ما وصلنا من هذا النص.

وقد خُصِّص هذا القسم لتمجيد الأنوار السماوية السبعة التي يستعملها لإنارة الكون كل من الإلّه القمر نانا والإلّه أوتو وإنانّا إلّهة كوكب الزهرة.

٧ ـ النهاية مفقودة ولا يمكن التكهن بتتمةٍ لهذا النص.

(١٣٣) ـ بين كيش وأوروك
جلجامش يُخضع آجّا

١ ـ في هذا النص السومري حول چلچامش، نجده أمام مشكلةٍ بين أوروك وكيش[١]، التي توجّه له إنذاراً للخضوع لسلطة معبد كيش.

أما الخلاف بين المملكتين، فكان حول مأخذ الصلصال[٢] الذي كان استثماره على ما يظهر مشتركاً بين أوروك وكيش. . .

لا يدخل النص في تفاصيل الخلاف ولا يقدّم له، ونجد أنفسنا مباشرةً في قلب الحدث، حين كان چلچامش يعالج موضوع الإنذار أمام مدينته، أي أمام مجلسي مدينته.

٢ ـ يتضح من النص أن أوروك كانت ذات ملكية «ديموقراطية»، إذ كان على الملك چلچامش بالنسبة لاتخاذ القرارات الهامة، العودة إلى مجلسيه، مجلس «القدماء»، الذي يقرّر بهدوء وحكمة، عدم حمل السلاح، في وجه كيش، ومجلس «الشبّان» الذين يقررون متحمسين حمل السلاح وعدم الخضوع لسلطة كيش.

٣ ـ وها هي المدينة محاصرة من قبل آجّا[٣] ملك كيش، وچلچامش يحمّس جنوده ويطلب أن يتقدم أحد أبطاله، للقاء آجّا خارج الأسوار. يعرض أحدهم

(١) (Kish) المدينة القديمة المجاورة لبابل وهي على بعد ٢٠٠ كم عن أوروك باتباع الطريق النهري.

(٢) أتى ذكره في مقدمة ملحمة چلچامش (نسخة نينوى).

(٣) (Agga).

نفسه، ولكن يتمّ أسره ويسلّم إلى آجّا.

٤ ـ وهنا ليست المبارزة الفردية التي تنهي الحصار كما هو مألوف في العصر البطولي، ولكن هيبة چلچامش وتألّقه الإلّهي، إذ إنه بمجرّد ظهوره على سور أوروك تنقلب الجماهير على آجّا، ويتمّ أسره. وهنا يتدخل كرم چلچامش وروح الفروسية التي يتحلّى بها والتي من شيمها «العفو عند المقدرة». وهكذا ينتهي الحصار ويعود آجّا إلى كيش.

چلچامش أمام مجلس القدماء في أوروك

1 إلى أوروك أوفد آجا، إبن إينمِرباراچيزي[(١)]
من كيش، رسلاً إلى چلچامش[(٢)]
وأمام قدماء مدينته،
عرض چلچامش القضية هكذا:
5 «لكي ننتهي مع مشكلة مأخذ الصلصال[(٣)]
لكي ننتهي مع مأخذ صلصال البلد،
لكي ننتهي مع مأخذ الصلصال المفضّل في البلاد،
لكي ننتهي مع استخراج الصلصال، الذي
يتمّ قياسه بواسطة الخيط[(٤)].
كلاّ! علينا ألاّ نخضع لمعبد كيش
ولنضرب بسلاحنا!»

---

(١) (Enmerbaragesi) يعتقد بعض العلماء أنها أخت چلچامش الذي يصبح خالاً لآجّا.
(٢) الدخول هكذا في قلب الحدث جعل البعض يفكرون بأن هناك بداية لم يعثر عليها.
(٣) لا بد أن يكون هذا المأخذ فائق الجودة لكي تفاخر به ملحمة چلچامش ولكي يقع الخلاف بين أوروك وكيش على استثماره.
(٤) من المرجح أن خيط قياس كان يُشدّ لتحديد المساحة الممكن الاستخراج منها وفق نظام خاص لتوزيع حق الاستثمار بين المدينتين.

إجابة المجلس

مجلس قدماء المدينة

10 أجاب چلچامش:

«لكي ننتهي مع مشكلة مأخذ الصلصال

لكي ننتهى مع مأخذ صلصال البلد،

لكي ننتهي مع مأخذ الصلصال المفضّل في البلاد

لكي ننتهي مع استخراج الصلصال الذي

يتم قياسه بواسطة الخيط،

فلنخضع لمعبد كيش، وعلينا ألا نضرب بسلاحنا!»

چلچامش توجّه إلى مجلس شبان أوروك

15 چلچامش، سيد كلاّب[١]

الذي يثق بالآلهة إناثا

لم يقبل قلبه رأي قدماء المدينة.

مرّة ثانية، أمام شبان المدينة[٢]

عرض چلچامش القضية، على هذا الشكل:

20 «لكي ننتهي مع مشكلة مأخذ الصلصال

لكي ننتهي مع مأخذ صلصال البلد

لكي ننتهي مع مأخذ الصلصال المفضّل في البلاد

لكي ننتهي مع استخراج الصلصال، الذي

يتمّ قياسه بواسطة الخيط،

كلا! علينا ألاّ نخضع لمعبد كيش، ولنضرب بسلاحنا.

---

(١) (Kullab) حي المعابد في أوروك أو ضاحية منها.

(٢) هم مجموع الشبان القادرون على حمل السلاح.

إجابة شبان المدينة

أجابت جمعية شبان المدينة چلچامش:

25 «إلى الذين هم في عمل السخرة أو في فترة الاستراحة،

أنتم الذين تعتنون بأبناء الملك

أنتم الذين تضغطون (بفخذيكم)[١]

على كُشُح مطاياكم

أنتم الذين لا تنقصكم (الشجاعة)[٢]

كلاّ، لن نستسلم لمعبد كيش، ولنضرب بسلاحنا»[٣].

تمجيد أوروك وچلچامش

30 أوروك تحفة الآلهة

الإيانا[٤]، المعبد الذي نزل من السماء[٥]

الآلهة ـ العظام، هم الذين رسموا تخطيطه

سورها العظيم، هو الغيم الصاعد من الأرض

مقرّها السامي، أسّسه آنو[٦]

35 هو أنت الذي تعتني بها، أنت الملك المقدام

أنت ذو الرأس الرائع، الأمير حبيب آنو

كيف يمكننا أن نرتجف لمقْدَمِه؟[٧]

مقدّمة (رجاله) لا يؤبهُ لها، سوف تتشتّت.

---

(١) أي الذين يعتلون مطاياهم بدون سرج.

(٢) حرفياً الذين فيهم روح أو نَفس.

(٣) يعتبر كرامر أن مجلسي القدماء والشبان يشكلان أول «برلمان» عرَفته البشرية.

(٤) (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو معبد إنانّا في أوروك.

(٥) بمعنى أن مخططه نزل من السماء كما فعل يهوه حين رسم لموسى تابوت العهد خروج (٢٥: ٩ ـ ٤٠) أو الشمعدان ذا الشعب السبع في عدد (٨: ٤).

(٦) (Anu) إلّه السماء السومري.

(٧) أي آجّا ويفهم أنه قدم بواسطة سفينة من كيش إلى أوروك (٢٠٠ كم على الفرات).

وليس بوسع رجاله صعود النهر بالتجذيف[١]

الاستعداد للمعركة

40 في ذلك اليوم، إن چلچامش، سيد كلاّب

ابتهج لكلمات شبّان مدينته

وتمدّد كبده[٢]

صرّح عند ذلك لأنكيدو خادمه

أعدّ الآن تجهيزات المعركة

إمسك بيمينك سلاح المعركة

45 ولتحدث (الأسلحة) بريقاً مرعباً!

أما هو [آچّا] بمجرّد وصوله، فإنّ

تألّق رهبتي الكبيرة سوف يصعقه

وستنعدم استعداداته وتتشتت أفكاره

حصار أوروك والمبارزة الفردية

ما كادت تمضي مدّة خمسة أيام

ما كادت تمضي مدة عشرة أيام

حتى عمد آچّا، ابن (إينمرباراچيزي) إلى حصار أوروك.

50 إستعدادات أوروك، لم تعد فاعلة

وچلچامش سيد كلاّب

خطب في محاربيه (معلناً):

«أنتم مضطربون، يا جنودي المحاربين!

فليقف (من بينكم) الرجل الجريء

---

(١) يتصور الشاعر هنا إنكسار جنود آچّا وعودتهم على سفينة بترت مقدمتها وعليهم التجذيف.

(٢) أي ابتهج قلبه.

وليتقدّم للقاء آجّا!»

55 بيرهورتور[١] ضابطه الملكي

تلفّظ بمديحٍ خاص نحو مليكه (مضيفاً):

«أي مليكي، أنا هو الذي سيقوم بلقاء آجّا.

حتى تنعدم استعداداته وتتشتت أفكاره!»

محاولة بيرهورتور

خرج بيرهورتور من بوّابة المدينة

60 وما أن تمّ خروج بيرهورتور من بوابة المدينة

حتى قُبض عليه على مدخل المدينة

فأخذ بيرهورتور يضرب بكتلة سلاحه

ثم أوتي به أمام آجّا.

وسلّم أمره إلى آجّا.

65 وقبل أن يتمكن من الكلام[٢]، فإن

صانع أسلحة أوروك صعد إلى السور

إنحنى من أعلى السور ليرى (ما يجري)،

شاهده آجّا

وقال لبيرهورتور:

«أيها الخادم، هل هذا الرجل هو مليكك؟

إجابة الضابط وتمجيد چلچامش

70 «هذا الرجل ليس مليكي (أجاب بيرهورتور).

إذا كان هذا الرجل هناك، هومليكي

لكان جبينه يبدو صارماً

---

(١) (Birhurtur) اسم الضابط الملكي.

(٢) أي قبل أن يتمكن من عرض موضوع اللقاء الفردي، للحسم بين المملكتين.

ولكانت له عند ذلك نظرة ثورٍ وحشي[1]
ولكانت له لحية لازوردية[2]
75 ولكانت أصابعه دقيقة (؟)
والجماهير، أما كانت ستخضع؟ الجماهير
أما كانت ستتحمس؟
والجماهير، أما كانت ستتمرّغ في العَفر؟[3]
والبلاد أما كانت جميعها ستذهل دفعة واحدة؟
والناس، أما كانوا يعضّون التراب؟[4]
80 ومقدّمة السفينة، أما كان سيتم بترها[5]
وآجّا، ملك كيش، أما كان سيصبح
أسيراً وسط جنوده؟
عند ذلك، كان هناك قتال وتبادل الضربات
إذْ تابع بيرهورتور الضرب بكتلة سلاحه.

ظهور چلچامش وأسر آجّا

بعد صانع أسلحة أوروك، صعد چلچامش إلى السور
85 كل شعب كلاّب، القدماء وحتى الأطفال، أذهلهم
تألّقه الرهيب
وشبّان أوروك حملوا (من جديد) أسلحتهم

---

(١) صورة مألوفة سومرياً ترمز إلى القوة بالنسبة للآلهة أو الملوك.
(٢) عدد من الآلهة مثل سين وشمش ومردوك ونينورتا كانت لهم لحىً من اللازورد. وفي رجاء موجّه إلى إلّه نقرأ: «[تكلم] مع مليكي، الثور الوحشي، ذي العينين المتعددتيّ الألوان واللحية اللازوردية».
(٣) و(٤) تعبيران لانزال نستعملهما للدلالة على الهزيمة والإنكسار.
(٥) تبتر مقدّمة سفينة المهاجم من قبله أو تحرق لكي يعني القتال «النصر أو الموت». ولدينا في الإلياذة وفي غزو طارق بن زياد اسبانيا مثالين عن ذلك، وهنا يمكن أن يكون بتر مقدمة السفينة سيتمّ من قبل رجال أوروك للحيلولة دون هرب آجا المنكسر.

تمركزوا على الطريق قرب بوابة المدخل
ثم خرج أنكيدو من البوابة الكبيرة
وانحنى چلچامش من على السور.
90 عند ذلك، شاهده آجا (وسأل) أنكيدو:
«أيها الخادم، هذا الرجل، هل هو مليكك»؟
ـ «نعم، هذا الرجل هو مليكي»
وما أن تلفّظ بكلمات: «هذا
الرجل هو مليكي»
حتى خضعت جماهير وتحمّست جماهير
95 وتمرّغت في العفر الجماهير
والبلاد جميعها، ذُهلت دفعة واحدة
وأخذ الناس يعضون التراب
وبُترت مقدّمة السفينة
99 وآجّا، ملك كيش تمَ أسره وسط جنوده.

خطاب چلچامش وإطلاق سراح آجّا

99 في قلب أوروك، أصبح آجّا سجيناً مع جيشه
100 وچلچامش، سيد كلاب قال لآجّا[1]:
أليس آجا ملازمي؟ أليس آجّا ضابطي؟
هل آجّا هو حاكم مملكتي، هل هو قائدي؟
هل آجّا هو قائد جيوشي؟
آجّا، أنت منحتني النَفَس، منحتني الحياة
105 أنت يا آجّا، أخذت اللاجىء إلى حضنك

---

(١) يحاول چلچامش في المقطع التالي تلقين آجّا درساً في التسامح والكرم وإبقائه إلى جانبه وإزالة العداء بين أوروك وكيش.

وقدّمت الشعير للعصفور العابر»

عودة إلى تمجيد أوروك وچلچامش

أوروك، تحفة الآلهة،
سورها العظيم، الغيم الصاعد من الأرض[١]
مقرها السامي، تأسيس آنو[٢]
110 هو أنت الذي تعتني بها، أنت ملكها المقدام
أنت ذو الرأس الرائع، الأمير حبيب آنو.
أمام أوتو، أعيد إليك نعمة الأيام القديمة!»
تَركَ آچّا حرّاً يعود إلى كيش[٣]

تمجيد الخاتمة

چلچامش سيد كلاّب
115 طيّب هو مديحك.

---

(١) شهرة أسوار أوروك كانت موضوع افتخار الشاعر منذ ذلك الوقت.
(٢) أي الإيانا وهو بيت السماء؛ بيت الإلّه آنو إلّه السماء.
(٣) لدينا هنا مثل عن نبل ملوك العصر البطولي. وترك آچّا يغادر أوروك عائداً إلى كيش هو من هذا القبيل.

(٢ ـ ٢) ـ إيرّا إله الدمار

١ ـ قبل عرض ملحمة إيرّا التي هي النص الوحيد الذي سوف تشتمل عليه هذه الفقرة، نعود لاستكمال مظاهر العنف والضراوة التي بدأنا بعرضها من ضمن الفقرة السابقة، والتي أشارت إلى الدمار الشامل والإبادة والتحويل إلى العدم الذي عرفته حروب توسيع الممالك وبناء الأمبراطوريات أو إخماد الثورات، والتي هي على نقيض ما وصلنا من خيال وجمال أساطير العصر البطولي وبساطة حلّ الخلافات بين الممالك.

٢ ـ قبل أن يتمكن سرجون الكبير الأكادي من توحيد البلاد وبناء أمبراطوريته الأولى[١] كانت هناك محاولة توحيدية سومرية فاشلة قام بها أوروكاجينا[٢] ملك لغش.

ولم تدم أمبراطورية سرجون الكبير أكثر من قرن ونصف القرن لأن حفيده نرم ـ سين[٣] بعد أن أخمد ثورة ضدّه قامت في سومر، هدم بسببها معبد إنليل في نفّر، غُلب على أمره من قبل قبائل الجوتي[٤] التي دمّرت العاصمة الجديدة أكادي وأزالتها إلى الأبد[٥]، وحكمت البلاد زهاء مائة عام، وقد تمكن أوتو ـ هينغال[٦] من طردهم حوالى ٢١٠٠ ق. م.

---

(١) حكم سرجون بين عامي ٢٣٤٠ و٢٢٨٤ ق. م.
(٢) (Urukagina) حكم حوالى ٢٣٥٥ ق. م.
(٣) (Naram-Sin) (٢٢٥٩ ـ ٢٢٢٣).
(٤) (Guti) قبائل نزلت من جبال زغروس.
(٥) لم يكتشف حتى اليوم موقع هذه العاصمة.
(٦) (Utu-Hingal).

وبعد عودة الحكم السومري في لغش وأور وأوروك، وقبل أن تظهر أهمية مدينة بابل، استعادت البلاد اعتزازها بعد طرد قبائل الجوتي كما أسلفنا. وفي فترة حكم الملك شولجي[1] كان الفخر والإدِّعاء بالتفوق هو الأدب المسيطر.

ولم يمضِ أكثر من نصف قرن على طرد الجوتي، حتى عرفت البلاد كارثة جديدة، حين قام الجبليّون السوتيون[2] والعيلاميون باجتياحهم لسومر. وبعد هدمهم لأور ونفّر ولمدن أخرى، ساقوا الملك إيبّي ـ سين[3] أسيراً. ولا بدّ من الرجوع إلى مرثية «البكاء على خراب سومر ومدينة أور»[4] لمعرفة مدى الخراب والدمار اللذين عرفتهما جميع مدن بلاد سومر.

٣ ـ إعتباراً من عام ١٨٩٤ ق. م، بدأت بابل «القرية» المجهولة تخرج من عزلتها وتفرض سيطرتها وتتوسع وتزداد أهمية في الوقت نفسه. ومنذ حكم سين ـ مبلّيط[5] والد حمورابي كانت بابل قد أخضعت مدناً مثل سيبار وكيش وبورسيبا[6] ولكنها فشلت أمام لارسا[7].

وحين تسلم حمورابي عرش بابل خلفاً لوالده، كانت آشور آنذاك تشكل مملكة قوية في الشمال تمكّنت من إخضاع الفرات الأوسط ومدينة ماري. مما حدا بحمورابي احترام نصوص الاتفاق الذي عقده بناءً على طلبه مع ملك آشور آنذاك.

إلا أن مملكة ماري استعادت عرشها من آشور، وأصبح ميزان القوى خلال حكم حمورابي موزعاً على الشكل التالي: آشور في الشمال وماري في الغرب وإيشنونا في الشرق ولارسا في الجنوب وأخيراً بابل في الوسط.

---

(١) (Shulgi) حكم في أور حوالى (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦) ق. م.
(٢) هم قبائل السوتو (Sutu) وكانت منطقة تجمعهم بجوار جبل البشري في منطقة الرقة الحالية.
(٣) (Ibbi-Sin) حفيد شولجي.
(٤) انظر النص (رقم ٦٨) من الكتاب الثاني.
(٥) (Sin-Muballiṭ).
(٦) (Sippar) و(Kish) و(Borsipa).
(٧) (Larsa).

٤ ـ وقد نجح حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) ق. م، بحنكته ودهاء سياسته في التخلص من أعدائه الواحد بعد الآخر، مستثمراً الخلافات فيما بينهم ومعتمداً على أحدهم للقضاء على الآخر. وبسهولة كان حليف اليوم يصبح عدو الغد.

تمكن حمورابي خلال ربع قرن من توحيد البلاد وجعل بابل عاصمة السلطة والثقافة والمعرفة بدون منازع، بحيث استمرت أهميتها أكثر من ألف عام على الرغم من انحسار دورها السياسي.

٥ ـ حكم حمورابي خلال ٤٢ عاماً، وكانت كل سنة من سني حكمه تتميّز بعملٍ حربي أو حضاري. وفي مقدمة تشريعه المشهور التي سجلها في السنوات الأخيرة من حكمه بأسلوب طنّان، فإنه يفاخر بالخدمات التي قدّمها لمختلف المدن التي أخضعها إرضاءً لآلهتها. ولا بدّ من التذكير بأن إخضاع المدن لم يخل كالعادة من أعمال العنف والتدمير والإعدام والسبي... ومن ثمّ، بعد استتباب الأمور، العودة إلى الترميم والتجميل إرضاءً للآلهة. ومع أن الإلّه مردوك كان الإلّه الأوحد الذي تجمعت فيه صلاحيات جميع الآلهة، فإن حنكة حمورابي الدبلوماسية جعلته، في مقدمة تشريعه، يقدم نفسه كمفضّلٍ من قبل كل إلّه على حدَه وحائزاً من قبل كل إلّه على مزيةٍ أو هِبةٍ يتحلّى بها دون غيره. بعد إعلانه بأنّه قضى على أعدائه في الشمال والجنوب[١] وبعد مباركته لكل من يتّبع محتوى تشريعه بحيث يصبح مثله «ملكاً للحق»، طالباً من شمش إطالة حكمه ليتمكن من رعاية شعبه في الحق ـ أما اللعنات التي يوجهها حمورابي إلى كل من يخالف تشريعه ولا يحترم محتواه وكل من يبدل فيه أو يمحي اسمه ليضع مكانه اسمه هو، هذا المخالف الذي لا يخشى الآلهة، سواء أكان ملكاً أم حاكماً[٢]... وفقاً لهذه الحيثيات، يطلب حمورابي من كل إلّه بحسب اختصاصه معاقبة المخالف.

٦ ـ درج ملوك آشور على تعيين حكام محليين في المناطق التي يخضعونها،

---

(١) حرفياً أعداء الأعلى والأسفل.
(٢) حيثيات اللعنة هي التي ترد عادة في نصوص عديدة وقد ورد ما يماثلها من قبل ملك ماري.

معتمدين على ولاء هؤلاء لسلطتهم المركزية. ولم يخل الأمر بالطبع من الخيانات والثورات ومحاولات الاستقلال. وعند ذلك كانت العقوبات صارمة.

كانت مملكة ماري، قبل آشور تربط القبائل والمدن المحيطة بها بقسم لضمان الولاء، أشارت إلى ذلك الوثائق الملكية. وكان أسرحدّون[١] والد أشوّر بانيبال يعقد اتفاقيات مكتوبة تشتمل على اللعنات التقليدية التي من شأنها ضمان احترام مضمونها. إلا أن إحدى هذه اللعنات هي ملفتة للنظر بشكل خاص، لأن أسرحدّون يهدّد فيها المخالف:

«بمعاقبته ومعاقبة أبنائه وبناته

بطحن عظامهم مثل ما يطحن القمح».

كما أنّ أشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧) ق. م، وصاحب مكتبة نينوى الشهيرة، لم يكتفِ باللعنة كما فعل والده أسرحدّون ولكنّه نفّذ فعلاً عملية السحق، وذهب إلى أبعد من ذلك كما يعلمنا هو بنفسه في إحدى وثائقه.

٧ ـ في عام ٦٥٢ ق. م، أَخْمَدَ أشور بانيبال ثورةً على آشور قام بها في منطقة نفّر إبنا حاكم المنطقة المتوفى بعد أن شجّعا ملك عيلام على الانضمام إليهما. وقد نفى إلى بلاد آشور قادة المنطقة الذين ساهموا في الثورة وحلفاءهم. ولم يكتفِ بذلك، إذْ أمر بنبش قبر الحاكم السابق، والد الثائِرَيْن المتوفى منذ عشر سنوات مضت ونقلها مع المنفيين إلى نينوى. ومن الصعب تصور ما حدث بعد ذلك: فقد أجْبَرَ أشور بانيبال إبني حاكم نفر المتوفى سحق عظام والدهم أمام بوابة المدينة. وفيما يلي ما ورد في الوثائق الملكية بهذا الصدد:

«نابو ـ نائد وبِل ـ إيتير[٢] إبنا نابو ـ شوم ـ إيريش[٣] حاكم نفّر، والدهما وذريتهما، اللذيْن شجّعا ملك بلاد عيلام أورتاكي[٤] على محاربة بلاد آكاد ـ عظام نابو ـ شوم ـ إيريش التي نقلت من بلاد چامبولا[٥] إلى

---

(١) حكم آشور حوالى (٦٨٠ ـ ٦٦٩) ق. م.

(٢) (Nabu-Naid) و(Bel-Etir).

(٣) (Nabu-Šum-Eresh).

(٤) (Urtaki).

(٥) (Gambula) تدل على منطقة نفّر الثائرة.

آشور، هذه العظام، أمام البوابة الداخلية لمدينة نينوى جعلتها تسحق من
قبل إبنيه».

٨ ــ وبعد أن أخضع أشور بانيبال مدينة سوز[1] العيلامية في حملته السادسة عام ٦٤٦ ق. م، ترك لنا نقشاً يروي ما نفّذه بعد انتصاره:

«قبور ملوكهم القدماء والحديثين، الذين لم يكرِّموا عشتار إلَهتي والذين أقلقوا الملوك آبائي ـ هذه القبور هدمتها ونبشتها، وعرضت للشمس هياكلهم العظمية وحملتها إلى بلاد آشور. وبذلك فرضتُ على أشباحهم ألاّ يعرفوا الراحة أبداً بحرمانهم من التقدمات الجنائزية والقرابين السائلة».

وهكذا تمكّن أشور بانيبال من نفي عظام الموتى ونقلها إلى بلد غريب وقطع الصلة بين أشباح الأجداد والأحياء من ذويهم ومن شعبهم...

٩ ــ وبصدد إخضاع مدينة سوز، لا بد من التوقّف أيضاً على بعض التفاصيل المرتبطة بموضوعنا حول «الحرب والدمار»، فقد عمد آشور بانيبال إلى نقل غنائم لا تحصى إلى آشور، وبهذه المناسبة، يفخر أشور بانيبال، بأنه مسح المعابد العيلامية، بحيث لم يعد للآلهة والإلّهات، التي نفى تماثيلها، أي وجود. ويقول حرفياً:

«بحيث لم يعودوا سوى هبّة ريح»

وهكذا جعل أشور بانيبال آلهة عيلام تفقد قدرتها على الحماية. وتظهر هنا العلاقة بين المعبد مقر الإلّه وقدرة هذا الإلّه. ويضيف النص:

«الأَجَمات المقدّسة التي لم يضع فيها أي أجنبي
رجله ولم يقرب أحد قطّ من جوارها، قام
جنودي بتدنيسها وإحراقها».

وبالإضافة إلى كل ذلك، نفى أشور بانيبال رمزياً تربة سوز إذ حَمل معه تراباً منها ونقله إلى آشور، بحيث يبقى سجيناً تحت سلطته ومنفياً في بلد غريب!

---

(١) (Suse) المدينة الواقعة على أحد روافد دجلة من بلاد عيلام إلى الشرق من لغش على بعد حوالى ٢٢٠ كم.

ويعتقد بعض الباحثين أن هذه العادة هي تقليد قديم عرفته الفترات السومرية منذ الألف الثالث قبل الميلاد.

١٠ ــ وهكذا يتضح من الأمثلة المقدّمة أعلاه، بأن تدمير المدن ومسح المعابد وطرد الآلهة وأسرهم ونبش القبور وتشتيت العظام أو نقلها و«نفي» التربة وسجنها، كل ذلك كان يعني «الإعادة إلى العدم»، بحيث يصبح العدو «كَلاَ شيء»، بعد تهديم كل مكوِّنات بنيته الشخصية والعائلية والاجتماعية. وتحويل أشباح الملوك الذين فقدوا هياكلهم العظمية إلى أشباح هائمة لا تعرف الراحة، تأكل النفايات وتشرب الماء النتن وتصبح خطراً على الأحياء من عائلاتهم الذين يتحوّلون إلى «بشرٍ دون ماضٍ ولا مستقبل»!

تلك هي «فلسفة» الحرب والدمار التي عرفتها بلاد ما بين النهرين، وأمثلة العنف والضراوة التي قدمناها، وهي، وإن وَجَدت لها أساساً في معتقدات ما بعد الموت، فهذه المعتقدات، لا تكفي وحدها لتفسير اللجوء إليها.

وقد قدمنا المعلومات المتفرقة أعلاه، عن الحرب والدمار، تمهيداً لعرض ملحمة عُرفت بملحمة إيرّا، التي تمّ تأليفها في بابل بعد أن عاشت البلاد فترات اكتساح وتدمير صعبة، هي التي ألهمت هذا العمل الملحمي الفريد في أسلوبه وفي قوة محتواه.

١١ ــ بعد فترة استقرار عرفتها بابل تلت حكم حمورابي، يمكن القول، بأن العنف والتدمير لم يتوقفا. فقد عرفت البلاد[(١)] هجوماً حثياً تمّ حوالى عام ١٥٩٥ ق. م، ثم احتلالاً كوشياً[(٢)] دام أكثر من ثلاثة قرون، تلاه توسع آشوري، استولى على بابل في عام ١٢٣٧ ق. م إبّان حكم توكولتي ـ نينورتا الأول.

ثم بعد أن رسّخ نبوخذ نصّر الأول (١١٢٤ ـ ١١٠٣) ق. م حكمه في بابل، عادت الاضطرابات إلى المملكة خلال حكم خلفه أدد ـ آبال ـ إيدّينا

---

(١) البلاد هنا هي منطقة بابل وما كانت تشرف عليها مملكتها واستمرار مملكة الشمال في آشور.

(٢) (Gassites).

(١٠٦٧ ـ ١٠٤٠) ق. م، على يد قبائل السوتو[١].، ودامت الفوضى واستمر الوهن والتخريب إلى أن تسلّم الحكم نابو ـ آبال ـ إيدّينا[٢] الذي نعرف عنه أنه طرد السوتيين.

ولم تلبث الفوضى أن عادت إلى بابل في زمن خليفةِ نابو ـ آبال ـ إيدّينا، بسبب التوسع الآشوري الذي أخضع بابل في عام ٧١٠ ق. م ثم دمّرها سنّحريب (٧٠٤ ـ ٦٨١) ق. م.

وبعد إعادة ترميم ما خرب منها إبّان حكم شمش ـ شوم ـ أوكين (٦٦٨ ـ ٦٤٨) ق. م؛ عادت آشور إلى الاستيلاء عليها. وكان على بابل انتظار فترة حكم نابوفلصّر (٦٢٦ ـ ٦٠٥) ق. م وخليفته نبوخذ نصّر الثاني (٦٠٥ ـ ٥٦٢) ق. م لتستعيد قوتها ومجدها.

١٢ ـ الفترات التاريخية التي استعرضناها أعلاه بسرعة، هي التي أراد شاعر ملحمة إيرّا تغطيتها، من خلال نظرة مثقفٍ شَعَر بتعب بلاده من عقلية الحروب ومن توجيه الجيوش للقتل وللتخريب والتدمير واستمرار كل ذلك لعدّة قرون، وأراد أن يستنكر ويندِّد بهذه العقلية، وأكثر من ذلك، كان عليه بالنسبة لمعتقدات عَصره الإجابة على سؤال أساسي هو: كيف تسمح الآلهة بذلك؟ وكيف يسمح الإلّه مردوك، سيّد الكون، بتخريب بابل، مدينته التي أقامها الآلهة تكريماً له واعترافاً منهم بجميله؟[٣] لأنه نظّم الكون وخلق البشر لتحرير الآلهة من أعمال السخرة، وهو الذي يسهر على حسن سيره وعلى مصير البشر.

وبصدد هذا السؤال، كانت إجابة الكهنة في معبد الإيساچيل، بأن مردوك هو الذي ينصِّب الملوك. يكافئهم ثم يعاقبهم إذا ما أهملوا طقوسه، ويدفع ضدهم أعداءً خارجيين لإزالة حكمهم إذا ما اقتضى الأمر[٤]. ويعيد الباحثون تاريخ كتابة هذا النص إلى فترة حكم حمورابي. تلك كانت إجابة الكهنة؛ ومثل هذه الإجابة هي التي تبنتها التوراة فيما بعد بالنسبة ليهوه الذي لم يتأخر عن

---

(١) (Sutu) قبائل السوتو، ورد تعريفها في المقطع ٢ من الفقرة (٢ ـ ٢) أعلاه.
(٢) (Nabu-Apal-Iddina) حكم حوالى (٨٨٥ ـ ٨٥٢) ق. م.
(٣) انظر النص (٥٥) من الكتاب الثاني (لوحة ٦: ٥١ ـ ٧٥).
(٤) انظر النص (رقم ٦٤) من الكتاب الثاني.

تكليف فرسان آشور، الانتقام من شعبه الذي كان كثيراً ما يغضبه ويثير غيرته حين كان يتعبّد لآلهةٍ غيره. . .

ونحن نعلم أن مفكّري ما بين النهرين لم يكتفوا بإجابة الإيساچيل إذ حاولوا مناقشة العدالة الإلّهية نفسها في حوار فلسفي، نعرف اسم المثقف الذي ألّفه في فترة حكم نبوخذ نصّر الأول (١١٢٤ ـ ١١٠٣) ق. م[١]. كما تساءلوا وحاولوا الإجابة على سؤال: إذا كان المرض والألم هو عقاب الإلّه لمن لم يتبع سراطه، فلماذا يتألم ويعذّب الرجلُ العادل؟. ونص «العادل المعذّب»، له أصوله السومرية وقد أوردنا نسخته البابلية، في الكتاب الثاني من هذه المجموعة[٢].

١٣ ــ أما مؤلف ملحمة إيرّا، فلم يشكّك بعدالة مردوك، ولكنه لجأ إلى ثقافته الواسعة وإحاطته بكل ما أنتجه شعراء ومفكرو سومر وآكاد من قَبْله، كما لجأ إلى خياله الخصب ليضفي على المراحل التاريخية التي أراد استنكار نتائجها حلّةً أسطورية ملحمية، متصوراً أن الموت وسفك الدماء والتخريب والتدمير، هي جميعاً من فعل شخصيةٍ لا يتحقق وجودها إلاّ بهذه الأعمال. كما تصوّر أن تدمير بابل وغيرها من مدن سومر وآكاد، لا يمكن أن يتم إلا بغياب مردوك ومغادرته لعرشه. ومَنْ غير نرچال[٣] وهو إيرّا الملحمة، مَنْ غير نرچال إلّه العالم السفلي، من مصلحته السعي لأن تنشب الحروب والثورات وأن تُسفك الدماء لكي يزداد باستمرار عدد سكان مملكته؟ ومَنْ غير نرچال يمكنه بحيله «الشيطانية» إقناع مردوك بمغادرة عرشه، مدعياً أنه سيحلّ محله في تسيير دفّة الكون والسهر على مصائر البشر. وذهب مؤلف الملحمة إلى أبعد من ذلك، ففي عمقٍ تحلّت به الملحمة، هو العمق النفسي، رسم لنا إيرّا كقائد معقّد النفس، يعتقد أن البشر يزدرونه ويقوم بأعماله الإرهابية لفرض احترام الناس له ساعياً لخشيتهم دون محبتهم وقربهم منه. وإذا كان البشر قد حاولوا التقرّب من الآلهة في ابتهالاتهم وصلواتهم، فقد كانت الرهبة هي التي تسيطر عليهم في توجههم إلى نرچال/ إيرّا إلّه العالم السفلي.

---

(١) انظر النص (رقم ٧١) من الكتاب الثاني.
(٢) ورد في النص (رقم ٧٠).
(٣) (Nergal) حل محل إيريشكيچال في العالم السفلي: النص (رقم ١١٥) من هذا الكتاب.

١٤ ــ هكذا ترتسم أولى معالم شخصّية بطلنا إيرّا[١]، المعقد النفس والمختص بأعمال الشغب والتحريض، الذي لا يبتهج إلاّ بتنظيم المجازر ورؤية الدماء المسفوكة، تسيل «مثل الماء إلى مجاري المدينة»، ويفرح حين «تُشدخ الشرايين ويحمل النهر محتواها». ولكي يتوصل إلى ذلك، فقد أقنع الإلّه مردوك الذي كمد تألّق تمثاله (صورته) أن يغادر موقّتاً هذا التمثال، لكي يعمد إيرّا إلى معالجته بالنار حتى يعود إليه بريقه. ونلتقي هنا مع فكرة التمثال الممثِّل للشخص وكأنّه لا يزال حيّاً، تلك التي أشرنا إليها أعلاه. وهكذا يخلو الجو لإيرا حين يغادر مردوك «صورته» ويصبح إيرا حاكم الكون المطلق، يتصرف كطاغية، وكـ «سادي» لا يعرف الشفقة.

وكما كان الإلّه إيا يدافع عن البشر ويحاول حمايتهم من خطر الطوفان الذي «بدون تروٍّ» أطلقه الإلّه إنليل، كذلك ابتدع مؤلف الملحمة شخصية معاونٍ لإيرّا، هو ضابطه، الذي يحاول إعادته إلى التعقل وتهدئة غَضَبه وتبديد عدوانيته أو تحويلها إلى العمل على طرد العدو المحتل وإعادة البناء. وتحت رقم (١٣٤) نعرض نص ملحمة إيرّا.

---

(١) (Erra) اسم آخر لنرجال ملك العالم السفلي.

(١٣٤) ــ ملحمة إيرّا

١ ــ تعتبر ملحمة إيرّا، التي أشرنا أعلاه إلى الحوادث التاريخية التي أوحت بها وإلى ثقافة الشاعر الواسعة التي بُنيت على أساسها، تعتبر هذه القصيدة آخر المؤلفات البابلية ذات الطابع الملحمي. أبطالها الرئيسيون هم: «إيرّا ملك العالم السفلي في دورٍ فعّال، يفوق بكثير الدور المعروف لنرچال ملك بلد اللاعودة، الجالس على عرشه ينتظر وصول أشباح الموتى إلى عالمه. ولكنه في هذه الملحمة، هو الذي، يحرّض على الثورات والمجازر، بقصد تعميم الخراب والدمار ومضاعفة عدد الأموات في مملكته. يعاون إيرّا في مهمته ضابطه إيشوم[1] الملقب بالذبّاح، الذي يعرف كيف يشهر أسلحته الهائجة، ولكنّه في الوقت نفسه، وأمام مغالاة إيرّا، وجنون قلبه حين يدفعُ صاحبَه إلى التحارب وإلى المزيد من سفك الدماء، يحاول ردعه وتلطيف عنفوانه والتخفيف من عدوانيته. ويتحاور معه بشكلٍ، نستدلّ منه بأنه خبير في نفسية إيرّا المعقدة ولجوء هذا الأخير إلى العنف والإرهاب والضراوة لفرض احترامه على البشر الذين يزدرونه كما يعتقد. شخصية إيشوم في هذه الملحمة، وهي من أهمّ ما عرفه أدب ما بين النهرين القديم، تدلّ من قبل مؤلف الملحمة على ذكاء حادّ وذهن ثاقب ملفت للنظر.

٢ ــ ومن معاوني إيرّا، نجد من لقبوا «بمجموعة السبعة» وهم آلهة ثانويون متعطشون دوماً للحرب ولسفك الدماء. وكجنود حربٍ محترفين، فإن طبيعتهم

---

(١) (Ishum).

العدوانية تجعلهم لا يستطيعون تحمّل فترة العَطَالة ويحمّسون إيرّا لاستئناف أعماله الحربية: «فالعيد من أجل الرجال هو الذهاب للمعركة» و«جعل الناس في كل مكان يرتجفون».

قد يكون الشاعر أراد أن يرمز عبر شخصية مجموعة السبعة إلى العقلية العسكرية لفئةٍ، لا تعرف سبباً لوجودها سوى العنف وخوض المعارك، حتى أننا نرى إيرّا يطلب من ضابطه إيشوم، إطلاق الحرب بدون هدف وإنما من أجل الحرب.

٣ ــ وشخصية رابعة لا بد من الإشارة إليها في الملحمة هي تمثال أو «صورة» الإلّه مردوك، الذي بنتيجة حوار هو في أساس بنية الملحمة بقنعة إيرّا بمغادرة تمثاله، كما أشرنا إلى ذلك في المقطع ١٣ من مقدمة الفقرة (٢ ـ ٢) أعلاه، لكي يخلو الجو أمام إيرّا لسوق تصرفاته العدوانية دونما رادع يمثّله مردوك كساهرٍ على اتزان الكون.

إن ما يميّز هذا العمل الأدبي وخلافاً لما عرفناه في الملاحم الأخرى وفي القصائد الأسطورية، حيث يتم بصورةٍ عامة سردِ الحوادث، ولا يحتل تبادل الحوار بين الأشخاص سوى أهمية ثانوية، خلافاً لذلك، ففي ملحمة إيرّا، لا يتعدى السرد مجموع أسطرٍ خمسين. وفيما عدا مقدّمة النص وخاتمته، فإنّ مجمل بقيته يتدرّج ضمن حوارٍ بين إيرّا ومعاونه وبين إيرّا ومردوك.

٤ ــ تمّ تأليف هذه الملحمة، خلال الثلث الأول من الألف الأول ق. م، ما بين عامي ٧٦٥ و٧٦٣ ق. م على أبعد تعديل. وفي هذه المرة، ولا يحدث ذلك إلا نادراً[١] يعلن مؤلف الملحمة عن نفسه، ويفاخر بأن «إيشوم» بالذات، هو الذي أوحى إليه بها ليلاً وسجّلها في الصباح التالي، دون إغفال أي تفصيل منها. المؤلّف هو «كبْتي ـ إيلي ـ مردوك»[٢] ابن «دابيبو»[٣].

٥ ــ وصلنا نص ملحمة إيرّا وفق نسخ متعددة، تبلغ الأربعين حتى اليوم،

---

(١) نعرف مثلاً اسم مؤلف نص الفائق الحكمة: النص (رقم ٥٦) من الكتاب الثاني، وكذلك اسم مؤلفة نص إنانّا تخضع الجبل: النص (رقم ٨٨) من الكتاب الثالث.

(٢) (Kabti-Ili-Marduk).

(٣) (Dabibu).

عُثر عليها في أماكن متعددة، أهمها مكتبة آشور بانيبال في نينوى ومدينة آشور وسلطان ـ تيپه. وقد أمكن بسبب تعدد النسخ التوصل إلى ما مكّن الباحثين من تتبع المحتوى رغم النواقص المتبقية.

تحتوي الملحمة على حوالى ٧٠٠ سطراً موزعة على خمس لوحات، وصلتنا اللوحات الأولى والرابعة والخامسة بشكل شبه كامل، بينما لم يصلنا من كل من اللوحتين الثانية والثالثة سوى ثلاث كُسر وأربع كسر، نقدّم كلاً منها تحت الرموز (أ) و(ب) و(ج) بالنسبة للوحة الثانية و(أ) و(ب) و(ج) و(د) بالنسبة للوحة الثالثة. ويتفاوت عدد الأسطر في كل من اللوحات شبه الكاملة، الذي هو كما يلي:

	عدد الأسطر
اللوحة (I)	١٩٢
اللوحة (II)	١٥٠
اللوحة (III)	٦١

٦ ـ بقي على القارىء أن يتعرّف على نص الملحمة الذي يتحدّث بنفسه عن نفسه، ولا يحتاج لأي تعليق آخر. ونعتقد أن القارىء سيشاركنا في التعبير عن تقديرنا للمؤلف كبتي ـ إيلي ـ مردوك.

نص الملحمة

اللوحة الأولى (I)

المقدمة وتقديم الأشخاص

1 [المجد؟ لمردوك؟ مـ] ـلك الكون، خالق العا [لم]!
[والمديح (؟) لـ] خندور ـ ساجا[1] إبن إنليل الأ[ول]،
حامل عصا الرعاية المباركة، راعي الرؤوس ـ السوداء
وراعي [البشر]،
إيشوم، الذبّاحُ الشهير، ذو اليدين المؤهلتين حقّاً
لشهر أسلحته الهائجة.
5 وهو إذا ما جعل سيفه الرهيب يلتمع، (حتى أنّ) إيرّا نفسه،
[بطل الآلهة]، يرتجف في مكانه!
(وإيرّا بالذات) عندما يدفعه إلى التحارب قلبُه،
يصدر الأوامر لأسلحته: «إدَّهني بالسمّ القاتل!»

---

(١) (Hendur-Sagga) تسمية سومرية يمكن أن يُستنتج من تركيبها وما يقابله صوتياً وترادفاً في الأكادية، أكثر الألقاب التي تعرَّف بها القصيدة إيشوم في الأسطر الأولى، ممّا يدلّ على معرفة المؤلف التامّة للغتين السومرية والأكادية.

وإلى الأبطال السبعة الذين لا مثيل لهم: «تجهّزوا
بأسلحتكم!»
وإليك أنتَ يا (إيشوم) يقول: «أريد
التوجّه إلى المعركة:
10 كن شعلةً حتى نرى بوضوح!
كن قائداً لكي [تتبعك؟] الآلهة!
كن سيفاً لكي [ينفِّذَ] الذبّاحُ [مجزرةً؟]!»

إيرّا يرتاح وهو يتردّد بعد معاركه لخوض معارك جديدة

إنهض يا إيرّا! فعندما تخرّب الأرض
سوف تتهلّل روحك ويبتهج قلبك!
15 (لكنّ) إيرّا كانت ساعداه [منهكين]، مثل
ساعدي من أصابه الإرهاق:
تساءل: «هل سأنهض؟ (أم) أبقى متمدّداً؟»
وأصدر إلى أسلحته أمره: «إبقي منبوذةً!»
وإلى السبعة الأبطال الذين لا مثيل لهم: «عودوا إلى
أماكنكم!»
وطالما أنتَ بالذات، لا تنتزعه (من فراشه)،
حيث يتمدّد في غرفته
20 فسوف يستمر في مضاجعة قرينته مامي.
إين ـ جي ـ دودو[1]، السيد الذي يقوم بجولته
الليلية محتفظاً [بعينٍ] (ساهرة على (هذا) الأمير
وهو الذي يراقب راضياً الرجال والنساء،
ويجعلهم (في لذتهم) يشرقون كالنهار!

---

(١) (En-gi-du-du) تسمية سومرية يقصد بها إيشوم بمعنى: حارس ليل، ساهر على أمان سيّده، كمعاون وكخادم وحاجب يؤمن حماية سيده أثناء ممارساته الغرامية. ومن دوره أيضاً انتزاعه من فراشه.

تقديم الأبطال السبعة

أما الأبطال السبعة الذين لا مثيل لهم
فكبيرةُ التباينِ، هي مميّزاتهم [الإلّهية].
طبيعتهم مختلفة: إنهم يمتلئون رهبةً
25 يرتعب من يراهم: قاتل هو نَفَسُهم
يخافهم البشر، فلا يقتربون منهم!
ـ فيا إيشوم، أوصد الباب أمامهم! ـ
(لأن) آنو، ملك الآلهة، عندما لقّح الأرض
ولدت له آلهة سبعة، سمّاهم السبعة.
30 وعندما مَثَلوا أمامه لكي يحدد مصيرهم
نادى الأول وأصدرَ إليه (هذا) الأمر:
«أينما ذهبت [لنشر الغـ] ـضب، كن دون منافس!»؛
وقال للثاني: «أحرق كالنار والتهب كالشعلة!»
وأمر الثالث: «اتخذ مظهر الأسد، ولتخرّ قوى من يراك!»
35 وقال للرابع: «أمام انشهار سلاحك الهائج،
لِتتهدّم الجبال!»
وللخامس قال: «اعْصفْ كما الرياح، وراقب [الأفق!»]
وأمر السادس: «انحدرْ من أعلى إلى أسفل، ولا
تُبقِ على أحد!»
وحمّل السابع سمّ تنين: «اقضِ على كل حياة!»
(قال له).
وعندما قرّر آنو مصير السبعة
40 منحهم لإيرّا بطل الآلهة: «سوف
يواكبونك (قال له)،
وإذا ما أتعبك ضجيج سكان الأرض

وراودتك الرغبة أن تحدث مجزرة،
أن تقتل ذوي الرؤوس ـ السوداء وتقضي على الحيوانات،
فسوف يكوّنون جيشك الهائج، سوف يواكبونك!»

السبعة يدفعُون إيرّا لمباشرة الحرب

45 هم (إذن) اهتاجوا وشرّعوا أسلحتهم
توجّهوا نحو إيرّا (قائلين): «انهض! قف على قدميك!
لماذا تبقى في المدينة مثل شيخٍ هزيل؟
ولماذا تبقى في البيت كطفلٍ، لا قدرة له؟
بدون قتال، هل سنأكل الخبز كنساء؟
50 هل تَملّكَنا الخوف؟ هل نحن نرتجف وكأننا
نجهل (خوض) الحرب؟
العيد من أجل الرجال، هو الذهاب إلى المعركة!
من في المدينة يبقى، وإن كان أميراً، لا يأكل
ما يكفيه!
تصمه بالعار أقوال مواطنيه وتعتبره أقلّ من لا شيء
فهل يستطيع أبداً مدّ يده نحو المقاتلين؟
55 من يبقى في المدينة، مهما انتشرت قوّته
كيف يمكنه التفوّق في أي شيء على المحارب؟
أجْود خبز المدينة، لا يضاهي الخبز المشوي ـ تحت الرماد
وأطيب جعة مخفّفة لا تضاهي ماء القربة،
والقصر مع شرفته، لا يضاهي مظلّة [الريف]!
60 قمْ للحربِ أي إيرّا المقدام، إذهب للضرب بسلاحك!
أحدثْ كبيرَ ضجةٍ تجعل الجميع، في كل مكانٍ، يرتجفون!
وبمعرفة ذلك، فليقم الإيجيجي[1] بالإشادة بمجدك!

---

(١) (Iggigi) مجموع آلهة السماء.

وبمعرفة ذلك، ليرهب الأنوناكي[1] لسمعتك!
وبمعرفة ذلك، فلتنحنِ الآلهة تحت نيرك!
وبمعرفة ذلك، فليسجد الملوك عند قدميك!
وبمعرفة ذلك، [فلتـ] ـقدِّم البلاد إليك جزيتها!
وبمعرفة ذلك، فلينسحب الشياطين من تلقاء [أنفسـ] ـهم!
وبمعرفة ذلك، فليعَضّ المتنفذون على شفاههم (قلقاً)!
وبمعرفة ذلك، فلتخفّضْ الجبال الشامخة قمـ [ـمها] خوفاً!
70 وبمعرفة ذلك، فلتُعدمِ البحار الهائجة نتاجها في اضطرابها!
ولتتحطّم الأشجار الضخمة في الغابة النامية!
وليُقتلع القصب من منابته الممتنعة كثافةً!
وليعدِّل البشرُ المرهوبون ضجيجهم!
ولتسقط إلى العفر [الحيو] انات الخائفة
75 وأمام هذا المشهد، فليمجّد آباؤك الآلهة شجاعتك!
لماذا يا إيرّا المقدام هجرت أرض (المعركة)
[للسكن] في المدينة؟
(ومن جراء ذلك) فالحيوانات الأليفة والوحشية،
أصبحت [تزدرينا]!
علينا أن نحدّثك يا إيرّا الباسل، وإنْ لمْ
يرُقك خطابُنا!
قبل أن تصبح الأرض بكاملها فائقة القوة مقابلَ قوتنا.
80 سوف تعير انتباهاً لكلماتنا دون شك!
اعمل (إذن) خيراً مع الأنوناكي محبّي الهدوء
وهم الذين يمنعهم من النوم ضجيج البشر!
الحيوانات تملأ الأراضي الزراعية، مصدر

(١) (Anunnaki) مجموع آلهة العالم السفلي.

حياة البلاد
وينتحب الفلاحون بمرارةٍ لضياع [محاصيلهم؟]
85 السباع والذئاب تطيح بالقطعان
(و) الرعاة، لَيْل نهار، دون نوم يبتهلو [ن]
إليك من أجل مواشيهم!
نحن الذين كنا نعرف ممرات الجبال، نسينا
المسا [لك المو] صلة إليها!
العنكبوت نسج خيوطه على عتادنا للمعركة
وتمردت قوسنا الجيّدة (فأصبحت) بالغة القساوة
بالنسبة لسواعد [نا]؛
90 ثَلَمت رؤوس سهامنا الحادّة،
ومن انعدام الذبح، غطى الصدأ سيوفَنا!»

إيرّا يقرّر خوض الحرب على الرغم من معارضة معاونه إيشوم

عندما استمع إليهم إيرّا الشجاع
تلذذ بالكلمات التي تلفّظ بها السّبعة كأنها
مرهم بالغ النعومة،
ففتح إذن فمه، متوجهاً إلى إيشوم:
95 «لماذا، بعد أن اسمتعتَ (لكل ذلك)، أنت
تبقى صامتاً؟
اترك ليَ الطريق، لكي أذهب إلى المعركة!
جنّد [فرقة؟] السبعة، الأبطال الذين لا مثيل لهم؛
وليتقدم معي جيشي الهائج
وأنت، يا قائدي، اتبعني!»

100 ولكن عندما سمع إيـ [ـشوم] هذا (النداء)

تملكته الشفقة وقا [ل] [لإيرّا المقدام]:
«سيدي إيرّا، لماذا نويت بالآلهة شراً؟
تخريب البلاد وإبادة [سكانها]:
(هذا هو) الشر الذي دون مردّ قررتَه!»

فتح إيرّا (عند ذلك) فمه وتناول الحديث
105 متوجهاً (بهذه) [الكلمات] إلى إيشوم معاونه:
«اسكت يا إيشوم! استمع لكلماتي،
فيما يختص بسكان العالم، الذين طلبتَ لهم الرحمة،
أي قائدي الإلّهي، يا إيشوم الحكيم، صاحب
الآراء الممتازة!
في السماء، أنا الثور الوحشي ـ وعلى الأرض أنا الأسد
110 في البلاد، أنا الملك ـ وبين الآلهة أنا الهائج
أنا الشجاع بين الإيجيجي ـ وبين الأنوناكي، الطاغية
بين القطعان أنا الجزّار ـ وفي الجبل، مكسّر ـ الأحجار،
أنا النار في منابت القصب ـ والفأس في الغابة،
ولدى الذهاب إلى المعركة ـ أنا الشِعار
115 أعصفُ كالريح ـ واهدرُ كالرعد!
وكا [لشمـ] ـس، أرقب [كا] مل الأفق!
ولئن دخلتُ المراعي، أشغل المكان (الأول) في الزريبة!
الآلهة جميعهم يخشون حُبيَّ للحرب
120 ومع ذلك فإن الرجال، ذوي الرؤوس ـ السوداء، يزدرونني
(إذن!) ولأنهم لا يهابون إسمي
وبما أنهم وعلى الرغم من أوامر مردوك، لا
يعملون إلا ما يحلو لهم،
فأنا سوف ألهب غضب الأمير مردوك وأبعده

عن مقرّه وسوف أبيد البشر!»

إيرّا يتناقش مع مردوك ويقنعه بأن يترك له حرية العمل

توجّه إيرّا الباسل (عند ذلك) نحو شُوآنا[١]

عاصمة ملك الآلهة

125 ولدى دخوله إلى الإيساجيل، قصر السماء والأرض

قدّم نفسه إليه

ثم فتح فمه وتوجه (إلى) ملك الآلهة:

«لماذا (أصبحت) صورتك ـ الثمينة، رمز سيادتك

الممتلئة (سابقاً) بالتألق كنجوم [الـ] ـسماء

أصبحت (اليوم) محرومة من [البـ] ـريق؟

ولماذا تاج ملكيتك الشاملة،

الذي كان يشبه الإيتيمينانكي[٢]، منيراً الإيخالانكي[٣]

(أصبح) سطحه متّسخاً؟»

فتح ملك الآلهة فمه، وباشر حديثه

130 موجِّهاً (هذا) الخطاب إلى إيرّا، بطل الآلهة:

«أي إيرّا الشجاع، بصدد العملية التي تكلمتَ عن تنفيذها،

(إعلم بأنه) فيما مضى، لأنني غادرتُ مقرّي بنتجةِ غضبٍ

تسبّبتُ في حدوث الطوفان!

لم أكدْ بعد أغادر مقرّي،

---

(١) (Shu-Anna) (شو ـ آنا) بمعنى السلطة السماوية: حيّ من أحياء بابل كان يحتوي على عدة معابد وأصبح بعد الألف الأول يطلق على بابل بكاملها في المجال الشعري وكتسمية دينية.

(٢) (Etemenanki) معبد مردوك ذو الطبقات في بابل ومعناه «بيت أسس السماء والأرض».

(٣) (Ekhalanki) معبد صرفانيت قرينة مردوك تشبيه يعتبر زيقورة معبد مردوك تنير معبد قرينته صَرفانيت أي أن تاج مردوك كان ينير كل ما حوله.

حتّى انحلّ رباط الكون[١]

مما جعل السماء ترتجّ، وتضطرب مواقع [نجو] م السماء

دون التمكّن من استرداد أماكنها؛

135 وبتبعثرِ إيركالو[٢] (العالم السفلي) شحّ نتاج التلوم

مما جعل وسائل العيش صعبة

وبانحلال رباط السماء والأرض، تناقصت طبقة

المياه الجوفية

وانخفض مستوى المياه.

ولدى عودتي رأيتُ، كم كان من الصعب

إصلاح (كل) ذلك!

(كما انخفض تكاثر الكائنات الحيّة، ولم أتمكن من استدراكه

إلا بتكليفِ نفسي شخصياً، مثل فلاّحٍ، (عناء) إعادة بذرها!

وأعدت عندئذٍ بناء معبدي لأستقر فيه من جديد.

140 (غير أن) صورتي الثمينة التي أساء الطوفان معاملتها

كَمدَ مظهرُها:

ولإعادة اللمعان إلى ملامحي، وبغية تنظيف مظهري

لجأتُ إلى النار

وعندما أنهت النار عملها وجعلت صورتي ـ الثمينة

تسترجع لمعانها،

(و) عندما وضعت على رأسي تاج ملكيتي الشاملة

وعدت إلى مكاني،

كانت ملامحي شامخة ونظرتي رائعة!

145 والبشر الناجون من الطوفان، كانوا شهوداً

---

(١) يستثمر المؤلف هنا تسمية «الإيتيميناكي» لمعبد مردوك في بابل، وهو «بيت ـ رباط ـ السماء ـ والأرض» التي ترتجّ لمغادرة مردوك معبده.

(٢) (Irkallu) تسمية ثانية للعالم السفلي.

على تنفيذ (هذه) العملية،
فهل تراني أسمحُ لك بشهرِ السلاح لإبادة
أحفادهم؟
هؤلاء الفنيّون (البارعون) بعد أن أنزلتُهم في الأبسو
لم آمر قطّ بعد ذلك، بصعودهم،
أما بصددِ مخزون الخشب الثمين والعنبر الأصفر
فقد عمدتُ إلى تبديل مكانهما دون البوح بذلك لأحد!
إذن، من أجل هذه العملية التي تحدّثت عنها يا إيرّا المقدام
150 أين (ستجد) هذا الخشب الثمين، جسد الآلهة، المخصص لملك الكو [ن].
(هذا) النوع النبيل، الأغصان الرائعة الملائمة للسيادة
ذات الجذور (التي هي تحت) مائة [بيرو[١]] من الماء في البحر الفسيح،
والتي تصل إلى أعماق أرالّو (العالم السفلي)[٢]
(كما) يصل إيراقها في الأعالي، إلى سماء [آنو؟]
154 أين الياقوت (؟) الصافي الذي وضعتُه جانباً [. . .]؟
161 أين الجواهر المختارة، وليدة البحر الواسع الأرجاء
والمحفوظة من أجل تاجي؟
155 أين نين ـ إيلدو[٣] رئيس نجّاري جلالتي الفائقة السمو
حامل المِنجرة البرّاقة، الذي عرف [. . .]
والذي وضعها تحت قدمَيّ [بعد] جعلِها ساطعةً كالنهار؟
أين صانع الآلهة والبشر چوشكين ـ باندا[4] ذو اليدين

---

(١) البيرو (beru) وحدة مسافة تساوي حوالى ١٠ كم.
(٢) الأرالّو: (Arallu) نهر العالم السفلي.
(٣) (Nin-Ildu).
(٤) (Gushkin-Banda).

[المقدستين]؟

أين نين ـ آ ـ چال[1] حامل المطرقة والسندان

160 الّذي كان يبسط كالجلود، النحاسَ المقاوم،

(و) يشكِّل مستلـ [ـزمات (صورتي ـ الثمينة)]؟

162 أين هم [أبـ] ـكالّو[2] الأبسو السبعة، سمكات الشبوط المقدّسة

الذين كما إيا سيدهم وُهبوا مهارة خارقة للطبيعة

والذين احتفظوا لي «بجسدي» صافياً؟

163 عندما استمع إليه إيرّا الشجاع [وقو] فاً؟

فتح فمه وتوجّه إلى الأمير مردوك:

إجابة إيرّا في الأسطر (١٦٥ ـ ١٦٧) تكاد تكون مفقودة كلياً، ومما تبقى منها يُعتقد بأن إيرّا يعد بأن يأخذ على عاتقِهِ الاستحصال على المواد اللازمة لإعادة تمثال مردوك إلى تألّقه السابق. إلا أن مردوك يعترض من جديد:

168 عند [ما] [سمع] مردوك هذا (الجواب)،

[فتح] فمه وتوجّه إلى إيرّا [الشجاع] (معلناً)

170 «إذا ما غادرتُ مقرّي، فإن رباط [السماء والأرض]

سوف ينحلّ

(و) المياه سوف ترتفع [لتكتسـ] ـح الأرض

والنهار الساطع سوف [يتحوّل] إلى [ظلمـ] ـات

وسوف تنطلق [العا] صفة [التخفي؟] نجوم السـ [ـماء]؛

والر [ياح] السيئة سوف تعصف [فتلقي ستاراً] على

نظر البشر الأحياء

---

(١) (Nin-Agal).

(٢) (Apkallu): هم الحكماء السبعة الذين كلفهم الإلّه إيا بنقل الحضارة إلى البشر (انظر النص رقم ٨٧ من الكتاب الثالث).

175 وسوف يصعد [الشيا] طين [من العالم السفلي]
ويستولونْ على [. . .]
من [إذن (؟)] وهو مجرد من السلاح (يمكنه الوقوف)
في وجههم؟
من الذي سوف يصدّهم [قبل أن] أتجهّز بأسلحتي؟»

لدى سماع إيرّا هذا (الحديث)
180 فتح فمه وتوجّه إلى الأمير مردوك (مُوضحاً):
«أيها الأمير مردوك، بانتظار عودتك شخصياً
للحلول في هذا المعبد، وبعد أن تكون
النار قد نظفت مظهرك، فتتخذ مكانك،
وحتى النهاية أنا سأتولّى القيادة، ممسكاً بحزمِ رباط
السماء والأرض:
سوف أصعد إلى السماء لإصدار الأوامر إلى الإيجيجي؛
وسوف أنزل إلى أبسو ـ العالم السفلي للاهتمام بالأنوناكي،
185 وإلى بلاد اللاعودة سوف أعيد الشياطين المتوحشة
رافعاً في وجوههم أسلحتي الثائرة؛
وسوف أشل أجنحة الريح ـ السيئة وكأنها طير داجن!
(وحتى) في هذا المعبد حين ستعود إليه أيها الأمير مردوك
إلى يسار البوّابة وإلى يمينها،
سوف أجعل آنو وإنليل يركعان كثورين!»
190 عندما استمع إليه مردوك
بدا له لذيذاً حديث إيرّا!

بعد مغادرة مردوك لمعبده، يظهر أن إيرّا اهتمّ أولاً كما وعد بذلك في تلافي اختلال توازن الكون في الجزء (أ) من اللوحة الثانية ثم إلى تنظيف التمثال في الجزء (ب).

اللوحة الثانية

الجزء (II ـ أ)

1 (و) عندما غادر (مردوك) مقره المتعذّر [البلوغ]

توجّه نحو مقر الأنوناكي[1]

دخل إلى؟ [. . .] وتقدّ [م منهم]

الأسطر (٤ ـ ١٠)، مشوهة كثيراً وهي تشير على ما يظهر إلى الاضطراب الذي حدث في الكون: «بريق [الشمس؟] التي «تسقط» في السطر (٤)؛ و«العواصف» و«الظلمات» في السطر (٦)؛ و«المياه التي ترتفع» في السطر (٨)، . . . إلخ. وفي القسم التالي المفقود والذي لا يمكننا تقدير أهميته (٢٠ أو ٣٠ سطراً؟)، يحتمل أن يحتوي محاولة إيرّا تلافي اختلال توازن الكون، لأنه في تتمة القصيدة يظهر أنه، كان يدور بشكل طبيعي.

الجزء (II ـ ب)

الأسطر (١ ـ ١٤)، يُعتقد أنها في بدايتها قد خُصِّصت لتمثال وتاج مردوك، فالتاج ذُكر في (٢) وتألّقه الخارق للطبيعة في السطر (٥). ثم بعد ذلك، يظهر الإلّه «إيا» في مقرّه «الأبسو» (٦ و٩). وتستمر الأمور وكأن إيرّا أتى إليه طالباً مساعدته في عملية تنظيف التمثال، فيصطدم طلبه بالرفض. وفي النهاية، فإن إيرّا، وعلى حساب من وُضع المقطع على لسانه يحاول التنويه بشكل كاذب، بأن مردوك كان قد كلّفه بمهمّة اجتياح كل شيء.

14 «إنه [فوّضني] لاجتياح البلاد وإبادة سكانها»[2]

15 وبعد أن فكّر الملك إيا مليّاً، تلفظ (بهذه) الكلمات:

«الآن، وبعد ذهاب الأمير مردوك

---

(١) عندما غادر مردوك تمثاله نزل إلى العالم السفلي وكأنه إلّه ميت.

(٢) يستلهم الشاعر هنا دور إنليل عندما قرر إبادة البشر بواسطة الطوفان وعارض إيا قراره، كما ورد ذلك في نص الفائق الحكمة تحت (رقم ٥٦) من الكتاب الثاني.

وبصدد هؤلاء الفنيين (المشهورين، فإنه لم يأمر [بصعودهم]
وصُورُهم التي جعلتها تُنصب بين البشر
[فأنا . . ـها] إلى إيرّا
(ولكن) حيث لا يمكن لأي إلّه الذهاب، أسيكون باستطاعتهم
الاقتراب [. . .]؟»
(إذْ إنّ) هؤلاء الفنيّين (المشهورين)، كان قد منحهم
موهبةً فائقة وأمّن لهم إقامةً ثابتة
20 وكان قد مَنحهم المعرفة وحباهم باليد ـ البارعة:
(ولهذا) تمكّنوا من جعل هذه الصورة ـ الثمينة تتألّق
أكثر مما كانت عليه قبلاً!
(ولكن) إيرّا البطل، بقي منتصباً أمامه ليل نهار
(قائلاً) له:
«أهل البيت (؟) الذين، بعد أن كانوا كُلّفوا بجعل الصورة ـ
الثمينة تتألّق في مقرّ حكم صاحب السيادة،
أمروا (قائلين): «لا تغامر بنفسك في هذه العملية».
سوف أقطع [له؟ . . .] رقبته وسوف أعمم (على
آخرين؟) هذه المذبحة!
25 [. . .]: فليسرعوا إذن بتنفيذ هذه العملية!

(26 ـ 45) لم يبق من هذه الأسطر سوى نهاياتها غير الواضحة وهي على أقل تعديل تتابع الاهتمام بالصورة ـ الثمينة في (٣٠ و٤٤) و«بتألّقها الخارق للطبيعة» (٣٥). وكلمتان في السطر (٤٥) تشيران على ما يظهر إلى انتهاء إعداد التمثال ويستعيد مردوك (؟): «ملامحه الشامخة» كما في السطر (١٤٤) من اللوحة الأولى.

(46 ـ 52) يظهر هنا أن مردوك «ملك الآلهة» يتحدث، وكأن هناك أشخاصاً

كانوا يرغبون «بالصعود إلى السماء» (٤٧) وأن أمراً أُصدر إليهم: «عودوا إلى أماكنكم!» (٤٨) كما أن التتمّة هي غامضة. وفي النهاية فقط، يظهر أن مردوك يلوم [إيرّا] على اتخاذ قرار غير قابل للردّ (٥٢).

(53 ـ 55) تحتوي هذه الأسطر على ما يظهر جواب إيرّا إلى «ملك الآلهة» (٥٥) وهذا الجواب مفقود تماماً وهو يقع حتماً في القسم الفاصل بين الجزئين (II ـ أ) و(II ـ ب)، وهو أيضاً يمكن تقديره بحوالى (٢٠ ـ ٣٠) سطراً. ومهما يكن من أمر، فإن القسم المشار إليه يحتمل أن يحتوي على تفسير يقدّمه مردوك لعدم رضائه، على الرغم من إنجاز إيرّا عملية إعداد التمثال (التي، يمكن أن تكون قد تمت وفق أسلوب لا يقبل به مردوك). ولذلك يرفض الإلّه العودة إلى أخذ مكانه في التمثال؛ ومما يدعم ذلك، أن الحوادث التي تلي، لا يمكن أن تتم فيما لو كان مردوك قد استعاد مكانه.

الجزء (II ـ ج)
إيرّا يستعد للحرب

(I ـ 6) هذه الأسطر تحتوي حوار إيرّا وإيشوم الذي تعود إليه القصيدة كما يظهر، إذ يحتوي السطر (١) على جواب «إيشوم» وفي السطر (٥) فقط، نرى أنه يحاول «تهدئة» سيّده، مطلقاً عليه لقب «يا جبلي» ويتضح من التتمة أن إيرّا يعتريه الغضب، ويمكن أن يكون ذلك بسبب فشل العملية كما في السطر (٩) أو بسبب لوم مردوك له.

7 ولكن ابن إنليل السامي، الذي أمسك بـ [. . .]
دخل في الإي ـ مِيْسلام[1] واتخذ فيه مكانه
مفكراً بتلك [العمـ] ـلية
10 وكان قلبه ممتلئاً [غـ] ـضباً ولم ينبث بكلمة.

---

(١) (E-Meslam) التسمية السومرية لمعبد نرجال في مدينة كوتو (Kutu).

وعندما طلب منه إيشوم إصدار أوامره؟، (قال له):
«أخلِ لي الطريق لكي أذهب إلى المعركة:
لقد دار الزمن ومرت الساعة!»
أنا أعلن (ذلك): سوف أزيل سطوع الشمس
15 وفي الليل سوف أحجب وجه القمر
وإلى أدد(١) سوف أصدر (هذا) الأمر: احتبس مُهْريك(١)
إحسر الغيوم! أوقف الثلـ [ـج والمطر]!»
ومن أجل (؟) إيا سوف أقدّم (هذه) الفكرة الصادرة
عن مردوك بالذات:
«[من] كبُرَ؟ في زمن؟ الرخا [ء] سوف يدفن
في زمن القِلّة!
20 ومن وصل عن طريق مبتلّ، [سوف يعود] على طريقٍ مغبر!»
أما ملك الآلهة، فسوف آمره: إبقَ حيث؟ [أنت]
[فالتعليمات] التي أعْطيتَ، سوف تنجز كاملةً،
وسوف تنفذ أوامر [ك]
وإذا ما الرؤوس ـ السوداء، صرخوا متوجهين إليك
فلا تتقبّل [صلواتهم]!
(لأنني) سوف أسحق [البلد؟] وأصيّر [ه] تلالاً
25 سوف أمسح المدن وأحولها إلى صحارى
سوف أهدم الجبال وأطيح بجماعاتها الحيوانية
سوف أقلب البحار وأبيـ [ـد] نتاجها
سوف أكتسح منابت القصب والأسل وأحر [قها] كما تحرقها
النار!

---

(١) (Adad) هو إله الهواطل الجوية، ومهراه هما الرمز الميثي للمطر «طوفان السماء» وللثلج «غطاء الجبال» وهما مطيتا أدد اللتان ينتقل فوقهما أثناء العواصف (يمكن المقارنة مع بعل ممتطي الغيوم).

سوف أطيح بالبشر، و[أمحو؟] (كل) كائن حيّ؟ [. . .]

30 ولن أبقي منهم على [أحـ] ـد من أجل إعادة تعدادهم [. . .؟]

[القـ] ـطعان والحيوانات ـ الوحشية لن (أبقيها؟)

قط من أجل [. . .]

بين مدينة وأخرى، سوف أطلق العداوة.

(بحيث) لا يهتم الأبناء بحياة آبائهم ولا الآباء بأبنائهم

و[الأ] مّهات سوف يَحـ [ـكن] برغبةٍ، الشرّ ضدّ بناتهنّ.

35 وفي مقر الآلهة، حيث لا يمكن لأي شرّير نيله

سوف أدخل [. . .]

(و) سوف أنَصِّبُ مرابياً في مقرّ الأمراء!

وأجعل الحيوانات تدخل إلى [. . .]

(و) أغلق مدخل المدينة حيث شوهِدَت!

سوف أجعل الحيوانات تنحد [ر] من الجبل.

40 وحيث أجعلها تشرد، سوف تخرّب الشوارع!

ودون؟ [. . .] سوف أجعل حيوانات السهوب

تجول هائمةً في شوارع المدن،

معطياً (بذلك) منذرات شؤمٍ، تؤدّي إلى

إخلاء الأحـ [ـياء]!

سوف أُدخِل [. . .] جالب نحسٍ إلى مقرّ الآلهة

والقصر الملكي، سوف أجعله أرضاً مواتاً!

45 سوف أضع حداً لضجّة البشر وأبعد

عنهم (كل) بهجة!

السطر ٤٦ وما يليه مشوّه وغير مفهوم، يتوقف هنا حديث إيرّا على ما يظهر ولكنه يستأنف في بداية اللوحة الثالثة.

اللوحة الثالثة

الجزء (III ـ أ)

1 ودون إعارة انتباه لأحد، يبقى [إيرّا] على
[استئناف. . .؟] العملية التي قرّرها

(3 ـ 5) هذه الأسطر مفقودة تماماً وهي تسجل على الأغلب استمرار تهديدات إيرّا.

6 سوف أصادر بيت [الـ . . .] وسوف أقصّر أعمارهم
سوف أعطّل [حياة] حماة العادلين
(و) أجلِسُ في مكان الشرف الأشرارَ الذبّاحين.
سوف أعمِّم قلوب البشر: بحيث لا يسمع الآباء أبناءهم
10 والبنات سوف يتوجهن بكرهٍ إلى أمهاتهن!
سوف أفسد خطاب (البشر): بحيث ينسون آلهتهم
ويكفرون دون رادع بإلّهاتهم!
سوف أشجع اللصوص على قطع الطرق!
وفي وسط المدينة، سوف ينتزع البشر الواحد
من الآخر ما يخصه من أموال!
15 [الأ] سود والذئا [ب] سوف تطيح [بالما] شية
سوف أحرّض إلّهات ـ الأمومة لإيقاف التكاثر
(و) سوف أحرم المرضعات من سماع تغريد الأطفال الرُضَّع!
ومن الريف سوف أطرد وقع أناشيد ـ العاملين
الرعاة والمعاونون سوف لا يتذكرون مكان كوخهم الصغير.
20 سوف أبعد كل كساء عن جسد البشر
(أو) } من نسختين مختلفتين
سوف أجعل البشر يتجولون عراة في مدينتهم،

21 وانزل البشر إلى العالم السفلي دونما كفن
وخراف الذبائح التكفيرية من أجل حياة البشر سوف تُفقد،
(وحتى) من أجل أميرٍ، سوف تكون نادرةً، حملان
الكهانة أمام شمش.
وسوف يفتّش المرضى (دون جدوى) عن اللحم ـ المعدّ ـ للشواء
من أجل تقدمتهم التلقائية
25 ودون أن يتمكن الخبراء من معالجتهم، سوف يجرّون
أنفسهم حتى الموت!

(26 ـ 33) هذه الأسطر غير صالحة للاستثمار: وبدون شك، يتابع إيرّا من خلالها توزيع مصائبه كما يمكن استنتاج ذلك من كلمتين بقيتا من الأسطر (٢٦ ـ ٢٨). ومما يلي لم يتبقّ سوى إشارات نهايات الأسطر التي نجهل تماماً محتواها وكذلك محتوى الجزء الذي يلي.

الجزء (III ـ ب)

لا تقدم لنا الأسطر الـ (٢١) المتبقية إلا بعض الرموز التي هي غير مفهومة بصورة عامة وهي تقع في بداياتها. إلا أنه مع الجزء الذي يلي، يبدأ فصل جديد من الحوادث.

الجزء (III ـ ج)

إنه غير صالح للقراءة في الأسطر الأولى، ولكن يمكن فهمه فيما بعد بفضل التوازي مع محتوى اللوحة الرابعة (السطر ٣٣ وما يليه) مما يمكّن بشكل معقول من استعادة بعض المقاطع المفقودة، وهي تحتوي على ما يظهر على خطاب يمكن نسبته إلى إيشوم كما سيفعل ذلك في بداية اللوحة الرابعة، إذ يذكّر إيرّا بأعماله الأولى:

3 (وحتى) بالنسبة للمعفيين[١] والذين هم تحت الحماية

المقدسة لـ [...]، [جعلتَهم يشهرون السلاح]

و[سلّمتَ] دماءهم [مثل الماء إلى مجاري المدينة]،

5 [شدخت لهم] شرايينهم [لكي يحمل النهر (محتواها)]،

[وأمام هذا المنظر قال] إنليل: «يا للمصيبة!»،

[وانقبض صدره]

[فغادر] مقره [دونما عودة إليه؟]

وجِرْمٌ لا مر [دّ له] [تلفظ به فمه؟]،

(إذْ) [أقسـ] ـم [ألا يشرب قط بعد الآن] ماءَ النهر!

10 ولاشمئزازهِ بسبب الدم ـ المهرق، (أقسم)

ألا يعود قط إلى [الإيكور][٢]»

إيرّا يتابع دماره

(11 ـ 20) هذه الأسطر تحتوي على إجابة إيرّا ولا نعلم محتواها. وتقدّم الأسطر (٢١ ـ ٢٣) إلى توجه إيرّا «الغاضب» إلى إيشوم:

24 أخلِ لي الطريق [لكي أذهب إلى المعركة]!

25 [جنّد فرقَة] السبعة الأبطال، اللا [مثيل لهم]

[وليتقدّم معي] جيشي الهائج.

وأنت يا قائدي، [اتبعني]!»

وعندما سمع إيشوم هذا النداء

تملكته الشفقة وقال [في نفسه]:

30 «الويل لبشري، الذين غضب عليهم إيرّا

وقرّر [إبادتهم؟]

---

(١) المعفيون من حمل الأسلحة.

(٢) (Ekur) أي بيت الجبل: معبد إنليل في نفّر (Nippur).

(و) الذين قرر نرچال المقدام [تحويلهم إلى العدم]،
كما في يوم الصراع مع الآساكّو[1] الشيطاني [...]
دون أن تتوقف ذراعاه (عن الحركة) كما كان ذلك
يوم ذبح «الإلّه المحكوم!»[2]
و[شبكته] المنشو [رة] كما تمّ ذلك يوم القبض
على (الطائر) اللعين أنزو!»[3].
فتح عند ذلك إيشوم فمه
35 ووجّه (هذا) الخطاب إلى إيرّا الشجاع:
«لماذا نويت الشر بالآلهة وبالبشر
و(لماذا) بدون مردّ لإرادتك نويت الإضرار
بالبشر ذوي الرؤوس السوداء؟»
فتح إيرّا فمه وبدأ الكلام
موجّهاً هذا الخطاب إلى إيشوم قائده:
40 «أنت الذي تعلم أهداف الإيجيجي وإرادة الأنوناكي
و(تنقل عنها) الأوامر إلى البشر، إلى ذوي الرؤوس السوداء
مفتِّحاً (بذلك) ذكاءهم
لماذا تتكلم مثل جاهل
(و) تقدّم لي النصح وكأنّك لا تدري ما قاله مردوك؟
(بما أن) ملك الآلهة أخلى عرشه،
45 فما الذي يمكن أنْ يبقى ثابتاً (في) العالم؟

---

(١) (Assakku) هو زعيم ثورة الجبل وقائد شعب الحجارة الذي أخضعه نينورتا (انظر النص رقم ٧٩/ من الكتاب الثالث).

(٢) المقصود، هو على الأرجح الإلّه كنغو (Kingu) قائد المعركة إلى جانب تيامت في قصيدة الخليقة والذي ذبح بعد انكساره لاستعمال دمه في عملية خلق البشر. انظر النص (رقم ٥٥) من الكتاب الثاني.

(٣) (Anzu) انظر النص (رقم ٦٢) من الكتاب الثاني.

وبما أنه نزع (عن رأسه) تاج الملكية الشاملة
[فرعايا؟] الملوك والأمراء ينسون حتماً واجباتهم!
(بما أنه) حلّ مشبك (الحزام)
فإن حزام الآلهة والبشر تلاشى ومن الصعب إعادة شدّه.
50 النار الملتهبة جعلت الصورة ـ الثمينة تسطع كالنهار
وزادت من توهّجه الخارق للطبيعة:
ويمكن ليمينه (إذن) العودة لحمل المِطّو[١] سلاحه الكبير
ونظرة الأمير مردوك (عادت لتكون) رائعة!
ما تقوله لي [. . .]
يا قائدي الإلّهي الحكيم [إيشوم صاحب الآراء الممتازة]
55 لماذا [تتـ . . .] (هذا) الأمر في الوقت الحاضر؟
و[هلاّ تسرّك] أقوال مردوك؟»

(57 ـ 72) جواب إيشوم، كثير التشويه ولا يمكن استعماله، ويمكن التكهن بأنه يدافع من جديد مذكِّراً بـ «الثراء الذي حققه البشر» (٥٩) ويشير إلى «الماشية» (٦٠) وإلى «منابت القصب والأسل» (٦١)؛ ولكنه يضيف وكأنه يعتمد على تصريح إيرّا السابق (٦٢) بأن عملية التدمير تستمر «في إبادة الماشية» (٦٥) «والضرب بالأسلحة» (٦٦)، مما يسبب رعب الكون بأجمعه (٦٧ وما يلي). . . أما النقص بين الجزئين (III ـ ج) و(III ـ د)، يحتمل ألا يكون كبيراً ويقدر بحوالى عشرين سطراً. وعندما يتمّ استئناف النص في الجزء الثاني نجد أنفسنا أمام إيشوم مذكراً بمعارك إيرّا الأخرى:

الجزء (III ـ د)

1 مشوه
2 فتح إيشوم فمه وكلّم (هكذا) إيرّا الشجاع:

---

(١) المِطّو: القوس (Miṭṭu) بالأكادية.

«أي إيرّا المقدام، أنت تمسك بزمام السماء،
تراقب الأرض كا [ملة] وأنت سيّد العالم،
5 أنت تقلّب البحر وتسيطر على الجبال
أنت تحكم البشر وأنت راعي الحيوانات:
فإيشارّا[١] (السماوي) هو تحت تصرفك
و(إينجور)[٢] (العالم السفلي) في قبضتك!
أنت تمتلك الـ شوانّا[٣] وتحكم الإيساچيل![٤]
تتمركز فيك كافة السلطات الإلّهية والآلهة يخشونك:
10 الإيجيجي يخافون منك والأنونانكي يرتجفون أمامك!
وإذا ما أعطيت بعض التوجهات، فإن
آنو بذاته يستمع إليك.
ويطيعك إنليل شخصياً!
هل هناك عداوة بدونك
أو حرب دون (إرادتك)؟
عدّة المعارك (هي) قضية محصورة بشخصك
15 ومع ذلك فأنت تكرِّر باستمرار في قلبك:
«إنهم يزدرونني»؟[٥]

---

(١) إي ـ شارّا (E. Sharra) بمعنى «بيت الكون» وهو مقر إنليل في نفّر لإدارة الكون.
(٢) (Engur) تسمية يقصد بها الأبسو.
(٣) (شوانّا) (Shuana) بمعنى السلطة السماوية وهو حي معابد في بال (انظر I: ١٢٤).
(٤) (إي ـ ساج ـ إيل) (Esagil): «البيت ذو القمة الشامخة» معبد مردوك في بابل.
(٥) المقصودون هنا، هم سكان ما بين النهرين ذوي الرؤوس ـ السوداء.

اللوحة الرابعة

تخريب إيرّا لبابل

1 (وحتى) الأمير مردوك، أنتَ يا إيرّا الشجاع، لم تحترم نصره!

أنت حللت رباط الـ (ديم ـ كوركورّا)[١] مدينة

ملك الآلهة، عقدة الأرض

فبعد أن عدّلتَ مظاهرك ـ الإلّهية واتخذت هيئة رجل،

دخلت المدينة مجهزاً بأسلحتك.

5 (ولدى) وجودك في بابل[٢] وكمن يريد إخضاع مدينةٍ

لسيطرته، تكلمت كمحرض؟،

والبابليون، دون رئاسة لهم، (غير) أعواد المقاصب،

اهتاجوا من حولك.

فالذي، لم تكن له أية معرفة بممارسة أسلحة ـ الطعن

شهر سيفه،

والذي لم تكن له أية معرفة بممارسة أسلحة ـ الرماية

ملأ جعبته (سهاماً)

والذي لم تكن له أية معرفة بممارسة المصارعة باشر اشتباكاته

10 والذي لم تكن له أية معرفة بممارسة السباق

انطلق كعصفور.

وحاول المعتلّون التفوق على الأقوياء

---

(١) (Dim-Kur-Kurra) تعبير سومري بمعنى عقدة الأرض، وهي تسمية قدسية لبابل مركز الكون ومنه يسهر الإلّه مردوك على تماسك الكون.

(٢) أوردنا مقتطفات من هذا المقطع تحت (الرقم ٦٧) من الكتاب الثاني.

و(حاول) العرجان استباق (أبطال) السرعة.
وضد حاكمهم مُموّن معابدهم، بدأوا
بترديد وقاحات كبيرة
مَتْرسوا بأيديهم بوابات بابل
ومجاري المياه الحاملة لثرائهم.
وكسلاّب أجانب عمدوا إلى إحراق أبنية بابل المقدّسة!
15 بيد أنك أنت كنت المحرِّض، أنت كنت على رأس الهياج!
الإيمجور ـ إنليل[١]، حيث كنت تسند سيفك، كان
يصرخ شفقةً
لقد أغرقتَ بدم الرجال والنساء، كوّةَ
الإلّه موهرا[٢] حارس الأبواب
(وهؤلاء) البابليون كانوا كالعصافير وأنت الخدعة ـ
بعد أن أمسكت بهم في شباكك، يا إيرّا المقدام،
قبضت عليهم وأعدمتهم.
20 ولأنك غادرتَ المدينة، وذهبت خارجاً،
(فقد) اتخذت مظهر أسد[٣] ودخلت إلى القصر
وبمجرد رؤيتك، حمل الجنود أسلحتهم
واهتاج قلب الحاكم النقوم ضد بابل
فأرسل جنوده، وكأن الأمر يتعلق بسحق عدو،
دافعاً إلى الأسوأ، قائد الجيش، (قائلاً له):
26 «هذه المدينة، التي أوجهك إليك، أيّها الرجل

---

(١) (Imgur-Enlil) تسمية السور الداخلي لبابل بمعنى: «إنليل ـ مستجيب» والسور الخارجي كان يسمى «نعمة ـ إنليل» أو «سند ـ إنليل».
(٢) (Muhra) موهرا أو موخرا: بمعنى «استقبلني» وهو إلّه من الدرجة الثانية له دور استقبال الداخلين إلى بابل.
(٣) يعتبر ظهور الأسد في الأماكن المأهولة كنذير شرٍ عظيم وهذا ما يفسر رد فعل حاكم المدينة.

لا تحترم فيها أيَّ إلّه ولا تخْشَ أيّ بشرٍ.
اعمد إلى قتل صغارها وكبارها،
ولا تبقِ على حياة طفل (واحد) ولو كانَ رضيعاً!
30 (وبعد ذلك)، إنهبْ جميع كنوز بابل المكدّسة!»

(وهكذا) فجيش الملك المحتشد، دخل إذن المدينة،
بالسهام الملتهبة والسيوف المجردة من غُمُدها
(وحتّى) بالنسبة للأشخاص المعفيين، وهم (تحت) حماية
آنو[1] وداچان[2] المقدسة، جَعَلتَهم يشهرون السلاح
وسلّمت دماءهم، مثل الماء إلى مجاري المدينة،
35 شدخت لهم شرايينهم، لكي يحمل النهر محتواها!
وأمام هذا المنظر، قال مردوك، الإلّه العظيم: «يا للمصيبة»
وانقبض صدره؛
وجِرْمٌ لا مردّ له، تلفّظ به فمه:
أقْسَمَ ألاّ يشربَ قطّ بعد الآن ماء النهر،
ولاشمئزازه بسبب الدم المهرق (أقسم)
ألاّ يعود قطّ إلى الإيساچيل![3]
40 «يا للمصيبة! (كان يقول)، بابل التي أعليتُ شأنَ
فروعها كسعف نخلة، فقد جففها الهواء!
يا للمصيبة! بابل التي حشوتُها حَبّاً مثل كوز الصنوبر
دون أن أستفيد من ثمارها!
يا للمصيبة! بابل التي زرعتها كحديقةٍ وفرةٍ

(١) (Anu) إلّه السماء.
(٢) (Dagan) إلّه عمّوري أدخل إلى مجمع الآلهة منذ الفترة البابلية القديمة وهو يقابل في دوره إنليل.
(٣) معبد مردوك في بابل (E.sagil) ومعناه البيت ذو الرأس الشامخ.

دون التمتع بنتاجها!

يا للمصيبة! بابل التي وضعتها على رقبة آنو

مثل ختمٍ من العنبر الأصفر!

يا للمصيبة! بابل التي تولّيتها، دونما تركها لأيٍّ آخر

مثل لوحة ـ الأقدار!»

45 هكذا تكلم أيضاً الأمير مردوك:

[. . .] منذ الأزل. . . [. . .]

الذي كان يرغب بمغادرة رصيف الركوب

لم يكن عُمق الماء يتعدّى الذراعين

وكان عليه الاجتياز على قدميه!

وانخفض الماء في البئر إلى (عمق) حبلٍ واحد

ولن يبقى أحدٌ حيّاً!

وفي العرض، في البحر العالي، فأكوام الماء (بارتفاع) مائة فرسخ

سوف تقلب مراكب الصيادين، على الرغم من المجاذيف الخلفية!

إيرّا يخرب مدناً أخرى

50 وسيبار[١]، المدينة العتيقة، التي منع سيد الأرض

الطوفان من غمرْ منطقتها،

خلافاً لإرادة شمش، فأنت خرّبتَ سورَها

وهدمتَ قاعدته.

وفي أوروك[٢] مدينة آنو وعشتار، مدينة البغايا

---

(١) (Sippar) من مدن ما قبل الطوفان وتقع على حوالى ٥٠ كم إلى الشمال الغربي من بابل.

(٢) (Uruk) مدينة چلچامش وحاميتها عشتار.

والغانيات وبنات ـ الهو [ى]
اللواتي حَرَمتهن عشتار من الأزواج لإبقائهن
تحت رحمتها،
فإن السوتيين[1] والسوتيات في هياجهم الصاخب
55 قلبوا الإيانا رأساً على عقب
وكذلك الغلمان المخنثون والمتنكرون نساءً
الذين أنّثَتْ عشتار صفات الرجولة فيهم
من أجل تعمد إخافة الرجال
(هؤلاء)، حملة الخناجر وحملة السكاكين والحراب
ونصال الصّوّا [ن]
يُقْدمون على انتهاك الحرمات، لإرضاء عشتار،
ولكنك وضعتَ على رأس المدينة حاكماً، قاسياً وعنيداً
60 قَلَبَ عاداتهم وأبْطَلَ طقوسَهم
(بحيث إنّ) عشتار، في تكدّرها، غضبت على أوروك
وأثارت ضدها عدواً جرفَ البلدَ كما تجرفُ الماءُ الحَبّ!
ولم يتوقف سكان (دوركوليچالزو[2] عن النواح
أمام معبدهم الإي ـ أوچال[3] المهدوم (مرددين):
العدو الذي أوفدتَه إليهم يرفض التوقف عن (الاكتساح).
65 كما أن عشتاران[4] وجّه (إليك) (هذه) الكلمات:
«لقد حوّلتَ إلى صحراء مدينة [د] ير
وكَسَرْتَ كالقصب سكانها

---

(١) السوتو هم قبائل البدو في ذلك الوقت الذين كانت منطقة جبل البشري في الشمال الشرقي من تدمر، مكان تجمعهم.
(٢) دور- كوريچالز و(Dur-Kuligalzu).
(٣) (E.ugal).
(٤) إلّه مدينة دير (Ištaran).

وشتّتَ صراخهم كالزبد على وجه الماء.
أما أنا، فقد تخليتَ عني ورميتَ بي إلى السوتيين!
70 أنا (إذن)، فيما يتعلق بمدينتي دير،
لن أصدر فيها بعد اليوم الأحكام العادلة
ولن أحسم فيها بالمقررات التي تهمّ البلد!
ولن أصدر فيها الأوامر لكي أفتح عقول (الديريين)!»

الخراب يعمّ في البلاد

كل الناس تخلوا عن الولاء للاشتراك في الثورة:
هجروا الإنصافَ لحياكة الشرور!
75 مما اضطرني أنا إيشوم، أن أطلق على (هذا) البلد (وحده)
الرياح السبعة:
فمن لم يمت في المعركة، كان يموت بالعدوى،
ومن لم يمت بالعدوى، كان عدو يسبيه كغنيمة،
ومن لم يُسبَ كغنيمة، كان لصّ يقضي عليه،
ومن لم يقضِ عليه لصّ فسلاح الملك كان يطاله،
80 ومن لم يطلْه سلاح الملك كان يقتل على يد أمير،
ومن لم يقتله أمير كانت العاصفة تغمره،
ومن لم تغمره العاصفة كان شمش يودي به!
ومن كان يفر إلى البراري، كانت الريح تكنسه،
ومن كان يلتجىء في بيته، فقد كان يتلقى ضربة شيطان ـ رابيصو[١]
85 ومن كان يتسلق ارتفاعاً، كان يموت عليه عطشاً،
ومن كان يهبط إلى الأعماق ـ السحيقة، كان يموت فيها

---

(١) (Rabiṣu).

غريقاً،
وهكذا جعلتَ الارتفاع والعمق السحيق يلتغيان الواحد بالآخر!
وكان المسؤول؟ عن المدينة يصرّح لأمه التي ولدته:
(آه!) لو أنكِ أبقيتني في رحمك يوم كان عليكِ ولادتي،
(90 _ 91) يا ليت [حيا] تنا انتهت آنذاك، ليتنا متنا [سو] ية
92 وعوضاً (عن (ذلك) أنت أعطيتني مدينة مهدّمة السور
سكانها دواب وإلٓهها الخاص جزّار!
وعينات شباكه كانت ضيقة لدرجة حالت دون الإفلات منها
وقضى الزوجان؟ تحت ضربات السيف
95 (كنتَ تقول) لأي رجلٍ ولد ابناً، وأعلنَ: «هذا إبني،
وعندما انتهى من تربيته، سوف يكون عوناً لي!»
(كنت تقول) هذا الإبن سوف أميته لكي يدفنه والده
وبعد ذلك سوف أميت الأب دون أن يبقى أحد لدفنه!
ومن كان بنى بيتاً وأعلن: «هذا بيتي!
100 عندما أنتهي من بنائه، سوف يكون مقرَّ راحتي.
وفي اليوم الذي يذهب بي مصيري سوف أنام فيه!»
هذا (الرجل)، (كنت تقول) سوف أميته وأجعله يهجر بيته
الذي سوف أعطيه مباشرة إلى رجل آخر!»
لقد قضيتَ حتى على العادل، يا إيرّا المقدام
105 لقد قضيتَ حتى على الباغي
قضيتَ حتى على من أهانك
قضيتَ حتى على من لم يهنك
قضيتَ على الكاهن الحريص على تقديم قرابين الآلهة
قضيتَ على الخادم المخلص لشخص الملك

110 قضيت على الشيخ على عتبة (بيته)

قضيت على النساء الفتيات في غرفهن

وهنّ بعد في (براءة) الطفولة!

ومع ذلك، لم تجد في كل هذا أدنى تهدئة (لقلبك)،

مكرراً باستمرار: «إنهم يزدرونني!»

إيرّا يستعدّ لتنفيذ مشاريع دمار متزايد

وعند ذلك، أعلنتَ في قلبك يا إيرّا الشجاع:

115 «أريد ضرب الأقوياء وإرهاب الضعفاء،

116 أريد ذبح القائد وأجعل الجيش يقلب موقفه

125 سوف أبتر جذور (كل) شجرةٍ حتى لا تمتد فروعها

126 وسوف ألغم قاعدة (كل) جدار، لكي يتداعى رأسه[١]

117 ومن (كل) معبد سوف أهدم الحجرة ـ العلوية، ومن
(كل) سورٍ بنيةَ تتويجه،
(وهكذا) سوف أجرد المدينة من حليها!

سأقتلع مرابط المراكب لكي يحملها (بعيداً) جريان الماء

سوف أحطم مقبض الدفّة لكي لا تتمكن من الاقتراب من الأرصفة

120 سوف أخلع الصواري وأزيل كل التجهيزات!

سوف أجعل الأثداء تجفّ، لكي لا يبقى أي رضيع على قيد الحياة!

سوف أسدّ الينابيع لكي لا تحمل المجاري الجافة
الماء المخصب!

سوف أزلزل إيركالّو ـ العالم السفلي[٢] لتتزعزع السماوات

---

(١) تمّ تعديل موضع السطرين (١٢٦ و١٢٧) بسبب التوازي مع محتوى (١١٦ و١١٧).

(٢) الإيركالّو (Irakallu): تسمية ثانية للعالم السفلي.

127 سوف أصل حتى مقر ملك الآلهة، لكي لا تكون
هناك حكومة عليا.

إيشوم بعد تعديده لمخازي إيرّا داخل البلاد يوفّق إلى تهدئته ويحوّل غضبه ودماره إلى أهداف عدائيةٍ أخرى خارجية

عندما استمع إليه إيرّا المقدام
تلذّذ بالكلمات التي تلفظ بها إيشوم وكأنها مرهم بالغ النعومة.
130 لذلك أدلى إيرّا الشجاع بهذا التصريح:
«بلد البحر وبلد البحر، شوبارتو وشوبارتو،
عيلاميون وعيلاميون، كوشيون وكوشيون،
سوتيون وسوتيون، كوتيون وكوتيون،
لولّوبيّون ولولّوبيّون، بلد وبلد، مدن ومدن
135 بيوت وبيوت، رجال ورجال، إخوة وإخوة،
دون أن يرحم أحدهم الآخر، فليتذابحوا فيما بينهم!
ولتنهض بعد ذلك آكاد، لتدمير جميعهم
ولتصبح سيّدتهم جميعاً!»
ثم وجّه إيرّا المقدام، هذه الكلمات إلى قائده إيشوم:
إذهب يا إيشوم وحقّق كل ما يحلو لك من أقوالك!»
توجّه إيشوم (عند ذلك) نحو جبل خيخي(١)
140 وأسرع الأبطال السبعة اللامثيل لهم للّحاق به
وعندما وصل إيرّا الشجاع إلى جبل خيخي،

(١) جبل من بلاد العموريين (آمورد) ويرجح أنه جبل البشري في الشمال الشرقي من تدمر وهو مكان تجمع السوتيين كما أشير إلى ذلك آنفاً في ملاحظة السطر (IV: ٥٤).

بقفا يده اكتسح هذا الجبل.
وهذا الجبل خيخي (بالذات)، مسحه أرضاً!
حطّم أشجار غابة الأرز (الباسقة)
145 وأصبحت (هذه) الغابة مثل أجمة مرّ عليها الحريق!
دمّر تجمّعات السكان وجَعَل منها صحارى،
اجتاح الجبال وأطاح بجماعاتها الحيوانية،
قلب البحار وأباد نتاجها،
اكتسح منابت القصب والأسَل وأحرقها كما تحرقها النار،
150 نفذ الحرم بالماشية وأعادها إلى التراب!

اللوحة الخامسة

إيرّا يبرِّر أعماله، كما يمدح إيشوم ويوحي بعودة آكاد إلى استرجاع مركزها.

1 وبمجرد أنْ هدأ إيّرا وعاد إلى تبوّء عرشه،
(عند ذلك) أدارت كافة الآلهة عيونها نحوه
(وكذلك) كافة الإيجيجي والأنوناكي وقفوا (أمامه) باحترام
ففتح فمه وتوجّه إلى جميع الآلهة:
5 أعيروني انتباهكم، أنتم جميعاً، وخذوا علماً بأقوالي.
من المؤكد، أنني شخصياً، حبكتُ الشر بسبب خطيئةٍ سابقة:
فلأنني غضبتُ في قلبي، أهكلتُ السكان!
ومثل راعٍ مرتزق، أبعدتُ القطيع عن فحل ـ القيادة،
ومثل من لم يغرس قط بستاناً، قلّمتُ فيه دونما هوادة.
10 ومثل لصٍّ غريب قتلتُ دونما تفرقة الأبرار والأشرار!
(إلا أنه) لا تُنتشل الفريسة من فم أسد يزأ [ر]
وإذا ما كان أحدهم مسعوراً لا يمكن لأي آخر تهدئته
وبدون إيشوم قائدي، ما الذي كان يمكن الإبقاء عليه؟
أين سيكون مموّنكم؟ وأين (سيكون) مقيمو طقوسكم؟
15 أين ستكون قرابينكم ـ الغذائية؟ إذا كنتم لم تعودوا
إلى استنشاق رائحة البخّور!»
فَتَح (عند ذلك) إيشوم فمه وقال:
«[أي إيرّا] البطل، انتبه إليّ واستمع لكلماتي!
من المؤكد أن باستطاعتك الخلود إلى الهدوء
من الآن فصاعداً: ها نحن طوع أوامرك!

من في يوم غضبك يقدر على مجابهتك؟

20 وعندما سمعه إيرّا، استنار وجهه

وانفرجت ـ أساريره ـ فرحاً، مثل النهار الذي يسطع،

وبعودته إلى الإي ـ ميسلام[1]، اتخذ فيه مكانه

(عند ذلك) وبصوت مرتفع، وبلا مواربة كلّمه إيشوم

مقترحاً عليه بصدد مشتّتي آكاد، القرار (التالي):

25 سكان هذا البلد الذي قُضيَ على معظمهم، فليستعيدوا كثرتهم

وليتخذ كل (واحد منهم) صغيرهم وكبيرهم طريقَه بحرية!

ولتطحْ آكاد رغم إضعافها بالسوتيين[2] الأقوياء.

وَلْيسق كل واحد سبعةً (منهم) مثل ماشية صغيرة!

سوف تجعل من تجمعات سكنهم خراباً وتحوِّل

ريفهم إلى صحراء!

30 والغنائم الثقيلة التي تكسبها منهم، سوف تنقلها إلى شوانا![3]

وسوف تعيد آلهة البلد سالمةً إلى مقرها!

وفي هذا (البلد نفسه) سوف تعيد إنزال شاكان[4] ونيسابا[5]

ومن أجل (هذا البلد) سوف تستخرج من الجبال

وفرتها ومن البحار نتاجها،

---

(١) (E.Meslam) الإي ـ ميسلام: بيت ـ مسلام وهو معبد نرجال (إيرّا) في مدينة كوتو (Kutu).

(٢) السوتيون وهم قبائل السوتو (Sutu) الذين كانت منطقة تجمعهم بجوار جبل البشري في الشمال الشرقي من تدمر.

(٣) (Shu-Anna) بمعنى السلطة السماوية وهو حي من أحياء بابل كان يحتوي على عدد من المعابد وأصبح فيما بعد يطلق على بابل بكاملها.

(٤) (Shakan): هو إلّه المواشي.

(٥) (Nisaba): إلّهة زراعة الحبوب.

وإلى حقوله الخربة، سوف تعيد إليها (من جديد) ثمارها!

35 وليحملْ كافة الحكام في جميع المدن

جزياتهم الثقيلة إلى قلب الشوانا!

ولترتفع (من جديد) مثل شمسٍ لهّابة

ذُرى معابده المهدومة!

ودجلة والفرات، ليعيدا إليه مياههما المخصبة!

إجعل ممون[١] الإيساچيل[١] ومعابد بابل يحكم شخصياً

على كافة حكّام جميع المدن!»

خاتمة القصيدة

ولسنين لا عدّ لها

المجد للإلّه العظيم نرچال ولإيشوم البطل

40 ولأن إيرّا تملكه الغضب

وهدّد بتدمير البلاد وإبادة السكان

وتمكّن إيشوم مستشاره بذكاءٍ فائق من تهدئة (غضبه)

فأنقذ بذلك ما تبقى!

مؤلف هذا العمل (هو) كبتي ـ إيلي ـ مردوك،

إبن دابيبو:

أوحى (به) إليه إيشوم في ليلةٍ، وبما أنه

استعاده في الصباح التالي، فلم يُغفل منه شيئاً

كما لم يضف إليه سطراً واحداً!

45 وعندما استمع إليه إيرّا، تلذّذَ (بسماعه).

وسردية إيشوم، قائده، كان وقعُها عليه جميلاً

(١) الممون: أو ممون المعابد هو لقب ملكي ويعنى به هنا الملك المكلّف بمعبد الإيساچيل في بابل الذي هو معبد مردوك.

كما أُعْجبَ بها الآلهةُ المجتمعون بالقدر نفسه
ولذلك عمد إيرّا الشجاع إلى (هذا) التصريح:
«كل إلّه يقدّر هذا النشيد، فلتتكدّس
الثروات في معبده!
50 وكل من يمجّه، فلتبطل (في معبده) رائحة التقدمات!
(وكل) ملكٍ يقوم بتلاوته مشيداً بمجدي، فليحكم الكون!
(وكل) أسير يتلو (هذا) المديح لبطولتي، فليتبدد أعداؤه!
(وكل) مغنٍ ينشده، فلن يموت قط ميتةً ـ بشعة
وكلماته سوف تحوز إعجاب ملكه وأميره!
55 وكل ناسخ (يحسن كتابته) سوف ينجو من النفي
ويصبح شهيراً في بلده
والمثقّفون الذين يتلفظون باسمي بوفاء، في مجمعهم
العلمي،
سوف أُفتّح عقولهم.
وفي كل بيت توضع فيه هذه اللوحة، فإن إيرّا
لن يعود من جديد إلى غضبه ولن يكرر السبعة
مجزرتهم
وسيف الموت ـ البشع، لن يقترب منه وسوف
يُضْمنُ له كل أمان!
ليبقَ هذا النشيد فاعلاً أبداً! وليدمْ أبداً!
60 وكل البلاد حين تسمعه، فلتحتفل ببطولتي
وكل شعوب العالم بعد التعرف عليها، فلتُشِدْ بمجدي!».

المحتويات

الفصل الثاني

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الأول

أناشيد الحب السومرية

* يتعلق «**أناشيد الحب السومرية**»، بنصوص **الخصب والإخصاب**، أو كما يقول الشعراء السومريون، «**بمنيّ السماء**» يخصب الأرض و«**بماء القلب**» يخصب الأرحام.

* **تحت عنوان ماء الأرض وماء القلب** يعرض **الفصل الأول**، كيف تمّ بواسطة الماء إحياء بلاد دلمون من قبل الإلّه أنكي، وكيف يقع الإلّه إنليل في غرام ننليل ذات البهاء والظرف. ويقدّم لنا تفاصيل حيّة عن خطبته وزواجه من سود الجميلة. ولا ينسى تتبّع الإلّهة إنانا حين تنزل من سمائها لتتفقّد أحوال الأرض حيث يغتصبها بستاني أنكي.

* ينقل إلينا **الفصل الثاني أجمل أناشيد الحبّ والجنس**، بين **أشهر حبيبين عرفهما عالمنا القديم**، أي علاقة الراعي دوموزي وإلّهة الخصب والجمال إنانا، لينتقل بعد ذلك إلى دور ملوك سومر في **مراسم الزواج الإلّهي**، وهنا أيضاً نقرأ عن سومر أناشيد حب رائعة حتى في عفويتها «الإباحية».

* ولذا أمكن القول بأن مجمل أناشيد الحب المعروضة، تشكل ما يمكن أن يسمّى «**نشيد إنشاد سومرياً**»، مِمّا جعل **الفصل الثالث** ينتقل إلى عرض دراسة هي الأولى من نوعها في اللغة العربية حول توازي نشيد الإنشاد السومري مع نشيد الإنشاد التوراتي المنسوب لسليمان الملك.

* الكتاب الأول من مجموعة ديوان الأساطير، يقدّم للقارىء العربي ذخيرة ثقافية فريدة ـ جمالياً ومعرفياً وتاريخياً.

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثاني

الآلهة وَالبَشر

هذا الكتاب الثاني من مجموعة «ديوان الأساطير» يطرح المواضيع الرئيسية التالية:

*** البدء والأصول**

واستعراض قصص التكوين والخلق في ما بين النهرين التي سبقت تحفة النظرة الشاملة في:

*** قصيدة التكوين والخلق البابلية**

مُكرِّسةً ارتقاء الإلّه مردوك ومردّدةً أسماءه الخمسين تمجيداً له.

*** قصيدة الفائق الحكمة وقصة إنقاذ البشر من الطوفان**

وتروي تاريخ البشرية من الخليقة حتى الطوفان، وهذا النص هو في أساس الموضوعات التي تأثّرت بها التوراة.

*** الثواب والعقاب**

في انطباقه على الآلهة وعلى الملوك والمدن.

*** مسرحية البكاء على خراب سومر ومدينة نفّر**

وهو أقدم نص عن المسرح الديني السومري الذي سبق المسرح الاغريقي بألف عام.

*** العادل المعذّب والعدالة الإلّهية**

وهو في أساس قصة أيوب التوراتية.

*** الصعود إلى سماء الآلهة**

في كلٍّ من مغامرتي أدابا الحكيم وإيتانا الذي صعد إلى السماء على جناح نسر، ونبلِ سعيه.

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثالث

الحضارة والسلطة

هذا الكتاب من مجموعة «ديوان الأساطير»، يطرح المواضيع الرئيسية التالية:

* **النعجة ـ الأم والشعير والكتّان**، هي الرموز الثلاثة التي اعتمدتها الأساطير السومرية للتعبير عن بداية بناء الحضارة في بلاد الرافدين.
* **الإلّه البدوي مارتو**، يستحق الزواج من إبنة إلّه المدينة، وقد سَحَرهُ جمالها، فألهب شجاعته.
* **إنليل، سيّد الآلهة وسيد البلاد**، يطلق بناء الحضارة ويجعل من مدينته نفّر محجّاً للآلهة لتقديم الولاء.
* **الإلّه نينورتا**، يُخضِع في المنطقة الجبلية «شعب الحجارة» مكملاً دور إنليل الحضاري.
* **إنكي، إلّه المعرفة ومهارة الصنع**، يرسّخ أسس الحضارة وينظم البلاد وينقل الولاء إلى مدينته إريدو.
* **الإلّهة إنانّا** تتوجه على «سفينة السماء» إلى إريدو لتعود منها محمّلة بأسس الحضارة، فترفع من شأن مدينتها أوروك.
* **إنانا/ عشتار «إلّهة الإلّهات» و«سيدة المعارك»**، تتابع ارتقاءها عبر القرون، فيستمر تمجيد سلطتها.
* **بين المدرسة والحكمة**، هو الفصل الأخير الذي يشهد على تعميم الحضارة وبناء الأسس والقيم الأخلاقية والاجتماعية من ضمن مجموعات من الحكم والأمثال السومرية والأكادية.
* يختتم هذا الكتاب، يسرد **قصة أحيقار، حكيم بلاد نينوى**، عارضاً موضوع بحث حول الأصول السومرية والأرامية لكليلة ودمنة.

في هذا الكتاب من مجموعة «ديوان الأساطير»، عرضٌ عن **الموت والبعث والحياة الأبدية**، يتدرّج عبر المواضيع الرئيسية التالية:

□ **موت الآلهة بين التحوّل والبعث**

❋ موت الإله دوموزي/تموز.

❋ دور إنانّا/عشتار في تسليمه للموت ثم البكاء عليه.

❋ إنانّا تبتدع قربة الماء في البادية، ضماناً لعودة دوموزي.

□ **العالم السفلي، بلد الظلمات واللاعودة**

❋ ملكة العالم السفلي تأسر إنانّا/عشتار وتفرض لتحريرها تسليم بديلٍ عنها.

❋ أنكيدو رفيق چلچامش، يستولي عليه العالم السفلي بعد حلم رآه ينذر بموته.

❋ الإله نرچال يأسره غرام ملكة العالم السفلي، فيتخلّى عن سمائه ليصبح ملكاً عليه.

□ **البعث والحياة الأبدية**

❋ بعث وعودة كل من دوموزي/تموز وبعل وأوزيريس ومردوك، ومفهوم القيامة والخلاص.

❋ موت مردوك وبعثه المظفّر في عيد رأس السنة في بابل.

❋ نص ملحمة چلچامش في سعيه وراء الحياة الأبدية.

□ **العصر البطولي في سومر والحرب**

❋ من مبارزة بطلين إلى حرب الدمار الشامل.

❋ الحرب والدمار والواقع التاريخي.

❋ نص ملحمة إيرّا إله الدمار.

ISBN 1 85516 565 1

